

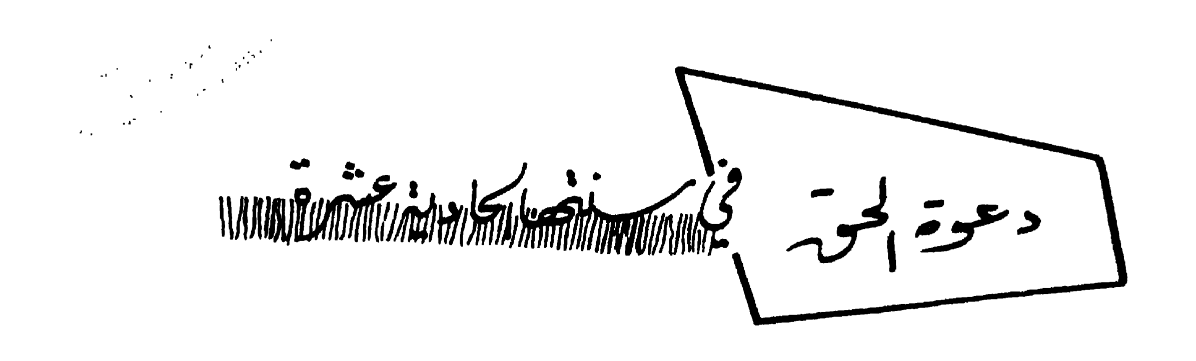
في هـــذا العـــدد :

صفحة

ثمن العدد درهم واحد

تصدرها
وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
المغربية

كلمة العدد



تدخل ((دعـــوة الحـــق)) بهذا العدد سنتها الحادية عشرة ، وهي اشد ايمانا مما مضى بالرسالة المثلى التي اضطلعت بعبئها الثقيل من أول يوم ، وأكثـــر تطلعا ، فى عقدها الثاني ، لتحقيق مكاسب كثيرة لمستقبل الثقافة وقضية الفكر فى هذه البلاد بنفس العزيمة الصادقة ، والارادة المصممة التي تغمر أسرة تحريرها ، وكتابها الاوفياء لمواصلة السير قدما فى السبيل القويم الذي انتهجته ، والعمل على ابـــراز انتاج مغربي أصيل ، يساير مدنا التقدمي فى ربوعنا الخضر ، ويتطور نحو الجـــودة والتركيز والاصالة ، ويواكب نهضة الامة المغربية العريقة فى مسيرتها العلميـــة ، ووثباتها الثقافية والاجتماعية ، وانطلاقاتها نحو التبلور الناضج ، والاكتمال السريع ...

لقد سلخت ((دعـــوة الحـــق)) من عمرها عقدا كاملا وهي تواكب نهضتنا الثقافية المباركة ، وترعى حركة الفكر التقدمية التي تلاقحت فى مناخهـــا الآراء ، وساعدت على خلق جو ثقافي ملائم ، تفتحت فيه الامكانيات وتحققت معه احـــلام المواهب كما ساعد على تشجيع ابراز الطاقات الكامنة على الظهور .

وان مما يشحذ العزائم ، ويهدي الى شرف الفرض ، ونبل الغاية ، اننا تلقينا فى أثناء عطلة المجلة الصيفية المعتادة ، كثيرا من المراسلات والمكاتبات سواء من الداخل او الخارج ، وكلها اشادة وتنويه ، وتهنئة وتقدير بفوز جهادنا ، ونجاح ((دعوتنا)) واكبار للعبء الفادح الذي ننهض به فى سبيل التعريف بالثقافة ، وتقديم الانتاج المغربي الذي يتسم بالاصالة ، ويجمع بين نبل العاطفة ، وسمو الفكرة .

كما نوهت الاذاعة والتلفزة فى بعض مناهجها الادبية بالدور الذي قامت بـــه ((دعـــوة الحـــق)) خلال عقدها الاول ، فى خدمة قضايا الفكر والثقافة ، والدعـــوة للفكرة الاسلامية ، والدفاع عن قيمها ومثلها .

العدد الأول
السنة الحادية عشرة
شعبان 1387
نونبر 1967
ثمن العدد
درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الاسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما
فأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حسـاب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daowat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ
الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفـون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

ثانيا : لاحظت بعض الرسائل على المجلة بانها بقيت مغلقة على نفسها ، وذلك بمحافظتها على كتابها القدامى الذين الفهم جمهور القراء ، فلم تشجع ذوي الكفايات الجدد من الشباب ، ولم تفسح لهم أسباب الاتصال والظهور ، ولم تقـدم انتاجهـم لجمهور القراء ، ولم تطعم مواد المجلة بعناصر حيوية جديدة تعطيها نكهة التجـدد والاستمـرار ...

— وأي ضير في أن تحافظ مجلة متفتحة ، كدعوة الحق ، على أسرة وفية لها مقام معلوم ، ومكانة علمية مرموقة مومو قة تعتبر لب اللباب فيما عند المغرب من كتاب .

والمجلات الراقية الملتزمة في انحاء الدنيا لابد لها من أن تتوفر على أسرة دائمة من كتابها تعتمد عليهم ، وتحافظ على أجود عناصرهم ، وتقدم انتاجهم لقرائها في أطباق شهية كأشهى ما يقدم بين يدي نجوى موادها ... ولم تكن دعوة الحق على شكلهـا المعهود ، وموضوعاتها الجادة الملتزمة الا لتوفرها على أجود ما في المغرب من علماء ومفكرين وكتاب ...

ومع هذا فلم نكن في يوم من الايام نقف حجر عثرة لنحجب كل موهبة عن التفتح والعطاء ، بل اننا نأخذ بضبع كل كاتب صاعد ، ونرحب بباكورة انتاجه ، ونمد له يد العون والمؤازرة ، ونمهد له سبل الاتصال بجمهور القراء ، بل لا يخلو أي عدد مـن أعدادنا من كتاب جدد نعلم أن الناس يرضون ، مسبقا ، عن انتاجهم فنقدمه للقراء ، ونتمنى لهم مخلصين أن يبارك الله خطواتهم في مستقبلهم الواعد .

ثالثا : وهناك ملاحظة ثالثة تقول :

ان المجلة لفرط ما يحشر فيها من مواد قوية ، وما تدرجه من موضوعات دسمة قد تشق على القارىء الذي قد يجدها احيانا عسيرة الهضم .

من أجل ذلك يرى بعض هؤلاء المقترحين أن تنوع ابواب المجلة ، وتطعم ببعض المواد والنقل ، لارتشاء رغبة القارىء واستمالته ، ولاستزادة شوقه واقباله .

— ان دعوة الحق وان كانت مرصودة على طبقة خاصة من الذين الفوا الجلـد والصبر على قراءة الكتب الجادة ذات المستوى العالي الذي يتطلب الاناة وطول النفس فهي مفتوحة أمام كل المثقفين المجيدين الذين يقبلون على قراءتها ، لما تشتمل عليه من ابواب متنوعة ، واطباق شهية ، تبتدىء من الدراسات الاسلامية الى باب الابحاث والمقالات ، فرياض الشعر في ديوانه ثم الى الدراسات التاريخية ودراسة القضايـا الفكرية التي تشغل الرأي العام المعاصر ... مما يجعل موضوعاتها في متناول كل الذين يرغبون في اشباع رغباتهم الفكرية عن طريق قراءة مجلة محترمة جادة ... كدعوة الحق.

ولعلنا قد وفقنا الى ما قصدنا اليه ، بفضل رعاية المسؤولين وعنايتهم بقضايا الفكر وخدمة الادب ، وحماس المثقفين بقداسة رسالتهم الخالدة الذين نسترشد بآرائهم النيرة ، ونستفيد من توجيهاتهم السديدة ...

فان استنارة المرء برأي أخيه ، من عزم الامور ، وحزم التدبير .

دعوة الحق

ولم تخف بعض هذه الرسائل ملاحظاتها البناءة ، وانتقاداتها الهادفة ، فى بعض ما تراه يحقق خطوات اخرى جديدة للمجلة يتسنى معها أن تؤدي دورها الكامل فى بناء صرح سامق لثقافتنا الاسلامية والعربية .

ويمكننا أن نجمل تلك الملاحظات فيما يلـــي :

اولا : يلاحظ بعض السادة الادباء على المجلة فى حسن نية ، وكامــل اخــلاص وموضوعية ، انها تخلت عن خطتها التي درجت عليها فيما يتعلق بالنقد عموما ، أو على الاقل فيما كانت المجلة تدرجه فى باب « قرأت العدد الماضي » أو « العدد الماضي فى الميزان » مدعمين وجهة نظرهم هذه بان كل حركة فكرية لا تتفتح براعمها ، ولا تنمو افنانها الا فى جو نقدي منعش تتبارى فيه الآراء الخصبة ، وتتلاقح معه النظريــات والافكار ، لان النقد وسيط بين المنتج وجمهور القراء تربطهما لحمة النتاج ، وتصلهما وشائج الآثار الفكرية والادبية ، بل ان بعض الرسائل تقول بان النقد فى مجلتنا بات يشكو ندرة وضمورا ، وضعفا وهـــزالا ...

— والحق أننا لا نكون مبالغين أو مغالين اذا قلنا بأن مجلتنا ، كما لا يخفى على المتتبع المنصف قد ساعدت فى اعوامها الاخيرة على خلق جو نقدي استقطب نخبة من رجالات الفكر فى المشرق والمغرب ، والتقى عنده مجموعة من الكتاب والمفكرين ..

فقد دأبت المجلة منذ نشاتها على تشجيع كل نقد بناء يتميز بالصبغة العلميـــة ، ويقوم على التحري والمقابلة ، والتحليل والموازنة ، وسبر غور الفكرة التي يرمي اليها الكاتب أو الشاعر ، كل ذلك مساهمة منها فى العمل على ربط الاتصال بين الكتــاب المثقفين ، وخلق حركة ثقافية شاملة تخرج بنا من الضمور الفكري الـــى باحـــات المناقشات الواعية لابراز الطاقات الفكرية ، وما تكنه من ملكات ذهنية ، وتضاريس شعوريـــة .

لقد رحبنا فى أحد اعدادنا الماضية بالنقد الباني ، والمناقشة الهادفة ، كما رجونا من حملة الاقلام فى هذه البلاد ، ورجال الفكر فيها أن يمتد أفقهم ، ويرحب صدرهــم لتحمل النقد الذي يقوم على الدرس والتجديد والتجويد ، ويخلو طبعا من التجريــح والتلويح ، والخصومات العنيفة ، والتبجح بالعلم ، والمباهات بالعمل ، والشعور المفرط بالتجني والصلف والاستعلاء الذي يندرج فى نطاق الاغراض والاهواء الشخصية

اذ أن لكل انسان عيبا !!

وأي الناس تصفو مشاربه ؟!

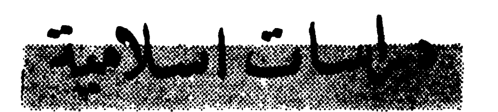
والكمال لله وحده .

لقد شهدت الاعوام الاخيرة فى مجلتنا حركة نقدية واعية بلغت حدا دل على أن كتابنا فى الاعم الاغلب يعرفون للنقد قيمته ، ويراعون للرأي حرمته ، ولكن بعضهم كان يطغى به القلم ، ويشتط فى الاحكام ، ويتجاوز الحدود المرسومة المعلومة التي تواضع على وضعها النقاد ، مما دعا هيئة تحرير المجلة الى أن تضع حدا لبعض الانحرافات فى النقود التي تصل اليها ، لا لاننا نكره النقد أو نفرق منه ، ولا مراعاة لمن يؤثــرون السلامة والعافية من بعض الكتاب الذين لم تتسع صدورهم للاخذ والرد ، والمطارحة والحوار ، بل لاننا أحوج ما نكون فى حياتنا الثقافية ، والظروف التي تجتازها بلادنا فى الحقل العلمي بخطى حثيثة ، واهتمام متزايد الى دراسات باتية ، ومقــالات تتسم بالابداع والجدة ، والطرافة والابتكار ...

هذه الناحية روح عدم الاكتراث وتفاهة النظرة التي له عن الامر من اساسه ؛ القضية هذه لا يلحظها احد بقدر ما يلحظها رجال الدين انفسهم ؛ وهم يكررون من الحديث عنها بلهجة تنم — بحق — عما يرونه في هذا الامر من اهمية كبيرة توجب الالتفات اليه ، اكثر ما يجب الالتفات الى شيء والعناية به ؛ وقد لاتجد عند البعض من الغيارى على الدين ما يفعله ، اكثر من ان يستمر في الشكوى والاستعاذة من الزمان واهله . بينما ترى آخرين اكثر واقعية وايجابية ، يشعرون بان الامر يتطلب مواجهة مستمرة ، تقوم على مضاعفة الجهد للتعريف بروح الدين وتعاليمه لدى النشء والكبار على السواء . وقد يذهب البعض من هؤلاء ابعد من ذلك ، فاذا بك تجدهم قد يعمدون الى تناول المذاهب والافكار اللادينية الحديثة محاولين نقضها وتفنيد أسسها على ضوء المبادىء الدينية ، والقيم السليمة التي يقوم عليها العقل والمنطق الخلقي المرتكز على الامتزاج بين الاعتبارات المادية والروحية على السواء ؛ وقد يسلك بعض الغيارى على الدين من العلماء طريقة اكثر اتصالا بمعطيات العصر والمفاهيم السائدة فيه . تقودهم رغبة ملحة في التوفيق بين الدين والعلم والحضارة ، لاقناع اولئك الذين يرون الفرق شاسعا بين علم ودين — يذهب مثل هؤلاء الغيارى على الدين مذهب الموفق بين نظرية علمية ، وآية قرآنية ، بين قول نبوي ماثور ، وبين ظواهر علمية او أحوال تقنية واقعة اليوم ؛ وقد شاعت هذه الطريقة في بعض تفاسير القرآن الكريم وبعض الكتب الدينية الاخرى . الا انه وجد في عدة احيان من يعترض عليها ، ولا يرى فيها نفس الجدوى التي ينتظرها منها اصحابها . بل ذكر كذلك — في معرض الحديث عن هذه الطريقة ، انها تؤدي في كثير من الاحيان الى تمحل لا مبرر له ، وتتسبب في جعل مقاصد الآي الشريفة وكانها خاضعة لاعتبارات العلم وتقريراته ، وهي اعتبارات ومقررات غير ثابتة في الكثير من الاحيان ، ومعرضة للتعديل والتجريح ، بشكل غير محدد ، مضافا الى ذلك ، ان القرآن هو كتاب هداية وتنوير قبل كل شيء . عنايته متركزة حول المبادىء والمثاليات التي يجب ان تقوم عليها حياة انسانية سليمة وامينة ومتوازنة ، وما هو وارد من آيات في الطبيعة وعلم الحياة وغيره ، فالمراد به التمثيل ، لا الاستقصاء . اما الاجتهاد بجزئياته الاستقصائية فهو متروك في كل شيء للبشر سواء في امور دينهم او دنياهم ، شرط ان يكونوا مهتدين بهدي سليم كهدي الدين ، والا انحرفت بهم نتائج اجتهاداتهم الى مهاو خلقية وحضارية ، مثل ما يوجد عليه امر العالم اليوم ، امام تقنية عملاقة ، غير مقيدة بوازع روح قوي .

ومن خلال وجهات العمل هذه ، من اجل ابراز المفاهيم الدينية ، وتقريبها الى الاذهان ، يحاول المرء تبين اهمية التاثير الايجابي الذي يحدثه ذلك على عقول الناس عموما ، فيجد — كما اسلفنا — ان هذا التاثير لا يحقق القدر من التغلغل العقلي المراد منه ، بل ان الشقة تزداد بعدا — بعض الاحيان — بين ما يراد من تقريب مفاهيم صحيحة للدين الى عموم الناس ، وبين ما هو حاصل فعلا في هذا الميدان من نتائج عملية ؛ ولكي نبلور جوانب الموضوع ، علينا ان نركز الكلام في طبقتين من طبقات المجتمع ، يتخذان — في العادة — كمحور للتوجيه الديني والخلقي ؛ وينصب عليهما بالتبعية لذلك المجهود التوجيهي الذي ياخذ به المجتمع ضمن الفلسفة او الرسالة التي يومن بها ، وهذا على اعتبار ان كليهما يشكل الهيكل الانساني الاساسي الذي تقوم به بنية المجتمع في الحاضر وفي المستقبل . وهذان العنصران الاجتماعيان اللذان نريد ان نركز الموضوع حولهما ، هما (1) سواد الناس او العوام (2) عنصر الناشئة والشباب الذي يكون الجيل الجديد .

اما سواد الناس فيجب التمييز في شأنهم بين المجتمعات المتقدمة والمجتمعات المتخلفة ، فهناك فرق كبير في الاحوال الفكرية والتكوين العقلي السائد عند العموم هنا وهناك تجب مراعاته واعتباره ، ذلك انه اذا كان افراد العموم في البلدان المتقدمة ، تتراوح مستوياتهم الفكرية بين الامية التي هي ذات انتشار محدود نسبيا ، وبين حالة شبه الامية ، بين التعلم حالة شبه التعلم ، فان العموم في البلدان المتاخرة ، تختلف حالته عن هذه الحالة التي ذكرنا اختلافا بيناء اذ ان حالة الامية الضاربة اطنابها في العالم المتخلف ، تستغرق — فعليا — السواد الاعظم من الناس ، ولا يتبقى من وراء ذلك في الكثير من الاحيان الا ما نسميه بالنخبة التي استطاعت لسبب او لآخر : ان تحصل على تطور عقلي حقيقي يرفعها عن مستوى التفكير المتخلف ، الذي يسود المجتمع ؛ وعموم الناس هؤلاء يشكلون الجزء الاضخم من الهيكل الانساني للمجتمع ، يقوم بهم ، ويعتمد عليهم بدرجة اولى ، فلذا يعتبرون اساس المجتمع الحاضر ، وحقيقته الكبرى . اما العنصر الآخر ، عنصر الناشئة والشبان ، فهو المؤهل مبدئيا ، لان يصبح متعلما وان كانت الصعوبات الكثيرة التي تلاقيها الاقطار النامة في آسيا وغيرها لا تسمح



ملاحظات سريعة:

حول أحوال التكوين العقلي الإسلامي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة

للأستاذ: المهدي البرجالي

عصرنا الحاضر، عصر امتحان القيم بدرجة اولى، ويقوم الحوار اليوم على اشد ما يكون بين القيم الثقافية والحضارية على صعيد العالم أجمع؛ واخشى ما تخشاه امة واعية فى الوقت الحاضر، ان ينتزع من ابنائها الاقتناع العقلي بقيمهم التي يقوم عليها وجود الترابط بينهم كامة من الاساس، وبقدر ما يخاف من ذلك، بقدر ما يزداد الحرص فى المجتمعات الاسلامية على حماية القيم فى عقلية الناشئة وعموم الناس، عن طريق التوجيه والتوعية المستمرة، لكن الا يحق لنا ان نعنى من اجل انجاح ذلك - نعني بتحسين اساليبنا فى هذا المضمار وجعلها اكثر علمية وموضوعية.

لا يستطيع احد منا ان يدعي ان المواضيع الدينية لا تطرق بكثرة واطناب، فيما ينشر على الناس من كتب وصحف ودوريات، وفيما يلقى اليهم عن طريق السمع من احاديث ومحاضرات وندوات. فالموضوع الديني - كما نلحظ جميعا - له مجال واسع فى دنيا التوجيه والاعلام سواء ذلك بمشرق او بمغرب، وان كان هذا التاكيد لا يعني بالضرورة ان الباحث الديني او الناشر الديني لا يجدان نفس الصعوبات المادية والتنظيمية التي يجدها الكتاب والناشرون فى مجالات اخرى من مجالات الكتابة والنشر؛ فالمصاعب فى مثل هذه الميادين هي قدر مشاع لانقصده عندما نشير الى الامكانيات الموجودة التي تتوفر امام سبل الاشعاع الثقافي، بما فيها السبل المتيسرة لنشر المعرفة الدينية والدعوة الى الدين والتبشير به، وابراز محاسنه، والرد على خصومه، الى غير ذلك مما تخوض فيه أقلام عديدة بالشرق العربي والمغرب العربي، وتختص به بعض الدوريات الشهرية تحفل بالكثير من هذا القبيل؛ ووجود مجالات لنشر المعرفة الدينية هكذا بين عموم الناس فى الاقطار العربية والاسلامية، هو وجه ايجابي لقضية الدعوة الدينية فى عصرنا الحاضر، واداة لا يستهان بها لخدمة هذه القضية، وتقريبها من الاذهان، بقدر ما يمكن؛ غير اننا نجد - من وجهة اخرى - ان القائمين على الترويج للفكر الديني، والمعنيين بانتشاره والتمكين له، هم شديدو الشكوى - كما يلحظ - من حالة ازدياد الجهل بروح الدين وتعاليمه ومقتضياته بين الناس وبالاخص منهم الاجيال الجديدة التي تجد ان البعض منها لا يجهل شيئا اكثر مما يجهل فى الدين، تسوده من

عقلياتهم الدينية المتخلفة - الا اذا تصورنا امكانية تطويرهم سريعا كذلك من الناحية العقلية العامة ، التي توجه اذهانهم ومشاعرهم في شتى آفاق الحياة ؛ فالجهل كل لا يتجزأ ، اذا كان جهلا علميا واجتماعيا وغيره ، فهو مرتبط كذلك بالجهل الديني ارتباطا عضويا لا يقبل انفصاما ، وما دام الامر كذلك ، فالقضية ستبقى دائما ماثلة امامنا بكل خصائصها وملابساتها المتمثلة في هذه المفاهيم التي لعامة الناس من علاقتهم بالدين ، وكيف ان هذه المفاهيم تمتزج بالميل الطبيعي العادي عند العامة الى احتضان الخرافة، والتشبع بها كسند فكري يسلي ويمتع ، بل وينقذ من المآزق عند الاقتضاء ، ولو انقاذا خياليا .

على انه اذا كان سواد الناس في الاقطار الاسلامية متأثرين بأحوال عقلية من هذا القبيل ، تؤثر في مفاهيمهم عن الدين تأثيرا سيئا الى حد ما ، فان علينا ان نضع في حسابنا كذلك ان هؤلاء العوام هم أساس الحياة الدينية الحية النشيطة في الاقطار الاسلامية . فهم مظهر اقامة الشعائر في مختلف المجتمعات الاسلامية ، وعن طريق ارتباطهم الشعوري - العقائدي بالدين يبقى الفكرة الدينية وجودها المستمر في حياة الناس بالعالم الاسلامي ، بصرف النظر عن انحراف الفكر الديني عند الناس او استقامته . المهم في الامر ان الوجود العقائدي والشعائري الاسلامي يتمظهر - الى حد كبير - في هذه الكتل من العوام التي يتمثل من خلالها هذا الوجود الاسلامي على مسرح الحياة اليومية الدائمة . ومن هنا تاخذ القضية صبغتها المهمة - الى اقصى درجات الاهمية في هذا المضمار ؛ فالناس العاديون في الاقطار الاسلامية هم مادة الاسلام الانسانية الرئيسية ، هم مظهره الانساني القائم ، والصورة التي تكرس الوجود الديني المستمر ، وهم في نفس الوقت صورة منحرفة عن الدين في عدة احيان ، ويعطون عن العقائد والشعائر امثلة قد يأباها العالمون بالدين ، وقد يأباها حتى انصاف او ارباع العالمين بالدين ، والمتشبعين ببعض قيمه ومثالياته الصحيحة. وهذه حالة ناخذ باهتمام جميع المفكرين الاسلاميين الواعين بالبلاد الاسلامية ، اذ ان الامر هنا في تقدير مثل هؤلاء ؛ يتعلق بقضية الاسلام لا في الاقطار الاسلامية الخالصة فقط ، بل يتعلق ايضا بمستقبل الانتشار الاسلامي في المجتمعات الاخرى التي لا تنتسب حاليا الى الاسلام ؛ ان التبشير الاسلامي في حاجة دائمة الى اعطاء المثال لغير المسلمين عن الحياة الاسلامية القائمة ذاتها . ومن ثم يجب ان تكون هذه الحياة الاسلامية القائمة ،ممثلة لبعض روح الاسلام الصحيح ، لكي تكون اداة اغراء وجذب للاسلام ، لا سببا لتنفير آخرين منه ، خاصة وان مستلزمات الدعوة لايجزيء فيها ان نجتذب الى الاسلام ، مجرد بسطاء العقول او الباحثين عن مجرد الطمانينة الروحية او غير هؤلاء او اولئك ، ممن يمكن ان يعتنقوا الاسلام ، بل ان روح الدعوة لاتفرق بين مثل هؤلاء البسطاء ، وبين اصحاب الذهنيات المترفعة من العقلانيين والعلميين والمتفلسفين وغيرهم ممن يعنينا - بموجب روح الدعوة - ان نجتذبهم ، اذا كان من الممكن اجتذابهم - ؛ لكن ، يجب قبل ذلك ان تكون المجتمعات الاسلامية من الناحية العقائدية على الاقل - في مستوى قد يثير عناية العلميين والعقلانيين ، ويحملهم على الاهتمام ، مجرد الاهتمام بالفكرة الاسلامية ، من خلال ما يبدو منها - واقعيا - على صعيد الحياة الجماعية الاسلامية .

كل هذه المقتضيات تضع امامنا في الاعتبار اهمية تهذيب الفكرة الاسلامية القائمة في عقلية عموم الناس بالعالم الاسلامي ، باعتبار ذلك امرا حيويا يتعلق بالحياة الاجتماعية والثقافية والروحية للجماعات الاسلامية ، وايضا على اعتبار ان الامر ، يمس قضية الاسلام كحقيقة حية ونزاعة بطبيعتها الى تحقيق مزيد من الازدهار والتوسع .

لكن المشكلة في الامر ، تبقىممثلة في السؤال التالي : كيف يمكن تهذيب هذه الجماهير ، وهل يجزيء في ذلك وعظها . وان كان الوعظ له وظيفته التي لا تنكر في ايقاظ شعور المسلم ، واثارة حماسه ؛ الحق ان تهذيب الفكرة الاسلامية عند عوام المسلمين ، تحف به مصاعب ، كما تتوافر له امكانيات ، وان كانت ذات مظهر سلبي . وهذه الامكانيات السلبية تتجلى في كون هؤلاء العوام هم اسلس قيادا لموحيات التوجيه اكثر من المتعلمين ؛ فالعوام - بحكم عدم احتكاكهم بالتيارات الفكرية الداعية للحيرة والريب ، يكونون عادة في غير حاجة الى اخذ ورد جدلي في شؤون الدين والروح . الا ان سلاسة قيادهم من ناحية فكرية على هذا النحو ، تجعل تأثرهم بالدين تأثرا غير واع ، ومستعدا للتوقف دائما في نقطة واحدة ، لا يبرحها ، ليمكن من اجتهاد في النظر ، وتفتح في الفكر على اقل ما يكون عليه الاجتهاد والتفتح بالنسبة لانسان غير متعلم بقدر كاف .

وذلك ما يخلق اشد المصاعب التي اشرنا اليها في علاقة العوام بالدين ، واستفادتهم منه الاستفادة التي

دائما بجعله متعلما الى حد الثقافة العميقة الناضجة ؛ وعلى كل ، فالناشئة تعتبر في العادة – الاساس المستقبلي للمجتمع ، لانها تشكل البديل الرئيسي لجيل الكهول والشيوخ ، اي اجيل الآخذ في الزوال . ولهذا فان اكبر آمال التنمية الحديثة تقوم عليها اساسا ، باعتبار انها تعد مؤهلة – جسميا وفكريا – لتحمل اعباء التنمية ، وتفهم مقتضياتها اكثر مما يتفهمه الجيل الآخذ في الانقراض . وتعتبر التربية في شتى ميادينها من مقومات التنمية الحديثة . بل عليها ترتكز من حيث المبدا عمليات الانماء والتطوير الاقتصادي والاجتماعي وغيره ؛ وليس هناك ما يخرج التربية الدينية عن هذا النطاق . اذ ان التربية الدينية هي مظهر من مظاهر التربية العامة التي يتلقاها الفرد ، وعن طريقها يحصل على حالة التوازن المنشود عند الكثيرين ، اي التوازن بين القيم المادية والقيم الروحية بكل ما تحمله كلمة « الروحية » من معنى . فالتربية الدينية داخلة حتما في عموم التربية العامة للمجتمع ، التي تعد بدورها اهم مقوم لعملية الانماء في اي مجتمع ينشد الانماء بمفهوم شامل ومتوازن ومتكامل .

* * *

ويراودنا السؤال من جديد : هل تؤدي عمليات التوجيه الديني دورا حقيقيا وفعالا . يضمن لسواد الناس صلة حية بالفكر الديني . ويجعل من الفكرة الدينية قوة معنوية صحيحة ، تساهم في تقويم تربيتهم الاجتماعية وغيرها . وتتدارك – بقدر ما – في اعدادهم لعملية الانماء المنشود ؟

واذا كانت الفاعلية هذه موجودة . فما حدودها والمظاهر التي تدل عليها ؟

ان بذور الوعي الديني التي يتلقاها الناس في مجتمع اسلامي ، ليس لها مصدر واحد تتاتى منه ، فمصادرها كثيرة متنوعة . وهذه المصادر اما غير مباشرة ، كالايحاء الديني الذي يفرضه المظهر الديني العام في المجتمع . واما مباشرة على صعيد الخلية الاجتماعية ، كالتوجيه مثلا – الذي يتلقاه الافراد عن بعضهم البعض . داخل المحيط العائلي ، او ضمن حالة الصداقة وغيرها ، او بالتوجيه الذي يقوم به المعنيون برعاية المجتمع ومراقبة كيانه العقائدي – الحضاري كمصادر التوجيه الرسمية التي ينيط المجتمع بعهدتها الحفاظ على مقوماته الفكرية والروحية . والمصادر من هذا النوع ، تستمد موضوع التوجيه ، الذي تقوم به من فلسفة المجتمع وقيمه الاعتقادية سواء منها ما كان دينيا صرفا ، او ممتزجا بالافكار الدينية على نحو او غيره .

والافراد من عوام الناس في مجتمعاتنا الاسلامية، يتلقون عادة منذ الصغر ، بذور وعي ديني يستقونه من محيط الاسرة والمسجد والحفلات الدينية والمظاهرات الموسمية كرمضان وغيره ؛ كما يتشبعون بالكثير من هذا القبيل ، يستمدونه من مسموعاتهم من حكم واقوال وسواها . ومن مشاهداتهم المختلفة لعمليات الوضوء واخراج الزكاة وما الى ذلك من مؤثرات عقلية ووجدانية . تاتي الى الفرد من عالمه المباشر الذي ينشأ فيه ويترعرع تحت تاثير اجوائه . وكل هذه المؤثرات هي في حد ذاتها مؤثرات عميقة ، وشديدة المفعول بقدر كبير ؛ وينشا عنها في الغالب تجذر قوي للفكرة الدينية في اذهان الافراد ، ممتزجة هكذا بمشاعرهم كاقوى ما يكون الامتزاج ؛ ومن ذلك نرى صورة المسلم العادي ، كما نعهدها في شتى المجتمعات الاسلامية : شخص متمسك بدينه عادة تمسك الضنين بماله على غيره . الا ان المعضلة مع ذلك – تبقى قائمة – نتيجة الانفصام الموجود بين اسلامية المسلم ، وبين سلوكه الواقعي في ميدان الحياة ، ومفاهيمه عن الناس والمعاملات ، والمستقبل والحياة والعالم عموما . اننا لانذهب الى وصف ذلك . والاتيان بالامثلة عنه . لان صورة المسلم العادي عندنا هي في الغالب – صورة اي مسلم عادي في المجتمعات الاسلامية الاخرى بالشرق او بافريقيا او بغيرها . صورة شخص يعيش في كثير من الحالات على الاوهام ، وتسود عقليته قيم فكرية تقعد به غالبا عن تصور اساس صحيح دائما يستجيب به لواجباته الدينية والزمنية ، وتتحكم فيه الطقوسية بدرجة كبيرة . وغالبا ما تكون هذه الطقوسية مجردة من محتواها المعنوي الايجابي ، ومتخذة عوض ذلك ، شكلا احتذائيا لا تعرف بالضبط مصادره وقواعده الصحيحة . فالاحتذاء او الاتباع ، يتم بدون ميل الى التعرف على مصدر الشيء المحتذى ، هل له استمداد من اصل عقائدي سليم ، ام يعود فقط الى ينابيع خرافية ، قد تكون مناقضة للاصل الديني ، بل وربما مهدمة له ، بشكل او بغيره .

صورة انسان من هذا الطراز من عوام الناس في الاقطار الاسلامية ، هي صورة نموذجية كما اشرنا ، لا تتخلف الا في حالات نادرة جدا ، اذا قسنا هذه الحالات النادرة بضخامة الكتل الانسانية من سواد الناس في العالم الاسلامي ؛ وليس منتظرا لهذه الكتل الهائلة من الناس ان يتطوروا سريعا – من ناحية

جدا فى مجال التهذيب العام ، والتوجيه على مختلف الاوجه ، التي ينصرف اليها التوجيه ، الوجه الاقتصادي والوجه الاجتماعي وغيره .

ان الغاية من بث الروح الدينية ، يجب ان تكون من بعض جوانبها غاية عملية ، مثل ما ينتظر من تكوين الطفل فى المدرسة اهدافا عملية ايضا ، اما المرمى البعيد من كل ذلك ، فهو صهر العقلية الشعبية فى الاقطار الاسلامية على اساس اسلامي ، غير ان هذا التعبير « تكوين عقلية اسلامية » سيبقى مجرد تعبير مثالي ، اي سيبقى دالا على مثالية متسامية بقدر ما يعسر تحصيلها فى الواقع ، الا اذا اصبحت المفاهيم الاسلامية داخلة فى صميم التفكير اليومي عند الافراد العاديين : وهذا لايتم — كما اسلفنا — الا اذا روعيت فى تكوين هذه العقلية الاسلامية عند الناس ، المقتضيات البيداغوجية التي تتبع توجيه الصغار ، وتكوين عقليتهم على الاسس التي ينشدها المجتمع ، مستمدا اياها من واقعه ، وضروراته الحياتية ؛ اما غير هذا فهو محدث دائما هذه الحالة من الانفصام الموجود بين المثالية الدينية كما يعتنقها الفرد المسلم بعواطفه وبعض ميوله ، وبين السلوك اليومي الذي ياخذ به نفس هذا الفرد ، مستوحيا اياه من واقعه المعاش ، ومن جملة القضايا التي يواجه بها هذا الواقع المعاش . ولا يلتمس حلولا لها الا على ضوء مصالح عارضة قد لا تكون متفقة مع المبدا السليم . وقد يكون الحافز اليها مجرد صفات تتحكم فيها الغرائز غير المراقبة اكثر مما يتحكم فيها شيء آخر .

* * *

واذا كان علينا ان ناخذ « احتياطات بيداغوجية » فى تربية العوام من ناحية دينية ، فان علينا — بنفس القدر — ان نتخذ احتياطات كذلك فى زرع بذور الفكرة الدينية عند افراد الجيل الناشيء . واقصد بذلك ، هؤلاء الذين بلغوا درجة من النضج والرشد ، خولها لهم تجاوزهم سن المراهقة ، والقدر من التعلم الابتدائي والثانوي الذي حصلوا عليه ؛ ان مثل هؤلاء — وان يكونوا قد تجاوزوا دور المراهقة الفسيولوجية — فانهم ، بولوجهم سن الشباب ، ووقوعهم فى عنفوانه ، يكونون عادة فى حالة طور مراهقة عقلية ، شديدة التاثير على نفوسهم وافكارهم ونظرتهم الى كل شيء ، وبالاخص نظرتهم الى القيم المعنوية ، التي تتيه فيها اذهانهم كل التيه ، دون ان يستمروا على شيء ثابت نسبيا الا بعد ان يصلوا الى درجة النضج العميق الشامل . ومن الملاحظ ان التربية التقليدية ، كانت تنزع بطبيعتها الى اقامة سدود المعاكسة ضد هؤلاء، باعتبارهم متنطعين ، او منحرفين او ما هو فى معنى هذه الاوصاف ؛ وكان النظر الى الشبيبة هكذا ، نظرا سطحيا — ولا شك — يكتفي باستبانة الامور وعواملها، من ملاحظة الظواهر الخارجية ؛ ومن بين اهم التحولات فى النظرة الى الانسان ، والتحول الذي يفرض الآن ضرورة التغلغل الى اعماق السلوك الانساني . بما فيه طبعا سلوك الناشئة ، وما يتسم به سلوكها هذا من عقلية متقلبة ، يجب ان تفهم حق الفهم ، حتى يستطاع ادراك التيارات النفسية والمؤثرات البيئية ، المحيطة بها . ومن ثم يمكن ان يحاط بهذه التيارات والمؤثرات ، على نحو يمكن من الاخذ بزمام الشباب وتطعيم عقليته بما يعينها على ادراك موقف صحيح ومعقول من الحياة ؛ ومن هذه الوجهة من النظر . يمكننا ان نتناول موضوع العلاقة بين الشبيبة والقيم المعنوية الثابتة التي يجب ان تاخذ بها اساسا ؛ ومن اهمها وفي طليعتها القيم الدينية . ففي هذا الميدان ، كما فى غيره من ميادين التكوين الفكري الاساسي للانسان . انسان الجيل الناشيء ، يتحتم دائما ان نجتنب الحملات الصاخبة على الانحراف الذي قد نلاحظه ، متلافين مجرد الاعتماد على النقد السلبي الذي قد لا يفيد فى مثل هذه الامور، الا بشيء ضئيل جدا ، وربما لا يفيد اطلاقا ؛ وقد يكون اجدى من ذلك — على العكس — الاسلوب المعتمد على دراسة هادئة وموضوعية لـ « المشاكل الاعتقادية والروحية » عند النشء وتصور صيغ المعالجة على ضوء مثل هذه الدراسات الهادئة الموضوعية ، التي لا تغفل من الحساب ، والمعضلات الناشئة عن مفارقات العصر ، وتصادم القيم عند انسان هذا العصر ، وبذلك يمكن التوصل فى شأن الناشئة الى حلول جدية تقيها بقدر ما ، مزالق هذه المفارقات ، والتصادم الذي تفرضه بين القيم ؛ ولا نحتاج الى التاكيد على ان صاحب الدعوة ، المناط به مثل هذا العبء ، يجب ان يكون فى مستوى الاضطلاع به من الالمام بالدراسات السيكولوجية والاجتماعية وما يتصل بها ، ومن احاطة له — ولو نسبية — بقضايا العصر ومشاكله الى جانب الثقافة الدينية الاساسية .

سلا : المهدي البرجالي

تضمن تطورهم العقلي والاجتماعي على اساسه . ذلك ان سطحية العقلية الدينية عند العوام ، تفقد الدين في عالمهم الذهني بعضا من ديناميته وحيويته وتبقيه بالنسبة اليهم محصورا في دائرة غير فعالة الا بقدر محدود جدا .

فاذا ما استعملت الوسائل المالوفة في ايقاظ الوعي الديني عند مثل هؤلاء ، لم تستطع تلك الوسائل ان تتغلغل فيهم التغلغل الكافي ، لما اشرنا اليه آنفا ؛ وهكذا تبقى المواضيع الدينية التي تقترح على العوام تدور في جو عقليتهم دون ان تنفذ اليها النفوذ الفعال الذي يستهدف من وراء اقتراح هذه المواضيع .

* * *

لا ابتغي من التعرض لهذه المشاكل التوجيهية في حياة المسلمين الحاضرة ، اقتراح كذا او كذا من السبل الاكثر صلاحية والتي يجب احتذاؤها في هذا المجال ؛ فالواقع ان القضية هي على اعلى مستوى من التشعب ، نظرا لكونها تمس عموم الحياة الفكرية في مجتمعات مترامية الاطراف ضمن العالم الاسلامي الفسيح . مضافا الى هذا ان هذه الظاهرة الفكرية الدينية ، تتداخل عواملها مع مركب من العوامل النفسية والاجتماعية المختلفة . الامر الذي يلزم عنه استبعاد فكرة المعالجة — بالمفهوم البسيط للكلمة — الذي يعني وجود داء والبحث له عن دواء ؛ ان الاحوال الفكرية الدينية عند عامة المسلمين في عصرنا قد نشأت ونمت بذورها ببطء تحت تاثير القرون الطويلة التي مرت على العالم الاسلامي خصوصا في قرون الانحطاط، وما لابسها من تراجع في المد الفكري الاسلامي بما فيه الفكر الديني كذلك ، وهذا امر يجب اقامة الاعتبار له عند محاولة تقويم الفكر الديني عند المسلمين ، والنظر الى الموضوع هكذا بما يجب فيه من موضوعية وواقعية ! ولا يفهم هذا ان قرونا مقبلة (اذا شاء الله) هي التي تستطيع ان تنهي حالة الجمود الفكري الديني عند سواد الناس في دنيا الاسلام ، ان المقصود فقط ، ان ينظر الى الامر على حقيقته ، كما هي ، وان يعتبر تغييره داخلا في عموم التغيير الفكري الذي يجب ان يمس الانسان العادي في شتى المجتمعات الاسلامية ؛ اما كيف يمكن حدوث هذا التغيير الفكري العام ، فمرد ذلك مجموع حركة التطور الثقافي والاجتماعي القائمة الآن في شتى اطراف المحيط الاسلامي بالعالم ؛ وحركة التطور هاته التي نشير اليها هي ذات نطاق شامل ، وتتحكم فيها الاغراض الدنيوية الصرفة بقدر كبير ، غير ان الفكر الديني يجب ان يكون له دوره الاساسي في هذا المعنى بصفته عاملا مؤثرا في تيار التطور الجاري تياره في المجتمعات الاسلامية ؛ ومتأثرا ايضا بهذا التطور في حدود الملاءمة بين المصالح الدينية والدنيوية للمسلمين .

ان مراعاة مختلف هذه المقتضيات ، تضع على المعنيين بالاقناع الديني في عالم اليوم — جملة من الاعباء الدقيقة ، قد تكون في مستوى اعباء الباحثين عن مكونات الذرة او سر المادة ؛ ان الاقناع الديني مهمة معقدة ، تتطلب استيعابا كبيرا وشاملا لنفسية العوام الذين يراد لهم تشبع عميق بروح الدين واهدافه ، رغم ما يتسمون به من سطحية تفكير ، وجمود في التصور والادراك ؛ (والاقناع هنا لا يقصد منه اقامة الحجة والاتيان بالدلائل ، وانما يراد به فقط مساعدة العقلية العامية الضيقة على التشبع بقدر كاف بمقتضيات الروح الدينية الفعالة الواعية المتفتحة) .

فالمعنى بالاقناع الديني بالنسبة للعوام ؛ هو كالمعلم الابتدائي في فصل تحضيري يحاول ان يجعل عقولا قاصرة جدا تدرك التجريدات الرياضية ادراك الذي يلمس الاشياء باليد ، ويتحسسها بالذوق او بالشم . ان هذا المعلم لا يعدو ان يكون معلم هجاء ابجدي وارقام تتعلق بالوحدات والعشرات ، ولكن مهمته — مع ذلك — قد تكون — من بعض الوجوه — أشد تعقيدا من مهمة هؤلاء الذين يدرسون فروعا عالية من المعرفة . فالعبره هنا بالمتعلم الذي يراد صياغة فكره من البداية ، والمتعلم هنا صعب المراس ، سواء بالنسبة لتلميذ التحضيري او للرجل العامي الذي يراد له ان يتكيف تكيفا مرنا ومتفتحا في مضمار الدين وما يتعلق به .

ولنبق في نطاق الفصل التحضيري فنرى ان المتصدر لاقناع العامة دينيا ، قد يكون من الانسب له ، ان يراعي فيمبادراته الاقناعية نفس الاسس السيكولوجية والتعليمية التي تراعى في مثل هذا الفصل . فليكن لذلك اقل تجريدا ، واكثر التصاقا باهتمامات الناس ، وقضاياهم الروحية والمادية الملحة . والاسلام من مميزاته الكبرى التي ينفرد بها عن اي دين آخر ، انه — كما يقال عنه دائما — دين ودنيا . فالمادة الدينية المستمدة من الاسلام يمكن ان تنطبق من حيث المبدأ ، على مختلف اهتمامات سواد الناس ، وما يشغل اذهانهم ، واي أسلوب من هذا القبيل ، لابد ان يساعد تصوره على تقريب المفهوم الديني من العامة . والاهم من ذلك ، جعله اداة فعالة

الفلسفات العقلية التي تعتمد على المنطق والتاريخ والاجتماع والاوضاع القانونية التي يمكن بواسطتها للانسان ان يسعى فى الخير له ولغيره ، ولكننا رغم ذلك لا نستطيع ان نفصلها عن النقطة الاولى فى روحها وفي اهدافها .

ففي النقطة الثانية يجب على الانسان أن يستحضر القانون الديني الذي يوجب عليه ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه . ومن هنا نجد أن النقطة الاولى لم يكن من ورائها نفع للذي دفعنا الى الايمان بها ، وانما النفع فيها راجع للبشر انفسهم ، وعجيب لمن يجد النفع فى طريق ثم ينحرف عنها الى طريق أخرى قد تجر عليه الويل والتبور .

واساس الارتباط بين النقطة الاولى والثانية ، انما يظهر فى العمل والجزاء .

فالله تبارك وتعالى ارسل رسله ثم اقتضت حكمته العميقة أن ينسخ بعض الاديان ويعوضها بأديان اخرى الى أن أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم مصدقا لمن جاء من قبله ، ثم قدم اليه تشريعات عامة تهتم بالعقيدة من جهة وبالانظمة الاجتماعية والمعاملات العامة من جهة أخرى ، وطلب من الناس أن يؤمنوا بها وان يتبعوها ورأى أن خلاص البشرية لا يكون الا على يدها .

وجعل الله تبارك وتعالى تطبيق هذه الشرائع مرتبطا بالنية والقصد ، فاذا كان القصد حسنا ولم تكن النتائج منسجمة معه لم يكن الانسان مسؤولا عما حدث ، وفي هذا رفع للانسان واعزاز لكرامته لانه لا يعاقب على ما اظهر ، وانما يعاقب على ما أبطن . وبذلك يرتفع الامر من العقاب الى الثواب ايضا فلا يكون الثواب على ما ظهر وانما يكون على ضمير الانسان ونيته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امريء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هجر اليه » .

وبهذا القانون الديني لايمكن للانسان ان يطغى او يتجبر ولا يمكنه ان يماري وينافق ويخاتل لانه يعلم ان فى الوجود الاها لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه شيء فى الارض ولا فى السماء .

وقد نجد بعض الناس لا يأبهون بهذا القانون لانهم كلما ذكروه عقبوا عليه بأنه مناف لاسس الخلقية المثالية التي تفرض على البشر ان يفعلوا الخير لذاته من غير انتظار الجزاء .

وانا ارى ان امر الله تبارك وتعالى للعباد بفعل الخير ونهيه عن ارتكاب الآثام لا يستفيد منه الا البشر ولا يجني ثمراته الا المجتمعات .

والفرد حين يعمل الخير او يجتنب الشر يمثل جانبين : الجانب الاجتماعي ، والجانب الذاتي الانتفاعي

فأما الجانب الاجتماعي فهو ما نرمي اليه من مساندة العمل الخيري ومن المطالبة به . واما الجانب الذاتي فهو امر يتعلق بحيثية ذلك الفرد الذي يعمل الخير أو يبتعد عن الشر ، فانه ان عمل الخير رجاء فى الجنة أو عمل الخير خوفا من النار او عمل الخير من اجل الخير فان الغاية الاجتماعية لا تتغير لان المجتمع استفاد على كل حال من عمل الفرد .

فالاعتبارات الدافعة الى فعل الخير بالنسبة الى الجزاء اعتبارات ذاتية محضة قد تكون صالحة لتقدير درجات الفرد عند الله فقط ، ولكن الغاية لا تتغير لان الخير مرغوب فيه لذاته ووسائل الترغيب والترهيب تختلف باختلاف النفوس ، فاذا ارتفع الباعث فى نفس المؤمن حتى بلغ الى درجة سامية تجعل الطاعة لاجل الطاعة ، والخير لاجل الخير ، كان عند الله من المقربين .

وقد روي عن علي بن ابي طالب انه قال : « ان لله رجالا يعبدونه عبادة العبيد — أي خوفا من عقابه — ورجالا يعبدونه عبادة التجار — اي أملا فى جنته — ورجالا يعبدونه عبادة الاحرار — اي متحررين من قيود الثواب والعقاب وانما يعبدونه حبا فيه .

وقد فسر بعض المفسرين قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون » بأن المراد بحقيقة التقوى تنزيه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة (1) .

وقد تنبه بعض المتصوفة لذلك حين حاولوا أن يجعلوا الطاعة لله طاعة ناتجة عن الحب لا عن الرجاء والخوف ، وذاع فى هذا الشأن قول رابعة العدوية في ابياتها الشهيرة :

---

1) سورة آل عمران الآية 102 ، وهذا التأويل وجه من وجوه التفسير ذكره ابو السعود فى الجزء الاول من تفسيره صفحة 257

مفهوم التربية الإسلامية

للأستاذ محمد عبد العزيز الدباغ

مدلول التربية فى حد ذاتـــه مدلول يقتضـــي الدراسة العميقة المتواصلة التي لا تعرف الكلـــل ولا الملل لانه مدلول مرتبط بوجود الانسان منذ نشاته على البسيطة ولا ينتهي الا بانتهاء الحياة ؛ وقد دفع كثيرا من الفلاسفة الى البحث عن حقيقته والى البحث عـــن مرجعه وهل يتصل بالعقل أو بالفطرة ، وبلفظ آخـــر هل يتصل بالوراثـــة أو بالبيئـــة .

ونحن وان كنا لا ننكر أثر الوراثـــة فى تهـــذيب النفس وفي التأثر ببعض الغرائز ، فاننا لا نستطيـــع بأي حال من الاحوال ان ننكر فضل التربية التي بهـــا نستطيـــع ان تقـــوم النفـــس من أخطائها وأن نمهد لهـــا الطريق الرشيـــــد .

وحيث ان العقل احيانا قد يكون عاجزا وحده عن معرفة الخطة الرشيدة ، فقد يسر الله لعباده طريـــق الوحي فأرسل رسله وكتبه لتكـــون هدايـــة للناس وارشادا لهم تبين لهم ما صلح وتنهاهم عـــن المضار وآنذاك اصبح الانسان عالما بطريق الهداية فلم يبق لـــه الا البحث والتفكير والتأمل فيما جعل الله بين يديه ، به يسترشد وعلى نهجه يسير ، فمن لم يفكـــر ولم يتأمل ضل سواء السبيل .

وهنا اصبح الانسان مسؤولا عن التفكير والتامل والبحث عن الطريق التي تمهد له الطاعة وتمهد لـــه السعادة وتيسر له الاطمئنان فى الحياة ، بل أصبح من الضروري أن يبحث عن كنه هاته الحقيقة التي منحت له ليهتدي الى أعماقها ويسترشد بمغزاهـــا الحـــي الثابـــت .

الانسان اذن مسؤول امام نفسه وأمام الاجيال المقبلة التي تنتظر ما يقوم به الفرد والجماعات فى هـــذا العصر حتى لايجد السبيل مظلما والطريق مقفلا .

ومن المعلوم اننا نحن الذين نكون الاجيال المقبلـــة فاذا عشنا فى اضطراب وقلق وشك وارتياب ، فقـــد نجعل هؤلاء الذين سنمنحهم ثقافتنا وتربيتنا فى اضطراب وقلق أيضا ، ونكون نحن مسؤولين عن شقائنا وتمهيد الشقاء لهم .

لهـــذا أرى من الضروري ان نبحث عـــن أسس فلسفية نبني عليها اتجاهنا . وهذه الاسس لا تكـــون مبنية على اوهام ، انما يجب أن تكون مبنية على أسس الفطرة الانسانية التي جبل الانسان عليها والتي يركن اليها كلما شعـــر بعجز ، الا وهـــي فطرة الايمان بقـــوة أسمـــى وملكـــوت أعلـــى .

وان هذه الفطرة هي التي تجعل الانسان خانعـــا لهذه القوة العليا ، ولكنها فى الوقت نفسه تترك لـــه حق التفكير فى تحقيق رغبات غرائزه وفق ما يتفـــق مع مصلحة الانسان كنوع وكمجموعة افراد تتكون منهم المجتمعـــات .

فكيان الانسان يرتكز على نقطتين :

النقطة الاولى : نقطة الضعف امام القوة الهائلة التي يشعر بها كلما حزبه امر أو مسه سوء أو اضطربت احواله او لم يستطع ان يأتي بتعليل ارضي يحيط به ، انها قوة الله فى النفس .

اما النقطة الثانية فهي نقطة بشرية تربط بينـــه وبين البشر جميعا ، وهذه يمكن ان تدخل فى اطـــار

تربط بين المسلم واخيه كيفما كان جنسه واينما كان موطنه . ان الفكرة الموحدة دين سماوي لم يوجه للعرب وحدهم وانما وجه للانسان على اختلاف اجناسه وطبقاته .

ولما اطمأن المسلمون الى دين الله ، وشاعت اللغة العربية فى الاصقاع الاسلامية ، وارتبطت علوم المسلمين بعلوم غيرهم ، وسهر خلفاء الاسلام على حماية العلم ، تكونت آنذاك حضارة عربية اسلامية لا تمثل جنسا ولكنها فى الحقيقة تمثل فكرة وتمثل لغة وتمثل دينا .

فالحضارة العربية الاسلامية هي وليدة هذه الثقافة التي ارتبطت بغيرها من الثقافات ، ولم تكن ابدا وليدة جنس بعينه ، وبهذه الظاهرة فى التربية الاسلامية نستطيع ان نخنق الاضطرابات التعصبية التي تفرق بين الاخ واخيه وبين المتساكنين فى أرض واحدة او فى جوار واحد .

ويجب ان نعلم أن الحضارة العربية الاسلامية تتصل بالفكرة ، وان مساندة العرب لغيرهم من المسلمين أو مساندة المسلمين من غير العرب للجنس العربي - لم يكن الفضل فيها راجعا الا للتسامح الديني الذي محا العصبيات وكون وحدة جديدة كانت هي العنصر الاول فى مفهوم التربية الاسلامية والحضاره العربية .

ولم يكن مفهوم التربية الاسلامية مرتبطا بالمظاهر التعبدية الظاهرة فقط ، وانما هو فى الحقيقة مرتبط ايضا بالجانب التعبدي العام الذي يقيد الفرد فى جميع اعماله بطاعة الله وباستحضار جلاله وتصور ثوابه وعقابه .

الاخلاص فى العمل عبادة .
عدم اذاية الناس عبادة .
القيام بالواجب عبادة .
تربية النشء تربية صالحة عبادة .

كل عمل يقوم به الفرد أو تقوم به الجماعة وليس فيه ضرر فهو عبادة .

اليس هذا المفهوم للتربية الاسلامية يعد اسمى ما تطمح اليه البشرية فى هذا العصر المليء بكثير من الاضطرابات .

والانسان يحس بهذا المفهوم العظيم للتربية الاسلامية كلما اطلع على الاصول العامة التي ينبني عليها الاسلام . ونظرة تأملية فى كتاب الله وفي احاديث الرسول تشعرنا بهذه الظاهرة الجليلة التي تعد انقاذا للبشرية من الضلال والدمار .

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ايضا : « وقد تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا بعده ، كتاب الله وسنة رسوله . الا هل بلغت اللهم فاشهد . »

لقد بلغ الرسول اذن الى البشر ما يجب عليهم ان يطلعوا عليه وأن يعملوا به ، فالمسؤولية الآن مقتصرة عليهم ، يجب أن يعوها وان يتحملوها بكل نزاهة واخلاص وعزم وهمة .

فلننظر مثلا الى آيات الاحكام فى القرآن ، نجد فرقا واضحا بينها وبين القوانين الوضعية .

فالقوانين الوضعية تنص على القانون دون أن تعلله او توجهه ، وما على الفرد الا الطاعة والا كان عرضة للعقاب . اما الاحكام القرآنية فغالبا ما تأتي ومع تعليل الهي أو تو جيه يحبب الانسان فى الخير او يخوفه من الله أو يرغبه فى رحمته ، وبذلك يكون العنصر الايماني فى التطبيق اقوى من العنصر الفرضي الالزامي . ولتوضيح ذلك نذكر ما يأتي :

لقد جعل الله امر الطلاق بيد الرجل ، وللرجل فى الطلاق الرجعي ان يراجع زوجته دون اذنها ودون ولي او صداق جديد ، اذ يكفيه أن يشهد على نفسه الارجاع فيتم ذلك شرعا .

هذا الحق واضح الدلالة ويمكن لكل رجل أن يستفيد منه دون ان يجد عارضا ارضيا ، ولكن الله تبارك وتعالى حين جعل هذا الحكم بيد الرجل خشي ان يستغل فى حيف أو ظلم ولا يمكن لمن يتعهد تطبيق الشريعة فى الارض أن يعلم نية الرجل حين ارجاعه لزوجته وهل يقصد بها اضرارا كاطالة عدتها مثلا أو انما يريد الاصلاح .

ولما كان هذا الامر متعذرا لم يجعل الله تنفيذه خاليا من التوجيه الديني ومن التوجيه التربوي ، بل ذكر الله المسلم بدينه وبأن الله يعلم السر وما يخفى، فاذا كان الرجل يرجو من وراء تطبيق هذا الحكم

كلهم يعبدون من خوف نار
ويرون النجاة حظا جزيلا
او بأن يسكنوا الجنان فيضحوا
فى رياض ويشربوا السلسبيلا
ليس لي فى الجنان والنار رأي
انا لا ابتغي بحبي بديلا

لا شك ان هذا التفاوت انما هو راجع الى درجات العبادة لا الى الاثر الذي تخلفه فى المجتمعات لان الاثر فى الحقيقة واحد ، فاني اذا انفت من ان اكون لصا مثلا خوفا من الفضيحة او حبا فى السلامه او لانني قدرت ما فى هذا العمل الدنيء من الاضرار الاجتماعية فان النتيجة بالنسبة الى المجتمع لا تتغير لان الابتعاد عن السرقة قد حصل بالفعل .

قد يكون الخير من اجل الخير ضروريا بالنسبة الى الذي يخاف من العقوبات الارضية . بحيث كلما وجد الفرصة سانحة له ارتكب الاثم لانه يأمن من العقاب . اما اذا كانت هذه الرقابة التي يجعلها الانسان على نفسه رقابة دائمة ، فليس لديه اي فرصة للانفلات من قبضتها لانه يومن بها ويجعلها داخلة فى عقيدته وفلسفته . ولذلك كان الايمان بالله ، وكان الايمان بالغيب . وكان الايمان بالجنة والنار ، خلاصا للعباد من الجرائم ومن الظلم والتسلط والفساد .

لهذا نعزو ما نراه من تعفن فى تربية بعض الافراد فى مجتمعنا الى انحلال هذه العاطفة الدينية من انفسهم ومن اعمالهم .

ولا يكفي فى اذكاء هذه العاطفة ان ندعو اليها ، وانما يجب ان يكون هناك منهاج تربوي هادف يتولى تربية الفرد منذ طفولته الى ان يتحمل مسؤوليته في الحياة .

وهذا المنهاج لا تنفرد به المدرسة ، بل يعم جميع طبقات المجتمع ، ويتولى البيت قسطا منه كبيرا ، لان البيت يمثل الحلقة الاولى فى تربية الطفل وتوجيهه .

وهناك وسائل عملية كثيرة نستطيع بها ان نرفع من المستوى الخلقي للاسر ، فنستغل مثلا الاجهزة الفنية العامة التي اصبحت تلعب دورا كبيرا فى هذا العصر ، ونجعلها مدارس عملية توجه وترشد وتربي وتقوم مقام المصلحين خصوصا بعد ان اصبحت كثير من الاسر تملك اجهزة التلفزيون والاذاعة ويتيسر لها التوجه الى قاعات السينما ومشاهدة كثير من الافلام وقراءة عدد من الصحف ، فاذا استطعنا ان نجعل هذه الوسائل خاضعة لمنهاج تربوي موحد يرفع من مستوى الاسرة ، وحققنا لهذا المنهاج وجودا فى المناهج الدراسية ، امكننا ان نكون جيلا صالحا يتحمل المسؤولية باعتزاز ويطبق عمليا ما التزم به دينيا وخلقيا واجتماعيا ، لان التطبيق هو اساس التربية، ولهذا كان الاسلام يحرص كل الحرص على ان يكون المسلم متصفا بأحسن الصفات . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

هذه الوصايا النبوية تعد من اسس التربية الاسلامية التي تطلب من الانسان ان يكون نزيها بعيدا عن النفاق والرياء ، بعيدا عن كل الشرور فى السر والعلانية ، فيحسن النية للحق والعلانية للخلق .

ومن المعلوم ان التقوى اجهاد للنفس على الالتزام بالطاعة والابتعاد عن المعصية ، وحرص على الايمان بالفضيلة والتحلي بها ، وهي حفظ للنفس من الانسياق مع أهوائها وتدريب لها على الصالحات .

ولا تتجلى التقوى الا مع تربية الارادة الانسانية وتقوية عزيمة الفرد حتى لا يظل لعبة فى يد هواه .

وهذا ما يفهم من قول البوصيري رحمه الله :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على
حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

ولما كان للتقوى هذا الفضل كانت هي شعار التفاضل البشري عند الله . قال تعالى : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير . » (1) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : « كلكم لآدم وآدم من تراب اكرمكم عند الله اتقاكم وليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى » .

ما اعظم هذا المفهوم فى التربية التي جاء بها الاسلام ، فمن بعد التفاضل بالقبائل العربية رغم تقاربها العرقي اصبحنا نرى العربي الذي كان يضيق قلبه على ان يحمل شعورا موحدا مع جنسه يتسع لهذا التسامح المطلق الذي لا يعترف بحدود التعصب الجنسي وانما يجعل اللقاء بين البشر فكرة قيمة

---

1) سورة الحجرات 13 .

عبقرية الاسلام في المغرب

للأستاذ : الحسن السائح

(5)

لقد نسج تاريخ المغرب الحديث من لحمة العروبة والاسلام . ولا تكاد تلوح فى الافق الدولي احداث الا ويظهر المغرب مدى استجابته لفكرة العروبة والاسلام . وليس معنى هذا ان المغرب لايعرف التيارات الغربية او لا يتأثر بها مطلقا . ولكنه كشعب اصيل لا يقتبس منها الا ما يوافق أسس ثقافيه اسلامية ويخضعها لمقاييس دقيقة من النقد دون ان يسير وراء الشعارات المزيفة . والمغربي قدرة خارقة على النقد الفطري الذي يميز به ما يساير اصالته او يبعده عنها .

وقد رحل المغربي منذ قرون الى أرض الرجل الغربي . وكتب الرحالون مآت التاليف عن ارتساماتهم وآرائهم في الحضارة الغربية ، وكادوا ان يتفقوا على مادية الغرب ومطامعه . ويحسدونه فى نفس الوقت على نشاطه وتنظيمه . . . وحملوا منذ قرون تقارير الى بلادهم عن حضارة الغرب ومزايا تمدنه وادركوا منذ قرون ان قوة الرجل الغربي فى تنظيمه وتقنيته ؛ وضعفه وتكالبه المادي ومطامعه غير المشروعة وانحرافات الكنيسة .

ولذلك بادروا بدعوة المغرب الى ان يعبيء قواه لمقاومة المتطلعين الى ارضه وخيراته ، ووقفت الدبلوماسية المغربية تراوغ الرجل الغربي وتلقي فى الماء الكدر فتاتا ليتصارع الطامعون ، واعترف الغرب بدهاء الدبلوماسية المغربية فلم يجدوا غير القوة بديلا ، وهذا ما كان ينقص المغرب او ما لم يستطع ان يعاجل بتنظيمه .

وتحرك تاريخ المغرب الحديث بفعالية الاسلام ونشاط وعيه فى النفوس وكانت الحركات الوطنية تعتمد على البعث الاسلامي باعتباره طريق الخلاص وموقد جذوة الشخصية المغربية الاصيلة ، لان المغربي لا يعمل الا فى اطار اسلامي سليم .

ولا يجحد نطور المفهوم الاسلامي فى الاحزاب الوطنية التي اقتبست عن الحركة السلفية اساليبها الوعظية ومناهجها الدراسية وكانت هذه الحركة القوية تعبر عن النشاط الاسلامي الخلاق وتشحن النفوس بعزة الشخصية الاسلامية وتتحدى الاستعمار الفكري، كما كان زعماء الفكر الاسلامي يلوحون بذلك اليوم الذي يتاح للمغرب ان يقود نفسه ليرجع الى اسس حضارته غير منحرف عنها الى حضارة الغرب ، وكان الاستقلال فرصة لهذه التجربة الجديدة . واذا كان المغرب متمسكا باسلامه فان حاجته اكيدة الى اعطاء مفهوم للاسلام السلفي حتى نتغلب عن المتناقضات الفكرية بين الواقع والامل وحتى لايبتعد بعضنا عن الواقع لينتظر اليوم الذي لا نعمل له اليوم ولا ينسلخ آخرون عن الامل ليسلموا بالواقع دون ان يكافحوا ليوم انتصار الاسلام .

ان تيار الفكر الماركسي يغزو العالم الاسلامي لتحويل بناء الغد عن الاسس الروحية الاسلامية الى الاسس الماركسية ويعوض على العالم الاسلامي اوضاع التاريخ الغربي الذي تولد عن صراع الطبقات بل يذهب بعيدا حين يقارن بين الاسلام والكنيسة التي ساندت

الاضرار بالمراة ، فليعلم بأن الله سينتقم منه يوم الجزاء . قال تعالى : « واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فأمسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزؤا واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم . » (1)

فنحن نلاحظ ان أساس التربية الاسلامية مرتبط اقوى الارتباط بعلم الله الشامل العام .

ان الله بكل شيء عليم اساس تربوي يدفع الانسان الى تطبيق روح التشريع والى عدم الاكتفاء بالظواهر اللفظية التي يمكن ان يكون مدلولها بالنسبة الى الرائين والملاحظين واضحا موافقا ولكنه بالنسبة الى التنفيذ الشخصي يكون الفرد فيها آثما لان القصد سيء وفيه تبديل لكلمات الله وتزييف للحق الذي بني الدين على اساسه .

ان هذا العلم الشامل الذي يجعله الله رقابة دقيقة على افعال العباد ، يجعل المؤمن يتوخى الحق في اعماله والعدل في تصرفاته ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما انا بشر وانه يأتيني الخصم فلعل بعضكم يكون ابلغ من بعض فأحسب انه صدق فأقضي له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليأخذها او ليتركها . » (2)

وهذا الامر الاخير تهديد للمدعي الجائر لئلا ينساق مع شهوة التغلب دون أن يتدبر روح العدل في المعاملات البشرية ، فهو قد يستطيع ان يخدع الحكام والقضاة ، ولكنه لا يستطيع أن يخدع الحاكم الاكبر والعادل الجبار ، فهو له دائما بالمرصاد .

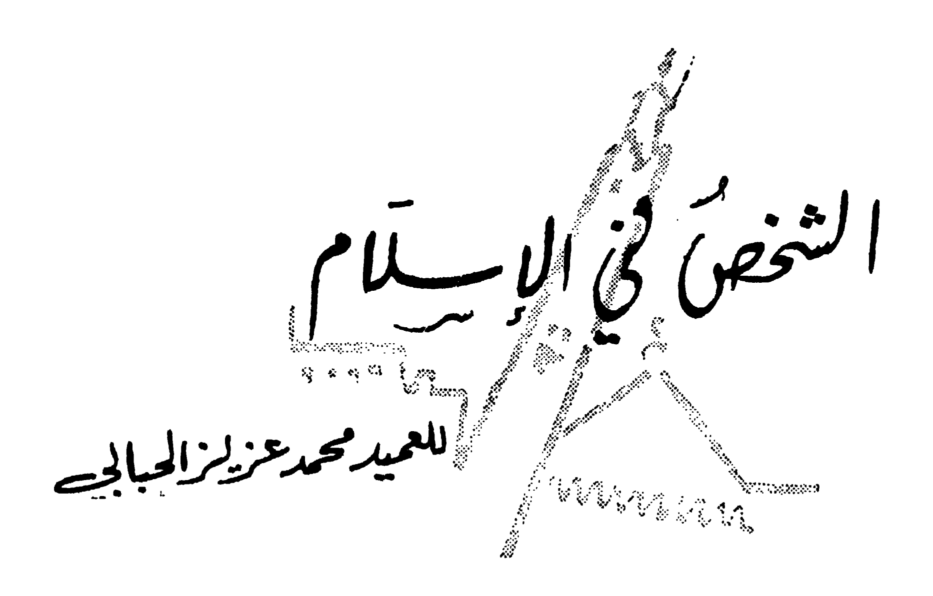
هكذا نتيقن مرة اخرى بأن التربية الاسلامية ترتكز على تشريع يفيد البشر جميعا ، وترتكز في تطبيقه على مقدار العلاقة بين الفرد والله ، فمن جعل الله متجليا في نفسه كل حين كان اقرب الناس الى الخير وابعدهم عن الشر .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

1) سورة البقرة 231 .

2) هداية الباري لترتيب أحاديث البخاري ج 1 صفحة 223 ، ذكره البخاري في كتاب المظالم وروته ام سلمة.



«3»

فى العدد السابق من دعـوة الحـق ،أبدينا تساؤلات وتحفظات يوردها البعض ليعارض وجود « شخصانية اسلاميــة » ،فحللنا مفهوم « التعالي » ومفهوم «الوحي» واليوم نقدم تحليلا للالحاد لنرى هل الايمان يعارض ، حقا ، الحرية البشرية .

فكـــرة الالحـــــاد

مشكـــــل : الالحــــاد .

يؤمن المسلم بوجود الله . وتلك تجربة ذاتيــة . فمن حيث انها شخصية . لا شيء يثبت لنا أن تجربـة المنكر لوجود الله غير حقيقية . أليست هي ، كذلك ، تجربة شخصية يحياها الملحد ، ذاتيا وبصدق ؟ اذا كان الله موجودا ، فهو موجود بالنسبة للجميع . فكيــف جاز حصول انكاره ؟ لقد اكد القرآن أن الله قد شاء أن يكون خافيا عن البعض ، وجليا بوضــوح للاخريــن : « هو الاول ، والاخر ، والظاهر ، والباطن » (57 : 3) .

فالله هو « الاول » ، اي منبـع كل الموجـودات (والملحد احدها) . وعن مشيئته تعالى تصدر كذلــك الاراء والتجارب (كالشك فى وجـود الله) ، والله هــو « الظاهر » ، اي بآثاره الدالة على وجوده (وهل الكفر الا مظهر لعمليات تفكير شخص يفكر ؟) . فالملحد ليس بمسؤول عن الحـاده ، لان الله « باطن » ، لا تحيط به الحواس ، ولا تصل الى ادراك حقيقته العقول ، لانهـا حقيقة متعالية . والقرآن يقر بأن امكانية الشك والانكار ضرورية لامتحان الانسان . والسماح له بالحياة والتعبير عن حريته الكلية . وليس رفض «المطلق» الا تأكيدا لحرية المرء ، تلك الحرية التي يرتضيها الاسلام : « وقل : الحق من ربك ، فمن شاء فليؤمن ! ومن شاء فليكفر !» (18:9)

وهل من حرية اذا لم يكن بمستطاع المرء أن يرفض كل فكرة قطعية تعسفية يسلم بها لانها مسايرة للعادات السائدة ؟ فالقرآن يوبخ كل امعة : « ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها : انا وجدنا آباءنا على امة ، وانا على آثارهم مقتدون » (43 : 23) . ويضيف القرآن ، ساخرا من التقليد والمقلدين : « قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا . » (5 : 104) « ... بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلـون ! » (26 : 74) . فالاسـلام ، اذ يمقت التقليد ، يمقت « الايمان » الذي يسربله العماء الفكري . ان وظيفة الوحي أن يبلور تجاربنا ، ويذكـي الحدسيات والذوقيـات ، ويعقلـن ما هو من طبيعـة البرهنة العقلية : « ليهلك من هلك عن بينة ، ويحي من

الطبقية وحاربت التقدم العلمي باعتبـاره دينا يؤخـر الشعـــوب .

كما تتقارب الكنيسة من اليهودية ذلك التقـارب الذي يبريء اليهود من دم المسيح لمواجهة كل قـــوة جديدة روحية او مادية ، كل هذه الاحداث تؤثر على الثقافة الاسلامية فى المغرب بوسائلها الدعائية .

والواقع ان المكاسب الاسلامية تفرضها مرونـة الاسلام وقوته على تخطي الجزئيات الى وعي الحقيقـة ذاتهـــا .

فالتطور الفكري فى الكنيسة يلتقي دائما مـــع الاهداف الاسلامية مما يدل على قوة الاسلام وصلاحيته وفهمه العميق لمشاكل الانسان وشمولية ربطه فى قـوة بين مختلف مظاهر الحياة ومركزتهـا فى اساس كونـي عـام . وهذا سر قوته رغم ركود العالم الاسلامـــي وتقاعس المفكرين عن اداء رسالتهم التوجيهية .

والمغرب كقطر مسلـم يتصدى لاداء رسالتـــه الاسلامية فى تحليل الاسلام وشرحه او فى تبليغـــه لدعوته فى انحاء القارة الافريقية والاسيوية والاوربية بتجاربه الحديثة التي لم يستد عودها بعد .

ولم يكن المغرب بعيدا عن موقفـه مـن صراع فكرتي العروبة والاسلامية بعد الاستقلال . فالعروبة لم تفهم طيلة تاريخه الا على أساس حركتها الاسلامية، ولم يكن مفهوم العروبة ذا صبغة جنسية او سلالية ، وانما كان مفهومها يمتزج دائما بالاسلام ، فلم يعـرف المغاربة الا العرب الذين حملـوا الى ارضهم الاســلام ولذلك بقي الفكر المغربي لا يستطيع ان يفصل بيـــن العروبة والاسلام ، وهو يدخل عامل اللغة وحده فـي مفهـوم العروبة معتمدا على ما جاء فى تعاليم الاسلام من ان من تكلم العربية فهو عربي ، واذا كانت المصالـح الاقتصادية والتاريخ المشترك والاهداف المشتركـــة كذلك عناصر تدخل فى تدعيم الفكرة فان المغرب ليزداد اتصالا بالعروبة والاسلامية كما فهمها طيلـة تاريخه .

كما ان سكان المغرب ينتمون جميعا الى ارومـة من جزيرة العرب وردت الاولى من اليمن فى التاريـخ العريق وتتكلم اللغـة البربريـة ذات الاصل العربـي القديم ثم وردت الثانية بعد ظهور الاسلام تحمل الدين الجديد ، وعاشا معا فى المغرب يخدمان الفكر والثقافة ويناضلان من اجل وحدة البلاد ، وتبدو وحدتهمـــا اقوى ما تكون كلما تكتـلا لصد المغيـر والمستعمـر ، فالاسلام دينهما والمالكية مذهبهما واللغة العربيـــة وسيلة التعبير عندهما معا .

ويبدو نشاط المغرب فى حركة النشر والدعوات المبدئية فى المجلات والصحف اليومية ، ومن الحـــق ان نذكر ان مجلة دعوة الحق حملت امانة تبليغ الدعوة الاسلامية وتحليل الاسلام وقوة المغرب على اداء رسالته فى جراة وتفهم واقتحام للميدان ، كما ان مجلة البينـة رغم قصر عمرها ادت رسالتها فأحسنت الاداء ، امـا على الصعيد التربوي فالتعليم المغربي بصفة عامـــة وجامعة القرويين بصفة خاصة وما اسفر عنه الاستقلال من تطور عميق فى مناهجها الدراسية لدليل على القوة التي يتزود بها المغربي المسلم ليؤدي رسالته الاسلامية التي هي رسالة انسانية سليمة ، كما لايمكن ان نتجاهل دور التلفزيون والاذاعة واثرهما فى تبسيط المفاهيـم الاسلامية وتلقين الجماعة المسلمة المبادىء الاسلامية القادرة وحدها على توعية عقليتنا المغربية ،والسمـو بوجداننا الصادق لتحقيق عالم الاسلام الذي نصبـو اليـــــه .

وليس من شك ان شخصية جلالة الملك الحسن الثاني لما تتصف به من عمق فكري والتزام ديني واطلاع واسع على فلسفة الاسلام وفلسفة الغرب مما يجعل المغرب يحتل قيادة الفكر الاسلامي المعاصر ، ويجعل علماء الاسلام المغاربة يعملون بثقـة ومسؤولية لاداء الرسالة الاسلامية وتحقيق العالم الاسلامي المنتظر .

الرباط : الحسن السائـح

بلى ! وهو الخلاق العليم » (36 : 79 الى 81) .

فوجود الله يتطابق والمعنى الذي نعطيه لحياتنا عند ما نعرف كيف نكون انفسنا : انه السلام ، والرحمة، والحكمة : « عالم الغيب والشهادة . هو الرحمان الرحيم . هو الله الذي لا اله الا هو ، الملك القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن (. . .) هو الله الخالق ، البارىء ، المصور ، له الاسماء الحسنى ، يسبح له ما في السماوات والارض ، وهو العزيز الحكيم » (49 : 22 الى 24) .

قد تبلغ بعض المرئيات حدا من الضآلة او الصغر حتى لا يقدر البصر على ان يراها. فهل ننكر ، مثلا، وجود الجراثيم لمجرد غيبتها عن الحقل البصري ؟ ان بعض الآلات ، لقوة حركتها تتراءى لنا كأنها جامدة . فمثلا ، يقل ، عند الركاب ، الاحساس بسير الطائرة النفاثة بقدر ما تزداد سرعتها . فسرعة الحركة لا تنفي وجود الحركة ، بل على العكس ، تؤكد تزايدها ، لانها تخرج عن نطاق ادراكنا المباشر . فوجود الجرثوم ، او الحركة ، او السرعة ، موجود بالقوة وبالفعل ، ولكنه منعدم النسبة لمستوى عتبات ادراكاتنا الحسية. ففي محاولة ادراك وجود الله داخل تلك العتبات . تناقض منطقي وتعسف على الحواس لا مبرر له .

* * *

ان ما تؤكده « الشهادة » ليس هو وجود الله ، لانه وجود غير محسوس (وتلك خاصيته الصميمية) : انه وجود لا كالوجودات . فلم يرد المتكلمون اخضاعه لعقل بتمنطق ، ولعلم يغرق في الكيف والكم ؟

فاما ان ينبثق الايمان بوجود الله ، عن الوجدان ، عن القلب ، تلك المضغة ذات المنطق الخاص والمنهج الخاص ، والا تجمد مفهومنا لكينونة الله ، ولم يعد الله الجوهر الاكبر ، جوهر كل الموجودات . فغلطة المتكلمين الكبرى في كونهم لم يعوا هذا الفرق ، فاتت مناقشاتهم غير ذي خصب ، وبدون حرارة .

تكتفي الشهادة بأن تنفي تعدد الالهة ، لتثبت وحدانية وجود الله . فالشهادة (في صيغتها التقريرية، بوصفها « نطقا باللسان » طبقا لقواعد صوتية ولغوية) تخضع لمنطق المحسوسات : تنفي التعدد حتى لا يحصل تناقض في الاستنتاجات ، والوجود الاسمى يتمتع بالكمال ، ولا كمال مع التعدد . اذن : « لا اله الا الله ». ففي الشهادة تكامل بين نفي واثبات ، بين « نعم » ثقيل الوزن ، و « لا » صارمة .

ومن جهة اخرى : ان ما تؤكده « الشهادة » لا ينال كامل الاعتبار الا لان المرء يتمتع بامكانية النفي . فالاعتراف والنكران جانبان لنفس الفعالية التي يتعرف بها الانسان على ذاته وهو يعي الاشياء . وادراك شيء ما يكون ، اما مباشرة ، او بواسطة ، واضحا ، او غامضا، تاما او ناقصا . لكن ، مهما يكن الامر ، ليس باستطاعة المعرفة أن تدعي انها تصل الى استيعاب الشيء المعروف استيعابا شاملا تاما ، اذ كثيرا ما يتبقى مجال ممكن للتأويلات الخاطئة ، وللمعرفة الناقصة : هكذا تتعرض حقيقة كل اثبات الى درجة ما من الشك ان قليلا او كثيرا ، لكنها واقعية ، ولو على صعيد الحقائق العلمية : « انا عرضنا الامانة على السماوات ، والارض ، والجبال، فأبين ان يحملنها، واشفقن منها ، وحملها الانسان . . . » (33 : 72) .

ليعبر الانسان عن الحرية ، ابى الا ان يتحمل « الامانة » : تقبلها بعزم قوي ، فالتزم واصبح مسؤولا ، اصبح مسلما . (1) فلو ان الانسان امتنع عن قبول « الامانة » ، عن طواعية وحرية ، لكان الرفض ، هو ايضا ، نوعا من الاختيار والحرية بالرغم عن كونه ، من الناحية الدينية ، « جحودا » و « كفرا ») .

* * *

من الممكن لمعترض ان يسأل : أليس الالحاد مظهرا للقضاء والقدر ، تلك القوة القاهرة التي لا مفر من ربقتها الغاشمة ، والتي تسد كل منفذ أمام الحرية ؟

نعم ، هناك مفهوم « قضاء وقدر » في الاسلام ، الا انه لا يتعارض مع الحرية الانسانية ، اكثر مما تتعارض هذه مع مختلف القوانين الدستورية التي تسير المنشآت ، ومع المراسيم الجديدة التي تصدر في كل

---

1) من بين معاني لفظة « اسلام » ، الخضوع : الاستسلام لله ، واحترام الوعود مع الله ومع الاخرين، والخضوع للمبادىء الاخلاقية وللقوانين الطبيعية .
يدل الجذر (س . ل . م .) على الخضوع وعلى السلامة (صحة الفكر والجسم) ، وعلى السلام والمسالمة . كل تلك المعاني ، في واقعها ، ترمي الى الانسجام والتناسق مع الذات ، ومع الله ، ومع الاخرين ، ومع الكون .

حيى عن بينة » (8 : 42) .

* * *

ليس من ادلةعلمية على وجود الله ، او نكرانـه ، ولا يمكن ذلك . فالعلم ، على مستوانا ، لا يطمع فى اكثر من معرفة العالم (الذي هو موضوع العلم) . ان النسبية تسيطر على مجموع قدرات العلم ، فـلا تترك لـه أي مجال ولا اية طاقة لينزع الى المطلق . يتخذ الباحثون الكون بمجموعه (نعني الطبيعة والانسان) موضوعـا لدراستهم . لكن الانسان والعالم كلاهما يمثل معضلة فى نطاق ذاته ، وفى علاقات كل منهما بالاخر : الانسان ، والعالم لا يحملان تفسيرهما فى ذاتهما ، بل يتضحـان معا ، ويتجليان الواحد بالاخر .

من هنا ، نستنتج أن من كان لا يستطيع الاقل ، فبالاحرى انه عاجز عن الوصول الى الاكثر . وأمام هذا العجز المركب المربك ، ماذا يتبقى للانسان لتهدئة قلقه الميتافيزيقي والفكري اذا لم يكن يعترف بان الله هـو « الذي خلق السماوات والارض ، وجعل الظلمـات والنور » ؟ (6 : 1) .

يجتهد العلم ، ما وسعه الاجتهاد ، ليبرهـن على صلاحيته الخاصة ، ولكن طبيعته الوظيفية تمنعه من ان يبرهن على ما هو اجنبي عنه . فالعلم ، اذن ، محاصر فى ميادين خاصة ، بالرغم عن تعدد جوانبها ، لا تستطيع ارواء ظمئنا الميتافيزيقي ، ولا شحن ذهنيتنا بالسكينة، ولا ابادة القلق من وجداننا. فانى لهذا العلم ان ينفذ الى استكناه المطلق فيثبت أو ينفي وجود الله ؟ .

يدعـو الاسلام الى التأمل والحدس واستعمال النظر كي يصل الانسان الى أن يمارس التجربة الباطنية لوجود الله .

« الذي خلقكم والذين من قبلكم ، لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الارض فراشا ، والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج بـه من الثمـرات رزقا لكم . فـلا تجعلوا لله اندادا وانتـم تعلمـون » (2 : 21 و 22) . ويضيف القرآن : « وفى الارض آيات للموقنين ، وفي انفسكم . افلا تبصرون ؟ » (51 : 21) .

* * *

ان هذا النوع من التأمل الذي يدعو له القرآنتأمل خاص . فهو ، وان حض على المشاهـدة ، يتعمد عـدم مخاطبة العقل المنطقي ، لان المعقولية مكتسبة ، بوصفها حصيلة لتمرينات ، كما ان العقلانية ، هي ايضا ، صناعة مكتسبة ، فانى لهما حق التشريع فى ميدان اصيـل كميدان الصميمية ؟ الحب لا يعترف بأي منطق ، ولن يستطيع أحد ان ينكر وجوده (باسم المنطق) ، والايمان هو ايضا ، حب يحيا ، وليس معادلة رياضية او قضية منطقية : انه كالحـب ، يعاش من الداخل ، فى تجربـة شخصية فذة ، تجربة مساهمة ، ما دام ليـس فكـرة مجردة يلزم ادراكها . فيجب ان نحس ونحب ما نريد ادراكه ، قبل العمليتين الاساسيتين لكل تفكير مفهومي: التجريد ، والتعميم .

ان نقطة البدايـة ، فى الحـب وفى الايمان ، هـي الاستبطان : الشهادة المنبثقة من اعماق الكائن البشري. اننا نبني معارفنا التاريخية على شهادات الغير ، فلم لا يجوز لنا ان نؤسس اللاهوتيات على شهادات حيـة نعيشها ، مباشرة، أو نشاهدها مجسدة فى سلوك وحياة الاخرين ؟ المحب لا يحتاج الى برهنة ليقتنع بأنه يحب، فالمحبوب هو الذي قد يتشكك فى حب محبيه ، فيطالب بحجج على صدق الحب . والمؤمنون يحبون الله ، والله لا يحتاج الى برهنة ليقتنع : « أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ؟ » (29 : 10) . فالشعائر الدينيـة لا ترمي الى البرهنة على وجـود حب وايمـان ، ولكنهـا تغذيهما اللحظات الممتازة التـي يشعـر فيها المحبـون بحضور المحبوب ، بمتعة الاقتراب والحوار .

* * *

من ذا الذي يستطيع ان ينكر (باسم العقلانية) ، وجود « الحنين الى الوطن » ؟ انه شعور مشترك يتور ، هو ايضا ، على التمنطق ، فلا يشك فى وجوده الا من لا وطن له . كذلك الحنين الى الله . فالله وطن المؤمنين : « الذين اذا أصابتهم مصيبة ، قالوا : انا لله وانا اليـه راجعون » (3 : 153) .

فالذي لم يمارس ، مباشرة ، تجربة الايمان ، لن يؤمن ، ابدا ، ولكنه كذلك ، لن يستطيع البرهنة على ان الايمان عبث أو ليس واقعا معاشا .

ومن جانب آخر ، اذا لم يحي المرء وجود الله ، من باطنه ، ومن خلال تفاعله مع آيات صنعه تعالى ، لا بد من ان تجابهه معضـلات ميتافيزيقيـة ، فتلاحقـه وتصارعه ، ويضطر للاجابة على مثل هذا السؤال :

« من يحيي العظام وهي رميم ؟ (36 : 78) .
ويعقب القرآن السؤال بالجواب الاتي :

« يحييها الذي انشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم (. . .) . او ليس الذي خلق السماوات والارض بقادر على ان يخلق مثلهن ؟

هناك تآني بين وجودات في الزمان (1) ، لا في الابدية والخلود ، وهناك احداث تتتابع الى ما لا نهاية له ، ولكن على ايقاعات مختلفة . فاذا كان من صفات الله الخلود ، فالكائن البشري يتحرك في منظار لامنته ، منظار الـ « ما ــ بعد » ، أي « الاخرة » حيث تتمتع الارواح ، هي ايضا ، بالخلود . فالموت ليس الا حدا ظاهرا . ويتحلى الله بالقدم . لكن الانسان ، وان كان حادثا في تاريخ التكوين ، قد اكتسب قبسا من الابدية لانه خلقه فيض مباشر من روح الله القديم :

« واذ قال ربك للملائكة

اني خالق بشرا من طين .

فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ،

فقعوا له ساجدين .

فسجد الملائكة كلهم اجمعون » (38 : 76) (2) .

فالآية تدل على ان الله يتحدث عن الانسان ولما يخلقه بعد (فاذا سويته) . انه موجود « بالقوة » ، في علم الله وتصميماته ، على صعيد « القدم » ، واما وجوده « بالفعل » ، الوجود المحدث ، فسيتم بعد ان ينفخ الله فيه من روحه .

اذن طبيعتنا مزدوجة : ابدية وخلود ، بالجوهر ، وحدوث متناه ، بالوجود الآدمي . وهذه الازدواجية لهي مصدر عطشنا الروحي وتوقنا الى التعالي ، الى تجاوز دنيوية الوجود واستبار ينابيع الوجدان الديني ، وغير الديني . ان الناس يشعرون باندفاع قوي نحو تجاوز الذات ، نحو ملا فراغ الوجدان واذابة اليأس ، والقنوط ، والقلق ، والكآبة ، في رؤية باسمة تجعلهم يأملون ، ويستأنسون بالذي لا حزب له ، ولا عصبية ، ولا جنس : ذلك الذي كان ، وسيبقى ، لا يؤثر في جوهره مؤثر ، والذي جعل بين الناس التساوي الكامل ، وكأنهم « أسنان المشط » ، كما جاء في حديث نبوي (3) .

لقد اعز الله الجنس البشري لانه ابدعه بنفخ من روحه . و « النفخ من الروح » الالهية ينفي حلول الله في اية ذات بشرية ، ويصون تنزيهه ، وفي نفس الوقت ، يصعد بالانسان الى الاتصال الروحاني بالله . فلا تجسيد للالوهية في الانسان ، في اي انسان ، ولا هجران وانفصام عن الخالق : انه لنفخ تكرم به الله على البشر عامة ، ليظهر افضليتهم على باقي الكائنات .

الرباط : محمد عزيز الحبابي

---

1) انظر تآني في القاموس الفلسفي لكلية الآداب ، جامعة محمد الخامس بالرباط .
2) انظر ، كذلك : 32 : 9 .
3) المرشد في الدين الاسلامي ، ج : 4 ، ص : 22 .

عدد من اعداد « الجريدة الرسمية » لتنظم ، وتقنن ، وتعقلن الحياة المعشرية .

نفس الشيء بالنسبة لبيئة تعترف بأن الله هو خالق الكون والمهيمن على مصيره ومصير جميع الناس. فالله ، اما طاغية تعمبه قدرته القصوى ، فيتصرف دون اعتبار اي قانون سلوكي ، مرة « يشرق » واخرى « يغرب » ، كما يشاء له استبداده المطلق ، واما انه رب مدبر ، يلعب دوره دون اقنعة ، حسب نواميس تسمح لكل مخلوق بأن يمارس الحرية والمسؤولية ، بكامل الممارسة .

فالله ، في الاسلام ، « يقدر » و « يقضي » ، طبقا لتدبير محكم مسبق ، والى حتمية حكمة طبيعية فرضها في تسيير الكون : « فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا » (35 : 43) . انها سنة ذات شمول واستمرار ، مما يجعلها قانونا يطمئن له العلم والعقلانية : « سنة الله التي خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » (48 : 23) . فالفرق واضح بين اله يضع تصميمات محكمة ، ويدبر الكون على ضوئها ، وبين الـ (فاطوم) عند الرومان : ذلك القدر الاعمى الغاشم ، اي المحضية الجبرية المتطرفة الهوجاء.

* * *

الدين معطى وجداني لا يعارض المنطق ، وان كان لا يتجلى عن قياس ، او استنتاج ، او استقراء . انه معطى يتوقف في مستوى القيم العاطفية التي ينطلق منها الشعور بالذات حيث يتعرف كل فرد على ءانيته وأناه ، ويؤكد وجودهما .

فلم نركز اثبات الذوات ، بهذه الطريقة التي لا تخضع لمقولات المنطق (او المناطق) . (1) دون ان نرى في ذلك حرجا ، ونرفضها اذا اريد الاعتماد عليها في احقاق التجربة الوجدانية لوجود الله ؟

فالأخرويات ، والماورائيات ، والعلويات ، حقائق لا تمنطق بالطرق العادية . انها من صنف الحقائق التي تحيا ولا تعرض مموضعة ، مثلها كمثل بعض الحالات الوجدانية العميقة،بل مثلها كمثل الحياة،سواء بسواء : ان الحياة تشبه البحر المحيط ، في المد والجزر ، وفي صراع امواجه اللا ــ منقطع ، ولكنه يستحيل علينا ان نحدد اية موجة لنجعل منها «الموجة النموذج» ، مهما تشابهت مع اخواتها ، فكثرة الامواج ، وسرعة تجددها تجلوان كل موجة كـ « وحدة ــ في ــ ذاتها » . ان البحر ، وهو يزأر موجا ، يبهرنا بقوته وشبابه المدهشين .

الواقع ان الحياة لا تسري ، عمليا ، الا في قلة القلة من البشر : من ورائنا اكثرية « كانت » ولم تعد تؤثر الا بثقل موتها ؛ ومن امامنا اولئك الذين «لما يوجدوا بعد» و«س ــ يوجدون» و«سوف ــ يوجدون» ثم يوجدون ... أما « الحاضر » فليس فيه الا السائرون توا الى مصير ذي بابين ، اولهما مفتوح على موت حتمي يحمله كل حي في صميمية الحياة ، وباب مغلق يمكن المنطق والعلم ان يسمياه بـ « اللا ــ ندري » او بسر الاسرار ، او بمملكة الغموض . وياتي الدين ، دون ان يناقض العلم والمنطق ، فيعطي فروضا يسكن اليها وجدان بعضنا . وكثيرا ما تكون في تلك السكينة سعادة القوم الذين ءامنوا فيزيحون حمل الغموض الثقيل .

العلم يلاحظ ، ويحكي ، ويصف ؛ والاخلاق تامر ، وتنهى ؛ أما الدين فيجمع بين وظيفتيهما . ويفتح مجالا واسعا لايحاءات يمكن للعالم وللاخلاقي وغيرهما ان يستغلوها لمصلحتهم ولمصلحة الجميع . هذا مطمح الدين ، انه سبيل الى الله ، على طريق الحرية : « لا اكراه في الدين » (2 : 256) . فلو ان الاسلام بني على الاكراه لتناقض وطبيعة الدين : كل مغامرة روحية وعاطفية لا تتم الا بالعطاء والتجاوب بين التجربة الداخلية والاعمال ، اي بالنية الحسنة : « وانما الاعمال بالنيات » (حديث) .

عند الكثرة الكثيرة من الافراد يتقبل الواحد ذاته بطريقة عفوية ، فيتحدث عن «انا ــ ه» ، وعن الـ «نحن» كمسلمات لا يتسرب اليها شك ، كمعطيات اولية من باب « السماء فوقنا » ، دون تساؤل عن كيف يتجلى الانسان فينا ، ولا كيف نعني ذاتنا . انهم يقنعون بتجربتهم العفوية .

* * *

اعتراض آخر :

جاء في حديث رواه البخاري وقد اشرنا اليه سابقا ان الله « خلق آدم على صورته » . فبما ان الاله لا متناه، في حين أن الكائن البشري متناه ، كيف يجوز ان يكون الثاني على صورة الاول ؟

---

(1) لقد اضطررنا لاستعمال كلمة (مناطق) ، كجمع لمنطق ، اذ يعرف الفكر المعاصر عدة انواع من المنطق .

سيتم في غير اطار الاسلام ، لان الملاحظ ان الفوارق الاجتماعية الناشئة عن الاوضاع الاقتصادية في بلد ما ، ستظل رغم كل هذه المذاهب الاقتصادية التي من صنع البشر قائمة وان اختلفت حدتها وضراوتها تبعا لما حققته هذه البلاد من رفاهية ورفع في مستوى الحياة للطبقات الكادحة التي ظلت على الدوام كبش الضحية في كل الحركات والانتفاضات التي استهدفت او تستهدف حياة ارغد وعيشا أسعد .

واذا كنا نقول ان الاسلام هو وحده الكفيل بتحقيق ما ظل يتوخاه الناس من تعادلية في المداخيل والمصروفات لكل الخلايا التي يتكون منها المجتمع البشري ، فلان تعاقب هذه المذاهب الاقتصادية ، وتعاورها ، اثبت انها غير جديرة بتحقيق ما علق عليها اصحابها والدعاة لها من آمال . اما الاسلام فقد فكر - وهو من صنع الله خالق البشر وموجده والفاهم لاسرار عقليته ونفسيته - في كل الضروريات التي يحتاج اليها في حدود من حرية البحث ، والتنقيب ، ضمن قوقعة واسعة ، وبوتقة فسيحة من حرية الرأي وحرية العقيدة ، وصيانة الضمير وصيانة كل الفرص . ذلك ان الاسلام قبل ان يضع للانسان منهاجا او مذهبا اكد في يقين بأن على الانسان نفسه أن يؤمن اولا بانسانيته ، وثانيا بقيمة الحياة ، وان يحرص على ما يحقق تلك الانسانية ، ويحفظ هذه الحياة ، ثم بعد هذا سلحه بسلاح من يقظة ضمير ، ووعي للاحداث ، وسير مع الحقيقة التاريخية والزمنية .

ولاثبات انسانية الانسان سلك الاسلام طريقا عكسيا في الظاهر ، وان كان هو في الواقع الطريق الطبيعي لاثبات حقيقة هذه الانسانية . وهذا المسلك هو نفيه الباث القاطع للنظام الطبقي والتمايز الاجتماعي القائم على غير الفضائل التي تستهدف الصالح العام ، وغير الاخلاق التي تتوخى العمل من أجل المجموع .

وبالقضاء على اللا مساواة في الحقوق والواجبات ابعد عن الانسان الفقير والضعيف والمخذول الوهم الخاطيء الذي شاءت غطرسة الاقطاع غرسه في ذهنه ودماغه الوهم القائل بانه دونها فهما للاوضاع ، واقل منها تقديرا للامور ، وانه لن يجاريها الا في حدوده الضيقة .. وفي نفس الوقت حطم الاسلام بقضائه على اللا مساواة صنم الالوهية البشرية الزائفة التي اقامها اولئك المنكرون لانسانيتهم حين توهموا انهم اعظم خطرا عند الله من اولئك الذين اعتبروهم - مغالطة منهم لانفسهم - أنهم دونهم وجعل الاسلام ذلك عن طريق مجابهتهم بحقيقة بسيطة وهي انهم من أصل واحد ، ومنبت واحد ، وبتذكيرهم دائما بأن اية محاولة للخروج عن هذا القانون العام سيقابل بأنه خروج عن القانون الطبيعي للانسان ، وصروف عن جادة الصواب ومناقضة للحقيقة التي منها انحدروا ، وللغاية التي اليها صائرون .

ومن ثمة تجنب الاسلام كل المضاعفات والمضايقات والمتناقضات التي تصيب المجتمع من جراء وجود مجتمع تتمايز فيه الاتجاهات والاوضاع على أساس الفوارق المالية والمادية ، وبذلك قضى على كل الكوارث الاجتماعية التي غالبا ما تتولد عن شعور خلا يافيه بعدم احتلالها المركز اللائق بها ، في الوقت الذي تحاول فيه خلايا أخرى اشعار تلك بعجزها عن تغيير ما تجده من اللا مبالاة ومن اللا تقدير .

وحين ارسى الاسلام قواعد هذا المبدأ الاساسي لقيام علاقات بشرية بناءة وبين مختلف خلاياه ، اعتمد الاسلام لتحبيب الحياة الى مختلف هذه الخلايا ، ما تزخر به هي نفسها من تدافع وتناقض بين البانية منها والمحطمة ، وبين الموجبة منها والسالبة .

وكانت يقظة الضمير التي فرضها الاسلام على معتنقيه ، حين ربط عجلتهم اليومية بواجب الحياة ، وذلك بفرضه اتصالهم به في كل اعمالهم ، ما حقر منها وما جل ، وحين حفلت طقوسه - اي الاسلام - ، وخاصة الصلاة باقتلاع عقول الناس وأقدامهم من الارض للصعود بها في سبحات رائعة ، الى اجواء بعيدة عن الفحشاء والمنكر ، وفي هذه الاجواء يقيم الانسان لنفسه عدالة ضميرية ، ومن هذه الزاوية يتمكن الاسلام من ايجاد مسؤولية جماعية ، واشتراكية عامة ، في خضايا الذهن والروح البشريين قبل ايجادهما في تطور المجتمع .

وليس معنى هذا أن الاشتراكية الاسلامية التي سنحاول التحدث عنها فيما بعد لا تعير القضايا التقنية والآلية ، والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية كل الاهتمام اللازم ، لا ، وانما نريد أن نقول ان الاسلام ربط تلك التقنية والآلية ، وهذه المشاكل بضمير الانسان نفسه.

ومن غير شك ان دعاة الاشتراكية الحديثة انفسهم لولا يقظة الضمير التي اجتاحت نفوسهم بما تشربته من شعور بعدم الرضى بالاوضاع الاجتماعية التي كانت تحيط بهم ، ولولا ما بلغته ارواحهم من الحساسية وشعور بمسؤولية القيام بعمل حاسم للتخفيف من شعار المظالم الاجتماعية ، ما دام لا يمكن القضاء عليها نهائيا ، اقول لولا ذلك لما أمكنهم أن ينادوا بفكرة الاشتراكية هذه . فيقظة الضمير في دعاتها ، وشعورهم



للأستاذ عبد الكريم التواتي

يوجد حاليا تحت الطبع كتاب « الاشتراكية الاسلامية ، والمذاهب الاقتصادية الحديثة » للاستاذ السيد عبد الكريم التواتي .

وقد اخترنا لقرائنا الكرام فصلا من هذا الكتاب الذي نرجو ان يكون لبنة جديدة فى هرم تراثنا الثقافي الحديث .

(وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) قرآن كريم

(ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) قرآن كريم

* * *

راينا من دراستنا أن المذاهب الاقتصادية التي عرفها الانسان او يحاول أن يعرفها ، انما كانت فى غايتها وهدفها تسعى لشيء واحد وهو سعادة البشر ، ورأينا انها كانت فى عمومها تنبثق من ارادة واحدة هي ضرورة البشر للحياة وحيرته ازاء متناقضاتها . او بتعبير أدق ازاء المشاكل الاقتصادية التي ظل الانسان يتخبط فيها آمادا وقرونا دون ان يهتدي حتى الان لمعرفة المخرج من هذا المأزق الحرج الذي ياخذ بخناقه ، وفى وطاة شديدة توشك ان تفقده ايمانه بالحياة .

وجاءته هذه الحيرة واصابته تلك الشدة حين تنكب اولئك المشتغلون بالاقتصاد ودراسة مشاكله عن جادة الصواب ، رغم ما يتبجحون به من واقعية وربط للاحداث ببعضها ، اذ لم يخرجوا بعد من دراساتهم الاكلينيكية وانما ظلوا فى قوقعتها يطوفون .

ونحن نعتقد بان الثغرة التي منها اوتوا انما هي عدم تفكيرهم — وحتى الساعة — فى ربط الاحداث بخالق الاحداث وربها على عكس ما فعله الاسلام — كما سنرى — حين عالج القضايا الانسانية فى كل مجالاتها ومعطياتها ...

ونحاول فى هذا الفصل قبل المضي فى دراسة جوانب الاشتراكية الاسلامية ان نقوم بمقارنة موجزة لاتجاهات ومجالات الاشتراكية الاسلامية والمذاهب الاقتصادية الحديثة ، وخاصة الاشتراكية التي تعتبر اليوم فى نظر أكبر الشعوب العالمية المعاصرة ارقى ما وصله التفكير البشري فى ميدان علم النفس والاقتصاد السياسي ...

تتفق معنا الاشتراكية الماركسية على ان المظالم الاجتماعية تتميز بوجود طبقات اجتماعية متناحرة ، ونكاد هذه الاشتراكية تحصر مهمتها فى ايجاد حلول لخصوص هذه المظالم ، ولكنها تحصر الحلول فى خصوص المشاكل الاقتصادية لان — فى زعمها — « حل مشكلة هذه المظالم الاجتماعية سيظل كامنا فى الظروف الاقتصادية التي تكون هي نفسها فى مرحلة الاعداد او الامكان . ولكن ليس حقيقيا ان حلا من هذا النوع

فليست الاشتراكية الاسلامية صراعا بين الطبقات ، لانه لا طبقات فى مجتمع اسلامي، حقيقي ، وهي لا تسعى لـ « تعليمك وسائل الانتاج للشعب ، والسعي لتثبيت ديكتاتورية الطبقة العاملة (1) » ، لان الاسلام القائم على مبدا الشورى فى دقائق الامور وعظيمها ، جليها وحقيرها ، والمبني على ان الناس متساوون فى الحقوق والواجبات ، وان لهم كامل الحرية فى الراي والتعبير والعمل ، اقول ان الاسلام الذي له ذلك يتنافى واى مظهر من مظاهر الديكتاتورية ، واي نوع من انواعها .

وليست الاشتراكية الاسلامية ايضا « الغاء الملكية الخاصة مصدر كل ظلم وجور وكل حيف فى المجتمع » ، لان الاسلام صان الملكية الفردية في حدود عدم عرقلتها المصالح العامة ووجود الجماعة ، فاذا تعارضا كانت المصلحة العامة ووجود الجماعة هما الغالبتين ، فكل هذه المفاهيم للاشتراكية الحديثة هي روح الاسلام باعتبار جوانبها المفيدة .

واذا كانت هذه الاشتراكية الحديثة لما تستقر بعد على مفهوم واضح ، وكانت فى كل مفاهيمها ومعطيانها التي نسبت اليها تحمل فى طياتها عوامل فنائها فان سدنتها والقيمين عليها ما ينفكون يشذبون ويبرقشون تعاريفها بين آونة وأخرى . ولكنهم كلما حاولوا التطبيق تبينت لهم نقائص اضطروا معها للعودة من جديد الى المفهوم الاول الذي وضعوه علما على اشتراكيتهم يحذفون منه عبارات ويضيفون اخرى محاولين بذلك الوصول الى اشتراكية اجتماعية عالمية، اعني الى الاشتراكية الاسلامية .

واذا كان التعصب الديني الاعمى الذي صاحب الحملات الصليبية واعقبها ، واذا كان الجهل المتعمد للاسلام او غير المتعمد ، واذا كان عدم قيام الدول الاسلامية بواجبها التبشيري قد حال دون وقوف العالم غير الاسلامي على هذه الاشتراكية المنشودة ، والتي يحتضنها الاسلام وحده ، ويدعو اليها ، ويبشر بها ، ولا يسعى الا لها ، فان الوقت قد حان لتقوم الدول الاسلامية بدورها فتقف العالم كله على ما ظل ينشده من سعادة ورخاء تحت ظلال نظام اقتصادي واجتماعي يكفل للجميع العيش الارغد ، والحياة الافضل ، والمستقبل الاضمن . خاصة والاسلام صريح فى نشدانه الشمولية الانسانية ، ومعارضته للقوميات الضيقة ، والسيادات القومية . ونحن نعلم ان الاشتراكية العلمية الحديثة ـ كما رأينا فيما مضى ـ تؤكد بأنه لا يمكن لها ان تعيش أو ترى النور عمليا وتطبيقيا ضمن مناطق عالمية خاصة لان « زوال السيادة القومية هو الشرط الاساسي والضروري لتحقيق الاشتراكية (2) » .

على أن هناك فروقا جوهرية بين الاشتراكية الاسلامية وبين غيرها من الاشتراكيات الحديثة . ذلك ان الاشتراكيات الوضعية التي اصبحت الشعار الذي ينادي به عالم اليوم ، وخاصة الطبقات الشغيلة والكادحة فيه ، ليست نظاما او مذهبا او تشريعا وضعت خطوطه وبنوده مسبقا . وروعي فى وضعها كل المعطيات الاجتماعية فى مختلف الادوار التاريخية ، وانما كانت مظهرا تاريخيا . أدت اليه ظروف خاصة ، وكونته اعتبارات أوجدها تصور المجتمع عبر مراحله التاريخية ... بينما الاشتراكية الاسلامية ، وضعت منذ البداية كأساس للحياة فى كل مرافقها ، وانحائها ، وابعادها . وهيأت لكل شيء فى عناية وتصميم ، الحلول التي قد تعتبر حتمية ونهائية ، شريطة فهمها فى ابعادها العميقة التي تستهدف اولا وقبل كل شيء الرفاهية والازدهار الاقتصاديين والروحيين معا .

وفرق اخر بين الاشتراكيتين : الاشتراكية التاريخية . والاشتراكية الالهية وهو انه فى الوقت الذي نحتم فيه الاولى أن تكون الطبقات العاملة : العمال والاجراء او البروليتاريون هي وحدها المدعوة لتدعيم الثورة الاشتراكية (3) ، اذا بالثانية تدعو جميع الناس على اختلاف مستوياتهم الادراكية ـ ولا أقول الطبقية اذ لا طبقية فى الاسلام ـ الى الاسهام فى المحافظة على النظام الاقتصادي بوصفه رسالة لا يمكن للانسان ان يحيا حياة كريمة بدونها .

وفرق ثالث . وهو انه فى الوقت الذي ترى الانظمة الاقتصادية الحديثة فى طبقة ملاكي الارض « طبقة طفيلية كأحقر ما تكون الطفيليات » فهي اذن طبقة ؛ للجذور الرجعية فيها عمق بل اعماق ، وهي بالتالي عدوة طبيعية للاشتراكية الظافرة اذا بالاسلام او اشتراكيته ـ كما سنرى فى الفصل الذي سنعقده للاصلاح الفلاحي فى الاسلام ـ لا تعطي اية طبقة من الطبقات الخمس : ملاكي الارض ، الراسماليين ،

---

1) المرجع السابق صفحة 11 .
2) المرجع السابق صفحة 14 .
3) نفس المرجع صفحة 49 .

بمسؤولياتهم تجاه الاوضاع ، وايمانهم المنبعث من تلك اليقظة والذي دفعهم الى الايمان بأن عليهم رسالة نحو الاخرين ، تشكلت فى الدعوة الى هذا المذهب او ذاك ، اقول ان هذا هو نفسه الشيء الذي استهدفه الاسلام منذ البداية ، لانه اذا شعرت كل الخلايا بمكانها ، وما فيها من طاقة ، وعرفت دورها فى الحركة العامة العليا ، وآمنت بأن حياتها نفسها تتوقف على مدى مسايرتها لهذه الحركة ، وقيامها بواجبها فى الحدود العامة لها ، وآمنت فى الوقت نفسه بوحدة الغاية والمصير والهدف، فان كل الازمات الاقتصادية ، وما ينشأ عنها من مشاكل اجتماعية تنحل تلقائيا وتمحي لنفسها وبنفسها .

وقلنا ان عمل الاسلام — بالنظر الى المذاهب الاقتصادية — كان عكسيا من حيث ان المذاهب الاقتصادية كما رأينا كانت مجرد — او هذا ما اراده لها اصحابها — حتمية تاريخية تحققت تبعا للتطورات العقلية للبشر ، بحيث ان طور الاقنان والرق ، يمكن ان يعتبر البداية لطور الاقطاع ، كما ان هذا بداية لطور الراسمالية وهكذا دواليك حتى وصل الانسان الى الاشتراكية بعد اجتيازه طورى البورجوازية والفردية الفوضويــــة .

وهذا التسلسل التاريخي لهذه المذاهب ، يبين بوضوح انها من صنع البشر بينما الاسلام توصل او قرر منذ البدو هذه الاشتراكية او احسن ما فيها ، بالاضافة الى أحسن ما فى الراسمالية والفوضوية ايضا من فكرة الانسان التي يعتبرها انسان العالم المتحضر فى اوربا وامريكا المرهم السحري لكل الادواء التي تعانيها مجتمعاته التي لما تعرف طريقها للخلاص بعد .

فالاسلام اذن اراد ان يريح الانسان من كل هذا العناء ، وهذه الآلام ، وان يربح الانسان كل هذه المعارك التي استنزفت كثيرا من قواه ، وكلفته كثيرا من الدماء والضحـايـــا .

واذا كانت الحتمية التاريخية التي يومن بها الماديون واصحاب هذه المذاهب الحديثة ستستمر فى حركتها الدينامية وبدون هوادة ، ويدل على هذا ما تثبته التجارب العملية لهذه المذاهب من تناقض على نفسها ، وما تحمله فى طياتها من بذور فسادها وعدم صلاحيتها المطلقة لما يتطلع اليه الانسان فان هذه الحتمية هي التي ستضطر الانسان الى التوقف قليلا — ولا اقول الرجوع القهقري — لاستكناه الحقائق الاسلامية فى ميادين الحياة كلها . ويومئذ سيوقن ويؤمن بأن عليه فقط — لتحقيق ما يصبو اليه — أن يفهم الاسلام فى ابعاده العميقة ، وفى دائرة ما يدعو اليه من : ايمان بالانسان ، وحرص على الحياة ، ومن يقظة للضمير ، ثم ما يدعو اليه كل ذلك ويستلزمه من المضي فى سبيل التقدم نحو الكمال المطلق حيث لا حدود ولا سدود ولا عراقل ولا قيود .

ونقول للذين سيعرضون بأن الحياة فى تطور مستمر وتحول دائم ، وان هذا التحول والتطور يمسان كل الاشياء ، بما فى ذلك الانظمة الاجتماعية والاقتصادية الشيء الذي قد يظهر الاسلام بدوره وكانة حتمية تاريخية وفقط لفترة ما من الحياة ، وبذلك يفقد المعطيات الخلاقة التي يتطلبها التحول الدائم والتطور المستمر ، نقول لهؤلاء : ادرسوا الاسلام اولا ، وحاولوا استكناه حقائقه ، وحاولوا اخضاعه كمجموعة واحدة لمشاكل الانسان والحياة ، وبذلك فقط ، وحينئذ ، سوف تتقينوا بأن الاسلام — وهو من صنع الله كما قلنا سابقا — انما كان لاجل تاكيد هذا التطور وذلك الاستمرار ، مع اعتبارية واحدة ، وهي ان يؤخذ الاسلام عند دراسته فى مفاهيمه العليا التي يظل القرآن اولا ، والسنة النبوية الصحيحة ثانيا — عند عرضه على محك النقد والتمحيص — الاطار العام والهيكل الخاص ، للاستنتاجات والدراسات ، وان يكونا — أي القرآن والحديث — هما وحدهما مناط الاهتمام ومصدر القوانين والكليات .

وانطلاقا من هذه الزاوية فلن تكون الاشتراكية الاسلامية اشتراكية انتزاعية فكرية ايثوبية محضة « تدعو الناس عامة الى ترك النظام السائد المفعم بالمظالم والاخذ بنظام جديد صالح (1) » . ولا اشتراكية علمية قائمة « على ان تحول المجتمع من طور الى طور انما ينبع من النزاع بين تطور القوى المنتجة وبين الشكل الحقوقي الشرعي الذي تستثمر بموجبه (2) » . ولكنها — اي الاشتراكية الاسلامية — هما معا ، وشيء آخر وهو ما يفرضه الاسلام من وجوب توفر جميع الخلايا على يقظة ضمير حية تراقب الدينامية الاشتراكية ، كل في محيطه الخاص ، ومن زاويته الخاصة وعلى هذا الاساس الذي يصفه محمد عليه السلام فى كلمته : « كلكم راع وكل راع مسؤول عن راعيته » ، وكلمته الاخرى : « انك على ثغرة من ثغر الاسلام فلا يؤتين من قبلك » .

1) هذه هي الاشتراكية لبورجان ورامبير ترجمة عيتاني صفحة 9 .
2) المرجع السابق صفحة 9 .

المال نهائي تماما » . وهكذا تكون الماركسية فى الوقت الذي تزعم فيه انها تسير مع الحقيقة التاريخية التي يوجدها الانسان اذا هي تغلق افق التفكير وتناقض التفتح الذهني والامكانية العقلية اللذين تفرضهما كل نظرية جدلية فى العلم ، ذلك ان الماركسيين يقولون ان المادية الجدلية « تقدم لنا تفسيرا عن كل شيء ، وانها المفتاح الذي يفتح جميع الابواب مع أنها تعلم أن المفتاح الذي يفتح جميع الابواب مفتاح مزيف بالضرورة كما قيل منذ قديم (1) » .

ويذهب (لينين) الى القول الاتي : « اننا لا نستطيع أن نحذف اية مقدمة أساسية ، ولا أي جزء جوهري ، من هذه الفلسفة الماركسية ، التي صبت قطعة واحد من الفولاذ دون أن نبتعد عن الحقيقة الموضوعية ودون أن نقع فى الخداع البورجوازي الرجعي (2) » .

ويصدر مثل هذا القول من لينين ثم لا يرى اتباعه أن يصرحوا بان النظرية الماركسية تتجاوز نفسها وأن تكن « المرحلة المجتازة لا توجد منعزلة فى ذاتها ولكنها تستمر من خلال نفسها فى ذاتها . . . » اى « انه لا تجاوز دون نفي » .

وكي يتوجوا هذا التناقض الذي بلغ مداه يحاول بعضهم ان ينكر حتى الاساس الذي قامت عليه فكرة المذهب ، وهي المادية الصرفة ينتحل لماديتها روحانية فقد جاء على لسان أحد قادتها (برد بايف) وهو يحاضر فى الاممية بجنيف سنة 1947 هاتان العبارتان : « اذا كانت المادية ممكنة فلانها تنقل الصفات الروحية الى المادية ذاتها » و « اني أرى فى الماركسية أيضا ، رغم تصريحات الماديين عنصرا مثاليا قويا جدا » . وليزيد عبارتيه توكيدا وايضاحا كتب : « ان المادية ليست علما بل عقيدة (3) » .

وبعد ، افلا ينبغي ــ وقد تجلى بكل وضوح تهافت هذه المذاهب الاقتصادية الارضية كلها ، وكشف بعضها عما فى البعض الاخر من تناقضات ومفارقات ، واخذ بعض أصحابها ينادون بوجوب البحث « عن تركيب يستمد روحه من الراسمالية ومن الاشتراكية (4) » ، ــأن تعود الانسانيةــ وهي تبحث لها عن طريق يرشدها الى الحق والخير والجمال والحب والازدهار ــ الى نظام سماوي ومذهب الاهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ هذا ما نرجوه ونتمناه لخير الانسانية وصلاحها مخلصين .

هذا ونحب ان نشير الى انه قبل الشيوعية والاشتراكية الحديثتين كانت هناك شيوعية قديمة « كان أعضاؤها يعملون فى مزرعة جماعية ، غربي البحر الميت ويضعون محاصيلها وكل مكاسبهم فى بيت مال مشترك ، ومحظور على اي منهم أن يمتلك لنفسه بيتا او فراشا ، وكانوا يومنون بالسلام ويطردون من صفوفهم كل من يصنع او يساهم فى صنع شيء من أدوات الحرب (5) » .

و « الصين تلك كانت تمارس تجربة هائلة بداها الامبراطور (وودى) وأعاد تطبيقها الامبراطور (وانج ما نج) . وتنتظم هذه التجربة الغاء الرق ، وتأميم الارض الزراعية تأميما كاملا شاملا ، وتأميم الملح ، والحديد والمناجم ، وتثبيت الاسعار (6) » .

كما كانت هناك اشتراكية النبي يحيى عليه السلام ان صح التعبير ، نقد نقل عنه بعض من سمعه كما حدث هذا البعض بذلك السيد المسيح عليه السلام بانه كان يقول : « من له ثوبان فليعط من ليس له ، ومن له طعام فليفعل هكذا (7) » . فالاشتراكية حلم من احلام البشر ، قديمة قدم وجوده على هذه الارض ، وليست فكرة جديدة انبثقت من التقدم الحضاري لانسان هذا العصر ، وانماكانت امتدادا لمحاولات آبائنا الاولين ، وكانت الديانات السماوية ــ وهذا ما قد نراه فيما سياتي ــ تعمل لغاية واحدة هي اشتراكية الاهية يحفظ فيها للروح بجانب المادة ما يحفظهما معا ويضمن لهما السلام والايمان والاطمئنان . وهذا ما لا يتأتى الا عندما يطمئن الانسان الى هذا الدين الاسلامي الذي قال عنه القرآن : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) .

فاس : عبد الكريم التواتي

---

1) هذه هي الدياليكتيكنية لبول فولكييه ، ترجمة تيسير شيخ الارض صفحة 83 ــ 84 .
2) نفس المرجع قبله صفحة 106 .
3) المرجع السابق صفحة 113 .
4) هذه هي الراسمالية لفرنسوا بيرو صفحة 148 .
5) معا على الطريق ، محمد ، والمسيح : لخالد محمد خالد صفحة 44 .
6) المرجع قبله صفحة 41 .
7) المرجع قبله صفحة 56 .

الاجراء ، المزارعين الاحرار ، واصحاب الصناعات اليدوية والمهن الحرة ، اي حقوق خاصة ، وانما تنظر الى الجميع من زاوية الافيد للمجموع ، والانفع للبشرية كلهـــا .

وفرق رابع وهو انه بينما الاشتراكية الحديثة تؤكد بانها حتمية تاريخية كما يسميها أصحابها ، وقد ادى اليها التنازع الطبقي بينها وبين الراسمالية على فضل القيمة اي الكسب المتوقع أو المقدر من الراسمالي الذي يعمل ابدا وسرمدا للحصول عليه من وراءمشروعاته الراسمالية ، اي فى الوقت الذي يعمل فيه الراسمالي على رفع هذا الفضل تسعى الطبقة الكادحة مدفوعة بما يتطلبه رفع مستواها المعاشي الى التنقيص من ذلك الفضل او القضاء عليه نهائيا ، اذا بالاشتراكية الاسلامية التي تضمن مسبقا المستوى المعاشي اللائق والكريم لكل الخلايا التي يتكون منها المجتمع ، بل وتلتزم توفيرها ما يحتاج اليه الكل من الضمان الاجتماعي ، ومن تكافؤ الفرص واسناد الامور الى ذوي الكفاءة ــ كما سيمر بنا فيما بعد ــ لا تؤمن بالحتمية التاريخية الا فى حدود الزمنية الطبقية التي تلازم الوجود الانساني على هذه الارض ، وبالتالي لا يمكن ان يتصور فيها اي نزاع طبقي، لان البطالة التي تنشأ غالبا عن الاحتدام الطبقي حول الارباح ، لا وجود لها فى اطار الاشتراكية الاسلامية ، اذ العمل لجميع القادرين عليه مضمون ومكفول .

ومن المؤكد انه متى انعدمت البطالة ينعدم أهم اسباب الحروب المدمرة تلك التي تأتي على الاخضر واليابس ، وعلى راس المال الثابت : الادوات والمنشآت والمواد الاولية ، وعلى راس المال المتغير : اجور اليد العاملة . وانعدمت ايضا بانعدام البطالة ،الاحتكارات فى الاسواق العالمية ، لان الاشتراكية الاسلامية تعتبر العالم وحدة متماسكة ووطنا واحدا لا أوطانا متعددة . والدولة الاسلامية فى أساسها ايضا اشتراكية فلن تعمل على الجام نضال العمال او تحطيم تكفلهم ، لان مهمة هذه الدولة هي الاستجابة لضروريات مجتمعنا بجميع قطاعاته، والعمل على توفير كل اسباب الرخاء والازدهار، فليست الجماعات العالمية فى حاجة الى تكوين تكتلات نقابية او احزاب سياسية تهدف الى الثورة على الدولة، لان الدولة هي دولتهم ، ومن اعماقهم انبثقت ، ولاهدافهم تسعى ، وحسب ارائهم تسير .

فهذه الحتمية التاريخية التي تقررها الاشتراكية المادية تلك المنبثقة عن الصراع الطبقي وشعور العمال بانحطاط مستواهم المعاشي ، وعدم تلبية ضرورياتهم الذي يدفعهم الى الثورة ، امور منعدمة بتاتا فى الاشتراكية السماوية .

واذا كانت الاشتراكية المادية تضع من بين اهدافها وحدة العالم عن طريق ايجاد التقسيم العالمي للعمل ، وترى ان هذه الوحدة أساس لتقدم الانسانية وانتصارها هي نفسها ، فان الاسلام وضع هذه الوحدة اساسا للحياة نفسها ، وحدة المنحدر ووحدة المصير ووحدة الهدف : (ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم من آدم وآدام من تراب) .

ثم اذا كان الانسان انسان العصر الحديث لم يومن بضرورة تحطيم الاطر القومية الضيقة كشرط أساسي لان يحيا الانسان حياة العزة والكرامة ، لم يؤمن بهذا الا بعد أن لمس بيده ، وبفضل الاكتشافات الآلية ، هذه الضرورة ، فان الاسلام وضع هذه الوطنية العالمية من بين أهم أهدافه الاساسية ، ففي القرآن نقرأ هذهالآية (كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين (1) الخ) . قال فى تفسير المنار تعليقا على هذه الاية بعد ان اورد آراء المفسرين سواه « ان الناس امة واحدة لابد لهم ان يعيشوا تحت نظام واحد ، يكفل لهم ما يحتاجون اليه مدة بقائهم فى هذه الحياة الدنيا ، ويضمن لهم ما به يسعدون فى الحياة الاخرى ولا يمكنهم فى هذه الوحدة ومع تلك الوصلة اللازمة بمقتضى الضرورة ان يتفقوا على تحديد ذلك النظام مع اختلاف الفطر ، وتفاوت العقول ، وحرمانهم من الالهام الهادي لكل منهم الى ما يجب عليه لصاحبه ، لما كانوا كذلك كان من لطف الله ورحمته بهم ان يرسل اليهم مبشرين ومنذرين (2) . . . » .

وقبل ان اختم هذا الفصل أحب ان لا يفوتني اثبات هذا التناقض السافر فى المذهب الماركسي ، وهو تناقض ناتج عن جدلهم الخاص ومنطق دياليكتيكيتهم الهيجلية،ذلكان الماركسيةفىالوقت الذي تؤكد فيه بأنها انطلقت من المادية التاريخية التي يكونها صراع الطبقات ، ومن « الضرورة الاقتصادية التي تدفع هذا التاريخ دائما الى الامام » . اذا بها تنتهي ــ في رأي الماركسيين ــ الى هذا القول « ان مذهب مؤلف رأس

---

1) سورة البقرة الآيـــة 213 .
2) تفسير المنار الجزء الثاني صفحة 282 مطبعة دار المنـــار .

حـرف الميـــم :

520) فى ص 469 ، ع ل بعنوان ما يلحن فيـه العامة ، قال : عدة كتب اشهر من الفها المازني والثعلب الخ ، والصواب ثعلب بدون ال .

521) فى المكان نفسه ترجمة موجزة للامام ابي منصور الماتريدي عنونها بما تريـدي مجردا من اداة التعريف على عادته ، وقال فيها كان معاصرا للاشعري والطهاوي ، ولا شك ان المراد الطحاوي بالحاء ، ولكنه تصحف عيله بالهاء من اعتماده على الترجمة .

522) فى نفس الصفحة ، ع نى تعريف بابن ماجة الامام المحدث المعروف قال فيه: احد الصحاح الستة ، وضبط الحاء بالتشديد ، وهو لا يصح سواء أريد بـه الشخص وكتابه السنن الذي هو حقا احد الكتب الستة، المعتمدة فى الحديث النبوي ، فلو قال احد اصحـــاب الصحاح الستة بكسر الصاد وفتح الحاء مخففة لاصاب الهدفين من التعريف بالشخص وبكتابه ، فيكون لفظ الصحاح حينئذ جمع صحيح مرادا به سنن ابن ماجة ، واما الصحاح بتشديد الحاء فلا وجه له .

523) فى ص 471 ، ع ل تحت عنوان مارنيـا اعاد التعريف ببلدة مغنية الجزائرية التي سبقله ذكرها فى حرف اللام باسم لالامرنية ، ولاحظنا عليه انها بالغين لا بالراء ، وقد جعل سكانها هناك 4000 نسمة ، وهنا ارتفع بهم الى 43000 ، والعدد الاول اقرب الى الصواب

524) وفيها ع نى تعريف بماريت باشا الاثري الفرنسي ، قال فيـه : اكتشـف مدافـن السقـارة ، والصواب استكشف فان اكتشف لا تتعدى لانها بمعنى انكشف ، وسقارة بدون ال لانها معرفة بالعلمية .

525) فى ص 475 ، ع ل تعريف باليزيدي امام اهل العربية والادب ، عنونه كما يلي : مبارك (يحيى بن مبارك بن المعرة المقري العدوى اليزيدي) وضبط المعرة بفتح الميم والعين وتشديـد الـراء مبالغة فى تسجيـل الخطأ ، والمقري بفتح الميم ، والعدوى بسكون الدال . . وهذه الاوصاف كلها على ما فيها من طول بقطع النظـر عن اخطائها لا تعرف الامام اليزيدي الذي هو احـــد القراء السبعة ، وعليه فوصفه بالمقري يجب ضبطـه بضم الميم ، واما المعرة الذي جعله اسما لجد اليزيدي فهو من معرات المنجد ، وصوابه المغيرة بميم مضمومة فغين معجمة فياء ساكنة ، وهو اسم عربي متداول ، اما المعرة فلا نعلم ان احدا سمى به باستثناء قرية الشاعر ابى العلاء . ثم العدوي هو بفتح الدال نسبة الى بنـي عـدى ، وكـان اليزيـدي نازلا فيهم ، كما ان نسبـه اليزيدي هو الى يزيد بن منصور خال المهـدي ، وكان يؤدب ولده فعرف به . ولو ان المنجد ترجم لليزيدي فى حرف الياء واقتصر على وصفه هذا مع ذكر اسمه يحيى بن المبارك وبقية المعلومات التي اثبتها عنـه لكان ابلغ فى التعريف به من هذه الاوصاف العديدة مع ذكره فى حرف الميم باسم ابيه مبارك فان احدا لا يعرفه بهذا الاســـم .

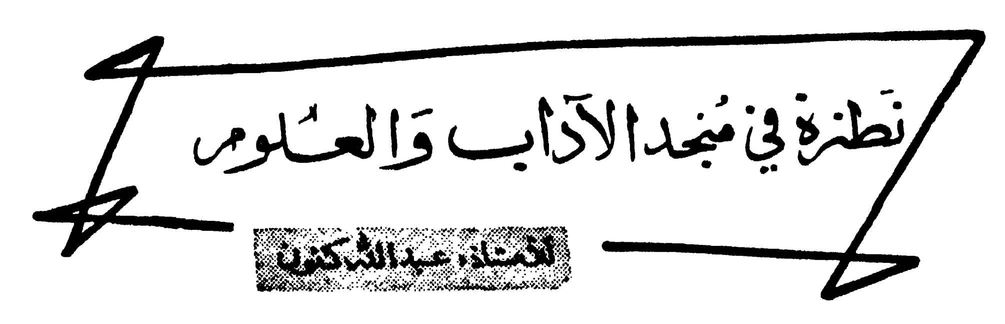
526) وفى الصفحة نفسها ع نى باسم المتاولـة بفتح الميم والتاء وكسر الواو التي بعد الالـف ثـم لام خفيفة مفتوحة ، ذكر طائفة من الشيعة قال انهم سموا بذلك لموالاتهم لعلي بن ابي طالب (ض) ولم يتأت لـــي مراجعة هذا الموضوع ، ولكني أرى ان هذا الاسم ان كان ما ذكره حقيقة يجب ان يكون الموالية بميم مضمومــة فواو وبعدها الف فلام فياء على ما تعطيه قواعد اللغة .

527) فى ص 478، ع ل ترجمة للخليفة العباسي المتوكل تحامل المنجد فيها عليه فوصفه بانه كان متقلبا يتبع الهوى وانه اضطهد المعتزلة والمسيحيين ، ولـم يذكر له حسنةواحدة، مع انه أحيا السنة وامات البدعة ورفع محنة القول بخلق القرآن ، وكان جوادا كريمـا مقربا للعلماء والادباء ، محبا العمران كثير الآثار ، وزلته الوحيدة انه كان مبغضا لعلي وبنيه ، ولولاها لكـان من احسن العباسيين سيرة .

528) فى نفس العمود تعريف بشيـخ القـراء المصريين محمد بن احمد بن عبد الله متولى قال فيه : له عدة مؤلفات فى القراءات منها بديعة الفرد فى اسانيد الائمة الاربعة عشر وهي بديعة الغرر بالغين جمع غـرة وبها تصح السجعة .

529) فى الصفحة نفسها ع نى تعريف بكتـاب المجتبى وهو السنن الصغرى للنسائي الذي يعد احـد الكتب الستة فى الحديث ؛ ضبط فيه اسم النسائـــي بكسر النون كانه نسبة الى النساء وهو بفتحها نسبـة الى نساء بالفتح والقصر مدينة بخراسان .

530) فى ص 479 ، ع نى تعريف بمجنون ليلى، قيس بن الملوح ، جعل فيه اسم والده المولع بواو قبـل اللام وعين ءاخرة توهما انه من الولوع وهو الملوح على وزن معظم اي المغير بالشمس او السفر .



«19»

حرف اللام :

511) في ص 457 ، ع ل كلمة عن **لالا مغنية** بلدة بالجزائر ، جعلها لالا مرينة بالراء بدل الغين ، وذلك من خطأ الترجمة عن النطق الفرنسي .

512) في ص 458 ، ع ل ترجمة لاحد اباطرة بيزنطيا لاون الثالث الايصوري كما عرفه هو وجعل تاريخ ولايته (417 _ 440) ثم قال : انقذ القسطنطينية من وثبات مسلمة بن عبد الملك . ولا يخفى ان التاريخ الذي ذكره له سابق على ظهور الاسلام ، فكيف ينقذ القسطنطينية ممن ذكر في عهد الامويين ! .

513) في ص 460 ، ع ني ، قال تحت عنوان لسان الدين : اطلب الخطيب . ثم اتى بعده يليه بعنوان لسان الدين ابن الخطيب ، وترجمه ترجمة موجزة جداً، فتحصل من ذلك انه ذكر ترجمة ابن الخطيب في حرف الخاء واحال عليها هنا لما ذكر لقب لسان الدين ، وهذا منهاج سليم ، ولكن الترجمة للسان الدين ابن الخطيب عقب ذلك ولو باختصار تدل على اختلال المنهاج ان لم تدل على عدم تحقيق شخصية المترجم .

514) في العمود نفسه ذكر لعب الكرة وغيره ، وضبط لفظ لعب بضم اللام وهو بفتحها او كسرها لا غير ، كما في المنجد نفسه .

515) في ص 461 ، ع ل تعريف بكتاب لقطة العجلان ضبطه بفتح اللام وسكون القاف وضم العين من العجلان ، وهذا خطأ ، فان العجلان بالفتح لا غير ، واما لقطة فهو بضم اللام مع فتح القاف او سكونها : ما يلتقط من اللقن ، وهو المراد هنا ، وبضبط المنجد : المرة من لفظ وهو غير مراد .

516) في نفس الصفحة ع ني كلمة عن لمطة القبيلة المغربية المعروفة ، ضبطها بضم اللام وهي بالفتح كما في معجم البلدان ، ويفهم من كلام المنجد انها منسوبة الى الدرق اللمطية التي اشتهرت بها ، على خلاف ما يعطيه كلام ياقوت من ان هذه الدرق هي المنسوبة الى القبيلة ، وهو المعروف . فينبغي ان يصحح ما في المنجد على معجم البلدان .

517) في ص 462 ، ع ني تعريف بابن لهيعة العالم المسند المشهور جعله ابن لهبعة بباء موحدة بعد الهاء، وسكون الهاء وفتح الباء وهو خطأ فظيع صوابه فتح اللام وكسر الهاء بعدها ياء مثناة .

518) في ص 467 ، ع ل كلمة تعريف بمملكة ليبيا ، جاء فيها ما يلي : واهم مدنها زوارا ... برقا ، والصواب زوارة وبرقة بالتاء ، فيهما ، ولعلنا نبهنا على برقة فيما سبق واما زوارة فتقدمت له في حرف الزاي على الصواب .

519) في ص 468 ، ع ني ترجمة لابن ليون التجيبي من علماء الاندلس ، معروف ، جعله ابن لئون بهمزة بدل الياء .

جعله المنجد فيها ابن المدير بياء ساكنة بعد الدال ، اسم فاعل من الادارة وهو خطأ فادح .

547) وفى نفس العمود تعريف بقبيلة مذحج اليمنية ضبط اسمها بفتح الحاء وهو بفتح الميم وكسر الحاء ، وقال : جدها الاعلى مالك بن ودد ، والواقع ان مالك هو اسم مذحج فليس جدا اعلى ولا ادنى بل ابا . اما ودد فهو أدد بهمزة مضمومة بعدها دال مفتوحة فدال اخرا .

548) وفيه ايضا كلمة عن المرابطين المعروفين بالملثمين من ملوك المغرب . قال فيها انهم من الصنهاجة والصواب حذف أل ، فصنهاجة اسم علم معرف بدون اداة . ثم قال عن دولتهم : مؤسسها يحي بن ابراهيم الجدلي ، وهو الجدالي بالجيم المصرية فدال بعدها الف

549) فى ص 491 ، ع ل ترجمة لعبد الواحد المراكشي المؤرخ صاحب كتاب المعجب ، جاء فيها انه نعلم على ابن زهر ، وهذا قول ينافي التحقيق فانه ان كان لقيه وهو صغير كما ذكر ذلك فى كتابه المعجب ، لم يلزم من لقيه له انه تعلم عليه وهي عبارة لا تقال الا اذا كان ملازما له حتى يتخرج به . والشخص الذي ذكره فى المعجب على انه استاذه ويصح ان يقال انه تعلم عليه هو ابو جعفر الحميري .. على ان الغريب فى ترجمة المنجد لعبد الواحد المراكشي هو قوله : « له نبوغ المغرب في الادب العربي » والمعجب فى اخبار المغرب . فما هو هذا « النبوغ » المعتدى عليه حتى فى اسمه ، الذي نحله اياه، ومن اين وصله هذا الصدى ؟ ؟

550) فى ص 492 ، ع ل ترجمة للشيخ مرعى المقدسي صاحب كتاب انشاء مرعى المسمى بديع الانشاء وغيره من الكتب ، ضبط اسمه فيها بكسر الميم والمعروف الفتح ، وضبط المقدس بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال مع الكسر ، والنسبة الى المقدس كما نبهنا عليه سابقا ، فهي بفتح فسكون مع كسر الدال وتخفيفها .

551) فى العمود نفسه ترجمة للعلامة المرغيتي صاحب نظم المقنع وغيره . جعله فيها المرغيطي بالطاء ، وذلك من خطأ الترجمة وسمى كتابه المقنع فى علم أبي مقرع ، سماه المقنع فى علم المقرع ، وهو خطأ كذلك صوابه ما بيناه .

552) فى الصفحة ذاتها ع نى ترجمة لمرداس بن ادية الخارجي سماه فيها مرواس بن ودية . وضبطه بفتح الميم وكسر واو ودية ، والصواب كسر ميم مرداس وضم همزة ادية مع فتح داله وتشديد يائه على صورة المصغر .

طنجة : عبد الله كنون



531) في ص 480 ، ع ل ترجمة لابن تغري بردي المؤرخ المصري ، ضبط فيها تغري بردي بضم اولهما معا ، والمعروف فيها الفتح ، وحقق الاستاذ الزركلي في الاعلام ان نطق الاسم الثاني يجيء بين الفتح والكسر يعني لاوله .

532) في نفس الصفحة بين العمودين ترجمة بعنوان أبي محجن عبد الله ثم اخرى تليها باسم أبي محجن الثقفي ، وهما شخص واحد فكان يجب ان تدمج الترجمتان احداهما في الاخرى تحت اسم ابي محجن الثقفي ، وهو الصحابي الفارس الشجاع ، ولا بأس بالاشارة الى الخلاف في اسمه بين عبد الله وعمرو بن حبيب بالتصغير وان كان المنجد لم يذكر هذا الاسم الثاني .

533) في ص 480 ، ع ني تعريف بكتاب المحرر للرافعي في فقه الشافعية . ضبطه بكسر الراء على صيغة اسم الفاعل ، وهو بفتحها على صيغة اسم المفعول لانه حرر ونقح .

534) في نفس العمود تعريف لكتاب المحكم لابن سيده اللغوي ضبطه بضم الميم وفتح الحاء ونشديد الكاف على وزن معظم توهما انه من التحكيم وهو بسكون الحاء وتخفيف الكاف من الاحكام والانقال ، وقال انه مخطوط في القاهرة مقتصرا عليها ، وهو يوجد في غير القاهرة كتونس واستنبول على ما اشير اليه في مقدمة محققيه ، وقد طبع منه مجلدان .

535) وفيه ايضا ذكر للمحمل انه كان يحتفل به في القاهرة عند ارسال كسوة الكعبة المشرفة ، ضبطه بفتح الميمين على وزن معمل وهو بكسر الثانية وزان مجلس .

536) وفيه كذلك ترجمة صغيرة للنبي (ص) تحت اسمه محمد . جاء فيها : تزوج من خديجة فرزق منها فاطمة مقتصرا عليها ، ومعلوم ان اولاده عليه السلام سبعة كلهم من خديجة الا ابراهيم فهو من مارية القبطية .

537) في ص 482 ، ع ني ترجمة للشاعر ابي الشيص الخزاعي جعله فيها ابا الشص بحذف الياء التي بعد الشين وتشديد الصاد وشتان بين الشيص والشص

538) في ص 483 ، ع ني ترجمة لمحمد بن ابي بكر الصديق سماه فيها محمد بن ابي بكر القرشي ، وهو كذلك لا يتعرف كما يتعرف بلقب ابيه . وقال : كان من قتلة عثمان ، والجزم بهذه الصورة في القضية ليس من التحقيق ، وقد علم انه انصرف عنه لما قال له عثمان لو رءاك ابوك لم يرض هذا المقام منك . ثم قال: اوفده علي حاكما على مصر لكنه لم يقو على عمر (كذا) ابن العاص الحاكم فيها من قبل معاوية وقتل . وهذا الكلام يعيد انه لما ورد مصر وجد عمرو بن العاص حاكما عليها من قبل معاوية ، وليس كذلك ، فان عمرا كان ابعد عن ولاية مصر زمن عثمان ، ولما ولي علي الخلافة كان على مصر قيس بن سعد بن عبادة فاستوحى علي منه فولى عليها محمد بن ابي بكر ، فلم يزل بها الى ان جرت وقعة صفين . وبعث معاوية عمرو بن العاص الى مصر فحارب محمد بن ابي بكر حتى قتله .

539) في ص 485 ، ع ني كلمة عن مخا وهو اسم مرفأ باليمن ضبطه بضم الميم وهو بفتحها .

540) في ص 486 ، ع ل كلمة عن مختصر الشيخ خليل الجندي في الفقه المالكي ، سماه فيها خليل سليل بن اسحاق ولا محل لكلمة سليل هنا مع ذكر ابن ، فهو ابن اسحاق وسليله لا سليل ابنه . . وذكر المنجد بعض شروح المختصر ولكنها ليست من المتداول ولا من المطبوع الذي يدرس ويستعمل كالحطاب والمواق والخرشي والزرقاني والدردير فلو اشار اليها لكان اكثر فائدة .

541) في العمود نفسه ذكر مختصر المزني المشهور في فقه الشافعية وضبط المزني بفتح الميم وهو بضمها وفتح الزاي .

542) وفيه ايضا كلمة عن الكتب المؤلفة في المختلف والمؤتلف من اسماء الرجال ضبط فيها الكلمتين معا بفتح اللام وهي بالكسر فيها اسم فاعل لا اسم مفعول .

543) وفي الصفحة المذكورة ، ع ني ترجمة لابي مخنف الازدي ضبط اسمه فيها بفتح الميم وهو بكسرها مع فتح النون .

544) في ص 487 ، ع ل ترجمة لاحمد بن المدبر من ولاة العباسيين ، ضبط المدبر فيها بكسر الباء وهو بفتحها مع التشديد ، اسم مفعول من التدبير المعروف في احكام الرقيق .

545) في ص 489 ، ع ل كلمة عن كتاب المدونة الذي هو من امهات المذهب المالكي قال فيها : الفه الامام مالك ، وهو خطأ فهو من تاليف سحنون الذي قال المنجد انه رواه عن ابي القاسم .

546) في هذه الصفحة ، ع ني ترجمة لابراهيم ابن المدبر الشاعر اخي احمد بن المدبر المذكور آنفا ،

فلا تتركني بالوعيد كأنني
الى الناس مطلي به القار اجرب

السادس موافقة من كقوله

تقول وقد عاليت بالكور فوقها
ايسقى فلا يروى الي ابن احمرا

السابع موافقة عند كقوله

ام لا سبيل الى الشباب وذكره
اشهى الي من الرحيق السلسل

الثامن : التوكيد ، وهي الزائدة . اثبت ذلك الفراء مستدلا بقراءة بعضهم (افئدة من الناس تهوى اليهم) بفتح الواو ، وخرجت على تضمين تهوى معنى تميل .. اهـ

وقال ابن منظور في لسان العرب : وتكون (الى) بمعنى (مع) كقوله تعالى (ولا تأكلوا أموالهم الى اموالكم) معناه مع اموالكم . وكقولهم : الذود الى الذود ابل . وقال الله عز وجل (من انصاري الى الله) أي مع الله . وقال عز وجل (واذا خلوا الى شياطينهم) ا هـ .

فظهر ان استعمالي (لالى) بمعنى (مع) صحيح مستقيم ، وان انتقاد المعترض سقيم .

9 ــ قال المعترض : وقال (ورنقت صفو زلاله المعين مما يسوء كل طالب علم) فمن هنا للبيان والتفسير فكيف يكون الزلال المعين مما يسوء كل طالب ؟ واذا عددناها للتعليل يكون ترنيق الصفو بسبب ما يسوء كل طالب علم ، وهو غير مراد الكاتب ، فالصواب : وذلك مما يسوء كل طالب علم) على الابتداء والاخبار .

اقول : لم اقصد (بمن) بيانا ولا تعليلا . وانما قصدت ان ترنيق الصفو مما يسوء كل طالب علم ، الخ . فهي هنا للتبعيض ، والمبتدأ محذوف ، التقدير : وهو أي الترنيق ، مما يسوء ، الخ. وهكذا يفهم أولوا الالباب أجمعون

10 ــ قال المعترض : وقال في الكاف التي سماها استعمارية (وهذا الاستعمال دخيل لا تعرفه العرب) اراد : لم تعرفه العرب) والا فان العرب عارفة به ، فالمراد نفي الماضي لا المستقبل . جاء في الصحاح (لا) حرف نفي لقولك : يفعل ، ولم يقع الفعل ، اذا قال : هو يفعل غدا ، قلت : لا يفعل غدا ، ولا تنفي الماضي الا اذا كررت ، أو عوض عن تكرارها ، وليس هذا موضع الجدال ، لان الفعل في الجملة المنقودة مضارع جعلته (لا) للاستقبال ، مع ان المراد نفي معرفة العرب قديما . اهـ

اقول : من الشائع الذائع في كتب النحاة ، وعلى السنتهم : العرب لا تبدأ بساكن ولا تقف على متحرك فهل معناه : لن تبدأ ولن تقف ؟ ، بل المراد انه ليس من عادتها ولا من شأنها أن تفعل ذلك ، فالمعنى غير مقيد بالمضي ، ولو قلنا : لم تبدأ ولم تقف لم يحصل المراد .

وكلام الصحاح قد ساء فهم المعترض له ، فان قوله : (لا يفعل غدا) لا يدل على ان (لا) هي التي عينت الفعل للاستقبال ، بل القرينة (غدا) هي التي عينته له . قال ابن بونا في الفيته :

واجعل في الاستقبال الامر واقعا
وقل به والحال فيما ضارعا

قال الناظم نفسه في شرح هذا البيت : أي المضارع ولو نفي (بلا) خلافا لمن خصصها بالمستقبل ، ومن وروده مع (لا) للحال قوله تعالى (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا) ا هـ .

فهذه حكاية حال ماضية ، وهي تحكي بالمضارع كما رايت شاهده في كتاب الله ، ولكن فهم المعترض منحصر في دائرة ضيقة لانه لم يأت البيوت من ابوابها .

وقال ابن منظور في لسان العرب في الكلام على (لا) ما نصه : قال الليث : العرب تطرح (لا) وهي منوية كقولك : والله لا اضربك . تريد : والله لا اضربك ، وانشد :

وآليت آسى على هالك
واسأل نائحة ما لها (اهـ)

فقول الليث وهو من ائمة اللغة : والعرب تطرح (لا) هو كقولي أنا (لا تعرفه العرب) الا ان الفعل في كلامه مثبت ، وهو في كلامي منفي (بلا) ، وقد تقدم أن (لا) لا تعينه للاستقبال فبطل كلام المعترض .

وقال ابن منظور ايضا : التهذيب : قال الفراء : والعرب تجعل (لا) صلة اذا اتصلت بجحد قبلها . وقال الشاعر :

ما كان يرضى رسول الله دينهم
والا طيبان ابو بكر ولا عمر .اهـ

ومثل هذا في اقوال ائمة اللغة كثير .

وقوله (والا فان العرب عارفة به) من اعجب العجب ، هل يستطيع ان يأتينا بدليل على ان العرب كانت تعرف الكاف الاستعمارية وتستعملها في كلامها ؟ فأنا اتحداه ان يأتي بشاهد واحد عن العرب ، بل لا يستطيع أن يأتي بدليل من كلام المولدين الذين جاءوا

"تقويم اللسانين مستقيم"

وقد عدلت في تعديلك عن العدالة

للدكتور تقي الدين الهلالي

«3»

7 — قال المعترض : وقال : (فان من كان عالما بالنحو في اي لغة كانت يتخذه مصباحا) وهذا التعبير كان اولى من غيره بتقويم اللسانين ، فان مراده : من كان عالما بنحو لغة من اللغات يتخذه مصباحا ، (أيا) هذا الاستعمال الغريب ، وظن ان الضمير في (كان) يعود الى اللغة ، فألحق به تاء التأنيث . مع ان الفعل ينبغي ان يكون للعلم المفهوم من اسم الفاعل . وبيان ذلك من كان عالما بنحو لغة كائنا ما كان هذا العلم بالنحو، فاذا اراد اللغة وجب تقديمها فيقال (من كان عالما بلغة أي لغة كانت) فالفعل الذي يأتي بعد (اي) يعود ضميره الى الاسم الذي قبلها . وهذه أدنى مراتب الصحة او دنياها . اهـ .

اقول :

قولي : في (اي) لغة كانت — جار ومجرور . في محل نصب متعلق بمحذوف حال من النحو . وكانت فعل تام . وفاعله ضمير مستتر جوازا ، تقديره : هي ، يعود على اللغة . وهذه الجملة في محل جر صفة للغة ، وهذا كلام مستقيم لا اشكال فيه .

وما قدره وزعم اني اردته باطل لم ارده .

وقوله (فاذا اراد اللغة وجب تقديمها فيقال : من كان عالما بلغة اي لغة كانت) انا لم ارد العلم باللغة، وانما اردت العلم بنحوها ، ولو اردت العلم بها لما وجب تقديم الموصوف مذكورا ، فقد تقدم ما يشفي العليل ، ويروي الغليل في جواز حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه بكثرة وتقدمت الشواهد على ذلك . فمعنى كلامي : من كان عالما بالنحو في اي لغة كيفما كانت ، وهو واضح لكل ذي قلب سليم .

8 — قال المعترض : وقال (ينتفع اهل الارض بضوئها ودفئها وانضاجها للثمار الى غير ذلك) فكيف نصل (الى غير ذلك) بالجملة . وهي لا تحتاج الى (الى) التي هي منتهى لابتداء الغاية . فلو قال (من ضوئها ودفئها الى غير ذلك لصح التعبير) فالصواب : العطف (وغير ذلك) فتكون الجملة (بضوئها ودفئها وانضاجها للثمار الى غير ذلك) اهـ

اقول : ومن قال ان (الى) محصورة في انتهاء الغاية . ولو درست كتابا من كتب النحو المتوسطة لعرفت ان لها معاني أخرى غير انتهاء الغاية فدونك ما قاله الاشموني في شرحه لالفية ابن مالك في معاني (الى) .

قال الاشموني : واما (الى) فلها ثمانية معان : الاول انتهاء الغاية مطلقا كما تقدم . الثاني المصاحبة نحو (ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم) . الثالث ، التبيين ، وهي المبينة لفاعلية مجرورها بعدما يفيد حبا او بغضا من فعل تعجب او اسم تفضيل نحو (رب السجن احب الي) . الرابع موافقة اللام نحو (والامر اليك) ، وقيل لانتهاء الغاية ، اي منته اليك . الخامس موافقة في ، نحو (ليجمعنكم الى يوم القيامة) وقوله :

على ان ابن منظور فى لسان العرب قال ما نصه : والعديد : الكثرة. اهـ واذا كان العديد هو الكثرة ، فلتكن العديدة كذلك ، وعلى ذلك اقول : لو كان اعتراض هذا المعترض كله مثل هذين الاعتراضين الاخيرين لتلقيته بكل سرور ، ولكن اكثره كان الباعث عليه القصور وسوء الفهم ، او ارادة السوء والغش المتعمد للقراء .

واما قوله : ان (امثلة) جمع قلة ، فقد تقدم الكلام عليه مستوفي فى الجواب عن النقد الثالث.

13 ـ قال المعترض: نعود الى الكاف الاستعمارية التي جرب استعمالها فى قول القائل (فلان كوزير لا ينبغي له ان يتعاطى التجارة) لانه استعمال دخيل ، مع انه ذكر من معاني الكاف (التعليل) فاذا قلنا : فلان لانه وزير لا ينبغي ان يتعاطى التجارة ، كان المراد مضمونا والمعنى واضحا .اهـ

أقول : انني لا احسن استعمال هذه الكاف . ولله الحمد. لان طبعي يأباها كما يأباها طبع كل كاتب تعز فنفسه من استعمال الالفاظ الدخيلة الاستعمارية التي غزت لغة الضاد ، وافقدتها جمالها وفصاحتها ، وانا لا اعتقد ان المعترض يجهل هذا ، ولكنه ركب راسه وحاد عن سواء السبيل بقصد أن يهدم ما بنيته من صروح الاصلاح فهدم نفسه كما قال المتنبي :

وكم من مريد ضره ضر نفسه
وهاد اليه الجيش اهدى وما هدى

وزعمه ان الكاف الاستعمارية تؤول على انها للتعليل زعم عليل ، فقولنا : فلان كوزير لا يجوز له أن يتعاطى التجارة ، لا يفهم منه احد ان الكاف للتعليل الا اذا كان فهمه عليلا ، فاسمع ايها المعترض ما يقوله ابن هشام فى المغني :

(الكاف المفردة) جارة وغيرها ، والجارة حرف واسم ، والحرف له خمسة معان : احدها التشبيه نحو: زيد كالاسد . والثاني : التعليل ، اثبت ذلك قوم ونفاه الاكثرون ، وقيد بعضهم جوازه ، بأن تكون الكاف مكفوفة بما ، كحكاية سيبويه ، كما انه لا يعلم ، فتجاوز الله عنه . والحق جوازه فى المجردة من ما نحو : وي كانه لا يفلح الكافرون) أي اعجب لعدم فلاحهم ، وفى المقرونة بما الزائدة كما فى المثال ، وبما المصدرية نحو : (كما ارسلنا فيكم) الآية . قال الاخفش : اي لاجل ارسالي فيكم رسولا منكم فاذكروني ، وهو ظاهر فى قوله تعالى (واذكروه كما هداكم) واجاب بعضهم بأنه من وضع الخاص موضع العام ، اذ الذكر والهداية يشتركان فى امر واحد ، وهو الاحسان . فهذا فى الاصل بمنزلة (واحسن كما احسن الله اليك) والكاف للتشبيه ثم عدل عن ذلك للاعلام بخصوصية المطلوب .

وما ذكرناه فى الآية من ان ما مصدرية ، قاله جماعة وهو الظاهر . وزعم الزمخشري وابن عطية وغيرهما انها كافة ، وفيه اخراج الكاف عما ثبت لها من عمل الجر لغير مقتض ، واختلف فى نحو قوله :

وطرفك اما جئتنا فاحبسنه
كما يحسبوا ان الهوى حيث تنظر

فقال الفارسي : الاصل ، كيما ، فحذف الياء . وقال ابن مالك : هذا تكلف ، بل هي كاف التعليل ، وما الكافة ، ونصب الفعل بها لشبهها بكي فى المعنى . وزعم ابو محمد الاسود فى كتابه المسمى (بنزهة الاديب) ان ابا علي حرف هذا البيت ، وان الصواب فيه :

اذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا
لكي يحسبوا ـ البيت

شرح الغامض على بعض القراء من كلام المغني .

قوله (جارة وغيرها) اي الكاف المفردة ، منها كاف جارة ، ومنها كاف غير جارة .

قوله (كما انه لا يعلم فتجاوز الله عنه) المعنى : تجاوز الله عنه ، لانه لا يعلم ، أي غفر له لعدم علمه ، ان ما فعله ذنب .

قوله (كما فى المثال) يعني المتقدم من حكاية سيبويه، وهو (كما انه لا يعلم فتجاوز الله عنه) ، فالكاف للتعليل، وما زائدة ، والمصدر المؤول من ان وما بعدها فاعل لفعل محذوف تقديره : ثبت ، هكذا اعربه الامير فى حاشيته على المغني والتقدير : لثبوت عدم علمه سامحه الله فتجاوز عنه ، والذي حمله على هذا التكلف ان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها . ولو اعتبرنا الفاء زائدة لم نحتج الى هذا التقدير كله ، فيكون الجار والمجرور متعلقا بما بعده ، وهو تجاوز .

قوله (قال الاخفش : اي لاجل ارسالي) الخ ، فيه اعمال ما بعد الفاء فيما قبلها، وقد سكت عنه الامير، وهذا يدل على ما رجحته انا فى اعراب المثال المتقدم .

قوله (وقال بعضهم) الخ. يعني ان بعضهم جعل الكاف فى (كما ارسلنا) للتشبيه كما فى (واحسن كما احسن الله اليك) لا للتعليل . ومراده بالخاص ارسال الله الرسول ، وذكر الناس لله وشكرهم له يشملهم

بعد العرب ، ولا يجده ابدا قبل هذا الزمان النحس ، زمان الاستعمار المادي والسياسي واللغوي . والذي يؤسفني ان هذا المعترض يعلم يقينا أن هذه الكاف هي ترجمة (Comme) بالفرنسية ، و (As) بالانكليزية، و (Als) بالجرمانية ، وأن هذه الكلمات تأتي فى هذه اللغات قبل الحال ، وقد تأتي قبل غيرها ، وتأتي للتشبيه أيضا ، فاستعملها المترجمون استعمالا فاسدا ، وهو يعلم فساده ، ويجادل بالباطل عمدا ليغمط غيره ويبخسه حقه ، وينصب لنفسه عرشا يجلس عليه ، ولم يدر أن من رام أن يرتفع بالباطل خفضه الحق، ولو انه لم يجادل الا فيما لا يعرفه ، وقصر عنه فهمه لهان الخطب وما احسن ما قال ذو الاصبع العدواني

اللـه يعلمني واللـه يعلمكم
واللـه يجزيكم عني ويجزيني

قوله (ولا تنفي الماضي الا اذا كررت) باطل ، فقد جاء الفعل الماضي فى كلام العرب منفيا (بلا) غير متكررة ، قال الشاعر :

ردوا فواللـه لاذدناكم ابدا
ما دام فى مائنا ورد لوراد

قال العلامة المحقق احمد بن امين العلوي الشنقيطي فى الدرر اللوامع شرح شواهد همع الهوامع للسيوطي بعد ايراد البيت المتقدم : استشهد به على تعيين الماضي المنفي (بلا) للاستقبال .

ذدناكم ، كففناكم ، وهو بالذال لا بالزاي . ولم اعثر على قائله . اهـ

واستشهد به ايضا على ذلك ابن بونا فى حاشية الفيته . واعلم ايها القارىء الكريم أن المضارع فى كلام العرب يأتي بمعنى الماضي فى مواضع . وان يأتي للحال وللاستقبال بشروط وقرائن ذكرها السيوطي فى همع الهوامع شرح جمع الجوامع له ، وذكرها ابن بونا فى الفيته . واظن ان المعترض لم يسمع بهذين الكتابين ، فضلا عن أن يدرسهما ، وحسبه ما كتبه القسيس (انسطاس الكرملي) والقسيس بلوت الفرنسي ، فبهما يصول ويجول ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

11 ـ قال المعترض : وقال (بين غث وسمين ، وكدر ومعين) ظانا ان المعين هو الصافي والرائق مع انه الجاري ، وقد يكون الجاري رائقا أو كدرا بحسب ارضه وجريته ومنبعه وعينه وما يحدث فيه. اهـ

اقول : صدق المعترض ، فان المعين هو الذي تراه العين ، كما قال البيضاوي ، وهو الماء الجاري ، ولكن اكثر الماء الجاري ، وهو البحر يكون صافيا على الدوام ولا يتكدر ، فان قيل : ان البحر غير جار . نقول : بلى ، بدليل قول النبي (ص) فى الدعاء الذي كان يقوله اذا رأى قرية : اللهم رب السموات وما اظللن ، ورب الارضين وما اقللن ، ورب الشياطين وما اضللن ، ورب البحار وما جرين ، ورب الرياح وما ذرين ، الحديث ، واذا علمت ان ثلاثة ارباع الارض يغطيها البحر ، وان الانهار فى اغلب الاوقات صافية وكذلك العيون جارية ، ولا تكدر الا عند نزول الامطار وسيلان الاودية تعلم أن الجريان يلازم الصفاء ، والتعبير باللازم وارادة الملزوم شائع فى كلام البلغاء . والقرينة لا تبقي شكا فى اني اريد الصافي . وكذلك قول الشاعر :

ان حمامنا الذي نحن فيه
اي ماء به واية نار
قد نزلنا به على ابن معين
وروينا به صحيح البخار

قوله (على ابن معين) فيه تورية ، فالمقصود هو الماء المعين الصافي فى الحمام ، والمعنى الذي ورى به هو الاشارة الى الامام الحافظ احد ائمة الجرح والتعديل يحيى بن معين . وفى قوله صحيح البخاري تورية اخرى، فان المقصود بخار الحمام ، والتورية بصحيح الامام الحافظ امير المومنين فى الحديث ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري . ومن المعلوم ان ماء الحمام غير جار ، ولكنه عبر باللازم واراد الملزوم . والمناقشة فى مثل هذه الصغائر من الشطط . والتماس العيوب للبراء .

12 ـ قال المعترض : وقال (وستأتي فى هذه المقالات ان شاء الله امثلة عديدة توضح ذلك) اراد بعديدة (كثيرة) مع ان العديدة هي المعدودة، قليلة كانت او كثيرة، واستعمل (امثلة) جمع القلة مع ارادته الكثرة، فالصواب مثل كثيرة. الخ .

اقول : صدق المعترض فى قوله : ان العديدة ، يراد به المعدودة ، سواء اكانت قليلة ام كثيرة ، الا ان القرينة التي فهم بها هو الكثرة كافية لجعل القارىء يفهم الكثرة . واستعمال اللفظ فى احد مدلوليه مع القرينة الصارفة عن ارادة المدلول الآخر شائع فى كلام البلغاء جار على الاصول ، لا سبيل الى انكاره فلا يعد عيبا ولا خطأ .

من نطفــة) (خلق الانسان من سلالة) (ولقد خلقناكــم) (خلق الجان من مارج) .

وليس الخلق هو الابداع الا لله . ولهذا قــال فى الفصل بينه تعالى وبين غيره (أفمن يخلق كمن لا يخلــق افلا تذكرون) واما الذي يكون بالاستحالة فقد جعله الله تعالى لغيره فى بعض الاحــوال كعيســى حيــث قال : (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني) والخلــق لا يستعمل فى كافة النــاس الا على وجهين : احدهمــا فى معنى التقديــر ، كقول الشاعــر :

ولأنــت تفــري مــا خلقت وبعـــ
ـــض القــوم يخلق ثــم لا يفــري

والثاني فى الكذب نحو قوله (وتخلقون افكــا) اهـ.

اقول : وبنقل هذا الكلام يقال : قطعت جهيــزة قول كل خطيب ، ودارت الدائرة على المعترض .

قال المعترض : واحتجاجه بأن الايجاد والانشــاء خاص بالله تعالى ، وكذلك الخالق ، وهذا احتجــاج غريب ، فالله تعالــى المحي ، وعلى قوله لا يجــوز أن نقول (احياء مآثر العرب وتراثهم) الخ.

اقول : انا ما احتججت قط بان استعمال الايجــاد والانشاء خاص بالله تعالى ، وكذلك الاحياء ، فهـــذا افتراء علي ، وانما قلت : ان استعمــال الخلق ، هــو الخاص بالله تعالى ، فليراجع كلامي ، ليعلم أنه يقولني ما لم أقله ، ثم يرد ما تقوله علي ، بل الذي ارتضيـــه وأدعــو اليه هو استعمال الايجاد والانشاء ، وتــرك استعمال الخلق فيما يفعله غير الله تعالى، فيقال، فلان احدث ، او اوجد نهضة ادبيــة فى قومه ، وكذلك فلان احيى سنــة النبى (ص) ، ومآثر السلف الصالح ، وفى الحديث من أحيى سنــة من سنتي قد أميتت بعدي فله اجر مائة شهيــد ، وفى كتب الحديث : احيــاء المــوات ومن احي ارضا مواتــا فهي لــه .

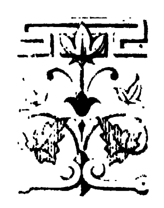
اما قوله (ينبغي ان نلعن البديع الهمداني) فهو فى غاية السخافة ، فنحن لسنا بصدد لعن احد ، وانما نحن بصدد اختيار العبــارات الصحيحــة ونبــذ العبارات الفاسدة ، فأين يذهب بك ايها المعترض ؟

قوله (ولنا مع الدكتور موعد آخر ان شاء اللــه) تقدم الجواب عنه فى آية الانفال (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) الآية ، ولولا الحيــاء والابقــاء لانشدته :

ان عــادت العقـــرب عدنــا لهــا
وكانــت النعــل لهــا حاضــره

كتب فى مكنــاس بالمغــرب .

الدكتور تقي الدين الهلالي



الاحسان، فالارسال احسان من الله الى عباده، والذكر والشكر احسان منهم فى طاعته وعبادته ، وبذلك يشبه قوله تعالى فى سورة القصص (77 واحسن كما احسن الله اليك) .

قوله (وطرفك) الخ . هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة، قاله السيوطي فى حاشيته على المغني . والمعنى : ان المحبوبة قالت للشاعر — بزعمه : ان جئتنا فاحبس طرفك عني ، وانظر الى غيري ليظن الناس انني لست محبوبتك ، وان محبوبتك حيث تنظر ، وبذلك يبقى حبنا مستورا .

فهكذا تستعمل كاف التعليل ايها المعترض .

قوله (ثم انه لما عاب على القائل قوله لم يذكر له القول الصحيح ، فلنحسب ان القول المذكور دخيل ، فما وجه الصواب ؟ فالبراعة ليست فى التخطئة وحدها ، بل فيها وفى ذكر الوجه الصحيح انتهى.

اقول : انا لا اعامل الكتاب كما يعامل معلم الانشاء فى المدرسة الابتدائية تلاميذه كما تفعله انت ، ثم ان الكاف الاستعمارية تستعمل ضروبا من الاستعمال الفاسد، وقد نقلت عن الائمة معاني الكاف، واستعمالها بامثلة موضحة من كلام العرب ، لا تبقي لبسا ولا ابهاما، فاذا راعوا تلك القواعد ، وتجنبوا الكاف الاستعمارية التي لا معنى لها . ولا ينطبق عليها كلام الائمة . فليختاروا ما شاءوا من العبارات ، لان باب التعبير واسع ، وضروب القول كثيرة ، ومن تجنب الخطأ ادرك الصواب . فقولهم مثلا : حضر فلان المؤتمر كمراقب ، فاسد ، لانه من باب تشبيه الشيء بنفسه ، ولا يصح ان تكون الكاف للتعليل ، كما زعم المعترض ، اذ ينبغي ان يقال : ليراقب ، بلام التعليل ، لان استعمال القرآن والمثال الذي حكاه سيبويه كل ذلك يأبى أن نقول : حضرت المؤتمر كمراقب ، ويراد بذلك : لانـي مراقب.

14 — قال المعترض : ونعود ايضا الى جدبة قول القائل (يجب علينا ان نسعى لخلق نهضة ثقافية) الخ.. اقول فى رده : الذي منع استعمال الخلق بمعنى الايجاد والانشاء ، وخصه بنفسه سبحانه هو الله . والقرآن اكبر حجة فى اللغة العربية على المؤمن به والكافر به . قال تعالى فى سورة النحل (17 افمن يخلق كمن لا يخلق، افلا تذكرون) فالذي يخلق هو الله، والذي لا يخلق هو غير الله ، فمن زعم ان غير الله يخلق ، وكان ينتسب الى الاسلام فقد كذب القرآن ، وان كان لا ينتسب الى الاسلام ، فهو جاهل باللغة العربية ، فهما خطتا خسف .

وقال تعالى فى سورة النحل (20 والذين يدعون من دون الله ، لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . اموات غير احياء ، وما يشعرون أيان يبعثون) .

ومن المعلوم ان الالهة التي اتخذوها من دون الله ، منها من يعقل كالملائكة وعيسى وامه ، والصالحين ، ومنها تماثيلهم التي يزعمون ان ارواحهم لا تفارقها ، وهي الاصنام والاوثان . وقوله تعالى اموات غير احياء يصدق على جميع ذلك ، فمن كان مآله الموت فهو ميت ، كما قال تعالى فى سورة الزمر (30 انك ميت وانهم ميتون) .

وقال تعالى فى سورة الفرقان (3 واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) .

وقال تعالى فى سورة فاطر (3 هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض ، لا اله الا هو فانى تؤفكون) .

فهذه الآيات ناطقة بان الخلق لا يسند الى غير الله البتة ، لا فعلا ولا اسما ، معرفا او نكرة . وقال تعالى فى سورة لقمان (11 هذا خلق الله ، فاروني ماذا خلق الذين من دونه، بل الظالمون فى ضلال مبين) فالخلق لا يسند الى غير الله تعالى الا اذا كان بمعنى التقدير كما فى البيت الذي انشدته من قبل ، وهو قول الشاعر :

ولانت تفري ما خلقت وبعـ

ـض القوم يخلق ثم لا يفري

او بمعنى الكذب كقوله تعالى فى سورة العنكبوت (17 انما تعبدون من دون الله اوثانا ، وتخلقون افكا)

واما قوله تعالى فى سورة آل عمران حكاية من عيسى عليه السلام (49 اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فانفخ فيه فيكون طائرا باذن الله) . كتبت ما تقدم قبل ان أراجع غريب القرآن للراغب ، فوجدت كلامه مطابقا لما قلته ، ولما كنت اريد ان اقوله ولله الحمد.

قال الراغب : الخلق : اصله التقدير المستقيم ، ويستعمل فى ابداع الشيء من غير اصل ولا احتذاء ، قال (لخلق السموات والارض) اي ابدعهما ، بدلالة قوله (بديع السموات والارض) ويستعمل فى ايجاد الشيء نحو قوله (خلقكم من نفس واحدة) (وخلق الانسان

الخضري في حاشيته على ابن عقيل ما يفيد ان تأنيث «اي» مع المؤنث شاذ كقول الشاعر « بأي كتاب أم بأية سنة ...» ومن عادة الهلالي المحترم أن يرجع في الاستشهاد الى لسان العرب وغيره، وهذا كتاب الصحاح للجوهري من أمهات كتب اللغة أو من «أماتها» على مايدعي لغويون ، ففيه ما هذا النص « تقول : مررت برجل اي رجل وأيما رجل . وما زائدة . وتقول : أي امرأة جاءتك وأية امرأة جاءتك ومررت بجارية اي جارية ، وأية جارية . كل ذلك جائز » فدعوى الخضري والشذوذ ساقطة ، وللكتاب الحق في استعمال « في اية مناسبة ، وأية أنباء وأية لحظة » . ذلك على حسبان جواز هذا التعبير المترجم من اللغات الاعجمية ، فليس استعمال « اي » على هذا الوجه معروفا في لغة فصحاء الامة وانما هو كما قلت من التعابير المترجمة .

ومع ما قدمت ينبغي لي ان لا أنسى الاشارة الى ان استعمال « اي » الذي أوضحه الهلالي الجليل هو اللغة الفصيحة العالية لانها لغة القرآن الكريم وهي اصح وأحرى بالاقتفاء والاقتداء .

ثم جدب — حفظه الله — قول الكتاب « نسي صديقي وعده ونسيت أنا الآخر » أو « نسي هو الآخر » وذكر ان استعمال « الآخر » هنا خطأ محض والصواب: « ونسيت أنا ايضا » . وقد أصاب — أيده الله تعالى — في كون استعمال «الآخر» غلطا محضا . وجزاه الله خيرا الا ان اضافته أيضا الى العبارة لا يحتاج اليها قال تعالى : « نسوا الله فنسيهم » ولم يقل « فنسيهم ايضا » فليس في المعنى ما يستوجب الاشارة الى التكرار لاختلاف الفاعلين . ومن المتأخرين من يقول « ونسيت أنا كذلك » وليس ذلك بغلط .

واستطرد الهلالي الجليل على عادته في افادة القراء وامتاعهم بالفوائد الفرائد قال : « وهذا الاستعمال موجود في اللغة العامية المصرية بابدال الهمزة راء ، يقولون مثلا : نسيت انا راخر . والظاهر ان أول من ارتكب هذا الخطأ عامة الكتاب المصريين لانه موجود في لغتهم العامية فاستعملوه في الفصحى ..»

ويسمح لي الهلالي الجليل بأن أقول ان شيوع هذا التعبير اقدم زمنا مما ظن ، فقد جاء في الاقوال التي نقلها الشعراني الزاهد المشهور من رجال القرن العاشر للهجرة : « وقال انظري أنت الاخرى حتى لا تقولي (1)» فالتعبير كان شائعا في أسلوب العلماء بمصر قبل القرن العاشر للهجرة .

ونعى الهلالي المحترم على الكتاب قولهم « اعتنق فلان الدين » وقصره على الاسلام مع ان التعبير عند الكتاب عام ، فمنهم من يقول : «اعتنق هذا الرجل الاسلام » و « اعتنق فلان النصرانية بعد الوثنية » والاستاذ الهلالي على حق واضح في ان لا حاجة بالكاتب العربي ان يقول : « اعتنق فلان الاسلام » بدلا من « اسلم » الا أنه خرج الى ان قال : « والعرب لا تقول ابدا اعتنق الاسلام او اعتنق النصرانية أو اعتنق الفكرة ، وانما تقول : اسلم وتنصر واعتقد كذا وكذا » ثم قال : « لا يقال ان اعتناق الاسلام استعارة لانا نقول ليس كل استعارة مستحسنة » وقصره ثانية على الاسلام ، قال ذلك بعد نقله من لسان العرب ما يفيد أن الاعتناق في الحرب وانه جائز في المودة كالتعانق .

وقد ذكرنا اصابته شاكلة الصواب في ذكر الاسلام اما انكاره استعارة « الاعتناق » لغير الاسلام فمن باب تحجر الواسع والتشدد على الكتاب ، فقد ورد في بعض كتب اللغة وهو المصباح المنير ما يفيد أن الاعتناق أحيانا يعني « التمسك الشديد » فقد جاء في أخبار فارس الاسلام في أيام الردة وأيام القادسية وأيام صفين مالك ابن الحارث الاشتر النخعي انه اصابته ضربة في قتال بني حذيفة حين ارتدوا « فعاد معتنقا رقبة فرسه . فاجتمع حوله اصحابه يبكون (2) » ثم ان الهلالي — أطال الله بقاءه — لا أحسبه يصر على منع الكتاب من استعمال استعارة استعملها الاديب الكبير ابن بدرون في شرحه للعقيدة البسامة للشاعر الاندلسي المشهور ابن عبدون قبل عصور كثيرة (3) . فقد ذكر في شرحه استعارة « اعتناق الدين » . والشرح المذكور كتاب ادبي مشهور قد اثر في اسلوب الكتاب .

واورد الاستاذ الهلالي الجليل قولا نقله صاحب لسان العرب ونصه « ومنه الحديث : اني وهبت لخالتي غلاما فقلت لها : لا تسلميه حجاما ولا صائغا ولا قصابا . اي لا تعطيه لمن يعلمه احدى هذه الصنائع» وقال بعده : « والعجب من ابن منظور كيف وقع في خطأ عامي وهو تعديته اعطى الى المفعول الثاني باللام وهو متعد بنفسه الى مفعولين يقال : أعطاه الله علما . قال

---

(1) طبقات الصوفية للشعراني «ج 2 ص 159»

(2) لباب الاداب ، تاليف الامير اسامة بن منقذ الكناني الشيزري » ص 188 طبعة المطبعة الرحمانية »

(3) شرح قصيدة ابن عبدون « ص 19 » .



للأستاذ : صاحب الإمضاء

ورد علي عددالتقويم الثاني ــ اعني تقويم اللسانين ــ وانا مريض فقراته باستمتاع وانتفاع ، ولو كنت معافى لزاد استمتاعي وانتفاعي فبارك الله تعالى الاستاذ الجليل العالم النبيل تقي الدين الهلالي ومد فى عمره ، وانا راج منه أن لا يتسخط ما ذكرته له فى هذه المجلة المباركة فهو العالم بأن غاية النقد والتعقيب خدمة لغة العرب الكريمة : لغة التنزيل الكريم ، التي نأمل لها من التقدم ــ كما يقول الناس ــ والترقي والاتساع وطول الباع . و « التطور » ما لكبريات اللغات فى العالمين ، التي كانت بالاضافة (1) الى العربية فى عصورها الزاهرة من صغرياتها .

ولم اتذكر شيئا يستحق التعقيب مما ذكره العالم الجليل الهلالي فى تقويمه الثاني سوى احتجاجه للفيروزآبادي مؤلف القاموس فىذكره «انقراض اليونان» فى قاموسه ، ونقض قوله ــ اعني قول صاحب القاموس ــ : « واليونانيون جيل انقرضوا » بأن الاتراك العثمانيين فتحوا بلادهم فعدهم منقرضين ، او كما قال الهلالي ــ حفظه الله ــ فذلك الاحتجاج غير صحيح لان الاتراك العثمانيين لم يعبروا البحر عبرة الفتح لما يسمونه « روم ايلي » وما يليه من بلاد العرب واليونان الا بعد سنة 856هـ = 1452م. وفى سنة 857هـ = 1452م فتح السلطان محمد بن مراد العثمانية قسطنطينية ، المعروفة باستانبول . مع أن مؤلف القاموس ــ رحمة الله عليه ــ توفي بزبيد ليلة العشرين من شوال سنة 817هـ اي سنة 1414 الميلادية . فوفاته وقعت قبل عبور العثمانيين بأربعين سنة . فلذلك يستحيل ان تكون اشارة الفيروزآبادي الى انقراض اليونانيين مرادا بهاما ذكره الهلالي الجليل، ولا ازيد على ذلك شيئا سوى أن اليونانيين كانوا فى عصر مؤلف القاموس منبثين فى سواحل آسية الغربية وسواحل اوربة الشرقية الجنوبية ، الا انهم ما كانوا يسمون بهذا الاسم « اليونانيين » عند التسمية العامة المصطلح عليها فى الدول الاسلامية والدول النصرانية ولذلك ظنهم منقرضين .

ثم ورد علي الجزء السادس والجزء السابع المزدوجان من « دعوة الحق » ــ جعلها الله تعالى منارا للمسلمين فى العالمين ومرشدة لطلاب العلم واليقين . وفيهما القسم الثالث من « تقويم اللسان » وفيه كما هو معهود فوائد بارعة واستطرادات ممتعة كما فيه ما يستحق المفاوضة ، فأول ما انتقده العالم الجليل الهلالي على الكتاب قولهم « يمكن أن يجيء فى اية لحظة » وما اشبهه من تأنيثهم « ايا » واورد قول

---

1) يغلط ناس من الكتاب المترجمين فى استعمال « بالاضافة الى كذا » ويأتون بها بمعنى « زيادة على كذا » والصحيح أنها بمعنى « بالنسبة الى كذا » فأدنى مراتب الصحة أن يقال «مضافا الى كذا» «وباضافته الى كذا » وقد حدثت فى مقالتي غلطات مطبعية منها « وقد اعرب ... ما » والاصل « عما » ومنها « للثمار الى غير ذلك » والاصل « وغير ذلك » ومنها « وان اشاعت » والاصل « وان شاعت » من الثلاثي .

فأرجو من الدكتور الهلالي أن يكون واسع الصدر لتقبل الاصطلاحات كما هو واسع العلم وان يتساهل على الكتاب في كل ما يحتمل التجوز والاتساع والحذف والايصال، والاستعارة ولاسيما الاستعارة القديمة الاستعمال كاعتناق الدين الذي قدمت الكلام عليه في هذه المقالة ، وله — أيده الله — أن يتشدد عليهم في استعمالهم ما يحدث الايهام والابهام وقلب المعاني وسوء التعبير ، وما يشعر باساءة النقل والترجمة من اللغات الاعجمية ، ونحن الذين نعني باللغة العربية ونقدها — انا وهو والآخرون — معرضون ابدا للغفلة والزلة والوهم فيما نكتب فضلا عما نتكلم به ، ولكن في مسطورات الكتاب من الغلط ما لا يمكننا السكوت عليه ، وهذا هو الذي حدا الدكتور الهلالي على نشر هذه الفرائد اللغوية . فمن يتشدد بغلط الناس عليه . فهذا المقال الثالث للاستاذ الدكتور ورد فيه — ص 27 — قوله « فقسموا الجهل الى قسمين » فمن من الفصحاء القدامى من عدى « قسم » ثلاثيا و « قسم » مضعفا بحرف الجر « الى » ؟ انه من تعابير النحاة وأشباههم ، وهم على تثبيتهم قواعد النحو — رحمهم الله تعالى — من أكثر العلماء تجوزا وميلا الى ركة التعبير . فالمألوف في كلام الفصحاء « قسموا الجهل قسمين » بغير حرف جر وادنى مراتب الصحة « قسموه على قسمين » الا ترى ان صبيان المدارس يقول بعضهم لبعض « قسم عشرين على خمسة » ؟

وهو يقول أيضا في الصفحة — 28 — « وقد ارتقى الكتاب من ذلك الى خطأ آخر » فكيف الانحطاط الى الخطأ الآخر ارتقاءا ؟ . ويقول في الصفحة نفسها « فيقولون كتاب مبسط يعني انه ألف بلغة سهلة غير معقدة » فالام والى من ؟ اسند الفعل « يعني » ؟ فهم كتاب والظاهر أن المراد « يعنون » يقصدون ، ولكن الكاتب لكثرة استعمال « يعني » على هذه الصورة من الاسناد يغفل عن توجيه الاسناد سهوا لا جهلا، فالجملة تكتب احيانا كتابة لا شعورية — كما يقول القوم اليوم — ويقول في الصفحة — 29 — « لا ليدينوا بالاسلام بل ليتمكنوا من الفصاحة » وهذا من تعابير المتكلمين أعني أصحاب علم الكلام ، وهو مقلوب وأصله « ليتمكنوا من الفصاحة لا ليدينوا بالاسلام » فلا يجوز تقديم العاطف النافي « لا » قبل ايراد ما يعطف عليه، ولكن هذا من تعابير المتكلمين كما ذكرت وهو من التعابير الشائعة عندهم لا عند الفصحاء .

ويقول في الصفحة — 29 — : « ومن لا يعرف القرآن لا يمكن ان يعرف اللغة العربية معرفة تمكنه من ناصيتها » . اراد « لا يمكنه » وبهذا الحذف جعل موضع الامكان وموقعه مجهولين ، وذلك غير فصيح ولا مليح ، ثم انه شبه اللغة العربية بالعدو الذي يناصي ، قال تعالى : « لنسفعا بالناصية » فالسفع بالناصية والاخذ بها والتمكن منها تدل على العداء والكراهية والقهر والاذلال . ولا نريدها للغة العربية العزيزة . فهذه الكناية البغيضة الى محبي العربية وان لم يرد حقيقتها الاستاذ الدكتور الهلالي ، وانما اراد التبحر فيها وبلوغ اطوارها والاعمال بالنيات .

ويقول « ومجلة الضياء ثمانية مجلدات » بتذكير « المجلدة » والمعروف عند الفصحاء القدماء التأنيث ، جاء في بعض الكتب في قول بعضهم « مجلدة حمراء مربعة (1) » وأنثها العماد الاصفهاني الكاتب الشاعر(2) وقال ياقوت الحموي : « وهو مجلدة ضخمة تحتوي على عشرين كراسة (3) » والادلة والشواهد كثيرة الا أن الدكتور الهلالي جارى كتاب العصر في تذكير هذا المسمى ولذلك رجوت منه أن لا يقسو عليهم .

ويقول في مقالته — ص 2 — ويسيء الى ادب اللغة العربية بل والى اللغة نفسها » هكذا بالمعاقبة بين حرفي العطف « بل » والواو . ولا يجوز الجمع بينهما عند الفصحاء كما لا يجوز الجمع بين الواو والفاء، ولكن ناسا من المتأخرين غير الفصحاء استعملوا هذا التركيب . والاستاذ الدكتور الهلالي — حفظه الله — يدعو الى استعمال الفصيح . فلا حق له في استعماله.

هنا أقف القلم عاجزا فاني مريض أكاد أكون حرضا او من الهالكين ، وارجو من القراء أن يبسطوا عذري . في نشر مثل هذا المبحث الذي لا يخلو من جفاف واعتذر الى الاستاذ الدكتور الهلالي من كل ما يرى فيه تقصيرا في مجادلتي اياه فغايتنا واحدة هي خدمة العربية كما ذكرت في صدر المبحث والله تعالى الموفق للانجاح والافلاح .

العراق : قارىء

---

(1) كتاب أخبار الحلاج « ص 7 » .
(2) خريدة القصر « ج 1 ص 48 قسم العراق »
(3) معجم الادباء : « 2 : 56 طبعة مرغليوث الاولى »

تعالى : انا اعطيناك الكوثر . ولكن لكل سيف نبوة ولكل جواد كبوة والكمال لله .»

فأقول : ان ابن منظور – رحمة الله عليه – كان ناقلا ، فلا يؤاخذ بقول غيره . ثم ان تعدية أعطى على النحو الذي نقله ليس بخطأ عامي ، كما ذكر الهلالي الجليل ، ولا بخطأ خاصي وانما هو صحيح غير فصيح ، ويعرف بالرجوع الى الاصل . فالاصل « عطا فلان الى الشيء يعطو اليه عطوا » قال الشاعر وهو الشاهد النحوي المشهور « كأن ظبية تعطو الى وارق السلم (1)» ثم قيل «عطاه يعطوه» ثم قيل فى التعدية الثانية «اعطاه شيئا يعطيه اياه» ، والاصل « اعطاه الى الشيء » على ما ذكرت آنفا ، ثم احلت اللام محل « الى » قياسا » فقيل « أعطاه للشيء » فخيف الالتباس ونقلوا اللام الى غير صاحبها فقيل « أعطاه له » كما جاء فى منقول صاحب لسان العرب ، وشاهده قول الشاعر من شعر العصر الاموي :

احجاج لا تعط العصاة مناهم

ولا الله يعطي للعصاة مناها (2)

وقد استعمل الشاعر الوجهين ، اما المتأخرون فقد استعملوه كثيرا لما نقرا فى وفيات ابن خلكان(3) وغيرها، كانتقاء ابن الخشاب البغدادي لمقامات الحريري (4) ، وشرح البسامة المقدم ذكره (5) ، والمنتظم لابي الفرج ابن الجوزي فى قول بعض الشعراء « بعشر الذي أعطيته لابن حيوس » .

واستعمال اللام مع مفعول اعطى الثاني اهون من استعمال الاستاذ الهلالي الجليل اللامكان الباء فى قوله: « ولم يصرح قط باللفظ المخصص لهذا الحدث (6) » . فان الفصحاء قالوا « خصصت الشيء بكذا تخصيصا فهو مخصص به » لا مخصص له ، وغير الفصحاء كابن بطوطة الرحالةالكبير يستعملون ذلككقوله : «وتخصيصه يوم الجمعة للمساكين (7) » ومذهب الهلالي العالم الجليل الدعوة الى استعمال الفصيح .

وتطرق العالم الفاضل الى تخطئة من يستعمل « نكران الذات » بمعنى الايثار الصحيح المليح . ثم قال : « وضد الايثار هو الاستئثار ويسميه جهال الكتاب « أنانية » نسبة فاسدة ، الى لفظ أنا وهو ايضا من الترجمة الفاسدة ...» واختيار الاستاذ وصف « جهال الكتاب » لا يوائم مقامه وهديه ، فالانانية اصبحت من المصطلحات العربية العامة التي لا ينبغي وصف مستعملها بالجاهل ، فقد شاعت فى العالم الاسلامي قبل عصر « ابن كمال باشا » وذكرها هو فى رسالته النقدية المشهورة . وليست نسبتها فاسدة بعد أن صارت اصطلاحا ولا مشاحة فى الاصطلاح بعد شيوعه . ألم يقل هو فى مقالته هذه : وهذا التعبير ايضا من استعمار لغة الاجانب (8) فالاستعمار كلمة رحمانية قرآنية « واستعمركم فيها » ولكن الاستاذ الهلالي جارى أهل العصر فى استعمالهااللمكروه. فزيادة النون فى « الانانية » كزيادتها فى « الرهبانية » بفتح الراء نسبة الى الراهب . وزيادة النون فى الكلم العربية من مستحبات العرب ولاسيما المنسوب اليه منها ، كالبراني والجواني والشعراني واللحياني ، والمنظراني والروحاني والنفساني ، والمصادر كالشكران والكفران والعرفان والجولان والغليان والغثيان والغشيان ، فللنون فائدة موسيقية بارعة ولذلك اتخذت تنوينا ، بل اضافة العرب اياها الى الصفات كالرحمان والعطشان. وحديث النون طويل .

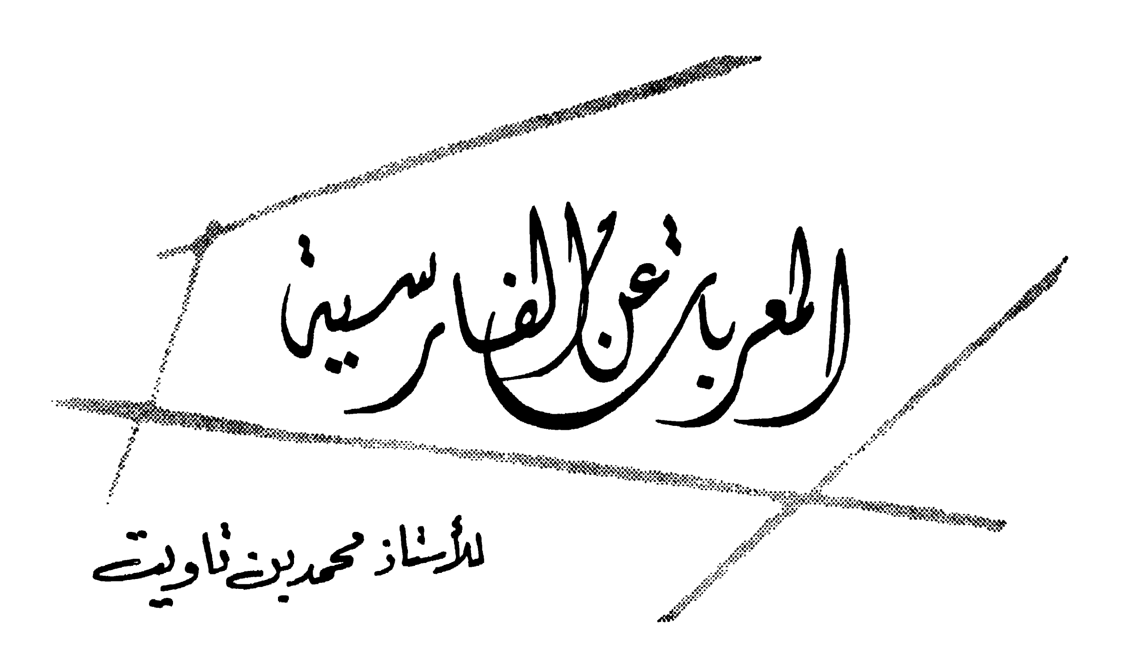
---

(1) الكامل فى الادب للمبرد « ج 1 ص 58 طبعة الدلجموني »
(2) مصارع العشاق « ص 201 » وكتاب الاغاني « ج 16 ص 26 » .
(3) الوفيات ج 2 ص 114 طبعة طهران .
(4) ص 10
(5) شرح القصيدة المذكورة « ص 12 » .
(6) دعوة الحق ، فى المقالة نفسها « ص 20 » .
(7) رحلة ابن بطوطة « ج 18 طبعة مصر » .
(8) ص 27 من المجلة .

للاحياء والاموات ، فزنة كفتة عربية ، فهي فعلة للمفعول ، كالشربة والمضغة واللقمة . وقالت الفارسية انا صاحبة الكفته ، فهي اسم مفعول من كفتن ، او كوفتن ، والتاريخ يشهد لي بأني صاحبة الكوفنه او الكفته ، كما اني صاحبة الكباب الذي تسمونه الطباهجة كذلك . وانا صاحبة الطباهجة ايضا . وهل دار بخلد احدنا ، ان كلمة « رصيد » المستعملة فى المصارف غير عربية ؟ نعم انها معربة عن الايطالية التي سبقتها بنوكها Residus وسالني استاذي فى الانجليزية ، بكلية آداب القاهرة — وانا طالب بها — المستر Astbury عن معنى كلمة « تطوان » ، فقلت له انها تطاوين ، فيكون معناها بالانجليزية مدينة الشاي Tea town وحاول اللغويون لكلمة الثور اشتقاقا عربيا ، مع انها يونانية الاصل. وقال بعض مؤرخي العصر الاسماعيلي ان حرطاني، اصلها حرتاني ، والتمست لكلمة شريف الانجليزية Sheriff اصلا عربيا مع أنه Scirgerefa فى الانجليزية القديمة السكسونية . وربما ياتي زمان يأتي فيه مدع أن كلمة قهرمان عربية ، لما فيها من الغلبة والقهر ، كما قال الفرس فى عدة كلمات حاولوا اخضاعها للغتهم . وقد يقول عربي عن اخلاص او تعصب ان كلمة Gaseosa الاسبانية عربية ، فهي فازوزة ، بمعنى القارورة . مع انها ماخوذة من الفاز ، فهي في اصلها من فقه اللغة نفس الكلمة الانجليزية Gaseous التي اشتقت كما اشتق غيرها من اليونانية Chaos . وفهمنا لاول ما سمعنا الحياة (البوهيمية) انها البهيمية . وتعرض معنى (الخلاق) الى معنى (الاخلاق) عندهم . وغير هذه الامثلة التي تفوق المئات ، مما يتعرض للخداع اللغوي المجرد الذي لا نتحمل مسؤوليته ، او الذي يشوبه التعصب او الجهل او التملق . فيجب أن نحتاط من هذا كله وغير هذا كله ، بتلك اليقظة وذلك الوعي المدرك للظروف والملابسات ، زيادة على العلم الراسخ ...

2 — قد يقال ان الكلمة معربة من الفارسية ، وتكون هذه غير اصيلة فى فارسيتها ، بل يكون اصلها هنديا أو يونانيا ، ثم تفرست فيما بعد ، اذن فالعبرة هذه ان يكون العرب اخذوها وقد تفرست ، يعني اخذوها عن الفارسية فعربوها ، كما حصل فى كلمة ... ومثل كلمة القصر — فى البناء — فهي لاتينية ، عربت واخذتها الاسبانية Alcazar التي اخذها الاسبان فالفرس ، فاعتبرت فى لغتهم عربية ، مع فارسية الاصل . ولعل من هذا كلمة اقليد ، التي تعتبر معربة من كليد الفارسية ، مع ان هذه فى اصلها يونانية ، وكلمة ابريز وطاجن وكافور وكيمياء وكورة ، فجميع هذه يونانية الاصل وكلمة سكر وباذنجان الهنديتي الاصل ، وكشكول الآرامية الاصل . وهناك اخرى نتوقف فيها ، مثل رزق التي يقال انها ماخوذة من الفارسية ، روزك ، وهي فى الآرامية روزيكا ، بالكاف الفارسية فيهما .

3 — فى النظر الى كون الكلمة معربة ، لا بد أن نلتمس قرابة المعاني بين الكلمات المعربة وبين اصولها، ان لم يمكن التماس المعاني نفسها فى نفس الاصول ، وهذا يبدو واضحا للناس ، وان شذ منهم من يعتمد على اجراس الكلمة ، لاول ما يعتمد ، ومن هذا كلمة طرة الكتاب ، فالطرة فى العربية الاولى معروفة بمعنى الهيأة الحسنة والجمال وحاشية الشيء عموما ، وقال الليث الطرة طرة الثوب ، وهي شبه علمين يخاطان بجانبي البرد على حاشيته ، وقال الجوهري الطرة كفة الثوب ، وهي جانبه الذي لاهدب له ، والطرة من الشعر ، سميت بذلك لانها مقطوعة من جملته ، لان الطر من معانيه القطع والقص ومنه طر شاربه اي قصه والطرة الناصية ، الى غير ذلك من المعاني المذكورة في معاجم اللغة الاولى . اما الطرة التي نعنيها ، فهي معرب طفره ، واصلها علامة تذيل بها المناشير ، كما فى معجم الشيخ رشيد عطية . ولعل استعمال الطرة فى المعنى المقصود بطرة الكتاب ، كان من المغاربة ففي أساس البلاغة هذه العبارة « وسمعت المغاربة الدرر على الطرر ، وهي حواشي الكتب » . وهذا الاستعمال وان كان قريبا مما نعنيه الا انه لا يدلنا على انه عربي النشأة ، فكثيرا ما يحتال اصحاب اللغة على أن يقاربوا بين المحدث وبين القديم ، فالسينما ارادوا ان يسموها « سيما » ، والجنرال أراد بعض الاساتيذ الكبار من المصريين او اقترح أن نسميه « الجرار » . ومن المتأخرين من أراد أن يجعل « الاهواز » عربية فهي الاحواز . كما قال السابقون فى « آبادان » انها ء بادان ، نسبة الى عباد ، وخرجوا من ذلك بنتيجة عجيبة ، وهي ان من علامة النسب فى العربية الالف والنون ، وبهذا تكون عبادان عبادي. وكانعوامنا يسمونالتلغراف طير ابقار (بنطق القاف كافا فارسية) . وسمعت من بعض نسائنا من يقول فلان فى المقعد (اي المعهد) . والمناسبة في هذا كله معقولة ، وان جاءت قضاء وقدرا وبدون قصد للتعريب فى بعضها . وفي الشرق قالوا لمجفف المشمش المعروف ، قمر الدين ، وفى السودان (ينطقون هذه القاف كافا فارسية كذلك) مع انه



اذكر اني تناولت هذا الموضوع بما نشر على صفحات هذه المجلة أواخر سنة 1959 أو أوائل سنة 1960 . وذكرت لذلك شواهد من الشعر الجاهلي . وها أنا اعود الى نفس الموضوع بتناول اشمل وبمعرفة اوسع ، وان كنت فى الواقع لا أجهل أن التعرض للمعربات يقتضي من صحبه ، ولا اقول صاحبه ، تضلعا فى عشرات اللغات واللهجات القديمة ، ساميها وحاميها على السواء ، الى جانب التضلع فى تاريخ تلك اللغات واللهجات كذلك . وهذا لا يقوى عليه الا الجماعات الممتازة في علمها ، الدائبة فى عملها ، وهو ما كانت تقوم به ، وما زالت تقوم ، المجامع اللغوية في البلاد العربية .

ولهذا فلا ندعي لما نقوله فى هذه المعربات كلمته النهائية ، وكل ما نقوله اننا عكفنا على هذا الدرس واننا بما لدينا من معلومات ضئيلة او غير ضئيلة استطعنا ، فى قرارة أنفسنا ، ان نصل الى هذه النتائج التي استرحنا اليها ، ولو الى حين ...

وقبل ان ناتي بمعرباتنا عن الفارسية ، لابد ان ننبه الى اشياء تعترض الباحث أو المهتم بالموضوع :

1 ـ مسألة الاشتقاق نركن اليها ركونا متيقظا واعيا مدركا للظروف والملابسات غير متمحك ولا متعصب ، والا فان الباحث يحيد عن مهمته . مثلا نجد كلمة خنجر ، تتجاذبها العربية والفارسية ، فالعربية تعرف الخجر ، فى شدة الاكل والجبن والنتن وصوت الماء والوسع في الاماء والحباب ، وتعرف الخنجرة والخنجر (بالفتح) والخنجور (بالضم) في غزارة اللبن من الابل ، كما قال الاصمعي . وقال الليث تلميذ الخليل الخنجرة من الحديد والخنجر بفتح اوله وكسره السكين .

هذا ما في المادة ، ولا يعرف منها فعل ولا غيره من المشتقات ، كما تنتفي القرابة اللغوية فيما بينها ، ولهذا لا نجد لها ذكرا فى معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس مثلا . فهل يعني الليث أن الكلمة عربية في اصلها ؟ هذا ما لا يمكن البت فيه ... وتاتي الفارسية ، فتقول ان الكلمة مركبة من خون ، دم ، وكر (بالكاف الفارسية) للدلالة على محدث الشيء ، فيكون هنا مسيلا (للدم) فهي من أدوات الفاعلية ، المعروفة في الصرف الفارسي ، مثل هنكر ، وزركر ، وتوانكر ، أو اسم آلة ، فأصلها خنجر (بالجيم الفارسية) . وهو سكين له حدان ، كما يقول شمس الدين سامي في معجمه التركي . وهذا النوع كان معروفا عند الفرس وبه طعن عمر رضي الله عنه ، وهو القائل : المرء مقتول بما قتل به ، ان سيفا فسيف ، وان خنجرا فخنجر . أما كونا احدى بنيته توافق بناء الآلة فى العربية ، فلا يدل على كونها فى الاصالة منها ، كما لا يدل استعمال عمر لها على ذلك . سمعت استاذنا حفظه الله ، سيدي العباس بناني ، يقول ان « الكفتة » عربية مستدلا على ذلك ، بقوله تعالى : « الم نجعل الارض كفاتا أحياء وامواتا » ، لما فيها من جمع وضم ، كما هو لهذه الارض الجامعة

لسرعة نفوذهم فى فهم الامور ووقوفهم على الجلي والخفي منها ، وجمعهم لما شذ وتفرق ، ثم نقل الى مكان جلوسهم لتلك الاعمال ... » الى ان قال : « واول من وضع الديوان فى الدولة الاسلامية عمر ... وقيل بل اشار عليه به الهرمزان لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان ... »

والآن ننتقل الى أمثلة المعربات من الفارسية ، مرتبينها على حرف المعجم :

* * *

الآجر . معرب بالكاف عن الفارسية . وفيه لغات آجر بالتشديد والتخفيف ، وآجور . قال سيبويه فى الكتاب « الفوه بعاقول » ، وله زنات أخرى .

الأزاد ، معرب آزاد ، وهو ضرب من التمر . وقد جاء عنهم فى الشعر :

يغرس فيه الزاد والاعرافا
والنابجي مسدفا اسدافا

قال ابن دريد فى الجمهرة ، الزاد يعني الازاد ، ولا شك فى ان ازد فارسي بمعنى الحر فى الاصل) .

آشوب . معرب عن آشوب الفارسية ، قال سيبويه ومثل ذلك تغييرهم الحركة التي فى زور بفتح فسكون ، وآشوب . فيقولون زور ، بضم الاول واشوب . وهو فى جمعة الاشائب الاخلاط من الناس ، قال الاخنس بن شريق :

فوارسها من تغلب ابنة وائل
حماة كماة ليس فيهم اشائب

وقال النابغة الذبياني :

وثقت له بالنصر اذ قيل قد غزت
كتائب من غسان غير اشائب

وقالوا انه جمع اشابة . وعلى كل حال فآشوب ، معرب اشوب ، كما نص عليه سيبويه فى الكتاب ، ثم الجواليقي فى المعرب .

ابريسم ، وهو الحرير ، معرب آبرشيم ، قال ذو الرمة :

كأنما اعتمت ذرى الاجبال
بالقز والابريسم الهلهال

ابريق ، معرب عن آبره ، وهو فى اصله الفقهي، طريق الماء ، او صب الماء على هينة ، فيكون مركبا من اسم ومادة اصلية من رهيدن او رهادن ـ ره ، قال عدي بن زيد العبادي :

ودعا بالصبوح يوما فجاءت
قينة في يمينها ابريق

وقيل هو ابريه ، فى الاصل .

ابزار ، معرب افزار أو أوزار

الأترج ، معرب أترنج او ترنج .

اجاص ، معرب انجاص .

الاخوان ، او الخوان ، بضم أوله وكسره ، معرب خوان ، بفتح أوله مفخما ودون ذكر الواو ، قال الشاعر :

كثير الى جنب الخوان ابتراكه

اخور . معرب آخور ، وهو مأوى الدواب .

الأرندج . وهو الجلد الاسود كما قال صاحب القاموس ، أو الذي يدبغ بالعفص حتى يسود ، ويقال له اليرندج كذلك ، وهو معرب رنده الفارسي ، قال الاعشى :

عليه ديابوذ تسربل تحته
ارندج اسكاف يخالط عظلما

الأسيد . وهو ذكر البراذين ، معرب اسب ، بزيادة الذال ، عربه طرفة ، فى قوله يخاطب عبد القيس:

خذوا حذركم اهل المشقر والصفا
عبيد اسبذ والفرص يجزى من القرض

الاسبانخ ، معرب اسفانخ . وهو بقل يشبه السلق . بسلق ورقه ويوكل .

الاسبيداج او اسفيداج ، وهو الرصاص الابيض، معرب سفيدانك ، وهذا فى اصله مركب من سفيد الفارسية ، وآنك العبرانية

الاستاذ ، معرب استاذ ، وهو فى اصله الماهر فى اي شيء ، ففي كتاب حبب السير ، المؤلف بالفارسية فى القرن السابع ، يذكر ماهرا فى الرمي بالمنجنيق ، بالوصف ، استاد ، استادن ـ است ، بمعنى الوقوف والقيام على الشيء

الاستار ، بمعنى الاربعة ، معرب جهار ، قال جرير :

ان الفرزدق والبعيث وامه
وابا الفرزدق شر ما استار

الاستبرق. معرب استبره، وهو الديباج الغليظ، ويقال ان اصله استفوه ، والواقع ان الحروف الثلاثة حلت محل V فى الاصل .

الاسطوانة ، معرب استون . بمعنى الدعامة والقوائم .

سمي باسم المدينة التي يعمل بها ، وهي امسردين . وسمى الانجليز الخضر غيلان Gay land . ولم يرحب آباؤنا الطيبون بلفافة التبغ التي سماها لهم الاسبان باسم Cigarro فسموه هم « كارو » (بالكاف الفارسية) ، واستنكفوا من ان يحلوه بهذه « السيادة » . كان هذا منهم تلقائيا وقد عربوا تعريبهم هم ، كما عرب السابقون « ثغره » ، فقالوا طرة في الكتاب بعد ما كانت طغره في المناشير ، وكانت تمد فيقال لها طراء ؛ ونسب اليها الطغرائي المعروف . قيل ان ابن ميادة سمع بالكمثرى فقال : مالهم قاتلهم الله ، يقولون الاكم اثرى ؟ ليست والله باثرى ولا كرامة . لانه فهمها اكم ، مرتفعات + اثرى ، من الثراء.

4 — لا بد ان يكون المعرب جادا في تعريبه ، ويشتهر له هذا التعريب ، بأن يستعمله غيره ، أما ان كان هازلا في هذا الاستعمال فلا ، ومثال ذلك ان الشاعر العدوي اراد ان يضحك ، فقال :

انا العربي الباك

يريد « باك » ، بالباء الفارسية ، ومعناها الطاهر والخالص ، ومنه الباكستان المعروفة لنا الآن . ذكر الجواليقى عن ابن دريد عن ابي حاتم السجستاني ان رؤبة بن العجاج والفصحاء ، كالاعشى وغيره ، ربما استعاروا الكلمة من كلام العجم للقافية ، لتستطرف ، ولكن لا يستعملون المستطرف ولا يصرفونه ، ولا يشتقون منه الافعال ، ولا يرمون بالاصلي ويستعملون المستطرف ، وربما ضحكوا منه ، ونحو هذا «شوكولو» لشاعر عبد الرحمن الناصر ، الذي أراد Suculo الاسبانية ، كما هو في القصة التي اوردها المقري في كتابه النفح .

5 — لا يعتمد على المعاجم الفارسية ، خصوصا الحديثة منها ، في الحكم على كون الكلمة معربة منها ، ولا ان زنتها كذلك تلك الزنة التي عربت منها العربية ، لان العربية هذه غزت الفارسية غزوا ساحقا ، فان الآلاف من الكلمات العربية دخلت الفارسية ، دخول المنتصر المحتل ، بصفة نهائية ، ومائات اخرى تعربت ثم عادت الى الفارسية ، وقد لبست الملابس العربية وتجلت بحللها القشيبة ، فحافظت « على أثوابها الجدد » ولم ترد بها بديلا ، من تلك الاثواب العتيقة . فاستقرت في فارسيتها بطابعها المتعرب ، شأننا انفسنا وقد عدنا الى وطننا فاحتفظنا بملابسنا ، التي ارتديناها، على خلعنا للابسنا التي درجنا عليها ، وارتضينا الجديد علينا ، فكنا هكذا ، سنة الله في خلقه ، ومنه اللغة الكائن الحي ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . ومثله في عاميتنا كلمة خرابي الاسبانية وسيروب الفرنسية وطريفا الاسبانية وطويف الفرنسية وطرنسانة التركية، مع أن الجميع عربي الاصل .

ولهذا فان العائشين الذين يعايشون الفارسية الآن ، ومنهم الفرس انفسهم ، ربما لا يرون فيما يذكر لهم من معربات ما نراه نحن ، او رآه اللغويون قبلنا بنحو الف سنة اويزيد ، مما نقل عن الخليل او سيبويه او الاصمعي والليث والكسائي ثم عن الجاحظ او ابن قتيبة وابي علي الفارسي وابي الفتح بن جني وابى منصور الثعالبي وابي بكر بن دريد وابي ابراهيم الفارابي وابي منصور الهروي وابي الحسين بن فارس وابي نصر الجوهري ، وجل هؤلاء فرس في بيئتهم ولغتهم ، وعمدة في علمهم .

واخيرا ، وكان يجب ان يقدم اولا ، فقد ارادوا ان يفرقوا بين الدخيل والمعرب ، فجعلوا الدخيل مابقي على حاله ، أو شبيه من هذه الحال ، وبذلك يكون ما زال اجنبيا عن العربية ، فهو دخيل فيها ، اما المعرب فقد اتخذ له حلة العربية ولو بقبوله لاداة التعريف ، والحق غالبا بأوزانها المعروفة في العربية وهي اصيلة فيها ، او قدمت قدما مكنها من العروبة . ولهذا نجدهم يلحقون اوزانا طارئة بأوزان أخرى ، غير عربية في الاصل ، ولكنها قدمت فيها ، والامثلة على ذلك كثيرة ، نجدها في كتاب سيبويه ، خصوصا فيما ذكره في « باب ما اعرب من الاعجمية » حيث يذكر ان دينار الحقوه بدبماس وديباج ، وان رستاق الحقوه بقرطاس ، ثم نجد ذلك في الخصائص لابن جني ، خصوصا في باب ان ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » . وقد اقترح — كما قيل لي — على المجمع اللغوي ، ان يستبدلوا بكلمة « جمرك » كلمة « ديوانة » مع ان الاثنتين غير عربي في اصله ، الا ان الديوانة او الديوان اقدم في العربية من الجمرك واشيع حتى في غير البلاد الناطقة بالضاد . ولعله من الطريف ان نذكر ما ذكره ابن خلدون ، في مقدمته ، عن استعمال كلمة الديوان ، وتطورها في الفارسية ، ثم انتقالها الى العربية قال : « ويقال ان اصل هذه التسمية ان كسرى نظر يوما الى كتاب ديوانه وهم يحسبون على انفسهم ، كأنهم يحادثون ، فقال ديوانه ، أي مجانين ، بلغة الفرس ؛ فسمي موضعهم بذلك ، وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقيل ديوان ، ثم نقل هذا الاسم الى كتاب هذه الاعمال المتضمن للقوانين والحسابات ، وقيل انه اسم للشياطين بالفارسية ، ثم سمي الكتاب بذلك

البخت ، فارسية بمعنى الحظ والجمل كذلك ، حينما تضم ، كما فى القاموس ، معرب بخت .

البد ، بمعنى الصنم ، معرب بت .

البذرقة ، بمعنى الخفارة (فى الطريق المخوف) معرب بدراه .

البذج ، وهو ولد الضأن ، معرب بجه بالجيم الفارسية ، قال الراجز :

قد هلكت جارتنا مع الهمج
وان تجع تاكل عتودا او بذج

البربط ، وهي آلة طرب تشبه صدر البط ، والكلمة مؤلفة من بر ، صدر ، وبط .

البرسام ، وهو علة الصدر ، فهو فارسي ، مؤلف من بر ، صدر ، وسام ، علة ، كما هي فى سرسام .

البردج ، معرب برده ، وهو السبي ، قال العجاج : كما رايت فى الملأ البردجا

البرق ، معرب بره ، وهو الحمل .

البرند ، وهو جوهر السيف وماؤه ، معرب برنده ، من بريدن — بر ، فى اصله من فقه اللغة .

البرنامج ، مركب من بر + نامه .

البريد ، معرب بريد ه د م ، وهو فى اصله مستعمل للبغلة المنقطعة للرباط ، ثم الرسول ، ثم المسافة المعروفة الخ .

البزماورد ، ويدعى الزماورد ، وهو طعام من البيض واللحم ، او الرقاق الملفوف باللحم ، او ما يدعى بلقمة القاضي ، ماخوذ بزم + آورد .

البستان ، معرب بوستان ، واصله فى فقه اللغة بو + ستان ، اي حوز الرائحة ، من ستانيدن ستان، قال الاعشى :

يهب الجلة الجراجر كالبستان تحنو لدردق اطفال

البط ، معرب بت ، وهو معروف ، سواء منه عند العرب صغار الاوز وكباره ، كما قال ابن جني.

بغداد ، معرب باغ + داد ، او بغ + دان ، اختلفوا فقالوا ان بغ صنم وداد عطية من دادا — ده ، او من باغ الحديقة ، وفيه لغات ، منها بغدان ، فتكون دان هذه تدل على المكان ، كما هي فى شمع دان ، وميدان، قال الشاعر انشده الكسائي :

ياليلة خرس الدجاج طويلة
ببغدان ما كادت عن الصبح تنجلي

وانما تعرضنا لهذا العلم وتركنا غيره لما فيه من الاشتقاق .

البلاس ، معرب بلاس ، بالباء الفارسية ، وهو السمح الذي يجعل فيه الطعام عند اهل مكة ، والكساء من شعر ، قال الراجز لامراته فى المعنى الاول :

الا يكن شيخك ذا غراس
فهو عظيم الكيس والبلاس

البلور ، معرب بلور بضمتين وتخفيف .

البم ، وهو احد اوتار العود او الوتر الغليظ منها .

البنجكية ، نسبة الى بنج بالتاء الفارسية بمعنى خمسة ، وهو ان يكون خمسة رماه فى موضع يرمون بخمس نشابات .

البند ، وهو العلم الكبير من بندن ، المستعملة قديما فى الفارسية ، وحلت محلها بس — بند ، يربط للقائد ويكون مع كل بند عشرة آلاف رجل ، قال الشاعر:

ملبسة سبائبا وبردا
تحت ظلال راية وبندا

البندق ، معرب فنده .

البنفسج ، معرب بنفشه ، قال مالك بن الريب التميمي :

عجبت لعطار اتانا يسومنا
بجبانة الديرين دهن البنفسج

البنيقة ، معرب بنيكه ، وهي ما يزاد فى نحر القميص لتوسيعه .

البهرج ، معرب نبهره ، وهو الباطل والذي لا نفع فيه ، كما يدل عليه الاصل الفارسي ، قال العجاج:

وكان ما اهتص الجحاف بهرجا

البهرمان ، وهو لون احمر ، ونحوه البهرم ، ويطلق على العصفر ، وهو فى الحمرة دون الارجوان ، والزعفران ، معرب ، بهرام .

البيدق ، معرب بياده ، بالباء الفارسية ، بمعنى راجل ، قال الفرزدق :

الاسكرجة ، بمعنى مقرب الخيل ، معرب سكره، ويقال سكرجق وهو اناء صغير يوكل فيه ، ويوضع فيه الكوامخ ونحوها من المخللات ، وقال انس (ض) « ما أكل نبي الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة ولا خبز له مرقق » .

الاسوار ، معرب سوار ، وهو الفارس فى الاصل، واستعمل للرامي ، جمع على اساور واساورة ، قال الشاعر :

ووتر الاساور القياسا
صغدية تنتزع الانفاسا

وقال الآخر :
اقدم اخانهم على الاساورة
ولا تهالنك رجل نادرة

الاسرب ، معرب سرب ، وهو الرصاص والآنك ، كما فى القاموس المحيط .

الاشنان ، وهو الحرض تغسل به الايدي بعد الاكل كغاسول من النبات .

الاشوب (تودع هنا الكلمة السابقة)

الاصبهبذ ، معرب اسبهبذ ، بمعنى قائد العسكر ، ويقال له الصبهبذ ، قال الجواليقي وهو فى الديلم كالامير فى العرب ، قال جرير :

اذا افتخروا عدوا الصبهبذ منهم
وكسرى وآل الهرمزان وقيصرا

الافريز ، معرب افرازز من افروختن افراز ، بمعنى الارتفاع فى اصله.

الالوة ، وهو العود ، معرب لوه

الانجر ، وهو مرساة السفينة ، معرب لنكره بالكاف الفارسية

الايارج ، معرب اياره ، وهو معجون مسهل يعرف بالدواء الالهي ، كما فى القاموس .

الاندراورد ، سراويل مشمراتبان كما فى القاموس ، قالت ام الدرداء : زارنا سلمان من المدائن الى الشام ماشيا وعليه كساء واندراورد (معرب اندرور ، اي داخلي)

الاهليلج ، وهو ثمر معروف ، كما يقول صاحب القاموس ، معرب اهليله .

الايوان ، بمعنى مشارف الدار ، وهو ايوان الفارسي بمعنى القصر ، ويبدو ان اصله اللغوي كان جمع ايو بمعنى الغرفة فهو الغرف (القصور)

البابونج ، معرب بابونه ، وهي النورة المعروفة بصفرتها المكللة بالبياض .

الباج ، معرب با ، قالوا ان من تكلم به عثمان بن عفان ، ومعنى الباج النوع ، وباها اي الوان الاطعمة .

البادزهر ، مركبا من باد ، ضد ، وزهر ، سم ، وهو اسم لحجر الدجالين .

الباذق ، معرب باده ، وهو نوع من الاشربة والخمور .

البارة ، بمعنى القصعة ، معرب باره ، بالباء الفارسية .

البارجاه ، وهو موضع الاذن عن السلطان ، وقد تكلم به الحجاج ، فقال لجد الاصمعي علي بن اصمع : قد سميتك سعيدا ووليتك البارجاه ، اي جعلتك بواب السلطان ، وهو معرب باركاه ، بالكاف الفارسية بمعنى قصر الملك .

البارياء ، وهي الحصير المنسوج ، معرب بوريا ، وهي البارية والبورية والبارى والبورى ، قال الحجاج : كالخص اذ جلله البارى

الباز ، بمعنى الصقر ، معرب باز .

الباشق ، معرب باشه ، وهو طائر اصغر من العقاب .

الباطية ، وهو اناء واسع الاعلى ضيق الاسفل، وهو الناجود ، كما فى الصحاح ، قال : قربواعد اوباطية فبذا أدركت حاجتيه .

البالة ، وهي الجراب ، معرب باله ، قال ابو ذؤيب :

فأقسم ما ان بالة لطمية
يفوح بباب الفارسيين بابها

البالفاء ، بمعنى الاكارع ، معرب بايه ، بالباء الفارسية .

البالاني ، معرب بالاني ، بالباء الفارسية ، وهو الحمارة كما فى القاموس .

مستقبل اللغة العربية في بلدان المغرب العربي

أو التنمية الاقتصادية

وعلاقتها بازدهار اللغة وانتشارها

للأستاذ محمد محي الدين المشرفي
مدير المركز الوطني للتعريب

هذا الموضوع الذي اخترته لاتحدث فيه ، هذه المرة ، الى قراء مجلة « دعوة الحق » الفراء ، واعني به « مستقبل اللغة العربية فى بلدان المغرب العربي الكبير » كان من الامكان ان يعوض بعنوان آخر يؤدي تماما ما نقصد اليه ، هو « التنمية الاقتصادية وعلاقتها بازدهار اللغة وانتشارها » ، وهو بالضبط موضوع البحث الذي سبق لي ان اعددته فى نطاق ندوة وزارة التربية الوطنية التي انعقدت ، كما تعلمون ، بالجزائر العاصمة منذ بضعة شهور . فأحببت أن اشركك فى هذا العمل الذي كان على ما اعتقد ، مفيدا الى حد بعيد ، حيث كانت الفاية منه هي تحديد الخطوات التي ينبغي ان نجتازها قبل ان تصبح اللغة العربية ، لغتنا القومية ، لغة علم ولغة عمل فى آن واحد .

ويظهر ان هذه الغاية المثلى لا يمكن ان تتحقق حتى نتبين فى شيء من الوضوح العقبات التي تقف اليوم حجر عثرة فى وجه انتشار اللغة العربية الفصيحة ، ونعمل قولا وفعلا على ازالتها من الطريق ، مع الاخذ بعين الاعتبار العوامل المختلفة التي كان لها اثر بليغ في هذه اللغة ايام ازدهار الحضارة الاسلامية ؛ فجعلت منها بطريق مباشرة او غير مباشرة لغة حية طيعة ، تؤدى وظيفتها على احسن وجه مستطاع، لا فى المعاهد التربوية والدواوين الحكومية ، بل كذلك فى المجتمعات العربية الاسلامية على اختلاف طبقاتها وتقدمها فى العلم والمعرفة

فالمسألة اذن تكمن فى البحث عن الوسائل التي تعيد للغة العربية جدتها ونضارتها وتبوئها فى المجتمع مقعدا لائقا كعنصر اساسي فى حياتنا القومية باعتبارنا مغاربة مسلمين . ومن هنا يتبين لنا ان الموضوع الذي نحن بصدده ليس بالسهل ولا باليسير ، نظرا لما له من جوانب متعددة تقتضي من الباحث ان يكون ضاربا بسهم وافر فى فقه اللغة وتاريخ نشأة اللغات وتطورها بصفة عامة كما يتطلب منه ذلك ان يكون ملما بعلم الاجتماع والشؤون الاقتصادية على السواء ؛ وبما ان مخاطبكم هذا بعيد عن ان يحظى بهذه المنزلة الرفيعة من العلم والمعرفة ، فانه سيقتصر على ان يقدم لكم جملة من الملاحظات فى موضوع هذا البحث ، وهي ملاحظات لا تعدو ان تكون نتيجة تجارب واستنتاجات شخصية ، لرجل سبق له ان زاول مهنة التدريس مدة من الزمن قبل ان تناط به مهام ادارية اخرى فى ميدان التربية والتعليم دونها جهود ومشاكل متعددة .

وتمهيدا لما فى نيتي ان اقوله فى هذا البحث الذي يرجع جملة الى مستقبل اللغة العربية فى بلاد المغرب العربي ، ارتأيت ان اتحدث لكم قبل كل شيء عن الوضع اللغوي فى هذه البلاد مع مناقشة هذا الوضع على ضوء ما نتحسسه من تيارات فكرية واختيارات لغوية يعتقد المتمسكون بها ــ هنا وهناك ــ انها كفيلة بحل هذا المشكل اللغوي العويص ؛ ثم سأتطرق بعد ذلك الى ذكر الاسباب التي تدعو الى ضرورة الاعتماد على اللغة العربية وحدها فى الادارة والمؤسسات التعليمية على اختلاف درجاتها ، وتشير ايضا باستخدام العربية في محاربة الامية وتعليم الكبار .

منعتك ميـراث الملـوك وتاجهـم
وانـت لدرعـي بيـذق في البيـاذق

يريد انه ياخذ سلاح الملوك وهـو راجل يعـدو بيـن يديـه .

البيـزار ، معرب بازيـار ، الذي يحمل البـاز ، والاكار ، مثل البازدار ، قال الكميت :

كـأن سـوابقهـا فـي الغبـار
صقـور تعـارض بيـزارهـا

البيمرستان ، مركب من بيمار ، مريض ، واصل اشتقاقه بي ، بدون + مار ، عقل ، فهو احمق ، واطلق على المريض مطلقا ، وستان للمكان واصله الحوز ، من ستانيدن ـ ستان ، وقد اختصرت فصارت مارستان، كما فعل في بهـرج ، معرب نبهـره .

التابـل ، معرب تبـل ، وهو من ابازير الطعام.

الطابـق ، معرب تابـه ، مقـلاة .

التبـان ، معرب تنبان ، وهو السروال القصير.

التجاورة ، معرب تاجور او تاج بر ، قال عدي بن زيـد :

بعـد بنـي تبـع تجـاورة
قـد اطمـأنت بهـا مرازبهـا

التاختج والتخت ، معرب تخت وتخته ، وهو في الاصل اللوح ثم صار يستعمل للعرش والسرير .

التخريص وهو بنيقة الثوب او الدرع ، معـرب تيريز ، كما في القاموس ويقال بالدال ، قال الشاعر :

قوافـي امثـالا يوسعـن جلـده
كما زدت في عرض القميص الرخارصا

التباشير ، معرب تباشير ، اي مثل اللبـن ، والمراد بها بياض الصبح ، كما في العربية تباشير الصبح

التخـم ، واحد تخوم الارض بمعنى حدودها ، قال قيس بن صرمة بن ابي انس الانصاري :

يا بنـي التخـوم لا تظلمـوهـا
ان ظلـم التخـوم ذو عقـال

التـدرج ، وهو الدارج ، معرب تـدور .

الترهات ، فوجدك راه ، بمعنى طريق صغيـرة والمراد بهـا الاباتيـل .

التنور ، معرب نـوور ، وبين هـذا في معجـم « اختري كبيـر » التركي ، بأن عين الكلمة ، وهـي الواو في الفارسية ابدلت تاء وتقدمت فاءهـا ، عنـد تعريبهـا ، (فهي عفور في الوزن) .

التـوت ، معرب تـود ، وهو الفرصاد .

التوتيـاء ، حجر يكتحل به ، معرب توتيـا .

التيـر ، وهو الجذع الذي يوضـع في وسط البيت ويلقى عليه ا طراف الحشب ، معرب ، تيـر .

جـادة الطريق : معرب جاده ، وهي العظيمـة المفتوحـة من الطـرق .

الجاموس ، معرب كاوميش ، (كـاو : بقـرة ، وميـش : نعجـة) .

الجـام ، معرب جام .

الجـربـان ، معرب كريبـان بالكاف الفارسية، وهـو جيب الدرع ، قال جريـر :

اذا قيل هـذا البين راجعت عبـرة
لها بجـربـان البنيقـة واكـف

الجرداب ، معرب كرداب ، بالكاف الفارسيـة ، بمعنى دوامة المـاء ، كرد + اب .

الجردبان ، معرب كرده بان ، بالكاف الفارسية ، اي حافظ الرغيف ، لانه الذي يضع شماله على شيء يكون على الخوان ، كيلا يتناوله غيره ، انشد الفراء :

اذا ما كنـت في قـوم شهـاوى
فـلا تجعـل شمالـك جردبانـا

الجـرذق ، معـرب كرده بالكاف الفارسية ، للخبـز الغليـظ .

الجـرم ، معرب كرم ، بالكاف الفارسية ، وهـو الحـر ، ضـد البـرد .

الجرمـوق ، وهو الخف الصغير يلبس فـوق الخف ، معرب سرموزه .

الجـل ، معرب كل ، بالكاف الفارسية ، وهـو الـورد .

الجلاب ، معرب كلاب ، بالكاف الفارسية كذلك، وهو ماء الورد ، في حديث عائشة « كان اذا اغتسل من الجنابة دعا بشيء كالجلاب » .

(يتبـع)

تطـوان : محمد بن تاويت

ثالثا : وهناك اللغة الفرنسية التي لا تزال حية ترزق ، فى ثلاثة اقطار من بلدان المغرب العربي على الاقل ؛ ذلك ان طائفة كبرى من المواطنين يتحدثون بها ، اما لضعفهم فى اللغة الام او لتفضيلهم اياها على لغتهم الاصلية ، لانهم درجوا عليها منذ الصغر ، او هم يلجأون اليها لانها تتوفر على المصطلحات التي تمكنهم من التعبير عما تطفح به قلوبهم من خواطر واحاسيس ؛ ولا غرابة فى ذلك ، فقد تمكن الفرنسيون من احلالها مكانا مرموقا فى بلادنا ، وفى كثير من البلاد الافريقية الاخرى ، محاولين طمس معالم اللغة العربية من هذه البلاد خاصة ، حتى اصبحت الفرنسية لغة التفاهم ولغة الشؤون العامة ولغة الادارة ولغة الحضارة بوجه عام ، مما يعلل حنين طائفة من ابناء هذا الوطن العربي الى تلك اللغة التي لا نجد فيها عيبا سوى ان اهلها كانوا يعملون ، ما وسعهم العمل، لتركيزها مكان لغتنا الاصلية؛ فضعفت العربية تبعا لذلك بانكماشها على نفسها ، وراحت تعيش على هامش الحياة اليومية ، لاتستفيد الا بقدر قليل مما تحمله الحياة العصرية فى طيها من مفاهيم وتجره معها من مصطلحات تستعمل للتعبير بدقة عن تلك المفاهيم . والى هذا الصراع افضى على ارض بلادنا تلاقي اللغة الاجنبية بلغتنا العربية ؛ فكانت معركة المصير ، مصير لغة اصيلة ، استطاعت ان تقف فى وجه اللسان الدخيل ، فكتب لها البقاء ، وذلك ما عبر عنه احد الفلاسفة بقوله : « عند ما تتلاقى لغتان تحت سقف واحد ، اي على لسان شعب واحد ، لا يبقى هذا التلاقي باردا ، بل تلتحم اللغتان فى معركة حامية الوطيس . وماذا يحصل بعد ذلك ؟ تطفى لغة المستعمر على لغة المستعمر حتى اذا اشتد وعي الامة المستعمرة وانتفضت فى سبيل حريتها ، عادت لغة المستعمر القومية الى سالف مجدها وطردت لغة المستعمر ، والا كانت الغلبة لهذه ، ولا يطول التساوي بين اللغتين الا فى الشعوب الصغيرة ؛ ان امة قوية الساعد لا ترضى الا لغة أم لها . » ومن هنا يظهر خطأ اولئك الذين يريدون الاعتماد ، مرة اخرى على اللغة الاجنبية لتسيير معاهدنا الدراسيةفى انتظار ان تستقيم اللغة العربية على قدميها ، وتصبح من الغنى فىالمفردات والمصطلحات العلمية ، ما يجعلها قادرة على استيعاب المفاهيم التي حملتها الينا الحضارة العصرية ؛ ولم يفطنوا الى انه عند ما تتم الغلبة للغة الشعب الذي كان مستعمرا ، فان لغة المستعمر تضعف شيئا فشيئا ويتقلص ظلها ، بتقلص الجاليات التي كانت تتكلم لغة الحاكمين ؛ لو فرضنا انه فى الامكان اقرار اللغة الفرنسية من جديد لغة للتخاطب والتدريس وما تتطلبه الحياة العامة من حركة ونشاط ، لاضطررنا الى احداث محيط اجنبي ، المفروض فى اعضائه ان يتكلموا تلك اللغة ، وذلك المحيط او ما يسميه بعضهم بالمناخ اللغويهو الذي يدعم عادة اللغة السائدة ويعمل على نشرها وازدهارها؛ اذن لو سلمنا جدلا بذلك لكنا ـ معاذ الله ـ كالذي يسعى فى فرنسة اجيال هذا المغرب العربي مرة اخرى فرنسة لا تتم الا باستقدام جاليات اجنبية لمدة يعلم الله مداها ومنتهاها .

اما الازدواجية التي يفكر فيها بعضهم ، كحل وسط لمعالجة مشاكلنا اللغوية ، فقد تصح بالنسبة لشعب صغير او ضعيف وفى نطاق محدود كما وقع ذلك بالنسبة الينا فى عهود الاستعمار الماضية . يضاف الى ذلك « ان الابحاث النفسية واللغوية دلت كلها على ان الولد الذي يزاول اكثر من لغته القومية ، وهو دون العاشرة ، تضعف طاقته الاستيعابية ؛ فتتفرفط قواه ، ولا يعود قادرا على حصرها . ذلك انه يتأرجح بين لغتين ؛ ولغة الام كما اسلفنا لا تقبل ضرة تحت سقف بيتها ـ واحدة يتكلمها بصورة تلقائية ، وواحدة يتكلمها بجهد فى اللسان والفكر مما يضيع عليه وقتا كبيرا ، ويجعله يتذبذب بينهما ... وهكذا يتوزع الولد بين امتين ، بين تاريخين ، بين عبقريتين . اذ لكل لسان عبقرية خاصة . »

يستنتج مما تقدم انه اذا كنا نريد لشعوبنا الالتحاق بركب الدول المتقدمة ماديا ، والاسهام بنصيبها هي الاخرى فى عملية الخلق والابتكار ، فلابد من ان نقر اللغة العربية الفصيحة كاداة ثقافة وادب وعمل ، فى المدرسة والادارة والمجتمع؛ ذلك ان اللغة تنمو بالممارسة والاستعمال ، واللغويون يعلمون حق العلم « ان اللغة بنت الالزام ، لا تتطور الا بتطويرنا اياها ، فاذا كنا لا نزج بانفسنا فى مثل هذه الحاجة ، كي نشعر بضرورة البحث عن الكلمات لا نرى كيف نستطيع ان نزود اللغة العربية بمصطلحات نحن بأمس الحاجة اليها . على ان المصطلحات العلمية لا تكون وحدها بنيان اللغة العربية ؛ هي جزء بسيط من هيكلها الضخم ، ومن هنا ياتي خطأ اولئك الذين يقولون بوجوب استخدام اللغة الفرنسية فى التعليم والادارة ما دامت لغتنا فقيرة الى تلك المصطلحات ؛ فالذي يغني اللغة بصورة عامة ، ليست هي المصطلحات وحدها بل المفاهيم الحضارية التي وضعت من اجلها تلك المصطلحات ، وهي مفاهيم لا تنشأ وتتفرع الا عن مجتمع يعج بالحياة النشيطة الخلاقة . فالمفروض فى الذين يعملون داخل هذا المجتمع الحي انهم يكتسبون بحكم النشاط الذي يزاولونه ، وعن

واستقصاء لهذا البحث ، سأجدني مضطرا الى اثارة فكرة عزيزة علي ، هي التي تقول بان تطور البلاد من الوجهة الاقتصادية والصناعية يؤدي بالضرورة الى خلق عقلية صناعية هي التي تعمل عادة على تطوير اللغة ، بعد تطعيمها بما تحتاج اليه من مصطلحات علمية وتراكيب فنية تجعلها قادرة على مسايرة الحضارة العصرية ، ثم اختتم حديثي هذا بالكلام عن الوسائل الفنية المختلفة التي من شأنها ان تعين اللغة العربية على القيام بوظيفتها خير قيام كأداة عمل فى مجتمع متطور صاعد ، شأنها فى ذلك شأن اللغات الاجنبية الاخرى .

* * *

اذا عدنا الى الواقع اللغوي الذي نعيشه اليوم ، بعد ما سلخت بلاد المغرب العربي الكبير ، عدة اعوام من حياتها فى الاستقلال ، نلاحظ ان كل بلد من هذه البلدان يتحمل بصفة عامة اعباء لغات ثلاث :

اولا : اللغة العربية الفصحى التي نستخدمها فى حياتنا الدينية واليومية ، كما نستعملها اداة لتبليغ بعض المواد الدراسية كالفقه والتوحيد والجغرافية والتاريخ ، ولكنها ليست فى الوقت الحاضر من المرونة والفنى بحيث نستطيع الاعتماد عليها فى تلقين المواد العلمية والتكنولوجية على الخصوص ؛ ولعل هذا هو السبب الذي جعل شبابنا يرمونها بالعقم ، ويرون انها ليست قادرة على مسايرة الحضارة العصرية ، ومما لا شك فيه ان الامة الراقية لا تكون لغتها راقية فى ناحية دون ناحية ، لا تكون لغتها راقية جزئية كأن تكون ــ وهو الواقع الذي نحياه فى مدارسنا ومعاهدنا بالمغرب العربي ــ لغة الادب والشعر والدين ، ولا تكون لغة باقي العلوم ؛ وقد عبر عن هذه الحقيقة بكل دقة وضبط الاستاذ كمال الحاج ، احد علماء اللغة العربية الكبار في هذا العصر ، فقال : « اللغة التي لا تعبر الا عن بعض احوال الامة كأن تكون لغة القلب ، ولا تكون لغة العقل هي لغة عوراء تظل عرضة للزوال » . ومن ثم نفهم لماذا كانت الشعوب الحاكمة تسارع دائما الى فرض لغتها على الشعوب المحكومة ، ولا تسمح لها بتدريس المواد العلمية خاصة بلغتها الاصلية ، لانها وسيلة لبعث الشعور فيها ، والتحقق بوجودها فى الحياة ، الا ان يكون ذلك بواسطة لغة الحاكم ، ؛ وتلك طريقة ترمي بوضوح الى اضعاف روح الامة والقضاء على عفافها القومي ، لذلك نرى الشعب الكامل ــ ولنا اسوة حسنة فى الامم المستعمرة ــ يحرص على الا تمارس طبقاته عدة لغات مختلفة .

ثانيا : ونجد بازاء هذه اللغة الفصيحة ، على سوء حظها ، لهجة تدعى باللغة العامية ؛ والمعروف ان العامية تولدت عن اللغة الفصيحة ، وواكبتها منذ ان انتقلت اللغة الفصحى مع العرب الفاتحين الى اقطار اخرى حيث استقرت تبعا لاستيلاء الفاتحين عليها ؛ وبهذا المعنى يتضح لنا ان اللغة العامية نتيجة اتصال العرب بغيرهم من الاقوام ، والاتصال حاصل بالطبع فى كل عصر ؛ واللهجة العامية دليل على ان الناس ، عند ما لا يستطيعون تحمل ضوابط نحوية ثقيلة كالتي حملتها الينا اللغة الفصيحة يتحررون منها نسبيا ؛ ومن تم تنشأ اللغة العامية التي يعتمدون عليها كلغة تخاطب ومعاملات . وليس من عار من ان توجد لغة عربية عامية بازاء لغة عربية فصيحة ما دام الاتصال حاصلا ، على كل حال ، بين اللغات فى كل عصر ، وما دمنا نعلم ان العملية التي تتولد بمقتضاها هذه العامية عن الفصحى ترجع فى الواقع الى ثنائية العقل والحس الذي يتميز به الانسان ، او الى قدرة هذا الاخير على التجريد ، بعدما يتمكن من الاخذ باسباب الحضارة والتقدم ؛ تلك الثنائية بين الحس والعقل هي التي يتحدث عنها الفيلسوف اللغوي كمال الحاج بقوله ، فى مكان ازدواجية اللغة ، فيقول : « الثنائية بين العقل والحس ، نقصد بين الوجدان المنطقي والوجدان العاطفي ، هي عينها التي نجدها فى اللغة بين العامية والفصحى . ثم ان الازدواجية فى اللغة ليست وقفا على العربية وحدها ، اذ فى كل لغة لسان عامي ولسان فصيح ، بل الازدواجية دليل من دلائل التحضر الانساني ، والهمج وحدهم لا يزاولون الازدواجية فى لغتهم ؛ ذلك ان الشعب الذي تكون له نظرات ما ورائية ودواوين علمية يفرض على لغته المكتوبة (المنطقية) المتفجرة عن العقل ان تختلف عن لغته المحكية (الذاتية) النابضة من القلب . والشعوب الضاربة فى المدينة تسمو بالتجريد ، وهذا يتطلب ... سعة شق بين العقل والحس ؛ هذه الشعوب لا تكتب كما تحكي ولا تحكي كما تكتب .

ونظرا لانتشار اللغة العامية وسهولتها بالنسبة للعامية ، فإنه يبدو لبعضهم ان اللغة الفصحى مرادفة للتعقد ، اذا قورنت باللغة العامية المتداولة بين الناس ؛ ومن ثم يتقدمون باقتراح غريب غايته التخلص من الفصحى رجاء تيسير اللغة العربية ؛ ولم يعلموا ــ سامحهم الله ــ انهم لو نبذوا اللغة الفصحى او استبدلوها بالعامية لنشأت عامية جديدة تختلف عن العامية الاولى التي تبوات مقعد الفصحى . فهم اذن يخلطون ما بين الحذف والتيسير ، لذلك لا يمكن لارائهم الباطلة ان تسترعي انتباهنا .

البلاد حتى نجعل من العربية لغة التعليم فى جميع مراحله . اجل ، ان الوضع الطبيعي للتعليم فى كل مكان هو ان لا يكون الا بلغة الامة ، اذ فى ذلك تركيز لاستقلالها وتجسيم لشخصيتها بحيث هو الذي يجعلها محررة من كل تبعية للغير؛ يضاف الى ذلك ان تعريب التعليم العالي قبل غيره بمواده الادبية والعلمية والتكنولوجية على الخصوص واجب ؛ وضروري ان يسبق تعريب التعليم الثانوي والابتدائي . التعريب فى بلادنا لكي لا تتعرض معاهدنا الى نوع من التدهور والاضطراب يجب ان يشرع فيه من اعلى وينحدر بالدرج حسب مخطط واضح الى اسفل؛ فان اضطررنا الى تدريس المواد العلمية والتقنية بالفرنسية او باية لغة اجنبية اخرى ، وجب الا يتعدى هذا النظام مدة محدودة من الزمن ، واثناء ذلك يمهد لتدريس تلك المواد بالعربية ، وكلما تخرج فوج من طلبة التعليم العالي طولبوا بتبليغ ما اكتسبوه من علوم عن طريق اللغة الاجنبية بواسطة العربية اثناء ممارستهم لعملية التدريس فى المعاهد الثانوية ؛ وهكذا يكون تعريب التعليم الثانوي تصاعديا لصعوبة المواد ، فنبدأ مثلا بتعريب الفلسفة والتاريخ والجغرافية ، ثم ننتقل الى تعريب العلوم الطبيعية ومنها الى الكمياء ، والفيزياء والرياضيات وهي آخر المطاف . وهكذا لا يمضي وقت طويل حتى تتعرب المدارس الثانوية ، حسب مخطط عمودي بالنسبة لمواد الدراسة ؛ وبما ان المدارس الثانوية تعتبر بالنسبة للبلاد النامية كلها مصدرا للاطر المتوسطة عموما ولمعلمي المدارس الابتدائية على الخصوص، فمن الجائز ان نقول ، والحالة هذه ، ان كل متخرج منها برسم التدريس يكون بحكم تكوينه العربي قادرا على تبليغ المواد المقررة فى المرحلة الابتدائية بلغة عربية صحيحة ، وبالتالي يمكن القول كذلك ان كل تلميذ استطاع الانتقال الى مدرسة ثانوية يمكن اعتباره تلميذا معربا فى طريق اتمام دراسته الثانوية والعالية . وهكذا تتم حلقة التعريب بصورة لا يتسرب اليها شك او ارتياب فيما يرجع للمستوى الذي يتعين المحافظة عليه بكل وسيلة ممكنة .

وكما ان التعليم لازم بالنسبة للصغار والاحداث لانه ينمي فيهم المهارات ويزودهم بالاسلحة الضرورية التي تمكنهم من ان يصنعوا حياتهم ، فكذلك الامر بالنسبة للكبار ؛ وقد يكون هؤلاء من القدرة على الانتاج بحيث يخيل اليهم انهم فى غنى عن التعلم ، لكن الخبرة تفيدنا ان الامي يكتسب دائما بعض المهارة فى العمل عن طريق التعلم حتى لو لم يكن على جانب كبير من الذكاء والبصر بالامور . ولذلك عدت محاربة الامية عملية ضرورية بالنسبة للشعوب المتخلفة ؛ فهي لا تتوفر على الكبار فقط تنمية ثقافتهم الخاصة بل تعمل على رفع مستواهم المعاشي وتعطي معنى فى اعينهم للحياة . يضاف الى ذلك ان تركيز شبكة متعددة الحلقات لتعليم الكبار في كل من بلدان المغرب العربي معناه ايضا ارساء محيط عربي اللغة والمزاج ــ وهو ما سميناه بالمناخ اللغوي ــ من شأنه ان ينزل اللغة الى الشارع ، ويعين على نشر العربية فى كل جهة من الجهات .

* * *

يقول بعض اللغويين ان اللغة رهينة بالاوضاع السياسية ، فمتى كانت الامة عظيمة متحدة زاد الاقبال على لغتها وآدابها ؛ فالمشكلة الاولى ، فى نظرهم ، هي مشكلة سياسية ؛ ويضرب على ذلك مثلا بان اللغة العربية انتصرت على اللغة الفارسية لان الله كتب الغلبة للمسلمين ، بعدما خضعت الدولة الفارسية لسلطتهم ؛ وهذه نظرية لا تعبر ، فى الواقع ، الا عن جانب من الحقيقة ؛ اذ لو كان الامر كذلك ، بمعنى ان السياسة هي كل شيء فيما يخص انتشار اللغة وازدهارها لاستطاعت حكومات المغرب العربي اليوم ان تركز لغتها فى كل مكان ، بعدما اجلت عن اراضيها الحاكمين الاجانب ؛ ولكن القضية ليست سياسية ، بل لها علاقة وثيقة بالنمو الاقتصادي ، وتقدم المجتمع الذي يعتمد هذه اللغة او تلك فى حياته اليومية ؛ ويرى بعض المتخصصين فى علمي الاجتماع والاقتصاد ان التطور الاقتصادي فى بلد ما ، له علاقة مباشرة بالتطور الاجتماعي والفكري فى ذلك البلد ؛ فهناك نمو وتقدم من الوجهة الاقتصادية والمادية كلما ازدهرت الحياة الفكرية . كما يلاحظ ايضا ان تقدم الجماعات من الناحية الفكرية والعقلية فى احدى الجهات ، تعبير فى الواقع عن تطور ملحوظ فى احوالها من الوجهة الاقتصادية والعمرانية .

والذين يعودون الى التاريخ ، يلتمسون منه الاسباب التي دعت الى انتشار اللغة العربية ، فى الاقطار التي بسط المسلمون عليها نفوذهم ، يلاحظون ان هذا الانتشار كان دائما متمشيا جنبا الى جنب مع التطور الاقتصادي فى تلك البلاد ، بحيث كلما ازدهرت الحياة الاقتصادية فيها ، واكبها ايضا تقدم ثقافي وبالعكس ، وترتب عن ذلك زيادة فى الدخل الفردي بالنسبة للسكان عموما . لنا دليل على ذلك فى التقدم الاقتصادي الذي كانت تتمتع به بلاد المغرب العربي خلال القرون الوسطى وقبلها، نظرا لما كان يوجد بها من ضروب الحرف والمهن ، كالنجارة والحياكة والخياطة

طريق اللغة التي يتكلمونها طبعا ، جملة من الافكار والمفاهيم المتصلة باعمالهم مهما كانت تلك الاعمال متنوعة معقدة ، والافكار ، كما تعلمون ، تضيق دائما بوعاء العقل الذي يحملها ، فلابد ان تتنفس ، وهكذا تخلق اللغة المعبرة عما يكمن في النفوس ، بما يقتضيه ذلك المجتمع المتقدم من دقة في التعبير ووضوح في التفكير .

وكذلك نستطيع ان نستخلص من تاريخ الامم والشعوب ان هذا التطور ، اعني تطور اللغة ونموها ، مرتبط الى حد بعيد بتقدم هذا البلد او ذاك من الناحية الاقتصادية والصناعية بمعناها الضيق المحدود او الشامل ، واقبال الشعوب على المساهمة مساهمة فعالة في مختلف الاعمال العمرانية التي تعتبر سببا رئيسيا في تقدم تلك البلاد ، تقدما بواها ، فيما بعد ، مكانا مرموقا في ميدان التصنيع والتكنيك .

* * *

لكن قبل ان اتعرض في شيء من الاسهاب للحديث عن العوامل الاقتصادية والنفسية التي اومأت اليها آنفا ، والتي كانت بالفعل سببا في تطوير اللغات عموما واللغة العربية بوجه خاص ، ايام ازدهار الحضارة الاسلامية ، يجب ان اثبت في هذا المكان ان قضية استعمال اللغة العربية في الادارة والمعاهد التعليمية على اختلاف مستوياتها ، وتسخيرها كأداة للتخاطب في المجتمع المغربي من أقصاه الى أقصاه ، لا يتطلب اكثر من الايمان بمستقبل هذه اللغة ، كما انه لا يقتضي اكثر من اتخاذ طائفة من التدابير الادارية والفنية التي قد تعيد الى العربية اعتبارها ، وتمكن الشعوب المغربية على الاقل من ان تتعرب عقليا .

وغني عن البيان ان الوسائل متوفرة لتعريب الادارة ، فذلك لا يتطلب اكثر من استعمال جملة من المصطلحات ، وتوجد كلها في المعاجم والموسوعات المتعددة التي تتوفر عليها المكاتب والادارات ، فان كان هناك من الموظفين والمستخدمين من لا يحسن استعمال اللغة العربية، فما عليه الا ان يشمر عن ساق الجد،ويعمل على اكتساب ذلك الحد الادنى من المفردات والقواعد الذي يمكنه من الاعتماد على اللغة العربية شيئا فشيئا ، اثناء القيام بعمله اليومي . ولقد عرف العرب الفاتحون ، بعد اختلاطهم بالحضارة اليونانية والفارسية ، كيف يمدون لغتهم ، عن طريق الاقتباس والتعريب ، بما تحتاج اليه من كلمات واسماء لمسميات كانت جديدة بالنسبة اليهم ؛ فأخذوا عن حضارة اليونان ، وهي حضارة جبارة كثيرا من المفردات ، فقالوا على سبيل المثال : الاناليطيقا (التحليل Analytique) والديالقطيقي (الجدل Dialectique) ، والطوبيقي (الموضوع Topique) ، والسوفيسطيقي (المغالطة Sophisme) ، وارتماطيقي (الحساب Arithmétique) وارمانوطيقا (التناغم Harmonie) ، والميتافيزيقيا (ما بعد الطبيعة Métaphysique) الى غير ذلك من الالفاظ والكلمات التي مكنتهم من استيعاب حضارة لا قبل لهم بها ، واستثمارها كاحسن ما يكون الاستثمار وليس غريبا ان يقتبس العرب من غيرهم ، بل الغريب ان نظل مكتوفي الايدي امام لغة اجنبية كالفرنسية والاسبانية والايطالية ، من الممكن ان نستفيد منها عن الطريقة التي سنها لنا العرب منذ عدة قرون ؛ وهؤلاء الاوربيون انفسهم الذين بهرتنا حضارتهم الم يقدموا عند احتكاكهم بحضارة العرب على الاخذ بما كان ينقصهم من تراكيب ومفردات ؟ بلى ، لقد عرفوا هم الاخرين كيف يشتقون من العربية كلمات والفاظا دخلت في صلب اللغة الفرنسية بلا استئذان ، اذكر منها على سبيل الاشارة فحسب كلمة Algèbre (من الجبر) و Abricot (من البرقوق) و Alcool (من الكحول) و Amiral (امير البحر) و Arsenal (دار الصناعة) و Charabia (من عربية) و Carafe (من غراف) و Camphre (من كافور) و Divan (من ديوان) و Zéro (من صفر) و Chiffon (من شف) و Girafe من زرافة) و Jupe (من جبة) و Mascarade (من مسخرة) و Macabre (من مقابر) و Minaret و Mesquin و Mosquée و Récif و Sucre وغيرها يدلك على ما للحضارة العربية من اثر عميق في الثقافات الاوربية .

يستخلص من هذا كله ان اولئك العرب الفاتحين الذين لم يحملوا معهم بعد مغادرتهم لجزيرة فقيرة محدودة المواد ، سوى ايمانهم بالله واعتمادهم اللغة العربية في كل ما يرتبط بحياتهم الخاصة والعامة قدموا لنا مثلا حيا في ان التشرب والتلاقح والتزاوج ، وبكلمة واحدة اعطونا الدليل على ان الاخذ والعطاء قانون يسري في جميع الاحوال بين اللغات . فلم لا نتكل على الله ، والحالة ما ذكر ، فنقرر ان العربية ستصبح ابتداء من هذا التاريخ اداة للعمل في سائر مرافق الادارة المغربية ؟ الا ان قرارا كهذا مع ما فيه من قدرة على تحويل لمعنوية شعوبنا ، وحملها على الايمان بصلاحية اللغة العربية لا يكفي لتصحيح الاوضاع اللغوية في هذه

تخضع كما يخضع غيرها من الوان النشاط الانساني الى عوامل الزمان والتطور والحاجة . فعند ما تتقدم الصناعة والزراعة وتنتشر التعاونيات ، ويزدهر العلم والثقافة والتربية ، بالاعتماد على اللغة العربية فى التعليم والادارة معا ، اذ ذاك يرتفع مستوى المواطنين ماديا ومعنويا ، وتتضاعف حتما قدرة اللغة على التعبير ؛ فيزكو محصولها من الالفاظ والمعاني؛ واذ ذاك ـ اذ ذاك فقط ـ يكون فى مستطاع القطاعات الخلاقة التي يؤلفها الصناع والمزارعون والفنيون وارباب الحرف والصنائع والمهن على اختلافها وتنوعها ان تمد اللغة بامدادات من اسماء الآلات والادوات وحركاتها ، وبكل الالفاظ المعبرة عن الحضارة والعلم والآداب والفنون ووسائلها وقدراتها. هذا مع العلم ان اقحام اللغة فى مجتمع مصنع لا يكفي لانمائها ، بل نعتقد ان تطوير اللغة لا يتم بحسب ما سبقت الاشارة اليه الا اذا شمر المحترفون على سواعدهم ، وحملوا انفسهم على المساهمة فى المجهود الصناعي بصورة تدفعهم الى الخلق والابتكار ؛ فلا سبيل الى ان ننكر مثلا ان الضمير المهني الذي طبع نشاط العامل الاوربي هو الذي كان سببا فى التقدم الباهر الذي حققته الدول الاوربية فى جميع مجالات الحياة ابتداء من عصر نهضتها . والتاريخ يعلمنا ان الذين يقبلون على اعمالهم بكامل الرغبة والشوق ممن وهبهم الله هذا الضمير الحي المتيقظ ، هم الذين يهتدون من حين لحين الى اختراعات قد تنتقل ثمرتها الى كافة شعوب الارض ؛ وهذا ما اهتدى اليه بالفعل ذلك العامل المستنير المسمى دوني بابان، (Denis Papin) حينما لفت نظره غطاء القدر ، وهو يتحرك فى علو وهبوط ، نتيجة تصاعد قوة البخار ؛ نعم ، قد يكون الحادث المذكور بسيطا فى حد ذاته بالنسبة للبعض ، ولكنه على اي حال كان نقطة انطلاق ابتدأ منها تطور العالم باسره تطورا مدهشا . نحن لا ننكر ان مئات الآلاف من الاشخاص من الذين درجوا على وجه الارض مثل «دوني بابان» ، سبق لهم بالتأكيد ان شاهدوا ذلك الحادث البسيط ، المتصل بغطاء القدر المتحرك بسبب قوة البخار ؛ ولكن من المؤكد ايضا انه لم يتفطن واحد منهم من قبل الى استغلال تلك الظاهرة الطبيعية حتى [illegible] القرن السابع عشر ، فكان ذلك من حظ عامل بسيط ، له ضمير متوقد ، وارادة تستطيع ان تهز الجبال .

نستفيد من هذا ان الواجب المقدس يفرض على المحترفين منا وخاصة اولئك الذين يعملون فى القطاعات الصناعية ان يتقنوا اعمالهم كلها ، مستغلين كل وسيلة لرفع من انتاجهم ، مستخدمين اللغة العربية للدلالة على ما يستعملونه من ادوات ، او يقومون به من حركات تتصل بالاعمال التي يزاولونها يوميا ؛ وبذلك يستطيعون تطوير هذه اللغة كما سبق ان فعل اجدادنا فى البلدان التي فتحوها حيث كانت اللغة العربية ايام ازدهار الحضارة الاسلامية لغة طيعة ، وكانت لغة علم وصناعة وعمل ، شأن ما هي عليه اليوم فى بعض البلاد العربية المتقدمة كسوريا مثلا ، التي اصبحت فيها اللغة العربية تؤدي رسالتها بنجاح فى المعاهد العلمية على اختلاف درجاتها وفى غيرها من القطاعات الحيوية الاخرى .

* * *

هذه العقلية الصناعية التي هي خليقة بأن تدفع التقدم الصناعي الى الامام ، وتحقق بالتالي تطوير البلاد من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية لا تكفي مع ذلك لتركيز اللغة فى البلاد ، ولو تكاثفت على ذلك جهود من يعمل بالمدرسة والادارة ، حتى تصحبها جملة من التدابير اللغوية والفنية ، هي تدابير خليقة بأن تساعد على احياء هذه اللغة والعمل على ازدهارها ؛ من ذلك ايجاد المصطلحات وتبسيط النحو العربي ، وتسهيل الحروف المطبعية ، ووضع الكتب المدرسية الصالحة ، واعداد المعلم الكفء مع اعادة النظر فى المناهج الدراسية وسلوك طريقة جديدة فى تعليم اللغة العربية ، مستمدة من دراسة موضوعية لسكولوجية الطفل المغربي . هذا وابادر الى القول بأن ذلك كله لا يمكن ان يتم الا في اطار مصلحة خاصة مهمتها مواصلة البحث فى قضية اللغة العربية واعداد العدة لتحقيق عملية التعريب فى بلاد المغرب العربي على اوسع نطاق .

عند هذا الحد من الحديث يخيل الي انه يجدر بنا ان نتوقف قليلا ، فنتعرض لقضية المصطلحات فى شيء من التفصيل ، حتى لا يظن انه يكفي لحشد الكتب والمعاجم ، وما اكثرها ، بشتى المفردات والتراكيب العلمية والفنية لتصبح اللغة العربية حية قائمة الذات ؛ ذلك ان عددا لا بأس به ممن يهتمون بقضايا اللغة العربية فى هذه البلاد ، يعتقدون ان فقر اللغة العربية وعدم تمكنها من مسايرة حركة التقدم العمراني فى الوقت الحاضر ـ هذا بالنسبة لسكان المغرب العربي على الاقل ـ يرجعان الى افتقار العربية للمفردات الصالحة للتعبير عن مفاهيم الحضارة العربية ؛ وهذا قول مردود ، لا يعتمد على اساس صحيح ، اذ لو كان الامر كذلك ، لكفى المتكلمين بالعربية وجود هذه المعاجم والكتب التي ملئت بشتى المفردات والتراكيب ، ليستطيعوا التعبير عن كل ما يروج فى خواطرهم من افكار ومفاهيم ، تتصل بهذا المجتمع الحي المتطور الذي نحياه او الذي نعيش

والبناء والوراقة والتوليد والغناء والطب الى ما هنالك من الصنائع ، التي عرفناها عند ابن خلدون بصنائع بسيطة وصنائع مركبة ؛ وكان الناس فى دائرة تلك الحياة البسيطة يعبرون عن مدركاتهم المحدودة بكلمات واسماء دقيقة واضحة ؛ وليس من شك فى ان ازدهار الصناعات المحلية فى ذلك العصر كما نتصورها من بعيد ، فى مدينة القيروان وتلمسان وفاس مثلا كان يواكبه ازدهار مماثل فى الثقافة بالنسبة لافراد المجتمع بوجه عام ؛ فلما تدهورت الحالة الاقتصادية فى تلك المدن على الخصوص لاسباب لا سبيل الى ذكرها فى هذا المقام لحق الحياة الفكرية نوع التحجر والركود .

هذا ويلاحظ من جهة اخرى ان الدول التي سبقتنا بمراحل فى طريق النمو والازدهار الاقتصادي ، كروسيا والولايات المتحدة الامريكية وانكلترا وفرنسا تتمتع هي ايضا بازدهار فى حياتها الاجتماعية والفكرية ؛ والذي يدعو الى الانتباه هو ان اثر هذا التطور لم ينحصر في الحياة المادية بالنسبة لتلك الدول ، بل انتقل مفعوله الى اللغات التي تتحدث بها ؛ فاصبحت لكل دولة من هذه الدول لغة طيعة مرنة استطاعت ان تستوعب مفاهيم الحضارة العصرية بدون عناء ؛ فكان اللغة ـ والحالة هذه ـ ثمرة بيولوجية لما يجري عادة فى سائر المجتمعات التي طرات على حياتها تحولات عميقة كانت فى الواقع قاعدة لانطلاق تلك المجتمعات فى طريق التقدم والرقي ، لا فرق فى ذلك بين تقدمها فى الوجهة المادية او الفكرية ؛ ومعنى ذلك ان هذا التطور المادي او الاقتصادي ، يتمشى مع التطور الفكري واللغوي جنبا الى جنب ، بمعنى ان اللغة ـ وهي وعاء كل حركة فكرية بالطبع ـ تكون متقدمة راقية متى ما كان المجتمع الذي ينتسب اليها راقيا متقدما ، والحياة الاقتصادية فى نمو مستمر بالنسبة لذلك المجتمع ، كما انها تكون متأخرة فقيرة كلما تقهقر الوسط الاجتماعي الذي هو مبعث تلك اللغة ، او كان مجتمعا فقيرا محدود المواد بصفة عامة .

واذا كان الامر كذلك فيتعين على المسؤولين في البلاد النامية عموما ، وفى بلاد المغرب العربي على الخصوص ، ان يعطوا الاسبقية لكل ما من شانه ان يشجع على تحقيق نهضة اقتصادية ، تدفع بعجلة التطور فى هذه البلاد الى الامام ؛ وذلك بتركيز وحدات صناعية فى كل مكان ، لان الصناعة من شأنها ان تدر على صاحبها ربحا يفوق ما يستخلصه الفلاح عادة من مزاولة زراعة الارض ؛ وهناك فائدة اخرى تجنيها البلاد من ازدهار الصناعات فيها ، هي ازدياد دخل المشتغلين بها ، وفى ذلك نمو اجتماعي شامل بالنسبة للافراد والجماعات ، فضلا عن ان توفر الارباح المتولدة عن تصنيع البلاد يعتبر فى آخر الامر ، وسيلة فى يد الحكومات تتمكن بها من الحصول على الآلات العصرية الضرورية لتطوير الفلاحة نفسها ، تطويرا يزداد معه دخل الفلاحين انفسهم ؛ وفى ذلك كله تقدم محسوس من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية .

ولعل هذا ما حمل الاستاذ كاهان (Cahen) في حديث له عن الاسباب التي اخرت المجتمع الاسلامي على القول : ان التطور الاقتصادي بالنسبة للجماعات شيء ضروري لا بد منه ، اذا كنا نسعى حقيقة الى نشر الثقافة فى المجتمع كنتيجة طبيعية حتمية ؛ ومن ثم ينتقل الاستاذ كاهان الى الكلام عن آفة اجتماعية اصيب بها المسلمون ، فكانت من اكبر العوائق التي حالت دون تقدم البلاد الاسلامية وتطورها مع الزمان ، تلك هي انقسام المجتمع الاسلامي الى طبقتين : طبقة الاغنياء الذين بيدهم كل شيء ، وطبقة الفقراء التي تعاني ما تعاني من الفقر والحرمان ؛ ويعتقد الاستاذ كاهان ان نظاما كهذا سائر لا محالة الى الفشل ، لانه يحرم المجتمع المتخلف من مشاركة طائفة كبرى من المواطنين فى عملية التنمية الاقتصادية التي يجب ان تبقى هدفنا الاسمى ؛ هذا النظام لا يساعد على ارتفاع الدخل القومي ، كما انه يؤدي بالطبع الى تعطيل الحركة الفكرية بصفة عامة فى البلاد ؛ لهذا يرى السيد كاهان ورفقاؤه ممن كان لهم نصيب فى بحث هذا الموضوع ان تركيز نظام ديمقراطي فى البلاد المتخلفة يحمل فى طيه بذور النمو والتقدم الاقتصادي والاجتماعي على حد سواء .

هذا ويرى بعضهم بناء على الملاحظات السابقة ان تركيز الصناعات فى البلاد العربية والبلاد المتخلفة بوجه عام لا يساعد فقط على بعث نهضة اقتصادية فيها تكون بمثابة نقطة انطلاق وتحرر من كل تبعية ، بل هي فى نفس الوقت خير وسيلة لتنمية لغة الوطن ، واغنائها بما هي فى حاجة اليه من مفردات ومصطلحات فنية وعلمية خليقة بان تجعل هذه اللغة وسيلة فعالة للتعبير عن مفاهيم الحضارة التي اصبحت من مميزات اللغات الاوربية الحية .

ذلك ان اقحام اللغة العربية فى المعمل والمصنع والورش والشارع ، وحمل العمال والصناع والمزارعين على استخدامها يتيح لها طبعا فرصة التكيف والنمو ، طبقا لمتطلبات الحياة الاجتماعية باعتبار ان اللغة ظاهرة اجتماعية وثمرة بيولوجية لحياة الفرد ـ كما اسلفت ـ

اولا : ان نبشر على اوسع نطاق بضرورة الترجمة لان هذه الطريقة تضع بين ايـدي النـاس طائفـة من الالفاظ تتفاعل فيما بينها على محك الذوق السليـم الجماعي ؛ فاما ان تقبل او ترفض ، ثم تدخل المجامـع بعـد ذلـك .

ثانيا : ان نعطي دروس العلوم والفنون والصناعة باللغـة العربيـة فى المدارس والمعاهـد والجامعـات ، واستعمال اللغة العربية فى التعليم كاستعمالها فى المعاهد والاوراش والمصانع ينزلها منزلة الحاجـة والضرورة ، فنعمل اذ ذاك على ايجاد المصطلحات ونضعها بين ايدي الناس ليقولوا فيها قولهم الفصل .

ثالثا : ان نبشر على اوسع نطاق بالرجـوع الـى صاحب العمل المختص لناخذ عنه المصطلحات العائـدة الى هذا العمل ذاته ؛ ومن احـق من الحداد بوضـع المصطلحات الخاصـة به ؟ ومن احـق من الطبيـب او المحامي او المعلم او التاجر بوضع المصطلحات الخاصـة بكل واحد منهم ؟ ان الذي لا يعيش العمل لا يكون قادرا على وضع المصطلحات الخاصة .

وبهذا تصبـح المجامـع قادرة على ان تنـزل الى الشارع . وتقتحم المعمل والمصنع والحقـل والتقـاط الكلمات العربية الجديدة وكانها حصلت على بطاقة جواز تخولها حق الاستقرار فى الكتب والاذهان واقتحام الحياة الاجتماعية بدون استئذان » .

هذا ومن طريق استكمال النقص الذي تعانيـه اللغة العربية جمع المصطلحات الخاصة بالتعليم الابتدائي فى معجم صغير مصور ، تشترك فى وضعه بلدان المغرب العربي الاربعة ، ليكون بمثابة رصيد لغوي اساسـي بالنسبة لعموم التلاميذ ، وهذا ما شرعنا منذ شهور فى تحقيقه ، من خصائصـه ان تتوفر فيـه الدقة ويسـر الاستعمال كان يرتب ترتيبا الفبائيا كما هو الحـال في المعاجم الغربية ؛ وعند وضع هذا المعجم يمكن الاعتماد على الخبراء فى كل حقـل لاختيار الالفـاظ والكلمـات المتداولة ؛ لكن بما ان الاعتماد على الخبراء يتضمن عنصرا شخصيا وهو الذي يحمل الكاتب على استعمال هـذه الكلمة دون اخرى ، وقد تكون صالحة وقـد لا تكـون صالحة لصغار التلاميذ ، فنحن بحاجـة الى مقيـاس تربوي ، وهو مقياس اكثر موضوعية ؛ لنعتمد عليـه بجانب اعتمادنا على راي الخبـراء . وقضيـة اخـرى جديرة بالانتباه فى هذا المضمار هي ان هذا الحد الادنى من المفردات التي يجب ان يتضمنها المعجم الصغيـر ينبغي ان تؤخذ من القرآن الكريم وكتب الحديث واسماء الاعلام فى البلاد الاسلامية والعربية وبلاد المغرب العربي كما يجب ان تشتمل على الفـاظ من الكتـب الادبيـة والمجلات والجرائد ؛ يضاف الى ذلك كلـه كلمـات من العامية التي يمكن الحاقها بالفصحى لعدة اعتبارات ؛ وحينئذ فقط يصبح من الميسور الحصول على قائمـة بالكلمات الاساسية فى اللغة العربية .

هذا القاموس يكون بالطبع له فوائد عديدة ؛ فهو يسهل تعلم اللغة العربية ويمكن من تعليم الطفل والراشد على السواء بالاعتماد على اهم المفردات واكثرها شيوعا ، كما انه يساعد المؤلفين على كتابة كتبهـم مستعمليـن الالفاظ الدالة على مفاهيم الحضارة العصرية ؛ فيستعين بها الاطفال ، بما اشتملت عليه من قدر ادنى فى العلـوم والمعرفة ، على المضي فى الطريق دون ان تعترضهم ايـة صعوبة لغوية ؛ والمعلمون يذكرون بهـذه المناسبـة ان كثيرا من المشاكل الحسابية مثلا يصعب حلها بالنسبة للتلاميذ لا لصعوبتها الفنية فقط ، بل لصعوبة اللغـة التي كتبت بها كذلك ، او قل انهم لا يفهمون المشكلـة بسبب ضعف مستواهم اللغوي . . .

يتبين من هذا كله ان المعجم المدرسي اداة ضرورية لضبط اللغة الاساسية ، وتزويد الصغار بحصيلـة من المفردات تعينهم على متابعة دراستهم بنجاح فى الصفوف الثانويـة . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى يتعين على المتضلعين فى اللغة ان يعيدوا النظر فى النحو العربـي ؛ فهو وان كان يمتاز بالدقة الا انه يحتوي على كثير من الشذوذ فى القواعد ، كما تشتمل كتبه على فصـول في فقه اللغة وقواعد الاشتقاق والعلل النحوية ، الشـيء الذي يجعل دراستها صعبة على المبتدئين ؛ وبالتالـي فهي فصول تعتبر عائقا فى طريق تعميم اللغة العربيـة والاقبال عليها من طرف الصغار ، لذلك اصبح من اللازم دعوة قادة الفكر فى البـلاد العربيـة والمغرب العربـي بالخصوص الى تجديد النحو تجديدا يعيد اليه جدتـه ووضوحه ؛ لكن حذار ان يفهم من هذا العمل الجماعـي الرامي الى اصلاح النحو مجرد اختصـار للقواعـد او حذف ما لا يحتاج اليه صغار المتعلمين ؛ فاللغة العربية ليست من الصعوبة والتعقيـد بحيـث يستحيـل على الاجانب التحدث بها ، وعلى المواطنيـن ادراكهـا بعـد دراستها لمدة معينة ؛ انما يعقدها ما يكتنف تعليمها من غموض وعقم فى المناهج واعوجاج فى الطرق المستعملة فى تدريسها ؛ ولذلك نلاحظ اخطاء عديـدة فى المطبوعـات الرسمية والرسائل والاعلانات التجارية المحررة باللغة العربية وحتى فى الكتابـات الصادرة عن بعض المعاهـد العلمية ؛ ذكر بهذه المناسبة الاستاذ وديع خوري فـي

بازائه . لكن القضية لا تتعلق فى الواقع بكمية هــذه المفردات بقدر ما تتعلق بقدرتنا نحن على استحضــار هذه الكلمات وترويجها فى الوسط الفقير الذي نعيش فيه ، وبكلمة اوضح يمكن القول بأن ما دام المحيط الذي يتقلب فيه الطفل المغربي ــ كالبيت مثلا ــ يشكو فقرا فى الاثاث وادوات ومقومات الحياة المادية التي يزخـر بها عادة بيت الطفل الاوربي الذي ينتسب الى وسـط متحضر راق ، فان هذا الطفل المغربي سيظل فقيــرا كذلك من حيث الالفاظ والكلمات التي تنطق بمعالــم الحياة المادية ، لانه لا يجد الفرصة لاستعمالها فى البيت ولا فى الشارع ؛ ومعلوم ان توفر الادوات التي ترتكــز عليها الحياة البيتية فى مجتمع متقدم دليل قاطــع على تقدم البلاد التي ينتمي اليها ذلك المجتمع من الوجهــة الاقتصادية ؛ فكلما توفرت الاشياء والادوات التــي تشير اليها الكلمات الجديدة اصبحت هذه الكلمات حية رائجة بحكم الضرورة والحاجة الى استعمالها ، وفى ذلك يقول الفيلسوف كمال يوسف الحاج : « هذا الولــد لا يفكر فى الابريق قبل ان يلفظ باسمه دفعة واحدة دون ترو، فتاتي الكلمة هي الاخرى امتدادا طبيعيا للاحساس بالشيء . وهكذا يتضح لنا التساند الــذي يقــوم بين العين والاذن ، لا فاصل بينهما اطلاقا ، واما اذا نطــق بالكلمة فى حالة غياب الشيء الذي تــدل عليه فانهــا لا تتجاوب مع الاحساس فى الغالب ؛ فى هــذا المضمــار لا يحصل اتفاق بين الفكر والعقل ، بل يبقى الذهن بعيدا عن العمل » ، وهكذا تضيع فرصة استعمال الكلمة مع الرياح الاربع .

يبقى علينا ان نقول ان هذه المصطلحات التي يهتم بوضعها عادة ذوو الاختصاص والخبرة فى العلم والتربية، لا يجوز لهؤلاء ان يفرضوها فرضا على الذين يستعملونها، وحتى لو ارادوا ذلك فانهم لا يستطيعون . فالمصطلحات ــ كما تقدم ــ تخلق حية فى بؤرة الحياة العملية ، ومنها تنطلق للدلالة على الآلات والادوات والحركات التي تطبع المجتمعات المتطورة ؛ واما فرضها على الذين يحتاجون اليها بمجرد حشرها فى قاموس او معجم ، فذلــك ما لا يقبله العقل ولا المنطق. وهنا يتعين الاستشهاد بما كتبه فى الموضوع الفيلسوف اللغــوي السابق حيــث يقول : « المصطلحات يضعها من يزاول معانيها ، والا بقيت في حكم الممات ، لان الداعــي اليهــا مفقود . فمتى وجــد الفيلسوف وجدت معه المصطلحات الفلسفية ، ومتــى وجد العالم وجدت معه المصطلحات العلمية ، ومتى وجد الاقتصادي وجدت معه المصطلحــات الاقتصاديــة » ، ومن اجل ذلك تقرر فيما سبق من القول ان تركيــز وحدات صناعية فى البلاد يمهد السبيل لنمو اللغة بخلق المفردات التي يستعملها الصنــاع عادة اثناء مزاولــة صناعتهم . وفى ذلك يستطرد الاستاذ كمــال الحــاج موضحا الفكرة السابقة بقوله : « العقل اولا ، ثم القول ثانيا ، او اذا شئت ــ وهو الاصح فى اعتقادنا ــ الفعل والقول متعاصران . وهذا يعني ان وضع المصطلحـات قضية تشترك فيها الامــة كلها ، وقــد حصرناها حتى الان فى المجامع اللغوية التي يقف عملها عند حد التفتيش فى صفحات الكتب والرجوع الى القديم ؛ لكن القضيــة أوسع بكثير من التفتيش فى الكتب والتسجيل والاطلاع الكافي فى اللغات الحية . القضية قضية استعمال قبل كل شيء وفوق كل شيء ، والاستعمال هو وحده المعيار الذي تفرض به الحياة عنفوانها الصارم ؛ ان للاستعمال سلطانا قاهرا ، ذلك ان الاستعمال دليل على ان اللفظة قد انبثقت دفعة من عنفوان الحياة، والحياة هي المؤتمنة على الذوق السليم .

جدير بنا ــ طبعا ــ ان ناتمن هيأة موقرة من ذوي الكفاءة والاختصاص على وضع المفردات التي تفتقــر اليها اللغة العربية، لكن لا ننسى ــ كما يقول كمال الحاج فى مكان آخر من كتابه القيم فى فلسفة اللغة : « ان أزمة المصطلحات فى اللغة العربية لا تحلها المجامــع وحدها ؛ بل هي مرتبطة الى حد بعيد بتقدم المجتمع الذي نعيش فيه من الناحية الاقتصادية والفكرية ؛ اللغة تواكب حتما ذلك التقدم كما سبقت الاشارة الى ذلك ، وهي وعــاء لتقدمنا الفكري ، تعلو اذا نما وتنخفــض كلما اعتــراه ضعف او فتور ؛ والسبب فى فشل اللغويين عندنا هــو الاعتقاد الراسخ فى اذهانهم ان وضــع المصطلحات امر لغوي بحت فى حين ان اللغة هــي قضية فلسفيــة » . ويتبسط الفيلسوف اللغوي الشهير فى الحديــث عــن المجامع اللغوية فيقول : « ولعل ان الفــرق الكبيــر بين مجامع اللغة فى البلاد العربية والمجامع اللغوية فى الغرب، يقوم على ان مجامعنا استنتاجية ومجامعهم استقرائية؛ فمجامعنا تفرض على الناس ما تصطلح هي على وضعه، ومجامعهم تثبت فى المعاجم ، ما يدور اولا على السنــة الناس ، فيقره الاستعمال . عملنا هابــط من السمــاء وعملهم صاعد من اعماق الحياة » ؛ ولله دره اذ يقــول متمما باسلوبه الواضح هــذه الصفحــة اللامعة حــول مستقبل اللغة العربية : « والفرق عظيم بين ان نفرض على الناس الفاظا قد تكون محنطة وان يمدنا المجتمع بألفاظ حية كتب لها البقاء . المصطلح لا يخبرك بصور اعتباطية واذا كنا نريد للغتنا الحياة المديدة وان تجار سواها فى ركب المدنية يجب :

طريقة لا نعلم ان هناك من يجادل فى اصالتها وفعاليتها، وباختصار يجب ان نكسب اللغة بطريقة لا شعورية ، على نحو ما يتعلم به الاطفال اللغة العامية ، مطبقين قواعدها بصفة عفوية . على هذه الطريقة يجب ان تلقن العربية وعلى هذا النحو تصبح اداة صافية المشرب صالحة للاستعمال فى كل زمان ومكان .

* * *

تلك هي باختصار الخطوات التي يجدر اتباعها ، بحسب ما نعتقد ، لكي نحافظ على تراثنا العربي الاصيل فى هذا الوعاء اللغوي الممتاز ، واذا كان مستقبل هذه اللغة منوطا بما بذلناه وما زلنا نبذله من جهد لاحيائها واجراء ماء جديد فى شرايينها ، فان معركة المصير المشترك بالنسبة لدول المغرب العربي مربوطة اولا وقبل كل شيء بقدرة هذه الدول على الاندماج فى عملية تصنيع موفق شامل ، وهذا معناه ان مستقبل اللغة العربية فى هذه البلاد منوط الى حد كبير بما تسعر عنه جهود وزراء الاقتصاد الوطني لدول المغرب العربي من اعمال ايجابية ، لا من قرارات تسجل على الورق فحسب ، فمتى استطاعوا تركيز المشروعات الاقتصادية الضخمة التي تتطلب الخبرة العلمية والعمل الفني والكفاءة الاختصاصية بناء على تجهيزات آلية فى كل جهة من جهات هذه البلاد ، ومتى استطاعوا تعبئة العاملين للخروج من التخلف الذي نحن فيه ، وارساء قواعد شبكة اقتصادية وصناعية متكاملة الحلقات ، اطمأنت نفوسنا على مصير اللغة العربية وآمنت انها بالغة ــ ان شاء الله ــ هدفها الاسمى ، وفى ذلك اليوم الاغر ستتمكن اللغة القومية من ان تفرض نفسها فرضا فى كل مكان ، دون ان يخشى عليها من مزاحمة اجنبية او ضغط لغوي غريب ، ان غاية ما يثير العجب فى هذه اللغة ، هو انها برغم عوامل المقاومة والضغط التي تعرضت لها فى الماضي القريب والبعيد ، فانها لم تمت ولن تموت ابدا ، لكنها لن تستطيع متابعة رسالتها في شتى مناحي التفكير والانتاج ، وفاء بحاجات الحياة المتطورة ، حتى نعيد اليها اولا ذلك النفوذ التي كانت تتمتع به ، يوم كان اهلها يحملون مشعل الحضارة والتقدم فى الشرق والغرب .

الرباط : محمد محي الدين المشرفي

مصادر البحث

بالعربية :

1 ــ كمال يوسف الحاج : فلسفة اللغة ، بيروت 1965
2 ــ مجلة التربية الوطنية : عدد خاص باسبوع التعريب 1964 .
3 ــ اللسان العربي : العدد الاول ، يونيو 1964 .
4 ــ اللسان العربي : العدد الثالث ، غشت 1965 .
5 ــ اللسان العربي : العدد الرابع ، غشت 1966 .
6 ــ احمد الاخضر : الطريقة المعيارية للطباعة العربية ، 1962 .
7 ــ اللغة العربية من خلال الصحف والمجلات : معهد الدراسات والابحاث العربية ، الرباط .

بالفرنسية :

8 ــ Classicisme et déclin culturel dans l'Histoire de l'Islam, Ed. Besson et Chantemerle, 1957 - Paris
9 ــ محمد محي الدين المشرفي : Problèmes d'arabisation

مجلة التربية اللبنانية متحدثا عن هذا الضعف المتفشى فى كل مكان ان المرحوم نخلة زريق ، وهو من أبرز معلمي اللغة العربية لما توفى نقشوا على ضريحه العبارة التالية : « هنا يرقد المعلم نخلة زريق ، توفى عن ستون (كذا) عاما . فما ان قراها احد الظرفاء حتى كتب في اسفلها : « اتقوا الله يا قوم فى رجل خدم العربية اربعين عاما ! » .

كل هذا دليل على عقم الطرق المعتمدة لحد الان فى تعليم اللغة العربية وتقريبها من اذهان المتعلمين .

قلت ما قلت لاذكر المهتمين بمصير العربية فى المغرب العربي ، انه جاء الوقت لتعبئة الجهود قصد احلال هذه اللغة مكانها فى المجتمع كأداة للتعبير عن متطلبات الحياة جملة ؛ وليس ذلك معناه اننا بحاجة الى استعمال اللغة التي كانت رائجة فى عصر الزمخشري او سيبويه ، انما نحن بحاجة الى لغة ميسرة مبسطة ، لا هي بالفصحى المعقدة ولا هي بالعامية الدارجة ؛ نحن بحاجة الى لغة حية طيعة ، تكون لغة التخاطب بيننا ولغة التدريس والمناقشة فى مختلف المواضع العلمية والفنية ، دون ما نلجأ فجأة الى العودة للعامية ، او استخدام الفاظ من اللغة الفرنسية ؛ نريد عربية واضحة مستمدة من محيط معرب تعريبا صحيحا ، او كما قال احد الادباء المعاصرين : نريد تعريبا لا لغو فيه ولا تأثيم . ومن اجل ذلك لا يجمل بنا ان نتعصب فى استعمال الفصحى بمناسبة وبغير مناسبة ، فنجلب على انفسنا سخرية الناس ؛ لان الفصحى مهما اشتدت رغبتنا الى استعمالها الا انها لا تزال مستعملة فى نطاق ضيق ؛ وعندما نريد ان نستخدمها دون ان نمهد للاسباب الداعية الى انتشارها كثيرا ما تكون سببا فى جلب سخرية الناس ؛ وكم يلذ لي بهذه المناسبة ان اسوق للقارىء الكريم حكاية طريفة فى الموضوع نقلتها له عن مجلة الفكر من مقال للاستاذ الهادي حمو ، قال : « درس رجل بالازهر وعاد الى بلاده ، وكان معجبا باللغة العربية الى درجة انه آلى على نفسه الا يستعمل الا الفصحى فى مخاطبة الناس . واتفق يوما ان كان في نزهة وحده ، فلم يعبأ بجب حتى سقط فيه ؛ فجعل يستغيث المارة ؛ فاطل عليه رجل سقاء كان قد سمع استغاثته ، فقال الرجل : « يا هذا اربطني ربطا وثيقا واجذبني جذبا رفيقا ، ولا تدع الحائط يلطمني ! . فأجابه السقاء ، والله يا . . . ما انت خارج منه حتى تتعلم تحكي زي الناس . . . »

هذه القصة ان دلت على شيء فانما تدل على ضرورة التبشير باللغة العربية على اوسع نطاق ، واتخاذ الاسباب اللازمة التي تمهد السبيل لتبسيطها . واذا كان تطوير اللغة العربية امرا واجبا ، فواجب ايضا ان نعمل على تبسيط الحروف الطباعية ، اذ من المشاكل التي تقف فى طريق العربية كتابتها كون الطباعة الحديثة لم تقو لحد الان على شكلها ؛ ومن ثم جاءت صعوبة قراءتها اذا ما قورنت باللغات الاخرى كالفرنسية او الانكليزية مثلا ؛ وهذا ما حمل الاستاذ ماسنيون على القول ان الرجل يقرأ الجملة الفرنسية ليفهمها بينما يتحتم عليه ان يفهم معنى الجملة العربية قبل ان يهتدي لقراءتها قراءة صحيحة ، وذلك لعمري عائق كبير في طريق انتشار اللغة العربية ؛ فلو كان الحرف العربي يبقى على حالة واحدة بالنسبة لعمل الطباعة سواء كان فى اول الكلمة او فى وسطها او فى آخرها لسهل على المنضد الطباعي عمله ، ولاستطعنا ترويج الكتاب العربي نظرا لتخفيض تكاليف اخراجه .

والواقع ان المتخصصين فى الدول العربية حاولوا غيرما مرة ان يجدوا حلا لمشكلة الكتابة العربية ، ومن بين هؤلاء صديقي الاستاذ احمد الاخضر الذي اهتدى بفضل الله وعونه بعد عمل شاق طويل ، الى العثور على طريقة مبتكرة تتضمن اختصار الكتابة العربية بما يعود بالنفع على الطباعة والآلة الكاتبة فى نفس الوقت .

وقد حظي هذا المشروع القيم بعناية منظمة اليونسكو ، ومجامع اللغة العربية واعضائها المحترمين ، على انه يشخص خطوة تاريخية هامة لجعل لغتنا فى مستوى اللغات التي تكتب وتطبع وتعلم بسهولة ؛ ولم يبق على دول المغرب العربي التي يهمها الامر قبل كل شيء وبعد كل شيء الا ان تتبناه وتعتمده حتى يخرج باذن الله الى حيز التنفيذ؛ فالمشروع كفيل بتوفير الاسباب كلها لانتشار العربية كي تحتل مكانتها فى السوق الادبية والعلمية .

نحن فى حاجة الى ان نمهد الاسباب كلها لتعليم العربية بصورة تدفع الاحداث الى اكتسابها فى رغبة وشوق ، واللغة تكتسب اذا وجدت البيئة الصالحة لتدريسها ، وخلقت الظروف التي مهدت سبيل اقتباسها للعرب فى القديم ، حتى كانوا يتحدثون بها دون معرفة نحو او صرف ؛ فعلى المعلمين اذن ان يتشبتوا بالاكثار من القراءة والحفظ ، حفظ ما تيسر من المحفوظات النثرية والشعرية التي من شأنها ان تطلق لسان المتعلمين باللسان الفصيح ، محاولين الاقتباس ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، من الطرق المستعملة اليوم فى تدريس اللغات الحية كالتي يعتمدونها مثلا فى معهد ميشيغان بالولايات المتحدة الامريكية، وهي

والشعر ليس الا الوجه الجميل للحقيقة ، او هو الحقيقة كما تلوح لخيال الشاعر وتمتزج بعواطفه . فعندما يضع العالم الجغرافي – مثلا – خارطة للارض، تتحدد فيها معالمها بدقة ، يجيء الشاعر ليتغنى بجمال الارض ، ويحول جداولها وجبالها ومروجها قطعا من البيان الساحر . نعم يبيح الشاعر لنفسه ان يغير من نظام الكائنات فيخلق للحقيقة ابعادا جديدة ، وحينئذ فهو لا يعمل شيئا لا نعلمه نحن بمعنى من المعاني ، وانما ينطلق من التجارب الانسانية ، التي لا تخلو منها حياة كل واحد منا ، فى كثير من لحظات حياته ، بل فى مرات من كل يوم من ايامه ، فكثيرا ما ينظر الواحد منا الى بقعة جميلةمن الارض امامه فيحاور نفسه قائلا مثلا:حبذا لو شق مجرى لنهر فى ذلك الموضع ، وغرست انواع من الزهر فى الموضع الآخر ، ونهضت ربوة هنا ، وانخفض منحدر هناك ، واصطفت اشجار باسقات وارفة الظلال فى ذلكم الممر . او هو يتخيل أنه أصبح فى رمشة عين من ذوي الثراء العريض ، فظفر بغادة مشرقة القوام ، صبوحة الوجه ، يسعى بين يديها الخدم ، وتحفها الوصائف ، واسكنها قصرا عالي الشرفات ، مترع الجنبات بالافراح والمسرات . أو هو ينظر الى زوجته الجميلة الفقيرة فيتخيل ذلك القد مزدانا بأبهى الحلل ، وذلك الجيد مطوقا بأروع القلائد، وتلك المعاصم محاطة باثمن الاساور ، والشعر احتفلت به الماشطات ، والانامل رطبها النعيم ، والشفتين نداهما الترف ، ثم اذا هو يفيق من حلمه الجميل ، ليعود الى الواقع القاسي الصامد . أحلام كهذه كثيرا ما تشغلنا عما حولنا ، وكم منا من استطاع ان يحيل الحلم الى واقع ، فخلق جنات من الارض ، والفى نفسه وقد ظفر بالغادة الحسناء ، والمغاني الفيحاء ، او رأى زوجته الجميلة الفقيرة تلك ، وقد اصابت حظا من عز ، ونالت قسطا من نخوة وبسطة ومتاع ، ولكن اين الحلم الجميل ؟ لقد مات عندما استحال الى الواقع ، فأصبح ذكرى تعاود صاحبها مقرونة بالحسرات ! ! فاجمل امانينا واحلامنا ما بقي ممتنعا عن التحقيق ، فسبحانك يا الهي ، وما اعجب ما صنعته بخلقك ! !

وما نفعله او يفعله الشعر احيانا من اعادة ترتيب الكائنات ، او خلق كائنات جديدة مركبة من عناصر قديمة ، او تجسيم الآمال الحائرة العذاب ، ان هو الا تطور لما نفعله فى حياتنا كل يوم ، لا عن طريق الحلم فقط ، وانما حتى عن طريق تصرفاتنا العملية . تصور سيدة البيت عندما تمل من نظام بيتها فتقلبه راسا على عقب ، فتنقل هذه المنضدة الى ذلك الركن ، وتجيء بآلة التلفزة الى هذه الزاوية ، وتغير اتجاه سرير النوم ، وتستبدل الستائر البيضاء بالستائر الحمراء ، أو تصورها وقد رمت بهذا الاثاث كله الى الخارج ، واقتنت اثاثا جديدا ، مع ان الاول ليس به من عيب الا ان العين اعتادت النظر اليه ، فلابد من اجالة يد التغيير دفعا للرتابة ، وجلبا للتنوع ، كذلك الذي يقتني مائة نوع من اربطة العنق ، وخمسين صنفا من القمصان ، مع انه لا يحتاج الى كل هذا العدد ، وانما هو حب التجديد . ولو نحن ذهبنا نستقصي الامثلة على هذا النحو ، لوصلنا الى حد الاملال ، فى الوقت الذي نتحدث فيه عن حب التجديد والتغيير ... والشعر يفعل نفس الشيء الذي نفعله نحن فى حياتنا الواقعية ، مع تطويره ليناسب ما للشعر من طبيعة مجلوبة على الاشراق والسمو ، فهو قد ينقل معنى الجريمة من حضيض الرذيلة الذي اعتاد الناس ان يضعوها فيه ، الى سماء الفضيلة التي يراها لائقة به ، تماما كما تفعل تلك المراة عندما تنقل المائدة من موضع الى آخر ، وهو يعمد الى المنظر الطبيعي يصفه ، فيجعل زهوره اشد بياضا مما هي ، وأشجاره اشد خضرة مما هي ، وقد يتفنن فيضيف اليه راعيا ينفخ فى شبابته ، وحسناء بدوية تحمل جرتها ، ويشق الارض ليطلع منها دوحة عظيمة يملؤها بالبلابل الصداحة الطروب . وكل هذه الاضافات انما هي عملية نقل اشياء من مكان الى آخر ، فهو يجول بخياله بقاع الارض ، ليلتقط ما يروقه من معالم تتمم جمال المنظر الذي يصفه ، كما تجول تلك السيدة الاسواق لتلتقط أحسن الاثاث لمنزلها الجميل . وقد لا يلذ للسيدة ان تؤثث بيتها الا بأفخم الاثاث ، او قد تكون أميل الى البساطة فتكتفي بالاثاث البسيط الجميل ، وكذلك الشاعر ، اما ان يؤثث قصيدته باسماء الذهب واللآليء والمرمر والقصور وما الى ذلك ، واما ان يؤثثها بأسماء الشفق والغسق والظلال والنسمات وهلم جرا . وقد يلذ لهذه السيدة – كما قد يلذ لنا جميعا – ان تسمي اشياء بغير اسمائها الحقيقية ، فهي – مثلا – قد تسمي آلة التلفزة (صندوق الضجيج) وحجرة زوجها التي ينفرد فيها بكتبه واوراقه (بيت الاعزب) على سبيل التعريض والمداعبة فقط ، كما قد تطلق على خادمتها النشيطة الدؤوب (النحلة) وعلى زوجها اسما من اسماء التدليل ، تماما كما يفعل الشاعر عندما يقول عن شجرة عامرة بالبلابل انها جوقة من المطربين ، وعن الجدول الرقراق انه سيف ممدود ، وعن الراعي النافخ فى الناي انه



الشعر هو احد تلك الفنون الجميلة التي نسلمها قياد انفسنا ، ونخلي بينها وبين هذه الانفس لتفعل بها ما تشاء ، فاذا بلغت الكلمات الشعرية من السحر شأوا بعيدا كنا على استعداد للتنازل عن جزء كبير من مقاييسنا التي تكونت عندنا من قبل ، حيث يتمكن الشاعر من نقلنا معه الى جوه الخاص ، الذي قد لا نرضاه لانفسنا الا في اللحظات التي نهب خلالها قلوبنا للقصيد قدر ما نستطيع .

فنحن ننقاد للشاعر المبدع معصوبي الاعين ، مكتوفي الايدي ــ ولو الى حين ــ لياخذنا معه الى دنيا فتونه ، فنجد انفسنا مغمورين في روائعه من فرع الراس الى اخمص القدم . ومع ذلك فليس الشاعر ماردا من مردة الجن ، ولا ابليسا من ابالسة الشياطين الذين تمتلىء بهم الخرافات والاساطير ، اذ يتسلطون على الناس بقوتهم الخارقة للعادة ، ويضربون البحر لينشق نصفين ، او يمدون سبابتهم الى الجبال فتندك وتنهار ، او يرسلون من افواههم لهبا من نار يلتهم كل شيء . كلا ليس الشاعر واحدا من هؤلاء ، وانما هو انسان مثلي ومثلك ومثل الاخرين ، الا انه يملك شيئا صغيرا جميلا رشيقا قد يهزا بقوة كل جن ومارد ، يملك الكلمة ! ! فهو بها لا يشق البحر ويدك الجبل ويحرق الكائنات ، كما يفعل المردة والشياطين ــ وهم من خلقه ــ فحسب ، ولكنه يستطيع ان يذهب بهذا العالم كله وياتي بعوالم اخرى اجمل واروع ، الهاما من خالقه الذي فطره على قوة الخلق والتكوين . كل هذا والشاعر قابع تحت ظل شجرة، او منزو في ركن، او مستلق على قفاه لا يفعل شيئا الا انه يحلم ، فيتجسم حلمه في كلمات . . . فانت لا تشعر بالارض مادت تحت قدميك ، ولا بالسماوات تنهار فوق راسك ، ولا بالحرائق تلتهب من حولك ، في الوقت الذي تكون فيه الدنيا من حولك قد تغيرت ، وذهبت معالم وجاءت معالم اخرى ، بفعل شيء بسيط ، يداعب ويناجي ويهمس ، انه الكلمة ! !

ولا تحسبن ان هذا الذي نقوله ضرب من الخيال المحض ، فلو كان كذلك ما شعرنا به ولا استقر في اعماقنا ، وقلب مفاهيمنا راسا على عقب ، وجعلنا ننظر الى الدنيا وهي في شكل جديد ، فلا حقيقة أشد ظهورا من نفس الانسان في صلتها بالعالم الخارجي ، ولا حقيقة لهذا العالم الا من خلال الزاوية التي ينظر منها الانسان اليه . والحرارة والبرودة ، والضوء والظلام ، والارتفاع والانخفاض ، والقرب والبعد ، والجمال والقبح ، والخير والشر ، والحلال والحرام كلها كامنة في المنظار الذي ينظر به الانسان الى الظواهر التي تحيط به ، وكل ما خطر ببال الانسان او خياله اما انه كان او هو كائن ، او سيكون (1) . وعلى هذا الاساس نفسر جميع الخرافات والاساطير والمعتقدات التي آمنت بها جميع شعوب الارض .

1) (الطاقة الانسانية) لاحمد حسين .

شاء ، دون ان نملك له ردا ولا دفعا ، لانه يتحول الى طيف من نور عندما يمارس عمله الساحر . وبالرغم من المفاتيح التي يملكها ذلك اللص الظريف الشريف، او ذلك الشاعر فهو قد لا يستعملها بعنف ، وفي كثير من الجلبة ، بل هو يوثر التسلل الحذر ، والانسياب الخفيف ، لانه تخلب لبه لذة المغامرة ، او لان طبيعة عمله قد تقتضي ذلك . الا تراه كيف يغافل تلك الحسناء ، ليسرق منها التفاتة جيد بارعة ، او رفة رمش ساحرة ، او رنة ضحكة ناعمة الا تراه كيف يلامس الجوانب الرقيقة الخفيفة من الاشياء ، ويوثر ان يعرض علينا اشباحها واطيافها حائما حولها ، ينتظر منها حركة عفوية ، او اشارة تلقائية ؟ انظر اليه كيف يصف الشمس خيوطا ارجوانية تزخرف صفحة الافق، والزهرة علاها الشحوب كعاشقة ولهى ، والغناء رق وشف كانه المعنى الجميل فى الخيال التائه ، فاذا هو عبر عن الاشياء دون ان يتلطف في ملامستها ولا ان ياتيها من جوانبها الرقيقة الشفوف ، كان شعره غليظا سرعان ما تمجه الاذواق وتعرض عنه الاسماع .

الى هذا الحد يقع الامتزاج بين ما هو للشاعر وما هو للناس ، وعلاوة على ذلك فاللغة التي يعبر بها فيها من الناس الشيء الكثير ، واصوات الحياة من حوله تحمل اليه اصداء هي من صميم هؤلاء الناس ، واحتفاؤهم به واكبارهم اياه يمد خيطا رفيعا بين نفسه ونفوسهم ، فيوحي اليه ويفجر طاقته الروحية ، وازورارهم عنه يثير فيه السخط والحنق فيجيء رد فعله شيئا من آثارهم ، بل ان مجرد رغبته فى أن يقول شعرا لا بد أن يتاثر بكونه شاعرا بوجود جماعة من البشر يمكن أن يساق اليها عذب الحديث ، وان ترتل على مسامعها انغام القصيد . واخيرا فان الشعر نفسه يحمل فى تضاعيفه اصنافا من ردود الافعال ، تثيرها تلك التحديات التي غالبا ما تواجه الشاعر من طرف الناس المحيطين به ، كأن يضعوا العراقيل في طريقه ، ويبخلوا عليه بالثناء ، ويقتصدوا فى شانه بالتشجيع ، ويسيئوا به الظن ، فلا يستطيع انتزاع الاعجاب منهم الا بعد جهد مرير . وقد تكون اجمل اعمال الشاعر ، هي تلك التي رافقت فترة النضال من اجل اثبات الشخصية .

وانطلاقا من هذه الحقيقة ، حقيقة الاتصال العميق بين مشاعر الشاعر ومشاعر الجماعة التي يعيش فيها ؛ اجدنا احيانا كثيرة نصاحبه فى بعض شعره ، فياخذنا معه الى دنيا من السحر والفتنة ، ولكننا اذ نفتح ابصارنا وبصائرنا على روائعها نحدث انفسنا قائلين : متى سبق لنا ان شاهدنا هذه الصورة، وان لمحنا ذلك الطيف ، وان عانقنا تلك الخاطرة ، واحتضنا ذلك المعنى ؟ ان نغم هذا البيت ليس غريبا علينا ، وان تقابل تلك البدائع ليس اجنبيا عنا ، وان تلك الاخيلة البديعة ليست بعيدة عن بعض ما نجد بين اضلعنا ، كيف امكن ان نقضي فترة ليست بالقصيرة من اعمارنا دون ان نفطن الى هذه الحقيقة ، حقيقة انطواء قلوبنا واخيلتنا على كثير من معاني الشعر ، الى ان جاء هذا الشاعر فنبهنا اليها ؟ والغريب فى الامر ، ان هذه الاشياء التي نلفيها فى عمله الشعري قد تكون لم يسبق لنا ان وجدناها فى عمل شاعر آخر ، فكيف وجدنا شيئا منها فى انفسنا مع ذلك ؟ هل دخل بيننا وبين انفسنا فسمع نجوى ضمائرنا ، والتقط هواجس قلوبنا ، وتلا من صفحات قلوبنا ؟ ثم نحن نعمد اخيرا الى هذه القاعدة المقررة فى الكتب لنقول: انه توارد الخوطر . ولكن هل نستريح عندما نصل الى هذا الحد من التأمل ؟ الجواب بالنفي ، فما ان يشتمل علينا سلطان عمل شعري آخر من النوع الرائع ، حتى تبدأ شكوكنا من جديد ، وهكذا دواليك . قد تكون تلك الخواطر والتجارب التي عالجها الشاعر ، ووجدنا لها شبيها فى نفوسنا ، راجعة الى بعض تجاربنا فى الحياة ، او الى قراءات أو مشاهدات مضى عليها زمن ليس بالقصير ، ولكن آثارها بقيت راسبة فى اعماقنا ، الى ان حركها عمل شعري يمت اليها بصلة ما ، وقد لا تكون شيئا من ذلك مطلقا ، وانما هي ارث تسرب الينا من تجارب اسلافنا الاقدمين ، وهذا امر اقره العلم الحديث ، فكل واحد منا يحمل خصائص الجنس الذي ينتمي اليه ، وتتمثل فيها جميع مراحل التطور التي عرفها هذا الجنس فى تاريخه الطويل ، ولا ينطبق هذا على الانسان فقط ، بل على جميع خلايا الكائنات الحية . وعلى هذا الاساس فقد تكون الخاطرة التي تهز وجداني قد تسربت الي من احد اجدادي القدماء ، وقد تكون الفكرة التي ساورتني هي احدى بقايا عقل موغل فى القدم ، وهذه قضية كثر الحديث عنها فى كتب الباحثين .

ولكن بالرغم من هذا ، فليس مما يحط من قدر الشاعر فى نظرنا ان نجد عنده شيئا ليس غريبا عنا ؛ فلم يخطر ببالنا قط ، ان نستهين بالوجه الجميل لانه يحتوي على عينين وانف وفم ووجنتين كوجوهنا ، ولا ان نهزأ بالبحيرة لان بها ماء كماء الانابيب التي تمتد داخل بيوتنا ، ولا ان نسخر بالموسيقى لانها تمت بصلة الى بعض ما نترنم به فى لحظات انبساطنا ، لم يخطر لنا ذلك ببال ابدا ، ذلك لاننا نتعشق الاتقان في

شاعر الرياض . ولا يظنن احد اني اجعل عمل الشاعر الذي الفنا ان نحيطه بهالة من القداسة ، حتى لنرفعه احيانا الى مقام الاشياء الخارقة للعادة ، قرين عمل تلك السيدة فى تصرفاتها داخل بيتها ، واني اضع ترتيب الشاعر للاشياء الى جانب ما تفعله تلك السيدة بأثاث بيتها ، فأنا لم ارد بهذا المثال الذي ضربته الا شيئا واحدا ، وهو التدليل على ان من الخطأ نظرنا الى الشاعر بكثير من الاستغراب ، عندما يعمد الى الاشياء فيغير من نظامها المالوف ، او يضيف اليها ما من شأنه ان يصل بها الى صورتها المثالية ، لاننا فى حياتنا العادية نفعل نفس الشيء ، دون ان يخطر ببال اي واحد منا انه اتى عملا غريبا أو خرج عن العادة المألوفة . وها نحن راينا من خلال ذلك المثال ان الشاعر اذ يضعنا امام عمله الشعري يكون قد اخذ بعض عاداتنا المشتركة فتسامى بها وخلع عليها حلل الفن وشملها بالتهذيب ، حتى لتبدو لنا من خلال نصوصه وكأنها من الاعمال المدهشة . فالشعر من هذه الناحية ان هو الا احد الاشياء الثمينة فى حياتنا ، والتي ترتد فى اصلها الى عناصر عادية بسيطة ، قد لا نعيرها ادنى اهتمام . فالعطر النفيس الذي نشتريه بأغلى الاثمان ، يعود الى تلك الزهرات التي ندوسها بالاقدام ، او نفركها بين الاصابع ، والفنا ان نشاهدها بين حين وآخر . والثياب الثمينة الزاهية ، مردها الى بعض مواد الطبيعة ، التي قد لا يخطر ببالنا ان نقف عندها لنتأملها مليا . وقل مثل هذا بالنسبة لكل الظواهر المحتلة مكان الصدارة فى هذه الحياة ، ويمكنك ان تضيف اليها ايضا ما يتمثل فى الشعر من جمال رائع فى تناوله للاشياء ، فان هو الا بعض طبائع الناس بعد ان سما بها الطبع القوي ، والخيال الخصب ، والذوق السليم ، والوجدان الحي. وبناء على هذا يمكن ان نساير الشعر فى نصوصه الممتازة ، الى آفاقه المشرقة العالية ، ثم نعود به الى التجارب الحياتية البسيطة التي ينطلق منها ، نرده الى احلام اليقظة التي تستغرق جانبا كبيرا من حياتنا، والى كثير من اساليب عيشنا المختلفة ، وردود افعالنا حيال بواعث الحياة ومؤثراتها المتعددة ، فنحن نحب فنحيط من نهوى بهالة من نور ، ونتخيلها ملكة متوجة على عرش الجمال ، او حورية سابحة فوق السحب ، وقد تحجبها عنا جدران سميكة من عتيق التقاليد ، ولكننا نستطيع بمخيلتنا ان نفتح فيها كوة نلمحها من خلالها . ونحن قد نكره فنتخيل اعداءنا الالداء وقد نزل بهم الهم ، واحاطهم الويل ، وتخطفهم الشيطان . ونحن قد نتمنى مفرطين فى التمني ، فنتصور التراب ذهبا ، والقرش الابيض كنزا ، والكوخ الحقير قصرا ، الا ان الشعر يمتاز — من بين ما يمتاز به — ان يعمد الى احلامنا تلك ، مضافة اليها احلام الشاعر المبدع ، فيضع لها قالبا من اللفظ الجميل ، ويهبها كيانا ويحيطها بسياج من الموسيقى والبيان ، ليمكن الرجوع اليها مرات ومرات ، ولولا ذلك لصارت الى التلاشي والعدم، تماما كما يحدث لاحلامنا نحن الذين لسنا شعراء ، اذ سرعان ما تتبدد وتتلاشى ، بعد ان تكون قد اخذت منا اوقاتا تقصر أو تطول ، ولكن دون جدوى . فى حين ان الشاعر بما أوتي من مهارة وقدرة ، يستطيع ان يستغلها ويكون منها شيئا رائعا لا سبيل الى تلاشيه او اضمحلاله . فنحن عندما نرسل آهاتنا واناتنا وصيحات فرحنا تضيع فى الهواء ، ولكنها بالنسبة الى الشاعر تتجمع ذبذباتها فى الفاظ حية معبرة ، ونحن عندما نبكي تنزلق دموعنا ليدركها الجفاف حينا او بعد حين ، اما بالنسبة الى الشاعر فهي تنعقد لآلئ فى ديباجة شعره الجميل . ونحن قد نصاب بمأساة تكوي منا القلوب وتمزق الاكباد ، ثم لا شيء نستفيد منها الا المرارة والالم الممض ، فاذا هي اصابت الشاعر او احب الناس اليه ، حول المأساة الى مهرجان شعري كبير ، فيا له من ساحر ماكر لا يشق له غبار ! ! ونحن عندما نتملى شعره نعجب لصوره الشعرية البديعة القسمات، مع انها من بعض احلامنا . الم يسبق لنا ان تخيلنا الغول ذا الرؤوس السبعة ، والسمكة التي نصفها الاعلى آدمي ، كما تخيلنا الملائكة تطير بأجنحة عجيبة ، والشيطان مخلوقا بشع الخلقة ذا قرنين منكرين ، والمرأة حية رقطاء تنفث السم الزعاف ، وغيرها من الصور الخيالية التي عملت فيها الاسطورة والتربية وما ملأ به الكبار اخيلتنا ونحن صفار ؟ اليس لهذه الرؤى علاقة بالصور الممتازة التي يركبها خيال الشاعر؟

واخيرا ياتي مبدع الشعر ليصول علينا بشعره الذي هو بضعة منا ، مزهوا كالطاووس ، يسير بيننا الهوينى تيها ودلالا ، وقد ينظر الينا من برجه العاجي وكأنه يتفضل علينا بنظراته المتعالية ، فيا له من لص محتال ! ! يتسلل الى نفوسنا ليسرق مآتيها الكثيرة فى غفلة منا ، لاننا منهمكون فى شؤون دنيانا المستبدة القاسية ، ولكن يجب الاعتراف بانه لص ظريف سريع الخطى ، رشيق الحركات ، بارع اللمسات ، وهو لص شريف ، ما يلبث ان يعيد الينا بضاعتنا بعد أن يكون قد قضى لبانته منها ، ويعيدها بعد أن يكون قد باركها فاينعت وزكت ، وكأنه يرشونا لنتجاوز عن فعلته تلك ، وما دمنا لم نستطع ان نصنع منها شيئا فهو بها اولى ، وكأنما الطبيعة حسبت حسابها لهذه الحقيقة ، فاعطته مفاتيح نفوس الناس ليلجها متى

يحمل التراب ، والآخر يرفع الاخشاب ، وآخرون يتولون وضع هذا كله فى موضعه المناسب ليصعد البناء ، بيد ان هؤلاء لايذكرون ولا يشار اليهم عندما ينسب هذا البناء الى المهندس الذي وضع التصميم ، او المقاول المشرف على عملية البناء ، مع ان اثرهم موجود فى كل شبر منه . ونحن لا ننازع الشاعر في هذا الامر ، لاننا نعلم مقدما انه لم يقم بعمل يخطر علينا أن نساهم فيه ، فالمجال واسع ويمكن لكل من انس من نفسه الاستعداد ان يلجه ، والشاعر نفسه يكون مستعدا للاخذ عنا والاستماع الينا اذا نحن استطعنا ان نجاريه فى مضماره ، والمشاعر الانسانية قدر مشاع بين الناس جميعا ، اذ هي الناحية التي تمردت على ميل الانسان الى اقتسام مناطق النفوذ ، فلم يكن فى امكان احد ان يعلن بقوة : هنا تبدأ مشاعري!! كما يقول هنا تبدأ ارضي وممتلكاتي ... ولعل شيوع هذه المشاعر بقية من شيوعية الارض وشيوعية الجنس ، التي سادت فجر الحياة البشرية . واذا كان الشاعر قد استحق ان يختم على عمله الشعري باسمه وحده ، فلانه قد بذل جهدا (فنيا) لم نستطع نحن ان نبذله لافتقارنا الى الوسائل التي تيسرت له . واقيد الجهد بأنه فني ، لاننا فى الحقيقة قد نبذل جهودا فى معاناة العواطف ثم التعبير عنها ، ولكنها جهود فطرية اكثر منها مكتسبة ، ومن ثم فهي ليست فنية . فنحن – مثلا – ننشد الاناشيد الحماسية في كثير من مواقفنا الوطنية ، تلك التي وضعها لنا شاعر ما ، وتصدر عنا كلمات العطف والشفقة اذا نحن مررنا بيتيم فى اسمال بالية ، ونسكب فى آذان حبيباتنا ما تكنه لهن من شوق وحنين ، ولكن كل هذا قد يكون من خامات العمل الفني ، دون ان يكون هو العمل الفني نفسه ، فلا يرفعنا الى مقام الفنانين ، وانما يتركنا في المستوى العادي لاكثرية الناس . بينما الشاعر يفعل نفس ما نفعله نحن – مع وجود الفارق – اي انه يقوم بردود افعال مختلفة امام شتى المؤثرات التي تحيط به ، ويزيد علينا بقدرته على أن يستمد منها آثارا جميلة معبرة عن عمق في التجربة ، وذلك هو سر هيمنة الشاعر على العمل الشعري ، وقبولنا لهذه الهيمنة ، بالرغم من مساهمتنا غير المباشرة فى جزء مهم من محتويات عمله ، بمقتضى كونه واحدا منا ، يحمل فى نفسه كثيرا من طبائعنا ، ويأخذ مادته احيانا من نتائج معاناتنا ، بل نحن لا نكتفي بذلك ، وانما نحيطه بمظاهر التكريم والاعجاب ، ونحله من انفسنا مكانا عاليا ، ولا نذكره الا هفت نحوه قلوبنا ، واكتحلت بطيفه مآقينا ، ولا غرو ، اليس بلبلنا الفريد ، وصفوة ما رزقناه من استعداد لحب الفن والهيام بأسرار الجمال ؟ الا تنساب أعماله فى حياتنا العاطفية فتشيع فيها الانس ، وتتوهج فى خيالنا فتغمره بمونقات الاماني ؟ الا يصبح شعره رسولا بين المحبين ، وعزاء للمعذبين ، وثراء للمحرومين ، وضميرا للشعوب ، واملا للاجيال ؟ ها هنا تبدو لنا عظمة العاطفة الانسانية عندما تصادف انسانا شفوفا بالكلمة ، آخذة فى صعود مراقي الفن ، مرورا بالادباء والشعراء الصغار ، الى كبارهم ونبغائهم ، الى ان تتوهج على قمة الجهود البشرية ، موصولة الاسباب باسرار الخلود ، مضافة الى المعالم الكبرى فى تاريخ الانسانية الطويل ، مشرقة كالشمس على جغرافية الفكر الانساني على اختلاف العصور ، حتى لتصبح دولة داخل الدول ، وامبراطورية داخل الامبراطوريات ، دائما تعود اليها الانسانية لتجد فيها مجالا لتجريب عبقريتها ، وصدى لما يهزها من خطوب واحداث ، وهنا ينقلب الشعر رائدا عظيما يحث الخطى نحو مثل عليا وقيم خالده ، فأين منه تلك المشاعر المشتركة بين الناس ، والتي اليها يرجع ما للشعر من قوة عندما يتراجع عن مكانه الممتاز ، وينحل الى العناصر الاولية التي يتركب منها، فيرتد الى حياة الناس فى مسراتهم واحزانهم ، شأنه شأن طائر خلق فى مجتمع الطير ، فيه كل ما في بني جنسه من خصائص ومميزات ، ولكن الطبيعة لم تلبث ان اخذته بكثير من الاعداد الخاص ، قوة فى الجناحين، وصلابة فى الجسم ، وحدة فى المخالب ، وحصانة ضد عوارض الجو ، فارتفع يحلق مع الطيور فى مجالها المحدود ، ولكنه استطاع التفوق عليها فى الطيران ، عروجا الى اعلى ، صامدا امام تقلبات الطبيعة الهوج ، على حين انها تقوض اجنحتها ، وتطاردها لتعود الى اوكارها تحتمي بها فى وجل الضعيف واضطراب المهزوم . ولكن هذا الطائر الفلاب لو تصورنا امتيازاته تولت عنه ، لعاد القهقرى الى حيث يوجد غيره من الطيور ، كما اننا لو تخيلنا امكان تمرد الكلمة على الشاعر واعتدال عواطفه وانطفاء ومضات فكره الحادة ، لعاد الى حيث يزحف ملايين الناس ، غامسة اقدامها فى الوحل ، مضطربة فى طريق الحياة السلطاني الطويل . وكما يحلق ذلك الطائر الجبار ما شاء له التحليق ، واخيرا يعود الى جذع شجرة ، او ثقب في جبل ، كغيره من الطيور ، يحلق الشاعر العظيم في آفاقه البعيدة المترامية الاطراف ، فيصنع اعماله العظيمة الرائعة ، ليعود بها اخيرا الى بسطاء الناس ليعرضها عليهم ، منتظرا اقبالهم عليها ، معجبين بها ، حتى ولو كانت فى اساسها من ابتكار خيالهم الشعبي

كل شيء ، والشعر الرائع شيء متقن ، كله نظام وتناسق ، على حين ان تجاربنا وعواطفنا نحن مشوشة مضطربة . ويمكننا ان نزيد المسألة وضوحا بنظرنا الى وجوه الناس ، فالوجوه الذميمة لم تكن على هذه الصفة لافتقارها غالبا الى اية شية من شيات الجمال، فقد تجد العينين الجذابتين اللتين تذهب جاذبيتهما لانهما تحت جبهة بشعة ، او فوق انف ذميم ، بينما وجه آخر به انف جميل ، ولكن يذهب جماله لانه تحت عينين منكرتين ، ولو انك خالفت بين هذه الملامح ، فنقلت كلا منها الى ما يناسبه فى وجه من الوجوه ، لزالت البشاعة وحل محلها الجمال والوسامة ، وهذا بالفعل ما تفعله الطبيعة عندما تراعي التناسق بين ملامح الوجوه الجميلة . نفس الشيء يحدث بالنسبة للشعر ، من حيث قياسه الى ما هو مشاع بين الناس من خامات شعرية كالكلمات والعواطف والتجارب الروحية ، فنحن عندما لا نكون شعراء ، لا نقدر على وصل كلماتنا بذلك السلك الذهبي الذي يسمونه الاسلوب ، وانما نضم بعضها الى بعض كيفما اتفق ، واحيانا عن طريق القسر والتعسف ، تماما كما يحدث عندما توضع عينان جميلتان تحت جبهة بشعة ، او يوضع فم عذب الثنايا وسط عارضين منكرين . اما عواطفنا وتجاربنا الروحية — متى لم تكن شعراء ايضا — فهي هابطة صاعدة ، ممتزجة بطحالب نفوسنا ونفاياتها ، ولو اننا جسمناها لكانت غرفة تجاورت فيها هذه الاشياء : كتاب شعر ، مكنسة ، زجاجة عطر ، علبة سردين صدئة ، موسى للحلاقة ، منفضة مليئة باعقاب السجائر . كذلك نفوسنا : احساس نبيل يختفي فى مثل سرعة الطيف ، ليحل محله تصميم للانتقام من عدو لدود ، اعجاب بتلك الوردة الزاهية على فننها ، يعقبه حينا التفكير فى وسيلة نفوز عن طريقها بمغنم مادي ، تملي من ابيات شعرية رائعة فى ديوان شعر ، نتخلص منه سريعا لنذهب بعيدا وراء شيء لا يمت الى الشعر بصلة ، وهكذا تستمر تجاربنا النفسية الى ما لا نهاية . اما فى الشعر فتلك التجارب تكون قد صفيت مما قد يكون عالقا بها من الاحساسات غير المرغوب فيها ، فاحتفظ منها بالاعمق والسامي والامثل، ولا اقصد بالسامي والامثل معناهما الخلقي ، وانما اقصد معناهما الفني الصرف . فمعدن الذهب اذا وجد عند قوم لا يعرفون للذهب قيمة ، يمتزج في ارضهم بالحصى والتراب ، ويجرف ويهرس بالفؤوس ، ليكون اديما تطؤه الاقدام ، او احجارا تقام فوقها البيوت ، او وقودا يتوهج جمرات يستدفأ بها فى الشتاء ، ويطبخ عليها الطعام ، او قطعا لامعة يعبث بها الصبية ويتقاذفونها فى نشوة ومراح . ولو افترضنا ان انسانا متحضرا وفد على هذه الارض ، فسيعرف كيف ينتفع بمنجم الذهب فيها ، فهو يفرزه عن المعادن الممتزجة به ، وينفض عنه طبقات التراب ، ليبدو مشرقا صافيا ، وكم من احلام تساوره حينئذ وهو ينظر انيه مجاوا ياخذ بريقه بالابصار ، حلى تزين اطراف العذارى ، ونفائس تبهرج اركان البيوت ، ونقودا ثمينة تحقق غوالي الاماني وتصنع المعجزات ! .

وحالنا نحن مع الشاعر ، كحال اولئك القوم مع ذلك الانسان الراقي ، اذ يعمد الى التجارب الانسانية واللغة المتداولة فيكشف عن معدنها النفيس وينفي عنها الطفيليات العالقة بها ، فننظر فاذا باشياء كثيرة احسسناها ، واجريناها على السنتنا ، وازدانت بها اخيلتنا تتحول بمعجزة الى شيء فاتن رائع . وكما ان اولئك القوم المتأخرين قد يتقدمون يوما ويدركون قيمة الذهب ، فيشترون ذهبهم المصوغ باثمان باهظة ، كذلك الشأن فيما يتعلق بنا نحن ، حيث ناخذ عواطفنا ونظراتنا من الشاعر مصوغة فى شكلها الجميل ، فى مقابل ما ننقده اياه من ثمن ! ! وليس من الضروري ان يكون هذا الثمن ماديا ، فهو قد يكون — مثلا — تصفيقا تلتهب به اكفنا ، نقاطع به ما ينشدنا من روائعه ، كما قد يكون اشتغالا بشعره دراسة وتحليلا ، او جريا وراء آثاره ، نهفو اليها فى لهفة وشدة شوق .

لقد راينا حتى الآن ان الشعر يضم كثيرا من التجارب الانسانية العامة ، الى جانب التجارب الخاصة بالشاعر ، والمتأثرة بالاولى الى حد بعيد ، ولكن الشاعر اذ ينتهي من ابداع عمله الشعري ، ويدفع به الينا ، يخرج وعليه اسم صاحبه وحده ، وكأن كل ومضة من ومضاته ، وكل خلجة من خلجاته ، هي ملك له وحده ، وكل النقاد والدارسين ، لايذكرون هذا العمل الشعري الا مقرونا به فقط ، على حين ان نسبة مائوية منه قد تقل وقد تكثر ، هي من معطيات الكيان الانساني العام. فجميع الناس يعانون التجارب النفسية ، وتكلفهم احيانا كثيرة آلاما واحزانا ، وتؤثر تأثيرا عميقا في مصائرهم واتجاهات حياتهم ، فاذا ظهر بينهم شاعر استفاد من تلك التجارب التي عاناها الناس ، عن طريق اتحادها بتجاربه الخاصة ، هذه التي تكون عادة اعمق من الاولى ، ومزج بين الجميع مزجا بارعا ذكيا ، يصعب عليك معه ان تميز بين ما هو للجماعة وما هو للفرد ، وان شئت مثالا محسوسا لهذه القضية ، فعليك ان تنظر الى ذلك البناء الجاري امامك ، الا ترى انه يتعاون على رفعه عشرات العمال ، هذا يحمل الحجارة ، وذا

الوجود وتكسره (1)

بقلم الدكتور حسين نصر
استاذ الفلسفة بجامعة طهران
تعريب الدكتور عبد اللطيف السعداني

لو بلغ الانسان مقام الكشف والشهود لاصبح تعريف الوجود من اسهل الامور . غير ان ذلك محال بدون التوسط بهذا المقام ، فليس للعقل (2) — وهو الوسيلة الوحيدة لمعرفة الوجود من حيث هو وجود — مفهوم اوضح من مفهوم الوجود (3) اذ ان اصل العقل والوجود واحد . اما عند ما يمنح الكشف والشهود مكانهما للعقل الاستدلالي فان كلمة الوجود تصير « اكثر الكلمات غموضا » . تتضح هذه القاعدة جيدا فى الحكمة اللدنية والفلسفة الجديدة ؛ فقد كانت الحكمة اللدنية سواء فى الشرق او فى الغرب مبنية على العقل الكل والذلك بقيت مصونة من التعقيد والابهام حول مفهوم الوجود . ولكن الفلسفة الغربية الجديدة منذ عصر دكارت الى بداية هذا القرن كانت تتبع أحد انواع الاساليب المحدود بالاستدلال يعني Rationalisme وعلى ذلك كانت تقع دائما فى صعوبة ادراك معنى الوجود . ويبلغ عدم هذا المفهوم درجة دفعت بعض الفلاسفة المعاصرين فى الغرب الى ان يجعلوا اساس فلسفتهم الوجود الجزئي والارتباطي Existence او « الظهور » بدلا من الوجود الكلي « Etre » ناسين أن كلمة الوجود الجزئي فى اللغات الاوربية يعني Existence مشتقة من الاصل اللاتيني « Ex-Stâre » التي هي بمعنى ؛ موجود مبنى على اصل غير نفسه .

لقد عرف الوجود فى الحكمة اللدنية التي سماها Leibnitz « Pilosophia perennis » بالتعين الاول الذي لا اسم له ولا رسم لذات الباري تعالى ، كما عرف بمبدا ومنشا جميع صفات واسماء العالم (4) ونحن نقصر بحثنا فى هذه المقالة المختصرة على المقولة الثانية لانها اقرب الى موضوع الفلسفة ، ولكن يجب ان نذكر ان للحقيقة فى الحكمة اللادنية والعرفان وجود وذات وراء كل نوع تجل . وظهور ووراء الكون والظهور معا .

---

1) تكسر يعني Paratisation فكما ان العدسة تظهر نور الشعاع منكسرا فان العالم ايضا يكسر الوجود المطلق فى تشتت الوجود المقيد .

2) المقصود بالعقل هنا هو العقل الكل او العقل القدسي وآلته عند العرفاء هي عين القلب ، فبالاستفادة من هذه الآلة يمكن مشاهدة الحقائق مباشرة . العقل الكلي Intellect فعال ويحصل مباشرة على العلم والمعرفة . اما العقل الجزئي Raison فمنفعل ومتكسر وليست له طريقة مستقيمة للحصول على العلم . فطريقة العقل الكل توائم الاشراق والشهود. وطريقة العقل الجز هي الاستدلال والبرهان. لقد كان غلط الفلسفة الجديدة منذ عصر داكارت الى اليوم هو: اولا فى المعرفة Intellect وال Raison مما جعل اتباعها لا يستطيعون فهم العرفان والحكمة الذوقية .

3) ان للوجود جهتين : احداهما مفهوم الوجود الذي هو اكثر الامور بداهة للفهم . وثانيهما حقيقة الوجود، والوصول اليها فى غاية الصعوبة ، ولا يمكن مطلقا ان يزعم فهم ادراكها كما يقول الملى هادى البزواري فى منظومته :

مفهومه من اعرف الاشياء   وكنهه في غاية الخفاء

ان ما وراء الوجود او العماء هو فى الحقيقة جهة من الحقيقة ليس لها اى نوع تعين فى حين ان الوجود هو تعين حقيقة بالنسبة لتجليه اوتعد بذلك جهة شخصية للالوهية .

F. Shuon : « Les stations de la sagesse », Paris, La Barque du Soleil, 1958, p. 30

كالاساطير والخرافات التي قد يجعلها الشعراء من وسائل بيانهم . وهو – اي الشاعر – لا يعود الى الناس على هذا النحو فحسب ، ولكنه يعود على نحو آخر ، وهو التصاقه بالارض التي يزحفون فوقها ، ليلتقط مادته من صميم الحياة ، ثم يحلق بها من جديد ، كما يفعل ذلك الطائر عندما يترك الاجواء العليا ويهبط الى الارض ، باحثا عن غذائه الذي ما ان يتزود منه حتى يرتفع مرة اخرى الى فضائه الرحيب . وقد يكون من المفارقات العجيبة ان ذلك الشاعر الممتاز على بقية الناس ، صاحب المملكة السماوية الواسعة الارجاء ، يتخلى عن عليائه ويحل بيننا نحن الناس العاديين ، ليستمع الى اغنية تترنم بها فتاة بدوية ، او مطارحات نتبادلها في جلسة ودية ، او ينظر مسحورا الى نبات غرسناه بايدينا ، او باقة ورد قطفناه بأصابعنا ونسقناه بأذواقنا ، او ما الى ذلك من عاديات حياتنا التي قد لا يخطر لنا على بال ان تكون مصدر الهام للشاعر المبتكر . وهناك عدد كبير من شؤون الحياة العادية ، نتصل به من قريب او بعيد ، دون ان يدور بخلدنا انه ذو خطر ، الى ان يجيء الشاعر المبدع ، فيجد فيه ينبوع فتنة وسحر . كيف ذلك ؟ هل نحن ذوو قلوب غلف ، واذان صم ، وعيون عمي ! لماذا سلخنا سنوات وسنوات من اعمارنا ننظر الى تلك الشجرة ، وذلك الجدار ، وهاتيك المغاني ، ونستمع الى ذلك الطائر ينقر شرفة بيتنا ، والخرير صادرا عن غدير قريتنا ، من غير ان نحسب ان لهذا علاقة بالشعر ، وانه مادة صالحة للشعراء ؟ اتكون مهابط الوحي الشعري على مقربة منا ، وعن يميننا وشمالنا ونحن عنها غافلون ، ثم ياتي اخيرا انسان فيزيل الغشاوة عن اعيننا لنرى اننا كنا شبه اموات قبل ان تمسنا عصاه السحرية ؟ سيبقى سر ذلك عند الشاعر الذي ربما كان هو الآخر لا يدري من امر نفسه شيئا ، سوى انه خلق هكذا ، طرازا خاصا من الناس ، يقترب منهم حتى ليشم رائحة عرقهم ، ويبتعد عنهم حتى ليبعد مئات الفراسخ والاميال ، خاضعا في ذلك لقوة لا يعرف لها مصدرا . ولامر ما شاءت الطبيعة الا تركب العين الشعرية في وجوه جميع الناس ، بمعنى ان تجعل منهم اناسي يعيشون للشعر ، فماذا يحدث لو كنا جميعا ننظر الى مظاهر الحياة كشعراء ؟ لنتصور وضعنا الاجتماعي مع هذه الحالة ، لنتخذ من الاسرة الواحدة مجالا لتطبيق هذا الامر المفترض . هب – مثلا – ان جميع افراد اسرتي – بما فيهم انا وزوجتي واولادي – شعراء (1) ، فكيف ينعكس ذلك على حياتنا المشتركة ؟ الكل يعلم ان الشاعر الذي نذر نفسه لفنه واعطاه زمام امره ، كلف بالجمال في أسمى معانيه ، شغوف بالكمال يطلبه بكل عصب من اعصابه ، متبرم بكثير من الاوضاع المستقرة من حوله ، وانه تصدر عنه احيانا تصرفات غريبة ، وقد يعتاد عادات شاذة ، وتستبد به نزوات حادة ، متأثرا في ذلك كله بالطبيعة النفسية المفطور عليها ، الامر الذي قد يضر بالناس المحيطين به ، فلا يستطيعون التوفيق بينه وبين مقتضيات الحياة العائلية المشتركة ، فاما ان يقطعوا الاسباب التي تصلهم به ان كان ذلك في الامكان، واما ان يتحماوه متأسين بكونهم يؤدون واجبا لامتهم ، اذ يحيطون برعايتهم شاعرا من شعرائها الافذاذ . فاذا كان جميع افراد اسرتي شعراء ، كان لكل واحد منا نزواته واحواله المتناقضة وحماقاته ايضا ، وبذلك لا نستطيع ان نعيش مجتمعين تحت سقف واحد يوما واحدا ، في جو هاديء جميل ، اذ ان كل واحد منا سوف لا يحتمل الآخر ، وهكذا نفهم انه لكي يكون انسان ما شاعرا يهب حياته لهذا الفن الجميل ، لا بد من وجود اناس عاديين من حوله وعاديين جدا ، يقدمون له الرعاية الكافية ، لينصرف الى آفاقه العلوية ، ويعيش في ملكوت الشعر وادعا رضي الخاطر مطمئن البال . وقد لا يجد الشاعر ممن حوله رعاية على الاطلاق ، فهم يحاربونه ويناصبونه العداء ، ويفسدون عليه جوه الجميل ، ولكن هذا كله قد يحتمل الا ان يكون الكل شاعرا . فاذا نحن خرجنا من محيط الاسرة الى المجتمع الكبير ، لنجده بقدرة قادر، مكونا من الشعراء فقط ، تصورنا مدى الحماقة التي ارتكبناها عندما ذهب بنا الخيال بعيدا فافترضنا هذا الافتراض الغريب ! !

واذن يكون الخير كل الخير في الوضع الذي اقرته الطبيعة التي لا تخطيء ابدا ، وهو أن تبقى القدرة الشعرية مقصورة على افراد معدودين في كل بيئة ومجتمع ، على حين أن الآخرين ينصرفون الى شؤون دنياهم الكثيرة ، دون ان يمنعهم ذلك من ان يحلموا احلاما شعرية جميلة في بعض لحظات حياتهم .

فاس : عبد العلي الوزاني

1) اقصد بالشعراء اولئك الذين وهبوا حياتهم للشعر ، لا من يقولون الشعر في بعض الاحيان .

والموجودات كلها تشبه دوائر متحدة المركز ، كل موجود يرتبط مباشرة بالمركز كما ان جميع الاعداد ترتبط بالعدد « واحد » من غير ان تنشأ عن بعضها ، فمائة هي مجموع تسعين وعشرة غير ان لها في نفس الوقت صفات وخصوصيات ليست لـ تسعين ولا لـ عشرة ؛ ومجموع هذه الخصوصيات هي ماهية المائة ، وتكونت مائة من جهة اخرى من تكرار الواحد الذي يشبه في توليد الاعداد الوجود في ايجاد الاشياء. ان سائر الاعداد تتفق في انها تركبت من العدد واحد وتتباين في ان كلا منها له خصوصيات تنحصر فيه وكذلك الامر في سائر الموجودات تتفق من حيث الوجود وتختلف من حيث الماهية .

قسم الحكماء احكام الوجود الى احكام ايجابية واحكام سلبية . موضوع الاحكام الايجابية هو الوحدة والكثرة والعلة والمعلول والقوة والعقل والجوهر والعرض والعلل الاربعة والمقولات العشرة . وهذه الاحكام هي جوانب من الوجود يمكن معرفة الممكنات بواسطتها . والاحكام السلبية هي عدم تعريف الوجود كون الوجود بسيطا وعدم كونه مركبا وكون الوجود كلا وعدم كونه جزءا وقس على هذا .

فبتركيب هذين المسلكين يعني طريق الاحكام الايجابية والسلبية يتيسر العلم الكامل بالوجود .

الوجود من جهة هو ما وراء العالم الظاهر « ولا شيء خارج عنه اصلا » (1) . ومن جهة اخرى : منه تنبع جميع صفات العالم واليه تعود (2) . ان معنى الخلقة في القرآن المجيد هي اعطاء الوجود ورسم الاعيان الثابتة في اللوح المحفوظ كما يقول الشيخ محمود الشبستري في « كلشن راز » :

وما ان نفخ قاف قدرته من روحه في القلم
حتى انطبعت آلاف الاشكال على لوح العدم
تلك القدرة التي اظهرت الكونين
من الكاف والنون في لمح البصر

ان التاويل العرفاني لكلام القرآن المجيد الذي يقول بأن الله ظهر في العالم باسمائه ، هو ان الوجود ظهر في صفاته . ورد العدم ــ في الخلق من العدم الذي هو من أصول اغلب الاديان ــ بمعنى عالم الاحدية او اقل تعين ذات الباري تعالى التي لم تتشخص فيها بعد درجة الاعيان الثابتة عن بعضها البعض . الخلقة يعني تصور امكان ظهور تعيين الممكنات في العقل الكل وبالتالي ايجادها . العالم في راى العرفاء هو مجموعة من المرايا ينجلي الوجود في كل منها بدرجة معينة كما اشار ابن العربي الى ذلك في فصوص الحكم « جميع الممكنات في الحقيقة عدم . ولا وجود غير وجود الله تعالى الذي ظهر بصورة الاحوال ، المختلفة الناتجة عن الممكنات مثلما هي في نفسها ، يعني في تعينات ذاتها » . فكل الموجودات تشترك في الوجود وهي بدونه عدم صرف . كل ذرة في عالم الخلق مظهر من وجوده استقرت في مكان وزمان واستوفت شرطين ، هما الصورة والكمية .

ان للرحمة الالهية الفريدة حسب قول العرفاء فيض يحتضن كل شيء حتى العدم الذي هو في الظاهر ضد لها . يقول مولانا (جلال الدين الرومي) في ديوانه مثنوى معنوى :

نحن العدم الذي هو مظهر الوجود
وأنت الوجود المطلق لوجودنا
كينونتنا وتكوينها من عطائك
ووجودنا كله من ايجادك
لقد جعلت العدم يعشقك
وبذلك عرفته لذة الوجود
لم نكن ، ولم نطمح لان نكون
فعطفك هو الذي سمع صمتنا

بعد هذه الجولة المختصرة في تعريف الوجود نرى اننا وصلنا الى هذه النتيجة وهي ان الموجودات كلها ترتبط من حيث الوجود ومن حيث الصفات بالوجود المطلق ، لذلك لا يمكن تعريف الوجود بنسبته الى شيء خارج عنه ، فالوجود من جهة هو التعين الاول للحقيقة المطلقة وهو من جهة اخرى نور يكون باشراق على مثل الامكانات ، يعني الاعيان الثابتة ، الاشكال والاجسام التي تشكل العالم . ان الموجود سلم بين العدم والوجود فهو من حيث كونه بعيد عن الوجود المطلق ليس الا حلما وخيالا ولكنه في نفس الوقت يتصف بالواقعية من حيث كونه لا شيء غير الوجود . وحدة الموجودات اى ذلك الترابط الذي يشبه الخيوط التي تجمع عناصر العالم كلها مع بعضها هي مشتقة بذاتها من وحدة الوجود لان

جعل الصوفية والعرفاء معنى « لا اله الا الله » هي وحدة الوجود. يقولون: لا وجود غير الوجود المطلق.
راجع الفصل الاول من فصوص الحكم ، وتنزيل الارواح لعزيز النسفي .
لا يمكن عد هذه الصفات امرا ذهنيا فقط. لان مكانها في الوجود وفي سلسلة المراتب اكثر واقعية من طبيعتنا وهي تعين طبيعتنا بالدرجة التي نجعل فيها انفسنا مثل الوجود المطلق . قابليتنا لهذه الصفات هي بالقدر الذي لنا من الصفات » .
F Schuon : « Sentiers de Gnose », Paris, La Colombe, 1957, p. 115,

ان الفكر الانساني الذي هو انعكاس انفعال العقل الكل يميل بالطبيعة الى تجزئة تجاربه وتركيبها ، فعندما يحس الانسان شيئا معتدل الحرارة ، ينطبع بالفطرة فى فكره تصور الحرارة والبرودة اللذان يكون مجموعهما اعتدال الحرارة . وعلى هذا النحو عاين الحكماء والقدماء ان لكل شيء « شيء » اعطى بواسطته الواقعية وحال دون ان يكون معدوما « على اعتبار ان كل وجود طارد للعدم » كما ان له محدودية تميزه عن الاشياء الاخرى . ذلك « **الشيء** » فى اصطلاح الفلسفة الاسلامية هو « الوجود » وتلك المحدودية هي « الماهية » ، علاوة على ذلك فقد جعلوا الوجود المطلق هو ما وراء كل الموجودات. واعتبروا الوجود الجزئي وظهور الموجودات فقط بالنسبة الىالوجود المطلق . لقد كانهؤلاء الحكماء يدركون تماما بان الموجودات من حيث هي موجودات غارقة فى بحر الوجود ، لذلك فقد وضعوا تعريفات للوجود على هذا النحو : « الوجود : ما به يمكن ان يخبر عنه » او : « الوجود : ما يأثر الكل » او « امكان الخبر عن الشيء وجوده » .

يجب ان لا نغفل ان المقصود ب « وجود » الاشياء هو فقط بالنسبة الى الوجود المطلق . ويعترض الفيلسوف الفرنسي باسكال Pascal فى احدى مؤلفاته بانه لا يمكن تعريف الوجود المطلق لان هذا التعريف متوقف على استعمال كلمة « وجود » التي تشتمل هي نفسها هذا الموضوع الذي نريد تعريفه ويؤدي حسب اصطلاح القدماء الى الدور وحيث ان الدور سيتلزم تقدم الشيء على نفسه فهو باطل . والجواب على ذلك يجبالرجوع الى النسبة بين الوجود الكل والوجود الجزء .

ان بناء بعض اللغات مثل اللغة العربية يوضح الحقيقة العرفانية لاستغراق الموجودات فى الوجود . فكل الاشياء فى اللغة العربية تنضوي نسبيا تحت الوجود ولا يحتاجفى تعريف شيء الى كلمة «الوجود»(1)

ويمكن تعريف اى صفة بكلمة « الوجود » وذلك من حيث ان الوجود مبدأ كل صفات العالم . فالمراد فى الحقيقة من جملة « الجبل ابيض » هي ان الوجود له صفة البياض ففعل الوجود اذن اما ان يقيد معنى الوجود او ان يقيد معنى صفة من الصفات (2) ، كما ان الوجود المطلق موجود وله فى الوقت نفسه اتباع يعني النور والعلم وغيرهما . ان اثبات الوجود المطلق عن طريق الموجودات المستغرقة فيه امر عديم الجدوى، كما قال بعض الحكماء :

« اثبات الوجود المطلق عن طريق الموجودات غير ممكن لا من حيث عدم الاستطاعة فحسب بل من حيث ان الوجود فى كل مكان ولا يمكن وجود غيره » (3) .

ان النسبة بين الوجود الكلي Etre Being والوجود الجزئي Existence فى اللغة العربية واللغة الفارسية واضحة . فكلمة الوجود فى هاتين اللغتين تفيد معنى الوجود من حيث هو وجود كما أنها تفيد معنى وجود الشيء ، فمثلا يمكن القول ان اتباع الوجود هم النور والعلم وغيرهما ؛ كما يقال ايضا الشيء الفلاني موجود ، فالموجودات باسرها تشترك فى الوجود . والماهية هي التي تشخص الموجودات عن بعضها، وهذه فى الحقيقة هي المثل الافلاطونية او الاعيان الثابتة لدى العرفاء. وهي ايضا معنى الصورة والهيولي ان المادة هي المحدودية والصورة هي الرابطة التي تربط الموجود بالوجود الكلي. الوجود والماهية هما بابا وجود العالم ، والممكنات تقع بينهما وبين الكل ؛ وراء احداهما واجب الوجود ، ووراء الاخرى العدم المطلق .

لقد اطلق كل مذهب من مذاهب الحكمة اللدنية اصطلاحا خاصا لتعدد الوجود ، فمثلا يتحدث الـ تاؤئيست Taoist الصيني عن يين Yin ويانك Yang ويتحدث البرهمان عن بوروشا Purucha وبراكيرتي Prakiti ويتحدث المزدكيون عن الخير والشر ويتحدث الاشراقيون عن النور والظلمة ويتحدث عرفاء الاسلام عن تجلي الوجود والعدم . غير ان اهل هذه الاصطلاحات حقيقة واحدة لا غير .

فجميع الممكنات تكونت من سلسلة من المراتب تبتدىء بالمادة الاولى وتنتهي الى الوجود الكلي ؛

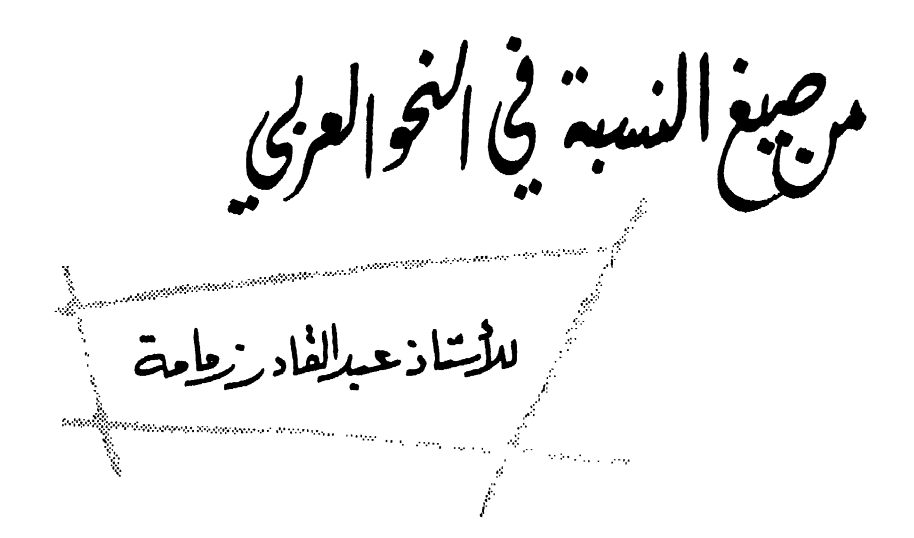
---

1) فمثلا معنى « موجود » ظاهر فى تعريف «الانسان حيوان ناطق » من غير استعمال كلمة « موجود » .

2) اذا كان مقصود الوجود « شيء » فمفاد كان تام واذا كان صفة من صفات موجود فمفاد كان ناقص .

3) يقول الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي : « رايت اسماكا صغيرة تمتص ثدي امها وتسالها لقد سمعنا كثيرا من الماء فأين هو ؟ ارينا اياه ؟ فأجابت السمكة الام : اروني غير الماء حتى اريكم الماء» يقول احد العرفاء المعاصرين :

ان الحبيب اقرب مني الى   واعجب من ذلك اني بعيد عنه
فلمن ابوح : واعجبا ان الحبيب   جنبي وانا مهجور



فى كتب التاريخ والجغرافيا . وفى معاجم الرجال وطبقاتهم . بالاضافة الى كتب اخرى تعنى بموضوعات التراث الاسلامي فى الفلسفة والمنطق والطب والصيدلة وغيرها .. يجد الباحث نفسه ازاء كلمات وضعت موضع النسبة الى عدة اشياء فيها الاعلام ، من بقاع ، وقبائل، واجناس .. وفيها غير الاعلام من حرف واعضاء واسماء الذوات واسماء المعاني وغيرها من كل ما تصح النسبة اليها ..

ورغم ان النحاة قديما وحديثا عقدوا فى كتبهم المطولة والمختصرة بابا سموه باب « النسبة » أو « النسب » ورغم انهم جعلوا هذا يدور حول الحاق الياء المشددة بآخر الاسم المنسوب ... لتظهر عليها علامات الاعراب .. مع بعض التغييرات اللاحقة لبعض الصيغ ، المقصور والمنقوص والممدود .. والمحذوف بعض اصوله ...

ورغم انهم جعلوا المنسوب فى قوة الاسم المشتق ث اعطوه صلاحية اسم المفعول فى العمل .. ! برفع ئب عن الفاعل ...!

فان هذا كله ليس الا قاعدة للاسماء التي نسبت بهذه الوسيلة وهي الحاق الياء المشددة .. اما ماء الاخرى التي نسبت فعلا بصيغة اخرى ... طريقة اخرى .. واستعملت فعلا فى كتب التراث سلامي منذ العصور القديمة ... فان النحاة يمرون مر الكرام ... ويعتبرونها شاذة تحفظ ولا يقاس عليها رغم كثرتها وشهرتها . واستعمالها منذ العصور الاولى ..

وهذا ابن مالك يختم باب «النسب» بهذا البيت الشهير ..

وغير ما اسلفته مقررا
على الذي ينقل منه اقتصرا

بعد ان قعد قاعدة المنسوب بالياء .. واشار الى ما يستغنى بالصيغة عن الياء ..

كبزاز — ونجار — وعواج — وعطار .

فى النسبة الى بيع البز ، والنجارة ، وصناعة العاج ، وبيع العطر .

وقد لفت نظري أن سيبويه عقد فى « الكتاب » بابا سماه هكذا « باب الاضافة وهو باب النسبة » مشتملا على عدة فصول ، من جملتها فصل فيه اشارة الى اسماء فيها النسبة بالالف والنون .. مثل :

جماني — لطويل الجمة .

اللحياني — لطويل اللحية .

الرقباني — لغليظ الرقبة .

كما ذكر اثناء الباب : الروحاني ، و الرباني ، فى النسبة الى الروح ، والرب .

وجود العالم هو الظهور الكلي للوجود المطلق ، وعلم الموجودات يؤول الى علم الوجود لان كل الاشياء غارقة في بحر الوجود .

ان قولة دكارت المشهورة « انا افكر فانا موجود » توضح جيدا ابهام مفهوم الوجود فى الفلسفة الجديدة لان كفة تجربة الفكر فى هذه الجملة ارجح من معرفة الوجود . ولكن لا مجال لترديد او شك فى الحكمة اللدنية،حيث ان الوجود هو المركز الذي يمكن بواسطته معرفة كل الاشياء .

وبنفس الدرجة التي ينساق معها العقل الاستدلالي بذاته ابدا الى الشك ، فان الذوق والشهود، ينتهيان الى اليقين ، لان العالم او العلم يصبح واحدا مع المعلوم او الوجود فى العقل الكل او عقل العالم القدسي ويكون اليقين حصيلة هذا الاتحاد بين العلم والوجود .

فكما ان هدف العلوم القديمة هو اظهار وحدة الموجودات والعلم بناحية من الوجود فان غاية الحكمة اللدنية هي معرفة الوجود من حيث هو وجود ثم الاتحاد به وعندما يصبح الاتحاد بين العلم والوجود ميسرا فلن تعترض تعريف الوجود اية صعوبة . واذ ذاك يمكن القول بأن « الوجود هو ما هو موجود » من دون أن ينتج عن ذلك تكرار عقيم .

غير اننا ما دمنا لم نصل الى هذا العلم الرفيع بالوجود فليس امامنا طريق غير ان نعرف الوجود : بانه مبدأ أصل الموجودات ، فنعرف الوجود المطلق عن طريق وجود العالم والصفات الدنيوية التي هي لا شيء غير تكسر الوجود وتجليه على لوح العدم .

فاس : الدكتور عبد اللطيف السعداني

10 — عرباني : منسوب الى العربية فهو عرباني اللغة ....

11) — شهواني منسوب الى الشهوة وامراة شهوانية

ب) مجموعة لصفات الانسان الخلقية

نذكر منها على سبيل المثال :

1 — الشعراني : كثير الشعر

2 — اللحياني : عظيم اللحية

3 — الجماني : طويل الجمة

4 — الرقباني : غليظ الرقبة

5 — انفاني : عظيم الانف

6 — املواني : شاب ناعم .... وامراة املوانية ....

7 — انفخاني : رجل انفخانوانفخاني امتلا سمنا

8 — صدراني : كبير الصدر

9 — خوطانية : فتاة خوطانية منسوبة الى الخوط

10 — شعشعاني : الشعشعان الطويل الخفيف الجسم ، والشعشعاني الطويل العنق .

ج) مجموعة النسبة الى البقاع والاجناس والمهن

1) بهراني : منسوب الى بهراء من احياء اليمن ويقال فيه ايضا بهراوي على الصيغة المشهورة

2) سنعاني : منسوب الى صنعاء

3) الهندواني : سيف هندواني منسوب الى الهند

4) منبجاني : منسوب الى « منبج » بالشام ، قال ابن سيدة كساء منبجاني منسوب الى منبج على غير قياس ....!

5) العبراني : العبرانية اللغة الاسرائيلية ، والعبراني والعبري : اليهودي ....

6) البحراني : منسوب الى البحرين ....

7) اسكندراني : منسوب الى الاسكندرية .

8) الديراني : منسوب الى الدير .

9) الصيدلاني : منسوب الى الصيدلة . وهو الصيدلي أيضا ....

10) الطوراني : نسبة الى الطور بمعنى الجبل وقد اخذت الكلمة مدلولا جديدا شهيرا .

11) الفاكهاني : بائع الفاكهة ومنسوب اليها .

د) مجموعة منسوبات شتى :

1) الجواني : نسبة الى الجو بمعنى باطن الشىء .

2) البراني : نسبة الى البر بمعنى خارج الشىء ومنه : « من أصلح جوانيه . أصلح الله برانيه » وهو من كلام سلمان الفارسي ...

وقد اخذت كلمة «البراني» معنى الشىء الخارجي وقد ذكر الزمخشري فى « اساس البلاغة »

« افتح الباب البراني » واستعملها فى المعنى الحقيقي قبل ان يذكر المجازات ..
والاستعمال المغربي جار على ذلك فيقولون الباب البراني . ويعنون الخارجي .... ويصفون الطارىء على البيت او المدينة بالبراني ....

3) نوراني : منسوب الى النور .

4) روحاني : منسوب الى الروح . ولسيبويه وغيره من النحويين واللغويين كلام طويل فى مدلول الروحاني .

5) نفساني : منسوب الى النفس .... وقد سبق ان نقلنا عن « التصريح » .

6) الفوقاني : نسبة الى فوق .

7) سفلاني : نسبة الى سفل .

8) تحتاني : نسبة الى تحت ....

9) أرنباني : منسوب الى الارنب يقال خز ارنباني يعني شبيه بلون الارنب فى الدكنة ....

10) بحراني : دم باحر . ودم احمر باحر . وبحراني شديد الحمرة .

11) سمساني : منسوب الى السمسم .... الحب الدهني المعروف

12) جسداني : منسوب الى الجسد

13) جسماني : منسوب الى الجسم .

14) صوفاني : كبش صوفاني كثير الصوف .

هذه بعض الكلمات التي وجدتها فى مناسبات شتى لمراجعة قاموس الفيروز بادى ، وتاج العروس

وقد دفعني هذا الى مزيد من البحث عن هـــذه الصيغة فى كتب النحو المطولة .. لاسيما وقد تزاحم امام السمع والبصر عدد من الكلمات نسبت بهذه الطريقة .

لكنني كنت اخرج من مراجعة كتب النحو والصرف بنتيجة واحدة ...! وهي انهم يعددون المنسوبات بالالف والنون .. ويعقبون عليها بانها نسبة شاذة ...! فهـــذا العلامة رضي الدين الاستراباذي فى شرحه المفيد علـــى شافيـــة ابن الحاجب يقول :

وقد يلحق ياء النسب اسماء ابعاض الجســـد للدلالة على عظمها . اما مبنية على فعال كأنافي للعظيم الانف ..! أو مزيدا فى آخرها الف ونون كلحياني ورقباني وجماني لطويل الجمة .. وليس البناآن بالقياس ..! بـــل هما مسموعان (1) ..!!

والاشموني فى شرح الالفية يشير الى هذه النسبة اشارة عابرة ذاكرا منها بعض الامثلة «الشاذة» (2) .

والشيخ خالد الازهري فى « التصريح » يشيـــر فى آخر باب النسب الى الشواذ وهي تسعـــة اقسام..! ويجعل هذه النسبة فى القسم الثاني قائلا :

«والثاني بالزيادة فقط كقولهم مروزيبزيادة الزاي نسبـــة الى مرو — ورباني — وفوقاني — وسفلاني — وتحتاني — نسبة الى الرب . وفوق — وسفل — وتحت قاله طاهر بن احمد القزويني » (3)

وعبارات النحاة والصرفيين الآخرين لا تخرج عن هذا النطاق من كون النسبة بالالف والنون مسموعـــة شاذة .

واذن فالنحاة من سيبويه الى من دونه يعتبـــرون هذه الصيغة اعني النسبة بالالف والنون شاذة تحفظ ولا يقاس عليهـــا ..

وحيث ان هذا كله لم يكن كافيا لاقناعي بطـــي البحث والاعتماد على قول النحاة القدامى والمحدثيـــن فقد اتجهت الى المعاجم اللغوية لاخذ رايها ومذهبهـــا فى الموضوع ..

والمعاجم اللغوية تحتاج الى استقراء مواد اللغة مادة مادة ليمكن استخراج المنسوبات بالالف والنون ..

وهذا عمل يحتاج الى زمان وفراغ ... ورغم ان الاستقراء التام لم يكن متيســـرا .... فقد حصلت على مجموعة من هذه المنسوبات من خلال اوقات .... ومراجعات

أ) مجموعة لصفات الانسان الخلقيـــة

1) — البلتعي ، والبلتعاني : فالبلتعي الرجـــل اللسن الفصيح ، والبلتعاني : المتظرف المتكيس وليس عنـــده شيء ..!!

2) — البيذرانـــي : رجل بيذراني كثير الكـــلام مهـــذار

3) — خالصي وخلصاني : يستوي فيـــه الواحـــد والجماعـــة (4) (بمعنى المختار من الاصدقاء) .

4) — رجل رباني والجمع الربانيون . والكلمة مذكورة فى القرآن الكريم بصيغة الجمع .... وقد وردت فى الآثار بصيغة الجمع وصيغة المفرد ، ومعناها شهيـــر معـــروف ..

5) — رجل قنعاني وقنعان : قال الشيخ مرتضى فى (تاج العروس) ومما يستدرك عليه (صاحب القاموس) رجل قنعاني بالضم كقنعـــان ....

والقنعاني هو الذي يرضى الناس برأيه وشهادته وحكمه ويقتنعون بكلامـــه ....

ونص صاحب القاموس على أن قنعان ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ..! ويظهر أن القنعاني كذلـــك ....

6) — كلماني : بفتح اللام وتسكينه .... مع صيغ اخرى فى القاموس .... الفصيح الكثير الكلام ....

7و8) — منظراني ، مخبراني : رجل مخبرانـــي منظراني ذو مخبر ومنظر . نص على ذلك الشيخ مرتضى فى مادتـــي نظـــر ، وخبر من « التاج »

9) — وحداني : الرجل الوحدانـــي المفـــارق للجماعة المنفرد بنفسه .... قـــال الشيـــخ مرتضـــى : منسوب الى الوحدة . الانفراد بزيادة الالـــف والنـــون للمبالغـــة ....!!!

---

1) الرضى على الشافية — القاهرة 1926م ص 90.
2) الاشمونـــي ج 4 ص 192
3) التصريـــح ج 2 ص 337 .
4) انظر تاج العروس ج 4 ص 390

دم العروبة غال ...

للشاعر: محمد الحلوي

خطب ! ولا كخطوب هزت العربا فصارعوها وصدوا عنهم النوبا
ومحنة جرعتنا العار مترعة كؤسه وسقتنا صابها نغبا
تلك الفجيعة لم ترزء عروتنا بمثلها بين من عاشوا ومن ذهبا !
مشت بها عجلات الدهر مرصدة للعرب فاغرة فاها الذي احتجبا
وصوبتها سهاما لم تصب هدفا وانما مزقت ارواحنا اربا
قد داهمتهم وهم لاهون في دعة فما استطاعوا لها صدا ولا غلبا
ومن ينم بجوار النار مغتبطا وآمنا شرها يصبح لها حطبا
صهيون في صمتها تبني ووحدتها فلا خلاف ولا دعوى ولا شغبا
والعرب تحيا على الامجاد راكبة اهواءها همها ان تلقي الخطبا
في عالم حيواني شريعته ان لا حياة به الا لمن نهبا
فلا وفاء ولا اخلاق يكبرها ولا مبادىء يرعاها ولا ادبا
لا الغرب اعطته اخلاقا حضارته الكبرى ولا الشرق من ايمانه اقتربا
والشرق قوته في دينه فاذا جفاه ضاعت قواه واستحال هبا
فكيف اغفل قومي قوة خلقت امجادهم ومشوا في ظلها حقبا ؟
وكيف ينسون دينا كان رائدهم في كل نصر وكان القلب والعصبا ؟
وكيف ساروا فرادى والعدى كتل تهز ايديهم الاجراس والطلبا ؟
ومن يحارب بلا دين يباركه يخذله ما ساق من جند وما جلبا

* * *

للشيخ المرتضى الزبيدي ولاشك عندي أن هناك عددا اكبر منها قد نسب بهذه الطريقة : طريقة الالف والنون .

وليس مما تطمئن اليه النفس ويرضى عنه الذوق اللغوي ان تكون هذه الطريقةشاذة غريبة عنالاستعمال العربـــي ....!

وليس مما تطمئن اليه النفس ويرضى عنه الذوق اللغوي أن « ينفي » النحاة والصرفيـــون من كتبهـــم المطولة والمختصرة هذه الصيغة فى « النسبة » بينمـــا نجد المواد اللغوية فى المعاجم تقدم لنا كثيرا من الاسماء نسبت بهـــا ....!

— فاذا كانت هناك «النسبة» بالياء المشددة ....

— وهناك النسبة بصيغ فعال ، وفاعل ، ومفعال وغيرها

— فلتكن هناك نسبة بالالف والنون ...

والذوق اللغوي مستعينا بالقواعد الاساسية هو الذي يستطيع ان يستفيد من هذه الطرق كلها ويستعمل كلا منها فى المكـــان المناسب ...

فاس — **عبد القادر زمامـــة**



او ان يعــرب قــد خـــارت عزائمهـــا　　وضيعـت رشدهـا من هــول ما ارتكبـا

* * *

كانـــت مصابـا وكانـت غصة وشجـــى　　ونكســـة وقضـــاء مبرمـــا كتبـــا

الشـــر كشـــر عن أنيابـــه شرهـــا　　والفـــرب مـزق عــن اطماعه الحجبـــا

والعرب تصــرخ فـــي الدنيـا مجلجلـــة　　كأنمـــا تسمـــع الموتـى او النصبـــا

كفـى بكـــاء ! فـــان النصـــر مرتهـــن　　بوحــدة تصلـــح الوضع الــذي انقلبـــا

وفي الخطـوب لمــن يمنـى بهـا عبـــر　　اجــدى واثمــن مما ضـــاع او ذهبـــا

متــى ستـرفع أيدينـا مشاعلهـــا ؟　　وينصـف الدهـــر مــن أعدائـــه العربـــا ؟

انــي أرى الفجـر قــد لاحـت بشائـــره　　وموعــد العــرب مــن دقاتـــه اقتربـــا

محمد الحلوي



ومن وضاعة دنيانا وخستها ... ان يسحب المسخ فيها ذيله عجبا !
وان ترى لبني صهيون الوية ... خفاقة تتحدى هامها الشهبا
وان ترى الاسد من ابناء يعرب في ... ايدي القرود تعاني الاسر والسغبا
اسد اذا زارت في اسرها انخلعت ... قلوبهم وانثنوا من بأسها رهبا
كانوا — ومن سينكر — احرارا اذا ظلموا ... يستصرخون الرماح الشمر والقضبا
ولا يطيب لهم عيش اذا هضمت ... لهم حقوق ولا يخشون من وثبا
لم يعرفوا الذل الا في قصائدهم ... أهاجيا لاعاديهم ولا الغضبا
ولم يرق دمهم الا على شرف ... ديست كرامته او مبتلى نكبا
شمائل عربيات توارثها ... ابناء يعرب اما حرة وابا

* * *

فكيف تطمع صهيون وشيعتها ... ومن يساندهم أن يقهروا العربا ؟
ومن لهم ان يردوا الاسد جامحة ... أو يوقفوا السيل هدارا ومصطخبا ؟
ومن لهم ان يهدوا الشم راسخة ... اطوادها تنطح الاجواء والسحبا ؟
الغرب يعلم انا امة كتبت ... في صفحة المجد ما قد ارهق الكتبا
واننا لم نهن يوما لطاغية ... ولا ضعفنا فلم ندرك لنا طلبا
ونحن من عجموا الاحداث واقتحموا ... اهوالها وامتطوا تيارها اللجبا
فلم يزدنا اقتحام الهول يفجعنا ... الا اقتدارا على تذليل ما صعبا
مفاخر حسبها — لو لم نكن عربا — ... بين الشعوب لامست وحدها نسبا !

* * *

عدمت قومي ان لم يثأروا لدم ... جرى على عتبات القدس وانسكبا
دم سقى ارضها العطش فما ظمئت ... من بعد وروى القيعان والهضبا
دم العروبة غال لا كفاء له ... ولو شروه بما في ارضهم ذهبا
بكت فلسطين يوم الروع فتيتها ... وعاركت وحدها الاهوال والكربا
يا يومها وقوى العدوان ترتع في ... احشائها وتصب الموت واللهبا !
وقد ابيحت مجالي الوحي وانتهكت ... واصبحت بين ايدي المعتدى سلبا
واطبقوا كانسياب السيل يجرف ما ... يلقى فلم يتركوا سينا ولا نقبا
واصبحوا واما نيهم تعللهم ... ان يدخلوا مصر أو ان يفتحوا حلبا
كانما القدر الاعلى تحركه ... آمالهم فيلبي كل ما طلبا

فاستساغت مني اذن لحنها هذا الخفيا
اذ سمعت الصمت تحنا (م) نا وتنفيما شجيا
ورايت اللطف فنا قائم اللذات جليا

* * *

واشارت بيد يهوى في تفكيرا جريا
قلت : لو كنت خليا قلت قولا « أشعبيا » :
حبذا لو كنت منها ذلك الصب الحظيا
فأرى الكون جميلا وارى الكل هنيا
وارى « لانخرون » العذ (م) ب مكانا عبقريا
ارتضيه لي مصيفا جبليا بي حفيا
حيث الفيهما اما قد يكونان سويا
فهو يلقاها وتلقا (م) ه ، هنيئا ومريا
ويظل الحب حبا ابديا سرمديا
او ارى « كيو بيد » يرمي سهمها رميا قويا
فيصيب السهم شخصا شد ما كان أبيا !
ويثير العشق فيه اجتراء « كيخوتيا » (3)
يا ترى ، يشفيه حب ؟ ام ترى ، يكويه كيا ؟
هل يرى فيه سعيدا ؟ أم يرى – حتما – شقيا ؟

* * *

كل هذا وانا في معزل أبدو قصيا
ارقب المشهد خلوا فأعانيه شجيا
كيف لا اشجى وحبي ظل في « تطوان » حيا ؟
لم يكن الا سريا وشريفا أبويا
هادفا بنتي « نوارا » فلذتي انس عينيا

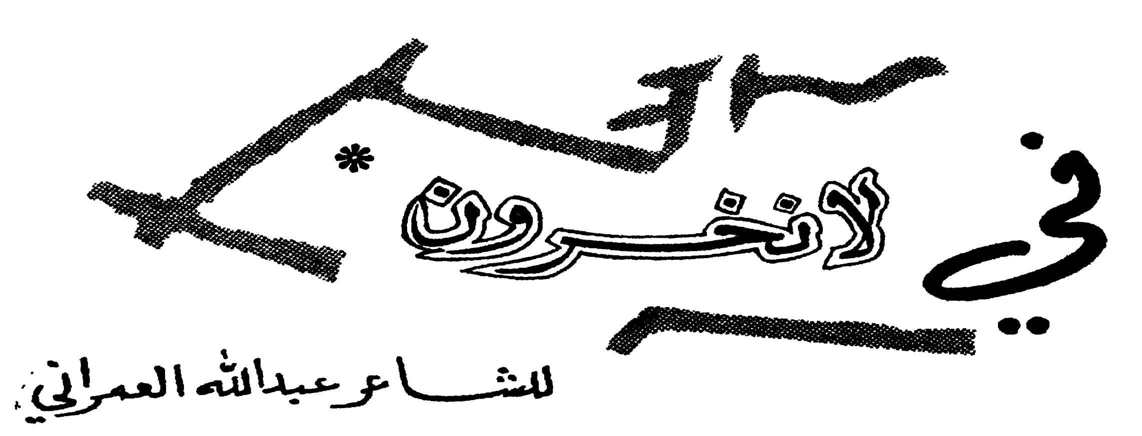
* * *

سددن – ربي – خطاها واحبها عمرا زكيا
واحمها – ربي – وصنها كن نصيرا ووليا

لانخرون 3 – 9 1967 **عبد الله العمراني**

---

3) نسبة الى : Don Quijote بطل قصة Cervantes الشهيرة .



بينما اغدو مليا   اذ رات عيني شهيا
منظرا يخلب لبا   ويثير الحب نيا
منظرا يستلفت الحـ (م)   ـس ويستدعيه : هيا !
قد يتيح النهى عجزا   قد يعير اللسن عيا
ان يكن ايقظ ميتا   فلكم اقبر حيا !

* * *

غادة قدت من البد (م)   ر جمالا والثريا
وغدا حسنها يسمو   في سما الحب سنيا
وسرى في الناس يغزو   كل مقدام كميا
واذا ما القلب سرعا (م)   ن ما اضحى « طابوريا » (1)
فاندحار المرء في هـ (م)   ـذي الوغى بات حريا

* * *

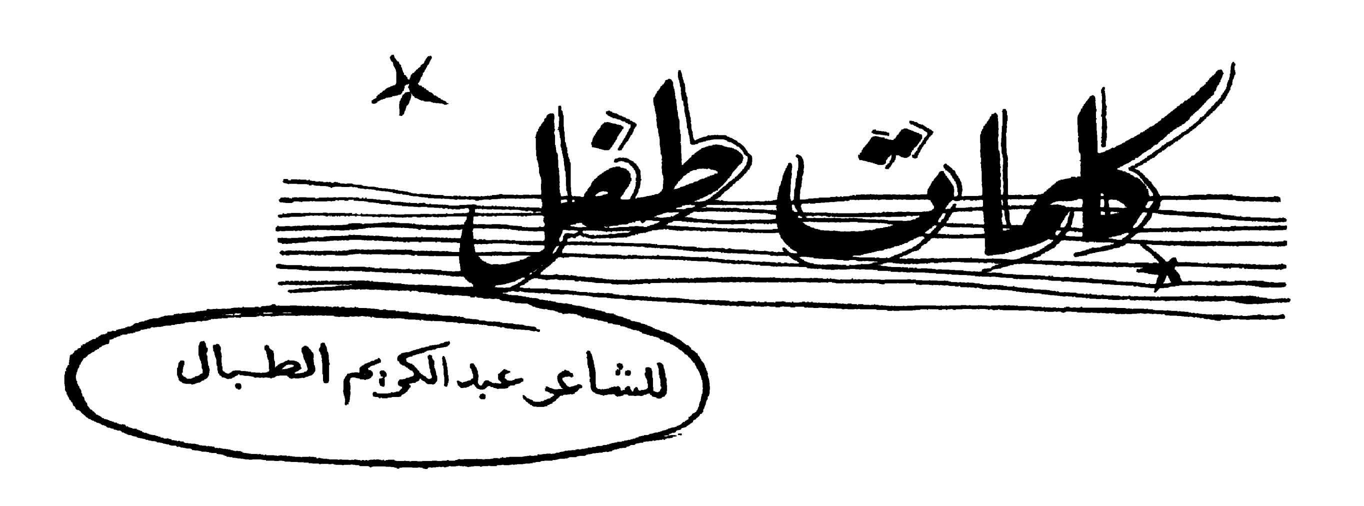
وقفت تجذب صبا   نحوها جذبا حصيا (2)
وهي في روعتها كالز (م)   هرة الفضة ريا
وهو منها في لحام   يجعل الجسمين شيا
قد احاطته بأيد   بضة بيضاء ري
ثم راحت في حنان   تنقر الجسم الفتيا
باظافير حسان   كسيت لونا بهيا

---

*) Lanjaron بلدة تقع جنوبي غرناطة ، وتبعد عنها نحو 40 كيلو مترا .
1) من « الطابور الخامس » وهو الاصطلاح الذي اطلق فى الحرب الاهلية الاسبانية على دعاة الهزيمة .
2) متعقلا قامت به ذات حصاة اي ذات عقل وراي .

فيها ظلال من هجير النار فيها العطر اشهى من رحيق الدالية
فيها فناء الدار والام التي فتحت له الاحضان ولهى باكية
تشتمه تتلوه آية شوقها في قبلة في غمغمات حانية
في ضمة كالظل يكبر في جنين الامسيات الشاعرات الغافية
لكن تطول به الطريق وتكبر الاشباح في ليل الرمال الدامية
وتطل من كل الدروب محاجر الاغوال تلهث جائعات ضارية
وتموت في عينيه آلاف الرؤى الخضراء تغرب في بحار شاتية
لكن شيئا رائعا ينـدق في شفتيه كالاعصار احلى قافية
ازهى من الانغام في الاعراس اخلد من زغاريد الطيور الحاكية
يتوغل الاسوار ، يكسر كل جدران الزمان ، يطير روحا سامية
حتى يغوص الى قراري ، يزرع الامواج في شطآن ثلج ساجية
حتى أعود أنا حروفا في النداء ، انا حريق في الجراح الشاكية
فانا هو الصوت الجريح انا لكل السادرين التائهين الراوية
انا لن اموت ولو تداعى الزحف وانتكست لنا رايات أرضي الباقية
سأظل احفر في الجماجم ، أزرع الازهار شائكات غاوية
سأظل اغرس في العيون براعم الاحقاد سوداء العطور الذاوية
حتى يموت الموت فينا . نهجر القبر الكبير الى الحياة الثانية
نمشي الى الساح العريض لنغزل الفجر الجميل من الدماء الغالية

شفشاون : عبد الكريم الطبال



من احر الافق الجريح ، من القلاع المسبيات ، من البروج الهاوية
من ضفة الاطلال ، من كهف الرماد ، من المراكب في البحار الصادية
عبر النداء الى أحمر كالجروح يؤجني ، يدوي دوي السافية
ينـدق في وجهي حصى ، في ناظري شوك ، وفي حرقي نواح الساقية
فالثلج في الكلمات يسقط في مهاوي الصوت كالاوراق نارا عاوية
والصمت في الاحداق يرحل عبر افق موحش لم تستحم به شادية
والعنكبوت وكل جدراني التي في الكهف تهوي مثل دمع السارية
فأنا لهيب للجمار ! انا صدى للصوت تحرقني الحروف النارية
فأنا غبار للحوافر في دروب الموت تعلكني رياح عاتية
فأنا رشاش الجرح في كلمات طفل سادر عبر الخيام النائية
قدماه تحترقان في الرمل الخصيب ، وافقه انهار نار جارية
تيهان يزرع في الطريق دموعه حمراء كالدم في الجراح القانية
النار في اذنيه تصرخ كالابالس في الجحيم . كما البحار الراغية
والحزن في عينيه يكبر كلما طافت به رؤيا الديار الغالية
والحقد في القلب الصغير يطل كالعصفاف يعلو في سماء الرابية
فاذا هفا بالناظرين الى بعيد هاله طوفان سحب داجية
واذا التوى خلف الديار راى الدخان يموج في الاجواء ريحا صارية
عيناه تنتظران أن تلد الرمال الماء في دوحات ورد زاهية

غداً ستلتئم الجروح

للشاعر محمد الميموني

يا قومي اندلعت بالنار والغضب ... حناجر ومشت جحافل العرب

لموعد النصر تملأ الفضاء صدى ... وتفرش الدرب بالرصاص واللهب

التل يا ملتقى ألوية عقدت ... لتمحو الذل عن جبينك العربي

انا بنو أمة تسيل مهجتها ... أو تنتجز العهد منذ سالف الحقب

أبر « خالد » في اليرموك وانخنست ... امام «طارق» هوج «الابيض» اللجب

سل (بور سعيد) وسل عنا جزائرنا ... سل البطولات من بناتها ؟ تجب ..

.. باننا أمة سيوفها لمعت ... شموس نصر على الدنيا ولم تغب

فما دها جيف في القعر مهملة ... عبر الزمان تثير الليث . واعجبي ! .

صهيون يا ذنبا بالامس هشمت رأ ... سه فكيف أراع اليوم بالذنب

اذا صبغت دروب القدس من دمى الـ ... ـمسفوح فالبذل شيمتي وشأن أبي

غدا ستلتئم الجروح في وطني ... ويزهر الدم في سيناء والنقب

محمد الميموني



اضربه توجعه فصاحا ⁂ واضناه تألمه فناحا

واحرقه الهوى بشواظ نار ⁂ فضاق بحملها ذرعا فباحا

فتى فضحته ادمعه غزارا ⁂ ودمع الصب يفضحه افتضاحا

تبرحه جراح داميات ⁂ واي متيم كتم الجراحا ؟ ...

* * *

الى م الحب يلهيني فألهوا ؟ ⁂ ويصرعني ... فأحسبه مزاحا ؟ ؟

الى م الذكريات يرعن قلبي ⁂ فأكتمها ... واصطنع انشراحا ؟

لنعلم كل كائنة باني ⁂ مشوق ... لا عتاب ولا جناحا

وليس بشاعر في الناس من لم ⁂ يذق حبا ... ولم يهو الملاحا

وليس بسيد من عاش سال ⁂ واخلد للسكينة فاستراحا

فجر يا حب ، او فارحم فاني ⁂ فتى في الحب قد مرن الكفاحا

وجرعني السموم فان قلبي ⁂ يرى في سمك الماء القراحا

واشعل شمعدانك في فؤادي ⁂ وحاذر ان تذيب به الصلاحا

غرامي فيك ايماني وديني ⁂ وفي حبي ارى الشرف الصراحا

اينفصني العذول يبيح عرضي ⁂ وفي حبي جعلت دمي مباحا

فخل ذوي الغباوة في دناهم ⁂ حيارى ، واغنم القدر المتاحا

ولا تحفل بما قالوا ... فاني ⁂ ارى الدنيا بلا حب براحا

مفدي زكرياء

الهجري (11 م) او قربه ، وكاهل برنو ، وسفى ، وقد اسلموا طوعا ، كما يفهم من كلام ابن خلدون .

وربما تقاتل بعض سلاطين هذه البلاد مع بعضهم (فيحرك) سلطان لغيره ، ويغير على بلاده ، ويسبي ما تيسر له منهم ، وهم مسلمون ! ويباع السبي وهو حر مسلم !

قال : وهذا مستفيض عندهم في بلادهم : يغير اهل كشن على كنو ! وكذا غيرهم . والسنتهم واحدة ولغتهم متحدة ، وحالاتهم متقاربة ، لا يفرق بعضهم عن بعض ! » .

وتبلغ نسخه سبع نسخ .

5 — والى جانب مؤلفات ورسائل احمد بابا ، يوجد حوالي 30 مؤلفا للشيخ المختار الكنتي التنبكتي دفين ازواد (1143 — 1226 هـ 1729 / 30 — 1820 / 1 م) .

و 13 مؤلفا لولده محمد (ت — 1241 هـ 1828 م)

و 9 لحفيده احمد البكاي (ت — 1282 هـ 1865 / 6 م)

ورسالة واحدة للمختار بن محمد (ت 1296 هـ 1878 م)

6 — ولبعض هذه المؤلفات قيمة كبيرة في الكشف عن اتجاهات خاصة في التفكير الاسلامي في هذه المنطقة وما يجاورها على عهد مؤلفيها :

(أ) مثل كتاب (جذوة الانوار) للمختار الكنتي . وموضوعه الرد على عالمين من شنقيط احدهما يقال له ابن بونا الذي اعلن بكفر من يقطع بقول الاولياء الصالحين ! وثانيهما ابن حب الله الذي يتهمه المختار الكنتي بالطعن في الامام مالك ابن انس ، لانه زعم ان الامام مالكا انما ياتي بالاقوال الظنية كسائر المجتهدين جميع الائمة ! وهذا ما يراه الكنتي غير صحيح !

وابن بونا هذا هو المختار بن بون الجكني ، كان حيا سنة 1208 هـ 1794 م ترجمه احمد بن الامين الشنقيطي في (الوسيط ، في تراجم ادباء شنجيط) ص 3 — 284 . القاهرة 1378 هـ 1958 م .

ووصفه بتاج العلماء ، وذكر انه كان يشدد على المختار الكنتي ، ثم رجع عن ذلك وصارت بينهما مكاتبات .

وابن حب الله هو محمد المجيدري بن حبيب الله ، ترجمه ايضا في الوسيط (ص 214 — 216) فقال عنه : هو العالم الوحيد ، الذي ما له من نديد ! وانه اتصل بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله ، ونال الحظوة عنده ، ورحل الى المشرق واكرمه امير مصر .

قال : ويكفيه ان الصالح سيدي احمد بن ادريس الفاسي تلميذه ، وهو نزيل مكة وعسير من بلاد تهامة ، ومؤسس الطريقة الادريسية الشهيرة وكان داعية للعمل بالقرآن والحديث ونبذ التقليد المذهبي (1173 — 1253 هـ 1759 — 1837 م) (راجع عنه محمد زبارة في (نيل الوطر) ج 1 ص 223 — 227 القاهرة 1348 .

وذكر في (الوسيط) ان المجيدري كان من اعظم تلامذة ابن بون ثم وقعت بينهما وحشة شديدة! (ص 215)

وحلاه الشيخ حمدون ابن الحاج الفاسي (1174 — 1232 هـ 1760 / 1 — 1817 م) في احد دواوينه الشعرية بالمجتهد على الاطلاق ! واورد بعض مساجلات جرت بينهما (راجع مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم د 383)

وانشدني له صديقي العالم الداعية الشيخ محمد سالم بن الهادي المجلسي الاداري من شنجيط (موريطانيا) في احدى زياراته للرباط ، قوله — ينفي عن نفسه تهمة الابتداع التي وجهها له انصار التقليد . ومنه يتبين اتجاهه الفكري في حصر القداسة الدينية في الوحي الالهي وحده — :

لو كنت بدعيا لما كان الصواب
عندي الاحاديث الصحاح والكتاب

وذكر لي ان له تاليفا في الفقه سماه (زهر الافنان) مخطوط في شنجيط (موريطانيا) ولا شك ان الاطلاع على هذا الكتاب سيفيد في التعرف على اتجاهه في الاجتهاد .

(ب) — ومثل كتاب (فتح القدوس في الرد على ابي عبد الله محمد اكنسوس) لاحمد البكاي بن محمد ابن المختار الكنتي ، وهو مجلد ضخم في الرد على الطريقة التجانية ، وفيه يندد مؤلفه بالتقليد ودعوى انقطاع الاجتهاد ، ويعد ذلك صدا عن الكتاب والسنة !

7 — وتتجاوز نسخ مؤلفات هذه الاسرة وحدها مائة نسخة .

مؤلفات علماء غرب افريقيا في المكتبات المغربية

للأستاذ محمد ابراهيم الكتاني

نقـدم فى هذا العدد نص المحاضرة القيمة التي القاها فضيلة الاستاذ السيد محمد ابراهيم الكتاني ممثل جامعة محمدالخامس المغربيـة بمؤتمـر الدراسات الشرقية الدولي السابع والعشرين الذيانعقـد بجامعة آن أربر ميشيغان بالولايات المتحدة يـوم 17 غشت 1967 فى لجنـةالشرق الادنى والعالم الاسلامي .

1 ــ فى المكتبات المغربية ازيد من مائـة مؤلف ، لحوالي خمسة عشر مؤلفا مـن افريقيـا الغربيـة (السودان المغربي) . وبعضها مما لا تكاد تخلو منـه مكتبة مغربية ، وبعضها تتعـدد نسخـه فى المكتبة الواحـدة .

وتبلغ هذه المؤلفات فى مجموعها حوالي ثلاثمائـة نسخـة .

* * *

2 ــ ومما يعطي لهذه القائمة قيمـة خاصـة ما ورد فى كتاب (افريقيا تحت أضواء جديدة) للاستاذ بازل دافيدسن المنشور سنة 1959 والذي عربه جمـل محمد احمد مـن اديس ابابا سنـة 1961 وطبعت ترجمته ببيروت ــ قوله عن احمد بابا (963 ــ 1036 هـ 1556 ــ 1667 م) : الذي لا نعرف على التحقيـق ان كانت ءاثاره ضاعت ام هي فى مكان لم تصل اليه يـد بعـد ! ثم يعقب فى تعليق بأسفل الصحيفة قائلا : قيل لنا ــ ونحن نعد هذا الكتاب للطبع ــ : ان باحثا كدودا ! قد عثر ــ فيما يبدو ! على مخطوط لاحمد بابا فى مكتبة المتحف البريطاني ! ! (ص 161)

فها هو باحث كدود ! ءاخر يقف بالفعـل على حوالي 30 كتابا ورسالة لاحمد بابا ! وبعضها فى نسخ عديدة ، تبلغ فى مجموعها مائة نسخة !

3 ــ ومن بينها (كفاية المحتاج) فى اختصـار (نيل الابتهاج) بالذيل على الديباج ، وقـد ختمهـا بالترجمة لنفسه ، وذكر اسماء مؤلفاته ، وتبلغ نسخها 11 نسخة ، بعضها منقـول من خط المؤلف مباشرة وبعضها منه بواسطـة .

4 ــ ومن بينها (معراج الصعود) الذي يتضمن ــ على صغر حجمه ــ معلومات مهمة عن تاريخ القبائل السودانية وصلتها بالاسلام :

فاهل برنو ، وكانو ، وكشن ، ومالي ، وكوبـر ، وسغـي ، مسلمون وجل فلان ، وبعض زكزاك ، أسلموا بدون استيلاء احد عليهم ، ومنهم من هم قدمـاء في الاسلام ، كاهل مالـي ، اسلموا فى القـرن الخامس

ما يصور مبلغ الحرص على سلامة النسخة من التحريف ، واسناد كل عمل لمن يستطيع القيام به ، والمستوى الثقافي الممتاز الذي يمكن صاحبه من ان يقوم بشكل اربعة اجزاء من (المحكم) على ما به من غريب .

5 – كما يوضح ان الثقافة اللغوية والادبية العالية استمرت الى هذا العهد فى هذا الوسط مسايرة للثقافة الفقهية المعتادة .

* * *

ولا شك ان فى المكتبات الشخصية المنتشرة انتشارا كبيرا فى مختلف مدن المغرب وقراه ، وبواديه وجباله وصحاريه عددا عديدا من المؤلفات التي لم نستطع التعرف عليها .

وخصوصا فى المناطق الصحراوية المجاورة لافريقيا الغربية ، والتي كانت بها مراكز علمية مهمة ، وظلت مغربية عدة قرون الى مطلع هذا القرن الجاري، مثل موريطانيا ، والساقية الحمراء ، وتوات والقنادسة والساورة ، وغيرها .

14 – كما اننا قد نكون اغفلنا كثيرا من المخطوطات التي خيل الينا فى مؤلفيها انهم من احدى هذه المناطق وقد يكون بعضهم من غرب افريقيا لا من شمالها !

* * *

15 – ويرجع انتشار هذه المؤلفات السودانية بالمغرب الى اسباب عديدة :

1 – منها مبايعة الرئيس ابي العلاء ادريس سلطان مملكة برنو سنة 990 هـ 1582 م ، الملك المغربي احمد المنصور السعدي ، ثم غزو جيش هذا الاخير مملكة مالي وما انضاف اليها وضمها للمغرب سنة 999 هـ 1591 م ونقله بعض علمائها الى مراكش مثل الشيخ احمد بابا الذي تتلمذ له كثير من المغاربة اعترفوا بفضله وتهافتوا على انتساخ كثير من مؤلفاته

وخصوصا (نيل الابتهاج ، بالذيل على الديباج ، ابن فرحون) فى طبقات الفقهاء المالكية ، الذي خدم خزانة احمد المنصور ، المشتملة على الطم والرم ، كتب العلم ! – حسب تعبيره –

وتشتمل قائمتنا على وصف عشر نسخ مخطوطة احداهما من مبيضة المؤلف ، واخرى من مبيضة المؤلف التي كان اعطاها للمؤرخ المغربي الشهير احمد ابن القاضي (960 – 1025 هـ – 1616 م) واجازه ، واوصاه ان لا يمكن احدا من الانتساخ منها ! لانه في المخرجة زاد وغير ، فالاعتماد على المخرجة .

ونسخة ثالثة نسخت من نسخة كتبت من أول نسخة منها بخط المؤلف .

وقد طبع (نيل الابتهاج) على الحجر بفاس ، ثم طبع بالقاهرة ، واصبح مرجعا اساسيا من مراجع الثقافة الاسلامية التي لاغنى عنها لباحث فى تراجم الرجال .

2 – ومنها رابطة الطريقة الصوفية ، مثل طريقة الشيخ المختار الكنتي التنبكتي القادرية التي انتشرت فى المغرب باسم الطريقة المختارية والكنتية ، والتي انتسب اليها بعض الملوك والوزراء والعلماء بالمغرب وكانت لها زوايا بمراكش وفاس ومكناس والرباط وءازمور وغيرها .

وكان فى بعض هذه الزوايا مكتبات علمية ، مما ساعد على انتشار مؤلفات الشيخ المختار وولده وحفيده ، وبعض مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي الذي نجده موصوفا فى مخطوطة من مخطوطات تفسيره (ضياء التاويل) بانه (مختاري) مشربا .

ومثل الطريقة التيجانية التي اسسها بفاس الشيخ احمد التيجاني (1150 – 1230 هـ 1737 – 1815 م) وانتشرت فى اقطار افريقيا انتشارا كبيرا . والف فيها كثير من الافارقة ، كما الف فى الرد عليها ءاخرون .

3 – على ان بعض مؤلفات غرب افريقيا لم تصل الى المغرب من السودان ، وانما جاءت من الشرق العربي ، الذي هاجر اليه مؤلفوها والفوها هناك ، مثل (بهجة الآفاق) لمحمد الكشناوي الذي الفها بمكة المكرمة وتوفى بعد فى القاهرة ، ومثل (قطف الثمر) لصالح الفلاني الذي الفه بالمدينة المنورة ، بعد ما طلب العلم فى الغرب الاسلامي مثل تامكروت ومراكش وغيرهما .

ءان اربر – ميشيغان (الولايات المتحدة)
17 غشت 1967 .

محمد ابراهيم الكتاني

8 ـ وتشتمل القائمة ايضا على مؤلفات :

للسوداني ؟ شارح المختصر (مختصر خليل) .

ولمحمد بابا بن محمد الامين بن حبيب بن المختار التنبكتي (ت 1014 هـ 1605 / 6 م) .

ولاحمد بن محمد بن احمد السوداني قاضي تنبكتو (ت 1044 هـ 1634 / 5 م)

ولمحمد بن محمد الفلاني الكشناوي (ت 1154هـ 1741 / 2 م)

ولصالح الفلاني (ت 1218 هـ 1803 م)

ولمحمد عبد الله النعاني البرتلي الولاتي المتوفى سنة 1220 هـ 1805 م)

ولاحمد الفوتي بن القاضي ابي بكر بن ابراهيم التنبكتاوي (زار مدينة فاس في طريقه للحج ، واخذ عن علمائها عام 1224 هـ 1809 م)

ولعبد الله بن فودي الفلاني (1179 ـ 1245 هـ 1765 / 6 ـ 1829 م)

ولسلطان نيجريا محمد بلو بن المصلح المجاهد عثمان بن فودى (1196 ـ 1253 هـ ـ 1782 ـ 1837م)

ولعمر الفوتي التيجاني المجاهد الشهير (1203 ـ 1280 هـ 1788 ـ 1864 م)

ولمحمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ثم التواتي دفينها نزيل برنو وتمبكتو المتوفى سنة 909 هـ 1502 / 3 م) وهو مغربي كما ترى ولكننا تساهلنا في عده سودانيا لصلته القوية بالسودان وتاثيره العظيم هناك

9 ـ وهذه المؤلفات تتناول على العموم مختلف الموضوعات التي تناولها المؤلفون المسلمون في العصور المتاخرة ، قبل اتصالهم باوربا .

كتفسير القرآن ، وشرح الحديث النبوي . وروايته ، والسيرة النبوية ، ، والفقه عبادات ومعاملات والنوازل والتصوف ، والعقائد ، والوعظ ، والتاريخ ، والتراجم ، والمناقب ، والنحو ، واللغة ، والاوفاق والاسماء (سر الحرف) والاوراد والاذكار والدعوات، والسياسة ، والنظم الاسلامية ، والطرق الصوفية ، والجدل والمناظرة ، والرد على المبتدعة وانكار المظالم وغير ذلك .

الى جانب الكتب الدراسية من متون وشروح وتعاليق .

* * *

10 ـ وهي تشتمل في عمومها على معلومات مفيدة جدا فيما يتعلق بالنواحي الفكرية والعلمية والاجتماعية والخلقية في عهد تاليفها . كما انها مفيدة بوجه خاص فيما يتعلق بميدان الصلات الفكرية بين غرب افريقيا وشمالها ، وبينه وبين الشرق العربي .

11 ـ وتوجد بالمكتبات المغربية ـ الى جانب هذه المؤلفات التي الفها مؤلفون سودانيون ـ من غرب افريقيا ـ مؤلفات نسخها فقط نساخ من غرب افريقيا مثل رسالة ابن ابي زيد القيرواني ، التي نسخها احمد ابن دنبسل الفلاني سنة 995 هـ 1587 م لامير المومنين ابي عبد الله محمد بان بن امير المومنين أسكى داود بن امير المومنين أسكى الحاج محمد .

ومثل الجامع الصحيح للامام مسلم بن الحجاج، والشفا للقاضي عياض وعليهما سند كاتبهما احمد بن دنبسل الفلاني السابق الذكر .

ومثل المجلدات العشر الاخيرة من كتاب (المحكم) في اللغة لابن سيدة الاندلسي كتبت في تمبكتو في أواخر القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، وغير ذلك .

12 ـ فهذه الكتب ـ وان كانت لمؤلفين غير سودانيين ـ فانها تفيد في معرفة بعض الاتجاهات الفكرية والثقافية في الوسط الذي كتبت فيه ، ومعرفة مستواه الثقافي ، وما اشبه ذلك .

فمجلدات (المحكم) ـ مثلا ـ تدل على انه :

1 ـ كانت بتمبكتو وقت كتابتها ـ نسخة اخرى ـ على الاقل ـ من المحكم ومنها انتسخت هذه النسخة.

2 ـ وكتاب (المحكم) ليس كتاب لغة عاديا تتجه اليه عناية من له ثقافة لغوية وادبية متوسطة ، ولكنه من المعاجم العربية الكبرى التي لا يهتم بالاستفادة منها الا من لهم ثقافة لغوية وادبية عالية .

3 ـ ثم ان هذه الاجزاء وحدها بخط اربعة نساخ مختلفين ، وذلك يدل على مبلغ انتشار العلم والثقافة وازدهار حرفة النساخة تبعا لذلك .

4 ـ ثم ان اربعة من هذه المجلدات العشرة كتبها شخصان ، وقام بشكلها الكامل شخص ءاخر ، وذلك

وصرت حليف الحزن مما كتمته
ومثل ضلوعي مثل كي بجمرة

وللقب ما بين الجوانح زفرة
ودمعي على الخدين يجري كمزنة

ولم استطع صبرا وكيف يصح لي
وقد هتكت من ديننا كل حرمة

وشاركنا الاعداء في قطر غربنا
وقد اخذوا جل البلاد البهية

وقد ارعبت تلك السواحل منهم
وصاروا يؤدون الخراج كجزية

وانتم شغلتم بالتعلل والمنى
بلغتم مراد النفس من كل لذة

واسعفتم الشيطان مما اراده
وملتم الى نهج الطباع الخسيسة

فهذا هوان واحتقار وذلة
وعار شنيع ثم قلة حيلة

فصرت اذا ادعو وارغب راجيا
ولي فى الذي ارجوه اصدق لهجة

واندب اهل الجد والعزم قائلا
عليكم بنصر الدين يا خير امة

وقوموا بجد للعداة لقد طغوا
عليهم من القهار اعظم لعنة

... ولم يقنعوا بما سبوا في بلادكم
واخوانكم في حال تلك القضية

فقصة اصيلا عرفتم جميعها
وما فعل الاعداء من شر غدرة

واضحت على الاسلام تبكي رسومها
كذا سكن قد صاروا فى ارض غربة

مساجدها تبكي على فقد اهلها
كأن لم يكن فيها مردد سورة

صوامعها قد عطلت عن اذانها
كأن لم يكن فيها اذان مصوت

مجالس اهل العلم يا صاح بدلت
بتلبيس رهبان ورجس الاخسة

والقصيدة على طولها تسير فى هذا النسق المؤثر .

ولا تقل آثار احمد بن عبد الله بن ابى محلي المتوفى عام 1022 \ 1614) فى ميدان الادب القومي عن آثار ابن يحبش التازي ، ولو انه لم يؤلف في الجهاد كتابا خاصا ولم يجمع له ديوان — فيما نعرف — . وانك لتجد فى اثناء مؤلفاته من ذلك الشيء الكثير مما يدل على غيرة وطنية قوية ولو ان فكرة المهدية والفاطمية قد خامرت عقله وطغت على قلمه احيانا . ففي كتابه (الاصليت) يستطرد فى الباب الاول ذكر احوال المغرب المؤسفة بعد موت احمد المنصور الذهبي ويتفجع قائلا : « ... ولما ضجت الاقطار ، وغلت فى كل ناحية من الغرب الاسعار ، والفتن فيه مع الوباء منذ سنين لا تنفك عنه كموج الزخار ، والمسكين ضائع ، وانعكست الرؤوس فاعتلى السخيف، وتدلى الشريف ؛ ومات الحق واضمحلت رسومه ، وقام سوق الباطل فى كل بلد وهاجت سمومه ، والبحر بافلاك الكفرة ملآن ، والبر بسواحله فى غاية الذل من عبدة الصلبان (...) هنالك سالت دموع القلم على خد الطروس ، فاسود وجه المبيض من شدة البأس وكثرة البوس ، فى يوم عصيب عبوس ، قمطرير يشيب الرؤوس ، وقد انهدم الصبر بين يدي الجور وصالت التيوس ... » .

وبينما ابن ابي محلي يؤلف كتاب (سلسبيل الحقيقة والحق) أواخر عام 1019 \ 1610 اذ بلغه خبر سقوط مدينة العرائش في يد الاسبان ، فقطع ما كان يكتب عن ارزاق الائمة والقضاة والمفتين ، وكتب صفحات وطنية رائعة نثرية وشعرية :

« ... ولما وصلت الى هذا المحل من هذه الفصول ، وقد ورد علينا خبر مهول ... وان العرائش من الساحل قد اخذها الكفار وهم على اثر ذلك بجيش يجيش يريدون استئصال الاسلام ، واقتناء الحرائر بنات الاعلام ، وابناء الكرام ، واذلال كل ملك بالغرب ، وجعل الذلة والصغار بالقرب ، على اهله بالتمام . ارقني ما سمعت ، واقلقني لما رايت من شتات الكلمة ، خوفا ولهفا على كل مسلمة ، ان يطأ فراشها الاغلف ، ويتخذ بعلها عبدا اجلف ، وولدها يبكى ، وحال زوجها تبكي . فانا لله وانا اليه راجعون ان صح هذا النبأ العظيم ، والى الله تعالى وحده الضراعة في كشف البلوى عن هذا الاقليم . هنالك تنفست الصعداء بهذه العجالة ، لعل بني النجدة من المومنين يستيقظون لوعي المقالة ، خصوصا منهم من كان ذا سلطان ، كيف لا يغضب لله تعالى عن حزب الشيطان . فواها على الدين ، ان لم يتداركه بعزته على يد هؤلاء المؤيدين :

لئن صح ما قد قيل ما عيش عائش
اذا اخذ الكفار ثغر العرائش

فيا معشر الاسلام من بعد عزكم
عليكم اخاف الذل لا من مناوش

فاين ملوك الغرب من كل ضارب
بسيف ورام فى جيوش الابارش



انعكاسات في أدب القرنين العاشر والحادي عشر

للأستاذ: محمد حجي

«3»

اذا كانت المواقف السياسية والحربية التي اتخذتها الدولة والشعب فى المغرب خلال القرنين الهجريين العاشر والحادي عشر (16 – 17 م) قد برهنت عن وعي قومي كما راينا ، فان الادب بدوره لم يخل فى هذه الفترة من شواهد رائعة فى هذا المضمار . وابادر الى القول باني اقصد بالادب القومي كل ما قيل أو كتب للتعبير عن عواطف ناطقة بحب هذا البلد الطيب ، او لاثارة حماس الجمهور وايقاد الحمية الوطنية فيه ليدافع المغير الاجنبي المحتل ؛ سواء كان ذلك الاثر شعرا او نثرا ، رسائل او خطبا او كتبا مستقلة او استطرادات فى فصول من كتب ، ولو اصطبغت بصبغة تفسيرية او حديثية أو فقهية ...

واذا كنا سنكتفي هنا باستعراض نماذج موجزة من هذا الادب القومي ، فلا بد من الاشارة – ولو اشارة خاطفة – الى بعض مميزاته وخصائصه . فهو قبل كل شيء ادب يصطبغ بصبغة دينية ، يدعو الى الجهاد ومجالدة العدو والكافر ، والى نصرة المسلمين والذود عن حرماتهم وبلادهم . ولا يقصد بالعدو والكافر – تلويحا وتصريحا – غير البرتغال والاسبان الذين كانوا يحتلون عددا مهما من الثغور المغربية ، كما لا تعني كلمة المسلمين وبلادهم – هنا – غير المغرب الاقصى وساكنيه خاصة . ويمتاز الادب القومي المغربي بنظرة الشمول ، الى حرارة العاطفة وصدق التعبير ، فهو – خلافا لما يزعمه المتنكرون للقومية المغربية – صادر عن جميع الطبقات الواعية فى مختلف جهات القطر ، لا يختص بمن أصابهم شرر الاحتلال وشره ، بل ربما كان انتاج العلماء والادباء المقيمين فى الداخل كتافيلالت وجزولة وتازا وفاس أوفر واغزر . ثم هو ليس ادبا اجوف خياليا يكتفي بالتفجع والتشكي والبكاء على الدمن . وانما هو أدب حي صادق يساير الواقع ويقترن بالعمل . اذ كثيرا ما كان اولئك الكتاب من رجال السيف والقلم معا . يحبرون الرسائل والخطب وينشؤون القصائد والموشحات والازجال ، ثم لا يترددون فى الخروج الى ميادين الكفاح متى دعاهم الواجب . وسبقت الاشارة الى انقطاع الاساتذة والطلبة عن الدراسة فى غير الفصل المطير للتفرغ الى الرباط والقتال فى سبيل الله ...

ومن اقدم رواد القومية المغربية محمد بن عبد الكريم بن يحبش التازي ؛ المتوفي حوالي عام 920 / 1514) وهو اديب كبير وصوفي عارف ، الف كتابا فى الحض على الجهاد ، وقف عليه ابن عسكر مؤلف دوحة الناشر – ص 54 – وقال انه : « مما ينبغي أن يتناول باليدين ، ويكتب دون المداد بالاجين » . وله ديوان شعر يحتوي على موشحات وقصائد كثيرة . ومن احسن آثاره القومية تائية عجيبة يتفجع فيها على سقوط الثغور المغربية فى يد العدو ويدعو الى الجهاد لتحريرها . وهي تقع فى 168 بيتا ، يقول فى مطلعها :

ابى القلب ان يسلو ومن لي بسلوة
ونومي جفا من اجل ما ناب مقلتي

طاعة من اوجب الله طاعته من الامراء ، وزاحمتهم بالتضريب فى البوادي بضروب الاهواء . وكان يكفيك لو قبلت النصيحة أن تسمع لامير المسلمين بقاعدة ملك المغرب مدينة مراكش . فالناس كلهم أو جلهم فى السمع له والاعانة بحسب الامكان ، طلبا لاستبقاء الامان ، وتسكين الاحوال ، والحذر من تفاقم الاهوال. وانت تريد بوهمك النازغ ، وطمعك الفارغ ، أن تشبها، وتثير فى المسلمين شبهها ، ثم لا طائل يعلو لك منها ، ولا مذاق يحلو لك بها ... فباعد فضول الفتن والتمطي اليها ، واتق النار التي توقد بين يديها ... »

وهي رسالة طويلة تنتهي بقصيدة فى نفس الموضوع من 29 بيتا . وللتمنرتي رسائل اخرى غير هذه الى الثائر التهارتي كلها تستهدف ارشاده الى الصواب وتجنب البلاد شرور الفتن والحروب .

وانشد التمنارتي فى عيد المولد عام 1033 بين يدي استاذه يحيى الحاحي المستبد اذ ذاك بحكم ترودانت وبعض بلاد سوس والاطلس الكبير قصيدة مطلعها :

الا ايها الروح اليماني تجددا
وبل حشاي والفؤاد الموقدا
وجر بكثبان اللوا وتلاعها
وقاعاتها الذيل الرطيب المرندا

وبعد ان يتخلص الى مدح الرسول الكريم يخاطبه بقوله :

... فيا خير موصول ويا خير واصل
ويا خير ما مول جدا وتوددا
تدارك بلاد الغرب منك بهمة
فقد صار منها الشمل شلوا مبددا
تعقدت الاهواء وامتد شؤمها
وبالمصطفى ينحل ما قد تعقدا

— يتبع —

الرباط — محمد حجي



سهـام المنايـا والخـزايا غنيمـة
لفرسان حـرب كالاسود النـوابش
من اهل الجبـال والوطا ومـدائـن
وعـرب ضـوار باللقـا والتنـاوش
... وطفل يصيح بالنفير هلـم لـي
بكـل جـواد ضيغـم في التهـارش
وكـل عقـاب افتـخ ذي مخالـب
كانيـاب غول فى صقـور نواهـش
كهـول وشيـب شيبتهـم وقائـع
ودونهـم الشبـان مثـل الاراقـش
وكـل عقـاب افتـخ ذي مخالـب
نسيب حسيب مدهش غير داهـش
اريـب اديـت مقـدم ومـقـدم
على كـل جيش بالصناديـد عائـش
... وكـل كريـم بربـري مبربـر
كليت الشرى عنـد اشتباه الهوائـش
عريـض طـويـل رمحـه ونجـاده
ومسدل شعـر خلفـه كالمنـاوش
من ابطـال تـل صائـل فـوق صاهل
وبحر على بحر من الهـول جـائـش
... فيا معشر الاسلام عـار عليكـم
تذلـون بعد العـز خوف الخشائـش
الا همـة تعلـو علـى كـل همـة
تفـك عـرابـا قلبهـا كالاحـابـش
... فللـم يوم آخـذ كـل ثـاره
بـه الاندلس من حميـر الفواحـش
... لحـا الله عيشا دونهـم لمرابط
وذى شرف مستضعف فى البشائـش
يخوضون بحرا من دمـاء فـلا تـرى
سوى راغب فى الموت لا فى القشائـش
يريـد رضـا الله من طلب العلـى
على همـة مـن فوق بـان وعـارش
اذا احجـم اللاهون عنهـا تقدمـوا
اليهـا احتسابا لا طـلاب المعايـش

والقصيدة من خمسين بيتا كلها دعوة الى افتكاك الثغور المحتلة واستنهاض لهمم كل سكان القطر فـي السهول والجبال . وله فى هذا الشان غيرها كثير .

اما في سوس فنجد من بين علمائها اديبا خلـف آثـارا قومية عدة ، هو عبد الرحمن التمنرتي المتوفى عام 1070 / 1660 ، كان يعيش فى ترودانت اثنـاء العقود العصيبة التي تلت وفاة احمد المنصور ، وقـد انتهت اليه رياسة العلم بمدينته وبلاد جزولة كلهـا . وحدث أن قام فى تزنيت ثائر دجال هو محمد بن عبـد القادر التهرتي ، حاول استغلال الفوضى المنتشرة اذ ذاك بالمغرب فادعى المهدية وراح يجمع الغوغاء من حوله ليستبد بالجنوب ، فوقف فى وجهه التمنرتي كاحسن ما يقف عالم وطني واع ، وجرد قلمه لدحض اباطيـل الدجال وزجره عن غيـه ، سالكـا فى ذلك سبيلي الترغيب والترهيب . ولحسن الحظ نجـد بعـض المراسلات المتبادلة بين الرجلين مثبتة فى صدر ديوان التمنارتي ، وفي احداها يقول مخاطبا التهرتي :

« ... فانك منذ نزلت هذا القطر نصبت للاطماع حبالتك ، ولا اراها الا تقتنصك ، وحـددت شوكـة أطماعك الفارغة ، ولا اراها الا تقترصك . ولا يحملك حروف هجائك ، الى مضايق حـروب هيجائـك ... وهلا اتعظت بصاحب هواك أحمد بن عبد الله (1) الذي بلغ غبار جراته وفتكه عنان السماء ، وهول بما هولت به من الفاطمية والمهدية وخواص الاسماء ، قد لعبت به عقبان جو القطر الذي طمعت ان تدبر ملكـه ، وأن تدير فى الامور فلكه (...) ثم ان انتهيت فلك السلامة، وانتفت عنك الملامة ، والا فانظر أي سماء تظلك ، وأي ارض تقلك ، فان القطر بأمرائه سيرميك بجبله وفضائه، موشك ان ينزل بك كريه قضائه ، فتشتت عنك حيلة معيشتك ، وتتلون عليك أيـام عيشتك . فلـو كنت صادقا فيما قلت ، وتبعت صريح ما نقلت ، لكفاك مع فهمه . ثم كانك لم تعلم ما انزل الله فى حفظ النظـام ، الذي به صلاح الدين وصلاح الانام ، من قوله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم) وقول الله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقوله عز وجل : (ومن يشاقـق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيـل المومنين نوله ما تولى ونصله جنهم) الى غيرها مـن الآيات الفاضحة لك أيها التهارتي . ومن قوله صلى الله عليه وسلم فيما رويناه من صحيـح الاحاديـث (أطع الامير ولو كان عبدا حبشيا كأن رأسه زبيبة . ومن خرج من الطاعة ، وفارق الجماعـة ، مات ميتـة جاهلية . اذا رايتم من ولا تكم شيئا تكرهونه فاكـره عمله ولا تنزع يدا من طاعته) ... وهـذه النصوص القرآنية والنبوية كلها أيها التهارتي اضعتها ، وانتحلت لها تمويهات اهواء فاطعتهـا ، ويوشك ان تواجهك بالعقاب ، وتخاطبك بضرب الرقاب ، اذا نكبت بها عن

1) الاشارة الى ابن ابي محلى المتقدم ، فانه ادعـى المهدية وتغلب على زيدان السعدي وملك مراكش نحو ثلاث سنوات لكن عاقبته كانت القتـل والصلب عام 1022 / 1614 .

عمدا ، واوضحوا من سبيل اتباعه مقصدا ، وتقبلوا شيمه الطاهرة عدلا وفضلا وبأسا وندى ، فكانوا بالنهار اسدا ، وبالليل ركعا سجدا ، سيوفا على من اعتدى ، (53 : أ) ونجوما لمن اهتدى ، حتى علت فروع ملته صعدا ، واصبح بناؤها مديدا مخلدا . والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذي يتصل سرمدا ، والصنع الذي يتوالى مثنى وموحدا . كما جمع لملككم ما تفرق من الالقاب ، على توالي الاحقاب ، يجعل سيفكم سفاحا ، وعلمكم منصورا ، ورايكم رشيدا ، وعزمكم مؤيدا — فانا كتبناه اليكم — كتب الله تعالى لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيف اودا ، وعزا (1) يملأ افئدة الكفر كمدا ، وجعلكم ممن هيأ له من أمره رشدا (2) ، ويسر لكم العاقبة الحسنى كما وعد (به) (3) فى كتابه العزيز (4) والله أصدق موعدا — من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، ولا زائد — بفضل الله سبحانه — الا استطلاع سعودكم فى آفاق العناية ، واعتقاد جميل صنع الله لكم فى البداية والنهاية ، والعلم بأن ملككم تحدى من الظهور على أعدائه بآية ، واجرى جياد السعد فى ميدان لا يحد بغاية ، وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولاية . ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفا ، ويسدل عليه من العصمة سجفا ، تقاسمه (5) الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفا ونصفا ، ونعقد بين ابقاء مسرته وبين الشكر لله حلفا ، ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله زلفى ، (53 : ب) ونأمل من امداده ونرتقب من جهاده وقتا يكفل به الدين ويكفى ، وتروى غلل النفوس وتشفى .

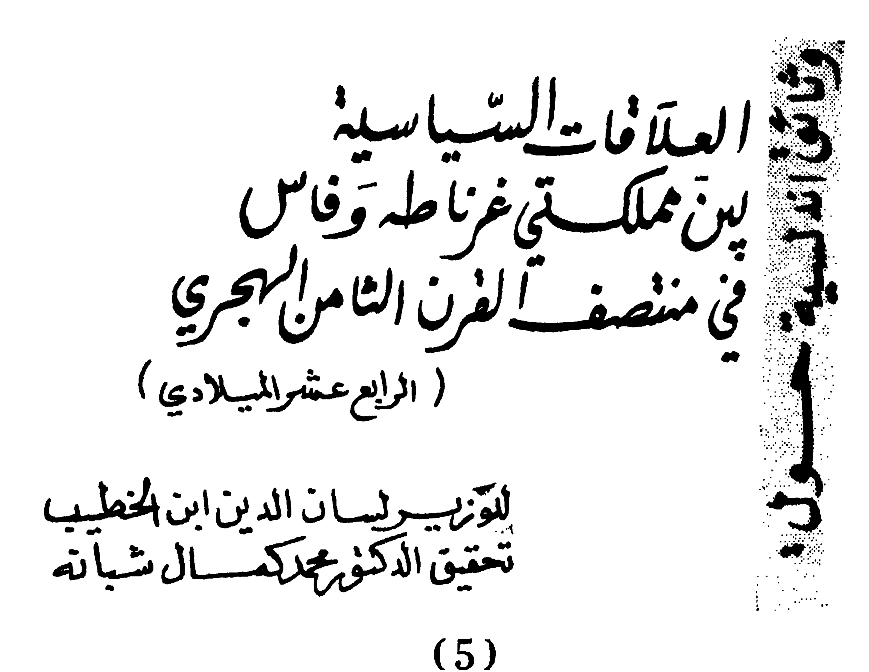
والى هذا — وصل الله سعدكم ، ووالى نصركم وعضدكم — فاننا من لدن صدر عن اخيكم أبى الفضل ما صدر ، من الانقياد لخدع الآمال ، والاغترار بموارد الال ، وفال رايه فى اقتحام الاهوال ، وتورط فى هوة حار فيها حيرة أهل الكلام فى الاحوال ، وناصب من أمركم السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقبال ، ومن ذا يزاحم الاطواد ، ويزحزح الجبال ؟؟ !! اخلف الظن منا فى وفائه ، واضمر عملا استأثر عنا باخفائه ، واستعان من عدو الدين بمعين قلما يورى لمن استنصر به زند ، ولا خفق لمن تولاه بالنصر بند . وان الطاغية اعانه وانجده ، ورأى انه سهم — على المسلمين — سدده ، وغضب للفتنة جرده . فسخر له الفلك ، وأمل أن يستخدم بسببه ذلك الملك (6) ، فأورده الهلك ، والظلم الحلك . علما ان طرف سعادته كاب ، وسحاب آماله غير ذات انسكاب ، وقدم عزمه لم يستقر من السداد فى غرز ركاب . فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بفضل نياتها ، وغايات الامور تظهر فى بداياتها . وعوائد الله تعالى — فيمن نازع قدرته — لا تجهل ، ومن غالب امر الله خاب منه المعول .

فبينما نحن نرتقب خسارة تلك الصفقة المعقودة ، (54 : أ) وخمود تلك الشعلة الموقودة ، وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الاخبار ، ويهدي طرف المسرات على أكف الاستبشار ، ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار ، عن الود الواضح وضوح النهار ، والتحقق بخلوصنا الذي يعلمه عالم الاسرار . فأعاد فى الافادة وابدى ، واسدى من الفضائل الجلائل ما أسدى . فعلمنا منهم مآل من رام ان يقدح زند الشتات من بعد الالتئام ويثير عجاجة المنازعة من بعد ركود القتام (7) ، هيهات ، تلك قلادة الله تعالى التي ما كان يتركها بغير نظام . ولم يدر انكم نصبتم له من الحزم حبالة لا يفلتها قنيص ، وسددتم له من السعد سهما ماله عنه محيص ، فيما كان من ارسال جوارح الاسطول السعيد فى مطاره ، حائلا بينه وبين اوطاره ، فما كان الا التسمية والارسال ، ثم الامساك والقتال ، ثم الاقتيات والاستعمال . فيا له من زجر استنطق لسان الوجود فجدله ، واستنصر بالبحر فخذله ، وصارع القدر فجدله لما جد له !! .

وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيدة ، ومنتسب الى نصبه (8) غير سعيدة ، وثائر غمرته من الكفار ، خدام الماء وأولياء النار ،

---

(1) فى نسخ الريحانة (وعزما) وهو مناسب كذلك .
(2) اقتباسا من قوله تعالى : « اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا : ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيىء لنا من امرنا رشدا » . سورة الكهف ، آية : 10 .
(3) زيادة في نسخ الريحانة .
(4) زيادة في نسخ الريحانة.
(5) في نسخ الريحانة « فقاسمه » .
(6) فى نسخ الريحانة « وامل ان يستخدمه بسبب ذلك الملك » .
(7) القتام : الغبار .
(8) فى نسخ الريحانة (نسبة)



(5)

(الوثيقة السادسة)

(52 : 1) وكتب اليه – رحمه الله – فى قضية اخيه المذكور ، وقد اشتهر انه ركب البحر (من اسبانيا) برسم اللحاق ببعض الجبال (فى المغرب) ، فظهر عليه الاسطول المأمور بالترصد له (بامر السلطان ابى عنان)، واخذ الجفن بالمذكور وبمن معه ، ولم يصح الخبر ، فاستدرك (ابو الحجاج يوسف سلطان غرناطة) الامر ، وامسك الكتاب :

« المقام الذي شهد الليل والنهار باتصال سعادته، وجرى الفلك الدوار بحكم ارادته ، وتعود الظفر بمن يناوئه فاطرد – والحمد لله – جريان عادته ، فوليه متحقق لافادته ، وعدوه مرتقب لابادته ، وحلل الصنائع الالهية تضفو على أعطاف مجادته ، مقام محل اخينا الذي سهم سعده صائب ، وأمل من كاده خاسر خائب ، وسير الفلك المدار فى مرضاته دائب ، وصنائع الله تعالى له تصحبها الالطاف العجائب ، فسيان شاهد منه فى عصمة الله وغائب . السلطان (الكذا) امير المؤمنين أبو عنان ، بن السلطان ابى الحسن ، بن السلطان أبى سعيد ، بن السلطان ابى يوسف يعقوب ، بن عبد الحق. وقاه الله تعالى مسدد السهم ، ماضي العزم ، تجل سعوده عن تصوير الوهم ، ولا زال (52 : ب) مرهوب الحد ممتثل الرسم ، موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعود القسم ، فائزا بفلج الخصام عند لدد الخصم. معظم قدره ، وملتزم بره ، المبتهج بما يسنيه الله تعالى له من اعتزاز نصره ، واظهار امره ، فلان (السلطان ابو الحجاج يوسف) .

سلام كريم ، طيب بر عميم ، يخص مقامكم السعيد، ومثابتكم التي حازت فى الفخر الامد البعيد (1) ، (وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد) (2) ورحمة الله تعالى وبركاته .

اما بعد حمد الله تعالى الذي فسح لملككم الرفيع فى العز مدى ، وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصر على أعدائه يوما وغدا ، وحرس سواء علائه ، بشهب من قدره وقضائه ، فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا (3) ، وجعل نجح أعماله وحسن مآله قياسا مطردا ، فرب مريد ضره ضر نفسه وهاد اليه الجيش اهدى وما هدى . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذي ملأ الكون نورا وهدى ، وأحيا مراسم الحق وقد صارت طرائق قددا (4) ، اعلى الانام يدا ، واشرفهم محتدا ، الذي – بجاهه – نلبس أثواب السعادة جددا ، ونظفر بالنعيم الذي لا ينقطع ابدا . والرضا عن آله واصحابه الذين رفعوا لسماء سنته

---

1) فى نسخ الريحانة (يخص مقامكم الاعلى ، ومثابتكم الفضلى ، التي حازت .. الخ)

2) زيادة فى نسخ الريحانة فقط .

3) اقتباسا من قوله تعالى : « وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا » سورة الجن آية : 9 .

4) اقتباسا من قوله تعالى : « وانا منا الصالحون ، ومنا دون ذلك ، كنا طرائق قددا» . سورة الجن آية :11

الذي كرمت الفاظه ومعانيه ، والسعد الذي عذبــت مجـنيه ، والصنع الذي يجمع للاسلام شتى امانيه — فانا كتبناه اليكم — كتب الله لكم سعدا راياته منشـورة ، وصنائع كتائب عناية الله لديه محشودة محشـورة ، ومجدا آياته مؤرخة مسطورة ، وقضاياه ذائعة مشهورة من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، والتشيع فيكم قوى سببه ، لاحب مذهبه ، والاعتداد بكم — فى سبيل الله — صريح نسبه ، جديرا أن يتسنى به للاسلام مطلبـه ، ويتحصل للدين الحنيف اربه .

والى هذا — وصل الله سعدكم ، ووالى تأييدكم وعضدكم — فانا ورد علينا كتابكم الكريم الانباء الباهر السناء ، السافر عن محيا المودة والولاء . تعرفون بمـا انتهى اليه حال من عاندكم من التضييق على جهاتـه ، واخذكم عليه طرق (56 : أ) منجاته ، وانكم أقمتم تلقاءه الحصص ، وجرعتموه الغصص ، وان الخائن الذي دلاه بالغرور ، وقدح زناد هذه الشرور ، ورام شق عصـا الامة بعد سكون الامور واشراق النور ، يعقوب بن ابى عياد ، أورطه الله فى حبال مكيدته التي نصبها ، واشرقه مأكلته التي غصبها ، وأمكن منه يد قدرتكم التي عودها التمكين ، وعرفها العز المكين ، وحذا له بما جحـد من عفوكم الذي البستموه ، وحلمكـم الـذي أوليتمـوه . فاطفأتم بجدول السيف نار شره ، وحسمتم بعلاج اليد سبب ضره ، وانفذتم فيه حكم الله — سبحانه — بمقتضى امره ، وانه لما استفهم عن شأنه واسباب خذلانه ، ختم عار قوله (1) بعار لسانه ، وزعم أن هذه الفعلـة التـي ارتكبها ، والدرة التي حلبها ، انما كانت باشارة من جهتنا اعتمدها ، ورام امدها .

وان مقامكم الذي أقامـه الله قسطاس حـق ، وعقلكم الذي لا يلتبس لديه باطل بحق ، انحى على هذه الدعوى الحنيثة بالتكذيب ، ولم يعدها من الممكن البعيد، فضلا عن الممكن القريب ، واضرب عن ـقول العـدو فى الحبيب ، فاستوفينا ما فسرتم ، وحصلنا ما قررتـم ، فقابلنا نعم الله عليكم بشكره وحمده ، وسألناه لكم مزيد فده. ومعلوم ان مقامكم محفوف من الله بعناية ملابسها (56 : ب) لا تخلق ، مكنوف برعاية انوارها تتالق . وانه — سبحانه — قد اختاركم وهو أعلم باختياره ، وقلدكم امانة ولا يفتات عليه فى مقداره . فالعجب مما خفيت ببصيرته هذه الدلائل والشواهد ، وغابت عنه هذه القواعد . زادكم الله من فضله ، وحكم للكم باعتـلاء محله . ونحن نصل شكركم على التعريـف ، ثـم على رخص ما القاه ذلك الخبيث من الكلام السخيف ، بيـن يدي الرعب المخيف والجبن المطيف . ومقامكم آصـل عقلا ، واشهر فضلا ، من ان يصغـى الى كـلام يقـوم البرهان على بطلانه ، ويشهد الحسن بخسارة قائلـه وخذلانه ، فالدعاوي اذا وقعت من بريء الجانب ، واضح المذاهب ، لا تقبل عن (2) غير دليل يعضدها ، او شهادة تؤيدها ، فكيف بها اذا صدرت عن ناكث غادر ، مسارع الى شق الامة مبادر ؟؟ مسلوب العدالة ، يستنجد خدع النفس الختالة ، ويشاهد فى السيف مجرى جريانـه لمسالـة .

ونحن نكل الامر الى علمكم بسيرتنا وسيرة سلفنا، فى اجتناب هذه الشبهات ، والاعراض عن شيم بوارق الترهات ، والتحفظ عن مداخلة الفتن مهما وقعـت بتلك الجهات . ولا دليل أرجع ، ولا برهان اوضح ، مما شهده كثير من خدامكم الذين بين يديكم ، حسبمـا يقررون لديكم ، من ان (57 : أ) والدكم — محل ابينـا السلطان الواجب علينا حقه ، الواضحة فى البر والتشيع لدينا طرفه — لما طلب منا الاعانة على ما كان بسبيله ، وصرف الى الانجاد فى الاجفان وغيرها وجـه تأميلـه ، قابلنا طلبه بالاعذار ، وأمسكنـا عن الركـض فى ذلك المضمار ، حذرا أن تكون بيننا وبين تلك الجهة تـره تتعقب عند الهدنة،او مداخلة فى شيءمن اسباب الفتنة.

هذا ، وحقوقه تحجنا بالسنة فصيحة ، وتجادلنا بأدلة صريحة . ولكن اخترنا الوقف مذهبا ، ولم نترك الحجة علينا سببا . والحال فى جهتكم عندنا الان أعظم ، والسبيل — بحمد الله — أقوم ، فانكم زدتم فى البـر واربيتم ، وعدتم فى الفضل وابديتم . وما حمل اخاكـم على ارتكاب الخطر الذي قلما نجا راكبه، واقتحام البحر المحيط الذي لا تبين مذاهبـه ، ولا تهـدى السارين كواكبه ، وتقبيل يد العدو الكافر وهو العمل الـذي لا تمحى مثالبه ، الا لما يئس من مداخلتنا فى أمره الـذي ابرمه ، واعانته على ما يممه . وبعـد ان سدت عليـه المسالك القريبة من مرمى امله ، ولم يجد فينا طمعـا لقبول قوله ولا عمله . فانفرد بفائله ضميره ، ولم يطلع غير طائفته على تدبيره .

فى نسخة الريحانة (وختم عار فعله) ولعله انسب
فى نسخ الريحانة (من) بدل (عن) ولعله اوفق .

تحكمت فيهم اطراف العوالي وصدور الشفار ، وتحصل منهم من تخطاه الحمام فى قبضة الاسار ، فعجبنا من تيسير هذا المرام ، (54 : ب) واخماد الله لهذا الضرام، وقلنا : تكييف لا يحصل فى الاوهام ، وتسديد لا تستطيع اصابته السهام . كلما قدح الخلاف زندا اطفأ سعدكم شعلته ، او اظهر الشتات الما ابرأ يمن طائركم علته . ما ذاك الا لنية صدقت معاملتها فى جنب الله تعالى وصحت ، واسترسلت بركتها وسحت ، وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلكم وتمت ، واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التي همت (1) .

فنحن نهنيكم بمنح الله ومننه ، ونسأله أن يلبسكم من اعتنائه اوفى جننه . فأملنا ان تطرد آمالكم، وتنجح ـ فى مرضاة الله ـ اعمالكم ، فمقامكم هو العمدة (2) التي يدفع العدو بسلاحها ، وتتبلج ظلمات كفره بانوار صباحها ، وتنام العيون الساهرة تحت ظلال صفاحها . وكيف لا نهنيكم بصنع على جهتنا يعود ، وبآفاقنا تطلع منه السعود ؟؟ !! فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذي رسومه قد استقلت واكتفت ، وديمه بساحة الود قد وكفت . الله عز وجل يجعل لكم الفتوح عادة ، ولا يعدمكم عناية وسعادة . وهو سبحانه يعلي مقامكم ، وينصر اعلامكم ، ويهني الاسلام ايامكم ، والسلام (الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته) (3) » .

(الوثيقـة السابعـة)

(54 : ب) « وكتب (ت) عنه جوابا عن التعريف بالقبض على المذكور ـ بعد هذا ـ بما نصه (4) :

المقام الذي يبدي الفضل (55 : 1) ويعيده ، ويحق الحق ويشيده ، ويزيح الباطل ويبيده ، ويسوغ الطول ويفيده ، فلا يشرئب للنزهات جيده ، ولا يخلص وده الاصيل جديده (5) ، ولا ينفق عنده من القول والعمل الا ما ظهر صدقه وبان تسديده . مقام محل اخينا الذي برهان وده لا يعارض بالشبهات ، واصيل اعتقاده لا يستنزل بالترهات ، وشمس فضله باهرة الآيات ، وجياد مجده مستولية على الغايات . السلطان (الكذا) ابو عنان بن (فلان) ، السلطان ابى الحسن) ابن (فلان) (السلطان ابى سعيد) بن (فلان) (السلطان أبى يوسف يعقوب) . ابقاه الله يعطي الامور بعقله الرصين حقوقها ، ويحرس ارجاء المودة ـ في الله ـ ان تعتاد الا لا فى الكاذبة طروقها ، وينحني على غراس السعايات فيتتبع عروقها . معظم مقامه الحقيق بالتعظيم منصبا وشيما ، وموقر ملكه توقيرا دائما ملتزما ، المثنى على فضله ثناء متمما ، الداعي الى الله فى صلة بقائه يرفع الاسلام علما ، ويعمر من ربع المجد معلما ، الامير (فلان) (السلطان ابو الحجاج يوسف) .

سلام كريم ، طيب بر عميم ، يخص مقامكم الاعلى واخوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

اما بعد حمد الله مظهر الحق ومعليه ، الذي يحكم آياته وينسخ ما يلقى الشيطان ويمليه ، حتى يروق وجه اليقين لمجتليه ، ويفوز بحسن العقبى حزبه ومتوليه . والصلاة والسلام (6) على (55 : ب) سيدنا ومولانا محمد نبيه الذي جمع الفضل فيه ، وانقذ الخلق من مهاوي التالف بتلافيه ، فثبت ما كان الضلال ينفيه ، وحصت قوادم الباطل وخوافيه . والرضا عن آله واصحابه وقرابته وذويه ، الذين كانوا نجوم ناديه ، وبروق غواديه ، وسيوفه على اعاديه . والدعاء لمقامكم الاسمى حرس الله اكناف معاليه ، وعرفه مقدم الفتح وتاليه ، وابقاه لفخر يبنيه ، وامل للدين يسنيه ، بالنصر

---

1) فى نسخ الريحانة (اهمت) .
2) فى نسخ الريحانة (العدة) بدل « العمدة » فلعل كليهما بمعنى .
3) تتمة السلام زيادة وردت فى نسخ الريحانة فقط .
4) هذه الرسالة من السلطان يوسف الاول الى ابى عنان فارس ، وقد ثبتت فى الريحانة ، وتاريخها تقريبي كسابقاتها لنفس الموضوع ـ وهي كما يتضح من مضمونها تفنيد للسعاية والمكيدة التي دبرها ابن ابي عياد ضد السلطان ابى الحجاج فى شأن هرب الامير ابى الفضل ، وهذا يتمشى مع الواقع الذي يراه معظم مؤرخي العصور كما ذكرنا ـ من ان السلطان يوسف الاول بريء من جريمة لحاق ابى الفضل بأرض النصارى ، حيث لا مصلحة لسلطان غرناطة في ذلك ، بالاضافة الى ان الدولة بغرناطة كانت تجتاز يومئذ نفس الظروف التي تقاسيها منذ تأسيسها تجاه جيرانها الاسبان الذين كانوا لها بالمرصاد ، يأملون أن يتوجوا بها حروب الاسترداد .
5) فى نسخ الريحانة (ولا يخلق من وده الاصيل جديده) .
6) زيادة فى « الريحانة » دون « الكناسة » .

أبو إسحاق ابراهيم التادلي من خلال أقواله

1242 هـ — 1311 هـ
1826 م — 1894 م

للأستاذ مصطفى الغرني

ان من الشخصيات المغربية الفذة ذات المواهب النادرة المثال ، التي اتسعت جوانبها واستطالت طاقاتها ، وتسنمت أسمى مكانة علمية – اواخر القرن الماضي – بمدينة الرباط ، وتربعت كرسي مشخيته باستحقاق وكفاية كاملة ، وامتازت بمشاركتها الفعالة في جميع الفنون المتداولة في ذلك العهد تاليفا ومناظرة وتدريسا ، واتصفت من بين معاصريها بقوة العارضة وسرعة الادراك ، وسعة الاطلاع ، معززة بذهنية حادة لالتهام المعارف انى وجدت ، والتقاطها من الافواه والكتب بنهم زائد مع تباين موضوعاتها ، وامتلاكها بحافظة مقتدرة على الاكتناز حتى اكتمال الغاية ، حاديها نشاط غريب يحفه الجد المثمر ويغمره الانكباب المستمر، ورائدها حب العلم للنشر ، ونصرة الحق ، واعلاء كلمة الله ، لا يضنيها اجهاد ولا تغريها رغبات عابرة عن طلباتها المشروعة ، ولا تلهيها مشاغل الحياة ومشاكلها العديدة عن هدفها المأمول ، ولا يقعد بها عن العمل نصب او عزاء ، ولا يطوف حواليها فتور او سأم – الحجة الدراكة ابا اسحاق ابراهيم ابن محمد بن عبد القادر التادلي – ذلكم الرجل النفاعة النصوح المقدام ، العزوف عن المظاهر الخادعة والمطامح الزائفة ، والزاهد السعي وراء الرغائب وعلو المناصب ، خاتمة العلماء الماثل وشيخ الاقران المبرزين الذي انتهت اليه رياسة في المعقول والمنقول في الفروع والاصول بالرباط وسلا عبر عن ذلك جهينة الاخبار ومؤرخ العدوتين محمد علي الدكالي في ارجوزته التاريخية « اتحاف أشرف ببعض اخبار الرباط وسلا» لدى الكلام على ترجمته بقوله : ابراهيم التادلي شيخ الفضلا ، بعصرنا لدى الرباط وسلا .

ما شئت من علم ومن معارف … ومن جلالة خلت عن كلف
ومن دؤوب وعكوف بالعلى … ومن تعاطي وانقطاع كملا
قد ختم الدهر به الكمالا … بثغره فلم يبن مثالا

حقا فلقد كانت احاطة هذا الاستاذ الكبير الواسعة للفنون المتداولة – اذذاك بين اوساطه العالمة ، وقدرته على التصرف في معلوماتها الغزيرة رغم اختلاف الاوجه والنظرات ، واستطاعته لتبليغها بألوان رصيد مكتنز من القول شرعي وعقلي ، والافاضة فيها باسهاب غني بالمراجع الهامة ، والمصادر المختلفة ، وملىء بالالتفاتات التاريخية والادبية ، واستطرادات المتكاثرة المفيدة ، من العوامل الجذابة والدواعي المرغبة والبواعث الدافعة لعدد كثير من جهابذة علماء البلد ونجباء طلبتها لحلقة دروسه العامرة أمثال أبي حامد البطاوري والاحمدين البناني ، وجسوس ، والمهدي متجنوش ، وأخيه محمد، والشريفين محمد ابن الحسني ، واخيه الغازي والد أبي المحاسن المدني ، ومحمد بريبش ، والهاشمي الحجوي ، وزين العابدين البناني واخيه فتح الله ، ومحمد بن قاسم أقديرة ، ومحمد الرندي ، وعبد الرحمان بريطل ، وعبد الرحمان لباريس ، والجيلاني ابن ابراهيم ، ومحمد عمر دينية ، وبنعيسى بن مسعود،

فالذي عملتم فى رفض هذا القول هو اللائق بدينكم ، وصدق يقينكم ، فمثلكم لا يرتاب فى احبابه واوليائه ، ولا يلتبس ، 57 : ب) لديه مذاهب التشيع لعلائه . وتعريفكم عندنا مقابل بشكر مقامكم الرفيع وثنائه ، على اتصال الدهر وتوالي آنائه . الله تعالى يعرفكم عوارف اعتنائه ، ويجزيكم عن الاسلام خير جزائه ، وينصر عزمكم على اضداد دين الله واعدائه ، والسلام (الكريم المبارك العميم يخصكم ورحمة الله وبركاته) » . (1)

حققه

د . محمد كمال شبانه

1) تتمة السلام زيادة فى نسخ « الريحانة » ، ساقطة من نسخة « الكناسة » .

قبول الهدية

استوفد عبد الملك بن مروان عاملابلغه انه قبل هدية ، فقال له اقبلت هدية . قال : يا امير المومنين :

« بلادك عامرة ، ورعيتك راضية . فقال : اجب عما تسأل عنه . قال : نعم . فقال عبد الملك اما والله لان كنت قبلت الهدية كافأت صاحبها بأن وليته من عملنا ما لم تكن لتوليه لولا هديته ، انك للئيم ! !

وان كنت قبلتها ولم تعوضه منها انك لخائن حسود ، وان كنت اعطيته مثل ما اخذت واطمعت في شعبك رعيتك وعرضتها لخليفتك لانك لاحمق . وما من اتى شيئا لا يخلو فيه من حمق او لؤم او خيانة حقيق بأن لا يقر على عمل .

هيئة الارض واقاليمها ، ورسالة فى البوصلة التي يستعمله البحارة لمعرفة اتجاهات الطرق البحريه . و « قلائد النحر فى علم البحر » كما هو موجود عنوانه بتقييد المؤلف فى التعريف بنفسه ، والمعروف بعدد من النسخ باسم « زينة النحر فى علوم البحر » ذكر فيه كثيرا من الالفاظ الاجنبية المستعملة لدى مستخدمي السفن ورؤسائها ذوي الخبرة ، كما عبر فى خاتمته عن ذلك بقوله : « ان هذه الالفاظ كلها او جلها بلغة العجم ممن تلقيناه من بعض رؤساء البحر ممن سافر فيه او خدم دهرا طويلا » وهو كتيب صغير مكتوب بعبارات مبسطة تقرب من الدارجة ، وله رجز مطول كموسوعة موجزة فى عدة فنون ، ورغم الجدية والوقار والدؤوب على العمل باستمرار التي كانت تتسم به حياة المترجم، لم ينس قط ما لنفسه عليه من حق الترويح والاستجمام، فلقد كان ولوعا بالموسيقى الاندلسية منذ صباه يتذوق طبوعها ويتلذذ بسماعها من ارباب الفن وهواته المجيدين ويتقنها علما وعملا حتى صار يحاور مهرتها ويغلبهم في ذلك ، كما عبر فى كتابه « اغاني السقا ومغاني الموسيقى» الذي خصصه فى طبوع هذه الموسيقى الاربعة والعشرين بقوله : « لما ناهزت البلوغ عرفت طبوع الغناء عند « الذكارين » من رصد ومزموم ، وماية ، ورمل الماية ، وما يستعمل فى كل طبع منها ، وذلك بالرباط اولا قبل سفري لطلب العلم بفاس، فصرت احاور مهرته واغالبهم فيه . فكان لذلك اذا جاء سيدي عمر بن المكي بن سيدي المعطي بن الصالح صاحب « الذخيرة » من ابي الجعد ، ونزل بدارنا بالرباط دعاني حتى أجلسني بين يديه ، وانا صغير ، وكان يحب الطرب جدا ، وبمجرد نزوله يحضر له تلميذ جدنا للام القاضي السيد صالح الحكموي أهل الموسيقى من اصحاب العود والرباب ونحوهم ، فانه كان من تمام قرى الضيف واكرامه ، وزاد فقال : « لما جئت للرباط (اى بعد انتهاء دراسته من فاس) لم نجد فيه من يتقن « رصد الذيل » فلما سمعه مني شيخ الصنعة الفقيه السيد محمد الرطل ، ولا اعلم منه بالموسيقى بالرباط ، وكان يلازمني كثيرا فى علم التعديل زمنا طويلا ، فاذا ببعض الايام صرت اترنم ببعض صنائعه ، فتعجب وقال لي يا فقيه أأنت تحسن هذا العلم ؟ وهذه نغمة رصد الذيل ، فقلت له نعم ، أحسن اكثر من هذا ، ثم اخذ يلح علي فى تعلم رصد الذيل لفقده بالرباط ، فصرت اعلمه منه ما تيسر هو والشريف سيدي المكي الفكيكي الرباطي ، وكانت معرفته فى الموسيقى رخيمة حسنة ، وبعد ذلك ذكر حفظته عن « سماع » نغمات أهل المغرب بالموسيقى الاندلسية وميزتها الخاصة وبراعة توقيعها الحسن ، الذي لا يوجد مثله — كما عبر عن ذلك — فى اى قطر حتى فى اوربا وتركيا ، فقال : « سماع اهل المغرب بالموسيقى لم ار حسن صنيعه الا بالمغرب ، خصوصا بفاس وتطوان ، وكيف لا وذلك بقية من بقايا الطرب الاندلسي ، الذي لم يوجد مثله فى الدنيا الى الان ! حتى عند النصارى ، مع انهم أهل طرب وآلات عجيبة ، فاني سمعت نغمات اهل اصطنبول وغيره ، ونغمات النصارى فلم أجد واحدة تقارب ميزان الموسيقى بالمغرب ، ولعل أصل وصولها للاندلس من الفرس لا من اليونان » . ويزيدنا المترجم تعرفا على تذوقه بالطرب الاندلسي ودرايته الكبرى بفنه ، ومعرفته الكاملة بصنائع اربابه بقوله : « آخر المحسنين لضرب العود شيخنا السيد الحاج حدو بنجلون شيخ جماعة الموسيقى بفاس ، فانه كان اجلهم صوتا وضربا وسنا ، ولضرب الرباب شيخنا الشريف سيدي رشيد الجملي وهو من تلامذة بنجلون لكنه كان احلى صوتا منه ، وله فيه ترنيمات اذا صاح بها تذهل العقول . . . ! ثم سيدي الغالي فى الكمنجة ، ثم الشيخ الصبان فى ضرب العود ، ثم لضرب القانون القاسم ابن عسيلة الرباطي،كان يضرب به مرارا أمامي، وأوتاره نحو سبعين ، كان يسويه بحلقات فى أصابعه ، وكان يأخذه حال غريب ويهتز براسه ، وقل من يحسن ضربه اليوم » .

نعم لم تكن هذه الحياة المرحة المفعمة بألوان جميلة من انواع السرور والغبطة — التي كان يختلسها من اوقاته العامرة — يحياها بين اقوام — بعيدين عن اهتماماته العديدة — دأبهم الطرب والمرح الدائم وفراغ البال ان تكون مانعة له — ابدا — من الانكباب المستمر الرتيب على أعماله العلمية وتكريس جهوده لاستخراج مفاهيم لنقول فى مختلف الفنون — متشعبة رغبة في ادراك نصوصها المستعصية ، بل كانت تزيده هذه السويعات التي كان يقضيها معهم قوة وحيوية ونشاطا فى الاستكثار من الاطلاع والزيادة فى الاستفادة من ذوي العلم مشافهة أو مراسلة مع المثابرة على ملازمة القاء الدروس على طلبته الكثر ما يقرب من الثلاثين سنة — كما نص على ذلك فى تقييده — من صلاة الصبح الى مضي وقت العشاء فى مجالس من خمسة الى ثمانية ، وكان يخصص بعض هذه المجالس لصغار الطلبة يختصر لهم فيها وفق مستواهم ما يلقيه على حاضري دروسه من بعض مشايخ البلد وكبار الطلبة ، ولهذا تجد ضمن مؤلفاته مختصرات لعدد من حواشيه وشروحه .

حقا ، فكما كان معلما كبيرا يراعي فى تدريسه المقدرة والمرحلة التدريجية للتحصيل ، ويعتني بسير

والشريفين العربي بن التهامي الوزاني ، وولده عبد الله، وبنعاشر الجزولي ومحمد الرطل الرباطي ، وغيرهم كثير ، وهذه الدروس كانت تزدحم فيها كثرة الاراء ، وعدد عديد من الانفال لا ترى فيها طابع الارتجال او تشذيبا واختصارا يرمي للاختلال ، وكان يجول مترجمنا بعينيه الفاحصتين في هذه الحلقة ويصول - بصوته الجوهري - بالاقوال ، ومميلا راسه ذات اليمين وذات الشمال ، كانه يستكنه الحاضرين عما يمليه عليهم بسرعة من معارف دون تلعثم وتوقف املاء كانه يتلوها من كتاب امامه ، وقد اكتسب هذا الوسع في الاطلاع والطلاقة في الالقاء وشدة الاستحضار بفضل تهييئها وتحضيرها في غالب الاحوال وفق اعتماده على مطالعات تستغرق زمنا من الفراغ الذي كان يتخلل اوقاتها ليستخلص منها شروحا وحواشي عما كان يدرسه من متون، وبذلك انتج ما يربو على مائة وعشرين تاليفا جلها لم يتم . وقد عرفنا بنفسه في تقييد عثر عليه المؤرخ الادبب ابو جندار واثبته في تاريخه . ولقد افادني وجود هذا التقييد فائدة جلى بالاضافة الى ما دونه في بعض كتبه - عرضا - من ارتسامات طريفة وذكريات مقتضبة عن حياته الحافلة ، مع استئنائي بما كتبه - عن هذه الشخصية الكبيرة المغمورة - مؤرخو الرباط المحمدون ابن علي الدكالي . ابن علي دينية، ابو جندار في تشجيعي على كتابة ترجمته ولو بمقال موجز ، مع ان مقامه العلمي ومكانته العالية تحتاج لتاليف خاص تبرز فيه معالمه الضائعة القيمة ، ويوضح بعض مواقفه الجريئة في نصرة الحق ، ومبلغ شجاعته الادبية في مختلف الميادين . ويبين ما غمض علينا كثيرا من جانب هام من ترجمته ، وهو تطلعه لتعليم العلوم الحديثة . وتشوفه الكبير لما عليه الغرب من رقي وتقدم ، ويكشف عن نتائج سفرياته في الشرق العربي ، وبلاد تركيا وتعاليقه الخاصة عن ذلك ، والامل وطيد في تحقيق هذا التاليف باكتشاف محتويات رسائله ومكاتبته العديدة ، وما سجله في مجموعات دفاتره . فلقد كان نشيطا في هذا الباب ، لا يدع شيئا يذهب نتيجة الاهمال والنسيان ، بل تجد معلومات عن حياته او غيرها مثبتة على طرر بعض المؤلفات بخط يده او مقحمة في بعض كتبه دعت اليها ادنى المناسبات .

هذا وقد ذكر في هذا التقييد الذي خصصه للتعريف بنفسه انه لازم الدراسة بفاس نحو خمسة عشر سنة تلمذ فيها على مشايخ القرويين واخذ عنهم سائر العلوم الشرعية والادبية ، وكان لا يترك اوقات العطل تذهب في اللهو والنزه كعادة الطلبة ، بل يغتنم فراغها لتحصيل العلوم الفلكية وفن الموسيقى ، واشار الى هذا ايضا في كتابه « اغاني السقا » فقال : « لما سافرت الى فاس شمرت عن الجد جهدي في تحصيل العلم من ربابه ، فكنت اذا فرغت من قراءة العلوم الشرعية ودخلت شهور « العواشر » واستراحة الطلبة من القراءة اتجرد لتحصيل علوم الفلسفة كالحساب والهيئة والموسيقى ليلا ونهارا حتى لا يمضي زمان في البطالة» ولم يغفل كذلك ذكر دراسته بمكناس ومراكش والرباط بعض الفنون كالتعديل والطب ، وسجل فيه رحلتيه للشرف اولاها سنة 1278 - 1862 ، والثانية سنة (1284 - 1868) واستفادته الكثيرة من رجالاته فقد اخذ عن علماء مصر وبلاد الشام والحرمين ، ودرس الفقه هناك على المذاهب الاربعة ، ثم جال ببعض البلدان الاوربية كاسبانيا واستقر بها مدة شاهد عن كثب تطورات العلوم الحديثة ، وقد اتصل أثناءها ببعض علمائها قصد الافادة . وعرج على جبل طارق فدرس فيه علم الجدول وسر الحروف - كما قال - على شيخه الحسني التهامي . وذكر في هذا التقييد ايضا جل أسماء تآليفه . وقائمة كبرى من أساتذته الذين تلمذ عنهم في بلاد المشرق والمغرب ، ومما يلفت النظر في مجموعة هذه التآليف اهتمامه الكبير - زيادة على علوم التفسير والحديث والفقه والنحو واللغة والتاريخ - بفنون الحساب والفلك ، فقد كتب فيها عدة كتب كتحفة الاحباب في علم الحساب ، وشرح الكرة في علم التوقيت ، وحاشية علي ابن الشاطر في علم الجيب ، وشرح روضة الازهار في علم التوقيت ، وحاشية على المنهاج في علم التعديل ، وحاشية على الرخامة في التوقيت ، وحواش على شرح التفاحة في علم المساحة ، واخرى على اقليدس في الهندسة ، وشرح المقنع في التوقيت ، والمعبق في شرح سلم المنطق ، وحسان الحقائق في الدرج والرقائق ، وقد اختصر عدة كتب تاريخية ككتاب « أقوم المسالك في احوال الممالك » لخير الدين التونسي و « صفوة من انتشر من رجال القرن الحادي عشر » لمحمد الصغير الافراني و « جذوة الاقتباس في حل من الاعلام بمدينة فاس » لاحمد بن محمد بن القاضي، وكتاب «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» لاحمد بابا بن احمد التنبكتي السوداني و « تذكرة الانطاكي » في الطب ، وكتاب « الحايك » في الموسيقى ، وقد الف بعض الكتب في المذاهب الاربعة كحاشيته على نظم الزبير لابن وسلان في الفقه الشافعي ، واخرى على رسالة ابي شجاع فيه ايضا ، ودليل الطالب في الفقه الحنفي ، كما له كتابات عن تاريخ بعض الدول الاسلامية كبني أمية والعباسيين والعثمانيين ، وله رسائل في التعريف بمشاهير بعض رجالات العراق والاكراد والحجاز وبلاد الشام والفرس ، كما له رسالة في علم

العلم والتطلع الى المعارف ، لا يطلب جزاء ولا رغبة في احراز شهرة ، ولا يغريه لذلك بارق مطمع ، ولا يغويه عن تحقيق مهامه المشروعة تقرب لجاه لسمعة ، او تملق لسلطة لادراك نفوذ ، تقوده عزيمة فولاذية لا يثنيها عن العمل الدائب مكايد خصومه من مشايخ البلد المعاصرين، ولا يصده عن أهدافه المامولة ما يضعون فى طريقه من أشواك وعراقيل ، ولا يحيد به عن وجهته المقصودة ــ التي وهب لاجلها حياته وكرس لها جهوده ، وهي القيام بمهمة التدريس ــ مضايقات ومعاكسات قاضي مدينته ــ حينذاك ــ عبد الرحمان لبريبري (1293 هـ 1877 م) ولافت فى ساعده ولا أضعفه عن السير الحثيث ــ لما خلق له ــ الى النهاية ، تسلطه عليه بصرامة للحيلولة بينه وبين هذه المهمة السامية ، ومنعه من القيام بالمراسيم الدينية، هو وجماعة من علماء مدينة الرباط ، فلم يمتثل ــ طبعا ــ لاوامره ، احتفاظا بكرامته وثقة بنفسه الوثابة ، وثابر على التدريس اعتزازا باقتداره وكفايته العلمية ، ولم يعبأ بتعاليم من أراد التشهير به ، فسجنه قاصدا بذلك ــ كما قال محمد بن علي دينية ــ اهماله وتنقيصه ، ولكن الله ابى الا ان يتم نوره ... »

والى قارىء العزيز فحوى هذه القصة كما رواها محمد ابو جندار فى تاريخه لدى ترجمة هذا القاضي العادل المستبد فقال:«انتهت اليه الرياسة فى وقته، فلم يكن له ثان فى وسمه وسمته غير انه بلغت به الصرامة مبلغها افضى الى التسلط على كثير من معاصريه من علماء الرباط ومدرسيه كالشيخ ابي بكر البناني ، والقاضي ابي العباس دينية ، والسيد المكي بوجندار ، والسيد الطاهر بريطل ، والسيد عبد القادر بوعياد . والسيد المعطي الغربي ، والسيد الهاشمي الضرير ، وجماعة [آ]خرهم ابو اسحاق التادلي فقد امتحنه بالسجن ، [و]طالما حال بينه وبين التدريس كبقية اولئك الجماعة ، [لـ]ـن كانوا يأتون بظهائر مخزنية ، فيتظاهرون بها [عـ]ـنده فى سبيل ما هم بصدده من القيام بالمراسيم [الد]ينية » .

علاوة على هذه الاعمال الجليلة التي كان يقوم بها [في م]يادين التعليم ، وما تتطلبه من مطالعات مختلفة ، [ومرا]جعات لتحضير الدروس ، مع دوام اتصالاته بأهل [العلم] بالمكاتبة اجابة واسئلة فى العالم الاسلامي وغيره ، [وما يـ]ـقضيه من وقت فى تخريج تآليفه العديدة ، كل ذلك [لم يجـ]ـعله بعيدا عن مجتمع امته ، التي عاش بينها ، [يعيش] معها احداثها ، ووقائعها خيرا او شرا ، ولا كان [معتكفا] فى بيته ــ غالب الايام ــ لتحقيق غايات مآربه العلمية ــ صادا له عن الاستطلاع والبحث عما يمس حقوقها من هضم واجحاف ، المؤدي للضرر فى معاشها ، والداعي لفقد الآمال ، وضياع الثقة من الناس ، والرامي لخلق حياة التذمر والفوضى فى أوساطها المدقعة ، نعم فلقد كان يدرك أتم الادراك كعالم مسلم ما تفرضه عليه واجباته الدينية من القيام المتعين على امثاله للدفاع عن هذه الحقوق والذود عن حوزتها عما قد يصيبها من الوهن ، فما طرق سمعه قضية المكوس ، وهي ترتيب اداءات على جميع المبيعات الداخلية والخارجية من ابواب المدن والقرى، حتى غضب وثار وتغيرت احواله، ولم يستطع ان يخفي ما يعتلج صدره عنها من شجون ، وما فتىء يبدي رايه الصريح فى ضررها وعواقبها الوخيمة على طبقات الشعب الفقيرة ، ويوالي الكلام في شانها ويكرره مع الخاصة والعامة مدة سني وضعها حتى صار بعد لدى الناس كالمجذوب ! ، وقد قدم لعاهل البلاد المولى الحسن كتابا كنصيحة يذكره فيها بالمضار التي تنجم بسببها ، ويرجوه اعادة النظر بعين العناية ومراعاة واجب الرعاية فى اسقاط هذا الامر الجلل ، واشار الى هذه النصيحة أبو عبد الله محمد دينية في تاريخه بما نصه : « وكتب للسلطان مولانا الحسن قدس مرقده ، وبل بمزن الرحمة معهده ، نصيحة يحثه فيها على الاهتمام بأمور المسلمين والاسلام والنظر اليهم بعين الشفقة والرحمة الى الضعفاء والارامل والايتام » ولم يعتمد على تقديم هذه النصيحة ــ فى طلب ازالة هذا الكابوس الثقيل الجاثم على الابواب ــ فقط ، بل راى وسيلة اخرى قد تكون أجدى تبليغا واضمن اثارة لهذا المطلب المشروع ، وهي اغتنامه للصداقة المكينة التي كانت تربطه مع البيت البركاشي بيت الرياسة والكياسة . وعلى رأسه المندوب المفوض بطنجة للحكومة المغربية لدى الدول الاجنبية ــ حينذاك ــ محمد بركاش وولده الحاج محمد الامين المحنك ، فقد اتخذهما كوساطة لما لهما من دالة ووجاهة ومحل ثقة ، وموضع مكانة لدى ولي الامر عاهل البلاد ، لتبليغه استنكار الامة لقضية المكوس والمضار الناجمة عنها التي تلحق بالضعفاء اكثر من غيرهم . ولعل هذه الرسوم التي فرض اداؤها على الابواب فى تلك الظروف أوجبها تخليص من دين نتج عن ضرب النقود الفضية الحسنية الواقع الاتفاق عليها بباريس عام 1298 هـ ــ 1881 م ، وندع المترجم يروي لنا بقلمه طرفا من عمله الجليل عن هذه القضية ، ومتابعته فى رفعها ما يزيد على الست سنوات، مما وجد مكتوب بخطه على ظهر نسخة من شرح محمد ابن قاسم جسوس على الرسالة للقشيري نقله ابو جندار فى تاريخه طبق تعبيره فقال : « وفى ليلة 27

تلاميذه ، ويراقبهم فى الاجتهاد ومواظبة الحضور حتى الوصول الى مرحلتهم النهائية ، كان كذلك مربيا يقظا ، وموجها حازما ، ومرشدا لهم ــ دوما ــ قصد نجاحهم، وناصحا خبيرا ينبههم على عدم الخوض والجولان في ميادين المعرفة العميقة ذات الاتجاهات الفلسفية ، والمسائل المعقدة التي ترمي للتاويل ، وتدعو للتأمل الزائد وتوقف النظر ، قبل اتقان معدات المرحلة الاولى للتعليم واستكمال فهم قواعدها الضرورية ، وبأمرهم لرسوخ تمكنهم وتمتين تكوينهم على نهج صحيح ــ غير مبني على اسس واهية من الحذلقة وسفسطة القول ، وتصيد اللقطات المتنافرة من الكتب ، وتزويد الفكر بالنتف من هنا وهناك ، لاتربطها روابط بحث مدروس او هدف مأمول او تصميم علمي متنوع محدود المراسيم بعدم الاشتغال ببحوث لن يطيقها مستواهم ومعلومات لن تهضمها مداركهم ، والترامي على مطاعات لمثل هذه المسائل العويصة الداعية للاستفسار والحيرة ، قبل نضج ملكتهم العلمية ، وأوجب عليهم تقديم الاهم فالاهم تجنبا لضرر صدمة النفور من المعرفة ، والبعد من التعلق بأهدافها ، مما يؤدي لتطليقها الطلاق البات ، والرجوع الى الامية من جديد مع السخط المرير عن كل مكتوب ينم اليها بأدنى صلة تجذب اليها او يعرف على مضامينها، واليك نموذجا موجزا من توجيهاته التربوية لقنه لاحد تلاميذه النجباء ابي العباس احمد بن قاسم جسوس (1331 هـ ــ 1914 م) لما سأله عن كلمة غامضة المعنى، اشتهر عزوها للامام الغزالي وحار فى تفسير مبناها اكبر علماء الاسلام وغيرهم ، وتعددت ردود كثيرة حول ما يرمي اليه نصها من مفاهيم عن كنه هذا الكون العظيم اللانهائي ، وعن قدرة مبدعه الكامل الذات المنزه عن التجسيم ، الذي لا يحده زمان ولا مكان ، وتكاثرت الآراء المتعارضة عن المقصد الجلي من محتواها العميق وهي « ليس فى الامكان ابدع مما كان .. ؟ ! » فأجابه بجواب نقله برمته ابو جندار فى تاريخه لخص فيه اجوبة السيوطي وبعض الاصوليين وما استفاده فى الموضوع من شرح « المرشد المعين » للشيخ الطيب بن كيران ، ثم أعطاه فى الاخير خلاصة عن رايه ، وقال في الخاتمة موجها الكلام لسائله ــ الذي لا زال فى الطور الاول من الدراسة ، وما فتىء ذهنه فتيا عن تحمل مثل هذه الدسامة الفكرية ــ بقولة قصيرة التعابير ، ولكن عريضة المدى فى التنبيه والارشاد ، محذرا اياه من ان يتغالى فى الطموح لمعالي العرفان ، وان يعود للبحث عن مثل هذه المسائل والتعلق بها قبل الاوان ، فقال : « اياك ان تعود للتعلق والبحث عن مثل هذا ، وانت لا زلت فى حال البداية فانه يضرك ، بل يجب عليك ان ترجع القهقرى لما يليق بحالك من معرفة الاهم فالاهم » ولا ريب ان هذه النصيحة اللاذعة الوقع المرة السمع الكبيرة الدلالة مع قلة اللفظ ، التي تلقاها هذا التلميذ النابه اللامع الذكاء ، الحاد الشعور من استاذه المهيب الوقور ، كان لها أثر عميق فى نفسه الشاعرة ، المتسمة بدقة الحساسية ورقة الوجدان ، وطبعا لم يستطع الزمان ان يمحو مفعولها من ذاكرته الواعية ، ولا ان يقضي على رواسبها الكامنة فى عقله الباطن ، ولا ان يزيل ما علق بقلبه النابض الدافق بالحيوية من تأثيرها البعيد فى تكوين شخصيته ، وتركيزها لامثل مكانة وارفع مستوى ، تلكم الشخصية التي صارت تعد ــ بعد ذلك ــ من رجالات الرباط وأفذاذه المتفوقين علما وأدبا فى عهد ماضينا القريب ، وكان المترجم لا يقتصر ــ لارشاد تلاميذه ونصحهم وانارة الطريق امامهم لتوضيح ما يفيدهم فى مستقبل حياتهم العلمية ــ على مثل هذه المناسبات فحسب، بل لقد كان يختص بالعناية والرعاية الكاملة من توسم فيه النبوغ والاقتدار وسمو الملكة منهم ، فيعقد معهم مجالس خارج حلقات الدروس للمناقشة والمذاكرة كي يزودهم بطرائف من النقول تكتنز عديدا من الآراء والنظرات تعلو عن مستويات تلك الحلقات ، رغبة منه فى توطيد تمكنهم على اسس متينة قوية ، ورسوخهم للتخريج على أكمل وجه ، وبفضل هذا تكونت نخبة من أماثل العلماء الكبار ــ كما سبق ــ احييت معالم العلم بمدينة الرباط ، وازدهرت بها ميادينه ، وارتكزت دعائمه التي كادت ان تسقط وينذرس بقاياها ، ويندثر اثرها بهذه المدينة ، وكنت لا تجد بعدها من يحكي لك عن مآثر امجادها خبرا ، ولا من يحدثك عن اعمال أعلامها الفطاحل الذي هو بقيتهم المباركة ، لولا جهوده العظيمة التي صرفها باستمرار بلا هوادة ولا فتور ، فى انهاض شأن التعليم، وشدة اهتمامه بتعليمه اقدار طالبيه ، ونمو مداركهم ، وتهييئهم للانخراط فى عالم العرفان ، ما يزيد على ربع قرن من الزمان ، وصدق ــ وايم الحق ــ ما قاله ابو عبد الله محمد بن علي دبنية مفيدي الكبير ، معبرا عن مدى قيمة هذا الدور الهام الذي كان يقوم به ، هذا المعلم المرشد والمربي الكبير فى تاريخه « ولولاه لم يبق للعلم بالرباط اثر ، ولقيل : الله اكبر ، خربت خيبر ! » .

اجل فلقد خرج المترجم الى ميدان التعليم مبكرا تحدوه نفس ابية تمتلىء نشاطا وحيوية امتلكتها جرأة ادبية نادرة للجهر بكلمة الحق والصدع بها امام الملأ غير ملتفت المغاب والعواقب . متحليا بالجد الصارم والدؤوب على العمل فى افادة الغير وتوجيههم التوجيه الحسن واعلائهم لانتاج صوب الحياة الكريمة ، حيث

على المشايخ بها – كما كانت رحلتاه السابقتين – ، بل لدراسة مجتمعاتها وتفهم التطورات الحديثة التي طرأت عليها بالاحتكاك مع الاجنبي المباشر ، وتأثير ذلك على الاوضاع والمقومات ، والاجتماع مع الدعاة المصلحين وكبار علماء المسلمين ، قصد الاطلاع والافادة عن عوامل النهضة الاسلامية التي كانت تختمر هناك ، وتبادل الاراء معهم على اساس روابط الاخوة الدافعة لاعادة وحدة العالم الاسلامي وتوثيقها بالتعارف والتساوي بين الجميع ، وخلق التفاهم لايجاد وسائل البحث عن العلاج الناجع لانقاذ الموقف مع المسؤولين على زمام الامر . والقابضين على دفة الحكم ، وكانت – حقا هذه النصائح – التي وصفها ابو عبد الله دينية بأنها «اسلامية عجيبة » تجعل لمتتبع سيرته ودارس لون أخلاقه – وما عهد فى أطوار حياته لدى الاستقراء والاستنتاج – من اتصافه بالجد والرجولة الكاملة المترفعة عن سفساف القول ، والثبات باستمرار على العمل النافع والسعي الدائم لخير مصالح العباد ، والاهتمام بحقوق المسلمين بكامل الاخلاص اينما كانوا من وقوع غلبة الظن على ترجيح مبناها من هذا القبيل . وعلى اساس معناها قد تكون اثبتت وجهة رحلته تطلعا لمدى مبلغ أثرها عن كثب فى نفس هذا الخليفة الذي تشرئب اليه الاعناق فى اغلبية الاقطار الاسلامية ، وكان – لا محالة – استهداف مقصده الرئيسي للعزم على زيارة هذه البلاد هو ملاقات أولياء أمرها المسؤولين لتحقيق مسعاه الحميد ، لا رغبة فى الترفيه على النفس ، ولا طلبا للتكرم واغداق النعم . ولا جولة أراد بها التملي بالمتع الدنيوية ، وكيفما كان الحال فمن البديهي أن هذه النصائح كانت لغاية مشروعة كفعله ضد « المكوس » . ومن الممكن ان يكون رافقه فى هذه الرحلة تلميذه نابغة الرباط وأديبها الكبير أبو حامد المكي البطاوري (1355 – 1936) حيث ذكر مترجموه أنه قصد بلاد الحجاز والشرق العربي في نفس هذه السنة ، كما كان قد رافقه – سابقا – فى رحلته الثانية تلميذه الانجب المحقق المشارك ابو العباس احمد البناني (1340 – 1922) على ما ذكره أبو جندار ترجمته ، ولقد كان اقتبال رجالات عاصمة الخلافة العثمانية « الاستانة العظمى » للمترجم ، وعلى رأسهم الخليفة عبد الحميد اقتبالا حارا أعقبته حفاوة كبيرة على تقدير زائد لاعتبار خاص . والى قارئي ... ارتسامات مقتضبة طريفة بقلمه مما قام به نحوه ...تها ووزراؤه من الاكرام والاعتناء الكامل ، نظرا ...ة العلمية التي كان يحتلها فى الاوساط على اختلاف ...رب والمذاهب ، ولشخصيته العظيمة الجذابة ...لتها ، الثابتة فى مبادئها ، التي كان لا يرهبها جلال

المواقف ، ولا تدهشها روعة المظاهر ، ولا تغريها الابهة الزائفة ، ولا يلهيها بريق زينة الحياة الدنيا . . فقال : « وقد انزلني السلطان عبد الحميد بقصر قرب قصره» فما رأيت اعجب منه خصوصا فى تزويق الحيطان بالذهب وفرش الحرير حتى طلبت الخروج منه لغيره . . . : فانزلني فى اعجب منه بما لا يكيف تملاه الروائح الطيبة من العنبر والعود وروح العطر ، والفرش الحسان ، وزرابي الاتراك فى بساطه العجيب » وزاد فقال .«وكان يرسل لي السلطان عبد الحميد مدة نزولي عنده فى كل يوم مائدتين كبيرتين ، كل مائدة مشتملةعلى ضروب من الاطعمة والحلاوي من طعامه الذي كان يأكل منه ، واحدة بكرة ، واخرى بعد العصر . . وكان يرسل الي مره بعد مرة بعض وزرائه الكبار من خاصة خاصته واهل سره الذين لا يذهبون لاحد ابدا . . . ؟ ! ويرسل بعض الملازمين له يجلسون معي ويقولون ان السلطان مسرور بقدومك اليه ، حتى قال لي بعض خواصه ان السلطان لا يقدر ان يرسلك . . . فصرت اتخوف حصره لي . واكثرت عليه بالمراسلات ليسرحني وانا اتلوا في كل مرة قوله تعالى : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق» تارة بلساني وتارة بقلبي عسى ان اخرج من الوعيد . .! نعم لم تغر المترجم هذه الغمرات التكريمية – التي كانت تعمه بكرمها الحاتمي ، وتحبوه بحفاوتها البالغة . ولا ادهشته روعة المقام ولا فخامته ذات الاشعة البراقة، ولا انساه المحيط السائح فى عديد من الوان الترف الزاخر – بكل ما يدعو الى تخدير العقول وتنويمها عن المعقول . وترمي بمغرياتها المتنوعة الى ارتخاء النفوس واخماد مشاعرها الطيبة واثارة النزعات لايقاظها من مكامنها – المحفوفة به من كل جانب من ذوي السلطة العثمانية ، ووليها الاكبر ، والتي كانت تعلو موجاتها العرمة الدالة على منتهى التقدير والاحترام وسط هذه المعالم التي عاش بينها فى هذه المدة – من ان تحول بينه وبين الادلاء برأيه الصريح عن مضمون نصائحه ، ومراميها العالية فى اصلاح المسلمين بالرجوع الى الهدى المستقيم ، وتبليغها مباشرة لعبد الحميد صاحب النفوذ الديني لدى الشرق العربي – آنذاك – واغلبية العالم الاسلامي وتقديمها له كواجب حتمي منوط به بصفته عالما مسلما غير عابىء بعناء الاسفار ولا مكابدة ركوب البحار ولا مشاق توالي الانتقال فى الطور الاخير من سني حياته ، كما لم يغفله – ابدا – ولم يكن شاغلا له كثرة توارد وزراء الدولة عليه مرة بعد مرة فى هذه الفترة القصيرة ، التي كان فيها ضيفا لدى الخليفة العثماني وحكومته زيادة على اجتماعاته مع الكبراء خاصة الخاصة – كما قال – الملازمين للخليفة – عن مهامه

رمضان عام 1302 طلب مني السلطان مولاي الحسن نصره الله واصلحه ، أن أحضر معهم بمسجده بالرباط على العادة عنده في تلك الليلة بواسطة قاضي الرباط ـ حينه ـ السيد احمد ملين ، فامتنعت واعتذرت له باني غير « صحيح » ونويت باني غير صحيح بما يفعلونه من المظالم كالمكوس . ثم بعد ذلك ـ اردت مصالحته ، فارسلت له مائدتين من « المخرقة » والحلاوي التي تصنع بالرباط على يد ولدنا السيد الحاج محمد بركاش اصلحه الله ، فقال لابد ان استاذنه في ذلك ، فأذن له ، وطلب مني ان اكتب بخط يدي بطاقة ارسلها مع المائدتين ففعلت ، ثم كتبت بطاقة اخاطب بها حاجبه السيد احمد بن موسى فقلت : وبعد : تصلك مائدتان من الحلواء لسادتنا الشرفاء اولاد سيدنا نصره الله ، فلما وصلت المائدتان فرح بهما السلطان . وصادفه الحال يريد الركوب للعيد مع القبائل بعد العصر ، فأدخلهما داره قبل ذهابه ، وقد كان السيد احمد المذكور ـ قبل ذلك ـ طلب الاذن في زيارتنا فاذن له ـ عقب ارسال المائدتين ـ مع الحاج محمد بركاش ، ونزل قرب دارنا مع الحاج محمد المذكور . ووقف بباب البيت حتى استأذن عليه الحاج محمد فدخل ، وقبل يدي وترامى علي ، وهو خافض الراس ، ففرحت به ، واكرمنه ، ثم جلس نحو نصف ساعة وهو ساكت ، وانا احادثه بكلام ليس طيب ، فلما اراد الانصراف ، قلت له زيارتكم عندنا ان ترغبوا سيدنا نصره الله ، حتى يعطف الله قلبه لزوال المكس ، فاجاب عنه سريعا ، بانه عازم على ازالته ، فقلت : بشرك الله بخير ، ثم خرج » وزاد فقال: وقد كنت قبل هذا التاريخ بنحو ست سنين لما زارنا بدارنا السيد محمد بركاش ، اغلظت له القول في المكس وقلت له المكس حرام نحو مرتين او ثلاث بحال عظيم ! حتى هم بالخروج من حينه ، ثم اعقبته بكلام لين حين تذكرت قوله تعالى : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى » وذلك بمحضر ولده الحاج محمد ، فاثر ذلك فيهما ، ثم بعد نحو سنة اراد ولده المذكور السفر من الرباط لفاس عند السلطان ، فأكدت عليه مرارا في ان يكلم السلطان في ازالة المكوس ان تلاقى معه ، ولا يقصر في ذلك فامتثل ، وقال له : الى متى تسود صحيفتك بأخذ المكوس ، وتعطيها للناس ياكلونها ، فغضب السلطان لما سمع منه هذا الكلام ، وقام عجلا ، فقال الحاج محمد ـ حينذاك ـ قمت وقبلته واعتذرت اليه ، فعند ذلك سكن غضبه ، ووعدنا بازالة المكوس ـ ان قضى دين الفرنسيين الذي ترتب له من السكة » وفعلا في هذه السنة وفى بوعده المولى الحسن ، وهي سنة (1303 ـ 1885) وامر برفع ما كان مرتبا على ابواب المدن والقرى ـ من عطاء تدفعه العامة على انواع السلع وارسل مكتوبا لجميع عمال البلاد يامرهم بتنفيذ هذا الامر بقوله : « وبعد : فقد شرح الله صدرنا لرفع العطاء في سائر الابواب بالمدن والمراسي عن كل ما يمر به عليها داخلا وخارجا . وأصدرنا امرنا الشريف لامين المستفادات بانهاض المشترين للابواب الجالسين للقبض بها . والمتصرفين في شؤونها لحال سبيلهم ، واعمال الحساب مع مشتريها المذكورين على ما تصرفوا فيه الى يوم الانهاض ، وتوجيه القائمة بذلك لحضرتنا العالية بالله ، وغير الابواب من الاماكن المعطى فيها وعليها يبقى على حالها حتى ننظر في امرها بحول الله ، واعلمناك لتكون على بال ، والسلام ، في ثاني ربيع الاول عام ثلاثة وثلاثمائة والف » . وقد نص على ورود هذا الامر المولوي في تسريح الابواب من المكس صاحب «الاستقصاء» في الجزء التاسع في « الخبر عن دولة المولى الحسن » .

هذا ويظهر للمتامل الباحث في فترة حياة المترجم الاخيرة بعد قضية المكوس وانفراج ازمتها ، انها كانت مرحلة تكاد تباين اهتماماتها فيما كانت عليه احواله من قبل . فقد تاقت نفسه الكبيرة الطموحة التعرف ببلاد الشرق العربي من جديد . على ضوء ما يروج فيه من حركات اصلاحية يسعى بها دعاتها للتقدم والرقي كي تواكب أممه ركب الدول الغربية المتمدنة الذي اشتد تكالبها . وقوى جانب شرها للترامي على الامم المتأخرة، وازداد تطلعه ايضا لزيارة تركيا مركز الخلافة العثمانية للقي مع الخليفة عبد الحميد ، وبطانته ذات النفوذ الديني في العالم الاسلامي ـ آنذاك ـ وتقديم نصائح له ولاستكناه نيات رجالاته المقربين وقادته السياسيين ، ولم يساعد البحث ـ الان ـ على العثور على نسخة من هذه النصائح ، او ما يدعو لتوضيح محتوياتها ، ونص محمد بن علي دينية على أنها « نصائح اسلامية عجيبة!» وليس من البعيد ـ على ما استفدناه من وقفته المشرفة في قضية المكوس ، وما انطبع عليه امره ـ دوما ـ من نصرة الحق ، والعمل لاعلاء كلمة الله والوقوف بالمرصاد امام من يريد هتك حرماتها ـ ان تكون مرامي هذه النصائح تتعلق بما وقع من تدهور وانحطاط في الامم الاسلامية جمعاء بسبب مخالفتها اوامر الشريعة السمحة ، وتهاونها بما اقرت به تعاليم الاسلام الحق والاستكانة للذل والخنوع والاستسلام للاستعباد، الذي جعلها فريسة سهلة تنهش خيراتها بشره الامم الفرنجية المستعمرة ، وتبتز اطرافها شيئا فشيئا في استغلال فظيع ، واستقر رايه على ان تكون هذه الرحلة الميمونة ثالثة رحلاته لبلاد الشرق ، وفي ضمنها بلاد تركيا ـ اوائل عام 1304 ـ 1886 ، لا لاخذ العلم والتلمذ

والارشاد ـ الذي كان لها أثر بعيد ملموس لا يمكن نكرانه فى احياء العلم وازدهاره بمدينة الرباط ـ ذكر اجتماعه التاريخي الهام الذي اجتمع فيه مع المصلح الفذ الشهير الشيخ محمد عبده فى مدينة بيروت ـ اثناء هذه الرحلة ـ وما لوحظ عليه فى طريقة تدريسه على نمط علماء جامعتي الازهر والقرويين آنذاك .. ؟ أنقل مضمون ذلك من مقدمة امير البيان شكيب ارسلان على كتاب « البينات » لمؤلفه الاستاذ عبد القادر المغربي فقال : « من نحو خمس وثلاثين سنة قدم لاداء فريضة الحج أحد كبار علماء المغرب الاقصى المدعو بالشيخ (ابراهيم التادلي) فذكرت بعض الجرائد البيروتية يومئذ انه من افذاذ الافق المغربي ، لا بل ممن يندر نظيره بين المشرق والمغرب ، وبعد ان قفل من الحجاز زار المسجد الاقصى وقرا فيه درسا ثم قدم الى بيروت ، وكان استاذنا الامام المرحوم الشيخ محمد عبده لا يزال فيها على اثر نفيه بسبب الحادثة العرابية ، فلما بلغه ورود هذا العالم ذهب للسلام عليه ، وكنت معه فى هذه الزيارة ، واتذكر انه كان معنا صديقي المبرور الاستاذ الشرتوني صاحب « اقرب الموارد » فدار بين الشيخين احاديث طويلة لم افهم منها شيئا لحداثة سني ، وقلة الفتي يومئذ للهجة المغربية ، ولكن استاذنا الامام اخبرنا بعد الانصراف بأن هذا الرجل عالم من كبار العلماء على نمط علماء الازهر فكأن الازهر وجامع القرويين شيء واحد ، وانما اعجبه منه كلمة لا ازال اتذكرها ، وذلك ان الشيخ سأل (التادلي) من جملة ما سأله عن حالة العلم فى المغرب هل يوجد اليوم هناك من اشتهر بالتأليف ؟ فأجابه التادلي : ليس العلم بكثرة التأليف ، وانما بالمدارسة والمثافنة ، ومع هذا فيوجد مؤلفون فى الايام الاخيرة ، فأعجب قوله الشيخ محمد عبده ، وهو ان حياة العلم انما هي بالمدارسة ، ثم قيل ان الشيخ التادلي يريد ان يلقي درسا بعد صلاة الجمعة فى الجامع العمري الكبير ، فاشرابت الاعناق ، وفكر الاستاذ الامام انه لما كان (التادلي) من اكابر علماء المغرب مارا بالمشرق ، فلابد من ان يتكلم فى موضوع من مواضيع الاجتماع كاتحاد الامة او وجوب العمل بعزائم الشريعة او ما اشبه ذلك فكان موضوع درس (التادلي) الذي قضى فيه اكثر من ساعتين هو البسملة وما فيها من العلوم والفنون ، ومرجع ذلك كله الى الباء وانحصار العلم فى الباء مما يعرفه كل من نال شهادة العالمية من الازهر ... ! »

بلى ليس فى هذه الملاحظة التي ابداها الاستاذ الامام عبده المصلح الشهير حول المعاهد الاسلامية الكبرى وما آلت اليه مناهج تعليمها فى العصور الاخيرة من عقم وسلبية ومدى أثرها المؤسف فى متخرجيها ولا فى تعاليق داعية الاسلام الامير المكافح عن تأكيده لذلك ما يبعد عن الاقتناع بالنظرة الخاصة الباعثة على ابراز محاسن هذه الشخصية المغمورة ، واظهار محامدها المجهولة ، والبحث على قدر ما تسمح به المراجع التي فى متناول يدي ـ عن الجوانب الايجابية فيها ، تلكم الشخصية ذات العبقرية اللماحة ، والذكاء الوقاد ، والفكر المتسع الذي ضاق بنطاقه المحلي ، والمتحلية بأوجه النشاط العديدة وسط بيئتها العلمية ، او فى مضمون كلامهما ما يدعو الى التنقيص والحط من قيمته كعالم مفكر واع متوفر الاداة ، قد تميز عن اقرانه ، وتفوق عليهم فى كثير من الميادين التي كانوا يخوضونها ، وجلى عنهم فيها بكفاية واقتدار ، ولكن لم تساعده الظروف كي يسابق زمنه ، ولم يكن هناك فى وسطه ما يشجعه عن الانسلاخ من مميزاته العتيقة ، والخروج عن جوائها ـ المقحم فيها ـ التي يصاحبها ويماسيها ، كما ساعدت بعض المصلحين فى العالم الاسلامي ، وتهيأت لهم الاسباب الدافعة لتحويل نظراتهم عن الوراء الى الامام ، وفاجأتهم الصدف الطيبة ـ على غرة ـ للالتقاء مع من يرشدهم ويوجههم التوجيه اللائق لخدمة الصالح العام ، وفق ما يقتضيه تطور الزمان فى مسايرة أحداثه، ويقودهم بحنكة وتجربة سابقة ـ لاستخدام الوسائل المعينة على انطلاق مواهبهم المكبوتة وتجريدها من رواسب بيئية للاسراع بها نحو اهداف سامية ، تتفق مع مفاهيم العصر الحديث فهو ـ حقا ـ دون ريب ولا معرة « عالم من كبار العلماء على نمط علماء الازهر وجامع القرويين » كما قال الامام عبده ، وهل نريد منه ان يكون اكمل من الكبراء على هذا النمط ؟ ! وقد عاش فى هذا المحيط الزاخر بالانقال والفهوم المتعارضة الراكدة المثقلة بردود عليها طابع مدرسة عهده ، قد تشرب معلوماتها الكثيرة واختزنتها ذهنيته اللاقطة القوية دهره كله ، كما انه ليست هناك اي مبالغة فى حق مكانته الكبرى من بين معاصريه على ما ذكرته بعض الجرائد البيروتية ـ يومئذ ـ « انه من افذاذ الافق المغربي بل ممن يندر نظيره ... » ـ طبعا ـ يعني فى اتساع المدارك ، وسعة الاطلاع ، وقوة الملكة ، فلقد كان ذاكرة فريدة واعية مقتدرة على الاكتناز نفاذة ، وذا استعداد كامل متفتح للاندماج فى مدارج الاصلاح والتجديد ، والتطلع ـ بنهم وتفوق ـ الى ميادين العرفان على اختلاف مشارب اصحابها ـ دون تزمت او تعصب او جمود ـ او اعتبار ميول خاصة ، مما قد يكتسبه المرء من مجتمعه ، ويلابسه ـ دوما ـ لتأثيرات بيئته ، لا يستطيع الفكاك منه ، الا بعامل خارجي اقوى فعالية واشد تغلبا واغرى جاذبية ، ومن تتبع سيرة حياة

العلمية وما تقتضيه تنمية معلومات طلبته الكثر ، وغيرهم بالمغرب ،والنظر فيما يصلح لهم من كتب دراسية مقروءة فى تلك البلاد ، والعمل على تقريبها لاذهانهم بما اعتادوا على فهمه لفائدة التحصيل والتخريج، واليك صورة من كلامه تعبر عن جزء قليل من هذا الاهتمام بشؤون هؤلاء الطلبة ، والالتفات الى ما يفيد فى مستقبلهم مما ذكره فى خاتمة كتابه « الوافية بشرح الكافية » لابن الحاجب فقال : « ابتدانا هذا الشرح على الكافية بالقسطنطينة العظمى المعروفة باصطنبول في اواسط ربيع الاول عام أربعة وثلاثمائة والف لما رايت اعتكاف اهلها وغيرهم كبغداد على قراءتها لحسن جمعها وترتيبها لضبط القواعد النحوية ، ولما رغبت فى قراءة المغاربة لها ومطالعتها ، وخفت صعوبتها عليهم لعدم الفهم شرحتها بالخلاصة المألوفة عندهم ، واشتغلت بشرحها كذلك حتى فى ركوب البحر ... ! حين رجعت من المدينة المذكورة الى الرباط » وزاد فقال : « ثم رايت ان اردف هذا الشرح بمختصر جامع الخص فيه ما فى كتب العوامل التي تقراها صغار الطلبة ببغداد واصطنبول وغيرها ، وهي كالفذلكة الجامعة لعلم النحو اجمالا لا تغنيهم عن التحصيل » وكأنه يشير بعمله هذا من طريق اخرى الى نظرية من يقول بتوحيد برامج التعليم ، وفق منهاج عام بكتب مقروءة فى العالم الاسلامي لا اقتصارا على ما نسميه بالعالم العربي فحسب كما يرى عدد من ارباب التعليم المختصين والعاملين لاجل هذا التوحيد ، ويتضح - بداهة - بأن هذه النظرية - المشار اليها - قد تكون ادعى للفائدة والتحصيل ، واوفق لتعميم التطبيق المشروع ، واكمل للمقصود فى التبليغ ، واجدى فى التأثير لنشر اللغة العربية بين الامم المسلمة كما وقع فى سالف العهود وادى النتائج المطلوبة فى تعريب كثير من الاقطار ، وما دام القرآن قد نزل بلسان عربي مبين ، يتلوه جميع المسلمين على اختلاف الاجناس وتباين لغاتهم ، ومنهم افواج كثيرة تحفظه عن ظهر قلب ، والقصد والغاية المثلى من هذه التلاوة والحفظ هو تاويل آياته ، وفهم معانيها حق الفهم من غير تحريف او تدبر موجه معتمد على ترجمة قد تكون بعيدة عن مغزى كلمه السامي ، وان هذا الفهم لا يتأتى ادراكه ، ولا يمكن الحصول عليه الا باتقان القواعد الضرورية من نحو ولغة، وحفظ منتخبات من كلام العرب ، شعر ونثر طبق متون مقررة فى برامج التعليم متفق عليها واخذت الموافقة من الجميع .

هذا ولم تكن هذه الرحلة مقتصرة على تركيا فحسب ، بل اعاد فيها زيارته للحرمين الشريفين ومصر وبلاد الشام ، ويصور لنا المترجم بايجاز عن الاحتفاء ومظاهر التكريم الذي لقيه فى هذه البلدان من بعض شخصياتها وولاتها معبرا - بارتسامات طريفة خاطفة - عن فخامة مآدبهم وولائهم المتسمة بالاسراف والتفاخر والتكاثر - حينذاك - فقال : « وقد استدعاني بعض اشياخنا بمكةالمشرفة لوليمة عرس بعض اولاده فدخلت سرايا طويلة جدا مربعة ، وقد حفت من جميع جهاتها الاربع بطباسيل من النحاس لم نقدر على عددها لكثرتها، وقد تقرب من نحو مائتين طبسيلا ليس فى بعضها ما يشبه الاخر من ملاذ الاطعمة والحلاوي فجلسنا وسط البيت ، كل فرقة استفلت طائفة من الطباسيل ثم قمنا، وكنت ظننت ان ذلك من ترتيب وضع موائد الهند ، اذ صاحب الوليمة هندي ، وغالب من حضر معنا من اهل الهند ، ويقرب من هذا جل أطعمة الحرمين الشريفين خصوصا ، اذا حل بينهم ضيف يضعون بين يديه مائدة كبيرة جدا من نحاس ونحوه حاوية نحو عشرين لونا من الطعام ، وهم فى ذلك فى زيادة الى الان ، واما اغنياؤهم فغالب ماكلهم كذلك ، وقد استدعاني بعض ولاة الاسكندرية عند الغروب برمضان وقد أحضر بعض العلماء فصار يحضر فى ذلك الوقت نحو ثلاثين نوعا من الاطعمة ليس واحدها يشبه الاخر ، ولكن واحد بعد واحد ، وكذلك استدعاني بعض امراء مصر ففعل كذلك ولكن احضرها جملة فى مائدة واحدة » ، ومما لاحظه - كما ترى - فى هذه الرحلة ان الشرقيين يهتمون بكثرة المآكل وتنوعاتها فى المآدب والولائم ، ولا يعتنون بذلك فى الملابس والفرش كاعتناء المغاربة فقال : « ان أهل المغرب امتازوا خصوصا اهل فاس والرباط منهم بكثرة الملابس والفرش التي لا توجد لاهل المشرق ولا للنصارى وامرهم فى ازدياد الى ان يتدارك الله الفقراء بألطافه الخفية ... ! » .

ويلوح من هذه الفقرة الاخيرة ما يشعر بألم المترجم نحو هذه الطبقة الفقيرة - التي لم يجد لاغاثتها وانقاذها حولا ولا قوة - تلك الطبقة التي كانت تزداد تعاسة وفقرا بازدياد هذا التضخم فى الترف والتنافس فى انواع الملابس والتغالي فى تكثير الفرش بحالة غير متفقة مع المستوى المعيشي لهذه الامة ، ولقد قادته - لهذه الالتفاتة الطيبة نحو جانب الفقراء - نزعة مؤمنة واعية تشير باستنكارها الضمني الى الرجاء فى اصلاح هذه الحالة المزرية فى تداركها بالكف عن الزيادة قبل الوقوع فى الخصاصة المستذلة .

واخيرا يجب علي ان لا اهمل فى ترجمة حياة هذ الشخصية العظيمة المغمورة ذات الفعالية الكبير المندفعة بكثير من اهتماماتها الى مسلكي التوجيه

عملت ــ جهد المستطاع ــ فيما يمكن من عمل لايقاظ ضميره ــ لاداء هذا الواجب ، يدعوه لتكريس أوقاته الثمينة فى تجلية أعمالهم الجليلة المغمورة فى بطون الكتب ، التي يعلوها الغبار وتأكلها الارضة ــ بما قدمت من امثلة بعض الصور ، قد توضح له عن معالم نيرة لهذه الشخصية العظيمة ، التي كن لها الدور الكبير ، والحظ الوفير فى انهاض الحياة العلمية بمدينة الرباط فى عهد ماضينا القريب ، وفى ايجاد نخبة من العلماء اعادوا مجده العلمي التليد ، واحيوا ما كاد أن يندثر من بقاياه لولا فضل جهوده واعتكافه الدائب على طلب العلم وتدريسه ، حتى قضى نحبه فى معتكفه بين الكتب والمحابر ، موصيا دفنه به ، ووقف سائر كتبه على نفع الطلبة ، محبة فى موطن العلم وتقديرا لمكانة اهله ــ وذهب ــ على قدم صدق مستحثا السير ، وهو في عقود لا تتجاوز حدود السبعين ، ملبيا نداء العودة الى المأمن المحتوم ــ رحمه الله ــ بعد ما استوفى عهده وادى واجبه ، واحسن فى حمل الامانة ، وارضى ربه ، واراح ضميره واستراح على ما خلف وراءه من نخبة طلبته المقتفية اثره ، وترك فى انفس عارفيه والملازمين له والباحثين عن سيرة حياته تساؤلا محيرا واستفهاما يدعو للجواب عن ملازمة بيته كحاله بعد الرجوع من رحلته الاخيرة هذه متزودا بآراء وافكار مشبعة بكثير من الاهتمامات تتعلق بميادين الاصلاح محتاجة لزيادة من التفسير والبيان ، ومتوقفة ــ طبعا ــ على من يقوم بوسائل الايضاح وكيفية التطبيق ، وكأن هذه الحالة ــ غير العادية ــ التي عاشها المترجم فى اواخر عمره ، تعني ما حكاه شاعر مل دنياه ويئس من اهلها ونفض كفيه منها ، بما قال :

نفضت كفي من الدنيا وقلت لها ... اليك عني فما فى الناس اغتبن

من كسر بيتي لي روض ومن كتبي ... جليس صدق على الاسرار مؤتمن

ادري به ما جرى فى الدهر من خبر ... فعنده الحق مسطور ومختزن

وما مصابي سوى موتي ويدفنني ... قوم وما لهم علم بما دفنوا

الرباط : مصطفى الغربي

التعايش بالجهالة

قال الشعبي : تعايش الناس زمانا بالدين حتى ذهب الدين ، وتعايشوا بالمروءة حتى ذهبت المروءة ، ثم تعايشوا بالحياء حتى ذهب الحياء ثم تعايشوا بالرغبة والرهبة ، وسيتعايشون بالجهالة زمانا طويلا .

المترجم ــ زيادة على هذا ــ وتأمل ما جريات احوالها ، وما تكن طلائع احداثها ، وسبر غور جنوحه لدواعي المرح ، رغم الجديات المحاطة به والفريق في بؤرها وامعن النظر في مغازي عزوفه عن المطامح الزائفة وعداوته لحياة « الفراغ » وحبه للدؤوب على العمل ، وشعوره النبيل في الدفاع عن حقوق العباد ــ بما سقته من خلال اقواله وبما استفدته من مترجميه في هذا المقال ، سيرى معي ما يعزز هذه النظرية ، وسيطلع على ما يبرر تأييدي لها وتأكيد ارجحيتها ، وسيعلم ان المترجم كان رجلا غير عادي في مداركه الفكرية ، او في تصرفاته العاطفية ، ولا مطلق شخص حاطب ليس له مرمى في اختياراته اثناء اشتغاله بالمهام العلمية المتباينة ، فهو من الاماثل الافذاذ الذين لم تستطع ان تجرهم عوامل البيئة وتجذبهم لحظيرتها الخاملة وتحشرهم في جماعتها المتأثرة ، تحت ضغط اثقال نقول المتأخرين ، وتدمجهم في اوساطها المقتنعة بوجاهة هذه الاقوال ، والمعترفة بقدسية نظراتها عن غيرها ، وسيدرك ــ لا محالة ــ بنتيجة واضحة ، ان هذا الرجل العظيم كان قد بلغ درجة « الاجتهاد » وصار حجة في تحقيقاته وفي مآخذه، ووصل لمستوى مكين في المعرفة ، خول له اللحاق بمقام العلماء المجتهدين في العلوم الاسلامية ايام العهود المجيدة، كما اقر بذلك رجالات عصره ، واثبته مؤرخو حياته وسيتحقق ــ ايضا ــ قارئي العزيز بتفهم هذه المعلومات عن المترجم ، من انه كان واقفا في مفترق الطريقتين : طريقة التقليد ، وطريقة التجديد . فبقدر ما كان يحفظ من نقول مختلفة لمتقدميه مع اختلافات اوجهها بفيضان زائد ، وتختزن كل ذلك ذاكرته القوية ، كان يستوعب كثيرا ما يسمع او يطلع عليه من آراء جديدة تتسم بالطرافة والصلاحية ، ويعيها قصد ارواء رغبة كامنة تكاد ان تنبثق محاولة الظهور ، ولهذا ترى الشيخ محمد عبده في جلسة قصيرة اعجب بأفكاره النيرة المتحررة والبعيدة من مراسيم حلقة دروسه ، التي تستلزمها طبيعة تكوينه على طريقة التقليد ، لما سأله عن اشتغال المغاربة بالتأليف فأجابه بجواب ــ دله على اتجاهاته الفكرية غير المرتبطة بقيود ــ وهو قوله له : « ليس العلم بكثرة التأليف ، وانما بالمدارسة والمثافنة » ... حقيقة ان مجالسة اهل العلم والراي واستدامة المذاكرة معهم ، وكثرة مناقشتهم هي التي تبين على خبيئة الانسان ، والاطلاع على دخلته ، فيما قد تحمل من افكار ناضجة ، تعلن عن مقدرته العلمية واهتماماته الثقافية العامة ، لا بكثرة التاليف المقتصرة على جمع النقول ، واحتطاب آراء الغير ، وكان المترجم كثيرا ما يتمثل قصد تأنيب من يستغرقون اوقاتهم في التاليف دون ان يتركوا مجالا فسيحا من الفراغ يعقدون فيه الندوات لتبادل الافكار ولاثارة المناقشة والمذاكرة فيما يقراون ، بقولة شهيرة طالما ردد محتواها المنتقدون وهي : « انقل من هنا الى هنا ، وقل هذا كتابنا ... ! » نعم فالندوات معرض للآراء على اختلاف اصنافها الجيد منها والردىء ، وحضورها ضروري لهذا المعنى ، ما دامت مداولاتها تنبني على احتكاك الافكار ، واختبار كفايات اصحابها بأنزه معيار ، لمعرفة صحيحها من الزائف من غير اشعار ، وهي ادعى باعث للزيادة في التحصيل وأمثل جو للتمكين ، واكبر عون في ارتفاع مستوى المتخلف ، ومما يزيد ايضاحا على ان المترجم كان يميل للتفتح ويجنح لما ينير الفكر ، وتتوق نفسه الحيرى الوثابة لما يفيدها عن طرق الاصلاح والتجديد والبحث عما يحيطها علما بوسائل تقضي على الخمول والجمود، الداعيين للاستغلال والاستعباد ، هو اختياره ــ آنذاك ــ لتلخيص كتاب « اقوم المسالك في معرفة الممالك » لخير الدين التونسي الوزير الشهير الذي حنكته التجارب والمفاجئات القاسية ، ودربته المناورات السياسية ، فزادته عرفانا بنيات الدول الغربية ، وتولى أعلى المناصب ببلده وبالعاصمة العثمانية ، والمرء ــ كما يقال ــ يدل عليه اختياره ، واليك ما قاله في وصف هذا الكتاب الشيخ محمد فاضل ابن عاشور في محاضراته « الحركة الادبية والفكرية في تونس » يعتبر هذا الكتاب العظيم من انفس آثار القلم العربي في القرن الماضي في السياسة والاجتماع ، فقد اشتمل على مادة علمية هامة جدا ، استوفت وصف النواحي عامة لكل دولة من الدول الاوربية العشرين التي فصل عليها الكتاب ، وجعل الدولة العثمانية من بينها كأنه يقصد بذلك التنبيه الى المقارنة والمقايسة ، وافتتحه بمقدمة قيمة في اسباب تأخر العالم الاسلامي ووسائل نهضته ، وان ذلك يكون بالاقتباس من المعارف والنظم ، التي تحققت بها النهضة الاوربية والاتحاد بين اهل العلم والسياسة في تحقيق ذلك ، وبيان ما كان لانتشار المعارف في اوربا وخاصة في فرنسا من اثر في سعادة الامة » .

وبعد فاني ارجو ان اكون قد وفقت ــ على قدر الامكان ــ في نظر قارئي العزيز ــ في عرض هذه المعلومات التي استقيتها له من منابع شحيحة واستفدتها لاجله من مراجع قليلة هزيلة ، كما آمل ان اكون قد اثرت في نفس هذا القارىء الكريم ، حمية البحث والاطلاع ، وبعثت فيه الغيرة اللازمة للتنقيب والدراسة عن اعلام مجهولة ، ذات المواهب والكفايات النادرة والمآثر الخالدة ، وهم كثيرون يضيئون كالماسات في تاريخنا المجيد ، واود ان اكون ايضا قد

كان الامير الدنمركي الصغير « هاملت » واحدا من اولئك الذين يمتازون بالمرح والحيوية والنشاط ؛ فقد كان يمارس جميع انواع الرياضة والصيد ، ويتحدث عنها كأحد ابطالها .

ولكن مصيبة كبيرة حلت به لتعكر عليه صفو حياته : فقد مات والده ــ وهو الملك الطيب الحكيم ــ فجأة ، وبكيفية غامضة تثير الشك والتساؤل . وقد تأثر الامير الشاب المحب لوالده تأثرا بالغا نتيجة لهذا المصاب الاليم .

حيكت للامير قصة مفادها : ان الملك العجوز قد مات ــ وهو نائم في بستانه وقت الظهيرة ــ نتيجة للدغة افعى نفثت فيه سمها الزعاف ... هكذا وبمجرد ما وري جثمانه التراب ، تزوج كلوديوس Claudius (اخو الملك المتوفى وعم هاملت) بالملكة والدة الامير هاملت ، فصار كلوديوس ، الملك المتوج الحاكم بأمره .

لم يكن هاملت يحب من والدته ان تتزوج بمثل هذه السرعة ، بل لم يكن يريدها ان تتزوج بتاتا ؛ وكان كلما ازداد تفكيرا في هذا الامر ، ازداد حزنا وغما ، حتى صار بائسا كئيبا ، وتخلى عن جميع العابه وتسلياته ، وصار يبدو عليه تماما انه لم يعد يحب حياة اللهو والمرح .

لم يكن هاملت يحب عمه ــ وهو ذلكم المخلوق المنحط الذي لا يستحق الاعتبار ــ مثلما كان يحب والده العادل الشريف .. وصار يفكر في امر والدته التي سمحت لنفسها ان تتزوج رجلا مثل هذا ، مكان الملك الهرم . كان يحب والدته ــ كما هو واجب كل ابن بار ــ ولكن سلوكها هذا لم يعجبه البتة .

ثم خطرت لهاملت فكرة ، بل عرضت له شبهة تتلخص في ان كلوديوس تآمر على والده ، واغتاله ليستولي على العرش ، ويغتصب تاج الملك ؛ وان والدته كانت تعرف المؤامرة ووافقت عليها . ان هذه الفكرة او الشبهة دفعت هاملت الى الاستغراق في التفكير ، وجعلته قاب قوسين او ادنى من الجنون .

لاحظ الملك الجديد (كلوديوس) ، كما لاحظت الملكة ان الامير كان دائم الاكتئاب ، بادي الشقاء ؛ ولم يخطر ببالهما قط ان سبب كآبته راجع الى انه قد علم في جريمتهما المشتركة الدنيئة ؛ ولذلك عملا طاقتهما لادخال السرور عليه .

لقد كرها ثياب الحداد السوداء التي كان يلبسها ، والتي كانت تذكرهما بموت الملك العجوز الذي اراداً نسيانه ؛ ولكن هاملت رفض ان يخلع ملابس الحداد ؛ ونصحاه كي يسلك سلوكا اكثر مرحا ، فلم ينتصح ، ولم يترك لهما فرصة لمعرفة السبب الحقيقي لحزنه الذي هو ــ حسب رايهما ــ نتيجة لوقوعه في حب جديد .

وبعد ذلك طرق مسمع هاملت خبر عجيب ، ذلك انه خلال ثلاث ليال متواليات ، رأى العسس المكلف بحراسة القصر شبحا من الاشباح ، ورآه حتى هوراشيو Horatio أصدق اصدقاء هاملت ، فأتى يخبر الامير بذلك .

ظهر الشبح في منتصف الليل ، وكان لابسا من فرع راسه الى اخمص قدميه ــ بذلة حربية تشبه تماما بذلة الملك المتوفى ؛ وكان وجه الشبح عظيم الشبه بوجهه ايضا ؛ وكان يبدو على الشبح منظر الحزن والاسى ؛ وعندما طلب الحرس منازلته لم ينبس ببنت شفة . وكان ذات مرة على وشك ان يتكلم لولا ان صاح ديك الصباح فاختفى عن الانظار .

سأل هاملت جنود الحراسة الليلة واحداواحدا ؛ ومن اجاباتهم تأكد ان قصة الشبح كانت حقيقة ؛ ولذا عزم على ان يعس هو في الليلة التالية ، وان يراقب الشبح بنفسه ؛ فان كان شبح ابيه حقيقة ، فمن المؤكد انه يريد ان ينبئه خبرا ما : وبذلك يصير قادرا على توضيح بعض الشكوك ، وتبديد او توكيد المخاوف التي كانت تساور عقله ... وتنفيذا لذلك العزم ، وفي الليلة التالية تقابل هاملت وهوراشيو واحد الحرس امام الحصن ، وباتوا في حراستهم الليلية يقظين صامتين لا تكاد تسمع لهم ركزا .

كان كل شيء في الخارج هادئا ، اما في الداخل فكان مرح الملك والملكة يتجلى في المآدب الفاخرة ، وفي كؤوس الخمر التي تشرب حتى الثمالة . وكانت اصوات الطرب والانغماس في الملذات تصل الى آذان هؤلاء الحراس اليقظين .

وكان وقوف الحراس الثلاثة منصتين وكأن على رؤوسهم الطير ؛ غير ان هوراشيو لمس ــ فجأة ــ كتف هاملت ، وهمس في اذنه قائلا :

ــ « انظر يا سيدي ، انظر ، انه آت » .

لقد اتى الشبح مرة اخرى ، وعلى شكل انسان يشبه الملك المتوفى . وعندما راى الامير هذا المخلوق الذي يشبه والده ، صاح في عجب ودهشة :

من روائع شكسبير



للأستاذ عبد الله العمراني

مسرحية من روائع الشاعر الانكليزي الطائر الصيت وليم شكسبير . قراتها في الماضي ، وحرصت على مشاهدة احدى الفرق المسرحية المغربية (فرقة المعمورة) وهي تقوم بتمثيلها على خشبة أحد مسارح تطوان . وليس هدفي هنا ان اعلق على التمثيل والممثلين الذين ادوا أدوارهم في الغالب على خير ما يرام؛ وانما اريد التعقيب على بعض افراد الجمهور المتفرج الذين بداوا يتسللون لواذا ، بل ان بعضهم ابدى تأففه جهرة ، متعمدا اسماع غيره عدم رضاه عن المسرحية او التمثيل ، فغادر القاعة غير مأسوف عليه .

لقد ذكرني هذا بما حدث منذ سنوات عندما قامت فرقة مصرية بتمثيل احدى روائع شاعر العروبة احمد شوقي (مجنون ليلى) ؛ فلقد عابها بعض النظارة لا لشيء الا لانها فوق مستواهم الفكري ، او فوق ما كانوا ينتظرون .

ولعل من المؤسف أن كثيرا من النظارة وخاصة العوام منهم ينتظرون من المسرحية ما لا ينتظره الرجل المهذب المثقف ، وانهم لا يكادون يفقهون من التمثيل الا اضحاك الجمهور او انشاد المغنيات ، او ايقاع الرقصات، فاذا اجتمعت هذه العناصر كلها كان ذلك منتهى الجمال والكمال . اما المسرحيات الجدية فليس لها في قاموس لهوهم ومزاحهم مكان .

وارى ان لموقف هؤلاء عوامل أهمها :

1 — عامل داخلي يسأل عنه هذا الصنف من النظارة انفسهم ، ويتمثل في نقص التكوين وضحالة التفكير ، وعدم التثقيف اللازم الذي يجعلهم يدركون ويفهمون جيدا مسرحية تلقى عليها بالفصحى شعرا او نثرا .

2 — عامل داخلي كذلك يرجع الى اقدام هؤلاء على اقتحام عتبة المسارح واحتلال المقاعد الاولى ، دون التثبت من نوع الروايات التي تروقهم .

3 — عامل خارجي راجع للفرق التمثيلية التي عودت الجمهور على مشاهدة لون خاص من المسرحيات؛ مما جعله يعتقد ان التمثيل الجدي (التراجيدي) يكاد لا يدخل في عداد الفن المسرحي .

4 — عامل خارجي أيضا ويتمثل في هذه الموجة الكاسحة التي تغزو شباب العالم من اتباع «الجي–جي» وأنصار « الخنافس » .

قد لا يعجب المرء من ان العمل الادبي او الفني تتفاوت فيه الافهام والاذواق ؛ ولكن يأخذ من العجب كل مأخذ اذا علم ان عملا فنيا انعقد الاجماع على روعته (مثل هملت) يتعرض لانتقاص بعض المشاهدين الاغرار ، ولا ينال رضاهم ، فكان مثلهم من انشد الشاعر في حقهم :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

ان هذا الموقف الشاذ من هؤلاء هو الذي دعاني لتلخيص هذه المسرحية الان ، فلعل من لم يعجب بها وهي تمثل على خشبة المسرح ، يقدرها حق قدرها وهي تنشر على صفحات هذه المجلة الغراء .

ومع ذلك لم يكن ليستطيع ان يحيط محبوبته علما بخطبه ومتاعبه .

وكتب اليها ــ ذات مرة ــ رسالة غرامية عنيفة ، فقرانها واطلعت عليها والدها الذي سرعان ما قراها ــ بدوره ــ على الملك والملكة ، فظنا حينئذ انهما قد اكتشفا سبب جنون الامير ، واكتشفا علاجه فى الوقت نفسه .

وهكذا انخدع الخادعون . ولكن هاملت المسكين كان لا يزال بائسا شقيا ؛ ولم يستطع ان يقنع نفسه بأن قصة الشبح كانت حقيقية . وعلى فرض انها صحيحة فكيف يستطيع ان يقتل زوج امه ؟

ولام نفسه على جبنه وعدم نشاطه وابطائه فى الانتقام ؛ ومع ذلك تساءل : كيف يعرف ان الشبح الذي رآه وتحدث معه كان روح والده حقيقة ؟ اليس من الممكن ان يكون ذلك شيطانا تمثل فى صورة ابيه لغرض من الاغراض الشريرة ؟ ومهما يكن من امر فمن الصعب ان نقتل ملكا اعتاد ان يحيط نفسه دائما بحرس شديد، كما اعتادت الملكة الا تفارقه . . . ان افكارا مضادة كهذه انعبت عقل هاملت وضميره ، وجعلته ــ احيانا ــ يتعجب مما اذا كانت الحياة تستحق كل هذا الاهتمام.

واخيرا عزم عزما اكيدا على ان يبحث وليستنتج ما اذا كان الملك والملكة هما اللذان دبرا خطة اغتيال والده ، وهما اللذان قاما بتنفيذ المؤامرة . وسرعان ما خطرت بباله طريقة للعمل :

كانت فرقة متجولة من الممثلين قد أتت الى المدينة ، وارادت ان تقوم بتمثيل احدى الروايات في القصر الملكي . لقد رأى هاملت افراد هذه الفرقة من قبل ؛ وتذكر ان احدى رواياتها كانت تعالج جريمة قتل مشابهة . تتعلق بشخص « دوق » وبحزن « الدوقة » ارملته . قال هاملت :

ــ « الان فقد عثرت على أهم طريقة عملية استطيع بها اختبار ما اذا كان الزوجان مجرمين ام لا ؟ »

وهكذا انتحى هاملت ببعض الممثلين ناحية ، وسألهم عما اذا كان يعرف رواية تدعى : « اغتيال كونزاكو Gonzago » تلك الرواية التي يسمم فيها « دوق » يسمى كونزاكو فى حديقته بواسطة قريب له يتزوج ارملته فيما بعد . قال الممثلون : انهم يعرفون الرواية ويمكنهم تمثيلها اذا ما رغب الامير فى ذلك .

قال هاملت :

ــ « فى ليلة الغد تمثلونها أمام الملك والملكة ؛ ولكن اريد منكم ان تزيدوا فى اصلاحها وتحسينها بوضع بضعة اسطر من تأليفي » .

وهكذا ادخل هاملت تغييرات على الرواية لتكون مشابهة قدر الاستطاعة للجريمة الحالية ، جريمة اغتيال والده ؛ فقد كان يعرف كيف تستطيع رواية جيدة ان تثير مشاعر السامعين والنظارة ، وتذكر قصة سفاح وكيف اعترف بجريمته النكراء عند ما راى الجريمة تمثل امامه مرة أخرى على خشبة المسرح .

وضمن هاملت قائلا :

ــ « الان وعند ما يرى الملك والملكة هذه الرواية . ستظهر على وجهيهما امارات الاجرام اذا كانا مجرمين حقا ، وسأكون قادرا على مراقبتهما وملاحظة سلوكهما عن كثب » .

ثم دعا هاملت الملك كلوديوس والملكة لمشاهدة الرواية التي ستمثل فى الليلة التالية . وبالطبع لم يخبرهما عن موضوع التمثيلية ، نقبلا الدعوة بسرعة ، لانهما ظنا أن هذا السلوك من الامير علامة تبشر اخيرا بتحسن صحته .

وقبل ان يبدا تشخيص الرواية على خشبة المسرح ، ذهب هاملت الى صديقه الثقة هوراشيو وانبأه خبر ما قد نظمه ، وسأله ان يمد له يد المساعدة ، فيراقب سلوك الملك والملكة أثناء العرض المسرحي ، وقال :

ــ « واذا لم يحركه المنظر حركة غريبة ، فان الشبح ليس روح والدي ، واكون قد ظلمت كلوديوس بالتفكير فى انه مجرم مفتال » .

وعند ما اقتربت ساعة التمثيل ، دخل الملكان ورجال الحاشية ، وجلسوا امام خشبة المسرح ؛ وجلس هاملت وهوراشيو فى جانب مظلل حيث يمكنهما ملاحظة الملك دون ان يظهرا ذلك بطريقة مكشوفة .

وفى بداية الرواية ظهر « الدوق » كونزاكو وزوجته وهما يتحدثان ، واعلنت له زوجته فى حديثها انها لن تتزوج أبدا بغيره اذاما مات . ثم قالت :

ــ «ان المراة التي تتزوج زوجا ثانيا ، هي فقط التي تكون قد أسهمت فى قتل زوجها الاول » . وعند سماع هذه الكلمات راى هاملت والدته وقد شحب لونها ؛ فقد كان لبداية المسرحية تأثيرها الفعال فى الزوجين المجرمين ؛ بيد ان البقية كانت مزعجة لهما اكثر من ذي قبل ؛ذلك لان المنظر التالي كان يري الدوق

ــ « ايها الذي يشبه والدي ! ماذا يعني قدومك الينا ؟ الانت والدي ؟ ام انت شخص آخر ؟ ؛ ماذا تريد منا ان تفعل ؟ » .

واجابة عن هذه الاسئلة اشارت « الروح » على هاملت ان ينتحي معها ناحية بعيدة عن رفيقه ... وهنا تدخل هوراشيو وسأل صديقه الحميم الا يتبع الشبح حتى لا يحدث له ما لا تحمد عقباه ، وحاول هوراشيو والعسكري ان يثنيا هاملت عن عزمه بالقوة ، غير انه ابى ودفعهما جانبا واختفى عن نظريهما .

تبع هاملت الشبح الذي كان فى الواقع شبح والده؛ وسرعان ما اخبره بالحقيقة ، وهي انه قد مات مقتولا :

ــ « لقد اشيع ان ثعبانا لدغني حينما كنت نائما فى البستان ؛ ولكن اعرف ايها الشاب النبيل ان الثعبان الذي لذغ والدك هو الذي يلبس تاجه الان » .

ثم امر هاملت قائلا :

ــ « هذه هي القتلة الدنيئة غير الطبيعية التي عاناها والدك ، فهل لك فى ان تنتقم له ؟ »

ولكن هاملت لم يكن ليقتل والدته التي شاركت فى الجريمة : فكان عليه ان يتركها لتقاسي آلام الحزن وتوبيخ الضمير من اجل خطاياها ... ثم اختفت روح الملك العجوز عن الانظار ، بعد ان طلب من ابنه الا ينسى اوامره ، وان يظل وفيا لعهوده .

وبعودة هاملت الى رفيقيه ، طلب منهما ان يحلفا ان لا يقولا اي شيءعما حدثفى تلك الليلة . ولم يخبرهما بما جرى بينه وبين الشبح من حديث ؛ ولكنه تدارك الامر فتكلم فقط مع هوراشيو صديقه المخلص ، اذ لم يستطع كتمان الحديث عنه .

ثم وضع هاملت خطة ليعمل على تنفيذها فى المستقبل ، ذلك انه قرر ان يسلك فى الظاهر مسلك الرجل المجنون ، فبهذه الطريقة ــ كما اعتقد ــ لا يمكن لعمله ان يشتبه فى امره ، او ان يحذر جانبه ؛ وبها ايضا سيكون قادرا على اخفاء مشاعره جيدا. وكان هوراشيو الشخص الوحيد الذي اطلعه على تفاصيل خطته .

وهكذا طبقا للتصميم الموضوع اصبح كلام هاملت وسلوكه اغرب مما كانا عليه فى الماضي ؛ وخاصةحينما كان يكون فى حضرة الملك والملكة ، ومرت الاسابيع تلو الاخرى على موت والده ، ومع ذلك لم يظهر الامير اية علاقات للتحسن ، بل بالعكس ابدى امارات ازدياد الحالة سوءا على سوء . حينئذ ازداد عمه والملكة في امره حيرة وارتباكا ؛ غير انهما ظلا على اعتقادهما انه لم يشتبه فيهما ، بل وصل بهما التخمين الى اليقين بأن شيئا اكثر من مجرد موت والده كان له التأثير البالغ فى عقله . ولم يطل بهما الوقت كثيرا قبل ان يقترح عليهما سبب لجنونه :

فمن بين حاشية الملك كان يوجد رجل مشهور بخبرته وحكمته يدعى بولونيوس Polonius وكانت له ابنة جميلة هي اوفيليا Ophelia التي كان هاملت جد مغرم بها فى الماضي . وكان والدها يشجع هذه الصداقة فى السر ، لانه كان يأمل من هاملت ان يتزوج ابنته يوما ما فتصبح بذلك اميرة .

لم يكن والدها متأكدا من حب هاملت لها ، لذلك امرها فى مكر ودهاء الا تشجع الامير كثيرا ، والا تبادله الحب سريعا ، ذلك ان الحب المتبادل بسرعة يموت بسرعة ، اما اذا اظهرت ازاءه قلة اكتراث فى بعض الاحيان ، فلربما كان ذلك داعيا لهيامه بها وحبه اياها حبا جما .

كانت اوفيليا ابنة جميلة تثق فى حكمة والدها ، ولذلك عملت بنصيحته ؛ وبدا كأن النتيجة جاءت وفق ما اراده بولونيوس . ففد أتته واخبرته كيف ان هاملت قد اتاها فى ملابس رثة ، وحالة بائسة ، تعلو محياه نظرة حزينة .

وفى الحال ظن بولونيوس ان هاملت اصبح من التعاسة والشقاء بمكان، لان اوفيليا لم تبادله حبا بحب؛ واعتقد ان هذا هو السبب فى جنون هاملت . ثم قال لاوفيليا :

ــ « يدل هذا على انه يحبك بشغف والى درجة العبادة ، وان برودة حبك قد سببت له الجنون » .

ثم ذهب الى الملك والملكة بهذا التأويل العجيب لسلوك الامير ، مؤملا من وراء ذلك ان يوافقا على عقد قران الامير على اوفيليا ، فيحفظا لهاملت سعادته وهناءته .

وبينما الامر يجري على هذا النسق، كان الامير ما يزال مستغرقا فى تأولاته ، وفى امر شبح والده له بالانتقام لقتلته القاسية الشنيعة . وصار يفكر كيف يستطيع ان يضع خطة لانتقامه ، وبالرغم من انه كان يكره عمه كره العمى ، فقد تقزز بطبيعة الحال ، واشمأزت نفسه من عملية قتل انسان آخر .

وكان فى بعض الاحيان ما يزال تراوده افكار حلوة عن محبوبته اوفيليا ، ولذا اراد ان يسري عن نفسه ، فعزم على مداعبة تلك الافكار الحلوة من اجل التسلية ؛

ذلك ؛ ان عملها هذا يجعل نفس المستمعين للقصة يحمرون خجلا من العار .

عند سماع هذه الكلمات احست امه كة العار والشنار ، وتحققت الى اية درجة كانت شريرة دنيئة ؛ فسألت هاملت ان يكف عن التقريع والتوبيخ ، ولكن هذا كان لا يزال لديه الكثير من القول . لقد طلب منها ان تهجر زوجها حينما يبدو — وبدون انذار سابق — شبح الملك العجوز مرة اخرى . وبما ان الملكة لم يسبق لها ان رات ذلك الشبح ، فانها ظنت ولدها قد عاوده الجنون .

بيد ان هاملت راى الشبح ، والشبح تكلم مع هاملت آمرا اياه ان يترك امه الان ، وان يتذكر ان الانتقام من الجاني لما تحدد طريقته بعد ؛ وحثه على الرأفة بالملكة التي بدت وكأنما قد اثقل كاهلها الحزن وتأنيب الضمير . ثم اختفى الشبح . . . وبعد ان طلب هاملت من والدته ان تستغفر لذنبها ، وبعد تحذيرها من الاستمرار فى العيش مع كلوديوس ، تركها ظانا انها ستفعل مثل ما امر .

وفى هذه الاثناء كان الملك يضع خطة للتخلص من هاملت ، لانه تحقق من خطورته ، ولانه بدا يخشاه ؛ ولذا راى نفيه من البلاد . ولكن الامير كان محبوبا من الشعب ، فكان من الصعب على الملك ان يجد مسوغا معقولا لنفيه ، واخيرا اهتدى الى العذر المطلوب ؛ لقد وجده فى قتل بولونيوس ؛ ولذا قال لنفسه يحاورها ويحاول اقناعها :

— «سيعتقد الشعب اني ابعدت هاملت محافظة ليه من انتقام عائلة بولونيوس » .

وهكذا وضع كلوديوس الداهية خطة لارسال هاملت الى البلاط الملكي الانكليزي ، ولاغتياله بمجرد وصوله الى انكلترا . وتظاهر امام هاملت بانه مرسله الى هناك فى شأن من شؤون الدولة ، وذلك لان انكلترا فى هذا العصر كانت تابعة لدنمركة ؛ اما فى الباطن والحقيقة ، فكان يريد الاجهاز على حياته ، ولذلك ارسل رسالة مختومة يحملها رجلان من الحاشية يصاحبان للامير . كانت الرسالة موجهة الى ملك انكلترا تامره ان يقضي القضاء المبرم على حياة هاملت ، بمجرد ان تطأ قدماه التراب الانكليزي .

بهذه الطريقة اجبر هاملت على مغادرة وطنه مسقط رأسه ؛ ولكن برنامج الملك الاثيم لم يكن لينفذ، لما كان يعرفه الامير عن شخصية عمه ، جعله يشك فى امره ، ويتهمه الغدر والخيانة ، وجعله منه على حذر . تظاهر بانه راغب فى تنفيذ الامر الملكي ، وابحر الى انكلترا مع الضابطين اللذين عينهما عمه لمرافقته .

وعند ما بدا الثلاثة رحلتهم البحرية ؛ وفى الليل حيث كان رفيقاه نائمين ، وجد هاملت الطرد المقفل المحتوي على الرسالة المرسلة من كلوديوس الى ملك انكلترا ، وفيها قرأ الامر الذي سيقتل بمقتضاه عندما يحل بأرض الانكليز . وسرعان ما وجد هاملت طريقة لافساد خطة الملك الاجرامية ؛ فقد مسح — بمهارة — اسمه هو من الرسالة وأحل محله اسمي الضابطين المرافقين له ؛ وبعدئذ ختم الرسالة بخاتم أبيه الذي كان معه ، ثم وضعها فى المكان الذي وجدها فيه .

و فى اليوم التالي كانت سفينة الامير مطاردة من قبل لصوص البحر ، وهنا ابطأت السفينة فى سيرها لدرجة أن هؤلاء لحقوا بها . وقد ابدى الامير شجاعة نادرة المثال ، اذ اقتحم سفينة القراصنة بمفرده ، واستطاع ان يجعلهم فى شغل شاغل لدرجة ان سفينة الامير وجدت سبيلها الى الفرار فالنجاة .

وبقى هاملت مع القراصنة الذين عاملوه برافة واحترام حينما علموا انه امير ؛ وكأنهم املوا من وراء ذلك فى مكافأة يكافئهم بها . وبناء على ذلك ابحروا صوب البر ، وانزلوا الامير على شاطىء اقرب ميناء من موانىء دنمركة . وهكذا نجا الامير من مؤامرة الملك ، وبقى لينجز ما سطر له فى لوح القضاء والقدر .

وبمجرد ما وطئت قدمه ارض بلاده ، حرر رسالة الى عمه يخبره فيها انه قد عاد الى دنمركة ، وانه سيشرح له كل شيء عند ما يراه فى اليوم التالي . . . ولم يقل شيئا عن المؤامرة الدنيئة لانه عزم على التظاهر بانه لم يعرف شيئا عنها اطلاقا .

وفى الوقت نفسه ارسل خطابا الى صديقه هوراشيو ، مخبرا اياه بكل ما حصل له ، وراجيا منه ان يقدم عليه بكل سرعة ممكنة . وحينما تقابلا اخبر هاملت صديقه بمغامرته وبخيانة الملك ايضا . وبينما كانا متجهين شطر المنزل رايا منظرا عجيبا ! فقد الفيا حفارين للقبور وهما يحفران قبرا جديدا ؛ وعلما منهما ان القبر لامراة توفيت منذ قليل . وبينما هم فى حديثهم هذا كانت الجنازة تقترب منهم شيئا فشيئا .

وقد اعترتهم الدهشة حينما راوا موكب الجنازة يتألف من الملك والملكة ومن شخصيات اخرى بارزة فى البلاط الملكي ؛ وحينما راوا جماعة النائحين تضم فيما بينها ليرتس Laertes اخا الحسناء اوفيليا

نائما فى بستانه ، وان رجلا تسلل اليه وصب السم في اذنه وهو نائم .

وارتعدت فرائص الملك المذنب لدى المنظر ، وداخله الرعب والفزع ، فالتفت هاملت نحوه وفسر له المشهد قائلا :

— « انه يسممه ليستولى على اراضيه ويستخلصها لنفسه . وفى المنظر التالي سنرى كيف انه سيكسب حب زوجة كونزاكو » .

امام هذا انخلع قلب كلوديوس من الهلع . وعند رؤية جريمته النكراء يعاد تمثيلها امام جميع رجال القصر ، لم يستطع تحمل البقاء لمتابعة المسرحية حتى نهايتها . ثم نهض وصاح :

— « هاتوا ضوءا ما !! بعيدا !! »

وفر الملك والملكة من المقصورة وثوب الخزي والعار يجللهما . وظل رجال الحاشية يتساءلون في دهشة عما حدث حتى سبب هذا السلوك الغريب من الملك والملكة . ولكن هاملت وهوراشيو قد شاهدوا ما يكفي للتأكد من ان الشبح كان صادقا فى حديثه ، وان قتل الملك كان فى الحقيقة نتيجة مؤامرة مدبرة ، وحسب خطة موضوعة . ورأى هاملت ان من واجبه الان ان ينتقم لموت ابيه .

فى هذه اللحظة ياتيه رسول من الملكة — والدته — يعلن رغبتها فى التحدث معه فى الحال ، وعلى انفراد . ان الملك كلوديوس قد حرض الملكة جيرترود Gertrude لكي تبعث وراءه ؛ اراد ان يستنتج مدى معرفة ربيبه بالامر ، فقد ظن ان الصدفة قد تكون عملت عملها ، فطابقت حوادث المسرحية جريمتهما . وكان للمنظر الذي شهده الملك تاثيره ، فقد جلب الى بيت الملك جريمته وامام هذا الخطب الذي الم به ، جثا على ركبتيه فى محاولة للدعاء والاستغفار .

ومر به هاملت فى طريقه الى جناح والدته وهو على هذا الوضع ، ولم يكن يوجد اسهل من ان ينفذ هاملت انتقامه ، وياخذ بثار ابيه فى الحال ؛ ولكن جانب الضعف والتردد تغلب على جانب العزيمة فى هاملت فاستبقى بذلك قاتل ابيه وقال :

— « من الاحسن ان يقتل حينما يكون سكران او غضبان او حتى يكون فى فراش النوم ، لا استطيع ان اقتله كما هو الان » . وهكذا جعل الفرصة تفلت من يده ؛ وتسلل من الغرفة بهدوء .

وفى غضون انتظار الملكة قدوم ابنها ، اختفت وراء ستائر غرفتها بولونيوس النديم العجوز الماكر ، حتى يكون شاهدا على كل ما يفوه به هاملت . وحينما دخل هذا الاخير غرفتها شرعت توبخه وتعنفه على سلوكه فقالت :

— « لقد اسأت الى والدك كثيرا جدا » . وبعد لحظة قضاها هاملت فى التفكير فى والده المحبوب المقتول ، اجاب فى غضب :

— « لا يا اماه ! انك انت التي اسأت الى والدي »
قالت الملكة :

— « ان هذا جواب تافه عديم الجدوى » .
ففند ولدها كلامها قائلا :

— « انه الجواب الذي يتطلبه سؤالك » .
لم يكن هاملت ينوي قتل والدته ؛ ولكنه كان عازما على ان يجعلها تعترف له بجريمتها ، ولذلك امسك برسفيها ليجعلها تجلس؛ ولكنها ارتعبت وصاحت:

— « ماذا ؟ هل تريد قتلي ؟ النجدة ! الغوث ! »
وامام هذا ، ظن الرجل العجوز المختفي وراء الستائر ان هاملت قصد قتل والدته ، لذلك ولخوفه الشديد ، وبدل ان يسعى لمساعدة الملكة ونجدتها ، صار فقط ينادي مثلها :

— « النجدة ! الفوث ! النجدة ! » .

حسب هاملت انه الملك ، ونظرا لانعدام فكرة الابقاء لديه على حياة الملك بعد الذي حصل ، فقد ضرب بسفيه الستائر وجسم بولونيوس معا ، فقتله على الفور . لم ينزعج الامير كثيرا لغلطته ، ولكن الملكة صاحت :

— « اوه ! ما هذا العمل الطائش الملطخ بالدم ؟ »
فأجاب هاملت :

— « عمل ملطخ بالدم ! عمل رديء يشبه — أيتها الام الطيبة — قتل الملك والتزوج باخيه ! » .

ثم صار هاملت المحق فى غضبه ، يعنف والدته لما اقترفته من ذنب ، ولم يغفر لها جريرتها . واراها كيف انها كانت عديمة الفؤاد حينما نسيت هكذا بسرعة زوجها الطيب الميت،وتزوجت اخاه وقاتله بمجرد موته . ثم عقد مقارنة بين زوجها السابق وزوجها الحالي ، مشيرا الى عدالة الاول وشرفه ، والى انحطاط الثاني ودناءته . وسألها كيف سمحت لنفسها ان تستبدل بالاول الثاني : هل تملكها شيطان رجيم حتى فعلت ،

من الحياة الا دقائق معدودة تركت له كي ينفذ خطة اخذ الثار ، التفت الى الملك ، وطعنه بالسيف المسموم فقتله في الحال .

وعند ما راى هاملت مصيره المحزن المحتوم ، نادى صديقه المخلص هوراشيو الى جانبه ، وسأله ان يعرف الناس بالقصة الحقيقية لاغتيال ابيه ، وان يروي لهم خبر انتقامه له . كان هوراشيو قد قام بحركة يفهم منها انه كان يريد ان يشرب الخمر المسموم وبذلك يرافق صديقه الى الدار الاخرة، ولكن حينما طلب منه هاملت ذلك ، وعده ان يبقى على قيد الحياة ليقص على العالم قصة هذه المأساة كلها .

وكان ما يزال لهاملت من نسم الحياة ما يكفي لسماع وعد هوراشيو ، وبعد ان همس بهذه الكلمات :

— « الراحة هي السكون . » فاضت روحه وخر صريعا .

وهكذا كانت نهاية أمير دنمركة النبيل الشجاع ، حزن عليه الشعب حزنا شديدا كما لو كان ملكا عظيما ؛ ثم حمل الى مقره الاخير على انغام موسيقى الجنود الحزينة ، ووسط عويل الشعب ونواحه المتزايد (1) .

تطوان : عبد الله العمراني

(1) عن : H G. Wyatt: Stories from Shakespeare - Oxford University Press, 1938

وخبأ هاملت وهوراشيو نفسهما وظلا يراقبان ــ غير مرئيين ــ القس وهو يقود مراسم الجنازة . وسرعان ما لاحظا ان القس ابى ان يتم المراسم قائلا : انه لا يستطيع ذلك نظرا لان المراة الميتة قد قضت نحبها مختارة ، وانتحرت طائعة غير مكرهة : كما سمعا ليرتس يلوم القس على هذا التصرف . وعندما اخذت الملكة تنشر الزهور على القبر ، سمعاها تقول :

ــ « كنت آمل فيك ان تكوني زوجة لابني هاملت ، وكنت اود ان ازينك فى حفلة زفافك ، لا فى أثناء دفنك » .

وبسماع هذا ، فهم هاملت ــ وقد اخذ منه الرعب كل مأخذ ــ ان المراة المتوفاة هي معشوقته اوفيليا ؛ وانها ــ ولا ريب ــ قد قتلت نفسها ؛ لذلك تملكه الحزن وتوبيخ الضمير ، وبرؤيته ليرتس يقفر هابطا الى قبر اخته ، اسرع هو وقفز الى القبر بجانبه . لقد شقيت أوفيليا بسلوك محبوبها الغريب ؛ وحينما سمعت ان محبوبها هو قاتل ابيها ، تملكها الاسى وفقدت رشدها ، ثم اغرقت نفسها . ظن ليرتس أن هاملت كان المسؤول عن كل ما حصل ، وانه يستحق اللوم والتقريع والمقاومة ؛ ولذلك حاول ان يقاتله فى قبر اوفيليا المسكينة ؛ ولكن الاتباع فرقوا بينهما ، فذهب هاملت مع هوراشيو معلنا شجنه وحزنه ، ومناديا بأنه قد احب اوفيليا لدرجة تفوق حب اي اخ لها .

ما زال الملك الطالح مصمما على التخلص من ابن اخيه . وبما انه راى هاملت قد نجا من مؤامرته الاولى فانه دبر مؤامرة اخرى ، مقررا ان يستفيد من غضب ليرتس على سافك دم أبيه بولونيوس : فلعلم الملك بأن كلا من هاملت وليرتس لاعب سيف ماهر ، عمل على تنظيم مبارزة بينهما بالسيف . لقد كان ليرتس يتمتع بشهرة كأحسن لاعبي السيف ؛ فحضه الملك على استعمال سيف حاد مستدق النهاية (وقد كان ذلك ممنوعا في المباريات) وحثه على تسميم نهاية السيف حتى اذا حصل لهاملت اي خدش هلك ومات فى الحين .

ارسلت دعوة للنزال الى هاملت الذي ظن ان ليرتس يريدها مباراة ودية ، ولذا قبل هاملت النزال ، واعتبر الدعوة عربون صداقة وحسن نية .

هذه هي الخطة الخبيثة التي نظمها الملك ، فقد كان يرى ان الامير اذا مات فى هذه المباراة السيفية ، فان موته سيبدو طبيعيا او من قبيل المصادفة ، ومن ثم لا يقع اللوم على اى كان ، ولكن مشروعه الواضح المعالم اذا لم ينجح ، فانه قرر الا يترك الفرصة السانحة تفلت من يده ، لذلك وضع قدحين من الخمر فوق مائدة قريبة منه فى الموضع الذي اقيمت فيه المباراة ؛ وفى أحد القدحين وضع سما ناقعا . وقد قدر انه سيشرب نخب نجاح هاملت فى فترة الاستراحة بين الشوطين ، ويفوت اليه القدح المسموم كي يجيب على النخب .

وقبل ان تبدأ المباراة اكد هاملت صداقة لليرتس ؛ واخذ كل منهما سيفه الكليل وبدآ المبارزة . وكانت المعركة أول الامر فى صالح الامير ، وحينما وقفا للراحة ــ بين الشوطين ــ شرب الملك نخب نجاح هاملت . ولكن هذا لم يشرب ، وقال انه سيفعل عندما ينتهي اللعب .

وفى الشوط الثاني تحمس ليرتس فى اللعب وحمى وطيس المبارزة ، فأصبحت المباراة مثيرة للغاية . وتطلع الملك الى طعنة مميتة تنشب فى جسم هاملت ، وظل يرقبها بشغف عظيم لدرجة انه لم يعد يلاحظ الملكة التي كانت بجانبه . ويبدو انها كانت عطشى فأرادت أن تطفىء ظمأها واخذت قدحا من الخمر لتحتسيه . ولم ير الملك أنها تشرب من القدح المسموم

فى هذه اللحظة وخز ليرتس جلد هاملت وخزة مفاجئة ، ففقد هذا الاخير مزاجه عندما عرف ان ليرتس كان مستعملا سيفا مدببا حادا ، لا سيفا كليلا كما كان مقررا ؛ واطبق عليه وضيق عليه الخناق . وفى أثناء العراك امسك هاملت سلاح ليرتس (الذي كان هذا قد سمم نهايته المدببة بنفسه) وجرحه به صرخ الملك : « ان فرقوا بينهما » . وفى الوقت نفسه رئيت الملكة وهي تسقط فجأة ، وتصرخ انها قد سممت . لقد اثرت جرعة الخمر الميتة اثرها فماتت الملكة فى التو .

راى هاملت الخيانة والغدر يحيطان به احاطة السوار بالمعصم ، فأمر الاعوان ان يقفلوا الابواب حتى لا يهرب احد ، وصاح قائلا :

ــ « اوه ! دناءة ! خيانة ! فتشوا عن الخونة ! »

وبمجرد ما اتم هذه الكلمات ، خر ليرتس صريعا الى الارض ؛ متأثرا بضربة السيف المسمومة التي كالها له هاملت ، وقال :

ــ « أجل ، انها خيانة بالنسبة الي ، فانا فريسة الغدر يا هاملت ، وانك مقتول لا محالة ؛ ولا يوجد فى العالم دواء يشفيك ــ الملك ، الملك هو الملوم . » وهكذا لفظ انفاسه الاخيرة وهو يطلب العفو والمسامحة .

وبعد ان رأى الامير ــ راى العين ــ مؤامرة الملك الدنسة التي دبرها لقتله ، وبعد ان تيقن ان ليس أمامه

يتقاعس تكبرا عن عمل مكلف به وهو من صميم واجبه، فالجزائر تقول : « اذا انا امير وانت امير اشكون يسوق هاذوا الحمير » والسودان تقول : « ابوك امير وابوي امير مين يسوق الحمير » وفلسطين تقول: « انت شيخ وانا شيخ ومين بيوقد النار » ، والكويت تقول : انا مير وانت مير من يسوق الحمير » والمغرب (تطوان) يقول : انا مير وانت مير شكون ينداه هاذ الحمير » ، وفاس تقول: « انا امير وانت امير واشكون يسوق هذا الحمير » وقبائل نجد تقول : « الى صرت امير وانت امير من يسرح بالحمير » .

وهذا مثل عراقي آخر : « أواعدك بالوعد واسكيك يا كمون » يضرب لكل ما لا يصح من المواعيد. تقول تونس : « عيش بالمنى ياكمون » والسودان : « ابشر يا كمون بالروى » وسورية : « بتوعدني وبتبعدني بسقيك ياكمون » وفلسطين : « بالوعد نسقيك ياكمون » ، ومصر : » سأسقيك بالوعد ياكمون » ولبنان « بسقيك بالوعد ياكمون » والمغرب « دبا نسقيك الكمون » أو « غدا نسقيك الكمون » ، ونجد تقول : « فلان كمونة تعيش على الطل » ، ومثل نجد هذا يوضح سر المثل ، فان مما عرف لدى الفلاحين انه يكفي لنمو الكمون أن تشمله قطرات الندى فى الليل أو يشابه وانه ليس بحاجة الى سقي حقيقي..

وهذا مثل عراقي ثالث : « البيت بيت ابونا والناس يعاركونا » يضرب لمانع صاحب الحق من التصرف فى حقه ، تقول الجزائر : « الدار دار بونا والكلاب طردونا » وسورية تقول : « البيت بيت ابونا والكلاب صاحونا » ، وفلسطين تقول : « البيت بيت ابونا واجوا الغرب يطحونا » ، والكويت : « البيت بيت ابونا والقوم خانقونا » ، ولبنان : « البيت بيت ابونا والغرب بيقاتلونا » ، ومصر : « البيت بيت ابونا والغرب بيطردونا » ، والمغرب : « الدار دار بونا والكلاب بيطاردونا » ونجد : « الدار دار ابونا والقوم قردونا » (هيسبريس 1947 – 1955) .

وهكذا سار الاستاذ عبد الرحمن التكريتي فى كتابه « الامثال البغدادية المقارنة » مرتبا لها على الحروف الهجائية ، ونحن فى انتظار المجلد الثاني نزف للمجمع العلمي العراقي تقديرنا لمساعدته على نشر مثل هذه الكتب التي تظل الرباط القوي الذي يجمع بين التفكير العربي فى الشرق والغرب متمنين للعميد التكريتي المزيد من العون والتوفيق .

الرباط – أبو سعد

فارغ ومشغول

قال عبد الله بن سليمان لابى العيناء : اعذرني فاني مشغول ، قال : اذا فرغت لم احتج اليك ، وما أصنع بك فارغا ، وانشد :

ولا تعتذر بالشغل عنا فانما ... تناط بك الأمال ما اتصل الشغل



الأمثال البغدادية المقارنة

تأليف الأستاذ عبد الرحمن التكريتي
تعليق أبو سعد

زارنا صباح يوم 28 – 2 – 66 العميد عبد الرحمن التكريتي ليطلعني على مشروعه حول اصدار كتابه المذكور الذي يتناول الامثال العراقية مقارنة مع امثال احد عشر قطرا عربيا وكان تقدم الي قبل هذا يطلب مؤلفات عن « الامثال المغربية » ، وقد لمست فيه منذ اللقاء الاول عزما ماضيا نحو تحقيق هذه الرغبة برهن لي عنها ذلك الحرص الشديد منه على ان يقدم للقراء العرب ما يزيد فى ايمانهم بأن مشاعرنا واحاسيسنا واحدة ليس عن طريق ارسال الكلام على عواهنه ، ولكن عن طريق هذا الذي نسميه « مثلا » ، وعن هذا القول الذي نردده بيننا كلما طرأ حادث أو عنت سانحة ، فلقد عرف الناس جميعا أن هناك طائفة مهمة من الامثال العربية تتحد سواء على اطراف المحيط أو على اطراف الخليج ، وهذا يعني أن الحاسة العربية واحدة وان الشعور واحد . لقد جمع فى هذا الكتاب حوالي اربعة آلاف مثل من عيون القول وصائب الكلام ، وبصرف النظر عما تحتوي عليه من فوائد لغوية ونوازع انسانية فانها تعطي صورة صادقة عن المحيط الذي نعيشه وعن البيئة التي تؤوينا هنا او هناك . ولما كنت اعرف عن طائفة مهمة من اخواننا الاساتذة فى المغرب ممن عنوا بأمر الامثال من امثال الاساتذة عبد السلام بن سودة وعبد القادر زمامة والشيخ محمد داود والاستاذ محمد الفاسي ، هذا الى ما عرف لصاحب الوسيط عن امثال شنجيط ، وعرف لويستير مارك واحمد الصبيحي الخ .. اقول لما كنت اعرف ذلك توسلت الى الخزانة العامة بالرباط التي زودته هي الاخرى بما هو فى حاجة اليه تقديرا لعلمه واكبارا لطموحه ، فان من المعروف لدى الكثير قيام الناس بالتاليف فى الامثال المحلية التي تروج بين ظهرانيها ، لكن المؤلف هذا قام – كما فعل بعض الاساتذة امثال محمد الفاسي والشيخ داود – بالمقارنات والمفارقات بين الامثال فى مختلف البلاد العربية ، وهذا كان يستحق ان يسدى اليه العون اللازم وكان يستحق أن ترضى استشاراته اتم ارضاء .

والعميد التكريتي ينتسب الى تكريت مسقط راس البطل الاسلامي العظيم صلاح الدين الايوبي ، بل مسقط راس كثير من الابطال الذين انجبتهم ارض الرافدين فى الماضي والحاضر . تكريت التي نحتفظ لها بذكرى لاتبليها الايام بما تضمه من رجال افذاذ، وما تمتاز به من شمم واباء ... وقد تدرج عبدالرحمن فى المناصب العسكرية حتى امسى عميدا ، وقد انصرف اخيرا الى خدمة العلم وهذه احدى طلائعه الادبية تصل الينا فى المغرب ولاجل ان نأخذ صورة عن المجهود الذي يبذله الاستاذ التكريتي نقدم بين ايديكم ما استدعاه منه مثل عراقي واحد من تحقيق لنعرف الداب والصبر الذي تحلى به الرجل من اجل أن يقدم لقراء العربية هذا التراث

هذا مثل عراقي يقول : آني امير وانت امير مينويسوك الحمير » ، آني بالعراقية معناه أ ، ومينو : معناها من . والمثل يضرب كما لا يخفى لمن

الاولى ، كنت معلما ، وقد أصبت فى الجبهة ، واصبح من الصعب علي ان اتكلم طويلا . والمعلمون الذين يستطيعون ان يتكلموا طويلا ، فى العادة ، يسيطرون بأصواتهم على الاطفال ، ولكنهم يتعبون بسرعة . اما انا فلم يكن ذلك باستطاعتي حتى كان علي ان اختار: اما ان اترك هذه الحرفة ، واما ان ابحث عن وسائل تقنية ، لا اكون بحاجة معها الى ان اصرخ . وحينئذ تخيلت بعض الطرق ، ففكرت مثلا بأن لا دروس بعد الآن ، ولم اعط بعدها درسا قط »

هذه بداية القصة ، التي اختتمت منذ شهور بوفاة فريني ، وكان ختامها النجاح الكبير ، نجاحا جعل المعلم البسيط ، الذي انتصر على عجزه ، وخرج منه بطريقة فذة فى التربية ، يترك العالم راضيا عن نفسه وعن مهنته . لقد بدأ « فريني » صراعه وجهاده ، لاكتشاف طرق جديدة ، حوالي 1920 ، ولكن الجهود المضنية للعثور على هذه الطرق ، لم تكن الا احدى العراقيل ، أما العراقيل الاخرى ، فهي التي تقف فى وجه كل جديد ، وفي وجه كل اكتشاف . انها القوى المتمسكة بالطرق التقليدية فى التربية ، وما كان اكثر هؤلاء ، من رجال التعليم ، والكنيسة ، والهيئات المجتمعية ، لا سيما حوالي 1932 فى فرنسا، وبعد ان شق « فريني » بمساعدة زوجته التي كانت معلمة بجانبه ، أشواطا فى طرقه التربوية ، فقد قامت فى وجهه ، قوى مختلفة تضم كبار الشخصيات ، في ذلك الوقت ، وهو يقول عما لاقاه فى تلك الفترة :

« ... لقد انتقدوا طرقنا ، وانتقدوا القطع التي كنا نقدمها للاطفال ، وكان لكل ذلك ضجة كبيرة ... »

ولم يستطع « فريني » أمام الضغط المتزايد ، والضجة العارمة ، الا ان يقدم استقالته ، من التعليم الحكومي) ، واسس مدرسته الخاصة ، وقد بناها بجانبه زوجته ، شيئا فشيئا ، بيتا بيتا مدة لاث سنوات . وبذلك أمكن للمدرسة ان تحوز عتراف الرسمي ، وتصبح من أكبر المؤسسات تعليمية فى فرنسا ، كما انضم الى المدرسة اعضاء عددهم يتزايد باستمرار ، يقصدون المدرسة ماون طرقها وموادها ، ليعودوا الى « مدارسهم ادية » يطبقون ما راوا .

ويتحدث « فريني » عن عيوب الطرق التي كانت ـ ولا تزال فى البلاد المتخلفة ـ فيقول :
« ... اننا نجعل الطفل يجلس ، ويشبك يديه الفترة التي نلقي عليه اثناءها خطابا ، ونقصد من ذلك ان نجعله يحصل شيئا ، والحقيقة ان الطفل لا يحصل من ذلك شيئا ، ولكنه يقرا كل يوم كتبا ، وينسخ ما فى هذه الكتب ، ونظل نامل النتيجة . اننا بهذا العمل ، نعلمه كيف يكتب ، بدون اخطاء تقريبا ، وكيف يقرا تقريبا بدون أخطاء ، وكيف يحسب ، اما فى نطاق الثقافة الحقة ، فهو صفر او اقل من صفر ! »

ومقابل هذه الطرق التقليدية العقيمة ، تبدو مباديء طريقة « فريني » ، انها تهدف لا الى « التحصيل » وحشو الدماغ ، بل الى التثقيف ، ولا تعتنق النظري ، بل تعتمد التجربة . ويقول « فريني » « فى يوم من الايام ، خطر لي أن أضع المطبعة بين ايدي الاطفال ، ولم اكن على علم سابق بما قد ينتج عن هذا ، اذا ما اثار اهتمامهم . لكن ، بدلا من ان نطبع قطعا للبالغين ، قمنا بطبع قطع اتى بها الاطفال انفسهم . وكانت النتائج باهرة . وبعد ذلك قمنا بتنظيم المراسلات مع مدارس أخرى ، وكانت النتائج افضل . وقد انطلقت من هذه النقطة ، كل تقنياتنا ا لحالية . »
ولا شك فى ان هذا يستدعي تغييرا جذريا فى المدرسة التقليدية ، وخاصة ما يعرف بالنظام . فبدلا من ان ياتي المعلم الى الفصل ويأمر الاطفال ، بفتح كتاب ، واجراء تمرين او عدة تمارين ، فان مدرسة فريني تقوم بحديث خاص مع الاطفال ، ثم يقوم هؤلاء بالاشتغال فى القطع الحرة ، التي هيأوها بانفسهم . وهذه الطريقة تتطلب اعدادا خاصا للمعلمين ، يجعلهم يقضون فترة تدريب من شهر الى شهرين ، قبل اخذ الفصل . وبالرغم من ان الدراسة عند فريني ، تعتمد على هذه الطريقة الحرة ، فان الاطفال يتابعون برنامجا محددا ، ويؤدون امتحانا كغيرهم من اطفال المدارس الاخرى . ويعطي فريني بعض الامثلة ، لزيادة ايضاح الفارق بين مدرسته والمدارس التقليدية . فيأخذ مثلا درسا فى الجغرافيا « حسب الطريقة التقليدية، هناك الكتاب المدرسي الذي يقدم لنا ان : الجزيرة هي جزء من الارض محاط بالماء من جميع الجهات ... »
ويرى فريني ان هذا لا فائدة منه ، ويعرض طريقته الخاصة فى مثل هذه الحال : « فقبل التعريف ، ننطلق من القاعدة : فعندنا اقياس جيدة ، تجمع الوثائق اللازمة . ولدى كل طفل مخطط للعمل . فاذا كنا ندرس « الرون » مثلا ، فان الاطفال لايرددون جميعا نفس الدرس على هذا النهر ، بل اننا نقتسم العمل. فواحد يدرس الرون الى بحيرة « ليمان » . (ولدينا ايضا كراسة ، مأخوذة من مكتبتنا التي تضم اكثر من 600 جزء تتعلق بالبحيرة) . ويقوم طفل آخر بدراسة



في أجواء التربية

للأستاذ مبارك ربيع

الامة برجالها . ولكن الرجال الذين تقوم بهم الامة لا ينبتون كالفقاع ، بالرغم من ان ولادتهم فى غالب الاحيان ، تخضع لقريب من ظروف الفقاع . الرجال الذين تقوم بهم الامة ، ثمرة تربية حية ، ترسم اهدافا، وتسعى لتحقيقها . ولن استعرض هنا نظريات تربوية ، ففي بلدنا نهضة متجهة نحو « استيعاب » تاريخ النظريات التربوية ، وقد يبلغ الامر ببعض الافراد ، خاصة ممن يحيون فى خضم حياة التدريس، ان يحفظوا تلك النظريات وتاريخها ، عن ظهر قلب ! وفى معاهدنا التربوية ، ومناهجها ، لاتزال الاهمية تعطى للنظري فى الميدان التربوي اكثر مما تعطى للجانب العملي . فالطالب النجيب فى معهد تربوي ، والمعلم والاستاذ الناجحان فى عملهما ؛ هم الافراد « المثقفون » فى ميدان النظريات التربوي ، والذين يستطيعون ان يكتبوا عدة ساعات مقالات ، يقتبسون فيها من اقوال المربين ويلائمون بينها ، ويستنتجون فى احسن الاحوال ، وليس من النادر ان تكون عمليات الملاءمة تلك ، والاستنتاجات ، بعامل المهارة اللغوية ، والذكاء المنظم ، منطقية مقبولة ومستساغة ، ولكن ليس من النادر ان ذلك الرواء الزائف ، اذا ما عرض على العمل ، والتجربة ، لايبقى منه سوى تناقض واستحالة، ولعمري بأي منطق تنقلب « عملية » التربية الى ثقافة نظرية لفظية ؟ وأين الاصالة والابتكار فى التربية ، اذا اعتمدنا دائما الفصل بين النظري والعملي . ان اكبر المتحمسين للجانب العملي فى التربية ، قد يعطونه مرتبة مساوية للجانب النظري . ولكن ، فيما يبدو ، ليس هناك من نظري فى « عملية » هي التربية . وماذا لو تصفحنا وثائق بعض المربين المعاصرين ، ومن مذكراتهم على الخصوص ؟ فذلك كفيل بأن يزيد في توضيح هذا الجانب الهام فى التربية وهو الجانب العملي ، وكفيل بأن يدفعنا ، وحتى من هم على احتكاك دائم بميدان التربية ، الى ان نعيد النظر فى مناهجنا ، وناخذ عملية التربية بمزيد من الجد ، لخلق اجيال فى مستوى القرن العشرين ونتجنت ما يقع في مدارسنا باستمرار من قبر المواهب ، وقتل للعبقريات، والمبدأ الذي يجب ان نعتنقه ، والكفيل باعطاء احسن النتائج ، هو فتح المجال للتجارب التربوية ، وترك هذا التقيد المتطرف بشكليات ، لا اثر لها ولا خطر . واقدم هنا تلخيصا لمقال مطول بعنوان « ثورة فى التربية » (1) ويتناول بالحديث الطريقة التربوية التي اتبعها فى مدارسه Célestin Freinct الذي توفي اخيرا عن 75 سنة . وقد ظل « فريني » يسير المدرسة التي اشتهرت باسمه منذ 1935 وقد اعتمد المقال على احاديث هذا المعلم المسجلة . وليس من احد يحسن الكلام عن طريقة او نظرية كصاحبها ، خصوصا وان طريقة هذا المربي ، وما تعتمده من مبادىء قد اثرت فى مدارس فرنسا الحالية الى حد كبير ، ومما جاء فى احاديث « فريني » هذه : « بعد الحرب العالمية

1) نشرته : Les nouvelles littéraires بتاريخ 1 يونيو 1967

اما الرسالة الجامعية الثانية ، فهي التي تقدم بها الاستاذ احمد اليابوري حول « فن القصة في المغرب » . وقد تبين من عرض الاستاذ اليابوري ، ومن مناقشة الاساتذة ، أن الرسالة تتعرض للقصة المغربية منذ سنة 1914 . وبعد ان تقدم ، بعض المفاهيم المتعلقة بالفن القصصي ، تقسم القصة المغربية الى أنواع: كالقصة المقامية ، والقصة (الاجتماعية) ، والقصة القومية ، والقصة الفلسفية ، والاقصوصة ... وقد اعتمد صاحب الرسالة كلا من المنهجين النقدي والتاريخي ، ولكنه كما جاء في عرضه ، اهتم بالمنهج النقدي اكثر مما اهتم بالمنهج التاريخي . ويفهم من هذا ان الاستاذ اليابوري يركز على الروابط والعلاقات التي يظهرها النقد بين نماذجه ، أكثر مما يركز على تسلسلها التاريخي . وقد شارك في مناقشة هذه الرسالة الدكاترة : العميد محمد عزيز الحبابي (المشرف) والاستاذ امجد الطرابلسي ، والاستاذ البهيتي ، والاستاذ صالح الاشتر ، وانتهت المناقشة بقبول الرسالة بميزة حسن .

اننا بهذه المناسبة نهنيء الاستاذين الجابري واليابوري ، كما نهنيء الكلية والجامعة وكل غيور على الثقافة في هذا البلد ، ونغتنم هذه الفرصة لنهمس بكلمة ، في اذن كل من يتحمل مسؤولية ما في ميدان الجامعة او التعليم او الثقافة : ان ما نقدم حتى الآن من رسائل في حياتنا الادبية قليل جدا ، بل زهيد . لا يتناسب بتاتا ، مع النقص الذي يعانيه بلد متخلف في مضمار الاطر العالية . وان من السهل ان يقال ان حياة جامعتنا وكلياتنا قصيرة ، وان الامكانيات محدودة . نعم اننا نعرف هذا ونردده جميعا . ولكن الامكانيات تخلق سواء كانت معنوية تتعلق بجهود الطلبة والدارسين المرشحين لتقديم رسائل جامعية ، او كانت مادية تتعلق برجال الجامعة . وهنا نشير الى ما اعلن في مقدمة مناقشة الرسالتين السابقتين ، من رسائل لا تزال تحت الدرس ، ومنها من طال بالمتتبعين لحياة الجامعة ، انتظاره . ان رسالة جامعية واحدة في السنة ، في مادة معينة ليست بالشيء الكثير . بل هي على الاصح اقل القليل . ومع ذلك فلو أن كل قسم من اقسام الدراسات العليا ، من ادب ، وفلسفة ، وتاريخ ، وجغرافيا ... امكنه ان يقدم رسالة واحدة في السنة لامكن لمشكلة الاطر العليا ا ن تسير في طريق الحل ، لان رسالة الدبلوم ليست الا عتبة ، لتحضير الشهادات الاعلى ، وهو ما نعاني منه كل النقص .

قد يكون من الصعوبات التي تعترض هذا السبيل ، تهاون او تراخي اصحاب الدراسات (الطلبة) عن انجازها بمجرد ما يتسلمون موضوع رسائلهم . اذا كان هذا فان واجب الفيورين ، ان يقيدوا زمنيا مدة انجاز الرسالة . وهنا قد يقوم اعتراض ، وطالما قام هذا الاعتراض في امثال هذه المواقف . المعترض يقول : اننا نريد الجودة ، ونريد رفع المستوى الثقافي. ويقول ايضا : ان المستوى العام للتعليم قد انحط كثيرا . نعم هذا صحيح ، وكلنا نردده علنا وفي سرنا. ولكن علاج الموقف ، وفي التعليم العالي خاصة ، لن يكون ابدا ، باطالة سنوات الدراسة ، لان كل سنة تمضي ، تفوت على بلدنا طاقات ، اولى به ان يشرع في استغلالها . ليس علاج المستوى في التعليم العالي باطالة سنوات الدراسة ، ونحن جميعا نعرف ، من تجارب بعض الامم (الصغيرة في مظهرها ، والتي اعطت مثالا واضحا ، في العزم على نشر التراث وتكوين الاطر الصحيحة) ، ان المنخرط في التعليم العالي ، بمجرد دخول الكلية يسجل في قسمين للدراسة كالادب واللغات الحية مثلا ، وبذلك يهيء اجازتين بدلا من اجازة واحدة ، او على الاقل يتعين عليه عند انهاء اجازة ، ان يحصل على شهادات معينة في الاجازة الاخرى . ان كل الدول الناهضة تعاني من انخفاض المستوى ، وحتى الراقية نسبيا . لكن العلاج بالنسبة لنا هو في تركيز الدراسة ، لا في تمديد السنوات . وحري بالقسم اذا كان يشتغل عشر ساعات مثلا ويكلفه ذلك اضافة سنة ان يشتغل ضعف ذلك! بالاضافة الى الدراسات المركزة ، والتوجيه الصحيح ، طيلة السنة .

ان ما نرجوه لجامعتنا هو الازدهار ، وان تكون السنة الدراسية القادمة سنة الرسائل الجامعية ، لا سنة رسالة أو رسالتين . وان ما نقترحه لهو الاختيار بين ساعات مضاعفة في اليوم وجهد متواصل من جانب الطلبة والاساتذة ، وربح سنوات تستغل فيها الطاقات ، لخدمة البلاد ، أو العكس الذي يؤدي الى العجز سنوات ، وترك كثير من الحرية للاستاذ والطالب على السواء . وان هذا السير المتريث لايسد حاجتنا الى الاطر العليا .

السريالية في نصف قرن

باكتمال سنة 1967 يكون نصف قرن بالضبط قد مضى منذ ظهرت الى الوجود الحركة السريالية . وبهذه المناسبة ظهرت ، عدة دراسات ومقالات عن هذه الحركة التي اثرت في القرن العشرين ابلغ التاثير ، وطبعته بطابعها في كل مجالاته . ولا تقارن بالسريالية في هذا المضمار ، الا الحركة الرومانسية ، عند ظهورها، والتي كانت قد تجاوزت في عصرها الميادين الاستنيقية

« ليـون » .. الخ .. وهكذا يقومون بالعمل بانفسهم، بما بين ايديهم من الوثائق . فلا نسألهم ، ولا نعطيهـم ملخصـات . وعندمـا ينتهـي الاطفـال على هـذا النحو من دراسة « الرون » يقوم كل منهم بالقاء عرض حول الموضوع ... » وبهذه الطريقة يهيأ الاطفال رغم العمل الحر ؛ الى الامتحان المطلوب منهم ، وبهذا تكون مدرسة فريني قد حققت هدفها المزدوج ، وهو تربية الاطفال على البحث وعلى الاعتماد على انفسهم مـن جهة ، وتثقيفهم من جهة اخرى .

ومن جملة ما يقوم به الاطفال فى مدرسة فرينـي ان عروضهم او المحاضرات التي يلقونها ، لا تقف عنـد حدود مدرستهم ، وعلى اترابهم من تلاميذ الفصل بل انهم يقومون بالقاء محاضرات فى مـدارس اخـرى ؛ فيتجولون كأي محاضر من الكبار . ومما يذكره فريني فى احاديثه هذه ، ان رئيس اكاديمية فرسوفيا قد زار مدرسته ، واقام بضعة أيام ، فطلب منه فرينـي ان يختبر احد الاطفال ، وكان رئيس الاكاديمية ، مختصا فى التاريخ ، وقد حدث ذلك سنة 1960 . ويذكـر فريني ان هذا المختص الكبير ، لم يخف دهشته مـن تصور صمود طفل ، لاسئلته . وبما ان الطفل كان قد القى عرضا حول مصر ، فقد رجا فريني من الرئيـس ان تكون اسئلته فى هذا الموضوع بالـذات . وكانت النتيجة ان المناقشة بين الطفـل ورئيس الاكاديمية دارت كما تدور بين ندين ، وكان هذا الطفل قد توجه الى « نيس » حيث القـى عدة محاضرات فى المدرسة العادية ، وقد تحدث مدة ساعة ، وامامه عدد ضخم من الوثائق ، كما اجاب على عدة أسئلة ، وقـد اقترح ان يستمر بعـد ذلك فى حديثـه عن مصر ، اذا كـان المستمعون ما يزالون على استعداد لذلك . اما عمر هذا الطفل فهو 13 سنة ، وكان قد نجح لتوه فى الشهـادة الابتدائية .. وقد ادرك ابواه اهمية تعليمنـا ، ولم يريدا ان ان يضعـوه فى ثانويـة للتعليـم العام ، فى « فـانس » ، لانهم عرفوا ما يحدث فى تلك الثانويـة ، فسيشترون خمسة عشر دفترا ، وكتبا ، ويجب عليه ان ينسخ ما فى تلك الكتب ... فعمد ابواه الى أن جعلاه يتلقى دروسا بالمراسلة ، وبدأ الطفل ياتي الى مدرستنا بين الحين والحين ، ولم يكن هذا احسن ما يمكـن ، ولكنه كان افضل من ترك الطفل يضيع وقته .

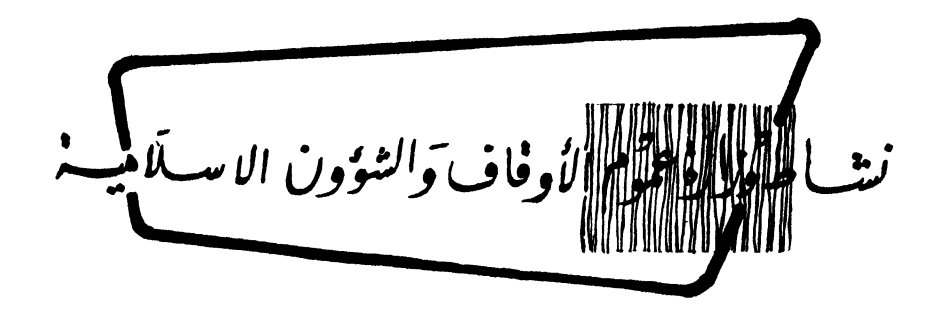
ويضيف فرينـي « فى مدرستنا ، اذا ما امكنك ان تسأل الاطفال فلن يكون لديهم ما يجيبون به كلمـة كلمة ، عن ظهر قلب ، بل انهم يجيبونك بطريقـة تدل على الذكاء ، لانهم يفكرون . » والتساؤل الكبير هـو: ما مصير هؤلاء الاطفال الذين يتكونون فى مدرسة فريني، انهم يغادرون هذه المدرسـة فى سن 14 ، وهو سن ما زال خطيرا عليهم ، بالرغم مما يكونون قد اكتسبوه، من دراستهم الاولى ، فهم قد اطلعوا على كثيـر من مشاكل الحياة ، وتعلموا الاعتماد على انفسهم ، وتمرنوا على جهود البحث ، ومع ذلك فلا ندري كيف يمكنهم أن يتلاءموا مع المدارس (الثانويات) ، التي سيدخلونهـا ، وهي تتبع الطرق التقليدية ، العقيمة فى غالب الاحيان بالرغم من جهود المخلصين من المعلمين والمعلمات ، ولكن فريني يرى ان مسؤولية العقم فى هذه المدارس لا تقع على المعلمين والمعلمات بالـذات ، « بل انهم ضحايا » ذلك ان مناهج التعليم عندما تجعل من مهمة المعلمين والمعلمات ، ان يدرسوا الاطفال ، اشياء لايرغبون فيها ، وفي ظروف غير مساعدة ، تعتمد الالزام والقهر ، انما يعرضونهم لاخطر عمل ، ولاعوص دور .

* * *

دراساتنـــا العليـــا

توجت السنة الدراسية هذا العام بكلية الاداب بالرباط بظاهرة طيبة ، لا يسمع كل غيور على الثقافة فى هذا البلد ، الا ان يطرب لها ، ويطلب المزيد منها . تلك هي مناقشة رسالتين لنيل دبلوم الدراسات العليا .

تقدم بالرسالة الاولى ، الاستاذ عابد الجابـري، حول موضوع : التاريـخ والتاريـخ فى المغرب (منذ الاستقلال) على ضوء منهج ابن خلدون . وموضـوع الرسالة بهذا الاعتبار يتضمن جانبين احدهما فلسفي والآخر تاريخي . فالجانب التاريخي هو الذي يتناول فيه صاحب الرسالة المؤلفات التاريخيـة (التاريـخ والتأريخ) ، التي ظهرت فى المغرب منـذ استقلالـه ، ويحاول ان يقوم بدراسة نقدية عنها ، وهذه العمليـة النقدية التي يمارسها المؤلف هي التي تدفعنـا الـى الجانب الثاني ، من الرسالة اعني الجانب الفلسفي . فالمؤلف يصطنع منهج ابن خلدون ، أو هو يسير علـى « ضوء المنهج » . ومنهج ابن خلدون منهج نقدي ، وهو منهج فيلسوف قبل كل شيء ، كما أن صاحب الرسالة متخرج من قسم الفلسفة بالكلية ، وقد قدم الاستاذ الجابري عرضا موجزا ، لـما جاء فى رسالته ، بين فيه محاولته ، وشرح بعض الجوانب المنهجية فى دراسته ، ثم بدأت المناقشة . وقد شارك فيها كل من الدكاترة العميد محمد عزيز الحبابي (المشرف على الرسالة) ، والاستاذ نجيب بلدي ، والاستاذ البير نصري نادر وانتهت المناقشة بقبول دراسة الاستاذ الجابري بميزة مستحسـن .



صاحب الجلالة يضع الحجر الاساسي لبنــاء مسجــد الحسن الثانــي بتطــوان

تفضل صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله فوضع الحجر الاساسي لبناء مسجد جديد بمدينة تطوان ، وذلك يوم الجمعة 21 شتنبر اثناء الرحلة الملكية الميمونة للشمال المغربي فى الصيف الماضي .

وقد حضر هذا الحفل التدشيني الساده الوزراء ، وعلماء المدينة واعيانها الذين تقدموا للسلام على جلالة الملك نصره الله ، بينما كانت الجماهير الغفيرة تهتف بالدعاء ، وتصفق بالاكف ، وتحي مشاريع صاحب الجلالة الانمائية والعمرانية .

وقد قدم بهذه المناسبة الدينية احد المهندسين شروحا مفصلة لجلالة الملك عن تصاميم هذا المسجد الذي تبلغ مساحته 530 3 مترا مربعا ، واثر ذلك غادر جلالته المكان الذي يشيد فيه المسجد عائدا الى قصره العامر ، فى رعاية الله وحفظه ، وسط هتافات الجماهير الشعبية الغفيرة التي كانت تدعو لسيدنا ولولي العهد سيدي محمد بالبقاء وطول العمر .

صاحب الجلالة يامر بتنظيم دروس حديثيــة بالضــريــح الحسنــي

فى نطاق الاستعداد للدروس المولوية التي ...حيها سيدنا المنصور بالله بمناسبة شهر رمضان ...ظم استدعى معالي وزير الاوقاف والشؤون ...سلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش اجلة العلماء ...شخصيات المرموقة الى الحضور للضريح الحسني ...ور السعيد للاستماع الى سلسلة من الدروس ...نة التي سيلقيها ثلة من طلبة دار الحديث الحسنية ... شهري رجب وشعبان مساء كل خميس ابتداء ...ساعة الخامسة .

وكان يوم الخميس 19 – 10 – 67 أول موعد لالقاء اول درس بالضريح الحسني القاه الفقيه السيد محمد التائب خريج دار الحديث الحسنية فى موضوع الحديث الشريف :

من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ... الحديث.

وهذه الدروس تعتبر سنة حميدة سنها ملوكنا العلويون الذين كادوا أن ينفردوا بها بين ملوك الاسلام حيث يدعون اليها كبار العلماء من عموم المملكة فيفدون عليهم مزودين مكرمين .

فكان اذا اظلتهم الشهور الثلاثة صدرت المكتوبات السلطانية الى قضاة المملكة وعمال الاقاليم ليختاروا العلماء الاجلاء ويوجهوهم معززين الى الحضرة الشريفة محفوفين بكل عناية فى الذهاب والاياب ، فاذا وصلوا الى الحضرة عينت لهم الدور التي ينزلون فيها ، والمراكب التي يستعملونها وتجرى عليهم النفقات الكافية .

وكانت المناقشة تجري أثناء تلك الدروس ، ولا سيما فى العهد الحفيظي ... حيث كان النقاش يحتدم بين العلماء المحافظين والعلماء المجددين وكان السلطان يتدخل كثيرا لحسم الخلاف او لتوجيه المناقشة نحو الوجهة الصالحة .

ومولانا الحسن الثاني حفظه الله حريص كل الحرص على طبع دروسه المولوية بطابع المناقشة واضفاء روح البحث ومبادلة الآراء حولها ... وهذه الدروس ان دلت على شيء فانما تدل على الاهتمام البالغ ، والعناية الخاصة التي يوليها صاحب الجلالة اعزه الله لشؤون الدين ، وحرصه الاكيد على ان تستمر رسالة الاسلام وثقافته بهذه البلاد كأكبر ضامن لحفظ كيانها ، وتحقيق فلاحها .

وتجدر الاشارة الى ان الاذاعة تباشر الان تسجيل هذه الدروس الدينية لتقدمها للمستمعين طيلة شهر رمضان المعظم .

(الجمالية) ، لتعم سائر مجالات النشاط البشري . والسريالية بدورها لم تقتصر على التاثير فى طريقة التفكير ، بل تعدته الى التاثير المباشر ، فى طريقة الحياة اليومية . ونقدم هنا عرضا موجزا ، لمقال (1) « جان روسلو Jean Rousselot » حول ملف السريالية فى نصف قرن .

واذا كانت الرومانسية يمكن ان تظهر كمثالية متطرفة لا اكثر فان السريالية ما كانت لتكون اكثر من مثالية جديدة ايضا لو انها لم تعمل بطريقة عملية على حل الثنائية اللازمة ، التي تتضمنها كل مثالية . وهذا الراي الذي يقدمه روسلو يجد مصداقه ، فى اعتبار السريالية أن الانسان انما هو حقيقة واحدة وحيدة . وان ما يعرض فى كل الايديولوجيات ، من رد الانسان الى عالمين احدهما ظاهري ، والآخر باطني ، انما هو تقسيم لما يجب الا ينقسم ، لما هو وحدة فى اصله . فالانسان هو التحام حقيقته الباطنية والخارجية . هذه هي الوحدة التي ردتها السريالية الى الانسان وخرجت بذلك عن ثنائية محرجة .

واذا كان عمر السريالية الى الآن ، نصف قرن ، فان هذا الاسم ذاته بالرغم من انه مقارن للحركة ، لا يعرف على وجه التحقيق واضعه الاول . وان كانت دائرة الاختلاف لاتتعدى ثلة من رواد السريالية أو ممن عرفوا بشدة الاتصال بها . ويعرض « موريس نادو » فى تاريخه عن السريالية رسالة صادرة فى شهر مارس 1917 ويبدو من صيغتها انها جواب عن خاطرة او ايحاء من المرسل اليه (بول ديرمي) جاء فيها :

« ... اعتقد أن المستحسن هو اتخاذ لفظ السريالية بدلا من Surnaturalisme (الفوق ـ طبيعية) ، الذي سبق ان استعملته . والسريالية لا توجد الى الآن فى القواميس ، بينما سبق استعمال (الفوق ـ طبيعية) عند الفلاسفة . » على أن هذا اللفظ قد ينسب الى آخرين (البير بيرو مثلا) . وقد بدات الارهاصات الممهدة لظهور الحركة السريالية فى جل بلاد اوربا : فى فرنسا وايطاليا وروسيا ... واعمال الفترة ما بين 1910 ـ 1916 ، سواء فى الشعر او فى النثر امتازت جلها بطابع من القلق ، والعمل على الانفلات من قبضة الواقع والانغمار فى التجريد . بيد ان الخطوة المباشرة ، كانت فى قيام حركة « الدادية Dadaïsme التي اسسها فى زوريخ عام 1916 الشاعر الروماني « ترتسيان تزارا » والذي جعل وضع بعض اهدافها بقوله : « لقد ادركنا اننا لا نستطيع ايقاف الحرب ، الا باستئصال جذورها ... » وجذور الحرب فى الحقيقة هي جذور الحضارة والمدنية ، ومن هنا امتلأت نفوس الداديين بالمقت لكل حضارة أو على الاصح الحضارة او المدنية الحديثة ، ومن الاسس الحضارية التي كان ينبغي القضاء عليها كما يذكر تزارا : المنطق واللغة ... وكان هذا الانقلاب ، الذي دعي اليه فى الشعر اولا ، يعني تغيرا أساسيا فى النظرة الجمالية كلها ، أي تغييرا للعالم من أساسه . وفي فرنسا اذ ذاك كانت النظرة التي ما تزال سائدة رغم كل شيء ، هي نظرة « ابولنير » ، الذي كان ما يزال « الراس المفكر » . ووجدت الدادية معارضة من بعض الهيئات والمجلات ، ومع ذلك أمكنها أن تتسرب ، فانضم اليها بعد ذلك اندري بروطن و ايلوار . ونشر كل منهما تباعا اعمال الفترة الجديدة التي تشكل انقلابا فى حياتهما الادبية ، وتقلب رؤياهما المعهودة راسا على عقب . وبينما ساهم بروطن باعمال نثرية ، فان ايلوار نشر باقات شعرية ، وكل ذلك يتميز بروح الثورة الادبية الجديدة ، وان كانت معالمها لم تحدد بعد . وانضم الى الجماعة فيليب سوبو وهو متاثر الى حد بعيد باتجاه ابولنير ، وكان هذا الاخير ، هو الذي قام بتقديمه الى الداديين اذ ذاك : اراجون وايلوار .

وانضم آخرون الى هذه المجموعة من كبار السرياليين ، واسسوا فى سنة 1919 مجلة Littérature واصبحت المجلة ، ميدان الانتاج السريالي من شعر ونثر . وكان من اهم ما نشر بها في النثر Les champs magnétiques التي حررها بروطن مع بعض من رفاقه ، وكانت ضربا جديدا من الكتابة النثرية ، يعتمد على الكتابة التلقائية، التي لا يراقبها عقل أو منطق . ولم يلبث تزارا ان قدم الى باريس ، حاملا معه ضجته المعهودة ، فساهم مع الآخرين فى الطريق الذي سلكته السريالية الى الآن ، والذي اتضحت مبادئه وأهدافه فى « البيانات السريالية » . وعمت هذه الحركة كما هو معروف ميادين النحت والتصوير ، بل كما جاء فى مقدمة هذا الحديث ، عمت سائر مرافق الحياة ، ولم يكن يشبهها فى ذلك الا حركة الرومانسية عند ظهورها .

الرباط ـ مبارك ربيع

---

1) Les nouvelles littéraires 22 يونيو 1967 .

وان هذه الفطرة التي فطر الله عليها ابناء هـذا الشعب ، قد بلور معالمها ، واذكاها فى نفوسهم ملوكنا العلويون قدس الله ارواحهم فى عرصات النعيم ، فكانوا يولون عناية خاصة لهذا الجانب الديني العظيم .

ويرعون حملة القرآن بجميل رعايتهم ، وفائق عنايتهم ، ويحضون رعيتهم على تعلم القرآن وتعليمه والعمل بارشاده وتعاليمه ، مما تزخر به كتب التاريخ ، ويسجله لهم بمداد الفخار والاعتزاز .

وها هو وارث سرهم ، وواسطة عقدهم ، امير المومنين مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده يسير على نهج اسلافه المنعمين ، ويضيف الى امجادهم امجادا ستعطر ذكره الشريف على مر الاعوام والسنين وتبقى نوره ساطعا الى يوم الدين ، بما يؤثل من امجاد لهـذه البلاد ، لصالح دينها ودنياها ، وعاجلها وآجلها ، وما هذه المدرسة التي تحمل اسم ولي عهده المحبوب سيدي محمد الا حسنة من حسناته الغر ، ويد من اياديه البيض التي يثبت بها اركان الدين بهذه الديار ، ويعلي لكتابه الكريم المنار ، وكأن قدرة الله عز وجل قد اختارته نصره الله ليتولى على القرآن الذي ضمن الله حفظه عندما قال عز من قائل : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ايها الاخوة المومنون ، فى ساعة الخير هذه ، وفي هذا الجمع الحافل الذي لا نشك ان الرحمة قد غشيته ، وملائكة الرحمان قد حفت به وذكره الله فيمن عنده ، نرفع اكف الضراعة والابتهال الى المولى الكبير المتعال بان يحفظ امير المومنين مولانا الحسن الثاني بما حفظ به كتابه المبين ، وان يبقيه سندا للاسلام والمسلمين ويجعله فى كنف السبع المثاني والقرآن العظيم ، ويمطر شآبيب رحمته وغفرانه على الملك الصالح مولانا محمد الخامس رضي الله عنه ، وان يحرس بعين رعايته ولطيف عنايته صاحب السمو الملكي ولي العهد المحبوب وسائر الاسرة الملكية الكريمة ويمن على المسلمين بنصر من عنده يعيد اليهم عزهم وصولتهم ان ربي سميع الدعاء .

وقبل الختام اتوجه اليكم معشر الاساتذة والطلبة احضكم على الجد والاجتهاد والمواظبة الكاملة حتى تكونوا عند حسن ظن امير المومنين بكم ، وتؤدوا الامانة الملقاة على عاتقكم خير اداء ، والرسالة الخالدة التي يجب ان يورثها الآباء للابناء حتى تبقى كلمة الله عالية خفاقة بهذا الوطن العزيز .

وفقكم الله واعانكم وسدد خطاكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

« وفد من العلماء بوزارة الاوقاف »

زار وفد من السادة العلماء يتقدمهم فضيلة العميد السيد جواد الصقلي رئيس المجلس العلمي لجامعة القرويين العامرة وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وقد استقبلهم معالي الوزير السيد الحاج احمد بركاش بمكتبه حيث دارت المذاكرة خلال هذه الزيارة فى شؤون دينية غايتها تنشيط حركة التوجيه الاسلامي ، والبعث الروحي للقيم الاخلاقية .

وقد ختمت هذه الزيارة بالدعاء وطول البقاء والنصر والتأييد لمولانا الامام أمير المومنين الحسن الثاني نصره الله الحارس الامين على مقدسات هذه الامة .

تدشين مدرسة قرآنية علمية بارفود

توجه سعادة الكاتب العام للشؤون الاسلامية بوزارة عموم الاوقاف الاستاذ الحاج عبد الرحمن الدكالي نيابة عن معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الى اقليم تافيلالت لتدشين مدرسة قرآنية علمية بارفود .

وقد وجد فى استقباله عامل الاقليم ورئيس الدائرة وفضيلة القاضي وناظر الاحباس . ثم توجه سيادته الى المدرسة حيث وجد بباب المدرسة جمهورا غفيرا من المواطنين الذي اظهر فرحا وابتهاجا بتدشين هذه المدرسة العلمية القرآنية التي حملت اسم والدة سيدنا المنصور بالله .

وتقدم الشريف مولاي مصطفى العلوي مدير دار الحديث الحسنية الذي رافق سعادة الكاتب العام فى هذه الرحلة الى اقليم تافيلالت فالقى كلمة قصيرة قدم فيها الى الحاضرين الاستاذ السيد عبد الرحمان الدكالي منوها بوطنيته ونشاطه العلمي ، وعمله فى ميدان الشؤون الاسلامية ، ثم تقدم الاستاذ عبد الرحمان الدكالي فالقى خطابا قيما استغرق حوالي نصف ساعة اشاد فيه بالروح الوطنية والعلمية التي يمتاز بهما سكان الاقليم ، كما ذكرهم بفضيلة العلم وتعاطيه وعناية صاحب الجلالة الملك المعظم نصره الله بنشره وفتح ابواب المدارس على اختلاف انواعها ومستوياتها فى وجه عموم المواطنين لا فرق بين غني وفقير ، وساكن المدينة وساكن البادية ، ثم توجه

حضور معالي وزير الاوقاف فى الموسم الديني لـدار زهيـرو بطنجـة

تراس معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلاميـة الاستاذ الحاج احمد بركاش يـوم 15 ـ 9 ـ 67 حفلة دينية كبرى بمناسبة موسم دار زهيرو الذي يقام كل سنة فى فحص طنجة .

وقد حضر هذا الحفل الديني الكبير الى جانب السيد الوزير عامل الاقليم مولاي الطاهر العلـوي ، ورؤساء المجالس القروية والعلماء والاشراف والطلبة، وجمهور غفير من المواطنين الذين احيوا هذا الموسم الديني بتلاوة الذكر الحكيم ، والترحم على روح فقيد العروبة والاسلام محمد الخامس طيب الله بالرحمـة ثراه ، والدعاء لصاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني بالنصر والتأييد .

وقد كانت دار زهيرو بهذه المناسبة عبارة عـن مجتمع ديني حافل عظيم اقيم لاحياء هذا الموسـم القـرآنـي .

ومعلوم انه توجـد بدار زهيرو مدرسـة ولـي العهد سيدي محمد التي تخرج منها مجموعة من الطلبة يرتلون الذكر الحكيم بالقراآت السبع .

وقـد القى بهذه المناسبة السيد الوزير الحاج احمد بركاش كلمة تحدث فيها الى الطلبة وبلغهم عطف صاحب الجلالة الملك المعظم ، كما سلم اليهم منحة مولوية كريمـة .

وقد جاء فى خطاب الوزير :

الحمـد للـه وحـده

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله واصحابه
حضرات السادة المحترمين

ان خير ما يفتتح به هذا الحفل الكريم فى هـذه الدار التي اسست على تقوى من الله ورضوانه هـو قبس من ذلكم النور الذي اختارها الله لتكون مشرقا له ومركز اشعاع لتعاليمه ، ذلك القبس هو قوله تعالى: « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

وبعد فان ازكى ساعة من عمر المومن ، واسعـد لحظة فى حياته لهي اللحظة التي يعيش فيها مع كتـاب الله عز وجل يتلوه بلسانه ، ويتدبره بعقله ، ويفتح له صدره ، وتسمو به روحه ، ذلكم ان هـذا القـرآن الذى اعجز الثقلين ان ياتوا بمثله ولو كـان بعضهـم لبعض ظهيرا ، جعلـه الله نبراسا يضيء لنا الحياة ؛ وكوكبا ذريا يبين لنا سواء السبيل ، ونورا يوضح لنا البر والخير والرشاد ، ويدلنا على طريـق الفـوز والسعادة فى معاشنا ومعادنا ، وصدق الله العظيـم اذ يقول : «ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيـرا وان الذين لا يومنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما » .

وان من حمل هذا النور الى الناس كافة ، وارسله الله به رحمة للعالمين هو الذي عرف هذا القـرآن اصدق تعريف عندما قال صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم : (فيه نبـأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكـم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله ، هو حبل الله المتين . ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهـو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الالسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يصله الانقياء ، ولا يخلـق على كثـرة الـرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ، من علـم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم بـه عدل ، ومن عجل به اجر ، ومن دعا اليه هـدي الى صراط مستقيـم) .

هذا ايها الاخوة المومنون هو كتاب الله عز وجل، الذي نحتفي فى هذا اليوم المبارك بحامليه من معلميـن وطلبة ، فنحمد فيكم ايها الابرار هذا الخير الجزيـل، والفضل العظيم الذي خصكم الله بـه عندما يسركم لحفظ القرآن افضل كتاب على الاطلاق ، فكنتم بذلك صفوة الناس ، تنطبـق عليكم وعلى امثالكـم بشارة رسول الله ص القائل : خيركم من تعلم القرآن وعلمه، والقائـل فى الحديث الشريف الذي اخرجه الامـام عن انس بن مالك رضي الله عنـه : ان لله اهلين من الناس قيل من هم يا رسول الله ؟ قال اهل القـرآن هم أهل الله وخاصته .

وان من جميل عناية الله سبحانه بهذا الوطن ان شرح الله صدور ابنائه لحفظ كتابه المقـدس منـذ اشرقت شمس هداية الاسلام على ربوعه الطيبـة فعرفوا على مر العصور والاحقاب بتفانيهم فى القرآن الكريم ، يحفظونه حفظا متقنا ، ويتدارسون قراءاته ويعتنون بتجويده ، ويلقنونه لابنائهم منـذ نعومـة اظفارهم ، وريعان شبابهم .

وقــد خصصت الوزارة مكافأة نقديــة لكــل واعــظ مقتــرح .

وفيما يلي جدول توزيع الوعـــاظ في اقاليــم المملكـــة :

اسم العمالة أو الاقليم	عـدد الوعاظ المقترحيـــن فى كل عمالــة
عمالــة مدينتي الرباط وسلا	28
عمالــة اقليــم القنيطــرة	38
عمالــة مدينة الدار البيضاء	48
عمالــة اقليم الدار البيضاء	58
عمالــة آسفـــي	28
عمالــة اكــاديــر	58
عمالــة طــرفــايــة	18
عمالــة مــراكــش	58
عمالــة اقليــم ورزازات	18
عمالــة قصــر السوق	48
عمالــة بنــي مـــلال	28
عمالــة مكنـــاس	38
عمالــة فـــاس	48
عمالــة تـــازا	28
عمالــة اقليــم وجــدة	38
عمالــة الناضور ومليليــة	38
عمالــة اقليــم الحسيمة	38
عمالــة مدينــة طنجــة	18
عمالــة تطـــوان	62

مقاومــة حملات التضليل والتبشيــر

تشن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى هذه ...ام حملة واسعة النطاق بوسائلها الخاصة ضد بعض ...فوضويين الذين يبثون الشكوك ضد معتقدات الناس ...عمين بأنهم ينتسبون للمسيحية ، وهي منهم براء ..

والواقع ان اغلب هؤلاء خارج ومتمرد عن كــل ...ائس المعروفة فى العالم ، وان معتقداتهم تخالــف ...جاء فى الثوراة والانجيل من تعاليم ، وان مبادئهــم الاعتراف بالاوضاع القائمة فى العالم .

فهؤلاء المفرضون الفوضويون يضمرون العــداء الحكومات ، ويوصون مريديهم بعدم الانخراط في الجيوش ، اذ ان عقيدتهم ترتكز على انتظار ثورة عارمة يهلك فيها ثلثــا سكان المعمور ، ولا ينجو فيها الا من اتبع معتقداتهم الى غير ذلك من الترهات والاباطيــل التي من شأنها ان تزعزع الناس عن عقائدهم .

وان بلادا يحرسها صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني ايده الله ونصره ، لا يمكن ابدا ان تصبح مسرحا لبث هذه الدعايات المفرضة للنيل من ديننــا الحنيف خصوصا وان البلاد الاسلامية الاخرى قــد قضت نهائيا على هذه الهيــآت التبشيرية ، وطهرت منها البلاد ، وازالت اخطارها عن المسلمين ...

القســـم الفــلاحـــي

نتائج الجولة التفقدية التي اجريت من طرف رئيــس قسمي الفلاحـــة والمنازعات بوزارة عموم الاوقـــاف والشؤون الاسلاميـــة من 27 الى 29 سبتمبر 1967 بناحيتي الصويرة ومراكش ومن 23 اكتوبر الى 24 منه فـــي ناحيـــة الجـديـــدة

1) الصـــويـــرة

اولا :

وقـــع اجتماع بممثلي الزاويـــة الكراتية حيث درست خلاله عدة قضايا تتعلق بالخصوص :

1 ــ بكيفية انجاز عملية تحفيظ الاراضي الشاسعة المحبسة على حفدة الولي الصالح سيدي علي الكراتي فخطط برنامج لهذه الغاية بمحضر ممثلي الزاويـــة الكراتية ، والناظر والنائب المحلي

2 ــ بدراسة قضية الديون الفلاحية المتخلدة في ذمة بعض المكترين ، فتعهد ممثلو الزاوية الكراتية بمد يد المساعدة للاحباس فيما يخص استخلاص هـــذه الديـــون .

3 ــ بقضية تشجير بقية اراضي الزاوية الكراتية التي لم يشملها لحد الآن هذا المشروع ، فألح المجتمعون على ضرورة استئناف هذه العمليـــة .

ثـــانيـــا :

وقع الطواف صحبة مدير ادارة المياه والغابــات على الاراضي الحبسية التي سيشملها التشجير ابتداء من سنة 1968 ، وذلك فى نطاق التصميم الخماســي، والشيء الذي يبعث على الارتياح هو ان المدير المذكور ابدى رغبته واستعداده الكامل لتشجير مائتي هكتار

بالدعاء الى الله فى ان يحفظ مولانا الامام ويقــر عينه بولي عهده ، ويصون امته من كل مكروه

وكانت كلمات سعادته تقاطع بالتصفيقات الحارة والدعــاء لمولانا الامـــام .

وقـــد عقد مع رجال السلطة وفضيلة القاضي والناظر اجتماعا تناول فيه اهم الاعمال التي تضمــن سيــر المدرسة ونجاحها ، وقد وجــد من المسئولين بهذا الاقليم كل تفهم واستعداد وعناية .

ثم طاف سعادته بمرافق المدرسة التي تضم عدة اقسام ومطبخا وقاعة للاكل ، وقاعتين للنوم صحبــة مدير المدرسة والسلطة المحليــة .

تدشين مسجــد جديد بناحية بولمــان

كما توجه السيد مولاي مصطفى العلوي مديــر دار الحديث الحسنية بالرباط نيابة عن معالي الوزير الى آيت حمزة بدائرة بولمان لتدشين المسجد الجديد الذي بناه جماعة من المحسنين من سكان هذا الاقليم.

وقد رافق مدير دار الحديث فى حفلة التدشيــن السيد مصطفى قميحة الكاتب العام للعمالة ورئيــس الدائرة وناظر احباس صفرو وبعض الشخصيات ...

والقى فى جموع المومنين خطابا ضمنــه آيــات واحاديث عن اثر المسجد وفعاليته فى تربية النفوس ، كما اوضح لهم الدور الذي قام به فى العصور الاسلامية ثم بلغهم عنايــة حكومة صاحــب الجلالــة ورعايتهــا لشؤون الدين .

وقــــد اختتم هذا الحفل الديني بالدعــاء لمولانا امير المومنين جلالة الحسن الثاني حفظه الله ونصره.

تدشيـــن مسجــد بقريـــة الكــارة
فى اقليــم مدينـــة الدار البيضاء

انتدب معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الفقيــه السيــد محمد الطنجي رئيس قســم الوعــظ والارشاد لينوب عنه فى تدشين المسجد الذي شيــده المرحوم القائد محمد المذكوري وابنــاؤه بقرية الكــارة بقبيلة المذاكرة باقليم الدار البيضاء .

وقام بالقاء خطبة الجمعة السيد محمد الطنجي بحضور رجال القضاء والسلطة المحلية والسيد ناظــر الاوقاف لمدينة الدار البيضاء وجمهور غفيــر مـــن المواطنيـــن .

وقـــد ابلغ السيد الطنجي ابناء المرحوم السيد محمد المذكــوري تقديــر وزارة الاوقــاف والشؤون الاسلامية لعملهم الجليل ، وشكرهم على اريحيتهـــم وغيرتهــم الدينيـــة .

وختم الحفل الديني بالدعاء لصاحب الجلالـــة مولانا امير المومنين بالنصر والتأييد وطول العمر .

بمناسبـــة الاســـراء والمعـــراج

وزعت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على خطباء المساجد فى جميع اقاليم المملكة المغربية خطبا فى موضوع الاسراء والمعراج بمناسبة يــوم السابـــع والعشرين من رجب الفرد الذي حلت فيه هذه الذكرى العظيمة التي سجلها سبحانه وتعالى فى محكم كتابـــه فقـــال :

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجـــد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريــه من آياتنا ، انه هو السميع البصير »

ولقد تضمنت الخطبة التــي القيت بالمساجـــد الجامعة فى جميع انحاء المملكة ابراز معاني هذه الذكرى العظيمة ، ولا سيما فى الظروف التي تجتازها البـــلاد الاسلامية ، التي يجب على المسلمين ان يستوحوا منها قوة العزيمة ، وتطهير النفس لخوض الغمرات فـــي سبيل الحق ، ونيل الفضائل ، وتوحيد الكلمة ، والتئام الشمـــل .

تنظيــم حملـــة الوعظ والارشـــاد الدينـــي
لشهـــر رمضــــان المعظـــم

قررت الوزارة تنظيم حملة وعظ وارشاد فـــي مختلف مساجد العمالات واقاليم المملكة خلال شهر رمضان المعظم تنفيذا للرغبة المولوية السامية ..

وقد استعانت الوزارة على تنظيم هذه الحملة بالسادة العلماء والسلطات المحلية والقضاة الشرعيين ونظـــار الاوقـــاف

كما وجهت الوزارة منشورا الى جميــع السادة النظار قصد الاتصال فى الموضوع ، بالسيـــد عامل الاقليم او المدينة لدراسة الترتيبات اللازمة لتعيين لجنة محلية تضم ممثلين عن رجال السلطة ، والقاضي الشرعي ، وعالمين يسند اليهما اختيار الوعـــاظ لاداء مهمة الوعظ والارشاد طيلة شهر رمضان المقبل في مختلف مساجـــد المملكـــة .

اما بناء دار فسوف لايتجاوز مبلغ 6000 درهم وان كراءها يقدر بـ 100 دراهم .

رابعا : تنفق المصاريف المخصصة لهذا المشروع من المداخيل الواردة من تطبيق مشروع التجزئة .

خامسا : ان تعاونية لالة ميمونة مستعدة للمساهمة مع الاحباس فى انجاز المشاريع الانفة الذكر.

مشروع التجزئة والبناء
بقرية لالة ميمونة

بعد طواف اللجنة المشار اليها آنفا على جميع اركان العرصة الحبسية الموجودة فى وسط قرية لالة ميمونة ووقوفها على المسجد والدكاكين المجاورة له وبعد تجولها على سائر مرافق القرية المذكورة وبعد المذاكرة مع رئيس التعاونيات السيد المعيزة قرر ماياتي:

اولا : تقع تجزئة العرصة بكاملها ثم يشرع فى بيع او كراء القطع الناتجةعن هذه العمليةبواسطة السمسرة العلنية .

ثانيا : تبنى حوانيت ودور للسكنى من مدخول هذه التجزئة وعلى سبيل المثال فان بناء متجر لا يتطلب اكثر من 1 500 درهم وان مبلغ كرائه يقدر بـ 20 درهما فى الشهر .

اما ثمن بناء دار فيقدر بـ 5 000 درهم بينما يقدر كراؤها بـ 80 درهما فى الشهر .

ثالثا : يشيد مسجد فسيح داخل القطعة المذكورة حيث ان المسجد الحالي العتيق اصبح غير كاف لايواء سائر المصلين .

رابعا : يقع هدم الحوانيت المحاطة بالمسجد نظرا لبشاعة منظرها حيث تظهر عبارة عن اكواخ خصوصا وان موقعها يوجد فى مدخل القرية النموذجية .

خامسا : ان هيئة التعاونيات مستعدة للمساهمة مع الاحباس فى انجاز المشاريع المشار اليها اعلاه .

فى كل سنة من السنوات الخمس المقبلة بعد الحصول كتابة على موافقة الوزارة وابرام عقود في هذا المضمار.

واثناء هذا الطواف وقع الاختيار على الاراضي المجاورة للطريق الرئيسية المارة من الصويرة الى الدار البيضاء حيث سيقع الشروع فى غرسها ابتداء من السنة المقبلة وهي الفترة الاولى من التصميم الخماسي ثم يلي هذا المشروع تشجير الاراضي المنحدرة والتي لا ترد نفعا لا على الاحباس ولا على الفلاحين القاطنين بهـا .

2) مـراكـش

اولا :

لقد اسفر الاجتماع الذي انعقد فى 29 ـ 9 ـ 67 مع مدير ادارة المياه والغابات بمراكش على النتائـج الآتيـة :

1 ـ يقـع تشجير عدة اراضي حبسية فى نطاق التصميم الخماسي وسيشمل هذا المشروع فى البداية تشجير مساحة 90 هكتـارا من الارض الحبسيـة الشاسعة المسماة السفياني والتي تبلغ مساحتها 250 هكتـارا .

2 ـ بعد الطواف الذي سيقوم به سيادة المديـر المذكور صحبة الناظر عبر الاراضي الحبسية الاخـرى التابعة لضواحي مراكش سيقع تعيين القطـع التـي ستغرس فى السنوات المقبلة .

3 ـ وفيما يخص انواع الاشجار التي سيقع عليها الاختيار فان هذا الامر مرتبط بنوع التربة وامكانيات السقي وجودة الدخل عند بيع الغلـة .

ثـانيـا :

وقع الشروع منذ شهر سبتمبر 67 فى بناء بئـر جديدة وصهريج وسواقي عديدة فى جنان امصنجـي التابع لنظارة صغرى مراكش ، هذا الجنـان الـذي يحتوي على 150 هكتارا والذي تم تشجيره باشجـار الزيتون والمشمش والكلبتوس على غرار ما يشاهد في جنان اكدال الشهيرة .

ثـالثـا :

كلف الخبير الفلاحـي التابـع لنظارتي كبـرى وصغرى مراكش بتهييء 12 000 نقلة من الزيتـون المخصصة لنظارة العرائش حيث ستغرسهـا هـذه الاخيرة فى مستهل سنة 1968 .

رابعـا :

نظرا لتوفير جنان السفياني على كمية هامة مـن المـاء ، فان نظارة كبرى مراكـش ستتابـع غـرس اشجار الزيتون والمشمش فى السنة المقبلة حيث من المقرر ان تغرس على الاقل فى كل سنـة الفين مـن الاشجـار .

3) الجـديـدة :

وقع الطواف على ارض شاسعة مشتملـة على 360 هكتار تنوي الوزارة شراءها لاجـل تشجيرها ابتداء من هذه السنة باشجار الكلبتوس .

كما وقع الطواف على ارض الرافعي المشتملـة على 500 هكتار المغروسة منها مساحـة 150 هكتارا والتي تنوي الوزارة الشروع فى غرس ما بقي منهـا بدون تشجير ابتداء من هذه السنة وذلك بوسائـل النظارة الخاصة من جهـة ، وبمعونـة ادارة المياه والغابات من جهة اخـرى .

فـي ميـدان التنميـة

مشـروع التجزئـة بمولاي بو سلهام

بعـد الوقوف على عين المكـان يوم الاثنين 11 شتنبر 1967 صحبة المهندس المعماري السيد احمد قبول وبحظور ناظر احباس وزان وشيخ القبيلة تقـرر القيام بالاعمال الآتيـة :

اولا : وضع علامات حجرية على القطع التي وقـع تخطيطها منذ سنة . واكريت بواسطة السمسرة العلنية بينما بقي الاداء معلقا فى انتظار تطبيق هذه العمليـة والجدير بالملاحظة ان المبلغ الذي ارست به السمسرة يقـدر بـ 6 000 درهم .

ثانيـا : الشروع فى تجزئة بقيـة الاراضي حسب قطع تتراوح مساحاتها ما بين 200 مترا و 500 متر مربع سيتخصص لبناء دور للاصطياف ، قصد اكرائها عن طريق السمسرة العلنية قبل حلول موسم الصيف المقبـل .

ثالثـا : انشاء سوق عصري ودور للسكنى فوق بالتعاون مع ممثلي التعاونيات التابعة لقرية للا ميمونة خصوصا وان البناء سوف لا يتطلب صوائر باهظـة فعلى سبيل المثال سيكلف بناء متجـر (4 م + 5 م مبلغ2000 درهما يقدر ثمن كرائه بـ 30 درهما فى الشه

* « القراءة العربية لاقسام الشهادة الابتدائية » ذلكم هو الكتاب المدرسي الذي قررته وزارة التربية الوطنية استعماله فى مدارسها، وهو من تأليف الاساتذة: محمد محي الدين المشرفي ومحمد بن زيان ، وبمشاركة محمد بن عمرو الطمار ، والجيلاني فاصلا .

وقد عمل المؤلفون ما وسعهم العمل بفضل الطبعة الجديدة للكتاب على صيانة شاملة من حيث لغته وشكله ومضمونه من كل العثرات والاخطاء .

والكتاب يحمل طابعا مغربيا صرفا وله صلة وثيقة بالبيئة المغربية ، ويساير واقع الحياة الحضارية التي يحبها الاطفال المغاربة باعتبارهم ينتمون الى بلد متحضـــر .

* الكاتبة الالمانية المعروفة الدكتورة ليكريست هونكة ، قامت بزيارة للمغرب ، واتصلت بمفكريه وكتابه ، والقت عدة محاضرات . ويعد كتابها « شمس الله تسطع من الغرب » اهم كتبها ، الذي اضفى عليها شهرة كبيرة فى الاوساط العربية وغير العربية . وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية .

* اقام الشاعر المغربي كمال الزبدي معرضا لرسومه بقاعة العرض بفندق حسان .

* قدمت الى المغرب بعثة من الخبراء السوفييت فى علم الجيولوجيا ، برئاسة الدكتور دياكوف ، وقامت بسلسلة من الدراسات المتعلقة بالتنقيب عن البترول فى المغرب . كما ستقدم الى بلادنا بعثة اخرى من خبراء طبقات الارض التشكيين ، حيث سيقومون بدراسة جيولوجية بمنطقة ورزازات .

* اصدرت المطابع الفرنسية اخيرا ترجمة لكتاب انجليزي بقلم المستر مارتن لينغ من كبار موظفي المتحف البريطاني ، وموضوع الكتاب هو الشيخ احمد العلوي فى الجزائر . وقد اطلق المؤلف الانجليزي على كتابه اسم : « مسلم من اولياء الله » .

* نظم مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية لجامعة تونس ، منذ خامس اكتوبر مناظرة فى جغرافية المغرب العربي ، حيث شارك فيه علماء جغرافيون من المغرب ، والجزائر ، وتونس ، وكذا علماء الجغرافيا الاجانب المختصين فى هذا الموضوع . وقد مثل المغرب فى هذا المؤتمر الاستاذ اسماعيل العلوي .

* فجعت الاوساط الثقافية والادبية فى تونس بوفاة الاستاذ احمد خير الدين ، الشاعر الذي واكب النهضة الفكرية والادبية .

* صدرت عن « نادي القصة لابى القاسم الشابي» بتونس ، الحلقة الرابعة من دوريتها القصصية .

* ستصدر مجموعة كبيرة من قصص الاطفال ، عن الدار التونسية للنشر .

* فاز القاص التونسي محمد الصالح الجابري بجائزة علي البلهوان لبلدية العاصمة على قصته « يوم من ايام زمرا » .

* نعت مدينة صفاقس بتونس ، المرحوم عبد العزيز عشيش ، مدير اذاعة صفاقس ، ورئيس نخبتها الثقافية . وقد ابنه وزير الثقافة ، وتحدث عن حياته وجهاده الفكري .

* تقرر احداث نخبة قومية للفنون الشعبية فى تونس ، تضم مختلف القطاعات التي يهمها الامر .

* قام الدكتور سيد حفنى احمد بتحقيق ديوان الشاعر المخضرم حسان بن ثابت . وقدمه للنشر في مشروع المكتبة العربية بالقاهرة .

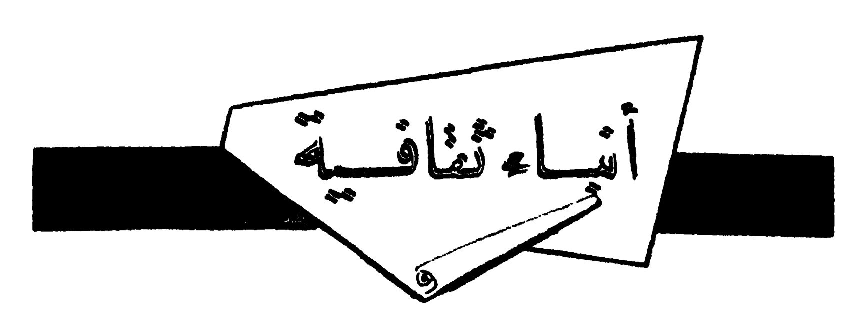
* يصدر قريبا عن « دار المعارف » ، بالقاهرة كتاب عن الشيخ حسن العطار ، اول رائد للاصلاح في مصر ، فى العهد الحديث .

* « آه ، يا ليل ، ياقمر » اسم المسرحية التي افتتح بها مسرح الحكيم بالقاهرة موسمه المسرحي .

* قررت كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار تنظيم مسابقة فى التمثيل بين الفرق والجمعيات المسرحية الهاوية فى كافة انحاء الجمهورية التونسية .

* « ابن غلبون ــ مؤرخ ليبيا » عنوان كتاب صدر حديثا فى ليبيا ، وهو يتناول بالدراسة مؤرخا عاش في النصف الاول من القرن الثاني عشر .

* عن المعهد الجامعي الشرقي بنابلي ، صدرت الكتب الاتية :



* مثل الاستاذ الكبير عبد الله كنون المغرب ، في مؤتمر المستشرقين الاسبان الذي عقد بعاصمة الامويين الاندلسية ، لازاحة الستار عن النصب التذكاري ، للفيلسوف ابن رشد . وقد ألقى الاستاذ كنون دراسة قيمة عن الجانب الفقهي من تراث ابن رشد الفكري ، هذا الجانب الذي أهمل ، ولم يتناول بالدرس، حيث ان جميع الدراسات حول هذا الفيلسوف انصبت على تراثه الفلسفي . وقد افتتح المؤتمر بحضور عدد كبير من المفكرين والباحثين العرب ، الى جانب عدد من المستشرقين الغربيين . وقد كان لمحاضرة الاستاذ كنون وقع كبير في نفوس المؤتمرين ، وفي الصحافة الاسبانية ، واذاعاتها . حيث اعتبرت محاضراته كشفا جديدا قيما لجانب مهم من تفكير ابن رشد .

* يستعد الاستاذ الكبير السيد علال الفاسي لطبع كتاب ، يضم تدخلاته في مداولات البرلمان .

* بمناسبة الذكرى العاشرة لتأسيس جامعة محمد الخامس ، نظم مهرجان كبير ، شاركت فيه وفود جامعية من الخارج ، وقد كان تأسيس هذه الجامعة بتاريخ 11 نوفمبر سنة 1957 . وبهذه المناسبة احتفل كذلك بتأسيس منظمة الجامعات الافريقية التي يراسها رئيس جامعة محمد الخامس ، الاستاذ محمد الفاسي . وذلك بالرباط .

* بدعوة من اتحاد الكتاب السوفيت ، قام لاستاذ عبد الكريم غلاب ، بزيارة الى روسيا .

* صدرت حلقة جديدة من كتاب « العلم » بعنوان : « معركتنا العربية في مواجهة الاستعمار والصهيونية » ، وهو يعرض بتفصيل معركة 5 يونيه لانتزاع الارض السليبة ، واصداء هذه المعركة في الشرق والغرب .

* زار المغرب عدد من الصحفيين الالمان يمثلون مختلف الصحف الالمانية الغربية .

* تحدثت الصحافة الادبية في فرنسا عن رواية جديدة للكاتب المغربي محمد خير الدين ، وهو من مواليد مدينة تافراوت باقليم سوس ، وعمره 26 سنة . وقد ذهب الى فرنسا منذ سنتين ، وهناك أصدر روايته بعنوان « أكادير » التي قامت بطبعها دار النشر « لوسوي » .

* سيؤسس في مدينة تطوان نادي ثقافي الذي أمر بتأسيسه جلالة الملك ، بمناسبة زيارته الى تطوان، وباقي مدن الشمال .

* بمناسبة افتتاح السنة الدراسية الحالية اقام معالي وزير التربية الوطنية ، والفنون الجميلة ، ندوة صحفية ، عرض فيها سير التعليم في السنة الماضية ، عرضا طويلا ، كما قدم الخطوط العريضة لسياسة التعليم في هذه السنة . وقد كان لندوته صدى محمود في الاوساط التعليمية .

* زار المغرب السيد بول مارك هنري ، مدير عمليات برنامج الامم المتحدة للتنمية الاقتصادية .

* أصدر الكاتب الانجليزي روم لاندو ، كتابا جديدا عن المغرب ، ومن المعلوم ان هذا الكاتب ، ألف عديدا من الكتب عن بلادنا .

* صدر عن وزارة الانباء كتاب « الترجمانة الكبرى ، في أخبار المعمور بحرا وبرا » لمؤرخ الدولة العلوية وكاتب السلطان سيدي محمد بن عبد الله وسفيره ابي القاسم الزياني .

وقد قام بتحقيق الكتاب والتعليق عليه الاستاذ السيد عبد الكريم الفيلالي .

* احتفل فى لبنان بذكرى وفاة الناقد اللبناني المفكر مارون عبود ، كما احتفل بالذكرى السادسة لمبايعة الاخطل الصغير – بشارة الخوري بامارة الشعر في العالم العربي .

* « ثورة فى عالم الانسان » عنوان كتاب جديد صدر فى بيروت للمفكر ، والسياسي اللبناني كمال جنبلاط .

* استولت اسرائيل على مخطوطات البحر الميت الاثرية .

* توفيت القاصة الفلسطينية المعروفة السيدة سميرة عزام .

* صدرت عن دار الآداب فى بيروت رواية « الشوارع العارية » للروائي الايطالي فاسكو براتوليني، الذي قام بترجمته الى العربية ادوار الخراط .

* « الظامئون » رواية من تأليف عبد الرزاق المطلبي . قدم لها الدكتور ماهر حسن فهمي ، وصدرت عن مديرية الثقافة العامة ببغداد .

* صدرت فى منشورات عويدات ببيروت رواية « الفزة » للاديب الفرنسي أندريه مالرو ، ويصدر عن نفس الدار كتاب « الحياة والشباب » ، تأليف الدكتور اريك تريمر وترجمة محمد أديب العامري .

* صدر عن مركز المطبوعات فى بيروت رواية « ضائعة فى المدينة » ، وهي من تأليف سلوى هرمز ، مظهر الملوحي .

* وجهت نقابة الصحفيين العراقية ، مذكرة الى رئيس الوزراء ، تطالبه فيها بعودة الشاعر محمد مهدي الجواهري الى بلاده ، ولقيت المذكرة استجابة تامة من الرئيس المذكور .

* شعر ابي زبيد الطائي ، المتوفى حوالي سنة 41 هجرية ، جمعه وحققه الباحث العراقي الدكتور نوري حمودى القيسي .

* « القزويني وشرح التلخيص » هي عنوان الاطروحة التي نال بها وزير الثقافة العراقي الدكتور احمد مطلوب درجة الدكتوراه ، بمرتبة الشرف الاولى من جامعة القاهرة . وصدرت حديثا عن منشورات مكتبة النهضة ببغداد .

* صدرت عن مديرية الثقافة العامة ببغداد مجموعة قصص بعنوان « رماد الليل » ، وهي من تأليف الاستاذ عامر رشيد السامرائي ، وتقديم عبد الله نيازي

* يعد الاستاذ كمال ابراهيم دراسة عن المؤرخ العراقي الكبير احمد عزت الاعظمي ، وذلك بمناسبة مرور احدى وثلاثين سنة على وفاته .

* صدرت عن دار المكتبة العصرية فى بيروت الكتب التالية : « الغريب والبحر » ، شعر لمؤيد عبد عبد الواحد . ومسرحية « الكراكي » لنور الدين فارس . و « الجزء الثاني من المثنوى » للشاعر الايراني الشهير جلال الدين الرومي ، الذي قام بترجمته وتحقيقه الدكتور محمد كفافي .

* للدكتور قسطنطين زريق ، صدر كتاب باسم « معنى النكبة مجددا » يعالج فيه أسباب النكبة ، مستخلصا العبرة من احداثها .

* « غرباء عن فلسطين » مجموعة شعرية صدرت منذ أسبوع للشاعر فؤاد خوري ، فى لبنان .

* الشاعر السوري اسعد علي ، اصدر مجموعة شعرية عنوانها : « عاصفة » .

* كتاب « رسائل لصديق » لسفتلانا ستالين ، ابنة ستالين ، الذي نشرته فى امريكا ، احدث ضجة عنيفة فى الصحافة العالمية .

* يحتفل الاتحاد السوفييتي احتفالا كبيرا ، بذكرى صدور كتاب « راس المال » لكارل ماركس . بعد قيام الثورة السوفياتية ، الى اليوم طبع 165 مرة بـ 18 لغة ، داخل الاتحاد السوفياتي ،ويبلغ عدد النسخ المتداولة فى العالم خمسة ملايين نسخة .

* « واقع استعماري » كتاب جديد لمستشرق فرنسي يهودي الاصل ، سيصدر هذا الشهر .

* صدر للشاعر السوري نزار قباني كتاب جديد يضم قصيدته « هوامش على دفتر النكسة » .

« دراسة تاريخية واثرية لشواهد القبور العربية المحفوظة في المعهد النابولي » ، و « ملحق لشعر الراعي النميري » و « اسماء الاسماك في البلاد العربية، وحوض البحر الابيض المتوسط » و « ابحاث عن ملكية الارض عند السومريين » .

* سيصدر عن كمبردج في انجلترا ، الكتابين : « كتاب تدبير الامراض الحادة » لبقراط ، للمستشرق ليونس ، و « كتاب يشتمل على فصول من كتاب « الحيوان لارسطو » .

* احتفل بالذكرى السادسة بعد المائة لميلاد الشاعر الهندي رابندرانات طاغور .

* في لندن صدر كتاب عن حياة اميل البستاني ، وقام بتقديمه وزير الخارجية البريطانية جورج براون.

* على اثر العدوان الصهيوني ، قررت مؤسسة « اخبار اليوم » توقيف مجلة « المختار » التي تصدرها بالعربية .

* سيصدر قريبا ديوان « الفلسطنيات » الذي يحتوي على مجموعة من القصائد لمختلف الشعراء العرب ، حول العدوان الصهيوني .

* « في مواجهة اسرائيل » كتاب جديد صدر لسامي منصور يشرح فيه اهداف اسرائيل الخارجية، ويلقي الاضواء على الاسلحة التي تستخدمها لمحاربة السياسة العربية ، ويوضح علاقة اسرائيل بأمريكا ، وانجلترا ، والمانيا .

* يصدر مجلس الفنون والاداب بالعربية المتحدة قاموسا اقتصاديا بالعربية ، يفسر العبارات الاقتصادية

* فرغ الاستاذ احمد حسن الزيات من كتاب عن « عبقرية الاسلام » ، كما ستصدر له طبعة جديدة من ترجمة « آلام فرتر » ، والطبعة الثانية من كتابه : « دفاع عن البلاغة » .

* يصدر قريبا في بغداد للدكتور يحيى الجبوري « ديوان النعمان بن بشير الانصاري » من تحقيق على مخطوطة بأيا صوفيا ، وفيه اضافات على النسخة المطبوعة في الهند من قبل المستشرق كرنكو .

* اصدر الاديب الاردني عيسى الناعوري رواية عن فلسطين بعنوان : « جراح جديدة » .

* « القضاة والولاة » عنوان كتاب اصدره الشيخ ممدوح القطب ، قاض عمان .

* نشرت دائرة الثقافة والفنون الاردنية مذكرات المس نيوتس ، وعنوانها : « خمسون عاما في فلسطين»

* « طفل يغني » عنوان مجموعة شعرية تصدر مع ديوانين آخرين للشاعر اللبناني سعيد عقل .

* « رحلة الى الله » عنوان مجموعة قصصية ، صدرت في بيروت للاستاذ رياض شرارة .

* « في الادب الصهيوني » عنوان كتاب استغرق خمس سنوات في البحث والعمل ، الفه غسان كنفاني ، ويصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية. وهذه أول مرة تنشر فيها مثل هذه الدراسة عن الادب الصهيوني باللغة العربية .

* « الموت على الطاولة » عنوان لمجموعة قصائد تصدر قريبا عن دار المكشوف ، لنقولا قربان .

* الاديب اللبناني ميخائيل صوايا دفع الى المطبعة ببيروت مجموعتين من قصصه القصيرة .

* الاديب فوزي سبا ، بدا يعمل على تأليف معجم ادبي ، يجمع فيه اسماء الادباء والشعراء اللبنانيين .

* يصدر عن دار الحياة في لبنان ديوان شعر لرئيس وزراء السودان ، محمد احمد محجوب .

* « سجع الحمام في حكم الامام » كتاب يشتمل على 1183 كلمة مأثورة للامام علي بن ابى طالب ، ضبطه وشرحه وقدم له ، علي الجندي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، ومحمد يوسف المحجوب ، وسيصدر قريبا .

* تستعد بنت الشاطيء لاصدار كتاب عن « الابعاد التاريخية لمعركتنا مع اسرائيل » .

* صدر عن دار الرسالة الاسلامية فى الكوفة بالعراق مجلة اسلامية جامعة باسم (الموعظة) والتي يرأس تحريرها الاستاذ الاديب كامل سلمان الجبوري وهي حافلة بالابحاث والموضوعات والقصائد بأقلام نخبة من الكتاب فى اخراج جيد . وقد انتهت المجلة سنتها الاولى وسيصدر قريبا العدد الاول السنة الثانية .

* سيصدر من منشورات دار الرسالة الاسلامية فى الكوفة بالعراق كتاب « فضائل الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه » تاليف الكاتب العراقي كامل سلمان الجبوري معتمد الدار .

* اثار كتاب صدر مؤخرا فى أمريكا ، ضجة بسبب صورة على الغلاف . تمثل شرطيا ابيض . يقوم بجلد جماعة من الزنوج ، عنوان الكتاب « شيكاغو السوداء »، وفيه صورة قاتمة عن الاحداث الدامية فى سلسلة الصراع العنصري الامريكي .

* كتاب « مذكرات مالكوم ايكس » ، وهو زعيم الزنوج المسلمين فى أمريكا سيصدر فى هذه الايام . كما سيصدر للجنرال الفيتنامي نفوين فون كتاب باسم « حرب المقاومة الشعبية » .

* صدر عدد خاص من مجلة « البيدر » عن المؤرخ اللبناني عيسى اسكندر المعلوف . بمناسبة مرور 98 عاما على ولادته . واحدى وعشرين سنة على وفاته.

* صدر للدكتور يحيى الجبوري كتاب بعنوان « الجاهلية » ، وهو يتناول بالدراسة حياة العرب قبل الاسلام .

* صدر مؤخرا الجزء الرابع من كتاب « رجال السيد بحر العلوم المعروف بالفوائد الرجالية » الذي قام بتحقيقه السبدان محمد صادق بحر العلوم ، وحسين بحر العلوم .

* مسرحية جديدة باسم « الارنب الاسود » صدرت حديثا لمؤلفها الاستاذ عبد الله الطوخي .

* احتفل فى القاهرة بالذكرى الثانية لوفاة الناقد الكبير المرحوم الدكتور محمد مندور ، تكلم فيه الدكتور طه حسين .

* وقع الاختيار مؤخرا على الاستاذ بول كودريك، وهو من الشخصيات الفرنسية المعروفة فى ميدان علم الفلك ، ينال جائزة كالينفا الخامسة عشرة ، الخاصة بتعميم العلوم .

* أصدر مؤخرا مكتب آداب شرق افريقيا في نيروبي ، وثيقة باللغة السواحلية بعنوان : « محو الامية فى خدمة التنمية » .

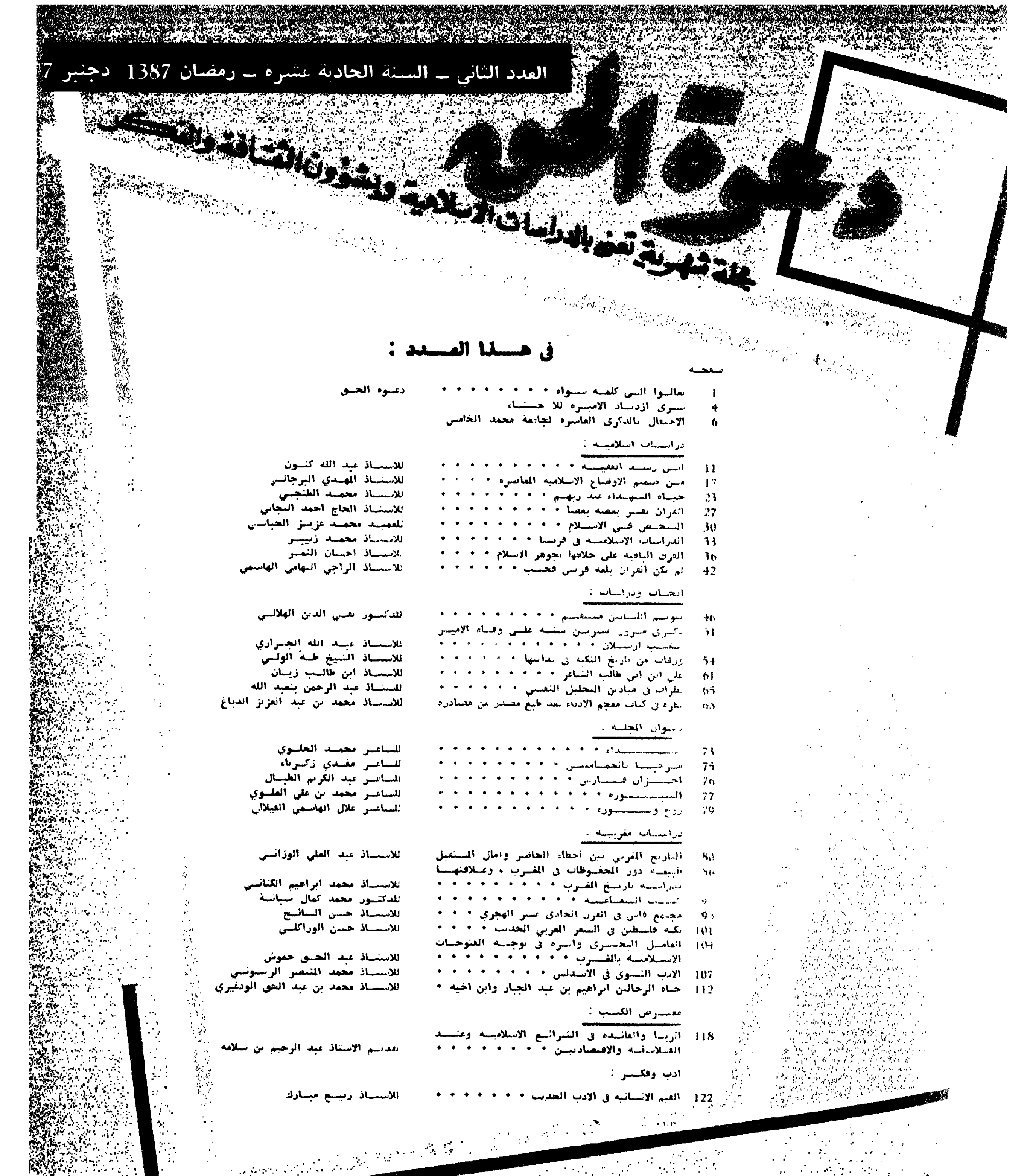
* كما أصدرت اليونيسكو فى هذه الايام مطبوعا بعنوان « التربية المهنية والتقنية » .

صدر العدد الخامس من مجلة اللسان العربي التي يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي .

وقد اشتمل هذا العدد الحافل على دراسات وابحاث لغوية ، وعلى نتائج الاستفتاء حول اللغة العربية وفعاليتها . وموسوعة المغرب العربي زيادة على الابحاث المختلفة . كما تضمن العدد نشاط المكتب الدائم للتعريب، وعلى المعاجم التي تشتمل على المصطلحات الفكرية ، والرياضية، وموسوعة الفقه الاسلامي ، ومعجم الفقه والقانون .

والحقيقة ان العدد ضخم حافل اشتمل على ابحاث لغوية ونشاط الترجمة والتعريب فى العالم العربي .

وقد طبع من هذا العدد،الذي اشتمل على 363 صفحة ، اربعة آلاف نسخة وزعت مجانا .



العدد الثاني – السنة الحادية عشرة – رمضان 1387 دجنبر 7

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

في هذا العدد :

كلمة العدد

تعالوا الى كلمة سواء ...

كـان من اجمل المآثر ، واسمى المبرات التي سيحفظها الدهر خالدة ، ويسجلها فى أسنى وأبهى صفحات عصر عاهلنا الكريم ، هذه المأثرة التي تفضل صاحب الجلالة ، فأمر باخراجها للناس ، ووضعها بين أيدي المومنين من ابناء رعيته ، وهـي اصدار طبعة جميلة رائعة للمصحف الكريم (وهو ما كنا تحدثنا عنه فى احد اعددنا السالفة)

وقـد تشرف السيد صاحب المعالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية فى الايام الاخيرة من شعبان ، وبمناسبة قرب بزوغ طلعة رمضان بتقديم أول نسخة جاهزة من هذا المصحف الكريم الى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم مـولانا الحسن الثانـي نصـره الله وأيـده .

وانـه لمن دواعي اليمن والاقبال ان يقترن تقديم مصحف الحسن الثانـي ، وابرازه الى الوجود فى حلة رائعة تليق بكتاب الله تعالى الى الشعب المغربي النبيـل والامة الاسلامية بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على بـدء نزول الوحـي على رسول المحبـة والسـلام .

ومـن دواعي القبول والاخلاص ـ ايضا ـ ان يستقبل المسلمـون مصحف الحسن الثاني فى هذا الشهر المبارك الذي انزل فيه القرآن هدى للناس ورحمة والذي تحدى كل انسان وأعجز ، وابتدات فيه بعثـة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ، وهم يحتفلون بايامه احتفالا تغمره البشاشة والطهر ، وتاتلق فيه المحبة والبهجة ، وتهب عليهم فيه نفحات من ريح الجنة وروحها ، فترطب القلوب الجافة ، والنفوس الوانية ، فلا يخرجون منه الا وهم وقد تزودوا بذخيرة من الخير ، وزاد من التقـوى، وعـدة من الجلد والصبر للعمل والجهـاد .

لقـد اسدى سيد البلاد مولانا الحسن الثانـي ـ حفظ الله زمانا اطلعـه ـ الى شعبه الوفي ، والى الامة الاسلامية الكريمة مبرة جليلة تضاف الى سجل اعماله البواقي فى سجل الخالدين ، وهي اصدار طبعة رائعة لكتاب الاسلام الخالد ، ومعجزته النادرة الذي كفل للامة الاسلامية من الحرية والعدالة والكرامة والمساواة ما جعلهـا خيـر أمـة أخرجت للناس .

العدد الثاني
السنة الحادية عشرة
رمضان 1387
دجنبر 1967
ثمن العدد
درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما
فأكثر .
السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ
الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط



السيد معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية يعرض على مقام حضرة صاحب الجلالة النسخة الاولى من مصحف الحسن الشريف الذي انجزته وزارته

ووهت الوحدة المتماسكة ، واستبهمت المذاهب ، واستشرت الفرقة بين الاخوة ، فمزقت اوطاننا ، وفرقت شعوبنا الى حالة تدعو الى الاشفاق والرثاء ، مما جعل الحاجة تدعو الى بعث جديد ، ووعي رشيد ، يجتمع بهما الشمل ، ويلتئم معهما الصدع ، ويطمئن بهما هذا العالم المضطرب ، ويستقر السلام المتأرجح المهزوز .

وان اتحادا يكون مبعثه القرآن ، ومصدره رب العزة والجلال ، خليق به ان يضم الشارد الى القطيع ، ويلحق القافلة بالركب العام ، ويدني الامة في دينها ودنياها على اتم وجه من الكمال .

وفي غمرة احتفالات المسلمين بشهر الصيام المعظم ، وفي جو عطر خاشع من العبادة والطهر ، وبمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول الوحي على سيدنا محمد عليه السلام ، وفي هذا الظرف العصيب الذي تجتازه الامة الاسلامية من فواجع وقواصم ، ومحن شداد يقدم عاهل المملكة المغربية مولانا الحسن الثاني الى كافة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها الطبعة الرائعة من المصحف الكريم الذي رفع الله به شان الامة العربية فأخرجها من الظلمات الى النور ، ومن الفرقة الى الوحدة ومن الضلالة الى الهدى والرشاد ...

وان هذا التوافق ليحمل اكثر من معنى ، وتشير دلالته الى ان النصر لا يقوم الا على أسباب ومقتضيات ، وتكاليف وأعباء ، وان ما يلوح في الافق من تباشير الفوز والفلاح ، وتقريب مسافة الخلف بين الاقطاب والرؤساء ليحملنا على الاعتقاد باننا قد بدأنا ناخذ للامر عدته ، وللجولة الثانية اعباءها وتكاليفها ، وان صاحب الجلالة نصره الله كان موفقا الى ابعد مدى حينما أمر باصدار طبعة جميلة رائعة للمصحف الكريم ، واخرجها للناس في وقتها المناسب وهو يقول حفظه الله :

تعالوا الى كلمة سواء ...

دعوة الحق

فقـــد جاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالتنزيل الى الامة الاسلاميــة دستورا كاملا تصلح عليه شؤون الفرد ، واحوال الجماعة ، ويحمل الى الارض الطمانينة والسلام ، وينشر بتعاليمه السمحة المحبة بين الناس ، ويقضي على عوامــل الانانية واسباب الاثـرة ، ويغرس فى النفس الانسانية خلـــق الايثار وحب الغير والمروءة وتتضمن دعوته الخالدة تكريم الانسان ، وتنظيم العمران لتحقيق اليمن والسعـــادة التي يطـــرز حواشيها النعيـــم ...

دعـــا القرآن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا الى كلمة سواء ، وخطة واحـــدة ، وتصميم محكم ، وغاية جامعة ، تتحد فى الوجهة والقبلة والفرض ، كمـــا نادى العرب والناس كافة بنداآت الاهية أججت العواطف ، وحركت العقول ، وبعثت فى نفـــوس المومنين كل معاني الوحدة الفاضلة ، والمحبة والالفة والاخاء ، مما احدث ثورة رائعـــة فى نفوس العرب كان لها المدى البعيد فى تحويل مجرى الانسانية كلها ...

لقـــد وعى التاريخ عن ثورة القرآن ما لم يعه عن أي حدث آخر فى الدنيا ، سواء فى معارك التهذيب النفسي حينما وجد الناس يسودهم الهوى ، ويسوسهم الجهـــل ويقودهم الضلال ، فاصبحوا بهديه مثالا يحتذى ، وقرآنا هاديا يسير على قدميه ، أو فى معارك السلاح يوم تدفقت سيول العرب من منابعها ، وخاض أبناء الامة الوسطى ، ووراث الدعوة الكبرى بفتوحاتهم الاسلامية أرجاء المعمور ، أو فى عظمة الثورة القرآنية الفريدة فى ميادين العقل والفكر ، حيث نشأت علوم اسلامية وعربية من أجل كتاب الله وخدمته ، وما زالت تلك العلوم تنمو فى كنفه ، وتزداد العناية بها حتى اصبحت بعـــد ذلك علوما قائمة الذات ، شامخة البناء ...

فمنـــذ اشرقت الارض بنور ربها ، وهذا الكتاب المبين بين ايدينا يشـــع على جنبات العالم انوار الحق والقوة والعزم يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويحمل الى العالمين رسالة الاسلام الصامدة التامة الكاملـــة التي لا يلحقهـــا ضعف الانسان وقصوره وتقصيره ، ولا يسبقها تطور العالـــم .

تبلجت فى الافق المظلم تباشير الوعي المحمدي فى الامة العربية لمـــا تخلى العرب عن أنانيتهم وعنجيتهم وابتعدوا عن شهوة الاباحية التي كانت تصدهم عن ذكـــر الله وعن الصلاة ، وتدفعهم الى أن يشتروا الضلالة بالهدى ، ويشعروا بضرورة الوحدة الجامعة التي سرعان ما صدعوا بها ، وعملوا لها ، ودعوا اليهـــا ، فصاغتها قلوبهـــم المتآلفة ، ونفوسهم المتحدة ، كما وقفت الارواح الزكية خلفها تحميها ، وتذوذ عنهـــا ، وتتعهدها بالري والسقيا ، فاستخلفهم الله فى الارض ، كما استخلف الذين من قبلهم، وبدلهم من بعد خوفهم آمنـــا ، ومكنهم من السطوة والسلطة والسلطان ، وقال لهم :

« ولا تهنوا ولا تحزنوا ، وأنتم الاعلون ان كنتم مومنين »

لقـــد غرست هذه الوحدة الجامعة التي امر بها القـــرآن ، الوئام فى النفوس ، وعملت على اقرار السلام بين الشعوب ، فكانت مصدر يمن ورخاء وسعادة العـــرب والمسلمين ، ارتفع بها شانهم ، وسما بين الامم قدرهم ، فصدت عنهـــم الغوائـــل ، وذاذت عنهم عاديات الدهر ، وطهرت ارضهم من رجس المرجفين الذين ينفثون السموم الناقعة فى المجتمعات ، ويعيثون فى كل مكان ، ويختلون فى كل جماعـــة ، ويفسدون فـــي الارض .

لكـــن ... لمـــا بعد المسلمون عن كتابهم ، واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات! ونسوا الله فانساهم آنفسهم ! دب الوهن الى النفوس ، واستولى الضعف على القلوب،



حشد من المواطنين هرعوا الى القصر الملكي العامر بمجرد سماعهم بازدياد سمو الاميرة الصغيرة للا حسناء

سادس عشر شعبان عام 1387 موافق 19 نونبر 1967 بنتا اشرقت بطلعتها رحاب البيت المولوي الشريف واقترن الفرح بازديادها بأفراح عيد الاستقلال المجيد. فتوالت افراحنا ، واتصلت مسراتنا وأعيادنا.

واني اذ ارفع لصاحب الجلالة الملك الهمام الحسن الثاني بمناسبة هذا الحادث السعيد ، وهذا المولد الميمون ، وقلوبنا جميعا تفيض ابتهاجا واستبشارا عبارات التهاني والتبريك ، اسأل المولى جل وعلا ، ان يقر عين سيدنا بالاميرة الكريمة ، ويطيل بقاءه ، ويديم عليه من نعمه ازكاها ، ومن اياديه اجملها واسماها ، ومن اردية عافيته اضفاها ، ويحفظه ذخرا للبلاد وملجئا ، وحصنا حصينا وسندا ، كما اسأله ان يمد في عمر ولي عهده صاحب السمو الملكي الامير سيدي محمد ، ويكلأه ويرعاه ويحرس ذرية الحسن الثاني أجمعين ، حراسة لا تنقطع ولا تريم ، ويمهد لهم السبل لما فيه رضاء والدهم العظيم ، ويحكم ما بين الاسرة الملكية وبين الشعب المغربي من أواصر المحبة المتبادلة ، وروابط الاخلاص الجامع المتين ، والتعلق الواصل المكين ، انه باسعاف السائل قمين .



اشرقت رحاب القصر وجنباته ، وطفحت الوجوه بالبشر والسرور ، حيث اضاء بيت مولانا الامام بحادث سعيد ، وهو ازدياد مولودة مباركة سعدت بها الايام ، وافتر لها فم الزمان ...

وبهذه المناسبة السعيدة الميمونة انطلقت مواكب الافراح تهزج وتشدو ، واندفعت الجماهير الى رحاب المشور السعيد في فرحة غامرة ، وسرور متدفق لتبليغ صاحب الجلالة مشاعر ابتهاجها ، وآيات ولائها ومدى تعلقها بسدته العالية بالله ، وبالعرش العلوي المجيد .

كما تقاطرت الشخصيات والوفود على مديرية التشريفات الملكية ، ومختلف العمالات لتسجيل تهانئها الحارة الى مقام حضرة صاحب الجلالة بهذا الميلاد الميمون .

ومن يمن الطالع ، ان هذا الحادث السعيد قد اقترنت ايامه الغر البيض بالاعياد الوطنية المجيدة التي خلدها الشعب المغربي بافراحه ومسراته .

ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بصفة عامة ، ودعوة الحق بصفة خاصة ترفع الى مقام حضرة صاحب الجلالة أمير المومنين ، وحامي حمى الملة والدين جلالة الحسن الثاني دام عزه ونصره وتاييده عبارات التبريك والتهاني بازدياد هذا الحادث السعيد ، راجية من الله العلي القدير ان يحفظ مولانا الامام ، ويقر عينه بولي عهده سيدي محمد ، وباقي اخوته ، ويحفظه في أسرته الكريمة وشعبه المخلص الوفي .

ويسعدنا ان نقدم الكلمة الرقيقة التي زف بها معالي الاستاذ الكبير الحاج احمد ابا حنيني وزير الشؤون الادارية ، الامين العام للحكومة بشرى ازدياد الاميرة على امواج الاذاعة والتلفزة وهذا نصها:

الحمد لله وحده

لقد شرفني مولاي صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني ادام الله له السؤدد والعز ، ووالى له النعم السابغة ، والايادي الجميلة ، فاصدر الي سامي امره ، منذ بضعة اشهر بأن احيط شعبه المخلص الوفي علما بأن بيته الكريم ، ستشرق رحابه المحروسة في شهر نونبر الجاري بطلعة أمير أو اميرة ، فكان للنبأ السعيد الذي نلت شرف تقديمه ، وللبشرى التي حظيت بزفها الى اخواني المغاربة ، الاثر المتوقع الحميد فى الافئدة والنفوس ، فطفحت القلوب فرحا وسرورا ، وبهجة وحبورا ، وشاع فيها الامل المشرق الوضاء ، شيوعه فيها كلما زف اليها مثل هذه الانباء ، وخامرها شديد الرجاء ، فى ان يهب الله للعاهل الساهر الامين وحامي حمى العرين من الامراء والاميرات ، من تتحف بعزائمهم الامال ، ويطرد على ايديهم صلاح الاحوال ، فى ظل والدهم الممدود ، وكنفه المقصود ، وها انا اليوم والمسرات تملأ الجوانح ، والبهجة تفعم الفؤاد ، يشرفني أعظم ما يكون التشريف ، ان أعلن لاخواني المغاربة ، ان الله الرازق الوهاب ، حقق تلك الامنية الغالية ، وذلك الرجاء السني المعقود ، فوهب لسيدنا دام له النصر والتأييد ، فى هذا اليوم المبارك الاغر ،



خطاب صاحب الجلالة بمناسبة الاحتفال بالذكرى العاشرة لجـامعــة محمــد الخـامس

...دمها . والتضحيات التي تحملها في سبيل نشر العلم، في سبيل تثبيت العرفان داعيا له بالسداد والتوفيق.

شعــور بالاعتــزاز

حضرات السادة :

انا لنعد من غرر الدهر ومحاسنه ، الايام التي نعـ... خلالها فوق تراب هذه الديار الحافلة بالفكر ... وفي رحاب هذا المعهد ، الذي اقام صرحه وا... المقدس ، على تقوى من الله ورضوان ، مؤتمركم الج... لرجال الفكر من ابنـاء قارتنا الافريقية ، ...رنا بليغ بحلولكم في وطننا هذا ، الذي هو وطنكم، وبمـ...كفتم عليه ، في هذا الظرف القصير من ابحاث ودر...ات ، عقبت استنتاجات وأفضت الى مقررات ...ن اقتران اجتماع مؤتمركم هذا ، بذكرى مرور ...وات ، على تأسيس جامعة محمد الخامس من ...مضاعفة سرورنا ، وابتهاجنا ، فان هناك سببا اخر ، يبعث في نفسنا سرور الاعتزاز الا وهو التقاء نخبة من رجال القارة الافريقية مهتمين بشؤون العلم والمعرفة والتكوين ، واعين بالمسؤوليات العظمى الملقاة على كواهلهم والواجبات التي تفرض عليهم اعداد الاجيال وتكوينها تكوينا يؤهلها ، خاصة في الظروف الراهنة ، التي لا تراف بالمتخلف ولا ترحمه ، تؤهلها للاضطلاع بما ينتظرها من تكاليف واعباء ، ويسعدنا الى جانب هذا كله ، ان نرحب مستبشرين متفائلين بهذا اللقاء الجامعي الكبير الذي اتاح فرصة الاتصال بين شخصيات بارزة ، في مضمار الثقافة والتثقيف ، وفدت من جهات مختلفة ومكنها من التعارف والتآلف وتبادل الاراء ، ورسم الخطط ، التي نأمل ان تؤتي ثمارها غضة يانعة،وتهيىء لهذه القارة ولابنائها مستقبلا ، يكون في مستوى متطلبات عصر السرعة والتقنية والاكتشافات العلمية الباهرة للعقول وتحول الاشياء تحولا لا هوادة فيه ، من حال الى حال.

الاحتفال بالذكرى العاشرة لجامعة محمد الخامس و الاحتفال بميلاد جمعية الجامعات الافريقية

شهدت جامعة محمد الخامس خلال شهر نونبر الماضي حدثين هامين وهما ميلاد جمعية الجامعات الافريقية ، والاحتفال بمرور عشر سنوات على تاسيس جامعة محمد الخامس .

فقد احتفل رجال التعليم العالي الافارقة بميلاد جمعية الجامعات الافريقية المنبثقة عن المؤتمر التاسيسي حيث حضر الى قاعة المحاضرات بكلية العلوم رجال الفكر من افريقية ومن مختلف انحاء العالم ، احتفالا بميلاد جمعية الجامعات الافريقية ، يشاركهم فى ذلك كبار رجال الدولة واساتذة مختلف كليات جامعة محمد الخامس

وقد انتخب الاستاذ محمد الفاسي عميد جامعة محمد الخامس رئيسا لجمعية الجامعات الافريقية .

كما احتفلت جامعة محمد الخامس بالذكرى العاشرة لتاسيسها حيث حضر هذه الذكرى مولانا صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله مرفوقا بصاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله ومعالى الوزير المدير العام للديوان الملكي والوزير الممثل الشخصي لصاحب الجلالة ووزير القصور الملكية واعضاء الحكومة يتقدمهم الوزير الاول وعمداء الكليات واعضاء المؤتمر التاسيسي لجمعية الجامعات الافريقية وكبار الموظفين ورجال السلك الدبلوماسي ومختلف الشخصيات .

وان تشريف صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله بحضوره فى الاحتفال بهذين الحدثين المهمين لتعبير من جلالته عن تقديره لمجهودات العاملين فى التعليم الجامعي والمساعي التي تبذل فى سبيل تحقيق الوحدة الافريقية على مختلف المستويات .

وقد كانت الخطب التي القيت أمام حضرة صاحب الجلالة خلال الاحتفالين المذكورين كلها اشادة باهتمام جلالته بالعلم وتقديره لرجاله .

ثم القى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فى الاحتفال بالذكرى العاشرة لجامعة محمد الخامس خطابا هاما استهله بكلمة مرتجلة هنأ فيها الاستاذ محمد الفاسي عميد جامعة محمد الخامس بانتخابه رئيسا لجمعية الجامعات الافريقية حيث قال جلالته :

الحمد لله وحده والصلاة على مولانا رسول الله وءاله وصحبه .

حضرات السادة

نود قبل كل شيء ان اشكركم على انتخابكم بالاجماع على الاستاذ محمد الفاسي كرئيس لجمعيتكم، وانا لنرى فى انتخابكم اياه ، تشريفا وتكريما للمغرب وانني باسم المغرب وباسم جامعة محمد الخامس وباسم التلامذة والطلبة ، الذين تخرجوا على يد الاستاذ ، وانا واحد منهم ، اتقدم اليه ، بأحر التهاني واطيب التمنيات ، شاكرا اياه على المجهودات



صورة من الاحتفال الذي اقيم بمناسبة ميلاد
جمعية الجامعات الافريقية

دول قارتنا واولي الامر بها والقائمين على تكوين اطاراتها العليا الفنية منها على وجه الخصوص مجهود بالغ الاهمية ، لما تترامى اليه اطماحنا ورغائبنا من تحقيق الثراء الشامل لجميع الميادين المادية منها والمعنوية .

بيد ان تكوين هذه الاطارات العليا بقارتنا الافريقية يجب ان يكون تكوينا متينا صالحا لا يشعر الشباب الحاصل عليه بنقص او حرمان بالنسبة الى من الشباب المتخرجين من المعاهد العليا الاجنبية حيث يظفرون بالمعرفة الوافرة والتكوين الصحيح . ذلك ان شبابنا الافريقي لا يرتاح تمام الارتياح لما يناله في معاهد بلاده من تكوين وتثقيف لشعوره منه لما بين التكوينيين من فوارق وتفاوت فلا يلبث ان يهاجر وطنه موليا وجهه شطر المعاهد الاجنبية رغبة منه فى استكمال معرفته وسد النقص المهيمن على نفسه ، حتى اذا بلغ شبابنا فى الخارج ما يريدون وادركوا ما اليه يطمحون ، استطابوا المقام ، بديار غير ديارهم واوطان غير اوطانهم ، فترتب عن هجرانهم هذا لبلادهم ، حرمانها من مواهب وكفايات هي فى امس الحاجة اليها . . واشد الرغبة فى الاستفادة منها، ولذا فان على رؤساء جامعاتنا والمشرفين على تكوين الاجيال الناشئة ان يعيروا هذه الظاهرة ما هي قمينة به من انتباه واهتمام ويصرفوا قسطا كبيرا من جهودهم وحظا وافرا من تفكيرهم لرفع المستوى الثقافي لجامعاتنا ومعاهدنا لتستجيب للمتطلبات استجابة تكفل القضاء على الشعور بالنقص ، الذي يعتلج فى صدور طلبتنا ، وتحبب اليهم البقاء فى احضان اوطانهم ، والعمل لما فيه نفعها وصلاحها ، وخيرها وازدهارها .

ركب الحضارة يسير

حضرات السادة :

لقد سار ركب الحضارة سيره الحثيث وانطلق عدد من الاقطار انطلاقا متواصلا سريعا يخطو كل يوم خطوات ويثب حينا بعد حين وثبات ، وبقيت اقطارنا التي ابلت حقبة من الزمن أحسن البلاء ، وساهمت باشعاعها فى التقدم والنماء ، متخلفة عن الركب السائر والموكب الزاحف بحكم ما لابس حياتها من ملابسات ، وعرض لها من ظروف قاسيات نكدات حتى اصبحت الشقة شاسعة بعيدة بينها وبين غيرها من الاقطار التي ادركت من التقدم والرقي الغاية المثلى والدرجة القصوى ، وصار لزاما على اقطارنا بعد ان وضعت الاغلال والآسار التي كانت تثقل كاهلها وتقيد خطاها ، ان تسعى جاهدة جادة وتحث السير وتطوي المراحل والاشواط وتختصر المسافات لا لرأب الصدع وتلافي النقص ، واصلاح ما اضمحل واندثر ، وايجاد ما لم يكن يذكر ، واكتساب الوسائل اللازمة للخلاص من ربقة التخلف فحسب ، بل لتجاوز هذا الطور الى طور مسايرة الموكب السيار بالافتنان في شتى ميادين الاختراع والابتكار لبلوغ أبعد غايات الرقي والازدهار .

افريقيا بعد الاستقلال

لقد واجهت الاقطار الافريقية غداة استرجاعها للاستقلال مشاكل متعددة عويصة فى طليعتها قلة الاطارات الضرورية لتسيير شؤونها والاضطلاع بمختلف المهام ، التي تفرضها عادة السيادة الكاملة ، فكان من أهم اهدافها وآكد مبتغياتها ومتطلباتها ان تعد الافواج من ابنائها اعدادا يستطيعون بفضله ان يتقلدوا زمام التدبير والتسيير . ويخلفوا من كان مسندا اليهم أمر هذه المهام من اطارات أجنبية ، وقد خطت الاقطار الافريقية خطوات موفقة فى هذا الميدان بفضل ما اقامته من مؤسسات علمية ، ومعاهد تكوينية وجامعات لتثقيف شبابها الظمآن الى المعرفة المتطلع الى الاسهام بالحظ الوافر والدور الفعال فى النهضة التي ينشدها لبلاده ويرجوها لحاضره ومستقبله ، الا ان اقطارنا الافريقية لم تظفر بعد بمبتغاها ولم تفز بمناها ولم تبلغ لحد الان الدرجة التي يصح معها الاكتفاء بالاطر الوطنية ويتسنى معها الاستغناء عن المساعدة الفنية ، ولذا فان من آكد الواجبات ، واكبر المسؤوليات الملقاة على عواتق الساهرين على معاهد التكوين الموكولة اليهم عهدة تخريج الافواج الصالحة والاطارات النافعة ان يبذلوا قصارى الجهود لتحقيق هذا الاكتفاء وضمان هذا الاستغناء .

امكانيات كبيرة

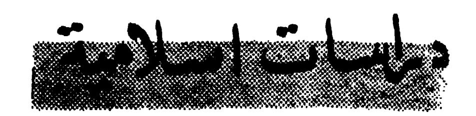
ان الاقطار الافريقية لغنية بامكانياتها ومقدراتها الخفية منها والظاهرة ، وحرى بنا ونحن ننشد السير قدما لبلوغ اسمى المقاصد وابعد الاهداف ان نحرص كل الحرص ونجد كل الجد فى تكوين وتوفير الاطارات على اختلاف انواعها وتعدد وجوه اختصاصها لاستثمار تلك الامكانيات والمقدرات استثمارا ينهض باعبائه ابناؤنا الافارقة دون احتياج الى مساعدة ويعمم الثراء وينشر الرخاء ويثب باقطارنا الوثبة المطلوبة التي يتعزز بها جانبها ويرتفع شأنها ، وتصبح بفضلها قارتنا ذات الكلمة المسموعة فى المحافل التي لا تقيم وزنا للشعوب والاقطار ولا تكترث لها وتحسب لها ألف حساب الا اذا اقترن ذكرها بما لها من امكانيات التاثير في أسواق العالم وما تتوفر عليه من وسائل الضغط على سير المعاملات ، وتملكه من اسباب تصريف المبادلات .

معركة النماء

فاذا نحن جاوزنا طور التخلف بعد تكوين الاطارات الصالحة الكافية واستثمار الثروات وكسبنا معركة النماء وحققنا لاقطارنا ذلك المستوى الذي تتأتى معه المفاخرة والمباهاة بالقياس الى كثير من المستويات الداعية الى التقدير والاحترام وجب علينا ان نطلب آنئذ المزيد من المعرفة ونتطلع الى مستوى اسمى ، ونطمح الى بلوغ غاية اسنى ، وذلك لاعداد رجال البحث والتنقيب ، والاكتشاف وتخصيص جانب غير يسير من جهودنا وامكانيتنا قصد اسعاف هؤلاء الرجال بالوسائل الكفيلة بتسيير اعمالهم الخليقة بمساعدتهم على الانصراف الى مجال الابتكار والابداع والتوليد والاختراع .

مقصد نبيل

وان من شأن ادراك هذا المقصد ان يضيف الى وزن اقطارنا وزنا ويزيدها رفعة الى رفعة ويسمو بها الى مقام ملحوظ ومكان مرموق فالمجهود المطلوب





انعقد يوم الاثنين 16 / 10 / 1967 باسبانيا كما هو معلوم مؤتمر الدراسات العربية الاسلامية الذي تنظمه الهيآت الثقافية باسبانيا ، كمدرسة الابحاث اللغوية بمدريد ، ونظيرتها بغرناطة ، والمجلس الاعلى للابحاث العلمية باسبانيا بالتعاون مع الادارة العامة للتعليم العام بوزارة التعليم الاسبانية ، ومعهد الدراسات الاسيوية فى مدريد التابع للجمهورية العربية المتحدة ...

ويعنى هذا المؤتمر خاصة بالدراسات العربية والاسلامية المتعلقة بالتراث الفكري والادبي والفني في الاندلس والمغرب .

وقد عقد المؤتمر فى هذه الدورة السادسة التي عقدت جلساتها بنادي الصداقة ، فى مدينة قرطبة ، التي لعبت دورا كبيرا فى تاريخ العرب والاسلام ، بمناسبة احياء ذكرى عالمها الكبير وفيلسوفها الفذ ابن الوليد ابن رشد الذي اقيم له يوم الاثنين 23 / 10 / 67 تمثال من الرخام فى احدى ساحاتها العمومية ودشن فى هذا المؤتمر .

وقد القى السيد قزمان رينا ، عمدة المدينة أمام التمثال كلمة بليغة اشاد فيها بمكانة العالم الجليل ونفوذه الذي انتشر فى كافة انحاء اوربا خلال القرون الوسطى .

وشارك فى هذا المؤتمر نخبة كبيرة من المستشرقين الاسبان ، وبعض الباحثين من الاقطار العربية كالدكتور حسين مؤنس الذي قدم موضوعا عن « الشعر الاندلسي فى عصري الامارة ، والخلافة » وخالد الصوفي الذي كان بحثه بعنوان « لمحات من حياة ابن رشد » وعيسى الناعوري الذي كان بحثه عن « عناصر التفاعل والتكامل بين الثقافتين العربية والاسبانية » وغيرهم من العرب .

والبحث الذي قدمه فضيلة الاستاذ العلامة سيدي عبد الله كنون فى هذا المؤتمر يتعلق بالناحية الفقهية من تراث ابن رشد التي لم يتناولها أحد مع اشتهار ابن رشد بانه الى جانب فلسفته وطبه كان فقيها مالكيا كجده الامام ابن رشد الكبير ...

وقد رجونا من الاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون ان يمد مجلتنا بهذا البحث القيم فتفضل بارساله مشكورا ...

التحرير

ان الكتابة عن ابن رشد الفيلسوف كثيرة جدا ، و[illegible] دراسات قيمة كتبها مختصون فى المادة بحيث أ[illegible] هذه الناحية من تفكيره وتراثه العلمي متميزة [illegible] ناهيك بما كان لها قديما من أثر بين فى توجيه [illegible] الفكرية والعلمية فى اوربا قبل عصر النهضة .

أما ابن رشد الفقيه فقد بقي بمعزل من عناية الباحثين ، ولم تنل ثقافته الفقهية ما تستحقه من الوزن والتقدير ، حتى تنوسيت أو كادت ، وصار وصف ابن رشد بالفقيه يغلب ان يدل على أن ابن رشد الجد لا على ابن رشد الحفيظ صاحبنا . وقد

مساعي وجهود

ان مستقبل قارتنا لرهين بمساعيكم المتكاثفة ، وجهودكم المتضافرة ، ويقيننا ان المساعي التي ستقومون بها والجهود التي ستبذلونها ستكلل لما هي اهل له من فوز ونجاح ، وسيكون لها ولا ريب احسن العواقب واجمل الاثار .

حضرات السادة :

ان المؤتمر الذي عقدتموه بعاصمة مملكتنا لعنوان على ما لاقطارنا وشعوبنا من حب خالص مكين للسير بها نحو ما نصبو اليه جميعا من غد مشرق سعيد ومستقبل حمبد وعيش رغيد .

عناية باعمال المؤتمر

ولقد تتبعنا أعمالكم بعناية فائقة واهتمام كبير واننا لنعقد للمقررات التي اتخذتموها اوسع الامال ، ونتوقع ان تسفر عن الاصلاح والجدوى والفائدة التي لا ينحصر مفعولها فى نطاق مجموعة بلادنا الافريقية وانما يمتد الى الانسانية جمعاء .

وان تلبيتكم للدعوة التي وجهناها لكم لعقد مؤتمركم التاريخي هذا فى رحاب جامعتنا الحافلة بمختلف الطلبة الذين وفدوا اليها من جهات متعددة ولا سيما من الاقطار الافريقية لهي تقدير منكم لما نوليه من رعاية للتعليم العالي وعناية بشؤونه ونبديه من حرص على ان يؤدي الرسالة التي اقيم من اجلها.

ولئن كنا لم نبلغ بعد فى هذا المضمار الشأو الذي يرضي جميع مطامحنا ويحقق سائر رغائبنا ويوفر لنا الاطارات الكافية والعدد الكبير من العلماء والباحثين فاننا لا ننسى ما ادته جامعتنا الفتية من واجب وقامت به من دور فعال فى مجال البحث العلمي والتكوين والاعداد على ان تفكيرنا موصول غير مقطوع فيما تدعو اليه الحاجة من تطوير لهذه المؤسسة وتحسين وتكميل حتى تصبح جامعة محمد الخامس مركزا من مراكز الاشعاع الفكري ومنهلا من مناهل الثقافة العليا تؤمه من كل حدب وصوب الافواج الظامئة الى العرفان الصحيح والاجيال المتعاقبة من الطلبة ، فتصدر عنه مزودة بأحسن زاد مسلحة بأنفع عتاد مهيأة لتحمل المسؤوليات واداء الواجبات .

حضرات السادة :

اننا لنعرب لكم من جديد عن ترحيبنا بكم وسرورنا بانعقاد هذا المؤتمر الجامعي فى احضان جامعة محمد الخامس الذي نعدها جامعة لابنائكم مثلما نعد المركز الذي تم انشاؤه بمدينة طنجة برغبة منا مركزا مشاعا بين جميع الاطارات الافريقية العليا التي تختلف اليه لاستكمال تكوينها وثقافتها .

واملنا وطيد ان يحالف جمعيتكم التوفيق والنجاح حتى تحقق ما رسمته لنفسها من اهداف وتبلغ ما ترمي اليه من اغراض كما نرجو ان يكون تأسيس هذه الجمعية عاملا على توثيق ما بين البلدان الافريقية من روابط وصلات وتمتين ما بينها من اواصر الصداقة والاخاء ، والله المسؤول ان يمد فى عمر جامعتنا ويسدد خطاها ويديمها قبلة لطلاب العلم والعرفان ومنارا يهتدي بنوره من افتقد الجادة وضل سواء السبيل ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وقصدنا بالفقه الساذج الفقه المجرد من الادلة ومدارك استنباط الاحكام وبأكبره علم التوحيد استنادا الى تسمية ابي حنيفة له بذلك فى كتابه الفقه الاكبر ، وبأصغره علم الفروع . فان الموحدين قاموا بالدعوة لمذهب الاشعري في العقائد وروجوا له، وانتقدوا ما كان عليه المغرب ودولة المرابطين من الاخذ بعقيدة السلف ، وسموهم المجسمين ، وسموا انفسهم الموحدين فى مقابل ذلك ، ثم صاروا يدعون الى الاجتهاد والنظر فى اصول الاحكام من الكتاب والسنة ، وينعون على الفقهاء تقليدهم والتزامهم لمذهب مالك حتى تورطوا فى قضية الاحراق لكتب المذهب التي المعنا اليها .

ومن الاكيد ان ننبه على انهم لم يكونوا يهدفون الى احلال مذهب الظاهرية محل مذهب مالك ولا انهم كانوا يأخذون فى انفسهم بهذا المذهب كما قال بذلك غير واحد من المؤرخين ، وقد ابطلنا ذلك بالدليل القاطع فى كتابنا النبوغ المغربي ... وانما كانوا من اصحاب النظر ، والدليل المتمسكين بالمنطق والبرهان، ولذلك اخذوا فى العقائد بمذهب الاشعري ومالوا فى الفقه الى احياء الاجتهاد .

على هذه الحالة عرفهم ابن رشد ، وبدافع من اهتمامهم بالعلوم النظرية والعقلية اتصلوا به ، اذ كان اماما فيها ومتفردا من بين اهل عصره باتقانها . وقد حدثنا عبد الواحد المراكشي فى كتابه المعجب عن اول لقاء تم بين الخليفة يوسف بن عبد المومن وصاحبنا ابن رشد بتدبير من الفيلسوف ابي بكر بن طفيل ، وكان وزيرا ليوسف ، فلم تكن مذاكرته معه الا فى قضايا الفلسفة وراي اصحابها فى قدم العالم ، وكان ان حمله بعد ذلك على تلخيص فلسفة أرسطو وشرح كتبه على ما هو معروف (1) .

اذن فابن رشد الفيلسوف هو الذي برز على منصة الدولة ، وهو الذي كان على صلة رسمية بالموحدين ، واما ابن رشد الفقيه فقد كان يشغل منصب القضاء ويفتي الناس فيما يعرض لهم من النوازل التي لا علاقة لها بأحكام المنصب ، وهو بمقتضى ذلك فقيه مالكي على مذهب ابيه وجده ، ومذهب المغاربة والاندلسيين عموما ، اذ كانت نزعة الدولة الاجتهادية ، تلك التي تحدثنا عنها لم تستطع ان تهزم مذهب مالك ولا ان تتغلب عليه حتى فى تولية مناصب الفتوى والقضاء . كما حصل ان تغلب هذا المذهب فى اوائل ايام الخلافة الاموية بالاندلس على غيره من المذاهب لاصطناع الدولة له والتزامها به ، وكما حصل فى المغرب ايام الادارسة الذين كانوا يأخذون أيضا بهذا المذهب .

ولعل الطريقة التعسفية التي كانوا يفرضون بها وجهة نظرهم هي التي جعلت الفقهاء وجماهير المتمذهبين ينفرون من دعوتهم ويتمسكون باتباع مالك رحمه الله ، فان احب شيء الى الانسان ما منعا ، كما يقول الشاعر ، واحراق الكتب لم يكن قط وسيلة لمنع انتشارها بل ربما كان سببا فى مزيد الاقبال عليها وتداولها . والنظر الفقهي فى ايام الموحدين لم يكن قاصرا عن دراسة اسباب الخلاف المذهبي والخلاف العالي ، بل كان متمكنا من ذلك اشد التمكن ، ومتعمقا فى علم الاصول الذي به تعرف مدارك الائمة ، فليس من السهل صرفه عما يأخذ به حجة ودليل الى مجرد الرواية والسماع ، ويشرح هذا الموقف مناقشة جرت بين يوسف بن عبد المومن واحد فقهاء اشبيلية ، ابي بكر بن الجد ، فيما حكاه صاحب المعجب عنه قال :

« لما دخلت على امير المؤمنين ابي يعقوب اول دخلة دخلتها عليه ، وجدت بين يديه كتاب ابن يونس ، فقال لي يا ابا بكر انا أنظر فى هذه الاراء المتشعبة التي احدثت فى دين الله . ارايت يا ابا بكر المسألة فيها اربعة اقوال او خمسة اقوال او اكثر من هذا . فأي هذه الاقوال هو الحق ؟ وايها يجب ان يأخذ بها المقلد ؟ فافتتحت ابين له ما اشكل عليه من ذلك . قال لي وقطع كلامي : يا ابا بكر ليس الا هذا واشار الى المصحف او هذا واشار الى كتاب سنن ابي داود ، وكان عن يمينه ، أو السيف . » (2)

ان فرقعة السلاح تمنع من حسن الاستماع ، ولذلك ظل الفقهاء على رايهم ولو كانوا من المقربين الى الدولة كأبي بكر هذا وصاحبنا ابن رشد ، بل اننا نجد ابن رشد يقوم فعلا بتوضيح ما اشكل على الخليفة في كتاب عظيم النفع ، هو كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد الذي ذكر فيه أقوال فقهاء الامة من الصحابة والتابعين ومجتهدي الائمة مع بيان مستند كل من الكتاب والسنة والقياس واسباب الخلاف ووجوهه وعلله ومع الترجيح واعتماد الصحيح من النصوص

---

(1) انظر كتاب المعجب للمراكشي ، ص 242 .
(2) المعجب للمراكشي ، ص 279 .

استشعرت ذلك حين كتبت عنوان هذه الكلمة وهممت تغييره لولا اني اعلم ان البساط يعين المراد .

والحق ان ابن رشد الجد كان اماما من ائمة الفقه المالكي ، يؤخذ بقوله فيه ويعتمد عليه في الفتوى والقضاء ، وكتاباه البيان والتحصيل ، والمقدمات ، من اعظم كتب المذهب واشهرها عند المالكية ، ولم يتردد الشيخ خليل الجندي صاحب المختصر المبين لما به الفتوى في مذهب مالك ، ان يجعله احد أربعة اقطاب ممن يعول على ءارائهم في فقه هذا المذهب ، وهم اللخمي وابن يونس وابن رشد والمازري (1) فهو اذن صاحب مدرسة فقهية ما تزال معتمدة الى الان عند اتباع مالك في جميع العالم الاسلامي ، ولذلك لا غرو ان يغطى اسمه اذا وصف بالفقيه على اسم حفيده فلا يتبادر الى الذهن غيره كما لو كان هو الفقيه وحده .

الا اننا نعلم ان صاحبنا كان ايضا من ائمة الفقه واعلام المذهب ، وانه لا يقل كفاءة ولا ينزل مكانة عن جده في العلم بأحكام الشريعة وسائر المعارف الاسلامية ، ولقد وصفوه بأخص أوصاف جده من انه كان مفزع الناس في الفتوى ، وان الدراية كانت اغلب عليه من الرواية ، فضلا عن كونه ولي قضاء الجماعة بقرطبة مثله ، وهو منصب عال يعطى لصاحبه الاشراف على سائر قضاة الاندلس ، وربما خوله حق تعيينهم . فنحن نرى انه في هذا المقام لم يكن بينه وبين جده فارق ما ، غير ان الجد كان منقطعا الى الدراسات الفقهية والنظر في احكام الشريعة فخلف ذلك التراث الطائل الذي يعتز به الفقه المالكي ، والحفيد كان مشاركا في العلوم العقلية والطبية ، فتوزعت اهتماماته وكان انتاجه في هذه اكثر واخصب ، وان لم يؤت انتاجه الفقهي من ضعف مادة او قلة في الجملة .

ولقد جاء في ترجمته عند ابن الابار تبيينا لمنهاج طلبه وميدان تخصصه : « انه درس الفقه والاصول وعلم الكلام .. ومال الى علوم الاوائل ، وكانت له فيها الامامة دون اهل عصره ، وكان يفزع الى فتياه في الطب ، كما يفزع الى فتياه في الفقه ، مع الحظ الوافر من الاعراب والآداب » (2) فهو على هذه المشاركة الواسعة والانفراد من بين اهل عصره بالتقدم في العلوم الكونية ، كان الناس لا يستغنون عن فقهه وطلب فتواه في النوازل ، وما ذلك الا لما يعلمونه من رسوخ قدمه في المعرفة بأحكام الشريعة وسداد نظره في مسائلها .

وعليه اذا كانت الدراسات العديدة التي وضعت حوله قد اهتمت بفلسفته وحكمته ، وشرحت آراءه وما كان لها من تأثير على الحياة العقلية في العصور الوسطى بأوربا ، وكذلك الناحية الطبية من تراثه وخاصة كتابه الكليات قد نالت حظها من البحث ، ولم يبق الا تراثه الفقهي غير مدروس ولا معتنى به ، فان الواجب يقضي علينا ان نلقي نظرة ولو خاطفة على عمل فيلسوفنا العظيم وطبيبنا النطاسي في ميدان الفقه والتشريع ، ونعرف قدر الامكان بجهده الكبير في هذا الصدد فنتمم حلقات البحث في معارفه المتنوعة ، ونسد الفراغ الذي بقي في ترجمته من هذه الناحية .

ولأجل ان نحرر الموضوع جيدا ، لابد ان نلم بما كان عليه الوضع الفقهي بالمغرب والاندلس في عهد ابن رشد ، نتيجة لقيام دولة الموحدين ، لا سيما وهو قد كان على صلة متينة برجال هذه الدولة وعلى راسهم الخليفتان يوسف بن عبد المومن وابنه يعقوب المنصور.

نحن جميعا على علم بما كان للفقهاء في دولة المرابطين من نفوذ قوي وجاه عظيم ، ولا نشك في ان ذلك كان من وضع الشيء في محله ، واسناد الامر الى أهله ؛ فالدولة اسلامية ، واحق الناس بتولي مناصب الحكم والشورى فيها هم العلماء العارفون بأحكام الشرع ، المتفقهون في الدين ، تماما كما يتولى مناصب الحكم اليوم في اغلب الدول المدنية رجال القانون وأساتذة الحقوق . وكانت الدولة المرابطية قد قامت على اساس مقاومة البرغواطيين ونحلتهم الضالة ، ونشر الدين الصحيح فلا غرو ان تلقى بزمام الامور الى الفقهاء وتبوئهم أعلى مقام .

فلما جاء الموحدون ، وكان امامهم المهدي بن تومرت صاحب دعوة وزعيم فرقة ، وقد لاقى الامرين من معارضة الفقهاء ومناهضتهم له ، نهجت دولتهم سياسة اخرى من تقريب من قبل دعوتهم وابعاد الفقهاء عن مراكز المسؤولية . ومن ثم صار الفقه الساذج ، اكبره واصغره ، لا ينفق لديهم بل صار يتعرض لمناوءتهم والتثريب عليه وعلى رجاله ، وما قضية احراق كتب الفقه المالكي وأمهات دواوينه بخافية عمن له اطلاع على تاريخهم . (3)

---

1) ينظر مختصر خليل ، المقدمة ، ص 1 .
2) التكملة لابن الابار ج 1 ، ص 269 .
3) ينظر كتاب المعجب للمراكشي ، ص 278 .

والشافعي وابا حنيفة (1) . اما الحديث الثابت فهو ما اخرجه البخاري ومسلم (2) أو أحدهما . ومن الطريف انه يعتمد كثيرا في الحديث على صحيح مسلم وهي طريقة المغاربة الذين يفضلون مسلما على البخاري من ناحية الرواية كما هو معروف .

وعلى ذكر الحديث فان تصرفه فيه يدل على الخبرة والمهارة بخلاف ما قالوا عنه من أن الدراية اغلب عليه من الرواية كما سبق ، فنجده يدقق في روايات حديث السجود على الجبهة والانف حتى يذكر انفراد أحدهما بذكر الجبهة فقط مؤيدا بذلك مالك ، ومستدركا على الحافظ ابى عمر بن عبد البر الذي اقتصر على روايات الجبهة والانف معا (3) . وكذلك نجده يرد على ابن عبد البر في تضعيفه لأحد الاحاديث بانه وارد في صحيح مسلم (4) ، وهذا مع العلم بأن كتاب الاستذكار لابن عبد البر هو مصدره الاول في تحقيق المذاهب ونسبتها الى اربابها (5) . وقد يبحث في الحديث الثابت من جهة المعنى اعتبارا بالحديث الضعيف (6) وذلك صيرورة منه الى نقد المتن بعد صحة السند . والامثلة على مشاركته في علم الحديث واخذه به ، غير هذه كثيرة فلا نطيل بها .

وينتفع ابن رشد بمعلوماته الطبية والطبيعية والفلكية في الترجيح والاختيار للاقوال والمذاهب ، وبناء الفقه على النظر العلمي الصحيح وذلك كما في تعقيبه على اختلاف الفقهاء في استمرار العادة الشهرية مع الحمل عند النساء حيث قال : « وسبب اختلافهم في ذلك هو الوقوف على ذلك بالتجربة واختلاط الامرين ، فانه مرة يكون الدم الذي تراه الحامل دم حيض ، وذلك اذا كانت قوة المراة وافرة والجنين صغيرا ، وبذلك امكن أن يكون حمل على حمل على ما حكاه بقراط وجالينوس وسائر الاطباء» الى آخره (7)

وكتعليله لاختلافهم في نجاسة عظام الميتة وشعرها بأن مرجعه الى فقد الحس والنمو ، فمن قال ببقائهما فيهما لم يحكم بالنجاسة (8) ، وكرره على قول الخليل بن احمد في الشفق بأنه لا يثبت بالقياس والتجربة (9) ، وكقوله في مسألة تعجيل دفن الميت ان ذلك في غير المرضى بأمراض مخصوصة حتى لقد قال الاطباء ان المسكوتين لا ينبغي ان يدفنوا الا بعد ثلاث (10)، وهكذا افادنا الحكم ، وكلمة المسكوتين اي الموتى بالسكتة القلبية .

ومسائله من هذا الباب كثيرة ، وتقدم منها قوله في نجاسة الأرواث . ومن الجدير بالذكر انه يرى العمل بالحساب لاثبات اهلال الشهر ، ويقول ان سبب اختلاف العلماء في ذلك هو ترك اعتبار التجربة فيما سبيله التجربة والرجوع الى الاخبار في ذلك . وأورد حديث صوموا لرؤية الهلال وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاقدروا له، وقال ان الجمهور اول قوله فاقدروا له بما ورد في رواية أخرى فاكملوا العدة ثلاثين ، وغيرهم يقول ان معنى التقدير لههو عده بالحساب(11)

واحسب أن هذه النظرة القصيرة قد أعطتنا من سمات فقه الرجل ما يجعلنا على علم بعلو مكانته بين الفقهاء وانه صاحب نظر واستدلال الى كونه صاحب نقد ورواية ، وانه ينحو منحى التيسير والتسهيل اخذا بمبدأ الشريعة السمحة في نفي الحرج وترك التشديد ، وانه ان لم يكن صاحب مدرسة في الفقه، فانما ذلك لتحرجه من أن يزيد في طين الخلاف بلة ، والا فهو قادر على ان يجتهد كاجتهاد جده في دائرة المذهب، واجتهاد غيره من الفقهاء الكبار ، وتركه لذلك مما يدل على قوة تدينه وشدة تمسكه باتباع السلف والقدوة الحسنة .

---

1) البداية ج 1 ، ص 59 .
2) البداية ج 1 ص 47 و 61 .
3) البداية ج 1 ، ص 139 .
4) البداية ج 1 ، ص 212 .
5) البداية ج 1 ، ص 88 .
6) البداية ج 1 ، ص 131 .
7) البداية ج 1 ، ص 53 .
8) البداية ج 1 ، ص 78 .
9) البداية ج 1 ، ص 96 .
10) البداية ج 1 ، ص 226 .
11) البداية ج 1 ، ص 284 .

بحيث لم يدع لقائل ما يقول فى هذا الباب اعتراضا على هذا المذهب او ذاك واستشكالا لمدرك حكم واستنباط فقه لم يرد فيه نص او اضطربت الرواية المتعلقة به .

وهكذا اثبت ابن رشد انه لم يكن ضالعا مع الموحدين فى موقفهم من مذهب الامام مالك ، وان شخصيته الفقهية كانت فوق المساومة ، وانه سواء اطلع على مناقشة الخليفة للفقيه ابن الجد أو لم يطلع عليها ، لم يهب ان يتصدى لرد ما كان الخلفاء الموحدون ومن على رايهم يوردونه على الفقهاء ويطعنون به في المذهب ، وشرح ما خفى عليهم من ذلك ، والدفاع عن ائمة الدين وعلماء الملة بعلم وتجرد تام .

واذا كنا قد سجلنا عدم نجاح الحملة الموحدية على الفقه المالكي ، فاننا لا ننكر تاثر هذا الفقه وحملته على الرغم من ثباتهم بروح الدعوة الموحدية القائلة بالرجوع الى الاصول واستنباط الاحكام من الكتاب والسنة فان الفقهاء فى هذا المجال قد راجعوا خطتهم واخذوا بطريقة وسط بين الاعتماد على اقوال مقلديهم (بفتح اللام) فقط والاجتهاد المطلق ، وصاروا يتلمسون مدارك الاحكام ومآخذ الاقوال التي تنسب لرجال المذهب من مصدريها العظيمين الكتاب والسنة ، ويوجهونها ويصححون مستندها ان لم يكن ردا على الخصوم فطلبا للاطمئنان حتى لا يتشوف احد الى ما وراء ذلك او تعلق بذهنه شبهة من الشبهات .

وازعم أن ابن رشد فضلا عن تأثره كغيره من الفقهاء بهذه الروح ، كان ايضا متأثرا بثقافته المنطقية ومرانه على الجدل ، فى مقارنته للمذاهب وتخريجه للاقوال ، ولعل ذلك هو ما منعه ان يكون متعصبا لهذا المذهب او ذاك ، فانه يناقش كل خلاف بروح رياضية نزيهة ، واذا رجح فقها على فقه فانه لا يبدي اي تنطع فى ذلك كما هي عادة فقهاء المذاهب ، والغالب ان يرى الخلافات المذهبية ناشئة من يسر الشريعة ومرونة قواعدها ، فيجعلك تشعر بالاطمئنان لكل المذاهب وتلاشي الخلاف فيما بينها تلاشي الضباب بفعل أشعة الشمس .

ولا يعني هذا تنازله عن مالكيته وعدم قيامه بفقه المذهب كما يطلب من أحد اقطابه ، كلا فانه أول ما يذكر مذهب امامه، ويزيد بذكر اقوال اعلامه المشهورين التي خالفوا فيها الامام ومداركها ولا يقول فى مسألة من المسائل انه لا يعرف حكمها فى المذهب كما يقول ذلك أحيانا فيما يتعلق ببعض المذاهب الاخرى ، مما يدل على تمكنه من معرفة مذهبه وتضلعه فى فقهه .

وهو ياخذ على المذهب مخالفته للاصول فى بعض المسائل وربما يعلل ذلك بعدم بلوغ النص الى الامام او عدم صحته عنده . وكثيرا ما يلاحظ مخالفة المذهب للقواعد التي بنى عليها واتخذها أساسا للحكم وله في العمل الذي هو اصل من اصول مذهب الامام مالك أعني عمل أهل المدينة كلام ضمنه كتابه فى أصول الفقه (1) ولعله هو الذي لخصه فى كتاب بداية المجتهد عند الكلام على جمع الصلاة ورايه فيه وسط يقبل ويرد بحسب المقامات (2) .

فنرى من هذا انه لم يتخل عن مذهب الامام مالك وانه كان ياخذ بفقهه ويلتزم باجتهاده مع ما كان عليه من تسامح وسعة افق، واكثر من ذلك انه لم يحاول ان يجعل له رايا مخالفا لفقهاء المذهب ، ويوجد مدرسة جديدة فيه كما فعل جده ، ادركنا ذلك بالتتبع لكلامه، ورايناه يصرح به فى كتابه بداية المجتهد ، اثناء استعراضه الخلاف فى نجاسة الاروات حين يقول :

« ولولا انه لا يجوز احداث قول لم يتقدم اليه احد فى المشهور ، وان كانت مسألة فيها خلاف ، لقيل ان ما ينتن منها ويستقذر بخلاف ما لا ينتن ولا يستقذر ، وبخاصة ما كان منها رائحته حسنة لاتفاقهم على اباحة العنبر ، وهو عند اكثر الناس فضلة من فضلات حيوان البحر ، وكذلك المسك ، وهو فضلة دم الحيوان الذي يوجد المسك فيه فيما يذكر » . (3)

وهذه ملاحظة صائبة منه وهي حرية ان تكون قولا راجحا فى المسألة لولا انه كما راينا يتحرج من احداث قول لم يسبق اليه .

وبالطبع انتقد ابن رشد المذاهب الاخرى فى عدة مسائل . والزم أصحابها بمخالفتهم للقواعد التي أعتمدوها كلما وقعت منهم هذه المخالفة ، وهو يعتني بذكر مذهب الظاهرية ولا يذكر امامه داود بل يقتصر على ذكر ابن حزم ، لا ادري اذلك للاعتزاز بأندلسيته ام للاعتداد بقول العلماء لولا ابن حزم لما ذكر داود والجمهور عنده انما يعني الائمة الثلاثة : مالك

---

1) ذكره فى بداية المجتهد ج 1 ، ص 102 .
2) البداية ج 1 ، ص 174 .
3) البداية ج 1 ، ص 81 .

من صميم الاوضاع الاسلامية المعاصرة :

بين حالة التخلف الديني وحالة التخلف العام في العالم الاسلامي

للأستاذ : المهدي البرجالي

المسلمون – فى عمومهم – واقعون فى منطقة التخلف بالعالم ، منطقة العالم الثالث التي يعد سعيها الى محاربة التخلف وتصفيته من اهم قضايا العصر ، واكثرها تاثيرا على عالم المستقبل . والمراقب العادي فى اوربا وسواها ، تجد عادة لديه بذور تفكير يوحي بامكانية وجود صلة موضوعية بين هذا التخلف الشديد الذي عليه المسلمون ، والصفة الاسلامية التي هم بها متميزون . ومن الضرورات التي تفرض نفسها ان نعمل على ازالة هذا الوهم الذي يحدد نظرة كثير من الاجانب الى الاسلام والمسلمين .

صلة الاسلام بمختلف المجتمعات التي تنتسب اليه ، أو تقدمها على الصعيد الاجتماعي والفكري والاقتصادي وغيره . هذه الصلة تشكل موضوعا هو من المواضيع التي تتناقض فيها وجهات التصور عند الكثيرين سواء من المسلمين او من غيرهم . وكل ينظر اليها من زاوية تتناقض تماما الزاوية التي ينظر منها الآخر ؛ ووجهات الراي هاته ، هي اولا وجهة نظر الغيارى على الاسلام ، وهؤلاء يرددون فى العادة ان سبب ما احاط بالمجتمعات الاسلامية من تدهور عام وتخلف ملحوظ فى شتى الميادين ليس له من سبب آخر ، الا تنكبهم طريق دينهم ، وعزوفهم عن احتذاء هديه ، عكس ما كان عليه امر المسلمين الاول ، الذين كانوا لدينهم من المتبعين ، فنالوا من ذلك ان تمكنوا من اقامة مجتمع فاضل ، وبنوا حضارة لامعة الآفاق ، وتولوا خلال فترة طويلة من الدهر ، الاخذ بمقاليد العلم والاخلاق والمدنية والقوة والمنعة ، فى كل جنبات العالم المعروف فى عهدهم ؛ هذه نظرية يؤكدها عدد من المسلمين الذين يتعرضون من جانب او آخر الى موضوع التخلف فى البلدان الاسلامية محاولين بذلك ايجاد تعليل له يربط اسباب التخلف المادي بالتخلف الروحي فى هذه المجتمعات المنتسبة الى الاسلام ؛ ومن ثم ، يخلصون فى الاخير الى الاستنتاج الطبيعي ، المرتبط بهذه النظرية ، والذاهب الى ان الحل يكمن فى حالة الرجوع الى ينابيع الدين الثرة المعطاء ، والاغتراف منها بما يكفي لاصلاح المسلمين دينا ودنيا .

وعلى النقيض من هذه النظرية ، نظريات أخرى ياخذ بها الكثيرون فى اوربا وغيرها ، وتذهب فى تحليلها الاخير – حول الاسلام والدين عموما – الى استنتاجات فحواها ان علة تأخر المسلمين ، يكمن فى عزلتهم الفكرية عن العالم ، وانطوائهم على روح غيبية تواكلية استسلامية ، لا مخرج لهم من تاثيرها الا بمراجعتهم لمواقفهم الاعتقادية من الاساس ، وتخلصهم

وذلك كله مع سعة الصدر وعدم التنطع كما نبهنا عليه سابقا . ويعجبني كلامه فى مناقشة مذهب من يقول بكفر تارك الصلاة اعتمادا على ظاهر الاحاديث الواردة فى ذلك ، فهو يخرجها على ان المراد من يتركها متعمدا مستحلا لذلك ، ومع ذلك فهو لا يرى قتله كفرا ولا حدا ، لانه لا يحل دمه الا باحدى الثلاث المنصوص عليها فى الشرع ، وهذه ليست منها . واما مجرد الترك فلا يكون صاحبه كافرا الا باحدى الثلاث المنصوص عليها فى الشرع ، وهذه ليست منها . واما مجرد الترك فلا يكون صاحبه كافرا الا على مذهب من يكفر بالذنوب يعني المعتزلة ، وهو قول لا يأخذ به اهل السنة . وهذه خلاصة كلامه ، ولولا طوله لنقلته فلينظر فى محله (1) .

مع هذه اللمحة عن فقه ابن رشد وثقافته القانونية ، ينبغي ان تذكر فلسفته الالهية وموقفه من الشريعة بعامة ، فان لهما علاقة متينة بالايمان والفكرة الدينية فى الاسلام . وكتاباه فى هذا الفرض وهما فصل المقال ، فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، والكشف عن مناهج الادلة ، فى عقائد الملة ، اشهر من ان يعرف بهما ، وعليهما وعلى كتابه تهافت التهافت قامت شهرته كفيلسوف اسلامي عظيم ، وفق لاول مرة وبنجاح كبير بين اغراض الفلسفة والدين ، ورد على القائلين بتناقضهما واثبت فكرا وعملا بسيرته التي لا يتطرق اليها الشك ان الفيلسوف يمكن ان يكون مؤمنا صادقا ومتمسكا بقواعد دينه لحد ان يصير قدوة فيه .

وهذا المقصد الذي انعم درسا وقتل بحثا ليس من موضوع كلمتنا هذه . ولكنه ينطوي على موقف نعتبره من تتمة الكلام على فقه ابن رشد وامامته الدينية وهو معارضته لدعوة الموحدين فى اتجاهها العقدي كمعارضته لها فى اتجاهها الفقهي ، ونحب ان نشير له باختصار توفية لحق الموضوع .

والحقيقة انه ليس معارضة بمعنى الكلمة ، ولكنه يؤول اليها ، فان التصدي للرد على الغزالي ونقد كتابه التهافت مع ما كان له من مقام عظيم فى نفوس الموحدين واعتباره الاذن لزعيمهم المهدي بن تومرت بالقيام على المرابطين مع ما يدعى له من القراءة عليه والاخذ عنه ، لا يمكن ان يعد الا استمرارا للحرب التي شنها الفقهاء على الغزالي وكتبه فى الدولة السابقة . وليس ذلك مما يرضى عنه الموحدون والمتعصبون للغزالي على العموم .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان نقد ابن رشد للاشاعرة فى قضية المتشابه ودليل الوجود وغيرهما ومذهبهم هو مذهب الموحدين فى العقيدة على ما قدمناه، دعوا اليه والزموا الناس به وحاربوا المرابطين عليه هو ايضا من المجازفة فى الخلاف على الدولة ، ويعتبر شجاعة ادبية يقل لها النظير فى عصره .

ولعل ذلك مما وطد سمعته العلمية ، ورفع مقامه الديني عند الناس ، وان كان من الوجهة السياسية لا بد ان يخلف اثرا فى نفوس رجال الدولة ، ويحسب له فى المخالفات التي اخذت عليه عند امتحانه.

المهم ان الرجل كان يوجه ولا يوجه ، وكان اماما فى الفقه ، كما كان اماما فى الفلسفة ، واذا قلنا اماما في الفقه فان ذلك يعني اماما فى الدين ، لان الفقه فى الاسلام من الدين ، وكانت له غيرة على الحكمة والشريعة معا هي التي جعلته طول حياته يقف موقف الدفاع عنهما وذلك هو سر عظمته رحمه الله .

طنجة : عبد الله كنون

---

1) البداية ج 1 ، ص 91 .

الى اي حد يجب ان نذهب في الربط بين التخلف الدنيوي عند المسلمين ، والتخلف الديني ، المتسمون بـه كذلك ؟ وهل يعتمد هذا الربط ، اذا ذهبنا اليـه ، على اسس موضوعية وذات تاثير جـدي ؟ هنالك في الموضوع ملاحظات ، لابد من مراعاتها ، قبل كل شيء ، ومما تدل عليه يمكن للمرء ان يستخرج عـددا مـن الحقائق التي قد تفسر الحالة المتساءل عنها ، وتعللهـا ان كان الحال يقتضي تعليلا وهذه الملاحظات هـي (1) ان حالة التخلف الدنيوي لا تختص بالمسلميـن دون غيرهم ، بل تشمل مجتمعات كثيرة تتوزعها ثلاثة ديانات اساسية ، وهي الاسلام والبوذية والهندوسية؛ وبعض هذه الاقطـار المتخلفـة تنتسب اساسا الى المسيحية ، اي تنتسب الى ديانة العالـم الاوربـي والامريكي المتقدم ، فهل اخرجها ذلك من اطار العالم الثالث (الحبشة مثلا) ؟ (2) بعض الشعوب المتخلفـة تعتنق كتل منها تصغر او تكبر الديانة المسيحيـة على مذاهبها المختلفة ، وهذه الكتل ترتبط هكـذا مـن جهتين ، من جهة الدين تنتسب الى ديانة العالم المتقدم الذي تسوده المسيحية بدرجة اولى ، ومن جهة الحالة الاجتماعية والاقتصادية ، فان هذه الكتل المشار اليها تعد بتخلفها ، وفقرها وجهلها جزءا عاديا من المجتمـع الذي ترتبط به اساسا ، اي المجتمع المتخلف ؛ وبهـذا نجد بكل بساطة ان انتسابهـا الى ديانـة المتقدميـن صناعيا واجتماعيا لم يؤثر اطلاقا على وضعيتها الدنيوية المتخلفة ، مثل ما هو الامـر — حذوك النعل بالنعل — بالقياس للمواطنين المسلمين الذين ينتمون الى نفـس القومية التي ينتمي اليها هؤلاء المسيحيون الشرقيون والافريقيون . (3) يلاحظ ان خريطة التقدم والتخلف في العالم ، يكاد يتحكم فيهـا — مظهريا — العامـل الجغرافي اكثر من غيـره ؛ ذلك اننـا اذا لم نستطـع استعمال مقياس الفوارق الدينية ، لتصنيف مناطق التخلف والتقدم في العالـم ، على اساس ان هنالـك تداخلا مفترضا بين احوال التخلف ومختلف الديانات الموجودة ، بحيث انك تجد مثلا دينا « متقدما » هـو دين لمجتمعات متقدمة ودينا «متخلفا » هو دين جماعات متخلفة — اذا لم نستطع استعمال هـذا القيـاس ، مقياس الدين في هذا المجال ، فان هنالك مقياسا آخر ، هو القياس الجغرافي الذي قد يظهر للبعض ، انه كاف لتصنيف اوضاع التقدم والتخلف في العالم ، واستخراج التعليلات التي تساعد على اثبـات هـذا التصنيف والاستشهاد له ؛ فالتقدم الحديث يكاد تنحصر منطقته في هذا الشريط الارضي الممتد شمالا على طول العالـم الجديد ، الى الشمال ايضا ، عند شرقي اوربا ، وقد تمتد منطقة التقدم هذه اكثر ، لتشمـل في بعـض الاعتبارات ، شمال آسيا التابع للسوفييت وتتوقـف عند حدود اليابان ، شمال الكرة الارضية ايضا ؛ اما المناطق الجنوبية الارضية : افريقيا بكاملها ، والمناطق الآهلة باسيا ، واكثرها جنوبي الموقع ، هـذه المناطق تعتبر — بحق — مناطق التخلف بالعالم ، وكما نلاحظ ، فهذا التصنيف يرتبط بالاعتبارات الجغرافية ، وليس للعوامل الدينية فيه دخل ما ؛ ولا يعني قولنا هذا ايضا ان الاوضاع الجغرافية تصلـح كمقياس صحيـح ، لترتيب احوال التخلف والتقدم في العالـم ، وان كان البعض ياخذون بهذا الراي ، ذاهبين به احيانا مذاهب شتى في الاستنتاج ، والحكم على الاشياء ؛ اننا لانبتغي هنا تعليل وجود التخلف او التقدم من ناحية جغرافية او غيرها ؛ لان التخلف والتقدم هما في الواقع حالتان معقدتان من حيث الاصول التي ترجعان اليها ، والعوامل التاريخية والاجتماعية والعقلية ، التي ساهمت فـي وجودهما ، بمـا جعل العالم هكذا منقسما الى عالم متقدم وآخر متأخر ، وفي بداية طريقـه الى النمـو والتطور . اما القضية التي تاخذ بوجهة النظر بالنسبة لموضوعنا هذا ، فهي — كمـا اسلفنا — علاقـة الدين بوجود التخلف ، كمـا قـد يحاول البعض ان يربط بينهما ؛ وقد راينا من استعراض بعض الملاحظات بهذا الصدد ان هذه العلاقة ليست علاقـة موضوعيـة بالضرورة . وليس من مبرر واقعي — حسب الامثلـة التي سقناها — يبرر الاعتقاد بوجود هذه العلاقـة او اثباتها بصورة من الصور ، اما المبرر النظري ، فيبـدو اكثر استحالة ، اذا عرضنا موضوع التخلف على اساس النظر الديني السليم ؛ فالفكرة الاسلامية لا تنـاويء عمليات التطوير الاقتصادي والفكـري والاجتماعـي — وهذه اسس العمـل الانمائي في اي قطر وفي اي ظرف — نقول : الفكرة الاسلامية لا تناويء مثل هـذه العمليات اطلاقا ؛ بل تلح عليهـا بشدة ، الا اذا كـان مفهوم التطوير ممتزجـا بمعطيات ضارة بطبيعتهـا باسس الاخلاق الاجتماعية او التوازن الاجتماعـي ، فحينئذ قد تتعرض الفكرة الدينية بالنقد لنـوع من التطور على هذا المستوى ، وليس هـذا من قبيـل التسبب في خلق التخلف ، الا اذا وضعنا لحالة التقدم، صورة واحدة دائمة يعد الخروج عنها بأية صورة مدعاة الى التخلف ، وطبعـا ، فهذا افتراض فاسد مـن اساسه ؛ اذ ان المهم في امر التقدم او التخلف ليس هو التزام صورة معينة من الصور ، لا يجوز الخروج عنها الى صورة اخرى ؛ ان اي مجتمـع ، المجتمع الـذي ينجح في اعطاء فرص العلم والغذاء والاطمئنان لافراده

من كثير من التقاليد الاعتقادية التي تقعد بهم عن مجاراة تيار الحياة السائر المتطور . وهذه النظرية – كما نرى – تناقض تماما – وبصورة متوازية – فكرة تعليل تخلف المسلمين ، بما يظهر عليهم من تنكب سبيل الدين السوي فهي – تقوم على اعتبار معاكس ، يذهب الى تعليل تأخر المسلمين بما يبدو عليهم من تمسك بتقاليد عقائدية ، قوامها الروح والعالم ما وراء المادي؛ ومع ذلك ، فان الذاهبين هذا المذهب ، فى تقييم الاحوال الاسلامية من الاوربيين وغيرهم ، لاينطلقون فى الواقع من نقطة واحدة ، فمنهم الآخذون بالجدلية العادية التاريخية ، وهؤلاء لا ينحصر تقديرهم للقضية فى اطار الاسلام وحده ، او ينظرون الى الامر من زاوية الاوضاع الاسلامية بمفردها ، بل هم يضعون القضية على اوسع نطاق توضع فيه ، معتبرين ان الفكرة الدينية عموما – وبصرف النظر عن دين معين – من شانها ان تحول دون الانطلاق الى آفاق التحرر العقلي والاجتماعي والاقتصادي والعلمي الذي يجب ان يكون سبيل انسانية عقلانية وعلمانية ومتقدمة ؛ وليس لازما فى موضوعنا هذا ، النظر فى الامر مع هؤلاء الآخذين بالنظرية المادية التاريخية ؛ لان القضية تتخذ فى اعتبارهم صبغة اعم من موضوع تخلف المسلمين ، ماديا وروحيا ؛ والنظرية عندهم نظرية كلية ، لها جانب سلبي كاي ، يقوم على رفض العقائديات الروحية اطلاقا ، ودون تقييد الراي بقرينة ما او اخضاعه لشرط او ظرف او غيره ؛ كما ان للقضية عندهم كذلك جانبا تعويضيا كليا هو الآخر ، يعرض بديلا شاملا للعقائديات المرفوضة ، ويعرض هذا البديل على انه ذو كفاية تامة لاستيعاب مختلف الجوانب التي تعني الانسان فى حياته ، وانه بذلك يغني عن غيره . فليس بعده من حاجة عقائدية تدعو المرء لهذا وذاك من العقائد ، ومن ثم ، فلا ضرورة للنظر فى الامر – مع الجدليين الماديين حيث ان البون شاسع بينهم وبين الفكرة الما وراء مادية مبدئيا ؛ لكن يتبقى مع هذا ، النظر فى الراي الذي يتخذه حول موضوع الاسلام والتقدم ، بعض ذوي الراي الثقافي والفكري باوربا سواء من المعاصرين او غيرهم ؛ ان الفرق بين مثل هؤلاء وغيرهم ، انهم ليسوا ماديين بالضرورة ولا ملحدين كذلك بالضرورة ؛ فقد يوجد من بينهم من يقيم لمسيحيته اعتبارا يقل او يكثر ؛ لكن الراي الذي يعبرون عنه حول احوال المسلمين وعقيدتهم ، يقوم – كما تقدم – على القول بان هناك صلة ما بين اسلامية المسلمين ، وما يسود حياتهم من تخلف وزراية ؛ وليس ضرورة ان يكون هؤلاء متعصبون ضد الاسلام ، وان كان هؤلاء المتعصبون كثيرين ؛ فثمت جهل بعضهم بحقيقة الروح الاسلامية ، واغترارهم ببعض الظواهر السطحية فى حياة المسلمين يخلصون منها الى تكوين استنتاجات خطيرة مبتسرة – لهذه الحالة من الجهل تاثير كبير فى تكييف نظرة مثل هؤلاء الى الموضوع وصياغة رايهم فيه ، لكن هناك اخيرا من بين هؤلاء الاجانب كذلك من له فى الموضوع نظرة اكثر موضوعية، وادل على اطلاع اعمق حول الموضوع ؛ ان مثل هؤلاء يبدو عليهم انهم يستطيعون التمييز فى موضوع الاسلام والتقدم – بين تخلف المسلمين على حدة ، والعقيدة التي ينتسب اليها المسلمون على حدة كذلك؛ وفى امكان مثل هؤلاء ، ان ينظروا الى حالة تخلف المسلمين على انها حالة منفصلة عن الاسلام ، وان القيم الاسلامية ليست مسؤولة عن وجود هذا التخلف ، بل توجد هي نفسها ضحية لهذا التخلف الذي حمل المسلمين على تحريفها ، وتجريدها من محتوياتها الايجابية واخضاعها لمفعول الجهل والعقد النفسية التي يزخر بها المجتمع الاسلامي عموما فى المشرق والمغرب ؛ واذا كان هناك من بين الاجانب عن الاسلام من ينظر الى الموضوع هذه النظرة الاكثر تدقيقا ، والاكثر انطباقا على واقع الحال ، فانهم يلتقون بهذا – على نحو ما – مع الآراء التي ياخذ بها السلفيون من المسلمين المعاصرين ، الذين يرون ان الاسلام يكاد يكون الضحية الكبرى لما هو متغلغل فى المسلمين من مظاهر التخريف والتهافت الفكري الذي يسببه التخلف العام ، فى مجتمع من المجتمع ، والذي تغذي آثاره السيئة مسالك المخرفين والمشعوذين والمتقولين على الاسلام . ممن لاتحذوهم روح تثبت ديني ، او وازع علمي . فاذا بهم يقحمون على روح الاسلام ما ليس منها ، ويضاعفون من عوامل التخريفية التي تفسد النظرة الصائبة على عموم الناس فى المجتمع المتخلف ؛ وتجعل الاحوال الدينية شديدة الامتزاج بحالة التخلف العام الموجودة فى مثل هذا المجتمع ؛ والاستنتاج الذي تنتهي اليه الفكرة السلفية بهذا الخصوص هو ظاهر من سياق المقدمة التي ينطلق منها السلفيون ؛ يتلخص هذا الاستنتاج فى وجوب تطهير عقول الناس من التاثير الخرافي الذي تخلفه مؤثرات الشعوذة الدينية ، والجهل بروح الاسلام ومقاصده العامة ، وهذا التطهير كفيل برد عموم الناس الى المورد الصافي للاسلام ، ويسهل بعد كل هذا تنقية عقول الناس من الجوانب الاخرى التي يظهر فيها اثر التخلف كالجوانب الاجتماعية والاقتصادية وما فى حكمها .

ما يعلل الظواهر الملاحظة بصدد ما نحن فيه ــ تعليلا اكثر واقعية وموضوعية ؛ وليس الذي يعني فى هذا المضمار المفاضلة بين التعليلات ، بقدر ما يعنينا اكثر ، التوصل الى حقيقة منطقية واكثر انطباقا على طبيعة الحالة الموجودة ؛ وطبعا ، فان التوصل الى هذه الحقيقة ، لا يتم بمجرد انكار القول بأن الدين كان علة تاريخية فى حدوث التخلف فى العالم الاسلامي المتخلف ؛ انما هناك نقطة اكثر اهمية بهذا الشأن ، وتتعلق بالمستقبل ، وهذه النقطة هي : بصرف النظر عن الترابط ــ تاريخيا ــ بين الدين والتخلف ، فما ذا عن المستقبل ؟

ان المسلمين يدخلون الآن عصر التقنولوجيا ، بكل ابعاده المتشابكة ، فهل عليهم ان يتخففوا شيئا من تراثهم الديني لكي يستطيعوا مسايرة العصر وما يقتضيه من تطور عقلي وعملي بعيد المدى بقدر كبير ؟ وبعبارة اخرى : اذا كان المسلمون يسيرون كبقية شعوب العالم الثالث فى طريق التطور والانماء ، فهل يقف الدين بالنسبة اليهم كعبء يتحملونه فى مسيرتهم الطويلة هذه ؟ وهل القيم الدينية فى هذه الحالة شيء زائد لا يفيد فى شيء ؟

ان الصفة الاسلامية للشعوب المتخلفة فى العالم الاسلامي ، تفرض هنا اقامة بعض الفروق فى البحث بين المسلمين وغير المسلمين . ان المسلمين المتخلفين، يعانون حقيقة من حالتين مزدوجتين من التخلف التخلف فى النطاق العقائدي الديني ، والتخلف العام فى مضمار الحياة الاقتصادية وغيرها ، هاتان الحالتان من التخلف قد نربط بينهما ــ تاريخيا ــ فنتصور امكانية ان يكون احدهما علة فى وجود الآخر ، ولكن ليس هناك ــ كما اسلفنا ــ ما يسند القول ان الفكرة الدينية ــ بصورتها السليمة ــ كانت علة وجود التخلف العام عند المسلمين ، بل العكس هو الصحيح ، لا نؤكد هذا بدافع التعصب الديني ، ولكنها حقيقة علمية تاريخية ملحوظة ، تظهر دلائلها من فحص التطورات البطيئة التي ادت الى نشوء حالة التخلف فى المجتمعات الاسلامية خلال القرون السبعة الماضية ؛ اما وجه التشارك بين الدين والدنيا فى موضوع محاربة التخلف وسعي المجتمعات الاسلامية من اجل تطوير نفسها بنفسها ، فيظهر ذلك فى كون هذه المجتمعات عليها واجب العمل التطويري من هذا القبيل ، فى كلا الميدانين: الديني وما يرتبط به من ملابسات عقلية وغيرها ، ثم ميدان الحياة المادية ، وما يتصل به من موضوعات اقتصادية وسواها ؛ ان التخلف عند المسلمين ذا صفة شاملة ومتشعبة ، وبالاستنتاج من ذلك ، فان عملية التطوير المستهدفة تصفية هذا التخلف ، لابد ان تكون ــ بالضرورة ــ على نفس الدرجة من الشمول والتشعب ، فهل يمكن ان يفهم من هذا ان مهمة محاربة التخلف عند المسلمين اشد منها صعوبة عند غيرهم ؟ باعتبار ان هناك حالة ازدواج تخلفي عند المجتمعات الاسلامية ، تقتضي ــ بالنتيجة ــ بذل مجهود مزدوج ايضا لامكانية تصفية هذا التخلف المزدوج ؟ ربما يظهر داع للاستنتاج على هذا النحو عند بعض الناس ، الذين قد يرون الامر من زاوية نظر غير مرنة ؛ لكن هل توجد القضية بالضرورة على هذه الصورة دون غيرها ، فلنحاول اذن ان نعيد النظر فى الامر من هذا الجانب بالاخص ، فماذا نرى حينئذ ؟ ولكي نرى شيئا يجب ان نلقي على انفسنا هذا السؤال : هل من اللازم أن يكون بين التخلف الديني ، والتخلف الدنيوي ، فارق في الجوهر والاساس حتى نعتبرهما ــ كما قد يظن ــ حالتين منفصلتين تماما ، تحتاج كل حالة الى مجهود خاص لمعالجتها ؟ وهل من ضرورة لوجود فارق من هذا المعنى بين الحالتين : حالة التخلف الديني ، وحالة التخلف الدنيوي ؟ ان الحقيقة التي لابد ان تتبين لنا من التأمل فى الموضوع ، هي أن حالة التخلف ، ليس من الضروري احيانا ان تكون حالة واحدة ، وان كانت لها عوامل متعددة ، واوجه وصور مختلفة ، فالتخلف هو التخلف ، ينعكس ــ كما اسلفنا ــ على صعيد الحياة الدينية ، مثلما ينعكس على صعيد الحياة الدنيوية سواء بسواء ، فالتخلف الناشيء عن الانحراف فى فهم روح الدين وموجباته الصحيحة ، يرتبط ارتباطا صميما بحالة التخلف الفكري العام، الناشيء عن انتشار الامية وعواقبها كسيطرة الخرافات والمواضعات غير المعقولة وغير ذلك كثير ؛ وهذا التخلف الفكري ، يتاثرفى كثير من الحالات ــ ان لم يكن فى كل الحالات ــ بحالة التخلف الاجتماعي ، وهذا متأثر بدوره بحالة التخلف الاقتصادي وهلم جرا ؛ ومن ثم ، فان الذي يظهر ، ان محاربة التخلف فى ميدان ما من الميادين العديدة التي يتحقق فيها التخلف ، من شأنه أن يؤدي ــ بالنتيجة الى اضعاف حالة التخلف بمجموع عناصرها المتعددة ، مادية ومعنوية ، وذلك بمقادير نسبية تتفق مع قيمة الجهد المبذول فى هذا السبيل ؛ حقا ، ان الاعمال المناوئة للتخلف تختلف فيما بينها ، بحسب التخلف القائم والصبغة التي يكتسيها ، فتجد مثلا اعمال انماء اقتصادي لتصفية حالة التخلف

بمجموعهم ، وبدون استثناء ، فيعد المجتمع بذلك مجتمعا متقدما ، خصوصا اذا كان ما يوفره لافراده من حاجيات آت من موارده هو ، ومن طاقته وانتاجه ، مضافا الى هذا ، وجود هذا المجتمع ، كعامل ابداع وانتاج وتفتح ، تفيد منه المجتمعات الاخرى الاقل منه تقدما ؛ ومثل هذه الحالة التي يتميز بها المجتمع المتقدم ، لا يهم فى شانها غالبا الا النتيجة ، فهي التي ينعكس عليها مظهر التقدم ، اما الوسيلة فهي تختلف بحسب النظريات السائدة فى المجتمعات ، والمناهج المختلفة التي يحتذيها هذا المجتمع والآخر ؛ والفكرة الاسلامية تتركز عنايتها فى النتيجة والوسيلة معا ؛ فهي اذ تعير اهتمامها لضرورة الحصول على التقدم ، تبدي حرصها فى نفس الوقت على سلامة الطرق والوسائل المؤدية الى هذا التقدم ، هذه الوسائل والطرق التي يجب ان تكون سليمة — بحسب المفهوم الاخلاقي والاجتماعي للسلامة — لكي يمكن ان تؤدي الى تقدم سليم ومعقول ومتوازن . ومن ثم ، يبدو ان ربط حالة التدين بحالة التخلف عند المجتمعات المتدينة المتخلفة ، مما لا يثبت امام المناقشة الموضوعية المحصة ، الا اذا كان المجادل فى مثل هذه المواضيع ، يرى الحقائق من زاوية ضيقة ، لايريد مبارحتها للنظر الى الاوجه الاخرى للحقيقة المتناقش فى شانها . ولا ينكر ان الظاهرة موجودة على مستوى العالم الاسلامي كله ، بل فى مختلف المناطق الارضية التي توسم بشدة التمسك بالمبدأ الديني ، كما لا ينكر كذلك ان ملاحظة هذه الظاهرة ليس مؤديا بالضرورة الحكم على الفكرة الدينية ، والاعتقاد بانها مسؤولة عما يلاحظ من تخلف فى المجتمعات المتدينة ، والا فمن الاصول البدهية المتعارف عليها فى مضمار الفكر العلمي ، ان ملاحظة الظاهرة التي تلوح — ولو مع التكرر — لا يصح ان تؤدي دائما الى تاسيس قاعدة نهائية او حتى اصدار حكم بات ، الا اذا وقع استقراء مختلف العلل الكامنة وراء الظاهرة ، والملابسات الممتزجة بها ، وثم كذلك استبعاد العناصر المضللة فى فهم الظاهرة وتاويلها ، وامكن الحصول على ادراك صحيح وخال من الملابسات المشككة فى شانها ، ووقع كذلك تجربة المثيلات لها ان كانت قابلة للتكرار ، وحينذاك فقط يمكن الجزم بشيء فى شأن تلك الظاهرة واعتبار ما يجوز ان يستنتج منها ، على انه امر بات وجازم ؛ فكيف يمكن اذن الجزم بهذه البساطة المتناهية فى امر معقد وشائك كموضوع الصلة بين التخلف والدين ، بينما التخلف هو — كما اسلفنا — عبارة عن حالة معقدة الاسباب تنشأ كنتيجة لتفاعل عدد من العوامل البطيئة ، ليس الدين واحدا منها ؛ وقد يعترض بالقول ، أليس من اهم العوامل فى وجود التخلف العامل العقلي ، وأليس الدين اقوى عامل عقلي مؤثر فى المجتمعات الاسلامية ؟ فكيف لا ينسب اليه وجود التخلف عند المسلمين ؟ ونفس القول ، يصدق على حالة المجتمعات الشرقية الاخرى غير الاسلامية ؟

ان ترديد قول من هذا القبيل ، يقتضي ان القائلين به قد فحصوا الفكرة الدينية من اساسها الاصلي غير المتاثر باية شائبة اخرى طارئة ، كما فحصوا جوهر العقلية المتخلفة عند المسلمين — ولنبق الموضوع منحصرا فيهم لا فى عموم المعتنقين للديانات الاخرى — وكان من نتيجة فحصهم للعقلية المتخلفة ، السائدة عند المسلمين انهم استقصوا مختلف العناصر المكونة لها ، والمسببة لطبيعتها المتخلفة ، ثم لم يجدوا عنصرا عقليا مؤثرا فى وجود التخلف عند المفحوصين الا العنصر الديني وما يتعلق به ! . مثل هذا النهج من تحليل الاشياء ، هو الذي يستطيع ان يجوز اطلاق احكام من هذا القبيل ، لكي لا تكون احكاما جزافية مبتسرة ؛ وتكون ذات تاصيل علمي قويم ؛ والملاحظ ان الذين يطلقون احكاما ترتبط بين الدين والتخلف فى المجتمعات الاسلامية ، تجدهم فى عدة احيان ، اما جزافيون في اطلاقاتهم هذه ، واما تنقصهم النزاهة العلمية الكافية التي تملي عليهم التزام التثبت والتحري خصوصا اذا كانوا قادرين عليه ؛ لكن هناك وجها من النظر فى الموضوع ، اشرنا اليه من قبل ، ويبدو اكثر تعبيرا عن الحقيقة القائمة ، وان كان البعض من يربطون الدين بالتخلف ، لا يلتفتون الى هذا الوجه ، ولا يعيرونه اعتبارا ؛ ذلك اننا اذا امعنا النظر فى ابعاد التخلف الموجود واوضاعه بالبلدان الاسلامية فلا شك اننا واجدون بكل بساطة ، ان الفكرة الدينية ، توجد هي نفسها ضحية التخلف الفكري المنتشر بين المسلمين ؛ ان القيم الدينية — وان كانت تظهر على صعيد المجتمعات الاسلامية ، موسومة بسمة التخلف ، فليست هي العامل المؤثر فى وجود الحالة ، وانما هي — ككثير غيرها من المقومات الحضارية الاصيلة عند المسلمين ، قد نالها من التخلف ما نالها ، فاذا هي نفسها متمظهرة بهذا المظهر المتخلف ، واذا هي صورة من عدة صور لا حصر لها تتضافر كلها على تشكيل الصورة الكبرى الشاملة ، لواقع التخلف فى العالم الاسلامي الراهن .

هذه نظرة الى الموضوع ، قد تعلل جانبا منه ولو تعليلا جزئيا ، وربما تكون أقرب الى الواقعية من غيرها ، مع امكانية ان يوجد غيرها من وجوه النظر

حياة الشهداء عند ربهم

﴿ وَلا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يرزقون... ﴾

للأستاذ محمد الطنجي

هذه الآية الكريمة تتلى فى القرآن العظيم مدى الدهر . وهي بشارة للموقنين ومزية للمجاهدين الخالدين . وحض وترغيب من رب العالمين على الاستماتة والاستشهاد فى سبيل الله ونشر الدين ، ذلك ان مبادىء الفضائل فى الوجود لا بد لها من انصار يعملون لحياتها فى المجتمع . وتمكينها فى نفوس اهله ، وان ايمان الشخص بالمبدا ليسمو بنفسه ، حتى يجعله يستلذ القتل والموت فى سبيله . ليحيى مبدؤه ، وتنتصر عقيدته . وهذا داب المومنين بالله سبحانه . وبعقيدة توحيده الخالدة فى سبيل نصرة الدين ، خصوصا وهم يوقنون بأن حياة الافراد محدودة بآجال لا تتعداها ، وان مبادىء الحق وشريعته حية خالدة . ويعتقدون أن بذل الحياة الفانية فى سبيل مبادىء الدين الخالدة هي غاية الايمان بها ، وشرف عظيم لمن يجود بالنفس فى سبيلها سواء عند الله كما اخبرت الآية الكريمة أو عند الناس بالذكر الجليل ، والوفاء والثناء الجزيل « والجود بالنفس اقصى غاية الجود » كما يقول الشاعر العربي .

ومن المعلوم ان عوامل الخير والشر تنتاب المجتمع البشري فى مختلف الازمان ، واذا كان للباطل والشر أشياعه واحباره ، فللحق والايمان العظيم اعوانه وانصاره . ولهذا قد تكون الحرب سجالا بين الكافرين المبطلين والمومنين المحقين ، فيكون الانتصار والانكسار ، تحقيقا للابتلاء والامتحان ، ولكن العاقبة للمتقين ، « ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا » ، كما تذكر الآية ، وعليه فان انتصار غزوة بدر الكبرى الحاسمة فى تمكين الاسلام بعد ضعفه وبدئه غريبا ، جاء عقبها امتحان وقعة احد للمومنين وابتلاؤها لطائفة المجاهدين ، فتوفاهم الله شهداء ، مثالا لعظيم الوفاء الذي استحقوا به عند الله رفعة الجزاء بخلاف الجاحدين للآخرة وثوابها ، فكانوا مع المومنين كما تخاطب الاية المومنين : « ان تكونوا تالمون فانهم يألمون كما تالمون ، وترجون من الله ما لا يرجون » .

وهكذا كان رجاء المومنين الشهداء فى ثواب الله عظيما ، وجزاؤهم من فضله كان جزيلا جسيما « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . صدق الله العظيم .

تلك صورة رائعة من الرفعة والجزاء تنطبق على مر الدهور على شهداء الحق والواجب ، لا تخص عصرا دون سواه ، يستجليها العظماء المخلصون عند امتحانهم فى الحق ، وصبرهم على البلوى ؛ وتحملهم لوسائل احراز النصر مهما اشتدت المعارك وادهمت الخطوب.

واذا كان سبب نزول الاية فى هؤلاء الشهداء هو امتحان غزوة احد للمومنين ، فان عموم هذا الوصف شامل لمن شرفه الله بالشهادة فى سبيله فى كل وقت وحين . والمخاطب فى الاية هو الرسول أو هو كل سامع وهو اولى لورود نظيرها بالخطاب للعموم ، كما قال

الاقتصادي ، واعمال انماء اجتماعي لاقصاء بذور التخلف الاجتماعي ؛ وهكذا ؛ غير ان وجود تجزئة كهذه ، تصنف على اساسها احوال التخلف والانماء ، بحسب صلتها بالمادة والانسان فردا ومجتمعا — مثل هذه التجزئة ، لا تمنع من ملاحظة التداخل الدقيق القائم بين جميع احوال التخلف جميعها من جهة ، وبين كافة صور الانماء كلها كذلك من جهة ثانية .

وكل هذا يقودنا الى موضوع التخلف الديني ، وعلاقته بالتخلف الدنيوي عند المسلمين ، فالتخلف الديني لايشكل — كما اسلفنا — حالة مفردة ، وقائمة على حدة ، يحتاج تقويمها الى مجهود انمائي خاص ، قد يضاعف من مسؤوليات العمل الانمائي ويزيد من تعقيدها ، وانما هو ، اي التخلف الديني ، مجرد صورة منعكسة عن حالة التخلف العقلي العام عند المسلمين ؛ اذن فالعمل الانمائي فى شأنها ، ان هو الا جزء عادي من عملية الانماء الفكري التي ترتبط هي بدورها بجميع عمليات الانماء التي يجب ان تقوم فى شتى المجتمعات داخل المحيط العالمي الاسلامي ؛ بل ان عملية الانماء الفكري الاسلامي ، من شأنها ان تقوم كعامل مساعد ، عوض ان تقوم كعامل عبء فى هذا المضمار ؛ فمن حظ المجتمعات الاسلامية ان العقيدة التي تاخذ بها ، تنطوي فى مضمونها على حوافز قوية ضد التخلف ، بمختلف اشكاله وعناصره ، فهي داعية الى العمل ، حاثة على الكسب ، حاضة على الانتاج ، ممجدة للسعي واتخاذ المبادرة وبذل الجهد ا آمرة بالتعاون والتضافر ، مشيدة بالعلم والتعلم والتبصر ، مادحة للتحصيل والتوفير والتنظيم والتنسيق ، مشعرة بضرورة تحقيق القوة ، ما كانت الحياة وناموس الاجتماع داعيا الى قوة ؛ والحفاظ على الصحة ، باعتبارها مقدرة للمرء على ممارسة شؤون دينه ودنياه : المرء السليم ، النظيف ، النشيط ، الايجابي فى استخدام مقدراته البدنية والعقلية ، وكل هذا وغيره كثير مما تشعه روح العقيدة الاسلامية ، كما تؤكدها النصوص المتواترة — من شأنه ان يجعل من هذه العقيدة اداة مطواعا ، لتحقيق حالة الانماء المادي والمعنوي فى شتى المجالات ، وهذا — كما نلحظه جميعا — من بين الحظوظ الجيدة التي تتوافر لقضية الانماء والتطوير بالمجتمعات الاسلامية ، اذ انها لاتعاني فى طفرتها الانمائية ، نفس الصعوبات الاعتقادية و « الطقوسية » التي تعاني منها مجتمعات اخرى تتمسك بقيم دينية ، يعسر التوفيق دائما بينها وبين مقتضيات التطوير المراد تحقيقه ، فاذا تقرر هذا ، فلا بد ان يتقرر معه — بالنتيجة — الا معنى اطلاقا للقول بامكانية وجود صعوبات امام التطور الفكري فى حظيرة المجتمعات الاسلامية ، نظرا لما لهذه المجتمعات من ارتباطات روحية او ما فى معناها ؛ ولا بد ان يتقرر فى مضمون ذلك ايضا ان التخلف الذي ينوء تحت وطأته المسلمون ليس حتمية مفروضة ، غير قابلة للالغاء الجذري ، لكن لماذا يبدو مظهر التخلف شديدا اذن فى حظيرة العالم الاسلامي ، ما دام انه لا توجد عراقيل اعتقادية تحول دون الغائه ؟ وما دام ان هناك عملا متواصلا ضد الاحوال المتخلفة فى مختلف بلدان المسلمين ؟ ان عمق ابعاد التخلف — عند المسلمين هو فى درجة نفس العمق الذي عليه حالة التخلف في جميع اقطار العالم الثالث ؛ والتخلف القائم فى مجموع هذا العالم الثالث ، هو — كما ذكر — نتيجة تطور تاريخي بعيد المدى ، يدخل بعمومه ، فى حركة الحضارة وتقلباتها بين الشرق والغرب ؛ فليس غريبا ان يؤول امر الشرق (بالمفهوم الاكثر سعة لهذا التعبير) ان يؤول الى بوار حضاري ، وقد كان الغرب كذلك ، على درجة من التخلف يوم كانت دينامية الحضارة تكاد تكون متركزة فى الشرق ؛ غير اننا اذا تأملنا فى اصول التخلف الشرقي الحاضر ، وما يتسم به من مظهر معقد يبدو به الان ، فاننا سنلحظ ، ان مرجع ذلك ناشيء عن تضافر عاملين كبيرين فى هذا المجال ، اولهما ان التخلف الشرقي ، صادف تبلور كل الجهود الحضارية الانسانية من فجر التاريخ وتكاملها على ايدي الاوربيين المحدثين ، فصار الفارق بذلك ابعد ما يكون بين الشرق والغرب (ثانيها ، الاستعمار الذي استغل وجود هذا الفارق ليصادر مقدرات الشعوب الشرقية، ويبقيها طويلا ضعيفة مهزوزة ، وقد عاشت هذه الشعوب هكذا فى مجرد صراع ضد الاستعمار ، ومن ثم كان مبدا الخطورة فى حالة تخلفها الراهن ؛ واذا كانت مكافحة التخلف لاتعطي ثمارا سريعة الآن ، فلان الداء كان ابعد غورا من كل ما يتصور .

سلا — المهدي البرجالي

وجادوا بنفوسهم فى سبيل حياة امتهم ، فاللهم تغمد الجميع برحمتك ومتعهم برضوانك ، واسكنهم فسيح جنانك ، واجعلهم مع الذين انعمت عليهم من النبيئين والصدقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

وينبغي هنا فى هذه الذكرى لبطل المغرب والاسلام ان نلم المامة خاطفة ببعض ما اعد مولانا محمد الخامس قدس الله روحه تناول فيه نواة فقط لهذه الحركة المباركة التي اينعت واثمرت ثمرا شهيا ، ينعم الان المغرب بأكله ، ويستظل بظلاله ، وتلك النواة في نظرنا هي نوعية الشعب وتلقينه دروسا فى تقويم عقيدته وتعليم ناشئته ، فقد ادرك محمد الخامس بالهام من الله ان القيم الخلقية والعلمية هي المقومات الحافظات لكيان الامة ، سيما امة كونتها العقيدة الاسلامية الطاهرة، وادركت عزها التاريخي والحضاري فى ظل هذه العقيدة والشريعة الاسلامية العملية التي تغلغلت فى أعماق قاوب هذه الشعب منذ أزبد من ثلاثة عشر قرنا من السنين .

اما قضية تقويم العقيدة فقد كانت توزعت ميول الشعب المغربي واثرت فى عقيدته اهواء من البدع المحدثة فى الدين فنزعت طائفة من شيوخ العلم الى اعلان سلفية طاهرة تعيد للاسلام نقاوته وطهارته في وسط مالت به البدع المحدثة فى الدين وفرق من المتصوفة الى الاوهام والخرافات ، وان كان بعضها يساير السنة فى مراميها فلقيت تلك الدعوة السلفية من عظيم المغرب تشجيعا وتأييدا ، اعاد به المغاربة الى رشدهم فى سبيل دعوة الحق وترك ما احدث فى الدين، سلك محمد الخامس بفعله ذلك مسلك اسلافه المقدسين امثال مولاي محمد بن عبد الله ، ومولاي سليمان ، ومن سلك سبيلهم ، وكان بجانب جلالته دعاة مصلحون من السلفين امثال المرحومين اساتذة الامة ومعافر المغرب : الشيخ ابي شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي ، والمدني بن الحسني ، ومن الاحياء الفقيه الحاج محمد غازي حفظه الله وغيرهم الذين كانوا خير موجهين لنخبة شباب الامة الى الطريق المستقيم ، وانقذوا بهذه الدعوة السلفية طائفة هامة من الزيغ الخرافي باسم الدين ، ومن الانحراف والالحاد فيه حيث قامت هذه النخبة بنشر المبادىء الاسلامية على وجهها سواء فى المجلات والصحف او فى المحاضرات والدروس فى المساجد ، او فى مختلف الاوساط حتى تماسكت الحال واختطت السلفية طريقها بين الطرق الاخرى وعرف الجمهور المسلم معنى هذه الخطة الرشيدة ، التي رفضت الجمود الذي خيم على المجتمع وبينت ما الصق بالدين من الخرافات والبدع ، وحفظت كثيرا من العقول من الجحود ، حيث ادرك اصحابها ان الاسلام فى اصله ينبوع صاف ، وعقيدة طاهرة وشريعة كاملة صالحة لكل زمان ومكان ، تكونت فى ظلها حضارات ودول وترعرعت فيها علوم وفلسفات كانت ولا زالت احدى الحلقات العظيمة فى حلقات التاريخ السياسي والعلمي والحضاري فى حياة البشرية جمعاء .

واما قضية تعليم الناشئة فقد وجه مولانا محمد الخامس تغمده الله برحمته عناية كبرى لهذه الناحية وبذل فيها مجهودا كبيرا حتى اخذت تؤتي ثمارها الشهية ، فعمل مستطاعه مع ادارة الحماية فى اصلاح التعليم الديني والتعليم العصري تسنده فى الحاحه مطالب قادة الوطنية ورجال التعليم فى الميدانين حتى تحسنت الوضعية نوعا ما رغم محاولات ادارة الحماية لعرقلة كل الجهود فى هذا الميدان ، كما وجه رحمه الله عناية خاصة لتشجيع التعليم الحر ماديا ومعنويا مع التنويه بالمساعدين له البانين لمدارسه والقائمين على تربية الطلاب فيه من الاساتذة وغيرهم ، ينوه بهم حتى فى خطب العرش السنوية ، ومع الذهاب بنفسه من غير ميعاد لزيارة بعض المدارس فى مختلف الجهات حتى عرفت هذه العناية فى بطل المغرب العظيم ، فصارت كل المدارس تسعى بكل جهد لتحسين وضعيتها العلمية والمظهرية حتى يجدها مولانا اذا تفضل بزيارتها على أحسن الاحوال ، فتنال رضاه الابوي الذي هو من أعز الآمال عند القائمين عليها ، وقد ضرب قدس الله روحه المثل لشعبه بتعليم ابنائه تعليما عصريا ذا مشرب ديني عربي حتى كان يحضر بنفسه فى كثير من الاحيان دروس الاساتذة المعلمين لابنائه فى المدرسة الخاصة .

النتيجـــة :

فما ذا كانت نتيجة تقويم اعوجاج العقيدة والاهتمام بتعليم الشباب كانت النتيجة ان استرد الشعب حماسه وحيويته ، وقوي ايمانه بنفسه وبحقه فى الحياة الكريمة ، ونظم اساتذة التعليم الديني والعصري الاناشيد الاصلاحية والوطنية ، والبست احتفالات عيد العرش صبغة دينية وشعبية هائلة ، ينظر اليها علماء الدين نظر تقدير للامامة الاسلامية التي يرجع اليها أمر الحفاظ على الدين ومصالح الدنيا حسبما يعتقدون ، ويبثون ، ذلك فى تعليم

تعالى : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات ، بل احياء ، ولكن لا تشعرون . »

واذا كنا فى حياتنا الدنيا لا نشعر بها لكون تلك الحياة من عالم الآخرة فاننا نوقن بانها شرف مكانة عند الله ، ودرجات ممتازة فى مقام رضوانه ، لانه سبحانه وصف ما عنده لبعض المومنين بقوله : « لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » .

نعم قد ورد فى احاديث نبوية بان ارواح الشهداء عند الله فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة ، وفى رواية حديث آخر انها فى حواصل طير خضر تسرح من انهار الجنة حيث شاءت ثم تؤوي الى قناديل تحت العرش ، وفى رواية : ان ارواح الشهداء فى صور طيور خضر معلقة فى قناديل الجنة حتى يرجعها الله يوم القيامة ، وفى هذه الاحاديث شيء من الاضطراب حيث يقول الاخير بانها معلقة بينما يصرح الحديث السابق بانها تسرح حيث شاءت ، وهذا الاضطراب يدل على ان تلك الاحاديث مروية بالمعنى ، وان كل راو عبر عما فهمه ، ومهما يكن من امر فان لشهداء الحق والواجب والعقيدة الطاهرة مقام رفعة وشرف مكانة عند الله تعالى ، سجلتها لهم الاية الكريمة باسلوب مشوق لنيلها ، وحاض على بلوغها ، صحبته الفرحة والاستبشار ، والامن والاستقرار ، وعدم الخوف فى الحال والمآل .

وقد ذهب المفسرون الى عدة احتمالات فى الاية نظر بعضهم الى حياة الشهرة بالذكر الحسن والثناء الجميل بعد موت الشهيد ، وذهب بعضهم الى انها حياة روحانية محضة ، كما ذهب البعض الى انها مثل حياتنا مادية صرفة يحيونها منذ الوفاء مما وصفه بعض المفسرين بانه لا يقول به عاقل ، يعني لان هذا القول مكابرة فى الحسن حيث ان بعض الشهداء تحرق جثته ، او تفترسه السباع ، او الحيتان فى البحر ، واعتمد الشيخ محمد عبده رحمه الله فى هذه الحياة انها حياة غيبية ، تمتاز بها ارواح الشهداء على سائر ارواح الناس ، بها يرزقون وينعمون ، ولكننا لا نعرف حقيقتها ولا حقيقة الرزق الذي يكون بها ، ولا نبحث عن ذلك لانه من عالم الغيب الذي نومن به ونفوض الامر فيه الى الله تعالى .

وبعد فان تاريخ الامم هو تاريخ ابطالها ، لان حياة ضمير عظمائها هو حياة رجالها ، الذين هم اقطابها ، بجهودهم تسير دواليب تاريخ الامم ، وعلى نسبة اقدارهم ترتفع سوابق الهمم ، واعتمادا على حسبهم وشرف محتدهم تشرق شموس المعارف ، وتضيء بدور التقدم والتطور العلمي والصناعي ، والرقي الفكري ، حتى يكونوا كما يصف الشاعر العربي غيثا مدرارا ينتج ازهارا وثمارا

تحيى بكم كل ارض تنزلون بها
كانكم فى بقاع الارض امطار
وتشتهي العين فيكم منظرا حسنا
كانهم فى عيون الناس اقمار

هذا وان النصر مع الصبر ، وان الفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسرا ، كما فى حديث الرسول عليه السلام ، واننا ايها الاخوة المومنون نستجلى في هذه الكلمة عبرة للمنتصرين ، من كفاح ابطال هذا البلد الامين ، فان اليوم يوم ذكرى لبطل خالد ، واول مجاهد ، وزعيم رائد ، يعتبر فى حركة تحرير القارة الافريقية اعظم قائد ، هو المغفور له مولانا محمد الخامس قدس الله روحه ، ذلكم البطل الذي ضرب المثل بنفسه وأسرته فى سبيل تحرير أمته ، وخاطر بعرشه حفظا لكرامته وفى سبيل رعيته ، فاتخذته هذه الرعية وكثير من الدول الافريقية قدوة عظيمة للسعي فى سبيل نيل الحرية ، والخلاص من سيطرة الدول الاستعمارية ، حيث برز فى المغرب لميدان التحرير ابطال الفداء والتدبير ، فسارت الامة المغربية من وراء ملكها واهل الفداء فبها بكل اعجاب وتقدير ، تشد ازرهم وتزود حركتهم وتبارك اعمالهم حتى توحدت صفوف الامة وراء القادة حول الاهداف الوطنية ، فادركت بفضل امامها المثالي العظيم وانصار الحق اعز أمنية هي نعمة الاستقلال ، وتحطيم قيود العبودية .

وحق لامة يقودها امثال محمد الخامس ان تسعد بمساعيه وتحقق اغلى امانيه ، وان توفيه ما يستحقه من تقدير ووفاء ، وتمجيد وثناء ، باقامة الذكريات وتلقين سيرته لعموم الناشئين والناشئات لا فى خصوص المدارس ، ولكن فى المدارس وفى مختلف الاندية والمجالس ، حتى تعتاد الامة باسرها سماع المبادىء والمثل التي كان يسعى عظيمها من اجلها ، وسماع اخلاق الاسلام وصفاء مبادئه السلفية التي كان يتدين بها ، فكانت لاعماله طابعا ومذهبا ، ولميوله واتجاهه منهلا ومشربا .

وفى هذه الذكرى نفسها تمجيد لقادة الوطنية الملتفين حوله ، فالقائد بجنده والعرش يعظم بقدر عظمة شعبه ، وفى هذه الذكرى ايضا تمجيد لشهداء الاستقلال الابرار وترحم عليهم وهم عند ربهم يرزقون فى دار القرار ، فقد سقوا شجرة الحرية بدمائهم ،



كلمـــة فشت وانطوت عليهـا الالسنة ، لكـــن ويا للاسف ، على قدر ما تكرر على الالسنة على قـدر ما تنوسي تطبيقها وترويض القرائح على الاهتـداء بهديها . معنى كون القرآن يفسر بعضـه بعضـا ان يراعى في فهم لآية السياق الذي يتدرج فيه سابقـه ولاحقه مع تفهم الحكم الذي جاءت لتقريره واستحضار ما عسى أن يكون للآية من اشباه ونظائر مبثوثة فـي مختلف السور لا ان تقتضب وتختزل وينظـر فيهـا منفصلة مستقلة مقطوعة الرحم من المجموع الذي هي فيه كما هي الحال فيما جاء فى سورة الصافات حكاية عن موقف سيدنا ابراهيم مع ابيه وقومه : « وان مـن شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيـه وقومه ماذا تعبدون ... الى قوله جل ذكره : اتعبدون ماتنحتون **والله خلقكم وما تعملون** » تقدم لي ان كتبت عن هذه القصة فيما اكتبه من حين لآخـر فى مجلـة دعوة الحق ، لذلك يكفيني فى هذه المرة ان اقنع مـن القاريء الكريم ان يقرا القصة من أولها ويتصور موقف سيدنا ابراهيم مع قومه ودعوته اياهم ليخرج بهـم من ظلمة الشرك الى نور التوحيد فيرد المخلوق الـى الخالق والخالق الى المخلوق ، فجـاء اصحاب علـم الكلام ونتفوا الفقرة الاخيرة من القصـة التي هـي: « والله خلقكم وما تعملون » واتخذوها اساسا لعقيدة كانت السبب فى تراجع المجتمع الاسلامي بتعقيم غريزة العمل فى الاسلام واخماد جذوته مع ان الاسلام فـي اصل مدلوله دين العزة والكرامة « ولله العزة ولرسوله وللمومنين » وهل تعقل عزة بلا مال ولا عتـاد ولا .. ولا .... ولا بأس هنا من تفكير القاريء فيما جاء من التهافت فى هذا الباب فى جوهرة اللقاني احدى امهات كتب التوحيد :

فخالـق لعبـده ومـا عمـل
موفـق لمـن اراد ان يصـل

ونسي هذا المؤلف ان القرآن الذي هو دستـور الاسلام لحمته وسداه العمل والعمـل يترتب عليـه اثـره : تقرا فى اول سورة الاعراف : « والوزن يومئـذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم بمـا كانـوا بآياتنا يظلمون » وهل تثقل الموازين بلا عمل ؟ « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين » وهكذا تكرر لفظ العمل بما يفوق الثمانين مرة ! ! كما قرر ان العمل يترتب عليه اثـره : « ونودوا ان تلكـم الجنـة اورثتموها بما كنتم تعملون » « وانما توفون اجوركـم يوم القيامة » « يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم » « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » بل تجاوز العدل الالهي فى هذا الباب الـى اعلى واسمى ما يمكن ان يتصور فاذن للعبد المخلـوق من ماء مهين ان يستنجزه وعده وهو سبحانه من الارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه فقال : « ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك » وقال في سورة الفرقان : « قل اذلك خير ام جنة الخلد التـي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاءون

العقيدة الاسلامية من وجوب نصب امام للامة تتوفر فيه شروط هذه الامانة العظمى ، ويلتف حوله المسلمون حسبما جرت به تقاليد الخلافة الاسلامية منذ الصدر الاول ، وان استقلت فيما بعد كل جهة بامامها الخاص ، فتعددت الممالك الاسلامية بدل توحيدها ، وينظر الى تلك الاحتفالات بالعرش المثقفون ثقافة عصرية نظرهم لرمز وحدة الامة الذي يجب ان تتحد حوله الصفوف لتحقيق الاهداف الوطنية العليا، وذلك ما اضطر ادارة الحماية الى الاعتراف بعيد العرش واعتباره عيدا قوميا رغم معرفتها بخطورته من الوجهة الدينية والسياسية فصار للعرش والجالس عليه فى المغرب موسم قومي اتخذه المغاربة سوقا ادبية تبارت فيه افكار الكتاب وتفتحت فيه قرائح الشعراء، وفى طايعة المهتمين عاهل المغرب العظيم ، فكان لخطاب العرش السنوي دور هام وصدى بعيد المدى فى بيان المنجزات التي تحققت داخل السنة ، ومحاولة لابراز الخطوط الكبرى لسياسة هادفة للسنة المقبلة ، وصار للشعب ذوق مرهف يتتبع به خطاب الملك وافكار الكتاب وقصائد الحماس مما يزيد يقظة الشعب ويقوي رغبته فى تحقيق السيادة القومية ، وتبلورت الحركة بصفة جدية وعرف الملك رحمه الله ان وراءه شعبا واعيا جادا فى انتزاع حقه ، مهما كان الثمن فتصلب فى مواقفه ومطالبه الاستقلالية تسنده الحركة السياسية بمطالبها فى عدة مراحل وحركة العمال الموحدة اذذاك الجادة فى تحقيق المطامح العليا للوطن ، فضاقت الحماية ذرعا فى هذا المجال وسولت لها نفسها ان الدواء الناجع لكبت الاحرار هو انتزاع اسدهم من وسط عرينه ، فجند رجال الحماية صنائعهم واذنابهم واغروا ذئابهم وكلابهم ، فحشدوا كتائب الزور واتخذوا المطايا لكل غرور حتى وقعت الواقعة وتجرع عظيم المغرب واسرته الكريمة مرارة الابعاد والنفي بكل جلد وصبر ، ففضب الشعب المغربي الوفي لامتهان كرامته ، وثار مطالبا بحقه وارجاع صاحب امامته واستمر الكفاح المرير حتى عاد قائد الامة العظيم واسرته الوفية محفوفين بالنصر والتهليل والتكبير بفضل جيش التحرير وابطال الفداء المغاوير ، فأشرق فجر الحرية ونال المغاربة بفضل تعاون الملك والشعب اعز امنية .

وهكذا كان اصلاح العقيدة والتربية الناشئة على حب الوطن وامامه من أهم العوامل فى توحيد القلوب والسعي للحصول على اعز مطلوب ، وكل المواطنين يعلمون ان الاستقلال اخذ يستكمل فصوله بواسطة المفاوضات حتى تحقق الكثير منها ، كما ان صروح عهد الاستقلال الجديد اخذت تشق طريقها الى التشييد طبق الامكانيات والوسائل المحدودة ، وفي هذه الاثناء اختار الله لجواره ملكا هماما ادى مهمته فى حياة شعبه احسن اداء تاركا فيه خير خلف لخير سلف نابغا من نبغاء البيت العلوي العريق فى المجد ، هو امير المومنين مولانا الحسن الثاني حامي حمى الوطن والدين الذي وجدت فيه الامة المغربية عزاءها الوحيد على فقيدها وفقيد الاسلام والعروبة مولانا محمد الخامس اسكنه الله فسيح جنانه وحفظ الله امير المومنين الحالي ذخرا وسندا للاسلام ، وحقق فى عهده كل اماني شعبه الوفي العظيم ، وكلأ ولى عهده الامير سيدي محمد ، وسائر افراد الاسرة الكريمة بعين رعايته ووفق الجميع الشعب وعاله لكل خير وعزة وازدهار انه سميع مجيب .

الرباط : محمد الطنجي

لا اعلم انها فوق خشبة ! !

قال الماهاني : مررت بمنجم قد صاب ، فقلت له : هل رأيت هذا في نجمك وحكمك ؟ قال : قد كنت ارى لنفسي رفعة ، ولكن لم اعلم انها فوق خشبة .

صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم آجر **العاملين** . قطبان اثنان لا ثالث لهما .

ارجع الآن بالقاريء الى الآيات التي تعود الكثير الاستدلال بها مقتطفة منتوفة من السياق التي هي في سلكه والكلام يحتاج الى توطئة

خلافا لما تعودناه من عهد الصغر ان فهم الكلمة اللغوية يطلب من كتب اللغة والمعاجم بخلاف مفردات القرآن وتراكيبه فان معناها يلتمس في داخل القرآن نفسه وفي متسع افقه مع استحضار ما للآيات من اشباه ونظائر تمت اليها بصلة رحم

مثلا كلمة **ظن** فان المتعارف في **الظن** انه الامر الغير المقطوع به نفيا واثباتا ، هذا حكم القاعدة اللغوية فاذا انتقلنا بهذه المادة الى افق القرآن وجدنا ان لها معاني تختلف باختلاف مواقعها في شتى السور وان الذي يعطيها المعنى المنشود هو موقعها من السياق التي هي فيه وما ينضم في سلكها مما عسى ان يكون لها من اشباه ونظائر في شتى السور وها نماذج من هذا القبيل : « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم . » فان روح السياق يعطي للظن هنا معنى اليقين . ومثله ما جاء في سورة يونس : « هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم » الخ ما وقع فيه الركاب من الدهشة وعظيم الخطر يعطي الظن هنا معنى اليقين — وفي معناه « كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق **وظن** انه الفراق والتفت الساق بالساق . » من وصلت به الحال الى الاحتضار خرج لاشك من الظن ودخل في مشهد اليقين — « وانا **ظننا** ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا » يدل على ان معنى الظن هنا ايضا اليقين ان الجن اتبعوا ذلك بقولهم : وانا لما سمعنا الهدى آمنا به قادهم الى الايمان بالهدى يقينهم انهم لن يعجزوا الله في الارض ولا في السماء : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا ! » فشتان بين موقع ظن في هذه الايات وبين ما جاء مثلا في قوله تعالى : « ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس » « ان **نظن** الا ظنا وما نحن بمستيقنين . » والحاصل ان السياق وما هنالك من اشباه ونظائر مبثوثة في مختلف السور هو الذي يعطي للآية المعنى المنشود .

الف الناس الاستدلال في كل مناسبة بقوله تعلى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » على ان المراد بالكتاب القرآن يقصد به ان فيه كل شيء على وجه الاحاطة والشمول وفاتهم ان البساط لا يساعد على هذا التاويل وبيان ذلك ان آية ما فرطنا في الكتاب من شيء جاءت مقحمة في عرض كلام قصد به الدواب والطيور « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ثم الى ربهم يحشرون » معناه اننا لم نهمل شيئا من مخلوقاتنا حتى الدواب والطيور على اختلاف اجناسها واجرامها مذكورة في كتاب الاحصاء المعروف عند الناس باللوح المحفوظ ، نعم ان ذكر الدواب والطيور هنا قرينة تمنع من حمل كلمة الكتاب على القرآن وترجح ان المراد به كتاب الاحصاء وبذلك تتجاوب مع ما جاء في نفس السورة : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في **كتاب مبين** » وحسب القرآن في هذا المعنى ما جاء في سورة الاعراف : « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم » — « ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك **الكتاب تبيانا لكل شيء** وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » يعني : ما تركنا في القرآن شيئا من الاشياء المهمة المتكفلة بمصالح جميع المخلوقات اوالم يكفيهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم .

يتبع

الرباط : الحاج احمد التيجاني

خالدين **كان على ربك وعدا مسؤولا** » وجاء في آخر سورة تنزيل : « وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين »

من المعلوم من الدين بالضرورة ان محمدا لايخالف ربه لذلك نراه يقول من جهته في هذا الباب : اعني الاشادة بالعمل قولا وفعلا : « اليوم الرهان ، وغدا السباق ، والجائزة الجنة » فقوله عليه السلام « والجائزة الجنة » دليل على ان العمل يترتب عليه اثره .

« لايجتمع غبار المجاهد مع دخان جهنم » « الطاعم النائم في الجهاد اقرب الى الله من الصائم القائم في سواه » . وابلغ من هذا كله قوله عليه السلام : « وقوف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر امام الحجر الاسود » كما جاء في الحديث القدسي : « دخل رجل الجنة فرآى عبده فوق درجته فقال يا رب هذا عبدي فما باله فوق درجتي » فيقول سبحانه : « هو عبدك جزيته بعمله وجزيتك بعملك »

ابعد ما سرد من الآيات والاحاديث التي لا محل فيها للاحتمال ولا للتاويل يبقى للعاقل ان يعير سمعه الى ما يوثر عن اصحاب علم الكلام وفي مقدمتهم ابراهيم اللقاني الذي يقول فيما سماه الجوهرة :

فخالق لعبده وما عمل
موفق لمن أراد ان يصل

وخادل لمن اراد بعده
ومنجز لمن اراد وعده

فوز السعيد عنده في الازل
كذا الشقي الخ ...

في حين ان صوادع الايات ترفع اصواتها في عموم العالم الاسلامي من شرقه وغربه شماله وجنوبه : « ونودوا ان تلكم الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون — وانما توفون اجوركم يوم القيامة — وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى — وقال عز من قائل ابلاغا في المعذرة واظهارا للمعدلة : «رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » فليتأمل اولوا الالباب الى موقع كلمة علي في هذه الآية كيف يتصور ان تكون للناس حجة على الله وهو من الارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه » وهو الذي يقول ايضا:

« فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية » نعم في هذه العبارة الرائعة اعني قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل — يتمثل العدل الالهي في اجلى مظاهره وغدت الآيات تردد صداه : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين» .«يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين » معناه اذا كانت مشيئته من قبيل اللانهاية كذلك عدله كبقية صفاته من قبيل اللانهاية ، وهنا تلتقي المشيئة والعدالة في قوله جل ذكره في سورة يوسف : « وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء **نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين** » معناه اذا كانت رحمته يصيب بها من يشاء فانه سبحانه لا يضيع اجر المحسنين ويترك احسانهم يذهب ادراج الرياح . اختم هذا الفصل على وجه التخلص فاقول:

ان تراجع امر المسلمين السبب الرئيسي فيه هو التزهيد في العمل وسلبه من الثمرة التي تترتب عليه اعني الجزاء عليه . اليس من اعجب العجب ان تروج مثل هذه العقيدة في الاسلام والحال ان كتابه جعل من العمل لحمته وسداه ونبيه عليه السلام يقول ما سمعه القراء وامهات الفقه قطبها يدور على العمل ايضا امثال صاحب المختصر خليل الذي يقول : « وملك الصيد المبادر وان تنازعه قادرون فبينهم ويقول في باب الجهاد : وتعين بفجء العدو وان على امرأة نعم وان على امراة ! يا ليت اصحاب علم الكلام نفضوا ايديهم من تراب هذا القبر وتركوا امثال هذه العقيدة المسيحيين الذين يدينون بهذا المبدأ الاساسي عندهم وهو : ان الانسان لا ينال النجاة في الدار الاخرى بالعمل ولكن بمحض الفضل المعبر عنها :

وتمادوا في ذلك حتى قالوا في متن عقيدتهم : ملعون من يعتقد او يظن بان قداسة البابا يمكنه او يجب عليه ان يتصالح مع التمدن وحرية التفكير (انظر الفصل الاخير من كناش السيلايوس

لم يبق بعد هذا الا ان اغلق باب الحوار في هذا الموضوع بقفلين مشفوعين بزلاجين وهما ان الله جعل الدخول للدار الفانية من باب العمل : «وهو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا » . والدخول الى دار الخلود كذلك من باب العمل : « وقالوا الحمد لله الذي

يرتبط الشخص ، طبيعيا ، بجسمه ، والجسم مرتبط ، حياتيا ، بالعالم ، والعالم في صيرورة . وان الصيرورة لبعد من الابعاد المشتركة بين الكون والانسان ، واداة وصل بين زمان الحدوث وبين الابدية والخلود . لذا ، لا تناقض في علاقات الكائنات (المحدثات) بارادة الله الحي الباقي . فلو كان تناقض لما تعارف الناس على قواعد عامة ، ثابتة ، في سير الظاهرات الكونية ، اي لا انعدم « العلم » ، ولما تفاهم الناس فيما بينهم ، لان التفاهم ينتج عن الاعتقاد بقوانين انسانية وطبيعية لها الشمول والاستقرار . لا انسان بدون بيئات انسانية ، ولا بيئة بدون اطر ثابتة داخلها يحصل التطور والرؤى عن انسانية الانسان وعن الحياة .

القوانين التي تهيمن على سير العالم قوانين موضوعية ، قابلة للادراك ، غير مشخصة ؛ ففي الاسلام ، لا يوجد اله الماء ، او اله الشمس ، لكن اله واحد يسبغ الانسجام والتناسق على مجموع الكون .

* * *

بما ان هناك امكانية توقع الظواهر الطبيعية ، كان الانسان مطالبا بان ينسجم معها وأن يتبنى العالم بتكيفه معه . وايضا ، بما ان افعالنا ترمي لان تصدر عن قواعد عقلية ودوافع قابلة للفهم ، يلزمنا ان نكون مسؤولين عنها ، خصوصا وان الله جعل من البشر خلفاء له في الارض ، تمييزا لهم عن بقية الكائنات ، وحتى على الملائكة الذين سجدوا لآدم ، بأمر من الله : « أم من يجيب المضطر اذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الارض ؟ » (27 : 26) (1) . انها سنة تجذرت في الانسانية ، منذ البداية ، اذ ما خلق الله أبا الآدميين الا بعد أن قضى بتخليفه ، في الارض ، والهامه منابع المعرفة ، وعلم آدم ما جهله الملائكة . فكأننا امام رؤية كونية بروميثية :

« واذ قال ربك للملائكة :

اني جاعل في الارض خليفة (...)

وعلم آدم الاسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال :

انبؤوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين !
قالوا :

سبحانك ، لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك انت العليم الحكيم .

قال :

يا آدم ! أنبئهم بأسمائهم » (2 : 30) .

هكذا امتزجت انسانيتنا بنفخة الهية ، اذ نفخ الله فيها من روحه ، ثم كرمها بالمعرفة ، واسبغ عليها ثقته الكاملة فخلفها على الارضين : فالبشر خلفاء الله في الارض ، اي انه تعالى قد نصبهم فيها مبدعين مسؤولين .

* * *

انتقاد هام يمكن ان يوجه الينا : ان الشخص ، رغم استقلاله الذاتي ، ورغم فكر المبادرة ، والحرية ، والاستعداد الفطري ، يبقى خاضعا لتصرفات الهية غامضة ومطلقة . ألا يجوز في حق الله ، أن يطرح من جديد كما يشاء ، حرية الانسان واستقلاله الذاتي واستعداداته ؟

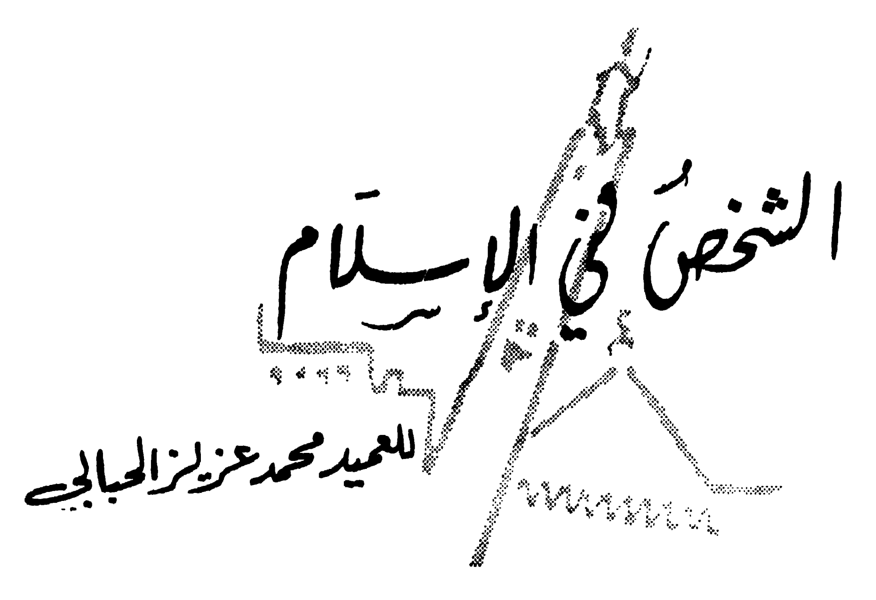
لو حصل هذا لعارض الحكمة الالاهية التي تعكسها قوانين الطبيعة . فالله بمحض ارادته ، هو الذي قضى بأن تكون قوانين ، وقضى بأن يخضع لها سير الكون ، « ولن تجد لسنة الله تبديلا » (33 : 62)

يترك الله للكائن البشري امكانية اتباع استعداداته الطبيعية المحددة كما جبله عليها . فالقوانين التي تتحكم في سير الكون « موضوعية » ، ومحسوسة ، وان لم تكن شخصية . فليس في الاسلام الاه لكل ظاهرة من ظاهرات الطبيعة ، ولكنه الاه اوحد ينسق كل ما في الكون ويدخل عليه انسجاما تاما . فلأن هناك امكان توقع الظواهر الطبيعية يطلب ، من الكائن البشري ان يتبنى العالم بالتكيف معه . وبما ان افعالنا تعتمد كذلك على قواعد عقلية ودوافع قابلة للفهم نرانا ملزمين بأن نتحمل مسؤوليتنا ازاءها .

لقد شاء الله ان يكون مدبرا ، وانعم على الكائن البشري بالعقل الذي هو اظهار للتدبير الالاهي وشهادة عليه (عن كونه تعالى هو المدبر الاعلى) . بحكم هاته الصفة ، يخلق الله النظام ، في كل مكان ، بمعنى انه يبدع الوحدة والانسجام مع التنوع اللا نهائي .

* * *

1) انظر ، كذلك : 35 : 39) : « وهو الذي جعلكم خلائف في الارض » .



- 4 -

محاولتنا السابقة (انظر : دعوة الحق ، الاعداد 8 ، و 9 ، 10 لسنة 1387 . رمت الى تحديد مفهوم شخص فى الاسلام، من الجانب الانطولوجي (المعطيات النشوئية) ومن الجانب الاخلاقي . أي فى علاقاته بالآخرين وبالعالم ، لنبرز ما للشخص من حرية ترتكز عليها مسؤولياته . وبعد ان حددنا معنى التعالي ومعنى الوحي ، ومفهوم الالحاد والايمان ، نتساءل اليوم عن موقف الشخص (الكائن المتناهي) من الله (الكائن المطلق) .

موقف الشخص تجاه قدرة الله المطلقة

يترتب ، على ما سبق ، مشكل آخر :

ان الشخص ، رغم استقلاله الذاتي ، وحريته ، وقدرته على المبادارت ، ومواهبه ، يبقى تحت تصرف مشيئة الله ، وهي مشيئة لا متناهية ، ومطلقة ، وقديمة ، في حين ان الارادة الآدمية (على المستوى الدنيوي ، مستوى الوجود بالفعل) متناهية ، ونسبية، وحديثة . فطرفا المواجهة ، اذن غير متعادلين .

يجوز هذا الاعتراض من خلال رؤية مجردة : فلا شيء بقادر على الحد من قدرة الله المطلقة . لقد كان ممكنا له تعالى أن يطرح ، كلما شاء ، قضية حرية الاشخاص واستقلالهم الذاتي ومواهبهم .

لكن نظرة ممعنة في القرآن والسنة تجعلنا نستخلص ان ارادة الله ليست اعتباطية مخاذلة ، بل حكيمة مدبرة : خلقت نظما ، وجعلت للكائنات أطرا وغايات : فما خلق الله :

« السماوات والارض وما بينهما الا بالحق ، واجل مسمى » (30 : 8) .

« والشمس تجري لمستقر لها » (36 : 38) طبقا لقوانين طبيعية ، أبدعها الله عن ارادة وقدرة ، واخضع لها سير الكون :

« وان تجد لسنة الله تبديلا » (33 : 62) (1) .

لقد أسبغ على الكون والكائن البشري كل امكانيات تحقيق الاستعدادات الفطرية التي وهبهما اياها .

---

1) انظر ، كذلك : 17 : 77 ؛ 62 : 35 و 43 .

الدراسات الاسلامية في فرنسا

للأستاذ محمد ازنيبر

تعرف الدراسات الاسلامية فى أروبا ازدهـــارا ونوسعا مطردا فى هذه الايام . ولا شك ان ذلك يرجع الى عدة أسباب . منها أن العالم الاسلامي أصبح يحتل مكانة مرموقة فى العالم وصار له فى الوزن الدولي ثقل أكثر من ذي قبل . فقد استقلت كل دوله تقريبا . وصارت تكون كتلة مهمة فى المنظمات الدولية . واستطاعت بعض هذه الدول أن تحقق أشواطا فى النماء الاقتصادي والحضارة مما جعلها تقارب المستوى الاروبى المتوسط . انضف الى هذا أن العالم الاسلامي يمتاز بحيويته . خصوصـــا فى العهود الاخيرة . فهو يشغل الراي العام العالمـــي باستمرار بما يجد فيه من أحداث ومشاكل مختلفة . فمن الثورة الاندونيسية الى مشكلة كشمير ، الـــى قضيـــة فلسطين ، الى المشاكل الناجمة عن استثمار البترول فى ايران وفى البلاد العربية . كل هذه مواضيع تلفـــت الانظار الى العالم الاسلامي وتجعله نصب الاعين دائما وتدفع الباحثين ــ بالتالي ــ الى استكشاف أســراره وتجلية غوامضه .

والسبب الثاني هو أن الاروبيين بدأوا يعرفـــون العالم الاسلامي بصورة أحسن . وكان يعوقهم عـــن اكتشاف حقيقة ذلك العالم حاجز كبير ، هو الاستعمار ، فقد خلق الاستعمار حالة نفسية خاصة ازاء العالـــم الاسلامي لدى الجماهير الاروبية اذ بث فيهم نوعا من الحقد والعنصرية ، ولم يفلت من هذا الشعـــور الا القليل من الاروبيين الذين استطاعوا أن يعرفوا البـــلاد الاسلامية عن كثب وأن يتحرروا بمجهودهم الخاص من عدوى الكراهية والتعصب . لكن الثورة العارمة ضـــد الاستعمار التي عاشتها آسيا وافريقيا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والتي أدت الى انهيار الاستعمار الاوربي بصورة مسرحية كما هو معلوم . قضت على ذلـــك الشعور وعلى تلك الظروف البسيكولوجية ، فتحـــرر الاروبي بدوره فى نظرته الى العالم الاسلامي . واندحرت كثير من الافكار والنظرات الاستعمارية مع نهايـــة الاستعمار . واكتسب الاروبي وعيا جديدا وأدرك انه كان ضحية أوهام واكاذيب وخرافات . ونظر حواليه ، فوجد أن عددا من الدراسات والكتب التي كانت تحدثه عـــن العالم الاسلامي فى حاجة الى مراجعة وتحقيق . فاندفع الى البحث فى جولة ثانية . بروح جديدة تتحرى أن تكون عادلة منصفة .

وهنالك سبب ثالث لابد من الاشارة اليه لانه قمين بأن يدفعنا الى نوع من التدبر والاعتبار وهو أن البحث العلمي لم يبق مجرد هواية أو عملا لا يهم الا طائفـــة الاساتذة والعلماء وحدهم . بل أصبح شأنا من الشؤون الاولية والاساسية التي تهتم بها الدولة . علما منها بأن التقدم التقني والاقتصادي والحضاري رهن بالتوســـع فى البحث العلمي . وبالفعل فهنالك ميزانية ضخمة تقدر بعشرات الملايير من الفرنك تخصص فى كل بلد اروبي مهم للبحث العلمي . ولا اشير هنا بالطبع الى المجهود المالي الهائل الذي تبذله دول عظمى مثل أمريكا والاتحاد السوفياتي . فلنكتف هنا بذكر المثال الذي نعرف أكثر من

قد يكون الانتقاد السابق جائزا على مستوى انبثاقة الخلق البدئي ، ولما يتشخص الكائن بعد : فلا موهبة ، ولا استعداد فطري ، ولا حرية . وعلى العكس من ذلك ، فبظهور الكائن البشري ، يبتديء تاريخ الوعي لاجل تشخصن الذات والاشياء ، قصد ادماجها داخل أفق شخصي . على هذا المستوى ، يقوم الله بدوره : ان احسن هدية وهبها للانسان هي العقل ، وجعله شاملا بين جميع البشر . كثير من الفلاسفة المسلمين (الفارابي وابن سينا ...) يؤكدون ان اول ما خلق الله هى العلة الاولى المطلقة : الفكر ، او العقل .

يتكون الشخص بفضل الفكر وهو يصنع عالمه ، ويصنع العالم على مستواه بالاسهام فى الخلق الالاهي ، اذ يعمل على اكماله . فبفضل العقل ، يتعاون الانسان مع الله ، ويصبح انسانا له كثافته الانطولوجية . انه مخلوق ، ولكنه يساهم فى كينونة العالم .

اننا فى عالم نخلقه ، ولكن كل شيء فى العالم يحتم علينا ان نخلقه فى حلة جديدة : نلاحظ العالم ، ثم نغيره ، بل نلاحظه لنغيره . فكل نظرة نلقيها الى العالم لهي بداية فعل جديد،او نسق تتولد فيه افعال اخرى. ان العالم حدث ، والانسان هو كذلك حدث ، وعن علاقته الحدث الثاني بالاول ينتج حدث ثالث يمنعنا من ان نبقى متفرجين ، ويحتم علينا ان نكون عاملين : نصنع ، ونصالح ، ونسق ، وننظم ما هو موجود لنجعل منه شيئا كاملا .

تلك هي المهمة المجيدة للانسان ، اي « الامانة » التي حمله الله اياها ، كما يقول القرآن :
« انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ، فابين ان يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها الانسان » (33 : 72) .

اجل ، الم يعلم الله آدم ، ابا البشر « الاسماء كلها » (1) اي جميع اسرار الخلق التي كان الملائكة انفسهم يجهلونها ؟ هذا ما تفهمه الشاعر ، محمد اقبال، وعبر عنه فى حوار « بين الله والانسان » :

الله

« انا خلقت هذا الكون ، من طين وماء ،
فجعلت فيه ايران ، وبلاد التتار ، وزنزبارا .
من الارض خلقت الصلب ، فكان صافيا ،
فصنعت منه السيف ، والسهم ، والبندقية .
كذا الساطور ، صنعته لقطع ما فى المرج من اشجار عالية ،
وصنعت القفص لحبس الطيور الشاذية » .

الانسان

« انت جعلت الليل ، وانا صنعت الصباح .
انت خلقت الطين ، وانا صنعت الاقداح .
خلقت الصحاري ، والشعاب ، والجبال ،
وهيأت الحدائق، وكسوت الارض ورودا وازهارا
انا الذي استخرجت من الصلد زجاجا ،
وهيأت لي من السم ترياقا » .

* * *

الشخصانية الاسلامية لا تجعل من الشخص « مونادة » روحية ، بالرغم من اعتباره معطى اوليا . انه كائن كلي ، ومادة حية ، اي فكر ينفخ فى جسم ذي عقل . فان يكن من فرقبين الروح والشخص ، فانه بمثابة الجزء من الكل ، او المحتوي من المحتوى . فالشخصانية الاسلامية ، وان كانت مقتبسة من الدين، تمتنع عن الخضوع لاي اتجاه لاهوتي من شانه ان يضع ، قبليا ، أفضلية للروح على الجسم ، او للجسم على الروح . **فالعقيدة ، قبل كل شيء ، التزام** . والالتزام المقصود هنا لا يتعلق بالطقس الروحي فحسب ، بل يتعلق ، ايضا بالظروف المادية والموضوعية التي تعيش فيها الامة، والانسانية بأجمعها. فبين الانسان وباقي الكون تسود غاية تعمل لصالح الانسان : فمن أجل الكائن البشري ، خلق الله العوالم، والاشياء ، والكائنات .

هل هذا اتجاه متالي ام مادي ؟

اننا أمام شيء آخر يأخذ من المادية والمثالية ، على السواء ، فهو تركيب يتكامل فيه الاتجاهان . لولا هذا التركيب لكان الاسلام روحانية تسبح فى الفضاء ، دون جذور في العالم .

الرباط : محمد عزيز الحبابي

---

1) سورة البقرة (2) ، الآية : 31 .

للمظفر ابن الافطس الامير المعروف فى عهد ملــــوك الطوائف ، ويقال ان كتابه هذا يشتمل على خمسيــن مجلدا متجاوزا بذلك ضعف حجم كتاب الاغاني للاصبهاني وكذلك كتاب « ريحان الالباب » لابن المواعيني الــذي لا زال هو أيضا مخطوطا (نسخة ، بمدريد ، واخــرى بليدن) . وكتاب الف باء ليوسف ابن الشيخ البلوي الذي الفه لولده على شكل موسوعة يخص فيها المعارف التي كانت موجودة فى زمانه .

وكل هذه كتب ادب بالمفهوم القديم الذي وضحناه والذي يهدف الى خلق الانسان المهذب ، الانسان الذي تكاملت فيه خصال العلم والعمل واستندت على مبادىء قويمة . ولعل هذا المفهوم قريب مما يسمى عند الفرنسيين بالانسانيـــــات L'humanisme أو Les humanités بحيث ان الادب كما كان يتصوره الجاحظ أو ابن قتيبة او ابن عبد ربه أو غيرهم كان له هدف انساني قبل كـــل شيء يرمي الى تطهير الروح وتصفية الاخلاق ، كـما يرمي الى خدمة الانسان فى حياته اليومية وفى علاقاته مع الناس بمختلف طبقاتهم ومشاربهم . فاذا عدنا الى كتاب ابن عبد ربه نجده مبوبا بطريقة عملية يستطيع أن يرتب فيها الاخبار والاشعار والحكم والنصائــح حســب الموضوعات التي يحتاج اليها الانسان عادة . فهنالك باب يتعلق بالسلطان وآخر بالحرب وثالث بالكرم ورابــع بالوفود وخامس بمخاطبة الملوك الخ ... فالكتاب يضــم الى جانب الاصول الاخلاقية كما تهتم بها الفلسفـــة . مجموعة من الفوائد المتعلقة باللباقة والمجاملة والسلوك الاجتماعي واكتساب عطف الكبراء والنجاح فى المساعي الشخصية الخ ...

وهنالك دروس متعددة لا أستطيع أن اقف عندها اجتنابا للتطويل مثل المحاضرات التي يقدمها الاستـــاذ كولان فى الاصول اللغوية ، ودروس الاستاذ البستاني عن ابن الرومي ، والاستاذ عركون عن الغزالـــي . والدروس الخاصة بشرح ابن يعيش على المفصـــل للزمخشري

هذه نظرة خاطفة وناقصة على برنامج الدراسات فى السوربون ولم أذكر فيها الدروس المتعلقة بتاريــخ الاسلام . كما اني تركت جانبا دروس الكوليج دي فرانس والمدرسة العملية للدراسات العليا ومدرسة اللغـات الشرقية ومتحف الانسان الخ ... فهنالك برامج متسعة فى ابوابها واتجاهاتها وفيها جزء كبير يتعلق بالعالــم الاسلامي المعاصر . وربما عدت اليه فى فرصة أخرى ، وانما الذي يجب أن يستثير انتباهنا الان هو هـــذا الاهتمام الذي لا زالت تحظى به الدراسات الاسلامية فى مختلف ميادينها والذي يظهر انه فى حالة تزايد مطرد . فماذا يعني ذلك بالنسبة الينا نحن ؟

انه يلفت نظرنا مرة أخرى الى القيمة الحقيقية التي تنطوي عليها الثقافة الاسلامية والتراث الاسلامـــي بالنسبة للاروبيين ، ويبين لنا فى نفس الوقت ان دراسة تلك الثقافة وذلك التراث فى تجدد مستمر ، تجدد يستمد قوته من مصدرين : التقدم فى اكتشاف التراث والاطلاع عليه عن كثب ، والتقدم فى مناهج البحث والتحليل ، كما يدل على ذلك الفرق بين الطبعتين الاولى والثانية مــن دائرة المعارف الاسلامية .

وهذا يتنافى مع الاعتقاد الذي يسود لدى كثير من المثقفين عندنا الذين يحملون الاقتناع بأننا نعرف كــل شيء الان عن الثقافة الاسلامية والتراث الاسلامي ، واننا بعد الدراسات التي قام بها اساتذة الجيل السابق أمثال طه حسين وأحمد أمين والعقاد الخ ... أصبحنا فى غنى عن العودة الى تلك المواضيع التي قيلت فيهـا الكلمة الاخيرة .

ولكن العلم لا يعرف الكلمة الاخيرة ، انه مرقاة لا تنتهي أدراجها ، ولذلك كان من الواجب علينـا أن نعود الى تلك المواضيع التي يسود لدينا الاعتقاد اننا نعرفها والتي أطبقنا عليها الغطاء ظنا منا اننا نملـك سرها بصورة نهائية ، وهذا ما فهمـه الباحثـــون الاروبيون فأستطاعوا أن يقيموا الدليل على ان العودة للمواضيع المطروقة قد تأتي بأعظم الفائدة ، وفى بعض الكتب والدراسات التي صدرت فى السنين الاخيـرة اصدق برهان على ما اقول .

سلا : محمد أزنيبر

غيره وهو مثال المركز الوطني للبحث العامي بفرنسا الذي يحتضن مئات العاماء للبحث في مختلف الميادين ، منها ما يتصل بالعلوم الانسانية من أدب وتاريخ وفلسفة وجغرافية الخ ... ومنها ما يتصل بالعلوم الوضعية من رياضيات وفيزياء وكيمياء وبيولوجيا ، ومنها ما له صبغة تطبيقية في الطب والصيدلة والبيطرة ومختلف الفنون التقنية التي تتصل بكل أصناف النشاط البشري ، وبفضل هذه التنظيمات وهذه الامكانيات المادية استطاع عدد من العلماء المستشرقين ان يكرسوا جهودهم واوقاتهم لدراسة العالم الاسلامي ـ غابره وحاضره ، بروح جديدة ومنهاج اقرب ما يكون الى الموضوعية العلمية ، واستطاعوا أن يحصلوا من دولهم على كل المساعدات والتشجيعات التي تمكنهم من التقدم في ابحاثهم .

وبفضل هذه العوامل وغيرها ظهر بالفعل تجديد في الدراسات الاسلامية في مختلف فروعها . ويكفي أن نلقي مثلا نظرة على بعض العناوين فيبرنامج الدراسات الاسلامية بالسوربون لسنة 1967 ، لنتأكد من ذلك ، فهنالك درس عنوانه « الخلافة في مذهب الماوردي » يقوم به الاستاذ لاووست المعروف بتخصصه في موضوع الفكر الاسلامي والمذاهب الاسلامية. واختياره للماوردي لا تخفى أهميته . اذ هو العالم الاسلامي الكبير الذي تخصص في الابحاث الدستورية الاسلامية . وموضوع الخلافة . من جهة أخرى . موضوع شائك اذ هو منصب خاص بالاسلام ليس له شبيه فيما سبق من أنظمة الحكم، سواء لدى اليونانيين . أو الرومانيين أو الفارسيين الساسانيين . وقد اختلفت الخلافة شكلا ومعنى بانتقالها من يد الخلفاء الراشدين . الى الامويين. فالى العباسيين الخ ... فالموضوع مهم كما نرى لا من الوجهة التشريعية الدستورية ولا من الوجهة التاريخية . ويدل على هذه الاهمية أن الموضوع شغل كبار علماء المسلمين في عصرنا وخاصة محمد عبده ورشيد رضا الذي ألف فيه كتابا معروفا .

وهنالك موضوع آخر يدخل في تاريخ الفكر الاسلامي وهو « رد فعل الغزالي على الفلاسفة » ، وموقف الغزالي معروف بفضل كتابه « تهافت الفلاسفة » لكنه غير مدروس بالصورة المرضية ، وقد اختلف الناس في الغزالي سواء في الماضي او في الحاضر ، فمنهم من يجعله أعظم مفكر وفيلسوف اسلامي ، ومنهم من يتهمه بالرجعية والجمود ويرميه بكونه استغل نفوذه الروحي للقضاء على الفلسفة الاسلامية ، ولعل موقف الغزالي لم يكن يتسم بهذه الصلابة والتطرف الا بالنسبة لمن لهم نظرة سطحية . ولعل تفكيره ينطوي على اتجاهات طريفة من شأنها ان تتفتح على آفاق غير معروفة ، ولعل نقده للفلسفة من شأنه أن يدفع بهذه الاخيرة الى البحث عن نفسها وفي نفسها . ومهما يكن ، فالجدير بالذكر هو هذه الاهمية التي لا زال الغزالي يتمتع بها في الدراسات الجامعية بأروبا .

ومن المواضيع التي اشتغلت بها السوربون أثناء هذه السنة « الرحالون العرب فيما بين القرن الرابع والقرن السابع الهجري » ومساهمة العرب بصورة فعالة في اكتشاف العالم ووصف البلدان والمجتمعات شيء معروف ومسلم به ، لكن بقيت هنالك الدراسة التفصيلية لهذه المساهمة لمعرفة أهميتها ووزنها بالميزان العلمي الصحيح ، ورحالون من نوع المقدسي وابن جبير جديرون بكل تقدير لانهم ضموا الى الصفات العلمية الاصيلة صفات أدبية جعلت من رحلاتهم آثارا شيقة ممتعة . ومن خلال ما كتبوا نستطيع أن نأخذ صورا طريفة حية عن العالم الاسلامي والمناخ الاجتماعي والانساني الذي كان يعيش فيه معاصروهم . وهذا هو الموضوع الذي عالجه الاستاذ بلاشير المعروف كمؤرخ لامع للادب العربي ، وقد اشتغل كثيرا خلال حياته الجامعية بموضوعالجغرافيين العرب .

وقد نال الادب البحت حظه من الاهتمام لدى اساتذة الجامعة الباريسية . فالاستاذ بيلا المعروف بأطروحته الحاسمة عن الجاحظ وعصره انساق هذه السنة في دراسة الادب العربي باسبانيا . وقد تميزت هذه الدراسة بكونها انبنت قبل كل شيء على تحديد مفهوم كلمة الادب عند الكتاب العرب الاقدمين، ومن دون شك أن المفهوم القديم يختلف كثيرا عن المفهوم الحديث ، فالادب يعني اليوم كل كتابة لها قيمة فنية . مهما كان موضوعها وهدفها ، ومهما كانت الافكار التي تدافع عنها وليس مطلوبا من الاديب أن يكون مرشدا أو مربيا في عصرنا . ويكفي أن يثير انتباهنا ويجذبنا بكيفية أو بأخرى . لكن مفهوم الادب في القديم كان يختص اهدافا أخلاقية وسلوكية الى جانب الالتزامات الفنية ، فالاديب بهذا المعنى كان فكها ومؤدبا في آن واحد ، فهو يدعونا بطريقة مشوقة ومغرية الى اكتساب الاخلاق الحسنة ، وهذا ، مثلا ، هو ما توخاه ابن عبد ربه الاندلسي حينما كتب « العقد الفريد » وهو في ذلك مدين بالشيء الكثير لسلفه ابن قتيبة . ومن هذا القبيل كتاب الامالي لابي علي القالي ، وان كانت الرغبة في تلقين اللغة ابين فيه ، وكتاب بهجة المجالس لابن عبد البر ، وكتاب المظفري

الروافض :

والذين رفضوا الاعتدال فى الموقف من خلافة الصاحبين لم يقفوا عند حد بل ساروا سيرا عدائيا فتطاولوا على الخليفتين ابي بكر وعمر ثم اتخذوا من ذلك وسيلة لمهاجمة من تلاهم واعتقدوا بامامة متسلسلة من ذرية فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة علي بن ابي طالب ورفضوا الاعتراف بأي خليفة سواهم واستباحوا الخروج عليهم ، ولما يجدوا مجالا فى قلب الممالك الاسلامية ذهبوا الى الاطراف فكونوا الامارات والدول التي اصبح لها شان كبير فى المشرق والمغرب ثم عظم شانهم فزحفوا من الاطراف على الداخل فاستولوا على الممالك الاسلامية باكملها ، ثم انتفض السنيون وقلوبهم عن عروشهم فتناثر اشياعهم يتوارون ويعتصمون فى المعاقل الحصينة فاطلق عليهم القاب الاسماعيلية والدروز والنصيرية الذين استغلوا فى القديم والحديث ضد الجماعة الاسلامية يفتكون بهم ويكيدون لهم حتى كانوا فى الازمنة الاخيرة خير عون للمستعمرين . ولم يقتصر الامر على هذه الفرق بل ظهرت الى جانبهم فرق اخرى كالاباضية المنبثقة عن الخوارج واليزيدية المنتظرة ليزيد والبابية والقاديانية التي روجها المستعمرون مما يجب تفهمها وتفهم عقائدها واليك .

الاسماعيلية : (1)

نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق فهو السابع للامام علي كرم الله وجهه وهم شيعة متطرفون اخذوا من الصابئة ومن الفلاسفة واولوا كل شيء الى سبعة ومضاعفاتها ، فالايام سبعة والعوالم السماوية سبعة والرسل المشرعين سبعة وهم : آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، والقائم (من الائمة) .

ويقررون ان عدد حروفهم من مضاعفات السبعة اي ثمانية وعشرين ، وان الاسس سبعة وهم : شيت وسام واسماعيل وهرون وشمعون وعلي ، واساس القائم الذي لا يمكن اذاعة اسمه حرصا على سرية المعتقدات .

وايضا مجموع حروفهم ثمانية وعشرون ، والقائم هذا يعتقدون بان الا له او جزء منه يحل فيه ويمكن ان يحدد التشريع او يزيده ، وعلى هذا الاساس ادعى سرا ، وقد نالتهم ضربات كثيرة على حسابها محفوظة الحاكم بامره الالوهية واستمر غيره يدعي هذه القدسية فى تاريخهم ، وهم يؤولون جميع الاوامر والنواهي تأويلا يخرجها بالكلية عن جوهرها نحو قولهم بتناسخ ارواح ائمتهم الى من يليهم ، وينتظرون بعض من ماتوا من ائمتهم وهم ينكرون صفات الله تعالى وانه لا تدركه العقول ولا تفهمه الالباب وان الجنة معناها مجازى وان لا خلود فى النار .

وينتشر الاسماعيليون فى اقطار عديدة وهي الهند وعمان ومسقط وزنجبار وايران والعراق وسوريا وافغانستان وقد استغلهم الانكليز ورفعوا قدر رئيسهم الملقب باغاخان حتى انه تراس فى احد الادوار جميع مسلمي الهند ، وتكلم باسمهم وقال اغاخان السابق في مذكراته بأنه يامر اتباعه بالتعاون مع الحكام ومسايرتهم وهذا ما يسمى بالتقية عندهم وعند امثالهم .

وهم يخالفون اهل السنة فى اعيادهم وصلاتهم وسائر امورهم ، وعندهم من الكبائر انتقاد لاي شخص من آل البيت او نسبة اي نقص اليه اذ هم فى نظرهم معصومون .

وهم يجمعون زكاة اموالهم ويرسلونها الى رئيسهم اغاخان ، وحين بلغ الخامسة والعشرين قدموا له وزنه من الفضة ، ولما بلغ الخمسين قدموا له وزنه من الذهب ، ولما بلغ الخامسة والسبعين قدموا له وزنه الماس فى صناديق من البلاستيك .

اما بخصوص المصحف فعندهم مصحف ولكنهم يؤلون فى التفسير المحكم والمتشابه على السواء كما يشاءون .

ولهم اذان مطول زادوا على الاذان المأثور نحو قولهم : « اشهد ان لا اله الا الله العالم القادر الخالق . واشهد ان محمدا رسول الله الناطق بالتنزيل والدليل الى اوضح السبيل واشهد ان عليا ولي الله ووصيه الناطق بحقائق التأويل والقائم من بعده بالحق المبين ونور الله المدل الى سواء السبيل .. » الى غير ذلك من الزيادات ثم بعد النهاية يضيف اضافات اخرى . ثم يحضرون البخور والطيب ويصلون بامامة اكبرهم ركعتين فى الصباح ومثلهما فى المساء ، وهم اذا ذكر

---

(1) معلومات هذه الرسمية استقيتها من كتاب اربع رسائل اسماعيلية للاستاذ عارف تامر الاسماعيلي، ومن خطط الشام لكرد علي ، ومن تاريخ جودت باشا وغيرهم ، ومن ظهر الاسلام للاستاذ احمد امين .

الفرق الباقية على خلافها لجوهر الإسلام

للأستاذ إحسان النمر

الاحزاب السياسية . المتربصون بالاسلام يستغلون الخلاف . الضغط والتعقيب يوجد الجمعيات السرية . الباطنية والروافض وما تفرع عنهم ، وسر بقائهم واستغلالهم . الاسماعيلية . النصيرية . الدروز . اليزيدية . الاباضية . البابية والبهائية . القاديانية . وكيفية اعادتهم الى حظيرة الاسلام الصحيح .

الاحزاب السياسية الاولى :

بعد تحكيم يوم صفين انقسمت الجيوش الاسلامية ثلاثة احزاب : شيعة علي ، الخارجون على علي ، جماعة معاوية. وظل شيعة علي على ولائهم لذريته مع انقسامهم الى فرق وظل الخوارج على عنادهم ثم انقسموا الى فرق . أما جماعة معاوية فقد تباوروا الى اهل السنة والجماعة الذين ساروا يتمسكون بجوهر الاسلام وبمجموعه . وانما اختلف عنهم الشيعة والخوارج بأئمتهم وانطوائهم على انفسهم حتى فى العقيدة وجعل الامامة من صلب العقيدة الدينية بأدلة واهية .

المتربصون للاسلام يستغلون الخلافات الحزبية :

انضوى تحت راية الاسلام عناصر تضمر له الشر وهم اليهود والفرس والصابئة والسريان ممن كسدت بضاعتهم الفلسفية فما كادت تقع الفتنة حتى استغلوها بدقة وسهر وعمل متواصل وكلما أريد رتقها فتقوها . فالتحكيم الذي يعتبر دائما وسيلة لحسم النزاع اعتبروه كفرا وقابل بعضهم هذا بتطرف فأعلنوا تاليه علي فأمر بحرقهم . ولما أعتدل بعض ائمة آل البيت كزيد بن علي وقال بتسويغ خلافة أبي بكر وعمر رفضوا قوله وتركوه فاطلق عليهم لقب الروافض وقد طوردوا من السنة والشيعة (1) انفسهم فانطووا على انفسهم واتخذوا التقية والسر فى سلوكهم فلقبوا بالباطنية فلهذا ولاعتقادهم بتسلسل ائمة الباطن يبتدعون تأويلا لباطن القرآن والحديث وتركوا الظاهر واولوا كما يشاؤون وقد توسعوا الى حد ابعدهم عن جوهر الاسلام بالكلية مما حمل فقهاء السنة والشيعة المعتدلين على الافتاء بكفرهم .

---

(1) الجعفرية والزيدية لهم عقائد وتشريع جوهري اسلامي ، وقد أصبح يدرس فى الازهر الشريف .

يجمعون بين امراتين فى الزواج ، وقد نفى الامير شكيب ارسلان عنهم دعوى الحلول الالهي ودافع عن تهمة كفرهم الا ان تكتمهم والغازهم فى كتبهم أساءت اليهم ولا تزال . على ان فى عاداتهم واتصالهم بالمسلمين ما يسهل التفاهم معهم ، وهم يتقربون لاهل السنة ويتنورون تدريجيا ، ولهم مواقف ضد الاستعمار اخلصوا فيها فقربوا من المسلمين .

الاباضية :

هم فرقة من الخوارج انفصلوا عنهم واتبعوا عبد الله بن اباض الحضرمي . وهم يسكنون فى عمان وزنجبار والجبل الاخضر فى برقة (ليبيا) . وهم معتدلون فى عقيدتهم ، فهم يحترمون ابا بكر وعمر ويخطئون عثمان وعلي . قال ابن بطوطة فى رحلته عن عاصمتهم نزوا « وهم اباضية المذهب ويصلون الجمعة ظهرا أربعا فاذا فرغوا منها قرأ الامام آيات من القرآن ويثير كلاما يشبه الخطبة يرضى فيه عن ابي بكر وعمر ويسكت عن عثمان وعلي ، وهم اذا ارادوا ذكر علي رضي الله عنه كفوا عنه فقالوا ذكر عن الرجل ويرضون عن الشقي ابن ملجم ، ويقولون عنه العبد الصالح قاطع الفتنة » .

ويرون ان مرتكب الكبيرة كافر بنعمة الله. ويرون ان الخلافة عامة وليست مقيدة بقريش . ولهم رأي انفردوا به فهم يقررون انه لا يجوز للمسلم ان يقوم بالواجب الاسلامي نحو مسلم لا يقوم هو به ، وان يعامل كعدو الى ان يتوب ويقوم بواجباته ، ولهم تشريعهم الذي منه اباحة اكل الحمر الاهلية ويقومون بواجباتهم الدينية بورع ، ولهم امام ينتخبونه حين الضرورة الملحة اذ عندهم ان الامامة سياسة لحاجات الوقت فاذا كان الناس بخير فلا حاجة الى امام . وهم فى العهد الاخير يناوئون الاستعمار ويثورون باسم الامام ويرون انه صاحب الحق الشرعي فى البلاد لانه ينتخب انتخابا ولا يعترفون بسلطانهم الوراثي ، ولقد كان لجوءهم لتلك المناطق النائية سر احتفاظهم بمذهبهم الا انهم أيضا كانوا يلزمون التقية حين تحكم البلاد دولة قوية كما كانت الحالة حين مر بهم ابن بطوطة ، وكان يسيطر على البلاد ملك هرمز السني .

ولكنهم بعد ذلك نهضوا مكونين دولة ذات اسطول قوي استطاعت رد الاوربيين وانجاد الساحل الافريقي الى ان تفوقوا عليهم واستعمروهم ، وقد هبوا اليوم يقارعون المستعمرين ويستنجدون العالم العربي فخرجوا من عزلتهم معلنين كراهيتهم لاسم خوارج واباضية .

اليزيديون :

نسبة ليزيد بن معاوية ، ويظهر أن بعض أتباع واشياع الامويين نزلوا فى جبال الهكارية من بلاد الاكراد هربا من بطش العباسيين . وكان منهم رجل قدير اسمه عدى بن مسافر الاموي أظهر من الورع ما أحله محل القداسة فى تلك المنطقة . الا انهم اندس بينهم من ادخلوا عليهم بعض العقائد الباطلة التي سادت فى عهد الفرق فغمرتهم واختلطت عقائدهم فتعهد لهم بعض شيوخهم بالجنة دون عبادة وصوم واعتقدوا بالتناسخ والحلول وعبادة الشمس وتقديس الشيطان الذي يرمزون له بالطاووس فاذا شتم احد الناس على مسمعهم الشيطان او ابليس تشاجروا معه وقد يقتلونه. ورأيهم فيه أنه أمر بالسجود لغير سيده وانه هو سيد الموحدين ، وعلى هذا فهو يستحق على راي شيوخهم الاحترام لا اللعن ولانه كان طاووس الملائكة رمزوا له بالطاووس .

وقد انتقلوا الى جبل سنجار غربي الموصل ايضا ولهم كتابان مقدسان وهما : (كتاب الجلوة) و (كتاب مصحف رش) وهما من وضع شيوخهم ، وفيهما طقوسهم ومعتقداتهم ، ولهم شيخ ولهم أمير من ذرية الشيخ عدى يلقب بك ، ومقام الشيخ عدى هو مزارهم الذي يحجون اليه ، وهو فى بلدة ليلش من بلاد الهكارية. وهم يقدسون جبل سنجار كجبل عرفات لاسباب يطول شرحها .

ومع كل هذا فان عندهم القرآن ويحفظون سورا منه ويحفظه شيوخهم لابنائهم ابقاء على العلم فيهم ، الا انهم يطمسون منه كل ما يتعلق بالشيطان وابليس وذلك بوضع شمع عليها زاعمين ان المسلمين زادوها فى القرآن: وهذا يدل على انهم اسلام فى الاصل وقد ضللهم من اندسوا بينهم حتى ان الشيخ تقي الدين بن تيمية يشهد للشيخ عدى بالصلاح ، وان طريقتهم سليمة ، وانما ضللهم من اندسوا بينهم وسيطروا عليهم من الباطنية الذين سيطروا على تلك الجبال فترى انها من معتقدات الاسماعيلية ، والغالب ان كتابي الجلوة ورش وضعا فى ذلك العهد .

ولهم صلاة خاصة لا تشبه صلاة المسلمين ، وكذلك الصوم وعدد من الاعياد كذلك . وهم يسيرون فى الزواج على تشريع خاص بهم . وكذلك فى باقي الاحوال

الامام علي سجدوا له ، اما من حيث الاخلاق فهم مثال الطاعة لانمتهم الى حد الموت مع الشجاعة التامة والكرم والبذل ، وكانوا يعرفون بالحشاشين وقد ضربوا امثلة خطيرة فى الفداء . وعندهم مرشدون ممن بلغوا سن الاربعين فما فوق . اما من دونهم فهم رعاع جهلة .

النصيرية :

هم فرق باطنية ينسبون انفسهم الى نصير مولى امير المؤمنين علي بن ابى طالب ، ويلقبون أنفسهم ايضا بالعلويين وهم يغالون بعلي كرم الله وجهه ، ويقولون انه لم يمت وانه يسكن السحاب ، فاذا مر بهم السحاب قالوا السلام عليك يا ابا الحسن ، ويقولون ان البرق ضحكه والرعد صوته ، ويقولون بالحلول ، فيقولون بألوهية هابيل ، ومنه حلت فى شيت ثم انتقلت الى اسماعيل ثم الى موسى فعيسى فمحمد ، ثم الى علي الى ان التف بالحلة وصعد الى السماء . ويقولون ان ارواح ائمتهم (عقالهم) تصعد الى الكواكب ، ولذا فهم يسجدون الشمس حين الشروق وحين الغروب ويحترمون الكواكب وليس لهم جوامع ولا مساجد بل يجتمعون فى بيوتهم ويعتقدون بالتقية اذ انهم يتظاهرون بالاسلام واذا اطلع احد على عقيدتهم قتلوه ، ويعتقدون بوجود الامام المتأله الى آخر الدوران ، وما حكاية سليمان مرشد مدعي الالوهية ببعيدة فقد شنق من عهد قريب . وهم يبيحون الخمور ولا غيرة عندهم ، وكذلك هم يؤولون القرآن حسب أهوائهم ، وهم كالاسماعيلية فى تعظيم آل البيت ، وقد وقعت عداوات بينهم وبين الاسماعيلية الا ان الاغاخان السابق يقول فى مذكراته بأنهم من الاسماعيلية وانهم من المفروض فيهم ان يكونوا من اتباعه الا انهم خارجون . وهم يختلفون عن الاسماعيلية ، ويظن كثيرون انهم فريق واحد . وهم يسكنون فى المناطق الجبلية وراء اللاذقية وطرابلس الشام وحماة ، وقد تحصنوا فى هذه الجبال . وقد انتشروا فى سوريا فى هذه الايام ، وهم يتمسكون بعقيدتهم رغم الضربات الكثيرة التي نزلت بهم من السلاطين والملوك والقواد .

الدروز :

هم جمعية كونها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله للقول بقوله فعظموه واكبروه وقد تغلب على دسائس ومكائد كانت جارية فى عهده فشمخ وتعالى وصار يوقع « الحاكم بأمره » بدلا من الحاكم بأمر الله ، وكان له من اتباعه جواسيس قديرون يستطلعون احوال الناس في بيوتهم فيخبرهم بذلك ، فقالوا انه يعلم بالمغيبات ايضا فألصقوا به ادعاء الالوهية فتربصوا به فقتله مجهولون واخفوا امره وقالوا انه عرج الى السماء وبطش من بعده باتباعه الذين كانوا يعظمونه ويقولون بتعاليمه فتواروا واتخذوا سراديب يجتمعون بها ثم هاجروا الى جبل لبنان فجبل الدروز فاندس بينهم داعيان من دعاة الباطنية ، احدهما محمد بن اسماعيل الدرزي الذي شملهم اسمه ، والثاني حمزة بن علي بن احمد ، وقد لقنوهم عقيدة الاسماعيلية وصنف لهم درزي كتابا هو عقيدتهم ابان فيه فكرة تناسخ الارواح وهي ان روح آدم انتقلت الىشيت فشعيب فالى سليمانفالى المسيح فالى فيثاغورس الحكيم فالى محمد ، وان سلمان الفارسي هو همزة الوصل ، وان القرآن انما اوحى اليه وعنه أخذه محمد صلى الله عليه وسلم وعربه . وقد اولوا الاحكام فقرروا ان الصلاة هي الوفاء للاصدقاء ، وان الصوم هو صون اللسان فلا رمضان عندهم ولا عيد فطر ، ومن غرائب الاعتقاد تحريمهم اكل الملوخية لان الحاكم بأمره يكرهها ، وعندهم تفسير للقرآن لغزي لا يعرفه الا رؤساؤهم ويتكتمون فيه غاية التكتم ولهذا فهم طبقتان عقال وجهال ، والعقال يضعون العمائم ويطلقون اللحى ، وهم درجات ايضا يتراسهم شيخ العقل ، والباقون جهال لا يعرفون شيئا ، ولهم زوايا لاجتماع العقال ، لايدخلها غيرهم ، ويقيمون اذكارهم فيها مع الحراسة التامة من الخارج ، واذا تسرب الى احد معتقدهم قتلوه ، الى ان كبسهم ابراهيم باشا واستولى على بعض كتبهم .

وكذلك النساء عاقلات وجاهلات ، ويقولون للعاقلة جويده وللجاهلة غير جويدة .

وهم يختلفون عن النصيرية والاسماعيلية ، بأن اخلاقهم عربية ، عندهم كرامة وعندهم غيرة ، ولكنهم فى العقائد متقاربون . ان علي الاغاخان السابق يرى انهم اسماعيلية منشقون ، فهو يقول فى مذكراته : « نجد الدروز فى معقلهم ، جبل الدروز ، انهم فى الحقيقة اسماعيليون ، لم يتبعوا اصلا أفراد عائلتي فى هجرتهم من مصر ، بل حافظوا على ذكرى جدي الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي فى مصر واقاموا معتقداتهم على أسس شبيهة الى حد ما بأسس الاسماعيلية السوريين الذين هم اتباعي فى الوقت الحاضر » . وهم يحملون على الاديان الثلاثة الا انهم يتخذون التقية تجاه القوة فيظهرون المودة لكل دين حين الاجتماع بأتباعه .

على انهم فى المعاملات والاحوال الشخصية يسيرون بمقتضى الشريعة الاسلامية الا انهم لا

مقيد بل كل عهد بما يناسبه ، وان كثيرا من الاحكام الاسلامية الاصولية يمكن ان تزول وتتغير .

وقرر غلام احمد ان الطاعة واجبة للحكومة المركزية ايا كانت .

وقرر ايضا ان الجنة والنار ليسا مكانين ، انما هما كيفيات للانسان من السعادة والشقاء ، وقرر ايضا ان القضاء والقدر مكيدة مجوسية .

وهم يقيمون الصلاة ولكن بأساليب تخالف اهل السنة والجماعة ، ويدسون فى دعوتهم افكارا الحادية فاضطر سائر المسلمين الى التبرؤ منهم والرد على دعايتهم الا ان الانكليز استغلوا دعوتهم استغلالا دقيقا .

وبما ان اساليبهم فى مظهرها اسلامية تتدفق غيرة وحسرة لما اصاب الاسلام والمسلمين ، وهي مغرية لمن لا يعرف طرق الدس الالحادية . ولهذا كانت مقاومتهم على جانب الصعوبة لا سيما بعد انتشارها فى بريطانيا وامريكا حيث نجحت بعض النجاح وهم اظهروا الاسلام بهذه الصورة المشوهة .

« كلمة ختامية توجيهية »

هذه هي الفرق الباقية فى الاسلام وجميعها نشطة تعمل وينضم اليهم الحاد وجفاء خريجي المدارس التبشيرية مما يحتاج الى تضافر المسلمين وعملهم لنشر عقائد الدين الاسلامي الصحيحة بأساليب تتفق وروح العصر مع ايجاد تيار اسلامي عنيف يتغلب على التيار الغربي ويرجعه بل ويبدده فى ارضه ويطهر ارض الاسلام من الضلالات والمفاسد التي جلبتها حضارة الغرب .

اما بالنسبة الى الفرق المذكورة فى هذه الرسالة فينبغي ان نفتح لها صدورنا وان نقلب الاية فلا نصمهم بالكفر والالحاد حتى ولا بالبدع بل يجب ان نعتبرهم مسلمين نناقشهم ونباحثهم فى الشؤون الاسلامية مستشهدين بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية وان نحبب اليهم الرجوع الى هذه المراجع التي لا ينكرونها . وان يجبروا ادبيا او قسريا على التعليم الابتدائي الاسلامي فى المدارس . وان نضغط عليهم ادبيا لدخول المساجد وشهود المحاضرات فى النوادي والمجتمعات ، وان نصاحبهم ولا نظهر لهم اي نفور ولا نمكنهم من الانطواء على بعضهم لان هذه الناحية اي الانطواء على طائفتهم هي التي مكنت المدلسين من تضليلهم وافساد عقيدتهم . والله الموفق للصواب .

نابلس ـ الاردن : احسان النمر

فـي البـشـر

قيل لأبى العيناء : هـل بقـى في دهرنا من يلقى ؟ قال : نعم في البئـر ! .

الشخصية والمعاملات ، وهم يختنون صبيانهم كالمسلمين وفي نفس الوقت يعمدونهم كالنصارى ، ويعطلون يوم الجمعة كليا فيزورون احد المقامات مع الوليمة هناك .

وكذا هم حسب تشريعهم لهم محرمات كتحريم اكل الخس والملفوف والقرنابيط وبعض الخضر . ولا يدخلون حماما ولا مرحاضا لانها مساكن الشياطين فلا يدنسونها .

ويحرمون النظر الى وجه المراة الغير يزيدية . ويحرمون البصق على الارض رو على وجه انسان ، كما يحرمون التلفظ باسم الشيطان او ما يقاربه تقديسا لمقامه . الى غير ذلك من الآداب التشريعية .

وعددهم لا يبلغ الاربعين الفا حسب الاحصاءات الاخيرة ، لانهم حصل عليهم اضطهادات كثيرة فهدم قبر الشيخ عدي واحرق . وقد سبوهم ونهبوهم .

البابيــة والبهائيــة :

في سنة 1260 هـ اصيب التاجر علي محمد الشيرازي بمرض فجاء الى مقامات آل البيت رضي الله عنهم في كربلاء والنجف وغيرها ، وصار يجلس الى المجتهدين ثم سافر الى الحجاز فأدى فريضة الحج . ولما عاد صار ينشر أفكارا تخالف الاسلام ثم ادعى ان المهدي المنتظر قريب الظهور وانه بابه . وكان بعض المدلسين يترقب مثل هذا فاتبعوه ، وقد بلغوا ثمانية عشر ، فامتحنه المجتهدون وقرروا ان أقواله مخالفة للشرع فحبسته الحكومة اولا في قلعة ماكو في الشمال ونفوا بعض اتباعه خارج البلاد الى بغداد . واستمرت دعايته وقد كثر اتباعه فعقدوا مؤتمرا في صحراء بدشت اعلنوا فيه ما تآمروا عليه وهو ان الباب هو المهدي وان شريعته تنسخ الدين الاسلامي ، فثار عليهم المجتهدون وظهر ان لاتباعه ضلع في مقتل الشاه ناصر الدين ففتكت فيهم الحكومة الايرانية والشعب فقتلوا نحو (2 500) منهم ثم قتلوا الباب نفسه وهو الذي سموا بالبابية نسبة لدعواه .

وكان بين اتباعه شخص بارز اسمه ميرزا حسين علي قد لقبوه بهاء الله فادعى ان الباب أوصى له وانه قد استولى على كتبه وانه هو مظهر الله الاكمل وان جميع الرسل السابقين كانت قضاياهم ناقصة ولهذا فهو ينسخها ، وقد أصدر تشريعا يوحد الاديان الثلاث اليهودية والنصرانية والاسلام . وكانت الدولة العثمانية قد نقلته من بغداد الى ادرنه ثم الى عكا، ونظرا لمناصرة روسيا له لم تتمكن من القضاء عليه وعلى بدعته بل اكتفت بأن اخذت عليه العهد بأن لا يدعو الى نحلته في بلادها فوجه دعايته الى أوربا وامريكا فانتشرت وصار له بضعة آلاف من الاتباع في تلك البلاد ، وقد سموا البهائية نسبة اليه ، والغي اسم البابية .

وقد اظهر البهائيون عددا من الكتب التي يدعون انها منزلة وموحى بها واهمها الايقان المخطوط بقلم الرحمن . والالواح المباركة .

وقد اعلنوا توحيد الاديان الثلاثة باعجاز القرآن ودعوا الى محكمة عالمية ولغة عالمية وفرضوا صلاة وصوما وحجا باساليب تخالف الاسلام فلاقت قبولا في أوربا وامريكا ونمت حتى بولغ بعدد اتباعها .

وصار أتباعه يقولون له يا ربنا . وقد فرض على أتباعه السلام والمسالمة والاحتراف فهم على جانب من الهدوء ولزوم الحرفة . وهم يدفعون خمسة في المائة من مكاسبهم الى ربهم . وهو ينفق بسخاء كيف يشاء .

القاديــانيــة :

نسبة لقاديان البلدة الصغيرة في بلاد الهند والتي ولد فيها غلام أحمد برويز وهو من بيت نجارة شب ضعيفا فذهب الى زيارات مقامات آل البيت في العراق وقد جلس على حلقات المجتهدين هناك ثم سافر الى الحجاز حيث ادى فريضة الحج ثم عاد الى بلاده ايران يظهر النسك والعبادة ، وكان الجو مملوءا بالمنازعات الدينية والمذهبية بسبب نشاط المبشرين المسيحيين ففاجأ الناس باخراج كتاب رد فيه على المبشرين وغيرهم فابتهج الناس به والتف كثيرون حوله واصبح له اتباع ومريدون وقد اغراه هذا الاقبال فأعلن انه المسيح الموعود — معلنا ان عيسى عليه السلام قد مات . واعلن انه خاتم النبيئين ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم المشرعين ، وصارت نشراته تنشر بسرعة ظاهرها الاسلام وباطنها الالحاد . وقد ظاهرته حكومة الهند الانكليزية وانتقل دعاته الى بريطانيا ، وقد اوجدوا جريدة باسم اسلاميك رفيو تنشر عقائدهم ودعايتهم ، وقد قبل دعوته جماعة من الانكليز وابتنوا جامعا في حي ووكنج بلندن ، وقد عرفوا بجماعة الاحمدية ، وقد ترجموا القرآن الى اللغتين الانكليزية والاوردوية ، وقد الفوا عددا من الكتب التي تشرح دعوتهم باللغتين ايضا وقد اوجدوا لهم دعاة في العراق وسوريا وفلسطين ، وكان من دعايتهم ان تفسير القرآن يمكن ان يكون غير

كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » ومعناها بلغة خثعم العصا . وهو بهذا الاستعمال ذاته فى لهجتي حضرموت وانمار .

وسميت العصا منسأة « لانه يطرد بها ويؤخر(6) » ويقول الزمخشري انها « تقرأ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس » ولكنه لم يشر الى من يقراها على هذا الشكل . وبيان قراءتها فيما علمت كما يلي :

ا ـ **قراءة ابن مسعود** : منسأته بكسر الميم والتاء مع عدم تخفيف الهمزة ومن سأته مع جعل من حرف جر وتاء مكسورة وعدم تخفيف الهمزة (7) ويشرح الزمخشري هذا الوجه الاخير فيقول « ومن سأته أي من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لغتان (8) »

ب ـ **قراءة ابي بن كعب** : منسأته يوافق فى ذلك قراءة ابن مسعود الاولى، منسته بحذف الهمزة تماما(9)

ج ـ **قراءة بن جبير** : منسأته ومن سأته يوافق فى ذلك قراءة ابن مسعود تماما .

ومن هذه القراءات تتضح لنا غرابتها ، وتظهر غرابتها اكثر فى القراءة « من سأته » التي يقول عنها ابو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري في كتابه « املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات فى جميع القرآن : (10) » وقريء فى الشاذ « من سأته » بكسر التاء على أن « من » حرف جر ؛ وقد قيل غلط قارئها » ويزيد العكبري رادا على ابن جني فيقول : « وقال ابن جني سمت العصا سأة لانها تسوء ، فهي قلة والعين محذوفة وفيها بعد . »

4) مفردة « واق » فى قوله تعالى : « أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد قوة وءاثارا فى الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق » ومعناها مانع بلغة خثعم . وهذه المفردة موجودة فى الآية 21 من سورة غافر . ولقد كررها الحق سبحانه وتعالى بنفس الصيغة مرتين فى سورة الرعد فى الايتين 34 و 38 .

5) كلمة « مريج » الموجودة فى الاية 5 من سورة ق التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها : « بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى امر مريج » ومعناها بلغة خثعم مستتر .

ومعلوم أن اصل مرج « الخلط والمروج الاختلاط، يقال مرج أمرهم اختلط ومرج الخاتم فى اصبعي فهو مارج (11) » وهو اصل مستمد ، كما لا يخفى ، من معناه فى لغة خثعم .

6) مفردة « صفت » الموجودة فى الاية 4 من سورة التحريم التي جاء فيها : « ان تتوبا الى الله فقد صفت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين والملائكة بعد ذلك ظهير » ومعناها بلهجة هذه القبيلة « مالت » وهي موجودة بنفس المعنى فى قوله تعالى : « ولتصفى اليه افئدة الذين لايومنونبالاخرة (12) » اي يميلون بأسماعهم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيه خلاف اما الجوهري (13) فيجعله من باب عدا ورضي ليس غير، واما المختار فيقول : صفا : مال ، وبابه عدا وسما ، ورمى ، وصدى .

7) كلمة « سجرت (14) » «واذا البحار سجرت » كما وردت بنفس المعنى فى قوله تعالى : « في الحميم ثم فى النار يسجرون (15) » وفى قوله : « والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع (16) » ومعناها بلغة خثعم جمعت .

---

6) الكشاف الجزء الثالث صفحة 254
7) صفحة 76 ـ
8) الكشاف الجزء الثالث صفحة 254
9) Arthur Jeffery صفحة 157
10) صفحة 196 من الجزء الثاني
11) المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهاني صفحة 465
12) الانعام الاية : 113
13) الصحاح ج 6 صفحة 2400
14) سورة التكوير الاية 81
15) سورة غافر الاية 72
16) سورة الطور الاية 6

لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب ...

للأستاذ الراجي التهامي الهاشمي

(II)

لهجة قبيلة خثعم (1)

تنسب هذه القبيلة الى قطحان وهي كهلانيـة . وكان كانو يسكنون قديما فى سروات اليمن والحجاز . وكان لهم مكان مقدس يعبـدون فيه صنمهـم الذي كانـوا يسمونه بذي الخلصة ، وكانوا يظاهـرون بهذا المكان مكة المكرمة الى درجة انهم اطلقوا عليـه فى حقبـة من تاريخهم « الكعبة اليمنية » .

تتفرع خثعم عن اربع قبائل هي : كـود وناهس واكلب وشهران . ومعنى خثعم الضبع (2) شاركت هذه القبيلة فى القرآن الكريم بسبعة ألفاظ وزعت فيه حسب البيان الآتي :

1) مفردة : « تسيمون » فى سورة النحل الآية 10 التي يقول فيه الله تبارك وتعالى : « هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون» ومعناها بلغة خثعم « ترعون » واعتقد ان الاصل القديم الذي انحدرت منه هذه المفردة هو « السوم » الـذي اصاب شرحه العلامة الامام ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني حين قال:(3) «السوم اصله الذهاب فى ابتغاء الشيء ، فهو لفظ لمعنى مركب من الذهاب والابتغاء » .

ولقد تفرع من هذه المادة صيغ كثيرة موجـودة فى القرآن الكريم ک «الخيل المسومة» فى الآية 14 من سورة آل عمران . و « مسومة عند ربك » فى هود والذاريات . جاء فى الصحاح (4) « والسوام والسائم بمعنـى وهو المال الراعـي » .

2) كلمة « شططا » فى الاية 14 من سورة الكهف التي جاء فيها : « وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالـوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقـد قلنا اذا شططا » ومعناها بلغـة خثعـم كـذبـا .

ولقد وردت ايضا بهذا المعنى فى سورة الجن الآية 4 قال تعالى : « وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا » والاصل فى ذلك كما جاء عند المحققين (5) الافراط فـي البعد والشطط عموما : مجاورة القدر فى كل شيء وبـه ورد الحديث الشريف « لها مهـر مثلهـا لا وكس ولا شطط » .

3) كلمة : « منساته » فى سورة سبأ الاية 14 التي جاء فيها : « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته ، فلما خر تبينت الجن ان لو

---

1) الاعلام لخير الدين الزركلي الجزء الثاني صفحـة 344 والمراجع التي ينص عليها اسفل هذه الصفحة .

2) بلوغ الارب فى معرفة احوال العرب صفحة 194 من الجزء الثالث الطبعة الثالثة .

3) المفـردات فى غريب القرآن صفحـة 250

4) صفحـة 1955 الجـزء الخامس

5) وعلى راسهم الراغب الاصفهاني فى المصدر السابق صفحـة 260

ولا بد ان أشير الى ان هذه اللفظة لم ترد الا مرة واحدة في القرآن .

3 — لفظة « ظاهر » الآية 33 من سورة الرعد التي جاء فيها : « افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد » ومعناها بلغة مذحج « كاذب » والملاحظ ان الراغب الاصفهاني اغفل عن هذه اللفظة فلم يشر اليها في كتابه : « المفردات في غريب القرآن » .

4 — كلمة : « وصيد » الموجودة في الآية 18 من سورة الكهف التي جاء فيها : « وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا » ومعنى الوصيد بلغة مذحج الفناء . وذهب كثير من المفسرين (23) ان معناها المقفلة وعززوا قولهم بالآية : « عليهم نار موصدة » .

5 — مفردة : « كبت » الكائنة في الآية 5 من سورة المجادلة التي يقول فيها سبحانه وتعالى : « ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين » .

ومعناها بهذه اللغة « لعن » ومن نزلت عليه لعنة الله فهو هالك لا محالة . وقال الراغب الاصفهاني: « الكبت : الرد بعنف وتذليل » وعزز تفسيره بقوله تعالى : « ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين » (24) .

6 — كلمة : «الخرطوم » اعتقد عدد كبير من المفسرين والمهتمين بلغة القرآن ان هذه اللفظة من لغة مذحج (25) وليس ببعيد أن تكون هذه المفردة ظهرت اول ما ظهرت في مذحج بعد ان تسربت اليها من اللغة الآرامية او لعلها ثبتت وانتشرت في هذه القبيلة أكثر مما ثبتت وانتشرت في القبائل العربية الاخرى ، الامر الذي جعل هؤلاء المهتمين يحسبونها مذحجية ، وهي في الآرامية ܚܪܛܘܡܐ « Hartoûmo » بمعنى الانف (26) .

وتوجد هذه المفردة في الآية 16 من سورة القلم التي يقول فيها الحق سبحانه وتعالى : « سنسمه على الخرطوم » وفي كلمة الخرطوم ما فيها من الاستخفاف والاستهانة بالكافر المجرم .

اكادير — الراجي التهامي الهاشمي

---

23) منهم الراغب الاصفهاني « مفردات غريب القرآن صفحة 525 » والزمخشري (الكشاف ج 11 صفحة 383) وغيرهما .

24) نفس المصدر اعلاه صفحة 420 .

25) ومن بينهم ابو القاسم ابن سلام .

26) غرائب اللغة العربية صفحة 180 .

القبيلة الحادية عشرة « مذحج »

اتفق الجميع أصحاب المطولات اللغوية والجغرافيون والمؤرخون والنسابون على ان مسكن مذحج الاصلي هو اليمن (17) .

أما وزنها فعلى مسجد (18) واكد سيبويه ان الميم من اصل الكلمة ، ومنهم من راى أن دالها غير معجم .

اما سبب تسمية هذه القبيلة بمذحج فالمشهور عند العارفين بالانساب ان جدهم الاول مالك بن ادد بن زيد ازداد على اكمة كانت تعرف بمذحج فسمي باسمها .

ويظهر ان خلقا كبيرا منهم استوطن فى عصر قديم حضرموت ويقول المؤرخون ان تلبيتهم في الجاهلية اذا حجوا ، كانت : « لبيك رب الشعرى ، ورب اللات والعزى » .

وصنمهم المشهور هو يغوث المذكور ، مع اصنام جاهلية اخرى فى الآية 23 من سورة نوح : « وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا » .

ويذكر بعض المفسرين ان يغوث كان على صورة اسد ، ويظهر ان عبادته بدات من زمن نوح ، وبقي معبودا حتى ظهور الاسلام .

ومن الد اعداء هذه القبيلة أبناء عامر بن صعصعة الذين حاربوها محاربة لا هوادة فيها وقت ظهور الاسلام .

ولقد انتقل خلق كبير منهم فى العهود الاسلامية الاولى الى البصرة حيث كان لهم فيها النفوذ القوي .
شاركت هذه القبيلة فى القرآن الكريم بستة الفاظ وزعت فيه على الشكل الآتي :

1 ــ مفردة : « **رفث** » **الموجودة فى الآية 187** من سورة البقرة . جاء فيها : « **احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن ،** علم الله انكم كنتم **تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا** عنكم فالان باشروهن ، **وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا** واشربوا حتى يتبين **لكم الخيط الابيض من الخيط** الاسود من الفجر **ثم اتموا الصيام الى الليل » الآية .**

والرفث هو **اللفظ الوحيد المستعمل فى القرآن** الكريم الدال على القبح فى هذا المعنى ، **وقد اتفق على** هذا عدد كبير من المفسرين (19) **وبينوا ان الحق** سبحانه وتعالى استعمل لهذا المعنى فى آيات اخرى كثيرة الفاظا مختارة كـ : « **افضى بعضكم الى بعض** » (الآية 21 من سورة النساء) و « **فلما تغشاها** » (الآية 189 الاعراف) و « **باشروهن** » (**الآية 187 من** سورة البقرة) و « او لامستم النساء » (**الآية 43** النساء) و « **دخلتم بهن** » (**الآية 23 النساء**) و « **فأتوا** حرثكم » (الآية 323 **البقرة**) و « **من قبل أن** تمسوهن » (**الآية 227 البقرة**) و « **فما استمتعتم** بهن » (24 النساء) و « **لا تقربوهن** » (222 البقرة) .

واعتقد أن الحق سبحانه وتعالى استعمل هذا اللفظ الخشن ، اللفظ الدال على القبح ، استهجانا لهم لما وجد منهم قبل الاباحة (20) ، وقد وردت هذه المفردة مرة اخرى فى السورة نفسها الآية 197 .
ومعناها بلغة مذحج : جماع .

2 ــ كلمة : « مقيتا » الكائنة فى سورة النساء الآية 80 التي يقول فيها سبحانه وتعالى : « **من يشفع** شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا » ومعناها بلغة مذحج مقتدرا . **وقد اعطاها** الزمخشري معاني اخرى (21) **هي شهيد وحفيظ** (22) واضاف وقيل مقتدرا » .

---

17) الصحاح ج 1 صفحة 340 ، المنجد فى اللغة صفحة 489 ، الاعلام الجزء الثامن صفحة 80 .
18) باتفاق جميع الباحثين الا لويس معلوف الذي ضبطها بالفتح وهو خطأ شنيع ، اما ابن خلكان فقد ضبطها بالضم فى الوفيات .
19) ومن بينهم الراغب الاصبهاني الذي قال فى كتابه المفردات فى غريب القرآن : « **الرفث كلام متضمن لما** يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه » صفحة 199 .
20) الكشاف الجزء الاول صفحة 115 .
21) الكشاف الجزء الاول صفحة 286
22) وقد وردت نفس هذه المعاني فى كتاب « **المفردات فى غريب القرآن** » لابي القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصبهاني صفحة 414 .

المعراة عن شوائب الآفاق الدنيوية . وقوله عز وجل (ولكم فى القصاص حياة) اي يرتدع بالقصاص من يريد الاقدام على القتل ، فيكون فى ذلك حياة الناس . وقال عز وجل (ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا) اي من نجاها من الهلاك . وعلى هذا يكون قوله مخبرا عن ابراهيم (ربي الذي يحي ويميت ، قال : انا احي واميت) اي اعفو فيكون احياء . ا هـ

فالحياة فى اللغة نقيض الموت قال تعالى فى سورة الملك (2 الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا) قال البيضاوي : قدرهما او اوجد الحياة وازالها حسبما قدره ، وقدم الموت لقوله (وكنتم امواتا فأحياكم . اهـ

وقال تعالى فى سورة النجم (44 وانه هو امات واحيا) ومقابلة الموت بالحياة فى الكتاب العزيز جاءت فى مواضع كثيرة .

ومن الاستعمال الفاسد قولهم : فلان اعتزل الحياة السياسية . يريدون بذلك ، اعتزل السياسة ، فيقحمون لفظ الحياة تقليدا للغات الاجنبية ، وليس فى اقحامه فائدة ، ولكنه يخدش وجه البلاغة العربية ويمسخها . والحاصل ان الانسان ليس له الا حياة واحدة . متى زالت مات ، فيجب على الاديب ان ينزه كلامه من ذلك الاستعمال ، ولا يستعمل لفظ الحياة الا فى الموضع المناسب له كما جاء فى كتاب الله ، وفى لسان العرب ، سواء اراد الحقيقة او المجاز .

ايضاح لكلام الراغب

قوله (اومن كان ميتا) قال البيضاوي : مثل به من هداه الله سبحانه وتعالى ، وانقذه من الضلال ، وجعل له نور الحجج والآيات يتامل بها فى الاشياء ، فيميز بين الحق والباطل ، والمحق والمبطل . ا هـ

اقول : شبه الله الضالين الذين لايهتدون الى الحق ، ولا يتمسكون به بالاموات . واهل الهدى والاستقامة بالاحياء . فالمراد بالقوة العاملة العاقلة فى كلام الراغب التي تعمل عملا صالحا ، وتعقل الحق وتميزه من الباطل .

قوله (وقد ناديت) البيت : يروى بعده :

ولو نارا نفخت بها اضاءت
ولكن انت تنفخ فى رماد

شبه الشاعر من يدعى الى النجدة وعمل الخير والاحسان ولا يستجيب لذلك بالميت ، فنفى عنه الحياة . وشبهه فى البيت الثاني بالرماد الذي لم يبق فيه شيء من النار . وشبه من يدعوه الى فعل الخير والاحسان بمن ينفخ فى رماد ، راجيا ان يوقد منه نارا . ومثل ذلك قولهم : فلان يضرب فى حديد بارد ، قال الشاعر يهجو رجلا اسمه سعيد ، ويصفه بالبخل :

هيهات تضرب فى حديد بارد
ان كنت تطمع في نوال سعيد

والصواب ان يقال : الشؤون الاقتصادية ، والشؤون السياسية ، والشؤون المنزلية ، والشؤون الزوجية ، الخ . ويقال : اعتزل التمثيل ، بدلا من قولهم : اعتزل الحياة التمثيلية ، وهجر الرياضة البدنية ، بدلا من قولهم : اعتزل الحياة الرياضية .

17 ـ استعمالهم الامكانيات بمعنى الطاقة والقدرة او الامكان ، وهذا اللفظ الدخيل ترجمة فاسدة للكلمة الاجنبية (Possibilités) ولا حاجة بهم الى هذا التعبير المستعار الركيك ، فان فنون القول فى لغة الضاد كثيرة طيبة لا ضيق فيها ، فبدل ان يقول الشخص : ليس عندي امكانيات للاقدام على هذا العمل ، يسعه ان يقول : لا استطيعه ، لا طاقة لي به ، لا يمكنني ، لا سبيل اليه ، الى غير ذلك من الكلمات الطيبة العربية الخالصة الاصيلة ، فان هذا المعنى موجود منذ وجد العرب والعجم ، وفي لغتهم عبارات تفي به على احسن وجه ، فما بالنا نترك جواهرنا مهملة ، ونستعير احجار الاجانب ، فمتى نعيد للغتنا شبابها واصالتها وخلوصها ، ان بقينا نتكفف الاعجميين ، ونعرض عن كنوزنا وتراثنا ؟

قال ابن منظور فى اللسان : قال ابو منصور : ويقال : امكنني الامر يمكنني فهو ممكن ، ولا يقال : انا امكنه ، بمعنى استطيعه . ويقال : لا يمكنك الصعود الى هذا الجبل ، ولا يقال : انت تمكن الصعود اليه . اهـ

أقول : ومن كتاب هذا الزمان من يقول : امكن لي ولا يمكن لي ، متوهما ان الفعل لازم فيعديه باللام ،وهو خطأ .

18 ـ اجاب على

ومن الشائع فى هذا الزمان قولهم : اجاب على سؤاله ، ولا يمكنني الجواب عليه ، والصواب : تعدية الفعل (بعن) فيقال : اجاب عن سؤاله .

قال فى اللسان : والاجابة رجع الكلام ، تقول: اجابه عن سؤاله . ا هـ

تقويم اللسانين مستقيم : وقد عدلت في تعديلك عن العدالة

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 4 -

16 ـ الحياة السياسية ، والحياة الثقافية ، والحياة الاقتصادية ، وما اشبه ذلك من العبارات المأخوذة من اللغات الاوربية بعد ترجمتها ترجمة فاسدة قولهم : الحياة السياسية ، والحياة الفكرية ، والحياة الاقتصادية ، والحياة الزوجية ، فيكون للشخص الواحد انواع من الحياة ، والحياة فى كلام العرب : واحدة ، وهي نقيض الموت ، كما فى لسان العرب والقاموس وغيرهما ، وتستعمل فى المجاز على النحو الذي ذكره الراغب فى غريب القرآن حيث قال:

الحياة تستعمل على اوجه ، الاول للقوة النامية الموجودة فى النبات والحيوان ، ومنه قيل نبات حي قال عز وجل (اعلموا ان الله يحي الارض بعد موتها) وقال تعالى (فاحيينا به بلدة ميتا) (وجعلنا من الماء كل شيء حي) .

الثانية للقوة الحساسة ، وبه سمي الحيوان حيوانا ، قال عز وجل (وما يستوي الاحياء ولا الاموات) وقوله تعالى (الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا) وقوله تعالى (ان الذي احياها لمحي الموتى انه على كل شيء قدير) فقوله : ان الذي احياها ، اشارة الى القوة النامية . وقوله : لمحي الموتى ، اشارة الى القوة الحساسة .

الثالثة للقوة العاملة العاقلة كقوله تعالى : (اومن كان ميتا فاحييناه) وقول الشاعر :

وقد ناديت لو اسمعت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي

والرابعة عبارة عن ارتفاع الغم ، وبهذا النظر قال الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الاحياء

وعلى هذا قوله عز وجل : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم) اي هم متلذذون لما روي فى الاخبار الكثيرة فى ارواح الشهداء

والخامسة : الحياة الاخروية الابدية ، وذلك يتوصل اليه بالحياة التي هي العقل والعلم قال الله تعالى (استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) وقوله (ياليتني قدمت لحياتي) يعني بها الحياة الاخروية الدائمة .

والسادسة : الحياة التي يوصف بها الباري ، فانه اذا قيل فيه تعالى : هو حي ، فمعناه : لا يصح عليه الموت ، وليس ذلك الا لله عز وجل .

والحياة باعتبار الدنيا والآخرة ضربان : الحياة الدنيا والحياة الآخرة ، قال عز وجل (فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا) وقال عز وجل (اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) وقال تعالى (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) اي الاعراض الدنيوية ، وقال (ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها) وقوله تعالى (ولتجدنهم احرص الناس على حياة) اي حياة الدنيا .

وقوله عز وجل : (واذ قال ابراهيم : رب ارني كيف تحي الموتى) كان يطلب ان يريه الحياة الاخروية

اي ذا جماعة قوية ، شبه المتعاونون على امر بالاقارب ، فاستعير لهم لفظ الاسرة بجامع التعاون في كل .

21 ـ النشاطات

ومن ذلك استعمالهم النشاطات ، يريدون بها الاعمال ، وهو ايضا مأخوذ من جهلة المترجمين لكلمة Energy الانكليزية ، وقد أولع باستعماله عامة الكتاب حتى الذين لا يعرفون شيئا من اللغات الاجنبية . ومن سوء الحظ ان اكثر الخطباء والكتاب صاروا يأخذون لغتهم من الصحف والمجلات والاذاعة ، لا من الدراسة ، والقرآن وكلام العرب البلغاء ، كما يجب ان يفعلوا ، وكما كان الناس يفعلون في زمان شباب اللغة العربية . فالى الله المشتكى .

فلفظ الاسرة بمعنى اهل البيت الواحد شاع وذاع حتى صار خطباء المساجد يستعملونه في خطبهم، وهذا ما حملني على كتابة هذه المقالات ، راجيا ان ينتفع بها طالبوا الحق من المتكلمين والكاتبين بلغة القرآن .

قال ابن منظور في اللسان : النشاط ضد الكسل، يكون ذلك في الانسان والدابة ، نشط نشاطا ، فهو نشيط ، ونشطه هو وانشطه ، الاخيرة عن يعقوب الليث : نشط الانسان ينشط نشاطا ، فهو نشيط طيب النفس العمل ، والنعت ناشط ، وتنشط لامر كذا . وفي حديث عبادة : بايعت رسول الله (ص) على المنشط والمكره . المنشط مفعل من النشاط ، وهو الامر الذي تنشط له وتخف اليه وتؤثر فعله ، وهو مصدر بمعنى النشاط . ا ه

فقد رأيت أن معنى النشاط ليس هو المعنى الذي يقصدونه ، والنشاط مصدر لا يجمع . اذ لا حاجة الى جمعه ، فانه يدل على القليل والكثير ، كما قال تعالى في سورة الفرقان (14 لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) فلم يقل الله تعالى : لاتدعوا ثبورا واحدا وادعوا ثبورات كثيرة ، لان الثبور مصدر يدل على القليل والكثير ، فاذا اردنا الكثرة وصفناه ولم نجمعه .

قال ابن منظور في اللسان : وفي حديث الدعاء : أعوذ بك من دعوة الثبور ، هو الهلاك ، وقد ثبر يثبر ثبورا . وثبره الله أهلكه اهلاكا لا ينتعش . فمن ذلك يدعو اهل النار : « واثبوراه ، فيقال لهم : « لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا،وادعوا ثبورا كثيرا » . قال الفراء : الثبور مصدر ، ولذلك قال ثبورا كثيرا ، لان المصادر لا تجمع . الا ترى انك تقول : قعدت قعودا طويلا ، وضربته ضربا كثيرا . ا ه

وكذلك يقال في النشاط مثلا : هؤلاء العملة يعملون بنشاط كثير . فلا حاجة الى جمع النشاط ، ولو جمع لم يجمع على نشاطات ، بل على نشط بضمتين ، كقذال وقذل .

22 ـ وصف الجمع بالمفرد

ومن ذلك وصفهم الجمع بالمفرد ، فيقولون رايات بيضاء ، وابل حمراء ، والكتب الصفراء ، والصواب : رايات بيض ، وابل حمر ، وصحائف صفر . قال الله تعالى في سورة فاطر (27 ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها ، وغرابيب سود) . الجدد جمع جدد ، بضم الجيم وفتح الدال ، وهي الطريق في الجبل . والغربيب : شديد السواد ، يقال : اسود غربيب ، بكسر الغين والباب ، واحمر قان ، وابيض ناصع ، واخضر حانيء ، واصفر فاقع .

وقال تعالى في سورة المرسلات (33 كأنه جمالات صفر) ولم يقل صفراء . وقال ابن عقيل عند قول ابن مالك في الخلاصة :

(فعل لنحو أحمر وحمرا)

ما نصه : من امثلة جمع الكثرة : فعل ، وهو مطرد في وصف يكون المذكر منه على افعل ، والمؤنث منه على فعلاء نحو : احمر ، وحمر ، وحمراء ، وحمر.
وقال الخضري في حاشيته : قوله (فعل لنحو ، الخ . اي بضم فسكون ، لكن يجب كسر فائه في جمع ما عينه ياء ، كبيض في ابيض وبيضاء

23 ـ الرضوخ

ومن ذلك تعبيرهم عن الاذعان (بالرضوخ) يقولون : هدده فرضخ له ، أي أذعن ، وهو من الاخطاء الفاحشة ، لان معنى رضخ له اعطاه عطاء قليلا .

قال ابن منظور في اللسان : ورضخ له من ماله يرضخ رضخا : أعطاه . ويقال : رضخت له من مالي رضيخة وهو القليل . والرضيخة والرضاخة . العطية . وقيل : الرضخ والرضيخة : العطية المقاربة . وفي الحديث : أمرت له برضخ . وفي حديث عمر: أمرنا لهم برضخ . الرضخ : العطية القليلة . ا ه

24 ـ السابع والاخير

هذه ايضا عبارة ماخوذة من اللغات الاجنبية

وتجيء على بمعنى (عن) قال القحيف :

اذا رضيت علي بنو قشير
لعمر الله اعجبني رضاها

قال ابن هشام فى المغني بعد ايراده هذا البيت شاهدا على مجيء (على) بمعنى (عن) : ويحتمل ان رضي ضمن معنى عطف . وقال الكسائي : حمل على نقيضه وهو سخط . ا هـ

وقال العيني والصبان مثل ما قال ابن هشام في تضمين رضي معنى عطف ، اي فلذلك عدي (بعلى) . والشاعر يضطر الى مثل ذلك ، واما الناثر فله مندوحة عن استعمال النادر . وهؤلاء الكتاب الذين يستعملون (على) بعد (اجاب) جاهلون بالنحو ، لا يعرفون انه يتعدى بعن ، وكيفما كان الامر ، فان هذا الاستعمال ليس من الاخطاء الفاحشة فى النثر ، اما فى الشعر فهو جائز لا يعاب .

19 ـ القيم الدينية والاخلاقية

ومن المعلوم ان القيم هنا جمع قيمة ، ولا معنى لاستعمالها هنا . قال ابن منظور فى اللسان : والقيمة واحدة القيم ، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم . ا هـ
واذا قلنا : القيم الدينية او القيم الاخلاقية ، يكون المعنى : الاثمان الدينية ، والاثمان الاخلاقية ، والدين والاخلاق لا تقويم فيهما ولا بيع ولا شراء ، وهذا الاستعمال ايضا مأخوذ من اللغات الاجنبية ، ولا ينبغي استعماله فى العربية ، ولا حاجة اليه ، لان استعمال الاخلاق ومكارم الاخلاق ، والتمسك بالدين ، وما اشبه ذلك يغني عنه ، وليس هذا من المخترعات حتى نبحث له عن اسم ونترجم اللفظ الاجنبي ونستعمله .

20 ـ الاسرة

ومن ذلك تعبيرهم عن اهل البيت الواحد (بالاسرة) ، وهو من استعمال جهلة المترجمين ترجموا به لفظ Family الانكليزي واخيه الفرنسي ، وكانوا يترجمون هذا اللفظ من قبل (بعائلة) فعاب ذلك عليهم النقاد ، لان العائلة فى اللغة العربية هي المراة الفقيرة ، قال تعالى فى سورة الضحى : (ووجدك عائلا فأغنى) اي وجدك فقيرا فأغناك . وقال تعالى فى سورة التوبة (28 وان خفتم عيلة ، فسوف يغنيكم الله من فضله) اي خفتم فقرا ، فانتقلوا الى ترجمته (بأسرة) وهو انتقال من خطأ الى خطأ آخر ، والعبارة الصحيحة هي : بيت او اهل بيت ، قال تعالى فى سورة هود (73 رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت) وقال تعالى فى سورة الاحزاب (33 انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ، ويطهركم تطهيرا) فأهل البيت فى آية هود : ابراهيم وسارة زوجه ومن يكون معهما على سبيل التبعية ونحوها . والمراد بأهل البيت فى آية الاحزاب النبي (ص) وازواجه واولاده والتابعون كالموالي .

وقال تعالى فى سورة الذاريات (36 فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) والمراد بالبيت هنا لوط واهل بيته الا امراته ، فان الله استثناها من الناجين وجعلها من الهالكين . اما معنى الاسرة فدونك ما قاله صاحب اللسان : واسرة الرجل : عشيرته ورهطه الادنون ، لانه يتقوى بهم . ا هـ

وقال تعالى فى سورة الدهر (28 نحن خلقناهم وشددنا اسرهم) قال البيضاوي : احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب . ا هـ فالاسر هو احكام الربط وقوته ، ومن ذلك سميت عشيرة الرجل (اسرة) لانه يتقوى بهم .

وقال الصبان فى حاشيته على الاشموني عند قول ابن مالك فى التنازع فى العمل من الفيته :

واختار عكسا غيرهم ذا اسرة

ما نصه : ضبطه الشيخ خالد بفتح الهمزة ، وفسره الغزي : بالجماعة القوية ، لكن فى القاموس: الاسرة بالضم : الدرع الحصينة ، ومن الرجل الرهط الادنون . ا هـ

وقال ابن منظور فى اللسان : وفي الحديث : زنى رجل فى اسرة من الناس . الاسرة : عشيرة الرجل واهل بيته . ا هـ

وقال فى مجمع البحار : وفيه (اي فى الحديث) زنى رجل فى اسرة من الناس . الاسرة : عشيرة الرجل واهل بيته ، لانه يتقوى بهم . ا هـ والمراد بأهل بيته هنا هو المراد بعشيرته الاقربين ، لا زوجته واولاده فقط .

اما قولهم اسرة المدرسة ، يعنون المدير والمدرسين فيها ، واسرة تحرير الصحيفة ، يعنون مؤسسها والمحررين فيها ، ورئيس التحرير فله وجه ، وهو مقصود ابن مالك بقوله المتقدم :

واختار عكسا غيرهم ذا اسره

ذكرى مرور عشرين سنة على وفاة أمير البيان :

شكيب ارسلان

للاستاذ :
عبد الله الجراري

ان للشعوب الشاعرة لغايات ، وللامم المستيقظة امرامي بعيدة الاطراف ، نازحة الانحاء ــ تسعى في تحقيقها بكل ما يستطاع من وسائل وما يملك من قوة بيد ان لتلك الوسائل مقدمات واسبابا لها نتائج اولية في رصف السبيل ، وتعبيد المسلك الحافز الى استعمال المنتج منها ، وارى على رأسها اعداد نشء اولى يزود في بدء نشاته بتربية اخلاقية روحها الدين ووطنية مشتعلة جماعها الثبات وثقافة علمية منشأها المتانة والصحة من شانها ان تضع الشباب المنتظر وضعا صالحا لاسعاد البلاد وتحقيق الاماني والآمال .

اجل لقد استيقظ الشرق العربي الشقيق من سباته الطويل ، ورقاده العميق شاعرا بالخطر المساور، والتهديد المحدق مندفعا عن تعشق وهوى لميدان العمل في حدود الحكمة والمفاهمة المعززين بآراء رجال خلقوا وما خلقوا الا للدفاع عن كرامة البلاد ، وشرف المبدا مستعذبين كل اضطهاد وامتهان ، مستسهلين كأداء العقبات وقاصى المجاهل اثناء حلقات شائكة حيث العسف ناشر جناحيه ، والمكر ممسك بالتلابيب مؤمنين ان الحركات الوطنية لا يخدمها شيء كالشدة والعنف ولا يذكي حماسها ، ويضرم نيرانها مثل الجور والعسف لحد الانفجار كل ذلك وافظع كي يكونوا رمزا للحرية ، وقدوة للتضحية في الذود عن حوزة الوطن وعزة كيانه والوقوف في صفوف رسل العدالة وخدمة الانسانية ، ودعاة الحق وزعماء العباقرة ومحبي البلاد ولقد راينا هذا المثل الكامل والفجر لصادق متجليا بصورة واضحة في مؤبننا السعيد ــ امير البيان المرحوم الاستاذ شكيب ارسلان ــ شخصية عالمة نادرة حسرت عن ساقيها في سبيل بناء صرح النهضة وتاسيس بنود الجامعة في طماح ووثوب مملوايين حيوية ونشاطا لا يعتريهما عجز ولا ملل شخصية فذة خلقت لتبحث وتفتش وتلتمس وتنقب ــ تسال الكتب والاسفار ، وتستشير الحوادث والخطوب بثاقب بصيرة والتهاب غيرة لتضع لنا مجموعاتها القيمة ، وموسوعاتها الخالدة التي عنيت عناية خاصة بحوادث الاستعمار ، وما جريات الانتدابات والحمايات فسجلت للحاضر من العالم الاسلامي ــ ما يحفزه للوقوف على اسباب تأخر المسلمين وتقدم غيرهم ، بعد انتصار غزواتهم العربية في عقر تلك القارات المسيحية خفاقة الراية ، صحائف سندسية الحلل ، ذهبية الارتسام قدمها (1) الفقيد الامين كحجرات اساسية يسير على ضوئها النشء الجديد ، ويستنير بمشعلها الشباب الناهض . ولا بدع فقد رسمت الشباب كأخته المنبعثة من زاوية الاهمال ــ الخطة الحميدة ، والغاية الناجحة ، فهؤلاء جمهرة الكتاب والادباء واثقون كبير الثقة ان كتب الفقيد كانت وتكون ظافرة برضى القراء، وأعجاب الشباب المتنور واثقون ايضا ان الشباب المثقف سيرى فيها نزعاته وآماله ومثله العليا جلية واضحة انصع الوضوح يتبين من دفين اسرارها ما يجعله يغامر منافسا سواه من الامم التي فاقته في التقدم ، وبزته في الظفر . علاوة على ما اتصف به من علو الهمة ، وكريم الطبع وسعة الاخلاق ، وانشراح الصدر ، والاخلاص للعاملين ، وخدمة الاوفياء بماله

(1) اشارة وتلميح في هذه الفقرات الى بعض تآليفه الخالدة .

تقليدا بلا علم ولا هدى ، والصواب : السابع وهو الاخير ، لاننا اذا قلنا : السابع والاخير دل ذلك على اثنين ، لان العطف يقتضي المغايرة .

25 ـ لوحده وبمفرده

ومن ذلك قولهم : ذهب لوحده ، وقاتلهم بمفرده، وذلك من افحش الخطأ واقبحه ، وابعده عن لغة العرب الفصحى ، فالصواب ان يقال : ذهب وحده ، وقاتلهم وحده بفتح الدال منصوبا على الحال . قال ابن مالك في الالفية :

والحال ان عرف لفظا فاعتقد
تنكيره معنى كوحدك اجتهد

قال الاشموني : وكلمته فاه الى في ، وارسلها العراك ، وجاءوا الجماء الغفير ، فوحدك وفاه ، والعراك ، والجماء احوال ، وهي معرفة لفظا ، لكنها مؤولة بنكرة ، والتقدير : اجتهد منفردا ، وكلمته مشافهة ، وارسلها معتركة ، وجاءوا جميعا . وانما التزم تنكيره لئلا يتوهم كونه نعتا ، لان الغالب كونه مشتقا ، وصاحبه معرفة . ا هـ

قول الاشموني فى تفسير (فاه الى في) اي مشافهة ، فيه نظر ، لان مشافهة مصدر ، والاولى ان يقدر اسم فاعل ، اي مشافها له .

وقوله (ارسلها معتركة) يعني ارسل الابل معتركة ، يزاحم بعضها بعضا . قال الصبان في حاشيته لو قال : معاركة كما قال ابن الخباز لكان احسن ، لان اسم فاعل العراك معارك لا معترك . ا هـ

اقول : واحسن منهما جميعا ان يقال : معاركا بعضها بعضا ، لاننا اذا قلنا : معاركة ، بكسر الراء ، نسبنا العراك اليها كلها . والعراك لا يقع الا بين فريقين ، ولا يقع من فريق واحد .

وقال الصبان فى بيان قوله (الجماء الغفير) اي الجماعة الجماء من الجموم وهو الكثرة . والغفير من الغفر ، وهو الستر ، اي ساترين لكثرتهم وجه الارض . ا هـ

وهذا آخر هذه الحلقة وموعدنا الجزء التالي ان شاء الله .

مكناس : تقي الدين الهلالي

اكباد جائعة

كتبوا الى عمر بن عبد العزيز كي يأمر للبيت بالكسوة المعتادة للكعبة ، كما كان يفعل من كان قبله ، فقال :

« اني رايت ان اجعل ذلك فى اكباد جائعة فانها اولى بذلك من البيت » .

فى افق النشر والاصلاح شرقا وغربا هـو ايضـا من اصدقاء الفقيد الذين خصهم بتاليف اسماه : « اخـاء اربعين سنة » سجـل فيـه ما دار بينه وبينهم مـن الاحاديث العلمية والاجتماعية والاضطرابات السياسية وحلو الاسئلة والمذاكرات المتعة ، ولا اصدق دلالة على هذه الصداقة المتزجـة بالشرايين والنافـذة الـى الاعماق من تجليها فى الطرفين باجلى وانصـع صورة وقت مرور الامير الى الحجاز ومنعه من الدخول لمصر ففي ظرف انتقاله من القطار الى الباخرة حضـرت شخصيات من علية المصريين للسلام عليـه بيـد ان رجال الشرطة حالوا بينه وبين اخوانه لحد الاكتفاء فى التحية بالاشارة ، ولكن لحمة الصداقـة الوشيجـة ، والرابطة القلبية التي كانت الجامع الاقوى بين الفقيد الخالد والمرحوم الشيخ رشيد رضا ـ حفزت الراحل الكريم للايمان بالحرية التي تهواها حتى العجمـوات والطيور فانى بالانسان الناطق ليكسر قيود الضغـط ليخرق قانون الضغط والاستعباد الجائر متراميا في عنق صديقه الحميم الاستاذ « رشيد رضا » وقـد افقده حب الحرية الطبيعية وخالص الود والصداقة شعوره قائلا : (والقوة تحاول رده وصرفه) انه امام المسلمين فلا مناص من مباشرة .

وبنفس هذه السياسة ، وعين المعاملة يسـام جناب الفقيد عند ما وطئت قدماه تـراب المغـرب الاقصى زائرا شبابه المتطلع لمثله سنة 1930 سنة الحادثة الكبرى ـ حادثة الظهير البربري ـ التـي كان لقلمه فيها اليد البيضاء شرحا وتصويـرا انـارا الافكار وابان العالم الاسلامي اجمعمدى غاية الاستعمار ونوايا الاحتلال السيئة كمأساة طرابلس المضطهـدة ايضا . نعم حل بطنجة وكله شوق لزيارة عواصـم المغرب ، وكبريات مدنه التي كم كان له مـن الشغف بذكر آثارها، واستعراض قطورها ومؤسساتها الضخمة فى كتبه ، ككتابه « الارتسامات اللطاف » المستغرق فى الموضوع صفحـات ، شيء يفـوق الافراط والهيـام ويبعث على الاعجاب ، ولكن ابت السياسة الا ان تقفه هناك مانعة ـ فضيلته من زيارة اصدقائه واخوانه ـ صارفة اياه عن مقصده السامـي ومرمـاه الشريف ، فكم كان لاصدقائه الاعزاء ، واخوانه المغاربة الاوفيـاء من اشواق ولواعـج لا ياتي عليهـا الحصر متطلعيـن لمشاهدة محياه الكريم ، والاستلذاذ باحاديثه الحلوة ، وطرائفه المتعة ، نعم وقف الامير المرحوم امام الواقع متحملا هذا الاعتداء الخانق والتصرف القاسي مقتنعا بكلمات نثرها على الشباب الطنجي ، ومن حضـر من الاخوان هناك حيث الظرف ظرف تردد فيه على طنجة وفود من ابناء المغـرب (او الداخليـة كما يقولـون) للحضور بمهرجانات تقـام سابـع عيد المولد النبـوي (ببوعراقية) كلمات كلها نصائـح غالية ، وارشـادات لامعة ـ روحها الايمان ـ كان لها وقع حسن فى نفوس الشباب المتعطش فى طليعتها الحث على العلم ودراسته، والاعراض عن السفاسف وكل ما لا جدوى وراءه منقرا على الوتر الشاعر ، واقعا على الدواء الناجع لصـلاح الامم والشعوب (العلم ايها الشباب العلم) .

كل ذلك بعبارته المتعارفة الرائقة ، واسلوبـه السهل ، وبيانه الساحر الاخاذ الذي يستهوي القارىء ويملك عليه مشاعره بما يبعث فيه من نشاط ، ويخلق فيه من استعـداد واندفـاع لحب المطالعة والنـزوع للاستفادة بانشراح . اسلوب سلس اكتسبه كما قال رحمة الله عليه من دراسة « مقدمة ابن خلدون » كما ان ما كان لقلم صديقه الشيخ رشيد رضا من السلاسة والسهولة هو نتيجة دراسة كتاب « احياء الغزالـي »

وطبيعي ان امثال هذه الكتب المتينة التعبيـر ، الشريفة الغاية لها سـر خاص فى تكويـن دارسيها ، وتعويدهم التعابير الصحيحة ، والتراكيب الواضحـة وتخير الاسهل منها عطفـا على القارىء وسعيـا وراء الافهام المنشـود من التحبير صادفيـن عن تراكيـب الاعجاز الناشئـة عن التقعـر فى التعبير واستعمـال الوحشي والغريب .

فلله انت ، ولله جهادك المتماسك الذي لا ينساه لك شعبك خصوصا ، والعالم العربي عموما ، وقد بدا فجره الصادق يشع بانوار السعادة فى سماء سوريـا ولبنان التي فارقتها وهي ترزح تحت نير الاضطهـاد والارهاق ، وغدت اليهـا (وعلم الحريـة يرفـرف فى جوائها المستقلة) .

وكم يدفعني هذا لاستعراض قولة العجوز التي شاهدت « الخليفة عبد المومن الموحدي » وقد رجـع لمسقط راسه اماما متوجا ، بعد ما فارقه شابا مملقـا لا يجد فى جيبه درهما يسلك به « وادي ابى رقراق » حتى اضطر لقطعه سباحة : ـ هكذا يعود الغريب الى بـلاده ـ .

ففي ذمـة الله ورواق رحمته ايهـا المجاهـد ، الهمنا الله الصبر والثبات على المبدأ والعقيـدة وعلى العهد الى الملتقى فى عالم الخلود . (1)

الرباط : عبد الله الجراري

---

(1) توفى يوم الثلاثاء 15 محرم عام 1366 ـ موافق 10 دجنبر سنة 1946 .

وقلمه ونفسه ، ولا ادل على ذلك من برورة الزائد بالاستاذين المخلصين الحاج أحمد بلافريج،والحاج الحسن بوعياد — ايام كونهما بسويسرة — وقد انهك المرض قواهما ، وعم الالم جسمهما وساورتهما مخاطر مولمة. لا سيما داء الاخير وقد صوره بقلمه على اعمدة صحيفة « العلم » في عدد 82 لسنتها الاولى . والامير في كل ذلك — مثال المرض الحنون لا يكاد يزايلهما طرفة عين ، خادما مساعدا ، ويتمثل في سمته الراحل — حنون الامهات . وعاطفة الاباء . ولا غرابة ان انطباع هذا الخلق السامي في شخصه المرحوم ، فله اسوة حسنة ومثل كاملة بأساتيذ واصدقاء كانت لهم اليد البيضاء في تحرير الشرف العربي الشقيق واستقلاله احتك بجهادهم المتواصل مثافنا ومجالسا الى ان تكون تكوينا صالحا ، وخلق خلقا كريما أصبح من اجله آية الايات علما واخلاقا ووطنية وايمانا . ولا عجب في رجل ثافن الشيخ « جمال الدين الافغاني » وتلميذه الاستاذ « محمد عبده » واضعي نواة الاصلاح، ومؤسسي صرح النهضة . ونافخي روح الحياة في المجتمع العربي — ان يجني العالم العربي اليوم ثمرة جهاده الصادق وعصارة ابحاثه المفيدة ، ومن هيامه بآراء الامام عبده ، وشغفه بافكاره وتعزيزها ما حكاه عنه في مقدمة « البينات » للشيخ عبد القادر المغربي :

ومما راقني جدا من آيات « البينات » التنظير الذي بين مصر ومراكش . وقوله : انه مهما كان من الفرق بين هذين القطرين من جهة الرقي فان تماثلهما على اتمه في دراسة العلوم الاسلامية وطريقة فهمها وتحصيلها .

وقد اخطر ذلك على بالي قصة لا بأس من ايرادها هنا تعزيز الراي الاستاذ : منذ نحو خمس وثلاثين سنة قدم لاداء فريضة الحج احد كبار علماء المغرب الاقصى المدعو بالشيخ (ابراهيم التادلي) فذكرت بعض الجرائد البيروتية يومئذ انه من أفراد الافق المغربي لابل ممن يندر نظيره بين المشرق والمغرب ،وبعد ان قفل من الحجاز زار المسجد الاقصى وقرا فيه درسا ، ثم قدم الى بيروت — وكان استاذنا الامام المرحوم الشيخ محمد عبده لا يزال فيها على اثر نفيه بسبب الحادثة العربية ، فلما بلغه ورود — هذا العالم المغربي ، ذهب للسلام عليه ، وكنت معه في هذه الزيارة ، وأتذكر انه كان معنا صديقي المبرور الاستاذ الشرتوني صاحب « اقرب الموارد » فدار بين الشخصين احاديث طويلة لم افهم منها شيئا ، لحداثة سني ، وقلة الفتي يومئذ للهجة المغربية ، ولكن استاذنا الامام اخبرنا بعد الانصراف بان هذا الرجل عالم من كبار العلماء على نمط علماء الازهر ، فكأن الازهر وجامع القرويين شيء واحد . وانما اعجبه منه كلمة لا تزال اتذكرها ، وذلك ان الشيخ محمد اسأل التادلي ، من جملة ما ساله عن حالة العلم في المغرب : هل يوجد اليوم هناك من اشتهر بالتاليف ، فأجابه التادلي : ليس العلم بكثرة التاليف ، ولكن بالمدرسة والمثافنة ، ومع هذا فيوجد مؤلفون في الايام الاخيرة ، فاعجب قوله هذا — الشيخ محمد . وهو ان حياة العلم انما هي بالمدرسة .

ثم قيل ان الشيخ التادلي يريد ان يلقي درسا بعد صلاة الجمعة في الجامع العمري الكبير فاشرأبت الاعناق . وفكر الاستاذ الامام انه لما كان التادلي من اكابر علماء المغرب مارا بالشرق فلا بد من ان يتكلم في موضوع عال من مواضيع الاجتماع كاتحاد الامة او وجوب العمل بعزائم الشريعة او ما اشبه ذلك . فكان موضوع درس التادلي الذي قضى فيه اكثر من ساعتين — هو البسملة وما فيها من العلوم والفنون . ومرجع ذلك كله الى الباء ، وانحصار العلم في الباء مما يعرفه كل من نال شهادة العالمية من الازهر . فلما خرجنا من الجامع قال لي الاستاذ — رحمه الله — انظر الى حالة الاسلام وحالة علمائه الذين ينبغي ان يوقظوه — يأتي احد فحول علماء المغرب الى المشرق وهو يعلم انحطاط الاسلام وانهيار جوانبه ، فبدلا من ان يحدث الناس بامر اجتماعي يعود بجمع شملهم او ايقاظهم من غفلتهم يكون منه ان يحدثهم بالعلوم المنحصرة في الباء .

والحقيقة ان الذي ينقمه النشء الجديد ، والمتعلمون على النمط العصري من جمود علماء الدين الاسلامي هو انه بينما يكون عالم أوربي اخترع آلة عظيمة الفائدة للمجتمع البشري — كالآلة التي اخترعها بعض الالمان في هذه الايام ينظر بها ما تحت الارض كانه فوق الارض — بتبحره في القوى الطبيعية .

يضيع العالم المسلم اطول من الوقت الذي قضاه الاوربي في اختراعه ، وذلك في حفظ تعليلات لا طائل تحتها ، وتدقيقات ضاق العصر الحاضر عن سماعها ، وهي من الدروس التي كان عليها معول الاوربيين في القرون الوسطى حذو القذة بالقذة ، فكأننا نحن الان حيث كانوا هم منذ خمسة قرون او أزيد .

هكذا كان الراحل الامين يعتام مختارا للتثقيف والمصادقة رجالا انجبتهم الايام وعجمت عودهم تجارب خطوبها ، ووهبوا من العقل والمعرفة والغيرة على مبادىء الدين وسنن الاسلام ما كان له الاثر الملموس في النهضة . فهذا الشيخ رشيد رضا وءاثاره الفياضة

يا شيخ طه ، كاني بك تريدني على التحدث فيما انتهت اليه الحال بالاسلام والمسلمين بعد الذي اصابهم من الذل والهوان بفلسطين ، وعن مقدمات ما صرنا اليه من نتائج .

قلت : اجل يا فضيلة الشيخ . فان ابناء جيلنا الذين كتب عليهم ان يعيشوا هذا الذل والهوان قد غشيت افكارهم معلومات كاذبة شحنها الغرب بالاضاليل تمهيدا لما اوقعنا به من احابيل هي فيما يتصل بموقف ساكن الجنان السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان آخر الحصون التي دافع بها الاسلام عن وجوده العالمي ، وبعد انهياره تحت مؤامرات الغرب وربيبته الصهيونية اضطرب هذا الوجود واخذ العرش الذي رفع سادته راية محمد صلى الله عليه وسلم 600 سنة يترنح تحت الجالسين عليه ابتداء من السلطان محمد رشاد حتى سقط مقضيا عليه هو والسلطان محمد وحيد الدين ثم زال نهائيا مع آخر سلاطين بني عثمان خلفاء المسلمين وملوك الزمان السلطان عبد المجيد خان سنة 1922 ميلادية .

قال الشيخ ، شيخ العرب :

كان ذلك سنة 1902 ميلادية ، نحن فى اسطمبول عاصمة الخلافة الاسلامية وفي قلب قصر يلدز قصر السلطان خليفة المسلمين بالذات .

العبد الفقير ، والى جانبي الشيخ محمود الجيزاوي امام جامع العرب فى دار السعادة ، واذا بثلاثة من اليهود يطلبون مقابلة مولانا امير المؤمنين السلطان عبد الحميد الثاني ، ولما كانت مثل هذه المقابلة تخضع لاصول التشريفات المتبعة فى القصر السلطاني ، فقد استقبلهم باديء ذي بدء تحسين باشا رئيس كتاب السلطان مستوضحا منهم غرضهم من هذه المقابلة ، وكان هؤلاء الثلاثة اليهود هم :

1 ــ مزراصي افندي ، مدير احد البنوك
2 ــ جاك ــ لا اعرف بقية اسمه
3 ليون ــ لا اعرف بقية اسمه .

وعلى الرغم من ان هؤلاء الاشخاص اصروا على الانفراد بمولانا السلطان الا ان تحسين باشا اقنعهم باستحالة مثل هذا التصرف وان باستطاعتهم البوح بما يريدون اليه شخصيا وهو ينقله بالحرف الواحد الى صاحب الجلالة الخليفة الاعظم . فلم يجد اليهود الثلاثة بدا من قبول الامر الواقع والنزول عند رغبة تحسين باشا الذي استمع اليهم يقولون :

ان اليهود مستعدون بان يقوموا

اولا : بوفاء جميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية .

ثانيا : بناء اسطول لحماية ثغور الامبراطورية العثمانية .

ثالثا : تقديم قرض بخمسة وعشرين مليون ليرة ذهبية دون فائدة لانعاش مالية الدولة .
وذلك مقابل :

اولا : اباحة دخول اليهود الى فلسطين فى اي يوم من ايام السنة للزيارة .

ثانيا : السماح لليهود بانشاء مستعمرة ينزل بها ابناء جلدتهم فى قرب القدس الشريف اثناء وجودهم بفلسطين للزيارة .

وبالفعل فان رئيس الكتاب تحسين باشا نقل الى سيد القصر ما سمعه من اليهود الثلاثة وما لبث ان سمع من الجالس على عرش الخلافة الجواب التالي:

ــ تحسين ، قل لهؤلاء اليهود الوقحين ما يلي :

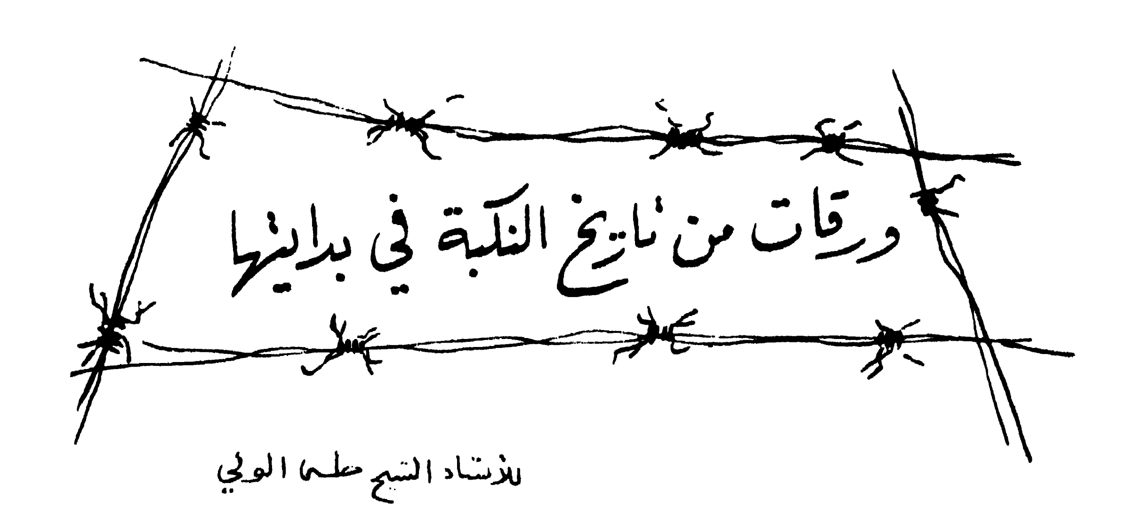
اولا ــ ان ديون الدولة ليست عارا عليها لان غيرها من الدول ، مثل فرنسا ، هي الاخرى مدينة وذلك لا يضيرها .

ثانيا ان بيت المقدس الشريف قد افتتحها للاسلام اول مرة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولست مستعدا لان اتحمل فى التاريخ وصمة بيعها لليهود .

ثالثا ــ ليحتفظ اليهود بأموالهم ، فالدولة العلية لا يمكن ان تحتمي وراء حصون بنيت بأموال اعداء الاسلام .

واخيرا ، مرهم ليخرجوا من عندي وان لايحاولوا بعدها مقابلتي والدخول الى هذا المكان . »

وتابع الشيخ ، شيخ العرب كلامه معي وقد اخذته الحمية الدينية وتملكته رغبة عميقة بتصحيح الوقائع التي اريد بها تشويه سمعة ساكن الجنان السلطان عبد الحميد الثاني ، تابع قائلا : « ثم انني علمت بأن السلطان عبد الحميد ، ارسل على التو الى ناظر الداخلية فى عهده ممدوح باشا بأن يطلب بالشيفرة الى رؤوف باشا متصرف القدس ليقوم هذا بالتحري عن اليهود فى فلسطين ولا سيما فى القدس الشريف ، ولا يبقى فى الارض المقدسة ايا من الطائفة



للأستاذ الشيخ طه الولي

يوم الاثنين الواقع فى 7 جمادى الثانية من سنة 1387 هجرية (11 يوليه 1967) زرت الشيخ علي شيخ العرب فى بيته بطرابلس الشام برفقة أخي فؤاد الولي استاذ التاريخ بكلية التربية والتعليم فى المدينة المذكورة ، فتلقانا الشيخ علي بما فطر عليه من ادب اسلامي عريق مقبلا علينا مستندا الى عصاه يستعين بها على مساعدة كاهله بحمل السنوات التسعين التي ادركها عمره المديد ان شاء الله .

كانت هذه الزيارة بقصد الافادة من معلومات الشيخ علي شيخ العرب عن المدارس الدينية الاثرية فى طرابلس الشام ، ذلك بأنه كان الى امد قريب مسؤولا عن هذه المدارس فى دائرة الاوقاف الاسلامية فى المدينة المذكورة ، لذا فانه من غير شك ، وبالاضافة الى ثقافته الشخصية ، يعرف الشيء الكثير عن هذه المدارس ، تاريخها وبانيها وواقفها والذين تناوبوا على نظارتها والتدريس فيها .

بيد ان الشيخ بارك الله له فى صحته وعمره ، بادرنا بالحديث عن ذكرياته التي علقت بذهنه الوقاد خلال خدماته السابقة فى الوظائف الدينية والسياسية والعسكرية ، سواء فى العهد العثماني ، ايام عبد الحميد الثاني او اثناء حكم الاتحاد والترقي ايام محمد رشاد الخامس أو فى العهد الفرنسي وما تلاه بعد ذلك، بعد زوال الانتداب عن سورية ولبنان على اثر الحرب العالمية الثانية (1929 ـ 1945) .

وشيخنا الفاضل الشيخ علي شيخ العرب ولد سنة 1879 وتدرج فى اول عمره بالوظائف الحكومية فى مختلف أجهزة الدولة العثمانية ما بين دينية وعسكرية وادارية وسياسية ، مما أتاح له التنقل عبر البلدان التي كان يظلها تاج بني عثمان فى حينه ، كما هيأ له هذا التنقل الاطلاع على الوان مختلفة من الشعوب بعاداتها وتقاليدها واغراضها .

ورافق حفظه الله تطور الحضارة من ظلمات القرون الماضية الى المركبات الفضائية فى العصر الحاضر ، فركب الجمل والحصان والبغل والحمار كما ركب القطار والسيارة والطيارة وتنقل بين البحار فوق البواخر التجارية والعمائر الحربية والغواصات وانه اليوم يركن الى جهاز التليفزيون حيث تنقله الشاشة الزجاجية الى آخر تطورات الابداع البشري لتتركه يربط ما بينها وبين اخيلة الماضي التي تزدحم فى خاطره بعد ان اصبحت هذه الاخيلة ملكا للتاريخ .. قال الشيخ :

ـ لقد كنت مفتش اسطول فى العهد الحميدي ثم مفتش اسطول قبيل الانقلاب (1908) ثم مديرا للاستخبارات العربية مع دولة القائد احمد جمال باشا ، ثم رئيس المجلس الاداري بالاوقاف الاسلامية بطرابلس الشام ، ثم ها انذا وبين يدي التسعين من عمري تجدني منعكفا فى بيتي الملم من ذاكرتي ما ادونه من الحوادث والاحداث التي مرت بي فى مختلف مراحل حياتي لتكون تحت تصرف الناس علهم يجدون فيها عبرة أو تذكرة مما ينفع أولي الالباب !

ثم اطرق الشيخ شيخ العرب صامتا لا يتكلم وكاني به قد عاد بفكره الى نصف قرن مضى ورده بضع عشرة سنة ، ثم رفع هامته واردف يقول :

وكان السلطان اراد افهام اليهودي الوقح بأن هذه الوقفة التاريخية التي تحمل خلع امير المؤمنين في لحظاتها الحاسمة انما هي صدى لتلك الوقفة التاريخية السابقة التي انكفأ فيها اليهود على اعقابهم مدمومين مدحورين امام صلابة السلطان في الدفاع عن حرم الله وبيته المقدس في فلسطين .

ولكم كانت كلمات السلطان المظلوم قوية وبليغة وهو يتلقى خلع ولايته من امرة المؤمنين على يد اثنين احدهما نصراني يوناني ، والآخر يهودي صهيوني ، ومعهما ذلك المسلم الذي كان الى جانبهما كالطرطور في مؤخرة بردعة الحمار .

وكان ختام حديث السلطان الجريح قوله للذين اقتحموا عليه حرمته المقدسة :

« ان مجيئكم لتبليغ سلطان الدولة العثمانية ، وخليفة المسلمين ، قرار الخلع ، عمل سيندم عليه من ارسلكم به ! ... »

ودون أن يمد يده الى اليهود ليأخذ منه ورقة التبليغ ، طلب الى ياوره « علي جودت » (الذي ظهر انه كان من الاتحاديين فيما بعد) وامره بأخذ الورقة من اليهودي وان يتسلمها منه ثم يسلمها بعد ذلك لابنته عائشة سلطان (التي ما تزال تحتفظ بأوراق عبد الحميد ، وهي ما تزال على قيد الحياة وتقيم في تركيا بعد ان تركت سويسرا حيث كانت من قبل ، ولعائشة المذكورة كتاب على جانب عظيم من الاهمية عنوانه : « بابام عبد الحميد » (ابي عبد الحميد) .

هذه المحاولة التي قام بها اليهود لدى الباب العالي في دار السعادة بسطمبول ، لم تكن يومها سرا محجوبا عن المتتبعين للنشاط الصهيوني المسعور سواء في اوروبا او في آسيا . فلقد اشارت اليه اقلام الكتاب وبعض الجرائد والمجلات مما كان يصدر في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي ، من ذلك ما نشرته مجلة المشرق ، اذ قالت هذه المجلة الكاثوليكية الكبرى في الصفحة 1094 من المجلد الثاني الصادر سنة 1899 ما يلي :

« لما كان اللورد غوش الاسرائيلي سفيرا بالاستانة عرض على الحكومة السنية ان يجعل تلك النواحي (ملفاد ومؤاب في عبر الاردن) التي مساحتها نحو ستمائة الف هكتارا مستعمرة لليهود ، تحت نظارة الباب العالي ، يسوسونها كما يشاؤون ، بشرط ان يدفعوا لمولانا السلطان مبلغا عظيما من الدراهم لا يقل عن بضعة ملايين من الفرنكات .

غير ان الدولة السنية لم تلب دعاء غوش واغنياء اليهود ، فذهبت آمالهم ادراج الرياح ، وكانت غايتهم ان يمهدوا الطريق لابناء جلدتهم لانشاء مملكة مستقلة بالاراضي المقدسة كما كانت قبل المسيح » ا.هـ

ويظهر ان محاولة « غوش » التي اشارت اليها المشرق وهي سابقة على محاولة اليهود الثلاثة الذين اشار اليهم الشيخ شيخ العرب في مذكراته ، يظهر ان هذه المحاولةنبهتالمسلمين ودار الخلافة العثمانيةالى ما وراءها من الاخطار الجسام ، فبادرت جرائد الاستانة العلية الى توجيه انظار الحكومة والاهالي الى الاحتراز من تلبية مطالب اليهود وعدم تمكين هؤلاء اللصوص من التسلل الى فلسطين والقدس الشريف بالذات ، فنشرت جريدة « المعلومات » ونقلت عنها جريدة « ثمرات الفنون » في الصفحة 3 من عدد صفر سنة 1224 / سنة 1217 و 13 حزيران سنة 1899 ما يلي تحت عنوان : اليهود في سورية وفلسطين :

« ... لليهود ميل شديد تقادم فيهم لمجاورة القدس ، لان تلك الاقطار كانت مهدا لاعتلاء مجدهم في الازمنة الغابرة ... وقد جذبتهم معتقداتهم الدينية الى مجد اسلافهم ، فقام الكثيرون منهم على المهاجرة الى انحاء القدس وتوطن فريق منهم في تلك الجهات وصار لهم قسم كبير من الاراضي وما زال الكثيرون يرغبون في الهجرة وشراء الاراضي ، وهذا مما يضر بصوالح الدولة والامة معا . اذ تصبح القدس في يوم من الايام وهي بيد اليهود فقط (لقد اصبحت القدس فعلا بيد اليهود فقط بعد ثمانية وستين عاما من كلام الجريدة مع الاسف الشديد ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) فينشأ من هذا مسائل جمة . ولا تخفى اهمية القدس الدينية لانها احد الحرمين الشريفين ! . وتتابع الجريدة قائلة :

وقد سمعنا ان الدولة شعرت بالخطر فأصدرت امرا الى متصرف القدس ، حظرت فيه بيع الاراضي الاميرية الى اولئك المهاجرين كما نصحت الاهالي بأن يحافظوا على اراضيهم ولا يبيعوها لليهود ! .. » ا.هـ.

واني لاخال هذه الكلمة كانها اول صيحة بانذار المسلمين مما انتهوا اليه اخيرا . وهي صيحة تلتها الوف اكثر منها تحذيرا وتذكيرا وانذارا ، ولكن المسلمين تصاموا على الاصغاء اليها واغمضوا عيونهم عن النظر الى عواقبها فاصبحوا اليوم ينظرون الى قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك وهما في أسر اليهود وايديهم قاصرة عن الثأر لكرامة الامة

اليهودية غير الذين قدموا اليها بقصد الزيارة العابرة وان لا يسمح لهم بالمكوث فيها الا بمقدار هذه الزيارة .

ثم تابع الشيخ شيخ العرب حديثه المتهدج برنة مثقلة الجرس بآلام الذكريات ..

« وفي سنة 1908 نجح اليهود باخراج جمعية الاتحاد والترقي الى ملعب اهوائهم السياسيه وقد كانت هذه الجمعية القناع الخارجي الذي تمنعت به جماعة الدونما المتظاهرين بالاسلام من يهود اسبانيا الذين اتخذوا من مدينة سلانيك مقاما لهم بعد فرارهم من محاكم التفتيش التي نصبها نصارى تلك البلاد لمخالفيهم فى العقيدة الدينية سواء من المسلمين او من اليهود ، ونزل السلطان عبد الحميد الثاني عند رغبة طالبي الحريات الدستورية واعلن « المشروطية » .

بيد ان غاية اليهود لم تكن المشروطية بما فيها من نص على الحريات العامة ، وانما كانت غايتها ازاحة عبد الحميد من طريقهم الموصل الى فلسطين بعد ان تبين لهم ان هذا السلطان سيبقى وجوده حائلا دون تحقيق اغراضهم العدوانية على الارض المقدسة ، ولهذا فانهم تمكنوا من رشوة بعض رجال الدين واوعزوا لهم بالخروج فى الشوارع والمناداة بتطبيق الشريعة المحمدية ، وهو ما سمي يومئذ « بحركة الارتجاع » قاصدين من وراء ذلك احراج السلطان ودفع الاتحاديين الى الثورة عليه والتخلص نهائيا منه تمهيدا للتخلص من الاسلام نفسه فيما بعد ، وقد كانت هذه الحركة الارتجاعية اكلها الشهي بالنصر لليهود ، مع الاسف ، وتم لاعداء الاسلام ما ارادوا ، فقام الجيش بحركته الحاسمة متقدما نحو يلدز بخيله ورجله طالبا ازاحة العرش من تحت سيده الذي رفض النزول عند مغريات اليهود لتحقيق مطامعهم فى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وفي 7 مارس 1919 تقدم الى رحاب القصر المنيف بيلدز ثلاثة من اعيان البلاد العثمانية وهم :

1 ـ عارف حكمت ، (ياور ، فريق بالبحرية)
2 ـ مزراصي افندي قراصوه (اياه) عضو اعيان
3 ـ ارستيدي باشا (رومي) وزير النافعة سابقا

ثلاثة اعيان ، مسلم مأجور ، ويهودي حقود ، ونصراني موتور .

دخل هؤلاء على السلطان الذي استقبلهم بما عرف عنه من هيبة ورجولة وكبرياء ، وكانت وقفتهم بين يدي مولاهم على ابشع ما تكون قلة الادب وجفاف ماء الوجه ، غير انهم امام عظمة عبد الحميد وقوة شخصيته لم يسعهم الا التظاهر باللياقة والاحتشام .

اما عارف حكمت ، فقد اخذ لمولاه التحية الرسمية بكل ادب واحترام .

فقد تذكر هذا الضابط المسلم فى ساعة من ساعات يقظة الضمير انه فى حضرة ولي امر المسلمين الذين هو احد ضباطهم .

واما اليهودي القذر ، فقد مد يده بكل وقاحة الى جلالة السلطان الاعظم وفيها وثيقة الخلع من الولاية الشرعية .

بينما بقي ارستيدي الرومي ساكنا فى وجوم كأنه من غير ابناء هذه الدنيا .

وهنا قطع السلطان الوقور حبل الصمت المهيب بلهجة الحاكم الواثق من نفسه موجها كلامه الى الذين وقفوا باهتين بين يديه :

ـ هل انتم من الاعيان ؟

فأجابوا : نعم .

تابع السلطان كلامه التقريعي اليهم :

ـ ومن عينكم بالاعيان ؟

فسكتوا جميعا ولم يحيروا جوابا .

عندها التفت السلطان كالجريح من خشاعم النور ، ووجه كلامه الى عارف حكمت قائلا :

انت ، الم تترب فى هذا القصر يتيما (فقد كانت ام عارف المذكور احدى الخادمات بالقصر السلطاني) ثم ادخلتك المدرسة البحرية العسكرية ، ثم ارسلتك الى اوروبا حتى تخرجت برتبة اركان حرب ؟ .

وتابع السلطان كلامه الى عارف بسخرية جديرة بأن تقتل من يتلقاها لو كان عنده مثقال ذرة من كرامة .. فمهمتك التي جئت لها لا بأس بها .

والتفت جلالته الى ارستيدي الرومي (النصراني) قائلا :

« من جعلك مستشارا للمالية سابقا ، ثم وزيرا النافعة ، ثم عضوا فى الاعيان ... قال ذلك بلهجة كلها توبيخ وتبكيت .

وقال اخيرا لليهودي مزراصي كلاما ذكره فيه يوم جاءه من سنوات ست يطلب السماح لليهود باحتلال فلسطين مقابل ثمن يدفعونه لامير المؤمنين .

الذي كان متمثلا بيقظة السلطان عبد الحميد وانتباهه الى اساليبهم المجبولة بالمكر والخداع والتضليل ..

وباعلان الدستور (المشروطية) ثم زوال الحكم من يد السلطان عبد الحميد ، شرعت مصاريع ابواب فلسطين أمام تدفق اليهود . وتقول مجلة الكلمة فى عددها الصادر بتشرين سنة 1911 ص 422 التي نقلتها مجلة المشرق فى المجلد 15 سنة 1912 ص 80 :

« ان الدستور العثماني ... فتح لليهود حق المساواة ، فلم يلبث اليهود فى تركيا ان اخذوا يظهرون للملأ ماذا يصنعون بهذه المساواة .

فقبل كل شيء انسلوا الى الوظائف العالية في المملكة ، ثم لم يمض وقت طويل حتى ظهر ان مديري دفة جمعية تركيا الفتاة هم « يهود » .. وبوجه الاجمال فان اعلان الدستور فى تركيا قد ملأ قلوب بني اسرائيل اجمعين فرحا عظيما ، واخذوا بواسطة اعوانهم يثيرون كوامن البغضاء بين الاتراك المسلمين وبين سائر الشعوب المسيحية فى المملكة العثمانية ... ومما يؤكد هذه الحقيقة ان جريدة « التيمس » الانكليزية ، احدى الجرائد المشهورة بممالئها لليهود رأت ان تذكر اليهود بالدور الذي لعبوه فى تهييج النصارى ضد الاسلام .

على ان تظاهرهم بنياتهم اليهودية لم يلبث ان اهاج سكان فلسطين ولا سيما المسلمين ، ضد الدولة العثمانية وخصوصا ضد « تركيا الفتاة » التي احست من جراء استسلامها لليهود مكروهة فى أكثر انحاء المملكة العثمانية ! ... » ا.هـ.

وفي معرض الحديث عن تأييد « جمعية الاتحاد والترقي » لليهود فى بلوغ مآربهم داخل الحكومة العثمانية للوصول الى مآربهم داخل فلسطين منذ تلك الايام ، يقول عارف العارف فى كتابه : « المفصل فى تاريخ القدس » جزء اول ص 299 :

« اندس عدد غير قليل من الدوغمة (الذي سبقت منا الاشارة الى اصلهم ومنشاهم) فى حكومة الاتحاد والترقي امثال (جاويد بك) وزير المالية من « سلانيك » بساريا افندي وزير النافعة من رومانيا ، ونسيم مازلياخ وزير التجارة والزراعة وكان هذا ممثلا للجمعية الصهيونية ، وحسين جاهد (بالتشين) رئيس تحرير جريدة طنين التركية ، فتغلغل هؤلاء في ادارة الحكم حتى اصبحت كلمتهم هي العليا .. وعن طريقهم وغيرهم من رجال الاتحاد والترقي سنت الحكومة قانونا يجيز للجمعيات ان تمتلك الاراضي في فلسطين ، وسنت ايضا قانونا آخر اجازت بموجبه بيع المزارع السلطانية (الجفتك ، وكانت مسجلة باسم السلطان عبد الحميد وهي كثيرة) بالمزاد العلني. وعن طريق هاتين الجمعيتين تمكن الصهيونيون من شراء اراضي فلسطين قبل وقوع الحرب العالمية الاولى ... » ا.هـ.

وقبيل الانتهاء من تسجيل هذه الخاطرات عن البصمات الاولى لمخالب اليهود ونياتهم فى زحفهم المتوحش نحو فلسطين نرى ان نرجع القلم الى ما سمعناه من الشيخ علي شيخ العرب عن ذكرياته خلال الحرب العالمية الاولى فيما يتصل بموضوعنا ، فهو يقول ، بارك الله له فى صحته وعمره :

« سنة 1916 ، خلال الحرب العالمية الاولى ، كنت فى جبهة بئر السبع مع القائد الالماني « فون كريس » وجاءت شكوى من اليهود بيافا على قائد المنطقة المرحوم حسن بك الجابي ، فارسلني الجنرال « فون كريس » الى يافا للتحقيق فى شكوى اليهود على هذا القائد .

فذهبت ونزلت ضيفا عن السيد علي افندي المستقيم من اعيان يافا . وانهيت التحقيق مع مضيفي ومع غيره عن حالة حسن بك الجابي ، وعلمت ان عداوة حسن بك الى اليهود اسبابها علمه بخيانتهم وتجسسهم لدولة انكلترا واعطائهم المعلومات للانكليز عن طريق شريف مكة من نواحي العقبة .

وذهبت مع حسن بك الجابي الى تل ابيب ، فوجدتها حيا مستجدا فيه كثير ممن جاء بعد سنة 1910 م أي بالفترة اربع سنوات قبل اعلان الحرب العمومية (سفربر) وتحقق عندي ان مجموع اليهود بفلسطين بعد ان كان فى عهد عبد الحميد بين اربعين الى خمسين الفا اصبح الآن فوق الثمانين الفا.

وعدت الى بئر السبع وقدمت تقريرا الى « فون كريس » وكتبت فى التقرير ان شكوى اليهود من حسن بك الجابي اسبابها احتقارهم لاسباب المعيشة . ولم اذكر « لفون كريس » شيئا عن تجسس اليهود واعمالهم الحقيقية ، وذلك بالاتفاق مع رئيس الاركان الحربية التركي (رشدي بك ثم باشا) الذي يعلم بأن القطاعات الالمانية عندها يهود يقومون باعمال التراجمة بين الالمان والاتراك ، والعرب وانهم يستغلون وظائفهم التي تمكنهم من الاطلاع على الاسرر للتجسس

والدين ، فياويلهم من حساب يوم عظيم يوم يسالهم رب المسجد عن قدسه وصخرته فيقولون كما قال الذين كفروا من قبل : « ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا وآتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا . » ولن يغني هذا الجواب عند الله في شيء .. كما ان تفرقهم شيعا واحزابا ومذاهب لم يغن يوم الهول الاكبر فى الدنيا من شيء . وهكذا خسر المسلمون دنياهم حين تركوا دينهم ، ثم خسروا دينهم حين نسوا اخراهم . ولله الامر من قبل ومن بعد واليه عاقبة الامور .

ونعود الى حديث المحاولات اليهودية التي حدثنا عن بعضها الشيخ شيخ العرب فنقول : ان التاريخ حفظ لنا محاولة اخرى تلت تلك التي قام بها السفير اليهودي غوش وسبقت تلك التي قام بها اليهود الوقحين الثلاثة وعلى راسهم مزراصي قراصوه افندي . وهذه المحاولة يحدثنا عنها الصحافي البريطاني « كريسبي » فى جريدة » اتشام » (المساء) التركية كما نقلتها جريدة » المعرض الاسبوعي » البيروتية فى عددها 926 السنة العاشرة فى 2 غشت سنة 1922 ص 19) قالت الجريدة :

« ارسل المسير كريسبي » الى جريده (اقشام) التركية مقالا حول القضية الصهيونية بمناسبة الحوادث الاخيرة التي جرت بفلسطين ، ومما جاء فى هذا الحديث بتاريخ 29 تشرين الاول سنة 1922 هذه الفقرات التي ننقلها فيما يلي الى قراء المعرض والتي يشير فيها الكاتب الى حادث وقع له خلال سنتي 1900 — 1901 قال :

« ... كان الدكتور « هرتزل » فى ذلك العهد رئيس تحرير القسم الادبي فى جريدة (نيوفري) في فيينا ، فأرادني ان اسعى له فى مقابلة السلطان عبد الحميد بعد ان بسط لي بحزن شديد كيف ان غليوم الاول والبرنس دو بيلوف خدعاه لما رافقاهما فى رحلته الامبراطورية الى فلسطين . فقد وعده هذا الاخير ان يقدمه الى السلطان . فلما وصلوا الى الاستانة اكتفى البرنس بأن عرفه الى عزت باشا (العابد) الذي ما كاد يسمع بالغاية الصهيونية حتى غرق فى بحر من اللذات (سبق لهذا الشخص ان ارتشى بمبلغ مليون فرنك لاقناع الدولة بالتنازل عن كريت دون حرب) .

وقد قبلت بأن اهتم شخصيا بقضية الدكتور هيرتزل ومطالبه ، خصوصا وان هذه المطالب لم تكن تعاكس المساعي التي كنت اقوم بها يومئذ .

وبدات بكل شجاعة عملي ، فاصطدمت بالبداية بصعوبات خفية ، ولولا مساعدة شيخ الاسلام « جمال الدين افندي » (وكنت على صلة دائمة به) لفقدت كل امل بنجاح مساعي ، فان هذا « الشيخ » اخذ على نفسه مهمة رفع كتابات الدكتور « هرتزل » الى الاعتاب السلطانية وتقدماته ، وكانت هذه التقدمات (الاقتراحات والعروض) باهرة ، واليك بيانها :

هرتزل يقول : ان الصهيونيين يتعهدون لقاء نزول اليهود المضطهدين فى انحاء العالم بفلسطين ، ان يدفعوا الدين العثماني البالغ ، اذا لم تخني الذاكرة 22 مليون ليرة انكليزية ، ويتعهدون كذلك ، ببناء اسطول كامل للدفاع عن اراضي الدولة العليه .

وفي هذه الاثناء قبل ان يعقد للدولة التركية قرضا بمبلغ مائة مليون فرنك تصرف فى سبيل التسليح العام ... ولكن هذه المحاولات حبطت ولم تنجح ! . » (انتهى)

والذي كتبه مسيو كريسبي فى هذه المذكرات هو فى الواقع تتمة لما كان يبذله هرتزل شخصيا لمواجهة السلطان عبد الحميد والتقدم اليه بمقترحاته الخداعة توصلا الى تحقيق غايات اليهودية العالمية فى الارض المقدسة . وها نحن نقدم للقاريء ما كتبه هرتزل نفسه فى مذكراته التي طبعت بالالمانية فى تل ابيب سنة 1924 ميلادية حول هذا الموضوع الذي اثاره مسيو كريسبي بعد الحرب العالمية الاولى (1914 — 1918) . قال هرتزل ، بعد فشل محاولاته الماكرة :

« بعث السلطان الي وساما عالي الدرجة ومع الوسام جواب مفزع فى هذه العبارة :

« بلغوا الدكتور هرتزل الا يبذل بعد اليوم شيئا من المحاولة فى هذا الامر (التوطن بفلسطين) فاني لست مستعدا لان اتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب الى الغير . فالبلاد ليست ملكي بل هي ملك شعبي روى ترابها بدمائه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب ! .. » ا.هـ.

ان مذكرات هرتزل لا تحتمل المناقشة فيما تضمنته من راي الدولة العثمانية وموقف السلطان عبد الحميد بالذات من محاولات اليهود ومشروعاتهم لاغتصاب فلسطين وتهويدها وتبديد سكانها وتدمير مقدساتها ! ..

واخيرا تمكن اليهود من غرز اظافر اطماعهم في قلب فلسطين بعد ان ازاحوا من دربهم العائق الرئيسي

على بن أبي طالب الشاعر

للأستاذ أبي طالب زيان

اجتمع فى رهط النبي وآله ، ما لم يجتمع فى غيرهم من سائر بطون العرب ، علما ووراثة ، وحنكة وتجربة ، غير ادب تاهوا به وفخروا ، على من شافههم ، او قعد لمنازلتهم بالكلم او تصدى لهم بالبيان

اجتمع فى علي بن ابي طالب وحده ، قرابة ومصاهرة للنبي عليه السلام ، واتفق له تربية وتنشئة وتعلم وقيادة وخلافة ، واجتمع فى نفسه تهيؤ واستعداد ، لقول الشعر ، املتهما عليه ما عاش عليه من الغمرات المشبوبة ، والتعرض الشاكي بالقول والفعل لابن عمه ، الذي احتضنه منذ طفولته ورعاه ، تخفيفا من عيلة عمه ، أو حبا واعدادا لخلفه من بعده ، وان يكن بعد الثلاثة الذين حملوا الامانة ، وقادوا الامة ، ابى بكر وعمر وعثمان .

لم يكن غريبا على علي ، ان يحس احساس الشعراء ، لكن ليس كالذين كانوا ينالون من الرسالة المحمدية ، او يجرحون كيانها او يشككون فى صدقها حتى ان هذا الحس ، قد تعدى الى علم بعض الصحابة ، حين ذهبوا الى علي يرجونه فى رد عاديات ، عبد الله بن الزبعرى ، وابى سفيان بن الحارث ، وعمرو بن العاص فى الجاهلية ...

ومما كان يؤكد هذا الاستعداد ، ويقر الذين ذهبوا الى علي يرجونه المنافحة والوقوف فى هذا الميدان القولي ، قول علي نفسه ردا على هؤلاء الذين سفروا عنده ، لو اذن لي رسول الله ...

ولقد شاء الرسول ، أن يصرف عليا عن رد هذا الفحش . او اراد له التهيأة والاستعداد لما هو اكبر من ذلك ، او اراد ان يتولى غيره ، ممن لايكونون على هذه الامة ، فندب ، حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ..

وفي ظني ، ان هذه الحادثة التي جعلت النبي يؤثر الشعراء الثلاثة على علي ، لاتنقص من مقداره ، او تفل من عزمه وتصميمه وان لم يأذن له ابن عمه ، او يأمره بما أمر به اضرابه من القوالين الذين كانوا لسان صدق فى دعوة الخلد ، ومحور ارتكاز للمشاكلة والرد والوضوح ..

والفرابة هنا مستبعدة ، اعتمادا على القرائن والادلة ، فليس يوجد من بني هاشم على الكثرة الكاثرة فيهم من لم يقل الشعر .. فقد اورد الرواة شعرا كثيرا وان يكن متفرقا ، لابي طالب والد علي نفسه ، كما اوردوا كذلك شعرا لاعمامه ، عبد الله وحمزة والعباس، كما ذاع شعر لسفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن العباس ، وجعفر بن ابي طالب وابنى علي : الحسن والحسين وزوجه فاطمة ابنة ابن عمه صاحب الدعوة ، حتى كان هذا التتبع الذي دفع ابن رشيق فى « العمدة » الى ان يقول : « ليس من بني عبد المطلب رجالا ونساء من لم يقل الشعر حاشا النبي عليه السلام » .

واللصوق الذي آثره النبي ، والاستجابة الحبيبة

على حركة الجيوش العثمانية فى جبهة سيناء ويرسلون ما يحصلون عليه من المعلومات الى الانكليز . . . »

امـا بعـد ،

فلقـد لعبت سيـاط سبتموس سفيروس (الليبي الذي تزوج عربيـة مـن حمص اسمهـا جوليا دمنة ثم اعتلى عرش روما على اثر انقلاب قـام بـه ضد سلفه) فى القضية اليهودية سنة 135 للميلاد فغادروا اقدس الشريف ولم يكونوا يدخلـون هذا البلد الامين الا حينما يتوجهون الى حائـط المبكـى (البراق الشريف) ويدندنوا قائلين مع البكاء والنحيب والامل اليائس بالعبرانية :

« من اجل القصر الذي اصبـح خاليا ، نبكي فـي الوحـدة وننـوح »

« ومن اجـل القصر الذي هـدم »
« ومن اجل عظمتنا الراحلـة »
» ومن اجل رجالنا العظام المائتين »
« ومن اجل الحجارة الثمينة التي احرقت »
« ومن اجل ملوكنا الذين كرهوه »
« نتضرع اليك ، كن رحيما بصهيـون »
« اجمـع شمل ابناء اورشليم »
« عجل الينا يا مخلص صهيـون »
« انزل رحمتك فى قلب اورشليم »
« فأتكلل صهيـون بالمجد والجمال »
« اعد الينا مملكـة صهيون حـالا »
« وامنح العزاء الى النائحين على اورشليم »

كـان ذلك منذ سنة 125 بعد الميلاد ، ونحـن اليوم فى سنة 1967 بعد الميلاد . وانا لنجـد دولاب الدهر يدور حامـلا فى الخامس من شهـره السادس القرار للتائهين ، والفرار لابناء فلسطيـن المستقرين ، واذا باليهود الذين تقرحت اجفانهم من طول البكـاء يمسحون دموعهم بالخناجر التي ضرجـوها بدمـاء المسلمين ، ويهرعون الى الحائط باهازيج النصر بعـد ان كانوا لا يستطيعون بلوغه الا مسربلين بعار المذلة ، بينمـا امتنا المسلمـة فـي عربيهـا واعجميهـا ، التي ما عرف بنوها على مر السنين بكاء ولا نواحـا تتحول فى مدى ايـام قلائل الى اشباح ذليلة تضطرب على ابواب الامم تسأل هذا القائـد وذاك الرئيس أن يعيد لها الارض السليبة بما فيها القـدس الحبيبـة كـرم لعيون مبـادىء الامم المتحـدة والقوانين التـي وضعت لاجارة المستضعفين من بغي المعتدين .

يا لـه من موقف ما كان لنا ان ننتهي اليـه لـو كنـا صادقين . وانـا اليوم لنتساءل فى لهفة جازعة :

— هل جفت دموع اليهود لتستفيض من عيون المسلمين الدموع . لقد جعل اليهود من اطـلال سور بقي فى هيكلهم الذي دنسوه يوم بنوه بالرذيلة والخنا ، حائطـا للبكـاء طوال مدة بدات سنة 125 ميلاديـة وانتهت فى منتصف السنة 1967 ميلادية .

فهل رضي المسلمون ان يستحيل المسجد الاقصى الذي جبلـه بالطهر آبائهم واجداد كرام ، ان يستحيل انقاضا تفيت تحت حطامها كلمة الله الخالدة فى اولـى قبلتيه وثالث حرميـه ؟ ! .

ايهـا المسلمون فى مطالـع الشمس من الارض ومغاربها ، تحت كل سماء وفـوق كل تراب :

ان امجاد آبائكم فى الايام الخالية ، وآمال ابنائكم فى الايام الآتية ، كل هؤلاء واولئك ، فى تطلع اليكم ومعها مقدسات تراثكم فى فلسطين وللجميع نـداء واحـد صادر من اعماق الثرى الذي توسدته ارواح الضحايا من شهداء الاسلام وابطاله عبر الاجيال والقرون .

انـه نـداء الشهيد المجهول . . من اجل الاسلام والمسلمين ، من اجل المقدسات فى فلسطين

فامـا حيـاة تسـر الصديـق
وامـا ممـات يغيـظ العـدى
ونفس الشريـف لها غـايتـان
ورود المنـايـا ونيـل المنـى

بيـروت — طـه الولـي

وقلب اذا استنطقته الفيو
ب امر عليها بواهي الدرر
ولست بامعة فى الرجال
اسائل عن ذا وذا ما الخبر
ولكنني مدره الاصغرين
ابين مع ما مضى ما غبر

ويشهد الله على حادثة بعينها وقعت له ، او كان يمكن ان يقع امثالها لغيره من الناس الذين يمتحنون فى دينهم او اخلاقهم او مدخراتهم من التراث ، الا ان ما وقع فيه علي يصح ان يصاحبه الدليل الذي قاله ، او دفع به الشبهة عن نفسه ، أو على الاقل آثر الاحتفاظ بدينه ، وهذه عصمة من الله ، لولاها لا نزلق فى هذا المأزق ، لو لم يجد مخرجا ، او كان ضعيف الايمان ..

كان الخليفة يردد وهو شاعر ، هذا البيت الذي تضمن الحفاظ والمفاخرة والثبات عند ما سوم ان يقر بالكفر ، حتى يسير معه الذين خرجوا عليه الى الشام :

يا شاهد الله علي فاشهد
اني على دين النبي احمد
من شك في الله فاني مهتدي

وان جاز شك فى نسبة شعر الى علي ، فلا يجوز هذا الشك ، وقد احاطت به الحادثات وملكت على الشاعر اقطار نفسه ، فلا يعود يرى الا هذا التنفيس عن نفسه المكروبة التي أصابها الجزع حين ودع شريكة حياته ، ابنة صاحب الدعوة الكريمة :

ارى علل الدنيا على كثيرة
وصاحبها حتى الممات عليل
وان افتقادي فاطما بعد أحمد
دليل على ان لا يدوم خليل

ومما لا يقبل النسبة الى غيره لوضوح المناسبة ، وحصرها فى علي ، التزام الرد الذي يجاب به على السؤال ، وهو معين بالملابسة ، محدود الجوانب ...

كتب اليه اخوه عقيل ، يسأله عن حاله ، طالبا منه اطلاعه على مايدور حوله ، او ينتويه ازاء ماهو فيه... لكن جواب على الشاعر ، لا يريد فيه الشرح والاسهاب، او اطلاع الناس على ماهو فيه ، ويكفي ان يكون ...

فان تسالني : كيف انت ؟ فانني
جليد على عض الزمان صليب
عزيز علي ان ترى به كآبة
فيفرح واش او يساء حبيب

ومن شعر علي ، وتكفى فيه الدلائل والقرائن ، ولا تذهب الى سواه مهما كان من تعلة ، او غرض ، يبعد الشاعر عن موضعه بين الصفوة المختارة التي تغنت يوم أحد ، او فرحت يوم اجلاء بني النضير ..

ومناسبتان من مناسبات كثيرة ، تظهر اننا على مكانة علي بين الشعراء ، وتطلعنا على هذا النفس المعطر الذي يستجيب لدواعي الساعة ، او يحلق عند غرض كريم ..

وليس يدخل فى باب النيابة عن الرد ، او يشعر بهذا الشعور ، الا من يقصد او يطلب منه ولو من واقع الحال ، التعبير عن الواقع المضروب ..

يذكر الرواة : ان دحيما الكلبى وفد على علي ، وهو يومذاك امير المؤمنين وكانت وفادته بمثابة الاجتلاء او الاختبار او المعرفة ، لا سيما ومعاوية يجد من يطريه او يثني على فعاله وان كان ذلك فى مجلس امير المؤمنين نفسه ، وما زال دحيم يوسع فى مدحه ، ويقلب فى سيرته بما يرضي معاوية ويسيء عليا ، حتى كان هذا الخاطر الذي حلق فى سماوات ذلك المجلس :

صديقي عدوي داخل فى عداوتي
واني لمن ود الصديق ودود
فلا تقربن مني — وانت صديقه —
فان الذي بين القلوب بعيد

والمناسبة الثانية ، لا تقل أثرا عن الاولى ان لم تفقها غرضا ، او تعلو عليها بمناسبتها التي قيلت فيها ، وهي مناسبة لا شك ، تملى على القرائح ما تتفاخر به ، او تبرز طواعية فى الميدان ..

انشد علي والمسلمون ينقلون اللبن لبناء مسجد النبي عليه السلام بالمدينة ، بعد ان وصف معركة .. صفين .. وما كان فيها ، وما وقع بين رحاها من ضحايا :

لا يستوي من يعمر المساجدا
يداب فيها راكعا وساجدا
وقائما طورا ، وطورا قاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

ونظرة واحدة الى شعر علي ، تخرجنا من هذا الشك الذي ران على شعره ، وضرب على عبقريته ، ويعد به عن مواطن القوالين الذين يوحى اليهم . وان كان بالحكمة والموعظة .. فشعر الشاعر يغلب عليه اللفظ السهل ، والمعنى الذي يأخذ باللب ، والاسر الذي يشيع فى كلامه كله ، عدا ما جبل عليه طبع الشاعر

التي دفعت بالامام علي الى ان يلزمها بما عمرت به من الزهد والنسك وما اتسمت به من الورع ولزوم الحق والصدق والعدل، تقف دون الانتظام في سلك الشعراء، الذين يستقيدون لشيطين الشعر، او يملكونها الهوى والفرض، او النزوع الى الافحاش ايا كان شأنه، ومهما كان الفرض الذي تقود اليه.

على ان الاختلاف الذي اثير حول شاعرية علي، والشكوك التي ضربت بجرانها على نسب بعض الابيات او القصائد التي قالها اليه، لم تمنع من وقفات على بعض الابيات تأخذ المطالع اينما ولى وجهة نظر مرجع من المراجع، او جرى باحث وراء هذه النبضات التي زاحمت جل القصيد في عهد الرسول او بعده الى ان ودع الشاعر الدنيا، الا ان تكون هذه الحكم والامثال التي اختتم بها حياته، او عايشها علي حب لها او ايثار لمنفومها او فعلها في نفوس الصحابة والتابعين، ومن عاش يؤيد الدعوة، او يقف منها موقف العداء او المرتاب على السواء .. !!

وليس صحيحا ان يشك شاك في النسب، او يذهب مذاهب في ابيات هي من صنع علي، ومن فيض قريحته، اذ ليس في الامكان اذا وازنا بين الملابسات التي قيلت فيها الابيات، او اذيعت فيها القصيدة، ان نتردد لحظة في ان عليا هو الذي قال:

تلكم قريش تهنا لي لتقتلني
فلا وربك ما بروا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتي لهم
بذات ودقين لا يعفو لها اثر

والباحث في هذا الخاطر الذي املى على علي هذين البيتين، يجده واضحا، ولا يمكن أن يتعداه، اذا عرف ان هذا الشعر، انما يعبر عن شعور صاحب الرسالة بعد ما هاجر الى المدينة، او كما قال بعض الرواة في مكة نفسها عندما اجتمعت الآراء، وعقدت النية على التخاص من محمد عليه السلام، فكان علي الناطق وكان الشعور المحس، وكان التعبير الذي يدور بخلد ابن عمه، او كان هو هو ..

ومن المسلمات، ما قاله الامام يوم « صفين » عندما سلم رايته للحضين بن المنذر، وان لم يسلم من الاستبعاد، او النسب الى غيره:

لمن راية سوداء يخفق ظلها
اذا قيل: قدمها حضين تقدما
ويوردها للطعن حتى يزيدها
حياض المنايا تقطر الموت والدما

والغلبة في المناسبة ترتفع الى ان تقضي على كل كلام قد يراد به نفي الشاعرية عن علي، او نقض هذا الذي عبر به الشاعر .. فهو يمتدح الحضين، ويعبر عن مشاعر الصدق التي جعلته يسلمه الراية، ويأتمنه اهلا لها، في ميادين الطعن، واحواض المنايا، في يوم هو يومه الذي لاينفك عنه، او ينفصل عن دنياه او يند عن تاريخه في الجهاد، او شرفه العسكري في ساحات القتال.

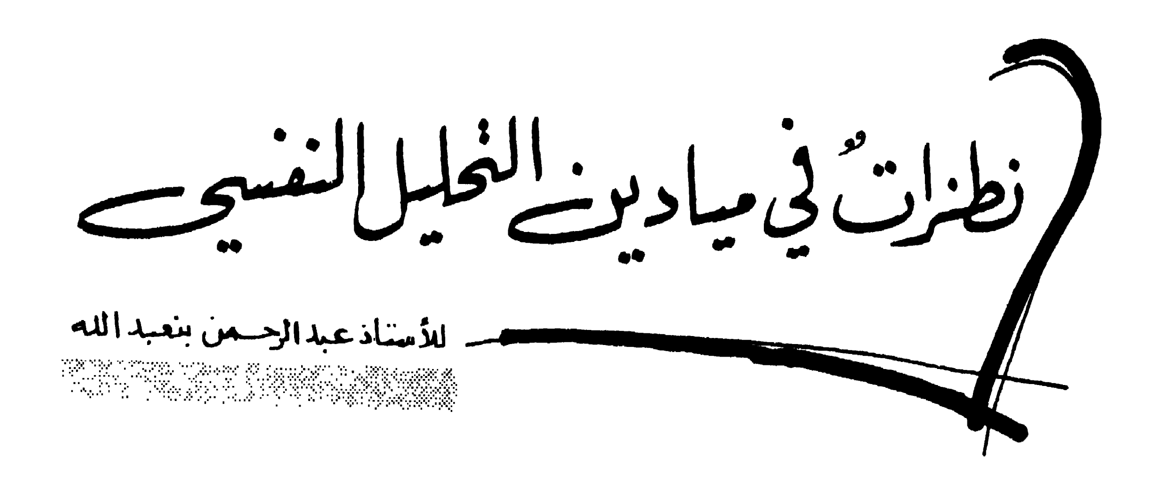
ومن المأثورات التي اجتمعت لعلي في خاصة امره، ودخيلة نفسه، استعداده ودرسه قبل خوضه اية معركة من معارك الكلام، سواء كانت كبيرة الاثر او صغيرة الاتجاه، لعله ما يترتب على حكمه، او يعقب رايه من اختلاف أو اتفاق، او ما قد يسفر عن التعبير ان راى هو توضيحا او خروجا الى الصعيد العام .. فكثيرا ما كان يسأل وكثيرا ما كان يجيب، لكن بعد تهيؤ او اعمال، الا ان تكون مسألة يحتار فيها العقل، او يقف دونها مشدود الطنب، او منقد الزناد ..

سئل الامام يوما في مسألة من هذه المسائل التي تحتاج الى اناة، ولا تخضع لرأى من الآراء يلقى كما تلقى سائر الاراء، فما كان منه وهو العليم بالراي، الملم بمشكلات الايام، الا ان دخل بيته، ثم خرج في رداء وحذاء يعلو وجهه الابتسام، وتبين على اساريره امارات الجد، فبادره احد الجلوس:

مالك يا امير المؤمنين، انك ان سئلت عن مسألة كنت فيها كالسكة المحماة .. ؟ فقال علي: لم يكن بد من الدخول والخروج لاروض ذهني على ما اخترته جوابا، وخفت من امر هو فى، فقد كنت حاقنا ولا راي لي في هذه الساعة ...

على ان ابن ابي طالب، اراد الجواب الذي لا جواب بعده، واراد تبصير جلسائه بما دار داخل نفسه او تحدث هو به اليها، اراد الدل بما عنده من علم، وما عليه من معرفة، واراد الضرب على عوده الشاعر:

اذا المشكلات تصدين لي
كشفت حقائقها بالنظر
وان برقت في مخيل الصـ
ـواب عمياء لا تجتليها الذكر
مقنعة بأمور الغيوب
وضعت عليها صحيح الفكر
لسانا كشقشقة الارجبي
او كالحسام اليماني الذكر



نظرات في ميادين التحليل النفسي

للأستاذ عبد الرحمن بنعبد الله

بين علم النفس والفلسفة :

بوسعنا أن نتحدث اليوم عن أسلوب جديد فى المباحث النفسية المعاصرة ، فى مراميها ومناهجها وفى اللون الذي تصطبغ به هذه المباحث فى نظرتها الى الانسان .

وقد امتدت الصلات بين المباحث الفلسفية والنفسية حقبة من الزمن طويلة . اذ من المحقق أن البحوث النفسية تجتاز منذ خمسين سنة ثورة نظرية جذرية .

والبحوث النفسية ربيبة الفلسفة بلا جدال باعتبارها منهجا للانسان يتناول جوهره فيما يتصل بمعطياته الدفينة ، والفلسفة قد حققت هذا الغرض بصورة كاملة الى أن تضاءلت الوشائج التي تجمع بين الفلسفة وعلم النفس بفعل التعارض بين مذاهب الاولى على عهد النهضة الاوروبية . ولعل أبرز أحداث القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ظهور النظريات الايجابية التجريبية والعدول عن الاستبطان والبحث فى الاسباب والاصول . وقد تأثرت مباحث علم النفس كثيرا بهذا التيار فنشأ على غرار علوم الطبيعة ما يسميه العلماء البسيكوفيزياء والبسيكوفسيولوجيا وعلم النفس العددي Psychologie quantitative

وعلم النفس الذي ما زالت تشده وشائج متينة الى الفلسفة ينأى بدوره عن الاتجاهات والنزعات النظرية ويهتم بالتجربة. وبرجسون ينسج على منوال الظواهريين حين يقرر أن التجربة الداخلية يمكنها أن تتسم بالدقة والموضوعية ، مثلها فى ذلك مثل التجربة الخارجية . وبصورة أعم ، فان المباحث النفسية الحاضرة كلها تجريبية . وسواء كانت البحوث النفسية فى الماضي استبطانية أو تجريبية فانها كانت تعنى بالانسان عموما ، على نقيض ما نقراه اليوم من كتابات تهتم به فى مختلف ظواهره وحالاته ، فى وجوده اليومي وباعتبار الوسط الذي يحيى فيه، أي أنها تهتم باحلامه ورغائبه ومشاريعه والعلماء يرون فى ذلك وسيلة للوصول الى معرفة القواعد الاساسية التى تقرر مصير الانسان .

وقد اتسعت ميادين المباحث النفسية فى الآونة الاخيرة فشملت كثيرا من الميادين التى تأبت على البحوث الاستبطانية وأصبحت تعنى بسيكولوجية العمل وسيكولوجية الفن والطب السيكوسوماتي وعلم النفس التربوي وعلم النفس الاجتماعي ...

المدرسة التحليلية :

والحديث عن المدرسة التحليلية يقودنا حتما الى اثارة مبدأ اللاشعور الذي يرجع للمدرسة التحليلية الفضل فى ابراز معالمه وتوضيح قواعده ، وان كانت الكتابات الفلسفية قبل ظهور المدرسة التحليلية لا تخلو من اشارات متعددة اليه . ذلك أن برجسون قد أكد فى كثير من مؤلفاته بأن دراسة اللاشعور والاشتغال بخبايا النفس الانسانية من اختصاص المباحث النفسية التي

من ارساله اللفظ غير ذميم حتى ولـو كان فى معـرض الرد الذميم ..

والمتأمل فى هذه الابيات التي قالها ، وقد ضاق صدره ، يجده لا يتناول احدا ، او يومىء ولو من بعيـد الى هذا الذي ضاق به على عادة الشعراء فى عصـره او قبله اذا هم تعرضوا لمثل ما تعرض له علي ، او امتحنوا بما امتحن به الشاعر :

لئن كنت محتاجا الى الحلم ، انني
الى الجهل فى بعض الاحايين احوج

ولي فرس الخير ، بالخير ملجـم
ولى فرس للشر ، بالشر مسـرج

فمن شـاء تقويمـي فاني مقـوم
ومن شاء تعويجي فاني معـوج

وما كنت ارضى الجهل جدا ولا ابا
ولكنني ارضـى به حين احـرج

فان قال بعض الناس فيه سماجة
لقد صدقوا ، والذل بالحر اسمج

ومن يعطي سيفه « فاطمة » تغسل عنه دمه يوم احد ، الا ان يكون زوجها علي ، ومن يصف لها نفسه ، ويفاخر بها ويطمئنها غير هذا الذي يقول :

افاطم هاك السيف غيـر ذميـم
فلسـت برعديـد ، ولا بمليـم

لعمري لقد قاتلت فى حب احمـد
وطاعـة رب بالعبـاد رحيـم

وسيفي بكفي كالشهاب ، اهـزه
اجـز بـه من عاتـق وحميـم

فما زلت حتى فض ربي جموعهـم
وحتى شفينا نفـس كل حليـم

ولعلي شعر كثير ، اوحى اليه فى مناسبات كثيرة، ومواقع شهدها وتأثر بها ، والواقع اننا نظلمـه اذا نحن جرينا على نهج الذين يشككون فى شاعريته ، او يسلبونه هذه الميزة المتفردة ، التي لقيت نفسا صافية مستجيبة، يزينها عقل راجح بصير ، واطلاع واسع ، وملازمـة لبلاغة النبوة ، وفهم لاسرار الرسالة ، وتربيـة قبـل ذلك فى حجر سيد البلغاء .

واما ما شكك فيه بعض الرواة من شعر هو لغير الشاعر ، فمن بـاب الظن والتحميـن اللذين يذهبـان بالفضل ، ويعصفان بالكنوز ، ولا يستبقيان الا الريـب وان ارتفع الشك ، وزال ما الفته من اهواء ..

ومن يذهب الى التـراث ، وينقـب فى المصـادر والامهات ، يهله ، ان يرى ديوانا من الشعر ، يسلـك عليا بين الشعراء ، ان لم يبزهم بما اوتيه من حكمـة وسداد راي وعبقرية فذة ، تقدر على التعبير بالمنظوم ، كما قدرت عليه بالمنثور ، الذي عد من جوامع الكلم .

القاهـرة : ابـو طالـب زيـان

الاستمتـاع بالـرزق

قال اعرابي : الرزق الواسع لمن لا يستمتع به ، بمنزلة الطعام الموضـوع على قبـر .

والذى لا جدال فيه أن هناك تقاربا فى وجهات النظر الظواهرية ومعطيات المذهب التحليلي والدراسات التي قام بها المحللون الامريكيون والمباحث الاخيرة التي صدرت عن الجمعية الفرنسية للتحليل .

والتحليل النفسي يرى من جهة اخرى أن النتاج الفني يترسم غايات اجتماعية مثلى‌ويتوخى تقدير الاخرين ويشركهم فى تذوق الاثر الفني ، اذ أن هذا الاخير يستثير المطامح اللاشعورية ويعمل على ارضائها ، هذا الى جانب اللذة التي تقترن بجمال الشكل على حد قول فرويد فى كتابه « حياتي والتحليل النفسي » .

تجب الاشارة فى الاخير الى الدراسات القيمة التي قام بها عدد من المحللين الى الآثار الفكرية على ضوء التحليل النفسي (انتصار البطل — التحليل النفسي لفيكتور هوجو — الرمزية الدينية — حكمة دون كيشوت ... وغيرها كثير) .

فى هذه التأملات التي ادرجناها عن علائق التحليل بالفن وشؤون الفكر ، وما يتخللها من نظريات وجودية ما يؤكد أن باستطاعة التحليل اليوم أن يسهم فى النقد الفني والسيكولوجية الجمالية وتحليل المفاهيم والقيم التي تنطوي عليها روح الفنان .

وفى السطور السالفة نظرة مختصرة الى مختلف الميادين الفكرية التى يمكن أن تطبق فيها بنجاح شتى المدارس التحليلية أو التي أمدتها بنظريات ومفاهيم جديدة .

كما أن بعض هذه العلوم التي نسميها علوما انسانية والتي تهتم ، على نقيض العلوم البحتة ، بالقيم الانسانية قد تقبل بارتياح مبادىء التحليل النفسي فى الوقت الذي تلكأ بعضها الاخر فى قبول هذه المكتسبات. ومما يبعث على الامل أن كثيرا من العلوم كعلم النفس وعلم الاجرام وعلم الاجتماع والظواهرية التي كانت — الى بضع سنين خلت — تتردد فى اعتماد النظريات التحليلية قد تقبلتها واستفادت منها كثيرا مما سيساعد على ابتداع معرفة عملية للانسان ، تقوم على الثقافة والتقنية معا .

وقد يسر التحليل النفسي للاطباء العثور على الاسباب النفسية التي تكمن وراء كثير من الادواء الجسمية .

كما فتح لعلماء النفس آفاق البحث فى المأساة الانسانية وجعلهم ينصرفون عن الاشتغال بالوظائف والملكات الى البحث فى حياة الاحياء وما تزخر به من عواطف ومشاعر ...

والصلة اليوم بين التحليل النفسي واللغة جد وثيقة ، خاصة فيما يرجع لدراسة اللاشعور . وقد أدت المبادلات بين اللغويين والمحللين الى جلاء المفاهيم اللغوية واستكناه المعطيات النفسية التي تقوم وراءها .

والتحليل يدعو فى ميدان الاخلاق الى اعتماد سلوك يقوم على احترام الوشائج التي تربط بين الانسان على اختلاف نوازعه وتباين مشاربه من تعاون وتضامن وتسامح واخاء .. وقد اظهر للملأ أن سعادة الانسانية رهينة بتوحيد الجهود والامكانيات فى الكفاح المقدس من اجل الحياة الكريمة وتنسيق الصلات القائمة بين الناس وتحقيق أسباب التراحم والصفاء لمكافحة الفقر والجهل والمرض . والتحليل بوصفه عملا تلتقي فيه شروط التجرد والموضوعية يسعى لنشر وتعميم النزعة العالمية قصد تطويع السلوك الانساني لحقيقة الكون . والشعور بالاثم ليس له ما يسوغه فى نظره الا المساس بحرمة الشخصية الانسانية وقداستها ، بصرف النظر عن العوامل الخفية التي تملأ حياة كثير من الافراد والجماعات ولا تقوم على أساس منطقي سليم .

واضح أن التحليل النفسي بشتى مدارسه ، قد أصبح بعد مرور أزيد من ربع قرن على وفاة مؤسسه محط اهتمام الباحثين من كل فروع المعرفة بعد أن ظهرت فعاليته فى جلاء كثير من الجوانب التي يلفها الغموض فى مختلف مضامير العلوم والاداب والفنون . ولقد أصاب برجسون كبد الحقيقة حين أشار فى كثير من كتاباته الى أن القرن العشرين سيحقق لعلوم اللاشعور من التطور ما نالته العلوم الفيزيائية والطبيعية منذ أمد بعيد . ومباحث التحليلية قد بلغت فى الآونة الاخيرة حدا من العمق والموضوعية يعتبر غنما ثمينا على الصعيد الانساني .

الرباط : عبد الرحمن بنعبد الله

المراجـع :

- E. d'Aster : La psychanalyse et son apport à la science de l'homme.
- A. Hesnard : L'œuvre de Freud.
- Alfred Adler : Connaissance de l'homme,

سيعرفها القرن العشرون وأن هذه المباحث ستحقق من المكاسب ما حظيت به العلوم الفيزيائية والطبيعية فى القرون السالفة .

وبرجسون محق فى تخميناته ، فقد جاء التحليل النفسي فى مستهل هذا القرن ليميط اللثام عن البنية النفسية اللاشعورية فى النفس الانسانية فنشر فرويد سنة 1900 كتابه الشهير « علم الاحلام » ووضع بذلك قواعد التحليل النفسي معطيا لكلمة اللاشعور مضمونها الحقيقي . والحقيقة أن التحليل فى الوقت الحاضر متفتح، اكثر من أي وقت مضى ، لمختلف النزعات والتيارات — فهو يسعى من جهة الى التوفيق بين النظريات الاساسية التي جاءت فى كتابات فرويد وبين التطور الخلاق الذي تفرضه المعرفة العلمية ويمليه المنهج الذي سارت عليه العلوم الفيزيائية والطبيعية . والملاحظ أن آثار فرويد قد اتسع نطاقها بعد الحرب الكونية الاخيرة بصورة شملت معها كثيرا من الميادين كالفلسفة والفن والادب وعلم النفس العام وعلم النفس التطبيقي وعلم الاجتماعيات ... والواقع أن التحليل النفسي ، بما حققه من مكاسب وخبرات ، قد احدث فى عالم المعرفة ثورة جدرية فى العلوم الانسانية كشفت النقاب عن واقع الوعي النفسي من الوجهة الادبية والوجهة الاجتماعية ، كما تصدت لاعماق العقل الانساني بما ينطوي عليه من معطيات حيوانية خفية ومعطيات أخلاقية فى غاية النبل والسمو .

وجب ان نشير الى نظريات التحليل بخصوص التربية حين تدين بصورة جلية مواقف الكبت التي يتخذها بعض المربين وآثارها الخفية والبارزة فى نشوء الاعراض العصبية . وقد اكدت الدراسات الاكلينيكية فى التحليل النفسي مدى أهمية الغرائز الاجتماعية فى تحقيق الغايات والاهداف الفكرية والفنية بواسطة التصعيد حين تنجو من آثار القمع وتتجه الى غايات أمثل .

وقد تبين من خلال الدراسات التجريبية التي اجريت على شذاذ المراهقين ان الامر لا يعدو ان يكون تكوينا عائليا جائرا وأن الاباء يتحملون مسؤولية خطيرة فى الانحرافات التي تصيبهم . والجدير بالذكر أن السينما تلعب دورا أساسيا فى نشوء هذه الاعراض بما تصوره من بطولات زائفة تقوم على الشدة والعنف وتعتمد وسائل الاثارة الجنسية فى اطار بوليسي مشوق .

اما عن الجانب الاجتماعي فان العلماء اذ يقررون أهمية المكاسب التي حققها التحليل النفسي فيما يتصل بمعرفة الانسان ، فانهم لا يتمالكون عن ابداء استيائهم من اغفال التحليل للوشائج الوثيقة التي تصل بين الفرد والمجموعات الانسانية وسكوته عن الظواهر الاجتماعية التي لا تخفى اهميتها على أحد .

والى جانب ما ابتدعته مدرسة ليفي ستراوس Lévi-Strauss من نظريات اجتماعية جديدة وما نشره علماء الاجتماع من آراء تتعارض فى معظمها مع مركب اوديب ، فان الدكتور لاكاش يرى من الضروري احداث مراكز للبحث والتكوين التحليلي للمتخصصين فى العلوم الاجتماعية لتتأتى الاستفادة بصورة أوسع من النظريات التحليلية فى ميدان العلوم الاجتماعية .

وعن الاجرام فان التحليل النفسي قد عنى به أيضا الى جانب القضاء والمهتمين بشؤون الاجرام ، وقد انعقد فى باريس سنة 1950 مؤتمر دولي للاجرام ضم عددا لا يستهان به من القضاة والمحللين وكذا المهتمين بشؤون الاجرام واطباء العقل لتبادل وجهات النظر ومقابلة آرائهم ونتائج ابحاثهم فى الموضوع .

والذي يبعث على الاهتمام فى دراسات هؤلاء الاخصائيين أن العدوانية الاجرامية التي كان يعتقد انها تملك على المجرم حواسه ومشاعره لا تظهر الا ساعة القيام بالاجرام وأن حياة المجرم تكاد تخلو من ظواهر العدوان والسادية . ذلك أن وجوده اليومي يطبعه الهدوء والنظام ولا اثر لاصداء العمل العدواني الذي كثيرا ما يمارسه بانتظام .

والمحللون يأملون ان يمتد التحليل النفسي ، بصفة رسمية ، الى كل الاشخاص الذين تنعدم فى حياتهم المسوغات الحقيقة للاجرام او الذين تشكل حالاتهم الغازا مغلقة فى مفاهيم القضاء والقضاة .

واذا كنا قد عرضنا فى بداية المقال الى الصلات التي تجمع بين الفلسفة وعلم النفس فى مفهومه العام ، فاننا لا نرى مانعا من التعرض هنا للتحليل النفسي الظواهري الذي اسهم فى اجلائه بنصيب وافر كل من الدكتور لاكاش والاستاذ لاكان وكثير غيرهما من الظواهريين وعلماء الجنس فى البلاد الالمانية . وقد الح الاستاذ لاكان بصورة خاصة على العلاقة الذاتية المزدوجة التي تتسم بها الحالات التحليلية وحالات التحويل Transfert وقد مكنته تجربته الواسعة من الاستفادة من البحوث التحليلية ، وهو يعتبر العصاب عرضا وجوديا ، معتمدا هذه النظرية فى تطبيقاته العملية.

عن كل صاحب حسب الابواب الفقهية والاحكام الدينية ، وبذلك صار كتابه مصنفا مسندا فى آن واحد. ولقد روى فى هذا الكتاب عن الف وثلاثمائة صاحب ونيف .

ان هذا المؤلف القيم والمحدث الشهير والحافظ المدقق يعد من المع أساتذة الاندلس فى التوجيه الديني انه ابو عبد الرحمن بقي بن مخلد الاندلسي صاحب التفسير الجليل الذي وصفه ابن حزم بقوله : « انه الكتاب الذي اقطع قطعا لا استثني فيه أنه لم يؤلف فى الاسلام مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري » .

ولد بقي بن مخلد فى رمضان سنة **احدى ومائتين** 201 هـ وتوفى فى التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة 276 هـ .

وقد وقع عند طبع كتاب معجم الادباء تحريف في ذكر سنة ولادته حيث ذكر انه ولد سنة **احدى وثمانين** (1) . وهذا خطأ بين لا يخفى على القراء جر الناسخ اليه تشابه صورة (ثمانين) (بمائتين) وقد ذكر المصحح تراجم مختلفة لبقي بن مخلد نقلها من عدة كتب ، وفيه ذكر لسنة الولادة الحقيقية . ومع ذلك غفل عن تغيير الخطأ الذي وقع فيه النساخ .

22) روى بقي بن مخلد عن طائفة كبيرة من العلماء بالمشرق فاخذ بالحجاز ومصر ودمشق وبغداد والبصرة والكوفة ، وتنقل بين ربوع هاته الاقاليم يتتبع العلم أنى وجده حتى لقب بالمكنسة ، لانه كان لا يترك عالما يعرف صدقه وثقته وضبطه ، فلا يذهب للاخذ عنه ، وقد بلغ العلماء الذين روى عنهم مائتين واربعة وثمانين رجلا .

وفى كتاب الحموي ذكر لطائفة من هؤلاء الاعلام اعتمد فى ذكرهم على كتاب الحميدي فقال : (2) «وبقى من حفاظ المحدثين وائمة الدين والزهاد والصالحين ، رحل الى المشرق فروى عن الائمة واعلام السنة ، منهم الامام أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل وابو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، واحمد بن ابراهيم الدورقي **وخليفته بن خياط** وجماعات اعلام يزيدون على المائتين » .

والناظر فى كتاب الجذوة المطبوع بتصحيح الاستاذ ابن تاويت الطنجي يجد انه سقط منه ذكر **خليفة بن خياط** ، ولعل ذلك انما هو غفلة من الناسخ أو نسيان من المنضد الذي صفف حروف الكتاب عند الطبع ؛ فالحميدي على ما يظهر لا يغفل عن ذكر ابي عمر وخليفته بن خياط الشيباني ، لانه يعلم اثره الفعال فى تكوين بقي الذي حمل كتبه الى بلاد الاندلس فأذاعها .

ان خليفة بن خياط الف كتابا فى الطبقات وكتابا فى التاريخ ، ابتداه بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم الى سنة 232 هـ (3) ، وقد كان استاذا ماهرا اخذ عنه رجال الحديث واعتمدوا عليه فى كتبهم ، فممن ارتكزوا على روايته الامام البخاري فى صحيحه ، وفى تاريخه ، وبقي بن مخلد فى كتبه العامة ، بل ان الخزانة العامة ببلاد المغرب تشتمل على نسخ نادرة من المخطوطات ، ومن بينها كتاب التاريخ لخليفة بن خياط برواية بقي ابن مخلد (4) . وهذا مما يدل دلالة واضحة على الارتباط المتين بين ابن مخلد واستاذه .

فورود اسمه فى النص المأخوذ عن الجذوة دليل على ان الحميدي لم يغفله فى تاريخه ، وان عدم ذكره فى النسخة المطبوعة انما هو غفلة او نسيان .

لهذا ارجو من الذين ستتاح لهم الفرصة مرة أخرى لطبع كتاب الجذوة نظرا لاهميته ولقلة النسخ الموجودة منه ان لا يهملوا هاته الملاحظة ، وان يضيفوا

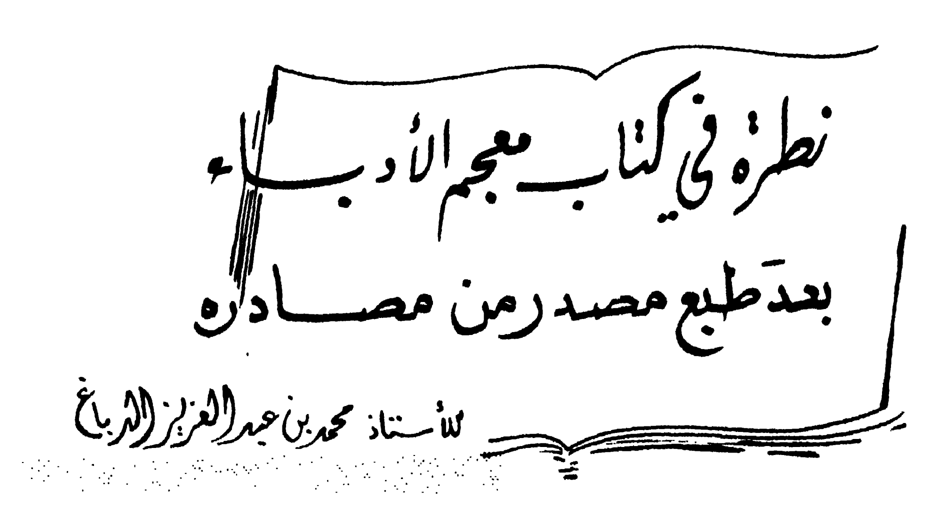
---

1) معجم الادباء للحموي ، الجزء السابع ، صفحة 81 . اما الحميدي فلم يذكر زمن ولادته . اقرا ترجمته بقي بنفح الطيب ، الجزء الثالث ، صفحة 272 بالطبعة المنقحة من طرف الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد .

2) معجم الادباء ، الجزء السابع ، صفحة 76 ، وكتاب الجذوة صفحة 177 .

3) جاء فى العدد الثالث من دعوة الحق ، السنة العاشرة ضمن الانباء الثقافية ما ياتي : « ستصدر وزارة الثقافة كتاب الطبقات للمؤرخ العباسي خليفة بن خياط وكتاب (تاريخ خليفة بن خياط) وقد حققه سهيل زكار المعيد فى قسم التاريخ في جامعة دمشق ، وقد تمت طباعة التاريخ والجزء الاول من الطبقات تحت الطبع .

4) ورد فى العدد الثالث من السنة التاسعة من دعوة الحق وهو العدد الخاص بمنجزات وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية فى عشر سنوات من عهد الاستقلال ، ذكر لهذا الكتاب فى قائمة لنوادر المخطوطات الحبسية ، وقالوا عنه هناك : « وهو من الغرائب التي لا يعرف لها وجود فى مكان آخر .



- 5 -

1) لما انتقل الاسلام الى بلاد الاندلس وتوطد امر المسلمين بهذه البلاد ارتبط فكر الاندلسيين بتعاليم الدين وارتبط لسانهم بلغة القران ، ولم يقتصر اهتمامهم على الجانب اللغوي والادبي والفني ، بل اهتمت طائفة كبيرة من علماء الاندلس بالدراسات الدينية فرحلوا الى الشرق ليجمعوا كتب الحديث ويرووا كتب القرآن والتفسير وينقلوا ما جمع في سيرة الرسول والصحابة ورجعوا الى بلاد الاندلس مطمئنين الى تعاليم الاسلام عاملين على شرحها وتحليلها واذاعتها بين الناس .

والذي يتتبع تاريخ الاندلس يجد أن التنافس الذي كان بين الدولة الاموية فى الاندلس والدولة العباسية فى الشرق قد احدث تنافسا عاما بين الاندلسيين والشرقيين ايضا ، ودفع رجال الاندلس الى البحث العلمي والى الجد فى تغيير أحوالهم من الجهل الى العلم، ومن الخمول الى العمل، ومن الاقتصار على ما عند الشرقيين الى الاجتهاد والانبساط .

ولقد كانت فى تاريخ الثقافة الاسلامية جوانب هامة تسير جنبا الى جنب فى جميع الاقاليم ، خصوصا بعد نهضة التدوين وازدهار حركة التأليف ؛ فقد اصبحت الاقاليم الاسلامية كلها تعمل من اجل تحصين الاسس التي ينبني عليها الاسلام ، ويرتكز على فهمها الدين . فان القرآن والحديث نقطة الاستناد عند كل مسلم وكل دارس للتشريعات الاسلامية وتطورها .

واذا كان المسلمون يعلمون حصانة القرآن ضد التزييف والتزوير نظرا لما كان قد قام به عثمان بن عفان رضي الله عنه من تضييق على جميع المدلسين حينما ارسل نسخا من المصحف الى مختلف الاقاليم فانهم يعلمون كذلك ان الحديث قد تسرب اليه الموضوع واندمج فيه الدخيل لذلك تصدوا لهذا الامر الجلل فالفوا الكتب المختلفة ليبينوا فيها ما صح من الحديث وما بطل واعتنوا بكيفية التدوين وبتراجم الرجال الذين روي الحديث عنهم ليكون فى استطاعتنا معرفة حقيقتهم فيعيننا ذلك على التعديل والتجريح ، وسار المؤلفون فى تدوين الحديث على طرق مختلفة ، منها طريقة التصنيف على الابواب الفقهية والاحكام الدينية من غير اعتبار للشخص الذي روى الحديث ، وكانت هاته الطريقة تدعو الى تكرار الاحاديث داخل المصنفات لتعدد معانيها واهدافها . ومنها طريقة المسانـد ، تلك الطريقة التي تذكر الصحابة وترتبهم حسب الحيثيات التي يختارها المؤلف ، واذا ذكر صحابي ذكر بازائه ما روى من الاحاديث .

واشتهرت الطريقتان معا فى الشرق الى ان حاول الجمع بين الطريقتين مؤلف اندلسي اطلع على ما عند المشارقة فى هذا الفن وتعمق فى فهم الاحاديث بعد ان حفظ منها العدد الجم الكبير ، فألف كتابا فى الحديث يعد من اشهر ما الف فى تدوينه وضبطه والتحري فيه وسار فيه على طريقة المسانـد أولا ، فرتب التدوين حسب اسماء الصحابة ، ثم رتب الاحاديث التي رويت

وهو كوفي مولى للعبسيين توفي سنة 235 هـ وولد سنة 159 هـ (1) .

وانما دفعني الى الحديث عنه وجود تناقض بين كتاب الجذوة وبين النص المأخوذ منه الوارد في كتاب معجم الادباء (2) فقد جاء في كتاب الحموي انه **أبو بكر ابن عبد الله** بن محمد بن ابي شيبة بزيادة ابن بين ابي بكر وعبد الله ، فاوهم هذا النص ان عبد الله أب لابي بكر مع ان ابا بكر انما هو عبد الله نفسه ينعت بهذه الكنية ، وعليه فما يوجد في كتاب الجذوة أصوب واولى .

25) ليست الاختلافات المتقدمة في الحديث عن بقي مخلد جامعة لكل ما يوجد من فروق بين النص الاصلي الموجود في كتاب الجذوة وبين ما أخذ عنه في كتاب الحموي ، فان هناك اختلافات أخرى متعددة ، قد يتوصل اليها القارىء بطبيعته ، وقد يكون الدافع اليها الاختصار الذي كان يدعو الحموي الى الاكتفاء بذكر بعض الاعلام دون تتبع جميع الاجزاء ، وقد يكون الدافع اليها التأويل الذي يتوصل اليه بعض القراء حين يجدون التشابه بين بعض الحروف فيؤدي ذلك الى اختيار قراءة ما يجعلونها ملائمة للاحرف وملائمة المعنى المقصود حسب تأويلهم .

ولا بأس أن اقدم جزءا من كتاب الجذوة لتبيين الفروق الموجودة بين هذا النص في كتاب الجذوة المطبوع وبين نظيره في كتاب المعجم .

قال الحميدي : « قال لنا ابو محمد علي بن احمد: « فمن مصنفات ابي عبد الرحمن بقي بن مخلد كتابه في تفسير القرآن ، فهو الكتاب الذي اقطع قطعا لا استثني فيه انه لم يؤلف في الاسلام مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره . ومنها في الحديث مصنفه (3) الكبير الذي رتبه على أسماء الصحابة رضي الله عنهم فروى فيه عن الف وثلاثمائة صاحب ونيف ، ثم رتب حديث كل صاحب على اسماء الفقه وابواب الاحكام ، فهو مصنف ومسند (4) ، وما اعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله فيه (5) في الحديث وجودة شيوخه فانه روى عن مائتي رجل واربعة وثمانين رجلا (6) ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم أعلام مشاهر (7) ، ومنها مصنفه في فتاوي الصحابة والتابعين ومن دونهم الذي أربى فيه على مصنف ابي بكر بن شيبة ، ومصنف عبد الرزاق بن همام ، ومصنف سعيد بن منصور . وغيرها (8) ، وانتظم علما عظيما لم يقع في شيء من هذه ، فصارت تواليف هذا الامام الفاضل قواعد للاسلام لا نظير لها ، وكان متخيرا (9) ، لا يقلد احدا ، وكان ذا خاصة من احمد بن حنبل وجريا في مضمار أبي عبد الله البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري وأبي عبد

---

1) انظر ترجمته الموجزة بكتاب الاعلام للزركلي ، الجزء الرابع .
2) معجم الادباء ، الجزء السابع ، صفحة 76 .
3) في كتاب الجذوة قال : ومنها في الحديث مصنفة بجعل نقطتين على الهاء ، وهو خطأ ظاهر وقع من المصفف فقط .
4) في كتاب الجذوة شكلت لفظة مصنف ولفظة مسند بفتح ما قبل الاخر على صيغة اسم المفعول باعتبار الضمير المخبر عنه عائدا على الكتاب ، وأما في كتاب الحموي فقد شكلتا على صيغة اسم الفاعل باعتبار عودة الضمير على المؤلف نفسه وهو اولى لانه يناسب ما بعده من الضمائر .
5) كذا في الجذوة ، وأما في المعجم فلا وجود لهذا الجار والمجرور . وهو الصواب ليكون الكلام منسجما مع السياق العام ، وليكون في التعبير خفة وسلامة .
6) في كتاب الحموي ذكر انه روى عن مائة واربعين وثمانين رجلا ، واشار المصحح الى تصويب هذا الخطأ وما عند المصحح موافق لما في كتاب الجذوة .
7) في كتاب المعجم ، قال : وسائرهم أعلام مشاهير على وزن مفاعيل بزيادة مد بين العين واللام وهو الموافق للصواب .
8) اقتصر الحموي على ذكر مصنف ابن أبي شيبة
9) في كتاب الحموي وكان بحرا ومصححه ذكر انه يوجد بنسخة اخرى ، وكان متخيرا ، وسنتحدث في التحليل عن الوجه الصحيح .

الى الكتاب ما سقط منه ، وان يجمعوا مرة اخرى بين الاستاذ وتلميذه ، فانه من غير اللائق ان نترك خليفة ابن خياط بعيدا عن تلميذه وبينهما هذا الاتصال الروحي الذي يجب ان نعمل على تخليده تشجيعا للعلم واحياء للروابط الفاضلة ، وابقاء على ذكر عالم جليل في كتاب يعد من اشهر الكتب التي يعتمد عليها في تاريخ الاندلس . فان وجوده في الكتاب سيحدث فضولا علميا في القارئين . يدفعهم الى البحث عن خليفة والتعرف على تاريخه . وفي ذلك فائدة كبرى ، وفرصة للاطلاع على حياة عالم لا يذكر في كتب التراجم الا باحسن الصفات ، ولا ينعت الا بافضل الالقاب ، فهو الذي يقولون عنه : « انه كان مستقيم الحديث من متيقظي رواته (1) » .

توفي خليفة بن خياط في سنة 240 هـ موافق 854 م (2) .

23) لقد تقدم لنا ان بقي بن مخلد روى عن كثير من الاعلام ، ومن بينهم الامام أحمد بن محمد بن حنبل الذي يعتبره كثير من المحدثين والمفسرين اقرب الى رجال الحديث من رجال الفقه .

وهو صاحب المسند الذي يحتوي على ما يقرب من اربعين الف حديث ، تكرر منها ما يقرب من عشرة آلاف .

وقد كان من أساطين السنة . في العراق في أواخر القرن الثاني واوائل القرن الثالث الهجري ، فقد ولد ونشأ ببغداد سنة 164 هـ . وجال في كثير من الاقاليم بحثا عن الحديث وحرص على تاليفه وتفسيره ، وعلى الاعتماد عليه ، وظل وفيا لاجتهاده الى ان توفى سنة 241 هـ ، وقد كان من اتقى الناس واكثرهم ورعا فاستفاد الكثيرون من اخلاقه وعلمه وشجاعته في مواجهة الظلم والتعدي .

ويعد استاذا لاكبر رجال الحديث كالبخاري ومسلم وبقي بن مخلد الذي نتحدث عنه الان .

وجريا على العادة التي سار عليها كثير من المؤرخين والمترجمين للعلماء والادباء في الاستغناء عن ذكر الاب احيانا ، فقد قالوا عن ابن حنبل انه **احمد ابن محمد بن حنبل**، ثم قالوا مرة اخرى **احمد بن حنبل** ومن المعلوم انه لا تناقض بين الصيغتين اذ هما معا لا يقصد بهما الا الامام المشهور .

اذا علمنا ذلك ، فان الاكتفاء بذكر احدى الصيغتين كاف في التعريف بابن حنبل ، وذلك ما وقع بالفعل في النسخة التي اعتمد عليها الاستاذ ابن تاويت في طبع جذوة المقتبس ، فقد اقتصرت على ذكر احمد ابن حنبل ، ولكن الاستاذ ابن تاويت عقب على ذلك بتعقيب وجيز قال فيه : « وفي البغية احمد بن محمد ابن حنبل » من غير ان يشير لماذا عقب هذا التعقيب، وهل فعل ذلك شكا في صحة النسبة الاولى او ايثارا لها على غيرها او ابرازا للفرق بين كتاب الجذوة وكتاب البغية أو اتماما للفائدة .

وانا أرى ان هذا التعقيب من غير تبيين سببه ، سيجعل القارىء في ارتياب وشك . فلا يعرف الأصوب من الصيغتين . وسيحدث له ابهاما وتساؤلا في نفسه يدفعه الى البحث عن الرواية الصحيحة . مع ان كلا منهما صالح ، اما التي أوردت سم الاب فلانها سارت على الاتجاه الطبيعي في ذكر الانساب . وأما التي حذفت الاسم فلكونها سارت على طريقة الاستغناء عن ذكر الاب والاكتفاء بذكر الجد . وهذا شيء يحصل كثيرا في التراجم العربية .

وعليه فلا فرق بين الصورتين رغم وقوع الاختلاف في الطبع ، ففي كتاب الجذوة حذف منه اسم الاب . ولكنه في النص الماخوذ الموجود بكتاب الحموي قد ذكر .

وهذه الاشارة ضرورية للقارىء رغم أنها لا تخفى على المهتمين بالدراسات الادبية وبدراسة رجال الحديث والفقه .

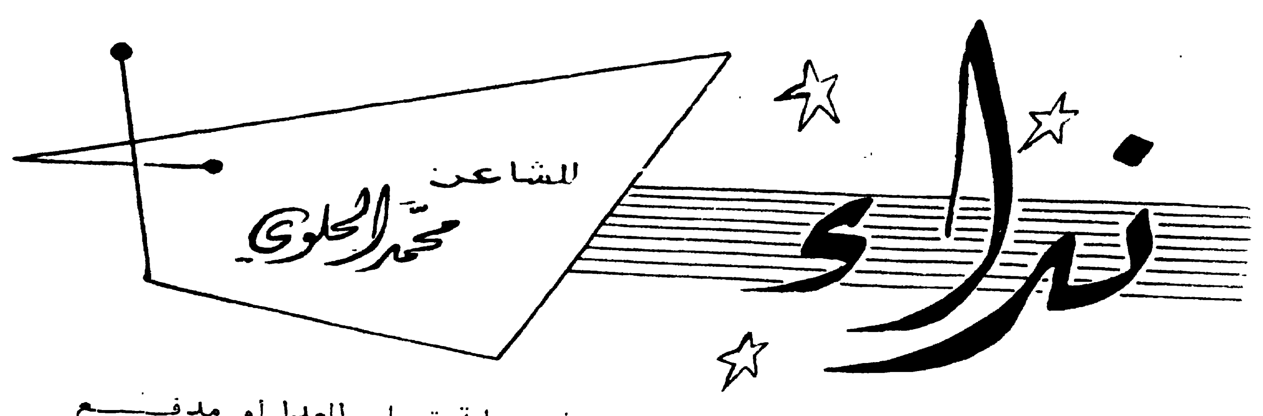
24) ورد في كتاب الجذوة (3) اسم لأحد الائمة الذين روى عنهم بقي بن مخلد وهو الحافظ الشهير **أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة** وهو من رجال الحديث الذين كان لهم فضل ايام ازدهار التدوين فصنف وحفظ وروى واذاع علمه بين الناس

---

1) كتاب الاعلام للزركلي ، الجزء الثاني .

2) في كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ، الجزء الثاني ، صفحة 14 ، اقوال متناقضة في ذكر زمن وفاته ، فقد قيل انه توفي سنة 230 هـ ، وقيل انه توفي سنة 240 هـ ، وقيل انه توفي سنة 246 هـ . ولكن اغلب الاقوال في الذكر عند المؤرخين انه توفي سنة 240 هـ .

3) جذوة المقتبس ، صفحة 167 .



اخي هناك على خطوط النار   في دبابة تصلى العدا أو مدفع

الله خلف زنادك الرامي اذا   ضغطت يداك فلا تهن أو تجزع

بذل الصناع قلاع امتك التي   وثقت وراءك في التحام اروع

سلمت يداك فصبها نارا على   سرطان عالمك المهيض الموجع

سطر بمدفعك الرهيب روائعا   في مجد يعرب مثلها لم يسمع

واملأ فم الدنيا ببأسك مرعبا   واسكب غناءك غنوة في مسمعي

انا حلفنا ان نطهر أرضنا   من رجس صهيون ومكر الجشع

بالنار والشهداء نغسل عارنا   ونعيد ارض الوحي لا بالادمع

وبوحدة جبارة سنشنها   شعوا تدمر كل وغد مدعي

سنذيقهم كاس الحمام مريرة   بسوى الهزيمة كاسها لم تترع

والبغي ما لمعت بوارق نصره   الا لتوذن باقتراب المصرع

انا بنوا الاحرار شعب لم يهن   رغم الخطوب وللعدا لم يركع

(بيض الوجوه كريمة أحسابنا   شم الانوف من الطراز الارفع)

ان نابت الجلى فنحن رجالها   واذا دعا الداعي فاكرم من دعى

شدنا على اسس العدالة ملكنا   وعلى دعائم مثلها لم يرفع

* * *

أيذل من حشدوا الحشود ودوخو   كسرى وقيصر في جحافل تبع ؟

ايذل من طلعوا على الدنيا كما   طلعت ذكاء على رقود هجع ؟

اتغيب تلك الشمس بعد بزوغها   وضيائها فكأنها لم تطلع ؟ !

الرحمن النسائي (1) رحمة الله عليهم » . هذا آخر كلام ابي محمد (2) .

ان التعرض لهذه الاختلافات اصبح امرا ضروريا بالنسبة الى الدراسات الادبية والتاريخية والفقهية .

ويمكن أن ناخذ نقطة واحدة من هذه الفروق التي لاحظناها في هذا النص لنعرف سبب التأويل المرجح لصيغة على اخرى فقد تقدم لنا ان الحميدي في كتاب الجذوة ، قال عن بقي بن مخلد : « وكان **متخيرا لا يقلد احدا** » في حين ان مصحح كتاب الحموي حين طبع الكتاب آثر ان يقول : « **وكان بحرا** لا يقلد احدا » ونبه على انه يوجد في الاصل عوض لفظة بحر لفظة متخير .

ولم أدر لماذا رجح البحر على التخير ، ولعله فعل ذلك لكونه يربط بين سعة علمه وجواهر معرفته بالبحر الذي في أحشائه الدر كامن .

وقد ذكر الاستاذ ابو زهرة في كتابه عن ابن حزم الاصول التي اعتمد عليها هذا الامام في ثقافته وأرجعها الى الحديث وكتبه العامة ، ثم الى **طائفة المتخيرين** الذين لم يكونوا مقلدين لمذهب معين بل كانوا يجتهدون وعلى راسهم بقي بن مخلد .

فالمتخيرون اذن يمثلون طائفة من المجتهدين الذين لم يقتصروا على التقليد والتقيد بمذهب معين وهذا يفسر لنا اعجاب ابن حزم بكتب ابن مخلد ، لانه وجدها تمثل روح الحرية التي اصبح يدعو اليها في مذهبه والتي دفعته الى التصريح بأن التقليد حرام ولا يحل لأحد أن يأخذ بقول احد من غير برهان (3) .

وان هؤلاء المتخيرين الذين كانوا لا يقلدون احدا بعينه لم يكونوا أعداء للائمة السابقين ، ولكنهم كانوا يرون ان مؤهلات الفكر يملكها كل انسان ، ولذا يجب على المسلم ان يتفهم كتاب الله وسنة رسوله ، وان يطلع على اراء الفقهاء المسلمين ليكون بذلك سليم الايمان قوي العقيدة ، وان يربط بين ما بلغ اليه المجتهدون وبين أصول التشريع ، فاذا اطمأن الى نتائجهم قبلها والا استخدم اجتهاده لفهم هاته الاصول بنفسه .

فالتخير اذن يمثل منهاجا اجتهاديا يجعل جميع الائمة سواء ، ويدفع الفرد الى الاهتمام بكتاب الله وسنة رسوله ، ويجعل المسلم قوي الملاحظة ، كثير الاطلاع ، متين الحجة ، يرتبط بالله عن طريق التأمل والبحث عن المعرفة الصادقة ، ولا يقتصر على التقليد الاعمى الذي يفقد به الانسان حجة البرهان وسعة العلم .

اذا علمنا ذلك رأينا أن نسخة ابن ناويت كانت أسلم حينما نصت على أن ابن مخلد **كان متخيرا** لا يقلد احدا ، وانها كانت أصوب مما اثاره مصحح كتاب معجم الادباء حين قال عن بقي ، وكان بحرا لانه بفعله هذا كان قد غفل عن المقصود بالتخير ، ولم ينتبه الى حقيقة مقصوده ، والله أعلم .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

1) لم يذكر الحموي في سياق كلامه ابا عبد الرحمن النسائي .

2) النص الذي ذكرناه مأخوذ من كتاب الجذوة صفحة 167 ، ومقابله يوجد بكتاب معجم الادباء ، الجزء السابع ، صفحة 77 .

3) كتاب ابن حزم لمحمد أبي زهرة ، صفحة 275 .

زيارة خاطفة ولريشة ؛

مرحبا بالحمامتين ...

للشاعر مفدي زكرياء

مرحبا بالحمامتين ، واهلا   لكما مهجتي الفدا ، وحياتي
اشرقا كالصباح في (وكر حبي)   واخطرا كالنسيم في امسياتي
واغمرا بالحنان قلبا مشوقا   هائما بالجمال في الكائنات
شاعرا .. كالملاك ... يستلهم العيـ   ـش وحيا مجنح الكلمات
يعصر اللحن من شفاه العذارى   ويصوغ الفنا من القبلات
وقوافيه من قدود الصبايا   مائسات طروبة ساحرات
الامان الامان ... (هادية) القلـ   ـب الى (منيتي) الى صبواتي
عانقاني حمامتي . فاني   علوي . من السماء صفاتي !
وامرحا بالامان بين ذراعـ   ـي ، فاني الامين في خلواتي .. !
واسكبا الدفء والفتون بجسمي   والامان الامان من نزواتي .. !
واقنعا ، في الصبى ، بحلو الاماني   وانعما في الغرام بالخطرات
واهمسا ـ يا حمامتي ـ فاني   لست ممن يبوح بالهمسات
واقرءا الحب والصبابة عني   انا في الحب صاحب المعجزات
واذا تم موعد . وافترقنا   للقاء ... تذكرا صلواتي ...

مفدي زكرياء

ايـذل أبناء الاسـود ولم تـزل — أظفارهم مسنونة لم تقلع ؟
قسما بروحك يا صلاح وزحفها — وجهادها عصب الصليب ويوشع
لنشنها حربا تدمر ما بنت — أحلامهم بيد الكرى من مطمع
ونعيد للحرم المطهر قدسه — ونزيح عنه يد المغير المقمع
لن يحتموا منا ولو ملكوا الفضا — فقضاء يعرب ما له من مدفع
لن نرهب النابال فوق رجالنا — ونسائنا ونكاله بالرضع
عملاقهم سيصير عند قدومنا — قزما تقهقره اشارة اصبع
وشجاعهم لا يستطيع لقاءنا — الا بوجه فى الحديد مقنع

* * *

الله أغير ان يعز عصابة — داست محارمه بغير تورع
والله أكبر أن يمزق امة — هبت لتحمي قدس تلك الاربع
هي فسحة القدر التي تزجي بهم — وتسوق ركبهم لأوخم مرتع
وهي النذير لامة لعبت بها — أهواؤها في صفها المتصدع
عشرون عاما واصلت أيامها — صهيون فى ثكناتها والمصنع
دابت تدعم جيشها ونظامها — وتعد عدتها ليوم مفزع
وبنو العروبة سادرون كأنهم — في مأمن وظلال واد ممرع !
نخر الخلاف صفوفهم فاستقبلوا — في فرقة هول المصاب المفجع
وتناكروا والخطب في بحرانه — كالسيل مندفعا بأرض بلقع
وصحوا على هول المصاب كأنما — هبوا على أصدائه من مضجع !

* * *

فعسى النوائب تجمع الشمل الذي — عصفت به وتعي الحوادث من تعي
وتحية لك يا اخي من شاعر — خلف الخطوط بقلبه المتلذع
يهدي قوافيه اليك وليته — أهدى اليك قذائفا في مدفع !
لكنها أغلى وأثمن ما يرى — في عالم متحلل متصنع
والى اللقاء وفوق ثغرك بسمة — وعلى جبينك تاج نصر أروع
في فرحة تحيي موات عروبتي — وترد أنفاسي وتجري أدمعي

محمد الحلوي

السبورة

للشاعر: محمد بن علي العلوي

وزنجيـــة لونهـــا كـــالظـــلام
تـــرى انهـــا خلقـــت للعلـــى
وتزعـــم أن البهـــا حليـــة
ومـــن عجـــب انهـــا قـــد غـــدت
وقـــد حسبـــت انهـــا بلغـــت
عراهـــا الغـــرور فـضـحـت بـــه
وقـــد اسنـــدت ظهرهـــا للجـــدار
تحيـــط بهـــا نظـــرات الصغـــار
وتشتـــد مـــن حولهـــا ضجـــة
ومنيتهـــا أن نـــرى وجههـــا
وان تنظـــر العيـــن مـــا نمقـــت
فيـــا ليتهـــا لثمـــت بالنقـــاب
ويـــا ليتهـــا ستـــرت قبحهـــا
تذكرنـــي دميـــة (الكرنفـــال)
اذا مـــا دخلـــت لحجرتهـــا
وتفتـــح لـــي حضنهـــا كالغـــراب
وتـــرغمنـــي أن أدغـــدغهـــا
يلـــذ لهـــا أن تمـــر يـــدي

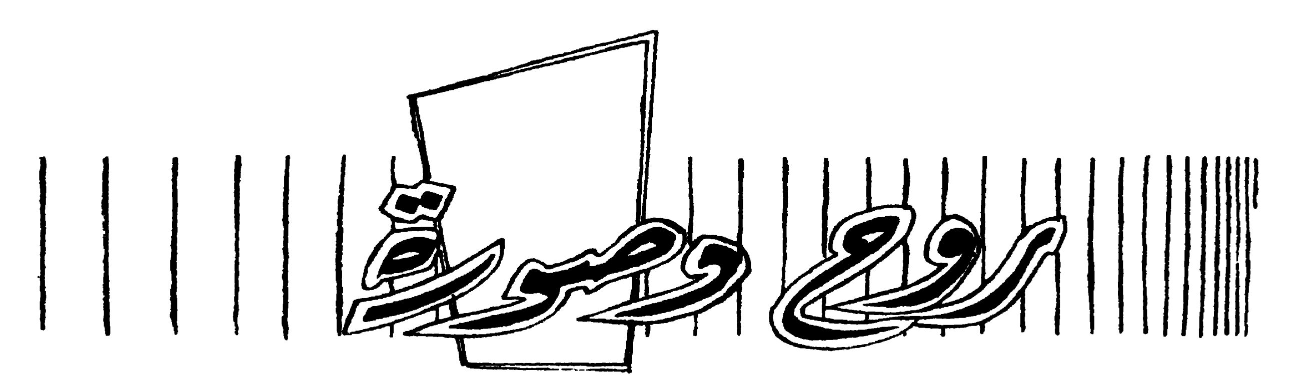
تربعـــت الصـــدر في الغرفـــة
والمجـــد عاشـــت والرفعـــة
وقـــد خصهـــا الالـــه بالحلية
تـــرى انهـــا ربـــة الحكمـــة
بروعتهـــا منتهـــى القمـــة
تباهـــي الحســـان بـــلا حشمـــة
كفعـــل العروســـة في الحفلـــة
لتكتشـــف النـــور فـــي الظلمـــة
فمـــا تشمئـــز مـــن الضجـــة
ومـــا قـــد عـــلاه مـــن الصبغـــة
خطـــوط الوشـــام على الطلعـــة
وأخفـــت بـــه طلعـــة العنـــزة
فكـــم مـــلأ القلـــب بالغمـــة
ومـــا شـــوه اللـــه للعبـــرة
أرى ظلمـــة الليـــل في الحجـــرة
يمـــد الجنـــاحين مـــن ربـــوة
علـــى رغـــم مـــا بـــي مـــن العفـــة
علـــى صدرهـــا الصلـــب في رقـــة



للأستاذ عبد الكريم الطبال

الثلج ينبت فى يدى ، يمتد أشجارا بلا ظـــل ولا زهـــر
يلتف كالاسوار فى وجهى ، ويغلق كل أبوابى عن السـر
فالنار فى عينى تموت . لان أرياح الصقيع تموج كالبحـر
والصوت يغرب فى فمى كالبرعم المسجون فى أكمامه الصفر
فانا اذا لم أشد فى الثارات فى زحف الى ساحاتنا الحمـر
لم أزرع البركان فى مستنقع الاقزام ، لم اهتك عن الستر
فلان أوتارى بلا لحن . لان انامـلـى دوح بـلا طيـر
لكن سأكسر كل أشجارى . لازرع فى يدى قيثارة الشعـر
فلتصرخ البومات فى الاشجار : يا ويلاه سوف يعود السحر
ليطير عشى فى الرماد . لتسقط الاوراق ذاوية الى القبـر
لتخر أسوار الجليد . لتكبر الافاق فى غاباتها الخضـر
لتفيض من بين الانامل أنهر بيضاء فى أرض من العطـر
موشية بغريب أضواء بصبح فى تلاوين الـرؤى بكـر
وليصمت الاحباب فى عرس الدماء الى فى ترتيلة الفجـر
فانا وقيثارى سأمتشق اللهيب نضىء فى الساحات كالبدر

شفشاون : عبد الكريم الطبال



لمؤسسنا : علال الهاشمي الفيلالي

رتلي ــ ربة الحياة ــ صلاة   هي نجوى حقيقتي ورؤايا ! ..
واسكبي قدسي السنا ، واشيعي   في دمي النسك ، كي يغور هوايا
وانشقي كالشذى من الله عطرا   ، واجتلي في السماء طيف هدايا
كنت نورا في عالم الغيب ، حتى   لفك الليل في سجون الحنايا
فتلقيتني جنينا هميدا   ثم أبدعتني شفيف السجايا
انت نهر الحياة ! اضحى حراكا   في فمي ، وارتعاشة في دمايا
كان يرغي في داخلي قبل علمي ! ..   اتراه يغيض بعد نهايا ؟
اين نبع الحياة ... أين مداه .. ؟   كيف زهو الضحى ، وسحر العشايا؟
زورق الفكر ... أين شطك منه   قد تلاشى لهاثه في الخفايا
الرؤى .. ما الرؤى .. ؟ أطيف غيوب   ام صدى الروح في شعور البرايا ! ؟

* * *

خالد انت ... أم انا في سماء ؟   او انا انت لم تكوني سوايا .. !
نحن ظلان : انت ظل اليه   وانا ظل طينة وخطايا .. !
فامرحي قبل ان تميل بي الريح ،   وتذوي مثل الزهور منايا
وانزعي في ظلال حبك حينا   انت معنى الخلود من دنيايا .. !
فلنسر في الهموم ، في الليل ، في الو   حشة ، في الحزن ، بين وادي الرزايا
حيث أجني قبل الشروق شعاعا   والف الاحلام ملء هوايا
كل ما في الحياة انت ... ولولا   ماؤك العذب ما ارتوت شفتايا
فيك ــ يا ابن الحياة ــ اسرار قدس   هي لله في الضمير مرايا

الرباط : علال الهاشمي الفيلالي

ويطربها أن أداعبها — وافصح باللمس عن لوعتي
فيا اخت ليل طويل الاسى — ويا بنت عود من الارزة
علام الحداد ؟ ومن ذا الذي — فقدت من الاهل والاسرة ؟
سئمتك يا جلد ما عزة — رمته المقادير في وجهتي
وعفت لأجلك كل السواد — ايا امة النحس والخسة
ويا عمة الفاق قد اضمرت — لك اليوم فرط القلى مهجتي
صحبتك منذ الصبا مخلصا — فما ذا استفدت من الصحبة ؟
وضحيت طول السنين فلم — الاق سوى الهم والمحنة
وقضيت شرخ الشباب ارى — بجانبك الهم بالجملة
لكم تبتغي النفس لو قدرت — طلاقك من غير ما رجعة
لزمت الوفاء فكان الجزا — غبار الطباشير في المقلة
فشكرا لخالق هذا الورى — على ما حبانا من القسمة

* * *

يفتح قوم عيون السرور — على منظر الزهر في الجنة
وافتح وقت الضحى مقلتي — ولست أرى غير ذي الفحمة

فاس : محمد بن علي العلوي

ـ لم أفتح له ـ

قال سالم بن ابي الجعد :

اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم ، فاشتغلت بالعلم . فما مضى علي سنة ، حتى جاءني الخليفة زائرا ، فلم افتح له .

وسائل الوصول اليها . هذا علاوة على كون هــــذه المخطوطات تختلط فيها الحقيقة بالاسطورة ، والواقع بالخيال ، الامر الذي يكلف الباحث احاطة تامة وشاملة بموضوعه ، وبطبيعة الاحداث والوقائع فى تسلسلها التاريخي . وليس غرضنا هنا هو الاحاطة بالعوائــق الكثيرة التي تقف فى وجه الباحث ، وانما اتينا ببعضها عرضا ونحن بصدد تصور الجهد الكبير الذي يبذلــه كتاب التاريخ عندنا . اقول كتاب التاريخ ، ولا اقــول (المؤرخون) بالمعنى الدقيق للكلمة ، لاعتقادي أن ليس كل من يكتب عن التاريخ يسمى (مؤرخا) ما دام المؤرخ الحق هو ذلك الذي يكون له منهج فى دراسة التاريخ . ونحن الان نمر بمرحلة التجمع والحشد ، تجميع اكبر عدد ممكن من الحقائق والمعلومات التاريخية وحشدها والتقاطها من مظانها المختلفة ، فمن حديث عن مناهج التعليم فى دولة مغربية ، الى حديث عن أشهر مؤلفات حقبة معينة ، الى آخر عن مسجد ما الخ . وما زال لم يوجد عندنا بعد ، ذلك المؤرخ الذي يأخذ بكل هــــذه الخيوط المتفرقة ، ليضمها فى نسيج واحد . ومـــــن الطبيعي أن نمر بهذا الطور الان ، كمقدمة تتلوهــــا نتائجها البعيدة المدى فى المستقبل القريب او البعيد ، فالمؤرخون لا يظهرون عادة الا بعد انتهاء مرحلة التجمع تجميع المادة التاريخية ونقدها وتصحيحها ثم تقديمها الى جمهور القراء كمراجع ميسرة يسهل تناولــــها والانتفاع بها على أوسع نطاق وأشمله . خذ لذلك مثلا ابن خلدون ، فهو لم يستطع أن يكتب كتابه العظيم فى التاريخ ، الا بعد أن سبقته مرحلة وضع الموسوعات الضخمة كتاريخ الطبري ، والكامل لابن الاثير وغيرهما وهؤلاء بدورهم ما كانوا ليعملوا عملهم العظيم ، لولا أن الذين سبقوهم وضعوا بين أيديهم اشتاتا مــــــن الروايات والاخبار والاساطير، بحيث تهيأ لهم ان يكونوا منها هياكل عظيمة للعصور التي ارخو لها ، اي انهم حولوها من معلومات متناثرة الى سياق تاريخي مسلسل، وبذلك استحقوا أن يحرزوا لقب مؤرخين (1) .

هذا وان عندي شعورا قويا بأن مؤرخ المغرب يوجد جنينا فى أحشاء هذه الايام ، نظرا لتتابع الابحاث التاريخية وتعدد جوانبها وخروج المخطوطات الى وضح النهار ، ونظرا لتطلع جمهرة المثقفين الى ذلك اليـــوم الذي تتحول فيه هذه المواد الخام الى عمل منظم محكم التبويب ، فيه خلق وابتكار ، من حيث اسلوب التفكير التاريخي الخاضع لمناهج البحث . فقد جرت العادة بأن يوجد المؤرخ عند ما تشتد الحاجة اليــه ، وتتهيــــأ المقدمات الضرورية لوجوده ، ويقوى تطلع الناس اليه وترقبهم لظهوره بين حين وآخر . وكل هذه العوامـــل موجودة عندنا الان . هذا بالاضافة الى البناء الضخم الذي أقامه الاجانب لتاريخ المغرب الحضاري ، على ما فيه من ثغرات وسموم لا يسلم منها عادة كل بحــــث يكتبه اجانب عن بلاد غير بلادهم ، تربطهم بها صلــــة ليس فيها تكافؤ ولا احترام ولا نزاهة، هي صلة الغالب بالمغلوب ، والحاكم بالمحكوم ، والقوي بالضعيف ، والمستغل بمناطق النفوذ ، بحيث لم يسلم ما كتبوه من روح الدس والتآمر والتزييف ، مما تندس فى تضاعيف الحقائق الكثيرة القائمة على منهج العلم ومقرراته ، فهذا العمل على علاته كفيل بتقديم مساعدة قيمة لمؤرخ الغـــــد .

ومن هنا يتضح لنا مدى العمل النافع المثمر الذي تصدى له مثقفونا المعنيون بالمادة التاريخية ، وهــــو التمهيد الفعال الايجابي لميلاد المؤرخ المغربي المنتظر ، كما تمهد الامطار لموسم الربيع . الا ان مثل هذا العمل لا ينجو عادة من بعض العيوب والثغرات ، شأن سائر الاعمال الثقافية التي تاتي عقب الجفـــاف الفكــــري والنضوب الثقافي . اذ انها اعمال رائدة ، لا تعتمد على سند من محاولات سابقة ، اللهم الا نتفا متفرقة هنا وهناك ، وليس من شأنها أن تقيم العثرات ، وتعصـــم من المزالـــــق .

ولست اريد باعطاء نظرة موجزة عن هذه العيوب التنقيص من قيمة المجهود الكبير ، المبذول من طرف اولئك الرواد المعنيين بالتاريخ المغربي فقد اشــــدت بعملهم القيم فى كلمات سابقة ، وانما اريد التنبيه اليها عن حسن نية ، ومساهمة مني فى ابراز نواحي النقص المتصلة بجانب من جوانب تطورنا الفكري الحالــــي . وهي عيوب تكاد تكون طبيعية — ولو فى جزء منها على الاقل — اذا نحن نظرنا الى الوسائل المحدودة التــــي يملكها من يتصدى لكتابة تاريخنا ، ولكنها قابلة للاصلاح اعتمادا على دروس التجربة ، وعلى ما يمكن ان يسفر عنه النقد البناء النزيه .

وملاحظتي الاولى هي انني لا ارى واحدا انقطع لحقبة معينة من تاريخ بلادنا الفكري او السياســـي أو الاجتماعي او الاقتصادي فوقف كل جهوده عليها ، وانما

---

1) كان الاستاذ الجليل عبد الله كنون سابقا لاوانه ، عندما وضع كتابه العظيم (النبوغ المغربي) الذي سيكون خير عون لمؤرخ المستقبل ، اذ وضع له علامات على الطريق ، وازال منها الكثير من العقبات .

التاريخ المغربي بين أخطاء الحاضر وآمال المستقبل

للأستاذ : علي الوزاني

من اهم واجهات الفكر المغربي الحديث ، قسم الدراسات التاريخية الذي انصرفت اليه نخبة من مثقفينا البارزين ، ويكاد بعضهم يقف كل جهوده على هذه الناحية لا يتجاوزها ، وهو سعي مشكور ونافع وضروري فى هذه المرحلة التي نجتازها من تطورنا الفكري الحديث ، اذ اننا نلتمس الطريق الى شخصيتنا كمغاربة ، حتى لا تضيع وسط ركام من ثمار الثقافة الاتية من شرق وغرب ، فلم يكن استقلال المغرب الا اعادة الامور الى نصابها ، وفرصة لتنقية النفس المغربية من رواسب وضع متعفن ، حمل فيما حمل الينا الضياع فى طريق غير طريقنا الطبيعي بصفتنا مجموعة من البشر لها كيان انتصب عملاقا عقودا من السنين ، ولكن اغارت عليه قوى عاتية اتخذته لها هدفا فشوهت معالمه ، وكاد أن يتهاوى تحت ضرباتها القوية ، حتى استحال العملاق قزما يتقهقر فى استحياء وتخاذل .

ولكن ها هو اليوم ينتفض وتعود اليه حيويته فيحاول الوقوف على رجليه وسط الاعاصير الهوج . أعاصير الثقافة العالمية التي طوقت العالم ، وعرضت الشخصية القومية لكل أمة صغيرة تبحث عن نفسها الى خطر شديد .

فلا يسعنا والحالة هذه ، الا ان نبارك هذه الجهود المثمرة التي نرى آثارها القيمة بارزة على صفحات مجلاتنا ، ولاسيما مجلة « دعوة الحق » التي تولي هذا الجانب قسما كبيرا من عنايتها . ووفاء للحقيقة والتاريخ اذكر الاساتذة : المنوني وعبد العزيز بنعبد الله ومحمد ابراهيم الكتاني وعبد الله كنون وابن تاويت كأعلام بارزين ، ترتبط اسماؤهم بهذه المرحلة من تاريخنا الفكري ، وستكون ابحاثهم نبراسا لمؤرخ المستقبل . حيث سيجد الطريق امامه معبدا ، فيبدأ من حيث انتهوا . منتفعا بفتوحاتهم التاريخية المظفرة ، وكلنا يعلم الصعوبات التي تواجه وتتحدى من يتصدى لكتابة تاريخ المغرب ، لعوامل شتى ، منها ندرة المصادر . فاقلها هو الذي عرف طريقه الى الطبع ، واكثرها ما زال مخطوطا يرقد فى غياهب الظلام . اما فى المكتبات العامة . أو فى بعض المكتبات الخاصة ، هذه التي يوجد اكثرها بين أيدي شحيحة ، تأبى أن تجود بشيء من نفائس ما تملكه من ذخائر الفكر المغربي . ولست افهم كيف يحبس انسان تراثا ولا يتركه يتخذ طريقه الى ملايين المثقفين فى المغرب والمشرق ، ليكون منهلا من مناهل المعرفة ، وليكشف عن جانب من جوانب العبقرية العلمية أو الادبية للامة ، وانما يبقيه غارقا فى الظلام ، نهبا للارضة ، عرضة للتلف ، مع أنه ملك عام ، باعتبار أنه صورة من صور الحياة العقلية للامة المغربية ، من حق كل مغربي أن يستفيد منها .

اضف الى ذلك ان فك طلاسم الخطوط القديمة بعد الجهد المضني للحصول على المصادر — يكلف الباحث كثيرا من التضحيات الجسام ، وكذا ما تزدحم به المخطوطات من أعلام يتوقف التعريف بهم على مراجعة عدد ضخم من المراجع ، وما اقلها واشق

للكشف عن صلة تاريخنا وحضارتنا المادية والمعنوية بتاريخ وحضارة أمم او شعوب اخرى ربطتنا بها صلات قد تقوى وقد تضعف ، ولكنها على كل حال لم تتركنادون ان تخلف فينا اثرا من آثارها ؟ لا يكفي أن نكتب فصلا عن تاريخ العلاقة بين المغرب وبين دولة ما ، فهذا لا يغني فتيلا عن رؤية هذه العلاقة فى عمقها واتخاذها اساسا من اسس دراسة ورصد حقب من تاريخنا ، كان لهذه العلاقة اثر فيها وفى طبيعة احداثها وماجرياتها والذين كتبوا عن هذه العلاقات — مع احترامي لعملهم — ادعوهم دعوة مخلص الى أن يحاولوا ايضاح آثارها على مختلف اوضاعنا قديما وحديثا . اما تركها لتظل ضمن اطارها الضيق ، دون أن تخرج عنه لتكون من اسس الدراسات التاريخية ، عندما نتناول بالحديث — مثلا — قيام دولة وسقوط اخرى ، أو قيام بعض الفتن والقلاقل وما الى ذلك ، فبالرغم من اني لا افكر قيمة هذا العمل ، فاني فى الواقع أرى أنه يجب الانتفاع به فى محاولة وضع ابعاد جديدة لتاريخنا عند ما يكتب ، سواء بالنسبة للسياسة أو الاقتصاد أو غيرهما من نواحي الدراسة التاريخية . اريد من كتاب التاريخ عندنا ان يتبينوا الجسور التي عبرناها أو عبرها الغير الينا ، مضيفين هذا الجهد الى جهودهم الهادفة النافعة حتى لا تبقى علاقاتنا بغيرنا باهتة غامضة . وانما تصبح ملموسة شديدة الوضوح .

وخامسة ، وهي ان الكتابات التاريخية عندنا ، قسم كبير منها ينحو منحى انفعاليا مبالغا فيه أحيانا كثيرة ، بدافع من حسن النية ، وامتلاء بامجاد تاريخنا الحضاري ، حتى لربما يطلق الكاتب العنان لعواطفه ، فيتحول القلم الى مزمار ، والكلمات الى نشيد من اناشيد الحماسة الوطنية ، وهذا من شأنه ان يسيء الى الغرض الذي يتوخاه . ولو أن عمله هذا ترجم الى لغة اجنبية لكانت نتيجته على عكس ما توخاه الكاتب . فاذا شاء احد الحماسة فهناك قوالب لغوية اخرى خلقت لاداء مثل هذا الغرض من شعر وخطابة وليترك التاريخ الى أن تهدأ عواطفه ، ويتوب اليه رشده ، اذ أن التاريخ ليس منبرا للخطابة، ولا عكاظ لالقاء القصائد وانما التاريخ حقائق ومستندات ، تعرض فى هدوء اعصاب وروية وتعقل ، وبعد عن الانفعالات .

واذا كنا قد اهبنا بكاتب التاريخ ان يلزم الموضوعية والدقة والتحري والبعد عن الحماس والخطابة ، فنحن لا نستطيع مطالبته بأن يتجرد عن قدر معين من التحمس ، خصوصا فى الموضوعات الحبيبة الىنفسه، الاثيرة عنده ، مما يدخل ضمن تارخه القومي . فلاشك ان هناك بعض الدول او الشخصيات التاريخية التي يتحمس لها المؤرخ ويعجب بها اعجابا كبيرا من شانه ان يجعل حديثه عنها لا يسلم من بعض التحمس ، يمكنك ان تلمس ذلك عند بعض المؤرخين الذين تصدروا لتاريخ الدولة الاموية او العباسية ، ودونك كتاب (قيام دولة المرابطين — صفحة مشرقة من تاريخ المغرب الاقصى) للدكتور محمد احمد محمود ، فقد اشاد مؤلفه بدولة المرابطين اشادة عظيمة لا يكون كفاء لها فى سموها وروعتها الا عظمة المرابطين انفسهم وروعة نضالهم فى المغرب والاندلس ، لاعلاء كلمة الاسلام ، ورد عادية المعتدين ، بل ان فى عنوان الكتاب نفسه ما يشي بتحمس المؤرخ ، يظهر ذلك فى عبارة (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب الاقصى) الموضوعة مباشرة تحت عنوان الكتاب . ونفس الشيء نقوله بالنسبة الى كتاب (حياة محمد (ص)) لهيكل ، حيث بلغ اعجابه بصاحب الرسالة العظيم شأوا بعيدا جعل قلمه يدبج صفحات مشرقات تفيض اكبارا واجلالا للنبي الكريم . ولكن كلا من الرجلين لم يبلغ به التحمس الى حد الاخلال بالامانة العلمية والخروج عن مقتضى الموضوعية . وانت واجد هذا القدر من التحمس فى كتابات الاجانب عن تواريخ بلادهم وامجادهاوحضارتها واقرأ موسوعة ديرانت (قصة الحضارة) الواقعة فى واحد وعشرين مجلدا ، وقف عند حديثه عن حضارة اليونان ، ثم عن حضارة عصر النهضة ، لتلمس مقدار ما ابداه من آيات الاعجاب ، دون أن يترك ذلك يجره الى الخروج عن طبيعة التاريخ وحقائقه البارزة . فهذا النوع من التحمس لا ضرر منه ، بشرط أن يكون معتدلا مقيدا بقيود الموضوعية والدقة العلمية . اما كتاب التاريخ عندنا ، فالحق أن فيهم من يكتب بهدوء أو بتحمس غير بالغ ، ولكن هناك آخرين يتجاوزون ما رسمته لهم قواعد كتابة التاريخ ، ويطلقون العنان لعواطفهم بشكل غير مقبول ، ولهذا الفريق أسوق هذه الملاحظة راجيا ان يتوبوا الى شيء من الاعتدال .

والى هنا اود أن اقف عند مسألة اعتقد أن من الواجبات اثارتها فى هذه المرحلة من تاريخنا بالذات ، تلك هي أن تاريخ المغرب الحديث لم يلق العناية الكافية او قل لم يلق عناية على الاطلاق ، من طرف المعنيين بتاريخنا . فجل ابحاثهم ان لم أقل كلها تتناول تاريخ المغرب القديم والوسيط ، وقل ان تتجه الى تاريخه مع أنه حقبة مزدحمة بالاحداث ، حافلة بالوقائع ، عرف المغرب أثناءها شرا كثيرا وخيرا كثيرا ، وتعرضتفيها الارادة الوطنية لاختبار قاسي خرجت منه ظافرة بنعمة

كل باحثينا المعنيين بالتاريخ يوزعون جهودهم بين عهود قد تكون متباعدة ، على حين أن الحاجة ماسة الى التفرغ لكل حقبة على حدة ، قصد التوغل فى اعماقها ، وقراءة جل أو كل ما كتب عنها ما بين مخطوط ومطبوع، للافادة منه فى تكوين هيكل لتلك الحقبة فى ابعادها المختلفة . فنحن نرى أن من يكتب التاريخ عندنا — باستثناء البعض — تارة يعثر بمحض الصدفة على مخطوط قديم فينشره ، لينتقل بعد ذلك الى الحديث عن برج أو صومعة او قبيلة ، ومن هذا الى ترجمة مقتضبة لعلم من أعلام الفكر المغربي ، وهكذا تتصل هذه الكتابات التي لاصلة بينها الا انها تنصب على التاريخ، اذ تعوزها الوحدة الموضوعية ، ولا سبيل الى انكار ان عملا من هذا القبيل ناتج عن مجهود يكون اجدى وانفع لو انه بذل فى ناحية من النواحي لاعطائها حقها من التحليل والدرس . هذه واحدة .

اما الثانية فهي ان كتابة التاريخ عندنا تعوزها النظرة الواسعة ، والشمولية التي تعني رصد الظاهرة التاريخية حدثا كانت أو شخصية او مظهر من مظاهر الحضارة ، مع ربط الصلة بينها وبين سائر المؤثرات التي عملت فيها من اجتماع وسياسة واقتصاد وفكر ، حتى تبدو فى جذورها العميقة ، وصلاتها المعقدة البعيدة المدى . قد نجد شيئا من هذا فيما ينشر على الناس من تاريخ المغرب الفكري والسياسي ، ولكنه يحتاج الى كثير من التوسع والاحاطة . اما اخذ الظاهرة التاريخية كعنصر منعزل عن بقية العناصر المرتبطة بها كما هو واقع الا فى حالات استثنائية شاذة ، فهذا فيه تشويه للتاريخ ، وقتل لروحه الاصيلة المتمثلة فى اتصال الاحداث والوقائع والاشخاص وسائر المؤثرات الظاهرة والخفية وتجاوبها وتبادلها التأثير بكيفية شبيهة جدا بما يحدث بين ظهرانينا اليوم ، وبما سيحدث غدا وبعد غد والى ما شاء الله ، نعم قد تجد الباحث الذي لا يهمل هذا الجانب فى بحثه أو مقاله ، بيد أن المراد هنا ليس هو مجرد التعرض للاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي رافقت ظاهرة من ظواهر التاريخ ، بل هو وضع الظاهرة فى مكانها الطبيعي من تلك الاوضاع ، وعقد الصلة بينهما برباط محكم حتى لتبدو الظاهرة فى مكانها الطبيعي المقدور لها . واعتقد ان هذا ما يندر وجوده فيما ينشر علينا من ابحاث تاريخية ، وهذه ثانية .

واما الثالثة فهي أن النصوص غالبا ما تبقى جثثا هوامد ، فلا تستنطق لتهب اعمق ما عندها من اسرار فانت تجد عندنا البحث المزدحم بالنصوص والشواهد الاتية من هنا وهناك ، ولكنها تبقى فى سياقها شحيحة لا تفتح آفاقا للتأمل، ولا أبوابا الى الملاحظة والاستنتاج ذلك لان الكاتب يترك النصوص غارقة فى صمتها العميق لا تفتح شفتيها لتتحدث ، فجل كتاب التاريخ عندنا يهيمون بالنقول ووفرة المراجع لذاتها هياما كبيرا ، ويكدسونها بالعشرات ، حتى ليكتظ بها المقال او البحث ، وكثيرا ما تجد المقال مقتضبا ضيق الجوانب، ولكنه مشحون فوق طاقته بالنقول ، ومذيل بعشرات المراجع التي كانما يؤتى بها لتدل على مبلغ اطلاع الكاتب ، لا لتؤدي خدمة ضرورية للموضوع المطروق . فهذا الكلف الزائد بالحشد والتجمع لذاتهما يعوق الباحث عن الوقفة الطويلة عند النص الواحد ، لتقليبه على مختلف وجوهه ، قصد استخلاص اقصى ما يمكن ان يعطيه من غوامض وأسرار . فضيلة ان يتوفر الباحث على مراجع كثيرة متعلقة بموضوعه ، ولكن يخدش وجه هذه الفضيلة أن تحشر هذه المراجع حشرا من حيث لا داعي الى ذلك ، اما لضيق جوانب الموضوع ، حسب الحدود التي رسمها له الباحث ، واما لان الموضوع نفسه لا يتطلب كل هذا العمل . خصوصا اذا عرفنا ان بعض كتابنا يكون بصدد مسألة، فاذا به يستطرد الى أخرى قد لا تكون لها علاقة بالاولى وذلك لاتخاذها مناسبة للزج بالمصادر المتعلقة بها ، الامر الذي يسيء الى الكتابة التاريخية باعتبارها ذات قواعد واصول . لعلك سائلني الان عن الامثلة المؤيدة لهذا الذي اقول ، ولكن الامثلة بلغت من الكثرة وسعة التداول ما يغني عن ايرادها .

ورابعة ، وهي أن التاريخ يكتب عندنا غالبا مفصولا او يكاد عن مؤثراته الخارجية . فمن يقرأ ما كتب عن تاريخ المغرب الفكري والسياسي يخيل اليه ان المغرب معزولا عن التاريخ فى البلاد العربية الاخرى وعن التاريخ فى بعض دول أوروبا ، مع أن الواقع خلاف ذلك ، فلم تكن تطورات الاحداث فى بلادنا الا متصلة باحداث وقعت فى بلاد أجنبية ، قريبة أو بعيدة ، بحيث بادلتها التأثير ، وكان لها أصبع فى صنعها ، فنحن لا نشذ عن عباد الله فى تأثرهم بكل جماعة من البشر تربطنا بهم روابط من الفكر او العقيدة أو السياسة أو الاقتصاد فى حالة السلم وحالة الحرب ، فى حالة التواصل وحالة التقاطع . وانما نحن كغيرنا من الناس ، اخذنا واعطينا ، وتركت المؤثرات الخارجية بصمات اصابعها على كل واجهات حضارتنا وتاريخنا ، بطرق واساليب مختلفة ، بكيفية مباشرة حينا ، وبكيفية غير مباشرة احيانا . فأين هي الجهود المبذولة عندنا

فجاءت كتاباته نموذجا حسنا للشكل الذي أحـب أن يكتب به تاريخ بلادنا واقرأ اذا شئت تلك الصفحات المشرقة التي تشع من كتاب (الفتنة الكبرى) للدكتور طه حسين ، وتاريخ سيرة سعد زغلول للمرحوم العقاد لتضع أصابعك على الاسلوب الحي المشرق ، الذي أعده خير معرض لاحداث التاريخ .

اما بعد ، فلا اخفي على القارىء اني مملـوء اعجابا بهذه الفئة المخلصة من أبناء بلادي ، مكبر لها كل الاكبار ، لما تتجشمه من غوالي التضحيات ، في سبيل اظهار امجادنا وبطولاتنا وروائعنا التاريخية . فليس من السهل أن يترك الباحث الصفحات الناصعة البياض الواضحة السطور ، الجميلة الطبع ، الى دفاتـر وكراسات وصحف قديمة تآكلت بمرور الزمن ، واكل الدهر عليها وشرب ... من اجل أن يحمل الينا اطرافـا من احاديث اجدادنا الاقدمين ، وينشر علينا صورا من عبقرياتنا التليدة ، هذا مع قلة القراء ، وندرة وسائل النشر ، وانطباق الشفاه ، وصمتها القاتل عـن الاعتراف بالجميل ، وكم يكون جميلا ان يضيف الـى حسناته تلك حسنة اخرى لا تقل عن سابقاتها خيرا وبركة ، بان يجتهد حسب طاقته ليقدم الينا احسن ما يستطيع ، وما ذلك على همته بعزيز .

بقلم : عبد العلي الوزاني

الـى وجـه البخيـل !!

لمست اعرابية كف ابيها فألفتها خشنة فقالت :

هـذه كـف أبـي خشنهـا	ضرب مسحاة ونقل بالزبيـل

فأجابها أبوها :

ويك لا تستنكري خشن يـدي	ليس من كد لعـز بذليـل
انما الذلة ان يمشـي الفتـى	ساحب الذيل الى وجه البخيـل

الاستقلال ، الامر الذي لفت نظر الاجانب ، فكتبوا عن هذه الحقبة عدة مجلدات ، من بينهم الاستاذ روم لاندو الذي اشتغل بتاريخ المغرب الحديث ، فافرد له بحوثا قيمة رغم ما ينقصها من عمق وشمول . ونذكر هنا بكل اعتزاز كتاب (المسألة المغربية) لمحمد خير فارس فهو قد القى اضواء على كثير من احداث هذه المرحلة من تاريخنا الحديث .

فما الذي جعل باحثينا لا يولون هذه المرحلة الاهمية التي هي جديرة بها ؟ لعل مرد ذلك الى انهم فضلوا تناول المراحل البعيدة من تاريخنا على المرحلة الحديثة ، لكون هذه معاشة ووثائقها ميسرة، فلا خوف عليها من ان يلفها الغموض ، ففي امكان الباحث تناولها وقتما شاء ، على حين أن الحقب القديمة يخشى عليها من ضياع قسم كبير من حقائقها ، نظرا لقلة مصادرها، وصعوبة الحصول عليها ، ومشقة الانتفاع بها وهي على حالتها الحاضرة ما بين قليل مطبوع ، وكثير مخطوط . هذا علاوة على ما يخلفه القدم على الحقب القديمة من قداسة وجلال ، من شانهما ان يثيرا خيال الباحث ، ويستدعيا اهتمامه المتزايد ، بينما الحقبة الحديثة ينتظر بها أن تصبح ماضيا بعيدا لتظهر بوضوح نتائجها البعيدة المدى فى تاريخ المغرب . قد اكون مصيبا فى هذا التعليل وقد اكون مخطئا . وسواء كان هذا أو ذاك . فالشيء الذي لاشك فيه أن وراءنا مرحلة مهمة من تاريخنا . على حين انها حظيت باهتمام الاجانب، وليس من مصلحة اجيالنا القادمة أن نستمر فى اهمالنا اياها ذلك لاننا من شهود هذه المرحلة ، والذين يكتبون تاريخنا فيهم من عاشها طولا وعرضا وعمقا ، وبحكم ذلك فهو ملم باسرارها ، التي ربما لا مصدر لها الا المشاهدة والمعاناة الحية ، وحرام ان تضيع تلك الحقائق بعد مرور عقود من السنين ، بانتهاء جيل المرحلة ، ودخول اجيال جديدة فى حياة مغرب المستقبل تريد أن تعرفها ، فلا يتاح لها ذلك الا من خلال ما بين يديها من وثائق قد لا تكون كافية ، ولا مستوفية لكل عناصر الحقبة ونواحيها . وكم من حقائق تاريخية ضاعت علينا وعلى غيرنا ، لان المعاصرين لها لم يقوموا بتدوينها بوصفهم من الذين عاشوها وكانت لها اصداء قوية أو ضعيفة فى حياتهم ، فكان أن تعرضت لخطر شديد ، وقطع فى شانها بالظنون والتخمينات . وسوف لا تعذرنا الاجيال المقبلة اذا لم نقم بهذا الواجب الان ، لان القدر كتب لنا أن نعيش فى عصر العلم والطباعة ، ولان الحقبة التي نعيش اليوم فصلا من فصولها تعتبر من ادق حقب التاريخ المغربي . واذا لم نكتبها فسيكتبها الاجانب ، كما كتبوا عما سبقها ، بل هم قد كتبوا عنها فعلا ولعلهم بسبيل أن يزيدوها درسا وبحثا ، وحينئذ لا يكون أمام تلك الاجيال الا أن تعتمد كلية على المراجع الاجنبية، ويكفي أن نتصور هذا ليدرك فداحة اهمال باحثينا لتاريخ المغرب الحديث . وها نحن نرى الان أن المشارقة الذين تصدوا لتاريخ المغرب القديم والوسيط ، كان جل اعتمادهم على المصادر الاجنبية لقلة المراجع العربية ، فحملت بحوثهم بعض ما جاء فيها من عيوب ، بالرغم من الاحتياط الشديد والتحري الدقيق .

واخيرا يبدو من خلال ما قراته من ابحاث تاريخية ان اكثر باحثينا لا يدخلون فى اهتمامهم أن هناك قراء يجب ان يتخذ الكاتب وسائله للوصول الى نفوسهم وعقولهم لكسبهم واستمالتهم . خصوصا اذا عرفنا أن شبابنا مفتون بحضارة الغرب وتاريخه ، الامر الذي يفرض فيما يفرضه محاولة جذب هذا الشباب وانتزاعه من احضان تاريخ الغرب ، ليلتفت الى تاريخ بلاده ضامنا اللذة العقلية والفنية معا ، وهذا يتطلب الاعتناء بالاسلوب عند كتابة التاريخ ، ليكون رشوة لذوق القارىء وتاليفا لقلبه، أما الكتابة التاريخية عندنا ، فهي غالبا ما تتخذ أسلوبا جافا خاليا أو يكاد من الرونق والمائية ، مع العلم بأن الباحثين يكاد الاجماع ينعقد بينهم على أن التاريخ مزيج من العلم والادب ، فلا هو بالادب الخالص ، ولا هو بالعلم الخالص ، وانما فيه من هذا وذاك ، وقد نص الكثيرون من الذين تعرضوا لهذا الموضوع ، على أن التاريخ لا يمكن أن يدرس بنفس الدقة العلمية التي تجري عليها التجارب العلمية داخل المختبرات ، ذلك لان التاريخ حقب ولت ومضت ، فلا نتعرف عليها الا بآثارها وهذه متشعبة الدلالة ، خاضعة لعوامل شتى قد تؤدي احيانا الى طمس حقائق التاريخ أو تشويهها ، كما نصوا على أن الماضي البشري نفسه لم يكن ميتا ليعرض فى صورة ميتة جافة، وانما كان مليئا بألوان النشاط الروحي والدوافع العاطفية التي تستكن وراء الاحداث والاشخاص ، وليس من سبيل الى اعادة الماضي حيا نابضا كما كان الا باللجوء — عند الحديث عنه — الى الاسلوب الادبي الذي يحافظ للحقائق على موضوعيتها ، وفى الوقت نفسه يوصلها الى عقل القارىء ونفسه بكيفية محببة الى النفس ، تجعل من احداث التاريخ مصدر لذة عقلية وروحية فى وقت واحد . وهنا لا يسعني الا أن انوه بما نشره الاستاذ عبد القادر الصحراوي من فصول فى تاريخ المغرب ، تجمع بين الدقة العلمية وجمال الاداء

2) والمكتبة العامة للكتب والمستندات بتطوان .
وفى كل واحدة منها :

1) قسم خاص بالمطبوعات ، من كتب وصحف ودوريات بمختلف اللغات . ويلحق به قسم للبيبلوغرافيا المغربية .

2) وقسم خاص بالكتب العربية المخطوطة . ويلحق به قسم حديث لحفظ ملفات الوثائق الادارية لبعض الوزارات .

6 — وتوجد فى قسم المخطوطات بالرباط دفاتر تشتمل على مستندات رسمية تاريخية وهي مرتبة ضمن الكتب الخطية ، ويحمل كل واحد منها رقمه ضمن ارقام المخطوطات المتسلسلة . وتجعل له جذاذة خاصة به .

مثل بقية المخطوطات (1) ومنها ما زال لم يفهرس بعد .

7 — وفى الخزانة العامة مستندات تاريخية فى ورقات منفردة وهي نسخ من رسائل رسمية وشبهها.

ولم يتسع الوقت لفهرستها بعد .

8 — وبها مجموعة مهمة من الصور والخرائط التاريخية .

9 — ومن أهم المستندات التاريخية المغربية سجلات الاوقاف المسماة بالحوالات وهي تشتمل على بيان املاك المساجد والزوايا والمؤسسات الاحسانية .

وقد استخلص المؤرخ النسابة السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي المتوفى سنة 1363 هـ ، 1943 م من حوالات فاس مؤلفا ضخما فى المؤسسات الاحسانية بفاس . وقفت عند اولاده على نسختين منه بخط مؤلفه .

وقد صور قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط على الشريط (الميكرو فيلم) ازيد من 60 مجلدا من هذه الحوالات .

وصور حوالي عشر مجلدات تتضمن وثائق اخرى .

10) واما المكتبة العامة بتطوان . ففيها أيضا بعض المستندات التاريخية . والعمل جار لفهرستها (2)

11) كما وقع الشروع أخيرا فى فهرسة وثائق القصر الملكي بالرباط .

12) كما توجد كثير من الوثائق المتعلقة بتاريخ المغرب فى خارج المغرب . فى وثائق الدول التي كانت للمغرب معها علائق ديبلوماسية ، وهي جل الدول المتحضرة ، فى افريقيا ، وآسيا ، واوروبا ، والولايات المتحدة .

13) وللمكتبة العامة بالرباط **فرع فى باريس باسم القسم التاريخي المغربي** مهمته البحث عن الوثائق المغربية الموجودة فى مختلف البلاد الاوربية ، ووضع فهارس لها وترتيب ما يوجد منها فى كل بلد حسب العصور ، ودراستها ونشرها بنصها العربي مصورا وبالحروف المطبعية مع ترجمتها الى لغة البلاد التي وجدت بها .

14) وقد صدر منها لحد الان حوالي 18 مجلدا ضخما بعنوان مصادر تاريخ المغرب غير المطبوعة . وهي تتضمن بعض ما يوجد فى البرتغال واسبانيا وفرنسا وبريطانيا وهولاندة عن العلاقات بين المغرب وهذه الدول .

15) وفى هذا القسم بباريس صناديق كثيرة تتضمن عددا كبيرا من جذاذات فهارس كثير من الوثائق الموجودة فى كثير من الدول .

16) ولكن كثيرا من دول اخرى لا اثر للوثائق المغربية بها فى هذا القسم، مثل تركيا وامريكا، وغيرهما

---

1) راجع الرجراجي وعلوش : فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى الخزانة العامة برباط الفتح . القسم الثاني ، الجزء الثاني ، مطبوعات افريقيا الشمالية بالرباط 1958 م ، رقم 2101 ، 2102 ، 2123 ، 2128 .

2) راجع احمد المكناسي ومصطفى الكوش : وثائق لدراسة تاريخ المغرب ، مراسلات مولاي الحسن الاول 1294 — 1311 هـ (1877 — 1894 م) (القسم الاول) المجموعة الاولى ، تتضمن 413 وثيقة . من 100 مطبعة منيرفا ، تطوان ، 1921 المكناسي ومحمد الغازي الرويقى وثائق لدراسة تاريخ المغرب مراسلات وزراء مولاي الحسن الاول 1291 —1308 هـ (1874 — 1891 م) المجموعة الاولى القسم الثاني ، ويتضمن 308 وثيقة من 110 مطبعة المكتبة العامة بتطوان 1965 .

طبيعة دور المحفوظات في المغرب، وعلاقتها بدراسة تاريخ المغرب

بقلم : محمد ابراهيم الكتاني

بعث الينا الاستاذ السيد محمد ابراهيم الكتاني محافظ قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط محاضرة كان قد قدمها لمؤتمر المستشرقين الدولي السابع والعشرين المنعقد فى أن آربر . ميشيكان (الولايات المتحدة فيما بين 13 ـ 19 غشت 1967 عن طبيعة دور المحفوظات فى المغرب وعلاقتها بدراسة التاريخ المغربي .

.. هذا هو العنوان الذي اقترح على ، واصطلاح (دور المحفوظات) اصطلاح غير مستعمل بالمغرب . وانما يستعمل احيانا فى بعض بلاد الشرق العربي ترجمة لكلمة (أرشيف) التي تترجم غالبا بالوثائق . ونحن نفضل ترجمتها بالمستندات لان الوثائق تستعمل فى المغرب فى الوثائق العدلية التي خصصها المغاربة بمؤلفات عديدة . وكان لها منذ عهد بعيد دور مهم جدا فى الحياة الثقافية والاجتماعية بالمغرب .

1 ـ ومهما يكن ، فان المغرب ليست فيه ـ لحد الان ـ مؤسسة قومية لحفظ وثائق الدولة ومستنداتها التاريخية من مراسلات رسمية ، ومعاهدات وما اشبهها . وتنظيمها وفهرستها . على غرار ما هو موجود فى كثير من الدول الحديثة .

2 ـ مع انه توجد بالمغرب ثروة مهمة جدا من المستندات التاريخية مفرقة فى القصور الملكية ، وعند بعض الاسر التي سبق لبعض افرادها أن كانوا وزراء او سفراء أو كتابا لبعض الملوك أو الوزراء .

*

3 ـ وانما توجد فى المغرب مكتبات لحفظ الكتب وهي تنقسم الى : مكتبات قديمة ، ومكتبات حديثة .

*

4 ـ فالمكتبات القديمة توجد فى المساجد والزوايا ، وهي أوقاف اسلامية بحيث لا يمكن بيعها أو تفويتها ، وانما يقتصر على الاستفادة منها والمحافظة عليها للاجيال المتعاقبة .

وهي كثيرة فى المغرب ، مثل مكتبة جامع القرويين بفاس . ومكتبة الجامع الكبير بتازة ، ومكتبة الجامع الكبير بمكناس ، ومكتبة الجامع الكبير بوزان ، ومكتبة ابن يوسف بمراكش ، ومكتبة المعهد الاسلامي بتارودانت .

ومكتبة الزاوية الناصرية بتامكروت ، ومكتبة الزاوية الحمزاوية بآيت عياش ، ومكتبة تانغملت، ومكتبة بزو ، وغيرها . وهي مكتبات للمخطوطات كما توجد بالمغرب مكتبات خاصة مثل :

مكتبات القصور الملكية .

ومكتبات الافراد من العلماء والباحثين .

5 ـ واما المكتبات الحديثة بالمغرب فأهمها .

1) المكتبة العامة للكتب والمستندات بالرباط .

الالفين الا بقليل — بينها حوالي 150 تتصل بتاريخ المغرب (7) .

فقد اضيفت اليها — بعد الاستقلال — كثير من مخطوطات عدة مكتبات اهدتها مصلحة الاملاك المخزنية للخزانة العامة بالرباط .

واوقف السيد ابن عاشر الكتبي بالرباط ازيد من ثلاثمائة مخطوط سلمها لقسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط .

واسست بقسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط جناحا بمخطوطات الاوقاف التي عثرت عليها في مكتبات الاوقاف (*) وخصوصا في مكتبة الزاوية الناصرية بتامكروت التي تقع بوادي درعة على بعد نحو 400 كيلو متر جنوب مراكش حيث عثرت على حوالي 4.000 مخطوط يكاد ما يتعلق منها بتاريخ المغرب يقارب المائة ، بينها بعض النوادر والفرائد اليتيمة (8)

وقد امر المرحوم محمد الخامس بنقل حوالي ألف منها الى قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط .

25) ومن النوادر المتعلقة بتاريخ المغرب التي عثرت عليها بتامكروت .

1 — المسند الصحيح الحسن . بذكر مآثر السلطان ابي الحسن (المريني) تاليف الخطيب ابن مرزوق (9) .

2 — والمجلد الاخير من (البيان المغرب) الخاص بتاريخ دولة الموحدين لابن عذاري المراكشي (10) .

ومن الفرائد اليتيمة :

1 — الاكسير . في فكاك الاسير ، للسفير محمد ابن عثمان المكناسي المتوفى سنة 1214 هـ 1799 وهي رحلة عن سفارته لاسبانيا سنة 1193 هـ 1779 م (11)

---

7) راجع ليفي بروفانصال : فهرسة اسماء الكتب المخطوطة المحفوظة في خزانة المدرسة العليا للغة العربية بعاصمة رباط الفتح (ص 124 — 62) (القسم الاول) .
وعبد الله الرجراجي وعلوش : فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الاقصى) القسم الثاني (1921 — 1953) الجزء الثاني ص 101 — 141) مطبوعات افريقيا الشمالية الفنية ، شارع بيارن رقم 22 الرباط 1958 .

8) راجع عبد الله شقرون : اكتشاف مخطوطات عربية نادرة في المغرب . حديث مع الاستاذ ابراهيم الكتاني ، مجلة (الاذاعة الوطنية) الرباط ، العدد الثالث عشر . السنة الثانية (غشت) 1959 — ص 14 — 16 .

9) راجع عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى رقم 166 الدار البيضاء 1960 م .
وزارة التهذيب الوطني : قائمة لنوادر المخطوطات العربية ، بمناسبة الذكرى المائة بعد الالف لجامعة القرويين بفاس . الرباط 1960 م ص 67 رقم 300 .

10) راجع امبروسي هويسي مراندة : مقدمة الجزء الثالث من البيان المغرب لابن عذاري تطوان 1960 ص 8 — 9 .
وعبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى الدار البيضاء 1960 رقم 468 .

11) راجع محمد ابراهيم الكتاني : الكتاب المغربي وقيمته . مجلة (البحث العلمي) العدد 4 و 5 السنة الثانية ، يناير — غشت 65 ص 11 .
ومحمد الفاسي : مقدمة (الاكسير) الرباط 1965 ص ط و ظ و و منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، مطبعة اكدال ، الرباط ، 1965 م .
وعبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى الطبعة الاولى تطوان 1950 رقم 1143 والطبعة الثانية الدار البيضاء 1965 رقم 1434 .

* الاستاذ السيد محمد ابراهيم الكتاني كان ضمن بعثة مؤلفة من موظفي وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ووزارة التعليم حيث كلفت هذه اللجنة بالتوجه الى مكتبة الزاوية الناصرية بتامكروت قصد كشف المخطوطات الموجودة بهذه الخزانة .
وقد اعطت وزارة الاوقاف كامل التسهيلات لهذه اللجنة الادارية وصرفت اموالا على هذه الكتب لجلبها الى الخزانة العامة بالرباط حيث عمل المسؤولون على تنظيمها وترتيبها وفهرستها قصد الاستفادة منها حاليا وللاجيال المقبلة !!

« دعوة الحق »

17) واما الكتب المخطوطة فى المكتبات المغربية المختلفة ، فان لها على العموم صلة بالتاريخ المغربي من قريب او بعيد ، حتى ولو كانت فى موضوع غير تاريخي كما لا يخفى .

18) وان ما اعتاده كثير من المؤلفين العرب فى العصور المتأخرة من الاستطراد والخروج عن موضوع الكتاب الاصلي لادنى مناسبة — كما يقولون — جعلك تعثر على معلومات تاريخية صميمة ، فى كتب بعيدة بعدا كبيرا عن موضوع التاريخ (3) .

19) وقد جرت عادة كثير من الناسخين والمجلدين ان يتركوا فى أول الكتاب وآخره اوراقا بيضاء ، وكثيرا ما يكتب بعض مالكي الكتاب فى هذه الاوراق البيضاء تقاييد مختلفة ، وقد يكون من بينها معلومات تاريخية : من وفيات بعض الملوك والحكماء او الصالحين او حدوث وباء او حريق أو حرب أو ثورة أو ما اشبه ذلك بينما الكتاب قد يكون فى موضوع بعيد اشد البعد عن التاريخ ، أما لاذكار أو الامداح النبوية أو الطب أو الحساب او غير ذلك (4) .

20) وأما الكتب التاريخية أو القريبة الصلة بالتاريخ فان للمغرب منها ثروة مهمة تتناول تواريخ دوله ، والمحدثين ، والوزراء ، والكتاب ، واهل بعض القرون، وبعض المدن ، وبعض الاقاليم ، وبعض القبائل ، وبعض العائلات ، وبعض الطرق الصوفية ، وما أشبه ذلك (5) ويقارب عددها — فيما وصل اليه علمنا فى الوقت الحاضر — الثلاثة الاف كتاب واذا استثنينا من هذا العدد ما يعتبر ضائعا وما وقع التساهل فى عده من كتب التاريخ مع بعد صلته بها ، فان العدد الباقي بعد ذلك يتجاوز الالف كتاب بكثير .

21) وقد ردد عميد المستشرقين الروس كراتشكوفسكي — أكثر من مرة — قوله : ان التأليف التاريخي استمر منتعشا فى المغرب ، ابتداء من القرن الخامس عشر **حتى فاق المغرب فى هذا بقية الاقطار العربية ،** وظل هذا الفن يشغل اهتمام علمائه المحليين الى القرن العشرين ، كما أن نمط الرحلة التقليدي بقي حيا الى القرن التاسع عشر (6) .

والواقع ان نمط الرحلة التقليدي استمر هو الاخر الى القرن العشرين . وما يزال الى اليوم .

23) والظاهر أن ما أشار اليه من استمرار التأليف التاريخي منتعشا فى المغرب يرجع بالاخص الى اعتزاز المغاربة القوي باستقلالهم السياسي الذي ظلوا متمتعين به طوال تاريخهم الاسلامي ، وتفانيهم فى المحافظة عليه ، وتمسكهم الشديد بشخصيتهم الخاصة فلم يصبهم ما اصاب البلاد العربية الاخرى من جراء الحكم التركي . مما جعل الثقافة العربية تحافظ على ازدهارها فى المغرب .

وهذا التعليل أقرب من التعليل الذي نقله كراتشكوفسكي (6) عن بروكلمان من أن الانقلابات العديدة فى الحكومات قد عاونت كثيرا على امدادهم — يعني علماء المغرب بالمادة اللازمة !

ولاشك ان كثرة ما الفه المغاربة فى الميادين التاريخية التي لا تتصل بميدان الانقلابات الحكومية تدل على ضعف التعليل الذي ذكره !

24) يناهز عدد المخطوطات العربية فى قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط اليوم عشرة الاف مخطوط . بعد أن كان على عهد الحماية لا يتجاوز

---

3) راجع محمد المنوني : المصادر الدفينة فى تاريخ المغرب مجلة (البحث العلمي) التي يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي التابع لجامعة محمد الخامس السنة الرابعة العدد العاشر يناير — ابريل 1967 من 9 — 19 . مطبعة الرسالة بالرباط .

4) راجع محمد ابراهيم الكتاني : جولة فى المخطوطات العربية الاسبانية ، مجلة (دعوة الحق) ، الرباط ، السنة العاشرة ، العدد الثاني ، ديسامبر 1966م من 97 رقم 74 ، 75 . والعدد الخامس ابريل 67 ص 53 — 54 .

5) راجع عبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى ، الطبعة الاولى 1369 هـ 1950 مطبوعات معهد مولاي الحسن ، المطبعة الحسنية ، تطوان المطبعة الثانية 1960 و 1965 دار الكتاب ، الدار البيضاء .

6) راجع اغبا طيوس يوليا نفنتش كراتشكوفسكي :تاريخ الادب الجغرافي العربي تعريب صلاح الدين عثمان هاشم . ص 461 و ص 730 . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة 1963 و 1965 .

الخصوصية ، وحتى بعض المخطوطات الموجودة خارج المغرب (16) .

28) وتجاوز اشرطة المخطوطات فى قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط الف مخطوط ، وبها نحو مائتي مخطوط فى تاريخ المغرب . ومنها :

29) 1 — المجلدان الرابع والخامس من كتاب الدر المنتخب المستحسن ، فى بعض مآثر امير المومنين مولانا الحسن ، تأليف ابي العباس احمد بن محمد بن الحاج السلمي المتوفى سنة 1316 هـ 1898 م (17) .

2) المجلدات الستة التي ما زالت مخطوطة من كتاب الاعلام ، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام . للقاضي عباس ابراهيم المراكشي — وقد سبق ان طبعت منه الاجزاء الخمسة الاولى — .

3) الظل الوريف ، فى محاربة الريف . للقاضي احمد بن العياشي سكيرج ، المتوفى عام 1363 هـ 1944 م .

وهي معلومات عن ثورة التحرير الريفية بقيادة البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي رحمه الله .

تلقاها المؤلف شفاهيا من احد قادة الثورة السيد محمد ازرقان الذي كان منفيا بمدينة الجديدة وكان المؤلف قاضيا بها .

ويقع فى حوالي مائة ورقة .

30) ومن نشاط قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط قيامه بترتيب مخطوطات مكتبة القصر الملكي بالرباط وتنظيمها وفهرستها والتعرف على نفائسها وذخائرها .

وقد ناهز ما اتممنا — لحد الان — تسجيله وفهرسته التسعة الاف مخطوط ومن بينها من المخطوطات المتعلقة بتاريخ المغرب . وكثير من النوادر والفرائد اليتيمة (18) .

31) وفى قسم المخطوطات بالخزانة العامة بتطوان حوالي 900 مخطوط . ولم يشرع فى فهرستها الا حديثا . ولا تخلو من بعض المخطوطات التاريخية ، ولكن ليس فيها ما له قيمة خارقة للعادة . (19)

32) ومن اهم مراكز المخطوطات العربية بالمغرب مكتبة جامع القرويين بفاس . حيث يوجد ازيد من ثلاثة آلاف مخطوط . ولكن تقل بينها المخطوطات التاريخية وخصوصا المتعلقة بتاريخ المغرب . ومن بينها :

مجلدان ضخمان مشتملان على وثائق متعلقة باملاك المرابيح من بلاد جير والساورة بارض البيض ، بتاريخ عام 1111 هـ 1699 م وهي من الاقاليم التي

---

16) راجع محمد ابراهيم الكتاني : جولة فى المخطوطات العربية باسبانيا . مجلة (دعوة الحق) التي تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالرباط . السنة التاسعة . العدد التاسع والعاشر . يوليوز — غشت 1966 ص 82 — 87 ، السنة العاشرة العدد الاول — نوفمبر 1966 ص 64 . العدد الثاني ديسامبر 1966 ص 93 — 98 . العدد الثالث يناير 1967 ص 92 — 97 العدد الخامس ابريل 1967 ص 53 — 58 .

17) راجع عبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب رقم 542 . الدار البيضاء 1960 .

18) راجع محمد الفاسي : الخزانة السلطانية وبعض نفائسها . مجلة (البحث العلمي) — الرباط — العدد الرابع والخامس ، السنة الثانية ، يناير — غشت 1965 م مطبعة الرسالة بالرباط ، ص 68 — 77 .

وراجع محمد ابراهيم الكتاني : العثور على خمس مخطوطات من (البيان المغرب) بمكتبة القصر الملكي بالرباط لم تكن معروفة من قبل . مجلة (تطوان) للابحاث المغربية الاندلسية ، منشورات الجامعة المغربية كلية الاداب ، معهد مولاي الحسن للابحاث المغربية الاندلسية . العدد التاسع 1964 م ص 167 — 171 .

19) راجع عبد الله كنون : المخطوطات العربية فى تطوان . مجلة معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية . القاهرة . المجلد الاول . الجزء الثاني نوفمبر 1955 ص 170 — 189) .

2 — هداية الملك العلام الى بيت الله الحرام ، لاحمد بن محمد بن داود بن يعزى ابن يوسف احزي الجزولي الهشتوكي المتوفى سنة 1127 هـ 1715 م وهي رحلته الاولى للحج من تغازي سنة 1096 هـ 1684 م (12) .

3 — رحلته الثانية للحج سنة 1121 هـ . 1710 م وهما معا مبيضة المؤلف بخطه (12) .

4 — رحلة الحج لعبد الله ابي مدين بن احمد بن الصغير الدوعي الروداني المتوفى عام 1157 هـ 1744م وكان حجه عام 1152 هـ 1739 م . (13)

وجاور بالمدينة ثم حج ثانية ورجع عام 1155 هـ 1742 م وفيها معلومات طريفة مفيدة فى تاريخ المغرب. وكان ذهابهم عن طريق الصحراء ورجوعهم عن طريق تازة وفاس ومكناس ومراكش .

5 — ورد الشهي العاطش ، وصولة الاسلام بالعرائش وهي ارجوزة ليوسف بن محمد الشودري التطواني ، تحتوي على نحو سبعين ومائة بيت ، نظمها بمناسبة تحرير مدينة العرائش من الاحتلال الاجنبي عام 1101 هـ 1689 م (14) .

وعثرت فى مكتبة الجامع الاعظم بمدينة تازة على

1 — مجموعة من الاوراق المختلطة تبين بعد ترتيبها الذي تطلب وقتا طويلا انها تتضمن : حوالي عشرين رسالة موحدية اغلبها من مؤلفات المهدي بن تومرت (514 هـ) (1130) .

واذا كان اغلب ما فى هذه المجموعة موجودا فى المجموعة المعروفة بكتاب (اعز ما يطلب) المطبوعة فى الجزائر سنة 1321 هـ 1903 م . فان فيها — مع ذلك، ومع ضياع بعض اوراقها — مخالفات مع النسخة المطبوعة .

كما ان بها رسالتين موحديتين غير معروفتين : احداهما بعنوان : رسالة أمير المومنين ايده الله الى جزولة ، والثانية : الى جماعة اهل التوحيد .

وبها كذلك (كتاب الجهاد) الذي اكمله الخليفة ابو يوسف يعقوب بن يوسف ابن عبد المومن (580 — 594 هـ) 1180 — 1199 م وهو بتاريخ ربيع الاول 595 هـ (يناير 1199) .

ولا تعرف منه نسخة فى مكان آخر .

وهذه اول مرة يعلن فيها عن العثور على هذه المجموعة .

2 — مباحث الانوار ، من اخبار بعض الاخيار تاليف احمد ابن يعقوب الولالي نزيل مكناس المتوفى سنة 1118 هـ 1706 م (15) .

وعثرت فى المكتبة اليوسفية بمراكش على مجلد ضخم مختلط الاوراق ، لا اول له ولا آخر وبعد جهد جهيد وجدته شرحا لبعض رسائل المهدي ابن تومرت .

ومؤلفه يسمي نفسه أبا بكر ؟

ويسمي المهدي بالمعصوم ! ويترضى عنه كلما ذكره ، مما يدل على انه الف فى عهد التحمس لوصف ابن تومرت بالعصمة ! ويتجلى من كلام المؤلف اطلاعه الواسع على كتب كبار المتكلمين والاصوليين من الاشاعرة . وهو مفيد جدا فى معرفة آراء الموحدين الكلامية والاصولية وخصوصا حول القياس والاجتهاد اللذين كثر الجدل بين المؤرخين المغاربة المعاصرين حول موقف الموحدين منهما ، وهو جدير بالدراسة المتعمقة .

26) ويوالي قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط عنايته بتنمية عدد مخطوطاته وخصوصا التاريخية منها ، وعلى الاخص المتعلقة بتاريخ المغرب .

27) ومن اهم اعمال قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط قيامه بتصوير كل ما يستطيع التوصل اليه من نوادر مخطوطات الاوقاف ومخطوطات المكتبات

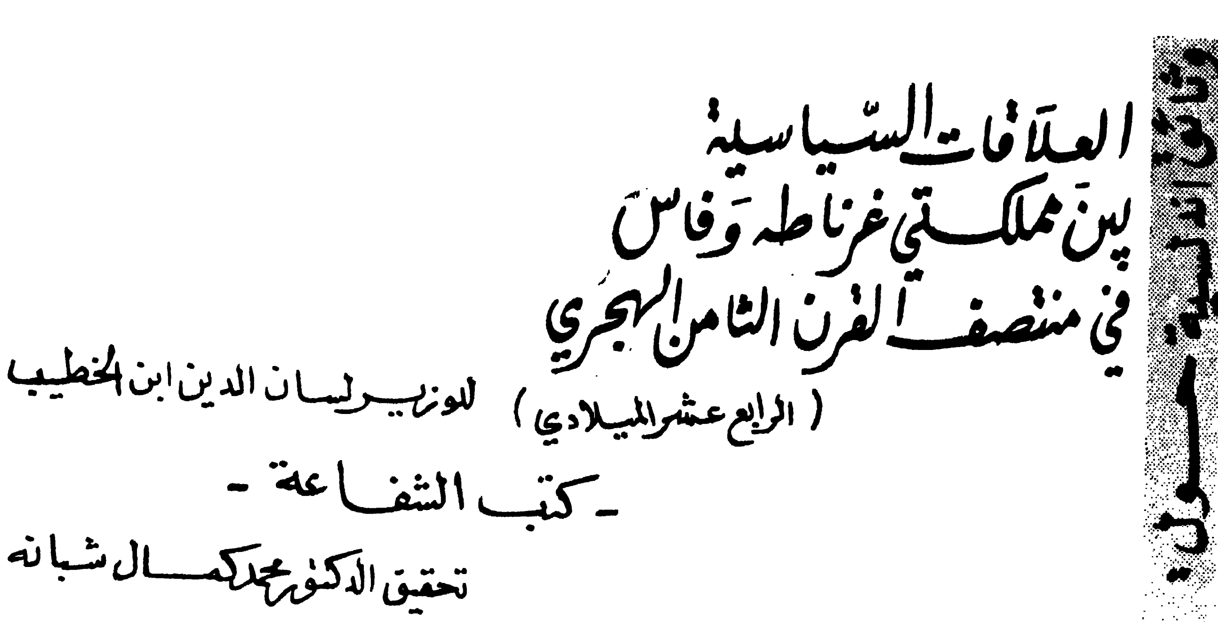
---

12) راجع عبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى الدار البيضاء 1965 رقم 1617 ورقم 1486 .

13) راجع عبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الدار البيضاء 1965 رقم

14) راجع محمد داود تاريخ تطوان ، المجلد الثانيص 13 التعليق 1 تطوان 1384 هـ 1965 معهد مولاي الحسن للبحوث .

15) راجع عبد السلام ابن سودة دليل مؤرخ المغرب الاقصى ، الدار البيضاء 1960 رقم 856 .





من اكابر شيوخ ابن الخطيب ــ رحمه الله ــ وأعلامهم ، الامام العلامة قاضي القضاة بفاس ، الشيخ محمد بن محمد بن احمد بن ابي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن ابي بكر بن علي القرشي المقري التلمساني ، وهو جد صاحب كتاب « نفح الطيب » اديب المغرب الشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1024هـ)

ولد هذا الجد بتلمسان ، وبها نشأ ، ثم سكن فاس المرينية ، وبها اشتهر «عالما عاملا ، ظريفا ، نبيها ، ذكيا ، نبيلا ، فهيما ، متيقظا ، جزلا ، محصلا (1) » . رحل الى المشرق ، وقضى فريضة الحج ، وفي رحلته هذه التقى بالعلماء ، ثم عاد الى المغرب ، حيث انقطع لنشر الثقافة بين طلابها . « فلما ولي ملك المغرب السلطان ، محالف الصنع ، ونشيدة الملك ، واثير الله من بين القرابة والاخوة ، امير المؤمنين أبو عنان اجتذبه ، وخلطه بنفسه ، واشتمل عليه ، وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس ، فاستقل بذلك أعظم الاستقلال ، وانفذ الحق ، والان الكلمة ، وآثر التسديد ، وحمل الكل ، وخفض الجناح ، فحسنت عنه القالة ، واحبته الخاصة والعامة . حضرت بعض مجالسه للحكم فرايت من صبره على اللدد (2) ، وتانيه للحجج ، ورفقه بالخصوم ما قضيت منه العجب » .

وما زال الشيخ يمارس قضاء الجماعة ــ على نحو ما راينا ــ حتى حيل بينه وبين المنصب ، ولم يكن هذا يعني عدم الاستفادة كلية من الرجل ؛ فقد بعثه السلطان أبو عنان الى معاصره بالاندلس ، السلطان أبي الحجاج يوسف بن اسماعيل بن فرج بن نصر ، سابع ملوك بني الاحمر ، فوصل الى الحضرة بغرناطة في اواخر عصر هذا السلطان على الارجح ، وقضى غرض الرسالة . واثناء منصرفه بدا له في مدينة مالقة ان ينبذ الخدمة في المغرب ، وان يبقى بهذه المدينة منقطعا للعبادة . بيد ان الرفاق سرعان ما خلوا بينه وبين ما اراد . ولحقوا بالسلطان المريني ، حيث انبأوه بما كان من امر سفيره الشيخ ، واوغرت الحاشية صدر ابي عنان تجاهه ، وكان صاحبنا قد « لحق بغرناطة فتذمم بمسجدها ، وجار بالانقطاع الى الله ، وتوعد من يجيره بنكير من يجير ولا يجار عليه سبحانه » وهنا ينهض تلميذه لسان الدين ابن الخطيب مدافعا عنه ، مستشفعا ابا الحجاج لدى ابي عنان ليصفح عن شيخه ، ويغفر له زلته . وصدرت في هذا الشأن مكاتبات سياسية بين بلاطي غرناطة وفاس ؛ نقدم اليوم منها ما عثرنا عليه في مخطوط ابن الخطيب، « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » الاسكوريال 1712 ــ وهي ثلاث وثائق ، تدور في جملتها حول هذا المضمون ، وقد حمل بعضها ــ صحبة المستشفع له ــ كل من الشيخين : قاضي الجماعة أبي القاسم الحسني

---

1) المقري : نفح الطيب ج 7 ص 132 .
2) نفس المصدر ص 133 ــ 134 .

استمرت تحت حكم الدولة المغربية الى اوائل هـذا القرن (رقم 40 — 779) . (20)

وليس لمخطوطات القرويين فهرس مطبـوع باستثناء قائمة لا قيمة لها (21) .

33) وقد عرف المغرب فى القرن 19 منذ عـرف المطبعة حركة نشيطة لطبع — مخطوطاته التاريخية ، واستمرت حركة النشر حتى فى عهد الحماية على الرغم من محنة اللغة العربية والثقافية المغربية فى هذا العهد البغيض . وما ان استعادت الامة استقلالها السليب حتى عرف نشر مخطوطات التاريخ المغربي نشاطـا ملحوظا حيث تقوم المطبعة الملكية بنشر مجموعة من نوادر مخطوطات مكتبة القصر الملكي التاريخية ، كما قام مركز البحث العلمي التابع لجامعة محمد الخامس بتعاون مع معهد مولاي الحسن بتطوان بنشر مجموعة مهمة من المخطوطات التاريخية المغربية وكثير منها مما عثرنا عليه اثناء البحث عن نوادر المخطوطات بعـد استقلال المغرب ، * وهذا زيادة على نشره بعض المؤلفين او بعض دور النشر الخاصة .

وما يزال فى كل من المكتبتين العامتين بالربـاط وتطوان ومكتبة القصر الملكي وبعض مكتبات الاوقاف وفى بعض المكتبات الخاصة مخطوطات تاريخية عديدة تنتظر دورها للنشر هي الاخرى .

الرباط : محمد ابراهيم الكتاني

---

20) راجع العابد الفاسي : خزانة القرويين ونوادرها . مجلة معهد المخطوطات العربية — القاهـرة — المجلد الخامس الجزء الاول . مايو 1959 ص 8 — 16 .

21) راجع برنامج يشتمل على بيان الكتب العربية الموجودة بخزانة جامع القرويين بعاصمة فاس . فاس بالمطبعة البلدية بدار المكينة سنة 1917 ويعرف بفهرس بل .

* وتتميما للفائدة فقد عرفت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية هي الاخرى حركة نشيطة فى بعث الثقافة الاسلامية بنشر أمهات الكتب والمؤلفات . ونفائس المخطوطات التي تزخر بها المكتبات المغربية العامة منها والخاصة .

فقد أصدر قسم التاليف والنشر التابع لهذه الوزارة عدة مخططات ونفائس لامهات الكتب النادرة نذكر بعضها .

— « اربعون حديثا فى اصطناع المعروف » . تاليف ابي محمد عبد القوي المنذري ، وشرح ابي زيد عبد الرحمان الثعالبي ، تعليق وتقديم الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي، والكتاب يقع فى نحو100 ص من الحجم المتوسط . أنجز طبعه سنة 1962 .

— الجزء الاول من كتاب (مختصر العين) تاليف ابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي ، قوم نصه وعلق على حواشيه وقدم له ، الاستاذان علال الفاسي ، ومحمد بن تاويت الطنجي ، والجزء فى 80 صفحة من الجرم الكبير ، طبع سنة 1963 .

— كتاب (الاعلام بحدود قواعد الاسلام) ، تاليف ابي الفضل القاضي عياض اليحصبي رحمه الله ،

— الجزء الاول من كتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك) لمعرفة اعلام مذهب مالك ، تاليف ابـي الفضل القاضي عياض اليحصبي السبتي رحمه الله ، تحقيق وتعليق وتقديم الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي . طبع فى حجم كبير216 صفحة سنة1965

وقد أصدرت الوزارة فى هذه السنة الجزء الثاني من كتاب ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك . تصحيح وتعليق الاستاذ عبد القادر الصحراوي .

وقدم الجزء الثالث من هذا الكتاب للطبع وسيكون قريبا بين أيدي القراء .

— التمهيد ، لما فى الموطا من المعاني والاسانية، تأليف الامام ابن عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الاندلسي .

« دعوة الحق »

ولما صدر فيما تقدم من التماس وصولهم ما لم يهيئه المقدار ، و صحبه الاختيار ، عزم الان — والله يسني توفيقه ، ويسهل طريقه — على قصد بابكم ، الكفيل بالامل الضمين لنجاح العمل ، ليجدد العهد بتعظيم مثابته ، ويبث ما يعانيه بسبب تشتت شملهمن كاتبه ، ويباشر الرعية بنفسه واثقا بتلبية المقام الكريم واجابته . ولم يزل منه هذا العزم معمل الركائب مفتح الابواب ، لا سيما مع ما تقدم فى شانه من مخاطبة ذلك الجناب ، وكنا نكل الامر الى اختياره عند ورود الخطاب، فيعتذر بما قرر من الامور الخاصة والاسباب. والان افصح بتغلب شوقه ووجده ، وارتفاع اعذاره واستقامة قصده ، وشرع فى اللحاق ببابكم الاعلى بغاية جده ، وطلب عنا ان نخاطبكم فى شانه ، ونستمطر له من مقامكم سحائب احسانه . ونرغب منكم فى تيسير امله ورغبته ، واسعاف قصده ونيل طلبته . ومقامكم غنى عن التنبيه على من اشهر بالخلوص له ولسلفه ، والدعاء الصالح فى دياجي الليل وسدفه ، والثناء الكريم الذي يخجل الزهر حين مقتطفه .

فبادرنا الى اسعاف سوله ، وتيسير مأموله ، وتسهيل سبيله ، وترجيح دليله ، اذ هذه الجهات الودية لا يختلف — كما ذكرنا — حكمها ، ولا يعفو في المودة رسمها . (45 : ب) وعرفنا مقامكم بذلك ليكون منه على علم مقرر ، وأصل محرر . ونحن — على ما يعلمه مقامكم من التعظيم الذي اسبابه مبرمة ، من التشيع الذي آيته محكمة ، والود الذي حلله مطرزة معلمة — لا يمر يوم الا ولدينا عن مقامكم العلي سؤال، وفى تسني آماله — بحول الله — آمال . وهو سبحانه يصل سعودكم ، ويحرس وجودكم . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

وكتب فى الرابع وعشرين لرجب الفرد ، من عام اربعة وخمسين وسبعمائة (1) عرف الله بركته » .

« الوثيقة الثانية »

« المقام الذي يحب الشفاعة ويرعى الوسيلة ، وينجز العدة ويتم الفضيلة ، ويضفي مجده المنن الجزيلة ، ويعيي حمده المادح العريضة الطويلة ، مقام محل والدنا الذي كرم مجده ، ووضح سعده ، وصح فى الله تعالى عقده ، وخلص فى الاعمال الصالحة قصده ، واعجز الالسنة حمده ، السلطان الكذا (أبو عنان فارس) ابن السلطان الكذا (ابي الحسن علي) ابن السلطان الكذا (عثمان) . ابقاه الله — سبحانه — لوسيلة يرعاها ، وشفاعة يكرم مسعاها ، واخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم اذا دعاها ، معظم سلطانه الكبير ، وممجد مقامه الشهير ، المتشيع لأبوته الرفيعة قولا باللسان واعتقادا بالضمير ، المعتمد منه بعد الله على الملجا الاحمى والوالي النصير ، فلان (السلطان ابو الحجاج يوسف بن السلطان ابي الوليد اسماعيل ، بن فرج ، بن نصر) .

سلام كريم ، طيب برعميم ، يخص مقامكم الاعلى، وأبوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

اما بعد حمد الله الذي جعل الخلق الحميدة دليلا على عنايته بمن حلاه حلاها ، وميز بها النفوس النفيسة التي اختصها بكرامته وتولاها ، حمدا يكون كفؤا للنعم التي أولاها وأعادها ووالاها . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المترقي من درجات الاختصاص أرفعها واعلاها ، الممتاز من انوار الهداية بأوضحها واجلاها ، مطلع آيات السعادة يروق مجتلاها . والرضا عن آله وصحبه الذين خبر صدق ضمائرهم لما ابتلاها ، وعسل ذكرهم فى الافواه (2) فما أعذب أوصافهم على الالسن وأحلاها . والدعاء لمقام أبوتكم — حرس الله تعالى علاها — بالسعادة التي يقول الفتح : انا طلاع الثنايا وابن جلاها ، والصنائع التي تخترق المفاوز بركائبها المبشرات فتفلى فلاها ، فانا كتبنا اليكم — كتب الله تعالى لكم — عزة مشيدة البناء، وحشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثناء ، وقلدكم من قلائد مكارم الاخلاق ما يشهد لذاتكم منه وبسابقة الاعتناء — من حمراء غرناطة — حرسها الله — والود باهر السناء ، مجدد على الاناء ، والتشيع رحب الدسيعة والفناء .

والى هذا — وصل الله تعالى سعدكم ، وحرس مجدكم — فاننا خاطبنا مقامكم الكريم فى شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح ابي عبد الله المقري خار الله تعالى لناوله ، وبلغ الجميع من فضله العميم أمله ، جوابا عما صدر عن مثابتكم فيه من الاشارة الممتثلة ، والمآرب المعملة ، والقضايا غير المهملة ، نصادركم بالشفاعة التي مثلها بأبوابكم لا يرد ، وظمآها عن نهل قبولكم لا تجلى ولا تصد ، حسبما سنه الاب الكريم

---

(1) الموافق 19 يوليو 1353 م .
(2) عسل ذكرهم : وجده الناس طيب المذاق ، واستعذبوا الحديث عنهم .

السبتي ، والشيخ الخطيب ابي البركات بن الحاج البلفيقي « متفاهين (السلطان المريني) بالشفاعة في غرضه ، فانقشعت الغمة ، وتنفست الكربة » ، وعفا ابو عنان عن الشيخ ، واكرم وفاده الرسولين (1) .

فيما يلي نقدم هذه الوثائق الثلاث :

« الوثيقة الاولى »

(43 : ا) ومما كتب فى غرض الشفاعة (43 : ب)، بسبب الفقيه الصدر، الخطيب ابى عبد الله بن مرزوق، الى السلطان المذكور (ابى عنان فارس المريني) بما نصه :

« المقام الذي ظلال فضله ممدودة ، وينابيع جوده موروده ، وأبواب مثابته مقصودة ، وحركات اقباله مرصودة ، وكتائب نصره مؤيدة معضودة ، وجواهر فخره على ترائب الزمان ونحره منسوقة منضودة . مقام محل اخينا الذي نصل الثناء على معاليه . ونقتنص نتيجة النصر من مقدمة وعده وتاليه، ونردد مفصل حمده ونواليه ، على استمرار الدهر وتواليه ، ونتوعد العدو الكافر به وبمن يواليه ، وننذره بحلول الآثار العلوية عند شيم بوارق عواليه . السلطان الكذا (فارس) أبو عنان ، بن السلطان الكذا (ابي الحسن علي) بن السلطان الكذا (عثمان) . ابقاه الله مقصود الجناب واصلا لمتين الاسباب ، تحيى اسنة كتائبه رسوم السنة والكتاب ، وتتكفل عزائمه للاسلام واهله بنيل الطلاب وبلوغ الاراب ، ولا زال سعده مقبل الشباب مفتح الابواب ، وصنع الله له انيق الاثواب ، ومراقبته لله تعالى كفيلة بالزلفى وحسن المآب . معظم مثابته العالية وجادته السامية ، المعتد بعزائمه الماضية ، المثنى على مكارمه الوافية وفواضله الكافية، الداعي لملكه باتصال العز وتوالي العافية . الامير عبد الله يوسف ، بن أمير المسلمين ابى الوليد اسماعيل ، ابن فرج ، بن نصر .

سلام كريم ، (44 : ا) ، برعميم ، يخص مقامكم الاعلى ، ومثابتكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته.

اما بعد حمد الله ولى الحمد واهله ، والثناء عليه بمتواتر جوده ومترادف فضله ، الذي نمحض الود الخالص من اجله ، ونصل اليد على دفاع من حاد عن سبله ، ونخلص الضمائر لاعلاء دينه الحق وجمع شمله. والصلاة على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله، خيرة انبيائه وخاتم رسله ، الذي نعول على جاهه في الامر كله ، ونأوى فى الدنيا والاخرة الى ظله . ونجعل المودة فى ابتغاء مرضاته وسيلة الى كريم محله . والرضا عن ءاله واصحابه وانصاره واحزابه واهله ، المقتدين به فى قوله الكريم وفعله ، المهتدين بهديه فى ظعنه وحله، وعقده وحله ، المستمسكين بمتين حبله ، والدعاء لمقامكم الاعلى بنصر يمضي فى الاعداء شبا نصله ، وصنع يتكفل للاسلام يسوق فرعه وثبات اصله ــ فانا كتبناه اليكم ــ كتب الله اكم سعدا تطلع به افق الاسلام كواكبه ، ونصرا تسطر فى صحف الايام عجائبه ، وصنعا الاهيا يعرف بالحاضر منه غائبه ، واعتناء تتيسر به آمال الدين الحنيف ومطالبه من حمراء غرناطة، حرسها الله ، وعندنا من التشيع لمقامكم عقائد بواطنها بالظواهر معضوضة ، واوقاتها بما يرضي الله ــ عز وجل ــ مشهودة . وآمالنا بالاعتداد بكم ظلالها ممدودة ، (44 : ب) وجهاتنا بتأميل مقامكم ابواب المخاوف عنها مسدودة . ابقاكم الله بقاء يشرح صدر الاسلام ، وتتهلل له وجوه الايام ، وحكم لملككم على اعدائه بثبات الاقدام ونصر الاعلام .

والى هذا ، فاننا ــ بعد ان نقدم الواجب الاولى، والمهم الذي لا نؤثر على تقديمه قولا ، من السؤال عن احوال ذاتكم السنية ، وتقرير التشيع الى تلكم المثابة السلطانية ، وبث ما عندنا من خلوص الضمير وامحاض النية ، ــ نعرفكم ــ عرفكم الله اسباب السعادة الابدية، ونصر بعزماتكم طائفة الامة المحمدية ، ونفع المسلمين بما لنا فيكم من المقاصد الودية ــ ان الشيخ الفقيه الخطيب الحاج ابا عبد الله بن مرزوق ــ وصل الله عزته ، ويسر وجهته ــ لما ورد علينا ، واستقر لدينا وهو جملة من جمل الفضل ، والمستولى على أمر الحصل . وفارس المنابر يروض صعابها ، ويفرع هضابها ــ قمنا جهد امكاننا بحقه ، وعرفنا له مزية سبقه ، واقتدينا بكم وببابكم الكريم فى ترفيع قدره ، والمثابرة على بره ، وسوغنا لمستفيد العلم مورد افادته، وشددنا عليه يد الاغتباط فى ابدايه واعادته ؛ اذ هذا القطر المنقطع يتوفر فيه الاغتباط بحملة السيوف وحملة العلوم ، وهؤلاء قامة الجهاد المحتوم ، وهو لالاء قامة ما للدين من الرسوم ، ومع ذلك فلم يقر له بتفريق شمله قرار ، ولا فارقة اليهم حنين ولا ادكار ، والاوطان (45 : ا) لا تفارقها الافكار ، والاولاد ثمرة الفؤاد ، وافلاذ الاكباد .

1) نفس المصدر ص 134 .

« الوثيقة الثالثة »

« ... والى هذا ، فاننا وقفنا على كتابكم الكريم في شأن الشيخ الصالح الفقيه الفاضل ابى عبد الله المقري ، وفقنا الله واياه لما يؤلف لديه ، وهدانا لما يقرب اليه ، وما بلغكم بتقاعده بمالقة ، وما اشرتم به فى امره ، فاستوفينا جميع ما قررتم ، واستوعبنا ما اجملتم فى ذلك وفسرتم . واعلموا يا محل والدنا ، ـ امتعنا الله ببقائكم الذي فى ضمنه اتصال السعادة ، وتعرف النعم المعادة ـ اننا لما انصرف عن بابنا هو ومن رافقه عن انشراح صدور ، وتكييف جزل بما تفضلتم به وسرور ، تعرفنا انه تقاعد بمالقة عن صحبه، واظهر الاشتغال بما يخلصه عند ربه ، وصرف الوجه الى التخلي مشفقا من ذنبه ، واحتج بأن قصده ليس له سبب ، ولا تعين له فى الدنيا أرب ، وانه عرض عليكم ان تسمحوا له فيما ذهب اليه ، وتقروه عليه ، فيجعل المدار ، ويمهد تحت ايالتكم القرار . فلما بلغنا هذا الخبر ، لم يخلق الله عندنا به مبالاة تعتبره ، ـ ولا اعددناه فيما يذكر ، فكيف فيما ينكر ، وقطعنا ان الامر فيه هين ، وان مثل هذا الفرض لا تلتفت اليه عين ؛ فان بابكم غنى من طبقات اولى الكمال ، ملى بتوسيع الامال ، موفور الرجال ، معمور بالفقهاء العارفين بأحكام الحرام والحلال ، والصلحاء اولى المقامات والاحوال ، والادباء فرسان الروية والارتجال. ولم ينقص بفقدان الحصى اعداد الرمال ، ولا يستكثر بالقطرة جيش العارض المنثال ، مع ما علم من اعانتكم على مثل هذه الاعمال ، واستمساككم باسعاف عرض من صرف وجهه الى ذي الجلال .

ولو علمنا ان شيئا يهجس فى الخاطر من امر مقامه ، لقابلناه بعلاج سقامه . ثم لم ينشب ان تلاحق بحضرتنا بارزا فى طور التقلل والتخفيف ، خالطا نفسه باللفيف ، قد صار نكرة بعد العملية والتعريف ، وسكن بعض مواضع المدرسة منقبضا عن الناس لا يظهر الا لصلاة يشهد جماعتها ، ودعوة للعباد يخاف اضاعتها . ثم تلاحق ارسالكم الجلة ، الذين تحق لمثلهم التجلة ، فحضروا لدينا ، وادوا المخاطبة الكريمة كما ذكر الينا، وتكلمنا معهم فى القضية ، وتنحلنا فى الوجوه المرضية، فلم نجد وجها اخلص من هذا الفرض ، ولا علاجا يتكفل ببر المرض ، من أن كلفناهم الاقامة التي يتبرك بيمن جوارها ، ويعمل على ايثارها ، بخلاف ما نخاطب مقامكم بهذا الكتاب الذي مضمونه شفاعة يضمن حياؤكم احتسابها ، ويرعى انتمائها الى الخلوص وانتسابها ، ويعيدها قد أعملت الحظوة أثوابها .

ونقصدكم ـ ومثلكم من يقصد فى المهمة ؛ فانتم المثل الذائع فى عموم الحلم وعلو المهمة ـ فى ان تصدروا له مكتوبا مكمل الفصول ، مقرر الفصول . يذهب الوجل ، ويرفع الخجل ، ويسوغ من مآربه لديكم الامل ، ويخلص النية ويرتب العمل ؛ حتى يظهر ما لنا عند ابوتكم من تكميل المقاصد ، جريا على ما بذلتم من جميل العوائد . واذا تحصل ذلك كان ـ بفضل الله ـ ايابه ، واناخت بعفوة وعدكم الوفى ركابه ، ويحصل لمقامكم عزه ومجده وثوابه . وانتم ممن يرعى امور المجد حق الرعاية ، ويجرى فى معاملة الله تعالى على ما اسس من فضله البداية ، وتحقق الظنون فيما لديه من المدافعة عن حوزة الاسلام والحماية . هذا ما عندنا أعجلنا به الاعلام ، واعملنا فيه الاقلام ، بعد ان اجهدنا الاختيار وتنحلنا الكلام ، وجوابكم بالخير كفيل ، ونظركم لنا وللمسلمين كفيل . والله تعالى يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام .

جامعة القاهرة فى : 18 \ 8 \ 1967 م

حققه

الدكتور محمد كمال شبانه

والجد ، والقبيب الذي وضح منه فى المكارم الرسم والحد ، ولم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيلة . وتبلج صبح الزهادة والفضيلة ، وجود النفس الشحيحة بالعرض الادنى البخيلة ، وظهر تخليه عن هذه الدار . واختلاطه باللفيف والغمار ، واقباله على مايعني امثاله من صلة الاوراد ومداومة الاستغفار، وكنا لما تعرفنا اقامته بما لقة لهذا الفرض الذي شهره ، والفضل الذي ابرزه العيان واظهره . أمرنا ان يعتنى بأحواله ، ويعان على فراغ باله ، ويجري عليه سيب من ديوان الاعشار الشرعية وصريح ماله ، قلنا: اما أتاك من غير مسالة مستند صحيح لاستدلاله ، ففر من ما لقه على ما تعرفنا لهذا السبب ، وقعد بحضرتنا مستور المنتمى والمنتسب،وسكن بالمدرسة(1) بعض الاماكن المعددة لسكنى المتسمين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب . بحيث لم يتعرف وروده ووصوله الا ممن لا يؤبه بتعربفه ، ولم تتحقق زوائده واصوله لقلة تصريفه .

ثم تلاحق ارسالكم الجلة فوجبت حينئذ الشفاعة وعرضت على سوق الحلم والفضل من الاستلطاف والاستعطاف البضاعة . وقرنا ما تحققناه من أمره . وانقباضه عن زيد الخلق وعمره ، واستقباله الوجهة التي من ولى وجهه شطرها فقد آثر أثيرا ، ومن ابتاعها بمتاع الدنيا فقد نال فضلا كبيرا وخيرا كثيرا، وسألنا منكم ان تبيحوه ذلك الفرض الذي رماه بعزمه، وقصر عليه أقصى همه ، فما اخلق مقامكم ان يفوز منه طالب الدنيا بسهمه ، ويحصل منه طالب الاخرة على حظه الباقي وقسمه ، ويتوسل الزاهد بزهده والعالم بعمله ، ويعول البرىء على فضله ويثق المذنب بحلمه . فوصل الجواب الكريم بمجرد الامان وهو ارب من آراب ، وفائدة من جراب . ووجه من وجوه عراب . فرأينا ان المطل بعد جفاء ، والاعادة ليس بثقلها خفاء ، ولمجدكم بما ضمنا عنه وفاء وبادرنا الان الى العزم عليه فى ارتحاله ، وان يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله ، وان يقتضي له ثمرة القصد ، ويبلغ طية الاسعاف فى الطريق ان قصد ؛ اذ كان الامان لمثله ممن تعلق بجناب الله من مثلكم حاصلا ، والدين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلا ، وطالب كيمياء السعادة باعانتكم واصلا . ولما مدت اليد فى تسويغ حالة هديكم عليها أبدا يحرض ، وعلمكم يصرح بمزيتها ولا يعرض.

فكملوا ابقاكم الله — ما لم تسعنا فيه مشاحة الكتاب ، والحقوا بالاصل حديث هذه الاباحة فهو أصح حديث فى الباب . ووفوا غرضنا من مجدكم ، وخلوا بينه وبين مراده من ترك الاسباب . وقصد غافر الذنب قابل التوب (2) باخلاص المتاب ، والتشمير ليوم العرض وموقف الحساب، واظهروا عليه عناية الجناب، الذي تعلق به — أعلق الله به يدكم — من جناب ، ومعاذ الله ان تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكملة الاراب (3).

وقد بعثنا من ينوب عنا فى مشافهتكم بها أحمد المناب ، ويقتضي خلاصها بالرغبة لا بالغلاب . وهما فلان وفلان (4) ، ولولا الاعذار لكان فى هذا الفرض اعمال الركاب ، يسبق اعلام الكتاب ، وانتم تولون هذا القصد من مكارمكم ما يوفر الثناء الجميل . ويربي (5) على التأميل ، ويكتب على الود الصريح العقد وثيقة التسجيل ، وهو سبحانه يبقيكم لتأييد المجد الاثيل ، وانالة الرفد الجزيل . والسلام يخص مقامكم الاعلى، ومثابتكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

وكتب فى الحادي والعشرين لجمادى الاخرة ، من عام سبعة وخمسين وسبعمائة (6) » .

---

1) من منشآت السلطان ابى الحجاج صاحب هذه الرسالة ، كان قد شيدها لتستعيد ماضي لدتها في قرطبة الاموية ، وقد قصدها الطلاب والعلماء من كافة الجهات ، وكانت تقع فى درب ضيق يحاذى شارع الملكين الكاثوليكيين بغرناطة ، بيد ان المبنى القديم قد ازيل منذ القرن الثامن عشر الميلادي، ولم يتبق منها الان — كما شاهدت بنفسي — سوى محراب مسجدها ذي النقوش والزخارف الخطية . اما بقية المبنى فقد حولته بلدية غرناطة الى مقر ادارة المهرجانات الموسيقية العالمية ، التي تقام بهذه المدينة فى رحاب الحمراء من كل عام .

2) اقتباسا من قوله تعالى : « غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير » . سورة غافر : آية 3 .

3) الاراب : جمع ارب — بوزن سبب واسباب — وهو المطلب والبغية .

4) لم يفصح عن اسم الرسولين ولكنه ذكرهما في « الاحاطة » على نحو ما فصلنا فيه القول عند التقديم

5) يربي : يزيد .

6) لعل هناك خطأ من الناسخ فى هذا التاريخ ؛ اذ المعروف والمشهور ان السلطان ابا الحجاج يوسف الاول ابن الاحمر قد توفى فى يوم عيد الفطر من عام 755 هـ !!! .

لاحظ ابن خلدون ولكن الارتباط القبلي في العرف البربري لم يكن ارتباطا اساسه العزة بالتاريخ الماضي ولكن اساسه العزة بالعدد ، ولذلك لم يفكروا في البحث عن امجاد أو اصطناع تاريخ واكتفوا بالتفاخر بقوة القبيلة وعددها ، ولم يجدوا غضضا بعد انتشار الاسلام في المغرب ان يأخذوا في ربط صلتهم النسبية بآل البيت للسبب الانف الذكر ، كما فعل المهدي بن تومرت ، ولكن مع ذلك فقد بقيت القبيلة العربية في المغرب تبحث عن منفذ آخر لوجودها بعد سقوط الادارسة وحملة بني موسى ابن العافية ، وكان ذلك في البحث عن سيادة ادبية ولهذا فقد نشأ في المجتمع (طبقة الاشراف) أو طبقة (آل البيت) وكان لهؤلاء نفوذ قوي في المجتمع الذي ظل مخلصا لآل البيت ، واستطاع كثير من رؤسائه أن يكونوا طبقة خاصة . وحظوا بامتيازات مادية ، وادبية ، كاسقاط المكوس والضرائب عن بعضهم ، وتكوين مراكز عديدة للاضرحة تضم (صناديق) لجمع العطايا والهبات ، وتخصيص بعض وظائف الدولة لهم ، وتكون (نقباء) يدافعون عن حقوقهم ويحتكمون اليهم وقد بلغ من اعتبار النسب الى ضرورة رعايته في كثير من المناصب ، حتى أن أحد شرفاء العصر السعدي قال للمنصور السعدي الذي قدم احد العلماء للصلاة ، اذ كان قدمه علمه فقد أخره نسبه (1) ، ولاشك أن هذا النظام استدعى تدوين النسب وتخصص كثير في هذا العلم لصيانته حيث اخذ يختلط بمن يدخله من منتهزين او بما يخرج منه من منتسبين ، وطبيعي أن تقابل هذه الطبقة من الاشراف ، طبقة من عامة الناس كما يسميهم علماء النسب ، وطبقة من ضعفاء النسب الذين كانوا يسمون في مدينة فاس بأوصاف خاصة كما أن من الطبيعي الا تستمر الوية السلام مخيمة على هذا الجو.

ولذلك لا عجب أن يتصدى أحد علماء فاس وهو الشيخ ابن زكري لكتابة مؤلف يحلل دعاوي الاشراف وما خصوا به من مزايا ، واستطاع ابن زكري ان يعطي للاشراف قيمتهم الدينية وما يفرض لهم من احترام ، ولكنه زيف المبالغات والخصائص التي بالغ فيها بعضهم .

وقد ناصره العلامة السيد أحمد بن عبد السلام بناني المتوفى في (6 شعبان سنة 1234 هـ) بكتاب الوجد المغري بنصرة العلامة ابن زكري ، كما رد عليه مؤلف نتيجة الاعتصار من دسائس الانتصار ، وكما الف الصحراوي كتابا في الرد على من قال شرف العلم أفضل من شرف النسب ، ورد المحدث ابو العلاء العراقي على ابن زكري في الحديث الذي رواه وهو من دخل هذا الدين فهو من العرب والحديث الذي أورده ابن زكري هو ما نصه .

« في رواية ابن عساكر عن ابي مسلمة بن عبد الرحمن : « يا أيها الناس ان الرب واحد . وان الاب واحد ، وليست العربية من احدكم بأب ولا أم ، وانما هي اللسان . فمن تكلم بالعربية فهو عربي » ، أورده السيوطي في الجمع » .

على أن الدولة السعدية كانت تعتمد على هذه الطائفة في الحروب ، ولذلك فقد اخذوا يمتنعون عن التجنيد وجاء في التحفة القادرية ما يلي : (وأراد المتوكل على الله أن يغزو عمه (زيدان) صاحب مراكش وسوس فأمر اللمطيين بتجهيز ثلاثة آلاف رجل للحركة فشق عليهم ذلك ، وطلبوا من القاضي ابن ابي النعيم ان يكلم السلطان المذكور في اعفائهم من ذلك ، وكانوا شيعة زيدان الذين أرحلوه الى فاس . فأجابهم القاضي الى ذلك وكلم السلطان فلم يقبل ، وذكره بنصرتهم لزيدان ولكنه أبى فأجابهم القاضي بما أجابه السلطان وحذرهم وخامة العاقبة ، فاتهموه بالميل الى السلطان لانه أندلسي . والاندلسيون من شيعة السلطان المذكور فاتفقوا على الغدر به ، وقد اغتالوه انتقاما منه . في ذي القعدة سنة 1032 فانتقم منهم السلطان بدوره حيث خرج الى جبل لمطة وحارب اللمطيين واحرق وخرب جميع قراهم ومداشرهم وقطع جميع أشجارهم الخ ...

وهكذا استمر الصراع بين الطائفتين وسجله الشاعر ابو عمر عثمان اليوسي بقوله :

هذا وقد كان بفاس فرقتان
ملتهم واحدة لا ملتان
قد لقبت أحدهما المهاجرين
اخراهما تدعى الحضور الفاخرين
وهذه تزعم وصف السؤدد
وتدعى المجد بلا مستند
وهذه دعوى بلا برهان
كلتاهما كفارسي رهان

1) تقدم الامام المنجور للامامة بالمنصور فطلب اليحمدي تأخيره عن الامامة به ، فقال له المنصور قدمه علمه، فاجابه : ولكن أخره نسبه ، (انظر نزهة الحادي للايفراني) .

مجتمع فاس في القرن الحادي عشر الهجري

للأستاذ حسن السايح

تعيش المجتمعات واجهتين حضاريتين ، الواجهة التي تبدو فيها الحضارة المادية الواضحة في العمران والفن والموسيقى ، واللغة ، والتطور التقني ، والواجهة الخفية التي تستبطن العالم اللامرئي حيث تتفاعل علل التماسك الاجتماعي ، وأسباب ابراز المواهب ، وطريقة التعبير عنها مما يعطي شكلا واضحا للواجهة الحضارية مختلفا بحسب الزمان والمكان ، وهكذا نجد مظهر الحضارة العمرانية وحيوية المجتمع باديا يشف عن العوامل الخفية التي تعطي لذلك المظهر صورته الحقيقية ، وعندما نحاول استجلاء العلل والاسباب الحقيقية التي تكمن وراء المظهر الخارجي نعثر عليها بوضوح ، اذا نحن احسنا التحليل وتوفرنا على العناصر الكاملة لذلك .

وسأحاول اعطاء صورة عن واجهة الحضارة المغربية في فاس في أوائل القرن الحادي عشر الهجري حيث نجد انفسنا أمام مجتمع متماسك ، معتز بشخصيته مؤمن باديولوجيته ، حريص على اقتفاء تقاليده ، سعيد بمكاسبه ، ولعل الرجل الغريب الذي يزور المدينة العتيقة يلاحظ في تداخل الازقة ، وتعانق المباني ، وتقسيم المياه ، وتنظيم الحرف ، وما يتجلى به بعض السكان من رضا وقناعة ، مما يثير في نفسه البحث عن الاسباب الحقيقية لهذه القناعة وهذا الرضى البادي على بعض الوجوه ، ثم عن هاته الحمية والعصبية الذي تتجمل بها وجوه أخرى .

ولعالم الاجتماع أن يبحث عن كل جزء من هذه الاجزاء بالتفصيل والتدقيق ولكني سأحاول ان اظهر الاسباب الخفية لما يبدو على فريق من رضى وعلى آخر من حمية بناء على راي المؤرخين القدماء لهذه الحقبة : ثم عن الاسباب الخفية التي تجعل هذا الزائر الغريب يلاحظ صراعا عنيفا بين أصناف من الناس يناقشون بعنف قضايا تبدو بسيطة ، كأن يكون احدهم أساء في توجيه الخطاب الى غيره فلم يستعمل عن قصد أو عن سهو كلمات الاحترام المعتادة ، وقد يستغرب هذا الزائر أن يرى دكاكين تتميز بعلامة خاصة وبطريقة ما في رفع رفوف أبوابها ، الى غير ذلك من مظاهر الحياة الاجتماعية .

قد يتساءل هذا الزائر عن الاسباب الخفية لهذا التمايز ، وهل ذلك يرجع لاسباب اقتصادية أو لاسباب سياسية اذ أن نوعا (تمايزيا) خاصا يتجلى في هذا المجتمع بشكل واضح ، ولكن ليس كنظام الطبقات الغربية الذي حلله كارل ماركس في كتبه ، ولا كنظام الطبقات عند الهنود الذي يفصل بين الطبقة والاخرى بسد منيع ، ولكنه نظام طبقي يتسامح احيانا حتى يكاد يختفي ، ويبدو حادا عنيفا آونة أخرى حتى تسيل له الدماء . لم يكن طبقيا اقتصاديا ، فقد نرى رجلا فقيرا ولكنه محترما ، ولم يكن سياسيا تولد عن تغلب جماعة ضد أخرى ، ولم يكن سلاليا بالمعنى العنصري الدقيق ، ولكنه نظام طبقي من نوع آخر سأحاول ان أعطيك صورة عن اسبابه الاولى انحدر عنها .

ولنرجع الى الماضي قليلا لنرى انه كان من الضروري أن تعتصم الدولة المرابطية ، والدولة الموحدية ، بنظام قبلي لتحقيق أهدافها السياسية كما



أريد — اولا — أن أشيد بحسن اختيار أصدقاء المعتمد لموضوع مهرجان الشعر المغربي الثالث ، فكلنا نعيشبفيض احساسناودفقفكرنا معركتنا القومية المصيرية وانها لمعركة يجب أن تستهلك كل طاقاتنا ، وتستأثر بكل اهتماماتنا، واننا لمدعوون الى خوضها بكل ما نملك من سلاح ، وما نذخرمن قوة .. والكلمة الشامخة القوية الا دفة سلاح مميت ، يتوجب حمله فى المعركة ، ولست أحسب الا أن هذا الاحساس بقيمة الكلمة وخطورتها متى كانت طيبة ، صادقة ، خالصة هو الذي دفع باخواننا « أصدقاء المعتمد » الى اختيار فلسطين الجريحة ، السليبة ، موضوع مهرجانهم الشعري الثالث ، وهو اختيار اذا كان يعكس معنى من المعاني فلن يكون هذا المعنى غير ايمان الجيل الجديد من شعرائنا بوجوب التزام الادب للمعركة العنيفة التي يخوضها الانسان العربي ببسالة ، لا يلين ولا يتخاذل ، من أجل حريته ، ومن أجل مصير ارضه الطيبة ، ومن أجل مصير معتقداته الروحية .

وأريد — ثانية — ان اشير الى ان هذا الحديث لا يؤلف فى جملته دراسة مركزة ، ولا يشكل فى مجموعه بحثا مستفيضا ، وليس يعدو أن يكون استعراضا يتسم بحظ غير يسير من الايجاز لاسهامنا الشعري فى مواكبة القضية الفلسطينية منذ حيكت خيوطها الاولى الى فجيعة 5 يونيه المنصرم ، ولقد تعمدنا ، حتى لا نقطع حبل الاستعراض ، الا نبدى رايا نراه او حكما نصدره فيما نقدم من نموذج ، ولكننا عدنا فى الاخير فذيلنا هذا الاستعراض الشعري بجملة ملاحظات وآراء ان لم تكن عين الصواب فلعلها اليه أقرب منهاالى اي شيء آخر .

* * *

ان صفحات « الوطنية » فى ديوان الشعر العربي صفحات فيها روعة ، وفيها جلال ، وفيها اشراق ، ونحن اذا عمدنا الى هذا الديوان الضخم نقلب صفحاته على توالي العصور ، بهرتنا قصائد تعج بحب الوطن ، وهو حب متوقد لا يخمد ، مزهر لا يذبل ، وشدهتنا اشعار بالتحرق والتشوق لارض طيبة ليس يهم أن تكون شحيحة أو معطاة ، وفى هذه الصفحات نقرأ الروائع التي تنضح دمعات ، وتتأود زفرات ، تلك التي سالت بها حنجرة الشاعر العربي فى المشرق حين انقض على اوطانهم شر ، مظلم ، اسود ، دعى مرة تتارا ، وسمي اخرى حربا صليبية ، وتنفست عنها تريحة الشاعر العربي فى المغرب يوم غير الناس فى الاندلس ما بأنفسهم فغير الله — جل شأنه — ما بهم .. وانه لنتاج انساني ، تبهى ثناياه بصدق العاطفة ، وتشرق

كما يصف المكلاتي أبا النعيم بقوله :

وقاضي الورى أودى شهيدا وانه
لفي داره دار النعيم بمعزل

وقد الف ابن المثري كتابا فى الرد على ابن زكري وانصاره سماه (نصرة الشرفاء) ، وكل هذا يدل على مدى الصراع بين الذين اعتمدوا النسب ، والذين لا يعتمدونه .

وقد اقتضى ذلك ان يتخصص فى كل اسرة من يؤرخ امجادها ليحافظ على شجرتها ولذلك نرى كتبا كثيرة تختص فى تراجم أعيان القبيلة الواحدة ككتاب الحلل المدودة فى مآثر بني سودة لسليمان الحوات ، والروضة المقصودة والحلل المدودة فى ذكر بني سودة بل ان هذا الصراع العائلي الذي اقتضى قصر الحرف على طائفة دون اخرى ادى الى هذا المظهر من الشرف والمجد الذي يعتز به فريق من الناس ، وهذا الرضى وهذه القناعة التي يلجأ اليها الفريق الاخر ، مما لاحظه الاجنبي فلم يعرف اسبابه الحقيقية .

بل ورد ما هو اخص من هذا ، وهو ما اخرجه ابن النجار عن ابي عمر عن النبي (ص) انه قال : من اسلم من فارس فهو قرشي ، واخرج الديلمي عن ابي هريرة ، مرفوعا ، من اسلم من فارس فهو من قريش هم اخوتنا وعصبتنا ، وقد جاء « سلمان منا اهل البيت» وهو فارسي . على أن ابا العلاء العراقي ايد ابن زكري فى عدة مواقف واعترف بقيمة ما فى كتابه من الآراء ، وقد الف ميارة كتابا فى نصرة ابن زكري ، مما يدل على مدى نجاح فكرته وما اثارته من معارضة .

ولاشك انه كان لابن زكري مؤيدون من طبقة الشعب ، كما كان وراء معارضيه مؤيدون ايضا من الاشراف واتباعهم ، وكانت الاهواء السياسية تستفيد من ذلك كثيرا ، وقد بلغت (الازمة) بين الشرفاء والبلديين نهايتها فى أواخر العصر السعدي وكان من ضحاياها ابو النعيم الغساني وجاء فى كتاب التحفة القادرية لابن محمد عبد السلام بن محمد الخياط القادري ما نصه :

فى ايام القاضي ابن ابي النعيم الغساني اراد الهبش من الاجناس غير الاسماعيلية والقحطانية ان يدخلوا معهم فى حرفهم وتجارتهم الشريفة فمنعوهم من ذلك ، وكان قد جرى العمل بفاس أن لا يحترف ولا يتجر فى الحرف الفاضلة والتجارة الشريفة الا اهل الفضل والدين والمروءة العالية من حضور فاس والاندلس الحنيفية خصوصا بني ابماعيل وقحطان وبين يديهم رسوم قديمة أزيد من خمسمائة وافتاءات نحو الخمس والسبعة لعلماء قبل ابن ابي النعيم ، وخواتم وعلامات لعدد من أمراء المغرب وسلاطينه ، وان هذا الامر جرى به العمل بفاس خلفا عن سلف الى ان اراد هؤلاء الخروج عن طورهم والترقي من الحرف الخاملة الى الحرف العالية ، وانه لما تنازعت الطائفتان رفع الامر الى عبد الله المتوكل على الله ، ورأى أهل الاندلس يريدون نصرة الاعيان واهل الفضل من بني اسماعيل وقحطان كما راى اللمطيين يريدون نصرة الهبش من الاجناس العجمية ، وخشى من ذلك الفتنة استدعى القاضي ابن أبي النعيم الغساني فحضر لشور فاس الجديد المرينية ، وحضر الرؤساء من الطائفتين ، فسمع كلام الفريقين فوجد بأيدي حضور فاس الرسوم المذكورة ولم يجد عند خصومهم شيئا فقضى لمنعهم مما ارادوا وامضى حكمه بذلك واستمر العمل عليه الى ان مات القاضي المذكور .

وقد الف الشيخ ميارة وهو من المدافعين عن الطائفة الثانية كتابا فى الرد على أبي النعيم سماه نصيحة المغترين ووصف الغساني الذي ناصر الاشراف ضد البلديين ايضا فى تذييله على نظم الفستاني (بالظالم) .

الرباط : الحسن السائح

عايشه عيانا او عايشه سمعا ، والدليل على صحةهذا الراي أن كثيرا من الشعراء العرب فى مختلف أقطار العروبة وحتى فى المهاجر الامريكية أعطوا نماذج رائعة يتضمنها ديوان النكبة ، ليس يمكن أن تضع بجانبها شعرا قاله شعراء عاشوا تجربة المأساة الاليمة عيانا وحسا .

ومهما يكن من أمر فان الشعر العربي واكب نكبتنا فى فلسطين منذ صدور الوعد المشؤوم الى قيام دولة الشر والبغي . تناول هذا الشعر وعد بلفور محذرا العرب من ويلاته وشروره ، ووقف يندد بهجرة شذاذ الافاق الصهاينة الى ارض فلسطين مبينا خطورتها ونتائجها وثار على قرار التقسيم الظالم ، الجائر سنة 1947 . ثم خاض مع الجيوش العربية الباسلة ميادين الوغى يوم 15 ماي ، يصور ايمانها بالنصر وعزمها على الاستماتة فى سبيل الظفر به ، ثم التفت الى بعض الحكام العرب ، يومئذ ، ليفضح تواطؤهم مع الاستعمار ، ويكشف عن نواياهم الدنيئة ، وفاضت أعطاف هذا الشعر بمرارة الحسرة وعنف الالم بعد نكبة 1948 . ثم مضى يصور بؤس اللاجئن وضياعهم ويهيب بالعربي الى استئناف الحرب لابادة العدو الظالم كذلك كان رصد الشعر العربي لنكبتنا فى فلسطين وتصويره لها مرحلة بعد مرحلة ، وعكسها مشهدا بعد مشهد . ومن ثم استطاع صديقنا الاستاذ صالح الاشتر أن يستخلص فى كتابه (فى شعر النكبة) حكاية المأساة من جذورها الى اليوم من الشعر المعاصر (1).



هنالك جوانب من الشعر المغربي، قديمه وحديثه جديرة بالنظر والتأمل ، وقمينة بالبحث والدراسة ، وقد عالجنا فى أحاديث لم ننشرها بعد جانبا من تلك الجوانب صورنا فيه الافاق الوطنية فى شعرنا الحديث وليس من شك فى أن هذا الشعر قد شهد تطورا وتجديدا سواء فى المضمون أو الشكل نتيجة لنمو الوعي السياسي والوطني وبلوغه درجة النضج لدى طليعة من الشباب سجل لها التاريخ أنها كانت أول من ارتاد طريق الكفاح من أجل قضية وطننا ، ولقد تجلى الميسم الوطني فى شعرنا بشكل واضح على اثر محاولة فرنسا تطبيق سياستها البربرية واصدارها ظهيرا بذلك سنة 1930 ، فكان هذا الحادث « باعثا قويا لنشاط فكري عظيم تنافس فيه الكتاب والخطباء والشعراء ، فنشرت عدة كتب وآلاف المقالات ونظمت القصائد التي يخطئها العد» (2) ، وازداد الطابع الوطني ظهورا فى انتاجنا الشعري بعد ذلك بسنوات حينما سنت الحركة الوطنية سنة الاحتفال بعيد العرش ، وحفظت لنا « العرشيات » صورا من الكفاح الوطني ودور الشعر فى اذكاء روح الثورة وتعبئة النفوس بالحماس للمطالبة بحق الشعب فى حريته . ولقد استعرضت فى احاديثي الآنفة الذكر نماذج يتغنى فيها أصحابها بوطنهم الخاص، وأخرى يشدون فيها بوطنهم العام ، بالوطن العربي ، حين افراحه وحين أتراحه، وكان لابد أن تأخذ نكبةالوطن السليب ، فلسطين ، حيزا من ذلك الاستعراض الشعري ، بيد أنه كان حيزا محدودا ، فلما دهمتنا نكبة 5 يونيه الماضي ارتعشت لها الوجدانات فى المغرب كما ارتعشت لها فى كل شبر من بلاد الاسلام والعروبة واذا بالصفحات التي كتبها المغاربة عن ماساة فلسطين يتكاثر عددها ، ويتضخم حجمها ... واذا كان ديوان النكبة الفلسطينية يضم بين دفتيه صرخات شعراء فلسطين وآخرين من أقطار عربية مختلفة ومن المهجر، اذا كان ديوان النكبة قد سجل أصوات هؤلاء وصرخات أولئك فانه يؤسفنا أن يخلو هذا الديوان من أصواتنا ، من صرخاتنا ، من آهاتنا ، من دموعنا ، والمسؤولية تقع على عواتقنا وليس على عواتق الذين عنوا بجمع شعر النكبة ، واذا كنا نبرر « جهل » اخواننا المشارقة بنتاجنا الشعري ، مثلا ، بالقاء التبعة على الاستعمار — أيام الاستعمار — لانه كان يحاول ، باستمرار ، أن يقيم بيننا وبين اخواننا فى الشرق حواجز وحوائل ليقطع ما بيننا من وسائج ويفصل ما بيننا من روابط ، اذا كنا نبرر ذلك بهذا فيجب أن نعترف ، وقد مرت عشر سنوات ونيف ، على استقلالنا أننا ، اليوم، نحن هم المسؤولون ، دولة وأفرادا ، لا غيرنا ، لاننا نحن المقصرون ، دولة وأفرادا أيضا فى التعريف بأنفسنا ، أدبيا وثقافيا ، لاشقائنا فى الشرق العربي

تطوان — حسن الوراكلي

---

1) دكتور صالح الاشتر ، « فى شعر النكبة » مطبعة جامعة دمشق .

2) عبد الله كنون ، « احاديث عن الادب المغربي الحديث » نشر معهد الدراسات العربية العالية

اعطافه بعمق التجربة والاحساس ، ومن هنا يمكن الرد على المفترين على الشعر العربي بأنه كان — دائما — « بضاعة — تباع ، باثمان متفاوتة ، فى بلاطات الحكام وعلى اعتاب وجوه الناس . ان الصفحات التي دعوتكم لقراءتها فى ديوان شعرنا العربي كفيلة بأن تقفكم على سخف هذا الراي ومحاولة بعض العاقين لتراث الاسلاف تعميم الحكم به على الآثار الشعرية العربية القديمة .

وبتلخيص : ان الآفاق الوطنية فى شعرنا العربي هنا وهناك ، تقدم الينا حقيقة ليس من سبيل الى التشكك فى صدقها وصحتها ، وهي أن جزءا غير يسير من الشعر العربي كان ، دوما ، غناء شديد الروعة بمفاتن الوطن وجمال مسارحه حين السلم يظل الربوع والناس فاذا ما هوجم الوطن وروع الناس فى أروحهم وأرضهم ومتاعهم وقف الشعراء يحمون القوم ويستنفرونهم للدفاع عن ديارهم ويستنهضون عزائمهم للذود عن بيضة البلاد ، فاذا ما حالفهم نصر ، وسار فى ركائبهم ظلفر صور الشعراء ذلك وعكسوه ، واذا ما نكبوا بالهزيمة تدفق من مزامير الشعراء شدو حزين وكئيب، يصور أبعاد الهزيمة ويعكس آثارها !

* * *

ولعلنا فى غنى عن استعراض مشاهد نكبة العرب العظمى فىفلسطين تلك التىنسجت أولىخيوطها القدرة حين صدور وعد بلفلورد وبلغت أهدافها وحققت آمالها سنة 1948 ، فلقد بات الحديث عنها وتصويرها من قبيل الكلام المعاد المكرر الذي تعرض عنه النفس وتعزف عن سماعه الاذن ، على أنه تنبغي الاشارة الى ان هذه المؤامرة الضخمة، العنيفة ، القوية الباطشة التي ارادها الاستعمار ، وارادتها الصهيونية ضربة للامة العربية تمخضت عن شرارة يقظة عارمة هزت كيان الانسان العربي هزا عنيفا ، وفتحت عيون الشعب العربي المغلوب على أمره ، المسلوب منه حقه على الواقع العفن الذي يحياه والحقيقة البشعة التي يعيشها ، فاضطرمت الثورات الدامية على الاستعمار ، تقض مضجعه وتلهب ظهره ، وتوالت الانتفاضات الشعبية على أذنابه وعملائه ، تجهز على انفسهم وتطوح بآمالهم ، هذا من وجه .. ومن آخر كان لمأساة فلسطين اثر جلي فى الادب والشعر ، ففي راي بعض الدارسين ان هذه المأساة التي دفعت الشعراء المعاصرين الى التطور والتجديد والحياة » (1) و « غلبت على الشعر المعاصر الاتجاه الالتزامي الهادف » (2) وبذلك منحت « الادب العربي ديوانا دمويا ضخما ، كتبت الحروب الصليبية صفحاته الاولى ، وهو لا يزال الى اليوم فى تضخم مستمر ، وكلما تضخم الديوان ازدادت ملحمة الدم العربية فى فلسطين غنى واتساعا » (3) .

ولما كانت الامة العربية تجمعها وحدة اللغة ، واللغة — كما يقال بحق — وعاء للعقل والفكر ، وتجمعها وحدة التاريخ ، والتاريخ رصيد من الماضي المشترك يوحد الاحساس والشعور وينفخ الحماس فى النفوس من أجل التشييد والبناء ، وتجمعها وحدة الامال ، ومتى كانت الامال واحدة فالاهداف واحدة ، والمستقبل ، لحظلتها ، باسم ، والمصير مشرق برغم كل شيء ، ومن هنا كانت الامة العربية فى كل رجا من ارجاء رقعة الارض الممتدة ما بين الخليج العربيوالمحيط الاطلسي أمة واحدة ، واحدة ، اذا اشتكى منها عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ، يشارك بعضها بعضا الافراح على بعد المسافة ، ويشاطر بعضها بعضا الاتراح على تنائي الدار ، ومن أجل هذا كانت نكبة فلسطين ، مسرى النبى صلوات الله عليه وسلاماته وتربة حطين الخالدة ، نكبة العربي ، كل عربي ، فى مشارق البقعة العربية ومغاربها ، وتوكيدا لهذا نستطيع القول بأن هذه النكبة لم تستثر شعراء فلسطين فقط ، وانما استثارت الشعراء العرب فى كل أقطار العروبة ، ووقف الجميع يواسي ويذكي نار المقاومة فىالنفوس ويزرعروح الثاروالتصميم علىالعودة فى أعماقها . ولعلها مناسبة ، لا نتركها تفوتنا ، للردعلى زعم نقاد يرون أن الشعر الفلسطيني فى المأساة كان أصدق عاطفة وأعمق احساسا من غيره ، وذلك لان شعراء فلسطين كانوا يصدرون عن تجارب عاشوها ويعبرون عن ويلات شاهدوها ، والحق أن التجربة فى الشعر ليس مفروضا أن تكون نابعة من الواقع ، المعايش ، المشاهد بقدر ما هو مفروض ان تكون صادرة من رؤية الشاعر الذاتية « للحدث » سواء

---

1) دكتور صالح الاشتر ، « مأساة فلسطين واثرها فى الشعر المعاصر » مطبعة جامعة دمشق .
2) انظر المصدر السابق .
3) انظر المصدر السابق ص 7 .

استرداد الشمال الافريقي : ذلك انه حينما أسفرت ضربات الجرمان عن سقوط الامبراطورية فى روما سنة خمسمائة ميلادية ، لم يجد المهاجمون صعوبة فى وضع يدهم على بلدان ساحل الشمال الافريقي . هكذا — عن طريق اسبانيا — وثب الوندال بمعظم السواحل الممتد فيما بين طنجة وقرطاجنة بتونس ، وكونوا بها مملكة عرفت أوجها فى أيام ملكهم (جزريك) . وزاد من خطورة هذه الدولة سيطرتها على كثير من جزر غرب المتوسط مثل سردينيا وميورقة وكورسيكا ، بل هددت روما نفسها ، مما أدى الى نقل عاصمة الامبراطورية الرومانية الى القسطنطينية . والواقع أن انتقال العاصمة على هذا النحو لم يكن يعني التخلي عن الشمال الافريقي ، فقد ظل اباطرة القسطنطينية متشبثين بدعواهم فى هذا الشأن ، الى ان أمكنتهم فرصة ضعف الوندال ، واستطاع (بليزاريوس) قائد الامبراطور البزنطي (جاشيان) ان ينفذ بأسطوله الى شواطيء الشمال الافريقي ويعيدها الى حوزة بيزنطة عام ثلاثة وثلاثين وخمسمائة ، بعد ان اقام بها الوندال مملكة عمرت قرنا كاملا ، على هذا النحو سقطت سبتة وطنجة عام أربعة وخمسين وخمسمائة بعد قرطاجنة بعام واحد . وذلك بالاضافة الى ما يجاور هذه السواحل من جزر . ومع ان الامبراطورية البيزنطية فقدت سبتة وطنجة مرة أخرى لصالح القوط باسبانيا فيما بين (616 — 625 ؟) ، فان مجموع باقي سواحل الشمال الافريقي بقى فى حوزة البيزنطيين ، لم يتزحزحوا عنه الا بمجيء المسلمين ، والا بعد ان اضطرهم المسلمون الى ذلك بقوة بحرية مماثلة .

غير ان العامل البحري بالنسبة الى كل من البيزنطيين والقوط لم يكن له سند يقابله فى المناطق الداخلية . فمع ان القوط كانوا يصطنعون أميرا (كونت) من المغاربة يحكم باسمهم ، فانهم لم يستطيعوا النفاذ الى قلب البلاد . ومع أن البيزنطيين اقاموا بصورة غامضة فى شواطيء المغرب ، فان حكمهم ايضا ، اقتصر على بقاع محدودة . وهكذا افضى صراع بحري طويل الامد الى ايجاد وضعية أساسها السياسة والتجارة والحرب . اما داخلية البلاد فكانت موزعة بين عديد من التنظيمات وخاضعة لاشكال مختلفة من الحكم ، فقد يجتمع الناس على أساس من رابطة القبيلة كما كان الشأن بالنسبة الى تارودانت او بلاد السوس او جبال درن (الاطلس الكبير) أو آسفي ، وهذا هو الشائع . كذلك كانوا يجتمعون على اساس من الشعور بالانتماء الى اقلية معينة كالرابطة اللاتينية المسيحية التي كانت قائمة فى مدينة وليلي عام خمسة وخمسين وستمائة ميلادية ، كذلك نجد نموذجا آخر من التنظيم يستند الى الزعامة الروحية ، كما تدل على ذلك حالة الكاهنة داهيا . ولم يكن الاتصال بين هذه الفآت منعدما ، كما انها لم تكن منقطعة الصلات مع الدولتين القائمتين فى الشواطيء ، فقد كانت التجارة وسيلة للاتصال ، كما انه فى حكم المؤكد ان البيزنطيين كانوا يتعرضون لهجومات خاطفة من سكان الداخل ، ولعل سكان هذه التخوم كانوا يستفيدون من الخطة التي انتهجتها بيزنطة يومذاك القاضية بترضية القبائل المجاورة بالهدايا والاموال .

من كل ذلك نرى أن الظرف كان عصيبا بالنسبة الى الفاتحين المسلمين . فالقوة البحرية فتحت بابا جديدا للحرب . وفى ذات الوقت كانت المسالك البرية وعرة . يدل على ذلك ان الامبراطور البيزنطي ما أن راى تقدم الفتوح العربية فى شمال افريقية حتى قرر نقل عاصمته مؤقتا الى جنوب ايطاليا حتى يكون على مقربة من معارك جيشه مع العرب ، وحتى يتخذ الاجراءات التي يرتئيها فى أقرب الآجال . ولعل هذا ما يفسر طول المدة والوان الانتكاس التي واجهها العرب قبل أن يمكنوا للاسلام بهذه الربوع .

ترى الى أي حد اثرت هذه الاوضاع على حركة الفتح العربي ؟

فى بداية الامر كان واضحا أن العرب استطاعوا النفاذ الى قلب شبه جزيرة الشمال الافريقي ، وذلك بفضل طرقهم وقوانينهم الحربية الخاصة ، وساعدهم فى ذلك ما قرره البطريق البيزنطي من الانفصال عن دولته لتكوين مملكة خاصة، ومع ان حكام القسطنطينية امتنعوا من الاعتراف بهذا الانفصال فانهم لم يجدوا الوقت ملائما لاعمال الحرب فى القضاء عليه ، وذلك ليتقوا تشتيت الجهود وصرفها عن الخطر الاكبر الذي يتمثل فى الفاتحين المسلمين . وهكذا فضلت الامبراطورية ان تسلك على نحو غامض تجاه اقليمها المنفصل ، فوضعت قطائعها البحرية لحماية سواحله واهابت برعاياها هناك الى المكافحة جنب البرابرة ضد المسلمين ، وأبقت مسألة التبعية أمرا مسكوتا عنه . وكان المخطط هو ان تقوم البحرية البيزنطية بالتصدي للمسلمين فتنزل بهم ضربات خاطفة سريعة ترتد بعدها الى البحر وتعتصم به ، وكانت هذه البحرية تختار لخطتها نقطا ساحلية سهلة تساعد فى رسو السفن واقلاعها على نحو عاجل . ومن ثم لا مصادفة فى ان يقتل زهير بن قيس ، عامل الامويين فى افريقيا ، من طرف بحارة

العامل البحري وأثره في توجيه الفتوحات الاسلامية بالمغرب

للأستاذ عبد الحق حموش

لا ينفصل الفتح العربي فى المغرب عن الاحداث السياسية والصراعات الحربية التي كان البحر الابيض المتوسط مسرحا لها خلال القرن السابع الميلادي . ومن ثم فان وصف تلك الاحداث والصراعات يساعد الى حد كبير فى تبيان الصعوبات التي اصطدم بها الفتح وحظوظ النجاح التي كللته .

لقد انطلق الفاتحون من صحرائهم صوب الاراضي المجاورة ، وهي فى معظمها اصلح ما تكون لحرب الفرسان والمشاة الذين كانوا قوام الجيش الاسلامي يومذاك . وقد ساعد على انتصارهم ، فى أول الامر ، أن ما اعترضهم من صعوبات ناشئة عن طبيعة الارض وتضاريسها ، لم يكن شيئا ذا بال ازاء قوة عقيدتهم واتقانهم لوسائل الدفاع والمهاجمة فى مثل تلك الظروف . يضاف الى ذلك ما لقوا من عون بعض الاهالي ، وما انتهجوا ازاءهم من حسن المعاملة .

غير أن هذه العناصر الايجابية سرعان ما تناقصت فعاليتها حينما اخذ الفاتحون يحتكون بشواطيء البحر المتوسط فى سوريا ومصر وفى شمال افريقيا . ذلك ان قوما ليست لهم سابقة فى خوض البحار لابد وان يجدوا مزيدا من الصعاب أمام عدو له وسائل ، لم يالفوها فى حرب البحار . فاذا كان الفارس منهم أقدر على الانطلاق وممارسة القتال فوق تراب الارض ، فان وسائله لا تمكنه من دفع عدو ينقض عليه من البحر (1)

ومع أن هذا العنصر الجديد لم يسلب العرب كل فرصة للتقدم فى فتوحاتهم ، الا أنه كان عنصرا عرقل حركتهم تارة وحد منها أخرى . وحملهم الخسارة الثقيلة آنا آخر . فكان أن اقتنع الفاتحون بأن استيعاب الشمال الافريقي رهين بركوب البحر .

لم تكن هذه الصعوبة التي واجهت الفتح مجرد حادث بالصدفة ، بل مبدءا له عراقته فى سياسة الامبراطورية الرومانية الشرقية واساسا متينا ترتكز عليه فى وجودها وفى الاحتفاظ بمستعمراتها المتوسطية عموما وشمال افريقيا على الخصوص . لقد فطن ساستها ــ وقبل أن يكون للاسلام ذكر ــ الى ان مصير الامبراطورية وحظوظها متوقف على وجود هذه القوة البحرية ، فعملوا على تنميتها وتعهدها . فاما من حيث اغراض الدفاع فقد عصمتها من امتداد هجمات القبائل المتبربرة (الجرمان) التي حطمت الامبراطورية فى المغرب . واما من حيث الهجوم فقد استطاعت

---

1) كتب عمر الى عمرو ابن العاص يقول : « صف لي البحر وراكبه » فاجابه عمرو : « هو خلق كبير يركبه خلق صغير ، ليس الا السماء والماء ، ان ركد اقلق القلوب ، وان تحرك ازاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة » .
ونرى من هذه الكلمات ما كان يخالج العرب من تهيب ازاء البحر .

الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ: محمد المنتصر الريسوني

- 12 -

مهجة بنت التياني القرطبية :

كان ابوها يبيع التين فنسب اليه ـ كما يبدو ـ على غير قياس ، تهافتت على الملذات تهافتا سافرا ، دفعها الى ذلك جمالها ، وتأدبها على صاحبتها ولادة بنت المستكفى التي تولت تعليمها، ورعت استعدادها المجوني والادبي الى أن صارت شاعرة مهيبة الجانب فى عالم الشعر . ورغم تلك الصداقة المتينة التي ربطت بين قلبيهما ، وما استنفذته ولادة من مجهودات شاقة في سبيلها فان مهجة ما لبث ان استيقظ فى رحاب نفسها حب الهجاء والتلويث فقذفت صاحبتها الحميمة بقولها:

ولادة قد صرت ولادة
من غير بعل فضح الكاتم
حكت لنا مريم لكنه
نخلة هذي . . . . (1)

ولسنا ندري على وجه التحقيق سبب هذا التنكر الذي بدر من جانب مهجة لان كل المصادر التي تمكنا من الاطلاع عليها لا تتعرض لبسط الدافع الى هذا الهجاء ولو باشارة خفية ، كما انها ـ يعني المصادر ـ لا تتصدى لذكر حياتها وما نسجته قريحتها من اعمال شعرية الا القليل الذي لا يجدي الباحث فتيلا . من ثم يصعب علينا البث فى هذا الامر وتعليله سوى ان يكون من قبيل الافتراضات الواهمة .

ومن شعرها :

لئن حلأت عن ثغرها كل حائم
فما زال يحمي عن مطالبه الثغر
فذلك تحميه القواضب والقنا
وهذا حماه من لواحظها السحر

واهدى لها يوما حبيب يهيم بها خوخا فكتبت اليه وقد افحشت :

يا متحفا بالخوخ احبابه
اهلا به من مثلج للصدور
حكى ثدي الغيد تفليكه
لكنه . . . . (2)

نزهون بنت القلاعي الغرناطية :

هذه شاعرة مرحة خفيفة الروح ، حلوة الحديث ، مطيبة المحاضرة ـ عاشت فى القرن الخامس الهجري ـ ذات طبع ندي معطاء ، ونفس شفافة مضواع ، عرفت بسرعة الجواب وحضور البديهة ، تسعى الى مجالس الوزراء والامراء فتعبق جوها وتثير نشوة مسكرة

وروى انها كانت تقرا ذات يوم على ابى بكر المخزومي الاعمى فدخل عليهما ابو بكر الكتندي فقال مخاطبا المخزومي :

---

1) انظر النفح ص 494 ، ج: 2 .
2) نفس المصدر .

بيزنطة ، كما انه لا غرابة فى ان حسان بن النعمان امر بتخريب قرطاجنة عند مافتحها ، فقد لاحظ ان معظم من حملوا السيف خلال معركتها كانوا بحارة بيزنطيين

استخلص عبد الملك بن مروان من هذا الوضع ضرورة مقاومة البيزنطيين بمثل الوسائل التي يتوفرون عليها ، حتى يتمكن من شغل سفنهم وابعادها عن مناطق القتال ، فأصدر امره الى حسان بن النعمان باقامة مصنع للسفن (دار الصناعة) فى تونس واعانه على ذلك بأهل الحرفة من الاقباط . وسيكون لهذا العمل أثره البالغ فى التخفيف من مفاجآت الحرب ضد المسلمين . بل لن يبتدىء موسى بن نصير ولايته في افريقية حتى يدفع بالاسطول الاسلامي فى داخل المتوسط مهددا قواعد البيزنطيين فيه .

اما بالنسبة الى البربر فقد راوا فى هذا التطور افولا نهائيا للحكم البيزنطي فى بلادهم . وخلال ذلك تابع الفاتحون منافحة البربر فى المناطق الداخلية ، كسيلة فى عموم الشمال الافريقي ، وداهيا فى جبال الاوراس ، ورؤساء العشائر الآخرين ، ويوليان في شمال المغرب . ومع ان المعارك كانت ضارية فانها كانت تؤهل البربر لقبول الاسلام . والاساسي هنا امران :

— اولهما ان وطاة البيزنطيين اخذت تخف كما لاحظه زهير بن قيس عقب مقتل كسيلة .

— ثانيهما ان الحزازة القبلية اخذت تعمل فى وسط البربر انفسهم ، ففي اعقاب كل ردة يبطش الثوار بمن مدوا يد المعونة الى الفاتحين أول الامر .

وبتوطيد مركز المسلمين فى سبتة وطنجة ضمنوا قاعدتين بحريتين لن تقلا خطورة عن تونس ، فهناك وجدوا القوارب التي حملتهم مع البربر الى أرض الاندلس .

فاس : **عبد الحق حموش**

« يكدرون الماء ، ويغلون السعر »

قال معاوية لصعصعة بن صوحان : صف لي الناس ، فقال :

خلق الله الناس اطوارا : فطائفة السياسة ، وطائفة للفقه والسنة ، وطائفة البأس والنجدة ، وآخرون بين ذلك يكدرون الماء ، ويغلون السعر .

وخطب رجل يد شاعرتنا وكان قبيحا بشعا فقالت تنسفه فى آماله وأحلامه وتعدد معايبه :

عذيري من عاشق انوك
سفيه الاشارة والمنزع
يروم الوصال بما لو اتى
يروم به الصفع لم يصفع
براس فقير الى كية
ووجه فقير الى برقع

ومن نوادر نزهون التي احتفظ لنا بها التاريخ ان ابن قزمان الشاعر الزجال جاء ليناظرها وكان يرتدي غفارة صفراء وهي زي الفقهاء زمنئذ ، وعند ما لمحته قالت له بصوت تتخلله نغمة من الدعابة والظرف .

— انك اليوم كبقرة بني اسرائيل صفراء فاقع لونها ، ولكنك لا تسر الناظرين .

فضحك من حضر وثار ابن قزمان واستشاط غضبا فأخذ يسب فاندفع الحاضرون اليه وطرحوه في بركة امام البستان .

أم العلاء بنت يوسف الحجارية :

شاعرة عاشق فى القرن الخامس الهجري تعرف بالحجارية نسبة الى بلدها وادي الحجارة .

من شعرها قولها :

كل ما يصدر عنكم حسن
وبعلياكم تحلى الزمن
تعطف العين على منظركم
وبذكراكم تلذ الاذن
من يعش دونكم في عمره
فهو في عين الاماني يغبن

وهام بها رجل كبير السن فطلب يدها ، وعند ذاك كتبت اليه تقول :

الشيب لا يخدع فيه الصبي
بحيلة فاسمع الى نصحي
فلا تكن أجهل من في الورى
يبيت في الجهل كما يضحي

وقالت معتذرة :

افهم مطارح أقوالي وما حكمت
به الشواهد واعذرني ولا تلم
ولا تكلني الى عذر ا بينه
شر المعاذير ما يحتاج للكلم
وكل ما خلته من زلة فما
اصبحت في ثقة من ذلك الكرم

غاية المنى :

جارية أندلسية ظريفة متأدبة قدمت الى المعتصم ابن صمادح فرام امتحانها فقال لها :

— ما اسمك

قالت :

— غاية المنى

فقال لها :

— اجيزي : اسألوا غاية المنى
فأجازت

— من كسا جسمي الضنى
واراني مولها
سيقول الهوى انا

والحكاية تروى رواية أخرى غير هذه التي مرت بنا آنفا وهي أن غاية المنى سيقت لابن صمادح فأمر بأن يختبر ذكاءها الاستاذ ابن الفراء الخطيب ، ولما جلست بين يديه قال لها :

— ما اسمك
فقالت :
— غاية المنى
فقال :

— اجيزي :
سل هوى غاية المنى ... من كسا جسمي الضنى
فقالت على الفور :
واراني متيما ... سيقول الهوى انا

وعندما وصل خبرها لابن صمادح اشتراها

أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية :

بنت ملك ، اديبة قرضت الشعر ، لها يد طولى فى فن الموشحات ، كلفت بفتى جميل يدعى السمار من دانة قالت فيه مولهة :

يا معشر الناس الا فاعجبوا
مما جنته لوعة الحب

— لو كنت تبصر من تجالسه .

وصمت المخزومي برهة يفكر قليلا ، ولكنه لم يحر جوابا ، وبسرعة فائقة أجابت نزهون :

لفدوت اخرس من خلاخله
البدر يطلع من أزرته
والغصن يمرح في غلائله

وارقة طبع هذه الشاعرة وخفة ظلها كلف اصدقاؤها وعارفوها بمحادثتها ومراسلتها فكان ابو بكر بن سعيد الوزير من الذين شغفوا بها ، وقد كتب لها يوما يقول :

يا من له الف خل
من عاشق وصديق
اراك خليت للنا
س منزلا في الطريق

فأجابته فورا :

حللت ابا بكر محلا منعته
سواك وهل غير الحبيب له صدري
وان كان لي كم من حبيب فانما
يقدم اهل الحق حب ابى بكر

وفى احد مجالس ابى بكر بن سعيد الوزير التي كان يعقدها فتدار فيها مناقشات ادبية وعلمية تصدى الشاعر ابو بكر المخزومي الهجاء الذي قيل فيه انه اذا مدح ضعف شعره لشاعرتنا نزهون فاشبعها قذفا من غير ما تحفظ والوزير ينصت الى ذلك .

ومما قاله منها شعرا :

على وجه نزهون من الحسن مسحة
وان كان قد أمسى من الضوء عاريا (1)
قواصد نزهون توارك غيرها
ومن قصد البحر استقل السواقيا(2)

ولكن نزهون ما كانت لترضى بالهوان والخنوع فانشأت تقول ردا عليه وثأرا لكرامتها الجريحة المهانة :

قل للوضيع مقالا
يتلى الى حين يحشر

بيد ان المخزومي ليس بالشاعر اللين العريكة حتى يستسلم لها ، ويعلن في مجلس الوزير هزيمته وفشله، ولذلك رد عليها بقوله ممزقا عرضها :

ألا قل لنزهونة ما لها
تجر من التيه اذيالها

ولما راى الوزير ان الامر سوف يتفاقم ويزداد حدة أقسم ان يكفا عن السباب والقدح .

وتقول نزهون ردا على هجاء له فيها :

ان ما قلت حقا
من بعض عهد كريم
فصار ذكري ذميما
يعزى الى كل لوم
وصرت اقبح شيء
في صوره المخزومي

وسألها بعض ثقلاء الظل :

— ما على من أكل معك خمسائة سوط .

فقالت :

وذي شقوة لما رآني راى له
تمنيه يصلي معي حاجم الضرب
فقلت له كلها هنيئا فانما
خلقت الى لبس المطارف والشرب

ونزهون لم تترك الفرصة تمر دون ان تسجل لنا لقاء جميلا — عطرته تصفير صيغة التعجب — فى ليلة ... لأحد .. مع حبيبها بعيدين عن أعين الرقباء حيث الجو الناعم واللحظة المجنحة والاحساس المذغدع ، وها هي تسمعنا قولها :

لله در الليالي ما احيسنها
وما احيسن منها ليلة الاحد
لو كنت حاضرتا فيها وقد غفلت
عين الرقيب فلم تنظر الى احد
ابصرت شمس الضحى فى ساعدي قمر
بل ريم خازمة فى ساعدي اسد

---

1) كذلك أورد البيت المقري فى النفح ج 1 ص 90 ، ولكن فى ج 2 ص 495 اثبت البيت هكذا :
وتحت الثياب العار او كان باديا . —

2) البيت أخذ من قول المتنبي بمدح كافورا :
قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

لبثت هذه الشاعرة الرقيقة تعب من الحيـــاة حلاوتها الى أن دق ناقوس الخطر معلنا بالنهايـــة المحتومة اذ حلت بأبيها النكبة المعروفة ، فأصبحت من جملة العبيد تباع فى الاسواق ، واشتراها رجل مــن اشبيلية ثم وهبها لابنه ، ولكنه لما أراد البناء بها امتنعت واعلنت عن نفسها وقالت له : لا يكون ذلك الا بموافقة ابي وبعد هذا كتبت له أبياتا تحكي فيها قصتها فى اسى :

اسمع كلامي واستمع لمقالتي
فهي السلوك بدت من الاجياد

لا تنكروا اني سبيت وانَنـــي
بنت لملك من بني عبـــاد

ملك عظيم قد تولى عصـــره
وكذا الزمان يؤول للافســاد

لما اراد الله فرقة شملنـــا
وأذاقنا طعم الاسى من زاد

قام النفاق على أبي فى ملكـه
فدنا الفراق ولم يكن بمـراد

فخرجت هاربة فحازني أمـرؤ
لم يأت فى اعجاله بســداد

اذ باعني بيع العبيد فضمنـــي
من صانني الا من الانكـــاد

وارادني لنكاح نجـل طاهـر
حسن الخلائق من بني الانجاد

ومضى اليك يسوم رايك فى الرضى
ولانت تنظر فى طريق رشادي

فعساك يا أبتي تعرفني بــــه
ان كان ممن يرتجى لــوداد

وعسى رميكية الملوك بفضلها
تدعو لنا باليمن والاسعـاد

وعندما وصلت الابيات الى أبيها وهو فى غياهب المنفى يجتر احزانه بأغمات سر هو وامها سرورا لا سبيل الى تصويره اذ علما أنها ما تزال حية تــرزق فكتب اليها هذا البيت يبارك لها فيه زواجها :

بنيتي كوني بــــه بــــرة
فقد قضى الدهر باسعافـه

(يتبع)

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

عليك باهل البيوتات ..

قال عمر بن عبد العزيز ، لاياس بن معاوية :

دلني على قوم من القراء أوليهم ، فقال ان القراءضربان : ضرب يعملون للاخرة ، وأولئك لا يعملون لك وضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم ان مكنتهم منها؟ فقال ما أصنع ؟ قال : عليك باهل البيوتات الذين يستحيون لانسابهم ويرجعون الى اعراقهم فولهم .

لولاه لم ينزل ببدر الدجـــى
من أفقه العلـوي للتـــرب
جسمي لمن أهواه لو انـــه
فارقنـــي تابعــه قلبـــي

العبادية جارية المعتضد :

شاعرة ظريفة ، كاتبة أديبة ، تحفظ رصيـــدا لابأس من اللغة ، اهداها للمعتضد والد المعتمد مجاهد العامري . كان يميل اليها شديد الميل حتى ملكت عليه شعوره وحسه ، وقد أرق المعتضد ليلة وحاول أن ينام ولكن بدون جدوى فقال :

تنـــام ومـــدنفهـــا يسهـــر
وتصبر عنـــه ولا يصبـــر

فأجابته على البديهة :

لئن دام هذا وهـــذا لـــه
سيهلك وجـــدا ولا يشعـــر

اعتماد الرميكية جارية المعتمد :

ان الصدفة قد تلعب فى حياة الفرد دورا مهـــما فترفعه من السفح الى القمة فى برهة زمنية قصيرة هي فى حساب الدهر ليست بذات أهمية ، غير انـــها فى حساب الانسان نبضات تمده بأسباب الحياة فتفرش دربه زهورا وياسمين كما فرشته لشاعرتنا اعتمـــاد الرميكية بسبب سحر الكلمة وروعة الحرف ، وكيف يا ترى استطاعت الكلمة أن تنقلها نقلة سريعة مـــن الحياة العادية الى الحياة البلاطية حيث النفـــوذ والسلطة ؟ وذلك هو ما سأعرفك به وشيكا .

ركب المعتمد هو وصديقه ابن عمار يوما زورقا للنزهة فى نهر اشبيلية ، واذا هما ينعمان بجو رائق لطيف اذهب نسيم معذوذب على النهر فأحدث علـــى صفحة المياه حبكا وتموجات دغدغت مشاعر الملـــك الشاعر ، فنظر الى النهر واطال التأمل فقال مخاطبا صديقه ابن عمار فى انشراح :

أجز يا ابن عمار :

صنع الريح من المـــاء زرد

غير أن ابن عمار الشاعر ارتج عليه فأخذ يعبث بلحيته عادة من يريد أن يستوحي أو بتذكـــر شيئـــا ، ورانت فترة صمت ليست بالطويلة حاول أثناءها ابن عمار أن يمتح ذاكرته بدون ادنى جدوى واذا بصـــوت ينبعث من جانب الوادي يهتف فى عذوبة وحلاوة :

أي درع لقتال لـــو جمـــد

وعندما سمع المعتمد ذلك لم يملك نفسه من شدة العجب ، وسرعان ما خف الى صاحب الصوت فتبينه فاذا به فتاة جميلة من الفتيات الغسالات اسمها اعتماد الرميكية .

واخيرا اشتراها من مولاها رميك بن حجاج ثم تزوجها وأنجبت له أولادا .

ومهما يكن من شيء فمنذ أن عرف المعتمد اعتماد وهو لا يهتم بشيء بقدر اهتمامه بها حتى انه لقب نفســـه المعتمد كي يناسب لقبه اسمها وقد كان من قبل يعرف بمحمد الظاهر ، وحبه لها وهيامه بها لم يقف الى هذا الحد فقط بل انه كان يدفعه الى أن لا يعصى لها أمرا كيفما كان نوعه ، ولذلك يحكى أنها أطلت يوما مـــن شرفة قصرها فلمحت الناس يمشـــون فى الطيـــن ويدوسونه فاشتهت أن تفعل مثلهم ، وما كان مـــن المعتمد الا أن يخضع لامرها ، اذ أمر بسحق كمية من الطيب فى ساحة القصر وصب فيه ماء الورد وعجن كل ذلك حتى أمسى كالطين ثم داسته مع جواريها وسمى ذلك اليوم « يوم الطين » .

وظلت شاعرتنا تنعم بلين العيش ، وترفـــل فى بحبوحة أعواما تلو أعوام الى أن حدثت الكارثة التي هدمت سعادتها اذ خلع المعتمد وسجن بأغمات فقالت له يوما :

— يا سيدي لقد هنا هنا

فقال بحرقة حنظلية :

— قالت لقد هنا هنـــا
مـــولاي أيـــن جاهنـــا
قلـــت لهـــا الهنـــا
صيرنـــا الـــى هنـــا

وبأغمات توفيت شاعرتنا اعتمـــاد الرميكيـــة حيث استأثرت رحمة الله بزوجها الملك المعتمد بن عباد الشاعر .

بثينة بنت المعتمد بن عباد :

شاعرة درجت فى بيئة تبرعمت فى رحابهما الكلمة المجنحة والحرف المنغم ، انها بنت ملك شاعر مطبوع ، وبنت شاعرة ظريفة ، فلا محالة اذا أشرفت حـــب الشعر من كانت برعما يتفتح للحياة ، وغذى ملكتـــها الادبية المحيط الشاعري الرغيد ، لذلك كست تعبيرها رقة وجودة ، وتكومت فى ثناياه عاطفة ندية .

البوزوزي الفجيجي ، وابن اخيه سيدي ابو القاسم بن ابي عبد الله سيدي محمد بن عبد الجبار ، النسب . وقد اخترت في هذه المناسبة الكلام عنهما ، اظهارا لما اعفاه الزمن من ءاثارهما العلمية والثقافية والادبية ، وتعريفا لاهل بلدتهما الفجيجية بما كنا نسمع عن هذين الشخصين الكريمين ، من حياة حافلة بالعلم والادب ، وشد الرحال للمشرق والمغرب ، لاخذ العلم وتعليمه ، وتنويها بما لهما من تراث في هذا الميدان .

فأما ابو اسحاق ابراهيم ، فولد بفجيج حوالي عام 860 هجري ، وتلقى العلوم الاولية عن والده الامام الاشهر سيدي عبد الجبار ، بزاويتهما العلمية بفجيج ، وتلقى بزاوية الونشريسيين بالحمام بفجيج عن العالم الهمام سيدي محمد بن محمد الونشريسي ، وعن ابنه سيدي سليمان ، وتلقى عن فقهاء الزاوية الكبيرة بقصر بني سكون بفجيج ، وبخاصة عن شيخ الجماعة بها : الشيخ عبد الحق بن محمد الذى كان موته سببا في هجرة سيدي ابراهيم ، كما سياتي في محله . وتلقى في معاهد قصر الودغيريين بفجيج عن اولاد الولي الصالح ، القاضي سيدي محمد بن محمد الرشيدي وغيرهم .

ثم رحل لكلية القرويين بفاس فدرس بها ، واخذ علوما جمة عن علمائها ، كالشيخ ابن الحسن الصغير وابن غازي والونشريسي الذي هو من اقارب الونشريسيين الموجودين بفجيج .

ثم رحل مرارا لتلمسان واخذ عن جلة شيوخها ، كالامام السنوسي ، وابن مرزوق ، والعقباني ، والتنسي ، وكان يطيل المقام بتلمسان للتدريس بها ، وخصوصا في شهر رمضان من كل سنة ، وانتفع به في تلك الجهة خلق كثير . — ثم رحل الى التسرق خمس مرات للحج وزيارة الحرمين الشريفين ، واخذ في رحلته في مصر عن الامام السيوطي ، والبساطي ، وابى النجار الحنفي ، وبالمدينة المنورة عن السخاوي والاشموني وابي اسحاق ابراهيم اللقاني صاحب جوهره التوحيد ... وغيرهم وله عن الجميع اجازات ومناولات ومسلسلات ، واطلقوا له القول في الجميع؛ وكلامه في نثره ونظمه يشهد بغزارة علمه ، وجودة قريحته ، وقوة ذكائه ، وسلاسة طبعه ، وعذوبة الفاظه

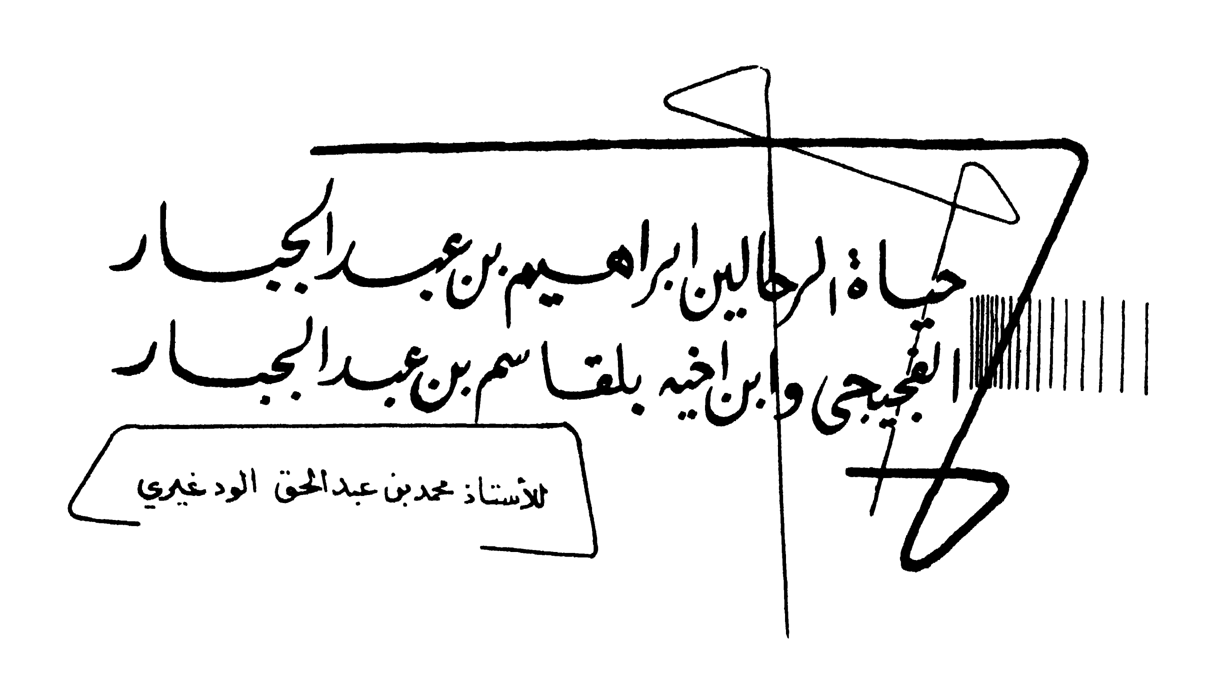
وتولى القضاء بفجيج وناحيته في ظروف ذكرها بنفسه ولم يذكر تاريخها ، وانما اشار اليها في مقدمته لنظم الساوانية ؛ ولعل ذلك كان وقت شبابه المشرف على كهولته قبيل عام 900 ه ويشير فيها ايضا الى حياة والده سيدي عبد الجبار في ذلك الزمان ؛ والذي استلفت الانظار اليه بوجه خاص في زمانه ، هو انه مع ما كان عليه من القيام بدروس التربية ،وخطة القضاء والكسب لانواع الانعام ، والاشتغال بالفلاحة ... ؛ كل ذلك لم يصده عن الخروج للصيد في مهامه الصحراء ، مما جعل اهل وقته يعيبون عليه ، لجهلهم بما له في تعاطي الصيد من المقاصد الحسنة ، والمنافع الحسية والمعنوية . ينبغي لنا الاصغاء اليه رحمه الله بكل اهتمام ، ليحدثنا بنفسه عن الصيد واحسن طرقه ومحاسنه ، ورده (في نفس قصيدته) على الجاهلين لمنافعه .

قال رحمه الله : فلما الفت السياحة في البراري وقنص الوحوش في مهامه الصحارى ، والتفكر في مصنوعات الباري ، فلا قيل ولا قال ، ولا همج ولا ثقال ، ولا جمام يسلب الهيبة كما قال :

وطول جمام الماء في مستقره
يغيره لونا وريحا ومطعما

كان مما اخترت الاصطياد به ، لنزاهته وطهارته ، ودرابته ونجابته : الصقر دون الكلب ، لحقارته وقذراته، وقلة نباهته ، وسرعة اجابته ؛ وكنت اقول : «صقر وقور ، خير من كلب عقور » ، لا سيما وقد يدل على مقتنيه بنباحه ، في موضع يخاف فيه سوء صياحه ؛ فاطلق الفوغاء السنتهم ، وشن الجفاة غارتهم ، وسن الحفاة العراة اسنتهم ، فقلت على جهة التعريض ، وان كنت لا احسن القريض ، مستفتحا بحمد الله ، ومستنجحا بالصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا ونبينا ومولانا محمد ابن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه ابدا ما دام ملك عدد خلق الله :

يلومونني في الصيد والصيد جامع
لاشياء للانسان فيها منافع
فأولها كسب الحلال اتت به
نصوص كتاب الله وهي قواطع
فصحة جسم ثم صحة ناظر
واحكام اجراء السوابق رابع
وبعد عن الارذال مع صون همة
واغلاق باب القيل والقال سابع
وايضا لعرض المرء فيه سلامة
وحفظ لدينه وذلك تاسع



نظمت كتابة الدولة فى الشبيبة والرياضة فى شهر ماي الماضي موسما ثقافيا بمناسبة مهرجان اسبوعي الثقافة .

وقد شارك فى هذا المهرجان الثقافي الحافل مثقفوا المغرب الشرقي من اساتذة ومعلمين عموما ومدينة فجيج الواحة الجميلة الهادئة خصوصا .

ويسرنا ان ندرج فى هذا العدد محاضرة قيمة القيت بهذه المناسبة عن حياة الرحالين الشهيرين سيدي ابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي ، وابن اخيه سيدي بلقاسم بن محمد بن عبد الجبار كان قد القاها الاستاذ السيد محمد بن عبدالحق الودغيري مدير ثانوية الحسنية ....

ان كلمة الثقافة على ما قرره اللغويون ، ترادفها الحذاقة ، التي هي مشوبة بخفة الانتباه ، ومعناها : النباهة والفطانة ، وكلمة الحذاقة تدخل على الاعمال الجليلة ، وتتجمل بالصناعات الشريفة ؛ وفي اشتقاقها ما يوضح ذلك وضوحا لا مزيد عليه ، ــ فاذا قلنا : ثقف (بكسر القاف) يثقف (بفتحه أو ضمه) ثقفا وثقافة ، صار حاذقا خفيفا ، واذا قلنا : حذق (بكسر الذال حذقا (بسكونه) ، وحذاقة ، كان ماهرا . فهو حاذق، جمع حذاق . وحذق الكتاب تعلمه كله ، وحذق العمل : مهر فيه ... وحذق الصبي القرءان ، مهر فيه حفظا ورسما وتجويدا . ــ ومنه طبيب حاذق ، اي ماهر . وحذق الصانع فى صنعته ، مهر فيها وصار متقنا لها . ــ ومن المختار لتفسير الثقافة والحذاقة ايضا ، أن تكون بمعنى الجزالة .. التي هي خفة الانتباه ، وهذه الخصلة يحتاج اليها ــ ضرورة ــ من يتولى الفصل بين الخصوم ، كالقاضي ومن فى معناه ، ليكون مقداما فى تطبيق الاحكام وتنفيذها ، ولذلك جعلها قاضي القضاة : الشيخ ابن عاصم رحمه الله من شروط أوصاف القاضي الكمالية حيث قال :

واستحسنت في حقه الجزاله
وشرطه التكليف والعداله

وتستحسن الجزالة او تكون من قبيل الواجب في كل معلم ، وكل من يتصدى للتربية ، لتكون بضاعته فائقة نافذة ، وحياته فى مهنته سعيدة . وبالجملة : فالثقافة تؤل الى الحذاقة ، ثم تنمو بطريق التكوين والاجتهاد ، الى ان تصير نبوغا ؛ ومن وصل لهذه الدرجة صار من الذين نوه القرءان الكريم بمقامهم فى قوله تعالى : « يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولوا الالباب » . وبعد هذه المقدمة عن كلمة الثقافة وما تبعها من المترادفات ، أتكلم بعون الله للسادة الحاضرين عن عالمين جليلين ، مثقفين حاذقين ، شاعرين ناثرين ، وكل منهما رحالة مشهور ، وله في العلم والثقافة أثر مشكور ... ؛ وهما : ابو اسحاق سيدي ابراهيم بن عبد الجبار الودغيري اصلا ، ثم

قال سيدي بلقاسم فى تعليقه على القصيدة ، وعبد الحق هذا . . . المفتوك به ، هو عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السكوني نسبا ، الفججي مسكنا ، احد الائمة القائمين بالعدل الدائم ، الصادعين بالحق الملائم ، ولا يخاف فى الله لومة لائم ، اجزل الله ثواب فتكته ، وافاض علينا من بركته ؛ ه تعليق سيدي بلقاسم

وفي أثناء حرارة موت شيخه المذكور ، قام بترحيله من ضريحه الذي دفن فيه اول مرة ودفنه في محل آخر ، وبنى عليه ضريحا متواضعا لا زالت جدرانه قائمة لحد الان قرب ضريح سيدي بن هلو السكوني ، ثم بعد ذلك شد الرحيل وهجر من فجيج حوالي عام 920 ، وصحب معه اهلا وذرية ، وترك بمنزله بفجيج اهلا وذرية . وبينما هو فى طريق هجرته مارا ببلاد توات ، اذ شاهد من اناس بها تعظيما ممقوتا اليهود القاطنين هناك بصفة ينكرها الشرع الكريم ، ويمجها العقل السليم ، وفي ذلك يقول ابن اخيه سيدي بلقاسم رحمه الله : وللناظم رحمه الله قصيدة لامية فى معارضة اهل توات من بلاد الصحراء ، وفقيههم العصنوني التلمساني ، والرد عليهم حين صح عنده اكرامهم لليهود بها،وتعظيم قدرهم لديهم فيها ،واباحتهم اياهم من الامور ما منعهم منه الشرع العزيز،نظرا الى ما يصيبونه من دنياهم،فجعلوا ذلك ثمن اخراهم،ورضي بذلك اعلمهم واعلاهم،كما رضي بهأجهلهم وادناهم،فعاتبهم على ذلك غاية العتاب ، وحذرهم على سوء المنقلب وشر المئاب ، فلم يبق فيها رحمه الله ولم يذر ، ما يبيح عنهم وعن غيرهم غياهب الظلام والكدر ، وصيرهم عبرة لمن اعتبر ، مع انه رحمه الله مستفرق الاوقات بالاسفار ، وقل بلد لم يطأه من سائر الاقطار ، انتهى تعليق سيدي بلقاسم .

غير انه لم يذكر اي محل كان فيه اليهود هناك ، لان توات قطر شاسع ، واليهود كانوا فى نقطة قليلة منه فقط . ــ ثم واصل هجرته الى ان انتهى به السير في مدينة جني التي هي مملكة برنو فى ذلك الزمان . وهناك استانف اعماله الصالحة من نشر العلم وتعاطي طرق الكسب الحلال ، وعاش هناك فى السودان مايزيد على الثلاثين عاما . ثم توفي وترك ذرية مشهوره ، وله ضريح يزار ، رحمه الله رحمة واسعة .

اما تاريخ وفاته بالضبط فلم نعثر على تحقيقه ، وقد قيل انه توفي قبل وفاة اخيه سيدي محمد بنحو العامين ، او بعده بعامين ، واخوه سيدي محمد الذي هو اصغر منه توفي بفجيج فى رمضان عام 956 هجري، كما هو ثابت فى عقد حبسه النموذجي الاثري ، المكتوب فى رق غزال ، وعليه ظهير الموافقة والثبوت من السلطان المقدس مولانا الحسن الاول رحمه الله ، وعلى هذا تكون وفاة سيدي ابراهيم فى السودان حوالي عام 958 ، وفي عمره اذ ذاك نحو 98 ، وقد هدى الله لدين الاسلام على يديه خلق كثير من السوادين ، فكان هذا العمل من حكمة الله البالغة فى هجرته رحمه ورضي عنه .

ابو القاسم

اما ابن اخيه سيدي ابو القاسم بن محمد بن عبد الجبار الرحالة ، الحاج ، المجاهد ، فقد كان مثله : قاضيا وكسابا ، وفلاحا وصيادا ، ورحالة محصلا للعلم ، نفاعا به اينما حل وارتحل .

وقد تلقى اولا عن والده سيدي ابى عبد الله محمد بن عبد الجبار بفجيج ، ثم رحل فى حياة أبيه لزيارة الحرمين الشريفين ، ولقي فى رحلته علماء بالقيروان والاسكندرية ، وفي الازهر ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وكذلك فى القدس والشام ، واخذ عن شيوخ تلك البلدان ، غير انه لم يحضرنا فى هذه الساعة من اخذ عنهم هنالك ؛ ولما رجع من رحلته تصدر للتربية مع ابيه فى زواياهم العلمية ، وكانت مجالسه بفجيج يضرب بها المثل .

ثم رحل الى تلمسان وأطال المكث فيها ، رغبة من سكانها ؛ ولذلك السبب عده الاتراك الحاكمون فيها فى عدد العلماء الجزائريين الذين بلغوا درجة النبوغ ، كما ذكره الاستاذ احمد توفيق المدني فى مؤلفه عن عهد: محمد عثمان باشا داي الجزائري ، المطبوع فى سنة 1356 هجرية صفحتي 76 ــ 78 ، حيث قال : ابو القاسم ابن ابى عبد الله بن عبد الجبار الفجيجي البرزوزي المتوفى (1021) ، تخرج عن ابن غازي والونشريسي والسنوسي وابن مرزوق ، وكان بحرا فى العلم لا ساحل له ، مع صلاح وزهد وتقوى وورع ، ونفع بعلمه وصلاحه جمهورا عظيما من الامة . ا هـ . ثم رحل الى زاوية تمكروت الناصرية بوادي درعة ، واخذ عن شيوخها واخذوا عنه ، واتى منها بكتب علمية نفيسة ؛ وكم من مرة شد الرحلة لمراكش وفاس للاخذ عن العلماء ، وكان يطيل المقام بالخصوص في القرويين للتدريس بها ، وممن اخذ عنه هناك : الشيخ عبد الواحد بن علي بن عاشر ناظم المرشد ، المتوفى

وفيـــه لاهـل الفضل والدين عبـــرة
وتذكـــرة لهـا لديهـم مـــواقـــع
ويـورث طيب النفس والجود والسخا
ويالـف منه الصبـــر من هو جـــازع
وينفـي الهمـوم المهرمات عن الفتـــى
ويقمـع وفد الشيب كي لا يســـارع
ويـورث عنـد الالتحـام شجاعـــة
وفيـــه مـــن الســـر الخفـــي بدائـــع
كـرعـــي نظـــام وافتقـــاد رعيـــة
وحفـــظ جنـاب من عـــدو ينـــازع
وتدبير امر العيش والفتـــك بالعـــدا
وصيد أسود الانس والوحش تـابـــع
اذ الحـــرب خدعـــة وكيـــد فربمـــا
تحيـــل بالقنـــص الدهـــاة التبابـــع
فاظفـــرهـــم بكـــل عـــاد معانـــد
علـــى غـــرة فدرجتـــه الضراجـــع

عدد ابيات هذه القصيدة 214 وتشتمل هـــي وشرحها على مشروعية الصيد من الكتاب والسنة . ويوضحان ما في تعاطي الصيد من المنافع التي لا تحصى، مع تطبيقات مرتبطة بين الوقائع والآيات القرءانيـــة ، والاحاديث النبوية ، وفيها تصوير للملاحم وتدبيـــر الامور الحربية ، مما لا غنى للجندي وكل وطني غيـــور عنها ، الى ما فيهمـــا من الثقافـــات والآداب العاليـــة والنصائح الغالية ؛ يحتـــاج اليها كل معلـــم وطالـــب ، ليتحلى بها في حياته العادية ، وحياته الفكرية ؛ على ان قارىء القصيدة مع الشرح ، يحس كأن احد المؤلفيـــن يتحدث اليه بلهجة صادقة تربوية مغناطيسية تنفذ الى القلب ، ثم يشع منها ضوء على الفكر .

وفي عام 904 هـ تم مترجمنـــا سيـــدي ابراهيـــم الفجيجي ، ارجوزته : « المفيده » في العبادات والعقائد والاخلاق ، قل من نسج على منوالها ، عدد ابياتها 817، ابتداهـــا بقولـــه :

يقـــول راجـــي رحمـــة الغفـــار
ابراهيـــم بـــن عابـــد الجبـــار
الحمـــد للـــه الـــذي بحمـــده
نيـــل مزيـــد فضلـــه في وعـــده
وبعـــد فالقصد بهـــذا الرجـــز
نظـــم نفائـــس بلفـــظ مـــوجـــز
مـــن درر المفروض والمســـنـــون
ومـــا لـــه يحتـــاج كـــل حيـــن
وقـــال في خاتمتهـــا :

هنا انتهـى القـــول وتـم القصـــد
بحـــول من يوتى الهدى ويرشـــد
وذاك فـــي العاشر مـــن شعبانـــا
سنـــة تسعمـائـــة حسبـــانـــا
واربعـــا مـــن بعدهـــا ، نخلـــت
أو زدت أو قـــدمـــت او اخـــرت

الى آخرها ، وله رحمه الله قصيدة يرثي بهـــا بعض اهل الفضل ، الحائزين قصب السبق في العلـم والعمل والعدل في زمانه ، ذكرها سيدي بلقاسم رحمه الله في شرح السلوانية .

سبب هجرتـــه رحمه الله الى السودان

كان أحد شيوخه وهو الشيخ عبد الحق السكوني من فقهاء الزاوية الكبيرة ، قاضيا مبـــرزا ، ومفتيـــا مقصودا ، فاعتدى عليه احد السفهاء فقتله بسبب فتيا شرعية ضده ، ولا يخلو زمان ومكان من سفهاء يجرهم الحمق لارتكاب مثل تلك الجريمة .. ؛ فغضب تلميذه الرحالة سيدي ابراهيم لهذا العمل الشنيع ، وهجـــا ذلك المفسد وعاتبه عتابا حارا بصيغة الجمع في قصيدة نوه فيها بوجوب الهجرة الى الله ، والرحيـــل من جوار من تغيرت بسببهم البلاد ، ولم يقم فيها من يردعهم عن الغي والفساد ؛ وهذه ابيات منها :

تغيرت البـــلاد واحلـــولك الليـــل
وشب ضرام الشر وانهمر السيـــل
وءان الرحيل من بـــلاد تآمـــرت
بها المفسدون واستمر بها الهـــول
اتسكن ارض ليس ينهـــى سفيههـــا
ولا يتقي فيهـــا قصـــاص ولا عـــدل
ولا يأمن الاخيـــار شر شـــرارها
على خطر يبقى بها من له الفضـــل
تعيـــن فرضا ان يهاجـــر عنهـــم
الى الله من لـــه البصيرة والعقـــل
فتكتـــم بعبد الحـــق لا در دركـــم
على قوله للحـــق وهو لـــه اهـــل
هنيئـــا لـــه نيل الشهادة منكـــم
وويل لكـــم من حاكم حكمه العـــدل
نهينا عن الرهبان من غير ديننـــا
فكيف بأهل الدين جاءكـــم الويـــل
فان يشكوكم خلق الى خلق مثلكـــم
فانا شكوناكـــم لمن ما لـــه مثـــل

في ربيع النبوي عام 1165 هـ ، ونصها : الحمد لله ، لما ثبت العلم معقولا ومنقولا للامام الكبير ، الشيخ سيدي عبد الجبار بن احمد بن موسى البرزوزي الفجيجي رحمه الله ونفعنا به وبعلومه ، مصنف تفسير القرءان في اثني عشر جزءا ، ومختصر حياة الحيوان ، ولاولاده الثلاثة : سيدي ابي اسحاق ابراهيم ناظم الارجوزتين، احداهما في علم الدين تسمى مفيدة الولدان ، والاخرى في علم الصيد تسمى بروضة السلوان ، قل من نسج على منوالهما . وسيدي احمد القاضي ، واخيهما سيدي محمد فتحا الجامع بين علم الشريعة ودرجة حقيقة الولاية . وابنه سيدي ابى القاسم ، ناظم مختصر الشيخ خليل بن اسحاق ، بأوجز لفظ وحسن اتساق ، وشارح روضة السلوان المنسوبة لعمه المذكور ، وكلامهم في ذلك يشهد بغزارة علمهم ، وعباراتهم فيه تشهد بحذاقتهم وجودة قريحتهم ، وان فهمهم الثاقب ، في العلم انفذ من السهم الصائب، لله درهم . حسبما شهد لهم بذلك الائمة في كل الاقطار ، والعلماء بسائر الامصار ؛ هذا ، وأن ما جمعه الوالد المذكور واولاده في صدر القرن العاشر ، من خزانة الكتب بدار العدة المشهورة ببلد فجيج ، من اجل خزائن المدن واكبرها ، وليس الخبر كالعيان : (حبس) على من ينتفع به من الذرية وغيرهم بالنظر فيها والاستنساخ منها ان كان اهلا لذلك ... الى آخر ما فيها .

غير انه بكل اسف لم يبق من الكتب في خزانة دار العدة ، سوى اوراق مبعثرة لا فائدة فيها . اما الكتب المهمة فقد لعبت ببعضها ايد مفرضة ، حتى وصلت لخزانات اوربا وغيرها ، ووزع الباقي منها بعض ذرية محبسيها – كما في علمكم – حتى لا يؤل امرها الى ما صار اليه ما فقد منها . (ولله الامر من قبل ومن بعد) . – ثم لنرجع لشرح السلوانية ، فقد استغرق فيه ابو القاسم ستة عشر عاما ، فقد قال في ختامه : وكان الفراغ من تعليقه عشية الاثنين سادس عشر ذي حجة الحرام عام 986 ، كما كان ابتداؤه في حدود السبعين . ا هـ

والمظنون انه اتمه بعد رجوعه من وقعة وادي المخازن المشهورة ، اذ قد حضرها من جملة العلماء التابعين لشيخ المشايخ سيدي يوسف الفاسي الفهري دفين القصر الكبير . ولم ياخذ شيئا من فيئها تبعا للعارف بالله سيدي يوسف المذكور ، الذي تورع عن الفيء لاسباب معلومة في محلها . –

وقبل الختام ايها الاخوان ، اهيب بكم جميعا ان توجهوا قليلا من عنايتكم ، وقليلا من كرمكم ، للتعاون على طبع شرح منظومة السلوانية ، ما دام سهل التناول .. ؛ احياء لتراث علماء بلدنا ، وقياما ببعض حقوقهم علينا ، وتنويها بمكانتهم العلمية والادبية ، في وسط المثقفين من اهل مغربنا . وانتفاعا بئاثارهم الثمينة ؛ فانه شرح نفيس ينبغي لكل فرد منا ان يجعله ذخيرة لنفسه ولاجياله من بعده . واسم هذا الشرح هو : (الفريد ، في تقييد الشريد ، وتوصية الوكيد) ، وهو الذي قال عنه صاحب المنجد ، في زيادته الجديدة، انه موجود في خزانة الكتب ببرلين ، ونسبه لسيدي ابراهيم غلطا منه ، ذكره في حرف الفاء عند ذكره لفجيج .

نعم ، هذا الشرح موجود بفجيج ، وفي برلين، وفي باريز ، وفي الرباط ، وفي الجزائر . ولكن لم يهتد احد لطبعه لحد الآن ، وانما وقفنا على طبع القصيدة فقط ، اعتنى بطبعها وترجمتها ترجمة ملخصة للفرنسية : طبيب فرنسي من اساتذة كلية الجزائر ؛ كما ان نابغة المغرب السيد عبد الله كنون نقل من القصيدة مائة بيت وبيتين في الجزء الثالث من مؤلفه: « النبوغ المغربي » ، متع الله دولة الادب والثقافة بحياة سيدي عبد الله كنون واكثر من امثاله .

توفي ابو القاسم في عام 1021 هجري ، وعمره يناهز المائة سنة ، ودفن بضريح والده سيدي محمد بن عبد الجبار بالمسجد الجامع بقصر المعيز بفجيج ، رحم الله الجميع رحمة واسعة ، وجعلنا من المقتفين اثرهم في تحصيل الثقافة المغذية للقلوب والارواح ، المطبوعة بطابع المعقول ظاهرة على الالسنة والاشباح .

فجيج : محمد بن عبد الحق الودغيري

عام 1040 هجري ، والشريف الزاهـد سيدي مولاي عبد الله بن علي بن طاهر العلوي المدغري ، كما اشـار الى ذلك سيدي عبد الحفيظ الفاسي في مؤلفه : «رياض الجنة» ج 3 : ص 34 ، ويؤيد ذلك ما ذكره تلميذ ابن عاشر : الشيخ احمد ميارة في شرحه الكبير على نظم المرشد ، عند كلامـه على معانـي (لا اله الا الله) ، فاسمعوا معي للشيخ ميارة يقول : وهذا المعنى هـو الذي عقد شيخ شيوخنا ، الامام الشهيـر ، الحافظ الكبير ، الولي الصالح ، الحاج الرحال ، سيدي ابـو القاسم بن الامام الحافظ الاثير ، القاضي سيدي عبد الجبار بن احمد بن موسى البرزوزي الفجيجي رحمه الله بقـوله :

فصـل ومعنـى لا الـه الا
الله جـل الرب نعـم المولـى
ما في الوجود من الـه يعبـد
بحـق الا اللـه فـرد صمـد

الى آخر ما قرره في الثمانية الابيات من المعاني ؛ وفي وصف الشيخ ميـارة لسيدي بلقاسم بشيـخ شيوخنا كاف لحقيقة ما نقلنـاه .

حـالـه في عـامـة حيـاتـه

كان ابو القاسم رحمه الله ـ على ما بلغنا بطريق التواتر ـ مثالا للزهد الحقيقي ، في مأكلـه ومشربه وملبسه ، كأنه كان يمثل الحكمة العمرية : «اخشوشنوا واخاولقو فان الحضارة لا تدوم » . زاهدا كذلك فـي الحظوظ النفسية ، متباعدا عن التظاهـر . . . حتـى بالمقامات العلمية التي هو متصف بها ؛ وكان كثيـر الصدقة على المحتاجين ، وعلى الطلبة الوافدين لتلقي العلم عنه وعن غيره في زاويتهم ، اذ كانت نفقتهم جارية من داره سواء كان حاضرا ام غائبا ، وفي هذا المقـام كان عاملا بقول الله سبحانه : « ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

شعـــره

كان ابو القاسم مؤلفا بالنثر والنظم ، مثل نظمه لمختصر خليل ، وله اشعار حلوة سلسة في مقاصـد شتى . منها شعر نظمه عن ظعن واقامة غنمهم وانعامهم في مواقع المراعي وبهجتها ، ورحلاتهم بها في الصيـف والخريف والشتاء والربيع للمراكز المناسبة لكل فصل من فصول السنة ، مشيرا فيه للجمال الذي اودع الله في ذلك كله في آيات سورة النحل :

« والانعام خلقها ، لكم فيها دفء ومنافع ومنهـا تاكلون ، ولكم فيها جمـال حين تريحـون وحيـن تسرحون ، وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ، ان ربكم لرءوف رحيـم » الى آخـر الآيـات .

ان الاخبـار المتواتـرة ، وقرائـن الاحـوال المتكاثرة ، تـدل على ان فجيـج هـذا ، كان موئـلا للخائفين ، ومورد موردا للمتعلمين ، مـن اوساط القرن السادس الهجري الى آخر القرن الثاني عشر . باستثناء بعض الظروف الشاذة القليلة ، التي كان يظهر فيها بعض الفوضويين المعكرين للجو . ولكنه في مكـان دون ءاخر ، ولا يكاد ينتشر شرهـم حتـى تذهب مخاوفهم ، ـ ولقد اثرت دروس التربيـة الدينيـة والوعظ والارشاد ، في سكان هذا البلد تاثيرا بليغـا ولا يزال اثرها كامنا في نفوس اهله ، ظاهرا على اخلاقهم من تلك القرون حتى الآن . وليس الخبر كالعيـان وبعبارة اخرى : والمشاهدة اقوى دليـل واسطـع برهان ، ـ وما ظنكم ببلد انتشر بين سكانـه حفـظ القرءان ، واتحدت فيه دراسة التفسير والحديـث ، ودراسة الفقه ، ودراسة الاخلاق المؤسسة على منطوق وصريح الكتاب والسنة طوال قرون ، حتى كان بلـد فجيج في تلك الاحقاب يزخر بالعلم النافع في جميـع معاهده المتعددة ، وكان لا يحتاج الى غير علمائـه فـي الامامة والفتيا والقضاء . وكانت البلدان الاخرى تحتاج الى علمائه . وبفضل انتشار العلم ومحاربة الامية بهذا البلد ، حصل فيه لاهله الاستقرار التام ، والاطمئنـان على الانفس والامـوال .

ذلك هو العهد الزاهر الذي عاش في بحبوحتـه ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الجبار ، وابـن اخيه ابو القاسم ، وهما ايضا من جملة العلماء الذين يرجع اليهم الفضل في زمانهم في استقرار الامن وحسن التربيـة ، والثقافة العلمية في هذه الربوع .

وفي هذا الصدد لابد لنا من النظر الى وثيقـة تاريخية اثرية حاضرة معنا ، محررة بخـط واسلوب وتوقيع العلامة الاجل ، قاضي الجماعـة في زمانـه ، سيدي محمد فتحـا ابن ابراهيـم بن عبد الجبـار الودغيري ، التي نوه فيها بما كان لسيدي عبد الجبار واولاده من الباع الطويل في فنون العلم والتاليف ، وما كان لهم من الاعتناء بتخصيص خزانة كبرى جمعـوا فيها الكتب النفيسة للانتفاع بها ، كما هو الشأن فـي خزانات كبريات المدن . . الخ . مؤرخة هذه الوثيقـة

ثم أخذ بعد ذلك يشرح كلمة ربا فى اللغة وفى المفهوم وقد اعطى امثلة كثيرة من القرآن والاحاديث والاشعار ومن الكتب السماوية الاخرى واقوال بعض الائمة المسلمين المعاصرين للنبي (ص) وغير المعاصرين ففصل اولا مفهوم الربا فى الجاهلية فقال :

« روى مالك عن زيد بن اسلم فى تفسيره آية آل عمران قال : كان الربا فى الجاهلية أن يكون للرجل على الرجل حق الى اجل ، فاذا حل قال اتقضي ام تربي ، فاذا قضاه اخذ والا زاده فى حقه وزاد الاخر فى الاجل . ذكره الحافظ فى الفتح » وهذا ما يعرف (بربا النسيئة) اي ان الدائن يؤخر دينه والمدين يزيده فى المال وكلما أخره زاد فى المال حتى تصير المائة عنده الافا مؤلفة .

واما ربا الفضل فتحريمه من باب سد الذرائع كما صرح به فى حديث ابي سعيد الخدري (ض) عن النبي (ص) : لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فاني أخاف عليكم الرماء) (1) فمنعهم من ربا الفضل لما يخافه عليهم من ربا النسيئة .

وقد شرح المؤلف — وبكيفية دقيقة ومقنعة — الفرق بين ربا النسيئة وربا الفضل . معتمدا فى ذلك على النصوص القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة . مشيرا الى ان القرآن حرم الربا تحريما اشد ولهذا قال تعالى فى سورة البقرة آية 278 — 279 : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله» والاية الكريمة تشمل ربا النسيئة والفضل معا .

وجاء فى كتاب (الكبائر) قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا أضعافا مضاعفة . وقال «الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » .

وبعد ذلك تطرق الاستاذ خروفة الى أقوال بعض الفقهاء فى الربا خصوصا أقوال الحنفية ، والشافعية والامامية . والمالكية والحنابلة ، ففصل قول انصار كل مذهب على حدة فخرج بنتيجة واحدة وهي أن جميع المذاهب تحرم الربا ثم تساءل المؤلف لماذا حرم الاسلام الربا ؟

« هل للاسلام عداء مع طائفة من اتباعه ، وبعبارة صريحة : هل الاسلام يحارب الاغنياء واصحاب رؤوس الاموال او هل هو فى حاجة الى مجاملة الفقراء على حساب الاغنياء ، — كلا — ان الاسلام لم يحارب طبقة من الطبقات فى مجتمعه وانه لم يجامل طبقة على حساب طبقة أخرى كما انه لم يرد تعطيل الاعمال وشل الحركة التجارية وانما هو تشريع عام صالح لكل زمان ومكان يهدف الى خير المجموع ، لانه جاء للعاملين كافة ولم يأت للفقراء بمفردهم كما انه لم يأت للاغنياء بمفردهم ولم يرد ان تطغى طبقة على طبقة ولذلك حرم الربا » .

ولكن هل الاسلام وحده من بين الديانات الاخرى حرم الربا ؟ كلا فقد حرمت الديانات الاخرى الربا تحريما قاطعا . فالديانة النصرانية تحرم التعامل بالربا بين النصارى مع بعضهم وبين النصار وغيرهم . وهذا هو نص الانجيل فى تحريم الربا (2) « وان اقرضتهم الذين ترجون ان تستردوا منهم فأي فضل لكم فان الخطاة ايضا يقرضون الخطاة لكي تستردوا منهم المثل » .

ويقول المؤلف « بان الاجماع منعقد بين الكنائس جميعها على تحريم الربا » فلقد ثارت الكنائس حين أراد بعض المرابين استباحة الفائدة فلم ترض الكنيسة ولم تسمح بذلك . ولقد سجل الزعيم المسيحي (لوثر) موقفا خالدا حينما نادى بتحريم الفائدة وأعلنها حربا شعواء على المرابين حيث قال : « ان هناك اناسا لا تبالي ضمائرهم ان يبيعوا بضائعهم بالنسيئة فى مقابل اثمان غالية تزيد على اثمانها ... بل هناك اناس لا يحبون ان يبيعوا شيئا بالنقد ويؤثرون ان يبيعوا سلعهم جمعا بالنسيئة . ان هذا التصرف مخالف لاوامر الله مخالفته للعقل والصواب » .

وعن تحريم الربا فى الديانة اليهودية جاء فى الاصحاح الثاني والعشرين من سفر الخروج عدد (25) ما نصه : « ان اقرضت لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي » وفيه بعد ذلك « ان ارتهنت ثوب صاحبك فالى غروب الشمس ترده اليه .. لانه وحده غطاؤه ، هو ثوب لجلده .. فى ماذا ينام ؟ » . وجاء فى سفر التثنية بالاصحاح الثالث والعشرين : « لا تقرض اخاك الاسرائلي ربا ، ربا فضة او ربا طعام ، أو ربا شيء مما يقرض بربا » .

وجاء فى كتاب المقارنات والمقابلات بين أحكام

---

1) والرماء هو الربا . كما قال صاحب القاموس المحيط) .

2) انجيل لوقا فى الاصحاح السادس بالعدد 34 .



الربا والفائدة

في الشرائع الاسلامية واليهودية والمسيحية وعند الفلاسفة والاقتصاديين

تأليف علاء الدين خروفه
تقديم عبد الرحيم بن سلامة

الاستاذ علاء الدين خروفة من الباحثين الكبار الذين يهتمون بالموضوعات الاسلامية ولاسيما تلك التي تهم الاحوال الشخصية والقضايا المدنية في المعاملات الاسلامية .

ولقد شاءت الصدف أن أتعرف على هذا الانسان الذي يمتاز بدفاعه عن الاسلام ومحاربة كل الامراض التي تطغى على المجتمعات الاسلامية ، والربا في نظره مرض وبيل وداء عضال لا يصيب مجتمعا من المجتمعات الا انهك قواه وفرق شمله وارهق أعضاءه .

لذلك تفرغ الاستاذ خروفة لدراسة « الربا والفائدة » في مختلف الشرائع والديانات ، وقد كانت حاصلة جهوده ، هذا الكتاب الذي نحن بصدد عرضه والتعليق عليه ، وكتابه هذا هو عبارة عن محاضرة القاها سيادته امام أعضاء جمعية الاقتصاديين العراقيين « فرع البصرة » . وقد نوهت الصحف بكتاب « الربا والفائدة » فقالت عنه صحيفة العهد الجديد العراقية « انه أول كتاب يقنع القارىء ويبعده عن المعاملات الربوية » ونظرا لكثرة التعليقات عن هذا الكتاب القيم كتبت لصديقي علاء الدين أطلب منه كتابه الربا والفائدة ، فلبى سيادته طلبي فبعث الي مشكورا مجموعة من مؤلفاته من ضمنها الجزء الاول والثاني من كتاب الاحوال الشخصية والكتاب الذي طلبته . وقد ذيل كل كتبه بعبارات مجاملة اشكره عليها ، وكتاب الفائدة والربا يحتوي على 148 صفحة من الحجم المتوسط قسمها المؤلف الى ازيد من اربعين موضوعا درس من خلالها الربا والفائدة في الشرائع الاسلامية واليهودية والمسيحية وعند الفلاسفة والاقتصاديين ، وقد توصل سيادته الى نتيجة هامة وأساسية وهي ان جميع الديانات تحرم الربا والفائدة ولا تقبل المعاملات الربوية مهما كانت الظروف والاحوال .

وقد حاولت مرارا أن أعلق على هذا الكتاب القيم ولكن ظروفي في العمل والتحصيل لم تسمح لي بدراسة هذا الكتاب دراسة عميقة حتى يكون التعليق أيضا في مستوى موضوعات الكتاب .

وقد رأيت من اللازم أن أقوم بواجبي نحو مؤلف هذا الكتاب ونحو قراء هذه المجلة الاسلامية الذائعة الصيت . فاقدم لهم في عرض وجيز ما تضمنه كتاب الربا والفائدة من معلومات مفيدة .

لقد استهل المؤلف كتابه بقوله : « ان الاسلام عقيدة وانظمة ... اجتماعية واقتصادية وسياسية ... لقد شرع الصلاة ليضمن بقاء الانسان على صلة دائمة بخالقه الاعلى ، وشرع الصيام لحكم كثيرة منها بدنية ومنها دينية ، وشرع الحج لمنافع دينية ودنيوية واخروية ، وشرع الزكاة ليضمن تعاون الغني مع الفقير في سبيل تقدم المجتمع » .

اما الاستاذ عيسى عبده ابراهيم فيقول « لاكسب بالانتظار ، وأن العلة فى دفع الربا فى القرون الوسطى – ثم فى يومنا هذا – هي الانتظار ويعبرون عن ذلك بالانجليزية

واخيرا تعرض الكاتب الى المضاربات التي تتخبط فيها الابناك والمصاريف وصناديق التوفير الوطنية والاجنبية ثم تساءل هل هذه المضاربات والفوائد التي تعود منها ، تعد من قبل الربا أم لا ؟ وبعد بحث دقيق قام به المؤلف والتعرض لاقوال الكثير من فقهاء الاسلام اكد الاستاذ خروفة بأن الفوائد التي تجنى من المعاملات المصرفية والبنكية هي ربا لا تختلف عن ربا النسيئة او الفضل . وهنا ذكر موقف السيد رشيد رضا من الربا الذي ملخصه « أن الربا حرام نهى الله عنه فى كتابه » ، ثم موقف الاستاذ الاكبر الشيخ محمد شلتوت شيخ الجامع الازهر رحمه الله من الربا والفائدة حيث عارض الفائدة ودعا الى الغائها عام1950 ولكن ظروف بلاده – يقول المؤلف – جعلته يغير رأيه سنة 1960 بغير ما افتى به عام 1950 مستندا فى ذلك على الادلة الشرعية وهذا جائز اجتهادا .

❋

ولكن جمهور علماء المسلمين وفى مقدمتهم الاستاذ الجليل الشيخ محمد ابو زهرة والدكتور عبد الله درازة رحمه الله والاستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج عارضوا الفائدة بشدة ودعوا الى الغائها لانها لا تختلف عن الربا فى شيء بل هي الربا عينها . وقد ادرج سيادة المؤلف اقوال كثيرة للسادة العلماء الكبار . ونحن نكتفي هنا باجتهاد لجنة الفتوى التابعة للازهر الشريف التي تضم معظم العلماء الاجلاء المذكورين ، فقد نصت اللجنة على (ان اخذ فائدة من راس المال المودع فى بنك او احد المصارف محرم لانه من الربا المحرم بالكتاب والسنة والاجماع) (5) . وهناك فتاوي اخرى فى الموضوع لا يسع المقام لذكرها .

هذا هو راي الاسلام الصحيح .. الاسلام الذي لا يحابي احدا ولا يجامل فئة قليلة على حساب فئة كثيرة ، اما الاقتصاديون الذين اباحوا الفائدة فلا شأن لنا بهم ويكفي اننا عرفنا الكثير منهم نددوا بالفائدة وذكرنا اسماء لامعة لمؤسسي الاقتصاد الذين لو علموا أن هناك منافع سيجنيها الاقتصادي من الفائدة لقرروها ولكن اغلبهم استنكروها . فهذا اللورد (بويداور) يقول « ان الفائدة سبب أصيل من اسباب الاضطراب الاقتصادي الراهن » ولكن هل من الممكن ان نعيش فى مجتمع بلا ربا ؟ ان فى استطاعة مجتمعنا الاسلامي ان يعيش بدون ربا اذا اتبع المسلمون تعاليم القرآن والسنة الخالدة من دون الالتجاء الى تأميم المصاريف أو الغاء البنوك أو القضاء على رؤوس الاموال كما يظن بعض الاقتصاديين ولعل الزكاة احسن دواء للقضاء علىمرض ربا الفوائد حتى يستغني المحتاج عن الاقتراض بفوائد وليست الزكاة هي الدواء الوحيد بل هناك حلول كثيرة شرعها لنا لاسلام .

هذا هو كتاب « الربا والفائدة » لمؤلفه الاستاذ خروفة وهو كما رأينا كتاب مهم جدا يجدر بك أيها القارىء الكريم ان تعمل على اقتنائه والاستفادة من معلوماته القيمة

فاس : عبد الرحيم بن سلامة

---

5) فتوى صدرت عن لجنة الازهر الشريف بتاريخ 16 – 10 – 1916 تحت رقم 650 ونشرت بالجدول العشري الاول بعدد 1172 .

المرافعات والمعاملات والحدود فى شرح اليهود ونظائره من الشريعة الاسلامية الغراء تاليف محمد حافـــظ صبري ص 478 : « الربا محرم تحريما مطلقا بيـــن اليهود وبعضهم فيما يقترضه بعضهم من بعض . ومن تعامل به مقرضا كان او مقترضا فجزاؤه الخروج عن ملة اليهود » .

وهكذا تحرم الديانة اليهودية الربا أيضا فى كتابها المحرف ، ولكنها تحرمه على طريقتهم الخاصة ـــ بين اليهودي واليهودي ـــ وتبيحه بين اليهودي وغيـــر اليهودي .

وجاء فى الاصحاح (3) : « للاجنبي تقرض بربا ، ولكن لاخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب آلهك فى كل ما تمتد اليه يدك » وانها تفرقة ما أنزل الله بها من سلطان ولا اتى بها انجيل أو توراة او قرآن ، ولكنهم اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه وينسون خطا مما ذكروا به ، ومن هنا انطلقوا فأكلوا الربا من غيرهم وملاءوا العالم ربا فى الشرق والغـــرب والشمـــال والجنوب ، وتوسلوا بشتى الاساليب ، ولم يتورعوا عن سلوك كافة الطرق للحصول على المال ولذلك نعي القرآن الكريم عليهم حيث قال « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ، واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم أموال الناس بالباطل ، واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما » .

ولقد ذكر المؤلف امثلة كثيرة عن المجـــالات الاقتصادية التي سيطر عليها اليهود فى العالـــم منـــذ الازمنة القديمة حتى الان حتى صار الاقتصاد العالمي لقمة صائغة فى ايديهم نظرا لخروجهم عن تعاليم الديانة اليهودية .

وبعد ذاك انتقل المؤلف الى الربا عند الفلاسفة فتساءل هل هؤلاء نادوا هم ايضا بتحريمها فأتى بأقوال اهم الفلاسفة فى الربا فذكر بأن (ارسطو) و (افلاطون) و (سولون) و (سان توماد كان) وغيرهم كلهم نادوا بتحريم الربا . فأرسطو يقول « الارض يمكن أن تخرج نباتا ، والدابة يمكن أن تلد دابة مثلها . ولكن كيـــف يتصور ان يلد الدرهم والدينار درهما آخر ... لقد خلقته الطبيعة عقيما ويجب ان يبقى كذلك » (4) .

ومن هنا نفذ المؤلف الى موضوع آخر وهو سعر الفائدة فى مختلف دول العالم : فى امريكا ، وانجلترا ، وفرنسا ، وفى البلدان الاخرى فقال « وليست البـــلاد العربية من حيث انتشار الربا ـــ باسعد حالا من سائر بلاد العالم وبأن جشع المرابين الشرقيين لا يقل عن جشع المرابين الغربيين » .

وينتهي المطاف بالاستاذ خروفة الى الفائـــدة وظهورها وراي الاقتصاديين فيها فأتى بقول الاستاذ فائز الخوري فى كتابه : « مقابلة بين الحقوق الرومانية والحقوق الاسلامية والافرنسية والانجليزية » ص 338 « كانت الحقوق الرومانية اول حقوق أقرت جواز الفائدة واعتبرتها مشروعة ويسمونها Intérêt usure علـــى انها لم تكن واجبة فى كل قرض بل كان يتفق عليها بين المقرض والمستقرض بعقد مستقل عن عقد القرض يتم بطريقة التعهد Stipulation ولا يكفي لوجوب الفائدة تراضي الطرفين حماية للمستقرض وحذر استبـــداد المقرض وظلمه » .

هذا عن ظهور الفائدة . أما عن رأي الاقتصادي فيها فيقول المؤلف : « لقد دعا الى الفائدة وايدهـــا وتحمس لها كثير من علماء الاقتصاد من بينهـــم : (ميكافلي) (وبودان) (وسيرا وتوماس مـــن) . (وهنري جورج) (ومولر) (والفرد مارشـــال) . (وفلبن) . (وجون كوفنر) . (ورريزلي ميتشـــل) . و (فالفريدو وبوهم وباروك) . ومن ائمة المذهـــب الطبيعي نذكر (كيناي) طبيب لويس الخامس عشر فى مؤلفه « الجدول الاقتصادي » ومن ائمة المذهب الحر (ريكاردو . ومالتوس) . (وستيوارث ميل) (وجان باتست ساي) فى كتبهم الاقتصادية .

وكان ممن عارض الفائدة واستنكرها : « اللورد كينز » الاقتصادي الشهير وكذلك (آدم سميث) الذي يسمونه (ابا الاقتصاد) (1723 ـــ 1790) وراي هذا الاخير فى ريع الارض انه اذا تكاثر فى حساب الثروة العامة كان من قبيل الكسب بغير عمل وهو لا يمنـــع الربح من الديون ولكنه يحده ويستحسن الاقلال مـــن قيمته . اما العلامة (شارل جيد) فقد ذهب فى كتابـــه الاقتصاد السياسي المقرر فى بعض الكليات حتى الان ـــ الى (أن تحريم الربا من الضروريات فى العصـــور الغابرة والان) وقد كان لرأيه هذا اثر كبير فى الاوساط الاقتصادية .

---

3) نفس المرجع (أي الاصحاح الثاني والعشرين من سفر الخروج عدد 25) .
4) راجع (قصة الملكية فى العالم ، للدكتور علي عبدالواحد وافي وحسن شماتة ص 85) .

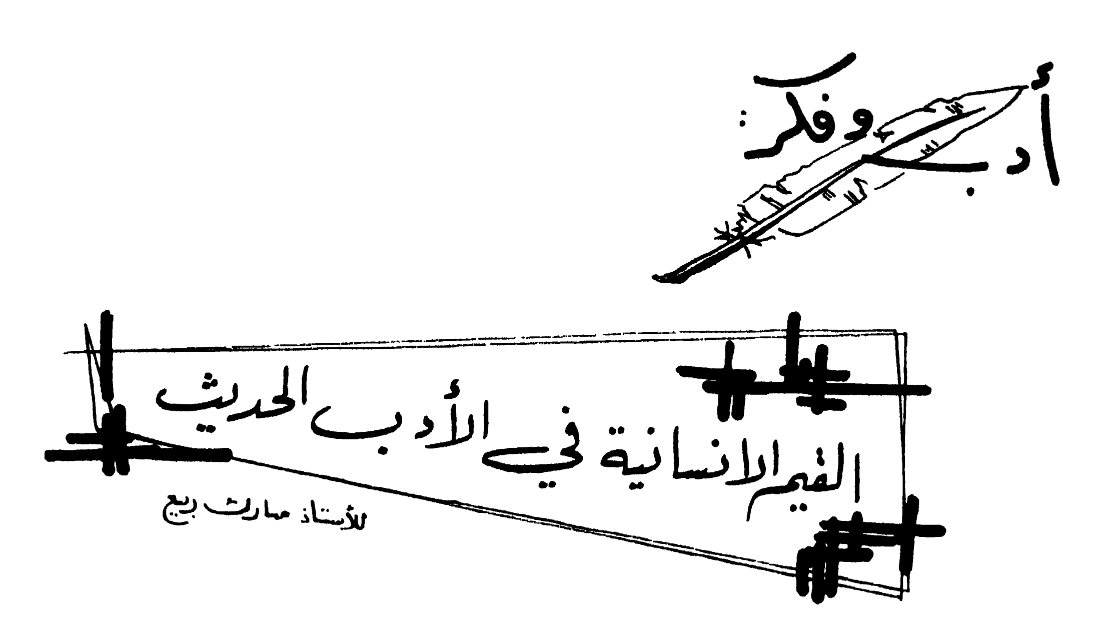
والتحليل يهدف الى بيان مظاهر الحياة المتناقضة من اقتصادية واجتماعية ، وهو بالطبع بمعناه الخاص، من مميزات المجتمعات الشيوعية والاشتراكية ، ولكن بمعنى عام فان التحليل ظاهرة فى كل أدب حي ، يهدف الى بلوغ نتائج ، واستخلاص العللمن معلوماتها وهو مرحلة من النضج الفكري ، تخرج بالادب من مجال العفوية البلهاء ، أو المجانية . وعندما ينظر كوزنتسوف على ضوء هذين الاتجاهين ، ـــ النزعة الانسانية والتحليل ـــ الى الادب ، يجد أن انتاج هذه السنة يتميز عن غيره من انتاجات قبله ، بظهور هذين الاتجاهين ظهورا لا تخطئه العين العابرة ، بله الناقدة والفاحصة ، ويحدد كوزنتسوف وظيفة هذين العاملين فى الاكتمال الفني للعمل الادبي فيرى أن : « هذين الاتجاهين موجودان بوفرة فى الادب المعاصر عامة ، وهما ما يضفي الحيوية على انتاجات هذه السنة .. »

والطيبة أي القصد الحسن ، واجتناب الاساءة الى الاخرين من أهم العناصر المكونة للنزعة الانسانية فى الادب ، وهذا العنصر الانساني لا تخلو منه أعمال كثير من الكتاب الذين يعد أدبهم ضاربا فى الانسانية امثال شولوخوف الذي يصور بطله فى «مصير الانسان» طيبا الى أقصى حد وحيث تبدو هذه الطيبوبة ذاتوظيفة اساسية فى تطوير الاحداث التي تتقاذف البطل ، ويتنافى مفهوم الطيبوبة هنا مع الغفلة . فبطل شولوخوف فى اتم درجات الوعي . وطيبته هذه تدفعه الى المغامرة فى سبيل الاخرين ممن نكبتهم الحرب كما نكبته ، والى العمل على تخفيف الالام والمساهمة بكل الجهودالمعنوية والمادية لنصرة العدالة . فهو ليس مجانيا ولا عبثيا . وهناك دائما وراء كل تصرف أو سلوك تجسيم لطموح حار نحو فهم حقيقة الانسان والكون . وتثبيتها ، انها طيبوبة ايجابية فاعلة بناءة تنبع عن شعور بالمسؤولية التي يلقيها مفهوم « انسان » على كل من يحمله . وبهذا تختلف الطيبوبة الانسانية عند شولوخوف وفى الادب الحديث عامة ، عن نظيرتها التي خلفها العصرالروماني الذهبي كطيبوبة « الاحدب » أو حتى طيبوبة « فالجان » عند فيكتور هيجو ، فتلك طيبوبة تنبعث عن ـــ عنصر متافزيقي أو دافع لا شعوري ، فهي تستجدي الشفقة وتثير عواطف الرحمة . وطيبوبة الانسان الحديث تنبع مباشرة من معطيات الواقع وتستمرمرتبطة بهذا الواقع فى خط أفقي يعمل على فهم هذا الواقع ، وتيسيره لسعادته وامنه وسلامه ، فهي نقيض الاستكانة ومعادل القوة ، وصنو العدالة والمساواة . وتبعا لاختلاف بنية الطيبة فى انسان اليوم ، تغير كذلك مفهوم البطولة .

والرؤية البطولية فى أدب اليوم اتجاه جديد لم يظهر فى ادب ما قبل الحرب الاخيرة ، أو على احسن تقدير لم يظهر قبل القرن العشرين ، الا فى قوالب هزلية : بطولة الفاشل ، حقا يمكن ان يستشف المتفحص من وراء قوالب السخرية والهزء ، مرارة تفيض عن شعور الكاتب الساخر بعمق المأساة الانسانية ، ومعارضة شرائط الواقع البشري ، لمطالب الكرامة والعدالة . ولكن هذا المضمون لا يستخلص الا بمجهود يخترق ضباب السخرية المكثف والذي قد يكون الداعي الى تكثيفه ضغط الظروف المجتمعة اكثر من الضرورات الفنية . فبطل اليوم ، يقف منذ الوهلة الاولى عاريا من الاقنعة ، واول ما يواجهك فيه بطولته المخالفةلما عهدناه فى عصور البطولات التاريخية ، انها بطولة فشل أو بطولة لا تأنف من أن يخالطها عنصر الفشل المؤقت، الفشل الذي يخترق دكنته وقتومته ، اشعاع الامل فى غد سعيد ، وهذا يلتقي ايضا بمعنى الطيبوبة السابق، فبطل اليوم بانسانيته ، يعي فشله أمام مختلف القوى المعارضة ، ولكن نظرته لحظة الفشل ، لا تخلو من معالم البسمة ، بسمة التفاؤل والامل ، بسمة الرجل الطيب ، الذي يعاود الكرة ويبذل الجهود من جديد لتحقيق الهدف النبيل ، وليس من قبيل الصدفة أن تظهر معالم هذه البطولة الانسانية فى انتاج ادباء العصر الحديث على اختلاف مذاهبهم فى الحياة أو اختلاف ظروف البيئة المحيطة التي ينتمون اليها ، وينتجون فى ظلالها ، فأبعاد التجربة البطولية عند شولوخوف تلتقي كل الالتقاء مع ابعادها عند همنجواي. فشيخ همنجواي يواجه فشله أمام البحر ـــ والبحر هنا رمز لمختلف عوائق الانطلاق ـــ بنفس المرارة والامل التي يواجه بها انسان شولوخوف مصائب الحرب ، وكل من البطلين فى طيبوبته البطولية يرنو الى المستقبل الى الغد أي انه يعاود التجربة .

ونعود الى حديث كوزنتسوف فى مؤتمر الكتاب فاذا هو يعدد من مظاهر البطولة الجديدة ما يغاير المفهوم التقليدي ، فمفهوم البطولة (اليوم) يتضمن عدا الشجاعة ، التحمل ، وسمو النفس . وهذه التجربة البطولية بالنسبة للحرب ، تكتمل لدى الانسان المعاصر فى مفهوم العالم » وكزنتسوف فى هذه العبارة يلمح الى مفهوم العالم ، الذي اصبح فى عصرنا ، قطعة واحدة متصلة ، يتأثر اقصاها بأقلما يحدث فى ادناها .

ويأتي كوزنتسوف بعد ذلك الى « مظهر آخر للنزعة الانسانية فى الادب المعاصر ، وهو تفاعل الكاتب مع بطله الذي هو أحد أفراد الشعب تسيطر



لا شيء كالتجمعات الادبية والمؤتمرات يوضح المراحل التي قطعها الادب فى مجال التعبير عن بواطن الانسان بل وقيمة هذا التعبير . ويرجع ذلك ولا شك الى جو النقاش الذي يسود خلال المؤتمرات . والاحتكاك الفكري . وبهذا الصدد نحاول أن نلقي بعض الاضواء ، على المناقشات التي دارت على هامش مؤتمر اتحاد الادباء السوفييت ، هذا المؤتمر الذي بلغت مناقشاته هذه السنة عمقا وتفتحا على مشاكل الادب لعلها لم تبلغها اي دورة من دوراته السابقة . ومما يلاحظ ان هذا المؤتمر كان فى الحقيقة مجرد نقطة مركزية تدور حولها المناقشات ، والا فان المناقشات تعدت جدران قاعاته وحصص الجلسات الرسمية . فمختلف المجلات العالمية كانت تساير ما يدور بواسطة مبعوثيها وبواسطة الوفود الاجنبية التيحضرت المؤتمر وفى الاتحاد السوفييتي نفسه لم تكن المناقشات الدائرة على الهامش ، خارج المؤتمر ، بأقل عمقا أو تفتحاعلى المشاكل مما يجري داخله . وقد شارك فى خلق هذا الجو جمهرة من النقاد الادباء على السواء. وتبدت بدون شك خلافات حول كثير من القيم ، ومدى وعي الكتاب — لمسؤولياتهم ، ولقيمة الكلمة ، او تغافلهم عن ذلك . وتطرقت الدراسات خلال المؤتمر أيضا الى جانب النقد ودوره فى ازدهار الادب ، ورسالته .

وبالرغم من ان ما يتبادر الى الذهن أولا ، هو أن هذه الاضواء تساعد على فهم الادب السوفييتي ، وتبين معالمه وحده . وان الفائدة من هذا مهما تكن كبيرة على الادب والادباء فهي لا تعدو أن تكون أضواء على جزء من عالم الادب ، هو جزء العالم السوفييتي أو العالم الاشتراكي على اكبر تقدير ، وبالتالي فهي اضاءات قاصرة ، بالرغم من كل ذلك فان الاتجاه الذي اتخذه المؤتمر هذه السنة ، وتعدد المشارب المشاركة فيه ، والمشاكل التي تفتح عليها ، لا تدع مجالا لهذه الخاطرة، فالمؤتمر لم يكن عديم الاتصال بالاداب المختلفة ، بل كانت مأخوذة بعين الاعتبار ، بالاضافة الى أن المؤتمر أبان عن القيم والمبادىء التي من شأنها أن تكون عاملا مشتركا بين كل الاداب والمهتمين بها . ويتجلى ذلكعلى سبيل المثال فى الحديث الذي ساقه الاديب والناقد الروسي ميخائيل كوزنتسوف (1) ، وقد ركز فى هذا الحديث — الذي كان له وقع طيب فى نفوس المؤتمرين، نظرا لما اتسم بهمن دقة وعمقووضوح — على «النزعة الانسانية والتحليل « **Humanisme et analyse** »ورأى أنهما القيمتين اللتين ينطبع بهما الادب الحديث ، والنزعة الانسانية هذه ، بما تتميز به من محبة للبشر على اختلاف الاجناس ، ومحاولة التعبير عن مشاكلهم ، ودفاع عن حياة السلم والمساواة ، وجدت ما يغذيها فى ادب ما بعد الحرب العالمية الثانية التي اكتوى بنارها العالم اجمع ، ولاشك ان أسباب الاتصال القوية بين اجزاء العالم اليوم ، والشبح الذري الجاثم على رأس الانسانية يهدد فى كل مرة بالانقضاض ، كل ذلك أيضا له اثره فى نسج خيوط الاتجاه الانساني فى الادب الحديث .

---

1) انظر تلخيصا لاهم وقائع المؤتمر الادبية فى مجلة : **Œuvres et Opinions - Sept. 1967**

الادب الى نطاق التحليل المجتمعي والتاريخي وذلك ادلى به أن يتناول فى حديث خـــاص .

اما عن نقطة التحليل والتركيب وهي النقطة التي تتصل اتصالا مباشرا بما قرره ميخائيل كوزنتسوف فى كشفه عن القيمتين الاساسيتين للادب المعاصر . يرى ستاريكوف ان التحليل يعرض صعوبات جمة ولا يمكن للادب المعاصر أن يقف عند هذه القيمة وحدها بل لا يمكن لدارس الادب أن يتخذها القيمة الاساسية ما لم يرافقها التركيب Synthèse الذي يشكل القيمـة الاساسية الحق ، التي تخرج بالادب من مهامه التحليل ومنعرجاته الغامضة الى الهدف المرســوم ، وقـــد يستدعي لفظ التركيب وقفة ، فاذا كان التحليل يـــرد الكل الى أجزائه وعناصره ، أيقسم الظاهرة حسب منهج علمي محدد للكشف عن مكوناتها ، فان التركيب هو الرؤية الكلية المتكاملة للظاهرة من خلال عناصرها المحللة ، هذه الرؤية هي ما يعطي للظاهرة معناها . فالتحليل لا يكفي اذن لان الكشف عن المكونات والدقائق التي تتضمنها الظاهرة ، لابد أن تصحبه ضمـــنا أو صراحة عملية تركيب ، أما اذا تخلت عنه هذه العملية فمعنى ذلك ان المحلل بعيد عن فهم الظاهرة المحللـــة ، ومهما يبلغ من عمق التحليل فلن تكون وراءه فائدة .

ويسير يوسف كرنبرك فى نفس الاتجـــاه أي فى اعطاء الاهمية الى عملية التركيب ، فهو يـــرى ان الوقوف عند التحليل فى الادب لا يكفي اذ « يجـــب أن يستمر التحليل حتى يؤدي الى التركيب » بيـــد أن التركيب لا يجب على المؤلفين الادباء فحسب بل ان ذلك يقع على عاتق النقاد ايضـــا .

وفى الواقع ان مفهوم التركيب يتضح بصفة أكثر فى عمل النقاد فالناقد عندما يدرس الاثر الادبـــي أي عندما ينتهي من دراسة التحليل الذي يقدمه المؤلف ، يكون عليه بالضرورة أن يقوم بعملية تركيب وبـــدون هذه العملية لا يمكنه قط ان يصدر حكما قيميا معقولا على الاثر الادبي ، ولكن يجب الانتباه أيضا الى عملية التركيب النقدية ان هي الا تركيز لعملية التأليفية ، التي قد تكون ضمنية فى العمل الادبي من جانب المؤلف .

وبصدد العلاقة بين التحليل والتركيب سواء عند النقاد او عند الكتاب يرى تشنكيز جوزستوف فى كلمة له بعنوان : « جو الادب » ان العمل الادبي الاصيـــل يتضمن التركيب والتحليل بالضرورة . فالكاتب على هذا الاعتبار ليس « مجانيا » بل هو هادف فى عمله ، واع له ومن هنا فعلية التركيب النقدية لا يمكن ان تعفي الكاتب من نفس العملية وهو يؤلف . وهو ما يؤكد ان العمليتين متلازمتين ومتكاملتين وهو ما اكده ايضا فى الاخيـــر الناقد « ليف باكمنكو » الذي أجمل آراء سابقيـــه فى قضايا التحليل والتركيب وراى « ان التحليل آخر الامر لا يتصور بدون تركيب (...) فالصورة الادبية الكاملة تنشأ ابتداء من التركيب » . فالتركيب هو شهـــادة الكاتب بمعرفة القوانين الموضوعية لعصره وهو لا يمكن أن يحصل الا بالتحليل المعمق .

هكذا يمكن ان نخلص من دراسة هذا المؤتمـــر الادبي الى القيم المميزة للادب المعاصرة وهي النزعة الانسانية والتحليل والتركيب . والواقع ان القول بهذه الخصائص او القيم لا يعني ان التشريحات السيكلوجية، والتأملات الذاتية منعدمة فى هذا الادب وهذا ما نبه اليه جوزستوف عندما تحدث عن الادباء الشبـــاب ، ووجوب الاهتمام بما ينتجون وقد راى انهم ، يحاولون ان يخلقوا من جديد « عالم الافكار » فى عصرنا ومن هنا كان اهتمامهم بالتحليلات السيكلوجية والتأمـــلات الذاتية .

الرباط : م . ربيع

أفكاره وآماله على اهتمامات للاديب وتأخذ النصيب الاوفر منها » .

اما عن التحليل فيرمي الى تكوين « نظرة واقعية واضحة للاشياء » وهو تحليل معمق للكشف عن دقائق الواقعة « تحليل متأني ، لاشد احداث الحياة تعقيدا ، ضمن مجموع الظروف النموذجية واستخلاص للنتائج الكلية » ومن اهم ما واجهه التحليل الادبي ، وتائع المجتمعات القروية . وكما راينا أن ما يسوقه الناقد الروسي فى هذا الحديث لا ينطبق على الادب السوفييتي وحده ، فى المفاهيم البطولية الجديدة ، وكما قارنا بين رؤية اديبين نموذجيين ، من معسكرين مختلفين هما همنجواي وشولوخوف ، فكذلك لا تقتصر ظاهرة تحليل المجتمعات القروية على الاتحاد السوفييتي . بل ان ادباء امريكا اللاتينية وفى البلاد العربية انتبهوا الى بؤس الفلاح ، وتناقضات الحياة القروية فجاءت اعمالهم تشريحا باقوى المعاني لمجتمعات القرى رغم اختلاف البيئة ومناهج التحليل ، ومظهر التحليل هذا سواء كان قرويا او حضريا ، يضع مشكلتين فرعيتين او على الاصح يتيح فرصة لتساؤل مزدوج : هل يقف دور التحليل فى العمل الادبي على اداء الجانب الموضوعي أم له وظيفة فنية ما ؟ وما أهمية الكشف الذي يمكن أن يؤدي اليه هذا التحليل ؟

أما السؤال فلم يتطرق اليه حديث كوزنتسوف ، وربما لاح الجواب عنه ضمنيا من بين السطور . وبالطبع لن نقول هذا الناقد ما لم يقل ، وعليه فيبدو لنا ، أن التحليل مهما يطغ فى أعمال الادباء على اختلاف مشاربهم ومناهجهم ، فهو لا يعدو أن يكون وجهة نظر ادبية ، فهو لن يبلغ مرتبة التحليل السوسيولوجي الموضوعي الذي ينجز تحت تأثير المبدأ والغاية العلميين . فالاديب ليس عالما وحتى لو ان أمكن أن تزدوج فيه شخصية الاديب مع شخصية العالم، فهو أثناء عمله الادبي لا يصدر الا عن الاديب ولا يرى قراؤه فيه الا هذا الجانب ، على أن هذا لا يقلل ابدا من قيمة الرؤية الادبية بالنسبة الى الرؤية العلمية فبامكان العمل الادبي عن طريق التحليل أن يؤدي الى أهم النتائج ، وبهذا كانت نتائجه تفوق نتائج التحليل العلمي المقصود فى أهميتها ، لان هذا التحليل الادبي قد يكون الملهم الى التحليل العلمي ، والهادي اليه . ويقودنا هذا الى السؤال الثاني الذي اثاره بالفعل كوزنتسوف واجاب عليه وهو السؤال المتعلق بالقيمة الموضوعية للكشف الذي يؤدي اليه تحليل الاديب للمجتمع سواء كان قرويا أو حضريا . للاجابة على هذا السؤال يستعير كوزنتسوف عبارة ناقد وأديب آخر هو سرجي زاليكين الذي يقول فيها : « ان الاديب لا يكشف شيئا اذا اتخذنا كلمة اكتشاف بمعناها فى اللغة العامية . ومهمة الكاتب ، تنحصر فى أن يرى ما يوجد بل وان يرى ما هو معروف لكنه يظهره من وجهة نظره الخاصة ... » .

الاديب اذن ليس عالما ، ولعل النزعة العلمية عند بعض الكتاب ، هذه النزعة التي تجعلهم يكتبون عن مشاكل المجتمع بطرق التحليل العلمي ، متوخين الموضوعية فيما ينتهون اليه من كشوف ، قد تعرض ادبهم للجفاف ، وبالطبع لا ينطبق هذا القول على كتابة الادباء — المتنبئين الذين يسيرون على طريقة جول فيرن او ويلز ... فأمثال هذين يكتبون أساسا ، معتمدين على الخيال وليست عندهم الموضوعية العلمية ، وكشفهم ادبي بكل معنى الكلمة ... وبمثل هذه المناقشة ينتهي كوزنتسوف الى التأكيد على الخاصيتين الاساسيتين اللتين تميزان الادب الحديث وهما : التحليل والنزعة الانسانية . انهما حسب تعبيره « الكلمات — المفاتيح » لهذا الادب .

وقد راجت فى المؤتمر قضايا اخرى . وكان الناقد الروسي ديمتري ستاريكوف ممن عمقوا كثيرا من المفاهيم المتعلقة بالادب المعاصر كما القى اضواء اضافية على ما أثاره زميله السابق فقد تناول نقطتين هامتين أولاهما عن الشروط الموضوعية التي تعلل تطور الادب ، والثانية عن علاقة التحليل بالتركيب . وبالنسبة للنقطة الاولى، اي الشروط الموضوعية لتطور الادب يرى ستاريكوف اننا عندما نشاهد مرحلة جديدة فى الادب ، اي أننا عند حدوث تطور فى عالم الادب أو ظهور صور جديدة او اختفاء الوان قديمة، كثيرا مانقول فى مثل هذه الحالات التعليل الظاهرة الادبية ، ان ذوق الجمهور قد تغير أو قد تطور فنطلب ظهور كيفيات جديدة فى الادب . ويرى ستاريكوف انهذا ليس صحيحا لان القول بذوق الجمهور كعلة فى تطور الادب يغفل الاسباب الموضوعية لذلك التطور ، وذوق الجمهور بدوره ، ليس الا معلولا لنفس العلل التي عملت فى تطور الادب ، أما الاسباب الحقيقية فى نظر ستاريكوف فهي علل تاريخية وهو يقول : « ثمة شروط تاريخية موضوعية تحدد مفاهيم القيم الجمالية والايديولوجية ثم علل موضوعية هي التي تتطلب من الادب كيفيات جديدة مطابقة للمرحلة الجديدة من نمو البلد » وطبعا لن نناقش هنا فكرة الحتمية التاريخية التي ينبني عليها هذا القول ضمنا لان مناقشتها قد تخرج بنا من نطاق



صاحب الجلالة يثني على نشاط وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وجهودها بمناسبة تقديم المصحف الشريف

فالهم دام له التوفيق والتاييد ان يعنى بكتاب الله في عصره المجيد . فيكتب بخط مغربي أصيل على رواية ورش . ويجلى بما يناسبه من التعظيم والتبجيل . فعهد نصره الله الى وزيره فى الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج أحمد بن عبد الرحمن بركاش ليقوم بهذه المهمة .

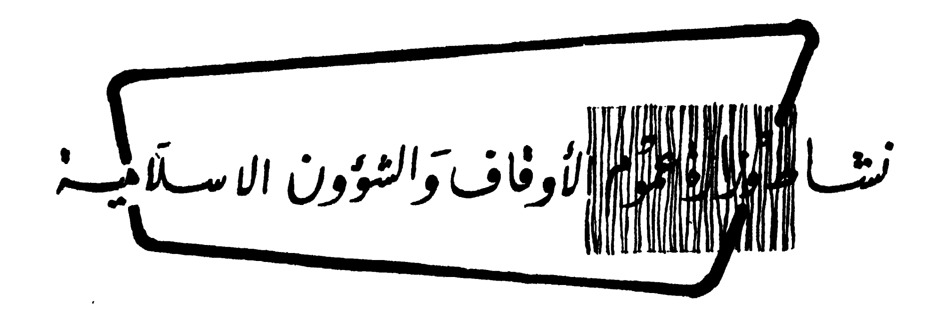
وهنا جند معالي الوزير جميع الكفايات . وبذل اقصى المجهودات فى البحث عن امهر الخطاطين ، وأجمل النقوش المثبتة فى الدواوين ، وعين العلماء الاكفاء ، وفقهاء القرآن ، للعناية بمصحف الحسن الثاني عناية تحقق كامل الاماني .

وكلف بالاشراف على الاعمال الفنية السيد مصطفى الكوش رئيس قسم الخزانة والمستندات بالوزارة ، كما اختير لكتابة المصحف الكريم السيد أحمد بن الحسين السوسي البهاوي ، وعين الفقهاء والاساتذة : السيد عبد الله بن العباس الجراري والسيد احمد الحسناوي والسيد مبارك الحطاب الدكالي والسيد محمد بن كبور العبدي والسيد محمد بربيش والسيد الحاج العربي بن محمد الحمري والسيد الحاج المهدي المطاعي لتصحيح رسم المصحف ، وضبط مصطلحاته فبرز فى حلته القشيبة الاخاذة ، وذلك كله تحت اشراف الكاتب العام لوزارة الشؤون الاسلامية السيد عبد الرحمن بن ابن شعيب لدكالي ، شكر الله اعمال هؤلاء وكل من عمل ويعمل تحت راية القرآن ، انه مجزل العطاء والاحسان »

وهكذا اضيف هذا المصحف الكريم الى اعمال سيدنا ومولانا الامام اعلى الله به منار الاسلام .

واننا لنرجو الله سبحانه ان ينفع بهذا العمل الجليل صاحب الجلالة امير المومنين ، الحسن الثاني، وان يطيل عمره ، ويبارك فى حياته لنفع البلاد والعباد، زاهرة ايامه ولياله ، بالمعالي والامجاد ، ويقر عينه بصاحب السمو الملكي ، ولي العهد المحبوب المجد ، الامير الجليل سيدي محمد ، وسائر افراد اسرته الملكية المجيدة ، وان يمطر سحائب رحمته ورضوانه على فقيد العروبة والاسلام ، وبطل التاريخ ، ومعجزة الايام ، سيدنا ومولانا محمد الخامس رضى الله عنه وارضاه ، وجعل جنة الفردوس مثواه » .

ويوجد فهرس ابجدي لسور القرآن الكريم ورقم ترتيبها فى المصحف ، وقد كان الترتيب الابجدي حسب النطق لا المادة .



مصحف الحسن الثاني

تم طبع مصحف الحسن الثاني قبيل شهر رمضان المعظم ، وقد قدم معالي الوزير السيد الحاج احمد بركاش الى مقام حضرة صاحب الجلالة النسخة الاولى من المصحف المذكور .

ومصحف الحسن الثاني جاء فى شكل جميل وخط مغربي رائع ، وقد كتبت على الغلاف العبارة الآتية :

قرآن كريم : طبع هذا المصحف الشريف بأمر مولانا امير المومنين ، وحامي حمى الدين جلالة ملك المغرب الحسن الثاني نصره الله عام 1387 ، وفى الصفحة التالية آية مكتوبة بحروف ذهبية وهي :

فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

وفى صفحة خاصة كتب الظهير الشريف الخاص بمصحف الحسن الثاني ، وننقله كله فيما يلي :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

نحن عبد الله المعتمد على الله امير المومنين ملك المغرب .

الطابع الشريف

نهدي اليك ايها المسلم الكريم حيثما كنت من مشارق الارض ومغاربها هذا المصحف الشريف راجين من الله جلت قدرته ان يجعله بين يديك نورا يهديك الى أقوم السبل فى دنياك واوضح المسالك الى آخرتك وشفاء لنفسك وطهرا لقلبك وقوة يشتد بها عزمك وتتمكن بها ارادتك ويعلو بفضلها شأنك بين الناس ومقامك بين الانام وتحل بها ارفع الدرجات وتبلغ معها أسنى ما تتوق اليه نفسك من مقاصد وغايات .

واملنا ايها المسلم الكريم ان يثيب الحق سبحانه وتعالى عملنا هذا أجزل الثواب ويلهمك كلما رتلت هذا الكتاب ترتيلا وتلوته تدبرا واستبصارا واحتسابا بالدعاء لنا بالهداية والتوفيق والتأييد فيما نحن مضطلعون به من مهام ومطوقون به من مسؤوليات عظام وما نقوم به دفاعا عن حوزة الملة والدين وصيانة لكرامة المسلمين وسعيا لصلاح شعبنا واعلاء كلمة امتنا .

ورجاؤنا اليك ايها المسلم الكريم ان تسأل الله كلما تناولت هذا المصحف الشريف أن يقر عيننا بولي عهدنا ويحقق ما نتيطه به من ءامال ويغدق شئابيب رحمته على فقيد العروبة والاسلام جلالة والدنا الملك المجاهد الصادق الامين محمد الخامس ويبوئه اعلى درجات عليين ويعز الاسلام والمسلمين ويؤلف قلوبهم اجمعين انه بالمومنين رءوف رحيم .

وختم المصحف بآية كريمة وهي :

« وتمت كلمات رب صدقا وعدلا » ، وتتميما للفائدة فسنثبت كلمة فى آخر المصحف تبين المراحل التي مر بها والسادة العلماء الذين عملوا على انجازه وهي كما يلي :

« الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبهديه تخلص المقاصد والنيات ، والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين محمد بن عبد الله ورسوله ، وآله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد ، فقد اراد الله سبحانه ان يضاعف الاجور ويخلد العمل المشكور على ممر الازمان والدهور لعبده الخاضع لعزه وسلطانه ، الفريد فى عصره واوانه، امير المومنين ، وحامي حمى الوطن والدين ، ورافع راية المسلمين ، الملك الصالح الموفق الامين ، المتمسك بالقرآن والسبع المثاني ، سيدنا ومولانا الحسن الثاني،

وقد كانت هاتان المناسبتان فرصة طيبة توجهت فيها جموع من المومنين لصالح الدعوات واحر الابتهالات الى الكبير المتعال بأن يحفظ مولانا امير المومنين الذي يولي لشؤون الدين كامل عنايته ويبقيه ذخرا للبـلاد والعبـاد .

حصص خاصة بشهر رمضان المعظم للداخل والخارج :

طبعت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية عدة حصص خاصة بتوقيت المغرب بمناسبة شهر رمضان المعظم ، كما طبعت هذه السنة عدة حصص خاصة بتوقيت الامساك والافطار فى شهر رمضان وأوقات الصلاة للجالية المغربية المسلمة المقيمة بالخارج .

وقد وجهت الوزارة حصصا خاصة بتوقيت بريطانيا وبون وهولاندة وفرنسا وبروكسيل ومدريد باسبانيا . وهكذا يمتد اهتمام الوزارة ونشاطها لا الى المواطنين فى الداخل فحسب بل ان عنايتها تشمل حتى المواطنين العاملين فى الاقطار الخارجية طبقا للتعاليم الملكية السامية التي يشمل بها صاحب الجلالة الملك المعظم رعاياه فى الخارج ايضا . وحرصا على ابقاء الروح الاسلامية فى نفوس المواطنين النازحين عن اوطانهم والذين يعملون فى الخارج .



« دراسة قضايا الحج »

عقد معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش اجتماعا بمقر وزارته حضره ممثلون عن وزارات الخارجية والداخلية والصحة والمالية والشؤون الادارية والاشغال العمومية ، وممثل عن كل من الشركة الجوية الملكية للطيران والشركة الوطنية للملاحة البحرية .

وقد خصص هذا الاجتماع لدراسة قضايا الحج ووضع الترتيبات اللازمة لضمان نقل حجاجنا الميامين فى موسم الحج المقبل الى الديار المقدسة فى أحسن الظروف والاحوال ، تنفيذا لتعليمات مولانا امير المومنين الذي يولي هذا الركن العظيم كامل عنايته ويشمل الحجاج بجميل رعايته .



معالي الوزير فى حفلة تدشين المسجد الذي بناه المحسن السيد الحاج ميلود الشعبي

تدشين مسجد بالقنيطرة

توجه معالي الوزير السيد الحاج احمد بركاش الى مدينة القنيطرة لتدشين المسجد الذي بناه المحسن السيد الحاج ميلود الشعبي حيث ادى به صلاة الجمعة بمعية رجال السلطة المحلية والقضاة ووسط جمهور غفير من المواطنين .



السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية محفوفا بالسيد العامل والسلطة المحلية فى طريقه الى تدشين المسجد

تنظيم حملة الوعظ والارشاد

وفى نطاق الاستعدادات لشهر رمضان المبارك عقد معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بمقر وزارته اجتماعا حضره نخبة من العلماء وضعت خلاله الترتيبات النهائية لحملة الوعظ والارشاد التي اعتادت هذه الوزارة تنظيمها خلال هذا لشهر المبارك من كل سنة نظرا لما يكتسيه من قدسية خاصة .

وفى نهاية هذا الاجتماع حض معاليه السادة العلماء على بذل قصارى جهودهم لانجاح هذه الحملة استجابة للواجب الديني والوطني الملقى على عاتقهم وتلبية لرغبة مولانا أمير المومنين دام له النصر والتمكين الذي يحرص على ان يظل ابناء هذا الشعب الابي متمسكين بتعاليم دينهم الحنيف وشريعتهم المطهرة .

تدشين عدة مساجد بالمملكة المغربية

انتدب معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد سعادة الكاتب العام بوزارته السيد عبد الرحمن الدكالي لينوب عنه فى تدشين المسجد الذي شيده مكتب الاستغلالات الصناعية بالفوارات .

كما كلف سيادته ناظر الاوقاف بالدار البيضاء لينوب عنه فى تدشين مسجد بن حمان الذي اعادت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بناءه من جديد .

* زار المغرب ، وفد عن الشبيبة الالمان . بهذه المناسبة اقام كاتب الدولة فى الشبيبة والرياضة حفلة استقبال على شرفهم .

* تراس الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس ، بمقر رئاسة الجامعة ، اجتماعا للجنة علم الزلازل ، التابعة للجنة الوطنية لليونيسكو . وحضر الاجتماع ممثلون فى هذا الاختصاص من مختلف المصالح المغربية .

* نظمت ممثلية منظمة التحرير الفلسطينية معرضا فنيا بالرباط ، شارك فيه رسامون مغاربة وفلسطينيون ، خصص ريعه لضحايا العدوان الاسرائيلي .

* اذن صاحب الجلالة الحسن الثاني ، بفتح الخزانة الملكية لجميع عموم الباحثين ، ليستفيدوا من كنوز مخطوطاتها ووثائقها ، وهذه مكرمة من مكارم جلالة الملك الذي يرعى الفكر ، والثقافة ، والبحث .

* خصص الاستاذ انور الجندي ، فى كتابه « مفكرون وأدباء ، من خلال آثارهم » دراستين هامتين عن الاستاذين : عبد الله كنون ، وعبد العزيز بن عبد الله . والكتاب يضم 39 دراسة ، عن مختلف الشخصيات الفكرية فى العالم العربي .

* فى نطاق توسيع شبكة نفوذ اللغة العربية على التصعيد العالمي التي يدعو اليها المكتب الدائم للتعريب ، قام المستشرق الروسي الكبير كيفور ميناد جيال ، مراسل المكتب المذكور فى موسكو بتأليف معجم فني بالعربية والروسية ، ضمنه كثيرا من المصطلحات التي عمل المكتب على نشرها بعد فراغ المجامع العلمية واللغوية من دراستها وفحصها واقرارها .

* غادرت المغرب الدكتورة هنكة مؤلفة « شمس الله تسطع على الغرب » بعد أن قضت فى المغرب زهاء ثلاثة أسابيع ، زارت خلالها أهم المدن المغربية ، وتعرفت على رجالها المفكرين والادباء . وقد حملت معها انطباعات ممتازة عن المغرب ، وجماله وحضارته.

* بمناسبة أعياد الاستقلال ، قدم مسرح محمد الخامس حفلات مسرحية ، وفلكلورية ، وغنائية ، احتفاء بهذه الذكرى الوطنية .

* بدعوة من جلالة الملك وحكومته زار المغرب السيد جورج وودز رئيس البنك الدولي للانشاء والتعمير .

* يقوم وزير التربية والتعليم بعقد عدة اجتماعات مع مختلف المسؤولين عن التعليم ، لتكوين « ملف التعليم » الذي ستتمشى عليه سياسة التعليم فى المستقبل ، بصورة مستقرة وثابتة .

* زار المغرب ثلاث صحفيين لبنانيين ، بمناسبة حفلات الاستقلال .

* بمناسبة زيارة رئيس جمهورية النيجر لبلادنا، تلبية للدعوة الملكية ، عقدت بين المملكة المغربية ، وجمهورية النيجر ، عدة اتفاقيات ، من بينها اتفاقية ثقافية .

* قامت بزيارة للمغرب ، فرقة من الفولكلور البولوني ، فى اطار اتفاقية فنية وثقافية بين المغرب وبولونيا .

* ستشرع كلية نانتير فى فرنسا ، باعطاء دروس خاصة لتعليم اللهجة الدارجة المغربية ، وذلك لفائدة الطلبة الذين يتابعون الدراسةفى فروع علمية واقتصادية واجتماعية .

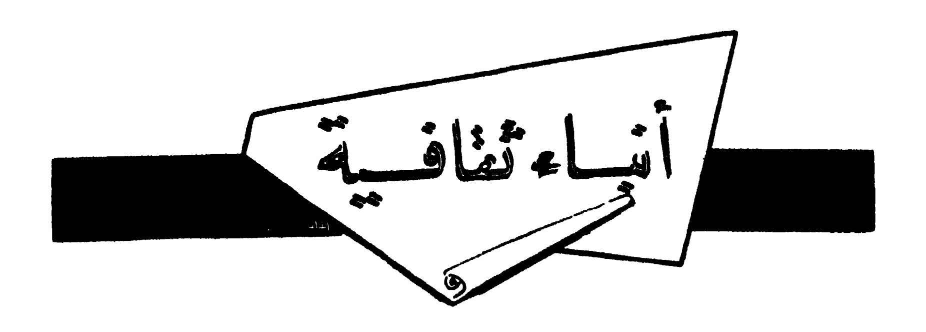
* ابتدأ نشاط الموسم الثقافي والفني لاتحاد كتاب المغرب العربي ، بتنظيم معرض « الواح ونحت » للرسامين : محمد الادريسي ، واحمد بن ياسين ، ورشيد السبتي .

* سيشارك المغرب فى الاسبوع العالمي للفن الذي ستنظمه جامعة كورنل اتياك فى نيويورك .

* بدا القسم الفرنسي بالاذاعة المغربية بتقديم محاضرات جامعة السربون .

* بدعوة من جمعية قدماء طلبة القرويين ، افتتح الاستاذ علال الفاسي ، الموسم الثقافي للجمعية ، بمحاضرة بعنوان « الفقه الاسلامي لم يتأثر بالقانون الروماني » .

* تلقى الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، من منظمة اليونيسكو ، دعوة لحضور اجتماع تنظمه



* عقد بكلية العلوم بالرباط ، المؤتمر التأسيسي لجمعية الجامعات الافريقية ، ابتداء من 11 الى 13 نوفمبر الماضي ، شاركت فيه وفود جامعية من مختلف الجامعات الافريقية . وقد انتخب الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس ، رئيسا لهذه الجمعية . وتراس جلالة الملك الجلسة الاختتامية للمؤتمر . وفى مساء اليوم الاخير من هذا المؤتمر ، احتفل فى نفس الكلية ، بالذكرى العاشرة لتأسيس جامعة محمد الخامس ، تحدث فيها رئيس هذه الجامعة ، فاستعرض مراحل وتطور جامعتنا ، في مختلف كلياتها ، وما انجزت من اعمال ، وما حققت من نجاح فى مضمار التعليم العالي ، والبحث العلمي . وانتهى الحفل بخطاب هام لصاحب الجلالة .

* افتتحت بتاريخ 13 نوفمبر المنصرم بعمالة الرباط المناظرة المغربية الالمانية حول تبادل الخبرات بين البلدين ، فى مجالات الادارة .

* صدر بباريس للاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس كتاب باللغة الفرنسية عن « الاغاني الفاسية » .

* اصدر المستشرق الاسباني المعروف ، الدكتور خوان فرنيط ، استاذ بجامعة برشلونة ، كتابا بالعربية، بعنوان « الادب العربي » ، درس فيه ادبنا من الجاهلية الى العصر الحديث ، كماتناول بالدراسة عدة شخصيات ادبية مع ترجمات عن حياتهم .

* قام بزيارة الى المغرب ، الاستاذ جبران شامية ، صاحب دار للنشر ، واحد كتاب لبنان . وقد تعرف فى زيارته على بعض رجال الفكر المغاربة ، واجرى معهم حديثا فى مختلف النشاطات الادبية في العالم العربي ، وبالخصوص فى لبنان ، والمغرب .

* تم تنظيم جديد لجمعية أصدقاء « المعتمد » بشفشاون ، حيث جدد انتخاب الشاعر عبد الكريم الطبال كاتبا عاما للجمعية . اما بقية اعضاء الجمعية ، فهم : علي حمودان ، محمد الشحام ، محمد السفياني، محمد احرميم ، الفالي الهبطي ، هشام قريش ، احمد المفرج ، محمد الحضري .

* عينت وزارة الانباء ، الاستاذ محمد المسفيوي، مديرا لجريدة « الانباء » اليومية ، التي تصدر عن الوزارة المذكورة .

* تخرج فى هذه السنة فوج جديد من مدرسة تكوين الاطارات بالقنيطرة التابعة لوزارة الداخلية . وقد كان عدد المتخرجين فى هذه السنة 37 . وقد أنعم صاحب الجلالة على هذا الفوج اسم : « الحسن الاول » ، وذلك فى حفل اقيم بالقصر الملكي ـ القى فيه جلالة الملك خطابا ساميا فى المتخرجين .

* نظم فرع جمعية « شباب النهضة الاسلامية » بالرباط ، والمحافظون على القرآن الكريم ، حفلا دينيا ، بمناسبة ذكرى المعراج الشريف ، تحت شعار « يوم فلسطين » . وقد شاركت فى هذا الحفل الاسلامي الكبير ، رابطة علماء المغرب ، والمتخرجون من دار الحديث الحسنية .

* ستقدم للطبع السيدة رفيقة الطبيعة مجموعة قصصية ، بتقديم الدكتور محمد عزيز الحبابي ، عميد كلية الاداب بالرباط .

* تراس وزير التربية جلسة عمل ، حضرها مسؤولون من الوزارة ، وآخرون عن الحي الجامعي لدراسة مختلف المسائل المتعلقة بالحي الجامعي .

* « الموت على الطاولة » مجموعة شعرية جديدة لنتولاقربان صدرت مؤخرا ، وتضم مائة قصيدة .

* حاول الشاعر الفلسطيني ناجي عبد الفتاح السعدي الانتحار ، حيث القى نفسه الى البحر فى محل يدعى « الروشة » فى بيروت . وقد انتشله رجال الاطفائية ونقل الى المستشفى . واستفيد من التحقيق الذي أجرى معه : انه شاعر معروف، وان ازمة العدوان الاسرائيلي اثرت فى نفسه ، حتى دفعته الى الانتحار .

* صدر عن منظمة التحرير الفلسطينية ، في سلسلة حقائق وارقام دراسة عنوانها « الصحف الاسرائيلية » ، وهي من تأليف سلوى حبيبي .

* صدرت فى منشورات مجلة « البيدر » ببيروت ، كتاب من تأليف وليم صعب ، بعنوان « الادب الشعبي ولغته » .

* « شجرة الدفل » رواية الكاتبة اللبنانية امل نصر الله ، ظهرت عن دار « المكشوف » ببيروت .

* فى موسكو ، صدر كتاب مترجم الى اللغة الروسية يضم مختارات شعرية لثلاثة شعراء ، هم : شفيق معلوف ، وايليا ابو ماضي ، وسعيد عقل .

* « النواعير » اسم كتاب ، صدر عن دار « الرائد » فى حلب ، وهو من تأليف الكاتب المهجري جبران مسوح الذي يقيم فى الارجنتين .

* اصدرت مجلة «العمران» التي تصدر فى حلب، عددا خاصا عن مدينة حلب .

* احتفل فى حمص بالذكرى التأبينية للكاتب نظير زيتون .

* نعت دمشق الاستاذ المرحوم سعيد الفزى .

* صدرت فى موسكو للقاضي العراقي غائب طعمة فرحان ترجمة روايته بالروسية « النخلة والجيران » .

* « تاريخ الطب العراقي » عنوان كتاب ، صدر فى بغداد ، من تأليف عبد الحميد العلوجي .

* يشتغل الدكتور حكمت الاوسي ، والدكتوراة بتول سعيد ، على تأليف موسوعة اندلسية ضخمة تتناول كل ما يتعلق بالفكر العربي فى الاندلس . وستشتمل الموسوعة على اجزاء تتناول الاعلام الاندلسية ، والكتب الاندلسية ، ثم الاماكن الاندلسية، مع ملحق للمصطلحات الاندلسية الخاصة بالتراث العربي في الاندلس .

* الكتب الآتية صدرت فى بغداد :

« شرارات » لموسى محمود الشابندر . « بين القصر والصريفة » رواية لبهنام وديع اوغسطين « عشر قصائد قديمة » للشاعر شاكر العاشور . « مراقد الائمة والاولياء فى سامرا » للشيخ ابراهيم السامراني . « احتفالات الموالد النبوية فى الاشعار الاندلسية والمغربية والمهجرية » للدكتور محسن جمال الدين . « الايام الحاسمة قبل المعركة » لمحمود خطاب « خسرناها معركة : فلنربحها حربا » لفيصل حسون.

* نعت القاهرة الخطاط المعروف محمد رضوان علي . بعد ان حصل فى السنة الماضية على جائزة الدولة التشجيعية فى الخط العربي .

* كما نعت الامانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة الاستاذ محمد حسن العشماوي ، وزير المعارف سابقا ، والمشرف على ادارة الشؤون الاجتماعية بالجامعة العربية .

* « التولد عند متكلمي الاسلام » عنوان أطروحة ، نوقشت فى كلية الآداب بجامعة عين شمس الذي قدمها الاستاذ سامي نصر لطف .

* اصدرت لجنة النشر للمؤلفات التيمورية بالقاهرة كتابا بعنوان : «اعلام الفكر الاسلامي الحديث» وهو من تأليف المرحوم احمد تيمور .

* هذه الكتب ، صدرت مؤخرا فى الرياض :

« ابو علي الهجري وأبحاثه فى تحديد المواضع » و « ابن عربي موطد الحكم الاموي فى نجد » و « كتاب بلاد العرب ، وما فيها من المياه والجبال والآثار والمعادن » وهو لابي علي الحسن بن عبد الله الاصفهاني من اهل القرن الثامن الهجري .

بتمبكتو ، بتعاون مع حكومة مالي للخبراء ، حول استعمال المصادر المكتوبة المتعلقة بتاريخ افريقيا . وذلك في رابع دجمبر من هذه السنة الى الثامن منه .

* تصدر للكاتبة الجزائرية آسيا جيبار قصتها الرابعة ، بعنوان « القبرة الساذجة » . وقد سبق للكاتبة ان اصدرت ثلاث روايات : « العطش » و « القلقون » و « اطفال عالم جديد » . وتستعد الكاتبة لجمع مجموعة شعرية بعنوان « قصائد لجزائر سعيدة » .

* بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور عشر سنوات على تأسيس جامعة محمد الخامس الذي كان بتاريخ 11 و 12 و 13 ، مع انعقاد مؤتمر الجامعة الافريقية نسوق هذه المعلومات :

جامعة محمد الخامس تتوفر الان على معاهد وكليات مختلفة ، ككلية الحقوق التي تضم 2551 طالبا ، المدرسة المحمدية للمهندسين 270 طالبا ، كلية الاداب والعلوم الانسانية 1495 طالبا ، معهد العلوم الاجتماعي 439 طالبا ، المدرسة العليا للاساتذة 1506 طالبا ، كلية الطب 480 طالبا . ويوجد من الاساتذة بمختلف الكليات 332 .

* انعقدت بالرباط ابتداء من 13 نوفمبر مناظرة مغربية — المانية حول الادارة القروية . واشترك في هذا المؤتمر 25 شخصا من اطارات وزارة الداخلية . وقد ناقشت هذه المناظرة القضايا المتصلة بالسكنى ووسائل النهوض بها وتعاون السكان في التسيير المستقل للدوائر القروية .

* عقد وزير التعليم والفنون الجميلة بتاريخ 8 — 11 — 1967 ندوة حول التعليم العالي ، والحي الجامعي .

* سيؤسس بتونس في مدينة قابس ناد ادبي تحت اسم « ابن فرحان » .

* « الادب الشعبي في تونس » كتاب صدر عن الدار التونسية للنشر ، وهو من تأليف الدكتور الطاهر الخميري .

* افردت مجلة « الشباب » التونسية عددا خاصا منها بالعدوان الاسرائيلي .

* اصدر الشاعر الليبي عبد ربه كتابا بعنوان « رفيق في الميزان » ، كما صدرت في ليبيا الكتب الاتية : « رحلة الضياع » للشاعر الفزاني ، وديوان « فجر الذكريات » للشاعر محمد سعيد القشاط ، و « من ليالي السمر » للشاعر نفسه .

* زار بيروت الكاتب الجزائري المعروف ، كاتب ياسين ، تلبية لدعوة تلقاها ، من مركز التنسيق العربي للسينما والتليفزيون ، ليشترك في أعمال الطاولة المستديرة ، التي ينظمها المركز بالاشتراك مع منظمة اليونيسكو .

* أصدرت الدار التونسية للنشر كتاب « العرب أمام قضية فلسطين » وهو من تاليف الاستاذ الشاذلي القليبي ، وزير التعليم التونسي ، والكتاب يتناول الموضوع بجدية ، من خلال وجهة النظر التونسية ، حيال قضية فلسطين ، التي باتت تشغل العالم العربي .

* بدات الاكاديمية الفرنسية بتوزيع جوائزها السنوية لمؤلفي كتب التاريخ . وهكذا منحت الاكاديمية جائزتها الكبرى للمؤرخ ايميل كورنايبرت على كتابه « المرافقة » . أما الجائزة الثانية ، فقد منحت للمؤرخ روبير كريستون ، عن كتابه « عصر السيد تيير » .

* وضعت لوحة تذكارية أمام واجهة نزل دولاروز في كراكوفي ، وذلك تخليدا لذكرى اقامة أنورى دوبلزاك في هذه المدينة . قدمت هذه اللوحة من قبل اعضاء قسم كراكوفى في الجمعية البولونية للتعاون العلمي مع فرنسا ، ويراسها البروفسور زيزي .

* ستصدر قريبا في باريس اول موسوعة عالمية ملونة ، اطلق عليها اسم « موسوعة الفا » ، وتمتاز هذه الموسوعة بسهولة استعمالها وشمولها لمعلومات ثقافية مفيدة .

* دار الريحاني في بيروت ، تهتم الان بترجمة مؤلفات فيلسوف الفريكة امين الريحاني ، التي نشرها بالانجليزية ، الى اللغة العربية .

* صدر في بيروت كتابان للدكتور انطوان غطاس كرم ، استاذ الادب العربي في الجامعة الامريكية ، وهما : « الادب العربي الحديث » و « مدخل الى دراسة الشعر العربي الحديث » .

* أصدرت الامم المتحدة الطبعة الاخيرة من كتاب احصاء السكان ، الذي جاء فيه ان عدد سكان العالم بلغ فى منتصف السنة الماضية 3 ملايير و 365 مليون نسمة ، اي بزيادة 65 مليون نسمة على منتصف سنة 1965 ، ويعيش 72 فى المائة من سكان العالم في البلدان المتخلفة . ويزداد عدد السكان فى العالم بـ 167 000 فى اليوم . وجاء فى هذا الكتاب ، ان عدد سكان العالم ، سيرتفع الى الضعف فى سنة 2005 ، اذا بقيت نسبة الزيادة الحالية . وتوقع الكتاب ان يرتفع عدد السكان بنسبة ضعفية فى الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفياتي ، والصين ، بينما يرتفع بثلاثة اضعاف فى الهند ، واربعة اضعاف فى البرازيل . واكبر بلدان العالم من حيث عدد السكان كما يلي :

الصين الشعبية 710 مليون نسمة
الهند 498 مليون نسمة
الاتحاد السوفياتي 233 مليون نسمة
الولايات المتحدة 197 مليون نسمة
اندونيسا 107 مليون نسمة
الباكستان 105 مليون نسمة

* صدر فى منشورات عويدات ببيروت « تاريخ السينما فى العالم » للكاتب الفرنسي جورج سادول وترجمة فايز كم نقش مع مقدمة وفصل عن السينما العربية اعدهما خصيصا المؤلف لهذه الطبعة . ومما يذكر ان جورج سادول قد توفي فى الشهر الماضي .

* « مهاجر بريزبان » مسرحية الشاعر اللبناني باللغة الفرنسية جورج شحادة مثلت على مسرح « الكوميدي فرانسيز » بباريس ابتداء من 29 نوفمبر . وهي من اخراج جاك موكلير وبطولة لويس سينيه . سينيــه .

* « مصير فلسطين » عنوان كتاب صدر حديثا فى بيروت بالانجليزية لامين الريحاني ، يضم مجموعة من المحاضرات كان فيلسوف الفريكة قد القاها دفاعا عن فلسطين فى محافل وجامعات انجلترا وامريكا وكندا

* بمناسبة الذكرى الثامنة لوفاة فقيد القصة والصحافة كرم ملحم كرم ، زار وزيرا التربية والانباء ونقيبا الصحافة والمحامين وعدد من الاصدقاء ضريح الفقيد فى دير القمر بلبنان . والقى وزير الانباء كلمة عدد فيها وجوه العطاء التي قدمها صاحب الذكرى للادب والصحافة . وتلاه نقيب المعلمين السابق عاطف كرم ، ثم جورج بيطار الذي تكلم باسم دير القمر .

* باشر الدكتور صلاح الدين اوزخان صاحب مجلة الهلال بانقرة ترجمة كتاب « فلسفة التاريخ العثماني » بجزايه الى اللغة التركية ، وهو من تأليف العلامة اللبناني محمد جميل بيهم . كما ان الدكتور ناظر زاده كرحاني الاستاذ فى جامعة طهران استأذن الاستاذ بيهم فى ترجمة كتاب « فلسفة تاريخ محمد » .

* صدر فى منشورات عويدات ببيروت كتاب « المذاهب الادبية الكبرى فى فرنسا » تأليف فيليب فان تيغيم ترجمة فريد انطونيوس . ويقع فى 340 صفحة ، حجم كبير .

* وصل بيروت قادما من عمان الباحث الاردني عبد الله التل قائد بيت المقدس الاسبق وصاحب المؤلفات القومية المعروفة .

* « جبران حيا وميتا » مجموعة تشتمل على مختارات مما كتب ورسم جبران خليل جبران ، ومما قيل فيه قدم لها وعنى بتاليفها واخراجها الكاتب المهجري الشيخ حبيب مسعود ، صدرت طبعة جديدة منه باشراف لجنة جبران الوطنية فى بشري . يقع الكتاب فى 850 صفحة ، حجم كبير . الطبعة الاولى صدرت عام 1932 فى سان باولو بالبرازيل .

* صدر عن دار ابن سينا فى بيروت « كتابات عسكرية » لمؤلفه موتسي تونغ . ويقع الكتاب فى 544 صفحة ، حجم كبير .

* « زوارق العبير » عنوان المجموعة الشعرية التي صدرت فى بيروت للشاعر مصطفى الجوزو . وتقع فى 200 صفحة .

* فى الحفلة التي اقامتها الرابطة الادبية الشمالية فى بلدان تولا لبنان تخليدا لذكرى الشاعر الياس ابو شبكة طالب الخطباء باقامة تمثال للشاعر الراحل . ولكن فى نهاية الحفلة قالت ارملة الشاعر « قبل ان تقنعوا الحكومة لاقامة تمثال للشاعر أرجو لو تقنعوها بنجدة زوجته براتب ضئيل يساعدها على تأمين ما تسد به الرمق » .

* كتاب « ادباء من الشرق والغرب » للكاتب الاردني عيسى الناعوري ترجم الى اللغة الروسية .

* تبدأ « دار عويدات » للنشر فى بيروت ، بطباعة مذكرات الجنرال ديكول التي نقلها الى العربية الاستاذ عبد اللطيف شرارة . وقد تلقى صاحب الدار رسالة من دار النشر الفرنسية ، جاء فيها ان الجنرال ديكول ، قد اطلع شخصيا على مخطوطة الترجمة العربية ، ووافق على نشرها. والطريف فى هذا الموضوع ان الجنرال طلب ايداعه خمسين نسخة من الكتاب حالما يصدر . وعلم ان المستشرق الفرنسي (تروبو) هو الذي اطلع على المخطوطة ، وهو الذي وافق على نشرها . ولن يمضي وقت طويل حتى تكون مذكرات ديكول بالعربية فى المكتبات .

* وعن نفس الدار ، صدرت مؤخرا ترجمة عربية لكتاب « الفزاة » لمؤلفه اندريه مالرو ، وزير الثقافة الفرنسية . والكتاب نقله الى العربية الاستاذ فائز كم تقش .

* عين السيد حنا سابا من الجمهورية العربية المتحدة ، مساعدا للمدير العام للشؤون القانونية والتقنين الدولي فى هيئة اليونيسكو .

* أصدر الاستاذ كليتجارد ، كتابا مهما يتناول مشكلة التعليم فى البلدان النامية .

* يقرر التاريخ القديم ان زلزالا ثار فى القرن الخامس الميلادي ، فابتلع مدينة قديمة اسمها « ايروهوليس» كانت واقعة فى عرض البحر فى الساحل الاغريقي . ولقد تقرر الان ان يتوجه الاستاذ جون هول ، الاستاذ بجامعة ميامي ، على راس بعثة آثار فيما تحت المياه بحثا عن هذه المدينة . وقد سبق للاستاذ هول ، ان اشترك فى جهود بعثة مماثلة تمكنت من انقاذ مدينة اغريقية أخرى ، هي مدينة فيا . وكانت المياه ، قد ابتلعتها .

* قررت اليونيسكو ، ان يكون يوم 8 شتمبر ، « يوما عالميا » لتنشيط جهود العاملين فى ميدان تعليم القراءة والكتابة .

* تملك مكتبة جامعة « سمرقند » أكبر مجموعة، من نصوص الادب الشرقي القديم ، اذ لا يقل عدد مجلداتها عن 3000 مصنف ، تحمل أسماء أشهر الكتاب والشعراء والمفكرين فى العالم الشرقي ، وبها ايضا عدد من المخطوطات الجميلة .

* سيصدر المكتب المركزي للاحصائيات بموسكو كتابا يضم معلومات هامة عن التحولات الثقافية التي تحققت خلال الخمسين سنة ، من حياة ثورة اكتوبر التي قامت سنة 1917 .

* افتتح فى بيطروزا قودسك ، معرض كبير بمناسبة مائة عام مرت على ظهور اول جزء من كتاب « راس المال » لكارل ماركس . ومن بين المعروضات توجد أول طبعة للكتاب بالفرنسية . ومن المعلوم أن فرنسا كانت هي البلد الثاني ، بعد روسيا ، التي ترجمت « راس المال » واظهرته فى شكل اضابير ، استفرق نشرها ثلاث سنوات . وتحتوي الطبعة الفرنسية ، على رسالة وجهها ماركس الى الطابع الفرنسي « شاتر » .

* اصدرت اليونيسكو مؤخرا نشرة بعنوان : « معلومات عن تنفيذ الاتفاقية الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية فى حالة قيام نزاع مسلح » .

* جاء فى العدد الاخير من مجلة « الهلال » المصرية أن بعض خطباء المساجد بالعربية المتحدة ، هاجموا « سارتر » فى خطبهم الدينية .

* صدرت مؤخرا ببيروت الترجمة العربية لمذكرات زعيم الزنوج المسلمين فى امريكا مالكولم اكس الذي اغتيل سنة 1965 . يروي هذا الزعيم ، كيف اكتشف الاسلام وهو فى السجن ، وعرف أن اعتناقه لهذا الدين العظيم هو طريق التحرر .

* « حرب المقاومة الشعبية » عنوان كتاب الجنرال نيفوين فون جياب ، قائد التحرير الفيتنامي. ترجم هذا الكتاب الى العربية أخيرا ، وصدر فى لبنان.

* تقام هذه الايام حركة ادبية كبرى فى سويسرا، تخليدا لاحد ادبائها الكبار الذي ناضل من اجل تحقيق افكاره ومبادئه فى الحياة . انه الاديب بنجامي كونستان الذي تمكن من الجمع بين السياسة والادب ، وذلك بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد هذا الكاتب .

* انتهى فى بغداد خليل العطية وعبد الجبوري من جمع وتحقيق ديوان مسكين الدرامي .

* اعلنت نقابة الصحفيين معارضتها لقرار اتخذته جامعة بغداد مؤخرا باغلاق قسم الصحافة فيها . وقالت النقابة فى مذكرة بعثت بها الى رئاسة الجامعة ان اغلاق هذا القسم الذي افتتح فى جامعة بغداد عام 1964 يعتبر خروجا على احكام نقابة الصحفيين .

* فرغ عبد الرزاق المطلبي من كتابه رواية جديدة عنوانها : « والشمس خلف الافق » رواية المطلبي الاولى عنوانها « الظامئون » صدرت فى سلسلة القصة والمسرحية التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد العراقيـــة .

* اقام الفنانون العراقيون معرضا بعنوان « معرض المعركة » لمنفعة المجهود الحربي . وذلك في قاعة المتحف الوطني الحديث فى بغداد .

* « الحرمان فى الادب العربي » كتاب جديد لسالم الدباغ يصدر قريبا فى بغداد .

* صدر فى النجف الاشرف كتاب « اخبار الظراف والمتماجنين » لابن الجوزي ، وقد قدم له وعلق عليه السيد محمد بحر العلوم . وهو من منشورات المكتبة الحيدرية فى النجف . كما قام السيد محمد بحر العلوم بتحقيق كتاب النقود الاسلامية المسمى « شذور العقود فى ذكر النقود » للمقريزي ، وقد صدر فى 300 صفحة .

* القى الدكتور صبحي انور رشيد محاضرة فى قاعة المحاضرات ببناية المتحف ببغداد عنوانها « ابحاث جديدة عن الآلات الموسيقية فى العراق القديم » .

* صدرت فى بغداد الكتب التالية : القراءة وطرائف تعليم المبتدئين ، لمحمد مصطفى يحيى فى 200 صفحة . عبث الليالي ، مجموعة شعرية، لنمر الريكاني فى 80 صفحة . لو ينطق النابالم ، مجموعة شعرية ، لمحمد علي الخفاجي . اليهود والصهيونية فى علاقات الدول الكبرى ، لنجدة فتحي صفوة ، فى 50 صفحة .

* انضم الدكتور حازم نسيبه الوزير الاردني المعروف الى اسرة الجامعة الاردنية ليحاضر فى العلوم السياسية والادارة العامة فى كلية الاقتصاد والتجارة .

* قدم صلاح ابو زيد وزير الاعلام الاردني مشروع اعلام عربي موحد فى مؤتمر الاعلام العربي الذي عقد ببنزرت بتونس يتألف من 15 مادة تعتمد على المنطق والاسلوب العلمي فى مخاطبة العقل العربي والاجنبي ، وتعين على الوصول الى الغاية المشتركة التي تسعى الى تحقيقها الشعوب العربية .

* افتتح نائب رئيس وزراء الاردن احمد طوقان معرض رسوم الفنان توفيق السيد فى قاعة امانة العاصمة فى عمان .

* صرح الامير رعد بن زيد المدير العام لمؤسسة الشباب الاردنية اثر عودته من الاتحاد السوفياتي انه عقد عدة اجتماعات مع ممثلي وزارات الشباب هناك للتعاون معها فى هذا المجال .

* القى محمود العابدي مدير دائرة الثقافة والفنون الاردنية محاضرة فى مدرسة المشاة عن رسالة الاعـــلام .

* صدر فى عمان كتاب « الملك عبد الله كما عرفته » لتيسير ظبيان .

* عاد الاديب الاردني يعقوب العودات المعروف بالبدوي الملثم الى عمان بعد زيارة لسورية ولبنان استغرقت شهرا اتصل خلالها بالاوساط الثقافية والادبية ، وقد اقيمت له عدة حفلات تكريمية .

* دعت دائرة الثقافة والفنون المواطنين لمشاهدة معرض رسوم الفنانين محمد الباروي وهاني الحوراني فى قاعة المحاضرات بالكلية العلمية فى عمان.

* كان الاديب الاردني عيسى الناعوري قد اهدى نسخة من كتابه الاخير « جراح جديدة » الى الملك

* منحت جمعية اصدقاء الكتاب فى البنان جائزة رئيس الجمهورية لهذا العام ، وقدرها خمسة الاف ليرة ، للاديب الباحث رئيف خوري تقديرا لمجموعة انتاجه الادبي . وتوجه وفد من الجمعية لزيارة الاديب طريح الفراش ، شفاه الله .

* نالت الشاعرة الفنانة لو غريب تنويها بدرجة امتياز فى معرض «بينال» باريس قسم الحفر والرسم . ولور غريب هي اول امراة فى العالم العربي تنال هذا التنويه . وكانت واحدة من 3 فنانين عالميين منحوا هذا التنويه .

* اعترض الدكتور انيس صايغ المدير العام لمركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية على الحكم الغيابي الذي صدر بحقه عن محكمة استئناف الجزاء فى بيروت ، والقاضي بسجنه لمدة اسبوع ، وتغريمه الفليرةلنشر كتاب «الهاشميون والقضية الفلسطينية» فى يونيو الماضي . وقد اصدرت المحكمة حكمها بعد ان اعتبرت ان فى الكتاب « تهجما عنيفا على الملك الراحل حسين بن علي ، وعلى ولديه الملكين الراحلين عبد الله وفيصل » . وقالت المحكمة ان الدكتور صايغ « اتخذ من القضية الفلسطينية مادة للتهجم على بعض رجال الدين اللبنانيين الذي عاصروا احداث تلك القضية ، وهذا من شأنه اثارة النعرات الطائفية فى البلاد » .

* صدر فى شتوتغارت بالمانيا الغربية مجموعة تضم مختارات قصصية لاثنى عشر كاتبا لبنانيا واثنى عشر كاتبا سوريا ، مع تعريف بالكتاب . ومن الذين ترجم لهم جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمة ، توفيق يوسف عواد ، فؤاد الشايب ، الدكتور عبد السلام العجيلي ، خليل تقي الدين ، مارون عبود وغيرهم . وقد سميت المجموعة باسم قصة للدكتور عبد السلام العجيلي ، عنوانها : « حمامة الجامع » وتقع المجموعة فى ما يقارب 400 صفحة .

* الكاتب الشاعر الدكتور فؤاد جبور حداد من « العروة الوثقى » فى لندن قام بزيارة طويلة لاسبانيا ، زار خلالها الاثار العربية والاماكن الاثرية والمكتبات العامة .

* انهى محمد خير الحلواني مدرس الادب العربي فى ثانوية حلب الرسمية دراسته عن « سحيم عبد بني الحسحاس » كما فرغ من تأليف كتاب آخر عنوانه « اعلام النحو » .

* فى رسالة من المستشرق المجري الدكتور عبد الكريم جرمانوس الى الروائي السوري فاضل السباعي قال انه يتابع قراءة المقالات التي يكتبها ابو طالب زيان فى الاعداد الاخيرة من « الاديب » ، وهي لم ترق له لما فيها من نيل بعض كبار كتاب العربية . والمستشرق جرمانوس يستغرب ان يعمد الكاتب فى مقالاته الى اسلوب الحوار مع اولاده وزوجته ليتهكم على امثال طه حسين واحمد حسن الزيات الذين قراهم واعجب بأدبهم ويعتبرهم من عباقرة الادب العربي المعاصر .

* يعكف الان فى حلب عماد حاتم على ترجمةكتاب « الثيولوجيا اليونانية » للمؤلف الروسي الكسندر كول . وكان قد ترجم قبلا مسرحية « البقة » لفلاديمير ماياكوفسكي التي نشرتها وزارة الثقافة السورية ، ومسرحيتي « التنين » لشفارتس و « المأساة المتفائلة » لفيشنفسكي اللتين يقوم باخراجهما الان المسرح القومي بدمشق .

* اعد الباحث السوري عدنان بن ذريل للطبع فى دمشق كتابا عنوانه « الدراسة النفسية والبلاغة ، مع ضميمة فى تاريخ البلاغة العربية الحديثة » وقد قدم له الدكتور عمر موسى باشا الاستاذ فى جامعة دمشق . ويقع فى 250 صفحة تقريبا .

* تعقد فى دمشق ندوة موضوعها « مسؤولية المثقف العربي امام القضية الفلسطينية » ، وقد دعي للمشاركة فى هذه الندوة لفيف من المثقفين العرب وبعض كبار رجال الاستشراق من مؤيدي القضية الفلسطينية ، بينهم الفرنسيان جاك برك وفنسان مونتوي ، وستنشر مناقشات هذه الندوة وتذاع .

* قيد الطبع الان فى بغداد كتاب « صالح بن عبد القدوس ، حياته وشعره » تأليف عبد الله الخطيب .

* « الهارب » عنوان القصة التي صدرت في بغداد لشاكر جابر ، وهي الحلقة الخامسة فى سلسلة القصة والمسرحية التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد .

* مرت فى الشهر الماضي 35 سنة على وفاة امير الشعراء احمد شوقي .

* وافقت وزارة الثقافة بالقاهرة على طلب الدكتور يوسف ادريس المشرف على قطاع الدراما في مؤسسة المسرح انهاء اعارته ليتفرغ للصحافة .

* بلغ عدد طالبي التفرغ 114 فنانا واديبا هذا هو اكبر عدد يطلب التفرغ من يوم انشائه فى مصر منذ 7 سنوات .

* تم اعداد مشروع تحويل مؤسسة فنون المسرح والموسيقى الى هيئة عامة ، لها الشخصية الاعتبارية على ان يكون مركزها القاهرة .

* يصدر المخرج المسرحي حسين جمعة فى اوائل الشهر الجاري فى القاهرة كتابا عن المسرح الفرنسي عنوانه « جاك كوبو والجمالية فى المسرح » والكتاب هو الرسالة التي تقدم بها الى اكاديمية الفنون الجميلة فى ميلانو .

* اول دراسة متكاملة عن نظرية ابن خلدون السياسية قدمها الباحث المصري الدكتور محمد محمود ربيع الى جامعة « لايدن » الهولندية حيث حصل على درجة الدكتوراه . سبق ان نشر عميد الادب العربي طه حسين عام 1917 رسالة عن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية .

* « الزجاجات الفارغة » رواية طويلة للكاتب المصري امين يوسف غراب عن الحياة الفنية المسرحية قبل الثورة وبعدها ، وقد تعاقد مع احدى دور النشر فى بيروت على طبعها .

* عن اعلام الموسيقى العرب اخرج فكري بطرس بالقاهرة ، اول الموسوعة الاولى عن اعلام الموسيقى والغناء العربي من المحيط الى الخليج .

* طلب مجلس الفنون بالقاهرة من احمد نجيب هاشم السفير السابق فى روما ترجمة كتاب « انهيار الدولة الرومانية وسقوطها » الذي يعد من اهم مصادر الادب العالمي .

* « دنيا الله » رواية نجيب محفوظ ستحولها مؤسسة السينما بالقاهرة الى فيلم اسندت بطولته الى سميرة احمد واخراجه الى ابراهيم الصحن المخرج التلفزيوني . كما ان قصته « قصر الشوق » سيخرجها حسن الامام . ستمثل نادية لطفي دور « زنوبة » العالمة مع يحيى شاهين وعبد المنعم ابراهيم وأمال زايد . الفيلم سيناريو وحوار محمد مصطفى سامي .

* صدرت فى القاهرة الكتب التالية : انغام الروض ليوسف بدروس ، شعر مرسل فى 195 صفحة حجم كبير . الدية فى الشريعة الاسلامية لاحمد فتحي بهنسي . قصة حب للدكتور يوسف ادريس . فلسطين حبي لفرج صادق . خاتمة المطاف طبعة جديدة لعلي الجارم . دعايتهم نصف الحرب لمحمد احمد رمضان. قصائد من برتولد بريخت ترجمة وتقديم دكتور عبد الغفار مكاوي . ثورة الادب للدكتور لويس عوض . كتاب الوجود للسيد محمود او الفيض المنوفي فى 319 صفحة . ذكريات وكلمات للدكتور عبد الحميد متولي. موسى بن نصير لابراهيم احمد العدوي . التنسيق الاقتصادي الصناعي للدول العربية للدكتور مبارك حجير فى 360 صفحة ، حجم كبير . الفنان محمد حسن لاحمد احمد يوسف فى 176 صفحة . علبة من الصفيح مجموعة قصص فى 360 صفحة ، وسيدة في خدمتك مجموعة قصص فى 258 صفحة،وهما لاحسان عبد القدوس . الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية للدكتور عز الدين اسماعيل فى 416 صفحة ، حجم كبير . ابو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الدكتور كمال نشأت . الاساس الاجتماعي للثورة العرابية لرفعت السعيد فى 260 صفحة . حكايات وشخصيات قصة رحلة لعبد المنعم شميس . قاموس الطب الفرعوني للدكتور حسن كمال باللغة الانجليزية 530 صفحة ، حجم كبير . جمال الدين الافغاني طبعة جديدة لعبد القادر المغربي . علي ابن الجهم ، حياته وشعره لعبد الرحمن الباشا 242 صفحة ، حجم كبير . الاخطل شاعر بني امية للدكتور السيد مصطفى غازي 266 صفحة ، حجم كبير . الاندلس والناصر لمحمد علي راضي . مع السمسمية مجموعة اشعار فكاهية لحسين طنطاوي . لو كان العالم ملكا لنا ، يعرض لحياة 5 من كبار الفنانين اسعد مكاوي . قصة البترول العراقي لعبد الوهاب السلوم . قضية التعريب فى الجزائر لعثمان سعدي ، 112 صفحة . الامير الصغير لسانت اجزوبيري ترجمة حمادة ابراهيم . ست البنات قصة لامين يوسف غراب . غرم سنوحي رواية ليوسف كما الدين

حسين عاهل الاردن . وقد تلقى من وزير البلاط الملكي اكرم زعيتر رسالة تدل على مدى تقدير العاهل الاردني لادب الناعوري وما ساهمت به روايته « جراح جديدة » فى هز الروح الوطنية .

* افتتحت وزارة الزراعة والمياه السعودية اول حلقة دراسية فى الاذاعة الريفية للبحث فى طرق وساليب الاستفادة من الاذاعة فى ارشاد المزارعين السعوديين ، وذلك بالاشتراك مع منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة .

* « دار الصحافة العربية للنشر والاعلان والتوزيع » اسم المكتب الذي كان الشاعر السعودي عبد السلام هاشم حافظ قد انشاه فى القاهرة اثناء اقامته بها . واليوم بعود لمواصلة نشاط المكتب في مسقط راسه بالمدينة المنورة كمنطلق الى الهدف الثقافي الذي ينشده .

* قامت ادارة العلاقات العامة بمكتب الارامكو بالرياض بتسليم ادارة الشؤون العامة والنشر بوزارة المعارف السعودية مجموعة من الكتب والصور التي تمثل اعمال الشركة . وكانت ادارة الشؤون العامة قد طلبت تسليمها مجموعات من هذه الكتب والصور لارسالها الى البعثات التعليمية فى الجزائر وحضرموت لاعطاء صورة واضحة عن تقدم صناعة الزيت فى السعودية .

* قرر الرئيس العام لمدارس البنات فى السعودية افتتاح معاهد اعداد معلمات جديدة فى كل من : المجمعة وحائل والجبيل ، ومعهد فني بالمدينة المنورة .

* « الفنان والتمثال » مسرحية الكاتب الايطالي اويجي يراندللو نقلها الى العربية خليفة محمد التليسي وصدرت فى سلسلة الكتاب الليبي فى منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب بليبيا . وتقع فى 168 صفحة .

* اصدرت جريدة « الميدان » الليبية كتاب الشاعر الفلسطيني معين بسيسو « عطر الارض والناس فى الشعر الليبي المعاصر » .

* صدر فى تونس كتاب « شرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب » حققه وقدم له وعلق عليه الشاعر الباحث العراقي هلال ناجي .

* يطبع الان فى تونس كتاب « العمدة » تاليف عبد الله بن علي الهيتي وهو رسالة نفيسة فى الخط العربي حققها على نسخة فريدة هلال ناجي .

* فى سلسلة الكتب التي صدرت عن المطبعة الملكية بالمغرب ، صدر مؤخرا « جني زهرة الآس في مدينة فاس» لعلي الجزنائي بتحقيق وتقديم الاستاذ عبد الوهاب بن منصور . وهو من الكتب القيمة التي كتبت عن فاس منذ القرن السادس الهجري .

* تالفت فى القاهرة « رابطة التاليف والترجمة» وقد انتخب الدكتور مظهر سعيد رئيسا لها ، والدكتور يحيى الخشاب ، وعبد الحليم الجندي ، والصاوي علي شعلان ، وكلاء للرئيس ، والسيدة سنية قراعة امينة للصندوق . ومن اعضائها الشيخ محمد ابو زهرة ، والدكاترة مصطفى زيادة واحمد السعيد واحمد الشرباصي وفتح الله بدران ومصطفى زيادة والشاعرة روحية القليني والسيدة رقية الشاذلي والانسة زينب الحكيم . وستضم الرابطة اعضاء من خارج مصر . وقد رشح لعضوية اللجنة من حلب : الدكتور محمد يحيى الهاشمي والشاعر عبد الله يوركي وزهير طحان والدكتور صبري الاشتر وقاسم احمد .

* صدر فى القاهرة « خريف مزدهر وعصارة قلب » ديوان شعر لحلمي عبد الجواد السباعي قدم له بقصيدة الشاعر صالح جودت . كما انتهى صاحب الديوان من تاليف كتاب عن « تاريخ الحركة المسرحية في مصر » .

* « شعر الصعاليك » عنوان رسالة الماجستير التي نوقشت فى كلية اللغة العربية بالقاهرة وقدمها عبد الحليم حسن بكري .

* قصة توفيق الحكيم «يوميات نائب فى الارياف» ستنتجها مدبحة يسري فى فيلم بالقاهرة .

* تقرر ندب الدكتور علي الراعي مستشارا لوزير الثقافة بالقاهرة لشؤون المسرح وعميدا للمعهد العالي للفنون المسرحية . (استقال من هذا المنصب الاخير) كما تقرر ندب محمود امين العالم رئيسا لمؤسسة فنون المسرح والموسيقى وندب احمد المصري مديرا عاما للمؤسسة . كما تقرر تعزيز المؤسسة بنقل نبيل الالفي اليها . كذلك تقرر ندب سعيد خطاب سكرتيرا عاما للمعاهد الفنية العليا .

العدد الثالث ـ السنة الحادية عشرة ـ شوال 1387 ـ يناير 68



تصدرها
وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

ابو زيد . دم ابن يعقوب رواية لشوقي عبد الحكيم . ابن السلطان وقصص اخرى للدكتور عبد الغفار مكاوي. فلسطين وصراع القوى لمحمد عطا ، 160 صفحة . لوكور بوييه حياته واعماله للدكتور عرفان سامي 116 صفة ، حجم كبير . ابن عمار طبعة جديدة لثروت اباظة . مؤلفات شكسبير : عطيل ، طبعة رابعة 172 صفحة ، وهاملت طبعة خامسة 144 صفحة ، ومكبث طبعة رابعة 112 صفحة ، وهي من ترجمة خليل مطران . ومكبث طبعة ثانية 260 صفحة ، ترجمة محمد فريد ابو حديد .

مهرجان الشعر الثالث

منذ ثلاث سنوات وجمعية اصدقاء المعتمد بشفشاون تنظم مهرجانا شعريا تدعو اليه رواد الحرف واصحاب الكلمة في بلدنا ليعالجوا قضية من قضايانا الشعرية الجديرة بالاهتمام والتقويم .

وفي هذه السنة ، لم يكن من الالتزام في شيء ان يكون موضوع المهرجان ظاهرة شعرية معينة . لان الظروف والملابسات التي كان يعاني منها العالم العربي في الشرق فتردد اصداؤها في شعاب المدينة الصغيرة باقصى الشمال الغربي ـ كانت تحتم ان يكون موضوع المهرجان هو :

« الشعر في معركة فلسطين » عساها ان تستأثر بهذا الفخر الادبي وتطلع على ما في جعبة الشعراء والكتاب من دموع وتمرد وتقويم .

وجاء يوم 15 شتنبر 67 م ففتحت المدينة الصغيرة صدرها للرواد الكرام الذين انثالوا عليها من مختلف المدن .

افتتح المهرجان بكلمة الجمعية ثم بعرض تاريخي عن قضية فلسطين القاه الدكتور عبد السلام الهراس . تلا ذلك انتاج الشعراء وبحوث الباحثين وأفلام سينمائية حملها مندوب منظمة التحرير الفلسطينية ، وموسيقى تحكي النكبة وتوحي بالعودة .

من بين الشعراء الذين ارتفعت اصواتهم بالانشاد السادة : عبد الرفيع الجوهري ـ احمد الجوماري ـ محمد ابو بكر المريني ـ عبد الكريم الطبال ـ محمد البقالي ـ واصف منصور ـ محمد بنميمون ـ عبد السلام الحضري ـ احمد التسوكي ـ عبد الواحد اخريف ، كما القيت قصائد اخرى نيابة عن اصحابها الذين اعتذروا عن الحضور ، ونفرد منها بالذكر قصيدتي الشاعر محمد عزيز الحبابي ، وقصيدة محمد الغربي .

ومن البحوث الشعرية التي حضر اصحابها وتولوا القاءها على الحاضرين بحث للاستاذ حسن الوراكلي ، وبحث للاستاذ عبد القادر العافية ، وبحث للاستاذ مصطفى بومنيدل .

وفي مساء يوم 17 شتنبر 1967 انهى المهرجان بندوة ختامية تحت عنوان : « الخطابة والعمق في شعر النكبة » شارك فيها شعراء وكتاب من السادة الحاضرين

وهكذا قضت المدينة الصغيرة ثلاثة ايام ، عاشت خلالها بين مرارة النكسة واشراق الحرف ، آملة ان تتحقق احلام يافا ، والرملة ، وبئر السبع . فتلتقي بالشعراء مرة اخرى وهم يتقلبون بين ربى فلسطين آمنين مبتسمين ، ويغنون للانتصار العربي ، واسترجاع الكرامة الانسانية من ايدي شذاذ الآفاق من ايدي حثالة قذرة رصع اللؤم مفرقيها على مشهد من الاجيال الطويلة وهذه حقب التاريخ تشهد بذلك .

كلمة العدد

أمة انبثقت من كتاب

اما « الكتاب » فهو القرآن ..

واما الامة فهي الامة الاسلامية ..

وقد عاشت هذه الامة قبل البعثة المحمدية فى وثنية خرقاء ، وخرافة مضللة ، وجهالة عمياء ، فالعالم ، اذ ذاك ، كان متلبدا بسحب كثيفة من القلق والاضطراب ! والحيرة والفوضى ! وكان اعتماد الناس على وسائل الشر اكثر من اعتمادهم على وسائل الخير ..

وكانت الحاجة تدعو الى بعث جديد ، ووعي رشيد ، وحياة ونشور ، فانبعثت موجة هادئة من النور الهادي فى خضم ذاك الزمان المضطرب فايقظ امة كانت سادرة فى غلوائها ، تائهة فى بيدائها ، وبعث قبائل جامحة عاشت ردحا من الوقت فى بحر لجي من ظلام الشرك يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، فافتر فم الزمان عن ابتسامة عذبة اشرقت لها ارجاء الكون المغمور بالظلام والفوضى ، وملأته بانوار الحق والقوة والجمال ...

ولم يكن ذاك النور الهادي الا رسول الهداية الذي جاء لاصلاح اوضاع العالم المشرك ، وبيده « كتاب » مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، تندى له القلوب اليابسة ، وتستيقظ لروعته النفوس الوانية ، ففتح الاعين العمي ، والآذان الصم ، والقلوب الغلف ، ثم دفع بالامة العربية وبابنائها وشبابها الى رابية المجد ، وقدسية الشرف ، وآفاق المعرفة .

فى البداية حارت عقولهم فى هذا « الكتاب » وطاشت افئدتهم لبلاغته ، وتدلهت دونه احلامهم ، وهم الفصحاء اللسن الذين عرفوا بشموخ العرنين ، واباءة الضيم ، فحاربوه واستنفذوا ما عندهم من قوة فى اخفاء ظهوره ، واطفاء نوره ، فما قدروا ، وابلسوا ، فما نبسوا !! .

العدد الثالث
السنة الحادية عشرة
شوال : 1387
يناير : 1968
ثمن العدد
درهم واحد



مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما
فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ
الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

ان « كتاب » المسلمين الخالد الذي هو اثبت من الجبال رسوخا ، واقوى من الشمس ثباتا ودواما ، يدعونا — جميعا — الى اتخاذ كل الاسباب للتطور ، ومسايرة الركب العام ، لانه « كتاب » الاسلام العام الخالد الذي يدعو الى المحبة والعدل والسلام ، ويؤاخي بين مختلف الاجناس والثقافات والالوان ، وان له اليوم ، ولله الحمد ، فى رقعة العالم الاسلامي التي تمتد من المحيط الاطلسي الى المحيط الهادي ، وفرة من مصادر الثروة الطبيعية ، ووفرة بشرية متزايدة تجعل قوته العددية يخشى باسها ، وتنذر اعداءها وخصومها ومن فى قلوبهم مرض بشر مستطير .

وظروفهم اليوم اشبه ما تكون بظروف الامس بكل ملابساتها ، فقد نزل الروح الامين ، فى البلد الامين ، على الرسول الامين « بالكتاب » المبين ، وهو صلوات الله عليه فى العصيب من الزمن ، وفى حالة الحزن والاسى ، وفى حالة الحرب والسلم ، والنعماء واللأواء ، والشدة والرخاء ، فكانت آياته المبصرة أفضل عدة للصبر ونصرة الحق ، وخير حافز للنضال والجهاد .

ان المسلمين فى الحالة الحاضرة مدعوون لاقامة وحدة متماسكة الوشائج ، وثيقة العرى ، مستمدة من كتابهم الذي ألف ، فى الماضي ، بين قلوبهم ، فاصبحوا بنعمته اخوانا ، وقد كانوا من قبل على شفا جرف هار .

ان « كتابا » اسهم فى خلق مجتمع فاضل ، وانبثقت منه أمة ، أسست حضارة راقية ، لخليق بان يعيد لهذه الامة مجدها الضائع ، وعزها المفقود ، ما ان تمسكت « بالكتاب »

دعوة الحق

واتم الله نوره ، ولو كره الكافرون ..

واخيرا ، انصاعوا لامره ، ونزلوا على حكمه ، وعاشوا مع هذا «الكتاب» المبين فى موسم الخير ، ومواكب النور ، ومنابع الهدى ، ومحافل الايمان ، لانه حمل اليهم رسالة الله ، وجعلهم خلفاء وملوكا ، وآتاهم من القوة والباس وسعة السلطان ما لم يوت احدا من العالمين ...

خاضوا بايمانهم الصادق أعنف المعارك ، واشدها قسوة وضراوة ، فانتصروا . وواجهوا ـ ونورهم يسعى بين ايديهم ـ زحوف الجاهلية الجاحدة ، فقهروها ، وارجعوها ناكصة على الاعقاب ، موالية الادبار ذلك بانهم تمسكوا بما لم يضلوا بعده، فهدوا الى الطيب من القول ، وهدوا الى صراط مستقيم .

شيدوا للحضارة الانسانية الزاهرة صرحا متينا ، واقاموا العالم العاثر من كبوته، وايقظوه من سباته وغفوته ، لان «كتابهم» الخالد كون منهم أمتن رابطة روحية تجمع بين الامم والافراد ، والاشتات والاضداد ..

كانت اعمالهم يغمرها جمال التقوى ، ويسودها الاخلاص والاحسان والايمان ونكران الذات ، ويجملها حب التضحية والفداء .. «فكتابهم» حبب اليهم الايمان ، وزينه فى قلوبهم ، وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان .

حضهم هذا «الكتاب» على النظر فى خلق السماوات والارض ، وحثهم على التامل فى ملكوت الله ، وما خلق الله من شيء ، ونبههم الى ما فى انفسهم ليبصروا ، وشجعهم على اعمال الفكر ، واستعمال العقل لفتح مغاليق الكون ، فلم تكن امة الاسلام فى تفتحها مهملة لعقولها ، ولا مقصرة فى تفكيرها ، تعيش فى جمود مطلق ، وخمود مميت ، غير آخذة باسباب البحث والخلق والابداع ، بل كان لها من مكامن القوى ، ومذخور الطاقات ما جعلها امة ملتزمة تنشيء حياة جديدة على اس من الخلق والدين ، وتبني صرح الحضارة الانسانية ، وتحمل مشكاة التقدم والحضارة والعمران ..

هذه المعاني السامية الحافلة بالحركة والالتزام هي التي ضمنت لتلك الامة الاسلامية الوسطى حياة مستمرة دائمة التدفق والعطاء ، وحبتها منابع ثرة يستريح اليها الحران واللاغب ، ويطمئن الى ظلها الوارف المطارد والشارد ..

واليوم ، وفى حاضر العالم الاسلامي ، هل من يقظة واعية تعيد لهذه الامة الاسلامية المخدرة مجدها الناهض ، وبطولتها الموروثة ، وعزها التليد ؟

وهل من شروق جديد لفجر هذه الشعوب الاسلامية التي تخلت ، فى تخاذل وتناكر وتدابر ، عن رسالتها المثلى ، فاستولت عليها المطامع السود ، والاهواء الاثيمة ، فاصبحت مع العالم المتقدم الزاحف ، كنون الجمع حين تضاف ؟!

وما موقف العالم الاسلامي اليوم ازاء الحضارات الحديثة ؟ وما مدى مساهمته ومواكبته للتقدم العلمي والتطور التقني والقوة الحربية الرهيبة ؟



صاحب الجلالة يلقي درسه الجامع امام حشد من السفراء والوزراء والعلماء .....

الدرس الديني الجامع الذي ألقاه صاحب الجلالة بالضريح الحسني

كم من رجل لو أقسم على الله لأبره

نص المحاضرة الدينية الجامعة التي القاها سيد البلاد صاحب الجلالة أمير المؤمنين مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده في شهر رمضان المعظم امام علماء الاسلام في المشرق والمغرب الذين حضروا الدروس الدينية الرمضانية التي عقدت بالضريح الحسني ، مساء يوم السبت 14 رمضان المعظم 1387 (16 دجنبر 1967) .

وقد تناول حفظه الله في درسه القيم شرح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه « كم من رجل لو اقسم على الله لابره » .

قال صاحب الجلالة أمير المؤمنين نصره الله وأيده :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الصادق الامين.

أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الامور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من امرنا رشدا ، رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث ، فاطر السماوات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين .

أيها السادة

أيها العلماء الافاضل

جرت العادة في نهاية دروس رمضان أن اتطفل على مائدتكم وما هو من اختصاصاتكم ، فنحن لسنا من الفقهاء ولا من المحدثين ولا من المفسرين المتخصصين ، فسلفا نرجو منكم التسامح ، كما اننا نطلب من الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على تفسير هذا الحديث وشرحه وتطبيقه تفسيرا وشرحا وتطبيقا يزيدنا ايمانا وتعلقا بملة أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

التذكير من مهام الراعي

وقد تذكرت بهذه المناسبة مثلا عربيا عاما اصوغه في قالب فصيح وهو يقول : (لا تتخل عن عادات ، يسبب لك تركها معادة) ، اذن فما علينا الا أن نحافظ على هذه العادة ، ونسهم معكم بنصيبنا لا كمفسر ولا كمحدث ولا كعالم ولا كاستاذ ، ولكن كراع عليه مسؤوليات الراعي ، ومسؤوليات الراعي — كما تعلمون — هي مسؤوليات جسام ومتعددة في أنواعها وازمنتها وامكنتها ، ولما كانت هذه الرعاية تصادف شهر رمضان الذي هو شهر الصيام والامساك عن كل معصية ، وشهر الانابة الى الله تعالى — صارت رعايتنا — اعتبارا للزمان وللمكان في شكل تقديم بعض النظريات من شأنها أن تعزز جانب الدين في قلوبنا وتثبت عليه اقدامنا .

كم من رجل لو اقسم على الله لابره

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(كم من رجل لو أقسم على الله لابره)

تستلفت الانظار الى أهمية بعض الاحداث الكبيرة والظواهر الكونية العظيمة .

عيسى يحرر الافراد

اما معجزة عيسى عليه السلام فاننا نقرأ فى الانجيل ان الولاة — حينما يزور عيسى عليه السلام بعض المدن والقرى — لا يشتكون من معجزاته كاحياء الموتى وابراء المرضى بل يشتكون دائما من شيء واحد موجود فى تقاريرهم ، هو ان عيسى يحشد حوله دائما اقواما واقواما ، وكلما خطب فى الناس زاد عددهم وتمردوا فكريا ، وصاروا متمردين على الحكم القائم ، فمعجزته الحقيقية لم تكن منحصرة فى الطب ، بل كانت تحرير الافراد ، وكلنا يعلم ان البشرية لم تعرف قط العدد العديد والجموع الكثيرة من الاسارى والعبيدكما عرفتها ايام عيسى عليه السلام ، كانت روما مسيطرة اذ ذاك على العالم كله ، وكلما دخلت قرية افسدتها وجعلت اعزة اهلها اذلة واسترقت الجميع ، فجاء عيسى عليه السلام بالمساواة بين القوي والضعيف ، جاء عيسى بنفي الاستعباد ، الانسان حر ، فحرر الرجال ، وحرر الرقاب، وصار ينادي بالتحرروالحرية، الشيء الذي جمع عليه الآلاف والآلاف من البشر .

ويمكننا ان نقول فى موسى وعيسى ان موسى لم يكن له وطن ، وان عيسى كان لاجئا سياسيا فى جميع الاقطار التي حل بها ، مسألة الوطن مهمة جدا ، الشيء الذي سيظهر ميزة اخرى تتعلق بالاسلام .

المعجزة الخالدة ...

اما الديانة الاسلامية فاعجاز القرآن هو معجزتها الخالدة ، هو المعجزة التي تجعل من المستحيل ان يترجم القرآن بنصه وفصه ومعانيه وبلاغته الى لغات أخرى ، الا ان هناك معجزة اخرى تتمثل فى الاعجاز الذي نجده فى القرآن ، فلو أخذنا (الاميين بالتفسير المتعارف عليه لما كان فى امكاننا ان نثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ارسل الى الناس كافة ، فلا ننس انه كان اذ ذاك الفرس ، والبزنطيون ، وروما ، وفيتاغورس ، واريسطو ، والشعراء والفقهاء ، والمهندسون ، والاطباء ، فكان الشرق ما عدا الجزيرة العربية — كله يقرا ويكتب فماذا نحن قلنا ان النبي صلى الله عليه وسلم أرسل للاميين الذين لا يعرفون الكتابة والقراءة ضيقنا نطاق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم .

فما هو التأويل اذن ؟

التأويل هو قول النبي صلى الله عليه وسلم (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق)

فالامي ينقسم الى قسمين :

الامي من ناحية العقل والكتابة والقراءة ، والامي من ناحية عدم تطبيق تلك القراءة والكتابة فى سيرته وفى معاملاته وفى مبادلاته وفى بيعه وشرائه ، وفى زواجه وطلاقه ، فماذا نحن أطلقنا لفظة الامي فيمكن أن تكون بمعنى الجاهل الذي لا يقرا ولا يكتب ، ويمكن أن يكون الامي أيضا ذلك الرجل الذي يعرف القراءة والكتابة ولكنه لا يطبقها حسب الشريعة والاخلاق ، فعلى هذا التأويل يمكن تفسير قول الله تعالى (هو الذي بعث فى الاميين رسولا) بأن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم هي فى الحقيقة رسالة للناس كافة .

قصر الامية على جزيرة العرب أو قسم منها شيء معروف ، والدليل على أن طرفا من جزيرة العرب لم يكن اميا هو اليمن ، فقد ذكر الله سبأ فى القرآنوضرب بها المثل ، وان مدنية اليمن وحضارة اليمن وعلماء اليمن لم يكن ليضاهيهم أحد فى زمانهم ، فالنقطة الاولى هي تمايز بعض الرسالات السماوية على بعضها من حيث الزمن ، وميزة رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جاءت لتعليم البشر وتربيته ، فظهر لنا فضل رسالة سيدنا محمد عليه السلام من حيث الزمن .

هؤلاء الرسل ...

من هو موسى ؟

ومن هو عيسى ؟

ومن هو محمد ؟

كيف كانت حياتهم ؟ وكيف كانت مشاعرهم ؟ ماذا عرفوا من الدنيا ؟ وماذا شهدوا منها ؟ وماذا جربوا ؟ وماذا لم يكتسبوا من التجارب ؟

اما ما نعرف عن موسى فهو قليل ، فالتوراة نفسها نرى فيها غموضا بين وقت ووقت ، بين الوقت الذي أخذه فرعون ورباه فى بيته ، وبين وقت النبوءة والرسالة .

ولكن يمكننا أن نتتبعه فى وقت نبوءته ، فنراه لا يعرف شيئا عن الحالة المدنية ، عن حالة الاسرة ، ولا عن الحالة التي يعرف فيها ضعف الرجل ، والتي

انني وجدت هذا الحديث لطيفا فى مبناه ، عظيما فى معناه ، وجدته بابا مفتوحا وافقا فسيحا لا حد له ولا نهاية امام كل عبد مسلم ، وقبل ان اشرح هـذا الحديث واطبقه على ديننا وعلى دنيانا وعلى المسلمين اجمعين ، اود بطريقة موضوعية — ان لم اقل بطريقة حديثة — ان اظهر فضل هذه الديانة ، ديانة سيدنـا محمد صلى الله عليه وسلم ، على سائر الديانـات الاخرى ، حتى يمكننا اذ ذاك ان نقيـس اعمالنـا ومعاملاتنا بالديانة الاسلامية ، وحتى يمكننا ان نبشر انفسنا ويبشر بعضنا بعضا انه من الممكن ان يكون منا فى كل زمن وفى كل وطن ذلك الرجل الذي اذا اقسم على الله ابره .

الاسلام مسك ختام الرسالات السماوية

انني اطلعت فى صحيح الامام مسلم على حديث لا احفظ نصه يشبه فيه النبي صلى الله عليه وسلـم الديانات والرسل ، يقول فيه عليه السلام ما معناه : مثل الديانات والرسل كمثل بيت أقيم ولم تبق فيه الا لبنة ، وانا لبنة ذلك البيت : اللبنة العليا ، بيـت القصيد ، واسطة العقد ، الخاتمة ، مسك ختـام الرسالات والنبوءات ، فاذا نحن طبقنا هذا الحديث على تطور الانسانية وعلى تطور الديانات وجدنا ان الديانات السماوية وبالاخص التي نعرف عنها والتي ما زلنا نقرأ عنها هي رسالات ثلاث : رسالة موسى عليه السلام وما تبعها ، ورسالة عيسى عليه السلام وما تبعها ، ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الاديان من حيث الزمان والمدلول والرسول...

واذا اردنا ان ندخل فى هذا الشرح بالتمحيص وجب علينا ان ننظر الى هذه الديانات من وجوه ثلاثة :

1) زمانها

2) مدلولهـــا

3) الرجل الذي دعا اليها .

اما عن الزمان فقد قيل — وانا مقتنع بذلك — فى هذا المجلس ، وفى الكتب وفى مجالس اخرى ، ان لكل مرسل بديانة معجزات تناسب زمانه ، فمعجزة موسى كانت من جنس السحر لكثرة السحرة فى عهـــده ، ومعجزة عيسى عليه السلام كانت من جنس الطب لانتشار الطب فى زمانه ، فقد ابرأ الاكمة والابـــرص واحيى الموتى باذن الله ، ومعجزة محمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن المعجز ، فقد خلق صلى الله عليه وسلم أميا فجاء بهذا القرآن الذي ليس له مثيل ، والذي تحدى فصحاء العرب وبلغاءهم — وما أكثرهم فى زمانه — ان ياتوا بسورة من مثله فعجزوا .

انا اقدر هذه الاقوال كلها ، الا انني اعتقد انه من المستحسن ان ازيد بعض التفسيرات فى هذا الباب :

كلنا يعلم ان موسى ازداد فى مصر ايام الفراعنة، وان الفراعنة كانوا على علم عميق ، وبالاخص الرهبان الذين كانوا يحيطون بهم ويفتونهم فى أمرهم ، والذين كانوا يسيرون حقيقة سياسة الدولة ، لم يكونوا على علم عميق بالسحر فقط ، بل كانوا بالاضافة الى ذلك على علم بجميع الرياضيات التي كانت معروفة اذ ذاك، فلم تكن اذن العصا التي اوحى الله الى موسى أن يلقيها الا معجزة مناسبة .

كان موسى يعرف خواص الزئبق ، وانه اذا ألقى فى الحرارة أو وضع تحت الشمس اخذ يطول ويطول فيتحرك بالعصا ، فكانت معجزة موسى عليه السلام على حد فهم أهل زمانه .

ولا ننس ان البشرية كانت اذ ذاك فى جهالة جهلاء فكانت تاخذها الخشية وتفر اذا امطرت عليها السماء بالضفادع ، لانها لم تكن اذ ذاك تعرف ان هذا شيء ممكن وعادي ، لان الضفادع تبيض فى الاودية والانهار، وحينما تمتص الشمس بخار الماء تاخذ معه ذلك البيض الذي يكون صغيرا جدا فينمو فى السحاب ، واذا بـه ينزل يوما ما فى صورة ضفادع ، شيء وقع ، أظهره الله فى ذلك الوقت على يد موسى ليمكنه بذلك ان ينفذ الفكر البشري مما كان مخيما عليه من الجهل وعدم معرفة هذه الاسرار .

ومما هو معروف فى بلاد الشرق وارض الكنانة — ان السماء تمطر بعض المرات ماء أحمر ، لان الرياح لما تاتي تاخذ الماء والبخار ومعه شيء من الطين الاحمر فيتكون الماء عند التقاء السحاب فينزل الماء كانه دم ، وكان من معجزة موسى عليه السلام انه طلب من الله ان تمطر السماء ماء أحمر حتى يزد جربه فرعون وقوم فرعون ، لا السحرة ، ونحن نعلم اليوم علم اليقين ان سيدنا موسى عليه السلام كان من تلاميذ الرهبان قبل ان ياتيه الوحي ، فقد قرأ عليهم كثيرا ، واخذ عنهم كثيرا ، وبذلك تمكن من معرفة ما ينفع به شعب مصر ومن يحدق به من الشعوب الاخرى من الاشياء التي

(العين تدمع ، والقلب يخشع ، ولا نقول الا ما يرضي الرب وانا على فراقك يا ابراهيم لمحزونون) .

فقد ولده ، الشيء الذي لم يقع للآخرين ، وكأن الله سبحانه وتعالى اراد ان يتوج هذا كله ، فجاءت قضية الافك ، فعرف صلى الله عليه وسلم ما للغيرة وما للشك في زوجته وفي حليلته من مصائب وآلام ولواعج وتكاليف على الفكر والجسد ، الى ان اتى الله سبحانه وتعالى بآيات البراءة التي طمأنته على عرضه وعلى عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهم جميعا .

هكذا نرى ان الرجل اي النبي صلى الله عليه وسلم من حيث هو عاش عيشتنا ، وتقلب في آلامنا عرف جميع الانواع منها . عرف منها الجوع ، عرف منها الغربة ، والنفي ، عرف منها فقد الولد ، عرف منها القذف في عرضه ، عرف منها الشك ، عرف منها الارتياب ، عرف منها كل شيء وما ذلك الا ليربيه الله سبحانه وتعالى تربية كاملة ، لان المخلوق مخلوق وما نحن الا من لحم ودم ، وما قلبنا الا موطن للشك ولليقين والمحبة والكراهية ، فبذلك مكنه الله من ان يعرف الداء فيدلنا على الدواء ، والا لكانت ديانته ديانة نظرية ، ولكان نبيا نظريا ، ولكانت فردية ليس من ورائها شيء اذن كان صلى الله عليه وسلم موضوعيا من حيث الزمن ، ومن حيث المعجزات ، ومن حيث الرجال ، فكانت معجزته اكمل المعجزات وأتمها واقول اصلحها .

وان نحن مثلنا الديانات بالعملة ، فالعملة الجارية، العملة القوية العملة التي يمكن ان يتعامل بها في كل مكان وزمان وهي الذهب . هي النبي صلى الله عليه وسلم ، فرسالته من ذهب عملة قوية يتعامل بها عند جميع الاجناس ، وفي جميع الاماكن ، وفي جميع الازمنة .

قرأت عليكم في الاول بعض آيات لموسى وعيسى وسأرجع الى البعض منها بعد الشروع في تفسير الحديث .

الكم ... والكيف

الحديث في مبناه يعجبني جدا ، بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بلفظة « كم » ولم يذكر في هذا الحديث معنى الكيف ، فهذا استبشار عظيم ، (كم) كلكم او الكثير منكم يمكن الله ان يبر قسمه ، ولكن لم يقل صلى الله عليه وسلم يشترط ان يكون فيك كذا وكذا حتى يبر الله قسمك .

فوجود (الكم) هنا دون ان يكون مقرونا بالكيف هو الذي يفتح لنا جميعا : لرجل الشارع ، للقوي ، للضعيف ، وللمذنب ، وللطائع ، هذا الباب الذي يمكنه ان يناجي منه نفسه في ليله ونهاره ، في شغله وفي راحته ، قائلا : لعلي اكون من اولائك الذين اذا اقسموا على الله ابرهم ، ولكن مع ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر بعض الشروط لابد لنا نحن ان نذكر بعضها الذي هو من باب تحصيل الحاصل ، فالكلام جاء من فم النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالاسلام ، فمن الطبيعي ان هذا العبد في هذا المقام لا يكون الا مسلما ، امرنا بالايمان ، فمن الضروري ان نكون مؤمنين حتى ندخل في هذا القالب، امرنا بالاحسان وهو الضمير المهني ، وسيأتي بتقريره بعد ، فلا بدلنا من الاحسان حتى لا نكون منافقين وندخل في اطار هذا الحديث امرنا ان نكون مسلمين ، ان نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، وان نقيم الصلاة ، ونؤتي الزكاة ، ونحج البيت ، ونصوم رمضان ، امرنا ان نكون مؤمنين ، ان نؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه ، وبما جاء به الحديث الذي نزل على فم جبريل الذي رواه مسلم والبخاري وغيرهما من رواة الحديث .

ما هو الاحسان

وامرنا بالاحسان ، فما هو الاحسان ؟ هو قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عليه السلام عن الاحسان : (ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك) ، معنى هذا ان الانسان في جميع اعماله ، وفي جميع حركاته وسكناته ، اذا هو تشخص وجود الروح الالهية والاعانة الالهية مطبقة عليه من فوقه ومن تحته ، من امامه ومن خلفه ، وعن شماله ويمينه ، ادى ما هو مناط به على احسن الوجوه والدليل على هذا هو ان لا يكون كذلك يصير من زمرة المنافقين الذين جاء فيهم كتاب الله بالوعيد الشديد ، والذين وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : (آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف، واذا أؤتمن خان) وبعكس ذلك المؤمن ؟ انه هو الذي اذا حدث صدق ، واذا وعد وفى ، واذا أؤتمن ادى الامانة) .

انها ليست شروطا كثيرة : الشهادة ، اربعة اركان : الايمان بالله والرسل والملائكة واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره، وان يكون فينا الاحسان حتى لا نكون من المنافقين ، وحتى نستحضر الله دائما

يعرف فيها كيف يحلل المشكلة الخلقية او العاطفية التي تعتري كل واحد من البشر ، وانما نجده يقول عند نهاية حياته ما قاله الشاعر فنسى موين وهو يدعو باسم موسى : (اللهم انك خلقتني قويا ووحيدا ، فتوفني اليك هادئا) ، ذلك لان الرسالة التي أعطاه الله اياها كانت رسالة زجر ، كانت رسالة قساوة ، كانت رسالة نذير لا رسالة بشير ، لانه كان فى عراك دائم مع قومه ، كان يدعو عليهم بالسوء ، كان يقضي حياته كلها فى تقويم اعوجاجهم .

ويمكننا ان نقول : ان رسالة موسى عليه السلام كانت رسالة سلبية ، لانها كانت تشتمل على النواهي، ولم يظفر موسى يوما من الايام بسرور كالذي ظفر به النبي صلى الله عليه وسلم فى حياته ، ولم يرض عن رعيته ولا عن القوم الذين بعث فيهم ، فلنسمع الى موسى واله موسى يتكلمان ، فى هذه النبذة التي وقفت شخصيا على ترجمتها من التوراة :

قال الله على لسان موسى :

(الى اي حين سيظل هذا الشعب يهزأ بي ويسخر مني ؟ والى اي وقت سيبقى غير مؤمن بي رغم جميع النعم التي اسبغتها عليه ؟ انني سأسلط عليه الطاعون ، وسأجعل منك امة اقوى واعظم منهم) .

هكذا عاش موسى عليه السلام فى عراك مستمر مع شعبه ، وفى مناجاة مستمرة مع ربه ، هذا ما اعتقد .

عيسى روح الله وكلمته

اما سيدنا عيسى عليه السلام فمن هو ؟ سيدنا عيسى روح الله وكلمته ، سيدنا عيسى لا نعرف عن صباه شيئا ، ولا يمكننا ان ننتبه الى حياته او الى تاريخه الا بعد ما نراه يلتقي مع جان باتيست، ثم يشعر من نفسه انه مؤهل الى رسالة، فيخلو بالجبل الاسابيع والاسابيع ، فيأتي الشيطان فيوسوس ، ويحاول ان يدحرجه وان يجعله فى موطن الزلق فيابى سيدنا عيسى ، ومن ثم يخرج عليه السلام ليدعو الى رسالته.

الصورة المخالفة

اننا اذا امعنا النظر فى رسالة عيسى عليه السلام لا نجد انه غير منسكا من مناسك موسى ، بل زاد عليها الشيء القليل ، ولكن لم يغير من الديانة اليهودية ، لانه كان أولا يهوديا ، فبماذا جاء اذن ؟ انه لم يجيء بمعتقدات جديدة . فالله موجود ، وملائكته موجودون ، ولكن رأى الله سبحانه وتعالى من الضروري ان يغير أمام الناس شبح ذلك الاله المنتقم، شبح ذلك الاله الذي لا يعمل الا والهلاك فى يده . اراد الله سبحانه وتعالى أن يعطي للناس صورة مخالفة لما يظنونه فى الله ، فجاء عيسى بانه رب الرحمة ورب المغفرة ورب التوبة ، ويمكنني أن اقول هذا ، لان الانجيل ليس ما كتبه أو قراه عيسى فرواه عنه الناس مسترسلا متواصلا كما هو الشأن فى القرآن — لو كان ذلك ما كان فى امكاني ان اقول شيئا فى هذا الباب — ولكن بما ان عيسى كان يتكلم بالعبرانية وبعده ترجم الانجيل الى اللاتينية والعربية والانجليزية والفرنسية يمكنني اذن ان اقول بان صفة ذلك الاله ربما غالى فيها سيدنا عيسى حتى قال : (اذا ضربك احد على خدك الايمن فأدر له خدك الايسر) وحتى قال وهذا اعتقد اخطر : (انظروا الى الطير فى السماء ، فهي لا تبذر ولا تجهد ولا تجمع الحب فى البيادر والحقول ، وانما يطعمها ربكم الاعلا ، فهل لستم اجل منها قدرا وارفع منها شأنا ؟)

حيى النبي (ص) حياة شعبه

اما النبي صلى الله عليه وسلم فقد اراده الله أن يعيش حياة شعبه وحياة أمته ، نعم عذب (ص) وهزىء به كما هزىء بالرسل من قبله ، ولكنه عليه الصلاة والسلام لم يدع قط على شعبه ، وحينما جاءه جبريل وهو فى الطائف قال له : (اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) ، بل اراد الله سبحانه وتعالى أن يظهر لنا النبي صلى الله عليه وسلم فى الحالات التي يمكننا أن نعيشها كلنا فرادى وجماعات ، فهو الذي أخرج من مكة واستعظم الامر واستكبره ، وحينما قال له ورقة ابن نوفل قبل ذلك سيخرجك قومك ، اجابه متعجبا : أو مخرجي هم ؟ واستعظم الامر واستكبره ، وبكى صلى الله عليه وما زالت لواعج الحنين فى صدره منذ فارق مكة وهو فى المدينة الى أن اعتمر عمرة القضاء وحج حجة الوداع ، ومكث بمكة وتعرف عليها وطاف بالبيت وزار جميع المعاهد والاماكن التي كان يهواها ويحبها والتي تربى فيها .

الداء والدواء

اذن عرف عليه الصلاة والسلام مفارقة البلد والاغتراب ، عرف الحزن من فقد أحد أبنائه وقال :

(لا تشغلوا انفسكم بهم السؤال ما استطعتم ، وماذا سنسقى ؟ وبماذا سيتيسر لنا الكساء ؟ ان عباد الاصنام هم الذين عن كل هذا يتساءلون ، الا ان اباكم الاعلا يعلم بانكم بحاجة الى الطعام والشراب والكساء بأنه اذا ابتلى بالخوف فهو لا يبتلى بالجوع ، واذا ابتلاه فالتجئوا الى عدله ، وسيهبكم الله كل ذلك تفضلا ، ولا ترهقوا انفسكم الاهتمام بالغد ، لان الغد سيفنى بما فيه ، ولكل يوم نصيبه من الفتنة ، ولكل يوم ما يكفيه من العذاب ، ونحن نروي عن النبي صلى الله عيه وسلم انه يقول : اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

ثم قال عيسى والفرق بين : (انظروا الى الطير في السماء فهي لا تبذر ولا تحصد ولا تجمع الحب في البيادر والحقول ، وانما يطعمها ربكم الاعلا، فهل لستم اجل منها قدرا وارفع شأنا ؟) فيقول النبي صلى الله عليه وسلم (لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير ، تغدو خماصا ، وتروح بطانا) فمعنى التوكل في هذا الباب هو العمل ، واخذ الاحتياط وفرض جميع ما يمكن ان يقع ، ومن بعد التوكل على الله ، نها هي شريعة الامل ، وها هي شريعة الخمول ، ها هي شريعة الامل ، وها هي شريعة اليأس ، ها هو كلام الرحمة ، وها هو كلام الغلظة ، هنا ولنبلونكم بكذا وكذا رحمة وغلظة . وهنا ستظلون تجوبون الارض غلظة بلا رحمة .

ثم انظروا الى الطير رحمة بلا فائدة ، وما جمع الرحمة والفائدة الا قوله تعالى (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) (وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا) . هذا هو الخير كل الخير .

ففيما يظهر اعتقد في ضميري انه من الناحية التفسيرية والاجمالية انني أتيت على بعض الجوانب من هذا الحديث ، وما واكبه من تفسير أتيت بآيات بينات واحاديث نبوية واستدلالات من التوراة والانجيل مع أني لست صاحب هذه المهنة ولا متعاطيا لها ، وقد اخترت هذا الحديث كما قلت لكم أولا لانه يفتح باب الرحمة ويفتح باب الامل ، ولانه يذكرنا بكتاب الله سبحانه وتعالى (ولئن شكرتم لازيدنكم) فلنا في يمنانا وفي يسرانا حبل من الله سبحانه وتعالى وحبل من رسوله صلى الله عليه وسلم لنفتح الآفاق امامنا ، ولنذلل العقبات ، وهذا ما وقع لي في هذا الشهر الكريم واردت أن اذكر هذا الحديث اليوم بمناسبة رمضان ، حيث أن هذا الشعب اقسم على الله فأبره حينما قبل — منذ سنتين مضت — كل واحد منه ، كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، أن يتنازل عن الزائد في ثمن السكر ، وان يتحمل جماعات وافرادا بناء سد وادي زيز الذي تم ولله الحمد مشروعه ، والذي سنشرع في العمل فيه في اوائل شهر شوال ان شاء الله (1) .

المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا

فاليك ايها الشعب الكريم ارفع هذه البشرى ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو اصدق القائلين ما معناه : (ان لله شعوبا لو اقسمت على الله لابرها) فاهنأ بهذا الحديث وبهذه البشرى، لانك اقسمت، وما معنى القسم ؟ اقسمت وعملت ، اقسمت واهتديت فلم اقل شعبي العزيز لانك تشبثت فرادى بجميع اطراف الديانة الاسلامية ، فلم اقل ، انك صليت وانك زكيت، او انك كذلك صمت او انك كذلك تجنبت المحرمات ، او انك كذلك أطعت الطاعات واتيت بها ، ولكن اقول : ان هناك تكافؤا ، ان هناك توازنا ، فاذا عصى واحد منا في ناحية احسن الآخر في تلك الناحية ، وهذه هي الشعوب والمؤمنون يشد بعضهم بعضا ، ما معنى يشد بعضهم بعضا ، يملأ المؤمن فراغ اخيه كلما وجد المؤمن فراغ أخيه من حسنة لم يأت بها فهو يعمر ذلك الفراغ حتى لا يبقى ذلك الجدار فيه ثغرات، وحتى يبقى جدارا مرصوصا لا ثغرة فيه ، فلنهنأ بهذا التكامل وهذا التكافؤ ولم تكن هذه هي البشرى الاولى ، ولا البشرى الوحيدة في بلادنا . وفي تاريخنا القديم والحديث من ان الله سبحانه وتعالى انصت الى قسم الابرار منا فأبرهم .

أخرجنا من ديارنا والرأس مرفوع

وما استقلالنا ببعيد ، وما حالة منفى ابينا بعيدة، وما حالة الاحتلال والقهر والغلبة التي عشتها . انت هنا والتي عشناها نحن هناك ببعيدة ، فلقد اخرجنا من ديارنا ولكن اخرجنا منها والراس مرفوع ولله الحمد ، اخرجنا منها والقلب مليء بالايمان ، اخرجنا منها واليقين يخامرنا ليل نهار باننا سنرجع ، وما اقتبسنا ذلك كله

1) بدأ العمل في بناء سد زيز في تمام الساعة الثانية عشرة من نهار الجمعة 12 شوال 1387 (12 يناير 1968) عندما ضغط جلالة الملك الحسن الثاني على زر فجر به شحنة من المتفجرات في فم غيور .

فى جميع ما ناتي وما نذر ، وحتى نكون متحلين بصفة الضمير المهني .

شمول الرسالة المحمدية

وقاعدة اخرى تركتها هي الاخرى نظرا لجسامتها: حديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المهاجر من هجر السيئات ، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، وهذه الفقرة هي التي تهمني : المسلم من سلم الناس من لسانه ويده .

اولا — نستبشر ، فالقرآن كما انه جاء للناس كافة جاء الحديث وسنة النبي صلى الله عليه وسلم للناس كافة ، كان فى امكانه عليه السلام ان يقول المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، ولكنه قال : المسلم من سلم الناس اي جميعهم من لسانه ويده .

الله .. الله .. يا أهل القلم

وانا أقول (ويده) تدخل فيها الكتابة ، فالمسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، وقلمه ، حيث ان القلم يخط فيكذب فيتقول فيتعرض الى آفاق اجتماعية او مصائب سياسية او الى فتن او الى المحصنات او للمس بالمقدسات، فالمسلم من سلم الناس من لسانه ويده التي يدخل فيها القلم الذي يكتب ، القلم ، فالله يا اهل القلم ، الله .. الله .. يا اهل الصحف ، اتقوا الله حتى تكونوا مسلمين ، وان كنا نعينكم فى بعض الاحيان على هذه التقوى ببعض من الرقابة ، ولكن هذا لا يكفي .

قواعد تكميلية

اذن هذه هي القواعد التي لابد منها . وهناك قواعد تكميلية ، لان الله سبحانه وتعالى لم يغفل فى كتابه عن شيء ، ولانه اذا اردنا ان نستخرج من كل آية ومن كل حديث ما يجب علينا ان نقوم به حتى نكون مبشرين بالجنة ، وحتى نظفر برضا الله وحتى نظفر بجوار النبي صلى الله عليه وسلم وحتى نظفر بالمغفرة، وحتى يتوب الله علينا — لوجدنا الشيء الكثير .

هذه بعض الاراء الموضوعية ، وهذه المسائل التي جئتكم بها كلها موضوعية ، وتدل على ان رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وافقت زمانها ومكانها ، وجاءت للناس كافة الذين يقولون بالسحر والذين لا يقولون به ، الذين يقولون بالطب والذين لا يقولون به؛ ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مثل الاحساسات التي لامته ، فعرف الداء فاهتدى الى الدواء ، كل هذه المسائل عرفناها بكيفية مجملة ، لان مثل هذه الجوانب تقتضي بحثا دقيقا ومستطيلا .

وزاد (من) التي هي للتبغيض حتى يأمل المؤمن والمسلم

لنرجع الى الكتب السماوية بما اننا ملزمون بالايمان بها ، على الاقل نعرف ما فيها ، جاء من التوراة — وهنا سترون عنصرا موضوعيا للفرق بين القرآن وغيره :

ثم خاطب الله موسى ، وهارون بهذه العبارات : « الى اي وقت سيظل هذا الجمع الخبيث يتهامس بي ويتقول علي ؟ انني سمعت الهمسات التي يتقول بنوا اسرائيل ويقذفونني بها ، فقل لهم : انني سأجعل منهم بحق روحي التي هي كلمة الله شيئا مطابقا لصدى صراخكم فى آذاني ، فجثثكم جميعا ستهوى فى تلك الصحراء ، انتم الذين جرى احصاؤكم بتعداد من بلغ منكم العشرين فما فوق ، وتقولتم علي الاقاويل ، فانكم قطعا لن تدخلوا البلد الذي اقسمت باقراركم فيه ، ان جثثكم ستسقط فى الصحراء، وسيبقى ابناؤكم فيها رعاة طيلة اربعين سنة كاملة ليكفروا عن خطاياكم ولا ازيد)

الفرق اولا : جاء فى القرآن حينما اراد الله سبحانه وتعالى ان يظهر جلاله للمؤمنين ويبث فيهم شيئا ما من الرعب والخوف قال لهم : « ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، وبشر الصابرين » الى آخر الآية .

لنبلونكم من باب التجربة وليس من باب العقاب ، وزاد « من » التي هي للتبعيض حتى يامن المؤمن والمسلم بانه اذا ابتلى بالخوف فهو لا يبتلى بالجوع ، واذا ابتلاه الله بالجوع فلا يبتليه بنقص فى الاموال ، هذا هو الفرق الاول .

اما الفرق الثاني فهو مهم جدا من باب المسؤولية المدنية ، فالله سبحانه وتعالى قال فى كتابه العزيز (ولا تزر وازرة وزر اخرى) .

وفيما قرات عليكم من التوراة : (وتصبحوا هشيما) (ولقد قضيتم اربعين يوما تجوبون البلد) حتى قال (ان جثثكم) (وسيصبح ابناؤكم فيها رعاة طيلة اربعين سنة كاملة ليكفروا عن خطاياكم) وهذه مسألة موضوعية ، هذا قرآن وهذه توراة ، والفرق بين ذلك وتلك ظاهر لمن اراد ان يكون مسلما.

اما الانجيل فقد قال فيه عيسى عليه السلام فى خطبته على الجبل :

الثانية فلا تحتاج الا الى علامة حتى يصبح الغني فقيرا وحتى يصبح الكل فقيرا .

دعــــــوات ...

اللهم ان كنت تعلم اننا حاولنا ابتغاء فضلــك ومحبة فى كتابك وتعلقا بسنتك ، وقياما بالواجب وان كنا متطفلين عن هذا كله فان كنت تعلم يا رب أننا فعلناه بحق وان هذا العمل ناتج عن نية صالحة فاغفر لنا اللهم سوء التفسير ، واغفر لنا اللهم سوء التفكيــر ، واغفر لنا اللهم ما لحنا فى كلامك او فى كلام رسولك ، وما قلنا معوجا وما لم نقله مصيبين ، اللهم ان كنت تعلم ان شعبك يصلي ويصوم ويزكي ويحج ويشهد ان لا اله الا انت وان محمدا عبدك ورسولك اللهم فادم عليهنعمة التآخي ، اللهم ادم علينا نعمة التآخي ، اللهم كف ايدي المسلمين عن اخوانهم ، اللهم كف السنتهم واقلامهمعن المسلمين ، اللهم ابذر فى قلوبنا الرافة والرحمة ولا تبذر فى قلوبنا الشدة والغلظة ، اللهم انك تقول : (ولئن شكرتم لازيدنكم) وانني اشكرك اللهم ، ان كل يوم بعد يوم وآياتك تتوالى ، ونعتمك تنبسط على هذه البلاد وعلى هذه الارض بكيفية تجعلنا عاجزين عن الشكر ، فمنذ ثلاث سنوات مضت كنا يا رب قلقين فزعين من حالة بعض الشبان ، من حالة بعض الناس الذين وصل بهم الجهل لدينهم انهم ربما كانوا يتبجحون بأكل رمضان اللهم اننا نشكرك على كوننا سمعنا ان الجل منهــم يصوم رمضان ، بل انهم فى وقت معــين فى الليــل يخرجون صفا صفا للذهاب الى المطعم الجامعي حتى يتناولوا سحورهم وحتى يصبحوا صائمين نائبين ، اللهم زدنا وزدهم وزدهم ، اللهم قوهم ، اللهم رسخ ايمانهم، اللهم ثبت اقدامهم ، اللهم اجعلهم يؤمنون بدينــك وبرسولك قلبا وعقلا ، اللهم اجعلهم يتشبثون بهــذا الدين موضوعيا وعاطفيا ، لان العاطفة كما تعلم يا رب تخون احيانا والعقل لا يخون ابدا ، فثبت عاطفتهــم بتعلقهم ، وثبت اقدامهم بان تجعل لهم هذا الدين سهلا سلسلا كما انزلته على رسولك صلى الله عليه وسلم وكما جاء به رسولك عليه الصلاة والسلام .

اللهم اننا بهذا الضريح ، وهذا الضريح هــو ضريح عزيز علينا لاسباب شتى ، فدفين هذا الضريح هو سيدي محمد بن عبد الله سيفك وظلك ، كــان سيفك فى الجهاد ، وظلك فى الحديث وسنة نبيــك ، اللهم انك تعلم ان دفين هذا الضريح هو مولانا الحسن الاول الذي كان عرشه على ظهر فرسه ، والذي كان لا ينام مخافة ظلم أو جور يقع على فرد او على جماعة او على بلاده ، ودفين هذا الضريح هو سيدنا محمد الخامس نور الله ضريحه ، وامطر عليه شآبيب رحمته اللهم انفعنا ببركتهم ، اللهم اجعل حياتهم وسلوكهــم نبراسا لنا فى حياتنا وسلوكنا ، وارحم اللهم والدنــا واجزه عنا خير الجزاء واجعل الجنة مأواه ، اللهم انك تعلم انه كان لا يغضب الا اذا انتهكت حرماته فكن له ولا تكن عليه يوم القيامة ، ولا تغضب عليه وارض عنه يا الله يا أرحم الراحمين ، اللهم انه كان يحب كتابك فاحبه على قدر محبته لك ، اللهم ان ذكرك كان أحلــى شيء فى فمه يقدمه على ذكر اولاده وعلى ذكر اجداده وآبائه ، اللهم اجعله من الصديقــين والشهــداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ، اللهم انك تعلم انه كان ينصف الضعيف حتى يكون اماما عادلا فأظله اللهم تحت ظلك كامام عادل يوم لا ظل الا ظلك ، اللهم انك تعلم انه كان يضحي بكل ما فى وسعه ليعيش الشعب، اللهم اجعل هذا الشعب كما اراد ، وفوق ما كان يريد، اللهم اجمع شمل العرب وعزهم بالمسلمين ، فاذا كانت النكبة الحربية وقد وقعت على العرب فالنكبة الدينية وقعت على المسلمين فلنطمئن اذن فلم نبق منذ اليوم سبعين مليونا من البشر ، بل اصبحنا نصف مليار من المدافعين عن دين الله وملة رسوله ، ومسجدهالاقصى وعن ارضه المطهرة .

اللهم اعنا ، وثبت اقدامنا ، وامنحنا التواضع الذي بواسطته ساخدم هذا البيت هذه الدار ، اللهم انك قلت فى ابليس (ابى واستكبر) اللهم اني اعوذ بك من الاستكبار ، اللهم ان منصبي وسني وما أوتيت من القدرة كل هذا من شأنه ان يطغى علي وأن يجعلنــي اطغى ، اللهم فانزل فى قلبي ذلك الميزان ، ذلك الفرقان الذي به يمكنني ان أفرق بين الحق والباطل ، اللهــم انزع من قلبي الاستكبار ، اللهم املأني بالتواضــع ، اللهم املأني بالتواضع ، اللهم اجعل شعبنا وأمتنا دائما ناعمة فى ظلال الخير والنفع والاسلام والهدى والسنة النبوية ، اللهم كثر من عدد علمائنا ، اللهم عزز جانبهم، اللهم افتح اذهانهم واجعل كل واحد منهم حاملا لجميع العلوم ، محيطا بجميع الفنون ، حتى يعلمو ويعلموا ، وحتى لا يضيق افقهم ، وحتى لا يحسبوا انهم غرباء فى وطن غريب . فلم يكونوا غرباء ، ولن يكونوا غرباء .

علينا ان نقترب منهم وعليهم ان يوسعوا افكارهم وان يقتربوا منا، ولنا اليقين بأن خطوات كهاته سيطوي الله مسافتها لانها خطوات ترمي الى تعزيز كتاب الله وتعزيز سنة الله .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وســلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

الا من مرآة من مشعل كان ينعكس ضوءه على شعبنـــا اي على اسرته الكبرى ثم على اسرته الصغـرى ، فركبنا الطائرة مؤمنين ، ونزلنا الارض الاجنبية مؤمنين، ورجعنا الى المغرب متواضعين حامدين الله شاكرين حتى يزيدنا من نعمته ومن فضله ، وهكذا قطعت شعبي العزيز مراحل واشواطا ، ولعلي بك تقول : وكيف نقطع المحنة التي نجتازها كلنا شعبا مغربيـا وشعوبا عربية واسلامية ؟ اقول فليسلم كل مسلم من يد المسلم ولسانه .

فليراقب الله كل مسؤول فى عمله

هذا هو الشرط الاول ، ثم اقول : فليراقب الله كل مسؤول فى عمله ، ولا يخط سياسة بكيفية جهارية ثم يهييء سياسة اخرى فى السر ، فيكون الظاهـــر مخالفا للباطن .

كيف التخلص ؟ التخلص اننا نكون كاصحـــاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما امره اللـــه بالرجوع الى المدينة بعد ما آمنوا بانهم سيدخلون مكة، وقد كان هذا الموضوع هو الذي كنت أريد ان اطرقه فى الحقيقة ، ولكن نظرا لتلابس المسائل السياسية ربما قد تخرج من فم عالم أو مفسر ولا يمكن ان يتمشـى معها الى النهاية لان السياسة لبست من شانه ، اما انا فمن شأني متى بدأت أطرق الموضوع السياســي استنفذه ومؤتمر القمة على الابواب فكان من الحـرج جدا ان اطرق هذا الموضوع ، لذا طلبت من فضيلـة الشيخ أن ينوب عنا فيه جازاه الله خيرا ، فاذا نحـن تحلينا بهذا كله وتحلينا بما وجب من الفضائل اقسمنا على الله فابرنا .

حديـــث الغـــار

وهذا حديث لطيف جدا حيث اننا نذكر العمـل الاقتصادي ووادي زيز والتحرر الاقتصادي والتنميـة الاقتصادية ، حديث لطيف جدا رغم ما فيه من خشوع ورغم ما فيه من جبروت ورحمة الله نستقصي منه هذا الظرف الاخير .

كلكم يعلم ما وقع لاصحاب الغار ، كانوا سائرين فاذا هم التجأوا الى غار فاذا صخرة تنزل من الجبـل فتحبسهم فيه فيطلبون من الله النجاة فلا تتحـــرك الصخرة ، فيأخذ كل واحد يذكر ويقدم بين يديه مـا يعتبره شفاعة وما يعتبر ان من شأنه ان يخفف عليهم ما هم فيه من الكرب .

وذكر الرجل الاول قضية البرور بوالديه ، المسألة واضحة البرور بالوالدين وصى به الله وجعل مكانة الوالدين بعد مكانة الله ، وجعل لهما مقاما رفيعا ، ولكن المسألة كيفما كانت هي مسألة سلالة ، الولـد يحب اباه وامه ، والام والاب يحبان ولدهما ، نعـم البرور شيء والمحبة شيء ، ولكن المنبع السلالـي طبيعي .

وقال الثاني يا رب انك تعلم انني كانت عندي مناسبة لارتكاب عمل محرم مع ابنة عمي ولكني وقفت نفسي حتى لا آتي بتلك الفاحشة فاذا كنت تعلم انني فعلت هذا لوجهك ففرج عنا هذه الضائقة ، فحقيقة هذا الرجل انه تمكن من الفرصة ولم يرد استغلالها ، ولكن المسألة مسألة اخلاق وعفة ، فلذا فرج الله عنه.

اما الثالث فسأقرأ قصته كما ورد بها نـص الحديث ، وبعد ذلك اعيده باللغة الدارجة ليمكن للجميع ان يستوعبه :

وقال الثالث يا الله ، انني استأجرت اجيرا بفرق ارز فلما قضى عمله قال أعطني حقي ، فعرضتـــه عليه فرغب عنه ، فلم ازل ازرعه حتى جمعت منـــه بقرا وراعيها ، فجاءني فقال اتق الله ، فقلت اذهب الى ذلك البقر وراعيها فخذه ، فقال اتق اللـــه ولا تستهزيء بي ، فقلت انني لا استهزيء بك فخذه فأخذه، فان كنت تعلم يا رب اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما بقي ، ففرج الله وفتح عليهم الباب .

معنى ذلك ان الله سبحانه وتعالى يريد ان يشغل المسلمون اليد العاملة ويريد الاشتراكية الاسلامية التي تغني الفقير ولا تفقر الغني .

فلو احتفظ ذلك الرجل بذلك القدر من الارز لما عصى ربه ، كان يؤدي له اجره اليومي، ولكن لي اليقين انه فعل ذلك وحده لما فرج الله عنه ذلك ان فى هذا الحديث حكمتين : الحكمة الاولى : عدم الاستغـلال بالمال الذي لا يروج ، وترويج المال ، واستخدام اليد العاملة ، واعطاء الاجور ، فحينما بذر وحصد لم يبذر ويحصد وحده ، وحينما بذر وحصد المرة الثانية لم يبذر ولم يحصد وحده ، وبذلك شجع اليد العاملة ، واخيرا كان الرجل فقيرا فأصبح غنيا ، تلك هي الاشتراكيـة التي اقول لكم دائما انها اشتراكية الاسلام واشتراكية المغرب ، اشتراكيتنا ترمي الى اغناء الفقير لا الى افقار الغني ، بالطبع الطريقة الاولى اصعب وأمر مـــن الطريقة الثانية ، فالطريقة الاولى يلزمها جهاد وكـد وجهد عشرات السنين ، والاجيال من المواطنين ، اما



شارك الشعب مشاركة كبيرة وعظيمة فى الاحتفال بليلة القدر وذكرى نزول القرآن ..
الذي دعا الى اقامته صاحب الجلالة الملك المعظم
وهكذا تشكل موكب ديني كبير من مسجد سيدي الفندور وقصد المشور السعيد
حيث استقبله أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني
وفي الصورة الاستاذ علال الفاسي الذي تقدم الموكب الى جانب صاحب الجلالة ايده الله ونصره

ننساها الا وهي التشبث بالحق ان الحق يعلو ولايعلى عليه واي حق أحق من كتاب الله وسنة رسوله ودينه الحنيف .

فلهذا لا يسعني فى هذا المجال الا ان اذكر حديثا لجدي عليه الصلاة والسلام حيث قال « من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة » فلكم الاجر ولكم اجر من تبعكم فى هذه السنة وجعلنا أعواما وأعواما نلتقي فى ليال مثل هذه الليالي المقدسة ليالي دينية مع جميع طبقات شعبنا واجياله وتوحد صفونا كلمة الله وتشد ازرنا واعتزازنا بمعز بيتنا وبوطننا وبعبقريتنا الخاصة ، والله اسال أن يعينكم جميعا على ما أنتم بصدده ، وأن يعيننا جميعا حتى تكون أعمالنا متكافئة متكاملة ، وحتى نقوم بهذا العبء الذي هو ملقى على عاتق كل واحد منا كمواطن اولا وكمسلم ثانيا .. وحتى يسدد خطانا جميعا ويهدينا سواء السبيل ويوحي الينا من الافكار والاعمال ما به نسعد امتنا وشعبنا وضميرنا فوق كل شيء والسلام عليكم ورحمة الله » .

لكلمة صاحب الجلالة

خلال استقباله للمشاركين في الموكب الديني برئاسة السيد علال الفاسي

جرت احتفالات دينية رائعة عظيمة فى جميع اقاليم المملكة فى ليلة القدر ، وعرفت جميع مدن المغرب مهرجانات كبرى بمناسبة الذكرى الاربعمائة بعد الالف لنزول القرآن الكريم .

وقد عملت السلطات المحلية على تحضير المهرجان القرآني الخالد فى جو حافل ، مليء بالخشوع حسب توجيهات مولانا أمير المومنين .

وتوجه المومنون فى جميع مساجد المملكة بالدعاء الى الله ان يحفظ جلالة الملك ، ويطيل عمره ، ويوفقه فى مهامه الكبرى لخير الوطن والمواطنين .

وفى الرباط تميزت هذه الاحتفالات بالموكب الذي ترأسه الاستاذ السيد علال الفاسي ليلة القدر فقد تشكل موكب ديني كبير فى مسجد سيدي الغندور وقصد المشور العامر .

وكان يتقدم هذا الموكب أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال برئاسة السيد علال الفاسي ، وتجمع هذا الموكب فى ساحة قبة النصر بالقصر الملكي محفوفا بأعضاء الكشفية الحسنية ، الذين كانوا يحملون المشاعل ، وتقدم السيد علال الفاسي والقى بين يدي جلالة العاهل الكريم كلمة التمس فيها من مولانا امير المؤمنين صالح الدعاء بهذه المناسبة المباركة وقال : « لقد جئنا نقدم لجلالتكم أطيب متمنياتنا ودعاءنا الصالح فى هذه الليلة المباركة بأن يحفظكم ويرعاكم للاسلام ، وهذه الليلة فى الحقيقة هي ليلة الاسلام الخالد الذي أورثنا كل فضل وكل خير ، وقد تفضلتم جلالتكم ، وقلتم فى هذه الليلة أحسن ما يقال ، وكل ما نرجوه من جلالتكم هو الدعاء الصالح وان تبارك اعمالنا فى هذه السنة وان يجعلنا منسجمين دائما فى اعمالنا ، مع الملك والشعب » .

وقد رد صاحب الجلالة الملك المعظم على كلمة السيد علال الفاسي بهذه العبارات السامية :

« حينما طلب مني وزيرنا ورئيس حزب الاستقلال أن أقتبل الشبيبة الرياضية ووفدا عن الممثلين لهذه الحركة السياسية فى ليلة القدر تساءلت واستبشرت ، وذلك لانني كنت دائما أحن الى لقاء جيلي لا على الصعيد الوطني فقط ، بل على الصعيد الديني ، ذلك الصعيد الذي يجب على كل فرد أن يستسقي منه مبادىء الفضيلة ومبادىء الخلق والسير والتحلي فى الحياة بصفات شتى منها صفات العبودية الخالصة وصفات المواطنة الصادقة ... وانني بهذه المناسبة ليطيب لي أن أجدد لكم تهانئي الخاصة على هذه البادرة وان أشجعكم على السير على هذا النهج وفى هذا السبيل الذي هو سبيل الله وطريق النجاح اذ عندما تشتد الازمات ويتغلب الدهر على بني الانسان لا نرى ملجا ولا قوة الا فى اعانة الله لعباده الصالحين ، وقد مرت علينا جميعا فترات عرفنا فيها قوة الله وعرفنا فيها اعانته لعباده الصالحين المخلصين وقد اعطتنا اجيالكم والاجيال التي تتبعكم وعلى رأس جيلكم والدنا المعظم طيب الله ثراه اعطتنا هذه الاجيال دروسا لن

السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية يقدم العلماء المسلمين الى مقام حضرة صاحب الجلالة بمناسبة ذكرى ليلة القدر

صاحب الجلالة يتحدث الى الوفد الايراني

الملك والشعب

يحتفلان بليلة القدر وذكرى نزول القرآن احتفالا عظيما

احتفل المغرب احتفالا عظيما ملكا وحكومة وشعبا بليلة القدر المباركة ، وذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، تخليدا لهذه الذكرى العظيمة ، وقد تراس امير المؤمنين جلالة الحسن الثاني بهذه المناسبة حفلا دينيا بمسجد القصر الملكي العامر ، ادى فيه جلالته صلاة العشاء مع جماعة المومنين الذين اموا المسجد ، والذين كان فى مقدمتهم اعضاء الحكومة يتقدمهم الوزير الاول واعضاء الديوان الملكي وضباط القيادة العامة للقوات المسلحة الملكية والسادة العلماء الاجلاء الذين وفدوا من مختلف الاقطار الاسلامية بدعوة من صاحب الجلالة امير المؤمنين المنصور بالله .

ولقد ادى جلالة الملك المعظم صلاة العشاء ثم صلاة التراويح وعاد بعدها جلالته الى القصر الملكي العامر .

واثر ذلك توجهت مختلف الشخصيات الى مسجد اهل فاس حيث اقيم الاحتفال الكبير تخليدا لذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم . فحوالي الساعة التاسعة وصل جلالة الملك المعظم الى المسجد ليتراس هذا الاحتفال العظيم وقد كان فى استقبال جلالته وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وبعد ان دخل صاحب الجلالة امير المؤمنين الى المسجد تلا الفقيه المقرئ السيد محمد الحياني آيات من الذكر الحكيم من سورة « حم والكتاب المبين انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين » .

ثم القى جلالة الملك المعظم خطابه السامي الموجه الى كافة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها والذي استمع اليه الشعب المغربي المسلم باذان صاغية آخذا منه العبرة والموعظة الحسنة .

وبعد خطاب جلالة الملك تلا الحاضرون فى المسجد الثمن الاخير من القرآن الكريم قراءة جماعية ، وانتهى الحفل الديني الكبير بدعاء ختم القرآن الكريم والدعاء لمولانا الامام وللامة الاسلامية جمعاء القاه فضيلة الشيخ العلامة الاستاذ الرحالي الفاروقي .. ثم عاد صاحب الجلالة الملك المعظم امير المؤمنين الى القصر الملكي العامر .

وهذا نص الخطاب الملكي السامي :

الحمد لله

والصلاة والسلام على رسول الله

ايها المسلمون

فى مثل هذا الليلة المباركة السعيدة ، منذ أربعة عشر قرنا ، وصل الله الارض بالملأ الاعلى ، فتتنزلت الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر ، وبدا الحق سبحانه يوحي الى نبيه المصطفى المختار ، آيات قرآنه ، ومعجز بيانه ، مبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فكان هذا الحدث العظيم ، الذي تحتفل به الشعوب المؤمنة بالاسلام ، المطمئنة بثلج اليقين ، المتمسكة بهدي الكتاب المبين ، احتفالا يصل الحاضر بالماضي ، ويؤكد الدلالة على رسوخ العقيدة، ويصدق قوله تعالى : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » واذا كان احتفال المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها بهذه الذكرى ، يرمز الى بقاء هذه الصلة واستحكامها ، والى تمكن العقيدة الاسلامية من نفوس المسلمين الاوفياء لدينهم المخلصين للمبادىء السامية، والقيم المثلى التي شرعها هذا الدين الحنيف، والى خلود الذكر الحكيم ودوامه ابد الابدين ، فانه بالاضافة الى هذا كله برهان على ما للمسلمين كافة والمؤمنين اجمعين من ادراك لعظمة الحدث الذي فرق بين عهدين ، وفصل بين عصرين ، واقام بنيان الدنيا على اساس جديد ، وخلق من الامجاد ما هو مؤثل ومديد .

ويــــلات النكبـــــة

ثم كانت النكبة التي لم يكونوا لها متوقعين ، ولا لمصابها منتظرين ، فامتحنــوا امتحانــا غير يسيــر ، وانتهكت الحرمات المقدسة ، وحل بديارهم الشقـاء والبلوى ، وضامهم من لا عهد له ولا ذمام ولا ضمير ، بعد ما اهدرت القيم المتواضع عليها ايما اهدار ، وداس المباديء المتفق عليها كل متغطرس جبار ، وها هم العرب كافة ، والمسلمون قاطبة يعانون من ويلات هذه النكبة ما يذيب القلوب كمدا ويفتت الاكباد لوعة والما لا نصير لهم الا الله اللطيف بعباده ، ولا ظهير لهم الا ان يتمسكوا بالعقيدة المثلى ، والايمان الصادق ، وياخذوا بالمبادىء ويتشبثوا بالقيم التي جعلت منهم خير امة اخرجت للناس ، « **وعــد الله الذيــن آمنــوا منكــم وعملــوا الصالحات ، ليستخلفنهم فى الارض ، كما استخلـف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضــى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا .** »

اذا خلصت النيات وسلمت الطوايا

فاذا آمن المسلمون ، واتقوا وعملوا الصالحات ، واجتنبوا ما نهوا عنه ، وخلصت نياتهم ، وسلمــت طواياهم . وصحت عزائمهم ، فان من يتق الله يجعل له من امره يسرا ، وان الله لا يخلف ما وعــد به عبـاده العاملين للصالحات ، المؤمنين بما أوحى الى نبيه الامين من آيات بينات ، وسور محكمات ، فكلما اجتمعــت كلمة المسلميــن على التقــوى ، وصفــت قلوبهــم ، واستهدفوا الخيــر والعمل الصالــح ، كــان الله من ورائهم ظهيــرا ، ومعينــا ونصيــرا ، وبلغوا اسنــى الدرجات ، واجمل المقاصد والغايات ، وكلما تفرقــوا شيعا ،وذهبوا طرائق قددا ، وخذل بعضهم بعضـــا ، ونكروا للمبادىء القويمة التي قام على دعائمها صرح نهضتهم المنيف ، وشامخ مجدهم التليد ، وجد العــدو المتربص بهم الدوائر الى صفوفهــم مدخـــلا ، والــى قلوبهم سبيــلا ، والب بعضهــم على بعض ، واحــدث بينهم العــداوة والبغضــاء ، والشقــاء والشحنــاء ، واضعف قواهم ، وفل غرب عزائمهم ، وصرفهم عــن المقاصد والاغراض ، التي تستهوى النفوس الابيــة ، والعقول المتبصرة .

النقــــد الـــذاتـــي

وتفاديا لا تساع الخرق ، ودرا للمكاره ، وحفظا للكيان ، وصونا للكرامة ، وامساكا للمقاليد والزمام ، وانتصارا على المحن والشدائد ، فان علينا ان نرجع الى انفسنا محاسبين ، ونتناول بالنقد والتمحيص ما ناتي من الامور وما نذر ، وما نبدىء فيه ونعيــد ، حتــى لا يصدر عنا من الاعمال والاقــوال ما يشيــن سلوكنـــا وتصرفاتنا من النقائص والعيوب التي ينكرها الاسلام، ويدينها محكم التنزيل والفرقان ، فان من شأن هـــذه النقائص والعيوب ، ان تعرضنا لصروف الدهر وغيره، وفواجعه وأزماتــه .

الطريق السوي

واننا لنستعيــذ بالله فى هــذه الليلة المباركـــة التي هي سلام حتى مطلع الفجر ، وفى هذا الاحتفــال باعظــم حدث واسماه ، واجله واسناه ، مــن كـــل نعمـــة يتلوها بطـــر ، ومــن كـــل جـــاه محفوف بمكروه غير مقــرون بتبصر وحسن نظــر ، ولقــد اوضح لنا الله فى كتابه المبين ، الطريق السوي والنهج اللاحب ، وان هذا طراطي مستقيمــا فاتبعــوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون . . . فاللهم اننا نعوذ بعزتك ـ ، لا اله الا انت ـ ان تضلنا ونسألك الهدي والتقى ، ونستهديك لارشد أمرنا ونستجيرك من شر نفوسنا .

اللهم لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ، واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم . اللهم ان عبادك الضارعيــن اليك المبتهلين الى كرمك وجودك وعظمتك وجلالك في هذه الليلة الغراء التي شرفتها وخلدتها وجعلتها خيرا من الــف شهــر ، يسألونــك الصــلاح والرشـــاد ، ويستوهبونك التوفيق والسداد ، والنصر ، والتمكين، والهداية فى المهتدين ، غير ضالين ولا مضلين .

اللهم ان عبادك الذين أمرتهم بالتوحيد يتوسلون اليك بسر قرآنك الكريم الذي يحتفلون اليــوم فــي مشارق الارض ومغاربها بذكرى تنزيله ووحيه أن تنعم وانت خير من انعم وجاد بلم شعثهم وجمع كلمتهــم وتوحيد صفوفهم والتأليف بين قلوبهم وتطهير سرائرهم وتمتين عرى الايمان فى نفوسهــم وكشــف بلواهــم ، واذهاب الحزن عنهم ، فانــك اللهم الملجـأ والمــلاذ ، والمفزع عند الملمات الشداد ، ربنا اجعلنا من الذيــن قلت فيهم وقولك الحق : « **ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة ، الا تخافــوا ، ولا تحزنوا ، وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون** » .

الدوى الذي تجاوز حدود الجزيرة العربية

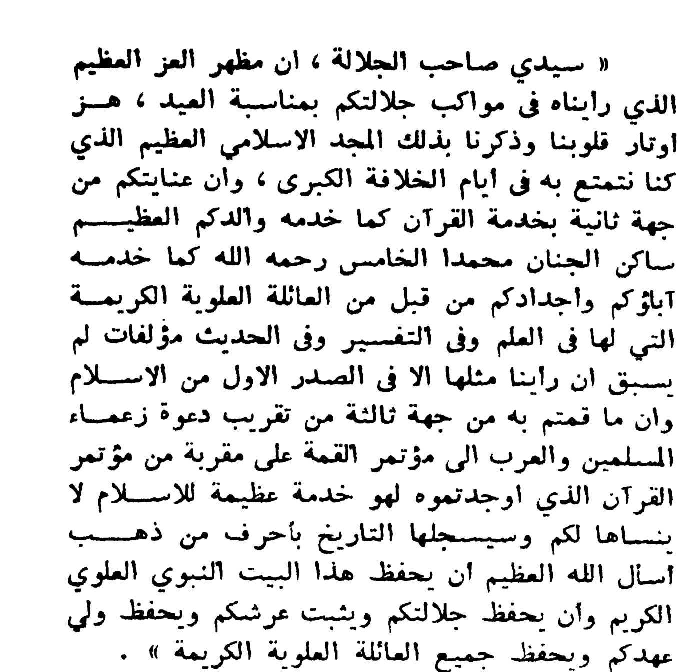
لقد نزل القرآن الكريم ، على النبي العظيم ، فاشرق النور مبددا للظلام ، وانتصر العلم على الجهل، وتبين الرشد من الغي ، والهدى من الضلال ، والعدل من البغي ، وكان للدعوة الاسلامية التي اطاحت بالاوضاع المدخولة ، وقومت الاعوجاج والزيغ ، واستأصلت الفساد ، وقوضت اركان الطغيان ، كان لها الدوى الذي تجاوز حدود الجزيرة العربية الى ما حولها ، والاثر البليغ الذي امتد الى اقطار واقطار ، وسرى فى شعوب وشعوب ، فانتشر الاسلام وشاع ، ونبه شأن المسلمين ، وهبت ريحهم ، وطار صيتهم وذاع ، فلم يلبث وجه المعمور بما كان لهذه الدعوة السامية والرسالة الخالدة من مفعول ومضاعفات وتحولات ، ان تبدلت ملامحه ، وتجددت سيماه وتقاسيمه ، فبرزت الدنيا فى ثوب غض قشيب ، واهاب ناضر عجيب ، ولم تمض الا اعوام معدودة على اتمام الدعوة والتبليغ ، وكمال الوحي والتنزيل ، حتى أعلى الله كلمة الاسلام والمسلمين ، وفتح فتحه المبين ، ومكن للمومنين فى طول الارض وعرضها ، فخلفت الدولة الاسلامية الناشئة دولا كان لها قبل انتشار الاسلام شأن فى الدنيا عظيم ، وجاه واسع ، وكلمة مسموعة ، وامر نافذ مطاع ، فامتدت بامتداد الدعوة المحمدية اسباب سلم اسلامية ، دعائمها امثل المبادىء، واسمى القيم ، وافضل المقاصد والاهداف ، وقامت على تعاليم الدين الحنيف أركان حضارة ، اضاءت بنورها ارجاء الشرق والغرب ، ووثبت بالانسانية الوثبة الميمونة نحو الرقي والازدهار فى مختلف الميادين، وسائر المجالات ، لارتكازها على العدل والحرية والمساواة ولانقطاع المسلمين على اختلاف اجناسهم ، وتعدد انسابهم ، الى الاستيعاب والتفكير والابتكار والتصنيف ، والتاليف والتعليم والتاقين والتثقيف .

في ظلال القرآن

ومضى على الانسانية ردح من الدهر سارت طواله في ظلال القرآن ، وتحت راية الاسلام ، سيرا ثابتا موفقا، وخطت فيه خطوات رشيدة مسددة ، وافادت خلاله الفوائد الصالحة الجمة وكسبت فى اثنائه المكاسب الجميلة الغزيرة ، بيد ان المسلمين اتى عليهم حين من الدهر ، تداعت فى نفوسهم فضائل الايمان ، وتضاءلت فى قلوبهم محاسن الاسلام ، وغابت عن اذهانهم وعقولهم تلك المبادىءوالقيم التي صلح بها اولهم ، فأخذ ذلك البنيان الشامخ الذي اقامته الاجيال الصالحة ، يتصدع شيئا فشيئا ، وينهار يوما بعد يوم ، وتفرقت كلمتهم بعد اجتماع ، وتبدد شملهم بعد ائتلاف واتحاد ، وتقاسمتهم الاهواء ، فانقسموا ، وغلبت عليهم الشهوات ، فغلبوا ، وتوانوا وتواكلوا ، ووهنوا وضعفوا واستكانوا ! ! .

ضعف بعد قوة

فخفت صوتهم ، وخبا نورهم ، وتقلص سلطانهم، وادبرت دولتهم ، وانحسر ما كان لهم من جاه ممدود ، ونفوذ محمود ، وانتقل ما كان لهم من شأن الى غيرهم، وغدا ما كان لهم من قول مسموع ، صادرا عن السنة من ناصبوهم العداء ، واخذوهم بالبأساء والضراء حتى اهانهم من كان زمنا طويلا غفلا بين الامم غير موسوم ، وخاملا غير ملحوظ ولا معلوم ، واصبحوا فريسة لاطماع الطامعين ، ولقمة سائغة للغزاة المتربصين ، وبقى امرهم على هذه الحال يعانون مرارة التفريط والتقصير ، ويكابدون زمنا آلام العار والشنار ، الى ان قيض الله للامة الاسلامية من استثار هممها ، ودلها على الصراط المستقيم واهاب بها الى سلوك النهج القويم ، ودعاها الى استقبال ما استدبرته من امر ، وبعث فى نفوسها الامل ، وأعاد اليها الثقة المفقودة ، وحرك فى قلوبها الايمان بالحق الضائع ، وذكرها بالواجب المفروض فتحركت حيثما وجدت بقية من صلاح ، والفيت جذوة من عزم ، واستقر نصيب من حب فى فك الاغلال ، وحظ من رغبة فى التخلص من القيود والآصار ، فلم تلبث التضحيات المبذولة هنا وهناك ، والمساعي الحميدة فى هذا القطر وذاك ، ان آتت ثمارها المنشودة ، واسفرت عن نتائجها المحتومة ، الا ان الاستعمار لم يلق عصا التسيار ، ولم يقنع من الغنيمة بالاياب ! فأخذ يتقنع كل يوم بقناع ، ويتلون كل آونة بلون ، ويكتسي حسب الظروف والاحوال كل حين بلباس ، وفات المسلمين الذين استرجعوا ما سلبوا من حق ، واستعادوا ما فقدوا من حرية ، ان يواجهوا هذه المعركة الجديدة بقلب واحد ، وايمان جامع ، واتحاد شامل ، وعزيمة ماضية ، لا سبيل الى تفتيها ، وقوة شكيمة لا مجال لتشتيتها ، فسلكوا الطريق الهين اليسير ، بدلا من سلوك النهج العسير ، ولم يحكموا عقولهم وبصائرهم ، ولم ينظروا فى عواقب امورهم النظر البعيد على الرغم من محاولة ايجاد تآلف بينهم وتضامن ، واورث الخلاف بينهم الضغائن والاحقاد والاحن ، وخلف الحزازات ، واوغر الصدور .



« سيدي صاحب الجلالة ، ان مظهر العز العظيم الذي رأيناه في مواكب جلالتكم بمناسبة العيد ، هز اوتار قلوبنا وذكرنا بذلك المجد الاسلامي العظيم الذي كنا نتمتع به في أيام الخلافة الكبرى ، وان عنايتكم من جهة ثانية بخدمة القرآن كما خدمه والدكم العظيم ساكن الجنان محمدا الخامس رحمه الله كما خدمه آباؤكم وأجدادكم من قبل من العائلة العلوية الكريمة التي لها في العلم وفي التفسير وفي الحديث مؤلفات لم يسبق ان رأينا مثلها الا في الصدر الاول من الاسلام وان ما قمتم به من جهة ثالثة من تقريب دعوة زعماء المسلمين والعرب الى مؤتمر القمة على مقربة من مؤتمر القرآن الذي اوجدتموه لهو خدمة عظيمة للاسلام لا ينساها لكم وسيسجلها التاريخ بأحرف من ذهب أسأل الله العظيم أن يحفظ هذا البيت النبوي العلوي الكريم وان يحفظ جلالتكم ويثبت عرشكم ويحفظ ولي عهدكم ويحفظ جميع العائلة العلوية الكريمة » .

كلمة السيد الشيخ عبد الله غوشة قاضي القضاة بالمملكة الاردنية الهاشمية

تم تناول الكلمة بعده الشيخ عبد الله غوشة قاضي القضاة بالمملكة الاردنية الهاشمية :

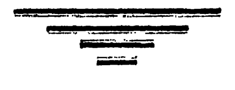
وقال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد ، انها لمناسبة كريمة تلتقي هذه الوفود من مختلف الاقطار الاسلامية في رحابكم العامرة للاشتراك في الاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن



الكريم ، وانه ليجدر بالمسلمين في مثل هذه المناسبة أن يتخذوا منها وسيلة للرجوع الى القرآن وتفهم معانيه وتدبر اسراره التي تكشف الايام على تعاقبها ما فيه من حكمة بالغة وخلق عظيم ، يا صاحب الجلالة ، يسرنا ان نتقدم لجلالتكم بالشكر الجزيل على دعوتكم الكريمة التي اتاحت لنا هذه الفرصة الثمينة ، ونرجو الله تعالى أن يعزكم بالاسلام وأن يعز الاسلام بكم وأن يجعلكم معدن خير وبركة للعالم الاسلامي ، وان يوفقكم واخوانكم من ملوك المسلمين والعرب ورؤسائهم وامرائهم الى تحقيق ما نصبو اليه وتصبو اليه الامة الاسلامية من عز ومجد ورفعة ، ونسأل الله تعالى أن يعيد هذا اليوم على المسلمين ، وقد اشتدت شوكتهم وقوى بأسهم وعاد اليهم عزهم وسلطانهم ومقدساتهم وبلادهم التي روت تربتها بدماء الشهداء الابرار ، أسأل الله العظيم أن يحفظكم ويؤيدكم ، ويعزكم بالاسلام ويعز الاسلام بكم انه سميع مجيب والسلام عليكم .



تهنئة وفود العالم الإسلامي بعيد الفطر

تهنئة وفود العالم الاسلامي

هنأ مولانا امير المؤمنين بحلول عيد الفطر السعيد السادة رؤساء الوفود الاسلامية الذين حضروا من مختلف انحاء العالم الاسلامي بدعوة من جلالة الملك المعظم للمشاركة فى احتفالات المغرب بذكرى مرور 14 قرنا على نزول القرءان الكريم ، وقدمهم الى صاحب الجلالة الملك المعظم السيد الحاج أحمد بركاش وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية .

كلمة رئيس وفد الاردن



وتقدم الاستاذ عبد الحميد السائح وزير الشؤون الدينية والاماكن المقدسة فى الاردن الشقيق ورئيس الوفد الاردني بتهنئة العاهل الكريم ، قال فيها:

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين وعلى ءاله وصحبه أجمعين .

سيدي ومولاي امير المؤمنين فى هذه الديار ، صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، ايده الله ونصره، باسم وفود العالم الاسلامي عربه وعجمه ، مشرقه ومغربه ، اتقدم بالشكر الجزيل الى جلالتكم ان اتحتم لنا هذه الفرصة السعيدة فى تلك المناسبة الكريمة هي مناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، هذه السنة الحميدة التي سننتموها جلالتكم تنبه العالم الاسلامي الى انه لا يمكن ان يعود اليه مجده ولا يمكن ان يعود اليه عزه وسيادته الا اذا اعاد للحياة نظام القرآن وتم تطبيقه فى كل نواحي حياته ، ادامكم الله سبحانه وتعالى نصيرا للقرآن واعزكم الله ظهيرا للاسلام والمسلمين ، وان العالم قد تفاءل خيرا بمبادرة جلالتكم ان اعلنتم دعوة مؤتمر القمة الى هذا البلد العزيز من اجل تلك القضية العالمية ، العزيزة هي قضية فلسطين ، قضية العرب والمسلمين ، وان المسلمين ليعلقون على جلالتكم وعلى اصحاب الجلالة والفخامة اخوانكم امالا كبيرة فى ان تعيدوا للمسلمين عزتهم باعادة القدس والمسجد الاقصى ومآثر الديار الاسلامية نصركم الله ، وشكرا جزيلا لجلالتكم » .

كلمة رئيس الوفد اللبناني



ثم القى الاستاذ نديم الجسر احد كبار علماء لبنان الشقيق كلمة بين يدي جلالة العاهل ، قال فيها:

بذلك ، فالله خير حافظ للقرآن ، وهو ارحم الراحمين، ولكن جهادنا واجتهادنا هو العمل اليومي على ان يصير كتاب الله عملة خلقية وانسانية ، وقانونية ، ليتعامل بها جميع بني الانسان مسلمين كانوا او عربا ، واملنا في الله سبحانه وتعالى ان يحقق رجاءنا واملنا حيث ان النبي (صلعم) قال : «ما اجتمعت امتي على ضلال» فأي هدي اهدى واحلى وافضل من هدي القرآن ، وايحق أحق من كتاب الله، فاذن من باب اولى واحرى ان يجتمع المسلمون على كتاب الله ، نعم كما يقول المثل العربي : (لكل فرس كبوة ، ولكل سيف نبوة ،) ولكن الله سبحانه وتعالى قد تعهد لنا ، وقد ترابط معنا نحن معشر المسلمين في كتاب الله العزيز حيث قال : « ان تنصروا الله ينصركم » ، ونصرة الله تختلف باختلاف الازمنة ، والاماكن ، والاجيال ، والملابسات ، والظروف السياسية ، فنصرة الله ليست اليوم هي نصرة الامس ، ليست الجهاد ، ليست هي نصرة الحرب ، ولا نصرة السيف ، ولكن هي نصرة الدين الاسلامي وبكتاب الله ، الا وهو الاشعاع الروحي ،ذلك الاشعاع الذي لا يقف في وجهه لا مصفحات ولا دبابات ولا طائرات ، ولكن من شأنه ان يقهر كل عدو وكل قوة مادية او عسكرية كيفما كان نوعها وكيفما كانت كثرتها وشوكتها .

اننا لنرجو حضرات العلماء ان تعتبروا انكم فمتم بزيارة هذا البلد ، واخوانكم فيه ، لا استجابة ولا مجاملة ولكن قياما بالواجب حيث ان الله سبحانه وتعالى انعم عليكم بالعلم فأوجب عليكم تعليمه ونشره بين الناس ، وقمتم بواجبكم ، واديتم امانتكم وجعلتمونا نشعر نحن سكان المغرب الاقصى ان لنا في بقاع الارض كلها اخوانا واشقاء يشدون عضدنا ، ويؤازروننا ويساندوننا ، ويعطون للالفاظ والمعاني مقاييس موحدة او يعطونها اطارا واحدا الا وهي مقاييس الفضيلة الاسلامية ، واطار القرآن العزيز ، لهذا اود ان احملكم رسالة من شعبي ، ومني ، رسالة آمل ان تبلغوها الى اصحاب الجلالة ، واصحاب الفخامة ، الملوك والرؤساء، الذين هم آخذون بزمام امركم ، رسالة ود ، ورسالة صداقة ، رسالة دعاء ، منا لهم ، ولشعوبهم، ولتذكروهم بما قلناه مرارا وتكرارا ، اننا قد جربنا عدة مسالك ، فمنها المسالك السياسية فلم تمكنا الى يومنا هذا ، لم تمكنا من اي حل بل لم تمكنا من الخروج من الورطة التي يتخبط فيها العالم الاسلامي ، وبالاخص الدول العربية منذ سنين ، وليست المأساة الفلسطينية ، وليس احتلال القدس ثالث الحرمين ، واولى القبلتين، الا نتيجة محتومة منطبقة كانت منتظرة لما قامت به الدول العربية من تنافر ومن تخاصم ومن تنابز بالالقاب .

دعونا الى جمع كلمة المسلمين حتى ينتصر بهم العرب

لذا كنا صرحنا في يوم من الايام اننا علينا ان نجرب ، وان نستعمل كوسيلة لتوحيد الصفوف ، واتحاد الجهود وسيلة سماوية مقدسة ، الا وهي حبل الله المتين ، ذلك الحبل الذي يصل الارض بالسماء والذي يصل قلب كل مسلم بقلب كل المسلمين في العالم بأسره والبقاع الاسلامية ، وكنا دعونا الى جمع شمل المسلمين ، حتى ينتصر بهم العرب وحتى ينتفع منهم العرب الذين يقف ما يقرب من ثمانين مليون من العرب امام مشكلة فلسطين ، لا اننا اذا عززنا جانبنا بالمسلمين كافة بعبقرياتهم المختلفة بتعاملهم الدولي ، بصداقاتهم ، باحلافهم ، بطاقاتهم ، اصبح بجانب العرب نصف مليار من سكان هذا المعمور ، لذا ودون ان يرمي نداؤنا هذا الى اي عمل سياسي وعسكري ، او ما يشابه حلفا او غير حلف ، او ما يدخل فيما يعتبر مناورة او عملية او ما أشبه ذلك ، نرى واجبا علينا لنرضي ضميرنا فنؤكد لكم ما يخالج صدرنا من أماني غالية وامنيات قديمة ، الا وهي ان يجتمع المسلمون على صعيد واحد حتى يتضافروا ، ويتناقشوا وحتى يضعوا لتعاملهم في المستقبل اطارا ودستورا .

تعاليم الاسلام تقضي بان يكون المسلم طموحا

هناك بعض الناس يقولون ليس في الامكان ابدع مما كان ، ولكن هذه فلسفة مخالفة تماما لتعاليم الاسلام ، فتعاليم الاسلام ترمي قبل كل شيء الى ان يكون المسلم طموحا تواقا في نطاق الحكمة وفي نطاق امكانياته وفي نطاق وضع مخطط ووضع برنامج من شأنه ان يصل الى الاهداف بعد سنة او سنتين او ثلاث سنوات او عشر سنوات ، المهم هو ان نبدا ، بعمل ربما يظهر عملا سلبيا ولكن في الحقيقة هو عمل ايجابي ، الا وهو ان نستعمل المكنسة حتى نطهر ما بين العرب وما بين المسلمين والعرب وما بين شعوبنا وقبائلنا ، فاذا نحن قمنا بهذا العمل التطهيري تمكنا اذ ذاك من ان نقيم بناءنا على اسس قويمة راسخة ثابتة . ولا اريد ان تمر هذه الفرصة دون ان انوه بالخصوص بوجود كاتبة وعالمة ومفكرة

جواب خطاب صاحب الجلالة على تهنئة علماء الاسلام

.. تفضل صاحب الجلالة الملك المعظم فالقى فى وفود علماء المسلمين هذه الكلمة التوجيهية العظيمة:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

حضرات العلماء ، اننا باسم شعبنا المغربي العربي المسلم ، نشكر لكم استجابتكم لدعوتنا لحضور احتفالنا بذكرى نزول القرآن ، وبالاخص بذكرى مرور 14 قرنا على نزوله على نبينا (صلعم) ، وقد راينا فى حلولكم بالمغرب جزرا للتاريخ ، فعادة كان المد التاريخي ، هو ان يزور المغاربة المشرق ، حيث كانوا يشدون الرحال الى حج بيت الله الحرام ، فينزلون ضيوفا وطلبة واساتذة على اخوانهم بتونس ، بليبيا ، ببلاد الكنانة ، بالشام ، ببلاد العربية السعودية ، وبالعراق ، وكانوا حينما يعودون من سفرهم هذا يرجعون الى المغرب متحلين بحليتين: علمهم ، وطابعهم المغربي ، والقرائح الخصبة التي وجدوها عند اخوانهم فى الشرق ، تلك القرائح التي امكنها من ان تنجب بكل تواضع بعضا من العلماء ، كان لهم الصيت الذائع فى الدين والفقه والتفسير والحديث .

ان احترامنا لمبادىء القرآن وتشبثنا بتعاليمه ليس بالشيء الغريب ، حيث ان ابانا محمدا الخامس رحمة الله عليه اول ما وضع فى يدنا قلما ، وضعه لا لنخط الاحرف ، ولا لنرسم الرسوم ، رغم حداثة سننا ، انما وضعه لنا فى يدنا لاول مرة لنكتب ، بسم الله الرحمن الرحيم ، ولم ندخل المدرسة الابتدائية ولا الثانوية حتى قضينا فى الكتاتيب القرءانية ما يزيد على اربع سنوات ، هذا الشيء هو الذي طبعنا به وجبلنا عليه ، وجبل عليه آباؤنا واجدادنا والاجيال التي سبقتنا فى هذا البلد ، واننا لنأسف كل الاسف لما نراه من الاجيال الصاعدة ، من الاجيال التي هي الان الاجيال المسؤولة على دواليب الدولة فى الادارة وفي السياسة ، لنأسف كل الاسف لجهلها للقرآن ، لا لنسيانها اياه ولكن لجهلها اياه حيث يرون فى القرآن محض مجمع للعبادات وللنسك وللتعامل بين العبد وربه فى النطاق الضيق ، ولو نفذوا بابصارهم وبصيرتهم ، ولو حللوه وحللوا سوره وتفاصيله ومجمله لوجدوا فيه فضيلة الفرد ، داخل بيته والسلوك المستحسن للجماعة مع مواطنيها ، والتعامل الصالح الخالص البناء للمجموعات البشرية كيفما كانت الوانها او لغاتها او القارات التي يسكنون بها .

جهادنا هو العمل على ان يصير كتاب الله عملة خلقية وانسانية وقانونية

واننا لنجد ونجتهد لا لنعيد لهذا الكتاب العزيز مجده والتعامل به ، فالله سبحانه وتعالى قد تكفل

بلاغ وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بمناسبة نزول القرآن

اصدرت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بلاغا جاء فيه :

بمناسبة ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم التي ستحل بنا ليلة السابع والعشرين من هذا الشهر المبارك .

اصدر مولانا امير المؤمنين ادام الله نصره امره المطاع بان تحتفل الامة بهذه الذكرى المقدسة احتفالا جليلا يليق بقداسة « القرءان » معجزة الله الخالدة على مر العصور والازمان .

وتنفيذا للامر الشريف أسماه الله، استدعت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية نخبة من كبار العلماء من الاقطار الاسلامية الشقيقة ومن انحاء المملكة لحضور المهرجان الديني العظيم الذي سيحييه سيدنا المعتز بالله فى ليلة القدر المباركة بمسجد اهل فاس تمجيدا لهذه الذكرى الخالدة واحتفاء بكتاب الله عز وجل .

كما وجهت الوزارة تعليماتها الى سائر النظار بان يهيئوا المساجد ، ويجعلوها فى حلة تتناسب وقداسة هذه الذكرى المباركة وينظموا بها دروسا في الموضوع .

وان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لتدعو المواطنين الكرام الى حضور هذه الاحتفالات الدينية ابتداء من صلاة الظهر ليوم 26 رمضان الى صلاة الفجر من يوم 27 منه لتلاوة القرءان الكريم الذي كان وسيبقى منبع الهداية والايمان لسائر المسلمين وتدبر معانيه والتضرع الى الله سبحانه بان يحفظ الاسلام بما حفظ به ذكره المبين ويمن على المسلمين بتحرير اولى القبلتين وثالث الحرمين وان يبقى امير المؤمنين جلالة مولانا الحسن الثاني الحارس الامين على مقدسات هذه الامة ذخرا للاسلام والمسلمين ويحفظه فى سمو ولي عهده المحبوب الامير سيدي محمد وسائر افراد اسرته الكريمة .

قال الله تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » . صدق الله العظيم .

عزيزة لدى كل مسلم وعربي تمتع بقراءة ما لتعاليم الاسلام تلك التعاليم التي جعلت من المراة شقيقة الرجل فى الاحكام ، وكلما كانت المراة شقيقة الرجل فى الاحكام الا وكانت من باب التبعية، شقيقته فى الحقوق والواجبات ، فجزاك الله خيرا عن المراة الاسلامية والمراة العربية ، وجزاكم الله خيرا على ما قمتم به من دروس وعظ وارشاد وتوجيه ، وجمعنا الله فى القريب سبحانه وتعالى فى ظروف تكون أكثر ملائمة مع ما ننتظر من الله سبحانه وتعالى من ان يفرج كربتنا فيخفف احزاننا ، فاذا كان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، وهذا اظن انه برنامج وضعه الله بشروطه وبشروط صحته ، بشروط ظرفيته وبشروط كيفيته وكمه ، فعلينا اذن ان نغير ما بانفسنا حتى يغير الله ما هو محيط بنا من مكاره ، ومن سوء ومن ضغائن ، ومؤامرات ، ومن الطبيعي ان نكون مخلقة وهدفا للاحقاد وللمؤامرات ، لاننا بكل اعتزاز وبكل فخر يمكننا ان نلقيها من اعلى الصوامع ان نلقي تلك الاية التي نفتخر بها ونعتز بها ، حيث ان الله سبحانه وتعالى جعلنا خير امة اخرجت للناس ، نامر بالمعروف وننهي عن المنكر ونومن بالله .

والترتيب ، اظن ، حقيقي هو أن نومن بالله فننهى عن المنكر ونامر بالمعروف .

حياكم الله وزادكم بسطة فى العلم وزاد من وسائلكم للعمل البناء مع شعوبكم وطلبتكم ومجتمعكم، وشكرا لكم مرة اخرى على زيارتكم هذه ، ونسأل الله سبحانه وتعالى ان يسدد خطانا ، وان يلهمنا سواء السبيل ، وان يجعلنا ذلك البناء المرصوص الصحيح ، الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وباطل البناء هو التهدم والتصدع ، فيجعل الله بناءنا غير باطل ، غير متصدع ، غير مهدم ، واعطى لكل واحد منا على قدر نيته ، وعلى قدر اخلاصه ، وعلى قدر ضميره وملاءمة اقواله لضميره وملاءمة افعاله لسلوكه وفلسفته ، وايمانه بالله ، والسلام عليكم ورحمة الله .



الله فى عونهم حينما قال : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وبمحافظة المسلمين على القرآن احتفظوا على اصول دينهم واحتفظوا على مصدر هذا الدين ، فليس لاحد أن يجادل فى أصول الدين الاسلامي لان الكتاب الذي هو مصدر الدين ما زال قائما بين ظهراننا بنصه نتلو آياته فناخذ منه العقيدة والحكم والموعظة ونستمد منه ما يقوي ايماننا وينير امامنا طريق المستقبل وبقدر ما ساهمت اللغة العربية فى نشر القرآن واذاعتــه وحفظه بين العرب والمستعربين عمل القرآن علىحفظ اللغة العربية من الانهيار والضياع ، فبقيت بفضــل القرآن سليمة قوية قادرة على التعبير عن شــؤون الفكر والثقافة والعلم والحضارة . ولم يحدث لها ــ بفضل القرآن ما حدث للغات قديمة اخرى كانت لغات ديانات ، ولكنها ضاعت وبادت لانه لم يكن لها كتاب سماوي نزل بلفظها يحفظهما من الضياع ويحميها من الاندثار .

ففضل القرآن اذن على الاسلام والعروبة فضل عظيم فلولا القرآن لظل الاسلام دينا تتقاذفه الاهــواء والشهوات ولظل عرضة للتغيير والتبديل والتحريف ولكان سببا فى تضارب المسلمين واختلافهم لان كل فئة منهم يمكن أن تدين بدين وتسميه الاسلام ، اما الآن فان الناس مهما اختلفوا فى الجزئيات فانهم يستطيعون أن يرجعوا الى الاصول التي يجدونها فى القرآن الكريم وبذلك حفظت اصول الاسلام عن الضياع واللبـــس والاختلاف كما صمدت فى وجه التحديات الاجنبية التي طالما حاولت القضاء على الاسلام والمسلمين ولم يصدها عن ذلك الا وجود القرآن . أما فضل القرآن على اللغة العربية فهو حفظها من الضياع وبقاؤها حية متطورة فى مختلف البلاد التي تعربت مهما يكن أصل سكانها . وفى وقتنا هذا ما نزال نجد اللغة العربية تستمد قوتهــا وتطورها وصمودها من القرآن نفسه . وقد غزت اللغة العربية بفضل القرآن ــ لغات حية أخرى لها تاريخ حافل فى الادب والحضارة كاللغات الفارسية والتركية والاردية مثلا .

وللقرآن فضل كبير فى نشأة الحضارة الاسلامية وتطورها ، فقد فتح آفاق المسلمين على العلم والعمل والاجتهاد والكد ، ولذلك كان المسلمون يحملــــون القرآن بيد ويعملون بيد حتى بنوا مجد الامة الاسلامية فى ميادين العلم والحضارة لانهم لم يجدوا فى القرآن ما يعارض نشاطهم وعملهم العلمي والحضاري والتقني .

ونحن حينما نحتفل بذكر نزول القرآن يجب أن نستعيد فى اذهاننا كل الاصول والمبادىء العقيديـــة والتشريعية والخلقية والتوجيهية التي اتى بها القرآن، ولن يزيدنا ذلك الا تشبتا بالقرآن ومحافظة عليــــه ودراسة له وتلاوة لآياته لانه منهج لحضارة فكريــة وعلمية نظرية وعملية أن تكون أساس نهضتنـــــا الحضارية الجديدة . فالاحتفال لا ينبغي أن يكـــون للذكرى فقط ولكن للعمل كذلك .

وفقنا الله لنهتدي بهدي القرآن ولنعمل بتعاليمه ولنحفظه قولا وعملا فنحفظ بذلك كياننا وتراثنا كأمة لها تراث حضاري عظيم .



منشور وزارة التربية الوطنية بمناسبة ذكرى نزول القرآن

بمناسبة ذكرى نزول القران وجه وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة منشورا لقراءته الى كافة المعاهد فى مختلف جهات المغرب . وطالب الاساتذة بالتعليق عليه وابراز مغازيه لتلاميذهم وطلبتهم .

ويتضمن المنشور شرح مغزى الاحتفال بذكرى نزول القران ، وأهمية هذه الذكرى بالنسبة للعالم الاسلامي ، وابراز تعاليم القران الخالدة ، واثرها على التطور الفكري والحضاري .

وقد اهاب السيد وزير التربية الوطنية بمديري المدارس والمعاهد وجميع رجال التعليم ان يحرصوا على الاهتمام بالمنشور المذكور ، وبتلاوته وشرحه بعد عيد الفطر نظرا لكون الذكرى لا تقتصر على ليلة القدر بل تعم السنة كلها .

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها التلاميذ والطلبة

يحتفل المسلمون فى جميع انحاء الارض طول هذه السنة بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم فقد نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بثلاث عشر سنة وفى سنتنا هذه يكون قد مر على نزول الوحي أربعة عشر قرنا بالحساب الهجري.

بدأ الوحي بنزول الآية الكريمة : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »

ومنذ نزول هذه الآية تتالى الوحي بالقرآن الى سيدنا محمد طوال مدة اقامته بمكة بعد ان هاجر الى المدينة حتى اكتملت سوره وآياته حينما نزلت الآية الكريمة « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

وقد جمع الله فى القرآن كل ما رضي به لامة الاسلام ، فكانت آياته المحكمات تنويرا للعقل والقلب بالعقيدة والايمان بالله ، وتنظيما للمجتمع بالشريعة والقانون ، وتقويما للخلق بالحكمة والموعظة الحق ، وتثبيتا لعقيدة الاسلام بالجدل والحجة والبرهان . فكان القرآن بذلك خلاصة الرسالة المحمدية التي اراد الله ان تكون آخر الرسالات يحملها الى البشر آخر النبيئين والرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ولذلك ايضا كان القرآن خلاصة الاديان السماوية جمع فيه الله تعالى كل ما أوحى به الى أنبيائه من صادق تعاليمه ، وما استجد مما اوحى به الى نبيه الكريم محمد بن عبد الله .

وقد نزل القرآن بلغة العرب وهي لغة قابلة للبقاء بما توفرت عليه من ثروة وفصاحة وسلامة ودقة فى التعبير وبراعة فى الاداء ، وقوة تأثير وتراث تأدبي مكين ، فكانت بذلك لغة حية لم تقصر عن احتواء كل المعاني السامية التي تضمنها القرآن . واستطاع القرآن ان ينتقل اينما انتقل العرب والمسلمين فاتحين مبشرين ومنذرين . وقد بقي القرآن محفوظا باللغة العربية . وبقي كل ما تضمنه من هداية وتشريع وتنوير سليما لم يدخله تغيير ولا تحريف طوال القرون الاربعة عشر .

ان المسلمين اتعظوا بما حصل للديانات السابقة من تحريف وتزييف قام به أعداء الدين وانصاره على السوء . فحفظوا دينهم باحتفاظهم على قرآنهم ، وكان

صاحب الجلالة يوشح صدر الكاتبة العربية الكبيرة عائشة عبد الرحمن
بوسام الكفاءة الفكرية



السيد نديم الجسر يتقبل وسام الكفاءة الفكرية من
صاحـب الجلالة نصره اللـه



صاحب الجلالة يوشح صدر العالم الاستاذ
السيد مصطفى احمد الزرقا

جلالة الملك

يقيم حفلة شاي كبرى على شرف العلم والعلماء

اقام صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني مساء ثاني عيد الفطر حفلة شاي كبرى بقصر دار الضيافة اكراما للعلماء المسلمين الذين حضروا الى بلادنا بدعوةكريمة منجلالته للمشاركة فى الاحتفالبمرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم .

وحضر هذا الاحتفال السيد ادريس المحمدي المدير العام للديوان الملكي ، والسيد احمد بلافريج الوزير الممثل الشخصي لصاحب الجلالة ، والفقيه السيد محمد المعمري وزير القصور الملكية ، واعضاء الحكومة يتقدمهم الوزير الاول الدكتور محمد بنهيمة وسفراء الدول الاسلامية وسفير الهند والاتحاد السوفياتي والجنرالات واعضاء الدواوين الملكيةورئيس المجلس الاعلى ووكيل الدولة العام به وعمداء الكليات والمعاهد وعامل الرباط وسلا وعدد من العلماء ، وقد تدم وفد الاتحاد السوفياتي هدية رمزية لصاحب الجلالة هي عبارة عن مجموعة من المصاحف الاثرية .

وخلال هذا الاحتفال تجاذب مولانا امير المؤمنين اطراف الحديث مع العلماء المسلمين الذين اغتنمواهذه الفرصة ليهنؤوا جلالته على اطلاعه الواسع بشؤون الدين وحسن بيانه وطول باعه وعظيم تدبره وكبير اهتمامه بالثقافة الاسلامية الصحيحة ، كما عبروا عن اعجابهم بالخطابين اللذين القاهما جلالته سواء بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم او فى صباح اليوم الثاني من ايام العيد حينما شرفهم حفظه الله باستقبالهم واكدوا لجلالته ان العبارات السامية التي فاه بها عاهل المغرب العظيم ستكون درسا للمسلمين ونبراسا لهم فى معالجة أمورهم .

وبهذه المناسبة انعم صاحب الجلالة على ستة عشر عالما من علماء المسلمين بوسام الكفاءة الفكرية من درجات مختلفة اثناء حفلة الشاي التي أقامها على شرفهم بقصر الرياض وهؤلاء العلماء :

الدكتورة عائشة عبد الرحمن من الج . ع . م . والشيخ عبد الحميد السائح من المملكة الاردنية الهاشمية ، والشيخ محمد أبو زهرة من الج . ع . م . الشيخ الشاذلي بلقاضي من تونس ، والشيخ نديم الجسر من لبنان ، والشيخ مصطفى الزرقاء من الكويت ، والشيخ عبد الفتاح ابو غدة من المملكة السعودية . والشيخ ضياء الدين خان من الاتحاد السوفياتي . والشيخ عباس مهاجراني من ايران . الشيخ مصطفى التريكي من ليبيا ، والاستاذ محمد جمال الدين عبد الوهاب من الباكستان والشيخ حياة الله الانصاري من الهند . والشيخ مصطفى عبد القادر من السودان ، والشيخ ابراهيم موسى من التشاد . والشيخ الشريف مكي حيدر من السينغال ، والشيخ محمد ابراهيم من النيجير .

وبعد هذه الحفلة استقبل صاحب الجلالة بقصر الضيافة الشيخ عبد الفتاح ابو غدة من المملكة السعودية ، والشيخ مصطفى عبد القادر من السودان والشيخ مكي حيدر من دكار .

السادة العلماء فى ضريح مولاي الحسن حيث ترحموا على روح الفقيد
مولانا محمد الخامس رضوان الله عليه



العلماء المسلمون فى مكتبة القصـــر
الملكي العامر



العلماء المسلمون منهمكون فى البحث عن
كنوز ما تضمه الخزانة الملكية

العلماء المسلمون يقومون بزيارة مكتبة القصر الملكي العامر

قام السادة العلماء المسلمون ضيوف صاحب الجلالة يوم ثالث شوال بزيارة مكتبة القصر الملكي العامر ، وكان فى استقبالهم عند مدخل الخزانة الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة المغربية ، والمكلف بمهمة فى الديوان الملكي .

وقد القى الاستاذ السيد عبد الوهاب بنمنصور بهذه المناسبة كلمة عرف فيها بأصل الخزانات العلمية الملكية بالمغرب منذ اقدم العصور ، شارحا الدور الذي لعبته فى نشر العلم والثقافة بالمملكة المغربية والعالم الاسلامي ، كما اشار الى ما تحتوي عليه من ذخائر ونفائس نادرة ، ثم بين ان المكتبة الملكية هي ورشة عمل لان ترتيب كتبها وتنظيمها لم يتم بعد وان جلالة الملك المعظم قرر حفظه الله بناء خزانة عصرية مستوفية لجميع الشروط التي تعين الباحثين والمثقفين فى جميع انحاء العالم الاسلامي على البحث والمعرفة، وابرز الاستاذ بن منصور الايادي البيضاء التي للملوك الدولة العلوية على الحركة الفكرية فى المغرب .

وانشئت المطبعة الملكية التي رأت النور منذ مائة وخمسة اعوام منذ عهد جلالة السلطان المقدس سيدي محمد بن عبد الرحمن نشر الملوك العلويون على نفقتهم الخاصة عشرات الكتب التي طرقت كل ابواب المعرفة سواء كانت دينا أو ادبا أو علما أو فنا أو تاريخا .

وبعدما انتهى مؤرخ المملكة من تقديم هذه البيانات اطلع السادة العلماء المسلمين على معرض المطبوعات والمكتبة التي اعجبوا بها ايما اعجاب وابدوا تقديرهم للمجهودات التي بذلها الملوك العلويون فى هذا الباب والتي تضاعفت فى عهد جلالة الملك الراحل محمد الخامس قدس الله روحه وخلفه جلالة الملك المعظم الحسن الثاني ايده الله ، ثم زار السادة العلماء قسم المخطوطات وقدمت لهم نماذج من كتبها التي يرجع تاريخ بعضها الى الف سنة ، وفى النهاية شكر السادة العلماء جلالة الملك المعظم على تفضله باطلاعهم على هذه الخزانة النفيسة وابدوا اهتمامهم بمحتوياتها واثر هذه الزيارة قام السادة العلماء بزيارة لضريح مولاي الحسن حيث ترحموا على روح فقيد العروبة والاسلام جلالة الملك الراحل محمد الخامس رحمه الله وسجلوا اسماءهم فى الدفتر الذهبي .



صورة تذكارية لبعض القراء صحبة بعض اعضاء اللجنة التحكيمية

العلوي ، ومولاي الشريف بن علي ، وعبد الحميد السناني . وقر رأيها على استدعاء ثلاثين مقرئا للمشاركة في المهرجان النهائي .

ورات اللجنة ان الشيء الذي ينقص هذه النخبة هو تطبيق مبادىء التجويد ، فقد اقترحت ان تنظم دورة تدريبية قصيرة لصالح الثلاثين الناجحين فى الحولة الاولى قبل التقدم للمباراة النهائية .

وقد اعتمدت اللجنة على ثلاثة عناصر اساسية هي :

اولا : توفير عنصر الصوت . ثانيا : الالمام بمبادىء التجويد وتطبيقها . ثالثا : طريقة الاداء .

ففيما يخص العنصر الاول : فالنخبة التي تقدمت أمام الجمهور يوم عاشر رمضان المبارك كانت زبدة لمجموعة من القراء الذين اختيروا من مختلف اقاليم المملكة ، ذلك ان اللجنة بالاضافة الى مسئوليتها كهيئة ممتحنة كانت فى نفس الوقت لجنة للتوعية والتوجيه .

اما فيما يتعلق بالعنصر الثاني فقد كان اعضاء اللجنة يعتبرونه بمثابة الشرط الاساسي فى الحكم على المشارك عملا بقول رسول الله (ص) : (من لم يجود القرءان آثم) ومن قبله عملا بقوله تعالى : (ورتل القرءان ترتيلا) .

ومن اجل ذلك فرضت فترة تدريبية دامت اسبوعا كاملا ، وكانت فرصة بالنسبة لهذه النخبة حيث اتاحت لها التعرف على جماعة من اساتذة التجويد الذين لقنوهم دروسا نظرية وتطبيقية حيث تم ذلك بدار الحديث الحسنية .

اما فيما يتعلق بطريقة الاداء فقد لوحظ بأن بعض القراء كانوا يفضلون طريقة معينة عن غيرها او يخلطون بين اساليب الاداء ، كانوا ينتقلون مثلا فى آية واحدة من نغمة الى اخرى دون ان تكون الاذن قد استأنست بعد لسماع النغمة الاولى والانسياق معها، زيادة على الخلط بين الطريقتين المغربية والشرقية. عند بعض القراء ومع تفضيل اللجنة للطريقة المغربية الصرف بصفتها مظهرا من مظاهر حضارتنا وتقاليدنا من الوان فنوننا فقد اعطت اللجنة الحرية فى اختيار الطريقة التي يرتضونها حتى لا يكون هناك ما يمكن التعبير عنه او وضعه بالتحيز .

وقد مر الحفل فى جو بهيج حيث حضره معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش الذي سلم بنفسه الجوائز للفائزين . وقد توجت اعمال هذا المهرجان الديني الاول بتأسيس رابطة للقراء بالمغرب ، وعينوا لها مكتبا تأسيسيا .

كيف تم مهرجان القرآن لاختيار المجودين

عاش الشعب المغربي يوم الثلاثاء عاشر رمضان الموافق 12 دجنبر 1967 يوما خالدا مع مهرجان القرءان الكريم ، لقد استمع الى 28 مقرئا من مختلف انحاء المملكة ، تلا كل منهم ما تيسر من آيات كتاب الله بطريقته الخاصة ، وتجويده الخاص ، واسلوبه الخاص

ومر اليوم الخالد الذي صادف ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم في جو من الخشوع والنورانية .

كيف تم تحضير هذا المهرجان الديني ؟ .

لقد قررت وزارتا الانباء والاوقاف والشؤون الاسلامية بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول



بعض اعضاء لجنة التحكيم المتنقلة
اثناء امتحانها لاحد المرشحين من اقليمية طنجة المشار اليه بعلامة ×

القرءان الكريم ان تتميز الذكرى السابعة لوفاة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه باقامة مهرجان للقرءان الكريم،ووقع الاختبار لدراسة الموضوع وتقديم مشروع لتنظيم المهرجان ، وبالفعل اجتمت اللجنة ودرست الموضوع من جميع جوانبه الادارية والمالية والتقنية ورفعت مشروعا الى السيد الوزير الذي اتخذ في حقه الاجراءات اللازمة وامر بالتنفيذ . وهكذا تم الاتصال فورا ببعض الوزارات التي يهمها الامر

ففيما يخص وزارة الاوقاف فقد عينت لجنة تحكيمية تتجول عبر اقاليم المملكة للاستماع الى كل من ترشحهم نظارات الاحباس والعمالات ورجال السلطات المحلية .

اما وزارة الداخلية فكان عليها – نظرا لضيق الوقت – ان تشعر المرشحين بتواريخ حلول اعضاء اللجنة بكل مركز من مراكز الامتحان وهي : مراكش والدار البيضاء ، وطنجة ، وفاس ، والرباط . وهكذا كانت كلما وصلت اللجنة الى تلك المراكز كانت تستمع الى مرشحي المنطقة والاقاليم المجاورة ، وقد استمعت اللجنة الى ثمانين مقرئا مباشرة ، كما استمعت الى اربعين مقرئا تكلفت عمالات الاقاليم النائبة جدا بقراءاتهم .

وبعد هذه المرحلة الاولى اجتمت اللجة التي اقترحتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والتي تتركب من السادة : عبد الله الجراري مولاي مصطفى

السيد نديم الجسر يتحدث الى السيد الوزير وبجانبهما علماء الاسلام

علماء المسلمين يتصفحون « مصحف الحسن الثاني » الذي اهدي اليهم يوم عيد الفطر
ويظهر فى الصورة من اليمين السادة : ابو زهرة من ج.ع.م ، وعبد الحميد السائح من الاردن ،
والشاذلي بلقاضي من تونس

حفلة شاي بمنزل السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية على شرف علماء العالم الاسلامي



السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية يقدم « مصحف الحسن الثاني » الى السيد الانصاري من الهند ، والسيد عبد الفتاح ابو غدة من المملكة السعودية

استقبل معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش بمنزله مساء يوم العيد اعضاء الوفود الاسلامية التي حضرت الى المغرب بدعوة كريمة من مولانا صاحب الجلالة للاحتفال العظيم بذكرى نزول القرءان الكريم على سيدنا محمد عليه السلام .

وقد دار الحديث بين اعضاء الوفود الاسلامية ومستقبليهم من رجال الثقافة والعلم ورواد الحركة الفكرية بالمغرب في جو اسلامي خالص حول مغزى هذه الذكرى ، وابدوا اعجابهم واندهاشهم مما راوه من جلال الملك ، وابهة الاحتفال اثناء صلاة عيد الفطر المبارك مع مولانا صاحب الجلالة نصره الله وأيده .

وقد وزع السيد الوزير على اعضاء الوفود نسخا من مصحف الحسن الثاني الذي قامت بانجازه وطبعه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

حضرات الاساتذة الكرام .

منذ اربعة عشر قرنا ، كان العرب فى جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، والبشرية كلها فى خضوع للملوك، وهيمنة لرجال الدين، تعبدها الخرافة، وتسيرها الاوهام ، وتقوم حضاراتها على عبادة غير الله ، حتى كان بعض الاحرار يجدون فى الجزيرة العربية ملجأ يأوون اليه ومع ما هو عليه من التخلف ، لان فيه حرية لا مزاحم عليها ، حرية الاوابد فى الفلاة ، والطير فى السماء .

وكانت الارستوقراطية التجارية القرشية في مكة تمثل القيادة الوحيدة للعرب ، واليد القوية في تسييرهم وتوجيههم ، وطبعا فقد كان يهمها ان يبقى المجتمع العربي قائما على فاسد التقاليد وباطل الاعتقادات لانها تستفيد من حالة الشعب ، وتشعر بالاستعلاء ما دام فى غيبوبة بعيدا عن كل معارضة او اندفاع للتحرير .

وفى هذا الجو الخانق انبثق نور من السماء ، اضاءت له ارجاء الجزيرة وشع على البسيطة كلها ، وتزلزلت له اركان القصور فى الشام وفارس وبيزنطة ، وهوت به الاصنام العربية بما لها من طقوس ، وما وراءها من اوهام . وسرعان ما تبدلت الارض غير الارض والعرب غير العرب .

ذلك ان محمدا (ص) بعث للناس كافة ، وانزل عليه قرآن كريم ، فيه تذكير بالفطرة وتوجيه للعمل الصالح ، وبث لروح الايمان فى وعي ويقظة .

لقد هدى هذا القرآن للتي هي اقوم واصلح الله به القلوب والعقول ، وجمع به بين شتات القبائل ، ومختلف الآراء ، والانظار ، ووحد غايات الناس فى الحياة : « وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون » .

وكانت النتيجة ان قامت فى البلاد العربية دولة اسلامية فذة ، لم يسبق لها مثيل فى التاريخ ، مدت سلطانها الى سائر هذه البقعة الافريقية الاسيوية والى جوانب من اوربا ، ولم يكن سلطانها قائما على السيف وحده ، ولا رسالتها معتمدة على غير ما فيها من دواعي القبول او قابلية استجابة ذوي الفطرة السليمة لها ، عاش العلم فى رحابها معززا مكرما ، والحرية فى البحث وفى التعبير عن الافكار العلمية مضمونة محمية فاصبح الناس فى هذه الارض اخوانا يتلقبون فى ارض الاسلام كيف شاؤوا ، لا تحصرهم حدود ، ولا تضيق بهم جنسية . قانونهم واحد هو شريعة الاسلام متعددة المذاهب متنوعة النزعات . وفلسفتهم هي الفكر الاسلامي المتفتح القابل لان ينظر ويدرس كل ما تصل اليه المعرفة او يهتدي اليه المفكرون من المشرق والمغرب . وسلوكهم هو ما يقتضيه الخلق الفرداني من اخاء ومحبة وتعاون على البر والتقوى .

ونظرة واحدة على هذه الحقب السعيدة من تاريخ المسلمين تعطي نتيجة حتمية هي ان هذه النهضة الثقافية الحضارية الفذة واكبت واعتمدت على عقيدة الاسلام ومبادىء القرآن . ومن الصعب اعتبار ان هذه المواكبة صدفة ، وان نجاح النهضة لم يكن بسبب ما اورثه الاسلام من عقيده ومن دفع الى العمل ومن تفهيم للانسان معنى كونه خليفة الله فى ارضه .

على ان احدا من المسلمين او غيرهم لم يزعم ان ما حدث من تقدم فى هذه المنطقة بعد مجيء الاسلام كان صدفة أو لم يكن من أثر الدين الجديد وما زرعه فى قلوب معتنقيه من روح العمل والبناء .

فالمسلمون اذن نهضوا وبنوا مجدهم باسم الاسلام وبفضل ما علمهم القرآن .

ولكن حالة هذه المنطقة لم تدم على ما اراده لها الدين ، وسرعان ما توقف سير المسلمين ، واضطربت أحوالهم واشتغلوا ببعضهم ، ولم تمض حقبة يسيرة حتى كان غيرهم قد احتل المكان الذي لهم . وذلك بفضل تخليه عن بعض التقاليد التي عاقته زمنا . وبفضل اكتشاف البخار الذي خرج بالاقتصاد الاوربي من الطور العائلي الى الطور الآلي .

وقد تطور الامر الى ان اصبح الاقتصاديون الجدد يبحثون عن الاسواق المستهلكة والمواد الاولية ، واستطاعوا بما وضعوه من خطط وما اعدوه من قوة ، ان يهاجموا المنطقة الاسلامية ويحتلوها ويحاولون تسخيرها لخدمتهم ، والابقاء على حالة التخلف التي وقعت فيها حتى لا تنهض من كبوتها ولا ان تتحرر من اغلالها .

وزاد من قوة الغرب ان انضمت اليه قارةجديدة هاجر اليها من ابنائه من بنى فيها اكبر دولة حديثة وهي امريكا .

وبما ان التخلف الاقتصادي والاجتماعي عم هذه المنطقة التي واكبت دخول الاسلام لها بالامس لنهوضها وازدهارها ، فقد حاول الغرب ان يفهم المسلمين ان هذا التخلف نتيجة لايمان المسلمين بالاسلام وتمسكهم



انعقدت يوم السبت 28 رمضان المعظم فى الساعة الحادية عشرة صباحا بكلية الآداب بالرباط ندوة حضرها كل ضيوف المغرب من العلماء المسلمين الذين حضروا الاحتفال الرائع الذي اقيم بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن الكريم .

وحضر هذه الندوة كل من معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش ومعالي وزير التعليم الاستاذ السيد عبد الهادي بوطالب والاستاذ السيد محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس وجمع غفير من العلماء المغاربة ومثقفيه

واستهل هذه الندوة التي اقيمت تحت شعار « العودة الى القرآن » الاستاذ السيد محمد الفاسي بكلمة افتتاحية وبعده تناول الكلمة الاستاذ السيد عبد السلام الفاسي رئيس جامعة القرويين

ثم قدم الاستاذ الكبير السيد علال الفاسي عرضا قيما كان موضوع مناقشة خصبة ومنتجة وايجابية .

وقد اوضح الاستاذ علال الفاسي فى عرضه وجود المسلمين فى الوقت الحاضر امام عدة تيارات ، قوام بعضها ، العلم ، وقوام بعضها الحضارة ، ونحن لايمكن ان نبتعد عن العلم ولا عن الحضارة ، لان القرآن نفسه يحض على العلم . والتخلف الموجود فى العالم الاسلامي تخلف طارىء ، ويمكن للمسلمين ان ياخذوا باسباب العلم وان يجتازوا عصر البخار الى عصر الذرة دون ان يبتعدوا عن القرآن الذي لايتنافى العمل به مع عصر العلم والحضارة وخلص من ذلك الى وضع السؤال المطروح للمناقشة وهو : « ما هي الوسائل العلمية التي تمكن المسلمين من العودة الى القرآن الكريم »

وقد اجاب كثيرون عن هذا السؤال ، فرأى الاستاذ السيد ناصر الكتاني ان العودة الى القرآن تكون بتصحيح المناهج المدرسية لتربية النشء على تلقين القرآن ومبادئه ، وفي التربية الخلقية ، ثم تحدثت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) حديثا مستفيضا عن مثالية القرآن التي لم يعد احد يعرفها وخاصة فى الاجيال التي تعرضت للاستعمار الفكري ، الاستعمار الذي زيف تاريخ الاسلام حتى مضى المسلمون يلتمسون فكرهم فيما اتى به الغرب فياخذون مثلا حقوق الانسان وحقوق المراة من قوانين الامم المتحدة ، مع أن القرآن أتى بها منذ اربعة عشر قرنا . وتحدثت عن الاتجاه الذي سنه الرئيس علال فى العودة الى الشريعة فى كتابيه القيمين : دفاع عن الشريعة ومقاصد الشريعة . وقالت اننا لا نقيم حواجز بين الشباب والتيارات المعاصرة ، ولكنا يجب أن نضع امامهم مثالية القرآن ليفهموا انه حرر الانسان والفكر والعقيدة وحرر المرأة فادركت حرية العلم والفضيلة والعفة . وتحدثت عن التجربة الذاتية فى فهم القرآن فقالت انها فهمت من القرآن ان العقل هو مناط انسانية الانسان . وتحدثت بعد ذلك عن دور البيت والمدرسة والجامعة وعن المكتبة والمعلم والدرس فى تقديم مثالية القرآن لشبابنا الذين لا نريد منهم ان ينقطعوا عن الثقافة الغربية ولكنا نريد أن نسلحهم بالمعرفة القرآنية . فشبابنا اليوم عقولهم مشدودة الى الغرب وقلوبهم مشدودة الى العقيدة وهم ممزقون بين شقي الرحا .

ثم تحدث الاستاذ السيد عبد الحميد السائح وزير الشؤون الاسلامية والاماكن المقدسة بالمملكة الهاشمية الاردنية فقال :

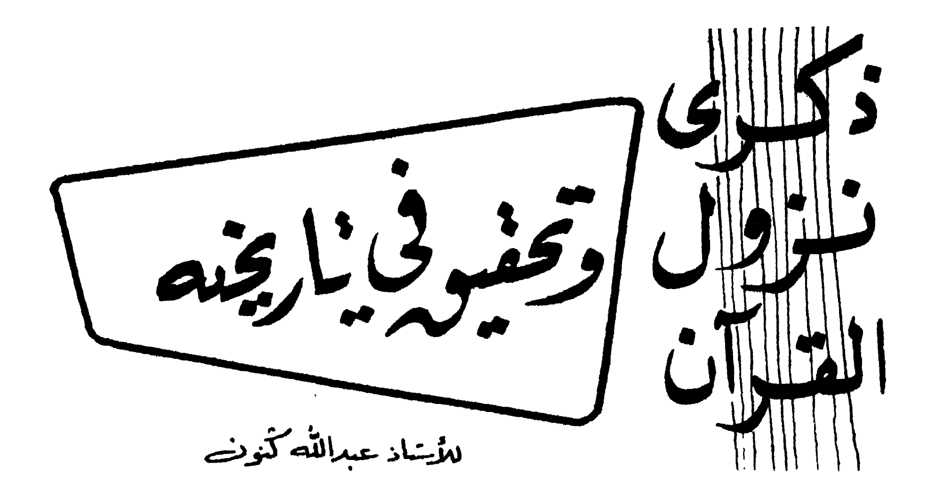
ان السبيل هو أن تتبنى دولة اسلامية الحكم بالقرآن وان تتعهد بتكوين مجتمع يضع الحلول الاسلامية المتطورة وتغيير المناهج والقوانين المعمول بها الى المناهج الاسلامية

وتحدث بعد ذلك الاستاذ ابو بكر القادري فلخص كلمته فى ان رجال الفكر الاسلامي يجب ان يخرجوا بنقطة التقاء يقتنعون بها ويعملون على اقناع المسؤولين فى العالم الاسلامي وركز رايه على تغيير المناهج المدرسية ووسائل الاعلام التي يجب ان توجه توجيها اسلاميا ، وقال اننا يجب ان نبدأ بانفسنا فى تنفيذ مبادىء القرآن .

وقد تحدث بعد ذلك كثير من المشاركين فابدوا آراءهم فى موضوع العودة الى القرآن منهم الدكتور عباس مهاجراني من ايران والاساتذة الاجلاء مصطفى عبد القادر من السودان ومصطفى التريكي من ليبيا والدكتور الحبابي ، والشاذلي بن القاضي من تونس وعبد الواحد العلوي وعبد الله غوشه قاضي القضاة بالمملكة الاردنية وابراهيم الكتاني والرحالي الفاروقي ومحمد العبدلاوي والشيخ مفتي ضياء الدين بابا خانوس من الاتحاد السوفييتي والشيخ نديم الجسر من لبنان وادريس الكتاني

وختم السيد وزير التربية الوطنية الندوة فشكر الرئيس علال الفاسي على كلمته المركزة القيمة التي تنشد هدفا ساميا وان هذا الاجتماع يمكن ان يكون بداية اجتماعات اخرى ، وهذا الاجتماع ليس ندوة انتكاسية ولا انكماشية وانما نريدها نهضة شاملة ...

وهذا نص العرض الذي القاه الاستاذ السيد علال الفاسي الذي كان منطلق النقاش بين العلماء المسلمين :



ذكرى نزول القرآن وتحقيق في تاريخه

للأستاذ عبد الله كنون

ان ذكرى اي حادث تقتضي أولا وبالذات التعرض لتاريخ ذلك الحادث، وتحديد زمن وقوعه ليطابق وقت الذكرى الحادث المذكور، لا من حيث الظروف الزمنية التي وقع فيها فحسب، بل ومن حيث الاحوال والملابسات التي صحبته وارتبطت به، فان ايةذكرى انما يراد بها التأمل والاعتبار، ولابد من توفير الاسباب المادية والمعنوية التي تعين على تحقيق هذا الغرض المتوخى من الذكرى.

1) ونزول القرآن الكريم على النبي (ص) هو باتفاق المسلمين كان منجما اي مفرقا بحسب الوقائع التي تقتضي نزول ما ينزل منه، اما جوابا عن سؤال وجه اليه (ص) او حكما في قضية عرضت عليه، او ردا على زعم من مزاعم المشركين في مسائل الاعتقاد والبعث والجزاء، او نقضا لمطعن من مطاعن اليهود والنصارى في الرسالة المحمدية والدين الاسلامي، او بيانا عاما للناس جميعا في الدعوة الى الله، وحقائق الايمان، واصول التشريع، واحوال المعاد، مما اضطلع الرسول الاكرم بتبليغه الى الخلق مدة الرسالة لهدايتهم الى الدين القويم.

وهذا الامر قد افصح به القرآن في معرض الرد على الكفار الذين انتقدوا عدم نزوله مرة واحدة « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك لنثبت به فؤادك (1) » اي انزلناه كذلك منجما لتثبيت فؤادك بالوحي المتتابع الذي تتجدد به صلتك بالسماء، ويستمر امدادها لك بالعون، فيطمئن المؤمنون الى عناية الله بك، ورعايته لك، ويرتدع الكفار عن تكذيبك ومحاجتك، لان ذلك تصديقك وتزكية دعواك للرسالة، بله تسهيل الامر عليك وعلى المؤمنين بعدم الزامهم بالتكاليف الشاقة دفعة واحدة.

2) وقد نشأ عن نزول القرآن بهذه الصفة، علوم ومباحث واسعة تسمى علوم القرآن لابد للمفسر ان يلم بها، والا عميت عليه الانباء في معرفة معاني الآي الكريمة واسرار التنزيل.

فمنها العلم بأسباب النزول، وذلك ان القرآن منه ما نزل ابتداء، بيانا للناس ومنه ما نزل بسبب ما جوابا عن سؤال او حكما في قضية مثلا على ما مر آنفا فيحتاج المفسر لمعرفة هذا السبب، وقد عنى به العلماءشديد العناية وافردوه بالتآليف العديدة.

ومنها معرفة المكي والمدني اي ما نزل منه قبل الهجرة والنبي (ص) مقيم بمكة وما نزل بعدها والنبي مقيم بالمدينة، ويحتاج اليه لمعرفة المتقدم من المتأخر وتترتب على ذلك احكام، فضلا عن التفرقة بين طبيعة الدعوة في الفترتين، ولا تقل عناية العلماء بهذا البحث عن سابقه.

ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ، فان بعض الاحكام التي تقررت في أول الاسلام انما كانت موقتة للتدرج في التشريع ثم نسخت بعد ذلك، ويجب العلم بها لما تتضمنه من حكم كالتيسير على الامة، ولما أن الجهل بذلك ربما يؤدي الى الوقوع في المحظور، فقد روى عن علي (ض) أنه قال لقاض أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال لا. قال هلكت واهلكت (2).

1) سورة الفرقان، الآية 32.
2) الاتقان للسيوطي 2 ص 20.

به ، وانه لا سبيل الى انهاضهم من جديد الا اذا تخلوا عن دينهم ، واعتنقوا تعاليم الغرب كما هي . واثر ذلك عمليا فى نفوس بعض قادة المسلمين الذين لم يعرفوا الاسلام ولا تاريخ المسلمين . مع ان التخلف فى العالم الاسلامي حينما يبحث بدقة يظهر انه لم يواكب عهد التمسك بالدين واقتفاء تعاليم القرآن وانما واكب مرحلة وقف فيها النمو الديني فى نفوس اجيال من المسلمين ، كما واكب تحول نظام الحكم الاسلامي المبني على الشورى والعدل والاحسان الى انظمة انشأتها سيطرة بعض الاذكياء على الشعوب وتسخيرها لمصلحتهم . وجاء التقدم التجاري فى الغرب وما اعقبه من حملات استعمارية ، فلم يعط المسلمين فرصة التدبر فى امرهم وتطوير احوالهم بكيفية طبيعية مترتبة على مدى وعيهم وادراكهم اللذين كانا فى بداية البزوغ

ولقد جرب المسلمون للخروج مما هم فيه اليوم ، نظريات وافكارا مستمدة من الغرب شرقية وغربية فلم يفدهم ذلك شيئا كبيرا ، الامر الذي جعل ثلة صالحة من علمائهم وذوي الراي فيهم يقتنعون بان التخلف الاقتصادي والاجتماعي فى بلاد المسلمين انما هو نتيجة التخلف الثقافي والديني ، وان ترك المسلمين الاخذ بتعاليم الاسلام التي تحث على الدرس والمعرفة وجعل الحكمة ضالة المومن يلتقطها انى وجدها هو الذي اورث المسلمين هذه الحالة التي هم عليها ، فهم قد جعلوا القرآن عضين ، حافظوا على بعض جوانبه الظاهرية واهملوا جوانبه المهمة التي لابد منها للبقاء فى خط التقدم الذي اراده الاسلام لمعتنقيه .

وهؤلاء المفكرون يجدون فى آيتين من كتاب الله ما يعطيهم الحجة لما يقولون : قال تعالى : (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون). وقال : (ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى ، قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) .

واذن فمهما تكن الاسباب التي يستخرجها الباحث الاجتماعي من نقط الضعف الموجودة فى العالم الاسلامي فانها ترد الى اصل اصيل هو اهمال المسلمين لتعاليم الاسلام الذي يأمرهم بالاخذ بوسائل العلم والعدل والقوة .

ان الفراغ الذي حدث فى تطبيق الاسلام شريعة وخلقا على ما استجد من الاحداث التي تتعدد كل يوم، كون فجوة بين المسلمين وبين ما وصل اليه اجدادهم حينما كانوا لا يتركون مجالا للفراغ . ويعملون دائما بمقتضى تعاليم دينهم ، وهذه الفجوة الفكرية الدينية، لم يقع ان امتلأت بما امتلأت به افكار الغرب اثناء انبعاثه لان الصدفة لم تجعل المسلمين يكتشفون البخار ، ولا يمكن ان تمتلىء بنفس تلك الافكار او بما تطورت اليه بمقتضى تطور الاقتصاد والتقنية واكتشاف الكهرباء او الذرة ، لان المسألة ليست مسألة تبني الافكار بقدر ما هي مسايرة تطور العلم والتقنية ، وانغمار فى معمعتها .

ولكن التفوق فى هذه الميادين متوقف على باعث فكري ومذهبي ، لا شك فى ذلك ، وذلك ما يستوجب من المسلمين تجديد الرباط المتين بينهم وبين تلك التعاليم التي سقطوا منذ تخلوا عنها حتى يتمكنوا من العبور على تلك الفجوة الى ما قبل الوقوف،ثم العبور منه بما له من محرك قوي الى عهد الذرة ، دون حاجة الى المرور بمراحل البخار والكهرباء .

فالمسألة اذن هي العودة الى الاخذ بتعاليم القرآن والاهتداء بهديه ، لانه وحده الذي يعرفنا ما ذا يجب ان نأخذ وما ذا يجب ان نذر .

والمسألة المترتبة على ذلك هي :

ما هي الوسائل العلمية التي تمكن المسلمين من اقامة بعث اسلامي يجعلهم يستأنفون فى جو قرآني السير فى خط التقدم الحقيقي ليواكبوا ركب الحضارة ويخلصوا الى الطليعة حيث أراد الله منهم أن يكونوا .

ذلك هو الموضوع الذي يخرج من تحقيق المناط الذي حاولت ان اقوم به ، وذلك ما ادع لحضرات الاساتذة الاجلة ان يعالجوه عسى ان نخرج من الحوار حوله بفكرة ان نحن اخذنا بها وعملنا لها دخلنا صراط الله الواضح البين .

وشكرا .

الرباط — علال الفاسي

ان اخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر فقال رحمه الله اراد ان لا يتكل الناس اما انـــه قد علم انها فى رمضان وانها فى العشر الاواخر ، وانها ليلة سبع وعشرين ثم حلف لا يستثني انها ليلة سبع وعشرين بالعلامة التي اخبرهم بها النبي (ص) (1) وحينئذ فموافقها هو يوم 16 من غشت السنة .

4) هذا تاريخ نزول القرآن بمعنى مبدأ نزوله ، مأخوذا من القرآن نفسه ، وهو احد المعنيين اللذين حمل العلماء عليهما الآيات الواردة فى ذلك .

والمعنى الثاني ان نزوله كان جملة واحدة الى السماء الدنيا فى ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك منجما فى مدة الرسالة التي تتراوح بين عشرين سنة وخمـــس وعشرين سنة على الخلاف فيها . وهو قول اكثـــر المفسرين ، وتؤيده الرواية الصحيحة عن ابن عباس قال انزل القرآن جملة واحدة الى سماء الدنيا فى ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك فى عشرين سنة .. اخرجـه الحاكم فى المستدرك ، وقال صحيح على شـــرط الشيخين ، واخرجه النسائي بلفظ فصل القرآن من الذكر ، فوضع فى بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي (ص) قال البدر الزركشي واسناده صحيح ، (2) .

ومعلوم ان هذا لا يقال من قبل الراي فحكمه الرفع الى النبي (ص) .

وهذا النزول الغيبي ان كان ما يحمل على القول به هو ابقاء الآيات الواردة فى نزول القرآن علـــى ظاهرها من نزوله جملة واحدة ، فانه لا يعارض نزوله الحسي فى التاريخ المذكور اي ابتداء نزوله على النبي (ص) مفرقا ، بل ان الرواية نفسها تشير الى ذلك وتبين المراد به فهما اذن نزولان ، غيبي وحســـي ، وتاريخهما واحد .

ويتساءل العلامة الزركشي عن السر فى هـذا النزول ، ويجيب عن ذلك بقوله : « فان قيل ما السر فى انزاله جملة الى السماء ؟ قيل فيه تفخيم لامره وأمر من نزل عليه وذلك باعلان سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لاشرف الامم، قربناه اليهم لننزله عليهم » (3) .

على اننا يمكن أن نقول فى حكمة ذلك أنه لاطلاع الملائكة وجميع المؤمنين بالغيب على احاطة علم الله تعالى فى الازل بواقع الاشياء كما تقع فيما لا يزال ، خلافا لمن نفى عمله بذلك من الفلاسفة والمعتزلة ، وقال انما يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات ، فهو برهان يطمئن اليه المؤمن ، ويتأيد بممارسة السيرة ودراســـة القرآن .

5) وكان أول ما نزل هو قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) (4) كما تفيده السنة الصحية ، ففي البخاري عن عائشة قالت : أول ما بدىء به رسول الله (ص) من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزح الى اهله ويتزود لذلك، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاء ، الحق وهو فى غـــار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ ، قال ما أنا بقارىء ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ ، قلت ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطنـــي الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقـــرأ ، فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثالثة ثـــم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلـــق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، فرجع بهـــا رسول الله (ص) يرجف فؤاده » الحديث (5) .

لكن جاء فى صحيح مسلم عن جابر : أول ما نزل من القرآن سورة المدثر(6)، وهذا محمول عند العلماء على

1) صحيح مسلم ج 2 ص 126 .
2) البرهان ج ل ص 229 .
3) المصدر السابق ج ل ص 230 و الجملة الاخيرة وردت فيه هكذا ولقد صرفناه اليهم لينزله عليهم ، وقد صححناه من الاتقان .
4) سورة العلق الآية (1) .
5) البخاري ج ل ص 3 ، وقوله فغطني اي ضمني الى صدره قصد الاستئناس وازالة الرعب ، وانتهت رواية البخاري الى قوله وربك الاكرم ، ولكن رواية مسلم تنتهي الى قوله ما لم يعلم .
6) ج ل ص 66 .

وقد اهتمت الامة بهذا الفرع من علوم القرآن اشد الاهتمام ، وخصته كتب الاصول بدراسات قيمة ، واما الذين الفوا فيه على انفراد فهم خلائق لا يحصون من المتقدمين والمتاخرين .

وهكذا نرى عمليا أن القرآن نزل مفرقا ، وفى أوقات متباعدة ، وأن تاريخه هو تاريخ الرسالة ، ومدته هي مدتها أو قريبا من ذلك ، وانه لا يصح أن يقال ان القرآن اي المصحف نزل فى تاريخ كذا لتاريخ معين لا يمتد من تاريخ البعثة الى ما قبل وفاة النبي (ص) بقليل .

3) نعم هناك مبدأ النزول اي أول يوم نزل فيه شيء من القرآن ، وهذا هو الذي يعطينا تاريخ الذكرى ، لانه يعتبر كيوم الولادة الذي يحتفل به سنويا كثير من الناس .

ولقد صرح القرآن بأن نزوله كان فى رمضان ، وفى ليلة القدر منه على الخصوص كما قال تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) (2) وقال (انا أنزلناه فى ليلة القدر) (3) .

واكد ذلك بالنسبة الى الليلة المذكورة قوله فى الآية الاخرى (انا أنزلناه فى ليلة مباركة) (4) .

واذن فقد تحدد نزول القرآن بشهر معين ، وليلة مسماة منه ، ولكن بقي تحديد السنة التي منها هذا الشهر ، وان لم يتوقف عليها غرض الذكرى ، الا فى عدد ما مر عليها من السنين .

ومن السهل أن نقول انها السنة الاولى للبعثة، ضرورة أن النزول كان مقرونا بهذه (5) .

وبعثة النبي (ص) كانت فى القول المشهور الذي يأخذ به الجمهور ، بعد مرور أربعين سنة على ميلاده الشريف . وبما أن ميلاده كان فى ربيع الاول من عام الفيل لاثنتى عشرة ليلة خلت منه ، على القول المعتمد، وذلك يوافق 20 غشت سنة 570 م فان رمضان الذي انزل عليه فيه كان سنة احدى واربعين من ميلاده ، وهي توافق سنة 610 م .

فيكون قد مر على نزول القرآن الآن بالتاريخ الهجري اربع عشرة مائة سنة بزيادة ثلاث عشرة سنة على عامنا هذا الذي هو عام 1387 وذلك بالنظر لكون مدة الرسالة ثلاثا وعشرين سنة ، ثلاث عشرة بمكة قبل الهجرة ، وعشرا بالمدينة بعدها . وهو قول الجمهور الذي عليه المعول (6) .

وبالنظر لقول انس أنه (ص) مكث بمكة بعد الرسالة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، يكون قد مر على هذه الذكرى ثلاث عشرة مائة وسبع وسبعون سنة فقط . ولكنه قول انفرد به أنس (7) ، وقال العلماء انه مبني على الغاء السنوات الثلاث التي فتر فيها الوحي .

وثم قول ثالث بأنه (ص) مكث بمكة خمس عشرة سنة بعد البعثة (8) ، فيكون الآن قد مر على نزول القرآن عامان اثنان واربعة عشر قرنا ، وتمام ضبط هذا التاريخ يحملنا على تعيين يوم النزول ايضا من رمضان فلا يبقى مشاعا بين أيام الشهر كله . وقد اشتهر انه كان يوم الاثنين لسبع عشرة خلت منه ، رواه ابن سعد (9) وأخذ به غير واحد وهو يخالف ما صرحت به الآية الكريمة من نزوله فى ليلة القدر ، الا اننا نعلم أن هذه الليلة قد اختلف فيها هي الاخرى، ومن جملة الاقوال فيها انها متنقلة بين ليالي رمضان ، فيحتمل أن تكون فى ذلك العام صادفت اليوم المذكور، وهو يوافق 6 غشت 610 م لكن الصحيح والذي عليه المعول أن ليلة القدر هي ليلة سبع وعشرين ، لما فى البخاري من قوله (ص) التمسوها فى العشر الاواخر (10) ، ولما فى مسلم من أن ابي بن كعب قيل له

1) سورة العلق الآية 1 .
2) سورة البقرة الآية 185 .
3) سورة القدر الآية 1 .
4) سورة الدخان الآية 2 .
5) انظر الزرقاني على المواهب ج . ل ص 207 .
6) المصدر السابق ج . ل ص 208
7) طبقات ابن سعد ج . ل ص 190 .
8) البرهان للزركشي ج ل ص 232 .
9) الطبقات ج ل ص 192 .
10) البخاري ج . ل . ص 252 .

فمن هنا كان القرآن معجزة الرسالة الخاتمة (اولا) لان البشرية بما حققت من تطور فى ميدان العلم والمعرفة ، اصبحت تتطلب معجزة من قبيل ما تأخذ به من دلائل العقل وقضايا المنطق ، لا ما يستهوي الحس ويمتلك البصر فقط ، (وثانيا) لان استمرار الرسالة المحمدية بحكم ختميتها يقتضي استمرار معجزتها المؤيدة لها ، ولا يمكن ان تكون المعجزة المحسوسة مستمرة والا صارت أمرا عاديا ، فلم يكن بد من المعجزة العقلية الباقية ببقاء الدعوة ، وقد كانت هي القرآن .

وهذا المعنى هو ما عبر عنه الحديث الشريف المخرج فى صحيح البخاري عن ابي هريرة قال ، قال رسول الله (ص) ما من الانبياء نبي الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله الي ، فأرجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة(1).

وقد زاد الحديث على اصل المعنى شيئا آخر، وهو رجاؤه (ص) ان يكون اكثر الانبياء اتباعا يوم القيامة . ورجاء النبي محقق قطعا ، فأما بالنسبة الى الانبياء السابقين الذين انقضت ديانتهم ، فذلك مسلم، لان المؤمنين بهم كانوا قلة كما نطقت به الآية الكريمة فى حق نوح عليه السلام ، اذ يقول (وما آمن معه الا قليل) (2) . ولان تعاقب الانبياء الواحد تلو الآخر يجعل اتباع كل نبي بحكم قصر المدة التي بينه وبين الذي يليه عددا قليلا . واما بالنسبة الى الاديان الباقية ، فاليهودية امرها لا خفاء به ، والمسيحية وان كان التعداد الرسمي لاتباعها يفوق تعداد المسلمين ، الا ان واقعها ليس كذلك ، فان اكثر المسيحيين اليوم ملحدون ، هذا فى البلاد غير الشيوعية ، واما فى هذه البلاد فمن الذي يقول ان سكانها مسيحيون ؟ وأما قبل اليوم فان المسيحيين كانوا قلة ، ولم يكثر سكان أوربا الا بعد عصر النهضة وتقدم الطب والعناية بالمواليد وتدبير الصحة ، ولكن صحب ذلك انتشار الالحاد ، فلم يكن كل سكانها دائما من المتدينين .

بقيت الاديان الشرقية من بوذية وغيرها ، والقول فيها مثل القول فى المسيحية فانها لم يكثر أتباعها الا فى العصور المتأخرة ، وقد فشا فيهم الالحاد فشوا ظاهرا على انها فى الحقيقة اديان متعددة وليس اتباعها ملة واحدة ، وان اعتبرهم التعداد الرسمي كذلك . وها هي ذي الصين الشيوعية تتبرأ من الذين وتنشر الالحاد كزميلتها روسيا ، بل انها لتتحمس للنينية اكثر من قوم لينين .

وليس بخاف ان التعداد الرسمي لاتباع الاديان فى العالم يصدر من جهات غير مألوفة على الحقيقة فى هذا الصدد ، فبقطع النظر عما بيناه من عدم انطباق الخبر على الواقع فى أمر المسيحية ، نجد أن عدد المسلمين يكون دائما أقل مما هو فى الحقيقة ، لان تلك الجهات تتعمد ذلك قصد التهوين من شأن الاسلام والفت فى عضد اتباعه ، والرفع من معنويات المسيحيين واظهارهم بمظهر التفوق فى كل شيء حتى فى عددهم ، والا فان آخر احصاء نشر فى هذه السنة وهو يجعل عدد المسلمين اربعمائة مليون ، فى حين يجعل المسيحيين ثمانمائة مليون ، هو مما يكذبه الواقع تكذيبا قاطعا ، فان عدد المسلمين فى باكستان واندونيسيا والهند والصين وتركيا وايران والافغان والتركستان ، هو وحده اكثر من اربعمائة مليون ، فاين بقية المسلمين فى آسيا وهم العرب ، وفى افريقيا ومنهم عرب كالمصريين والافارقة الشماليين ، وغير عرب كأهل الاقطار الافريقية الاخرى ؟ واين مسلموا أوربا المنتشرون بكثرة فى روسيا ويوغوسلافيا وبولونيا وفلندا والبانيا وغيرها من دول اوربا ؟ واين مسلمو الفلبين والامريكيتين ؟

على أننا تنزلنا باعتبار هذه الاديان المخالفة للاسلام اديانا حقيقية ، جريا على ما يقضي به العرف والقانون ، واما اذا نظرنا اليها بنظر الاسلام وهو النظر الصحيح ، الذي يتوافق مع مراد الرسول (ص) فى حديثه الآنف الذكر فانها اديان محرفة عن وضعها الالهي ، او اديان وثنية لا اعتداد بها فى مفهوم الدين الحق ، ولن يكون لمعتنقيها صلة أو سبب يربطهم برسل الله عليهم الصلاة والسلام حتى يقال انهم سيكونون من أتباعهم يوم القيامة ، فان الرسل اول من يتبرأ منهم فى ذلك الموقف الهائل على ما جاء فى القرآن « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب (3) » وقال تعالى فى آية أخرى خاصة بالمسيح عليه السلام (واذ قال الله يا عيسى

---

1) البخاري ج 4 ص 183 .
2) سورة هود الآية 40 .
3) سورة البقرة الآية 166 .

ما بعد فترة الوحي التي تلت النـــــزول الاول ، (1) والروايات المختلفة الالفاظ للحديث عند البخاري وعند مسلم نفسه تؤيد ذلك ، ونورده هنا رواية البخـــاري لوضوحها واختصارها ، وهي عندهما معا من طريق ابن شهاب الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر أن النبي (ص) قال وهو يحدث عن فترة الوحي بينما انا امشي ، اذ سمعت صوتا من السمـــاء ، فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني زملوني ، زاد مسلم فدثروني ، فأنزل الله تعالى « يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، الى قوله والرجز فاهجر ، » فحمى الوحي وتتابع (2) .

فبان بهذا ان الاولية الحقيقية هي التي فى حديث عائشة ، وأن التي فى حديث جابر انما هي أوليـــة اضافية ، لان الحديث عن فترة الوحي لا يكون الا بعد وحي سابق زيادة على أن مضمون الآيات المفتتح بها سورة المدثر وافتتاحها هذا ، مما يؤدن بسبق خطاب اقرأ على خطاب يا أيها المدثر .

ومما ينبغي تسجيله بعد تحقيق تاريخ النزول واول ما نزل ، مما تضمنه حديث عائشة ، أن مكان النزول الاول هو غار حراء ، وبذلك نكون قد تعرفـــنا الطرفين الزماني والمكاني لنزول القرآن الكريم اول مـــا نزل .

والامر الرائع فى اول القرآن نزولا هو هذا الخطاب الالهي السامي المتضمن لطلب القراءة من النبي (ص) ولفت نظره الى التفكير فى خلق الانسان والاشـــادة بالعلم ، مما يدل على أن خاصية الدعوة الاسلامية هي المعرفة ، ومن ثم قال كثير من علمائنـــا انهـــا أول الواجبات على المكلف ، وقال آخرون ان أول الواجبـــات النظر الموصل الى المعرفة وناهيك بهذا ، على أن الحض على العلم والتنويه به وباهله مما طفح بـــه القرآن الكريم والسنة النبوية حتى اصبح معلوما من الدين بالضرورة .

واذا كان أول ما نزل هو قوله تعالى ، اقرأ باسم ربك ، كما ثبت لدينا بالدليل القاطع فان آخر ما نزل على الراجح والمعتمد هو قوله تعالى (واتقوا يومـــا ترجعون فيه الى الله) الآية (3) اخرجه النسائي وابن مردويه والطبري عن ابن عباس (4) ، وهذا يرشدنا الى ان ثمرة المعرفة هي التقوى التي تعني حســـن السلوك ومحاسبة النفس ، فالعلم فى الاسلام ليس غاية فى ذاته ، ولكنه وسيلة الى تزكية النفس ونفع العباد حتى يكون الانسان خليقا بهذا المنصب الرفيع الذي اهل له منذ وجود اول فرد منه ، وهو خلافةالله فى أرضه ، المقتضية لاعلاء منار شريعته الكفيلـــة بسعادة الدارين .

*

6) والقرآن معجزة الاسلام الباقية على مر الزمن تقيم له الحجة على البشر ، وتؤيد دعوته بما تأيدت به الدعوات التي سبقته من الامور الخارقة للعادة . الا ان تلك الخوارق قد انقضت بانقضاء مدتهـــا ، والقرآن ما يزال ولن يزال قائما بالحجة ناهضا بالدليل الى ان يرث الارض ومن عليها ، وذلك لان الاسلام هو آخر الاديان ورسوله هو خاتم الرسل ، فلئن كانت رسالة السماء فيما مضى من الاحقاب تتأيد بمعجزات الرسل الذين كان بعضهم يأتي فى أعقاب بعض معلما مرشدا ومشرعا مجددا ، لان الانسانية كانت ما تزال فى طور النمو لم تبلغ رشدها العقلي بعد ، فانها بعد البعثة المحمدية قد دخلت فى سن الاكتمال والنضج الفكري ، ولم تبق بحاجة الى من يحضنها ويرعاها ، ويشمل لها المعقول بالمحسوس والغائب بالحاضر ، ولكن عليها ان تستعمل فكرها وتجيل النظر فى آيات الله وملكوته ، فى خلقها ونفسها ، لتعرف الحق بالدليل العقلي القاطع ، وتصل الى اليقين بالحجة والبرهان الذي لا يقبل النقض . وهذا هو ما جاء به القرآن، ودعا اليه القرآن ، ففي كل عصر ، وفى كل جيل ، يقوم القرآن بالمهمة التي كانت تقوم بها المعجزة المحسوسة لتصديق الرسل ، ولكنه معجزة معقولة تخاطـــب الضمير والوجدان ، وتستثير الانسان لتحكيم عقله والاعتبار بما نصب الله عز وجل فى الكون من آيات بينات ، وشواهد واضحات ، على وجوده والوهيته ووحدانيته وصدق رسوله فيما اخبر به عنه من أحوال المعاد ، وما دعا اليه من عبادته والعمل بشريعتهالتي تحقق للخلق السعادة الابدية ، وتكفل للناس مـــا يصبون اليه من طمانينة نفس وراحة بال .

---

1) البرهان للزركشي ج ل ص 206 .
2) صحيح البخاري ج ل ص 4 .
3) سورة البقرة الآية 281 .
4) الاتقان للسيوطي ج ل ص 27 .

والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون ، واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) (1) .

وتاتي العقدة التي حارت عقول المفكرين فى حلها وهي ما بعد الموت أو الحياة الآخرة فاذا بالقـــرآن يكشف عنها الستار ، ويعطي عنها بيانات مدهشة مصحوبة بالادلة والحجج الواضحة التي تجعل الغيب واقعا ، والمتخيل محسوسا ، وتوحي بالايمان العميق بالبعث والحساب والجزاء مما خلت منه حتى الكتب السماوية الموجودة بأيدي المؤمنين بها ، متذرعا بذلك الى ايجاد وازع ديني عند كل فرد فرد يحجزه عــن اقتراف الاثم وارتكاب العدوان لانه يعلم أنه مسؤول عن كل ما قدم ، وأنه لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع ، وان الاخرة هي دار القرار ، من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو انثى وهــو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيهـا بغيــر حساب) (2) .

هكذا هدى القرآن البشر من الضلال ، وأنــار لهم سبيل الحياة الطيبة الراضية المرضية فى الدنيــا والآخرة فاي خير عظيم هذا الذي انزل فى ليلة القدر من شهر رمضان ، وأي ذكرى تعادل هذه الذكرى التي اتاحت للبشر ان يسعدوا سعادة لا شقاء بعدها ابدا .

ان شهر رمضان يشرف بوقوع هذا العطـــاء الكريم فيه (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) (3) وان ليلة القدر التي فضل بها شهر رمضان غيره من الشهور ، ليثقل وزنها بهذه الكرامة التي خصت بها حتى لا توازيها ليلة من ليالي الدهر (انا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما ادراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من الف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر ، سلام هي حتى مطلع الفجر) (4) .

وليست هذه الذكرى مما يفي بحقها كلمة قصيرة مثل هذه ، ولكن استشعار عظمة المذكور الذي هو فى الحقيقة منزل القرآن ، والاستغراق فى سبحات جماله وجلاله ، والتعرض لنفحاته القدسية ، والحضور بالقلب والقالب ساعة الذكرى ، لا تستفاد من الكلمات قصيرة كانت او طويلة ، وانما تستفاد من الايمان بالقرآن والعمل برسالة القرآن (ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين) (5) .

طنجة : عبد الله كنون

1) سورة النحل الآية 90 — 91 .
2) سورة غافر الآية 39 — 40 .
3) سورة البقرة الآية 185 .
4) سورة القدر الآية 1 — 5 .
5) سورة آل عمران الآية 53 .



ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لي أن اقول ما ليس لي بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما امرتني به أن اعبد الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد) (1) .

فنخلص من هذا أن نبينا (ص) هو كما قال : اكثر الانبياء اتباعا يوم القيامة ، وذلك منسجم مع كون رسالته دائمة مستمرة ببقاء الزمن ، لانها خاتمة الرسالات ، ولذلك كانت معجزتها باقية دائمة وهي القرآن .

* * *

7) وذكرى نزول القرآن في ليلة القدر من شهر رمضان ، ذكرى عظيمة بل هي أعظم الذكريات على الاطلاق ، لان القرآن كتاب الله اي رسالته الخالدة الى البشر التي اخرجتهم من الظلمات الى النور ، واستنقذتهم من الضلال الى الهدى ، وضمنت لهم سعادة الدنيا والآخرة ان هم عملوا بها ولم يتخذوها وراءهم ظهريا .

كان الناس يهيمون في أودية الجهل بالله ، فمنهم من يجعل معه الها آخر ، ومنهم عبدة أصنام ومنهم من يقول انما هي أرحام تدفع وأرض تبلع ، وما يهلكنا الا الدهر ، فجاء القرآن بالتوحيد مزيفا عقيدة الشرك ، ومسفها عقول الوثنيين ، ورد على الدهريين بما أبطل دعواهم والزمهم الحجة على وجود الله ، هاك مثلا قوله في الرد على النصارى الذين يزعمون الوهية المسيح وامه (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وامه صديقة كانا يأكلان الطعام) (2) وقوله في الرد على عبدة الاصنام (اتعبدون ما تنحتون، والله خلقكم وما تعلمون) (3) ، وقوله في الرد على الدهريين (قتل الانسان ما أكفره ، من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره) الآية (4) .

ثم عرف المومنين بالله عز وجل تعريفا يحصل معه الاطمئنان ، وتنتفي عنه الوساوس فدلهم على صفاته وافعاله ولم يشغلهم بماهيته وذاته ، علما بقصورهم عن ادراك حقيقته ، وكيف يحيط الفاني بالباقي ؟ (لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير) (5) .

ومع أن نعمة المعرفة به عز وجل هي أعظم النعم ، وهي التي تقطعت دونها اعناق الفلاسفة منذ القدم ، فان القرآن لم يكتف بهداية البشر الى هذه النعمة ، بل زاد فتفضل عليهم بالارشاد الى كيفية شكرها الواجب ، وذلك بأن دلهم على طريقة عبادته تعالى والتقرب اليه وطلب مرضاته ، وهي أيضا الطريق التي ضل فيها من لا يحصى عددا من الحكماء المتألهين (الم ، ذلك الكتاب لا ريب ، فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون ، أؤلئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون) (6) .

وكان من أعظم مقاصد القرآن أن شرع للناس ما ينظمون به احوالهم المعاشية ويضبطون به امور الحياة الدنيا من قوانين وأحكام غبرت في وجه كل ما وضع من طرف البشر في هذا العدد لانها صانت مصالح الفرد والجماعة ، وحمت حقوق الناس جملة وتفصيلا، وكان رائدها تحقيق العدالة الاجتماعية والحرص على المساواة بين عباد الله ، فانها لم تقم للانسان ميزانا الا ميزان التقوى اي الاستقامة (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم) (7) .

كما وضع القرآن دستور الاخلاق والسلوك الحسن ، والمعاملة الطيبة للناس (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء

---

1) سورة المائدة الآية 116 — 117 .
2) سورة المائدة الآية 75 .
3) سورة الصافات الآية 95 — 96 .
4) سورة عبس الآية 17 — 19 .
5) سورة الانعام الآية 103 .
6) سورة البقرة الآية 1 — 5 .
7) سورة الحجرات الآية 13 .

الذكرى ، احياء لقلوبهم ، وتنبيه لما يجب عليهم ، وتذكير لهم بما يحيط بهم ، ومن يتربصون بهم الدوائر .. وليس لهؤلاء الاعداء غاية الا ان يافل نجم الاسلام ، ويذهب من القلوب ، وتتفرق جموع المسلمين ، الى فرق ، ليأكلوا كل واحدة منفردة عن اخواتها .. ثم يتوالى اخذهم للمسلمين من نواصيهم ، واحدة بعد الاخرى .

تلك أمانيهم ، وهي أماني الشيطان .. ولكن علينا نحن المسلمين ، ان نتآزر وان نتضافر ، وان فى احياء هذه الذكرى ، تضافرا فى القول ، وتذكيرا بالوحدة ، وان وراء هذا القول العمل على جمع المسلمين فى وحدة جامعة ، على اعلى ما يتصور من التوحيد الممكن.

هذه اشارة الى الثمرة التي يجنيها المسلمون من احياء هذه الذكرى المباركة .

على ان هذه الذكرى فيها تنبيه الى ما أتى به القرآن ، واحكام الاسلام من خير للانسانية كلها .. ولكي نعرف ما أهداه القرآن ، والاسلام للانسانية ، يجب ان نرجع الى الوراء قليلا . لان القصر المشيد فى ارض ، لا تعرف روعته الا اذا عرفت الارض التي بني عليها ... لقد كان العالم قبيل النبوة ، يموج فى شر مستطير ، تتخطف الدول الضعفاء فى الارض، فكل دولة تساول الاخرى من غير باعث من فضيلة ، انما هي الاطماع التى تسيرها .. وضعفاء كل دولة ، مأكولون لاقويائها . لا ضابط ينظم العلاقات بين الطبقات ، بل قويها ، يأكل ضعيفها .. ولا حاكم ينظم بين الدول ، بل كان العالم فى مريج من الشر .. حتى صاح « محمد » صلى الله تعالى عليه وسلم ، بصوت رهيب عميق ، يقول : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون » .. يردد بذلك آي القرآن الكريم .

ولم يكتف الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالنداء العميق يردد ، بل أخذ الطريق الى العمل ، وجعل من الضعفاء قوة .. جعلها تحمل الاقوياء على العدل ، ان لميكن بالاختيار فبالاضطرار .. وتجاوبت اصداء اعماله فى الارض كلها ، فبث فيها النور .. ومعاني العدل . وأنار لهم سبيل العلم ، لان مطلعه كان العلم ، فأول نداء كان وجهه القرآن كان : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق .. اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ».. ذلك كان الاسلام فتحا جديدا فى الانسانية ، انتفع به اولياؤه ، وقبس من احكامه اعداؤه ، وتغذى بالمعرفة من المسلمين اولياؤهم واعداؤهم على السواء .. فكان عصر النهضة فى اوربا احدى الثمرات لاحتكاك الصليبيين بالمسلمين ، وكانت مساجد قرطبة ، ومدارسها تعج بأبناء الفرنجة الذين تغذوا من لبان العلم الاسلامي ، ثم نكروا أمر المسلمين . وكان لهم منهم ابشع الجرائم الانسانية .

ان الاسلام كان ثورة على كل ظلم فى الارض . واحياء لحقوق المظلومين وحمايتها ، وانه لا يزال كتاب الله تعالى قائما كما انزله الله . يدعو الأشتاتنة كلها الى ان تأوى فى ظلاله الوارفة ... ويدعو المسلمين الا يهجروه فهو أنسهم وغيه قوتهم ، وفى اتباعه عزتهم . ولا يزال النبي يأمرهم ويدعوهم اليه . فهو يقول : « تركت فيكم ما ان أخذتهم به ، لن تضلوا ابدا كتاب الله وسنته » .. وعسى ان تكون فى هذه الذكرى عودة اليه بعد طول ابتعاد ، وبعد ان ذاقوا ذل الاغتراب .. وهو يدعو الانسانية اليه ليزيلوا أحقادهم ، ويطفئوا نيرانهم . فانهم ان عادوا اليه ، عادت القضب الى اجفانها . وانقذت الخليقة من شرها ، والتقى ابناء آدم على محبة من الله ورضوانه ، ان خضعوا للقرآن واحكامه . وعندئذ يحق لابن الارض ان يقول انى اقمت العدل فيها وهذا القرآن مفتوح يهدي للتي هي أقوم . اللهم اهدنا ووفقنا للعمل بالقرآن ونشر لوائه بين العالمين . فلا صلاح للانسانية الا به ، فان تركوه يستمر الشر فى غلوائه ، والله أرحم بعباده .

فاذا كانت هذه الذكرى . فيها هذه المعاني فان احياءها جماعيا فى حفل تاريخي جامع اعلان لحقائقها . ومن واجبنا ان نتقدم بالتقدير للذين عملوا على اقامة ذلك الحفل الجامع ، فنعلن تقديرنا لشعب المغرب الكريم ، ولمليكه التقي ابن التقي الذي استطاع ان يؤنس فى هذا الحفل المبارك المسلمين بعضهم ببعض . وان يؤنسهم بالقرآن ، كلام الله تعالى الذي هو حبله الممدود الى يوم القيامة .

المغرب الاقصى : محمد ابو زهرة

صلاح الإنسانية في العمل بأحكام القرآن

لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة

ادلى صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ محمد ابو زهرة ، لمجلة « دعوة الحق » بالحديث التالي ، لمناسبة احتفالات المغرب بذكرى مرور 14 قرنا على نزول القرآن الكريم ، وقد كان فضيلته على راس الوفد المصري الذي لبى دعوة صاحب الجلالة ، للمشاركة في هذه المناسبة الدينية الجليلة: قال فضيلتـــــه :

« مضى بحلول شهر رمضان المبارك هذا العام ، اربعة عشر قرنا على نزول القرآن ، وانبثاق الدعوة الاسلامية ، وذلك لاننا في العام السابع والثمانين بعد ثلاثمائة والف ، وذلك التاريخ يبتدىء من عام هجـــرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .. والهجرة كانت بعد ابتداء نزول القرآن ، والبعث المحمدي بثلاث عشرة سنة .

وان هذه الذكرى ، احياؤها واجب على جماعة المسلمين ، في مشارق الارض ومغاربها ، لان احياءها احياء لانفسهم .. اذ انه يذكرهم باجتماعهم منذ عبـــر التاريخ ، في اربعة عشر قرنا .. كان الاسلام في اولها ، غض الاهاب ، خصب الجناب ، يغذي الانسانية كلها ، ويظلها بنوره ، ويمدها بفيض خيرها ..

واذا كان المسلمون قد تفرقوا دولا وديـــلات ، واحزابا وطوائف .. كل حزب بما لديهم فرحون .. ومنهم من تناسى تلك الوحدة الجامعة ، والغاية الكريمـــة المؤلفة ، فان احياء هذه الذكرى في مؤتمرات جامعـــة



الشعوب الاسلامية من مشرق الارض الى مغربها ، طريق معبد لاعادة الوحدة كما ابتدات ، وتذكيـــر المسلمين لما يجمعهم ، لينفوا ما يفرقهم .. ولذلك نقرر ونكرر القول في هذا ، ونعيده ، ان احياء المسلمين لهذه

والمطامح ــ ودين الوحدة والتوحيد لانه ينشد الوحدة بين سائر القوى الموجودة فى هذا الكون ، وليس بين الطبيعة البشرية فحسب . فلا حرج أن كان لا يقبل التفريق والتبعيض ولا يدع ان كان دين الوحدة والتوحيد ــ توحيد الله ، وتوحيد العبادة لله ، وتوحيد سائر الاديان فى دين الله ، وتوحيد الرسل فى التبشير بدين الله ، وفى اقامة ذلك الدين الواحد . « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » والتوحيد بين العادة والعبادة حتى ان النشاط العادي يعتبر عبادة من العبادات ، وما أحسن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ــ والتوحيد بين القيم الروحية والقيم المادية وبين عمل الدنيا وعمل الآخرة ــ والربط بين السماء والارض وما بينهما فى حكم النظر والاستفادة « او لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله منه شيء » « وفى انفسكم أفلا تبصرون وفى السماء رزقكم وما توعدون »

وعن هذه الوحدة الكبرى تصدر تشريعات الاسلام وتوجيهاته وتوصياته . وحدوده وفرائضه ونظرياته . فالانسان والحياة والكون والوحدة متكاملة متضامنة . بموجب صدورها عن ارادة واحدة مطلقة شاملة « انما أمره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون » وبمقتضى ذلك النظام الساري فى مجموع الكائنات التي يكمل بعضها بعضا بحكم التعرف اليها والتعامل معها .

ومن ثم كانت العلوم الكونية التي يتعرف اليها الانسان تساعده على ازدهار حياته وتقوية وجوده ونفوذه . اذ كل ما يتعرف اليه الانسان فى هذه الحياة يؤهله لاستحقاق الخلافة عن الله فى أرضه ، ويوسع آفاق حياته . ويفجر طاقات أفكاره . ومن ثم كان للعالم عناية بهذه الموسوعة الاسلامية الكبرى فدرسها دراسة دقيقة وعميقة حتى استفاد منها فى سمو شخصيته ونمو نهضته ثم قدرها حق قدرها ومد يده الى ترجمتها وان كان قد ينقصها فى بعض الاحيان ، اكتشاف المعاني عن طريق طبيعتها ، واعتبار السياق فى فهم نصوصها .

ولقد مر على وجود هذه المدرسة اطوار واحداث وقرون واجيال وما تزال تستقبل الاجيال المتلاحقة بفلسفة حكمتها، ومنطق هدايتها وكمالموعظتها فتدعوا الى معرفة الله وتبين طريق المعرفة ــ ومناهج الحياة الصحيحة ــ وتدفع الى النظر فى ملكوت السموات والارض ــ وتشرح صدرها للمناظرة والمحاككة حتى يظهر الحق وينكشف النور ، ويتهيأ جو الفطرة التي فطر الله الناس عليها ــ فالقرآن ترجمة عما فى الكون من كمال وجمال وفوائد وخواص ــ وكلمة الله فى الارض انزله ليعبر بلغته وبلاغته عن قوته ومعجزته ثم عن رحمة الله بهذا الانسان ، ثم عن اقامة الدليل على وجود الله من هذا الكون الذي أودعه الله ما شاء من الآيات والشواهد ، ثم عن الاتصال بالكون والتعرف عليه عن طريق الدراسة والرحلة والعادة والتجربة ــ وشهادة على أن خالق هذا الكون أكبر واعظم ، وأجمل من هذا الكون كله ، ولذلك استحق خضوع الكون لسلطانه ، فليس بين القرآن والعلم أي مسافة بل القرآن هو مصدر الاتصال بالكون وهو الدلالة على ما فى هذا الكون كما يعلم ذلك علماء الكون .

وما أحوج العالم الذي أصبح يئن ويضج تحت وطأة الحالة السيئة المؤلمة التي يواجهها فى مختلف ارجاء الارض ــ الى تجربة نظام اسلامي وتطبيقه تطبيقا ساميا ، لانقاذ مصيره ومصيره من الوقوع فى فوضى عامة لا قرار لها او فى حرب منكرة لا بقاء معها، وذلك ما جعل بعض المفكرين ، يغيرون نظرهم فى الانظمة السائدة ، ويعتقدون انها عاجزة عن معالجة المشاكل بعدل وسلام ، ويتهمونها باشعال نار الحرب وبخلق المشاكل ووضع العراقل أمام الشعوب الزاحفة نحو التحرر المادي . والتقدم الثقافي ، الشيء الذي ادى الى فتن داخلية ، وحروب دامية .

وما قضية فلسطين واطوارها الا مأساة الحياة الدنيا ــ وما قصة اليمن ، وقبرس وكشمير ، وغير ذلك الا مرآة تنعكس فيها هذه المشاكل الطويلة العريضة ــ وما التسارع الى التجارب النووية والتنافس فى صنعها وبذل الاموال الطائلة فى سبيلها الا شيء ينذر بالويل والثبور وشقاء المعمور .

والمنظمة العالمية التي تدين بميثاق حقوق الانسان ، وتقرير مصيره تتدحرج بين هذه المشاكل وتتخبط فى أمواجها ــ فهي تتألم مرة بعوامل انسانية،

وتتأثر اخرى بعناصر سياسية لا صلة لها بالحق والعدل ــ وهي فى امتحان دائم مع ضميرها ومسؤولياتها .

ولعل الشيء الذي اخر هذه التجربة هو ما عليه المسلمون من التخلف الفكري والمادي ــ وما آل اليه



دعوة إلى التوحيد والتجديد والثقة بالنفس .

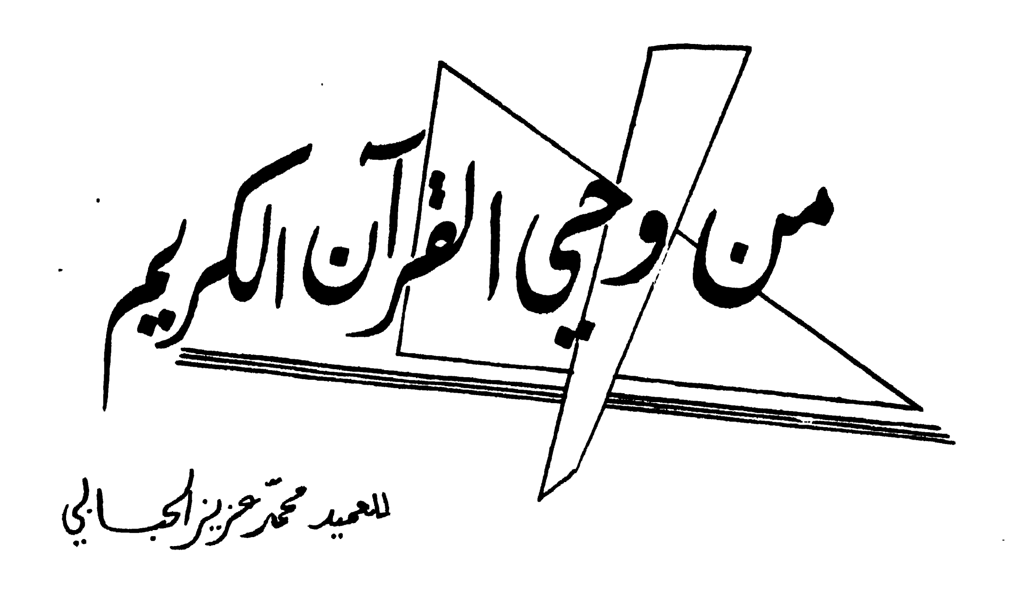
للأستاذ : الرحالي الفاروقي

يتراءى فى آفاق العقول ، ويتغلغل فى أعماق القلوب ، ان مدرسة القرآن الكريم نهضت بالمسلمين الاولين ، نظرا ، وعملا ، وادبا ، فاضطلعوا بالمهام والمسؤوليات وادركوا معنى الحقوق والواجبات ، وتركوا من العظائم والآثام والصالحات — وحافظت على توازنهم وتماسكهم بتربيتهم على الايمان الصادق، والعمل الناطق ، والسلوك القيم — ومن شأن الايمان بالله أن يثبت المزية الخلقية التي توضح جانب الانسانية اكثر ما توضحها مزية الناطقية .

هذه المدرسة نهضت بقلوبهم ، وحافظت على اخلاقهم ، وجعلت منهم رجالا وابطالا يدفعون العار ويحمون الجار « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار » كما جعلتهم وسطا فى عقائدهم وعباداتهم ومعاملتهم « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » أي بما يرضاه الله منكم وبما يراه الناس فيكم من سمو فى الاخلاق ، ونهوض فى الاعمال ، ووجود فى الافاق ، اذ لا يشهد على الناس الا أفضل الناس — والمدرسة هذه تمس الحاجة الى من يتبصر فى حقائقها ، ويتحقق ببصائرها ليصل الى الغاية والهدف « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها » .

وانما كانت كذلك لانها تنطق عن الله ولا تنطق عن الهوى ، فهي منهج واضح للتربية والهداية ، ودستور قائم للحكم والعمل ، الا ان نظامها لا يقاس بنظام البشر — وشرعها لا يوزن بشرع البشر ، كما أنها لا تقبل التبعيض فى الايمان والتجزئة فى العمل — فاما ان يوخذ وحيها كلاما لانه وحدة لا تتجزا . ودعوة لا تتفرق — واما أن يترك وحيها كلاما فلا تتحرك الحياة بجادتها ، بل تتراءى فى أفق غير افقها . وتتعثر فى طريق غير طريقها — واما أن يؤخذ البعض ويترك البعض فلا ولا لان الحياة بذلك تعود حياة مقتضبة او حياة مغتصبة ، لا تسلم من التناقض والافات . ولا تصحبها سعادة الحياة ، وسعادة الممات . واسوا من هذا ما اذا كانت الحياة تنسب الى نظامها . ولكنها لا تكتسب من بابها ، فان ظاهرها وباطنها لا يلتقيان. وان صاحبها وطالبها لا ينتصران ، « أفتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب » « قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون ، أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بئايات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » .

وسر ذلك أن القرآن دين التجدد والتجديد . لانه نشأ بعد ما قطعت البشرية أشواطا ومراحل فى الحياة البدائية ، وفى الحياة النظامية ، فهو جامع ثمرات الكتب السماوية وختام الانظمة الشرائعية — تلك الانظمة التي اختلفت مناهجها ، وتعددت مناسكها ، كما قال جل وعلا « لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه . لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » وهذا الاختلاف كان نتيجة — لمقابلة الطبائع والمصالح ، ومراعاة الحاجات



للعميد محمد عزيز الحبابي

في الندوة التي انعقدت يوم السبت 28 رمضان المعظم بكلية الآداب بالرباط ، بين مجموعة من المتخصصين في الاسلاميات أتوا من مختلف العالم الاسلامي ، تقدم الاستاذ الجليل السيد علال الفاسي بعرض كان موضوع مناقشات الندوة .

وتتلخص الفكرة الاساسية التي راج حولها الحوار في :

« ما هي الوسائل العلمية لبعث اسلامي ؟ »

والصفحات التي تلي ، مجمل لتدخل اخينا الاستاذ محمد عزيز الحبابي .

مستقبلنا

علينا ان نستخلص ، من تطور الفكر الاسلامي ، عناصر جديدة تتناسب ومواقف جديدة . ان العقائد الموجودة في عالم يتغير باستمرار لا يمكن تصورها الا في صيرورة .

فاذا كان من اللازم علينا ان نتكيف في كل يوم مع ثقافتنا وفلسفات اخرى ، من اجل كل ما يتصل بحياتنا المادية ، واذا كان مصير كل منا يوجد مرتبطا بمصير شعب بكامله تتساكن فيه مختلف العقائد والجنسيات ، بله مصير قارة او قارات ، فكيف يتأتى الاستمرار على ايقاع بطيء في نطاق الفكر والفكرولوجيات ؟

ان لكل عصر واقعه وحقائقه ، كما يقول القرآن: « لكل اجل كتاب » (13 ، 38) ولن يحقق الانسان ذاته ، بأصالة وصدق ، الا عند ما ينجح في اتخاذ احسن المواقف ازاء هذه الاوضاع مع ما فيها من واقعية وشمول . **فالاسلام مطالب بان يواجه الحضارة الصناعية بفكر واقعي وبنظرات جديدة متعمقة حتى النهاية ، في المشاكل الارضية** . ولن يؤخذ اصلاح المجددين المسلمين ، بكامل الاعتبار ، ولن يقتدي بهم الا بمقدار ما ينجحون في توفيق المطلق والخلود مع نسبية الارض وتغيرها وتوفيق الايمان مع الاعمال اليومية . فعليهم ، اذن ان يعيدوا النظر من اجل وعي جديد . انها عملية تطهير روحي وسلوكي تفرض نفسها ازاء الواقع المعاش .

* * *

كان المفكرون ينطلقون من الله لمعرفة العالم ، وقد آن الوقت لننطلق من العالم نحو الله ، مع الاخرين . وعوضا عن مشاهدة الله والزهد ، يجب ان

أمرهم ـ من التحلل من عهود الاسلام ، والتحرر من دين الاخلاق ـ وذلك راجع فيما ، اعتقد ـ الى انهم ابتعدوا عما عندهم وحاولوا أن يأخذوا ما عند غيرهم ولكنهم لم يستطيعوا مضغه ولا هضمه فظلوا بدون طائل ـ والعادة أن الانسان لا يتمكن من الشيء فضل تمكن الا اذا زاوله بملكيته وطبيعته ، ولذلك بـرع المسلمون من قبل فى علوم الفلك والطب والطبيعة عند ما نقلوا هذه العلوم الى لسانهم ولغتهم .

وبات من الواضح الآن أن المخرج والخـلاص للمجتمع الاسلامي هو الرجوع الى الاخذ بتربيـة القرآن ونهضته وتعاليمه ، والى اصلاح المـدارس وتحسين برامجها ومناهجها وتكوين المعلمين والمشرفين عليها تكوينا يقوم على اساس التربية الاسلاميـة والسيرة النبوية حتى يتأتى للنشء أن يتربى فى أحضانها وان يصعد على سلمها ـ وينهض نهضة صالحة شاملة تكون ان شاء الله نبراسا يستضيء بها العالم ، والله الموفق .

مراكش : الرحالي الفاروقي

صرت منهم فى عافيـة

كان عروة بن الزبير قضى شطر عمره بالمدينة ، ثم هاجه رأي فى سكنى العقيق فتجهز اليه ، واتخذ به قصرا ، فقيل له : لم تركت الناس وحديثهم ومناقلتهم قال : لاني رأيت الناس قلوبهم لاهيـة ، ومجالسهم لاغيـة ، والفاحشة فيهم فاشية ، فخفت عليهم الداهية ، فتجنبت عنهم ناحيـة ، وصرت منهم فى عافية .

« اقرا باسم ربك الذي خلق ،

خلق الانسان من علق ،

اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم ،

علم الانسان ما لم يعلم » .

هذه أولى الآيات التي أنزلت على محمد وهو بغار حراء ، وفي « العلق » اشارة الى النشأة الاولى للكائن البشري ، ولفت نظر الى علم الاحياء (البيولوجيا والفيزولوجيا) . حقا ، قبل معرفة « فرائض الطهارة» « ومناسك الحج » ، مثلا ، يجب ان نتعرف على الانسان ، هذا الكائن الذي خلق « من علق » ثم أصبح احسن المخلوقات واعزها على الخالق . فالمسلم مدعو الى تعلم العلوم « الشرعية » والعلوم « الحكمية » ، لان الاسلام يتبنى كل المعارف ، الم يخلقه الله « الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » ؟

فاذا قاومت الدين بعض الاكتشافات ، جاز الاعتراض بعدم اختصاص العلم للاجابة على الاسئلة التي يطرحها الدين . **العلم مبني على الملاحظة ، والتحليل ، والاستنتاج ، في حين أن الدين يعاني ، باطنيا : تجربة يحياها المؤمن مباشرة . فالخلاف يظهر عند ما نحاول مقابلة ما نلاحظه بما نعانيه .** وفي الواقع ، يوجد العلم ، لان ظواهر الاشياء والكائنات لا تختلط بماهيتها . فاستحالة هذا المزج : بين الظواهر والماهيات ، لتتيح لنا العلم ، كما تتيح لنا الميتافيزيقا والديانة . تلك ثلاثة ميادين للنشاط الفكري الانساني تتواجد ، من غير ان تتداخل .

* * *

لقد احل الاسلام « فكرة الامة » محل العصبية القبلية : فالامة معشر شمولي حيث اكرام الضيف ، وقول الحق ، وحماية الضعفاء واللاجئين ، كلها مبادىء اساسية . هذا هو اتجاه الشخصانية الاسلامية كما تحدده ، او على الاقل تلخصه ، الآية القرآنية الآتية :

« من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه :

من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض ،

فكانما قتل الناس جميعا ،

ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا » (7 :32) .

ونجد صدى هذه الآية يتردد في حديثين ، من جملة احاديث كثيرة ، يستخلصان مبادىء الاخلاقية الاسلامية ومفهوم الانسانية والانسان في الاسلام .

« لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

« من فرج على مؤمن كربة من كرب الدنيا ، فرج الله عليه كربة من كرب الاخرة » .

(و . . . .) « الله في عون العبد ، ما دام العبد في عون اخيه » .

ذلك شعار السلوك الامثل للمسلم في الحياة ، يفترض الحكمة الشهيرة : « اعن نفسك ، يعنك الله » .

* * *

يقول المثل : « لو انصف القاضي لاستراح الناس » ، ونظن انه من الممكن ان يقال : « لو انصف الناس لاستراح القاضي » . ومعنى « انصاف الناس» هو احترامهم للحقيقة وللواقع . وسينصف المسلمون عند ما يتناولون القرن العشرين ، فلا يحكمون على منجزاته الحضارية وعلى تياراته الفكرية الا بعد دراستها بجدية واتقان ، فتبقى استنتاجاتهم ملاصقة للواقع ، مقدسة للحقيقة ، اذذاك سنكون قد بنينا مستقبلا على اسس اخلاقية الاسلام يتبنى مكتسبات الحضارة المعاصرة .

الرباط : محمد عزيز الحبابي

نكون شهداء على آثار خلقه تعالى : فلنخرج من انطواء الذات لنعمل ، ولنصير افرادا ذوي فعالية ، اي ليكون كل واحد منا انسانا بكل ابعاد الانسانية ، وان نقيم العمل من جديد . **فبالعمل ، وفي العمل ، يلتقي الانسان بالانسان ، وتنشا علاقات مع الله** ، اذ العمل واسطة بين الناس ، وواسطة بين الانسانية والتعالي .

فما الحقيقة ؟

هل الحقيقة في عالم المثل ، ام في عالم العرف والعادات ؟

اذا اعتبرها المسلم كهدف يجب ان يحقق ويكتسب ، صار حاملا لحقيقة غير مجردة . فالعمل ، كقيمة محسوسة ، يرد الانسان الى نفسه ، ويدخله في التاريخ ، هكذا يصير المسلم شاهدا على وجود الحقيقة الانسانية والصدق والاصالة ، مما يستلزم حسن التدبير ، ومعرفة افضل السبل لاستعمال تعاليم القرآن والسنة . انها عملية مزدوجة: تشذيب وتطهير .

الحقيقة في اساسها ليست واحدة ، فهي عند المسلمين غيرها عند سواهم (على اختلاف صور الالحاد والحلولية ...) وان لم تكن الحقيقة سوى فترة من فترات صيرورة ديالكتيكية ، فهي ، مع ذلك، ليست ذاتية محضا ، او موضوع مشاهدة ، وليست توكلا او تعاليا مطلقا . ان حقيقة مجردة تجريدا صرفا، وغير مستندة على اي نطاق محسوس ، ودون صلة بالواقع الحي المعاصر ، لا يستحق أن يطلق عليها اسم حقيقة ، لانها بعيدة عن المعاملات ، (اي كل الفعاليات التي تكون القسط الاوفر من الفقه) . **فحقيقة الوحي شيء ، اما تبرير كل شيء بالوحي فشيء آخر .**

باستطاعتنا ان نبعد النظر في شرح كل آية او كل حديث ، دون ان نشك في الحقيقة الالهية والقيمة الجوهرية للقرآن ، او بعض ما جاء في السنة . فعلى من يريد شرح نص ديني ان يكون مفسرا ، وفي نفس الوقت فيلسوفا ، لان دور الفقيه اليوم ، كدور المحدث ، لم يعد منحصرا في الشرح فحسب ، فهو مطالب ايضا بالبحث عن التكييف المناسب . فبدلا من البحث الحرفي الجامد ، يجب ان يحصل تأمل واع للنصوص ، وفحص دقيق للتاريخ الواقعي ، كما يعانيه الاسلام اليوم وكما تعانيه الاتجاهات الموازية له (1) . **هناك خاصية للوحي ، كما ان هناك خاصية للتامل في الوحي ، واتصال الخاصيتين وتفاعلهما هما اللذان اخصبا الفكر الاسلامي ، في عصوره المجيدة (مثل عصر المعتزلة ، وعصر ابن رشد) .**

لا يكون الوحي كشفا وهداية الا بقدر ما ينسجم ومستوانا حيث يتانسن بالحوار مع تأملنا وبحثنا على ان نتقدم ونتفتح ، وهذا لا يتاتى اذا انزلت التعاليم جاهزة ومكتملة ، بكيفية نهائية . فالشرط الضروري لتحقيق فعالية تستهدف اصلاحا حقيقيا هو قابلية الدين للتأنس والتكيف المستديم . وكذلك الجهود التي لا تبذل الا لمواجهة حقائق الساعة ، من اجل الفاعلية فحسب ، لا يتمخض عنها الا تطور مصطنع . **فتضافر التوق الى الحقيقة مع التجند من اجل الفعالية هو الطريق المبعد الذي يؤدي الى تجديد اصيل.** هذا الطريق يقود الى معرفة دينية ، ولكنها معرفة تكافح من اجل سعادة مادية ، في هاته الدنيا : ايها يحفز الاهتمام بالتكيف المستمر مع الواقع الحالي الذي يستنير ، بدوره ، من نور الحقيقة . وسيبقى التراث الاسلامي الاصلي السماد الذي يسمح للتقاليد المكتسبة بالازدهار والتفتح نحو المستقبل ، كلما انطلقنا من تعريف المسلم بأنه « من سلم الناس من لسانه ويده » (حديث) .

بهذا ، سيسترجع الاسلام قدرة التوتر نحو شموليته البدئية ، من جهة ، ومن جهة أخرى ، سيروي غليل ظمأ المسلمين الى المثل الاعلى المزدوج ،: اي الحصول على خيرات الدنيا وجزاء الاخرة معا (2). انه بحث واقعي عن الحقيقة ، بغبطة وحماس . هكذا سينقذ عالم الغيبيات دون ان يكون عائقا عن تحقيق حاجيات الفكر ، والعلم ، والعمل .

اذا لم يحصل توافق تام بين العلم والمعتقدات الدينية ، فذلك لا ينتج عن اكتشافات علمية خاصة ، ما دام الاسلام لا يتناقض معها ، بل يتبناها ويستسيغها .

---

1) طبعا ، الامر لا يتعلق هنا بموضات واذواق عابرة ، لحقبة معينة ...

2) هذا المثل الاعلى هو ما يلخصه الحديث : « اعمل لدنياك كانك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كانك تموت غدا » .

وضع اراده لها متهموها ـ نذر تحول مرتقب ، وتعبيرا عن قلق جائح تجاه الاوضاع التي كانت تسود العالم كله فى القرن السادس الميلادي ، وتطلعا الى نور ينسخ ظلمات ليل طال ..

* * *

ثم لما بزغ النور فى ليلة القدر ، عجب الناس ان يكون المصطفى بشرا مثلهم ، ابن امراة من قريش تأكل القديد ..

واستغربوا أن ينزل عليه الوحي من السماء في تلك البقعة المنعزلة من غار حراء بظاهر مكة ، عاصمة الوثنية العربية ، وانه لبشر يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ، وتجوز عليه اعراض البشرية مثلما تجوز على كل البشر !

* * *

وعلى مدى تلك القرون الطوال ، ما يزال التاريخ كلما استرجعذكرى تلك المعجزة ، خشع مبهورا يتعجب كيف تهيأ لبشر امي أن يواجه الدنيا بدين جديد يحطم جبروت الوثنية ويتحدى عتو الارستقراطية ، ومعجزته الكبرى كتاب ، كلمته الاولى « اقرا » .

كتاب عربي مبين ، لم يأت بلفظ لا يعرفه العرب، ولا اضاف حرفا لم يعهدوه فى حروف هجائهم . لكنه ما كاد يتلو كلمات منه ، حتى بدأ تحول حاسم وخطير، فى حياة العرب وحياة الانسانية جميعا !

ولقد فرض الكتاب اعجازه من أول المبعث ، فمنذ تلا المصطفى عليه الصلاة والسلام ما تلقى من كلمات ربه تعالى ، ادركت قريش ما لهذا القرآن من اعجاز لا يملك أي عربي ، يجد حسن لغته وذوقه الاصيل ، الا التسليم بأنه ليس في طاقة بشر . ومن هنا كان حرص طواغيت الوثنية على أن يحولوا بين العرب وبين سماع هذا القرآن ، فكانوا اذا اهل الموسم وآن وفود القبائل للحج ، ترصدوا لها عند مداخل مكة ، ليحذروا كل وافد من الاصغاء لما جاء به محمد من كلام لم يدروا بم يصفوه !

قالوا هو شعر ، وقالوا هو سحر ، وقالوا هو كهانة ! وقد عرفوا الشعر رجزه وقصيده ، والسحر وتمتمته ورقاه ، والكهانة وزمزمتها ، وما جهلوا أن القرآن ليس شيئا من هذا كله ، فكانت حيرتهم في امره ، اقرارا منهم بأن له من السلطان على العقول والافئدة ، ما لا يعرفون له شبيها الا فى أخذة السحر ونفوذ الكهانة واسر الشعر .

« فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون . انه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين . »

* * *

والتاريخ لم يعهد قبل الاسلام ، أن يكون « كتاب » معجزة نبي من الانبياء الاولين ، ولعله اذ يتأمل فى سر المعجزة ، يلحظ أن معجزات الانبياء كانت تساير تدرج البشرية فى مراحل تطورها من قديمها الاسطوري الى عصر الانسان : موسى عليه السلام تلقى رسالته وقد آن للبشرية ان تجاوز عصر السحر، فكانت معجزته سحرا يغلب أفانين السحرة فى زمنه، ليؤمن القوم ان معجزته ليست فى طاقة البشر ، ويصدقوا بنبوته ، ومن ثم يتبعونه وهو يهديهم الى مرحلة جديدة ، لكن قومه سرعان ما نكصوا على اعقابهم ، وزيفوا كلمات رسالته واستبدلوا بعبادة الخالق ، عجلا من ذهب !

ومن بعده تلقى عيسى عليه السلام رسالته وقد آن للبشرية أن تنتقل من عصر عبادة الابطال البديل لعصر تعدد الآلهة .. وكانت البطولة حينذاك تقترن بالخوارق ، فجاءت معجزة المسيح الخارقة ، لكي يؤمن الناس بنبوته المؤيدة بما يجاوز مألوف الخوارق البطولية ، ومن ثم يتبعونه وهو يقودهم هاديا الى عصر التوحيد .

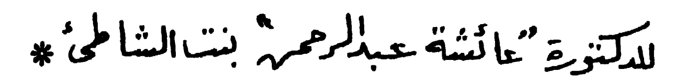
لكن معجزة المسيح الخارقة ، ما لبثت أن التبست على قومه ، فقال اكثرهم بألوهيته ، وهو الذي جاء لينسخ برسالته عصر الشرك وعبادة الابطال ويدعو الى عبادة الخالق وحده .

ومضت ستة قرون على مبعث المسيح ، أنهكت البشرية خلالها بالصراع المذهبي بين القائلين بلاهوتية المسيح والقائلين بناسوتيته ، وآن للعقيدة الدينية ان تتحرر من كل شائبة تمس التوحيد الذي هو جوهر الدين كله ، فاصطفى الله سبحانه محمد بن عبد الله خاتما للرسل والانبياء ، بشرا سويا يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ..





المعجزة



للدكتورة "عائشة عبد الرحمن" بنت الشاطئ *

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرءان ، لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . » سورة الاسراء

على مدى اربعة عشر قرنا من الزمان .

وكلما دار عام القمر دورته وهل هلال شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وقف التاريخ خاشعا مبهورا يرنو الى ليلة القدر ويطوي اليها الآماد ، كي يستجلى سر المعجزة التي بدأ بها عصر جديد للانسان ..

قبل ان يبزغ نورها الاسنى ، كانت الظلمة قد اشتدت ونشرت لفاعها الاسود على هذه الارض .

دولة الرومان ، معقل المسيحية ، تترنح تحت معاول الصراع المذهبي ، بعد ان انهكها الصراع الحربي مع الفرس ، تنازعا على مناطق النفوذ والسلطان .

ودولة الفرس ، معقل المجوسية ، تصلى نارها المعبودة ، وقد سطع لهبها فى معابد المجوس واحتدم اوارها فى المعارك الحربية .

والديانة الموسوية قد آل أمرها الى عصابات من يهود ، صرفت كلمات الله عن مواضعها ، ونسيت رب موسى ، سبحانه وتعالى ، فعكفت على وثنها الذهبي المعبود ، لا تخشع لرب سواه .

والوثنية تمارس سحرها العتيد فى صميم الجزيرة العربية ، فتغشي ابصار العرب وبصائرهم ، وتعطل عقولهم وضمائرهم ، فهم على أوثانهم التي خلقوها بأيديهم ، عاكفون ..

* * *

فى تلك الظلمة الفاشية ، كان حتما أن يبزغ نور فجر جديد ..

فجر تطلعت اليه ارهاصات ملأت جزيرة العرب مبشرة برسول آن مبعثه ..

تحدث بها الكهان من عرب والرهبان من نصارى والاحبار من يهود ، واتجهت روافدها من هنا ومن هناك وهنالك ، فتركزت حول البيت العتيق : مثابة حج العرب من قديم الزمان ، واقدم بيت عبد فيه الله على الارض .

ارهاصات ، ان يتهمها المحدثون ويحملوها على مخترعات السمار ومنحولات الرواة ، فالذي لا شك فيه أن التاريخ ارهف سمعه لها ، ولمح فيها – على أي

*) من مقدمة كتاب فن « الاعجاز البياني للقرآن الكريم » يصدر قريبا بمشيئة الله تعالى .



نقط البحث : فرض التعلم فى الاسلام ــ امكنة التعليم القرآني ــ اولا المساجد ــ ثانيا الكتاتيب ــ ثالثا المدارس العلمية ــ نظم التعليم القرآني ــ مناهجه وطرقه ــ الطريقة التطبيقية ــ احترام المعلم ــ مكافاة التلاميذ ...

> **ان القرآن هو اصل التعليم الصحيح فى الاسلام فهو الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات ..**
>
> **ابن خلدون**

من المعلوم ان الاسلام فرض على اتباعه طلب العلم ، وتعلم القراءة والكتابة وفرائض دينهم وضرورات حياتهم ومعاشهم ، اذ ان اول آية نزلت : اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ــ تفرض ذلك كما فرضته آيات اخرى وأحاديث نبوية : ــ وقل رب زدني علما ــ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ــ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ــ اطلب العلم ولو بالصين ــ اطلب العلم من المهد الى اللحد ــ بل قيل ان لفظة العلم اكثر الالفاظ تكررا فى القرآن الكريم بعد لفظة الجلالة « الله » .

وهذه النصوص وان كانت تعمم فى معنى العلم الذي امرت المسلمين بطلبه والبحث عنه .. الا ان علماء الدين كثيرا ما صرفوه الى العلوم الدينية والى العلوم التي تعين عليها والى الادوات التي لا يحصل التعلم الا بها كعلوم اللغة والخط والحساب والفلك وما اليها من السير والاخبار والقصص .. لذلك عظم اقبال المسلمين على هذه العلوم فى مختلف العصور وقل اقبالهم على غيرها فى بعض العصور .. لهم فى ذلك منشآت تعليمية ومناهج وطرق تختلف باختلاف الاقطار والازمان ..

امكنة التعليم القرآني :

اولا ــ المسجد ــ الجامع :

اول ما عرف المسلمون الاولون التعلم ــ أو التعليم ــ عرفوه فى المسجد النبوي بالمدينة المنورة فى عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ــ ثم فى المساجد التي تأسست وانتشرت مع الاسلام .. اذ كان الرسول (صلعم) يعلم اصحابه ، وهم يعلم بعضهم بعضا ، فى رحاب المسجد وفيهم الصغير والكبير .. ثم انتشرت هذه الطريقة فى كل مكان ، فكل من أراد علما ، او اراد ان يبث علما ، فانه يقصد المسجد حيث يجد من ياخذ منه ، أو عنه ، ثم لم يلبث أن تصدر لذلك أفراد معروفون تفرغوا له وأصبحوا معلمين ، يتحلق الطلبة حولهم فى أوقات مخصوصة وبكيفيات معلومة (انظر كتاب المساجد الكبرى لاحمد عطية) .

حسما لاي جدل او شبهة فى بشريته ، واتقاء لتورط المسلمين فى اتخاذه مع الله الها ، وتنقية لجوهر الدين من كل رواسب عصور تعدد الآلهة وعبادة الابطال .

وكانت المعجزة الشاهدة على نبوة هذا البشر الرسول ، قرآنا عربيا مبينا يعيى العرب ان يأتوا بمثله، ليصدقوا بنبوته ويتبعوه وهو يقودهم هاديا على الطريق المستقيم الى عصر الانسان الذي لا يقر بعبودية لغير خالقه .

* * *

واذ جاء الاسلام مصدقا لما بين يديه من رسالات الله ، ومنقيا لجوهر الدين الحق من كل شائبة ، اختتمت به الاديان ايمانا بان الانسانية شارفت مرحلة رشدها وصارت اهلا لاحتمال امانة انسانيتها وتكاليف وجودها الحر ، مهتدية بهذا الكتاب المعجز الذي اعيا العرب ان يأتوا بسورة من مثله، وقد نزل بلغتهم وكانت فى عز اصالتها ونقائها ، لم تشبها عجمة ولم تختلط بغيرها من الالسن .

ولقد تحداهم القرآن الكريم ان يأتوا بمثله فعجزوا . وجاءت آيات التحدي والمعاجزة فى العهد المكي الذي نزلت فيه سبع وثمانون سورة . وبعدها فى مستهل العهد المدني نزلت آية البقرة تحسم القضية بقوله تعالى :

« وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي اعدت للكافرين . »

وآمن العرب ، ودخل الناس فى دين الله افواجا . ومات محمد صلى الله عليه وسلم كما يموت كل البشر « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » .

وانتهت قضية الاعجاز من مجال اثبات النبوة لبشر رسول ، لتظل مطروحة على الاجيال المتعاقبة ، التماسا لسر المعجزة ..

وبقى هذا القرآن ، كتاب الدين كله ، وآية التاريخ الكبرى ، والمنار الذي يهدي الانسانية في عروجها على مراقي تطورها ، وسعيها الدائب لتحقيق وجودها الامثل .

اي تكريم للبشرية ان يصطفى بشر منها نبيا رسولا ؟ !

واي مجد للبيان ، الذي هو خاصية الانسان ، ان يكون « الكتاب » آية نبوة ومعجزة رسول ؟ !

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان ، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » . صدق الله العظيم .

الرباط : الدكتورة عائشة عبد الرحمن
(بنت الشاطىء)

« فما دامت قلوبنا فى صفاء ، وافئدتنا متجهة نحو التعاليم الالهية ، وما دمنا متعاضدين ومتضامنين فالله معنا ، وسيرشدنا ويساندنا » .

جلالة الحسن الثاني

وترهيبا حتى لا يتراخوا فى هذا الواجب الاجتماعي المقدس ، ففي كتاب الاستقصا للناصري أن السلطان المولى عبد الرحمن تقدم الى عماله بالاقاليم ان يلزموا كل مدشر بتأسيس كتاب قرآني ومسجد ديني والقيام بمؤونة الفقهاء الذين يقومون بالتعليم فيها ، وان يعتبر كل من قصر فى ذلك مذنبا تجب معاقبته — بناء على ما تقرر عند الفقهاء من أن ذلك داخل فى فروض الكفاية التي يتحتم على جماعة المسلمين القيام بها والا اثموا جميعا — فكان ذلك من جملة الاسباب التي ساعدت على انتشار الكتاتيب القرآنية فى كل مكان يغدو اليه الصبيان ويروحون من دون عناء ولا كبير كلفة ، وهي تقوم بالدور الاول فى تعليم الاطفال التعليم الاولي .

وكانت روح المساواة سائدة فى الكتاتيب .. لا فرق بين أبناء الاغنياء . وابناء الفقراء فى الاعم الغالب، لان نظام الطبقات قلما يلوح فى النظم الاسلامية، وكذلك البنون والبنات ، فانهم أحيانا يختلطون فى الكتاتيب ولكن فى الاعمار الصغيرة ، واما اذا تجاوزوا العشرة فانهم يفصلون ، كل على حدة ، البنات فى جانب والذكور فى جانب ، أو لكل من الجنسين كتاب خاص .. وقد ادركنا نحن ، بعض الكتاتيب الخاصة للبنات فى بعض المدن المغربية وكانت تسمى « دار المعلمة » تعلم أعمال الابرة والقراءة .

كما كان بعض ذوي البيوتات الكبيرة كانوا يفضلون احضار المعلم الى بيوتهم لتلقين اولادهم — وخاصة البنات — القرآن وضرورات الدين ، خوفا من اضرار الاختلاط .. وكذا أرباب السلطان فانهم قلما يوجهون اولادهم الى الكتاتيب العامة ، بل يخصصون فى قصورهم جناحا يقوم فيه المعلم بتأديب أولادهم (لذلك كان معلم اولاد الملوك يسمى بالمؤدب) وتهيئتهم للمهام الجسام التي تنتظرهم على منهج خاص يليق بهم ، وكانت وظيفة هذا « المؤدب » جذابة للغاية لا يصل اليها الا العلماء المشهود لهم بالكفاءة والمقدرة فى شؤون التعليم .

من ذلك ما ذكره ابن زيدان فى كتابه النظم الادارية من أن القصور السلطانية بالمغرب لم تكن تخلو من استاذ خير نزيه لا شغل له الا تعليم بنات القصر القراءة والكتابة والضروري من علوم الدين ، وان كل شريفة تتعلم لابد لها من داية تراقبها داخل المكتب ، ولا يشاركهن فى المكتب ذكر ولو كان شقيقهن ، واذا بلغت البنت العاشرة احتجبت ولم يبق لها سبيل للخروج الى المكتب ولا رؤية المؤدب ، ولم تكن توجد بنت ولدت داخل القصور — ولو كانت من الرقيق — لا تحسن الكتابة والقراءة الا نادرا ، وربما وجد فى نساء القصر من تحفظ القرآن بالروايات كحفصة بنت السلطان المولى عبد الرحمن ، وكان فى نساء القصر من تقوم بتعليم بنات القصر الكبيرات اللائي فاتهن التعلم زمن الصغر عند المؤدب الراتب كالاميرة خناثة الشهيرة التي كانت تعلم نساء القصر فى عهد المولى اسماعيل ، واذا لم توجد اختير معلم ضرير ، استمر العمل على ذلك داخل القصر الى أن نفي محمد الخامس سنة 1953 حيث انه — رضوان الله عليه — كان أنشأ معهدا داخل المشور بجوار قصره لتعليم ابنائه الذكور وابناء افراد حاشيته ، ومعهد آخر لتعليم بناته وبعض بنات شعبه ، ولما رجع من منفاه واعلن الاستقلال اخذ الامراء والاميرات يتابعون دروسهم فى المدارس العامة مع افراد الشعب .. غير أن نية الملك الهمام الحسن الثاني حفظه الله متجهة الى الاحتفاظ بالتقليد القديم المناسب بمقام الامراء .

ثالثا : المدارس العلمية

كذلك تأسس بجانب المساجد أمكنة أخرى للتعليم القرآني وما اليه .. تعرف بالمدارس ، فاذا كان الباعث على تأسيس الكتاتيب هو ابعاد لغط الصبيان عن المساجد فان نفس السبب هو الباعث على تأسيس المدارس لكن بالنسبة الى ضجيج الكبار، اذ ان الاطفال عند ما يكبرون يغادرون الكتاتيب ويلتحقون بحلقات الدروس التي تعقد برحاب المساجد .. على نحو ما قاله الامام الشافعي عن نفسه : كنت يتيما فى حجر أمي فدفعتني الى الكتاب ، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد .. وقال أبو بكر بن العربي عن أهل الاندلس : ان الصغير منهم اذا عقل بعثوه الى المكتب واذا حذق ما قدر ما قدر له خرج الى المسجد (أحكام القرآن لابن العربي) وكانت أصوات هذه الافواج المتواردة من الكتاتيب تتردد فى جنبات المساجد مع اصوات المقرئين والعلماء المحاضرين ، فى أوقات وأمكنة متقاربة ، فتحدث ضجيجا يتنافى مع وقار المسجد ، فاتضحت صعوبة احتمال المسجد لشؤون العبادة ولشؤون التعليم فى آن واحد .. فأحدثت المدارس خارج المساجد، فانتقل اليها بعض العلماء مع طلابهم وخاصة الذين يهتمون بدراسات معينة على اسلوب مغاير ، مثل المواد التي تحتاج الى ادوات ، أو التي تعتمد على الحوار أو الانشاد . . بالاضافة الى ان اكثر المدارس تتوفر على اقسام داخلية لايواء الطلبة وأحيانا لسكنى الاساتذة ، وغير ذلك من المرافق اللازمة لجموع الطلبة

فمن ثم كان المسجد هو النواة الاولى للتعليم القرآني فى الاسلام ، بجانب اقامة الصلوات وانواع العبادات التي اسست لها ، وايضا بجانب الاعمال الاجتماعية الاخرى التي كان المسجد مركزا لها فى مختلف البقاع الاسلامية كالقضاء وعقد الاجتماعات العامة واستقبال الوفود وبعث البعوث والاعلان عن الاوامر والقرارات السلطانية وغير ذلك مما له مساس بالحياة العامة وبالمجتمع (نفس المصدر) .

اشتهرت بذلك عدة مساجد فى انحاء العالم الاسلامي ، وخاصة الدور الهام الذي لعبته فى التعليم القرآني وما اليه — ولاشك أن فى مقدمتها المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال ويحج اليها المسلمون .. ثم المسجد الاموي بدمشق والجامع الازهر بالقاهرة وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس ، وجامع قرطبة ، ونجف الاشرف ، وزاوية جغبوب ، وغيرها شرقا وغربا .. وكان التعليم فيها حرا الى ابعد الحدود لا يتقيد بوقت ولا بسن ولا بمنهاج الا ما سنه المعلم لنفسه ولطلابه ، فلما يتدخل احد فى توجيهه او تقييده ، الا اذا كانت هناك ضرورة تقضي بتدخل ذوي السلطان خوفا مما يثير الراي العام او يخل بالنظام القائم .. ظل الامر كذلك الى أن جاءت النهضة الحديثة فاصبحت تخضع لنظم التعليم الحديث ولكن بمقدار ..

ثانيا : الكتاب .. أو المسيد

لما كان المسجد مكانا عاما يجتمع فيه الكبير والصغير للعبادة وللتعليم وللشؤون العامة ، كان من الاليق وادعى الى الاحترام ابعاد كل ما من شأنه أن يمس بحرمته وان يحدث فيه اللغط والضجيج ، لذلك اسرع المسلمون الاولون الى اتخاذ امكنة خاصة بجانب المسجد — او خارجه بعيدا عنه — يعلم فيها الصبيان على حدة بمعزل عن الكبار .. عرفت باسم الكتاب فى الشرق وباسم المسيد فى المغرب (وهو اختصار من المسجد او مشتق من كلمة السيادة كما أن الكتاب مشتق من التكتيب اي تعليم الكتابة) يعلم فيها الصبيان عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يروى : « جنبوا المساجد صبيانكم وسفهاءكم » وعللوا ذلك بان الصبيان لا يتحفظون مما لا يليق بحرمة المساجد (فجر الاسلام لاحمد أمين) .

فكان الكتاب الاسلامي أول مؤسسة تربوية خاصة بتعليم الاطفال فى الاسلام ، نشأ بعد المسجد او مع المسجد ، وعم سائر البقاع الاسلامية ، وظل المكان الرئيسي لتعليم الصغار طوال القرون الاولى والاخيرة

واول كتاب عرف فى التاريخ الاسلامي هو الذي كان بجانب مسجد الرسول بالمدينة ، اذ ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرر بعض الاسرى العارفين للقراءة والكتابة مقابل أن يعلم الواحد منهم اثنى عشر صبيا من ابناء المسلمين (نور اليقين للخضري وكذلك سيرة ابن هشام) كما روى أن أم سلمة ، احدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم — ارسلت الى معلم الكتاب أن يرسل اليها بعض الصبيان ليساعدوها فى بعض شؤونها (كتاب التربية الاسلامية لاحمد شلبي) .

ثم ازداد عدد الكتاتيب القرآنية وانتشرت .. ولم يمر قرن من الزمان حتى بلغت من السعة والعناية درجة عالية أشبه ما تكون بمدارس نظامية ، مثل ما حدثوا عن كتاب المعلم أبي القاسم البلخي الذي كان يعلم به نحو ثلاثة آلاف تلميذ ، ينتقل بين اقسامها على دابة (المصدر الآنف الذكر) وما زالت الكتاتيب تزداد حتى اصبح بكل قرية كتاب بل احيانا اكثر من كتاب ، ذكر الرحالة ابن حوقل فى كتابه (المسالك والممالك) انه عد فى مدينة باليرمو بصقلية — يوم كانت مسلمة — ثلاثمائة كتاب ..

وكان هذا هو الشأن فى بلاد المغرب ، حيث انه بمجرد أن تم الفتح الاسلامي لهذه البلاد رتب الولاة الفقهاء والقراء .. يعلمون النشء تعاليم الدين والقرآن الكريم .. مثلما فعله القائد موسى بن نصير الذي رتب الفقهاء والقراء واسس الكتاتب والمساجد .. على ما تررة ابن خلدون وغيره من المؤرخين .

وقد عد كثير من المؤخين المغاربة الكتاتيب التي تتوفر عليها المدن المغربية التي يؤرخونها مثل عدد الكتاتيب التي ذكر صاحب القرطاس ان مدينة فاس تتوفر عليها فى وقته .. ومثل ما ذكره صاحب المعجب من ان مدينة مراكش كانت فى عهده تزخر بالكتاتيب القرآنية وقال ان ابناء الخلفاء الموحدين كانت لهم كتاتيب خاصة داخل قصورهم وانه هو نفسه كان احد التلامذة مع اولاد المنصور ..

وكانت العادة المتبعة فى حواضر المغرب وقراه ان أهل الحي هم القائمون على تأسيس الكتاتيب لاولادهم والساهرون على عمارتها وترتيب المعلمين بها .. واذا تراخوا فى ذلك عدوا مقصرين ومهملين لشؤون دينهم ، وربما نالتهم السلطة بالعقاب والوعيد، ومما يدل على ذلك تلك الاوامر السلطانية التي كانت تصدر من حين لآخر فى هذا الشأن ترغيبا للناس

المأثور : اطلب العلم من المهد الى اللحد – اي ان المرء لا يتقيد بزمن فى تعليمه ، لا عند البدء ولا عند الختم ، فالمدار على الاستطاعة اولا واخيرا .. من هنا كان صعبا تحديد السن التي كان يجب على الطفل فيها الالتحاق بالكتاب .. فكان كل اب يتصرف حسب ما يرى، قد يحمل ابنه على التعلم وهو دون الثالثة او فى الرابعة كما فى حالة الامين بن هرون الرشيد الذي أجلسوه للمؤدب وهو فى الرابعة أو يترك فى البيت يلهو ويلعب فى غفلة من ذويه الى أن يتجاوز السابعة الا ان الاعم الغالب فى كثير من الاقطار الاسلامية هو السنة الخامسة او بعدها بقليل (كتاب مبادىء التربية الاسلامية لاسماء فهمي) .

على ان علماء التربية المسلمين انتقدوا هذه الفوضى وبحثوا الامر من الناحية التربوية ، فهذا العبدري من علماء التربية القدماء ينتقد فى كتابه (المدخل لعلوم الشريعة) الاباء الذين يرسلون ابناءهم الى الكتاتيب فى سن مبكرة ، قائلا ان السلف لم يكونوا يرسلون ابناءهم الى الكتاب الا فى السن السابعة التي يكلفون فيها بتعليم الصبي الصلاة والفضائل الخلقية ، وزاد يقول ان الاطفال لا ينتفعون بالتعلم فى سن مبكرة.. محذر المعلمين من عناء تعليمهم ناصحا لهم بأن الآباء انما برسلونهم اليهم للتخلص من متاعبهم فىالبيت وليس الغرض تعليمهم – ولاشك أن هذا الراي يتفق مع البحوث التربوية الحديثة التي اثبتت ان التبكير فى تعليم الطفل يؤثر فى قواه العقليه ..

كذلك لم تكن هناك مدة محدودة ينتهي اليها الطفل فى الكتاب ، فقد يمكث فيه الى العشرين من عمره ، وقد يغادره قبل العشر ، فالمقياس هو نجابته واجتهاده فى تحصيل ما يلقنه ، مثل ما حكي عن الامام الشافعي انه دخل الكتاب فى سن مبكرة فاستظهر القرآن والاحاديث وهو دون العشر ، ثم غادره الى المسجد وهو ابن عشر (تاريخ التربية الاسلامية لاحمد شلبي) وكذلك ابن سينا فلقد أنهى تعليم الكتاب وهو ابن عشر – ولوحظ انهم كانوا يتباهون بالتبكير فى التعليم وسرعة التحصيل والحفظ ، اغتناما لزمن الصغر ، والعقل طري مرن ، وتسابقا مع عامل الزمن وقبل حدوث العوائق .. حتى لا يفوتهم التعليم فى ابانه ، كما يقول المثل : التعلم فى الصغر كالنقش على الحجر ، أو كما قال الشاعر :

اراني انسى ما تعلمت فى الكبر
ولست بناس ما تعلمت فى الصغر

فكان هذا من الحوافز على التبكير واغتنام أيام الصغر .. غير ان ذلك مصحوب أيضا بارهاق الطفل .. فتأتي النتائج احيانا عكسية ، اذ يكثر نفور الاطفال من التعلم وتسوء حالتهم الصحية وينقطعون .. فاذا كانت الاقلية المكدودة تصل الى الهدف فان الاكثرية يعتريها ما يسبب لها البطء او الانقطاع ..

واما التوقيت اليومي فانه يبتدىء غالبا من الفجر أو من الشروق وينتهي بغروب الشمس أو بعد صلاة العشاء ، لا يتخلل ذلك الا استراحة الزوال نحو ساعة ونصف .. والتوقيت الاسبوعي يبتدىء فى الغالبمن ظهر يوم الجمعة وينتهي قبل ظهر يوم الخميس ، فلا تستغرق العطلة الاسبوعية الا نحو يوم .. ولا وجود للعطلة السنوية – الصيفية – ولا لغيرها – باستثناء عطل الاعياد الثلاثة الدينية – نحو عشرة أيام فى كل عيد ، لذلك سميت بالعواشر فى الاصطلاح المغربي .. واذا جمعنا ايام العطل الاسبوعية والسنوية نجدها نحو شهرين ونصف طول السنة كلها ، وهي قدر طفيف بالنسبة الى ما تتطلبه الاجسام الصغيرةوالعقول الطرية من أسباب النشاط والمرح ، أضف الى ذلك انعدام الاستراحة خلال ساعات الصباح وساعات المساء ، ايضا فان كثيرا من المعلمين يمنعون الاطفال من ممارسة أنواع اللعب .. يرونها منافية للاداب وعائقا عن الحفظ والتحصيل .. ولاشك أن هذا راي خاطىء يصدم أصول التربية الصحيحة التي نادى بها علماء التربية فى كل عصر .. وحتى علماء التربية الاسلامية ادركوا هذه الحقيقة ونصحوا المعلمين بالسماح للاطفال بألعاب ترويحية بعد انقضاء ساعات الدرس ، فهذا المربي الفيلسوف الغزالي يقول فى كتابه الاحياء : ان منع الصبي من اللعب وارهاقه بالتعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش » وكذلك العبدري فانه يحبذ بشدة ضرورة الالعاب والترويح عن الطفل .. ولكن مثل هذه النصائح قلما تسمع وتتبع ، وانما تعيش فى بطون الكتب .

وايضا شدة العقاب .. فان كثيرا من معلمي الكتاتيب القرآنية معروفون بالفظاظة وجفاء الطبع ، قلما يعرفون من وسائل التعليم الا الترهيب والتهديد، والزجر والقهر الى ابعد الحدود ، فترى الطفل بين ايديهم يرتعد ، ولا يدري متى ينزل عليه العقاب ، لانه لادنى سبب ، والعقوبة هي الضرب وقلما يستعمل غيره ، فهو يشتد على الاطفال المهملين لواجباتهم وعلى المعاندين .. ويخف على الآخرين ، وبالحرى لا ينجو منه احد – والعصا أو المجلدة هي اداة الضرب على

الا ان تأسيس هذه المدارس قد تاخر نسبيا ، اذ انه لم يعرف في العالم الاسلامي الا في اواسط القرن الخامس الهجري ، حيث تأسست اول مدرسة من ذلك النوع ببغداد حوالى 457 هـ موافق 1065 م — على يد الوزير نظام الملك في الدولة السلجوقية ونسبت اليه وعرفت بالمدرسة النظامية وكانت غاية في الجمال والكمال ، واسس هو نفسه مدارس أخرى في أرجاء مملكته .. وقيل ان ناحية نيسابور عرفت تأسيس المدارس قبل بغداد (انظر تاريخ الجامعات الاسلامية لغنيمة) .

واقتفى الملوك والامراء اثر نظام الملك لما رأوا من فائدة مدارسه ، فظهرت مدارس كثيرة على غرارها شرقا وغربا ولا سيما ببلاد الشام ومصر .. تنافس الامراء والاثرياء في عمارتها وتوقيف الاملاك عليها ، فقد ذكر المقريزي انه كان في القاهرة وحدها 63 مدرسة وذكر ابن جبير انه وجد ببغداد 30 مدرسة ..

وكذلك الملوك المغاربة فانهم اقتفوا اثر المشارقة سريعا في ذلك المضمار .. اذ أن يوسف بن تاشفين اسس في نفس القرن الخامس الهجري مدرسة الصابرين بفاس .. وبعده اسس الموحدون جملة مدارس نموذجية لتدريس العلوم الضرورية لتسيير شؤون الدولة ، كمدرسة تعليم فن الملاحة التي اسسها عبد المومن الموحدي بالرباط (مكان مدرسة الوداية الحالية) والمدرسة الادارية التي اسسها كذلك عبد المومن بالعاصمة مراكش لتخريج الموظفين ، وقد ذكر صاحب الحلل الموشية أن طلبة هذه المدرسة المنيفين على بضعة آلاف كلهم في عمر واحد كانهم ابناء ليلة واحدة ، وان عبد المومن استدعى بعض علماء الاندلس للاشراف عليها .. وكذلك المدرسة الملكية الخاصة بتعليم الامراء الموحدين .. ومدارس اخرى اسسها الموحدون في أرجاء مملكتهم الواسعة — لا نطيل بذكرها — (انظر كتاب العلوم والفنون في عهد الموحدين لمحمد المنوني) يضاف الى ذلك البيت المعروف عندهم ببيت الطلبة بالعاصمة الذي كان معهدا للبحث والمناظرة على ما ذكره المقري..

ولكن العصر المريني هو أزهى عصور تأسيس المدارس العلمية بالمغرب ، اذ ان اول سلاطينهم يعقوب ابن عبد الحق المريني بنى عدة مدارس في انحاء المملكة ووقف عليها الاوقاف واجرى على الطلبة والاساتذة المرتبات ، واقتفى أثره بنوه في ذلك ، فاستكثروا من بناء المدارس العلمية واجروا عليها الارزاق وعمروها بالكراسي العلمية والاوقاف .. ولا سيما ازاء جامع القرويين الذي احاطوه بمجموعة من المدارس ما زالت ماثلة للعيان شاهدة بالفن المعماري الاندلسي الرائع ، وكذلك بمراكش والرباط وسلا ومكناس وغيرها ، يقول صاحب الاستقصا : وبالجملة فان آثار بني مرين الباقية تشهد بما كان لهم من فضل على تأسيس المدارس العلمية وعلى عمارتها ..

ويظهر أن ملوك بني الاحمر بغرناطة تشبهوا بالمرينيين في هذا السبيل ، بدليل المدرسة العربية المعروفة بغرناطة بطرازها المريني التي شيدها يوسف الاول من ملوك بني الاحمر ، قال عنها مؤرخ اسباني « تقليد للمدارس المرينية » وقال لسان الدين ابن الخطيب في كتابه الاحاطة : أن الذي أحدث المدرسة بغرناطة هو رضوان الحاجب من وزراء بني نصر ..

وتخطيط المدرسة في الاعم الغالب يسير وفق تخطيط المساجد بحيث تتوفر على أمكنة العبادة والطهارة ، وتزيد باستعدادها الكامل للدراسات المستمرة ولسكنى الطلبة المنتظمين لطلب العلمولسكنى بعض الاساتذة ان اقتضى الحال ، مما صح معه أن تعد في نفس الوقت اقساما داخلية .. واغلبها ياتي من حيث الهندسة والزخرفة آية في الجمال تستهوي الانفس وتجذب الانظار وتحببها الى الطلبة وأهل العلم ذلك في المدارس المرينية الماثلة للعيان ، كالمدرسة المصباحية التي بناها أبو الحسن المريني بفاس والمدرسة العنانية التي بناها ابنه ابو عنانذات الساعة الاثرية العجيبة القائمة على أبوابها ..

وتلك صفحة زاهية مشرقة في تاريخ التعليم القرآني بالمغرب .. وددتلو اتسع المقام لذكر مئات المدارس العلمية المبثوثة في قبائل المغرب شمالا وجنوبا التي يلتحق بها الاطفال بعد استظهار القرآن ..

نظم التعليم القرآني

فيما يخص التعليم الاولي بالكتاتيب القرآنية .. فان الباحث تواجهه صعوبات عند محاولة تحديد النظم الدراسية ومواد الدراسة في مختلف مراحل التعليم القرآني ، نظرا لتطاول العهود وتقادم الازمان ، ولامتداد الرقعة الاسلامية شرقا وغربا ، مما جعل التقارب جد عسير ، والتشابه فقط هو الممكن في هذا الصدد .

أما فيما يرجع لزمن التعلم فانه كان عند عموم المسلمين : من المهد الى اللحد — على حد التعبير

واما علماء التربية المسلمون فانهم بدورهم يرون التنويع فى المنهج القرآني ، فان القابسي — من علماء التربية — يوصي بضرورة تعليم القرآن والصلاة والحساب والشعر والنحو والعربية — ويرى ابن سينا البدء بحروف الهجاء والقرآن ثم الشعر ثم مكارم الاخلاق ، وكذلك ابن مسكوية يوصي بمبادىء الحساب وقواعد اللغة — وكان ابن سينا يرى ايضا ان يكون مع الصبي فى المكتب صبية حسنة آدابهم مرضية اخلاقهم، لان الصبي عن الصبي القن ، وهو عنه آخذ ، وبه آنس — لان التقليد من اقوى واسرع العوامل فى التربية وخصوصا فى مرحلة الطفولة .. وقد عقد ابن عبد ربه فصلا فى الموضوع من كتابه العقد الفريد ، وعنه نقلنا العبارات الآنفة الذكر .

فصح لنا مما استعرضناه ان المنهج القرآني لم يكن يخرج عن المواد الآتية : الكتابة والقراءة ، الخط ، القرآن الكريم ، الحديث الشريف ، اركان الايمان ، قواعد الاسلام ، الحلال والحرام ، الاخلاق الحميدة، الحساب ، الشعر ، اللغة ، الاخبار والقصص والمغازي — .

واذا تعلق الامر بتربية اولاد الخلفاء والامراء والقواد اضيفت مواد اخرى تقتضيها المهام التيتنتظرهم كالفروسية ، والرماية ، والسباحة ، والخطابة ، والملاحم ، وآداب المجالسة والمخالطة .. ليكتسبوا التجارب ويتدربوا على تحمل المسؤوليات .. من ذلك ما كتب به عمر بن الخطاب الى عمال الامصار « علموا اولادكم السباحة والفروسية ، ورووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر » — ومن احسن المناهج التربوية التي كانت تصلح لتربية الامراء ما وصى به هرون الرشيد مؤدب ولده الامين « ان امير المومنينقد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعك امير المومنين ، اقرئه القرآن ، وعرفه الاخبار ، وروه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام ، وامنعه من الضحك الا فى وقته ، وخذه بتعظيم بني هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه .. الخ » .

الطريقة التطبيقية :

واما الطريقة التطبيقية التي كانوا يسلكونها فى تلقين تلك المواد فهي ايضا تختلف وتتباين .. فبعضهم يميل الى الاخذ بطريقة التدرج فيها شيئا فشيئا ، يلقن منها على التلميذ ما هو اوفق لسنه واقرب الى طبعه ويؤخر ما هو ادعى الى الجهد والى الطاقة العقلية اذ ان نظام الانتقال من فصل الى فصل .. او من قسم الى قسم ، غير معهود فى النظام الاسلامي العتيق .. وانما كان كل تلميذ يتدرج بمفرده أو مع بعض اقرانه حسب اجتهاد كل واحد وتوجيه المعلم او الاب .. فهذه طريقة التدرج التي بينها ابن خلدون فى مقدمته بقوله : اعلم ان تلقين العلوم انما يكون مفبدا اذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلا قليلا ، يلقى الى المتعلم اولا مسائل كل باب وتشرح له على سبيل الاجمال ، ثم يرجع اليها ثانيا فيرفع فيها تلك الرتبة ويستوفي الشرح والبيان ، ثم يعود اليها ثالثا فلا يترك عويصا ولا مغلقا الى أن يستولى على ملكته .. وكذلك الغزالي فانه ينصح بان يؤجل الطالب عويص المسائل الى أن يتقدم فى العلوم ثم يختار علما يتبحر فيه ، اي يتخصص

على أن كثيرا من المعلمين لم يكونوا يراعون هذا التدرج — ولو جزئيا — بل كانوا يلقون على المتعلم بادىء ذي بدء المسائل العويصة ، يطلبونه بحلها وفهمها وهو غير قادر ، حاسبين انهم بذلك ياخذونه بالحزم وسرعة المران ، فى حين انهم يلقون الحب فى ارض غير مهيأة فتضيع جهودهم ويخسر متعلموهم ، لذلك عاب عليهم ابن خلدون بقوله : انهم يخلطون على المتعلم بما يلقونه من غايات الفنون قبل مبادئها ، فان قبول العلم والاستعداد لفهمه ينشأ تدريجيا فالمتعلم يكون اول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا فى الاقل ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج الى أن تتم ملكته فى التحصيل — ثم يقرر ابن خلدون ان القرآن هو اصل التعليم الصحيح فى الاسلام فهو الذييبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات ..

وفصل ابن خلدون طريقة كل قطر فى ذلك : بأن مذهب أهل المغرب هو الاقتصار على تعليم القرآن ، فلا يدرس الولد معه شيئا من الحديث او الفقه او الشعر او الادب .. يتركون ذلك الى ان يحذق القرآن او ينقطع دونه .. واما اهل الاندلس فيبداون بتعليم القرآن ولا يقتصرون عليه ، بل يخلطونه برواية الشعر والترسل — يعني النثر الفني — ودراسة قواعد اللغة وتجويد الخط وكتابة الانشاء ، وفى تونس وما اليها يخلطون تعليم القرآن بالحديث وقوانين العلوم ، الا ان عنايتهم بالقرآن والخط اكثر .. يشبههم فى ذلك اهل المشرق غير أن هؤلاء يفردون الخط بمعلم خاص ، يتعلمونه كما يتعلمون سائر الصنائع .. ومثل هذا سجله ابن بطوطة فى رحلته اذ قال : ومعلم الخط عند المشارقة غير معلم القرآن ، معلم الخط لا يعلم غيره.

أطراف الاصابع او اسفل القدمين بعد شد الوثاق بآلة « الفلقة » المعروفة .

ولقد تعرض علماء التربية المسلمون لهذا النوع من العقاب القاسي — المنفر — فاستنكروه واعتبروه منافيا لاصول التربية — استنكره ابن سينا والغزالي والعبدري وابن خلدون ، وغيرهم ، ذاهبين الى أن اللين انفع وسائل التأديب ، وانه اذا لم يكن من العقاب بد فليكن بالطريقة التي وصى بها هرون الرشيد مؤدب ولده الامين حيث قال له « لا تدع ساعة تمر به دون أن يغتنم فائدة ، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان اباهما فعليك بالشدة» وقد قالوا ان الشدة هذه هي التأنيب أو المنع من اللعب .. وقال ابن خلدون « ان من كانت تربيته بالعسف والقهر ذهب نشاطه وذل وصار حملا على غيره وانطبع على الكذب والخبث وفسدت معاني الانسانية فيه » .. والغزالي ينصح المعلمين بان يصلحوا عيوب الاطفال أحيانا بالتغاضي عنها والتغافل حتى لا يفضح الطفل امام زملائه لاول مرة ، واذا عاد ينبغي أن يعاتب سرا ويخطر ، واذا احسن ولو مرة يكرم ويمدح بين الناس .. الى أن قال : ان المعلم كالطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم (احياء علوم الدين) وبذلك كانت التربية الاسلامية تتمشى — ولو نظريا — مع روح التربية الصحيحة فيما يرجع لترغيب التلاميذ وترهيبهم .

منهج التعليم القرآني .. وطرقه

يتضح من استعراض تطورات هذا النوع من التعليم عبر الاجيال والقرون ان الهدف الاسمى منه هو التكوين الديني الخلقي بجانب ما أمكن من المعارف التي تمت اليه .. حسب ما يتراءى من المناهج المخططة او المتعارف عليها — على الاصح — الراجعة الى التعليم الاولي القرآني — فنبادر الى القول بانه ليس هناك برنامج متفق عليه فى أطراف العالم الاسلامي .. باستثناء شيئين اثنين فان معظم الاقطار لا تكاد تختلف حولهما ، وهما تعليم القراءة والكتابة وتلقين ما تيسر من القرآن .. فهذا القدر يمكن أن يقال انه مشترك بين سائر الكتاتيب القرآنية فى العالم الاسلامي ، ومنه يتبين علة تسميته بالتعليم القرآني ، لان الصبي لابد معه أن يحفظ ما تيسر من القرآن ، امتثالا لقوله تعالى: فاقرءوا ما تيسر من القرآن .. أوضح ذلك ابن خلدون فى فصل عقده فى مقدمته تحت العنوان : «تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية فى طرقه » قال فيه ان تعليم القرآن شعار الدين درج عليه المسلمون فى جميع الامصار ليسبق الى القلوب ويؤدي الى رسوخ الايمان — وقال الدكتور احمد شلبي فى كتابه المذكور — تاريخ التربية الاسلامية — ان منهاج الكتاب مبني على القرآن مما جعل وجوده متوقفا على وجود حفظة القرآن الكريم فى الاوساط الاسلامية .

ومع ذلك .. فان كثيرا من الكتاتيب القرآنية ، وبالاخص فى العهود الاولى ثم فى عهد النهضة الحالية — لا تكتفي بتعليم القراءة والكتابة وبتلقين الآيات الكريمة .. بل تضيف الى ذلك مواد أخرى .. حسب ما تقرره احمد شلبي .. من أن القرآن هو نقطة الارتكاز فى الدراسة الاولية وان مواد أخرى تتبعه ، تكثر وتقل حسب مقدرة المعلمين وهمة الآباء ..

ونستخلص من الوصايا التي كان بعض الآباء يوجهونها مع أولادهم الى المعلمين انهم كانوا يرغبون فى أن يتعلموا الحساب مع الكتابة ، فهذا ابن التوأم يقول للمعلم « علمه الحساب قبل الكتاب (الكتابة) فان الحساب اكسب من الكتاب » وانهم كانوا يرغبون فى ان يروا الاشعار الفصيحة لانها تنمي فيهم ملكة اللغة وتكسبهم الطباع العربية الاصيلة من فصاحة ومروءة وكرم وعزة النفس ، قال هشام بن عبد الملك لمؤدب ولده « اول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ثم روه من الشعر احسنه » كما يوصونهم بان يرووهم منكلام الرسول ومن الخطب العربية ومن الاخبار والمغازي ، قال عمرو بن عتبة لمؤدب اولاده « علمهم كتاب الله ، وروهم من الحديث اشرفه ومن الشعر اعفه ، وعلمهم سنن الحكماء والخطب والمغازي » كما كانوا يوصونهم بتقويم الاخلاق وغرس الفضائل والاخذ بالقدوة الحسنة وكان مما قاله عمرو بن عتبة للمعلم «ليكن اول اصلاحك لولدك اصلاحك لنفسك ، فان عيونهم معقودة بك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت » وقال هشام بن عبد الملك « ان ابن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني ، وقد وليتك تأديبه فعليك بتقوى الله ، واد الامانة » ومن النصائح المشهورة قول عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده « علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، واحملهم على الاخلاق الجميلة، ورووهم الشعر ينجدوا ويشجعوا وجالس بهم اشراف الناس واهل العلم ، وجنبهم السفلة والخدم ، ومرهم فليستاكوا عرضا ، وليمصوا الماء مصا ولا يعبوه عبا ، واضربهم على الكذب ، وجنبهم شتم الاعراض ، واحملهم على صلة الرحم ، واعلم ان الادب أولى بالغلام من النسب »

الاجر فى هذا الشأن لا يتعارض بالضرورة مع مرضاة الله ولا مع الاخلاص فى اداء الواجب الديني — الاجتماعي — فالمعلم مهما سمت نفسه وبلغ الزهد فى اعراض الدنيا ، فلابد له من مكسب يفي بحاجاته وضرورات اهله .. فكلما كان له اجر ثابت معلوم كان اصون له واشرف من الخروج الى السوق والبحث عن اسباب الرزق .. ويزداد شرفا اذا كان هذا الاجر يأتيه من مؤسسات عمومية كبيت المال (خزينة الدولة) والاوقاف .. لذلك كثرت الاوقاف فى الاسلام على أمكنة التعليم سواء الكتاتيب والمساجد والمدارس ، يوزع ريعها على المعلمين والمتعلمين والقائمين عليها .. واذا قصرت ولم تكف اخذت بقية النفقات من بيت المال (الحضارة الاسلامية لمتز) ومن أمثلة ذلك ما حكاه ابن بطوطة فى رحلته من ان ملك ايذج بالشرق كان يقسم خراج بلاده اثلاثا ويجعل الثلث فى نفقة التعليم ..

واجمالا .. فان من مميزات المعلم القرآني انه كان سامي الهمة عالي المكانة .. الى درجة تقديس الاطفال وافراد العائلة اياه .. يروون فى حقه الحديث المنسوب الى الرسول صلى الله عليه وسلم « من علمك حرفا من القرآن فهو سيدك وسيد أولادك وتلامذتك الى يوم القيامة » .. ولما قال شوقي بيته المشهور الانف الذكر لم يبق احد فى المشرق والمغرب الا وحفظه لانه عبرعن شعورهم نحو المعلم اصدق تعبير .. وجاء فى كتاب بيان العلم وفضله لابن عبد البر أن هرون الرشيد سأل جلساءه يوما : من هو اكرم الناس خدما .. فقالوا : انت ، وهب الله لك خير الخدم من عرب وعجم ، فقال: لا ، اكرم الناس خدما الكسائي ، يخدمه ابناي الامين والمامون ، فقد اشرفت عليهما بالامس ، وقد خرج الكسائي من المكتب ، فتسابقا الى نعليه ، كل منهما يريد ان يقدمهما اليه .. فهذا اكرم الناس خدما .. وفى نفس الكتاب حكاية اخرى تدل على مدى تقديس اهل الاندلس للمعلم ، وهي انه لما توفي ابو سائب معلم بقرطبة اغلقت الاسواق يوم موته وكسر نعشه تبركا بأعواده ، وكان تلامذته زهاء اربعمائة فكسروا الواحهم واقلامهم ومحابرهم حزنا عليه ، واقاموا على ذلك عاما كاملا .. ومما يدل على ما كان من عظيم احترام المعلم عند المغاربة ما جاء فى مجلة افريقيا التي كانت تصدر بطنجة بقلم الاب يوحنا تحت عنوان « العادات المتاصلة بالمغرب » ما نصه : « اعرف شخصا مسيحيا من عرب لبنان قضى فى تعليم اولاد السلطان عبد الحفيظ نحو ثلاث سنين ، كان يعلمهم خلالها اللغات الاجنبية ، وفى يوم من الايام اصبح بالعمامة والسلهام ، وتصنع أن يكون شخصا محترما ، فلما سالته عن السبب قال : ان المسلمين يقدسون المعلم ، يتبركون بسبحته ، ويتمسحون بسلهامه ، فاردت أن انعم بهذا التقديس قال الاب : فعذرته ، وقلت له : يا للعجب جئت لتعلمهم شيئا فاذا بهم علموك اشياء » .

مكافاة التلاميذ :

وعلى اي حال فان التعليم القرآني كان ميسورا ـ لا يحتاج الى عظيم كلفة ، بل هو مجاني محض ، لا يكلف العائلة كبير عناء ، بل ان بعض الكتاتيب كانت تكفل ابناء الفقراء والايتام وتقوم بنفقاتهم ، على ما ذكره الجهر شتاني فى كتابه الوزراء من أن يحيى بن خالد البرمكي اسس كتاتيب لابناء الايتام ووقف عليها ما يكفي لحاجتهم ..

وكان كذلك نجباء التلاميذ يشجعون بالمكافآت والجوائز المادية والادبية ، ذكر احمد شلبي أن المكافآت والجوائز المالية كانت منتشرة جدا .. فكثيرا ما كان مؤسسوا الكتاتيب والمدارس يجعلون لمكافأة التلاميذ حصيلة فى أوقافهم .. فكانت توزع على من حفظ كذا .. او ختم كذا .. او احسن علم كذا .. حسب شرط المحبس — كما كانت توزع من حين لآخر جوائز سنية سلطانية على نجباء الطلبة والتلاميذ .. او من أرباب الخير والاحسان .

كما أن العائلة كانت تكرم ولدها النجيب تشجيعا له وتنويها .. وتقيم حفلة عمومية يحضرها استاذه وزملاؤه واصدقاء العائلة كلما وصل الى درجة معلومة فى التحصيل ، كختم القرآن ، او تخريج ، او عودة .. من ذلك ما شاع فى بعض الاوساط كمظهرلتكريم النجباء أن يركب المحتفل به على حصان وهو يرتديأبهى الحلل ويحيط به اخوانه واقرانه ، ويسير الموكب فى الازقة وسط التهاليل والزغاريد ، وتنشر عليه الازهار .. واحيانا الدراهم .. جاء فى كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ان علي بن جلبة لما حذق بعض ما يحذقه الصبيان حمل على دابة ونثر عليه اللوز ..

ومن ذلك ايضا الحفلة المعروفة فى بعض الاوساط المغربية « بالختمة » وفى فاس تسمى « حبيبنا » لانهم ينشدون فيها قصيدة : حبيبنا ، حبيبنا ، مولاي محمد .. وهي حفلة تقام للطفل عند ختم القرآن ـ — كله او بعضه — وطريقتها اقامة حفل كبير فى دار الطفل يدعى اليه المعلم والتلاميذ والاصدقاء واهل

وهناك رواية تشير الى ان بعض المشارقة ربما اخروا! تلقين القرآن الى ان يحذق التلميذ الخط والحساب والعربية .. وهي ما كتبه ابو بكر بن العربي فى احكام القرآن : « وللقوم فى التعليم سيرة بديعة وهي ان الصغير منهم اذا عقل بعثوه الى المكتب فيتعلم الخط والحساب والعربية ، فاذا حذق ذلك خرج الى المقرىء فيلقنه القرآن سماعا ، أو فى مصحف ، فيحفظ منه كل ربع حزب او نصفه أو حزبا » — ويزيد ابن جبير هذه النقطة وضوحا بقوله « وتعلم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها انما هو تلقين (سماعا) تنزيها لكتاب الله عن ابتدال الصبيان له بالاثبات والمحو فى الالواح ..

وذلك انه بالبلاد المغربية والاندلسية شاعت عادة تعلم الكتابة والقراءة فى الالواح الخشبية التي تمحى ثم تكتب من جديد ، وكذلك كتابة حصة القرآن على اللوحة فاذا حفظت محيت بالماء ، ثم تكتب حصة أخرى وهكذا ، فرأى المشارقة ان محو القرآن بتلك الطريقة مناف لحرمة القرآن .

وما زالت طريقة الالواح هذه (بصلصالها وصماغها واقلامها القصبية) هي المتبعة فى كتاتيب المغرب ، وان اصبح بعض المعلمين يعوضونها بالمصاحف ، الا ان الاكثر يفضل الالواح على المصاحف لان حرمة المصاحف اعظم واشد ، زيادة على أن استعمال اللوح ادعى الى سرعة الحفظ والى التدرب على الكتابة وتجويد الخط ..

والقرآن مقرون دائما بالحفظ والاستظهار ، لا يكتفي معه بالفهم والسرد ، بل ان حفظه هو الاهم .. ولاسيما بالنسبة للصغير الذي ينطبع على قلبه ولسانه سريعا ، ولا ينساه مدى الحياة ما دام يكرره ويعاوده.. ومن ثمة كان الحفظ من اهم شروط التعلم عند المسلمين الاولين الذين عرفوا بغزارة الحفظ وقوة الذاكرة ، حتى انهم كانوا يعيبون الاتكال على الاوراق قال شاعرهم :

استودع العلم قرطاسا فضيعه
وبئس مستودع العلم القراطيس

وقال آخر :

ليس بعلم ما حوى القمطر
ما العلم الا ما حواه الصدر

احترام المعلم :

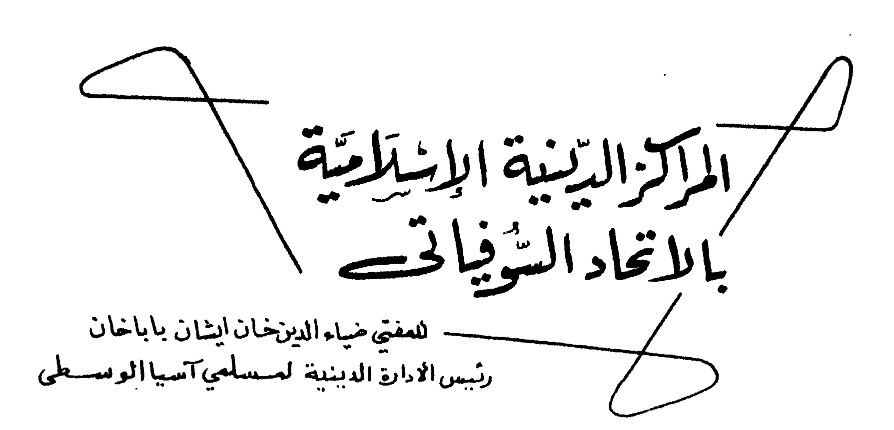
ومما يتصل بطرق التعليم القرآني وبآدابه ان المعلم كان يتمتع باحترام زائد فى الاوساط الاسلامية .. وبصفة خاصة عند تلامذته الذين كانوا يبجلونه اعظم تبجيل .. ولكي تكون تعاليمه أفيد وتربيته أوقع فى النفوس كان يتحتم عليه أن يبدأ بنفسه ، ويصلح عيوبها ويقوم اعوجاجها ، والا كان تأثيره فى الاطفال عكسيا ، يروم اصلاحهم فيفسدهم ، قال ابن المقفع فى كتابه الادب الصغير « على من نصب نفسه معلما أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها فى السيرة والرأي واللفظ ، ليكون تعليمه بسيرته ابلغ من تعليمه بلسانه » .. وفى مثل هذا المعلم قال شوقي بيته السائر :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
ارايت اشرف او اجل من الذي
يبني وينشىء انفسا وعقولا

فاذا توفر هذا الشرط فى المعلم كان حريا ان يؤثر فى تلامذته تأثيرا روحيا ونفسيا يسمو به وبهم الى مرتبة الابوة الروحية ، لذلك شاع فى الاوساط الاسلامية اعتبار المعلم المثالي ابا روحيا ، على الاطفال ان يطيعوه ويبجلوه كآبائهم سواء بسواء ، بل ان بعضهم يقول ان الاب الروحي احق بالطاعة والامتثال — كما ان على المعلم ان يعطف على تلامذته كأولاده من صلبه او اكثر ، وان يكون تعليمه وتربيته اياهم خالصة لوجه الله الكريم لا يبغي من ورائه جزاء ولا شكورا..

لذلك عالج علماء التربية المسلمون قبول الاجر عن التعليم ، هل هو جائز أم لا ، اجاز ذلك الغزالي فى تعليم المواد غير الدينية ، ومنعه اكثر العلماء اطلاقا ، لكونه واجبا اجتماعيا ، ولقوله صلى الله عليه وسلم فيما يروى : اعطوهم ولا تؤاجروهم فتحرجوهم .. ورخصوا فقط قبول الهدايا والصلات التي يتطوع بها الآباء عند العطلة الاسبوعية أو بمناسبة الاعياد وحفلات الختم .. ولا تدخل تحت شرط (مفتاح السعادة لزادة) لذلك كان اكثر المعلمين فى الصدر الاول يكسبون قوتهم من الطرق الاخرى ولا ينقطعون للتعليم الا نادرا.. وذكر حاجي خليفة فى كتابه كشف الظنون ان بعض الامراء لما احدثوا مدارس نظامية وفرضوا الاجور للمعلمين ، انكر ذلك بعض العلماء واقاموا مأتما وقالوا « كان ارباب الهمم يشتغلون بالعلم لشرفه ، ثم تشوف اليه الاخساء واصبح حرفة »..

على ان هذا تشدد فى الدين ، حملت عليه الغيرة وخوف تسرب الماديات اليه .. وقد أفتى بخلافه كثير من الفقهاء ، لقول الرسول عليه الصلاة والسلام : احق ما اخذتم عليه الاجر كتاب الله .. اذ ان قبول



المراكز الدينية الإسلامية بالاتحاد السوفياتي

للمفتي ضياء الدين خان ايشان باباخان
رئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى



ولد الاستاذ السيد مفتي ضياء الدين خان ابن المرحوم المفتي ايشان بابا خان بطشقند سنة 1908 ، وتربى تربية اسلامية على يد والده الذي كان من العلماء الافذاذ ، كما تلقى بعض المبادىء الاولية في العلوم على جده المرحوم الذي كان من كبار المدرسين والمشائخ في الطريقة النقشبندية .

ويرجع نسبه الى سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه

ترعرع السيد مفتي ضياء الدين رئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى في بيت علم ودين ، حيث حفظ القرآن الكريم ، وله من العمر ثلاث عشرة سنة ، ثم درس علوم الآلة بطشقند في مدرسة براق خان لدى مدرس عالم بالنحو والصرف والفقه ، وقد انتقل اليوم طلبة هذه المدرسة الى بخارى بعد ان صارت نظارة دينية للمسلمين بآسيا الوسطى ، كما درس علوم الحديث لدى استاذ من بلاد الشام كان قد اجازه شيخ الاسلام محمد بن ابي شعيب الدكالي المغربي بمكة المكرمة ...

وقد انتخب الاستاذ مفتي ضياء الدين خان قاضيا لجمهورية اوزبيكستان سنة 1943 ، وفي هذه السنة سافر الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج عن طريق القاهرة التي اقام بها اكثر من شهرين تلقى خلالها دروسا مع طلبة الازهر في التفسير وفنون الحديث والعلوم الانسانية

واثناء اقامته بالمدينة المنورة اجازه الاستاذ الحافظ حسن شاعر ، وقال له :

« انت ولدي ، وتلميذي بطشقند ، بارك الله فيك »

وقد انتخب سنة 1948 نائبا عن والده الراحل الذي كان متضلعا في مختلف العلوم بالعربية والتركية والفارسية

وقد رجونا من فضيلة الاستاذ السيد ضياء الدين اثناء اقامته بالمغرب بمناسبة الاحتفال بالذكرى الرابعة عشرة لنزول القرآن ان يمد مجلتنا بمعلومات عن الاسلام والمسلمين بآسيا الوسطى فتفضل سيادته بهذا الحديث القيم :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي ، لولا ان هدانا الله .

اما بعد ،

« ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين » . ويسرني جدا ، وزميلي ، ان نشارك في الاحتفال بذكرى نزول القرءان الكريم ، في المغرب ، مع من وفد اليه من شتى اقطار العالم العربي والاسلامي بدعوة موجهة الينا من امير المومنين ، الداعي الى الله ، جلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله ورعاه مع اسرته الكريمة ، واشكر الله سبحانه وتعالى على ان من علي وجعلني من الملبين لدعوة صاحب الجلالة المعظم .

وقد اسعدتني هذه المؤتمرات والمناظرات من ضمن هذه الذكرى الجليلة الفريدة في بابها في هذا العصر المرير بانظار الاعداء للقرءان والدين الاسلامي؛ وكأن الآخذ بالدين كالقابض على الجمر كما ورد في الحديث ، فضلا عن حمايته والذب عنه رغم هذه التصادمات الداخلية والخارجية .

وانني اردت ان اوضح حياة المسلمين بالاتحاد السوفياتي عموما ، وحياة المسلمين بآسيا الوسطى خصوصا ، بمناسبة حضوري لاحياء ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم في الرباط عاصمة المغرب المزدهر .

الخير ، وتقدم لهم الاطعمة والمشروبات تحت انغام الموسيقى وزغاريد النساء ، والولد فى وسط الدار فى افخر ثيابه وحوله التلاميذ وبين يديه لوحته مزخرفة بالوان زاهية يتلقى الهدايا والتهاني .. وفى النهاية يقدم الاب للمعلم هدية ثمينة ويحرر التلاميذ مدة تختلف حسب مركزه الاجتماعي ، وربما اركبوا الطفل على فرس وطافوا به فى الشوارع لزيارة بعض الاضرحة وحوله الطبول والمزامير ..

وذكر ابن زيدان فى كتاب نظم الدولة .. ان هذه العادة تتبع ايضا فى كتاتيب القصور السلطانية بالمغرب قائلا : ان الولد اذا ختم القرآن انعم السلطان على الفقيه بصلة جزيلة ، ورفع الولد لوحته على منصة وسط القصر ، ويأتي جميع من بالقصر بالهدايا الثمينة يضعونها على اللوح نقودا وثيابا ، ويقدم الجميع للفقيه وتنصب موائد الكسكس فى الكتاب وقوارير الزهر والورد ومجابر الطيب ، يحضر ذلك جميع الطلبة واصحاب الفقيه وبعض الامراء والحاشية .. كما ان الاطعمة توزع على اضرحة الصالحين وعلى السجون ..

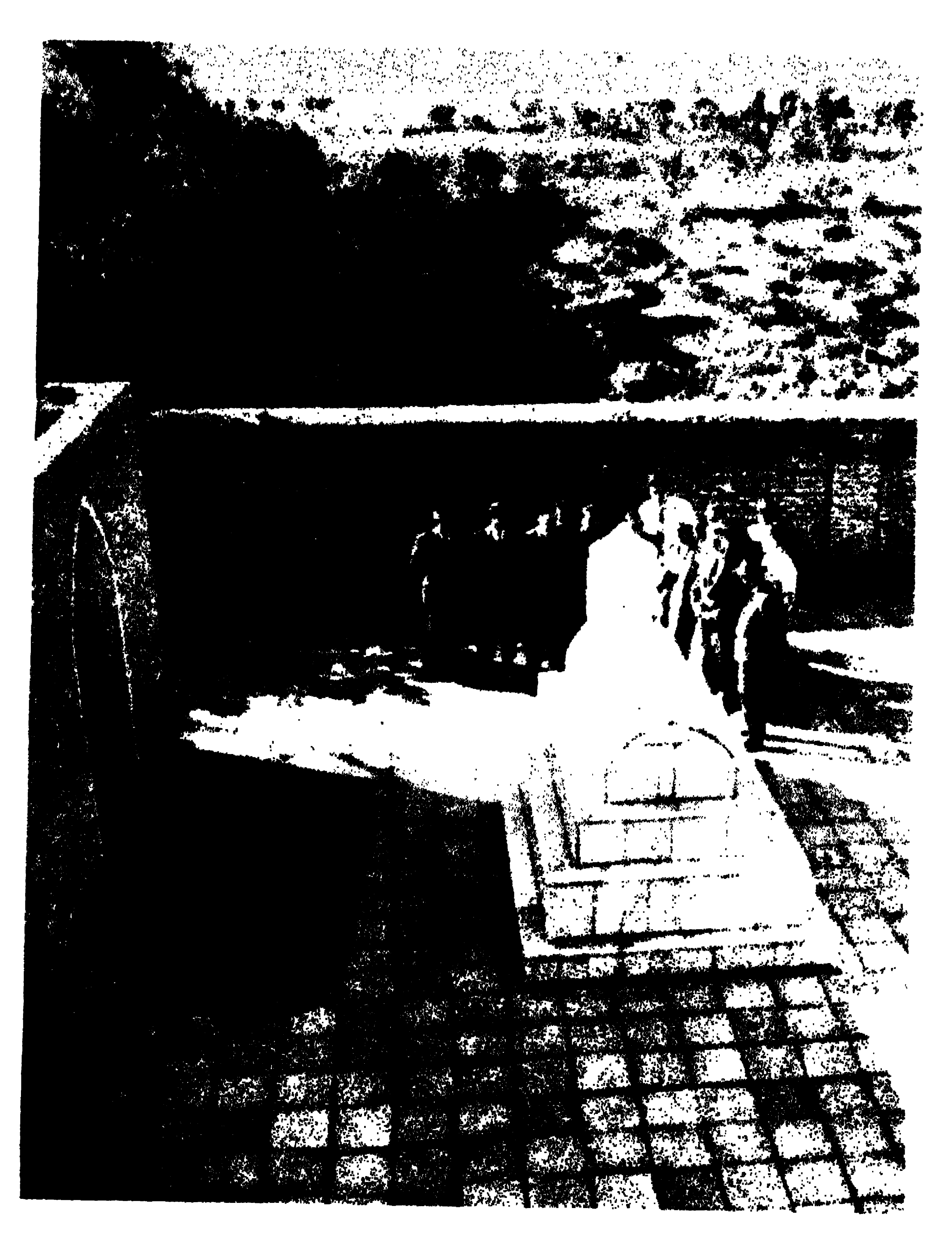
وقال ابن زيدان — وهو من الامراء — انه هو نفسه لما ختم القرآن فى صغره ذهب بلوحه الى السلطان مولاي الحسن الاول يطلب منه الختمة — على العادة — قائلا « وكان لوحي مكتوبا بخط المعلم » فأنكر ذلك السلطان وقال « هذا غش لا ينبغي ، لماذا لا تكتبون الواحكم بأيديكم ، فسألوم الفقيه » .. قال : ونفذ لي ما ادفعه للفقيه ..

وهذا تقليد نبيل ، وكم له من مثيل ، فى هذه الديار ، وفى سائر الاقطار ، حيال التعليم القرآني الذي نرجو ان يعود اليه مجده الغابر بفضل عناية أمير المؤمنين مولانا الحسن الثاني ناصر الملة والدين وباعث الامجاد ، وملحق الاحفاد بالاجداد ..

الرباط — رضا الله ابراهيم الالفي

« ففي اطار ديننا الاسلامي السمح سنصوغ كل عمل وكل اصلاح ، لان المكاسب الدنيوية ليست غاية فى حد ذاتها ، لانها مكاسب محدودة أما المكاسب الروحية فليست لها حدود لانها هي الوجود » .

جلالة الحسن الثاني



ضريح الامام محمد بن اسماعيـل البخـاري خارج سمرقند

ففي الاتحاد السوفياتي ست جمهوريات ؛ والمقاطعات التي يسكن فيها المسلمون هي جمهورية اوزبيكستان ، وفازاعيشان ، تافيكستان ، فيرغيرستان وتركمانيستان واذربيجان .

والمقاطعات التي تضم اكثر المواطنين المسلمين هي الشارسنان وباشقرية وداغيفال ، كما أن هناك مناطق اسلامية تضم خليطا من المسلمين وغير المسلمين ، والمقاطعات التي تؤلف المسلمين فيها اغلبية السكان هي القرم وشمال القوقاز وشركس وانبكوش، ويوجد هناك من المساجد الكبيرة والمساجد الصغيرة كما يعيش فى الاتحاد السوفياتي عدد لا بأس به من العرب والاكراد فى شتى البلاد ...

وفى هذه الجمهوريات والمقاطعات والمناطق مراكز دينيةمستقلةومنفصلة عن الحكومة،يعنيانها لا تتدخل فى شؤونها الداخلية ولا تمونها بنقود ، بل بتبرعات المسلمين الذين تعودوا منذ زمن بعيد اخراج الصدقات، الفريضة والنافلة ، للعلماء والائمة بعد تأميم الاوقاف من قبل الحكومة السوفياتية ، واصدرت توصيات وارشادات عن هذه المراكز الدينية لجميع المسلمين ، هناك تقديم المساعدات لاحياء الدين الاسلامي واقامة شعائره فى ارجاء الاتحاد السوفياتي فى صناديق المساجد التي تتبع مركزا من المراكز الدينية كما هو معروف للوفود الكرام الذين شاهدوا بام اعينهم حين زيارتهم بدعوة من بعض هذه المراكز الدينية او بدعوة من الحكومة السوفياتية .

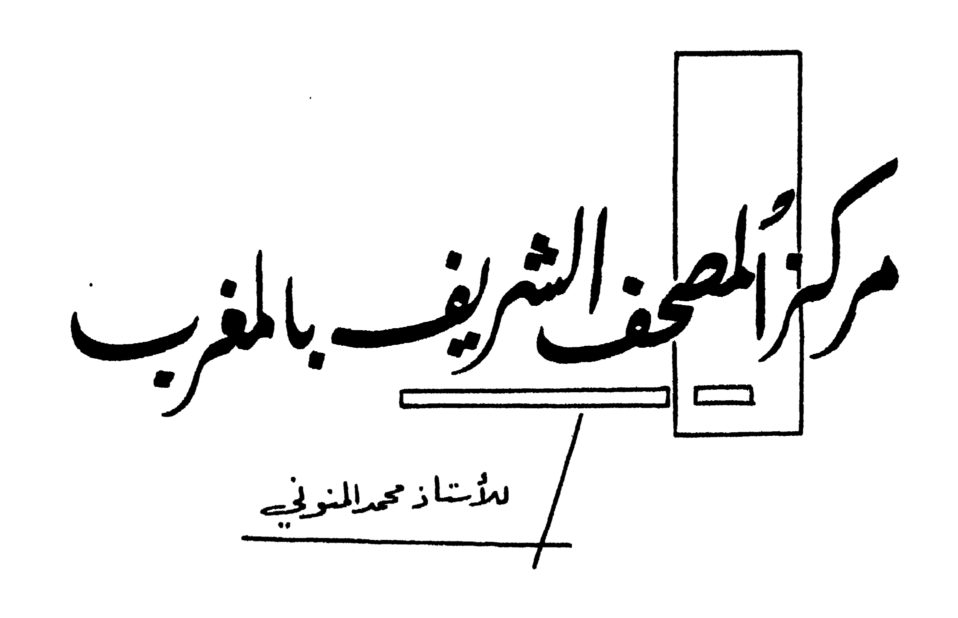
وفيما يلي تقسيم المراكز الدينية الاسلامية :

المركز الديني الاسلامي الاول والقديم ، هو مركز النظارة الدينية للمسلمين فى بلاد سيبريا والقسم الاوربي وما يتبعه من انشاريه والباشقسريه ومن يقطن فى المدائن الاوربية فى موسكو ولينفراد وكوركي ولينوبيا واسطانيا وغيرها من البلاد فى القسم الاوربي ، وهذا المركز الديني الاسلامي فى عاصمة باشقيريه فى بلدة اوقار رئيس المركز الملقب بمعنى شاكر جلال الدين ابي شيخ الاسلام .

والمركز التاني للدين الاسلامي هو بآسيا الوسطى، هناك خمس جمهوريات اوزبيكستان ونافيكستان وفاراغستان وفرغرستان وتوركمانستان المسمى النظارة الدينية للمسلمين بآسيا الوسطى او ما وراء النهر اوتركيستان باسم هذه الثلاث تضم خمس جمهوريات المذكورة انفا ، والمركز الديني الاسلامي فى عاصمة اوزبيكستان طشقند معناها بالعربية مدينة الاحجار لاجل جريان انهارها المشهورة جيحون وسيعون وفرجيف وكاكيطاووس الاحجار من الجبال المحيطة بها واسمها القديم فاح باللغة المغولية ، وبدلها العرب لما فتحوا هذه البلاد سنة خمس وخمسين من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة تحت قيادة سعيد بن عثمان رضى الله عنه والتصحيح باسم شاشن ، وهؤلاء العلماء القدامى الذين خرجوا منها ينسبون بالشاش مثله الامام الكبير محمد بن اسماعيل القفال الشاش صاحب محاسن الشريعة وولده ابو القاسم الشاش صاحب التهذيب ونظام الدين الشاش صاحب اصول الشاش وابو الهيثم كليبا بن سعيد الشاش صاحب المسند فى مجلدين ، والمشهور بمحدث ما وراء النهر ، ومن اولياء الله المشهورين عبيد الله خواجة اضرار الطاشكندي من خلفاء بهاء الدين السمرقندي وخواج زين الدين الشاش ابي شهاب الدين السهرودي وشيخ خواوند ظهور الطاشكندي ابي شيخ عمر الفاغستاني قرية من قرى طاشكند ، وقد انجبت كثيرا من العلماء واللغويين مثل صاحب صحاح الجوهري الشاكتي ، وهذه ايضا قرية من قرى طاشقند والحافظ محمد كوهه كي هي قرية من قرى طاشقند ... وجمهورية اوزبيكستان تضم كثيرا من البلاد الاسلامية التاريخية ، مثلا سمرقند ونجارا وفرغانة وترمذ ونسف وخوارزم وفيها قبوه ومرغتان وغيرها من البلاد المعلومة المثبتة فى التاريخ بآثرها وعلمائها وصناعتها وزراعتها وفواكهها وجلودها وقطنها وحريرها ؛ والقاطنون فيها تسعون فى المائة مسلمون متمسكون بالديانة الاسلامية على مذهب الحنفي اسما ، والعاملون بالكتاب والسنة رسميا بدستور المركز الديني الموقع فى انتخاب قادتها ، وابو العبد اشرف عليها .

والمركز الثالث الادارة الروحانية للمسلمين فيما وراء القوقاز بآذربيجان ، وفى المناطق فى جورجيا وارمينية،والمذهب الشائعفى هذا المركز شيعيجعفري، وفى البلاد التابعة لها كثير من السنيين ، وللشيعة شيخ الاسلام ، ولاهل السنة مفتي الاسلام ، والادارة الروحانية فى عاصمة اذربيجان هذه باكو .

والمركز الرابع الادارة الدينية الاسلامية للمسلمين فى مقاطعات داغستان وابنكوش وجيعن وقرم تتار واستين وقياردي وغيرها من المناطق الصغيرة الاخرى التابعة لهذه الادارة الاسلامية ، ومركزها فى مقاطعات داغستان فى بلدة نبحورخان شورا الذي خرج منها الشيخ عبد القادر شامل المجاهد الكبير .



مركز المصحف الشريف بالمغرب

للأستاذ محمد المنوني

اولية المصحف الشريف بالمغرب ــ ملوك ورؤساء ينتسخون المصحف او يسهرون على كتابته ــ مغاربة خطاطون مصحفيون ــ انشاء خزائن للمصاحف ــ وقف الهبطي ــ بضعة مصاحف نموذجية.

من الطبيعي ان تكون عناية المغرب بالمصحف الشريف، اولى مظاهر استقرار الاسلام بهذه البلاد، وقد كان فى دعاء الامام الفاتح : ادريس الثاني بعد بناء مدينة فاس : « اللهم انك تعلم اني ما اردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة، ولا سمعة ولا مكابرة، وانما اردت ببنائها ان تعبد بها **ويتلى بها كتابك** (1) . . . ».

ويظهر ان من اوائل المصاحف التي عرفت بالمغرب : **« مصحف عقبة بن نافع الفهري »**، الفاتح الاول لهذه البلاد، وقد استمر متداولا بالمغرب الى ان صار للسعديين، حيث ورد ذكره ايام ابي العباس احمد المنصور، بمناسبة اخذ البيعة لولي عهده محمد الشيخ الملقب بالمامون، ثم جاء ذكره ايام السلطان العلوي المولى عبد الله بن السلطان المولى اسماعيل، لما بعث به هدية ــ ضمن مجموعة من المصاحف الكريمة ــ الى الحرم النبوي الشريف، وفي هذا يقول الزياني فى « البستان » فى سياق حوادث عام 1155 هـ :

« ولما سافر الركب النبوي وجه معه السلطان المولى عبد الله ثلاثة وعشرين مصحفا ــ بين كبير وصغير ــ كلها محلاة بالذهب، منبتة بالدر والياقوت، ومن جملتها « المصحف الكبير العقباني »، الذي كان الملوك يتوارثونه بعد المصحف العثماني، وهو مصحف عقبة بن نافع الفهري، نسخه بالقيروان من المصحف العثماني، فوقع هذا المصحف بيد الاشراف الزيدانيين يتداولونه بينهم (2)، الى ان بلغ الى السلطان المولى عبد الله المذكور، فغربه من المغرب الى المشرق، ورجع الدر الى صدفه، والابريز الى معدنه .

(1) « روض القرطاس » ط . ف، 1305 هـ ــ ص 29، و « زهرة الاس » ط المطبعة الملكية بالرباط ــ ص 26 .

(2) عبارة « الاستقصا » فى ترجمة السلطان المولى عبد الله : « وبقي متداولا بين اهل المغرب الى ان وقع بيد الاشراف السعديين » ــ ط . دار الكتاب، ج 7 ص 159 .

واما حياة المسلمين بآسيا الوسطى : ففيها النظارة الدينية الاسلامية التي اشرف عليها حالا ، ولله الامر من قبل ومن بعد ، فلله الحمد ، فهم فيها من التمسك بالدين ، ومن ممارسة شعائرهم فى البلاد والقرى بلا تدخل ولا خلل من الحكومة الحالية ، وفيها من المساجد ما يزدحم معه المسلمون اكثر من خمسة آلاف او ستة آلاف فى طشقند وسمرقند وبخارا وفرغانة ، ويقيمون صلاة الجمعة والعيدين بعشرات الآلاف من المسلمين والمسلمات والشباب ، ويؤذن المؤذن بالمنارات القديمة البناء ، ويؤدي المسلمون المراسم الدينية ، والحفلات في الختان ، وعقد النكاح ، وعقيقة الموالد خصوصا ، ويعتنون فى الميلاد النبوي بالمساجد والبيوت تبركا بقراءة مولد البرنجي الجعفري ؛ وعقد النكاح يعقد من قبل امام الحي بعد تسجيل العروسة والعريس فى سجل الحكومة ، ويصدق صداقهن على قدر الخطيب او والده ، بل المغالاة فى المهور شائعة فى اكثر بلاد ما وراء النهر .

وفى كل البلاد عدة مساجد جامعة لاقامة الجمعة والعيدين ، واما المساجد الصغرى فكثيرة فى خارج البلدة المركزية وقراها ، والاحكام الشخصية تشرف عليها دار الافتاء او نائب المفتي فى البلاد الشاسعة . وبناء المساجد وتجديدها وترميمها من قبل المسلمين يتم بعد ما يشرف عليها المفتي او نائبه لصلاحية المكان ، واخذ الاتفاق من المسلمين القاطنين او البعيدين من المكان ، وائمة المساجد على قدر وسعهم وغيرتهم يرشدون المسلمين بالمواعظ الحسنة فى كل المحافل والمساجد .

واما وظائف النظارة الدينية الاسلامية للمسلمين بآسيا الوسطى التي اشرف عليها فهي تخدم مصالح المسلمين وما ذكر من المراسم الدينية والاحكام الشخصية ، ولديها من الموظفين ما يبلغ عددهم اكثر من ستمائة موظف ديني من النواب والقضاة والمفتشين والائمة الكبار والمتصدين فى المساجد للترميم والنظافة ، ورواتب تعد كلها من قبل النظارة الدينية على قدر وظائفهم .

ولديها ايضا قسم للعلاقات بالمنظمة الاسلامية العربية والاسلامية للمسلمين بالاتحاد السوفياتي وادارة هيئة التحرير .

وتشرف ايضا على المدرسة الدينية فى بلدة بخارا وترسل بعثة من الحريصين منها الى الجوامع الاسلامية فى الخارج ، وترسل كل عام من الحجاج عددا لا بأس به الى الحج ، وترسل بعثات من الائمة والقراء واهل الصلاح من المسلمين للتجول فى البلاد العربية والاسلامية ، وتدعو من البلاد العربية والاسلامية وفودا للتعارف مع اخواتهم المسلمين فى الاتحاد السوفياتي والاتصال بهم عن كثب .

ولديها من النشرات : القرءان الكريم ، والاثار الاسلامية ، والتقويم الهجري ، والفتاوي ، ورسائل في سرد البدع ، والخرافات الدخيلة على الدين الاسلامي .

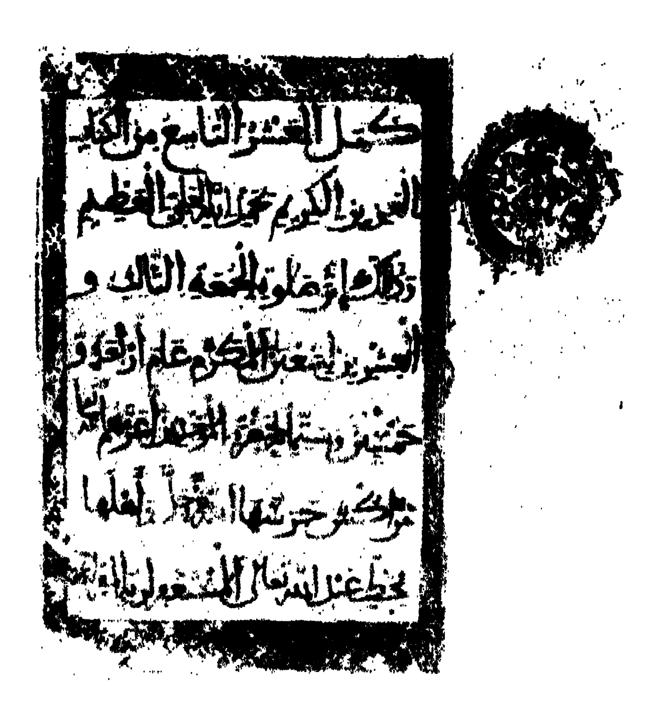
ولديها فى المكتبة الجامعة اكثر من خمس وعشرين الف مجلد ، من كتب التفسير ، والحديث والتواريخ ، والفقه ، والادبيات العربية والفارسية والتركية ، والسير ، والشريعة ، وطبقات العلماء فى الحديث ، والفقه والادب ، وكثير من اللغات العربية والفارسية والتركية المحلية ، ولها صندوق فى بنك الدولة ، لا حق لاحد ان ياخذ شيئا منه الا بعد توقيع العبد المفتي للمسلمين بآسيا الوسطى وقازاغستان ، ولها ميزانية كل سنة تعين من قبل المفتي والنواب والمرشدين لهذه النظارة الدينية للمسلمين بآسيا الوسطى وقازاغستان .

وانا سعيد جدا بان اكتب الى المجلة الغراء ، دعوة الحق ، جملا كثيرة ولكن الاحسن ، ما قل ودل ، واني اعتقد انه ينشر من لدن النظارة الدينية للمسلمين بآسيا الوسطى وقازاغستان مجلة دينية عن قريب وتتيسر المبادلة من النشرات بين ادارة « دعوة الحق » وادارة التحرير لدى النظارة الدينية بطشقند ، فيلتف حولها ما يقر به العيون، ويثلج به الصدور ان شاء الله. داعيا من المولى الكريم جل عزه ، ان يكلل خدمات دعوة الحق بالنجاح والقائمين على اعمالها بالصحة والعافية من كل شر وبلاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

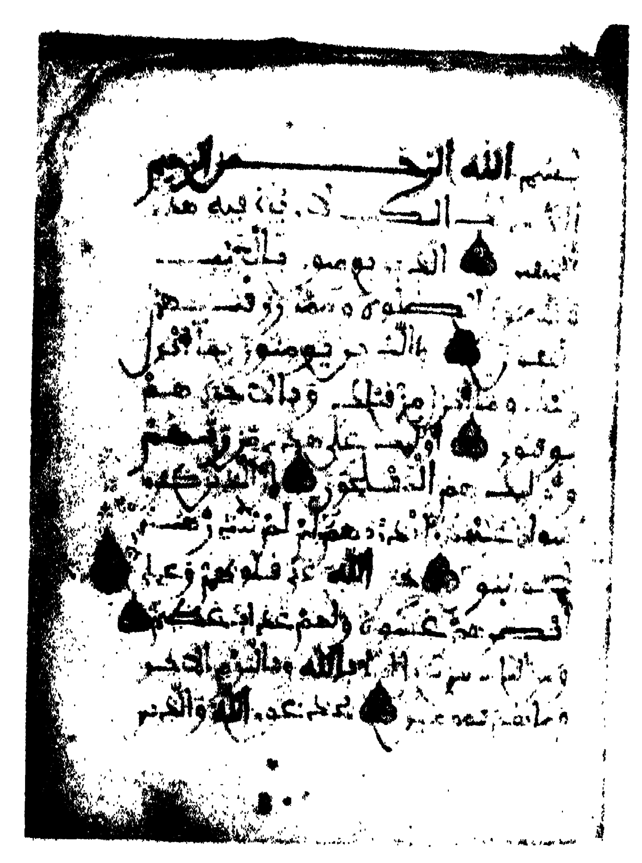
ضيفكم المخلص رئيس المسلمين بآسيا الوسطى وقازاغستان ، المفتي ، ضياء الدين خان ايشان بابا خان



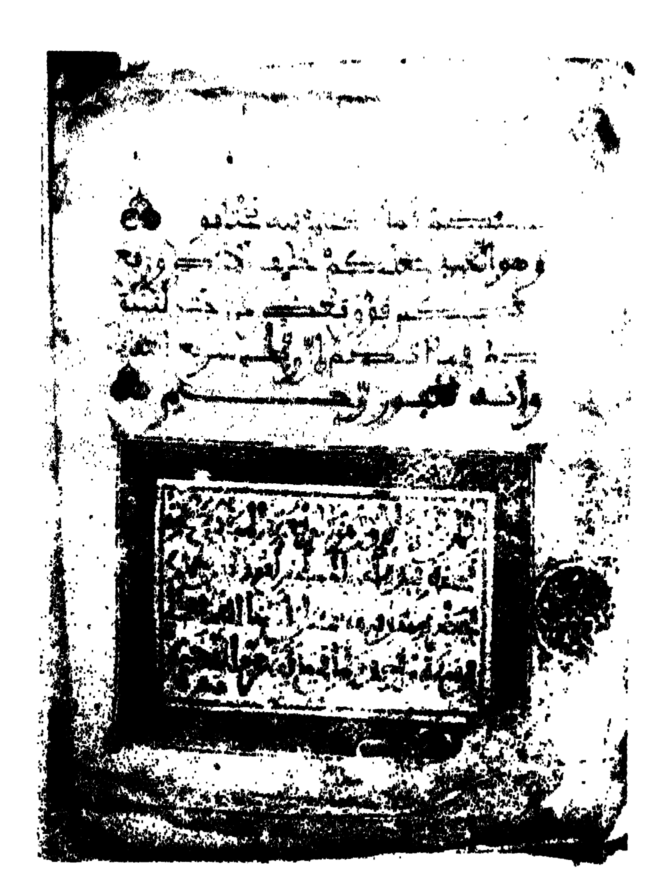
خاتمة العشر الثاني من ربعة المرتضى الموحدي
خ . ع ، ج 658



خاتمة العشر التاسع من ربعة المرتضى الموحدي
مجلة هسبريس ، سنة 1954 م ، 3 – 4



صفحة من ربعة ابي زيان : الجزء الاول
خ . ع ، د 1330



صفحة من ربعة ابي زيان : الجزء الاول
خ . ع ، د 1330

قال الشيخ المنساوي : وقد وقفت عليه حين امر السلطان المولى عبد الله بتوجيهه الى الحجرة النبوية ، وظهر لي ان تاريخ كتبه بالقيروان فيه نظر ، لبعد ما بينهما (3) » .

وقد اشتهر ايام الموحدين واواسط دولة المرينيين « المصحف العثماني » ، الذي يقال : انه احد المصاحف التي بعث بها الخليفة الثالث ، عثمان بن عفان ــ رضوان الله عليه ــ الى الامصار ، وكان بجامع قرطبة من الاندلس ، ثم نقله الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي الى مدينة مراكش عام 552 هـ / 1158م ، حيث استمر عند الموحدين موضوع تجلة واحترام ، الى ان صار أواخر ايامهم لبني عبد الواد بتلمسان ، ثم استخلصه منهم ابو الحسن المريني (4) .

ووهم الناصري (5) ، فذكر انه غرق فى نكسة الاسطول المريني عام 750 هـ / 1349 م ، والواقع انه بقي على قيد الوجود الى اواخر أيام ابي عنان وبعدها ، حسب شهادة شاهد عيان ، وهو ابو اسحاق النميري (6) ، الذي يذكر عن موكب لابي عنان عام 758 هـ / 1357 م : انه تقدم بين يديه قبتان : الاولى فيها مصحف الخليفة عثمان بن عفان ، الذي هو اعظم ذخائر المغرب ، واشرف ما استقر بقصره المعجب المغرب ، ويوخذ من « المسند الصحيح الحسن » (7) : ان وجود هذه الذخيرة استمر حتى أيام ابي فارس : عبد العزيز المريني الاول 767 ــ 774 هـ / 1366 ــ 1372 م ، فقد اكد هذا المصدر : « ان المصحف العثماني » استمر بقاؤه فى دار ابي الحسن المريني وعلى ملك اولاده وفي خزائنهم ، يجرون فيه على المعتاد » ، ومعلوم ان ابن مرزوق كان يشتغل بتاليف المسند الصحيح الحسن ايام ابي فارس المذكور (8) ، ثم ها هو ابن خلدون يؤكد استمرار هذا

---

3) « الاستقصا » فى دولة الموحدين ــ ج 2 ص 130 ، هذا ويوجد بمعهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة فيلم لمصحف شريف بخط مغربي ، كتبه خديج بن معاوية بن سلمة الانصاري سنة 47 هـ بمدينة القيروان ، برسم الامير عقبة بن نافع الفهري « فهرس المخطوطات المصورة » ج 1 ص 1 ــ 2 ، فان كان هذا هو مصور المصحف المغربي الذي نتحدث عنه فستظهر ــ جليا ــ حقيقة ملاحظة المنساوي ، ويتبين انه يعني ان تاريخ كتابته (47 هـ) سابق على تاريخ بناء القيروان الواقع عام 50 هـ حسب الاستقصا ج 1 ص 77 .

4) ان الحديث عن هذا المصحف العثماني يتناول وصفه وتحقيق خطه ونسبته لعثمان ، ثم التحسينات التي افرغها عليه الموحدون ، ووصف هيئة بروزه فى مواكبهم، وما قيل فيه من الاشعار ، مع ما طرا عليه من التنقلات ، وهيئة بروزه فى المواكب المرينية ، وهذا ما يتطلب دراسة مطولة ، وساقوم بها ــ باذن الله سبحانه ــ مهما سنحت الفرصة ، غير انه من المرغوب فيه ان نذكر هنا طائفة من المصادر التي تحدثت عن هذا المصحف ، وهي :

1 ــ « تاريخ المن بالامامة » ، لابن صاحب الصلاة ، تحقيق الاستاذ الفاضل عبد الهادي التازي ، نشر دار الاندلس ، لبنان ــ ص 439 ــ 440 و 445 .

2 ــ « المعجب فى تلخيص اخبار المغرب » للمراكشي ، مطبعة السعادة بمصر ــ ص 166 .

3 ــ « الذيل والتكملة » لابن عبد الملك المراكشي ، ج 1 ، مخطوط الكتبة الملكية بالرباط ، رقم 269 ، ص 77 ــ 85 ، و « ج » 5 ، خ ، ع ، د 2647 ، لوحة 552 وما بعدها ، مع الاحالة هنا على تراجم اخرى .

4 ــ « البيان المغرب » لابن غازي ، نشر معهد مولاي الحسن بتطوان ، ج 3 ص 471 ــ 472 .

5 ــ « فيض العباب » للنميري ، مخطوط المكتبة الملكية بالرباط رقم 3267 ــ ص 85 .

« المسند الصحيح الحسن » لابن مرزوق ، خ ع ، ق 111 ، الباب 52 ، الفصل 2 .

7 ــ « العبر لابن خلدون » ، مطبعة بولاق بالقاهرة ، 1284 هـ ، ج 7 ص 82 ــ 83 .

8 ــ « نظم الدرر والعقيان ، فى بيان شرف بني زيان » لمحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ، مخطوط المكتبة الملكية بالرباط ، رقم 5210 ، ج 1 ورقة 51 .

9 ــ « نفح الطيب » للمقري ، المطبعة الميرية 1279 هـ ، ج 1 ص 287 ــ 293 .

10 ــ « الاستقصا » للناصري ط ، دار الكتاب ، ج 2 ص 126 ــ 129 .

5) الاستقصا ج 2 ص 129 .

6) « فيض العباب » ، المخطوط الآنف الذكر ــ ص 85 .

7) الباب 52 ، الفصل الثاني .

8) هذا يوجد فى مواضع من الفصل السابع من الباب 55 .

فى ذلك قول الاستاذ الشهير ، ابي الحجاج يوسف الطرطوسي ، وعلق بحفظي من كلمته بيتان ، وهما :

يا مصحفا ما راى الراءون فى زمن
شبها لـه مصحفا من نسخ سلطان
فضيلة مثلها فى الدهر ما عرفت
من عهد عثمان الا لابن عثمان

ووجهت الربعة المذكورة ـ صحبة من تقدم ذكره فى فصله ـ الى المدينة شرفها الله تعلى ... وهي ـ الان ـ مستقرة بالحرم الشريف النبوي ، ادام الله بركة الانتفاع بها ، واعان خدام المقام العلي المولوي العزيزي (14) ـ ايده الله ـ على التنبيه على تفقدها ، والازدياد من التحبيس عليها ، وعلى المكية والقدسية ، فبالانتفاع بالتحبيس عليها تدوم العناية بها .

وقد رايت بمكة ـ شرفها الله ـ المصحف الذي بعثه عمهم المولى ابو يعقوب بخط ابن حسنين ، وكان وجهه محلى بالذهب المنظوم بالجواهر النفيسة ، فانتزع ما عليه ، وبقي فى « قبة الشراب » (15) يقرؤ فيه احتسابا ، وقد قرات فيه فى اعوام ...

ثم نسخ « ابو الحسن » الربعة الكريمة التي توجه بها الفقيه ابو الفضل محمد بن عبد الله بن ابي مدين العثماني ، سنة اثنين واربعين وسبعمائة (16) ، واصحبها هدية حافلة ، وصلات لاهل الحرمين ، واشترى ما حبس عليها ، وحبس بفاس ربعا خاصا بها ، واسند النظر فيه لمن عينه كذلك ، وهو الان على ما هو عليه ، وهذه الربعة احوج لان يحبس على قراءتها، فان التي بالمدينة استقر على القراء فيها حبس بظاهرها، واولى ما صرفت اليه العناية اشتراء املاك بالشام او بالقاهرة برسم التحبيس عليها ، اجراها الله فى صحف اعمال مولانا ابي فارس ، وضاعف ثواب ذلك لـه .

ثم نسخ ـ رضي الله عنه ـ الربعة الكريمة التي توجه بها ابو المجد بن ابي عبد الله بن ابي مدين ، وعثمان بن يحيى بن جرار ، واصحبها ـ رضي الله عنه ـ كذلك هدية كبيرة ، وصلات للمجاورين جمة ، للمسجد الاقصى ، واستقرت به ، وذلك سنة خمس واربعين ، وحبس عليها كذلك .

ثم شرع فى نسخة برسم الخليل ، فوصلنا الى تونس ـ حاطها الله تعلى ـ حين قدمنا صحبته ، ولم يبق منها الا عدة اوراق وبقية تذهيب وضبط ، وتقدمت بها من باجة الى تونس ، وشرعت فى جمع المسفرين لها وتقدم معي ابو القاسم بن ابي طلاق ، فجمعنا الناس لتكملة الضبط ، وكان احمد الرياحي المعروف بابن الزمال قد خرج بالركب ، وكنت تعينت لمصاحبتها ، فلما طال فيها العمل وضاق الوقت لتوجه الركب ، واستقر مولانا ـ رضي الله عنه ـ بتونس ، وقعت المفاوضة فى ذلك ، فأشار ـ حينئذ ـ بعض من سمح الله له ورحمه ، بتاخير توجهها فى الوقت حتى تتعين هدية من تونس ويستعد لذلك بركب يناسب ، وتعلل بضيق الوقت عن توفية الفرض ، ولم يزل يبذل فى ذلك جهده حتى وقع العزم على ذلك ... فبقيت بتونس الى ان استخلص منها المولى ابو عنان ما استخلص ، وتمم ما تمم ، وتعرفت الان ان اشتغال مولانا المؤيد ابي فارس بتكميلها (17) » .

هذا كلام ابن مرزوق عن هذه الربعات المرينية الموقوفة على المساجد الثلاثة المعظمة وعلى شالة ، وعددها خمسة باعتبار ربعة يوسف المريني فى العد ، فاذا اضيف لها ربعة مقام الخليل ـ التي لم تكمل ـ يصير المجموع ستة ، ولا يعرف منها اليوم سوى ربعة المسجد الاقصى (18) ، حسبما نذكره بعد ، كما سنتحدث عن مصحف خزانة ابي العباس احمد المنصور السعدي ، والمصحف المكتوب برسم الامير العلوي المولى علي حفيد السلطان المولى اسماعيل .

* * *

وقد وازى هذه العناية الملكية بكتابة القرءان الكريم ، اهتمام شعبي تمثل فى نبوغ خطاطين مصحفيين ، ونذكر منهم على سبيل المثال :

---

14) يقصد السلطان المريني عبد العزيز الاول .
15) يذكر ابن بطوطة ان قبة الشراب تلي قبة زمزم ، وبابها الى جهة الشمال ، وبها اختزان المصاحف الشريفة والكتب التي للحرم الشريف ـ « تحفةالنظار » ، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر عام 1377 هـ ـ ج 1 ص 84 .
16) هذ الربعة بعث بها ابو الحسن للحرم المكي المعظم .
17) لعل تكميل هذه الربعة هو الذي عناه ابن الخطيب لما ذكر عن ابي فارس هذا اشتغاله بانتساخ القرءان الكريم ، حسب « رقم الحلل وشرحها » ، ط ، تونس ـ ص 86 و 107 .
18) لايزال هناكاحتمال بوجود هذه الربعات الضائعة او بعضها بالاستانة ، حيث صار اليها عدد من مخطوطات الحرمين الشريفين .

الاثر الى زمن تاليف العبر ، ويقول فى صدد الحديث عنـه : « وهو لهذا العهد فى خزائن بني مريـن (8) » وقد كان هذا المؤرخ ءاخـر من تحدث عن بقـاء هذا المصحف العثماني ، وبعده ينقطع الخبر عنـه بالمرة .

* * *

ومن الجدير بالذكـر ان يكون عدد من ملـوك المغرب وبعض رؤسائه يقتطعون من اوقات اعمالهـم فترات ، يشتغلون فيها بنسخ المصحف الشريف ، أو يتولون الاشراف على كتابته ، وهكذا عرفت مصاحف مغربية من هذا الطراز ، وكثرت فى الفتـرة المرينيـة بصفـة خاصـة .

فهناك مصحف يقال انه بخط محمد المهدي بـن تومرت مؤسس دولة الموحدين ، وقد كان دون المصحف العثماني فى الحجم (9) ، ومحلى بالفضة المموهة بالذهب، وكان يتقدم مصحف عثمان فى المواكب الموحدية (10) ، ويعتبر ــ الآن ــ ضائعـا .

وياتي ــ بعد هذا ــ الربعـة (11) التي خطهـا ــ بيمينه ــ ابو حفص عمـر المرتضى ، من اواخـر الخلفاء الموحدين ، وسنتحدث عنها بعد .

وفي العصر المريني ازدهرت هذه الظاهرة ، فكان ابو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينـي اشرف على كتابة ربعة قرءانية رائقة الصنعة ، وبعث بها هدية للمسجد الحرام بمكة المكرمـة ، صحبة ركب الحجاج المغربي عام 703 هـ \ 1304 م . (12)

وجلا فى هذا الميدان ابو الحسن المريني ، حيث نسخ بخط يده اربع ربعات قرءانية ، وشرع فى الخامسة فلم يتمها ، ثم كتب بعضا منها ــ على التوالي ــ كل من ولديه ابي عنان وابي فارس الاول ، وقد تحدث عن هذا فى « المسند الصحيـح » فى باب على حـدة (13) ، وسنقتطف من فصلين منه فى هذا الصدد ، فقد جـاء فى الفصل السادس :

« كان داب امامنا رضي الله عنه : « ابي الحسن المريني » العكوف على نسخ كتاب الله ، فى الزمن الذي يخلو له من النظر فيما طوقه ... وكان قد اكد عنـده هذا العمل ما منحه الله تعلى من اجادة الخط المصحفي، وكان قد اخذه عن كاتب وقته ، المنفرد بتجويد هـذا الخط فى عصره : « النجللي » ، وكان قد بلغ فيه الغاية، فتعلم منه اصوله حتى صار خطه يختلط بخطه ، رحمة الله عليهمـا ...

وجاء فى الفصل السابع : كان ــ رضي الله عنه ــ قد كتب الربعة التي حبسها بشالة ابتـداء ، ولما ورد عليه كتاب صاحب مصر ــ حسبما قدمناه ، وعزم على ان يبعث ام ولد ابيه حين توفيت والدته رضي اللـه عنهما ، وكانت هذه بمنزلتها عنده ــ كتب هذه الربعة المدنية ، برسم ان يوجهها الى مدينة النبي صلى اللـه عليه وسلم ، وقد تقدم ذكر ما وجه برسم شراء الربع، برسم سدنتها والقراءة فيها ، فلما اكملها فى شهر ربيع الاول من سنة اربعين « يعني بعد سبعمائة » ، جمـع الفقهاء لقراءتها وتفقد ما تعذر من ضبطها ، ــ وذلـك حين تعين الركب المتوجه صحبتها ــ فى القبة الكائنـة بروض القائد هلال بضفة وادي سطفسيف شرقـي تلمسان المحروسة ، وكان تمام ذلك يوم الجمعة قبـل الصـلاة ...

ولـما حضرت ليلة المولد ضمن شعراء الحضـرة هذا المعنى فى قصائدهم المولديات ، وكان مما استحسن

---

8) مكرر ــ العبـر ج 7 ص 83 .
9) فى الذيل والتكملة ج 1 ، المخطوط السابق الذكر ــ ص 83 : ان طول المصحف العثماني دون الشبر .
10) تاريخ المن بالامامة ص 439 ، وفي المعجب ــ ص 166 ــ انه كان يسير خلف المصحف العثمانـي ، وهـو المناسب .
11) فى شرح دلائل الخيرات لابي حامد محمد العربي الفاسي : « ان المراد بالربعة صندوق مربع الشكـل من خشب ، مغشى بالجلد ، ذو صفائح وحلق ، يقسم داخله بيوتا بعدد اجزاء المصحف ، يجعل فـي كل بيت منه جزء من المصحف ، واطلاقها علىالمصحف مجاز » ، وقد شا عاستعمال هذا الاطـلاق الاخير فى المصحف المكتوب فى اجزاء والموضوع فى ربعة ، وسنجاريه فى هذه الدراسة ، ونخص اسـم المصحف بالمكتوب جميعه فى سفر واحد .
12) انظر عن هذه الربعة : محمد المنوني ، « علاقاتالمغرب بالشرق فى العصر المرينـي الول » ــ مجلـة « دعوة الحق » ، العدد الخامس ، السنة الثامنة ، ص 62 ــ 63 .
13) البـاب 55 .

« واما خزانة المصاحف التي جعلها مولانا المتوكل ابو عنان ـ رحمه الله ـ فى قبلة صدر هذا الجامع ، فانه صنعها لما سهله على الناس من تلاوة القرءان ، فى الوقت المتخير من الازمان ، بأن اعد فيها جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط البهية ، الجميلة السنية ، واباحها لمن اراد القراءة فيها ، بعد أن كتب على كل جزء منها بخط يده بتوقيفها مدى الاعوام ، والليالي والايام ، وعين لها من ينفرد باخراجها من هذه الخزانة وابرازها ، وردها لصيانتها فى موضعها واحرازها ، وذلك عند الفراغ من حاجات الناس اليها ، فلا يبدل ذلك ولا يغير الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، واجرى له جراية ، واوسعه كرامة ورعاية ، وتم عملها فى شهر شوال ، سنة خمسين وسبعمائة » .

ولا تزال ـ حتى الآن ـ وقفية ابي عنان تتوج هذ الخزانة فى الصيغة التالية :

« الحمد لله وحده ، أمر بعمل هذه الخزانة السعيدة مولانا امير المومنين ، المتوكل على رب العالمين ، عبد الله فارس ، ابد الله امره ، واعز نصره ، بتاريخ شهر شوال ، سنة خمسين وسبعمائة ، رزقنا الله خيرها (27) » .

فهذه اربع مراكز لوقف المصاحف ، وسواها فقد كان يوجد بشالة مصاحف محبسة على مشاهد الملوك المرينيين بها (28) ، وقد ساهمت المراة المرينية فى هذا المشروع ، حيث يوجد بمكتبة القرويين بفاس وقف سيدة مرينية للجزء 17 من ربعة قرءانية فى 30 جزءا (29) .

2 ـ وهذا نموذج ءاخر لهذه العناية المغربية بالقرءان الكريم ، فقد سجل ابن الخطيب (30) : ان ديار رؤساء هنتاتة بجبل درن ، كانت تزين بيوتها بمعلقات تتخللها العدة من مصاحف القرءان الكريم، مناطة بمعاليق حريرية فاخرة ، وهذا تقليد اسلامي عام، حيث يفضل المهتمون بالامر ان يعلق المصحف فى صدر المجلس ، على حائط نظيف (31) .

3 ـ يمتاز المصحف المغربي ـ فى قراءة نافع ـ بوقف خاص ، وهو من عمل مغربي : هو محمد بن ابي جمعة الهبطي الصماتي ، المتوفى بفاس عام 930هـ(32)\23-1524م. ثم استمر عليه قراء المغرب حتى الآن ، وقد وقع فيما قيد عن الهبطي من هذا الوقف بعض كبوات ، ناقشه فيها عالمان مغربيان: اولهما : محمد المهدي بن احمد بن علي بن ابي المحاسن الفاسي الفهري المتوفى عام 1109 هـ / 1698 م (33) ، وله فى هذا الصدد رسالة سماها : « الدرة الفراء في وقف القراء » ، تحدث عنها محمد بن عبد السلام الفاسي الفهري المتوفى عام 1214 هـ / 1799 م (34) ، واقتبس فقرات من اولها (35) ، كما وضع ـ بدوره ـ تاليفا مستقلا فى الموضوع (36) ، اثبت قسما مهما منه فى كتابه « المحاذي » .

* * *

وهذه بضعة مصاحف نموذجية ، جلها بخطوط مغربية ، وتحفظ بالمغرب او خارجه ، وسنستعرضها فى شيء من الايجاز ، مع الاحالة على المصادر التي عرفت بها او اجرت ذكرها :

---

27) هذه الصيغة كتبتها ـ مباشرة ـ من اللوحة المنقوشة عليها ، ضحى يوم الاحد 11 شوال عام 1384 ـ 14 يبراير سنة 1965 ، ووردت في « جذوة الاقتباس » ص 46 ببعض مخالفة .
28) المعيار للونشريسي ج 7 ص 11 .
29) « قائمة لنوادر المخطوطات العربية المعروضة فى مكتبة جامعة القرويين بفاس ، بمناسبة مرور مائة والف سنة على تاسيس هذه الجامعة » ـ ص 4 .
30) الدكتور احمد مختار العبادي : « مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس » ، مطبعة جامعة الاسكندرية 1958 ـ ص 127 .
31) الفتاوي الحديثية لابن حجر الهيتمي ط . المطبعة الجمالية بالقاهرة عام 1329 هـ ـ ص 167 .
32) ترجمته ومراجعها فى سلوة الانفاس ج 2 ص 67 ـ 70 .
33) ترجمته ومراجعها فى المصدر الاخير ج 2 ص 316 ـ 318
34) ترجمته ومراجعها فى نفس المصدر ج 2 ص 318 ـ 319 .
35) « اتحاف الاخ الاود المتداني ، بمحاذي حرز الاماني ووجه التهاني » ، مخطوط : خ ، ع ، ك 312 ـ ص 83 .
36) سلوة الانفاس ج 2 ص 67 .

1 — محمد بن حريـــز المعـــروف بابن تاخميست الفاسي المتوفى عام 608 هـ / 1212 م ، كان لـــه خط حسن ، يكتب به المصاحف القرءانيـــة ، ويهديهـــا — احتسابا — لمن يراه أهلا لها (19) .

2 — احمد بن حسن ، وهو الذي كتب وزخـــرف ربعـــة يوسف المريني الانفة الذكـــر (20) .

3 — خطـــاط محسن يسميـــه ابن مـــرزوق « بالنجللي » ، وقد قرانا عنه — ءانفـــا فى « المسنـــد الصحيح الحسن » — انه كان منفردا بتجويد الخـــط المصحفي فى عصره ، وعنه تعلمه السلطان ابو الحسن المرينـــي .

4 — محمد بن ابي القاسم القندوسي الفاســـي ، المتوفى عام 1278 هـ / 1861 م ، قال فى ترجمته مـــن سلوة الانفاس (21) ، « وكان له خط حسن جيد ، كتب به عدة من الدلائل ، واخبرت انه كتب مصحفـــا في اثني عشر مجلدا قل أن يوجد نظيره فى الدنيـــا » ، وسنتحدث — بعد — عن هذا المصحف الذي يمتـــاز بفخامـــة الخـــط .

5 — محمد بن الحاج محمد الريفي التمسماني ، الصويري الاستيطان ، المتوفى بطنجة عام 1313 هـ / 95 — 1896 م ، كان — على عكس سابقـــه — يكتب المصاحف وغيرها بخط دقيق على ورق رقيق ، فينجز منتسخاته فى حجم صغير جدا ، يسعه داخـــل اليد ، وكان له خط حسن (22) .

6 — ومن الجدير بالذكر ان المراة المغربية ساهمت — بدورها — فى كتابة المصحف المغربـــي ، ومن ذلك سيدة فاسية هي : الشريفة فاطمة بنت علي بن محمد المنالي الزبادي ، أخت الشيـــخ عبد المجيد الزبـــادي الشهير ، والمتوفاة فى عام 1142 هـ / 1730 م ، فقـــد كتبت بخطها من القـــرءان الكريم ، ما يربـــو عـــن 35 مصحفـــا (23) .

7 — ويوجد بالمكتبة الملكية بالرباط — تحت رقـــم 4225 — : مصحف شريف خطته انامل سيدة بدوية ، تسمي نفسها عائشة بنت الحاج مبارك الشلح التكي ، وخطها بدوي واضح متوسط مشكول ملون ، وقد جاء فى هامش ءاخر المصحف بمداد مغاير : عـــام 1237 ، وهو اشارة لتاريخ الانتساخ ، حيث انه يوجد — ايضا — منتسخان اثنان بخط نفس الناسخة ، ويحمل اولهمـــا تاريخ صبيحة الجمعة 22 جمدى ؟ عـــام 1237 هـ ، نفس المكتبة رقم 4087 ، كما يحمل ثانيهما تاريخ يوم الاحد «22» ذي القعدة عام 1245 هـ ، المكتبة المذكورة، رقم 5061 ، وهي تسمي نفسها فى هـــذا المخطـــوط الاخير هكـــذا : عائشة بنت مبارك بن احمد نجـــل الحسين الشيخ ، التكي الفشي الحسنوي .

* * *

وهـــذه مظاهر اخرى لهذه العنايـــة بالمصحف الشريـــف :

1 — فقد اهتم المغاربة بوقف المصاحف وانشـــاء بعض الخزائن برسمها ، وأول ما عرف من هذا ربعات قرءانية كانت موضوعة فى مستودع بجامع القروييـــن بني ايام الخطيب بـــه ابي محمد يشكـــر بن موسى الجراوي ، المتوفى عام 598 هـ / 1202 م (24) ، ولمـــا بنى عمر المرتضى الموحدي جامـــع السقاية بمراكش : « جامع علي بن يوسف » . كان به خزانة للمصاحـــف الموقوفة ، وهي عبارة عن بيت قبلي الجامع متصـــل بالمحـــراب (25) ، ثم انشأ ابو عنـــان المريني خزانـــة المصاحف بجامع القرويين بفاس ، يسرة المستقبـــل للمحراب ، وقد اورد ذكـــرها فى « جنـــى زهـــرة الآس » (26) فى الفقرة التاليـــة :

---

19) محمد المنوني : « العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين » — ص 273 .

20) انظر : محمد المنوني : « علاقات المغرب بالشرق فى العصر المريني الاول » مجلة دعوة الحق ، العـــدد الخامس ، السنة الثامنة — ص 62 .

21) ج 3 ص 40 — 41 .

22) « زهـــر الآس فى بيوتات فاس » خ ، ع ، كـ 1281 — ج 1 ص 369 .

23) هذا ينقله البعض عن كناشة للشيخ عبد المجيد الزبادي المذكور .

24) « روض القرطاس » ص 43 و 47 .

25) هذا يوخذ من وقفية مكتوبة على الجزء الرابع من ربعة المرتضى الموحدي المحفوظ بمتحف الأوداية بالرباط ، انظـــر عـــن نصهـــا :
Deverdun et Mhammed Ben Abdeslem Ghiati : « Deux Tahbîs Almohades » milieu du XIIIe S. J.C. - Hespéris, année 1954, 3e-4e trimestres - p.p. 411 à 423.

26) ص 76 .

4 — ربعة ابي زيان محمد الثاني

وهو ابن ابي حمو موسى الثاني الزياني سلطان المغرب الاوسط ، والمتوفى عام 805 هـ / 1402 م ، الموجود منها النصف الاول بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1330 ، مكتوب على رق الغزال بخط مغربي جميل ، ومحلى بالذهب عند اول كل سورة وعلى راس كل ءاية ، وجميع ما فيه من اسماء الله الحسنى مرقوم بالذهب ، وهو بخط ابي زيان نفسه ، كتبه بتلمسان عام 801 هـ / 98 — 1399 م ، وجاء فى ءاخره :

« كمل الجزء الاول من الربعة المباركة ، نسخه بيده — امير المسلمين ابو زيان محمد ، بحضرته — مدينة تلمسان ، امنها الله تعالى ، فى سنة واحد وثماني مائة ، عرف الله خيره (42) .

5 — مصحف المنصور السعدي

مكتوب برسم خزانة ابي العباس احمد المنصور بالله السلطان محمد الشيخ السعدي ، المتوفى عام 1012 هـ / 1603 م ، ووافق تمامه يوم الاربعاء 13 ربيع الثاني ، عام 1008 هـ / 1599 م ، بجامع الديوان الكريم ، من قصور الامامة العلية ، على حد تعبير الخاتمة التي ذيل بها فى زخرفة فائقة ، حيث ورد فيها — ايضا — ان المصحف الشريف منمق الكتابة بالمداد المقام من فائق العنبر ، المتعاهد السقيا بالعبير المحلوك بمياه الورد والزهر ، وتحفظ هذه الذخيرة المغربية فى القسم العربي من مكتبة الاسكوريال باسبانية ، تحت رقم 1340 من قائمة ا ، لافي بروفنسال (43) .

6 — مصحف الامير علي العلوي

مكتوب برسم الامير العلوي علي حفيد السلطان المولى اسماعيل ، بخط مغربي عام 1142 هـ / 29 — 1730 م ، محلى ومنقوش بالذهب والالوان (44) ، وهو معدود من ذخائر دار الكتب المصرية ، ومحفوظ بها تحت رقم 25 .

7 — ربعة القندوسي

بخط محمد ابي القاسم القندوسي سابق الذكر ضمن الخطاطين المصحفيين ، وهي ربعة كبيرة الحجم، فخمة الخط ، مجزاة الى 12 جزءا ، فى كل جزء خمسة احزاب ، وقع الفراغ من كتابتها يوم الجمعة ءاخر شوال عام 1266 هـ / 1850 م ، برسم السفير المغربي الحاج ادريس بن الوزير محمد ابن ادريس العمروي الفاسي (45) ، وقد صارت هذه الربعة الى المكتبة الزيدانية بمكناس ، حيث تحمل فى الفهرس الجديد رقم 3595 (46) .

8 — مصحف مطبوع بالمطبعة الحجرية الفاسية

وهو اول مصحف وقع طبعه بالمغرب ، وكان الفراغ منه عام 1296 هـ \ 1879 م ، بمطبعة الحاج الطيب بن محمد الازرق الفاسي (47) .

الرباط — محمد المنوني

---

42) انظر :
E. Lévi Provençal : « Note sur un Coran royal du XIV^e siècle » - Hespéris - Année 1921 - 1^{er} trimestre - p.p. 83-86.
مع : ب، س، علوش وعبد الله الرجراجي :فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى الخزنة العامة برباط الفتح — ج 1 ص 2 .

43) انظر عن وصفه :
E. Lévi Provençal : « Manuscrits arabes de l'Escurial » - Imprimé à Paris, 1928 - p.p. 34-36.

44) فهرس دار الكتب المصرية ج 1 ص 2 .

45) ترجمته فى « اتحاف اعلام الناس » لابن زيدان ج 2 ص 32 — 41 ، مع « فواصل الجمان » لمحمد غريط ص 142 162 .

46) انظر : محمد المنوني : « معرض المخطوطات العربية بمكناس » مجلة « تطوان » ، العددين : 3 — 4 — ص 98 — 99 .

47) محمد المنوني : « الطباعة الحجرية الفاسية » ، مجلة « تطوان » العدد 10 — ص 147 .

ملاحظة ، الموافقات بين التاريخين ماخوذة من :
Tables de concordance des ères chrétienne-éthégirienne - Troisième édition - Editions Techniques Nord-Africaines

1 ـ ربعة المرتضى الموحدي

بخط ابي حفص عمر المرتضى بن السيد ابي ابراهيم بن يوسف بن عبد المومن ، المتوفى عام 665 هـ / 1267 م ، وهي تتألف من عشرة اجزاء ، في كل جزء ستة احزاب ، وكانت توجد تامة بمكتبة ابن يوسف بمراكش الى عام 1149 هـ (37) \ 36–1737م ثم تفرقت شذرمذر ، والمعروف منها ـ لحد الآن ـ خمسة اجزاء ـ 1 ـ 2 شذرات من الجزاين : الاول ، الثالثبمكتبةابن يوسف (38)بمراكش تحت رقم 432

3 ـ الجزء الثاني ، بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ج 658 ، وهو مبتور الاول والاخر بنحو ورقتين ، ويبتدىء هكذا : « بالتورية فاتلوها ان كنتم صدقين » الآية 93 من سورة ءال عمران ، ثم ينتهي عند : « ولو كانوا يومنون بالله والنبيء وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ، ولكن كثيرا منهم فسقون » ، الاية 83 من سورة المائدة ، وقد ذيل بالخاتمة التالية :

« كمل العشر الثاني من الكتاب العزيز ، بحمد الله عز وجل وحسن عونه ، وذلك يوم السبت السابع والعشرين لجمادى الثانية ، عام اربعة وخمسين وستمائة ، بحضرة الموحدين اعزهم الله تعالى : مراكش، حرسها الله تعالى واهلها ، وكتبه بخط يده الفانية : عبد الله تعلى » .

وهنا تقف كتابة الصفحة الاخيرة من هذا الجزء ، وضاعت الورقة التي تليها ، ومع ضياعها نستطيع الجزم بان هذا الجزء هو من نفس الربعة التي نتحدث عنها ، استنادا للمماثلة الكاملة بين كتابته وخط القطع الاخرى المعروفة سابقا ، ونظرا للاتفاق الواقع فى عام الانتساخ : « 654 » مع الاجزاء الاخرى ، وللتقارب مع تاريخ الجزء الاول : 20 جمادى الثانية 654 ، والجزء الثالث 6 رجب 654 ، مع التشابه فى بعض ملامح صيغة الكلمة الختامية ، وقد غاب هذا الجزء عن علم الذين درسوا هذه الربعة .

عدد اوراقه 72 ، مسطرة 9 ، مقياس 290 / 225 ، مرمم الاطراف بأوراق جديدة .

4 ـ 5 ـ الجزءان الرابع والتاسع ، وقد كانا ـ من زمن ـ معروضين فى متحف الاوداية بالرباط (39)

2 ـ ربعة ابي الحسن المريني

وهي ـ ايضا ـ بخط ابي الحسن علي بن ابي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ، المتوفى عام 752 هـ / 1351 م ، كتبها برسم المسجد الاقصى بالقدس الشريف ، عجل الله ـ سبحانه ـ بخلاصه ، وتحرير سائر الاراضي المغتصبة ، وهي الوحيدة التي لا تزال معروفة من بين الربعات التي خطها ـ بيده ـ هذا السلطان ، وتحفظ اليوم « او توسر » بالمتحف الاسلامي بالقدس الشريف ، وقد كانت تتألف من 30 جزءا ضاع منها خمسة اجزاء ، فعوضت باجزاء مستحدثة بخط احد المغاربة عام 1221 هـ (40) .

3 ـ مصحف ابن مرزوق الجد

وهو ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن ابي بكر بن مرزوق ، العجيسي التلمساني ، المتوفى بالقاهرة عام 781 هـ / 1379 م ، وقد وقف عليه المقري بتلمسان ، وقال عنه فى نفح الطيب (41) اثناء ترجمة ابن مرزوق :

« ولقد رايت مصحفا بتلمسان عند احفاده ، وعليه خطه الرائق الذي اعرفه ... » ، ومن حسن الحظ ان هذا المصحف صار الى المغرب ، وهو محفوظ بمكتبة المعهد العالي بتطوان ، حيث وقفت عليه هناك عشية الثلاثاء 17 رجب عام 1378 هـ الموافق 27 يناير سنة 1959 م ، وهو بخط اندلسي عتيق ، على رق الغزال ، فى حجم متوسط ، مربع ، وكانت كتابته بمدينة بلنسية من الاندلس ، عام 559 هـ .

---

37) محمد المنوني : « العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين » ـ ص 287 ـ 288 .

38) انظر عن شذرات الجزئين : محمد المنوني : « معرض المخطوطات العربية بمكناس » مجلة « تطوان » ، العددين : 3 ـ 4 ، ص 97 ـ 98 .

39) انظر عن هذين الجزئين الرابع والتاسع :
Deverdun et Mhammed Ben Abdeslem Ghiati : « Deux Tahbîs Almohades » milieu du XIII° S. J.C. - Hespéris, année 1954, 3°-4° trimestres - p.p. 411 à 423.

40) انظر عن وصفها : عبد الله مخلص : « المصحف الشريف » صحيفة « الفتح » ، السنة الخامسة ، العددين : 237 و 238 .

41) ط . المطبعة الميرية بمصر عام 1279 هـ ـ ج 3 ، ص 217 .

ونظير هذا : الحاكم اذا اخبرنا بحكم وقال هذا قول الملك فمعناه ان هذه الاوامر او هذه النواهي هي مدلول كلام الملك لا ان الالفاظ هي نفسها كلامه .

وللعلامة بناني في مبحث الدلالة قول فصل في هذه المسألة . (شرح السلم) وعلى ذلك فهل الالفاظ لجبريل او للنبي ؟ هذا سؤال يجيب عنه من يبحث في الحديث : انزل القرآن على سبعة أحرف .

ما هو اول ما نزل من القرآن

وماهو آخر ما نزل ؟

اختلف العلماء في الاجابة عن هذا السؤال اختلافا شديدا ففي الاتقان :

ان منهم من قال : ان اول ما نزل : اقرأ باسم ربك وهذا هو الصحيح (كما في كتب السير والحديث) ومنهم من قال يا أيها المدثر ، ومنهم من قال الفاتحة ، ومنهم من قال بسم الله الرحمن الرحيم ومنهم من قال غير ذلك ..

وكذلك الشان في آخر ما نزل فعن البراء بن عازب يستفتونك .. وعن ابن عباس آية الربا (يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا ..) وعنه وعن غيره غير ذلك من الاقوال ... اما المشهور في كتب السير فهو: اليوم اكملت لكم دينكم.. ولقد أخرج مسلم عن ابن عباس انه سورة اذا جاء نصر الله .. الخ ولقد حاول القاضي ابو بكر الباقلاني ان يوفق بين الروايات المتضاربةفقال: ان كل ما في أمرها ضرب من الاجتهاد وغلبة الظن فكل يخبر بحسب ما علم ... ولكن حل هذا المشكل يتأتى على هذا الوجه اذا لم تختلف الروايات وتتعدد عن شخص واحد كما حصل عن عبد الله بن عباس فقد روى عنه ما ينيف على اربعة اقوال متناقضة ... وحينئذ فكيف يتطرق فيها ما ذكر القاضي ؟ ايقال ان ذلك أيضا بحسب ما كان يتجدد من حفظه في السؤال بعدالسؤال؟ أظن ان هذا بعيد ...

ما هي أسباب النزول ؟

قال الجعبري : ان نزول القرآن على قسمين : قسم نزل ابتداء (يعني من غير سبب) وقسم نزل عقب واقعة او سؤال ..

ونحن ندرس هذا القسم الثاني معتمدين فيذلك على استقراء ما ورد في القرآن والسيرة . ولم ارجع في هذا الاستقراء اليمرجع لاني لا أعرفه (انظر الخضري!) وأسباب النزول كثيرة : منها :

1 — حادثة تحدث فلا يتبين وجه الصواب فيها فتنزل الاية في شأنها ، اما مبينة حكمها كحادثة الرفث ليلة الصيام وكحادثة المخلفين الثلاثة واما مبينة وجه الحق فيها كحادثة الافك وانه كذب وزور .. .

2 — ومنها قول باطل يقوله كافر او ضعيف الايمان فتنزل الاية رادة عليه مثل : وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا .. الخ ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم .. الخ .

3 — ومنها سؤال يوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم كأن يسأل عن الخمر والميسر فيجيب القرآن : فيهما اثم كبير ... الخ

4 — ومنها رغبة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك كمسألة تحويل الكعبة : قد نرى تقلب وجهك في السماء .. الخ .

5 — ومنها التفسير لما اشكل على بعض القراء كالخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر .

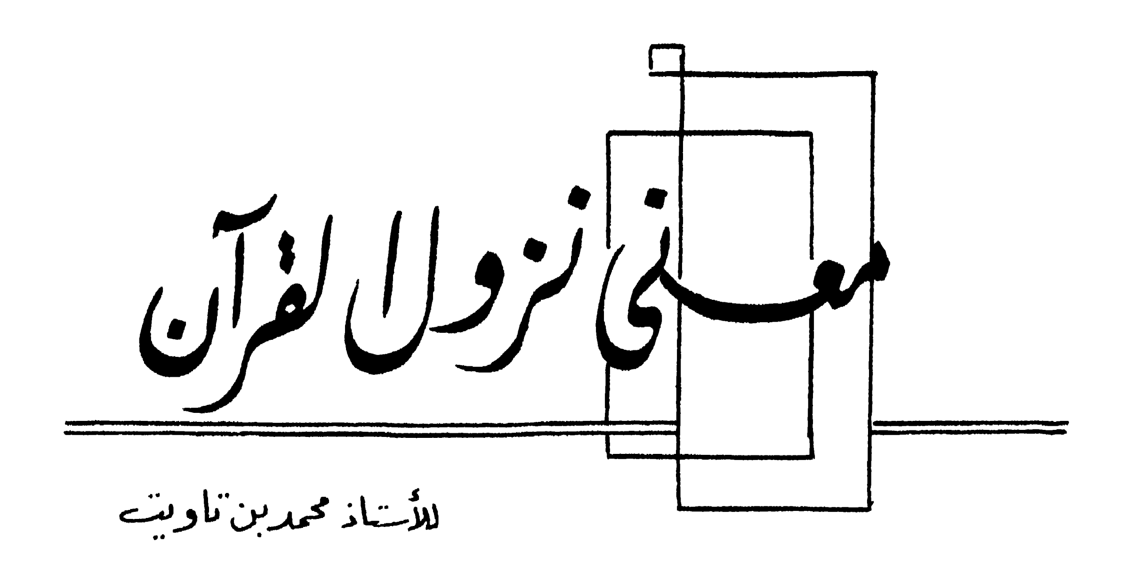
6 — ومنها امر يجتهد فيه النبي صلى الله عليه وسلم فلا يصيب فتنزل الاية او الاي عاتبة :

عفا الله عنه لم اذنت لهم .. الخ ما كان لنبيء أن يكون له أسرى .. الخ ، عبس وتولى .. الخ (والصحيح ان النبي قد يجتهد ويخطىء ولكنه لا يقر على خطئه كما هنا ...)

7 — ومنها ان يخفيالنبي صلى الله عليه وسلم امرا في نفسه يريده مخافة اقوال الناس فتنزل الاية : واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسكعليك زوجك .. الخ .

او يتورع من أمر احل له فتنزل الآية عاتبة : يا ايها النبيء لم تحرم ما احل الله لك .. الخ(وجائز للانسان ان يمتنع او يتورع من حلال اذا لم يكن في ذلك مجابهة للتشريع ومحل العتاب في الآية انما هو في الحقيقة ان حرم النبي ذلك ابتغاء مرضاة ازواجه ومعلوم في الاصول ان الكلام اذا قيد بقيد فروح الكلام هو ذلك القيد ...

والمحرم انما هو تحليل ما حرم او تحريم ما حلل عنادا : قل من حرم زينة الله .. الخ ، قل لا أجد فيما اوحى الى محرما .. الخ .اما لغير عناد كامتناعه صلى الله عليه وسلم من أكل الضب فجائز ...)



اختلف العلماء فى معنى نزول القرآن ، فمنهم من يقول : خلقه الله وهذا ــ طبعا ــ ممن يقولون بخلق القرآن ...

ومنهم من يقول بمعنى الاعلام ، وظاهر ان هذا ممن يقولون بأزلية القرآن .. اما ابن تيمية فيقول : ان ليس معناه الا النزول الحقيقي الذي هو من اعلى الى اسفل وينكر أن يكون ورد لفظ النزول أو الانزال بغير هذا المعنى . ولهذا فهو يخرج كل ما يوهم وروده بغير هذا المعنى مخرجا يجتهد فيه كثيرا ويبذل فيه من العناء والتكلف شيئا غير قليل ... (الرسائل) وهكذا نرى ابن تيمية يقرر النزول على حقيقته السالفة حتى فى الحديث الذي يقول : ان الله ينزل الى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان أو ما معناه ، فلقد اخبر ابن بطوطة فى (رحلته) انه حضره مرة وهو يخطب على منبر الجامع (يعني جامع دمشق) فكان من جملة كلامه ان قال : ان الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر ... !

قال ابن بطوطة وكان لهذه القولة وامثالها ما حمل الناصر (يعني ابن قلاوون) على سجنه بالقلعة حتى مات ..

والذي يظهر لي أن انزال القرآن على معناه اللغوي الذي قرره ابن تيمية : من السماء الى الارض بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينتظر الوحي من السماء كما وقع فى فترة الوحي وكما وقع فى تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة : قد نرى تقلب وجهك فى السماء ... واما قوله : وانزلنا الحديد فالمتبادر منه (خلقنا) وفى تفسيره بغير هذا تكلف فالنتيجة أن النزول فى القرآن وفى الحديث ورد بمعنى النزول من فوق الى اسفل وورد بغير ذلك مثل : خلق ، والهم .. وهل هو حقيقي فيهما أو حقيقي فى الاول فقط مجاز الباقي فى الظاهر الاخير : ففي القاموس يقول : النزول الحلول . وفى الصحاح نحوه ..

واما القول بخلق القرآن فمسألة من أمهات المسائل الدينية والمباحث الكلامية اثارها المسلمون فى أيام المأمون أو أثارها المأمون ولم يأل جهدا فى حمل العلماء على القول بأن القرآن مخلوق ونال المخالفين له شر عظيم ...

وللالوسي فى الجزء الاول من تفسيره تحقيق فيها انتهى الى دحضها وابطال القول بخلق القرآن ...

واما مسألة ، ازلية القرآن فالتحقيق ان الازلي انما هو المعاني ، لا الالفاظ ، فهي حديثه لا ريب وعلى ذلك فاذا قلنا مثلا : يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله .. الخ ، ان هذا كلام الله وهو طبعا ازلي ، فمعناه أن معنى هذه الالفاظ كلام الله .

5 — تمرين النبي صلى الله عليه وسلم على امتثال كل الاوامر فلقد قال الله له : انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ..!

قال الالوسي : وكان شاقا ثقيلا عليه اكثر من غيره لانه صلى الله عليه وسلم مأمور بتحمل هذه الاوامر وتحميلها ...

وكذلك كما في البخاري عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلاقي من الوحي شدة حتى ان جبينه صلى الله عليه وسلم كان يقطر عرقا في اليوم الشديد البرد ... ولا أظن ان تلك الشدة التي كان يلاقيها الا لخوفه صلى الله عليه وسلم من ذلك العبء الثقيل الذي كان يلقى على عاتقه .. وقد وصفه الله بأنه ثقيل..

6 — وان لا يضيق به المسلمون الاولون فيقع لهم ما وقع لبني اسرائيل ويصبحوا به كافرين .. ولامر ما نهاهم الله عن ان يكثروا من الاسئلة اما نحن فلم نضق به لاننا نشأنا في الاسلام وورثنا الدين عن آبائنا ولا يخفى ما للبيئة والوراثة من اثر ..

7 — ان يكون المسلمون الاولون على خشية من ان يرتكبوا ما حرم الله لانهم حينئذ لا يأمنون ان ينزل الله فيهم قرآنا يندد بهم ويفضح سرائرهم وفعلا فقد نزل القرآن في بعضهم كما نزل في بعض المنافقين الذين كانوا يظهرون الاسلام .. وهذا لاشك انه يجعلهم مشفقين كثيرا من ان ينتهكوا حرمات الله فالآية تنزل فيهم اشد عليهم من وخز الابر واقسى من التقلب على الجمر ، بل ان المشركين انفسهم كانوا يشفقون من ان تنزل فيهم آية لانهم على الاقل يعتبرونها هجوا من النبي لهم فلقد يروى ان امراة ابى لهب لما نزلت السورة فيها وفي زوجها صارت تبكي وتنتحب وتقول لزوجها او لاخيه ابي طالب : ان ابن اخيك هجاني ...

8 — اثبات ان هذا الكتاب من عند الله وليس كتابا خلقه التفكير الطويل ومهد له صاحبه من زمن بعيد ، فما هي الا الحادثة تقع فينزل حكمها جديدا كجدتها وما هو الا السؤال يلقى فينزل حكمه وجوابه وكأن كان مهيأ ، وما هي الا الشبهات والمجادلات العنيفة حتى يكون الرد المفحم والحجة البالغة الدامغة، وهكذا .. فلو نزل القرآن جملة واحدة لقال القوم ما قالوا .. ولكنه كتاب الله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لم ينزل الا مسايرا للحياة مصلحا من شأنها على حسب الظروف والحادثات .

ولم ارجع في استخلاص هذه العلل الا الى فكري وبعد ما كتبت هذا أطلعني زميلي على تقييد قيده في ذلك عن الفخر الرازي فأحببت أن اثبته هنا لان فيه بعضا مما ذكرت واسرارا اخرى لم أوفق اليها .

وها هو التقييد كما هو :

1 — انه صلى الله عليه وسلم لم يكن من اهل القراءة والكتابة فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة كان لا يضبط ، ولجاز عليه الغلط والسهو .

وانما نزلت التوراة جملة واحدة لانها مكتوبة يقراها موسى .

2 — ان من كان من الكتاب عنده فربما اعتمد على الكتاب وتساهل في الحفظ فالله تعالى ما أعطاه الكتاب دفعة واحدة بل كان ينزل عليه وظيفة ليكون حفظه له اكمل فيكون ابعد له عن المساهلة وقلة التحصيل .

3 — ان تعالى لو انزل الكتاب جملة واحدة على الخلق لنزلت الشرائع بأسرها جملة واحدة على الخلق فكان يثقل عليهم ذلك ، اما لما نزل مفرقا منجما فلا جرم نزلت التكاليف قليلا قليلا فكان تحملها أسهل .

4 — انه اذا شاهد جبريل حالا بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته فكان اقوى على اداء ما حمل وعلى الصبر على عوارض النبوة وعلى احتماله اذية قومه وعلى الجهاد .

5 — انه لما تم شرط الاعجاز منه مع كونه منجما ثبت كونه معجزا فانه لو كان ذلك مقدورا لبشر لوجب ان ياتوا بمثله منجما مفرقا .

6 — كان القرآن ينزل بحسب اسئلتهم والوقائع الواقعة لهم فكانوا يزدادون بصيرة لانه بسبب ذلك كان ينضم الى الفصاحة الاخبار عن الغيوب .

7 — انه لما نزل منجما مفرقا والنبي صلى الله عليه وسلم كان يتحداهم في أول الامر فكأنه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكل اولى ، فبهذا الطريق ثبت في فؤاده انهم عاجزون عن المعارضة لا محالة ...

8 — ان السفارة بين الله تعالى وبين انبيائه وتبليغ كلامه الى الخلق منصب عظيم فيحتمل ان يقال : انه تعالى لو انزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم دفعة واحدة لبطل ذلك المنصب على جبريل ، أما مع التنجيم فقد بقي ذلك المنصب العالي فلاجل ذلك نزل القرآن منجما .. انتهى .

ما فوائد معرفة اسباب النزول ؟

فوائدها كثيرة منها :

1 — معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

(وذلك ليتأتى القياس فيما وجدت فيه تلك العلل المتشابهة فالتشريع والحكم كما يقولون يدور مع العلة وجودا وعدما ..)

2) تخصيص الحكم به عند من يرى ان العبرة بخصوص السبب .

(وقد اختلف الاصوليون فى ذلك والاصح عموم اللفظ لا خصوص السبب) .

3 — ومنها ان اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه فاذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته فان دخول صورة السبب قطعي واخراجها بالاجتهاد ممنوع كما حكى الاجماع عليه القاضي ابو بكر فى التعريف .. ولا التفات الى من شذ فجوز ذلك كما حكاه فى الاتقان .

مثلا : الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا .

فى هذا المثال تضمنت الآية مع القول المتوعد عليه (باللعن) المقيد الامر بمقابلة المشتمل على اداء الامانة والمناسبة تقتضي دخول ما دل عليه الخاص فى العام : ان الله يامركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها ...

4 — ومنها الوقوف على المعنى وازالة الاشكال الذي قد يأتي من نحو الاشتراك . لهذا قال الواحدي : لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها .. ونحو هذا قاله ابن دقيق العيد وابن تيمية .. فمثلا اذا قرانا : نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم ، ووقفنا على مجرد دلالة (انى) وقعنا فى الحيرة والاشكال : لان انى تكون بمعنى حيث (اي حيث الاطلاق لا حيث التقييد) وتكون بمعنى كيف .. ولكن لو رجعنا الى سبب النزول وهو ان اليهود كانوا يقولون ان الرجل اذا جامع اهله على جنبه مثلا فان المولود يخرج احول . وان القرآن رد عليهم : اذا رجعنا الى سبب النزول فهمنا ان (انى) هنا بمعنى كيف لا حيث . وكذلك لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب. فاذا لم ترجع الى ابن عباس ليبين لنا سبب النزول — وان اهل الكتاب سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه وفرحوا بذلك — فاننا نرتبك .

5 — ومنها معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المهم فيها .

ولقد قال مروان فى عبد الرحمن بن ابي بكر انهالذي انزل فيه : والذي قال لوالديه اف لكما .. الخ فردت عليه عائشة وبينت له سبب نزول الآية .

وقد يكون من فوائد معرفة السبب معرفة المتقدم من المتاخر فيكون هذا مقيدا او مخصصا او معمما أو ناسخا اذا قلنا : ان المتاخر يقيد او يخصص أو يعمم الاول ...

والجهل بسبب النزول كثيرا ما ينجم عنه آراء باطلة من ذلك أن عثمان ابن مظعون وعمرو بن معدى كانا يقولان بحل الخمر احتجاجا بقوله : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا .. الخ ولو علما سبب النزول لما تورطا فى هذا الراي الفاسد.

6 — ومن فوائده عند الشافعي دفع توهم الحصر فى قوله تعالى : قل لا اجد فيما أوحى الي محرما على طاعم يطعمه .. الآية قال : لان الكفار لما أحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله وكانوا على المضادة والمحادة جاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال : لا حلال الا ما حرمتموه ولا حرام الا ما حللتموه .. والغرض المضادة لا النفي والاثبات على الحقيقة فكأنه قال تعالى : لا حرام الا ما حللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ولم يقصد حل ما وراءه ، اذ القصد اثبات التحريم لا اثبات الحل ...

هكذا قال الشافعي . أما مالك فيقول بالحصر الحقيقي فى هذه المذكورات .

ما السر فى نزول القرآن منجما ؟

السر فى ذلك أمور منها :

1 — ما أشار اليه الله فى قوله : لنثبت به فؤادك.

2 — الاعجاز المتكرر بتكرر الحادثات وهذا يؤخذ من قوله : ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا .

3 — التدريج فى التشريع كما حصل ذلك فى تحريم الخمر ليكون ذلك أبلغ اثرا فى الامتثال .

4 — تسهيل حفظه فى الصدور .

مباحث في القرآن

للدكتور تقي الدين الهلالي

اعلم — علمت خيرا ووقيت ضيرا — ان مباحث القرآن وعلومه وفوائده ، وجواهره ، واسراره لا تعد ولا تحصى ، وليست خاصة بزمان دون زمان ، ففي كل زمان يظهر منها شيء كان خافيا من قبل كما قال الشاعر :

يزيدك وجهه حسنا   اذا ما زدته نظرا

بل كما قال الله تعالى فى آخر سورة فصلت (53 سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)

قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره : اي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله على رسول الله (ص) بدلائل خارجية فى الآفاق من الفتوحات وظهور الاسلام على الاقاليم ، وسائر الاديان. قال مجاهد والحسن والسدى : ودلائل فى انفسهم قالوا : وقعة بدر ، وفتح مكة ، ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم نصر الله فيها محمدا صلى الله عليه وسلم وصحبه وخذل فيها الباطل وحزبه .

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ، ما الانسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والاخلاط ، والهيآت العجيبة كما هو مبسوط فى علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى ، وكذلك ما هو مجبول عليه من الاخلاق المتباينة من حسن وقبح وغير ذلك ، وما هو متصرف فيه تحت الاقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره ان يجوزها ولا يتعداها ، كما انشد ابن ابي الدنيا فى (التفكر والاعتبار) عن شيخه ابي جعفر القرشي حيث قال ، واحسن المقال :

واذا نظرت تريد معتبرا
فانظر اليك ففيك معتبر

انت الذي تمسي وتصبح فى الـ
ـدنيا وكل اموره عبر

انت المصرف كان فى صغر
ثم استقل بشخصك الكبر

انت الذي تنعاه خلقته
ينعاه منه الشعر والبشر

انت الذي تعطي وتسلب لا
ينجيه من ان يسلب الحذر

انت الذي لا شيء منه له
واحق منه بماله القدر   اهـ

قال محمد تقي الدين : اقتصر من ذلك على مثال واحد اذا تأملته حق التأمل ازددت يقينا بما ذكرته آنفا، وذكره غيري من الباحثين من انعجائب القرآن لا تنقضي قال تعالى فى سورة الواقعة (71 — 74 افرايتم النار التي تورون . أانتم انشأتم شجرتها ، أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين . فسبح باسم ربك العظيم) .

تعقيـــب :

فى العلة الاولى : اختلف العلماء فى جوار السهو على النبي صلى الله عليه وسلم والتحقيق انه محال كما حرر ذلك الشيخ محمد عبده فى تفسيره قائلا :
انه لو جاز ذلك لجاز الخلل فى الرسالة وهو محال .

اما مايتوهم من انه صلى الله عليه وسلم حدث له نسيان كما وقع فى حديث ذي اليدين حينما (صلى) صلى الله عليه وسلم الرباعية اثنتين فسأله ذو اليدين: اقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله .. الخ . فانما ذلك لحكمة التشريع وليس من خلل فى الذاكرة وانما هو من الله لينبني عليه تشريع واحكام ولهذا قـــال صلى الله عليه وسلم لا انسى ولكن انسى .. الخ .

واما آية ما ننسخ من آية او ننسها نات بخيرمنها او مثلها .. فليس قوله ننسها من النسيان وانما هو من النسأ بمعنى التأخير ، وعلى فرض أنه من النسيان فهو لا يقوم دليلا الا على امكانه لا على وجوده ووقوعه فغاية ما فى الاية شرط وجزاء : ان كان كذا كان كذا او مهما ، وهل وقع ذلك او لم يقع ؟ يبقى ما هو اعم ، والقاعدة الاصولية أنه : ما احتمل واحتمل سقط به الاستدلال ..

وتأييد العدم امكان النسيان للنبي صلى الله عليه وسلم فى القرآن وانطباع الوحي فى حافظته ما رواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم فى وصفـــه للوحي واتيان جبريل وانه : يفصم عني و « وقـــد وعيت » . فعبر بالماضي صلى الله عليه وسلم تصوير التمكن الوحي منه وتمكنه منه وانه ينطبع فى روعـــه انطباعا تاما .

واما يروى عن عائشة فى تفسير المعوذتين من ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر وانه كان يخيل اليه انه يفعل الشيء وهو لا يفعله فالظاهر ان ذلك انما هو فى أمور الدنيا لا الرسالة يشعر بهذا قولها : يفعل الشيء .

واما الحديث الذي رواه البخاري من ان جبريل كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فى رمضان وانه كان يدارسه القرآن وكان صلى الله عليه وسلميعرض عليه ما حفظه فكان جبريل يتعهده ليلا ينسى .. الخ فهذا لا ينافي ان النبي صلى الله عليه وسلم محال عليه النسيان فى امور الدين .

فجبريل ما كان يتعهده الا ليبقى النبي صلى الله عليه وسلم معصوما من هذا النسيان فنسيانه صلى الله عليه وسلم على كل حال محال بأمر من الله : بجبريل او بغيره ...

والنتيجة من هذا كله ان العلة الاولى غيرظاهرة.. او لا تستقيم .. والثانية غير ظاهرة أيضا امر التساهل موقوف على امر الله فاذا امره الله بعدمه فأمره منفذ لا محالة ...

واما الثالثة فهي موافقة لما ذكرته فى العلـــة السادسة .

واما الرابعة فهي مأخوذة من قول الله : كذلك لنثبت به فؤادك .

واما الخامسة فهي قريبة مما ذكرته فى الثانية ..

واما السادسة فهي قريبة مما ذكرته فى الرابعة..

واما السابعة فهي تكرار لما ذكره فى العلـــة الخامسة ..

واما الثامنة فلا اظن أن التبليغ ملحوظ فيه ترضية جبريل (ص) بمنصبه العالي « السفارة » والله أعلم .

تطوان : محمد بن تاويت

فوق غابات جبلية يندر ان يصل اليها الناس باقدامهم او على الدواب ، ولا يشاهدون ما فيها من الوحوش والاشجار الا اذا كانوا راكبين فى تلك القطر وهـــي صاعدة بهم .

وسكان تلك الفنادق متوتفون فى معيشتهم على تلك القطر ، لا يصل اليهم من الارض الا ما حملته ، وهم يعيشون فى تلك الفنادق عيشة راضية ، لاينتقصهم شيء مما يوجد فى المدينة اسفل منهم ومحطات هـذه القطر تعلو عن وجه الارض بمقدار مائة درجة ، ومنها ينبعث القطار صاعدا فى الجو ، وله منظر عجيب .

ومنها البواخر الجواري فى البحر كالاعلام ، اي كالجبال ، وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى فى سورة الشورى بقوله جل من قائل (32 — 35 ومن آياته الجواري فى البحر كالاعلام . ان يشأ يسكن الرياح فيظللن رواكد على ظهره ، ان فى ذلك لآيات لكـــل صبار شكور . أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير . ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ما لهم من محيص) .

قال القاسمي فى تفسير هذه الآيات : (ومن آياته الجواري) اي السفن الجارية (فى البحر كالاعلام) اي الجبال (ان يشأ يسكن الرياح ، فيظللن رواكد علـى ظهره) أي فيبقين ثوابت على ظهر البحر (ان فى ذلك) اي فى جري هذه الجواري فى البحر بتسخير الله تعالى الريح لجريها (لآيات) اي لعبرة وعظة وحجة بينةعلى القدرة الازلية (لكل صبار شكور) اي لكل مؤمن ، وانما آثر المذكورين تذكيرا بما ينبغي ان يكون المؤمن عليه من وفرة الصبر ، وكثرة الشكر ، اذ لا يكمـل الايمان بدونهما ، والايمان نصفان ، نصف صبـر ، ونصف شكر . اهـ .

وفى الزمان السابق كانت السفن صغارا لا تشبه بالجبال الا على ضرب من التجوز والتسامح ، امـا فى زماننا هذا ، فقد صنعت سفن كالسفينة الانكليزيـة المسماة (كون ميري) اي الملكة مارية ، وحمولتها ثمانون الف طن . وسمعت ان اليابانيين صنعوا سفينة من ناقلات الزيت حمولتها مائتا الف طن ، فهذه السفن شبيهات بالجبال يستمتع المسافرون فيها بالنار انواعا من المتاع ، فالنار هي التي تحملهم وتسيرعم ، وتجعل سفينتهم فى الليل الحالك قطعة من النور ، وفيـها مطاعمهم ، ودور اللهو ، كالمسارح ، ودور الصـور المتحركة (سينما) والمسابح ، وآلات النقل للانتقال من الارض الى الباخرة ، ومن الباخرة الى الارض فى المراسي وفى عرض البحر ، كل ذلك استمتاع بالنار .

ومنها الطائرات بجميع انواعها ، فانها تسيـر بالنار ، والمسافرون فيها يستمتعون بسبب النار انواعا من الاستمتاع ، لولا وجود النار ما قدروا على شيء منها . ومنها الصواريخ والاقمار الصناعية والسفن الفضائية التي تخرق الغلاف الجوي للارض ، كانها السهام المنبعثة من القسي ، او الرصاص المنبعث من البنادق ، فتشق ذلك السقف المحفوظ ، وتخرج الى الفضاء الخالي ، فتجول فيه دائرة حول الارض اياما وليالي كثيرة ، لان يومها وليلتها لا يزيدان على ساعة ونصف ، ثم ترجع الى الارض التي منها خلقت ، وفيها صنعت باذن العليم الحكيم .

وأما قوله تعالى فى سورة الرحمن (33 — 35 يا معشر الجن والانس ، ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والارض ، فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . يرسـل عليكمـا شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) .

قال البيضاوي : ان قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والارض ، هاربين من الله ، فارين مـن قضائه (فانفذوا) فاخرجوا (لا تنفذون) لا تقدرون على النفوذ (الا بسلطان) الا بقوة وقهر ، وأنى لكم ذلك ، أو ان قدرتم أن تنفذوا لتعلموا ما فى السموات والارض ، فانفذوا لتعلموا ، لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله تعالى فتعرجون بأفكاركم عليها (فبأي آلاء ربكما تكذبان) اي من التنبيه والتحذيـر والمساهلة والعفو مع كمال القدرة ، أو مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية ، فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى ، (يرسل عليكما شواظ) لهب (من نار ونحاس) ودخان قال :

تضيء كضوء سراج السليـ
ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

او صفر مذاب يصب على رؤوسهـم (فـلا تنتصران) فلا تمتنعان (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان التهديد لطف ، والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار فى عداد الآلاء . انتهى .

قوله (تضيء كضوء سراج السليط) السليط : هو الزيت . والنحاس : الدخان . واذ لم يجيء فى هذه الآيات تفسير عن النبي (ص) ، وقد اختلف المفسرون فيها ، فلا حرج علينا أن نفسرها بما يوافق لغـة العرب ، وواقع علم الهيئة ، ففيها تحد للجن والانس انهم مكبلون بقدرة الله فى هذه الارض ، لايستطيعون

قال القنوجي فى تفسيره : (افرايتم النار التي تورون) اي اخبروني عنها ، ومعنى تورون تستخرجونها بالقدح من الشجر الرطب ، يقال : او ريت النار اذا قدحتها ، والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الاخر ، ويسمون الاعلى الزند والسفلى الزندة ، شبهوهما بالفحل والطروقة (أأنتم انشأتم شجرتها) التي تكون منها الزنود ، وهي المرخ والعفار تقول العرب : فى كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار . وزاد الجلال المحلي : الكلخ ، نقل سليمان الجمل عن شيخه انه قال : ولم نجده فى القاموس ولا فى المختار ، غير انه اخبر بعض اهل المغرب والشام بأنه موجود معروف عندهم شبيه بالقصب ، تؤخذ منه قطعتان ، وتضرب احداهما بالاخرى فتخرج النار .

وقوله (أم نحن المنشئون) لها بقدرتنا دونكم ، ومعنى الانشاء : الخلق ، وعبر عنه بالانشاء للدلالة على ما فى ذلك من بديع الصنعة وعجيب القدرة (نحن جعلناها) اي النار التي فى الدنيا (تذكرة) لنار جهنم الكبرى حيث علقنا بها اسباب المعاش ، وعممنا بالحاجة اليها البلوى ، لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ، ويذكرون ما أوعدوا به .

قال مجاهد وقتادة : تبصرة للناس فى الظلام . وقال عطاء : موعظة ليتعظ بها المؤمن . وقال ابن عباس تذكرة للنار الكبرى . عن ابي هريرة عن النبي (ص) قال : ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من جهنم ، قالوا : والله ان كانت لكافية يا رسول الله؟ قال : فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها . اخرجه البخاري ومسلم .

وقوله (ومتاعا للمقوين) اي للمسافرين ، قاله ابن عباس ، يعني منفعة للذين ينزلون بالقواء ، وهي الارض القفر ، كالمسافرين واهل البوادي النازلين فى الاراضي المقفرة . يقال : ارض قواء بالمد والقصر ، اي مقفرة . ويقال : اقوى اذا سافر ، اي نزل القوى، وخصوا بالذكر ، لان منفعتهم بها اكثر من المقيمين ، فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ، ويهتدي الضال الى غير ذلك من المنافع .

وقال مجاهد : المقوين المستمتعين بها من الناس اجمعين فى الطبخ والخبز والاصطلاء والاستضاءة ، وتذكر نار جهنم . وقال ابن زيد : للجائعين فى اصلاح طعامهم ، يقال : اقويت منذ كذا وكذا ، اي ما اكلت شيئا ، وبات فلان القوى ، اي جائعا .

وقال قطرب : القوى من الاضداد ، يكون بمعنى الفقر ، ويكون بمعنى الغنى ، يقال : اقوى الرجل اذا لم يكن معه زاد ، واقوى اذا قويت دوابه ، وكثر ماله والمعنى جعلناها متاعا ومنفعة للاغنياء والفقراء ، لا غنى لاحد عنها . وقال المهدوي : الاية تصلح للجميع ، لان النار يحتاج اليها المسافر والمقيم ، والغني والفقير وحكى الثعلبي عن اكثر المفسرين القول الاول ، وهو الظاهر . اهـ .

انتفاع المسافرين بالنار فى هذا الزمان

قد رايت فى كلام ائمة التفسير أن المقوين هم المسافرون ، وان الله جعل لهم النار متاعا يستمتعون بها فى اسفارهم ، ورايت ما ذكره المفسرون فى استمتاعهم بها ، وقد ظهرت فى هذا الزمان أنواع من الاستمتاع بالنار للمسافرين لم تكن تخطر بالبال ، فمنها القطر ، جمع قطار ، وهي سفن البر التي تسير ليل نهار فى جميع انحاء المعمور ، منها السريع والمتوسط والبطيء، تحمل المسافرين وامتعتهم بالغة ما بلغت فى الثقل ، وتحمل البضائع من قطر الى قطر ، ومن صقع الى صقع ، وتحمل الاطعمة لكثير من القرى والمحطات التي لا تعيش الا على ما تحمله القطر اليها . فهذا النوع من المتاع للمسافرين اولا ، وللمقيمين ثانيا قوامه النار ، فهي التي تسير القطر ، وتضيئها وتطبخ اطعمتها ، وتدفىء اهلها ، وهي على انواع غير ما تقدم فمنها التي تسير فى سككها على وجه الارض ، ومنها التي تسير تحت الارض فى انفاق طويلة مشتبكة ، ينزل اليها احيانا عشرين درجة واكثر ، وتكون فى طبقات تحت الارض ، قطر فى الطبقة المباشرة لوجه الارض ، وهناك طبقة تحتها تسير فيها قطر اخرى ، وهناك طبقة ثالثة ، كما يعلم ذلك من اقام فى برلين وباريس ولندن . وهناك نوع من القطر يسير على قضبان ممدودة على اعمدة فى سماء المدينة كلها فى ارتفاع يحاذي الطبقة الخامسة والسادسة من البيوت ، حتى ان الانسان اذا كان راكبا فيها يرى السيارات على وجه الارض كأنها حشرات ، كما فى مدينة برلين .

ومنها القطر التي ترفع المسافرين وامتعتهم . والبضائع والاغذية الى الفنادق المبنية على قمم الجبال المرتفعة العالية آلاف الامتار ، كما فى سويسرا والنمسا وغيرهما . وهذه القطر تسير بالكهرباء ، ولها اعمدة حديدية يلتصق بها القطار ، فيرتفع فى الهواء

قصدا قواما لا اعوجاج فيه ولا انحراف . وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة ، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة ، وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعمليات ، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي الى روضات الجنات . اهـ .

2 ـ قال تعالى في سورة المائدة (16 يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم) .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : يخبر تعالى عن نفسه الكريمة انه قد أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق الى جميع اهل الارض ، عربهم وعجمهم ، اميهم وكاتبهم ، وانه بعثه بالبينات والفرق بين الحق والباطل فقال تعالى (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير) اي يبين ما بدلوه وحرفوه واولوه ، وافتروا على الله فيه ، ويسكت عن كثير مما غيروه ، ولا فائدة في بيانه .

وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث ابن عباس قال : من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب لقوله (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) فكان الرجم مما اخفوه . ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

ثم اخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي انزله على رسوله الكريم فقال : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) اي طرق النجاة والسلامة ، ومناهج الاستقامة (ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم) اي ينجيهم من المهالك ، ويوضح لهم ابين المسالك ، فيصرف عنهم المحذور ، ويحصل لهم احب الامور وينفي عنهم الضلالة ، ويرشدهم الى اقوم حالة . اهـ .

نفهم من آيتي النساء وآية المائدة امورا الاول ان القرآن نور وبرهان من الله تعالى . اما كونه نورا ، فانه يخرج كل امة آمنت به ، وعملت بمقتضاه ، واتخذته اماما وحكما من ظلمات الشقاء المادي والروحي الى نور السعادة الكبرى ، حتى تكون اسعد الامم في حياتها من جميع الوجوه ، ولا تكاد تساويها في ذلك امة اخرى من الامم المخالفة ، وذلك بعينه هو ما حدث للعرب الذين استضاءوا بنور القرآن ، ولكل امة استضاءت به بعدهم .

واما كونه برهانا ، فانه حجة من الله تعالى على خلقه جميعا ، فاي جماعة استمسكت به ظهرت وانتصرت وفازت وعلت ، وبذلك تتم الحجة على غيرها من الامم التي سلكت غير مسلكها .

وقوله سبحانه (فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ، فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما) دليل على ان الايمان بالله ، والاعتصام بالقرآن كما قال ابن جريج شرط في الاستضاءة بذلك النور ، والخروج من ظلمات الشقاء، فمن اعتل ايمانه بالله ، ولم يعتصم بالقرآن ، فلاعمل به ولا اتخذه اماما وحكما ، لا يستضيء بنوره ، ولا يخرج من ظلمات شقائه . والرحمة هنا هي السعادة الدنيوية والاخروية جميعا ، اي سعادة البدن والروح والعاجل والآجل ، والفضل هو زيادة الاكرام والانعام لمتبعي ذلك النور فوق ما يخطر ببالهم حتى يدهشوا ويتحيروا ويغتبطوا .

وقوله سبحانه (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) اي يديم عليهم نعمته ، ويسلك بهم طريق السعادة . وهذا الصراط هو المعبر عنه في آية المائدة بـ (سبل السلام) .

الثاني في آية المائدة خطاب لاهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ، وحث لهم على الايمان بخاتم النبيين رسول رب العالمين محمد صلى الله عليه وسلم، وانه يبين لهم كثيرا مما اخفوه من كتبهم كآية الرجم، ويعفو عن كثير مما لا تدعو الضرورة الى بيانه فيتركه مستورا .

الثالث ان الله سبحانه اخبرهم بانه قد جاءهم منه نور وبرهان كما جاء الى غيرهم ، وهذا النور والبرهان هو كتاب الله القرآن ، فالعطف عطف تفسير كما في قول الشاعر :

الا حبذا هند وارض بها هند
وهند اتى من دونها النأي والبعد

فنأي هو البعد . وقال عنترة :

حييت من طلل تقادم عهده
اقوى واقفر بعد ام الهيثم

فالاقواء هو الاقفار . وقال عدي بن زيد :

ان يخرجوا عن قضاء الله ، وما لهم مهرب ولا محيص، فان الله ربط حياتهم وسلامتهم بهذا الغلاف الجوي ، لا يستطيعون اختراقه والخروج عنه الا بقوة من الله تعالى يمنحهم اياها متى شاء على القدر الذي يريده . اما الارض فقد سخرها لهم وجعلها واسعة مذللة ، واذن لهم ان يمشوا فى مناكبها ، وياكلوا من رزقه فى جميع ارجائها ، برها وبحرها ، لا حجر عليهم . أما الخروج عنها فلا يمكنهم الا بالقدر الذي يريده الله ويشاؤه ، وبالسلطان الذي يمنحهم ، مع بقائهم مرتبطين بالارض ، منها يتزودون ، غذاء وهواء واخبارا واليها يرجعون اضطرارا .

فكل سفينة تسعى لاختراق هذا الجو المحيط بالارض الذي هو جو الحياة المحفوظ من الآفات السماوية ، من الشهب والنيازك والاشعاع القاتل تعرض نفسها للاحتراق بالنار والنحاس ، فان شاء الله منحها سلطانا تتغلب به وتنتصر على الشواظ من النار والنحاس ، وان لم يشأ احترقت وتلاشت ، فسبحان العزيز العليم .

يزيد هذا وضوحا قوله تعالى فى سورة الانعام (125 فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ، كأنما يصعد فى السماء) .

قال القاسمي فى تفسيره هذه الآية (فمن يرد الله ان يهديه) اي للتوحيد (يشرح) أي يوسع (صدره للاسلام) بتصقيله بنور الهداية ، فيتقبل نور الحق كما قال تعالى (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم) .

روى عبد الرزاق أن النبي (ص) سئل عن هذه الآية كيف يشرح صدره ؟ قال : نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح ، قالوا : فهل لذلك من أمارات يعرف بها ؟ قال : الانابة الى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت ورواه ابن جرير ، وابن ابي حاتم ، قال ابن كثير : وللحديث طرق مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضا . (ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) اي شديد الضيق فلا يتسع للاعتقادات الصائبة فى الله ، والامور الاخروية .

وقوله (كانما يصعد فى السماء) اي يتكلف الصعود فى جهة السماء ، وطبعه يهبط الى الارض ، فشبه للمبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول أمرا غير ممكن ، لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة ، وتضيق عنه المقدرة . اهـ .

وليس مقصودي بهذه الاشارة ان استوعب ما ظهر من الآيات فى الآفاق للعلماء والباحثين ، فقد الف فى ذلك الامام السلفي خاتمة المحققين ، وسيف الله المصلت على المبتدعين السيد محمد شكري الآلوسي البغدادي جزءا لطيفا سماه (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان) ولم يتعرض رحمه الله للآيات التي ذكرتها من سورة الواقعة والرحمن والانعام ، فاكتفى بهذا القدر الذي سقته على سبيل التنبيه .

فضائل القرآن وشرطها

اعلم ان القرآن حياة بلا موت ، وغنى بلا فقر ، وعز لا ذل معه ، وسعادة لا يخالطها ولا يعقبها شقاء، وقوة ابدية ، ونصر سرمدي ، وفضائله لا تعد ولا تحصى ، ولكن لادراكها شروط لا تنال بدونها البتة ، وهذه الشروط مبينة فى الكتاب وفى بيانه ؛ وهو السنة ولو اردت ان استوعب ما وصل اليه علمي القاصر من هذه الفضائل المشروطة لطال الكلام حتى يبلغ مجلدات ، لذلك اقتصر على ذكر شيء من ذلك ، وفى بعضه كفاية . فمن آيات الكتاب العزيز :

1 — قوله تعالى فى سورة النساء (174 — 175 يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ؛ وانزلنا اليكم نورا مبينا . فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما) .

قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره : يقول تعالى مخاطبا لجميع الناس ، ومخبرا بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم ، وهو الدليل القاطع للعذر والحجة المزيلة للشبهة ، ولهذا قال (وانزلنا اليكم نورا مبينا) اي ضياء واضحا على الحق . قال ابن جريج وغيره : وهو القرآن . (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا) اي جمعوا بين مقامي العبادة والتوكل على الله فى جميع امورهم . قال ابن جريج : آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن . رواه ابن جرير .

وقوله تعالى (فيدخلهم فى رحمة منه وفضل) اي يرحمهم فيدخلهم الجنة ، ويزيدهم ثوابا ومضاعفة ، ورفعا فى درجاتهم من فضله عليهم ، واحسانه اليهم (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) اي طريقا واضحا

2 ـ عن الحارث الاعور قال : مررت فى المسجد، فاذا الناس يخوضون فى الاحاديث ، فدخلت على علي فأخبرته فقال : أوقد فعلوها ؟ قلت نعم ، قال : أما اني سمعت رسول الله (ص) يقول : الا انها ستكون فتنة ؟ قلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الالسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ؟ هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا (انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به) من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم . رواه الدرامي والترمذي وقال : هذا حديث اسناده مجهول ، وفى الحارث مقال .

ليس لهذا الحديث اسناد صحيح ، ولكن معناه صحيح ، ولذلك رواه المنذري فى الترغيب والترهيب والبغوي فى المصابيح ، وابن كثير فى التفسير . والاحاديث التي كانوا يخوضون فيها وشغلتهم عن القرآن هي القصص والاخبار ، والحكايات التي لا طائل تحتها ، والمساجد انما بنيت للصلاة وذكر الله ، وخير الكلام كلام الله ، وبه ينبغي أن تعمر المساجد لا بالراي والاباطيل . قال الشعبي رحمه الله : والله لقد بغض الى أهل الرأي المسجد ؟ حتى لهو ابغض الي من كناسة بيتي .

وقوله (او قد فعلوها) انكار عليهم ، والضمير عائد على الفعلة الشنيعة . وقد صح عن النبي (ص) مجيء الفتن بعد زمانه عليه الصلاة والسلام ، ولاشك أن من تمسك بكتاب الله وسنة رسوله التي هي بيانه عصمه الله من الفتن فى كل زمان ومكان . وفى زماننا هذا فتن عظيمة ، ولا مخرج منها للدول والشعوب وآحاد الناس الا باتباع القرآن اتباعا حقيقيا ، والعمل به ، وتحكيمه ، ورفع رايته .

وقوله (نبأ ما قبلكم) اخبار الامم السابقة ، وما اصابها من العذاب ، باعراضها عن كتب الله ورسل الله (وخبر ما بعدكم) من سوء عواقب الظالمين والفاسقين عن أمر الله ، والمتعدين لحدود الله ، واشراط الساعة . فمن تمسك به هداه الله دائما سبل السلام كما تقدم فى آية المائدة (وحكم ما بينكم) الاحكام الشرعية التي تحتاج اليها الامة الى يوم القيامة .

وقوله (هو الفصل) اي الفاصل بين الحق والباطل ، وليس فيه شيء من الهزل ، بل هو جد كله (من تركه من جبار قصمه الله) أي من ترك القرآن من الجبارين القاهرين لخلق الله المتعالين عن حكم الله قصمه الله اي أهلكه (ومن ابتغى الهدى) أي طلب الحق والرشاد والعدل فى غير القرآن مما يضاد القرآن ويناقضه (اضله الله) اي أخرجه عن سبل السلام وأوقعه فى سبل الهلاك .

وقوله (وهو حبل الله المتين) قال الحافظ ابن كثير عن ابي جعفر الطبري بسنده الى ابي سعيد قال: قال رسول الله (ص) : كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء الى الارض . وروى ابن مردويه بسنده الى عبد الله قال : قال رسول الله (ص) : ان هذا القرآن هو حبل الله المتين ، وهو النور المبين ؟ وهو الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه . وروى عن حديث حذيفة وزيد بن أرقم نحو ذلك . أهـ .

فمن تمسك بالقرآن كما تمسك به أصحاب رسول الله (ص) والصالحون من بعدهم من جماعات وآحاد اوصله الى السعادة الابدية ، ومن أعرض عنه، فان له معيشة ضنكا ، اي ضيقة نكدة فى هذه الدنيا ، ويحشره الله يوم القيامة أعمى ، لانه كان فى الدنيا أعمى لا يستضيء بنور يستضيء بنور القرآن ، ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا . فكل ما اصاب المنتمين الى الاسلام فى هذا الزمان هو بسبب اعراضهم عن القرآن ، ومن شك فليجرب، وكيف يشك عاقل فى ذلك ، وهذا تاريخ المسلمين امامنا ؟ كاننا ننظر اليه باعيننا مطابق لهذا الوعيد كل المطابقة ، وقد اعترف بهذا الموافق والمخالف ، حتى الملحدون أعداء الدين اعترفوا بأن القرآن هو الذي نفخ فى اتباعه روح الحياة ، وبعثهم على اقتباس المدنيات وعلوم الحضارة كما قرره جوزيف ماك كيب ، ونقله عن كبار الفلاسفة الملحدين فى كتابه (مدنية العرب فى الاندلس) فى غير ما موضع . ويحتمل ان يكون الحبل بمعنى العهد فى قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا) ومن اعرض عن القرآن فقد نقض عهد الله ، فالمعنيان متلازمان .

قوله (لا تزيغ به الاهواء) يعني أن من كان هواه تبعا للقرآن ، يحيي ما أحي القرآن ، ويميت ما أمات القرآن ، ويثبت ما أثبته القرآن ، وينفي ما نفاه القرآن ويرفع ما رفعه القرآن ، ويخفض ما خفضه القرآن ،

فقددت الاديـــم لراهشيـــه
والفى قولها كذبـــا ومينـــا

والمين هو الكذب . ومثله قوله تعالى فى سورة البقرة (53 واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) فالفرقان هو الكتاب .

واخبر سبحانه انه يهدي بذلك الكتاب المبين من اتبع رضوانه ، و (من) من الفاظ العموم تصدق على الواحد والجماعة ، فكل من اتبع رضوان الله ، بأن عمل بما فى كتابه ، واستضاء بنوره ، واتخذه اماما وحكما ، وتخلق بما فيه من الاخلاق يهديه الله سبل السلام ، اي طرق السلامة فى الدنيا والآخرة ، فلا يسلك سبيلا الا صحبته السلامة ، ويخرجهم اي المستضيئين بنور القرآن من الظلمات الى النور ، وظلمات الحياة كثيرة ، والنور هو زوالها ، فلذلك افرد (باذنه) اي بتوفيقه وارادته ، ويهديهم فى جميع اعمالهم الى صراط مستقيم ، وهو الاعتدال فى اعمالهم واحكامهم بلا افراط ولا تفريط لتمسكهم بالقرآن الذي هو الميزان ، كما سيأتي فى حديث الحارث الاعور عن علي بن ابي طالب مرفوعا (ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم) .

3 — وقال تعالى فى سورة الاعراف (2 — 3 كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه ، لتنذر به وذكرى للمؤمنين . اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء) .

قال الخازن : (كتاب انزل اليك) يعني هذا كتاب انزله الله اليك يا محمد ، وهو القرآن (فلا يكن فى صدرك حرج منه) يعني فلا يضيق صدرك بالابلاغ وتادية ما ارسلت به الى الناس . اهـ . (لتنذر به) أي بالقرآن جميع الناس تخوفهم من عذاب الله فى العاجل والآجل اذا اعرضوا عنه ، ولم يتبعوه (وذكرى للمؤمنين) اي لتذكر وتعظ به المؤمنين ، فانهم المنتفعون بالموعظة والذكرى .

ثم قال تعالى مخاطبا جميع الناس (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم) وهو هذا القرآن ، (ولا تتبعوا من دونه أولياء) من شياطين الانس والجن ، توالونهم على خلاف القرآن . والمومنون المنتفعون بالقرآن هم الموصوفون فى أول السورة التي تلي هذه ، وهي سورة الانفال (2 — 4 انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم)

عبر سبحانه وتعالى بـ (انما) التي هي للحصر واكد هذا الحصر فى آخر الآيات بقوله (أولئك هم المومنون حقا) وقد تضمنت هذه الآيات خمس صفات لا يتم الايمان بدونها . الاولى وجل القلب ، اي خوفه عند ذكر الله . الثانية زيادة الايمان عند سماع آيات الله تتلى . الثالثة : التوكل على الله والاعتماد عليه وحده لا شريك له فى جلب المنافع ودفع المضار ، والثقة بوعده .

الرابعة : اقامة الصلاة ، اي اداؤها قائمة كاملة تامة بالمحافظة على اوقاتها وطهارتها وجماعتها واركانها وآدابها ، والخشوع فيها ، وكونها مطابقة لصلاة رسول الله (ص) لقوله عليه الصلاة والسلام فى حديث مالك بن الحويرث الطويل (وصلوا كما رايتموني اصلي) رواه البخاري .

الخامسة : انفاق المؤمن مما رزقه الله ، زكاة وغيرها . والمتصفون بهذه الصفات يعلى الله درجاتهم فى الدنيا والآخرة ، وينصرهم فى الدنيا والآخرة ، ولهم رزق كريم فى الدنيا والاخرة ، وهم المتبعون للقرآن السعداء به . واقتصر على هذا القدر من آيات كتاب الله العزيز ، لان المقام لا يتسع لاكثر منها وفيها غنية وكفاية .

الاحاديث النبوية فى هذا المعنى

1 — عن النواس بن سمعان قال : سمعت النبي (ص) يقول : يؤتى بالقرآن يوم القيامة واهله الذين كانوا يعملون به ، تقدمه سورة البقرة وآل عمران ، كانهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق ، او كانهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما . رواه مسلم .

الظلة والغمامة : ما اظل الانسان فوق رأسه كالسحاب ونحوه . والفرقان تثنية فرق بالكسر ، وهو السرب من الطير . والشرق : الضوء والنور . وتحاجان عن صاحبهما : اي تشفعان له . والشاهد فى قوله (واهله الذين كانوا يعملون به) فيه أن اهل القرآن حقا هم الذين يقرؤونه ويعملون به . اما الذين يقرؤونه ولا يعملون به فليسوا باهله ، ولا ينالون هذا الفضل .

اما من كان لا يطاوعه لسانه ، او لا يجد من يهديه الى الصواب بيانه ، فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها ، ولهذا اجمع من نعلمه من العلماء على انه لا تصح صلاة قارىء خلف أمي ، وهو من لا يحسن القراءة . واختلفوا فى صلاة من يبدل حرفا بغيره ، سواء تجانسيا أم تقاربا ، واصح القولين عدم الصحة . اه

ثم نقل عن الشيخ أبي عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي فى كتابه الموضح فى وجوه القراءات فى فصل التجويد منه ما نصه : فان حسن الاداء فرض فى القراءة ، ويجب على القارىء أن يتلو القرآن حق تلاوته ، صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن والتغيير اليه سبيلا .

ثم مضى الى أن قال : فالتجويد هو حلية التلاوة وزينة القراءة ، وهو اعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها ، ورد الحرف الى مخرجه واصله ، والحاقه بنظيره وتصحيح لفظه ، وتلطيف النطق به على حال صيغته ، وكمال هيئته ، من غير اسراف ولا تعسف ، ولا افراط ولا تكلف ، والى ذلك اشار النبي (ص) بقوله « من احب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل ، فليقرأ قراءة ابن أم عبد » يعني عبد الله بن مسعود ، وكان قد اعطى حظا عظيما فى تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله كما انزله الله تعالى .

وناهيك برجل احب النبي (ص) أن يسمع القرآن منه ، ولما قرا أبكى رسول الله (ص) كما ثبت فى الصحيحين . وروينا بسند صحيح عن أبي عثمان النهدي قال : صلى بنا ابن مسعود المغرب بقل هو الله احد ، ووالله لوددت انه قرا بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله .

وقال ابن الجزي فى المقدمة :

والاخذ بالتجويد حتم لازم
من لم يجود القرآن آثم
لانه به الاله انزلا
وهكذا منه الينا وصلا
وهو ايضا حلية التلاوة
وزينة الاداء والقراءة
وواجب عليهم محتم
قبل الشروع اولا أن يعلموا
مخارج الحروف والصفات
ليلفظوا بأفصح اللغات

وهذا الواجب مضيع فى المغرب لا يقوم بأدائه الا النادر من اهل العلم ، ولا اعلم فى المغرب مدرسة تعلم تجويد القرآن ، مع أن اهل المغرب أحق الناس بالعناية باصلاح اللسان لاختلاطهم مع الاعاجم ، وابدال كثير منهم بعض الحروف ، كالجيم يبدلونها زايا ، والتاء يبدلونها بحرف الماني بين التاء والسين ، والثاء ينطقون بها مثل ذلك ، والذال يبدلونها دالا مهملة ، والظاء يبدلونها ضادا ، والشين يبدلونها سينا ، وقد يبدل هؤلاء السين شينا ، يرتكب ذلك من ينسب الى العلم منهم من غير نكير ، وقد اشار الى ذلك المحقق ابن عبد السلام الفاسي فى كتابه الذي الفه فى القرآن وعلومه وآدابه فى المجلد الاول قال : اللحن لحنان : جلي وخفي ، فالجلي لحن الاعراب ، والخفي لحن ترك اعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه ، وذلك اما بالنسبة الى مخارجها بأن لا تعطى حقها الواجب لها .

واما بالنسبة الى صفاتها التي تحقق ذاتها وتفصلها عما يشاركها او يقاربها ، واما بالنسبة الى تبديلها بغيرها كجعل الظاء المعجمة مكان الضاد ، وكجعل السين المهملة مكان الشين المعجمة ، وكجعل الزاي مكان الجيم ، وكجعل الغين المعجمة مكان الراء ، وكجعل الهمزة مكان الكاف ، وكجعل همزة مفخمة بعض التفخيم مكان القاف ، الى غير ذلك مما يطول تتبعه مما نسمعه فى السنة الناس . اه .

وقد سمعت باذني قارئا يقرأ قوله تعالى « الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ » بابدال الشين سينا ، والجيم زايا ، والذالين مهملتين ، وهذا من اللحن الذي يغير المعنى . وقد نقل القاضي عياض فى الشفا الاجماع على أن من بدل حرفا من القرآن عمدا كفر .

ومن اسوأ ما يرتكبه المغاربة من تبديل الحروف نطقهم بالتسهيل فى قراءة ورش هاء خالصة ، فيقرؤون الهمزة الثانية فى (أئنك ، وائذا) وما اشبه ذلك هاء ، وليس معنى التسهيل ، فالتسهيل تليين الهمزة الثانية حتى تكون بين الالف والهمزة ، او بين الواو والهمزة ، او بين الياء والهمزة ، ويقابله التحقيق بهما همزتين خالصتين .

ولم ينعدم التجويد بالمرة فى المغرب فى اي زمان ، ولكنه كما قلت سابقا نادر ، واكثر القراء على خلافه ، ومما يدلنا على ذلك ما جاء فى نصوص الشيخ النهامي ابن الطيب السجلماسي ، ثم الغرفي فى انكار تبديل التاء بما تقدمت الاشارة اليه ، وهذه الابيات بعضها مختل الوزن ، فانا انقلها على علاتها قال :

ويدور معه كيفما دار ، فهو سعيد موفق منصور مهتد ، لان القرآن هو الصراط المستقيم ، فمن خرج عنه وقع في الزيغ والهلاك . ويشابه هذا المعنى حديث الاربعين قال النووي : عن ابي محمد عبد الله بن عمرو ابن العاص قال : قال رسول الله (ص) : لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به . حديث حسن صحيح ، رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح .

ومصداقه في كتاب الله عز وجل قوله تعالى في سورة النساء (65 فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فلا تصح دعوى الايمان ، ولا تدرك ثمرته ، وهي السعادة الا برد كل نزاع الى كتاب الله وسنة رسوله ، والرضا بما يصدر عنهما من حكم ، مع التسليم والاذعان والمحبة .

وقوله (ولا تلتبس به الالسنة) لان الله يسر تلاوته وتدبره على العربي والعجم ، ولذلك تجد المجودين والمتضلعين في علوم القرآن من الشعوب الاعجمية اكثر مما تجدهم من العرب . وفي هذه الايام جرت مباراة في (مالزية) بالشرق الاقصى في تجويد القرآن ، وحسن تلاوته ، اشترك فيها اربعة عشر قطرا ، رجالا ونساء ، ففاز بالجائزة الاولى قراء مالزية وقارئاتها ، وفاز بالجائزة الثانية قراء اندونيسيا وقارئاتها ، صدق الله العظيم (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر) .

(ولا يشبع منه العلماء) لان فوائده لا نهاية لها، فمن شبع منه فهو من الجاهلين . وللاستاذ محمد مارماديوك بكثول الانكليزي النسب رحمه الله في مقدمة تفسيره للقرآن بالانكليزية كلام حسن في هذا المعنى ، وليس تحت يدي الآن نسخة منه لانقله . وكذلك الاستاذ الفرنسي خير الدين زينه في تفسيره للقرآن بالفرنسية رحمه الله .

(ولا يخلق عن كثرة الرد) اي لا يبلى مع كثرة التلاوة واعادتها ، ولا يمل (ولا تنقضي عجائبه) أودع الله في القرآن حكما واسرارا لا نهاية لها ، فلا تزال تظهر للمفكرين والمتدبرين فيتعجبون منها (هو الذي لما سمعته الجن اجلته واكبرته ، وبهرها حتى قالت (انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد) الى الخير والعدل والحق ، واهم ذلك توحيد الله ، ولذلك قالوا (فلن نشرك بربنا احدا) وسائر ما قالوه في سورة الجن يدل على شدة تاثير القرآن فيهم .

وقوله (من قال به) أفتى بمقتضى ما فيه (صدق) اي أصاب الحق ، ومن أفتى بخلافه كذب ، (ومن عمل به) نجا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، ومن لم يعمل به هلك هلاكا ابديا (ومن حكم به عدل) ومن حكم بخلافه تعدى وظلم (ومن دعا اليه) اي الى تحكيمه والعمل به (فقد هدي) بصيغة المجهول والمعلوم ، وهما متلازمان ، لان الهادي الى الصراط المستقيم مهدي .

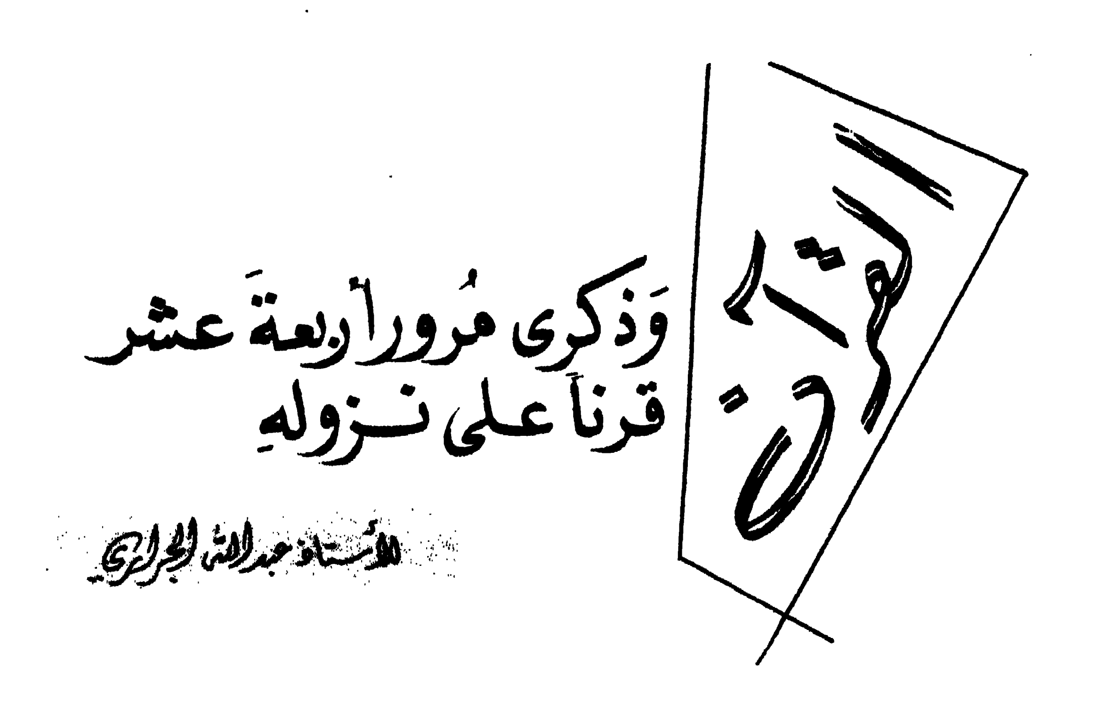
تجويد القرآن

اعلم ان تجويد القرآن فرض على كل قارىء ، وتعليمه فرض كفاية على اهل كل بلد ، فان تركوه واهملوه اثموا جميعا ، وقد نص العلماء على ذلك ، رحرروه اتم التحرير ، غير ان هذا المقال قد طال ، لذلك اردت أن الم به الماما .

قال ابن الجزري في المجلد الاول من كتابه (النشر في القراءات العشر ص 210 ما نصه : التجويد مصدر من جود تجويدا ، والاسم منه الجودة ضد الرداءة ، يقال : جود فلان في كذا اذا فعل ذلك جيدا ، فهو عندهم عبارة عن الاتيان بالقراءة مجودة الالفاظ ، بريئة من الرداءة في النطق . ومعناه انتهاء الغاية في التصحيح ، وبلوغ النهاية في التحسين .

ولا شك أن الامة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن واقامة حدوده ، متعبدون بتصحيح الفاظه ، واقامة حروفه على الصفة المتلقاة من ائمة القراءة ، المتصلة بالحضرة النبوية الافصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها ، ولا العدول عنها الى غيرها .

والناس في ذلك بين محسن مأجور ، ومسيء آثم أو معذور ، فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح ، العربي الفصيح ، وعدل الى اللفظ الفاسد العجمي أو النبطي القبيح ، استغناء بنفسه ، واستبدادا برايه وحدسه ، واتكالا على ما الف من حفظه ، واستكبارا عن الرجوع الى عالم يوقفه على صحيح لفظه ، فانه مقصر بلاشك ، وآثم بلا ريب ، وغاش بلا مرية ، فقد قال النبي (ص) : الدين النصيحة : لله ، ولكتابه ولرسوله ، ولائمة المسلمين وعامتهم .



اخرج ابن ابي حاتم وابن الانباري وغيرهما عن ابن عباس قال : نزل القرآن جملة واحدة من عند الله تعالى من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين فى السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عليه السلام عشرين ليلة . ونجمه جبريل عليه السلام على الرسول الاعظم صلوات الله عليه — عشرين سنة . وفى رواية انه انزل ليلة القدر فى رمضان ووضع فى بيت العزة فى السماء الدنيا . ثم انزل نجوما فى عشرين — ثم قرأ : « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا » .

ونزوله فى مدة عشرين سنة قد لا يتفق مع اقامة الرسول الاكرم بالمدينة عشر سنين وبمكة ثلاث عشرة سنة — فقد أوحى اليه عليه السلام وهو ابن أربعين سنة . والتحق بالرفيق الاعلى وهو ابن ثلاث وستين على ما صح . نعم اجابوا — ان ما زاد على العشر حذف اختصارا على عادة العرب فى اساليبها القولية انها تحذف الكسر فى كلامها . (1) .

وكان ينزل به جبريل عليه السلام على ما قيل هنا — خمس آيات — اخرج البيهقي فى الشعب عن عمر رضي الله عنه انه قال : تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات ، فان جبريل عليه السلام كان ينزل به خمسا خمسا وعى أبي نضرة قال : كان ابو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشي ويخبران جبريل عليه السلام نزل به خمس آيات خمس آيات ، ويظهر انه الغالب فى النزول والا فقد صح انه نزل باكثر من ذلك وباقل .

وهذا سر قوله تعالى : « لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا » نزل هكذا بعضه اثر بعض ليقرأ على الناس بتوءدة وتأن فيسهل عليهم حفظه ، ويكون ذلك اعون على تفهم معناه « وفائدة قوله : ونزلناه بعد قوله : فرقناه — بيان ان ذلك التنزيل لمقتض وهو التنزيل على حسب الحوادث والنوازل التي كانت تجري فى عهده صلى الله عليه وسلم اعتقادا وعبادة واجتماعا ، حيث لا يلبث روح القدس ينفث فى روعه صلوات الله عليه بما يكون وما لا يكون حكما ناجزا فى النازلة لا يدع لهواجس النفس وخلجاتها مكانا للاضطراب والريب الشيء الذي نرى له الرب جلت عظمته يهدد على لسان رسوله الاكرم محمد عليه السلام الذين قد لا تطمئن نفوسهم للكتاب المقدس متطاولين ومغيبين ايمانهم قائلين : « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا » ، «قل آمنوا به أو لاتومنوا» اي آمنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الانس والجن

1) وورد فى خمس وعشرين بل جاء فى ثمان عشرة سنة — ثمان سنين بمكة ، وعشر بعدما هاجر . اه من تفسير الالوسي ج : 15 ص 188 .

تحفظ رعاك الله في السر والجهر
على مخرج التا حين تتلو بلا عسر
الى الحنك اصعد عند اخراجك لها
ولا تنحون نحو الثنايا تنل شكري
ولا تحدثن فيها صفيرا ورخوة
فذلك فعل الجاهلين ذوي السكر
فبالسين والزاي الجهير وصدها
يخص صفير القوم كلهم فادر
كما خصصوا رخوا بجملة احرف
وليس لحرف التاء فيهن من ذكر

وقد كان علماء المغرب الى عهد قريب جدا معنيين بتجويد كتاب الله احسن عناية قلما يجاريهم في ذلك علماء قطر آخر من الاقطار الاسلامية ، حتى ان الملك فؤاد ملك مصر اراد ان يطبع المصحف على الرسم العثماني ، وكلف بذلك جماعة من علماء مصر المحققين ، لم يجدوا من الكتب ما يعتمدون عليه مثل كتاب مورد الظمآن بشرح العالم المقرىء عبد الواحد ابن عاشر ، ومن اشهر المنظومات التي عم نفعها ، وقل في التحقيق والبلاغة نظيرها منظومة (الدرر اللوامع في اصل مقرا الامام نافع) لابي الحسن على بن محمد الرباطي المشهور بابن بري قال في المنظومة المذكور :

القول في التحقيق والتسهيل
للهمز والاسقاط والتبديل
والهمز في النطق به تكلف
فسهلوه تارة وحذفوا
وابدلوه حرف مد محضا
ونقلوه للسكون رفضا
فنافع سهل اخرى الهمزتين
بكلمة فهي بذاك بين بين

قال شارحه ابراهيم المارغني شيخ القراء بالجامع الاعظم بتونس المتوفى سنة 1349 هـ . في ابن بري المسمى (النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في اصل مقرا الامام نافع) ما نصه : التسهيل في اصطلاح القراء اذا اطلق اختص بالتسهيل بين بين ، أي فالهمزة الثانية بسبب ذلك التسهيل تكون بين بين، أي بينها وبين الحرف المجانس لحركتها ، فتكون المفتوحة بين الهمزة والالف ، والمضمومة بين الهمزة والواو ، والمكسورة بين الهمزة والياء ، هذا هو المأخذ به عندنا في كيفية التسهيل بين بين .

قال ابو شامة : وكان بعض اهل الاداء يقرب الهمزة المسهلة من مخرج الهاء ، قال : وسمعت أنا منهم من ينطق بذلك ، وليس بشيء . اهـ لكن جوز الداني وجماعة ابدالها هاء خالصة في الانواع الثلاثة .. قال العلامة سيدي عبد الرحمن بن القاضي في بعض تآليفه : جرى الاخذ عندنا بفاس والمغرب في المسهل بالهاء خالصة مطلقا ، وبه قال الداني . اهـ وجوزه بعضهم في المفتوحة دون المضمومة والمكسورة ، والاكثرون على المنع مطلقا ، وعليه جرى عملنا بتونس . اهـ .

قال محمد تقي الدين : الصواب هو تسهيل الهمزة الثانية بين بين كما قاله ابو الحسن ابن بري ، وقرره شارحه ، ولا حق للداني ان يتصرف في كتاب الله ، فيبدل حرفا بحرف ، لان القرآن سنة متبعة ، لا مجال فيه للاجتهاد ، ولا تصح الرواية بابدال أخرى الهمزتين هاء البتة . وقد روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة ان النبي (ص) قال : من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) وقد طال هذا المقال حتى انه لا يحتمل الزيادة . فنسأل الله أن ينفعنا ويرفعنا بالقرآن العظيم ، وبما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، وأن يجعله لنا شافعا مشفعا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مكناس : الدكتور تقي الدين الهلالي

وقد لا يداخل ادنى مسلم ريب فى هذه الحقيقة التي سجلها الكتاب المقدس ذاته فى الآية التاسعة من سورة الحجر « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » هو الكتاب المبين الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ــ القرآن الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الترداد

تزداد منه على ترداده مقة

وكل قول على الترداد مملول (1)

انها الحقيقة الوضاءة التي لا يكاد يماسها حجاب أو يخفيها ستار حتى الساعة والمسلمون فى مشارق الارض ومغاربها يتعبدون بتلاوته ، ويتدبرون اسرار آياته ، جاعلينه أنشودتهم التوجيهية فى كل المقاصد والاهداف ايمانا منهم بدستوريته الحق ، وايقانا بحصيلته الثرية الغنية فى كل جانب من جوانب الحياة، وكل غرض من الاغراض سواء فيها الفردية والاجتماعية .

هذا ما حفز بعض الشعوب الاسلامية وفى المقدمة مغربنا الكريم ليقيموا مهرجانا عظيما « بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان العظيم » اذ قامت كل من وزارتي الانباء والاوقاف والشؤون الاسلامية بالسهر على اختيار مقرئين من أطراف المغرب بواسطة لجنة رشحت لذلك ثم بعد طوافها على عدة مدن اختارت طائفة من القراء ، واقتضى الحال اجراء تدريب فني تضمن اعطاء قواعد علمية فى التجويد والتنزيل والتحسين والتمرين على ذلك مدة ستة ايام وعلى ضوء هذا وقع احياء الذكرى يوم عاشر رمضان المبارك 1387 ــ 1967 بمسرح محمد الخامس بالعاصمة ــ حيث تلا كل القراء المدربين حصة من الكتاب الكريم وعددهم 28 قارئا وقارئة بمحضر اللجنة ومن أضيف اليها من القراء كالمقرىء الحصري المصري والسيد عبد الرحمن بن موسى وكان كل فرد من افراد اللجنة يسجل تقديره لكل قارىء .

وختاما كان النجاح حليف خمسة قراء من بينهم قارئة (2) واذ صادف المهرجان ذكرى مرورسبعة اعوام على وفاة محرر المغرب البطل الخالد محمد الخامس نور الله ضريحه ختم حفل الذكرى المقام سنويا بالضريح الحسني بتوزيع الجوائز على الثلاثة الاول من الفائزين .

وقد ضمت نقودا ومصاحف من المصحف الخالد الذي أمر جلالة الحسن الثاني ايده الله بطبعه بعدما اختير خطاط فني لذلك ولجنة من القراء للسهر على تصحيحه ــ تحت اشراف وزارة الشؤون الاسلامية النشيطة . وكان مسك الختام تلاوة الفائز الاول الحاج محمد الحياني آيات بينات من الذكر .

نعم كان هذا التمهيد لاقامة الذكرى الكبرى تحت اشراف الملك المعظم الحسن الثاني ليلة القدر المباركة (27 رمضان 1387) بمسجد اهل فاس ــ ازاء القصر الملكي ــ فى مهرجان ديني مهيب يتناسب وعظمةالكتاب المقدس وخيرية الليلة ــ حضره علية القوم من المومنين مغاربة وغيرهم ممن استدعوا خصيصا لحضور الذكرى المجيدة .

وفى نفس الليلة المباركة قامت عدة جمعيات وهيئات (ككل مساجد المغرب) باقامة مهرجانات قرآنية ــ كلها تلاوة للآي الذكر الخالد علاها نور وشعور من جميع المومنين ، خاصة ما كان يتخلل بعض المهرجانات من أحاديث الوحي والتنزيل ومراتبه وكيف كان الرسول محمد صلوات الله عليه يتلقى ذلك .

ادام الله النصر والتأييد للملك المعظم واعانه على احياء المآثر والذكريات التي لا يعزب عن البال ما تحمله فى طياتها من اذكاء الوعي ، وبث روح اليقظة والرجوع قليلا الى الوراء والعيش لحظات فى أحضان الماضي الجميل الذي ندين لتراثه الخالد بشتى المنن تمدنا وحضارة خاصة ما يعود الى تركيز العقيدة واخلاص العمل الصافي الينابيع والتأثر من كتب (3) بكل ما يمت الى الاسلام الصحيح بصلة .

الرباط : عبد الله الجراري

---

1) من لامية المديح للبوصيري

2) وكان للتلفزة المغربية حظها المشكور فى البعث والتقريب .

3) من كتب لا عن كتب .

على ان ياتوا بمثله لم ياتوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا — أو لا تومنوا به فان ايمانكم به لن يزيد فى خزائن رحمة الله ولا تركم للايمان به ينقص ذلك .

وزاد سبحانه معللا عدم المبالاة بهم واحتقارشأنهم قائلا : « ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا » اي وان تكفروا به فان العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من قبل نزول القرآن ، وعرفوا ان الله سيبعث نبيا — يخرون لله سجدا شكرا له على انجاز وعده بارسالك يا محمد حين يتلى عليهم هذا القرآن — ويقولون فى سجودهم : تنزه ربنا عن خلف الوعد انه كان وعده آتيا لا محالة — فان لم تومنوا به فقد آمن به احسن ايمان من هو خير منكم ، وفى هذا تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم وازدراء بشأنهم .

ثم ما خر هؤلاء ساجدين له عن ايمان واطمئنان كالاعراب الذين شهدوا نزوله ووحيه بين ظهرانيهم الا لقداسته واعجازه — الاعجاز الذي يقول عنه يوسف السكاكي الخوارزمي (ت : 626 — 1229 م) يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن ، تدرك ولا يمكن وصفها كالملاحظة ، كما يدرك طيب النغم العارض للصوت ، ولا يدرك تحصيله لغير ذوي الفطرة السليمة الا باتقان علمي المعاني والبيان والتمرين فيهما . وهذا ابو حيان التوحيدي (ت : 400 — 1010 م) يقول : سئل بندار الفارسي عن موضع الاعجاز من القرآن فقال : هذه مسألة فيها حيف عن المعنى ذلك أنه شبيه بقوله : ما موضع الانسان من الانسان — فليس للانسان موضع من الانسان بل متى اشرت الى جملته فقد حققته ودللت على ذاته ، كذلك القرآن لشرفه — لا يشار الى شيء الا وكان ذلك المعنى آية فى نفسه ومعجزة لمحاولة ، وهدى لقائله .

وليس فى طاقة البشر الاحاطة بأغراض الله فى كلامه وأسراره فى كتابه ، لذا تعذر على الانسان الاتيان بمثله ، لان علمه لا يحيط بجميع اسماء اللغة العربية وأوضاعها التي هي ظروف المعاني ، ولا يدرك المجموع معاني الاشياء المحمولة على تلك الالفاظ ، ولا تكمل معرفته باستيفاء جميع وجوه المنظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض — فيتوصل باختيار الافضل من الاحسن من وجوهها الا ان ياتي بكلام مثله — واذا تأمل المؤمن القرآن الكريم وجده حاز كل القداسة والكمال اللذين لم يبلغهما غيره من انواع الكلام ، ولن يبلغ ذلك — فالقرآن فى غاية الشرف والفضيلة حتى لا يرى شيء من الالفاظ أفصح ولا اجزل ولا اعذب من الفاظه ولا يرى نظم احسن تأليفا واشد تلاوة وتشاكلا من نظمه .

اما معانيه فيقف عندها الوصف اذ هي اعلى من كل علي ، واقدس من ان يحصيها القلم ويحصرها .

اذا يخلص من هذا ان القرآن انما صار معجزا لانه جاء بافصح الالفاظ فى أحسن نظوم الصياغة والتأليف، وقد ضم أصح المعاني — من توحيد اللهوتنزيهه فى صفاته ، ودعائه الى طاعته وبيان طريق عبادته من تحليل وتحريم ، وحظر واباحة ، ومن وعظ وتقويم ، وامر بمعروف ، ونهي عن منكر ، وارشاد الى محاسن الاخلاق وزجر عن مساوئها ، واضعا كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء اولى منه ، ولا يتوهم فى صورة العقل اليق به منه — مودعا اخبار القرون الماضية ، وما نزل من مثلات الله بمن مضىوعائد منهم، منبئا عن الكوائن المستقبلة فى الاعصار الاتية من الزمان جامعا فى ذلك بين الحجة والمحتج له ، والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك آكد للزوم ما دعا عليه ، واحرص على وجوب ما امر به ونهى عنه ، ومعلوم ان الاتيان بمثل هذه الامور والجمع بين اشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر يعجز عنه قوى البشر ، ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق دونه ، وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته فى شكله ثم صار المعاندون له يقولون مرة انه شعر لما راوه منظوما ، ومرة انه سحر لما راوه معجوزا عنه غير مقدور عليه ، وقد كانوا يجدون له وقعا فى قلوبهم وقرعا فى نفوسهم يرهبهم ويحيرهم فلم يتمالكوا ان يعترفوا به نوعا من الاعتراف — ولذلك قالوا : ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة — ان اعلاه لمثمر ، وان اسفله لمغدق ، وما هو بقول بشر .

وكم يعجب فى توجيه اعجاز القرآن — ما درج عليه فيلسوف الاندلس ابن رشد — 595 هـ 1198 م قائلا : من المسلم ان القرآن ليس كتاب عقيدة فقط كسائر الكتب المقدسة التي سبقته ، ولكنه كتاب عقيدة وشريعة معا .

وهذا اهم ما امتاز به عن كتب الوحي الاخرى — فكانلهذه الظاهرة المعجزة الكبرى الخالدة خلود الدهر:

(اعظمها معجزة القرآن   تبقى على تعاقب الازمان)

وقد بنى الدكتور طه حسين نظريته هذه ، على شكه فى كثير من الشعر الذي يروى للجاهليين ، ذلك الشك الذي بسطه بسطا فى كتابه المتداول المعروف « فى الادب الجاهلي » والذي يعتبر طبعة اخرى لكتابه « فى الشعر الجاهلي » الذي أثار عند ظهوره ضجة عارمة ، اضطر معها الدكتور طه حسين فى النهاية أن يعد له بالزيادة والنقص ، ثم يصدره باسم آخر ، هو « فى الادب الجاهلي » .

وسواء كان الشك فى الادب الجاهلي يقوم على اسس سليمة أم لا ، فان الذي لاشك فيه انه لا يمكن ان يرقى من حيث الصحة الى درجة القرآن الكريم ، الذي هو اول نص عربي وصل الينا ، موثوق بصحته تمام الثقة ، لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد .

*

والقرآن بعد ذلك ، ليس أول نص عربي موثوق بصحته وصل الينا فحسب ، بل انه زيادة على ذلك ، اقوم واجمل وارقى نص فى اللغة العربية على الاطلاق بل ان اعجازه فى كل ذلك كان هو معجزة الاسلام الكبرى ، معجزته الخالدة ، التي تحدى بها الخلق جميعا أن ياتوا بسورة من مثله ، وحكم الله تبارك وتعالى حكمه القاطع ، بأنهم لن يستطيعوا ان ياتوا بسورة من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

ولن نعدو الحقيقة والواقع اذا قلنا ، ان اية لغة من اللغات ، لا تتوفر من بين جميع نصوصها الادبية الرائعة ، على نص ، يرقى فى درجته الى درجة النص القرآني فى اللغة العربية ، أو يفعل فى قارئيه ومستمعيه مفعول القرآن فى قارئيه ومستمعيه من العارفين باللغة العربية ، ولو لم ترق معرفتهم بها الى حد كبير .

*

ونحن نريد أن نخلص من كل ذلك الى تقرير قضية على جانب كبير من الاهمية ، هي اننا نحن العرب المسلمين جميعا ، لا نستفيد فى نعليم ابنائنا لغتهم العربية الفصحى ، استفادة كبيرة ، من نص القرآن ، كأقدم نص عربي موثوق به وصل الينا ، وكأرقى واجمل واقوم نص فى اللغة العربية على الاطلاق .

نعم ، اننا لا نهمل اهمالا كليا ، ولكننا نكاد نقصر النظر اليه ، على أنه فقط كتاب هداية وارشاد ، وهو كذلك فعلا ، ولكنه الى جانب ذلك نص ادبي رفيع ، كان ينبغي ان نستفيد منه اعظم الاستفادة فى تقويم السنة ابنائنا ، والارتقاء بأذواقهم ، وارهاف حسهم اللغوي ، وطبع ملكاتهم بالاسلوب الارقى والامتن ، والاصح والاجمل ، وكل ما الى ذلك من افعال التفضيل .

*

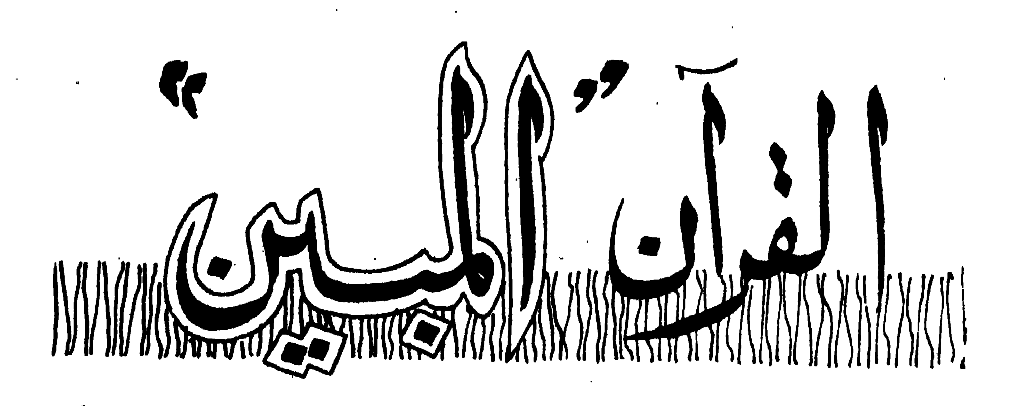
ان تلقين القواعد شيء مهم واساسي فى تعليم اللغات ، قواعد النحو والصرف والبلاغة وما اليها ، ولكن الاجماع معقود على ان ذلك لا يكفي ، وانه لابد معه ، وقبله ، وبعده ، من وضع النصوص الادبية الرفيعة بين أيدي التلاميذ والطلاب ، وتعويدهم على فهمها ، وتذوقها ، وتحليلها ، واعتصارها ، لتعطي كل ما يمكن لها أن تعطيه ، لابد من النموذج اللغوي الرفيع ، للتشبع به ومحاولة احتذائه ، ذلك الاحتذاء الذي يكون شعوريا احيانا ، ويكون غير شعوري فى كثير من الاحيان ؟

ونحن نفعل ذلك فعلا ، فنضع بين ايدي التلاميذ والطلاب نماذج من الشعر والنثر تبتدىء بامرىء القيس ، والنابغة ، والاعشى ، وطرفة بن العبد ، وتنتهي الى البارودي ، وشوقي ، وحافظ ، مارة بالمتنبي والمعري والبحتري وأبي تمام ، وبالجاحظ ، وابن المقفع ، وعبد الحميد الكاتب ، وبالحريري وبديع الزمان الهمذاني ، وغير هؤلاء وأولئك .

ولكنا قلما نضع بين أيديهم النص الارقى والامثل النص المعجز فى اللغة العربية ، المثل الاعلى ، النموذج المصفى ، الذي هو القرآن الكريم .

وخذ اي كتاب من كتب الادب ، أو من كتب تاريخ الادب فى المدارس الثانوية والابتدائية ، بل خذ المحاضرات التي تلقى فى الادب فى الجامعات على اختلافها ، فستجد نفسك امام سيول وسيول من النصوص الادبية قد لا يكون القرآن من بينها ، واذا كان ، فانه قد لا يأخذ من الحيز ، أو من الوقت ، أو من الاهتمام ، الا مقدار ما يمكن ان تأخذه مقامات الحريري ، أو خمريات ابي نواس ، أو اهاجي جرير والفرزدق والحطيئة .

وسواء هنا فى المغرب أو فى غير المغرب من البلاد العربية الاسلامية فان الشكوى قائمة قاعدة ، من



للأستاذ عبد القادر الصحراوي

كان اهتمام المسلمين الاولين بالقرآن الكريم ، وحرصهم على الحيلولة دون تطرق اللحن أو التحريف الى لفظه ، وعنايتهم بالتدليل على مجاراة استعمالاته اللغوية كلها لكلام العرب ، كان كل ذلك من الاسباب الاساسية فى تدوين اللغة ، وجمع الاشعار ، ووضع المعاجم والقواميس وما الى ذلك .

لقد انزل القرآن بلسان عربي « مبين » ، هذا شيء قرره القرآن نفسه ، ويؤكده أن العرب الذين نزل بين ظهرانيهم ، وبلغتهم ، كانوا يسمعونه فيفهمونه بسهولة ، ويتأثرون به غاية التأثر ، ولا يشكل عليهم منه شيء ، سواء فى الفاظه او تراكيبه ، أو استعمالاته النحوية والبلاغية .

كانوا يسمعونه ، فينفذ الى وجدانهم ، ويحرك سواكنهم ، ويثير عقولهم ، وينفعلون به انفعالا ، لا يترك لهم مجالا للتفكير فى هذه اللفظة او تلك ، أو هذا الاستعمال أو ذاك .

وما أن بعد العهد بعض الشيء بزمان الوحي ، وعهد السليقة والفطرة السليمة ، واتسعت الفتوحات، واتصل العرب بغيرهم من الامم ، واقبلت هذه الامم على تعلم اللغة العربية التي لم تكن بالنسبة اليها لغة فطرة وسلقية ، حتى بدأ الناس يقفون عند بعض الاستعملات اللغوية أو النحوية أو البلاغية فى القرآن، يحللون ويفسرون ، ويختصمون فى بعض الاحيان ، ويحاول البعض ان يجد من ذلك منفذا للطعن فى القرآن ولو من طرف خفي ، ويحاول البعض الاخر ان يسد الباب دون ذلك الطعن ، بالتماس الاشباه والنظائر من كلام العرب الاقدمين للتدليل على سلامة الاستعالات القرآنية ، من لغوية ونحوية وبلاغية .

وتوسع المتوسعون فى ذلك حتى اصبح الناس أمام ظاهرة غريبة وان لم تبد لهم هم غريبة فى ذلك الحين ، هذه الظاهرة هي ان النصوص الادبية الجاهلية . الغير المقطوع بصحتها فى مجموعها قطعا كاملا ، او التي لا ترقى — على الاقل — فى الجزم بصحتها الى مستوى القرآن ، اصبحت هذه النصوص الجاهلية هي الاصل ، الذي تقاس عليه الاستعمالات اللغوية القرآنية ، ويستدل به على صحة هذه الاستعمالات وسلامتها .

ومر على ذلك زمن طويل ، قبل ان ياتي الدكتور طه حسين فى العصر الحديث ، ليحطم هذه القاعدة او هذه الظاهرة ، وليقول ، ان القرآن هو أقدم نص عربي مقطوع بصحته وصل الينا ، واننا لا ينبغي أن نلتمس التدليل على سلامة استعمالاته اللغوية والنحوية والبلاغية ، بالاستدلال من كلام العرب الاقدمين الذي لم يدون الا فى عصور متأخرة ، بل ان عكس ذلك هو الصحيح ، اي ان نتخذ القرآن هو الاصل ، وهو المقياس وهو المعيار ، فنقبل من الاستعمالات اللغوية الادبية القديمة ما وافقه ونقف موقف الشك من كل ما خالفه من هذه الاستعمالات .

ونريد أن نسارع هنا فنقرر ، ونحن نتحدث عن شرح القرآن وتفسيره ، اننا نرى ان القرآن بأسلوبه السهل الممتنع ، اسلوبه المعجز ، ربما كان فى غنى عى كل تفسير ، فقد نزل بلسان عربي « مبين » بلغة عربية واضحة سهلة قريبة المتناول ، لا تعقيد فيها ولا غموض ولا ابهام .

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعني عناية كبيرة بشرحه وتفسيره للناس ، سواء من المؤمنين او غيرهم ، وانما كان يقراه كما يوحى به اليه ، فيفهمه كل من يسمعه ، ويتأثر به ، فأما الذين آمنوا فيزيدهم ايمانا ، واما الذين كفروا واصروا على كفرهم وجحودهم وعنادهم لاسباب اخرى لا تتصل بالتأثر والاقتناع ، فانهم يتولون وهم مدبرون ، ويوصون اتباعهم واصحابهم الا يسمعوا لهذا القرآن ، وأن يلغوا فيه ، لانهم اذا سمعوه لم يؤمن عليهم ان يتأثروا به على الفور ، والتأثر يسبقه بطبيعة الحال ، الفهم ، والادراك ، والتذوق ، واستشعار الجمال والجلال .

هكذا كان شأن القرآن فى العصر الاول ، وانما احتاج الناس الى تفسيره بعد ذلك لما بعد العهد ، وضعفت السليقة ، ولم تعد الملكة اللغوية حتى عند العرب انفسهم فى قوتها الاولى . وذلك لاسباب تاريخية ليس هنا مجال شرحها .

ولكن المفسرين لم يقفوا عند حد التفسير الذي يساعد على الفهم . وانما بعدوا عن ذلك بعدا كبيرا ، فاتخذوا من القرآن منطلقا لعرض جميع معارفهم وعلومهم فى اللغة وفى الفقه ، وفى الفلسفة والمنطق والجدل ، وفى علوم الفلك والطب والطبيعة والكيمياء وغير ذلك ، كما اتخذ منه بعض المفسرين ذريعة لنصرة هذا المذهب او ذاك ، وتأكيد هذه النحلة أو تلك من النحل العقائدية التي اختصم فيها المسلمون كثيرا ، وتعددت فيها مدارسهم واتجاهاتهم واساليبهم فى الفهم والتفكير والنظر .

واصبحنا نتيجة لكل ذلك امام عدد هائل من كتب تفسير القرآن ، ليست فى واقعها تفسيرا له بالمعنى الصحيح ، فهو فى الواقع لا يحتاج الى تفسير ، واذا احتاج الناس الى تفسيره لهم بسبب ضعف ملكاتهم اللغوية ، فانما ينبغي أن يكون ذلك فى نظرنا بالقدر الذي لا يخرج عن القرآن نفسه ، وبالقدر الذي لا يتعدى شرح بعض المفردات والتعابير ، أو النص على اسباب النزول ، او ما الى ذلك مما لا يبعدنا اطلاقا عن النص القرآني نفسه ، لانه هو المراد ، وهو المقصود وهو الغاية .

أما دروس النحو والصرف والبلاغة ، وأما المنطق والجدل اللفظي والعقائدي ، وأما الفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع ، وأما الخصومات المذهبية ، فلكل ذلك وغيره مجالات اخرى كثيرة ، وحشر ذلك كله فى تفسير القرآن انما من شأنه أن يبعد بنا عنه ، ككتاب هداية وارشاد ، وكنص لغوي أدبي رفيع الى حد الاعجاز .

قد يقال : ان كتب التفسير هذه التي نشير اليها لم توضع لعموم الناس ، وانما وضعت للطلاب النابهين وللعلماء المتخصصين .

وهو كلام له وجاهته ، وان كنا نرى مع ذلك ان فى استطاعة هؤلاء الطلاب النابهين والعلماء المتخصصين ان يشبعوا نهمهم العلمي فى مجالات اخرى ، وأن يبقى القرآن بالنسبة اليهم ، هو القرآن ، كما ينبغي أن يكون بالنسبة لجميع الناس .

وعلى كل ، فان كثيرا من كتب التفسير المطولة ، سواء القديمة منها أو الحديثة ، تعتبر ثروات ثقافية هائلة ، تستحق العناية ، وتستحق القراءة والدرس ، فهي معارض واسعة للثقافة العربية الاسلامية ، وللعلوم والمعارف الكونية ، من نظرية وعملية ، فقد داب كثير من المفسرين ، سواء فى القديم أو الحديث ، ان يتخذوا من القرآن — كما اسلفنا — منطلقا لعرض علومهم ومعارفهم الكثيرة المتعددة .

ويبقى بعد كل ذلك ، ان القرآن واضح لا يحتاج الى تفسير ، فيكفي ان نقراه وأن نسمعه بامعان وتدبر ، بقلوبنا وعقولنا معا ، بكل كياننا ، بكل ذرة فينا ، واذا احتجنا الى تفسيره — بسبب ضعف ملكتنا اللغوية — فيجب أن نلتمس ذلك من اقرب الطرق ، بحيث لا نضل ولا نتيه ، وبحيث لا نبعد ابدا عن القرآن نفسه ، القرآن اولا واخيرا وقبل كل شيء .

*

واذكر بهذه المناسبة ، ان اساتذتنا ونحن بعد فتيان صغار ، عندما اهتموا بمساعدتنا على فهم القرآن وضعوا بين ايدينا تفسيرا بسيطا لا ازال شخصيا اعتبره حتى الآن احسن التفاسير ، ولا ازال حتى الآن ارجع اليه كلما دعتني الضرورة الى ذلك ، ذلك هو التفسير المعروف بتفسير الجلالين . جلال الدين محمد ابن احمد المحلى المتوفى سنة 864 هـ وجلال الدين عبد الرحمان بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة 911هـ وقد بداه الاول ، واتمه الثاني من بعده على نمطه واسلوبه وشكله .

ضعف الملكة اللغوية عند التلاميذ والطلاب بل وعند كثير من المتخرجين فى الجامعات ، فمنهم من يعجز عن تحرير كلمة تحريرا سليما ، واكثر الذين يكتبون منهم بسهولة يكتبون بأسلوب مهلهل ، متخاذل ، واهي الاركان ، بل قد ينقصه الحد الادنى من السلامة اللغوية فى كثير من الاحيان .

وفى بعض البلاد العربية — وهذا شيء شاهدناه وسمعناه — يكاد يعتبر درس قواعد اللغة العربية درسا مقيتا غير مرغوب فيه ، لا يحضره الطلبة الا لانهم مجبرون على حضوره ، ولا يتجاوبون مع معلمه او أستاذه الا بالقدر الذي يستلزمه النجاح فى الامتحان

*

هذه ظاهرة واقعة ، ولابد لعلاجها من البحث عن اسبابها .

وفى اعتقادي أن من أسبابها، بل من أهم أسبابها، أننا فى العالم الاسلامي كله ، لم نعد نأخذ التلاميذ منذ نعومة أظفارهم باستظهار أجزاء ولو يسيرة من القرآن الكريم .

ونستطيع ان ندرك اهمية هذا السبب بسهولة كبيرة ، اذا عرفنا أن الفضل الاول فى متانة وسلامة الاسلوب العربي عند كثير من ادباء وشعراء الجيل الذي يعيش الان طور الكهولة والشيخوخة ، انما يعود الى أن أفراده فتحوا عيونهم عندما فتحوها على القرآن الكريم ، يسمعونه ، ويتلونه ، ويحفظونه ، ويتشبعون به ، ويأتي بعد ذلك دور القواعد ، بعد أن يكون اللسان قد انطبع ، وبعد أن تكون نفس الشخص وكيانه قد تشبعا بالاسلوب القرآني ، وتسرب اليهما ، واستقر فيهما وامتزج بهما .

تاتي القاعدة لتؤكد المثال والنموذج لا لتخلقه وهي وحدها عاجزة على خلقه على كل حال .

وأي مثال واي نموذج ؟ انه القرآن الكريم ، وكفى

بل اننا نستطيع ان ننظر حتىفى أساليب المشاهير من الكهول والشيوخ من الادباء المعاصرين ، فنجد أن الذين اتيح لهم منهم أن يكون القرآن مادة أساسية فى تعليمهم فى صغرهم ، يمتاز أسلوبهم العربي بالقوة والمتانة والسلاسة عن أساليب نظرائهم الذين لم يتح لهم ذلك ، لهذا السبب او ذاك ، مما لا نريد هنا أن نخوض فى شرحه وتفصيله .

فقد نجد فى بعض كتابات أو أشعار هؤلاء الذين لم يتح لهم أن يتعلموا القرآن فى صغرهم ، مضمونا يغري بالقراءة ، ولكننا نفتقد فى أسلوبهم تلك الطلاوة، وذلك الاشراق ، وتلك السليقية ، التي نجدها عند غيرهم من الذين أتيح لهم أن تنطبع ألسنتهم وملكاتهمفى وقت مبكر بالاسلوب القرآني الرفيع .

*

ونعود الى موضوعنا ، فنؤكد مرة أخرى ، أننا نرى أن من أهم أسباب ضعف الملكة اللغوية عند الجيل الصاعد ، أننا لم نعد نأخذ صغارنا منذ نعومة أظفارهم باستظهار اجزاء ولو يسيرة من القرآن الكريم ، وهي نعمة نحرمهم منها دون سبب ظاهر ، ووسيلة لتربية الملكة اللغوية نفوتها عليهم ، ثم نعود بعد ذلك فنشكو مر الشكوى من ضعف ملكاتهم اللغوية عند ما يكبرون، وقد كان فى امكاننا أن نتلافى ذلك ، ولكننا لم نفعل ، فما احرانا أن نلوم انفسنا قبل ان نلومهم ، وما أحرانا أن نعمل على تدارك ما فات ، فنعلم أولادنا القرآن ، وهم بعد أطفال صغار ، ونستمر فى تعليمه لهم حفظا وفهما وتمرسا بأساليبه ، حتى يبلغوا من ذلك ما يراد لهم أن يبلغوه ، أو بعض ما يراد لهم أن يبلغوه .

نعم ان مقتضيات العصر ، وان سعة وتنوع المعارف التي أصبح على التلميذ والطالب ان يلما بها ليتهيآ للحياة العملية ، لم يعودا يسمحان باقتطاع سنوات من العمر للتوفر على حفظ القرآن ، ذلك الحفظ الذي قد يتطلب العمر كله أو جزءا كبيرا منه ، ولكننا ما نقل ذلك ، لم نقل بوجوب حفظ القرآن كله على كل متعلم ، فيكفي لكي يبقى القرآن محفوظا فى الصدور أن يتوفر على ذلك بعض الطلبة ، يتخصصون فى القرآن وعلومه حفظا وتجويدا وفهما فى معاهد مخصصة لذلك، ولكن ذلك لا يعني أن يبقى غيرهم محروما من الاخذ بحظه من القرآن ، وهو حظ يجب أن يكون فى مستوى أهمية القرآن ، ككتاب هداية وارشاد وتربية وتهذيب ، وكنص لغوي أدبي فريد من نوعه ، لا يمكن ان يرقى الى درجته أي نص لغوي آخر كيفما كان ، سواء فى اللغة العربية او فى غيرها من اللغات .



وتأتي بعد ذلك نقطة اخرى ، تتعلق بمعاني القرآن ، تتعلق بشرحه وتفسيره ، ومساعدة التلاميذ والطلاب على فهمه .

القرآن والتاريخ ..

للأستاذ محمد ازنيبر

على الكاتب اليوم ان اراد ان يتحدث عن القرءان فيستمع له الناس ، وتنصت له بالخصوص الاجيال الصاعده ، أن يجد الفاظا جديدة لصياغة أفكاره . فلن يفيد في شيء تكرار ما قاله السلف ، لا لان السلف أخطأوا أو كانوا قاصدين وانما لان المسألة مسألة أسلوب ... وأفكار طبعا .

وفي نظري ان الاسلوب يأتي في المقام الاول ، فأجمل الالحان وأشجاها تفقد وقعها في النفوس مع طول التكرار ، هذا اذا كانت جديدة غضة ، فكيف بها لو كانت ترجع الى عهود غابرة تعرب عن اذواق عتيقة احتضنها التاريخ في صحائفه المطوية ؟ !

وهنالك أسلوب فرض وجوده في عصرنا هو اسلوب القرن العشرين ، اسلوب بنى قوته وقيمته على تجارب الانسانية على اختلاف الازمنة والاماكن وعلى المكاسب التي حققها العقل الانساني في صراعه مع الطبيعة ، ومع المجهول . فهو اسلوب يغذي العقل، ويغذي العاطفة معا ، وهو اسلوب يستجيب لمشاغلنا الحقيقية التي نعايشها باستمرار ، كما انه يحقق نوعا ما المثال الذي نتوق اليه من الناحية الجمالية ، فهو على كل الاحوال ، اسلوبنا الطبيعي الذي به نرى الاشياء وبه نصوغ أفكارنا فاذا خرجنا عليه ، فان كلامنا يفقد قوته التأثيرية وتضيع الفائدة المرجوة منه.

والمسالة كذلك مسالة افكار . فليس من الممكن أن نفكر عما كان يفكر اسلافنا ، لان ظروفنا ليست هي ظروفهم ولان المشاكل التي نعانيها في هذا العصر تختلف عن مشاكلهم ، ولان وضع المسلمين في القرن العشرين ليس هو وضعهم في العصر الوسيط . فلا ننسى ان عصرنا هو ، قبل كل شيء عصر صراع حاد بين الافكار والعقائد ، وان المستند الاول والاخر للمذاهب والنظريات الرائجة في عصرنا هو العقل والتجربة ، وان الايمان بعقيدة ما اصبح يرتكز على البحث الحر والنقد ، وان الانقياد الفكري الرخيص اصبح مذمة ومنقصة في حق انسان هذا الجيل .

ومعنى هذا أن الدراسات الاسلامية لا يمكن ان تنتعش وتثير اهتمام الاجيال الحالية والمقبلة الا اذا روعى فيها هذا التعبير العميق الذي طرأ على الذهنية الانسانية منذ احقاب طويلة والا اذا استعمل فيها الاسلوب الصالح ، الاسلوب الطبيعي ، أسلوب العصر. والغريب هو ان عددا من الباحثين الغير مسلمين استطاعوا ان يقدموا عن الاسلام دراسات كان لها الفضل في اجتذاب طائفة من الشباب ، لانها باجتنابها لذلك المنهاج العاطفي المبتذل ، امكنها ان تبرز مزايا الاسلام الحقيقية .

* * *

ونحن عند ما نعود اليوم الى ذكر نزول القرءان ، ونتروى في أهمية هذا الحدث بالنسبة لتاريخ الانسانية تستوقفنا عدة تساؤلات تنطوي وراءها حقائق كبرى :

وقد دأب الناشرون على أن ينشروا بهامش هذا التفسير كتابا آخر مختصرا ومفيدا ، لجلال الدين السيوطي ، هو « لباب النقول فى أسباب النزول » .

ولاشك ان معرفة أسباب نزول الآيات ، اي معرفة الظروف التاريخية والنفسية التي اكتنفت واستدعت نزول هذه الآيات ، مما يساعد على فهمها وتذوقها واكتناهها .

وتفسير الجلالين ، تفسير معروف ومتداول على نطاق واسع ، واهميته فيما نرى ، ترجع الى انه لا يضيف شيئا الى القرآن ، ولا يعلق عليه ، ولا يبتعد عنه ليتيه فى وديان لا قرار لها ، كما هو شأن كثير من كتب التفسير القديمة أو الحديثة ، وانما يكتفي بتفسير الكلمة ، أو توضيح الاشارة ، أو النص على بعض « المكملات » أو « الزوائد » التي كثيرا ما يختصرها القرآن بأسلوبه المحكم المركز ، المتين الاسر ، وذلك كالظروف والاحوال والمجرورات وغيرها .

ومهما يكن ، فانه لا يبعد بنا ابدا عن القرآن ، وان كان مع ذلك يكاد يلتزم شرح جميع مفرداته وتعابيره ، وهو شيء لا نراه ضروريا الى هذا الحد ، فليس القرآن من الغموض أو من الصعوبة بحيثتحتاج كل كلمة فيه الى تفسير ، وانما يكفي ان يكون المرء على بعض العلم باللغة العربية ليستطيع أن يفهمه ويتذوقه ويتأثر به الى حد بعيد .

*

واخيرا ، فاننا لا نقصد الى اكثر من ان نؤكد لنوفسنا اننا نقصر فى حق أبنائنا عندما نفوت عليهم فى تعليمهم فرصة التمرس بالقرآن الكريم منذ نعومة أظفارهم ، التمرس به ككتاب هداية وتقويم وتربية وارشاد ، وكنص أدبي رفيع ، لا يمكن أن يطاوله فى رفعته اي نص ادبي آخر .

وكيف وقد أعجز الاولين والآخرين .

وكيف وقد تحدى به الرسول صلى الله عليه وسلم فصحاء العرب وبلغاءهم من اصحاب اللغة العربية الاصليين ، أولئك الذين كانت هذه اللغة بالنسبة لهم فطرة وسليقة .

فلنضع القرآن بين ايدي ابنائنا ، ولنجعلهم على اتصال دائم به طيلة فترات تعليمهم ، يهديهم ويقومهم ويرشدهم ، ويطبع السنتهم وملكاتهم بالاسلوب المتين ، الاسلوب المعجز ، الاسلوب السهل الممتنع .

واعتقد أننا اذا فعلنا ، فلن نشكو بعد من ضعف ملكاتهم اللغوية .

زيادة على اننا بذلك نقوم نحوهم بواجبنا الديني والمدني ، واجب التماس هدايتهم وارشادهم وتربيتهم وجدانيا وخلقيا .

وكل ذلك يتكفل به القرآن . ولن يستطيع غيره أبدا ان يسده مسده فى هذا الباب .

الرباط : عبد القادر الصحراوي

« كان للدعوة الاسلامية التي اطاحت بالاوضاع المدخولة . وقومت الاعوجاج والزيغ ، واستأصلت الفساد ، وقوضت أركان الطغيان . كان لها الدوى الذي تجاوز حدود الجزيرة العربية الى ما حولها والاثر البليغ الذي سرى فى شعوب وشعوب »

جلالة الحسن الثاني

وميول واهواء وافكار وأخلاق ونوايا . فالتغيير الحقيقي الذي يكون له اثر فى التاريخ يبدأ من النفوس ويتناول كل ما يمثل فيها القوة الفعالة . ويعني ذلك شحن النفوس ، بعد افراغها من كل ما هو فاسد ، بالافكار والحقائق الجديدة . وهذا ما يقودنا الى الفكرة الحديثة ، فكرة الضمير الجماعي او الوعي الجماعي ، كما عبر عن ذلك علماء الاجتماع فى عصرنا وبالجملة ، فالاية تحدد الهدف وهو السير نحو مجتمع افضل وتحدد الوسيلة وهي اثارة وعي جديد فى النفوس وتفترض وجود محرك اولي وهو الارادة الانسانية . وتلك هي الدعائم الكبرى التي قامت عليها الثورات الاصلاحية فى التاريخ .

ويؤكد هذا الاتجاه التجديدي الثوري فى القرآن ما نجده فيه من آيات تحارب الجمود والتقليد وتدعو الى استعمال العقل والنقد الحر « واذا فعلوا فاحشة، قالوا وجدنا عليها آباءنا » (7 \ 28) . « وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها : انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون » (43 \ 23) .

وكان لزاما على الاسلام ان يحارب التقليد والجمود لانه جاء لينسخ بالكلية كل العقائد القديمة فحارب عبادة الاوثان حتى انهاها من الجزيرة العربية قبل وفاة النبي .

وفكرة الصراع والكفاح التي ترتكز عليها اليوم كثير من الحركات السياسية والاجتماعية نجدها موضحة فى القرءان كحقيقة تاريخية وانسانية لا مندوحة عنها لحياة البشر وتقدمهم : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، أن الله لقوي عزيز » . (22 \ 40) . فالقرءان بهذا المعنى يؤمن بضرورة العمل المتواصل والكد والكفاح فى سبيل نصرة الدعوة وتحقيقها . ولذلك فان كثيرا من المسلمين فى الصدر الاول كانوا يرون ان التقاعد عن العمل فى سبيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اخلال بالواجب الديني ، بل ان احدى الفرق الاسلامية الكبرى ، وهم الخوارج ، كان فيهم من يكفر القعديين ، والقعديون (بفتح القاف والعين وكسر الدال) هم الذين يتخلفون عن النضال فى سبيل الفكرة ويؤثرون القعود فى البيت .

ومن المفاهيم الثورية التي نجدها فى القرءان تمييزه بين الاختيارات الرئيسية والجوهرية التي ترتكز عليها حياة الجماعة ، والمسائل الهامشية والسطحية كما هو واضح فى هاته الاية التي ضرب فيها المثل للتفريق بين الحق والباطل : « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ، كذلك يضرب الله الامثال » .

ويعني كذلك مفهوم الثورة فى عصرنا صورة جديدة للالفة والتضامن بين الناس ، فهي خلق لمجتمع جديد نشأت فيه روابط قوية غير معهودة من قبل وتغلبت فيه عوامل التقارب والالتحام على عوامل التفرقة والانقسام . وتلك صورة يقدمها لنا القرءان فى الاية : « هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين ، والف بين قلوبهم ، لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ، ولكن الله الف بينهم ، انه عزيز حكيم . » (8 \ 62) .

هذه بعض الايات التي تبين :

— ان القرءان يشتمل على كثير من المفاهيم النظرية عن الثورة وتحديداتها ، كما اقرتها التجارب التاريخية المختلفة قبل الاسلام وبعده الى عصرنا الحاضر .

— ان الاسلام كان يسعى منذ الاول الى هدف أهم واوسع من الدعوة الروحية المجردة ، وهو تحقيق انقلاب شامل وحاسم فى تاريخ البشر .

وبالفعل ، فقد استطاع الاسلام ان يطبق تلك المفاهيم الثورية النظرية التي ذكرنا البعض منها ، فكان ثورة شاملة تناولت الجوانب المادية والروحية في الجماعة ، وكان لها ابعد الاثر فى حياة الفرد وفى حياة المجتمع على السواء . ونحن عندما نقول هذا ، لا نندفع وراء أي عاطفة ، ولا ننساق مع تيار المبالغة . وانما نعبر عن حقيقة تاريخية بألفاظ متواضعة ربما كانت لا تفي بالتعبير . وهذه الحقيقة يسلم بها طائفة من كبار المفكرين والعلماء الاجانب عن الاسلام ، والذي لا يمكن ، على اي حال ، اتهامهم بالانقياد للهوى والتعصب.

فهذا فولتير فيلسوف القرن الثامن عشر بفرنسا يقول :

« لقد كان محمدا من دون شك ، رجلا عظيما وكون على يده رجالا عظاما . وكان من الضروري ان يكون اما شهيدا او فاتحا ، ولم يكن هنالك اي موقف وسط بالنسبة اليه . وقد حالفه النصر دائما، وكانت انتصاراته انتصارات الفئة القليلة على الفئة الكثيرة . وهو كفاتح وكمشرع ورئيس دولة وامام ديني لعب

ما الذي حدا بالعرب للخروج من جزيرتهم في القرن السابع الميلادي والانتشار فى انحاء العالـم المعروف آنذاك ، بعد ان ظلوا منزوين فى صحاريهـم عصورا ودهورا ؟ يجيبنا التاريخ بكلمة واحدة : القرآن.

وما الذي مكن هؤلاء العرب الطارئين من فرض سيطرتهم وشريعتهم وهم قلة على شعوب كثيـرة وقوية ، عريقة فى العلم والحضارة ؟ يجيبنا التاريـخ بكلمة واحدة : القرءان .

وما الذي جعل عددا من الشعوب فى افريقيـا وآسيا تصبح عربية بلغتهـا وثقافتها وتقاليدهـا وشعورها ، متناسية شخصيتها القديمة وثقافاتهـا الاولى ؟ يجيبنا التاريخ بكلمة واحدة : القرءان .

وما هو الد عدو صادفه الاستعمار الغربـي ولا يزال يصادفه فى الاقطار الاسلامية او التي توجد بهـا جماعة اسلامية فى آسيا وافريقيا ؟ يجيبنا التاريـخ بكلمة واحدة : القرءان .

واذن ، فللقرءان لقاء طويل مع التاريخ ، لقـد تحدث علماء الاسلام عن معاني القرءان ، عن أسبـاب النزول ، عن الآيات المتشابهات ، عن المفاهيم القرءانية فيما يخص الصفات الالاهية والعدل الالاهي والمعاملات بين المسلمين فى الدنيا ؛ وتحدث الصوفية عن المفاهيم الكبرى العميقة والخفية فى القرءان ، عن الفرق بيـن الشريعة والحقيقة ، عن المعرفة الصحيحة وطرقها ، عن مدراج السلوك نحو الاتصال بالذات الالاهية والفناء فيهـــا .

ولكن القرءان له دور تاريخي عظيم لم ينل نصيبه من الاهتمام عند علماء الاسلام فى القديم ولا زال لحد الساعة لم يدرس الدراسة الكافية الشافية . وانمـا هي لمحات مبعثرة نقراها لهذا الكاتب او ذاك فى مسائل محدودة . وكما راينا من خلال الامثلة السابقـة ، ان الدور الذي لعبـه القرءان فى التاريـخ مهم جـدا الى درجة انه يصعب على الباحث تقديره وقياسه بالمقاييس العادية . فالقرءان هو الكتاب الذي استطاع ان يتحول فى الحين الى اداة فعالة فى التاريخ لان كلامه لم يبـق مجرد آراء ونظريات ، بل انقلب فى حال صدوره الى مجموعة من التعاليم والاوامر التي يؤمن بها الملايين من الناس ويموتون فى سبيلها .

وهذا الدور التاريخي هو الذي يجب الاطـلاع عليه والبحث فى اطواره وجوانبه . وهو الذي يعطـي للقرءان قيمته واهميتـه فى نظر الباحثيـن من غيـر المسلمين . فالعلماء الاروبيون ، مثلا ، قد يجادلون فى بعض المعاني والافكار الواردة فى القرءان ، ولكن عند ما يتطرقون الى مفعوله فى التاريخ ، فربما قالوا احسن وأكثر مما يقوله عدد من المسلمين . وهذا يرجع الى كون اكثر الباحثين المسلمين لا زالوا فاقدين للحاسة التاريخية . وبهذا المعنى ، فالقرءان يفرض وجوده على العلماء المسلمين ككتاب سماوي مقدس ، قبـل كـل شيء ، وعلى العلماء من غير المسلمين كحدث تاريخي عظيم له اهميته فى تطور العالم .

ولتوضيح هذا الدور واهميته ، لا يسعنا فى هذه العجالة الا ان نورد بعض الامثلة ونحللها بايجاز .

واول ما يجب الوقوف عنده ونحن نستعـرض التاريخ هو « الثورة القرءانية » او الثورة الاسلامية ، والكلمة الاولى فى نظري أحسن لان القرءان هو التعبير الاصح والاوثق عن حقيقة الاسلام . اننا نتحدث اليوم كثيرا عن الثورة الفرنسية ، وعن الثورة الاشتراكية ، ولكننا ننسى ان العرب قاموا هم ايضا بثورة عظيمـة في التاريخ منذ أربعة عشر قرنا . ولست اشك فى ان المسلمين الاولين ما كانوا ليترددوا فى نعت الاسـلام بلفظ الثورة ، لو كانت هذه الكلمة تستعمل فى زمانهم بنفس معناها اليوم .

وما علينا الا ان نرجع الى القرءان لنجد هنالك كل المعاني والمفاهيم الجوهرية التي تقتضيها كل ثورة ذات الابعاد التاريخية . ولننظر اولا الى هاته الاية : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . ان تحليلها يؤدي بنا فى الاخير الى تحديد الثورة كما يفهمها المؤرخون والمفكرون فى عصرنا الحاضر . فالاية تفترض ، أولا ، انه من الممكن تغيير حالة المجتمع مـن حسن الى احسن او من سيء الى اسوا . فالمجتمع حر وليست هنالك اي حال مفروضة عليه بصورة حتمية. واستمراره على حالة واحدة وجموده ، انما هو نتيجة لعدم رغبته فى التغيير ولتوقف ارادته عن الحركـة . ومتى انتعشت تلك الارادة واتجهت الى الاصـلاح والتطور والتغيير فلا شيء يقف امامها . وبهذا المعنى فالعامل المحرك للتاريخ هو الارادة الانسانية . ولهذه الارادة غاية ووسيلة ، فالغاية هي تغيير « ما » بالقوم. وكلمة « ما » تفيد هنا الاحاطة والشمول ، وتشير الى الحالة الحقيقية التي يعيش عليها القوم فى النطـاق المادي والمعنوي من يسر او عسـر ، وعـز او ذل ، وسعادة او شقـاء . والوسيلـة هـي تغيير « مـا » بالنفوس . وكلمة « ما » تفيد هنا ايضـا الاحاطـة والشمول وتعني كل ما تحمله النفـوس مـن عواطف

التوسع والإنتشار . وجاء بعد النبي اشخاص آخرون ليتموا هذا العمل » .

وما اكثر الشهادات من هذا النوع ! وقد اوردنا البعض منها بنصه لا رغبة فى الاسهاب والتطويل ، وانما لنبين الاجماع الحاصل بين كبار العلماء والباحثين بأوربا عن هذا الموضوع ، الا وهو ان الاسلام يمثل في التاريخ انقلابا ثوريا شاملا .

اذ حاولنا الان التعرف الى ابعاد هذه الثورة وجدناها ذات مستويات مختلفة ، تظهر لاول وهلة وكأنها متناقضة ، لكنها فى الواقع متكاملة ومتصلة .

فهي ثورة قومية بالنسبة للعرب لانها أبرزتهم بعد الخمول وشرفتهم بعد الضعة . وماذا كان يمثل العرب قبل الاسلام فى أعين الشعوب المجاورة لهم ؟ فى اعين الروم ، فى اعين الفرس ؟ تقريبا لا شيء : قبائل مشردة ، فقيرة تكابد مشاكل العيش فى أرض شحيحة، ويصطرها البؤس لحياة النجعة والصعلكة وللصوصية والاستجداء . الاسلام مكنهم من أن يتجاوزوا الحاجز القبلي ويخلقوا لنفسهم وحدة جديدة ، ويظهروا في العالم ، لاول مرة ، بمظهر الامة المتوثبة القوية التي لها ارادة وأهداف جماعية . وتلك حالة خاصة ونادرة فى حياة الشعوب . واذا ما وقعت ، فانها تكون مصدر طاقات خارقة ظلت كامنة مع الاحقاب وزادها الكمون كثافة وثقلا .

وقد استطاع العرب بفضل المعونة الجديدة التي اكتسبوها أن يدخلوا الى التاريخ من الباب الواسعة من الباب التي لا تفتح الا فى اليوم الكبير ، باب المجد والسؤدد ، فغلبوا الدول العظيمة وانتشروا فى آفاق الدنيا واقاموا الدليل — وربما لاول مرة فى التاريخ — على ان مجموعة من القبائل الفقيرة تستطيع ، ان هي التحمت برباط الفكرة والعقيدة والايمان ان تكون شعبا كبيرا ، شعبا متفوقا على الشعوب العريقة في العلم والحضارة .

لكن هذا الانتصار المادي والروحي اذا تدبرناه مليا ، فانه لا يعني عرب القرن السابع الميلادي وحدهم بل هو يتعلق كذلك بالزمان السابق والزمان اللاحق ومعناه أوسع واشمل ، ولا يمكن فهمه الا اذا أدرج فى تاريخ الانسانية منذ العهد القديم . نعم ، انه انتصار يحرك كوامن التاريخ القديمة ، ويتجاوب مع اصداء العصور الغابرة المنسية ، وذلك لانه يعيد النظر بصورة جدية وعميقة فى الوضعية التي كان يعيش عليها شعوب الشرق الادنى منذ عدة قرون . انه يكتسي صبغة انتقام تاريخي ، انتقام لكرامة تلك الشعوب وما عانته من ذل وهوان تحت وطأة الاستعمار الاجنبي . فكأن محكمة التاريخ التي لا تنعقد الا فى المهمات اصدرت حكمها يومئذ باندحار الاستعمار البيزنطي والروماني والفارسي وقررت ان يكون تحرير الشعوب المستعبدة على يد العرب .

ان انتصار العرب فى القرن السابع يكون حلقة مهمة داخل الصراع الذي قام بين الشعوب السامية والآرية منذ الاحقاب الغابرة . ولقد كان نجم الشعوب السامية آفلا منذ زمان طويل . والى الوثبة الاسلامية الكبرى ، لم تقم لتلك الشعوب قائمة تذكر منذ الهزيمة التي منى بها القائد القرطاجي الكبير « حنبعل » في معركة زاما (اواخر القرن الثالث قبل الميلاد) ، وانمحت دولة قرطاج السامية من الوجود بعد أن كانت كوكبا ساطعا فى سماء البحر المتوسط تملي على التاريخ فيكتب . ومنذ ذلك العهد خضعت الشعوب السامية فى ذلة ومسكنة للفطرسة الرومانية والبيزنطية وللطغيان الفارسي ، ولم يفلت منها الا العرب المعتصمون بصحرائهم . وربما كان فى هذا البعض من سر الانفة والاباء التي اتصف بها العرب منذ جاهليتهم العريقة والتي تظهر بوضوح فى مفاخرتهم الشعرية .

ومهما يكن، فان ظهور الاسلام اعاد لتلك الشعوب وجودها بعد ان كادت تهضم فى كيان الشعوب المتغلبة. وتتناسا شخصيتها وثقافتها الاصلية . واذا كان في التاريخ عبرة ، ففي هذا الذي نذكر الان عبرة واي عبرة ، اذ نرى القصة تتكرر فى عصرنا فتنقض الدول الاوربية القوية على شعوب الشرق الادنى المستضعفة وتستعبدها بالوسائل العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية . ورغم تحرر تلك الاقطار الشرقية الان ، فلا زالت لم تسترجع كامل ثقتها بنفسها ولم تتخلص من المركبات والعثرات ، وذلك لانها لم تجد بعد القوة المعنوية الدافعة التي تسلحت بها حين ظهور الاسلام .

ومن جهة اخرى ، فان حادث ظهور الاسلام ترتب عنه مراجعة عميقة للاوضاع الاقتصادية في العالم . ولا اشير هنا الى الثروات الضخمة التي تجمعت فى يد المسلمين ولا الى الازدهار الاقتصادي الذي عرفته ضفاف الرافدين والنيل وربوع الشام وديار المغرب والاندلس . وانما اشير الى التأثيرات الاقتصادية التي نجمت عن ظهور الاسلام فى بلاد أوربا

في العالم اكبر دور يمكن ان يطمع اليه انسان في أعين الجماهير » .

وهذا القائد العظيم نابوليون يقول :

« منذ بدر ونحن نرى محمدا كبطل ، ورغم ان الانسان ما هو الا انسان ، ففي مستطاعه أن يفعل الكثير . فقد يكون مشعلا وسط مواد قابلة للالتهاب ... والذي يشهد بتفوق محمد هو انه استطاع في ظرف عشر سنوات ان يفتح نصف العالم ، وان المسيحية تطلبت ثلاثمائة سنة لتركز نفسها في العالم »

وهذه شهادة الشاعر « لامارتين » :

« اذا كانت عظمة الاهداف وضآلة الوسائل وضخامة النتائج هي المقاييس الثلاثة لعبقرية الانسان، فمن يستطيع ان يقارن ، من الوجهة البشرية ، اي رجل عظيم من العصر الحديث بمحمد ؟

واعظم الرجال لم يستطيعوا أن يحركوا الا الاسلحة ، والقوانين ، والامبراطوريات ؛ ولم يؤسسوا — ان هم اسسوا شيئا — الا قوات مادية ، تنهار احيانا قبلهم ، أما محمد ، فقد حرك الاسلحة ، والتشريعات، والامبراطوريات ، والشعوب ، والدول ، وملايين البشر على ثلث المعمور ؛ لكنه حرك ، زيادة على ذلك ، المعابد والالهة ، والاديان ، والافكار ، والعقائد ، والارواح . وعلى أساس كتاب أصبح فيه كل حرف قانونا ، بنى قومية روحية تضم شعوبا من مختلف اللهجات والسلالات ، وطبع هذه القومية الاسلامية بطابع لا يمحى وهو كراهية الالهة المزورة والتعلق بالاه واحد لا تدركه الحواس » .

وآراء الكاتب الالماني الكبير « جوته » والمفكر الانجليزي المشهور « كارليل » في الموضوع معروفة ومتداولة بحيث لا تحتاج الى تقديم جديد . وهي تؤكد الشعور بالتقدير والاعجاب الذي رايناه عند بعض المفكرين اللامعين بفرنسا ازاء حادث ظهور الاسلام .

هنالك ملاحظة عامة ربما اثيرت حول هذه الآراء واصحابها . فهي تمثل وجهة نظر اناس عاشوا في القرن الثامن عشر او في النصف الاول من القرن التاسع عشر اي في عهد كان علم التاريخ لا زال لم يستكمل كل ادواته ولم يتسلح بالوسائل والضمانات العلمية الكافية . ومنذ ذلك العهد خطت العلوم التاريخية خطوات جبارة وتقدمت المعارف الانسانية بسرعة خارقة ، وظهرت نظريات وآراء جديدة ، وروجعت جل الافكار التي كانت قارة في الضمائر ، بحيث كان من الطبيعي ان تظهر آراء مناقضة لما رأيناه من قبل ، وهذا ما راج بالفعل على يد بعض الاقلام المتسرعة من نوع « رينان » و « لامنس » لكن التيار العالمي الصحيح الذي تمتن وقوى بتكاثر الابحاث وتكاثف الجهود من جيل الى جيل ، يقف اليوم موقف الاكبار والاعجاب امام حادث ظهور الاسلام .

فهذا « مونتجومري وات » احد الاساتذة البارزين بانجلترا ومؤلف عدة كتب عن حياة النبي شهد لها اكبر النقاد المعاصرين بالقيمة العلمية يقول في كتابه : « محمد ، نبي ورجل دولة » :

« كلما أمعنا النظر في سيرة محمد وتاريخ الصدر الاول للاسلام ، ازداد تعجبنا من ضخامة المنجزات التي تم تحقيقها .

حقا ان الظروف قدمت له فرصة قلما تسنح للغير ، ولكن الرجل كان في مستوى الظروف بكل معنى الكلمة . فلو لم تتوفر لديه مواهب النبوة ورجل الدولة والقائد ، ولو لم يضع من فوق هذه المواهب ثقته في الله وفي الرسالة التي بعثه من اجلها لما كتب فصل مهم من تاريخ الانسانية » .

وهذا المؤرخ « جوتي » يقول في معرض حديثه عن دخول الاسلام الى بلاد المغرب :

« لقد حدثت ثورة عظيمة . فالبلاد قد تقوضت فيها تلك الحواجز التي تفصل بين الشرق والغرب ، تلك الحواجز التي لم يمكن ازاحتها في أماكن أخرى . وان الثورتين الفرنسية والروسية لتظهران لنا ضئيلتين اذا نحن قارناهما بهاته الوثبة نحو المجهول » .
(E.F. Gautier: le Passé de l'Afrique du Nord, p. 233)

وهذا المؤرخ والمستشرق الكبير « برنارلويس » يقول في كتابه « العرب في التاريخ » :

« ان موجات الفتح الكبرى التي تلت وفاة محمد واقامة الخلافة على راس الامة الاسلامية الناشئة سطرت بحروف كبرى كلمة « عرب » على خريطة القارات الثلاث : آسيا ، وافريقيا ، واوربا . وجعلت منها عنوانا لفصل حاسم رغم قصره في تاريخ الفكر والاعمال البشرية . »

ويقول في مكان آخر من نفس الكتاب :
« لقد اعطى محمد دفعة جديدة للقوات التي كانت كامنة من اجل الانبعاث الوطني ورغبة العرب في

والصين كل ذلك متصل بعضه ببعض » . (المسالك والممالك) .

هذا الدور الذي استطاع أن يلعبه العالم الاسلامي كوحدة متماسكة ، دور الوصل بين الشرق الاقصى واوربا ، هو الذي مكنه من التوفر على قوة اقتصادية هائلة فى العصر الوسيط ، وبالتالي على حفظ نوع من التوازن الاقتصادي بين مختلف الشعوب فى تلك العصور .

كان للثورة الاسلامية ، اذن جانب سياسي واقتصادي فى النطاق القومي والعالمي . ولكن كان لها، ايضا ، جانب اجتماعي واخلاقي وانساني هو الذي سنعرض له من بعد .

— يتبع —

سلا : محمد زنيبر

صحيفة س ب الاسبانية تكتب مقالا بعنوان :
جلالة الحسن الثاني يوجه نداء الى الوحدة الاسلامية

كتبت صحيفة (س ب) الاسبانية مقالا تحت عنوان « جلالة الحسن الثاني يوجه نداء الى الوحدة الاسلامية »، قالت فيه على الخصوص : « أن المغرب المتشبث بدين الاسلام الحنيف ، والمتمسك بسيرة النبي محمد صلوات الله عليه فى اصدق مظاهرها ، قد اصبح مركزا اسلاميا مشعا، وان اتصالي الجديد بالمغرب قد ادهشني كثيرا عندما لاحظت أن شهر رمضان قد مر فى خشوع وابتهال ، وهو جو روحاني عميق ، كما أن عيد الفطر قد تميز بحضور علماء أجلاء اتوا من ثمانية عشر بلدا اسلاميا ، والواقع اني تصورت نفسي قد انتقلت الى ايام الخلافة الاسلامية باصالتها وروعتها ، وان الفضل فى هذا البعث الروحي يرجع الى جلالة ملك المغرب ، فالعاهل المغربي قد كرس جهوده منذ اعتلاء عرش اسلافه المنعمين لخدمة القيم التي كانت فى القدم اساس انطلاقة المسلمين ، وشعار نهضتهم وهو يرمي من وراء هذه الجهود الى بعث وحدة المسلمين ماديا وروحيا .

وتجدر الاشارة فى هذا الصدد الى ان الخطاب الذي وجهه الى العالم الاسلامي قد تضمن معاني سامية فى المجال الديني والفلسفي والسياسي. ويستطرد مراسل الصحيفة الاسبانية يقول : « الحقيقة ان هذا المركز الاسلامي الذي هو المغرب اصبحت تصدر عنه قرائن لانطلاقة سياسية واقتصادية تضاف الى النهضة الروحية حينما ما دعا الى ذلك الملك الحسن الثاني عند ما تكلم عن العالم الاسلامي الموحد .

وبلاد الشرق الاقصى . وهذا موضوع بالغ الاهمية عالجه المؤرخ الكبير المعاصر «جاك بيرين» Jacques Pirenne في كتاب كان له صدى كبير في الاوساط العلمية . وسأكتفي هنا بتلخيص فكرته في فقرة قصيرة .

فهو يجمل نظريته في هاته العبارات :

« لقد ترتب عن الفتوح الاسلامية تجديد حقيقي للاقتصاد العالمي . وبفضل السلم الذي ساد في البحر المتوسط وفي آسيا الصغرى ، فقد نشطت المبادلات الدولية وتضاعفت بنسبة عظيمة تبعا لوحدة العالم الاسلامي الممتد من قرطبة الى الهند .

اما بيزنطة ، فقد عرفت هي ايضا الازدهار ، بما فتحته لنفسها من طرق تجاه الشمال . وفي نفس الوقت ، بلغت الصين منتهى اشعاعها . وفي اوائل القرن الثامن الميلادي كانت آسيا كلها داخلة في حكم الامبراطوريتين الاسلامية والصينية ، في حين كان الاقتصاد الاوربي كله متجها نحو الامبراطورية البيزنطية . وكانت المبادلات كثيرة ومستقرة بين هاته الامبراطوريات الثلاث . وساد الشعور بأن عهدا من الاستقرار سينفتح في تاريخ العالم (1) » .

« وبيرين » الذي ليس مسلما ولا متعصبا للاسلام يتأسف ، بالطبع ، لبعض النتائج التي ترتبت عن ظهور الاسلام . ومن جملة ذلك اسفه لضياع الوحدة المتوسطية التي تحققت في عهد الرومان ، اذ كان هؤلاء يسمون البحر المتوسط « بحرنا » وضياع هذه الوحدة معناه تقسيم العالم الى قوى متطاحنة .

والواقع ان هذه الوحدة « لو تحققت ، ما كانت الا صورة مقنعة لسيطرة دولة واحدة على سائر الشعوب . فنظرا لروح العصر وتقاليده ، فلم يكن من الممكن أن تتحقق في دائرة التآخي والمساواة بين الاجناس والشعوب . ولذلك ، فان الاسلام جاء كثورة ضد الامبريالية البيزنطية الرومانية والامبريالية الساسانية ،ووضع حدا للاستغلال الاقتصادي التي كانت تعانيه عدد من الامم . والانقسام الذي حدث في البحر المتوسط رد لتلك الشعوب كيانها وشخصيتها ، ولم يمنع التبادل الاقتصادي بين اوربا وبلاد الشرق الادنى والشرق الاقصى . فقد كانت أعظم الطرق التجارية العالية في العصر الوسيط تمر بالضرورة من بلاد الشرق الاوسط أي من العالم الاسلامي . واكبر دليل على ذلك هذه الشهادة الفردية التي يقدمها لنا عميد الجغرافيين العرب : ابو القاسم عبيد الله ابن خرذاذ به عن التجار اليهود الذين كانوا يذهبون من جنوب فرنسا الى الشرق الاقصى :

« هذا مسلك التجار اليهود الرذانية (2) الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومانية والافرنجية والاندلسية والصقلبية . انهم يسافرون من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق برا وبحرا يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز (3) والفراء والسمور (4) والسيوف ويركبون من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بالفرما (5) ويحملون تجارتهم على الظهر (6) الى القلزم (7) وبينهما 25 فرسخا ، ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم الى الجار (8) ثم يمضون الى السند والهند والصين ، فيحملون من الصين المسك ، والعود والكافور والدار صيني (9) وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا الى القلزم . فربما عدلوا بتجاراتهم الى القسطنطينية فباعوها من الروم وربما ساروا بها الى ملك فرنجة فيبيعونها هناك . وان شاءوا حملوا تجارتهم من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بانطاكية ويسيرون على الارض ثلاث مراحل الى الجابية ، ثم يركبون في الفرات الى بغداد ، ثم يركبون في دجلة الى الابلة ومن الابلة الى عمان والسند والهند

1) هذه الفقرة ترجمناها عن كتاب : J Pirenne : Les grands courants de l'histoire universelle, T. 2, p. 54

2) لعلها من كلمة « رهدان » الفارسية التي معناها الخبير بالطريق .

3) حيوان يتخد من جلده الفرو .

4) هو ايضا حيوان يمتاز بفروه .

5) مدينة وميناء بمصر قرب العريش .

6) أي على الارض .

7) القلزم مدينة صغيرة على البحر الاحمر وقد انقرضت اليوم .

8) ميناء على البحر الاحمر بجزيرة العرب .

9) شجر هندي يشبه الرمان .

ثم اشار الفيلسوف ابن رشد الى تنبيه القرءان على قضية بعث الرسل المعلومة عن طريق التواتر من غير القرءان بقول الله تعالى : « انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيئين من بعده » وقوله : « قل ما كنت بدعا من الرسل » .

وفى نفس الموضوع استدل الفيلسوف ابن رشد على كون شرائع الانبياء بوحي من الله قائلا : ان ذلك يعلم بأمرين بما ينذرون به من وجود الاشياء التي لم توجد بعد فتخرج الى الوجود على الصفة التي انذروا بها ، وبما يامرون به من الافعال ، وينبهون عليه من العلوم التي ليست تشبه المعارف والاعمال التي تدرك فتعلم ، (يعني بذلك المعجزة) ، ثم قال : وذلك ان الخارق للمعتاد اذا كان خارقا فى المعرفة بوضع الشرائع دل على ان وضعها لم يكن بتعلم ، وانما كان بوحي من الله ، وهو المسمى نبوة ، وقال ايضا رحمه الله : ان المعجزة فى العلم والعمل هو الدلالة القطعية على صفة النبوة ، واما المعجزة فى غير ذلك من الافعال فشاهد لها ومقو » .

هذا بعض ما سجله ابن رشد فى شأن بعثة الرسل والدلالة العقلية على صدقهم فى دعواهم الوحي بما ابرزوه من علوم خارقة دون تعلم ، وشرائع هادفة من غير ممارسة لدراسة القوانين والحياة فى بيئة علمية تبعث الشك فيما جاء به الانبياء من علوم وعقائد واخلاق ضمنت الحياة السعيدة لمن آمن وعمل بها فى اي زمان ، وكل من تتبع قصص الانبياء مع أممهم وادرك الحكمة التي تتفجر من عقولهم ، والشرائع التي اوحى الله اليهم، يزيد يقينا بصدقهم وامانتهم وتبليغهم رسالات ربهم الى خلقه ، وانتفاء شبهة الكذب والخيانة وعدم تبليغهم لشريعة الله ودينه الى العباد .

وقال الامام ابو القاسم الراغب الاصبهاني : لكل نبي آيتان احداهما عقلية يعرفها اولو البصائر من الشهداء والصالحين ومن يجري مجراهم .

والثانية حسية يدركها اولوا الابصار من العامة .

فالاولى ما لهم من اصولهم الزكية وصورهم المرضية وعلومهم الباهرة ودلائلهم المتقدمة عليهم والمستصحبة لهم الى آخر كلامه .

وهكذا يتفق ابن رشد والراغب على معرفة الانبياء بالمعارف الباهرة ، والاخبار عما لم يكن فيكون

ومن المناسب ان نذكر بعض الامثلة من الامور الموحى بها الى الرسول التي اكتشفت او التي وقعت بعد ما اخبر بها الرسول على الصفة الذي ذكرها ، اولها حفظ القرءان من التغيير والتبديل الذي طرا على الكتب المقدسة قبل القرءان ، فانه محفوظ بلغته اولا ، ولا يوجد كتاب مقدس محفوظا بلغته الاصلية غير القرءان ، كما انه محفوظ بكلماته وجمله وطريقة ادائه منذ عهد انزاله بعد ما مر على هذا الانزال اربعة عشر قرنا كاملا ، كما تذكر الاية الكريمة : « انا نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ، بخلاف من كان قبلنا ، الذين نسوا حظا مما ذكروا به او كانوا ممن قال الله فيهم : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا » .

ومن ذلك اخبار القرءان بعد ما غلب الفرس الروم وكلا الدولتين تجاوران البلاد العربية التي بعث فيها رسول الاسلام ، فقال القرءان : « غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين » ، اي وهم سينتصرون على الفرس بعد ان غلبهم الفرس فيما دون عشرة اعوام وكذلك كان ، وتحقق خبر القرءان .

ومن اخبار القرءان التي تحققت فى اجلى مظهر ان سورة « انا فتحنا لك فتحا مبينا » نزلت بعد رجوع النبي من العمرة التي ارادها فى السنة السادسة من الهجرة فمنعته قريش ، وكان صلح الحديبية ، وفى هذه السورة : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ، وبعد سنتين كان وحصل فتح مكة بالفعل فدخل الناس بعد هذا الفتح فىدين الله أفواجا .

والنبي وان كانت رؤيته التي هي حق وقعت قبل عمرته الا ان هذه الرؤيا المتعلقة بدخول مكة لم تكن معينة الزمان حين حصلت للرسول فتحققت بعد ذلك بسنتين فقط . والمقصود هو تحققها فى الواقع وان تراخيالزمانومثلها فيالتحققبعد تراخيالزمانرؤيةنبي الله يوسف عليه السلام حيث تحققت بعد كبره ومكوثه بالسجن وتوليته امر مصر فقد كانت الرؤيا فى صباه كما حكت الاية القرءانية : « اذ قال يوسف لأبيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ، قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا » ، فبقيت هذه الرؤيا في طي الغيب والكتمان حتى تولى امر مصر فكان ما قصه الله فى القرءان حيث قال : « ورفع ابويه على العرش فخروا له سجدا ، وقال يا ابت هذا تاويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا .

دلالة القرآن على صدق الرسول عليه السلام في نظر الفيلسوف ابن رشد

للأستاذ : محمد الطنجي

ان هداية الله للبشر هي اعظم نعمه على بني الانسان حتى يعرفوا ربوبيته ويحسنوا شكره وعبادته ، ويترسموا مواقع رضاه فتتطهر نفوسهم بتقواه ويحسن سلوكهم ومعاملاتهم بهداه .

وان معجزة الوحي شغلت العقول قديما وحديثا فآمن بها كل من شرح الله صدره ، وجحدها من اتبع شهواته وهواه ، ولكنها شقت طريقها في الوجود الانساني ووجهت المجتمعات في مختلف اطوار التاريخ الى اكرم الفضائل ، واتخاذ خير الوسائل لتحسين الاوضاع ، وبناء الحضارات واكتساب المعلومات في جميع الاصقاع ، وان جحد وجود الوحي الملحدون وكابر في هدايته المتنطعون ، واذا كان شرف العلم بموضوعه وغايته ، فموضوع العلم الديني معرفة رب العالمين بأوصاف ربوبيته ، وعبادته بما شرعه على السنة رسله حق عبادته وغايته وثمرته هداية ربانية للنفوس ، ورقي وسمو للارواح ، وتربية لها بالتحلي بفضائل ، هي العنوان الكامل لكل صلاح ونجاح .

وكثير من الاخوان يذكرون في مناسبة التعرض لانزال القرءان كيفية نزوله على الرسول ، واول ما نزل منه على قلبه الامين دون الاشارة الى محتوى رسالته الخالدة ، مع ان الكيفية والشكل هو حرز للمضون ، وغشاء فقط للجوهر المكنون ، والسيف الصيقل في الحرب قيمته في قطعه وحده ، لا في حليته وغمده .

فما هي حجة صدق الوحي ؟

الف الفيلسوف الاسلامي ابن رشد رحمه الله كتاب مناهج الادلة ، فازال بها عن القلوب والعقول كل شبهة وعلة ، ونحن نقتطف منه زهرات في الحديث عن رسالة خاتم النبيئين وصدق الوحي اليه من رب العالمين ، قال رحمه الله : كون القرءان دلالة على صدق نبوته عليه السلام ينبني عندنا على اصلين قد نبه الكتاب عليهما : احدهما ان الصنف الذين يسمون رسلا وانبياء معلوم وجودهم بنفسه ، وان هذا الصنف من الناس هم الذين يضعون الشرائع للناس بوحي من الله ، لا بتعلم انساني ، وذلك انه ليس ينكر وجودهم الا من انكر وجود الامور المتواترة كوجود سائر الانواع التي لم نشاهدها والاشخاص المشهورين بالحكمة وغيرها ، وذلك انه قد اتفقت الفلاسفة وجميع الناس الا من لا يعبأ بقوله وهم الدهرية على ان هاهنا أشخاصا من الناس يوحى اليهم بأن ينهوا الى الناس امورا من العلم والافعال الجميلة بها تتم سعادتهم ، وينهونهم عن اعتقادات فاسدة وافعال قبيحة ، وهذا فعل الانبياء .

والاصل الثاني ان كل من وجد عنه هذا الفعل الذي هو وضع الشرائع بوحي من الله تعالى فهو نبي ، وهذا الاصل ايضا غير مشكوك فيه في الفطر الانسانية ، فانه كما انه من المعلوم بنفسه ان فعل الطبيب هو الابراء وان من وجد منه الابراء فهو طبيب ، كذلك ايضا من المعلوم ان فعل الانبياء عليهم السلام هو وضع الشرائع بوحي من الله وان من وجد منهم هذا الفعل فهو نبي .



قم فى حراء مكبرا ومهللا ... وتمل من انواره متبتلا

واكرع من النبع المقدس عنده ... كرعا يعيد لك الزمان الافضل

وتمل من آثار احمد ضارعا ... متخشعا بدعائه متوسلا

واذكره فى ارجائه متيمنا ... متحنثا متحيرا متعقلا

متبصرا فى حال امته التي ... سلكت سبيلا فى الغواية معضلا

عبدت سوى الرحمان جل جلاله ... فتعبدتها الجاهلية هملا

وغدت تعيش الغشم فى انماطه ... يذكيه عقل بالخرافة اثقل

لا الدين يهديها الحياة ولا لها ... فكر باسباب الرشاد توسل

عجبا لها تئد البنات ولا ترى ... فى العيش الا ان تغير وتقتل

صور من العيش الحقير تمدها ... مثل من العادات لن تتبدل

واذا فتى من نفسها قد هاله ... شعب لانواع الجهالة حمل

كيف السبيل الى انارة فكره ... والى هدايته الطريق الامثل

ويهاجر الاعراب فى غمراتهم ... متدبرا فى امرهم متأملا

ولدى حراء بخلوة احدية ... يدعو السماء ويستمد الموئلا

لم يدر ما الايمان او اسراره ... او ما الكتاب وما به قد حصلا

ما كان يرجو ان ينبأ لحظة ... او كان يطمع ان سيصبح مرسلا

لكنه التوحيد يملا قلبه ... والشرك قد غطى القلوب واسبل

رباه اني قد ضللت وانما ... منك الهداية فاهدني سبل العلا

رحماك ربى امتي وعشيرتي ... وجميع ابناء البسيطة ابهلا

كل البرية عبدو لرؤوسهم ... فتحملوا الذل الذي لن يقبل

يا رب حرر كل انسان فقد ... طغت الرؤوس على الشعوب تختلا

ومن اخبار القرءان التي تحققت الوعد الصادق من الاستخلاف فى الارض وتمكين الدين الاسلامي فيها بعد الخوف والضعف وهو المذكور فى قول الله تعالى « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم امنا .

ومن ذلك ان بعض المسلمين كانوا يحرسون النبي بعد العداوة الشديدة التي اظهرها له اعداء الاسلام ، فلما نزل قول الله تعالى : « والله يعصمك من الناس » صرف النبي من كان يحرسه موقنا بحفظ الله له وعصمته له من الناس ، فلم تحدث له اية آفة منهم حتى وافاه الاجل عليه الصلاة والسلام .

هذا زيادة على ما اشتمل عليه القرءان من العلوم الالاهية واصول العقائد الدينية واحكام العبادات وقوانين الفضائل والآداب وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي بما فى ذلك الاحوال الشخصية وغيرها مع موافقة مبادئه وقواعده لكل زمان ومكان ،

ويقول الفيلسوف ابن رشد ان معرفة وضع الشرائع لن تنال الا بعد المعرفة بالله وبالسعادة الانسانية والشقاء الانساني وبالامور الاراديات التي يتوصل بها الى السعادة ، كما يذكر حاجة واضع الشرائع ان يعرف ما يكون به الجمهور سعيدا من هذه المعرفة واي الطرق التي ينبغي ان تسلك بهم فى هذه المعارف ، وهذا كله بل اكثره ليس يدرك بتعلم ولا صناعة ولا حكمة ، وقد يعرف ذلك على اليقين من زوال العلوم وبخاصة وضع الشرائع وتقرير القوانين والاعلام باحوال المعاد ، ولما وجدت هذه الامور كلها فى الكتاب العزيز على اتم ما يمكن ، علم ان ذلك بوحي من عند الله وانه كلامه القاه على لسان نبيه ، ولذلك قال تعالى منبها على هذا : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرءان لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

وزيادة فى تاكيد عدم تعلم الرسول او تلقيه لاي معلومات جاء قول الله تعالى : « و ماكنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون » . هذا ومشركو قريش اعرف الناس بسيرته وحاله قبل دعوى الرسالة فلم يكذبوه فى هذا ، وينبغي ان نختم هذا الحديث بحديث ورد فى صحيح البخاري من اخباره عن المغيبات حيث قال عليه : يوشك الفرات ان يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا ياخذ منه ، قال ابن التين شارح الحديث انما نهى عن الاخذ منه لانه للمسلمين فلا ياخذ منه الا بحقه فناحية الفرات من العراق والكويت وايران هي المناطق الغنية بالبترول الذي يسميه اهل هذا العصر الذهب الاسود وكان كنزا مخفيا قبل ان ينكشف ويظهر كما كان الناس يومنون بقول النبي بوصفه خبرا نبويا دون معرفة كيف يتحقق ، ويمكن والله اعلم ان تكون الاشارة به الى هذه الثروة البترولية التي صارت عماد حركة العالم المعاصر مع تسمية اهل العصر لها الذهب الاسود .

وبعد فان القرءان هو الذي اعلى شأن الامة العربية بعد انحطاطها ، فجمع شملها بعد شتات وقوى عزائمها بعد ضعف ، وبواها اشرف مكانة فى الوجود، مكانة المرشد المعلم المهذب للاخلاق ، الباعث للروحانية المثلى ، والقيم الاخلاقية ، التي رفعت من شأن المسلمين ، بل من شأن الانسانية بوجه عام ، فعسى ان نراجع ديننا ونعتصم من جديد بشريعة القرءان التي صاحبتها السعادة والفلاح والرشاد ، كما صاحبتها العزة التي كتبها الله للمومنين حيث قال تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمومنين » .

الرباط : محمد الطنجي

ايمان قلب بالنبـــوءة عامـــر وسلوك فرد بالكتاب تاثـــل
مـا كان احمد غير قرآن علـــى وجه الثرى يمشي اماما مجـــزلا
بحديثه وبيانــــه وسلوكـــه وسكوته يهدي البرية مفضـــلا
لله سنته الرشيـدة منهجــا من سر اسرار الكتاب تنــزل
لله اصحاب النبـــي فانهـــم نقلوا لنا الدين الطري الاكمـل
ثاروا على ماضيهم وتسربلـوا بلباس آيــات الالاه تقبــلا
صهرتهم الآيات فانفعلت لهـم صور الوجود فما ارادوه أنجلى
تخذوا كتاب الله مقياسا لهـم ومشوا على نهج الرسول وما تلا
كم حرروا من امة ، كم شيدوا من حكمه كم وطدوا أسس العلا
حملوا الرسالة دعوة وثقافة الانـ ـسان علما والعدالـة منهـلا
وغدوا على قمم الزمان كأنمـا حملت يد الازمان منهم مشعـلا
ولقد مضت هذي المئات من السنـ ـين وكل عصر منهم قد أثـل
والصالحون السالكون سبيلهـم اثر لهم عن نهجهم لن يعـدل
لله ابطال القـران جنـوده حفاظه حراسه مـذ انـزل
حملوا لنا القرآن غضا ، ناصعا مـا ان يلاحقه على الدهر البـلا
وبكـل يوم آيـة مجلـوة تهدي النفوس الى معارف تجتلى
نتلوه فـي ايامنا وكأنمـا فينا به جبريل عاد مجلجـلا
وبكل عصر تجتلي آياتـه وحيا جديدا للبرية ما خـلا
صور من الاعجاز يكشفها الزمـ ـان فتكسب الاعجاز معنى مقبلا
تتفاعل الاعصار فى ابـرازه كتفاعل الاسـرار امـا أو لا
يا ليلة القدر التي شرفت بـه وسمت على الف الشهور تنـزلا
فيك الحضارة كلها قد جمعـت وبك الهنا للعامليـن تاثـل
قدر الالاه بك الامور فآيـة سمة الامور لمن اراد تأمـلا
انا لنحي فيك ميلاد السنـا والمجد والعرفان يوم تأصـلا
والعدل والاحسان والتقوى وما يهدي السعادة والسلام الاجمل
انا لنحيي فيك ايمان الـورى بالله والانسان يـوم تحمـل
انا لنحيي لحظة الانس السعيـ ـدة فى حراء وسرها المتنقـل
ذكرى نزول الوحي فى ارجائـه ومحمد يصغي لما قد انـزل
واذا بدنيانا حـراء كلـها وكان جبريلا يردد مـا تـلا
وكأننا من حول أحمد خشـع جمع الزمان به فيا ما اجمـل

* * *

يا أمة قرآنهـا دستورهـا وزعيمها كان النبي المرسـل

ويمدهم رهبانهم فى غيهم ... ويحرفون الدين عنك تقولا
من للبرية من يعيد حياتها ... علما وحرية ودينا مكملا
ويحس صوتا رن فى أعماقه ... ودبيب موج فى الفضاء مزلزلا
ويجيل طرفا فى السماء فلا يرى ... الا عجيبا للمشاهد قد ملا
ويحس خوفا ، هل يعود لاهله ؟ ... انى السبيل ؟ وكل باب اقفلا
واذا بها لحظات أنس تنجلي ... واذا بجبريل الامين به ، خلا
نادى به، اقرأ. ما قرات وكيفلي؟ ... هل يقرأ الامي سطرا مهملا ؟
ويضمه حتى يحس عناءه ... ويرده نحو الوجود ليعقلا
ويعود، اقرأ . ما قرات وكيف لي؟ ... ويضمه حتى يحس تحولا
ويعيده ، اقرأ باسم ربك ، انها ... كلمات أمر للبرية تجتلى
تلك النبوءة فى بسيط جمالها ... لا المال لا السلطان لا نسب العلا
اقرأ ، وحسبك آية علوية ... لم يتلها من قبله ، من رتلا
ويعود احمد مخبرا عن حاله ... والخوف يملأ قلبه مما ابتلى
لله صدر خديجة اذ ضمه ... وحنا عليه تعطفا وتجملا
حاشاك يخذلك الالاه ، وانما ... تاتي المكارم رحمة وتفضلا
والى ابن عم خديجة تاتي به ... حتى يفسر ما قراه وما اجتلى
هذا هو الناموس لا تجزع فقد ... اصبحت للامر العظيم مؤهلا
ويظل احمد خائفا مترقبا ... متقلبا فى كونه ، متجولا
ويخاف بعد الوصل هجرا حارقا ... ويزيده الشوق الذي قد اشعل
واذا بجبريل الامين وقد بدا ... فى الافق ، يدعو قم وأنذر للملا
قام النبي بدعوة ميمونة ... وغدا على اقوامه متنقلا
الله ربي ، والصلاة دعاؤه ... والمال مال الله ، ليس لمن علا
والحج للبيت الحرام فريضة ... فيه اخاء المسلمين تأصل
والناس فى الدنيا سواء حقهم ... والواجبات عليهم لن تفصل
والسلم حق للجميع فمن يرد ... غير السلام فقد بغى وتختلا
وتعيش اخلاق النبوءة بيننا ... وتجد للانسان خلقا مذهلا
من كان يأمل ان سيصبح قومنا ... اسمى الشعوب تقدما وتعقلا ؟
لولا كتاب الله لم ينهض لهم ... قدر ولم يصلوا المقام الاول
لله خير الخلق حين دعاهم ... بطلا بأسباب النجاح تسربل
قاسى الشدائد منهم لكنه ... كان الغفور السمح والمتحملا
ويعود للغار السعيد مهاجرا ... وصديقه الصديق لن يتململ
ويقول ، لا تحزن فان الاهنا ... معنا ، وحاشا ان نضام ونخذل

ضاقت بنا سبل النجاح ولم يزل   الاك عونا للنجـــاة موصـــلا

اغفر ذنوب المسلمين فانهـــم   خانوا الامانة واستحقوا الابتلا

رد اعتبار الدين فى افكارهـــم   واعد لهم روح الامانة والـــولا

غير نفوسهم لتصلح بالهـــم   واسلكهم فى الصالحين تفضــلا

يا رب انقذ أرض قدسك انهـــا   بك تحتمي وحماك ما ان يختلى

يا رب حررنا وحرر أرضنـــا   وشعوبنا من كل ما قد كبـــل

وبليلة القدر السعيدة اننـــا   نرجوك عدلا للبرية معمـــلا

انشر سلامك فى الوجود باسـره   واجعل اخاء الناس فيه مكمـلا

الرباط 26 رمضان 87 13 هـ موافق 28 ديسمبر 1967م

الرباط : علال الفاسي



عودي الى الدين الحنيف عقيدة ... وشريعة وتخلقا وتعقلا
ما فى سوى القرآن خير يجتبى ... او فى سوى الاسلام نهج يبتلى
الله خارك للرسالة فانهضي ... لتواصلي عمل الجدود الاول
ميراث احمد دينه وكتابه ... لك عدة تننيك عما اعمل
قل للذين رضوا ثقافة غيرهم ... وتصوروا الاسلام عهدا قد خلا
ايليق ان تبقى العروبة بيننا ... جسدا بلا روح ولفظا عطل ؟
جربتم دعوات غير محمد ... ماذا جنيتم هل عقدتم موصلا ؟
هذي فلسطين الجريحة اصبحت ... بيد اليهود أسيرة لن ترسل !
والقدس أولى القبلتين يهده ... أعداء أحمد كي يقيموا الهيكل
مسرى النبي ومبدأ المعراج قد ... اضحى به دين النبي مسطلا
ماذا اتت نهضاتكم ؟ ماذا بنت ... اراؤكم ؟ ذلا وجبنا مخجلا ؟
ايه ، بغاة العرب يا من زوروا ... باسم التقدم شهوة وتعبهلا
عودوا الى الاسلام يصلح شأنكم ... وينيلكم نصرا مبينا فى الملا
ان العروبة لا تعود لمجدها ... الا كما كانت بلاغا منزلا
وبلادنا والقدس درة تاجها ... بيد الجهاد تفك فكا معجلا
لا ينصر الاسلام الا مومن ... باع الحياة لربه وتوسلا
انى ينال الجند نصرا ان هم ... خاضوا المعارك دون عقد او ولا؟
تالله لن تتحرروا أو تدركوا ... بسوى الحنيفة غاية أو منزلا
العالمون جميعهم فى حيرة ... لم يظفروا بحراء فيها معقلا
عبدوا المتاع فأصبحوا فى نكبة ... لا يعرفون لها علاجا معملا
شغلتهم أموالهم وحروبهم ... فغدت حضارتهم جحيما مشعلا
الجاهلية عاودت كل الدنا ... وبغير أحمد فعلها لن يبطل
قوموا انشروا هدى الرسول ودينه ... بين الورى ، اجدر به أن يقبلا
لم يجمع الروحين الا هديه ... فهو العلاج لكل ما قد أشكل

* * *

يارب يامن يستجيب لدعوة المظلوم ... والمقهور يا من لا يضيع مؤملا
يامن يجير المستجير ويرحم المضطر ... يامن يكشف السوء المبرح والبلا
يا راحما أيوب فى ظلماته ... يا ملهما لابي البرية معدلا
يا هاديا خير البرية فى حرا ... لما عليك لهديه قد عول
يا واهب النصر المبين لاحمد ... فى غزوة بعد امتحان أهول
يا رادعا أهل الصليب وقد طغوا ... لما صلاح الدين هب مجلجلا
يا منقذا للقدس من طغيانهم ... يا من أطاح بجيشهم حتى جلا

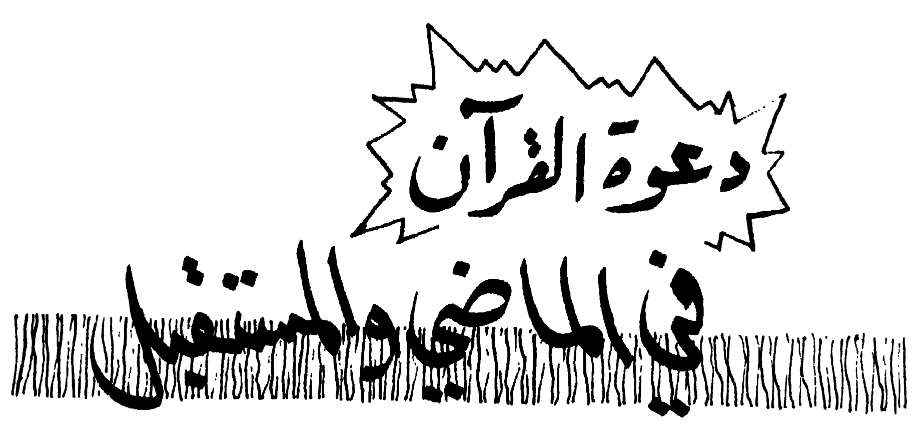
كان مصدر الدراسات الفقهية والفلسفية والصوفية والعلمية أيضا .

وقضى الله ان يظل القرآن محفوظا بعنايته ولكن مسخت عقول كثير من المسلمين وقست قلوبهم فاذا هم يقرأونه وفى آذانهم وقر لا يعطيهم شيئا ولا يمدهم بمعرفة ولو اقبلوا عليه متفهمين واعين كما اقبل عليه آباؤهم لكان مصدر خير كبير ولغير الله ما بهم عندما يقراون القرآن مخلصين واعين .

والمسلمون يتلون القرآن صباحا مساء ويرددون كلماته فى خلوتهم وفى مجالسهم ويستشهدون بالآيات فى علومهم ومعارفهم ولكنهم لا يعون دعوته ولا يفهمون مراميه واغراضه ، وانما يتلونه بألسنتهم ولا تتجاوز التلاوة حناجرهم ولا تعي عقولهم شيئا مما يدعوهم اليه من تفكر وتذكر ، ولا تستجيب عواطفهم لما يأمر به من محبة واخوة قد خرج عمليا من تشريعاتهم وقوانينهم واصبحت جامدة او معطلة وابتعدوا عن دعوته فاذا قلوبهم قاسية او اشد قسوة من الحجارة ونبذوا ظهريا كل تعاليمه. واستوردوا نظريات اجنبية عنهم وآراءبعيدة عن بيئتهم وعقليتهم ووجدانهم حتى اصبحوا غرباء فى ديارهم وبذلك تغيرت حالتهم من العزة الى الذلة ومن الغنى الى الفقر ومن العلم الى الجهل ومن الوضوح الى الغموض ، وتداعت عليهم أمم وهم كثرة ليسوا بقلة ، ولكنهم كغثاء السيل ، ومن الغريب فى شأن هذه الامة ان التعاليم التي فرطوا فيها تولاها اعداؤهم فاذا الكنيسة التي تختلف فى الاقاليم الثلاثة وطبيعة روح المراة وتستبد بالكتاب المقدس اصبحت تترجم هذا الكتاب وتضعه فى أيدي المؤمنين بها ليكون مقرءا من جميع المؤمنين به ، واذا بفريق منها يدعو الى بساطة الفن وتحطيم الايقونات Iconoclaste واذا فريق منها كذلك يؤول النصوص الدينية لينفي التشبيه ، واذا كثير من الفلاسفة والحكماء يرددون تعاليم الاسلام فينكر نيوتن فولتير وساطة الرهبان ويدعون الى الدين الطبيعي المستمد من العقل لا من تعاليم الكنيسة، بل ينادي (جوته) فى المانيا بأن الاسلام اذا كان كما وصفته الكتب فهم المسلمون لانهم دعاة حرية الفكر والفضائل الانسانية ، وينتهي قبله القرن السابع عشر وهو يردد شعار كلمة عمر بالثورة الفرنسية (كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا .

أما المسلمون فلم ينتفضوا للتدبر فى القرآن حتى روعتهم مدافع الغرب فاستيقظوا ولم يجدوا عندهم من بقايا حضارتهم الا القرآن المحفوظ بعناية الله ، أما عالم الاسلام فدكته الايام دكا ، فالاندلس اصبحت مسيحية وتخلت تركيا عن الخلافة الاسلامية فازدادوا تفرقا وحيرة ولكنهم اعتصموا بالقرآن فكان بداية الحركة السلفية التي نادت بالرجوع اليه فأمدها بقوته التي لا تقهر وطاقته التي لا تنفذ ، واستطاع المسلمون عندما رجعوا الى القرآن يتلونه وكأنه ينزل عليهم لاول مرة كما يقول اقبال ، ان يستمدوا منه قوة لمواجهة العدوان المسلح وتسرب المبشرين والضغط السياسي والغزو الفكري المتتابع فى معاهد التعليم الاجنبي وما يكتبه اعداء المسلمين من المستعمرين والمأجورين وما تذيع الصحف والمجلات وتنشر القصص والمقالات من دعوات لينبذ الاسلام وتفويت معاليمه وتعطيل احكامه والرجوع عنه الى المسيحية او الالحادية الماركسية ، وهذه الدعوات على اختلاف مشاربها واتجاهاتها كانت فى معظمها تخضع لتأثير الصهيونية العالمية ، والاستعمار الغربي اللذين تحالفا معا على حرب القرآن لانه قوة جارفة ترد الطغيان والجور فعمدوا الى ترجمته محرفين كما طبعوه طبعات ممسوخة ليغيروه فما وصلوا الى شيء مما ارادوا واعتمدوا على المال لتحويل المسلمين عن الاسلام فاشتروا من العملاء انفسهم بأن لهم الدنيا ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا ان يشتروا المؤمنين جميعا لان الاسلام محفوظ فى القرآن وهو بيد المؤمنين جميعا راسخ فى صدورهم مردد فى افواههم فلم يستطيعوا ان يغيروا ما عصمه الله من التغيير ولا أن يطفئوا نور الله بافواههم واخيرا لجأوا الى القوة العارمة يسفكون الدماء ويسعون فى الارض فسادا ، وما يزال المسلمون فى حربهم الضروس يحملون القرآن بين أيديهم شعارا فى هذه المعركة بين الحق والباطل والايمان والفكر والاستقامة والانحراف .

ومهما كانت المبادىء تخون أصحابها عند ما تتغير البيئات والازمان وفعالية الدعوة فان القرآن لم يخن المسلمين قط واعتقد انه لن يخونهم ابدا ، فمنذ نزول اول آية منه وهو يهيب بالناس ان يقرؤوا الى نزول آخر آية منه مفعمة بالرضى وهو مصدر رحمة بالمومنين وسلام بالناس كافة لم يكن سببا فى ازمة او فى حرب رغم ان كثيرا من المؤمنبن اقحموه فى هذا الجدال السياسي او فى الجدال الحربي ، فقد رفعه اصحاب معاوية على الحراب حينما كادوا أن يغلبوا فى حربهم مع الامام علي فأوقف حروبهم الى ان تحاكموا الى ما فيه من حق ويقين ، وقبل هذا التاريخ بقليل لم يستنكف الثوار على الخليفة عثمان ان يريقوا قطرات من دم



للأستاذ حسن السائح

اربعة عشر قرنا خلت على نزول القرآن الكريم الذي كان بداية انطلاق الاسلام ، وكان الدليل القاطع على صدق نبوة الرسول عليه السلام ، ولم يكن فى الوسع أن تكون للنبي حجة على صدق رسالته الا فى هذا الكتاب المعجز المبين .

ومن العسير ان نأخذ انفسنا فى البحث عن اسرار اعجاز القرآن ، هذا الاعجاز الذي أصبح فنا قائما بذاته شغل المفكرين المسلمين وما يزال ، يرى بعضهم ان الاعجاز فى الكلمة القرآنية وما فيها من طاقة توحي للنفس بالقوة والتفكير ، ويرى بعضهم أن الاعجاز فى التعبير القرآني وما فى بيانه من سحر ، ويرى آخرون أن القرآن معجز بما فيه من قوانين تشريعية خالدة وما فيه من أقاصيص عن سيرة الاولين وحياتهم ، ويرى فريق منهم ان الاعجاز فى سرد مغيبات الاحداث ، ويذكر فريق آخر أن الاعجاز فى الصرفة عن المعارضة .

ولكن الحقيقة التي لاشك فيها ان الذين سمعوا القرآن انقلبت حياتهم رأسا على عقب ، فبعد ما كانوا اميين يعيشون فى صراع وشقاق اصبحوا امة حية قوية العقلية ، قوية الايمان . تؤدي رسالتها الانسانية وتشعر بعبء مسؤولية تحرير الانسانية جمعاء من الجهل والضلال والتأخر ، واذا بها امة تترك الجزيرة العربية متجهة الى فارس والصين والهند وما وراء النهر من ناحية الشرق أو الى افريقيا شمالها ووسطها واقصاها من ناحية الغرب ، ثم تتجاوزها الى جزيرة اسبانيا وتعبر شمالها الى ان تقف فى بلاط الشهداء ، وتكاد أن تسير متجهة الى الشرق لتتصل بفتوح المسلمين فى آسيا الوسطى لولا أن تقف العقبات دون تحقيق هذه الامنية ، ولم تكن هذه الامة الجديدة تفتح الارض والبحار وانما كانت فى نفس الوقت تغزو مجاهل الفكر ايضا ، فالقرآن الذي جعل منها امة هادية مهدية جعل منها امة شاعرة مفكرة ايضا ، فقد عكف المسلمون على دراسة القرآن ليبحثوا عن الكلمات اللغوية واشتقاقاتها ويتجاوزون الكلمة الى العبارة القرآنية وبلاغتها وبيانها وبديعها فاذا بالباحثين والمنقبين امام فنون لسانية بليغة خصوها بالكتب العديدة والتآليف الواسعة ، واذا هذه الدراسة اصبحت مصدرا للعلوم اللسانية والادبية والنقد ثم اخذوا يبحثون فى القرآن على اساس ما فيه من التشريع والاحكام وقوانين استنبطوا منها الفقه واصول التشريع المدني والجنائي وقوانين العلاقات الفردية والاجتماعية والامية ثم درسوا العقيدة الاسلامية فى القرآن ، وتجادلت مختلف الطوائف فى فهمها ، واضطروا أن يترجموا الحكم اليونانية والفارسية والهندية كما اشتغل فريق منهم بتحليل الجوانب العلمية والرياضية ، فعرفوا من القرآن كروية الارض واختلاف الليل والنهار عليه وسير النجوم فى مداراتها ، وبذلك كان القرآن الكري مصدر دراسة مختلفة الاتجاهات والاختصاصات كم اشتغل كثير من المفكرين بشرح القرآن وتفسيره ك حسب تخصصه فكانت حياة النهضة الاسلامية ترتك على القرآن الذي كان دستور المسلمين والاسلام والذ

ولسنا فى حاجة الى الدليل على أن هذه الوحدة اللغوية انما ترجع الى القرآن لا غير .

واذا كانت خطوات المستقبل تتقفى خطوات الماضي ، فمن المحقق ان المسلمين اليوم فى حاجة الى ان يعتصموا بالقرآن ، ومن حقنا أن نتساءل عن طريقة الاعتصام وعن الاسلوب الذي سنتبعه فى ذلك، فلست اريد أن نقرأ القرآن كما كان اليهود يقرأون التوراة ، ولست اريد ايضا أن نفهم القرآن منحرفا بعيدا عن واقعنا ، ولهذا فمن الواجب أن ندون معجما قرآنيا حتى نتفق على دلالة كلماته وان نفهم نصوصه فهما واعيا يتفق وتطور العلم والمجتمع الانساني ويتناسب والوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي نعيشه لهذا يجب أن تنشأ لجنة لتفسير القرآن تضم المختصين فى العلم والدين والادب والاجتماع والاقتصاد والقانون، فهؤلاء يستطيعون بعلمهم أن يفسروا القرآن تفسيرا متكاملا ، وان يدخلوه الى الجماعة الاسلامية بحيث لا يظل خارجا عنها وهم الذين يهيؤون لرجال الترجمة التبشير بالاسلام النص المعتمد فى دلالاته اللغوية وتفسيره ، وعملهم هذا سيساعد رجال التربية والتعليم على تبسيط المناهج القرآنية فى البرامج التربوية . وسنكون بهذا العمل نعيش القرآن وتعاليمه ولا نشعر بمركب ازدواج المفارقة بين تعاليم نستمع اليها ونتأثر بها ولكننا لا نحياها ولا نعيشها ، لن يكون عمل هذه اللجنة هينا ، ولم يكون برنامجها ارتجاليا أو عشوائيا ولن تكون خاصة ببلد من البلدان او بقطر من الاقطار ، فيجب أن تكون من كل البلاد الاسلامية وان تكون فى كل البلاد الاسلامية كذلك وتضم ممثلين عن مختلف الاقطار الاسلامية ، وليس معنى ذلك انني اقلد رجال السياسة عندما يدعون الى هيئة امية وانما ادعو الى ذلك لسبب بسيط جدا ذلك أن القرآن ملك للجميع والدين الاسلامي دين عام ، ومن حق هذه الشعوب المسلمة ان تعرف دينها وتفهم القرآن ، وهذه الشعوب مختلفة اللغات ، مختلفة العوائد ، مختلفة الانظمة ومن المحقق ان الاسلام كدين عالمي لا يضيق بهذه الانظمة ولا بهذه الاعراف ولذلك فمن الواجب ان يظل منسجما مع طبيعة هذه الشعوب كما كان من قبل ، واخشى اذا استبدت بهذه الجمعية أمة من الامم ان تفسد فى معظم الشعوب الاسلامية طبيعتها التلقائية فى فهم الاسلام ، وربما نفسد حقيقة الاسلام من حيث اننا نصلحه بل نضعف من شأنه بينما نظن أننا نسعى الى تقويته ، وسوف لا يصطدم عمل هذه اللجنة بمختلف النشاطات المحلية المركزة فى الهيئات الثقافية والجمعيات الدينية ، كما انه لا يصطدم بالعمل الجاد الذي تؤديه الجامعات الاسلامية هذه الجامعات التي يجب أن تضطلع بمسؤولياتها الدينية والتي يجب احياؤها سواء فى القرويين او فى الازهر او فى الزيتونة او النجف ... او فى تمبكتو .. والتي يجب أن يكون لها برنامج جديد ومنهاج جديد سواء فى دراسة الاسلام او دراسة المجتمعات الحديثة على هذه التطورات الفكرية المعاصرة .

فمن واجب هذه المؤسسات أن تقوم بمهمة الدراسات الاسلامية والعربية وتكون اختصاصيين فى هذه الموضوعات سواء كمفكرين أو كمخططين تربويين فى تطوير العالم الاسلامي روحيا وفكريا وادبيا واخلاقيا ، ومع الاسف فمعظم الجامعات الاسلامية فقدت شخصيتها أو آخذة فى فقد شخصيتها لتدخل فى اطار التعليم الجديد ، وهي اذ تفعل ذلك تسير متأثرة بالتفكير الغربي الذي يفصل بين الدين والدنيا ، ويعطي تحديدا للعلم خارجا عن نطاق الدين ومع الاسف الشديد فهذا العمل يعبر تعبيرا صريحا عن عدم فهم الاسلام كدين اجتماعي لا كدين ضمير ووجدان ، واذا كان العالم الاسلامي تحت ظروف قاهرة تخلى عن الخلافة الاسلامية فلم يبق لديه الا هذه الجامعات التي ستظل حارسة الاسلام ، والتي يجب أن تقيم وحدة جامعية فى شكل اتحاد جامعي ، يضم الازهر وجامعة السنوسي فى ليبيا والزيتونة بتونس والقرويين بالمغرب والنجف بالعراق والمقاصد فى لبنان ومعهد الشريعة فى سوريا والعراق ، ومعهد الحديث للمدينة المنورة ، وعليكرة فى الهند ومعاهد الشريعة الاسلامية فى اندونيسية والصين وبخارى حتى تكون هذه الوحدة اساسا لمركزية التفكير الاسلامي ، واعتقد أن هذا العمل اداري لا يضايق عمل لجنة احياء القرآن بقدر ما يساندها وتستفيد منه ، ولست أتصور ان عملهاسيكون سهلا اذ عليها أن تصدر مجلة وتؤسس عدة اندية وتتولى توجيه محاضرات ومناقشة كل ما جد من النظريات والاراء الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية بل تتولى ترجمة الابحاث الايدولوجية فى مختلف المستويات والتوجيه الاذاعي والصحفي والتلفزة فى البلاد الاسلامية . وتتجاوز ذلك الى مراقبة كل ما يصدر عن الاسلام من آراء مغرضة أو منحرفة وعليها أن تستعمل لغة العصر من قصة مسرحية وأفلام تثبت فيها الروح الاسلامية على أساسها السلفي النبيل .

راسه ممزوجة بقطرات من دم زوجته على صفحاته شهدت على ان الله تعالى سيكفيه شر الظلم وينتقم لدمه المسفوك فى حروب داهية ، وتجرا عليه الوليد الاموي فيما يروي بعض المؤرخين فمزق صفحاته ولكن الله مزق ملكه حفظا للقرآن وتبكيتا لاعدائه ، وأثار خلفاء بني العباس مشكلة خلق القرآن ونحوا فى هذا الصراع السياسي كثيرا من المفكرين واصحاب المذاهب الكلامية من معتزلة وسنية وغير ذلك من الفرق وعذبوا كثيرا من المفكرين بهذا الموضوع الخطير الذي لم يثره القرآن وانما اثاره السياسيون والدوجماتيكيون ، ثم اختلف المفسرون وعلماء الكلام فى عبارات القرآن التي تفيد التشبيه فمنهم من اولها عن ظاهرها ومنهم من أخذها على حقيقتها فاختلفوا بينهم اختلافا شديدا أثار حروبا قلمية ودموية ، ونعرف فى المغرب ذلك الصراع الحاد بين المرابطين الذين يؤولون والموحدين الذين أولوا فسموا بالمجسمين ، واختلف الفقهاء كذلك فى فهم نصوص القرآن وكان اصحاب ابي داود فى العراق واصحاب ابن حزم فى الاندلس يفهمون القرآن على ظاهره فى كل ما تعطي الكلمة اللغوية من ابعاد وتطرف فريق من غلاة الشيعة والمتصوفة فى الاخذ بباطن القرآن لا يفهمون منه كلماته على حقيقتها وانما يؤولونها تأويلا يناسب معتقداتهم ومعطيات وجدانهم ، وهكذا انحرف هؤلاء عن الطريق المستقيم الذي سنه القرآن رغم انه كتاب رحمة ومحبة وهدى واتفاق وجمع كلمة وتوحيد المسلمين كافة ، على أن القرآن الكريم محروس بعناية الله لم يتأثر بشيء من ذلك بل ظل محفوظا فى نصه وتلاوته مهما يختلف المفسرون فى تفسيره ، فكل هذه التفاسير جانبية عنه تتلاشى مع الايام ويبقى القرآن الكريم رحمة للناس كافة .

كما ترجم كثير من المستشرقين القرآن الى لغتهم بل ما من لغة فى لغات العالم الا وتتوفر على ترجمة للقرآن الكريم ، وليس من شك ان ترجمة القرآن تنبع من روح الذين ترجموه فمنهم من استخف بآياته واحكامه وتشريعاته فجاءت الترجمة مهلهلة ضعيفة تنقصها الروح ونزاهة الفكر ، ومنهم من حاول ان يقدم القرآن فى حرارة لغته وسمو دعوته ولكن هؤلاء جميعا لم يبلغوا الى ما ارادوا لسبب بسيط هو أن للقرآن بلاغته العربية الخاصة به واسلوبه المعجز وهو فى لغته لا يحتمل تقديما وتأخيرا ولا استبدال كلمة باخرى وكما جاء فى القرآن وهو يتحدى بلغاء العرب (قل لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) .

ولكن عمل هؤلاء المستشرقين كان ابلاغ دعوة القرآن الى المتكلمين بغير لغته ، ومهما اختلفت قيمة عملهم فهم دعاة اسلام شعروا بذلك أو لم يشعروا ، واحبوا ذلك العمل أم كرهوه ، فالقرآن بقي دستور الاسلام وكتاب العربية وهم يقرؤون الاسلام فى ترجمة القرآن ويعرفون التفكير الاسلامي فى ترجمة القرآن كذلك ، وكما يستمعون الى حلاوة جرسه ويتأثرون بسمو نظرياته وكأنهم يصغون الى قطع غنائية رائعة فيعرفون الكثير عن هذا الكتاب الذي قاد المسلمين طيلة اربعة عشر قرنا وسيظل يقودهم الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

وكما ترجم المستشرقون القرآن الى هذه اللغات ترجمة لا تخلو من عناية فان كثيرا من الشعوب والامم التي انضوت تحت لواء الاسلام وكان منها من لا يحسن اللغة العربية اضطر سوقة العلماء ان يترجموا سورا وآيات من القرآن الى لغاتهم وعلى هذا النحو نقل بعض فقهاء سوس وبالاخص فى عصر الموحدين جزءا من القرآن ، فكتب المهدي بن تومرت آيات من القرآن باللغة البربرية وفعل هذا كثير من حفاظ القرآن فى فارس وفى تركيا ايضا ولكن هذا لا يمكن ان يسمى ترجمة بالمفهوم العلمي وانما كان نقلا لفقرات من القرآن ، والمقصود منها شرح العبارات القرآنية وتقريبها للافهام ، اما هذه الشعوب وهذه الامم سواء منها فى الهند او فى الصين او اندونيسيا او فى الباكستان او فى بلاد الترك أو فى بلاد فارس أو فى بلاد البربر فهم يحفظون القرآن ويتقنون حفظه ويحاولون ان يجعلوا لغته هي لغتهم ولذلك كان صحيحا ما يقوله بعض المفكرين من أن القرآن الكريم لم يحفظ اللغة العربية فقط ولم يطورها فحسب بل جعل منها لغة الاسلام فتغلبت لغته على الحناجر والحدود الطبيعية والجغرافية وعجمة الالسن وجعلت المسلمين سواء فى روسيا أو فى افريقيا السوداء يتكلمون اللغة العربية ويكتبون بها وبذلك وسعت اللغة العربية مختلف اللهجات واللغات والتعابير الفنية والفلسفية والعلمية ودونت بها العلوم بمختلف شعبها وكانت العربية الى وقت متأخر لغة العلم والفلسفة والدين والادب ولغة الشعوب الاسلامية جميعها ، ويحدثنا تاريخ المغرب عن ابن بطوطة الرحالة المغربي الذي خرج من طنجة فتكلم بلغته العربية فى آسيا الوسطى وفى الهند وفى الصين وفى بخارى وفى افريقيا السوداء ولم يكن فى حاجة فى معظم هذه البلاد الى مترجم وانما كان يجد صعوبة فى التعبير فى بعض الاماكن ولدى طبقات خاصة من الناس

نموذجية لا ترهق التلميذ الصغير كما كانت ترهقه من قبل .

واذا كان المغرب الحديث فتح نوافذه على الحضارة الغربية واقتبل كثيرا من انظمتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فانه ظل متشبعا بروحه الدينية ، هذه الروح التي تعتمد على القرآن الذي يرى فيه استمرار الشخصية وضمانا لمستقبله ، وهو فى كل المدارس ذات النظام العصري والمواد الحديثة يهتم بتعليم القرآن ولم يكن يكتفي المغاربة بذلك بل يبعثو بأطفالهم الى الكتاب مساء بعد دراستهم بالمدرسة نهارا .

ومعظم الذين درسوا بالمدرسة الحديثة كانوا يضمون جزءا من أوقاتهم بالكتاب يحفظون ما تيسر من القرآن فى أوقات الاجازة او بعد نهاية حصة الدراسة المسائية ، وان دل هذا على شيء فهو دليل على ايمان المغاربة بتعليم القرآن وحرصهم الشديد على حفظه منذ عهد طفولتهم . ولم يكونوا يقتنعون بالدراسة على ضعفاء المعلمين . فقد تعودوا أن يختاروا من بين فقهاء المغاربة الذين يتوفرون على شخصية روحية تعتبر اساسا لتكوين شخصيتهم ولذلك ظلوا متمسكين بالتراث الحضاري والثقافة الاسلامية . هذه الثقافة التي تناسب طبيعتهم التيتؤمن بالحرية الانسانية فاستطاعت ان تخلق وتنمي فى الانسان ضميرا اجتماعيا حرا الف بين الناس مهما اختلفت الوانهم وعقائدهم دون ان يفسد ارادتهم الحرة، ولهذا فنظامهم التربوي يلائم بين الذاتية والتطور ، لان المبدأ الاساسي الحر سيظل مخيما على علاقة الفرد بالمجتمع الحر الانساني المتدين . وكما يرى (توينبي) وهو علم من اعلام التاريخ المعاصرين ، فان الذين هو عماد المجتمعات التي عليها تقوم الحضارات ، بل يسيطر على تفكيره التاريخي ضرورة وجود الروح الدينية مهما كانت مسيحية أو اسلامية او بوذية هندوسية .

والواقع ان التربية الروحية ضرورة لتكوين الشخصية شأنها شأن التربية الجسدية والعقلية ، وتهذيب الروح حسب القوانين التربوية فن قائم بذاته، يمكن تطوير الروح وتربيتها على حدة . وتربية الروح انما تكون عن طريق معرفة الله والايمان بالشخصية الانسانية . ولاشك أن كل تعليم يخلو من عنصر التربية الروحية تعليم لا يفيد الانسانية . وان كلمة التربية الروحية مشوشة فماذا يراد بهذه التربية ؟

انها تربية المحبة والخير والجمال والعزم والثقة فى الروح الانسانية ، هي تربية مشاعة ، تنمو وتزدهر بطريقة تلاوة النصوص الدينية القرآنية وفهمها فهماصحيحا مع تدريب على ممارسة الواجبات الدينية التي هي الرياضة الروحية وكما أن العقل انما ينمو بالرياضيات والجسد ينمو بالرياضة الجسدية والتمارين العضوية ، فكذلك التربية الروحية لابد لها من تدريبات وممارسة طقوس ، وهذا يتوقف على المربي الصالح الذي يكون نموذجا صادقا ، وصدق المعلم فى تغلبه على نفسه وكبحه لشهواته .

والهدف القويم للتربية القرآنية هو تهذيب الاخلاق وتقويمها لان الاخلاق مستمدة من الوحي الالهي ، فنحن نتفق جميعا على ضرورة الاخلاق لتقوية كل مجتمع من المجتمعات الانسانية ، واذا كان بعض المربين يرون أن الاخلاق تعتمد على اساس للتقويم الفكري لان العمل الخلقي انما هو تعود عقلي ، فهو راي خاطىء اذ أن واقع الحياة يكذب هذا فالاخلاق لا ترتكز على اساس عقلي ما لم تكن مدعمة بالايمان والخوف من الله ، والايمان بالله انما ينبثق عن الايمان بالتعاليم الدينية القرآنية ، وهي تعاليم انسانية تركز فينا احترام الحرية الانسانية وشخصية الانسان وعقيدته وفكره وشعوره بالتعاون الانساني ، ولا شك أن الاخلاق عندما تبنى على الافكار قد تتحرف وقد تضطرب لان الفكر نفسه قد يضطرب وقد يتحرف وقد يضل طريقه فينحرف عن الصدق والاستقامة والرحمة، وليس معنى هذا اننا لا نثق بالفكر الانساني ولكن الفكر الانساني قد يشد ويحلل المحرمات تبعا للاهواء ، وبذلك فالايمان بالله هو الضمانة لاستقامة الاخلاق فلا خلاص الا بتعاليم القرآن التي لا تركز المبادىء المثلى فقط . وانما تجمع المؤمنين عليها ايضا ، ولا يجوز لنا كمسلمين ان نتفرق فى عصر يدعو الناس بعضهم الى بعض الى الاتحاد لان فى الوحدة قوة ، لا سيما اذا كانت على اساس خلقي متين خبرناه عدة قرون فزدنا به ايمانا وثقة .

وكذلكفقد دخل القرآن الكريم حياة الشعب المغربي فنبض كل لسان بآيات منه وتحرك كل فؤاد بمعانيه وكان عنوان حياة المسلمين التي تغيرت من حياة ساذجة غير واعية الى حياة ترتكز على الوعي الدافع للعمل الصالح ، وقد عبر الفنان المغربي عن هذا الوعي بازميله ونحته سواء فى الجص او فى الخشب او فى الحجارة .. فعلى كل خشبة يفرغ عبقرية فى آيات قرآنية مكتوبة بخط بديع هو آية أخرى من الفن ،

اما المغرب بصفة خاصة فقد اهتم المغاربة بحفظ القرآن اهتماما بليغا وليس من الصعب علينا ان نحدد ذلك اليوم الذي تعلم المغاربة فيه القرآن ، فالاسلام يحمل معه تلاوة الكتاب المقدس اينما حل ، ففي الوقت الذي ورد فيه المسلمون فاتحين للمغرب فى عهد عبد الله بن ابي سرح وانتصروا على الرومان فى معركة سبيطة عرف المسلمون الافارقة والمغاربة سور القرآن التي تتلى فى الصلاة ، وكلنا يعرف أن الخليفة الاموي الذي بعث الى المغرب القراء ليفقهوا المغاربة فى امر دينهم ، كما نعرف أن هرثمة بن اعين اسس رباطات فى شمال افريقيا وكانت بهذه الرباطات مدارس لدراسة القرآن وحفظه ووعي دعوته .

والواقع ان المغاربة تهافتوا على القرآن الكريم ووجدوا فيه ضالتهم ووحدتهم يقرؤونه ما وسعتهم القراءة ويتلونه ما وجدوا الى ذلك سبيلا . يؤدونه بطريقة (ورش) التي اخذها عن نافع المدني لانه من مدينة الرسول (ص) ثم تجاوزها الى مختلف الاداءات حبا منهم فى حذق تلاوته بطرق عديدة ، واشتغلوا بتجويده واشتهر فى ذاك الكتاب العاصمية والشاطبية وكتبت مآت المؤلفات فى فن القرآت والتجويد ، وقلما نجد مؤلفا مغربيا لم يكتب فيموضوع التجويد والقراءات ولقد صدق الدكتور الاهواني حين قال ان المغاربة سيطروا على هذا الفن واظهروا فيه مقدرتهم ، واذا عرفنا اساليب التعليم القرآني كما يرويها الامامسحنون وابن العربي وابن خلدون عرفنا مدى العناية بالقرآن الكريم فى المغرب فقد تعود المغاربة أن يدخلوا اطفالهم للكتاتيب القرآنية فى سن مبكرة جدا قد تبدأ من الثالثة سواء أكانوا اطفالا أو كانوا طفلات ، ويبداون بتعليمهم سور القرآن القصيرة يحفظونها عن ظهر قلب . وهكذا يستمرون فى تحفيظ القرآن حتى اذا كانوا ابناء العاشرة او الحادية عشرة كان معظمهم يحفظ القرآن ثميعلمونهم فى نفس الوقت فن التجويد ومخارج الحروف وعددها فى القرآن من آية خاصة بالفاظ معينة ينظمون ذلك فى ابيات يسمونها (النصوص) وقد بالغوا فى ذلك حتى انتقد ابن العربي طريقة تعليم القرآن فى المغرب وانتقدها ابن خلدون من بعده كذلك ، وليس من شأننا ان نناقش هؤلاء ونفاضل بين الطريقة الشرقية والطريقة المغربية ، وانما اردت ان اثبت عناية المغاربة بالقرآن واهتمامهم بحفظه وتلاوته ، والى عصور متأخرة والقرآن يدرس فى الكتاتيب القرآنية وينهي الطفل حفظه بحفلة كبرى تقام بالكتاب وبمنزل الطفل. وقد كانوا فى الكتاب يكتبون القرآن بمادة الصمغ السوداء على الواح خشبية مطلية بالصلصال وكان من عادة المغاربة والاندلسيين أن يرسلوا فى هذه اللوحة يوم ختم القرآن دوائر هندسية وتخطيطات منسجمة ويملؤون ذلك بآيات قرآنية فى حروف مجوهرة اندلسية وكوفية شرقية ومبسوط مغربي، فتكون اللوحة آية فى التناسق الهندسي وهم بذلك يعلمون الاطفال مبادىء الهندسة ايضا ، ويحدثنا كثير من المستشرقينعن مشاهدتهم لحفلات ختم القرآن التي كانت تنال اعجابهم واذا كان المؤرخون المغاربة لا يهتمون بوصف هذه المناظر لانهم الفوها باستثناء الوزان الفاسي الذي اعطى لنا صورة مصغرة عن ذلك فان المستشرق (جون وندروس) يصف لنا ذلك الحفل البهيج فى ذلك اليوم الخالد فى حياة الطفل حيث يشترى للطفل فرس مطهم ويلبس العمامة والسلهام ، وفى حفل بهيج يغادر الكتاب الى منزله تتبعه الصبية وهم يرددون الاناشيد، حتى اذا وصلوا الى منزل المحتفل به اخذوا فى تلاوة القرآن والاشادة بحافظه . وتقدم للمعلم جوائز نقدية اعترافا بمجهوده لاداء رسالته ، على أن مباهج هذا الحفل تنسينا حياة الكتاب القاسية ، حيث كان الطفل يقضي به حياة اليمة كانت تبدأ الدراسة فى الصباح بعد صلاة الصبح ، وتنتصف فى صلاة العصر ، وتنتهي بعد صلاة المغرب وتلاوة القرآن فى المسجد الى بعد صلاة العشاء ، باضافة التراويح أو ما يسمى بالتشفيع فى شهر رمضان . لا يعرف الطفل فيها طيلة السنة عطلة طويلة المدى . سوى ثلاثة ايام فى الاعياد الدينية ويوم الخميس ، اما يوم الجمعة فتبدأ الدراسة فى الكتاب بعد صلاة الظهر فتستمر طيلة المساء كله وكانت لحياة الكتاب مظاهر خاصة فى اسلوبها التعليمي ، فالفقيه يملك مجموعة من العصي ويستعين بالفلاقة لا لتقويم الاخلاق فحسب ولكن لمعاقبة من لم يستطيع حفظ ما كلف بحفظه ، ولم يكن فى الكتاب الا حصير متلاش يجلس عليه مختلف الصبيان ، والا ممحاة من الماء لتمحى فيها الالواح وليشرب ماءها من استعصى عليه الحفظ ، اما ادوات التعليم فلا تتجاوز مدواة بمادة الصمغ وقلما من القصب واحيانا خشبة مستطيلة صغيرة يتتبع بها الطفل حفظ الآية القرآنية ، فلم يكن فى الكتاب مصحف ولا دفتر ولا كتاب ولا مداد ، وانما هي ادوات بسيطة جدا وتجهيزفقير جدا . وحياة قاسية اليمة لا راحة فيها ولا هدوء ، وكانت قدرة المعلم تتجلى فى قوته على ارهاق اطفاله الصغار بالحركة أثناء الحفظ والصخب اثناء التلاوة وصوت بكائهم وهم يتضورون تحت سياطه التي لا ترحم ، وقد اختفت هذه الكتاتيب اليوم تحت تجديدات مدرسية واصبحت كتاتيب



عندما قالت السماء كلمتها الخالدة فى غار حراء ، انبعث فى الوجدان الانساني صوت من الاعماق يربط المثل العليا فى الحق والخير والفضيلة برباط متين من كلمة السماء فى غار حراء ... !

وكلمة السماء وحي من الله ! ورسالة من جبريل! وتبليغ من محمد عليه السلام ..! ودلالة من كتاب ..! فهمها المومن فكانت حجة له ... وفهمها الجاحد الكافر فكانت حجة عليه ..!

والصراع الذي كون تاريخ الاسلام ، كان مبنيا على اساس من الدلالة القرءانية التي فهمها الجميع ... خصما كان للاسلام أم صديقا ..

فالخصم فهم من كلمات القرآن وآياته وسوره ما تدل عليه ، فهما لا يقل عن فهم الصديق .. فجادل بباطله ما شاء الله أن يجادل ..! وحارب ما شاء الله ان يحارب.

والصديق فهم من كلمات القرآن وآياته وسوره ما تدل عليه فهما انار زوايا قلبه ، وأوقد نبراس ضميره.. فآمن واعتقد واستمات فى الدفاع عن هذا الايمان وهذا الاعتقاد ..

فالوضع الحقيقي للاشياء هكذا كان طيلة الفترة التي تتابع فيها نزول القرآن وحيا من الله ..! ورسالة من جبريل ..! وتبليغا من محمد عليه السلام ..! ودلالة من كتاب ..! وهذه الفترة دامت اكثر من عشرين سنة فالاعجاز القرآني المقصود به التحدي لا يتم معناه ولا تقوم حجة منطقية خالدة .. الا اذا تحقق مدلول الدلالة القرآنية واصبحت امرا واقعا ليس له من دافع ..! ولهذا نجد القرآن يؤكد هذه الدلالة .. ويقول انه انزل بلسان عربي مبين ... ليفهمه المخاطبون به عند سماعه .. من غير احتياج ضروري الى شيء آخر ..

ولم يثبت عندنا بطريقة علمية مسلمة ان المخاطبين بالقرآن اول نزوله جعلوا من جملة اسلحة الطعن فيه.. فساد الدلالة ..! او غرابتها ..! او غموضها ..! او انحرافها عن الاسلوب العربي ..!

ولم يثبت عندنا بطريقة علمية مسلمة ان الذين آمنوا بالقرآن وحفظوه ، وكتبوه ، ورتلوه ، كانوا يقومون بذلك بعد اخذ دراسة او معلومات أو تدريب خارج عن المألوف المعتاد ..!

فاذا نعق اليوم ناعق فى شرق الدنيا ..! او نهق ناهق فى غربها باسم العلم والبحث ..! ان الذين آمنوا بالقرآن والذين كفروا به سواء فى الجهل بدلالته .. لانه جاء باسلوب غريب ..! والفاظ غريبة ..! وتراكيب غريبة ..! ومعان غريبة ..! لم يألفوها .. ولم يفهموها .. فان اقل ما يقال عن هذا النعيق ..! وهذا النهيق ..! هو انهما لا يمتان الى العلم الصحيح .. والبحث النزيه بصلة ...

والقرآن بحكم نزوله متتابعا طيلة سنوات اصبح من اللازم أن يكون لسوره وآياته مناسبات وظروف كانت لمن عاصرها من صولة بحياة عقيدته مرتبطة اشد الارتباط بوجوده داخل الجماعة الاسلامية .. التي تكونت فى ظلال القرآن .. تهتدي بهديه فتحل حلاله ، وتحرم حرامه .. فى العبادات والمعاملات ..

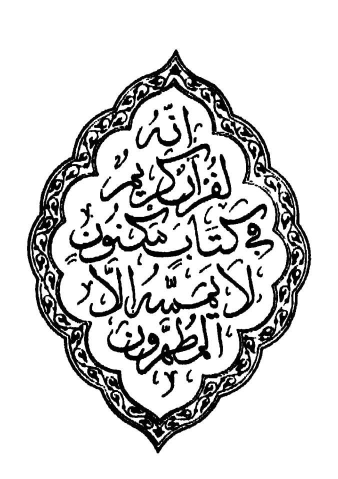
اما بالنسبة لمن لم يعاصر هذه الظروف والمناسبات فان معرفتها والاطلاع عليها يمكن من تقرير الدلالة وتوضيحها ومعرفة ملابساتها ..

وهذا شيء زائد على مجرد الدلالة ... فاذا فرضنا اننا جهلنا مناسبة النزول ، وظرفه الخاص فان الدلالة القرآنية تبقى قائمة الحجة ... ناصعة الدليل .. واضحة

نقش على الاحجار وعلى الجص وعلى الخشب الايات الكريمة التي تعبر بمفهوم كلماتها مالا تعبر عنه الصور والتماثيل الرخامية ... وفى الواقع ان الفن الاسلامي محا التجسم ليقود الى البساطة فى التعبير من الداخل النفسي ، ولكن ليس تعبيرالبساطة الفنية وانما هي آيات قرآنية مشحونة بمعاني خالدة وسواء فى القصور او ى جدران المساجد أو فى سقوف البيوت او اسكافات الابواب .

وانه لمنظر جميل أن نرى الفسيفساء البديعة التركيب تضم آيات قرآنية مكتوبة بخط جميل مغربي او أندلسي وترى الفنانين نحتوا على رخامات اللحود آيات قرآنية تعبر عن مصير الانسان الى خالقه ، وحقيقة الموت التي لا يمكن ان يفر منها اي مخلوق . والبقاء لله وحده دون غيره .. كل الايات التي تبعثفى النفس عظمة الخالق وتشعر الانسان بحقيقته كمخلوق ومصيره النهائي الذي ينتظره . وهذه الايات القرآنية التي تكمن فى القلوب يعبر عنها الفنان المغربي بعبقريته فى النحت والتصوير والرقم والتخريم . وهكذا دخل القرآن للحياة المغربية وطبعها بطابع قوي سواء بلغته او تعاليمه او توجيهه ، وسواء فى التربية او القانون أو التعاليم او الاخلاق أو الفن ، فالمغرب مصحف يتحرك. وايمان بالاسلام تجسم فى شعب قوي الايمان .

الرباط : **حسن السايح**





للأستاذ عبدالله العمـراني

لا مراء فى ان بعض المستشرقين قد اسهموا في خدمة اللغة العربية وتاريخها وأدبها ، بما انتجوه من أبحاث ، ونشروه من كتب عربية ، وآثار علمية ، ظلت مكتومة الانفاس ، محجوبة عن نور الوجـود اجيـالا عديدة . وهم فى ذلك تحدوهم اغراض علمية بحتة ، تستهدف الكشف عن تراث الاولين ، وترمـي الـى تحقيق بعض معالم التاريخ او الادب او الفن ، التـي طالما ثار حولها النقاش ، او كانت فى امس الحاجة الى من يلقي عليها بصيصا من نور يهديء من روع المتناقشين حولها ، ويزيل عنها ظلمة الجهل ، فيتضح صبحهـا لذى عينين .

ولا جدال كذلك فى ان بعض اولئك المستشرقين دخلوا ميدان الاستعراب وهم مدفوعون بأغراض معينة ومفعمون بأفكار وآراء ونظريات خاصـة يحاولـون ابرازها والتدليل عليها ، ويقذفون بها وجه الحقائـق التاريخية والادبية والدينية التي ظلت ثابتة الدعائـم ازمانا متباعدة . وهدفهم من وراء ذلك السعي غيـر المشكور ، التشكيك ، ومحاولة الاتيان بجديد كيفمـا كان ، وطمس الحقيقة باسم البحث العلمي المزعوم ، ثم غمط اقوام حقوقهم واعتباراتهم ، وظلم أمم ظلـت تعتنق هذه الحقيقة او تلـك ، وتعدهـا من اقـدس مقوماتها الحضارية .

عن هذا الصنف الاخير ، سأتحدث فى هـذه المحالة ، مدركا انى قد اثير حفيظة بعضهم ، ولكني فى الوقت نفسه حريص على ارضاء الحقيقة والواقع ، وان الحق يعلو دائما ولا يعلى عليه ، وبمناسبة الاحتفال بمرور اربعة عشر قرنا على نزول القـرآن الكريـم ، اخترت مزاعمهم وترهاتهم واباطيلهم التي قذفوا بهـا القرآن الكريم ، لاردها وادحضها والله المعين .

قد تعتري المرء الدهشة اذا علم :

1 ان هؤلاء المتجنين على القـرءان الكريـم الذين لا يزالون يعيشون بين ظهراني القرن العشرين، انما يستقون افكارهم الهدامة من مصدرين رئيسيين:

ا ـ كتابات بعض الحانقين على الاسلام والعروبة فى القرون الماضية حيث كان الجهل والتعصب الاعمى يغشي ابصارهم، فلا يكفوا عن غلوائهم، حتىجاء الكاتب الانكليزي توماس كارليل (1795—1881) T. Carlyle الذياختار النبي العربيمن بين الانبياء جميعًا ليتحدث عنه فى كتابه : « الابطال وعبادة البطولة » ، ويصـوره بطلا فى صورة رسول ، فالقمهم حجرا بما كتب ، وعاب اقوالهم ، وشنع عليهم .

ب ـ ما ركب فى نفوسهم من نقمة وكراهية لكل ما هو عربي او اسلامي .

2 ـ ان كتابات هؤلاء المتجنين تعتبـر ـ فى زعمهم ـ وفق طرق البحث العلمي الحديث .

3 ـ ان اصحاب تلك الكتابات ذوو مكانة علمية بارزة فى اوساطهم ، ولذا نجد كتاباتهم تعد مرجعا لطلبة الجامعات الغربية .

المدلول .. وتلك ناحية من نواحي الاعجاز القرآني في رائع البيان .. !

ومن أجل ذلك كان للقرآن ترتيبان :
ترتيب النزول ،

وترتيب التلاوة ،

وكلا الترتيبين أمر الهي تعبدي لامجال فيه لقارىء ولا لمفسر ، ولا لكاتب ، ولا لطابع ..

وكلا الترتيبين قام به الاعجاز .. واستقرت به الدلالة .. القرآنية .. غير ان الترتيب الاول كان ترتيب مناسبة اقتضتها حكمة الباري جل وعلا في نزول القرآن مجزأ تخفيفا منه على عباده . وتسهيلا عليهم في تلقي الاحكام والعقائد والاداب ..

وانتهى هذا الترتيب المبني على المناسبات والظروف ليحل محله ترتيب التلاوة الذي كتبت به مصاحف المسلمين بطريقة متواترة خالدة قاومت الزمان وتحدت كل ما يلده الزمان من افكار تجد كما تشاء ... وتعبث كما تريد ..

واذا كان كل كتاب يجد صاحبه بعد مدة تطول او تقصر انه في حاجة الى زيادة . او نقص او اصلاح ، او حذف .. كما يجد فيه قراؤه بعد احقاب من الزمن . انه اصبح بينه وبين قلوبهم وعقولهم وواقعهم بون شاسع..

واذا كانت للكلمات ودلالاتها .. وللاساليب وانواعها .. اعمار محدودة تبلى جدتها .. وتذوي زهرتها ..فان للقرآن اعجازه القائم على وضوح الدلالة .. وروعة البيان .. وتحدي المواهب والعقول والاقلام ..

وهذه أربعة عشر قرنا منذ أن قالت السماء كلمتها في غار حراء ... لم تستطع ولن تستطيع ان تبلى من جدة القرآن وطراوة اسلوبه . ونصاعة مدلوله ...

فهو قريب من عقولنا وقلوبنا واحساسنا الباطني وضميرنا الانساني .. لا يبعده عنا جحد الجاحدين ولا تنطع الناهقين والناعقين ..!

واذا كان القرآن لا تبلى جدته الايام فذلك لانه ليس كتاب جماعة . ولا جيل . ولا لون من البشر . ولا حقبة من الزمان .. ولكنه كتاب الانسان اين كان .. ومتى كان ..

فلا طائفية .. ولا عنصرية .. ولا سلالية في القرآن.. يخاطب بدلالته الواضحة في اساليبه الناصعة البر .. والفاجر .. والقريب . والبعيد . والعالم. والمتعلم والجاهل الكل يجد فيه صارم حق لا يكل .. ومعين حيوية لا يفيض .. ونبع اشراق لا ينطفىء ..

فليس ضروريا انتكون عالما أو فيلسوفا أو عبقريا في اللغة والبيان لتقرأ القرآن وتهتدي به وتتمتع بجماله وجلاله ..

وليس ضروريا أن تجمع كتب التفسير وتقرأها لتفهم الدلالة القرآنية والهدى القرآني .. وانما يكفيك ان تعرف لغة القرآن لتتلو آياته فتجد لمعانيها التي تتسابق الى قلبك ووعيك اشراقة روحية من عالم الرحمة والحكمة فيستيقظ ضميرك الديني كما استيقظ ضمير الملايين قبلك .. ويستيقظ ضمير الملايين بعدك ..

مفسرو القرآن .. اساء منهم قوم واحسن آخرون فالذين اساءوا حاولوا ان يجمعوا بين الدلالة القرآنية وبين دلالات أخرى .. ففاتتهم هذه .. ولم يظفروا بتلك ..

والذين احسنوا حاولوا أن يربطوا بين الدلالة القرآنية وبين وجدان الانسان فاستقامت لهم تلك .. ولم يفتهم ذلك .

لكن الطامة الكبرى هي التي جاءتنا من الذين يحاولون تعطيل الدلالة القرآنية من اهل الاهواء والنزعات الضالة المضلة فيسبحون في بحار من الاضاليل والهرطقات والاشارات زاعمين — باطلا — أن للقرآن ظاهرا وباطنا .. !!

« كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا »

والمسلمون اليوم امام تيارات متعاكسة من الاراء والاهواء وهم الهدف الذي يصوب نحوه السهام القاتلة كل افاك اثيم .. لهذا يجب أن يتضافروا افرادا وجماعات على اسناد الدلالة القرآنية واعطائها المحل اللائق بها من اهتمامهم ودراستهم ..

وذكرى نزول القرآن دعوة كريمة .. ومناسبة طيبة .. ليرى المسلمون وجوههم في مرآة القرآن .. وليدركوا ما يفصل اخلاقهم واعمالهم واحوالهم عن هديه الذي دعاهم اليه ...

« ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا

فاس : عبد القادر زمامة

جيدا . من هذه النسخة كان رسول فائق لطبيعة البشر (وصفه محمد فيما بعد بالملاك جبريل) يسمعه عبارات فى لغة عربية واضحة » .

ويقول مستشرق (2) آخر انكليزي : « .. وهكذا قد القينا هنا نظرة اجمالية على النظرية القائلة بأن القرآن نسخة او نقل من اللوح المحفوظ فى السماء : فكرة ترجع الى ما وراء آلاف السنين الى السومريين الاوائل لتظهر مرة اخرى فى العقيدتين اليهودية والاسلامية » .

هذا قليل من كثير مما قاله بعض هؤلاء الغربيين، وحقا ان وجهتي النظر لمختلفتان اشد الاختلاف ؛ ولعل كبلنك كان محقا حينما قال : « الشرق شرق والغرب غرب ، ولن يلتقيا ... الغرب المشحون بطاقات الكراهية والتعصب ضد هذه الديانة السمحة ، وضد اصحاب المثل العليا ، وضد البلاد المقدسة مهبط الوحي ، ذلك الغرب ... الا يمكن ان يرعوى عن غيه ، ويرجع الى الصواب فيعتنق فكريا ـ ان لم يكن قلبيا ـ المبادىء السامية التي آمن بها ملايين الخلق ، ومئات الملايين والافها منذ اشرق نور الاسلام على شبه الجزيرة العربية ، الى ان نشر لواءه الخفاق فى مشارق الارض ومغاربها الى اليوم ؟ ؟

ان هؤلاء المتهجمين على الاسلام ، وعلى اصح واقدس واخلد كتاب سماوي ـ وهو القرآن الحكيم ـ لا يخلو امرهم ، فهم :

ا ـ اما غير (جمع غيور) من السمو والمجد اللذين رفل فيهما الاسلام عبر الاجيال والقرون .

ب ـ واما موتورون لان الاسلام بمبادئه السامية السمحة استطاع فى مدة وجيزة ان يستميل نحوه العالم القديم المعروف ؛ آنئذ كله تقريبا ؛ واعتنقته أمم كثيرة فزودها بحضارة مادية وروحية ، كانت فى اشد الحاجة اليها .

ج ـ واما مغرضون ، فهم :

1 ـ من رجال الكهنوت الذين قد يفرض عليهم مركزهم ان ينتقصوا من مبادىء الاسلام ومثله العليا .

2 ـ او من رجال السياسة يكتبون ليرضوا السياسة الاستعمارية الغربية التي استهدفت في القرون الاخيرة دراسة النظم الاسلامية وقوانين الاسلام لمحاولة الحط من قدرها ، والتشكيك من قيمتها ، ولتضليل اتباعها ، حتى تسهل عليها غلبتهم ، فتخضع بلادهم ، وتبتز خيراتهم ، وتجردهم من قيمهم ومقوماتهم الروحية .

والغريب انهم يتظاهرون بالدقة فى بحثهم العلمي، بينما نجدهم كثيرا ما تنزلق اقدامهم فيخرجون عن سواء السبيل ، ويقعون فى مهاوي الجهل والتجاهل والتجني . فاي طريقة علمية هذه التي سلكها هذا الذي جعل القرآن موحى به من اللوح المحفوظ مرة ، ومن الفردوس مرة ، بينما جعله مستشرق (3) آخر يهودي الملة ينزل من السماء السابعة ، انزله جبريل بأمر الله الى سماء الدنيا سماء القمر ، ومن ثم انزل منجما على محمد ؟ ؟ »

لا يغرنك هذا الكلام من ذلك الاخير ، فانه يعبر به ـ كسابقه ـ عن وجهة النظر الاسلامية ؛ اما وجهته هو فالعن ما يمكن أن يقرأ؛ ومن الخير للمسلم أن يضرب صفحا عن هذا الحاقد وكتابه الذي كتبه عن محمد والقرءان ، وتجنى فيه عليهما تجنيا لا مزيد عليه ، انما غرضي ان ادل على فشل الطريقة العلمية التي يتبجحون بها ، بينما نراهم فى عمايتهم يتخبطون كمن اصابهم مس من الشيطان .

يقول هذا الاخير عن القرآن الكريم : « ان سيرته Biografia غامضة ومتناقضة مثل سيرة محمد ؛ نفس المشكل بالنسبة للباحث ؛ نفس الغموض الذي يحيط بطفولة وشباب محمد ـ الذي يبدو تحت ضوء التاريخ الساطع فقط عندما يكون رجلا فى سن الاربعين ـ يلف كذلك طفولة ونمو القرآن الذي لا يقدم لنا الا وهو رجل ، اعني (والضمير هنا يعود لصاحب الكتاب ، وان كنت اعتقد ان ضميره ذهب ولن يعود)ـ اعني كتابا يدعى مصحف عثمان ، اي بعد ستين عاما من مؤلفه (كذا : « مؤلفه وستين عاما » دفعة واحدة ، كذب وافتراء مزدوج ! !)

---

(2) رئيس قسم الشرقين : الادنى والاوسط في مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية ؛ واستاذ العربية فى جامعة لندن . الف كتابا عن الاسلام ، نشر سنة 1954 واعيد طبعه مرارا فى السنوات : 56 ـ 61 ـ 1962 ، (210 صفحة) .

(3) له كتاب عن محمد والقرآن . طبع فى عاصمة الارجنتين بأمريكا الجنوبية سنة 1954 (من 447 صفحة) .

4 ـ ان ابناء العروبة والاسلام ، القادرين على نقد كتب هؤلاء ، ونقض آرائهم ، ومحو كل ما عسى ان يلحق بكتاب الله ومقومات المسلمين من اذى مادي او معنوي ... نجدهم صامتين ساكنين سكونا اشبه بما عليه سكان القبور .

ولا استطيع هنا ان اعالج كل الموضوعات التي اثاروا حولها النقاش المفتعل فتعالى عجاجه في اجواز الفضاء حتى حال بينهم وبين ادراك الحقائق ناصعة البياض كالحليب ، صافية الاديم كالثلج ؛ كما لا اقدر ان ارد كل المغامز التي حاول مؤلفون غربيون أن يغمزوا بها الاسلام والقرآن الكريم وصاحب الرسالة المقدسة الخالدة محمد عليه السلام ، فذلك موضوع طويل جدا، ولكني اكتفي بالاشارة الى بعض منهم ، والى ما كتبوه حول القرآن المجيد .

وجهتا نظر مختلفتان :

ينص هؤلاء المستعربون الغربيون على الخلاف الموجود حول القرآن بين المسلمين وباحثي الغرب . يقول احدهم (1) : « الاصالة الجوهرية للقرآن مقبولة لدى الشرق والغرب بدون خلاف ، لكن الخلاف الاساسي انما يوجد في الدراسات القرآنية ؛ حيث ان علماء الاسلام يرون رايا ، ويرى الباحثون غير المسلمين خلافه :

« فالمسلمون يرون أن محمدا (ص) هو مجرد مبلغ وناقل للكلمة المقدسة ... وفي الواقع أن الله قبل أن يخلق العالم من العدم ، خلق اللوح والقلم ، فكتب هذا على اللوح ـ بأمر من الله ـ كل ما سيقع وما يمكن أن يعرف ، وعند ما كان الله يرسل انبياءه الى شعوب العالم المختلفة ، كان جبريل يوحي الى الرسل من محتويات اللوح ذلك الذي عليهم أن يبلغوه للناس ، فمحمد اذن ، لم يفعل أكثر من أن كرر بدقة وضبط عبارات اللوح حسبما ابلغه جبريل اياها . وبالطبع ، وحسب هذه الوجهة ، فان مسالة مصادر القرآن لا يمكن بأي شكل من الاشكال ان تطرح على بساط المناقشة في الدوائر الاسلامية .

« ولكن العلماء غير المسلمين ـ منطلقين من اساس أن محمدا هو مؤلف القرآن ، وواجدين في نصه عبارات عديدة مطابقة أو موازية لوثائق أخرى اقدم منه ـ اندفعوا للبحث عن المصادر التي استقى منها محمد مبادئه التي بشر بها . »

ويزيد المؤلف وجهة النظر الغربية توضيحا فيستبعد المصادر المكتوبة حيث ان محمدا لم يكن يستطيع الاستفادة منها مباشرة ؛ ويقول : « وبترك مسألة الامية ـ امية النبي التي ثار حولها الجدل ـ جانبا ، فالكل متفق على ان محمدا كان يجهل اللغات التي حررت بها الكتب المقدسة لدى الاديان الاخرى . اذن ، لابد من اللجوء الى الفرض Hipotesis (كذا تهاجم الحقيقة الثابتة بالافتراض والتخمين !) القائل بالنقل الشفوي الـ Arabofona الذي قام به المسيحيون واليهود ، واتبعه محمد في شرح أصل كثير من الافكار والآراء الدينية التي ظهرت بعد في القرآن .

« ان المواسم التي كانت تقام في مكة وما حولها ، لم يكن يعوزها ممثلو الطوائف المشهورة وغير المشهورة فقد كانوا يقصدونها ويقومون فيها بالدعاية ، اولئك الممثلون في هروبهم من الضغط الاستبدادي كانوا يبحثون لهم عن ملجأ في الاراضي المصاقبة للامبراطورية البيزنطية ، وهكذا اتصل بهم محمد ، واستطاع الحصول منهم على بعض الاخبار المتعلقة بالعقائد التي كانوا يعتنقونها : كما اقترحوا عليه كثيرا من الآراء المسيحية المتسمة بالهرطقة ، ومن تذكارات الهكاداه Haggâdâh اليهودية ، ومن الكتب الدينية المشكوك في صحتها .

« ولربما كان محمد قد حصل على بعض هذه الآراء من اسفاره التجارية التي قام بها عبر صحاري شبه الجزيرة العربية ؛ لكن الاشغال المتعلقة بذلك ، والوقت القصير نسبيا ، مع اختلاف اللغة ، كل ذلك قد صعب مهمة البحث الطويل ؛ الا انه فيما بعد ، في المدينة وجد محمد الفرصة لتعمق هذه المذاهب اليهودية المسيحية ، وللعمل على نشرها . وزيادة على بعض التأثيرات الصغيرة ، نجد لبعض المصادر الاهلية من تقاليد شبه الجزيرة ، وعاداتها اثرا بارزا في القرآن كالاعتقاد في الجن ، ومثل اساطير الشعوب العربية الغابرة ، ومثل مناسك الحج وتقديس الكعبة .

« وبادىء بدء كان محمد يعتقد ان وحيه كان ياتيه من نفس المصدر الذي اتى منه الوحي اليهودي والمسيحي : من نسخة سماوية محفوظة ومحروسة

---

1) راهب واستاذ باحدى جامعات ايطاليا ، وكان قبل استاذا للعربية باحدى كليات الهند (بومباي) ، له كتاب بالايطالية عن الاسلام في أزيد من الف صفحة ، وقد ترجم الى بعض اللغات الاوربية .

شجاعتها ، فهو ينطح يمينا وشمالا وامام وخلف ، مما اوهى قرنيه ، واضعف مخه وذاكرته ، لذا نراه يقول في القرآن الكريم : « انه ليس كتابا ، ولكنه عناصر لتشكيل كتاب ، وفي عملية التشكيل تلك تمر ستون سنة . » (كذا والله ! ؟)

ومما يؤكد ضلال الطريقة العلمية المزعومة التي طالما تبجح بها مثل هذا الكاتب ، تلك الجملة التي تاتي بعد قليل من الاسطر ، فهو يقول : « ذلك المصحف المجموع في تاريخ متأخر بعشرين سنة عن موت النبي ! »

اليس هذا تناقضا عجيبا ! ؟ لقد صدق المثل العربي القائل : « رمتني بدائها وانسلت » . صاحبنا مثال التناقض ، ومع ذلك يرمي به سيد الوجود . لو كانت المسألة مسألة ارقام لقلنا ان لمصففي الطباعة اغلاطهم ؛ ولكنها مسألة حروف : Sesenta años كتبت مرتين في ص 173 وص 174 . اية دقة هذه في البحث يتبجحون بها ! ؟ ومع ذلك لا يستحيي هذا المؤلف حين يقول : « ... لكن يصف القرآن نفسه بانه كتاب لا ريب فيه ، وانه لا يقبل تناقضا ولا تغييرا ولا تاويلا ، ومع ذلك كما سنرى بعد هو مليء بالمخالفات والتعبيرات والشكوك . اذن لا يجب ان نمنح ثقتنا تاكيدات القرآن تلك التي تجعلنا نفكر في أنية (6) الكتاب موازية لأنية مؤلفه ! ؟ »

تعالى الله وكتابه الحكيم علوا كبيرا ! ان مثل هذا الكلام لا يمكن ان يصدر عن الذين يتقنون العربية ويتعمقون أسرارها ، فما بالك بهذا الكاتب الذي لا يقدر بحال ان يفهم القرآن بل ان يتعمق اسراره ، ولغته الجميلة المعجزة ، وافكاره المدهشة وبلاغته الفائقة ، وبيانه الساحر ، ان الحكم على الشيء فرع تصوره كما يقول المناطقة ، فكيف يسوغ لجاهل شيء أن يصدر حكما صائبا نزيها على ذلك الشيء ؟

لعله يقصد بالتغييرات والتناقضات قضية الناسخ والمنسوخ التي تحدث عنها علماء القرآن وجعلوا النسخ ثلاثة أنواع :

1 — ما نسخ خطه وحكمه معا .
2 — ما نسخ خطه وبقي حكمه .
3 — ما نسخ حكمه وبقي خطه .

أقسام منطقية ولا شك ؛ ولكن التحقيق على ان القسمين الاولين انما ذكرا تكملة للباب كما يقال ، فلا دليلا صحيحا على وجودهما ؛ أما القسم الثالث فهو الثابت ، وهو الذي اقتضته حكمة التشريع الالهية التي سايرت النمو الرشدي لدى جماعات بشرية اريد قيادتها وارشادها وتحويلها بالتدريج من ظلمات الجاهلية الجهلاء ، الى نور الهداية المتألق الساطع .

أو لعله يقصد ما أعرب عنه زميله الانكليزي حين قال : « لا ريب انه عند موت محمد كانت كمية طيبة من القرآن قد تم تدوينها ؛ وان التدوين الكلي لم يحصل ، حيث انه في أثناء حياته كانت سور او فصول جديدة تضاف باستمرار . ان واحد من كتابه الذين استخدمهم كان يتباهى بأنه قد اقنع النبي ليغير نصوص الوحي » .

كلام لا يمكن تصديقه . لقد كان النبي (ص) حريصا كل الحرص على نصوص الوحي خشية من الضياع او التبديل او التغيير ؛ كما كان المسلمون الاوائل وكتاب الوحي مثله في ذلك الحرص ، فكيف يمكنهم او احدهم أن يتصرف فيما يلقى اليه النبي (ص) وهو يعرف يقينا انه « تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم (7) » وهو يردد كذلك قوله تعالى : «وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (8) » .

من الثابت قطعيا وبالتواتر ان النبي (ص) كان يتلقى الوحي فيحفظه ، ويامر كتاب الوحي بكتابته ، ويلقنه المسلمين . وكان المكتوب يوضع في بيت الرسول (ص) بعد ان ينسخ الكتاب لانفسهم صورة منه . وكان الرسول يعارض بما أنزل عليه ما حفظه عنه حفظة المسلمين ، كما كان يعارضه جبريل بالقرآن مرة او مرتين في شهر رمضان من كل عام . روى البخاري عن فاطمة رضي الله عنها انها قالت : « اسر النبي صلى الله عليه وسلم الي ان جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة ؛ وانه عارضني العام مرتين ، ولا اراه الا حضر اجلي » .

هذا وقد شهد العرضة الاخيرة على جبريل كاتب الوحي زيد بن ثابت ، ولذلك اختاره الخليفة ابو

---

(6) من كلمة Egolatria يعني عبادة الـ « أنا » عبر بها دون كلمة Egoísmo مثلا بمعنى حب الذات لان هذه لا تشفي غليله .
(7) سورة غافر . الآية 2 .
(8) سورة فصلت (حم السجدة) : الآيتان : 41 — 42

ويسترسل هذا المؤلف المتجنى على الاسلام وقطبي رحاه ؛ الرسول الكريم والقرآن العزيز ، فيقول: « ان شخص Figura محمد هو فى جزء كبير منه ، نتيجة اعداد مترجمي حياته الاولين .. وكذلك القرآن هو فى معظمه عمل لفيف من النساخين والتراجمة والجامعيين . »

كبرت كلمة تخرج من افواههم ! ان يقولون الا كذبا ! ان ترجمة حياة الرسول الاعظم سيدنا محمد (ص) معروفة ومدروسة منذ اطل بمحياه الكريم على هذا الوجود . فمولده (ص) معروف بدقة ويحتفل به العالم الاسلامي كل عام ؛ وهجرته من مكة الى المدينة محدودة كذلك ، وبها بدا المسلمون ــ فى خلافة عمر ابن الخطاب (4) رضي الله عنه ــ تقويمهم بعد أن لم يكن لهم تقويم . فاذا قارنا هذين الحادثين : مولد الرسول وهجرته ، بحادثي ميلاد المسيح وتقويم المسيحيين ، نجد ان هؤلاء مخطئون فى كل الامرين ؛ ذلك انهم لم يضعوا تقويمهم الا بعد مرور خمسمائة عام على ميلاد المسيح ؛ وكان من المفروض أن يكون ميلاد المسيح في سنة الصفر (0) ، الا انه فى الواقع كان قبل تلك السنة بأربعة أعوام ؛ أي أن الميلاد الحقيقي للمسيح ، حدث قبل الميلاد المتعارف لديهم بأربع سنوات ! خطأ اكتشفه المسيحيون فيما بعد ، ولكنهم لم يستطيعوا اصلاحه ... ففي اي جانب كان الغموض والالتباس اذن ؟

لقد الفت فى ترجمة حياة الرسول الاعظم كتب عديدة ، وعرفه معاصروه معرفة معايشة ومعاشرة ؛ واعترف له الجميع ــ والعدو قبل الصديق ــ بالخصال الحميدة ، وبالصدق والامانة حتى لقبوه بالامين ؛ وعرف كذلك بالنزاهة والتحنث وطيب الخلق ؛ وقد اثنى عليه خالقه جل وعلا قائلا : « وانك لعلى خلق عظيم » .

واي نبي اعتنى اتباعه بالشاذة والفاذة من حياته خصوصا بعد البعثة ، كما فعل المسلمون بحياة نبيهم ؟ فهذه كتب السيرة (التي يقدح هذا المتعنت فى نزاهة رجالها ، ويصفهم بالاختلاق واهما انهم مثله فى هذه الخصلة الكريهة) ــ اقول : كتب السيرة تعج بالحديث عن حياة محمد قبل الرسالة وبعدها ؛ وهذه كتب الشمائل تتطفح بالكلام عن حياته (ص) فلا تغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصتها .

من المعلوم ان النبي (ص) توفى بالمدينة وبعد الهجرة فى 13 ربيع الاول سنة 11 هـ (8 يونيه 632 م) وان الخليفة الراشد عثمان بن عفان تولى الخلافة في آخر يوم من عام 23 هـ (7نومبر 644 م) ، وقتل يوم 18 ذي الحجة سنة 35 هـ (20 مايو 656 م) ؛ فاذا عرفنا انه تولى جمع القرآن فى المصحف ، بعد نصيحة القائد حذيفة بن اليمان الذي شاهد حرب ارمينية وأذربيجان التي حدثت فى عهد الوالي على الكوفة الوليد ابن عقبة ... واذا عرفنا ان سعيد بن العاص الذي خلف الوليد فى تلك الولاية كان عضوا فى اللجنة التي اختارها عثمان لجمع القرآن ... ادركنا أن جمع المصحف تم في اواسط عهد عثمان الذي دام اثنتى عشرة سنة اي انه تم فى السنة 30 للهجرة (651 م)؛ فبين موت النبي (ص) وبين جمع المصحف اذن 19 سنة لا ستون سنة كما زعم هذا الحاقد الذي يقول فى موضع آخر من كتابه مؤكدا هذا الخطأ : « عند موت محمد ترك ما صار بعد القرآن فى شكل ركام مضطرب من المسودات والمكتوبات على الجلد او اكتاف الخروف؛ وحتى فى قطع اللوسة Loza بدون مراجعة ولا ترتيب » .

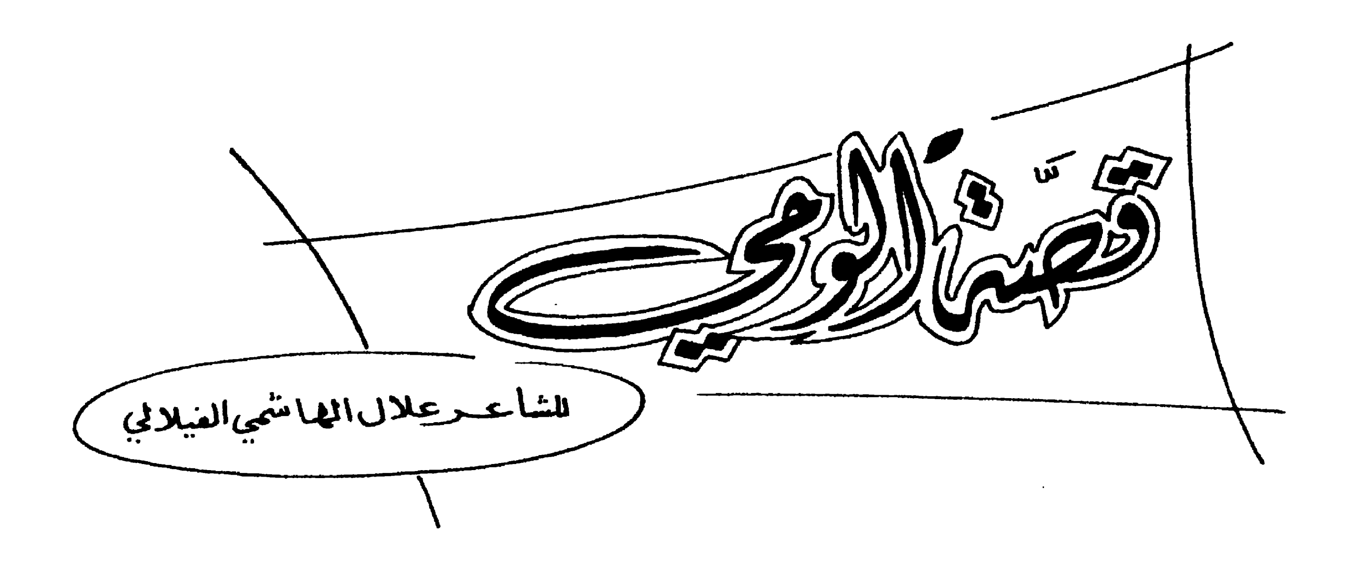
اولا ــ اسارع بتصحيح كلمة Loza هذه التي تعني القش او الصيني الذي تصنع منه الان اطباق الاكل وفناجين القهوة وما اشبه ذلك . وبالطبع ان هذا ليس مقصودا البته ؛ اذ لم يرد علينا عن العرب شيء من هذا القبيل ؛ وانما المعروف المتواتر أن القرآن الكريم كان اثناء نزوله منجما يسجل اولا بأول فى العسب (جمع عسيب وهو جريدة النخل) وفى قطع الاديم (الجلد) وفى الرقاع (من جلد او ورق أو نحوهما) وفى عظام الاضلاع ، وعظام اكتاف الحيوان العريضة ، وفى اللخاف (جمع لخفة وهي الصفيحة او الحجارة الرقيقة الملساء) . وهذه الاخيرة هي التي يقصدها هذا المؤلف وخانه قلمه او علمه ، ولم تسعفه دقة الباحث الحصيف ، فبدل ان يكتب كلمة Losa كتب Loza وهذا ضلال مبين . « انك لا تهدي من احببت ، ولكن الله يهدي من يشاء » .

وثانيا ــ اتساءل : لم خص هذا المؤلف اكتاف الخروف بالذات مع ان كلمة Cordero فى الاسبانية(5) تعني ابن النعجة قبل ان يتجاوز العام ؟ ! ان للمؤلف فيما يظهر ميلا خاصا نحو الخرفان ، او ان له مثل

---

4) قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي امر بالتأريخ من حين الهجرة ، فكان عمر أول من ارخ بها . (راجع حاشية البيجوري على الشمائل للترمذي ص 9) .

5) Diccionario manual e ilustrado de La Real Academia Espanola, 2ª edic., 1950



يا ليالــي الصيــام ما أنــت الا ... أمـل عاد .... يا ليالي الصيـــام

انــت ذكــرتنــا بأعظــم يــوم ... هــو ذكــرى بدايــة الاســلام

ونزول القـرآن ، والوحي يوحــى ... قيل : اقرأ ... فانت هادي الانـام

فرح (الغار) وانتشى .. وتجلـى ... (جبل النور) راقـص الاحــلام

« رجع (1) الهادي فى ارتجاف فؤاد ... (زملوني) .. فالنور يخطو امامي..!

تلك (زوج الامين) تحنــو عليــه ... لا تخف .. انت واصـل الارحـــام

كم رحمت الفقير .. والضيف يأوى ... لجناب من فرحـــة وابتســـام »

* * *

قام يدعــو لله .. والكفر حقــد ... لــم تهــذبــه سيــرة الايـــام

ما يزال القــوي فى الارض يطغــى ... يتباهــى بالاثــم والاجــــرام

مكرت مكرها قريش .. وســـارت ... مثل أعمى في حالكـــات الظـــلام

فجرت غيظها .. ولم يغن شيئـــا ... ما لديهـــا من قـــدرة واحتكـــام

---

1) الابيات الثلاثة التالية اشارة لمـا جاء فى صحيح البخاري مـن حديث بدء الوحي : (... فرجـع بها رسول الله (ص) يرجف فـؤاده فدخل على خديجة بنت خويلـد رضي الله عنها ، فقال : (زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة ، واخبرها الخبـر ، لقـد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة: (كلا ، والله ما يخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ....) .

بكر لجمع القرآن ، كما اختاره الخليفة عثمان لنفس الغاية . وهذا دليل على منتهى الحيطة والصيانة ، ووسيلة من وسائل التأكد من حفظ القرآن .

ان التغيير والتناقض الحقيقي هو الذي نجده في كتاب هذا المتجنى على محمد والقرآن ، فهو مرة يقول : ان محمدا هو مؤلف القرآن ، بينما في مكان آخر من كتابه الطافح بالمتناقضات يقول : ان هذا (يعني النبي «ص») الذي لم يكن يعرف الكتابة وكان يتظاهر بانه لا يعرفها ، كان يحفظ القرآن ثم يمليه على كتابه» وفي ص178 ينقل عن الراهب Vicente de Santa Maria رايه الذي يؤكد « ان الراهب Sergio او بحيرا هو الذي حرر القرآن لاول مرة ، ولكن بطريقة فجة لم تعجب العرب الذين خجلوا واستنكفوا فجمعوا له اربعة عشر من فقهائهم ليحرروه بكيفية اكثر ذوقا وقوة وصفاء » .

ويعقب هذا الكاتب على كلام الراهب فيقول : « وهذا (يعني محمد الذي يسميه دائما Mahoma او يكنى عنه بهذا) لم يكن له في تاليف القرءان لا فن ولا نصيب No tuvo arte ni parte

اجل ، خجل العرب واستنكفوا ، بينما هذا الكاتب الاعجمي اللسان ، لم يخجل ولم يستنكف ؛ وصدق النبي الكريم حين قال : « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

اما في ص 186 فيقول : « ان وجود القرآن يرجع للعام 23 الهجري (644 م) » . وقد غلط في كلامه من ناحيتين :

أولاهما : ان القرآن الكريم اقدم من ذلك التاريخ بكثير ، فأوله يرجع الى السنة الحادية والاربعين من عمره صلى الله عليه وسلم ، أي الى ما قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة . وبما ان القرءان نزل منجما فان آخره نزل قبيل وفاة النبي الذي لبى داعي ربه في الثالث عشر من ربيع الاول سنة 11 هـ (8 يونيه 632 م) .

وثانيهما : ان عثمان (رضي الله عنه) الذي جمع القرآن للمرة الثانية ، قد تولى الخلافة في آخر يوم من عام 23 الهجري ؛ فلا يمكن والحالة ان يكون قد جمع القرآن في العام ذاته ؛ بل لقد تم جمعه وتدوينه في المصحف — كما حققناه منذ قليل — في سنة 30 للهجرة (651 م) .

ثم يقول هذا الكاتب بكل صفاقة : « والذي نقرؤه اليوم ، والذي يدعوه المؤلفون كتاب محمد ، لم يكن سوى كتاب عثمان الذي اوضح فيه نياته السياسية وخاصيته المحلية والقبلية كمكي وقرشي ؛ ثم روحه الطبقية ، وطموح البرجوازية المكية ... »

هكذا يتصرف هذا المختلق في الحقائق العليا للتاريخ وللوجود ؛ وهكذا يقلبها راسا على عقب ، لا لشيء الا لارضاء شهوته (وشهوات ساداته الذين ينقل عنهم) في الحقد والبغضاء والدس والاختلاق ، ثم لتحقيق بغيتهم المشتركة في التشكيك والتحطيم والهدم ؛ وفوق هذا وذاك ليرينا مهارته في ايراد المتناقضات والآراء غير المعقولة ؛ مما يدل على ان الرجل اوشك ان يفقد وعيه ؛ وان الله قد غشى على بصره وبصيرته ، فلا يكاد يرى حتى أضخم الحقائق واثبتها واعزها في الوجود .

ومن اجل عماه ذاك ، نراه يدعي ان القرآن فيه تناقض ؛ وما درى المسكين ان التناقض هو الذي حشا به كتابه . الا تبا له من كتاب ! وتعسا له من تناقض !!

(يتبع)

تطوان : عبد الله العمراني



كانت الغاية الشريفة الاولى التي قصدت اليها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية من توجيه الدعوة الى من وجهت اليهم من علماء المغرب للمشاركة فى موسم المحاضرات الدينية التي تلقى عادة تحت اشرافها بواسطة الاذاعة والتلفزة بمناسبة حلول شهر رمضان من كل سنة ، : « ان تعم الفائدة مختلف الاوساط المغربية » .

وكانت الغاية الثانية من دعوتها تلك ، : « ان يكون علماء الدين قاموا بواجب الارشاد والتوجيه الاسلامي » .

وعند ما تلقيت الدعوة للمشاركة اخذ خاطري يجول فيما عسى ان يكون أوجب واجبات الارشاد والتوجيه فى هذا الظرف بالخصوص ، هذا الظرف الذي وجهت فيه « لامة القرآن » ضربة لم يسبق ان وجه اليها مثلها فى جميع مختلف الظروف العصيبة التي مرت عليها خلال مراحل تاريخها المتعاقب . ولم يسبق الى ذهني ان يكون اوجب من أي واجب من واجبات التوجيه والارشاد غير تنبيه المستمعين من امة القرآن) فى هذا البلد أو فى غير هذا البلد الى مكمن الداء ، واصل البلاء فيما نزل من المحن والمصائب التي كانت آخرها فى موطن الاسراء والمعراج جدير بأن يقال فيها ما قيل فى اخرى سبقتها :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
ان كان فى القلب اسلام وايمان

ولم يكن مكمن الداء واصل البلاء فيما حل بالمسلمين سوى انحرافهم عن نقطة البدء التي كانت مبدأ ظهورهم على وجه الارض كمسلمين ، هادين ومهتدين ، وغالبين لا مغلوبين ، ومعزوزين لا اذلاء ، وفاتحين لا مفتوحين ، وحاكمين لا محكومين .

وما كانت نقطة البدء تلك ، ولا تكون ، ولن تكون ابدا سوى « القرآن » ، القرآن الذي نزل به الروح الامين على قلب محمد بن عبد الله فى شهر رمضان ، « شهر رمضان الذي انزل فيه القرءان هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ، بينات من الهدى الى الخير العام ، خير الجسد وخير الروح ، خير الفرد وخير المجتمع ، خير الدنيا وخير الاخرة ، بينات من الفرقان بين الحق والباطل ، بين الهدى والضلال ، بين الطيب والخبيث ، بين المنجي والمهلك .

كان الانسان قبل نزول القرءان على الحالة التي وصفها القرءان حين قال الله تعالى : « تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم ، وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يومنون » . وقد وصف النبي (ص) غضب الرب على انسان ما قبل نزول القرءان حين قال فى الحديث الذي يرويه مسلم فى صحيحه : « ان الله نظر الى الخلق فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب » . ولكن رحمة الله التي سبقت غضبه تجلت فى ان بعث محمدا للعالمين بشيرا ونذيرا ، وصدق الله : (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا) ، وصدق رسول الله حين وصف هذه الرحمة التي حبا الله بها خلقه برسالته فقال : (انما انا رحمة مهداة) .

ان للحق ثورة تتحدى   سطوة المعتدي ، وهول الصدام
انه النور شع في كل قلب   اي ضرب يجدي ، واي انتقام .؟

* * *

اجمعوا امرهم .. وهموا بغدر   كيف اعمى الجفون طيف منام .؟
ونجا الصاحبان .. لا عنكبوت   كان يجدي ، ولا هديل حمام
غير ان الاله شاء حياة   لوجود عن الهدى متعام
(طلع البدر) فى المدينة اشهى   من اغاريد حلوة الانغام
كثر المسلمون .... وانتصر الحـ   ـق ، وعاش الانسان عيش الوئام
عالم الزيف والخداع تلاشى   كل ركن من الهوى لانهدام

* * *

يا نزول القرآن . يا ثورة الفكـ   ـر على عالم من الاوهام
يا نزول القرآن .. يا ثورة الرو   ح لتحطيم هالة الاصنام
ما تزال الاصنام فى عصرنا هـ   ـذا ، وفي حلة من الاعظام
فلسفات من الغواية والشر   ك ، طغى اليوم موجها المتطامي
يا رسول الاسلام .. انا انتصرنا   يوم كان القرآن خير نظام
كلما جد موقف ... او تراءى   اي خطب .. او صفنا فى انفصام
نستشير القرآن .... ان هداه   فوق مر السنين والاعوام
اقتصاد ، وشرعة ، واجتماع ،   ونظام فى حربنا والسلام
ثم تهنا مع المذاهب .. حتى   ضل عنا سبيلنا المتسامي
ان وحي الاله اسمى واعلى   بئس فرض الظنون والاوهام
ان ضللنا عن السبيل ، فانا   سوف نحيا في وحدة الاسلام
امل قد يطول .. لكن قلوب   تؤمن اليوم بالغد البسام

* * *

يا ليالي الصيام .. انت خشوع   انت ذكرى للوحي والالهام
ليلة القدر تغمر الروح – حتى   مطلع الفجر – بالمعاني العظام
قسما ... ما غفا بقيثارتي اللحـ   ـن ، ولكن طلعت ، والجرح دام
فاحمليني على جناحك (للقد   س) ، وصوني عهود قوم كرام

الرباط – علال بن الهاشمي الفيلالي

اعقابهم خاسرين ، فاعلموا ان القرءان لم يتل حـق تلاوته ، ولم تمتثل اوامره ونواهيه ، ولم تطبق تعاليمه فى شئون الفرد وفى شئون المجتمع ، وصدق الله « ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذيـن ءامنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » . « ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوي عزيز ، الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » .

فاذا كان لامة القرءان شرف خطاب القرءان لها بأنها خير امة اخرجت للناس ، فان ذلك لم يكن لهـا لانها تسكن مشرق الارض دون مغربها ، او شمالهـا دون جنوبها ، او لان ربك زاد لها بسطة فى الجسم على باقي سكان الارض ، وانها كان لها ذلك بشرط شرطه عليها القرءان ، وهو أنها تامر بالمعروف وتنهـى عـن المنكر ، فالقرءان لم يقل « كنتم خير امة اخرجـت للناس » وسكت ، ولكنه علق ذلك على الصفة حيـن قال : « تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكـر » ، فاذا اخلت بذلك الشرط ، وخالفت ما اخذ الله عليها مـن العهد ، انعدمت فيها صفة الافضلية ، واستخفت ان ينزل بها ما نزل بغيرها من الامم التي خالفت أمر الله، استمعوا معي ان شئتم الى هذا الحديث الـذي رواه اصحاب السنن عن نبي القرءان ، قال عليه الصـلاة والسلام : « ان من كان قبلكم كان اذا عمل العامل فيهم جاءه الناهي تعذيرا فقال يا هذا ، اتق الله ، فاذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه كأن لم يره على خطيئة بالامس ، فلما راى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عـن منكر فعلوه ، والذي نفس محمد بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد الظالم ولتأطرنـه على الحق اطرا او ليضربن الله بقلوب بعضهم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم » . واستمعوا معي ايضا الى هذا الحديث الاخر الذي يرويه الامام احمد وابو داوود عن نبي القرءان ، قال صلوات الله وسلام عليه : « اذا رضى الناس بالدرهم والدينار وتبايعوا بالعينة ، وتبعـوا اذناب البقر ضرب الله عليهم ذلا فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » .

فى القرءان يا امة القرءان آية تعدكم بالخلافة في الارض والتمكين فى الدين ، والامن بـدل الخـوف ، فراجعوا اعمالكم واسألوا انفسكم ، هـل اخلفتـم أم اخلفت الاية ؟ ! الم يقل الله : « وعد الله الذين آمنـوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الارض كمـا استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الـذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا » .

القرءان كله دعوة الى الاصلاح لا الى الافساد ، والقرءان كله دعـوة الى التقـوى لا الـى الفجـور ، والقرءان كله دعوة الى العدل لا الى الظلم ، والقرءان كله دعوة الى القوة لا الى الضعف .

قالوا لكم ، انكم غلبتم لانه ينقصكم العلم . قولوا لهم ، انما فقدنا العلم لاننا فقدنا انفسنا ، الم يقل الله ؟ « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهـم » .

افما آن لكم بعد ان تردوا القلوب الى ربـاط القرءان بعد ان انفلتت ، والى صراط الله السوي بعد ان حادت ، واعلموا ان الله الذي سبقت رحمته غضبه فبعث للعالمين نبي القرءان ، ضمن لامـة القـرءان ان يهديها سبل النجاة ، ومعالم النصر ، اذا هي رجعت الى تعاليم القرءان ، فكما انه سبحانه يحيـي الارض بالمطر بعد موتها ، كذلك يحيي القلوب بالقرءان بعـد غفلتها ، فاستمعوا الى نداء القرءان حين يقول : « الم يان للذين ءامنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهـم فاسقـون ، اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها » . وقالى تعالى: « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هذاهم الله واولئك هم أولوا الالباب » .

وبعد فاذا كان من واجب الامة الاسلامية ان لا ينقطع فيها واجب التوجيـه والارشاد ، والتنبيـه والايقاظ ، على ممر الازمان ، ومختلف الاحوال ، فان الاكبر اثما ، والاخسر عاقبة ، والاجلب لغضب اللـه وسخطه ان يسمعه الناس فى الليل او فى النهار آيات الكتاب الذي لا يغسله الماء ، واحاديث الرسول الذي لا ينطق عن الهوى ثم يتفرقون فى الليل او فى النهـار مقبلين على الآثام يرتكبونهـا ولسـان حالهم يقـول : « سمعنا وعصينا » .

البيضاء : محمد الحمداوي

ولقد كانت نقطة البدء في التوجيه الالاهي للرسول المبعوث الى العالمين بالقرءان ، ان نبهه الى ثقل المسئولية الملقاة على عاتقه ، فقال جل وعلا يخاطبه : « انا سنلقي عليك قولا ثقيلا » ، ولم يكن ثقل القرءان الا العمل بما جاء به كما جاء ذلك عن الحسن البصري وقتادة ، واخبره سبحانه وتعالى بأنه ليس بدعا من الرسل السابقين في ان جعل لكل منهم عدوا من المجرمين يحاول صده عما انزل اليه بكل وسائل الاغراء والايذاء ، وان عليه ان يتمسك بالذي اوحي اليه ، وحذره ان ينفلت او ينحرف ، او ينخدع وينصاع ، والا فان الله العلي الكبير الذي لا نصر لمن خالف امره ، ولا ناصر لمن خذله ، فقال تعالى : « وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » . وقال تعالى : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ، ما لك من الله من ولي ولا نصير » . وقال سبحانه : « ولئن اتيت الذين اوتوا الكتب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ، انك اذن لمن الظالمين » . وقال تعالى : « وان احكم بينهم بما انزل الله ، ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنونك عن بعض ما انزل الله اليك » . وقال عز من قائل : « وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ، ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ، اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا سبيلا » .

وما كان لمحمد ، وهو الرسول الذي اختاره من يعلم حيث يجعل رسالاته لتحمل اعباء الرسالة الانسانية العامة ، الا ان يعد نفسه اعدادا لتحمل هذه المسئولية العظمى ، وما ذلك الا ان اسلم وجهه لله وهو محسن مستمسك بعروة (القرءان) الوثقى ، حتى اصبح القرءان نورا له يمشي به على الارض في جميع اعماله الخاصة والعامة ، مع نفسه ومع الناس ، مع الاقربين اليه والابعدين ، مع الاصدقاء والاعداء ، في السياسة وفي الحكم ، وفي السلم وفي الحرب ، ومن ثم صح قول عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان خلقه القرءان » . وقد جاء القرءان يشهد على هذا الوصف القرءاني حين قال : « وانك لعلى خلق عظيم » .

والمسلمون الاولون الذين عاشروا الوحي ، وكانت ءاذانهم اسبق الآذان الى سماع نداء القرءان فلبوا النداء ، هؤلاء المسلمون الذين سمعوا نبي القرءان وهو يتلو عليهم من امثال قول الله : « وهذا كتاب انزلنه اليك مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين » ، هؤلاء المسلمون الذين ءامنوا بمحمد وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه لم يفهموه اول ما فهموا اي معني لنزول القرءان سوى العمل بما جاء به امرا ونهيا ، والا ان يصبح القرءان خلقا لهم كما كان خلقا لصاحبهم ، وفي ذلك جاء قول ابن مسعود (ض) : « كان الرجل منا اذا تعلم عشر ءيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن » .

ونحن اذا تأملنا الايات الكريمة التي يوجه فيها الرب الكريم الخطاب الى الامة الاسلامية على سبيل الامر او النهي ، على سبيل الامر كقوله تعالى : « يا أيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه » . وكقوله تعالى : « يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » . وقوله : « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم » « واصلحوا ذات بينكم » « وتعاونوا على البر والتقوى » . او على سبيل النهي كقوله تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » . « ولا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » « يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » . الى غير ذلك من ءايات الخطاب القرءاني الموجه الى الامة الاسلامية . اقول اذا تأملنا هذه الايات نجد ان المجتمع الاسلامي لا يمكن ان يتصور لشخصيته المعنوية والواقعية اي وجود الا على معنى وجود متطلبات هذه الايات في تصرفات افراده ، وسلوك انسانه في جميع مجالات الحياة الخاصة والعامة ، ومهما تقسو الظروف او تلين ، فان هذا التصور الصحيح للامة الاسلامية على انها العالمة العاملة بالقرءان هو التصور الذي ينبغي ان لا تغيب عن اذهاننا حين نتلو قول الله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمومنين » . وقوله تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا » .

وحين نقرا تاريخ الذين اعزهم فما اذلهم ، ونصرهم فما خذلهم ، ورمى لهم حين رموا ، في اكثر المعارك ، واغلب الحروب ، وارهب المواقف ، فاذا انعكست الاية ، ونكست الراية ، ورجع الجنود على

ولم ينزل فى مكان واحد بل نزل بمكة والمدينة وما حولهما ومنه الليلي والنهاري والسفري والحضري والنومي والبرزخي ٠

وكانت الآيات ينزل بها جبريل الاكرم على الرسول الاعظم فيتلقاها المومنون من فم الرسول ويكتبها من عرفوا بانهم كتاب الوحي كما يمليها عليهم محمد عليه السلام ، ولم يكن كتاب الوحي يعتمدون على الحفظ فحسب بل كانوا يكتبون نص ما ينطق به الرسول الكريم بين يديه فى عسب او لحاف او اكتاف وهو يرشدهم الى موضع كل آية من السورة التي ينبغي أن تكون فيها ٠

المصحف الامــــام ...

توفى رسول الله والقرآن كله مكتوب وفى صدور الصحابة محفوظ ٠ وفى خلافة أبي بكر راى عمر أن القتل قد اشتد بالحفاظ فى وقعة اليمامة حتى قتل منهم سبعمائة ٠ فاشفق من ضياع القرآن فاخبر سيدنا ابا بكر بالامر فاتفقا على جمع القرآن وكتابته ، وسلما ذلك الى يد زيد بن ثابت سنة 633 م ، وكان زيد بن ثابت يجلس أمام المسجد وهو يحفظ كتاب الله ٠ وكان احسن الناس حفظا له وترتيلا ٠ فجمعه من العسب واللحاف والاكتاف والصدور وكتبه صحفا ٠ لكنه كان يتلقى من الصحابة ما كتبوه على أن يشهد شاهدان أن فلانا هذا سمع هذه الآية من فم الرسول وان هذا الذي هو مكتوب هو نفس الذي سمعه ٠ وانه كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكانت هذه الصحف جمع بها ما شهد عليه لا غير ، وحفظت عند ابي بكر مدة حياته ، ثم عند عمر كذلك ٠ ثم عند أم المومنين حفصة بنت عمر ٠

ولما كثرت الفتوحات فى عهد عثمان وانتشر القرآن بالامصار كثر اختلاف الناس فى القراءات وأدى ذلك الى تخطئة بعضهم بعضا فخشى عثمان تعاظم الامر ، ولكي يجمع الناس على مصحف واحد امر زيد ابن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمان بن الحارث المخزومي فنسخوا تلك الصحف فى مصحف واحد مرتب السور ، واقتصر فيه من جميع اللهجات على لغة قريش لنزول الوحي بها ، ثم أمر الخليفة عثمان ووافقه المسلمون حرصا على وحدة الامة وجمعا لكلمتها وخشية أن يدخل فى القرآن ما لبس منه: فاحرقت جميع المصاحف الاخرى التي لا تتفق مع المصحف الامام الذي اصبح هو المعمول به فيما بعد (سنة 651 م) ٠

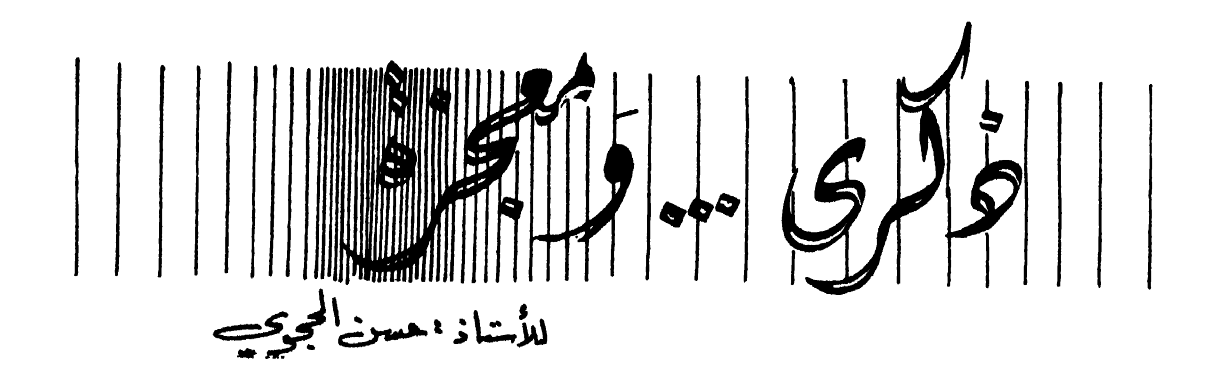
مشكل القراءات السبع ...

ويسوقنا هذا الى فتح قوس لنقول كلمة عن القراءات السبع (1) ٠ فلهذا الموضوع علاقة وثيقة بحديث انزال القرآن على سبعة أحرف ، ومعلوم أن الاسلام كان فى مكة محدود الاشخاص فلما هاجر النبي الى المدينة اتسعت رقعة الاسلام وكثر عدد الداخلين فيه من قبائل مختلفة لهم عادات صوتية تخضع لها السنتهم وتتحكم فى الفاظها ٠ فكان من سماحة الاسلام أن يترك الالسن على سجيتها من امالة وتفخيم وترقيق وما شابه ذلك من طرق اداء اللفظ بنغمة تخضع لها عادة الانسان اللغوية ولا يمكن الانسلاخ عنها بسهولة.

والحديث الوارد فى هذا الموضوع أصله ان النبي عليه السلام سعيا منه الى التخفيف عن امته لتكون طليقة فى النطق بلهجاتها ٠ لجا مرة أخرى الى ربه سائلا رحمته حيث انه « بالمؤمنين رؤوف رحيم ولانه بعث الى أمة أمية ٠ منهم الغلام والخادم والشيخ الفاني والعجوز الكبيرة » فاتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله يامرك ان تقرىء امتك القرءان على سبعة احرف ٠ ولا نورد هنا الا مجمل الحديث اذ المقصود بالذات ربط العلاقة بين القراءات السبع والاحرف السبعة الوارد ذكرها فى الحديث ٠ فالقراءات هي الاحرف والمراد بالسبع لم يكن على وجه الحصر وانما التعدد والكثرة ٠

ولم يكن المقصود من الاحرف هو اللهجات التي هي عادة لغوية تتحكم فى عضلات النطق ٠ فقد اجمعت جميع الروايات الصحيحة لهذا الحديث أن الحكمة التي قصدها الاسلام من الحديث هي التسهيل على المسلمين فى قراءة القرآن ٠ وقد كثروا بعد فتح مكة واصبح الحرص على تلاوة القرءان يتزايد مع الزمان فالعرب امة أمية اغلبهم لم يقرأ كتابا قط ٠ وقد تعجز الذاكرة عن الحفظ الوثيق وخاصة بتعدد آيات القرآن وتكاثر سوره والرغبة الدينية فى النفوس قوية ٠ فلا تنزل آية الا بادر المومنون الى استماعها وتلقيها ٠ ولكن ما يكاد يمر زمن حتى يشتبه عليهم هل اللفظ او مرادفه هو المنزل ٠ واكثرهم لم يكتبوه لاميتهم فيرجعوا الى الرسول والى

(1) المعروفة بقراءات : حمزة — الشامي — الكسائي — نافع — أبي كثير — عاصم — البصرى ٠



« الى متى سنظل غافلين وأمم غيرنا تعطيناالدليل على عبقرية دستورنا ؟ »

ان خير ما يساهم به المرء المسلم فى أيام رمضان المباركة هو الرجوع الى الذكر الحكيم والتأمل فى أحكامه والاستنارة بارشاده ، وان ذكرى مرور أربعة عشر قرنا بالضبط على نزول القرآن على رسول الرحمة والهدى لهو حادث يجب أن تهتز له البشرية جمعاء وتقام له الحفلات والندوات وتعقد من أجله المؤتمرات، وانه لحافز لكل من يدين بهذا الكتاب على الاستفاضة فى دراسة جوانبه الروحية والانسانية الكبرى ليهتدي بهديه فى ظلمات المادة المخيمة على عالم اليوم ...

وعلني فى هذا البحث المتواضع أحاول الكشف عن بعض هذه الجوانب العظمى ، وحسبي فى ذلك ان استحضر مجموعة من ذكريات أيام الدراسة واخطط خلاصة لمعلومات وافكار تلقيتها حول الكتاب العزيز منذ نعومة أظفاري ...

تراني لا أكون مقصرا ان ساهمت فى احياء هذه الذكرى العظيمة ، ذكرى المعجزة الكبرى ، ولو باستعادة ما هو معلوم من محتويات وتوجيهات الذكر الحكيم ، فما دمنا نعتقد جميعا أن مهمة القرآن لم تنته بعد وان ميدان الدراسات والاكتشاف لم ينحصر فيما استنبطه النحاة والفقهاء من القرآن ، ما دمنا نعتقد هذا فما الذي يا ترى يبعدنا عن دراسته والاعتبار به ؟

علينا ان نوالي الدراسات تلو الدراسات لنفهم القرآن الكريم اكثر واعمق ولنستنبط منه كل جديد ورائع ، ولنعتبر به ونستضيء بنور معارفه لاننا مسلمون مومنون بانه هو الكتاب المنزل على سيدنا محمد (صلعم) وانه الدستور السماوي المبين الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

النـزول والتلقيـة ...

فى ليلة القدر من شهر رمضان عام ثلاثة عشر قبل الهجرة دق جرس البعثة النبوية ونزل جبريل عليه السلام على النبي العربي وهو يتعبد فى المغارة المقدسة ليلقنه اول آية من القرآن العظيم ، فكانت كلمة الوحي الاولى لمحمد عليه الصلاة والسلام : اقرأ باسم ربك الذي خلق .. وبقي القرآن ينزل آية آية منجما عند سنوح المناسبة وحسب ما تقتضيه الاحداث وتتطلبه الحاجات ، وقد بين الله الحكمة فى نزوله مفرقا بقوله (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) اي كما نزلت الكتب الاولى على موسى وعيسى وداوود، فرد عليهم بقوله (كذالك لنثبت به فؤادك) اي انزلناه مفرقا ليكون اقرب الى حفظك له وفهمك لمعانيه ، وذلك من اعظم اسباب التثبت .

واستغرق زمن نزوله ثلاثة وعشرين عاما تبتدىء بأول بعثة الرسول وتنتهي قبل وفاته بثلاثة أشهر ،

الاولين ، وحاولوا صرف الناس عن سماعه وجنحوا الىمقابلته بالسخف من القول، نادى الله عليهم بالعجز عن ان ياتوا بسورة من مثله ، واخذ يرسل لهم حروف الهجاء قائلا لهم : اذا استصغرتم القرآن ، فها انا اعطيكم حروفا عربية لتركبوا منها كلمات ، ومن هذه الكلمات يمكنكم أن تصنعوا آيا وسورا تعارضونه بها، فانكم تدعون البلاغة وسحر البيان ، وما القرآن الاكلاما عربيا مبينا .

وكان العرب يفهمونه ويدركون معانيه فى مفرداته وتراكيبه غير انهم لما اختلطوا بالامم الاجنبية فسدت لغتهم ولم تعد لغة قريش دائرة فى مخاطباتهم ففاتهم شيء من معانيه فنشأ عن ذلك التفسير .

لقد كان القرآن محصورا فى بدايته فى بضع نسخ خطية . فلما انتشرت المطابع الحجرية والميكانيكية ، استخدمت لنشره وجعله فى متناول أيدي الوف المسلمين وهو الان يداع فى الراديو والتلفزة ويسمعه الكل مسلمون وغيرهم ، فيخشع للحن آياته الاتقياء ويتعظ به الضالون . ونعم الامر هذا . « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يومنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى » وفى آية أخرى : (وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) .

الاعجاز بالمعاني ..

نزل هذا القرآن الكريم والعالم يتخبط فى تيار من الجهل والضلالة فاضاء الكون وسقت العقول منه هدى ورشدا ، ومهد للانسان الطريق فى وضع الاصول الاجتماعية والقوانين والشرائع ، وتجديد علاقة الناس بعضهم ببعض ، بل اصبح هذا القبس الالاهي قاعدة موطدة لثقافات علمية واسعة النطاق ، ومنهجيه فكرية لم يظهر لها نظير فى كل احقاب التاريخ .

نعم ، لقد جاء هذا القرآن بحقائق صادقة ، وادلة ناطقة ، فارشد الناس الى عقائد سليمة واحكام عادلة وآداب ومواعيظ بالغة ، وظهر للناس معجزة باهرة لعلو أحكامه وسمو مقاصده وفصاحة كلامه وجزالة اسلوبه . وكيف لا يكون ذلك وهو كلام الله الازلي القديم ، والكتاب الخالد الذكر الذي لا تبديل لكلماته وأحكامه ولا ناسخ لشريعته (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) لذلك كان نزهة للنفوس وشفاء للصدور قال تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين) ، لقد امتلك ببلاغته وسحر بيانه النفوس ، واستولى بحكمته على القلوب ، فما لبث أن خضع له كل عنيد وتيقن انه أمر ليس فى طاقة البشر ان ياتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

فمن معجزاته الباهرة انه أخبر عن امور من قبيل الغيب ووقعت كما اخبر بها ومن المعروف فى هذا القبيل قوله تعالى : (الم ، غلبت الروم فى أدنى الارض ، وهمن بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ، لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله) وبيان هذا أن حربا كانت وقعت بين الفرس والروم وكان الفوز للفرس ، وقريش يتشيعون للفرس ، لانهم لا يدينون بكتاب . والمسلمون يودون انتصار الروم لانهم اهل كتاب . فنزلت الاية مخبرة ان الروم سيغلبون الفرس فى بضع سنين وقد وقع ما أخبر به القرآن ، فعاد الروم والفرس الى القتال بسبع سنين من الحرب الاولى . ودارت الدائرة على الفرس . وكان انتصار الروم على الفرس فى هذه الحرب سببا لاسلام كثير من الناس . لوقوعه كما أخبر به كتاب الله .

وكذلك اخبر عن امور المستقبل ، كوعده تعالى للمسلمين بدخول مكة (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين ، لا تخافون) ولا يخفى أن المسلمين قد دخلوا منتصرين الى مكة . وقوله تعالى خطابا لنبيه الكريم : (والله يعصمك من الناس) ولا شك انه كان حول الرسول منافقون يحملون له اشد البغضاء ، ويتصلون به اتصال الاصحاب والاقرباء ، ومع كثرة اعدائه ، وحرصهم على قتله ، ومع ظهوره للناس فى اي وقت شاءوا . ومشيه فى الطرق والاسواق وحده أو مع من لا يستطيع ان يدافع . لم تمتد اليه يد بسوء ، ولم يمت الا على فراشه .

القرآن سبق علماء العصر الحديث .

ان معاني القرآن كلها ، وردت على الوجوه المعقولة بحيث لم تخالف العلوم الصحيحة ، ولم يوجد فى آياته ما يخالف العقول والاراء السليمة . بل ظهرت فى كثير منها معان لم تنكشف لاهل العلم الا منذ عهد قريب ، فانظر الى قوله تعالى (سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون) فقد كشف العلم الحديث ان فى كل نبات ذكر

من كتبوه يستعيدون ما تلقوه ويتكرر ذلك ، والرسول يشهد ما هم فيه من معاناة وما يبدلونه من جهد .

واخيرا جاءت رحمة الله وصدر الاذن بأن يقرأ القرآن بحروف مختلفة ، والسبعة لا مفهوم لها وانما هي دليل لكثرة الالفاظ وتنوعها لاداء الجملة، كان جبريل يعلم الرسول ذلك على نحو لا يتغير معه المعنى ولا يختلف السياق ، ولهذا بدأ الرسول يلقن الصحابة ما انزل الله عليه : فهذا يلقنه الآية على نحو وذاك يلقنه الآية على نحو آخر مع اختلاف فى بعضها وان كان المعنى واحد (ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فأيما واحد اساب من ذلك حرفا فهو كما قرأ) (1) فيكون فى الواقع معنى السبعة الاحرف أو القراءات هو القراءة باختلاف الاحرف أي باختلاف الالفاظ وباتقان المعاني من دون أى اختلاف معان يوجب اختلاف أحكام (2) .

الاعجـــاز باللفـــظ ...

والقرآن مقسوم قطعا مستقلة أو فصولا تعرف بالسور . فيه مائة واربع عشرة سورة رتبها جامعوا الكتاب باعتبار الطول والقصر ما عدا سورة الفاتحة فهى مع قصرها فى صدر الكتاب . وعليه فالسور الطولى فى أوله والصغرى فى آخره . وغالب السور الطولى مدنية والقصيرة مكية . فاما الاولى فكثيرا ما تنبئنا عن الامم الغابرة وتقص لنا حالة الانبياء مع قومهم فتقصد بذلك موعظة قريش والطعن فى آلهتهم واستنهاض المسلمين . وأما الثانية فتلك التي تبين لنا مقاصد الغزوات وتضع أسس الشريعة والاصول الاجتماعية .

وهناك فروق أخرى بين السور ، منها قصر الآي وتواطؤها على الفاصلة الواحدة فى السور الصغرى ، وهو غير مطرد فى السور الطولى . ولرسم القرآن نمط خاص مخالف للمصطلح العام اما بزيادة حرف فى بعض الالفاظ واختزال حرف فى غيرها واما برسم هاء التانيث فى كثير من الاسماء بصورة تاء الافعال الى غير ذلك مما خولف فى رسمه القياس المتداول عند الكتاب .

وتوجد فى القرآن كلمات دون لغة العرب تربو على المائة . منها الفارسية والرومية والقبطية والحبشية والعبرانية والسريانية ، وقد قومتها العرب وصقلتها السنتها واستعملتها على أوزانها ومن هذه الكلمات : الجبت والقسطاس والاستبرق والسندس والزنجبيل الخ ...

ولئن كان القرآن مكتوبا بلغة قريش ، افصح وانصع لغات العرب ، وعلى منهاج بلاغتها فان له اسلوبا خاصا ولهجة تميزه عما سواه . فقد عجز فطاحل البلغاء وجهابذة الشعراء على ان يتصدوا لمعارضته ولو بسورة واحدة من مثله ، وأمهلهم الله طول السنين فلم يستطيعوا فسجل عليهم العجز ونادى عليهم باظهار أضعف . (وان كنتم فى شك مما انزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله !) (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)

وظاهرة اعجاز أخرى ان ثمان وعشرى سورة من سور القرآن تبتدىء بكلمة مركبة من وضع حرف واحد او حروف معدودة من الحروف الهجائية : مثل يس . ن . والم . وكهيعص . والر . وحم الخ ... وقد جمعت هذه الحروف كلها فوجد أنها تضم فيما بينها جميع الحروف العربية . ولقد وجه العلماء عنايتهم الى البحث فى السر فى ذلك ، ولم نر من بحثهم هذا الا رأيا واحدا يمكننا أن نعتد به فى هذا الموضوع ونعني ناحية الاعجاز وذلك لما وصف الملحدون القرآن بالسحر وبأساطير

---

(1) يروى أن عمر بن الخطاب دخل المسجد فسمع هشام بن حكيم وهو قرشي مثله يقرأ سورة الفرقان بخلاف ما لقنه الرسول . فكاد يساوره فى الصلاة فصبر حتى سلم فلما سلم لببه بردائه وقال له : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها ؟ قال اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كذبت! فوالله ان رسول الله لهو الذي اقرأني هذه السورة . وانطلق يقوده الى الرسول فقال يارسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت اقرأتنى سورة الفرقان . فقال الرسول : ارسله يا عمر « اقرأ يا هشام » فقرأ عليه القراءة التي سمعه عمر يقرأها فقال الرسول: هكذا أنزلت، ثم قال الرسول اقرأ يا عمر : فقرأ القراءة التي اقرأه الرسول . فقال الرسول : هكذا انزلت ، فوقع فى صدر عمر شيء فعرف النبي (صلعم) ذلك فى وجهه فضرب صدره وقال : ابعد شيطانا ، ابعد شيطانا . ابعد شيطانا . ثم قال « يا عمر ان القرآن انزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منها، ان القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذابا أو عذابا رحمة ! »

(2) انظر تفصيل قول الطبري فى ذلك .

واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحربما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون .

علق الشيخ طنطاوي جوهري على هذه الآية فقال :

اليس في الآية وصف العاقلين بانهم هم الذين ينظرون ويعقلون خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بالتجارة ويعرفون عجائب المطر واخراج النبات به ، وخلق الدواب وعجائبها ويعرفون اقسام الرياح وكيف تجري وكيف تجتمع السحب وكيف تمطر ؟ فهي الدليل على طلب علم الفلك ومعرفة النجوم والكواكب ثم المطر والهواء والسحب والانهار وعلم النبات وعلم المعادن وضروب الصناعات ولا ريب ان علم الفلك لن يحصل الا اذا تقدمه علم الحساب والجبر والهندسة والجغرافية ، والسفن تحتاج الى الحديد والفحم والكهرباء ، ولابد من لها من بضاعة تحملها وذلك علم التجارة » .

ان القرآن الكريم هو أساس التشريع الاسلامي وهو اول كتاب عهدته العرب منبعا لادابها كافلا لعادتها في دنياها وأخراها ، بما جمع من الاحكام الدينية والدنيوية المناسبة لكل زمن ومكان وبما تزخر به الفاظه من جمال وحكمة وروعة بيان وقد كان الصحابة يدركون مراميه ويفقهون مغازيه ويعلقون أسراره بما استضاءوا به من نور النبوة وبما سمعوا من شرحه وبيان مجمله وبما عرفوا من سبب نزوله ، فلم يكونوا في حاجة الى تعرف شرحه وتاويله .

فلما انقضى عصرهم وضعف اهل العلم عن حمل ما حمله اولائك ، شمر العلماء عن ساعد الجد عهد الدولة الاموية في تفهم الفاظه والاسترشاد بأساليبه واستنباط أحكامه ، ودونوا علوما واستنبطوا فنونا ليس لهم بها سابقة عهد . ونظروا اليه من نواح شتى توصلا للغاية التي رسموها لانفسهم من الاهتداء بهديه والاستضاءة بنور معارفه .

وما زالت هذه حالهم حتى قامت الدولة العباسية واجزل خلفاؤها العطاء للعلماء والادباء وشاركوهم في النهل من هذا المنبع الصافي ، فازدحمت ربوع العلم، واختصت كل طائفة بفن من فنونه ووجهت بحثها في فرع من فروعه .

فاعتنى قوم بضبط لغاته ومعرفة مخارج حروفه وطريقة تحسينها وكيفية النطق بها على الوجه الصحيح وسموا بعلماء التجويد أو القراء .

واهتمت جماعة بتوسيع كلامه في الاسماء وتوابعها والافعال وضروبها والمعرب منها والمبني وما الى ذلك وسموا بالنحاة .

ووجه قوم عنايتهم الى الفاظه فوجدوا منها لفظا يدل على معنى وآخر على معنى وآخر يدل على معنيين، وثالثا يدل على اكثر ، فأوضحوا الخفي منه واستخرجوا منه الحقيقة والمجاز ونظروا في ذلك جهد ما يستطيعون وسموا بالمفسرين .

ونظرت فئة الى ما فيه من الادلة العقلية والشواهد النظرية كقوله تعالى : لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فاستنبطوا منها ادلة على توحيد الله وتنزيهه عما لا يليق به ، وسموا بعلماء أصول الدين .

واحكمت طائفة منهم معاني خطابه فرات منها ما يقتضي العموم ومنها ما يقتضي الخصوص وما تقتضيه من اطلاق وتقييد ومجمل وتكلمت في معاني الامر والنهي ، ونظرت بصادق الفكر الصحيح النظر فيما فيه من حلال وحرام وتشريع واستنبطت الاحكام مما يحتوي عليه من أصول أولية وقوانين كلية وسموا بعلماء الفقه وأصوله .

ولمحت طائفة ما فيه من قصص القرون الغابرة والامم الخالية فنقلت أخبارهم ودونت آثارهم وسمى هؤلاء بالمؤرخين والقصاص .

وعرفه البلغاء من بيانه وفصاحة تراكيبه ومواقع الاعجاز منه ونظر الكتاب والشعراء الى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والايجاز ، واستنبطوا منه علوم المعاني والبيان والبديع .

وعرفه الخطباء والوعاظ مما فيه من الحكم والامثال والمواعيظ الى ما شاكل ذلك من وجوه النظر ومناحي البحث التي لا تقف عند حد .

ولم يدون تفسير القرآن في كتب جامعة الا في الدولة العباسية وكان من قبل روايات تنقل عن النبي عليه السلام . واقدم ما عرف منه التفسير المنسوب لعبد الله بن عباس ، ومن اشهر التفاسير تفسير بن جرير الطبري المتوفى سنة 310 وضعه على مذهب

وانثى ، ثم انظر الى قوله تعالى (وارسلنا الرياح لواقح) فقد ثبت في علم النبات أن الريح تهب حاملة طلع الذكر وتمر به على الانثى ، فتتكون الفاكهة من التقاء الطلعين ، واعتبر قوله تعالى (أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوي بنانه) فتعريف الانسان ببنانه مطابق لما اثبته العلم الحديث من ان لبنان كل انسان هياة خاصة لا تماثلها هياة بنان اي انسان آخر .

وتسوية الاصابع بشكلها يعد من ادق تكوين الانسان وكمال صنعته حيث امتازت تجاعيد الجلد الكاسي للبنان بشكل لا يترك تشابها بين شخص وآخر الشيء الذي لم يكن يدركه العلم حتى نبه القرآن اليه واكتشفه علماء الغرب حديثا وانبنى عليه علم تعريف الاشخاص ببصمة الاصابع وجعلت له في كل دولة متقدمة ادارة لتحقيق الشخصية .

وقد سبق القرآن « داروين » وغيره من العلماء الى نظرية النشوء والارتقاء فقد قالوا عن أصل الانواع وتسلسل الانسان ان المخلوقات كلها نشأت عندما كانت الكرة الارضية مغطاة بالماء وان الحيوانات البحرية التي تطورت بعد ذلك زحفت على الارض فنشأت الزواحف ثم الحيوانات الاخرى بعد ذلك . واعتبر العلماء هذا الكشف أمرا ضخما جدا في القرن الماضي ، ومن ذلك الحين وهذه النظرية هي الغالبة على النظريات الاخرى في البحث عن نشأة المخلوقات على وجه الارض ، وقد سبقهم القرآن الى ذلك بأكثر من اثنى عشر قرنا حين قال « وجعلنا من الماء كل شيء حي » .

وسبق القرآن ايضا الذين قالوا ان القمر لا يضيء ولكنه يعكس ضوء الشمس ، فقال تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » فالضياء هو الشمس ولكن القمر هو الذي يعكس هذا النور كما تعكس المرآة نور المصباح .

دستور البشرية .. وتنزيل من حكيم حميد..

لقد اشتمل القرآن على المواعظ والادب والاخلاق والاحكام والترغيب في العمل ومدح الابرار وذم الفجار، وتدبير السياسات وبيان حسن المعاشرات ، واقامة الدليل على وجود الله تعالى وتوحيده ، وحكى عن اخبار القرون الغابرة والشرائع السابقة ، ووصف الجنة واحوال اصحابها ووصف الجحيم ، وما في العالم العلوي من الآيات ، من كواكب وامطار وبرق ورعد ووصف الارض من جبالها وسهولها وانهارها وبحورها وما يستقر فيها من حيوان ونبات وجماد ، وما سكنها من الامم وما لحقها من الوقائع والحوادث .

ومن نظر الى ان محمدا نشأ في امية ، ثم أمعن النظر في قوة ادلة القرآن ، وقانون المنطق الصحيح الذي تقوم عليه حججه ، لم يرتب في انه تنزيل من حكيم حميد ، وكثيرا من الذين دخلوا في الاسلام باخلاص لم يشهدوا من آيات النبوة اكثر من انهم سمعوا سورة أو آيات من القرآن ، فعرفوا أنه كلام الله القديم الازلي ومعجزة ليس من السهل اختلاقها قال بعض فلاسفة الاسلام : لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رايتها تشفي غليلا ولا تبرىء عليلا ، ورايت اقرب الطرق طريقة القرآن .

وشهد بذلك حتى من ليسو مسلمين :

قال المؤرخ الانجليزي « ويلز » ان القرآن كتاب ديني ، ادبي ، علمي ، اجتماعي تهذيبي ، تاريخي . جغرافي ، وكثير من نظرياته العلمية وانظمته ، وقوانينه تستعمل حتى في وقتنا الحالي وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة .

وقال العالم « جبيون » : القرآن مسلم به من حدود المحيط الاطلنتكي الى نهر الكانج ، بانه الدستور الاساسي ليس لاصول الدين فقط بل للاحكام الجنائية والمدنية وللشرائع التي عليها مدار حياة نظام النوع الانساني وترتيب شؤونه .

وقال « شبلي شميل » : ان في القرآن احوالا اجتماعية عامة وفيها من المرونة ما يجعلها صالحة للاخذ بها في كل زمان ومكان وانه فتح امام البشرية ابواب العمل للدنيا والاخرة ، ولترقية الروح والجسد).

الانطلاقة الكبرى

نعم ، انه قد فتح امام البشرية ابواب العمل : وجاء حاثا للعقول على التأمل في مصادر الاحكام ، كما أمر بالتدبر والاستنباط والاعتبار . قال تعالى : فاعتبروا يا اولي الابصار . وفي آية اخرى : « وفي انفسكم افلا تبصرون ؟ وجاء موبخا ومنكرا عن الجاهلين حاثا على التعلم والبحث العلمي . قال تعالى . افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ؟ وقال أيضا : ان في خلق السماوات والارض

ولعل من أسباب الابتعاد عن دراسته وفهمه والاعتبار به تهيب كثير من الناس لمقام الكتاب العزيز وخوفهم من ان يقعوا فى خطأ فى فهمه يحاسبون عليه مع ان الله عز وجل قد تكفل لنا برفع الخطأ عنا كما هو فى مدلول الدعاء : « ربنا لا تواخذنا ان نسينا أو اخطانا » ... فقد تظن هذه الطائفة من الناس ان القرآن لم يكن وقفا الا على فئة من العلماء يحتكرون معانيه فى صدورهم وينفردون بدراسته وفهمه .

وهناك طائفة اخرى توهمت ان القرآن قد انتهت مهمته لاعتقادهم انه كتاب دين ولغة فحسب وان الفقهاء وعلماء النحو والبلاغة استنبطوا منه جميع التشريعات والقواعد اللغوية ودونوها فى مجلدات ضخمة تغني عن دراسته فأصبحت مهمة القرآن منحصرة فى التبرك بالفاظه وتلاوته على القبور لا غير .

فالذين يروجون ذلك ويدعون اليه انما يبالغون ويريدون ان يبقى المسلمون فى جهل الى الابد . فلم ينزل الله القرآن لغاية النحو والصرف والبلاغة والتشريع فقط . أو ليس من اسماء الله الحسنى « العليم » اي عظيم العلم ؟ الذي « علم الانسان ما لم يعلم » ولا زال يعلمنا ما لا نعلم ، « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم » .

وقد حث جل شأنه على البحث العلمي والاعتبار بكتابه ، فقال : « قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدا الخلق » وقال : « فلينظر الانسان مم خلق » وان اول آية القرآن نزل بها الوحي العظيم اعلنت : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، اي ان الله عز وجل اراد ان تبتدىء الرسالة النبوية بحث رسوله والمومنين من بعده على القراءة والعلم ، فالشيء الذي اراد الرب الاكرم ان يقرىء نبيه هو خلقه الانسان من علق وانه جل علاه علم بالقلم .. فعلم الانسان ما لم يعلم .

ففي هذا كله حث واضح فيما تتضمنه النصوص السماوية على السعي الى العلم والتعلم والنظر فى خلق الله والبحث فى مظاهر الكون والكشف عن أسرار الطبيعة ، وبهذا لم يامرنا القرآن بالاقتصار عن شرح الالفاظ والاكتفاء بحفظ أركان العبادات والتبركات .

فالى متى سنظل غافلين وامم غيرنا تعطينا الدليل على عبقرية دستورنا ؟

فالواجب علينا ان نعيد النظر فى معتقداتنا فى القرآن الكريم اذ لا يكفينا ان نحفظه ونتلوه بقراءاته السبع بل الواجب ان نتفهم معانيه السامية وآياته الزاخرة بالجمال والحكمة لنهتدي بهديه ونستمد منه روح العلم والعمل .

فهل يكفي ان يكون حظنا من هذا الكتاب الحكيم ، والعالم الاسلامي يقف اليوم فى مفترق الطرق الافتخار بانه جامع لخيري الدنيا والآخرة ؟

ان ذلك حجة علينا لا لنا . ومتى نصمم العزم على الرجوع اليه والتأمل فى احكامه بالعقل الصحيح والراي الرجيح ، عسانا نستنير بما يحمل من حكمة وموعظة ورشاد فننجو من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ؟

مكناس : الحسن الحجوي



السلف من التفسير بالرواية ثم تابعه الثعلبي المتوفى سنة 467 . والواحدي المتوفى سنة 468 ، ثم نشأت طائفة أخرى ادخلت فى التفسير مباحث العلوم الاخرى كالنحو والفقه والبلاغة ، واشهرها الكشاف للامام الزمخشري المتوفى سنة 538 .

ثم ظهرت تفاسير القرطبي وابن عطيةوالسيوطي وغيرها ، ولا زال والحمد لله هذا الاجتهاد متواصلا حتى فى عصرنا هذا . فان الامام الشيخ محمد عبده المتوفى سنة 1323 ترك للمسلمين تفسيرا لا نظير له من قبل ، وكذلك الشيخ طنطاوي جوهري قد شرح القرآن شرحا عجيبا راعى فيه بكثير الناحية العلمية والتطبيقية وقارنه مع العلوم العصرية واستنبط منه احكاما وغايات لم يستخرجها أحد قبله .

ترجمة القرآن

لقد ترجم كتاب الله الكريم الى عدة لغاتأجنبية وكانت اول ترجمة على ما أعرف هي الترجمة التي وضعها (كلوني) باللغة اللاتينية فى القرن الثاني عشر، ثم اقبلت طائفة من القسيسين والرهبان على نقله الى بقية اللغات الحية حتى ان بعض الامم الصغيرة ساهمت فى هذا العمل ولا تزال تفتخر بوجود نسخمن هذه التراجم فى متاحفها . واسترسلت حركة الترجمة الى عصرنا هذا ويمكن الآن تناول الكتاب الكريم بعدة لغات أروبية وآسياوية تمكن سائر الامم الناطقة بغير العربية من دراسته وفهمه والاهتداء باحكامه القويمة

واحدث ترجمة القرآن الكريم وضعتها مستشرقة المانية من مواليد مدينة طنجة .

نعم ، اذا اعتقدنا بان القرآن صالح لكل زمان ومكان ، فيجب علينا أن نبذل الجهد لنجعله فى أيدي ملايين الناس وان نبشر به فى كل أصقاع المعمورةلانه لم ينزل للعرب فقط بل للقوم اجمعين .

ولقد راى رجل تركيا العظيم الغازي مصطفى كمال مصلحة امته فى ترجمة القرآن الكريم الى لغة بلاده . فسلك هذا الطريق تسهيلا على امته فى حفظ كتاب الله والاستنارة بنور معارفه .

وكان من نتائج هذا العمل ان ازدهر الاسلام بتركيا وتطور الفكر بذلك القطر الاسلامي العريق بصورة اصبحت معه تركيا من ارقى الدول الاسلامية واقواها .

القرآن ينبوع الحضارة الاسلامية

لقد كان القرآن سببا فى تكوين حضارة اسلامية راقية مؤسسة على قواعد ونظم ثابتة ، فكان امتداد هذه الحضارة من قلب الجزيرة العربية الى أطراف العالم . فالصلاة تقام اليوم من شواطىء مغربنا الى نهر الكانج حول قارات ثلاث . مما ادى الى رابطة الوحدة بين اربعمائة مليون مسلم ، سلاحهم التقوى ومخافة الله ودينهم مستمد من القانون السماوي المقدس الذي رفعهم الى السمو الروحي ليصبحوا بنعمته اخوانا . فعسى أن يزول البغضاء وتنمحي النقائص من نفوسهم وتنتفي عن قلوبهم عوامل الخلف والتنافر ليصيروا كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا . (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم !) (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)

ولقد أحدث بظهوره تغيرا كبيرا وانقلابا عظيما فى نفوس جميع الامم الشرقية على العموم والعربية على الخصوص فلم‌يمض اقل من قرن على بعثة الرسول الكريم ونزول آيات الوحي الا وجميع أبناء الشرق فى آسيا وافريقيا وجزء غير يسير من جنوب أروبا وشرقها يأخذون بتعاليم القرآن ويدرسون آداب لغته ، تلك اللغة التي عمت انتشارا لا مثيل له وعمت جزءا متسعا من أصقاع المعمورة وظلت بفضله حية قائمة ثابتة رغم ما خالط أبناءها من الاجانب ، فاصبحت فى عصرنا الحاضر تحتل صف الطليعة من بين أعظم لغات العالم تقدما وانتشارا .

الحاضر والمستقبل ...

ان كتاب الله الكريم ، ينبوع الحضارة الاسلامية الزاهرة أصبح غير مفهوم لكثير من الناس ، فالسواد الاعظم من الامة الاسلامية ممن يحفظونه عن ظهر قلب لا يفهمون منه شطرا يؤهلهم للرشد والتسلح باسلحة من العلم واستقامة الفهم ، والسواد الاعظم من الجيل الناشىء تنكروا له ولم يتجهوا لدراسته بالمرة. وهذه ظاهرة مؤلمة وغير منتظرة ، فالحقيقة التي يجب ان نصدع بها أن القرآن الكريم وان كان اكثر الكتب رواجا يكاد يكون مجهولا لدى الجمهور الاسلامي . فالكتاب الكريم فى واد والجماهير الإسلامية فى واد

وبعد ذلك عرف رسم القرآن — بالشكل والتنقيط وتجويد الخط — تحسينات بدات فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (النصف الثاني من القرن الاول للهجرة) وسارت شوطا بعيدا فى اواخر القرن الثالث للهجرة ، وما تلاه من عصور ، وجاء عصر الطباعة فعرف المصحف طبعات انيقة جيدة وفى متناول ملايين المسلمين .

شغل القرآن المسلمين ، روحا وشكلا ، فظهرت علوم متصلة به (أسباب النزول ، القراءات ، الناسخ والمنسوخ ، رسم القرآن ، المحكم والمتشابه ، التفسير ...) . ودفع كتاب الله العلوم الاخرى الى الامام فنشأ الفقه ، والعقائد ، وعلم الكلام ، والتصوف ، والنحو ، والبلاغة ، ودرس النقاد الآثار الشعرية والنثرية على ضوء بيانه، واستمد منه الكتاب والشعراء واستلهم منه المؤرخون نظرية التاريخ وفلسفته ، واتخذ منه العباد واهل الزهد أنيسا ودليلا ومرشدا .

ودار حول القرآن جدل طويل تأثر بالنظريات والافكار التي انفتحت عليها الحضارة الاسلامية . ومن ذلك القول بخلق القرآن الذي اثار فى عهد المأمون العباسي فتنة ومحنة ، ومن ذلك ايضا الجدل حول صفات الله والقول بالجبر او الاختيار ..

الا انه ، رغم تعدد النظريات ، وتشعب الجدل وما اصاب الحضارة الاسلامية من مد أو جزر ، فقد بقي القرآن هو هو مرجع المسلمين وامامهم ، منزها عن كل تحريف أو زيادة أو نقصان .

وجاء العصر الحديث بعلومه وصناعته وتعقيداته فظهر من بين المسلمين رجال مصلحون اضطلعوا بالدعوة لتجديد أمر الدين والاستمساك بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ، مع الاخذ بأوفر نصيب من الحضارة العلمية الحديثة ، وبذلك عاد القرآن منطلقا لنظريات التجديد والنهوض الاسلامي ودعوة المسلمين الى التحرر والتقدم والانبعاث . وظهر رجال فضلاء ، على صعيد العالم الاسلامي ، اضطلعوا بعبء الدعوة ، امثال جمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده ، وجمال الدين القاسمي ، ومحمد اقبال وتلاميذهم فى جميع انحاء العالم الاسلامي .

كان القرآن دعامة الحضارة الاسلامية ، فى ازهى عصورها ، يذكي جذواها ويحثها على الانطلاق والارتقاء ، وينير امامها سبل البقاء .

وعاد القرآن ، بعد ركود أصاب العالم الاسلامي منطلقا للدعوة الى حضارة جديدة فى عالم متقدم ومعقد ، مادي فى جوهره وشكله وأدواته .

وانطلقت فى ارجاء العالم الاسلامي تساؤلات كثيرة : هل يتضامن المسلمون ؟ هل يوحد القرآن من جديد كلمتهم ؟ هل يمكن التوفيق بين الدين ، متجددا ، وبين الحضارة المادية الجديدة ؟

وما يزال الجدل بين علماء العالم الاسلامي ومفكريه قائما على ايقاع حضارة القرن العشرين الطاغية .

وما يزال القرآن الكريم هو هو ، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يثير اهتمام المؤمنين ويدعوهم الى التأمل ، ويبعث فى نفوسهم الخشوع والخشية ، يتدارسه العلماء بنظر جديد وفكر متطور وسط عالم حائر ، غريب الاطوار ، سريع التحول ، شديد القلق .

القرآن واهل المغرب .

شهد المغرب ، فى اول عهده بالاسلام ، حدثين جليلين كان لهما الاثر البعيد فى تاريخه الديني والسياسي والاجتماعي :

الاول — حركة استعراب المغاربة التي بدات فى القرن الاول للهجرة ، (السابع الميلادي) وما رافقها من ايفاد الفقهاء ، وخاصة فى عهد عبد الملك ابن مروان وعمر بن عبد العزيز ، لتعليم المغاربة كتاب الله وتثقيفهم فى أمور الدين.

الثاني — تأسيس جامعة القرويين بفاس (245 هـ 859 م) وهي الجامعة التي حافظت طوال العصور على استمرار الثقافة القرآنية بأصلها وفروعها ، ومكنت لتثبيت المذهب المالكي فى ديار المغرب

ان هذين الحادثين العظيمين قد طبعا تاريخ المغرب بطابع الوحدة الدينية والسياسية ، وابقاه بعيدا عن تأثير النزعات المذهبية المتطرفة منها والمنحرفة التي حاولت ان تتسلل الى المغرب فلم يكتب لها الانتشار والبقاء بالرغم من بعض الفتن التي أحدثها ظهورها ، ومنها فتنة الخوارج .

ومنذ الصدر الاول من الفتح الاسلامي الى الآن ظل القرآن الكريم والسنة النبوية مثار عناية المغاربة وموردهم الرئيسي .



للأستاذ : محمد العزلي الخطابي

القرآن دعامة حضارة

امتازت الحضارة الاسلامية بكونها حضارة « كتاب » فى جوهرها واصلها ، بمعنى ان القرآن الكريم كان منطلق هذه الحضارة ، وسرعان ما اصبح مدارا لها ومرتكزا .

ومن العوامل التي ساعدت على انبثاق الحضارة الاسلامية وانطلاقها من كتاب الله ، كون القرآن خاطب البشر جميعا « ان هو الا ذكر للعالمين » وأقام الامر بينهم على اساس المساواة والتكافؤ والتعارف والتسابق الى التقوى التي هي وحدها مقياس التفاضل بينهم : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

وقد كانت هذه الدعوة اول حرب معلنة ومنظمة ضد العنصرية والميز بين البشر ، وعليها تدور فلسفة التاريخ الاسلامي ونظريته . وتنطوي تحت لواء هذه الدعوة ، بطبيعة الحال ، فكرة الوحدة والوحدانية ، ومحاربة الشرك الذي كان شعار التفرقة والقبلية ورمزها .

استهدف القرآن تنظيم حياة المجتمع البشري الذي دعا اليه فوضع أسس التشريع والمعاملات ، وأقام قواعد السلوك والاخلاق ، واختط بالعبادات الطريق الذي يطهر النفوس ويوصل الى الله ، تكمله فى كل ذلك السنة النبوية .

دعا القرآن الى خشية الله ومراقبته فى السر والعلن ، كما حض على العلم والعمل . والتعاون والصبر ، والعدل والاحسان ، والقوة والاستمساك بالحق دون خشية من مخلوق ، ودعا الى التمتع بطيبات الحياة الدنيا فى نطاق الفضيلة والتوسط والاعتدال .

ولقد خاطب القرآن المشاعر ببيانه وامثاله ومواعظه ، كما خاطب العقول بحجته ومنطقه واستدلالاته واهتمامه بحياة الفرد والمجتمع . وبذلك اثار اهتمام الناس وتطلعهم . وايقظ أذهانهم وأنار عقولهم .

نزل القرآن نجوما . وتدرج مع اغراض الدعوة وحاجاتها وما أحاط بسيرها من وقائع وأحداث ، هذه الدعوة التي استمرت نحو ربع قرن .

وقد اكتمل نزول القرآن فبقي مجموعا بالحفظ والاستظهار فى قلوب النبي وصحبه يتلون آياته ويتدارسونه ويتفقهون فيه . وفى حياة الرسول بدا تدوين الكتاب فى الرقاع ، واضطلع بهذه المهمة كتبة الوحي المعروفون . وجمع القرآن ورتبت آياته ، بأمر من الصديق وفى خلافته ، كما رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم . وحينما تقلد عثمان خلافة المسلمين أمر بنسخ المصحف من اصل الصحف التي جمعها ابو بكر ، وعلى المصحف الذي استنسخه الخليفة الثالث وبعث به الى الامصار وقع اجماع المسلمين ؛ واحرق ما سواه من الصحف .

« ورتل القرآن ترتيلا » ، وقال : « كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من احسن الناس صوتا بالقرآن الذي اذا سمعتموه يقرا حسبتموه يخشى الله » ، وهذه الخشية تاتي ، ولا شك ، من الاستغراق والتدبر وحسن الترتيل وفهم معاني كلام الله .

ومن الامور المستهجنة في القراءة نطق غير سليم واهمال لقواعد التجويد ، وهذا امر شائع حتى بين بعض فقهائنا وعلمائنا .

ولن يكون علاج هذا الامر الا بايجاد مقرئين متفرغين لهذا الامر يحفظون كتاب الله ويفهمون معانيه ويلمون بعلوم التجويد والقراءات والرسم، ولا يتصدون للقراءة الا بعد ان تجيزهم هياة معتمدة يكون لها الحل والعقد في كل ما يتصل بالقرآن الكريم (طبع المصحف، وتعليم كتاب الله في المدارس ، والتلاوة في المساجد وغيرها ...) ولعل الامر يتطلب احداث مدرسة عليا لعلوم القرآن ، او على اقل تقدير احداث كرسي للعلوم القرآنية في كلية الآداب ، فضلا عن تعميم دروس تجويد الكتاب ، والتفسير المبسط في المدارس والمعاهد واحداث هياة معتمدة للمقرئين ، ونشر التراث المغربي في التفسير والقراءات والرسم .

ولا يخفى على احد ان سوء ترتيل القرآن وقلة العناية بتجويده وتفسيره تفسيرا مبسطا من الاسباب التي تقلل من اهتمام الشبيبة بالقرآن ولا تتيح لهم تذوقه وتدبر معانيه . وذلك في عصر كثرت فيه المغريات التي تجذب الشبان جذبا ، وتعددت وسائل تهذيب الذوق وتربية المشاعر . فكان أولى بنا ان نحبب القرآن الى ابنائنا بحسن التلاوة وحلاوة الترتيل والتجويد وبساطة التفسير ورفع مستوى المقرئين ، مما يؤدي الى حسن التدبر والخشية وتطهير النفس .

ان في القرآن عقائد تعرف المسلم بصفات الله ، وفيه عبادات تقربه من الله ، وفيه تشريع واحكام ، وفيه ثورة لغوية واعجاز وبيان ، وفيه مواعظ وحكم ، وعبر وامثال ، وفيه دعوة الى الآخرة ودعوة الىالاخذ بنصيب من الدنيا . فهو كلام الله الحي المتجدد الجامع ، ما هو بالطقوس الغامضة الجامدة .

لذلك فان واجب المسلم أن يتدبره ويفهمه ويعمل بهديه « ان هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بيذكم ..» كما جاء في الحديث ، فلنمسك بالطرف الذي خصنا الله به وكرمنا بفضل المحافظة عليه .

القــرآن ومذاهــب التاريــخ .

كان في نيتي ان اعرض جملة من آراء بعض علماء الغرب ، من مستشرقين وغيرهم ، في القرآن الكريم وعلومه ، وان اعلق على هذه الآراء بما يتفق ووجهة النظر الاسلامية في الموضوع . غير انني رايت ان هذا العمل يتطلب من طول المعاناة واتساع الوقت ، وكثرة الدرس والتمحيص ما لا يجمل معه الاختصار والنظرة الخاطفة

لقد عني علماء الغرب ، والمهتمون منهم بالعلوم الاسلامية على وجه اخص ، بالقرآن فدرسوه وترجموه الى لغاتهم ، ونظروا في علومه المختلفة ، فكانت لهم في ذلك آراء منصفة في بعض الاحيان ومختلفة مع الآراء الاسلامية الموثوقة والمتواترة في احيان اخرى .

وقد علق الدكتور صبحي الصالح في كتابه القيم « مباحث في علوم القرآن » على بعض آراء هؤلاء المستشرقين ، وربما فعل غيره ذلك ، الا انني ما زلت ارى ان هذه المسألة تتطلب دراسة مستفيضة تحيط بجوانب الاراء الغربية في الوحي والعلوم القرآنية ، احاطة شاملة وتنقدها وتعلق عليها .

ونظرا لجسامة هذا العبء فاني آثرت ان اقتصر في هذا المقال على تلخيص محاولة لابراز نظرية الاسلام في التاريخ مستمدة من كتاب طريف بعنوان « مذاهب التاريخ الكبرى ، من كونفوشيوس الى توينبي » من تاليف البان ويدجرى * وهانذا اترجم باختصار ما قاله هذا المؤلف الانجليزي عن نظرة القرآن الى التاريخ :

« ترتكز النظرة الاسلامية الى التاريخ على الاعتقاد بوجود الله والاقرار بوحدانيته ، ومقاومة الشرك به .

والله متصف بالرحمة ، والقدرة ، والحكمة ، والقدم ، والكرم ، والعزة ، والجلال ، وهو قائم بذاته لا يحده زمان ولا مكان .

* الترجمة الفرنسية Alban Widgery : « Les grandes doctrines de l'Histoire » - Gallimart, 1965.

وإذا كان أهل المغرب قد استبد بهم ، منذ العصر الاول الذي اعتنقوا فيه الاسلام ، الاشتغال الزائد بالفروع فلعل ذلك كان راجعا الى حرصهم على فهم احكام القرآن والحديث فهما صحيحا بالراي والحجة وصدق التأويل لبعد بلادهم عن مهبط الوحي ومراكز النقل والرواية والاسناد . فما كان لهم ان يرجموا بالقول فى كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان لهم ان يخوضوا فى التفسير والشرح من غير نظر ولا تمحيص فى آراء الصحابة والتابعين والمجتهدين وائمة الدين .

ومع ذلك فقد قامت دعوة بعض امراء المغرب — وخاصة فى عهد المرابطين والموحدين — على اساس الرجوع الى الاصل (القرآن والحديث) ونبذ الفروع التي تشعبت وشغلت الفقهاء واشتط بعضهم فى العناية بها .

وقد عني المغاربة ، فى جميع العصور ، بالقرآن حفظا وتفسيرا وقراءة ورسما ، وكانوا بعلم القراءات والرسم اكثر عناية . ولعل سبب ذلك راجع الى حرص علماء المغرب على حفظ كلام الله منزها عن اللحن والخطا والتحريف وسوء القراءة التي يترتب عليهاسوء الفهم واختلال المعنى .

وبلغت العناية بعلم القراءات ذروتها فى عهد الدولة السعدية . ويقول استاذنا الجليل السيد عبد الله كنون : وحسبك دليلا أن وقف القرآن الذي وقع الاجماع عليه وجرى العمل به فى المغرب منذ ذلك الوقت الى الان ، انما وضع فى هذا العصر — أي العصر السعدي — وكان واضعه هو ابو عبد الله الصماتي الهبطي المتوفى سنة 930 . *

وقد خلف علماء المغرب كتبا فى تفسير القرآن الكريم ولم تبلغ الشهرة التي بلغتها تفاسير علماء المشرق وبعض علماء الاندلس من أمثال الطبري والزمخشري والجلالين (المحلى ، والسيوطي) وابن العربي المعافري . وربما يرجع ذلك الى قلة عناية المغاربة بنشر مآثرهم والتعريف بها ، وخاصة منذ ظهور الطباعة فى العصور الحديثة .

ومن العلماء المغاربة الذين اشتغلوا بالتفسير : ابو بكر بن الجوزي المعافري السبتي ، (فى عصر المرابطين) ، ومحمد عبد الجليل الاوسي القصري ، ويوسف المزدغي الفاسي ، وابو الحسن الحراني المراكشي ، (فى عهد الموحدين) ، وابن العابد الفاسي وابن البناء العددي ، وابو القاسم السلوي ، وابن البقال ، (فى العصر المريني) والحاج الشطيبي ، والمنصور الذهبي ، وعبد الرحمن العارف ، وعلي بن عبد الواحد الانصاري السجلماسي ، (فى عهد الدولة السعدية) ، والتاودي ابن سودة ، وابن عجيبة ، والطيب ابن كيران ، (فى عهد الدولة العلوية الحاكمة)

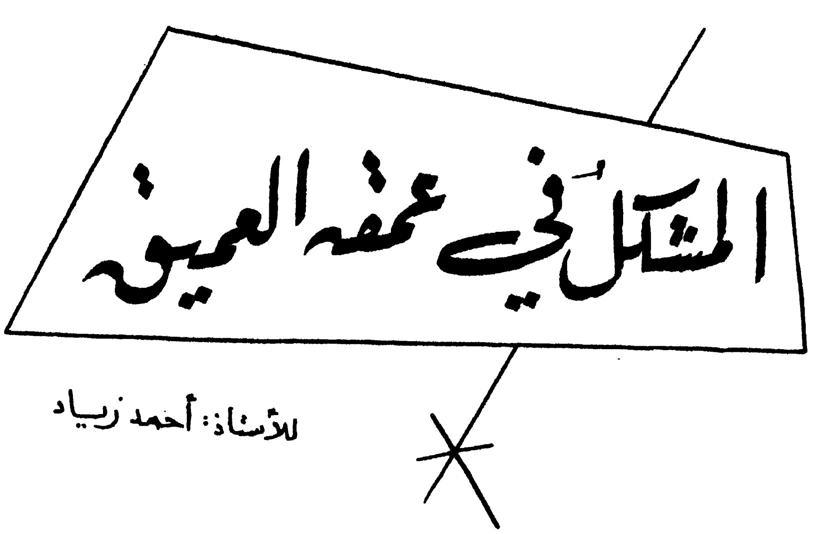
الف معظم هؤلاء العلماء الافاضل تفاسير كاملة او لاجزاء من كتاب الله المنزل ، وقد ضاعت بعضهذه التفاسير وطوى بعضها الآخر عالم النسيان .

اما العلماء الذين اشتغلوا بعلم القراءات والرسم وبرزوا فى هذا الميدان فنذكر من اعلامهم : ابا عمران الفاسي (القرن الخامس الهجري) ، واحمد بن الحطيئة التميمي (عصر المرابطين) ، ومحمد ابن غازي المكناسي ، وعلى ابن بري ، ومحمد بن ابراهيم الخراز مؤلف « مورد الظمآن فى علم الرسم » ومصنفات اخرى ، وابن المرحل ، وابن آجروم صاحب كتاب « البارع فى قراءة نافع » ، وكلهم عاشوا فى عهد الدولة المرينية ، ونذكر من العصر السعدي : عبد الواحد ابن عاشر الذي شرح « مورد الظمآن » للخراز ، وابا عبد الله الصماتي الهبطي مؤلف « تقييد وقف القرآن » الذي جرى عليه العمل فى المغرب كما اسلفنا ، وابا العباس الغساني ، اما عصر الدولة العلوية ، الذي غلبت فيه العناية بالحديث والشرح والحواشي على الاشتغال بالتفسير والقراءات والرسم وغيرها من العلوم القرآنية ، فيمكننا أن نذكر منالعلماء الذين عنوا بهذا الميدان ، ابا زيد الفاسي مؤلف «اللمعة فى قراءة السبعة » ، والبدراوي صاحب « التوضيح والبيان » ، والحسن الباعمراني مؤلف « اعراب القرآن » .

وفى جميع العصو ولع المغاربة ولعا شديدا ، فى الحواضر والبوادي ، بحفظ القرآن الكريم وتعليمه فى الكتاتيب القرآنية التي عمت المدن والقرى . الا أن عناية عامة أهل المغرب كانت اقل بالتجويد والترتيل وتدبر آيات القرآن وفهم معانيه ، وخاصة فى عصور الانحطاط المتأخرة ، التي عم فيها الجهل وفشت البدع والتقاليد الضالة . حتى أصبح كتاب الله المنزل « يسرد» فى المقابر والمساجد « سردا» دون وعي أو تدبر . وما زالت هذه الطريقة سائدة الى الان مع ما فيها من مخالفة لآداب التلاوة وواجب التدبر . قال الله تعالى

---

* كتاب « النبوغ المغربي فى الادب العربي » ج 1 ، ص 240 .



المشكل في عمقه العميق

للأستاذ: أحمد زياد

منذ ثلاثين سنة أصدر الامير شكيب ارسلان كتيبا صغيرا بعنوان : « لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم» وهو كتيب اسهم به ذلك الرجل العظيم من جملة ما اسهم به من مئاثر فكرية ، اتسمت بشمولية الاطلاع وبالقدرة الخارقة على مواصلة كفاح شاق ومرير ، كما ان هذا الكتيب قد صدر فى غمرة ما كان يصدر فى ذلك العهد من ابحاث وتحاليل عن الوضع الذي كان يكيف يومئذ احوال العالم العربي والعالم الاسلامي وانتشر هذا الكتاب مثل ما انتشر حاضر العالم الاسلامي (1) وعرف من خلال صفحاته القليلة ما هو سر تأخر المسلمين ومنذ اربعين سنة بيد انه منذ ذلك الحين والوضع فى العالم العربي والاسلامي يثار أمره عن وثيرة واحدة من التشكي وغصة المرارة فى هذا التشكي .

ان الاسلام كرسالة وكفلسفة وكايديولوجية تقوم على مبادىء عامة قد تكفل القرآن بسطها وبالمحافظة عليها ، والقرآن اعجز اعداء الاسلام وخصومه اعجازا كاملا عن أن ينالوا من تلك المبادىء فبالاحرى أن يقضوا عليها ، فوظيفة القرآن ككتاب سماوي وكدستور يتضمن بنودا منظمة لم تفتز ولم تضعف ، وانما الذي اعتراه شيء وشيء غير قليل من الفتور والضعف هو همة المسلمين فى العمل على تكييف رسالة الاسلام بالكيفية التي أملتها نواميس التطور والتقلب .

والدعوة الى التجديد فى أمر الاسلام ليست دعوة الى تجديد مبادئه الاساسية فهذه قواعد عامة وثابتة وانما الذي يحتاج الى التجديد والى الكثير من التجديد هو اساليب التفكير الاسلامي بالنسبة لعلاقات المجتمعات الاسلامية مع بعضها وبالنسبة كذلك لعلاقاتها مع المجتمعات الاخرى ، وامتلاك الاسلحة اللازمة لخلق مجتمعات اسلامية لا تعيش على حساب ماضيها ، وانما تعيش بالقدرة على الخلق والابتكار والقدرة على التنافس فى حاضرها ، وهنا تقفز النقطة التي اعتبرها شخصيا هي نقطة الضعف فى كل ما عاناه الاسلام ماضيا وحاضرا وفى كل ما يمكن أن يعانيه مستقبلا وهذه النقطة يمكن تلخيصها فيما يلي :

اولا : ان الدعوة الاسلامية والقرآن بصفة خاصة قاما منذ أول ظهورهما على خلق تكامل اجتماعي ، وبعبارة ادق على محاربة النزعة الفردية التي كانتهي الظاهرة البارزة فى المجتمع الجاهلي العربي الذي نزل فيه الاسلام وفى المجتمعات التي حملت اليها الدعوة الاسلامية بنود رسالتها من غير العنصر العربي .

فالاسلام فى أول أمره قد انطلق من شبه الجزيرة العربية بقوة من التكامل الجماعي الذي استطاعت تعاليم الاسلام أن تزرعه مثلما ينتزع قلب من جسم ليوضع مكانه قلب آخر فى عالم اليوم .

فالدعوة الاسلامية قد اقتلعت النزعة الفردية اقتلاعا من التفكير الجاهلي ووضعت مكانها تفكيرا

---

(1) حاضر العالم الاسلامي ترجمة الاستاذ عجاج نويهض وبتعاليق ضافية لامير البيان شكيب ارسلان رحمه الله .

ومقاصد القرآن الجوهرية هي حمل البشر على ادراك صلتهم بالله الذي لا تخفى عليه من أمور التاريخ خافية . وهو يهدي البشر بواسطة الانبياء والكتب السماوية . وينفي القرآن عن الله صفة التجسد على صورة البشر .

ان موسى وعيسى نبيان من أنبياء الله . ومحمد هو خاتم المرسلين وأعظمهم شأنا .

حدد القرآن للناس قواعد السلوك ، فلهم أن يتقربوا الى الله بالعبادة دون واسطة . ويعتبر الوحي القرآني مدار التاريخ .

خلق الله العالم المادي والسنن الثابتة وجميع الخصائص الاخرى التي تجعل التاريخ امرا ممكنا ذا مغزى . وعالم الطبيعة متغير « يزيد فى الخلق ما يشاء»

وقد أبدع الله الليل والنهار وتعاقبهما فعين أرواحا وجعلها داخل اجسام لتحيا .

ويذكر القرآن ان الله يختص بني آدم بعنايته بذلك لحياة البشر حيزا موقوتا . وخلق الله بني آدم وفضله . اصطفى آدم وجعله فى الارض خليفة .

ولطالما نوقشت مسألة ما اذا كان القرآن يعلم الناس حرية الارادة ام لا . انه يتضمن الاقرار بهيمنة الله وبحرية الانسان ، سواء بسواء ، من غير ان يخوض فى الكيفية التي يمكن ان يتوافق بها الامران فى الذهن .

يؤكد القرآن ان الله يسيطر على الاشياء كلها ، وهو الذي يلهم النفوس « فجورها وتقواها » ثم ان القرآن يصر على ممارسة الحرية . والله لا يظلم المذنبين بل انهم يظلمون انفسهم .

يهتم الاسلام بالفرد كما يهتم بالجماعة . والله يحاسب الامم . وكثيرا ما يذكر القرآن ما اصاب أمما من رغد وما اصاب أخرى من هلاك ، فالاولى سارت على الصراط المستقيم ، والثانية ضلت عنه وزاغت . ذلك ان كل قوم ينالون جزاءهم ، لان الله يحكم الناس بالعدل والقسطاس .

يأمر القرآن بقتال الذين يخالفون عن أمر الاسلام والمؤمنون مدعوون الى الجهاد فى سبيل الله ، بما يتفق وتعاليم القرآن ، وعليهم ان يقاوموا الشر ، ومن الشر ما يصدر عن الناس ومنه ما يصدر عن الشيطان .

والاسلام عالمي « لله المشرق والمغرب ... أينما تولوا فثم وجه الله » .

لا عبرة بالمظهر الخارجي للحضارات ، انما العبرة بسلوك النفس الانسانية وتصرفاتها تجاه الخالق

والقرآن يوصي بالصبر ، لان تحقيق المثل الاسلامية عمل شاق . والله يغفر للتائبين ويعينهم على الخير .

الحياة الدنيا ليست غاية فى ذاتها ، وللاخرة خير وابقى » .

هذه خلاصة ما قاله ويدجيرى عن القرآن ونظرية الاسلام فى التاريخ ، وقد تحدث فى نفس الفصل عن عبد الرحمن بن خلدون ومحمد اقبال ولخص نظريتهما فى التاريخ والتطور .

والواقع ان هذا الموضوع الطريف يتطلب دراسة اوسع يتولاها عالم ضليع فى الفكر الاسلامي ومذاهب التاريخ المختلفة يتتبع فيها تاثير القرآن فى آراء المؤخين المسلمين واتجاههم ، بوجه خاص ، وفى سير التاريخ الاسلامي بصفة أعم .

ومن المسائل التي تستحق مزيدا من الدرس والتمحيص فى هذا الباب :

— حرية الانسان ومسؤوليته عن اعماله . وقد أثارت هذه القضية جدلا طويلا بين علماء المسلمين فى مختلف العصور .

— عالمية الدعوة الاسلامية وشمولها .

— قيام هذه الدعوة ونشرها على أساس الاقناع وعدم الاكراه أو بحد السلاح .

وقد كان لهذه المسائل وغيرها تاثير واضح على اتجاهات المؤرخين المسلمين وطريقتهم فى كتابة التاريخ ، كما كان لها تاثير على الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية فى العالم الاسلامي .

الرباط : محمد العربي الخطابي

والمسلمون عندهم الى جانب ذلك قرآن يرتبط فيما بينهم برباط ليس هو من نوع رباط التعـــاريف الجمركية أو وحدة مناطق العملة أو غيرها من أنواع الارتباطات المادية المحضة .

المسلمون عندهم قرآن ربط فيما بينهم جماعيا برباط وحدة المصير ، ذلك ان عزة المسلم فى ماليزيا هي عزته فى المغرب وعزته فى المغرب عزته فى ماليزيـــا واذلاله كذلك .

تلك اشياء معلومة ومفهومة وقع درسها وبسطها منذ عهد طويل وانما الذي يبقى ويجب هو العمل ، العمل على ازالة اسباب الزيغ الروحي والتخلـف المادي ليكتمل للقوة عنصراها الاساسيان .

وهذه ايضا اقوال ، فأين هو العمل ؟ ذاك هو الشكل الحقيقي وفى عمقه العميق .

الرباط : أحمد زيـــاد

فى الجاهلية الاولــى

فى الجاهلية الاولى كانت القبائل المنهزمة تدع الملذات التي الفتها حتى تدرك النصر ، فاذا نالت ثأرها ، ومحت عارها ، عادت الـــى ملذاتهـــا ، وشاعرها يقول :

« فساغ لي الشراب وكنت قبلا أكاد اغص بالماء الفرات »

جماعيا اعتبره شخصيا هو سر نجاح الانطلاقة الاسلامية في أول أمرها .

ومن ثم فاننا حينما نعكف على قراءة التاريخ الاسلامي وفي مختلف مصادره الكبرى وشيء من الامعان والتدبير ، تلمس ولا اقول فقط — كيف أن السلاح الذي استخدم كثيرا في تقويض نفوذ الاسلام هو سلاح اعادة النزعة الفردية والعمل على تنوعها او عند افراد القاعدة ، ويعتبر كتاب « الملل والنحل » وغيره من الكتب التي تحدثت عن مختلف الفرق التي ظهرت في مختلف المجتمعات الاسلامية كوثيقة من الوثائق التي تتثبت وبكل تأكيد ان اعداء الاسلام وخصومه قد تنبهوا الى حقيقة العنصر الفعال في انتشار نفوذه واتجهوا اليه وبكل ما كانوا يملكونه من وسائل ، وفي الجزء الذي خصصه الاستاذ احمد امين من كتابه « فجر الاسلام » تفاصيل عن هذا الصراع الخفي الذي كان يجري من اجل تفكيك اجزاء التفكير الجماعي واحلال النزعة الفردية المحلية .

ومع الاسف الشديد فان الذين كانوا يسعون الى الوصول الى هذه الغاية وفي مختلف العصور الاسلامية ، قد تمكنوا من مبتغاهم بنسبة او باخرى، ولو ان الاسلام كان مجرد ايديولوجية تقوم على اساس مادي صرف ، لما تعذر على أعدائه وخصومه استئصال نفوذه أو حصره على الاقل ، ولكن بما ان الاسلام كان متوفرا على سلطان روحي لا يقهر ، فان استئصاله أو حصر نفوذه قد تعذر ، بل ان ما حدث في مختلف اطوار الصراع البسيكولوجي الذي كان يرمي الى تجريد المجتمع الاسلامي من تضامنه الجماعي ، لم يجد هو بدا من أن يستعين بالسلطان الروحي تزويرا وتدجيلا، وذلك قصد الوصول الى تحقيق اغراضه ومئاربه ، وهكذا فان المسلمين تخاذلوا وضعفوا وقضى على نفوذهم السياسي في كل الحالات التي كان فعل عنصر التفكير الجماعي يقل او ينمحي وجوده .

وهذا في راي المتواضع هو التعليل الصحيح لكل ما تزخر به كتب التاريخ من نكبات وكوارث ، حلت بالمسلمين سواء في المشرق أو في المغرب، وكان بالامكان سرد الوقائع والاحداث بمواقعها التي تعزز هذا الراي بيد انني هنا انما اسجل الخواطر ، ولا أدرس التاريخ

ثانيا : انه على ضوء هذه الحقائق فان الضرورة تقضي بدراسة احوال العالم الاسلامي دراسة علمية تستعرض وتستنتج وعلى مقاييس صحيحة ، وبمنجى من كل انفعال عاطفي وابتعاد كامل من نوع من انواع مركب النقص .

فقوة الاسلام التي اندفع بها في أول مرة كانت قوة جماعية الا ان هذه القوة قد اعتراها ضعف ولم تمت ، لان فيها العنصر الروحي للاسلام ، بيد أنها توقفت ، فيجب ان نبحث لماذا توقفت ، ونحن اذ نبحث في هذا الامر فسنعثر — وفي غير ما كثيرا من العناء — على سببين اثنين : احدهما ضعف الوازع الجماعي ، وثانيهما وهو مترتب عن الاول ، عدم تقوية الجانب المادي في المجتمعات الاسلامية حتى تصبح الحصانة المادية معززة للحصانة الروحية .

انه لم يعد يكفي أن نعقد الندوات لمعرفة اسباب الضعف الذي وصل الى قمته في مشهد الصهاينة وهم يحاولون اقامة برلمانهم في رحاب مسجد الصخرة ، فمن جملة ما يؤخذ به المسلمون انهم قوالون وغير فعالين ، وكان الاولى ان يكونوا فعالين امتثالا لاوامر الاسلام ، واذا كان الاسلام ما يزال بخير ، وما تزال تتجاوب اصداء صندوته كلما وقع الضرب على هذا الصندوق على حد تعبير المرشال لبوطي ، فان مرد ذلك الى قوته الروحية . بيد ان هذه القوة في حاجة الى تعزيز ومن نفس سلوك المسلمين ، وذلك بواسطة اخذ العبرة من احداث تاريخهم الطويل ، وبالعمل على بعث الروح الجماعية في الفرد المسلم وتحصين انفسهم ماديا ، وهذا شيء لا ينبغي أن يظل مجرد كلام ، بل يجب تحويله الى عمل فانما وقع بالامس البعيد من اجل كسر شوكة الروح الجماعية في نفوسهم ما يزال حاله مستمرا الى اليوم مع اختلاف في الاساليب التي اقتضاها الزمان والمكان .

وبالمناسبة فان السوق الاوربية المشتركة التي اصبح لها اليوم حول وطول وصول كانت من وحي شخصيات جمع فيما بين افرادها المذهب الكاثوليكي ، وفي رسالة الصهيوني بن غريون التي بعث بها أخيرا الى الجنرال دوكول ما يفيد بان الصهاينة قد ظلوا يعملون طوال مائة سنة في اطار من معتقداتهم الدينية وباندفاع منها لانشاء دولة اسرائيل ، بل ان الدخلاء على الاسلام والمندسين في صفوفه فيما قبل ، ثم الاستعمار فيما بعد ، قد عملوا جاهدين وجادين من اجل تعزيز سلطانهم هم على المسلمين بواسطة الاسلام ، لاقتناعهم بقوة سلطانه ، فكيف لا يمكن ياعباد الله المسلمين تعزيز سلطان المسلمين بواسطة الاسلام ليكونوا في مستوى الظروف والاحداث ؟؟!!

فالمسلمون قوة سكنية في العالم ، وقوة اقتصادية وقوة جغرافية ، في بلادهم المطاط والفوسفاطوالبترول وانواع الزيوت بل وحتى الذهب .

والمغالاة وما فى حكم ذلك ؛ ان المراد بالمعجزة القرآنية ، فى تأثيرها على جهلة العرب ، وتكييفها لهم ، بالصورة التي تكيفوا بها ، واكمالها ذلك التكيف ، بالسرعة ، وبالتلقائية التي تم بها بالفعل كل هذا ، مما يعجز أي انسان لا عن الاتيان بمثله ، بل حتى عن مجرد تصور عوامل واسباب موضوعية له ؛ وحتى اذا امكن تصور اسباب وعوامل يعتقد انها مفسرة للظاهرة الموجودة ، فان مثل هذا التفسير لا ينطبق على مثل هذا الامر ، الا بصورة تقريبية ، وبحسب مقاييس التفسير التي نستعملها لادراك الوقائع والظواهر العادية ؛ والامد الماثل فى تحول العرب السريع بتأثير القرآن ، ليس هو من الامور العادية ، التي يمكن ان تنطبق عليها مقاييس التفسير العادية ؛ ولكي ندرك بعض ملامح الصورة ، صورة الحالة التي وقعت ، دون ان نستطيع النفوذ الى ادراك « العلل » المعجزية الكامنة وراءها ، يجب ان نستعيد لاذهاننا احوال الادراك والتصور عند الانسان ؛ وهذه الاحوال ، بما تبدو به من تفاوت ، تقوم لا كأساس فقط لتقييم نسبة الذكاء والغباء عند الناس ، بل تقوم فى ضمن ذلك ، كمقياس لتبين درجتهم من التقدم او التخلف ، بالمفهوم العام الذي عليه التقدم او التخلف ! ومن مظاهر التقدم او التخلف العقلي من هذا القبيل ، قدرة الافراد او المجتمع بالتالي ، او عدم القدرة لديهم على اتخاذ الموقف الفكري المستقل ، المتحرر من تبعية الخضوع الاعمى للعادات والمواضعات المتوارثة ، ان اتخاذ الموقف العقلي الصحيح رهين بنوع من التحرر من هذا المعنى ؛ وبقدر ما يكون الفكر متخلفا ، والتصورات المنبثقة عنه ساذجة فطيرة، بقدر ما يصعب تطوير فكر على هذا الفرار ، واكسابه — على الاخص — قدرة التنقل من منطق الاعتياد الاعمى الى المنطق المنبثق عن وعي وادراك وتصميم فكري اصيل ؛ واذا ما امكن احداث تطوير عقلي بهذا المستوى فى حق مجتمع من المجتمعات ، فان ثمرة ذلك لا يمكن ان تنضج فى جيل او فى جيلين ، بل تتطلب مرور دهور واجيال ؛ ونحن نرى فى عصرنا الحاضر ، اجماعا وتضافرا عالميا على احداث تطوير عقلي ما في المجتمعات المتخلفة ؛ ولكن النتيجة المتأتية عند ذلك ضئيلة ، او فى حكم المنعدمة احيانا ؛ اما اذا نظرنا الى مثل هذا الامر من زاوية الحياة العربية الجاهلية ، فاننا نجد افراد المجتمع العربي الجاهلي قد عاشوا على جملة من العادات المتوارثة ، متأصلة عن عوامل مختلفة ، تفاعل بعضها مع بعض ، لتنتهي مع الامد الطويل الى صياغة شخصية الفرد العربي الجاهلي ، على ما نعرفها عليه شخصية « جاهلية » وكفى بهذا الوقف اداة تعبير عن الحالة العقلية التي كان عليها المجتمع العربي قبل نزول القرآن ! ان ابرز ما كان بارزا فى نطاق ذلك المجتمع هو انه كان مجتمع اعراف وتقاليد ، قبل ان يكون مجتمع تعقل او تفكير ، على اي منحى ايجابي جدي يكون عليه التعقل والتفكير ؛ اعراف وتقاليد اجتماعية من كل نوع ، ناشئة فى عمومها عن جملة من الاعراف والتقاليد الفكرية تنطوي بطبيعتها على التغاضي عن اي اعتبار عقلي آخر ، الا اعتبار المتابعة والاحتذاء الاعمى الذي توجبه هذه الاعراف والمواضعات العقليـــة .

ولا ينصرف اهتمامنا فى هذا النطاق الموجود الان ، الى النظر فى اصول وعوامل هذه الحالة ، التي عاش عليها العقل العربي الجاهلي دهورا واجيالا متطاولة ؛ فقد تكون الاتباعية البسيطة ، التي خضع لها فكر العرب فى جاهليتهم الطويلة ، ناشئة عن طبيعة البيئة التاريخية التي حاطت بحياة هذا الفكر ، واثرت عليه بصور مختلفة ؛ وقد تكون هناك عوامل مزاجية او غيرها ، مما كان له اثره فى هذا المقام ، الا ان الذي يعني من كل ذلك، ان الاتباعية عند المجتمع العربي الجاهلي لم تكن تنطوي على اية ملابسة مهمة من ملابسات الاختيار ، وانما كانت اتباعية فكرية « جاهلية » بكل ما يشير اليه ذلك من عدم التبين ، والتثبت واتخاذ الموقف الواعي المستنير ؛ واذا شئنا استجلاء بعض المعطيات التفصيلية مما يتعلق بهذا الامر ، فامامنا كشف طويل جدا ، يمكن على اساسه استعراض الصفات العربية الجاهلية التي لن نستعرضها بالفعل ، لان عرض تفاصيل من هذا القبيل، يضطرنا الى افاضة فى القول ، ليس لها من داع فى هذا النطاق الخاص ، الذي اخذنا به ؛ ولكن ذلك لا يصدنا عن الاشارة الى بعض الصفات القليلة البارزة ، لمجرد تصور الابعاد الهائلة التي تكونت فيها جوانب القضية التي نعرض اليها فى هذا المجال .

اولا — ضيق الافق الفكري ، وقد كان صفة عقلية بارزة فى نطاق المجتمع العربي الجاهلي ، قبل ان يتفتح وعي العرب على هدي القرآن ، وتنضج ملكاتهم فى استيحائهم منه ، وتأثرهم به ؛ والواقع ان شيئا ما لم يصب وحدة العرب وتماسكهم السياسي والاجتماعي بقدر ما اصابهم بذلك ضيق الافق الفكري الذي كانوا متصفين به ؛ ان ذلك الضيق الفكري ، لم يكن يبيح للفرد العربي الجاهلي ، ان يتصور مفهوما موضوعيا لعلاقته بالمجتمع الخاص الذي يعيش فيه ، وعلاقته

في موضوع العلاقة بين القرآن والانسان :

المعجزة المستمرة

للأستاذ المهدي البرجالي

علاقة القرآن بالانسان علاقة وثيقة حقيقة ، يتفق مدلولها مع مدلول الروح التي تتمثل من خلال القرآن ، وهي روح عملية واقعية ، تستهدف التفتيح والتطوير وتحقيق التقدم الانساني على كل مستوياته .

العلاقة هذه بين القرآن والانسان ، هي علاقة ايجابية مثمرة ، بهذا المعنى ! وجانب الايجابية فى هذه العلاقة ، آت من القرآن بطبيعة الحال ، لانه هو الذي خلق بالفعل الاحوال الايجابية المتاتية من علاقته بالانسان ، اما الانسان ، فقد كان فى سلبيته احيانا يصل الى حد التنكر للمضامين الانسانية فى القرآن ، لكن الكتاب الكريم هو من سعة الافق ، بحيثلا يزال بسلبية الانسان حتى يحياها الى ايجابية واعية مثمرة .

المعجزة التي احدثها القرآن الكريم ، بتحويله ، المجتمع العربي الى مجتمع مهتد وهاد ، عالم ومعلم ، خبير ورائد ، واع لابعاد مسؤولية اخلاقية ذاتية توخذ فيها النفس بأشد ما توخذ به نفس مسؤولية وملتزمة ، وواع فى نفس الوقتلابعاد مسؤولية موازية، مسؤولية على نفس المستوى الفكري والاخلاقي ، تتعلق بالاخرين ، ببقية العالم كله ، بكل من هو حي عاقل على ظهر البسيطة ومن يجوز أن يحيا على ظهرها فى كل زمان ومكان ، الى ان يؤول امر الدنيا هذه الى فناء .

المعجزة هذه ، وحيدة من نوعها ، وليس لاي ان يجد لها ، ما يقارنها به ، الا ان يذهب الى التمحل في المقارنة ، والتمنع فى ربط الامور بعضها ببعض ، ومن الواضح ان التكلف فى المقارنات ، ليس من شأنه ان يؤدي الى استخلاص شيء ايجابي وموضوعي وعقلاني من هذه المقارنات .

المعجزة القرآنية من جهة تأثيرها على مجتمع الجاهلية ، وما صنعته فى هذا المجتمع من ظواهر خارقة ، لا يستطاع الاتيان لها بتعليل قائم على حساب المقدمات والاستنتاجات العادية ، هذه المعجزة ، ليس لها ما تعلل به الا انها معجزة وكفى . ولا نستعمل التعبير هكذا بالمفهوم المالوف ، بل والمبتذل ، الذي اصبح له ، مثل ما يقال — مثلا — « معجزة علمية »او « معجزة مالية » او غير ذلك ! ان المعجزة هنا ، المعجزة التي احدثها القرآن فى حظيرة المجتمع العربي الجاهلي، لها كل مدلولها اللغوي الصرف البريء من التزيد

الزمن بعد ذلك متلاحق بعضه ببعض ، واستمرت المعجزة معه ، معجزة القرآن بكل نصاعتها وقوتها وفعاليتها العظيمة ؛ وقد نزل القرآن بين قوم اميين فى الغالب ، فكان مصدر ايحاء عقلي لهم ، وسبب اشراق روحي فى نفوسهم ، اشع عليهم من ينابيعه التي لا تنضب ، فادى الاشعاع الى ما ادى اليه من تهذيب وتقويم وتسديد ؛ وكان ذلك هو المعجزة الكبرى التي ذكرنا من قبل ؛ اما استمرار المعجزة بعد هذا ، فيتمثل بعض منه فيما يلي :

1) جمع القرآن وتدوينه ؛ وقد يبدو هذا الامر من قبيل الاشياء العادية ، او بالاقل من الاشياء غير المعجزية ؛ وذلك نظر من لا يلم بشيء كاف عن طبيعة الامور الواقعة ، ولا يرى القضايا الا من وجه واحد ، بينما لها ، اي هذه القضايا ، اوجه عديدة ومتكاملة ؛ ان جمع القرءان قد مر بادوار مختلفة ، وابتدأ تدوينه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فلما التحق النبي بربه ، وحدثت المواقع التي ادت الى استشهاد القراء ، واهمها موقعة اليمامة سنة 12 هـ كان ذلك داعيا — كما نعلم — الى جمع كل ما كان متفرقا من القرآن فى الرقاع وغيرها ، حيث تم ذلك الجمع باسلوب فى التحدي والتثبت والضبط ؛ وهو معجزة علمية فى حد ذاتها بالنسبة لعقلية اقوام لم تكن لهم فى الاصل بيئة علمية اصيلة ، حتى جاء الاسلام فخلق فيهم هذه البيئة ، وكون عندهم العلقية العلمية التي هي ملازمة لها ؛ ثم كان المصحف العثماني بعد ذلك، سبيلا لاقصاء كل اختلاف فى القراءات بزيادة او حذف وادى الى ضمان الصورة الحقة التي عليها القرآن لما انزله منزله سبحانه وتعالى .

وقد يعجب المرء من هذا التوفيق الذي حالف الاسلام والمسلمين حتى ادى بهم الى ما حفظ لهم الكتاب وصانه من الزيغ والتحريف !! واذا كان للمرء ان يعجب بهذا ويذكره فى ضمن النعم التي اوليها الاسلام والمسلمون فان له ان يعجب اكثر من ذلك اذا وضع فى الاعتبار طبيعة الظروف التي تم فيها جمع القرآن وتدوينه ، وهي ظروف تتميز بامية القوم في اغلبهم ، كما اسلفنا ، ثم تتميز ثانيا بالفتنة التي نجمت عن حرب الردة ، وما كان من الجائز ان تؤدي اليه من تشتيت الجهود ، وتشتيت المصادر الحية التي توجد فى صدورها القرآن ، ثم تتميز ثالثا بانسياح العرب بعد ذلك فى اقطار الارض فاتحين ومختلطين بغيرهم من الامم ، وما كان من الجائز ان يؤدي اليه ذلك من اختلاف فى القراءات ، قد يبلغ مستوى الاختلاف حول الزيادة او النقص فى بعض الآي ، ثم تتميز تلك الحالة رابعا ، بوجود المناوئين والكائدين للاسلام ممن كان من المفروض ان تؤدي مكائدهم الى احداث البلبلة والاضطراب فى حفظ الناس للقرآن ، وهو لما يزل غير مدون فى مصحف نهائي ، كمصحف الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه ؛ تلك كلها حقائق لا بد ان يعيها المرء جيدا ، ليتصور اية معجزة حدثت، فضمنت للمسلمين كتابهم محفوظا ومصونا من العبث الذي اصيبت به كتب اخرى غير القرءان .

2) ان هناك الى هذه الحقائق كلها حقيقة بارزة بالبداهة ، وذات اهمية كبيرة فى الامر ، وهي ان القرآن — بعد ما دون وجمع بين دفتي المصحف العثماني — فان مستودعه مع ذلك ، لم يكن هو المصحف المكتوب فقط ، بل بقيت الصدور مستودعه الدائم الذي لا ينقضي ، وبقي المسلمون احفظ امة لكتابها ، تختلف بذلك عن غيرها من الامم ، التي لا يلم فيها بالنصوص الدينية الا خاصة الاحبار والرهبان ؛ وتلك ميزة للمسلمين ينعكس منها جانب من روح الاسلام الذي هو مشاع بين كل من هو ناطق بالشهادتين ، لا وصاية فيه لاحد على احد الا وصاية النصح والارشاد المتبادل .

3) المجال الواسع ، الذي انفتح امام القرآن لبلوغ رسالته الى مختلف امم الارض ، وذلك بصورته الكاملة المصونة من العبث كما اراد الله سبحانه وتعالى لها ذلك ؛ وهذا جانب آخر من المعجزة التي لها فى الواقع اكثر من وجه ، واكثر من جانب ، وقد كان القرآن ، اساس كل اتصال بين العرب وغيرهم من ذوي الحضارات العريقة او غيرهم من ذوي المستوى الحضاري الاقل ؛ وعند ما كان المتحضرون يدلون بما لديهم من معطيات الثقافة والمدنية ، كان العرب يدلون بالقرآن ، وبما يشمله القرآن من حقائق الاولين والاخرين ، وآداب ونواميس واحكام ، بهرت غير العرب ، كما بهرت العرب من قبل ، وقادت الجميع الى الاخذ بالكتاب الخالد ، والاخذ نتيجة لذلك ، بمضمون الدين الذي يعبر عنه هذا الكتاب الخالد ؛ وقد عجب الناس طويلا من سرعة الفتوح العربية وانتشارها بين اطراف الارض على نحو ما انتشرت به؛ ولابد ان نتذكر بصدد هذا ، انه كان للقرآن فى ذلك ، الاثر البليغ الذي لم يفقه اثر آخر غيره ؛ ولنتخذ من فتح العرب لاقطار المغرب مثالا فى هذا المقام ؛ فقد وجد العرب فى فتوحاتهم بالشمال الافريقي صعوبات فى بداية الامر ، لم يلاقوا مثلها فى عدد من الاقطار التي فتحوها؛

بالمجتمع الانساني في عمومه ، ومن ثم كان فكر العربي الجاهلي في حد ذاته مشكلة مزمنة ، تستعصي — في الاحوال العادية — على كل بادرة تفتيح وتطوير يقصد منها ربط العقلية العربية ببقية العالم ، وجعلها على بصيرة من امرها ، بالنسبة لما هو قائم في العالم من اوضاع ، وما يسوده من قيم وافكار .

ثانيا — هناك صفة عقلية اخرى ، يمكن اعتبارها من مميزات الافراد ثم الجماعة في نطاق الوضعية الجاهلية التي كانت قائمة حينئذ ، وهي صفة سلبية ايضا ، مثل سابقتها ، مع ما ينجز عن السلبية هذه من نتائج سلبية كذلك ؛ والصفة التي اقصد ، هي صفة الحسية ، او المغالاة فيها ، الى القدر الذي لا يترك منافذ تفكير حول ما وراء الحس الا بقدر ضئيل جدا، ومحدود الاثر بقدر كبير ؛ حسية العربي الجاهلي ، كانت انعكاسا لحسية مجتمعه القبائلي العرفي ، وهو مجتمع كان مطبوعا بنتائج هذه الحسية المغالية ، تظهر معالمها عليه في مختلف آفاق حياته ومسالكه في التفكير والتقييم والاستنتاج والسلوك ؛ والواقع ان الحسية في حد ذاتها ، ليست — بالضرورة — صفة نقص فيمن هو موصوف بها ، من ذوي التفكير المادي الحسي ؛ الا ان الحسية لا ينبغي ان تكون مرادفة لمعنى الانغلاق الذهني ، حتى لا يكاد المرء لا يتبين من الحياة، ومن آفاقها الا ما يحيط به ، او بعض ما يحيط به من كيانه البدني او الوجود المباشر الذي يلامسه ، وذلك — اذا ما كان في صورته العادية ، فهو شأن الافراد في بداية — تكون مداركهم ، حتى اذا تكونت هذه المدارك استوى هؤلاء الافراد ، عقولا حساسية مستبطنة ، تلمس من الوجود المباشر حقيقته الماثلة ، ولكن تتحسس له وراء الحقيقة الماثلة منطوياته المعنوية العديدة ، وآفاقه المجردة ؛ ومن الملحوظ ، ان ارتقاء الافراد على هذا المستوى — يسير — في الاحوال الطبيعية على حسب مراحل العمر طفولة ورشدا ؛ لكن مجتمعا كالمجتمع العربي الجاهلي ، لم يستطع ان يتخلص من طور الطفولة ، كما ذكرنا ، فبقي فكره متلبسا بها ، لا يستطيع ان يتجاوز نطاق الحسية الضيقة ، على الرغم من انه كانت تبدو عليه بعض الميول المترفعة — نوعا ما — كغرامه بالبلادغة والفصاحة، وشغفه بالصور المعنوية من هذا القبيل ؛ لكن هذا الميل كان محدود الافق هو بدوره ، كمحدودية افق الفكر العربي بعمومه ، الامر الذي كان يجعل من الصور البلاغية في كثير من الاحيان مجرد وسيلة تعبير عن نوازع الحس ، وابسط انواع الميول والغرائز التي لا تخضع لانضباط عقلي مهذب وقد انبنى على « حسية» الفكر العربي الجاهلي ، وعجزه — في الكثير — عن التسامي الى آفاق اكثر رحابة من مجرد لمس ظواهر الوجود المباشر — انبنى على ذلك ان غرق العرب في نوع من الوثنية ، يعد من اكثر الوثنيات حسية ومادية، كما تدل على ذلك قصص العرب وصور حياتهم قبل ظهور الاسلام ؛ وتلك الوثنية ، قد جعلت من الفكر العربي ، فكرا غير قابل للتفتح على عالم المعنويات الا بالقدر الذي لا تؤدي فيه هذه المعنويات الى تربية جذرية للعقل ، وتعميق لمعطياته ؛ وقد عاش الاغريق قبل ذلك تجربة التفكير الميتافيزيقي ، متغلغلين به الى درجات بعيدة ، ولكن محدودية التفكير الانساني وضعفه الطبيعي ، لم يمكن الفكر الاغريقي نفسه ان يصل — في موضوع العلاقة بين الدين والانسان — الى اقرار صورة اخرى غير تلك النظرة الى الالهة الخرافية التي تعكس عند متخيليها سذاجة ملحوظة في التصور والادراك ، تتفق مع طفولة الفكر الانساني ونقص عوامل النضج — بالتالي — فيه ؛ اما المجتمع العربي الجاهلي ، فقد كان في تصوراته ومداركه لا يقل سذاجة في التصور والادراك ، وخرافية بالنتيجة لذلك ؛ الا انه يبدو اكثر ايغالا في الحسية ، وعدم القدرة على التجريد ، تبعا لما اتسم به ذلك المجتمع من ضيق افق عقلي ، وما كان عليه من تقوقع فكري عازل ، الامر الذي لم يكن يسمح له ان يتجاوز حدود البيئة الوثنية التي كان ملتصقا بها ، وهي وثنية مغالية في الحسية الى درجة السذاجة الصبيانية كما اسلفنا .

* * *

من هذا المنظور — ولو اننا لمحنا له مجرد تلميح عابر فقط — يمكن ان نتبين مظاهر المعجزة التي حدثت والتي تتمثل في ان مجتمعا على هذه الصورة المتخلفة جدا ، قد تحول في وقت وجيز — وبصورة لا يستطاع تعليلها بمقاييس التعليل العادي — قد تحول فعلا من الصورة التي رأينا الى صورة مناقضة لها تمام المناقضة؛ وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم اساس التحول لهذا ، بطبيعة الحال ، ولم يكن للرسول في كل ذلك ، وسيلة اكثر فاعلية واضمن نتيجة ، من هذا القرآن الذي هذب وهدى ، وعالج فشفى واحدث — على اضخم صورة موجودة — التحول المعجزي الذي سجلته المراحل الاولى للدعوة ، وقد كانت تلك المراحل باتة حاسمة في حد ذاتها ، لم تفتقر الى زمن طويل ، لكي تنضج عواملها ، وتتوافر لها فاعلية كاملة ، واستمر

سبيل القراءة والكتابة والعلم (سورة القلم) وما فتئت السور تتوالى بعد ذلك ، تتضمن فيما تتضمنه دعوة الى العقل والمعقولية ، وافادات عظيمة في شتى اغراض العلم والمعرفة ، الامر الذي كان له التاثير المعجزي على العرب في الصدر الاول كما اسلفنا ، واستمر هذا التاثير المعجزي بعد ذلك كما نتبين ملامح منه فيما يلي:

1) تكونت في غضون دولة الخلفاء الراشدين، واثناء الدولة الاموية الى نهايتها ، بذور حركة علمية ، هي التي نمت فيما بعد ، وترعرت الى ان تبلورت في شكل الحضارة العربية الاسلامية ، على ما نعهدها عليه من ناحيتها العلمية ؛ وقد كانت هذه البذور خلال القرن الاول واوائل الثاني كانت اساسية وحاسمة في الامر ، بحيث انه كان على اساسها اتجاه الحركة العلمية ، ومصيرها فيما بعد ؛ غير ان الذي يمكن ملاحظته بهذا الشأن ، هو ان هذه البذور بكل ما لها من اهمية في اتجاهات الاحوال ثقافة المسلمين وحضارتهم، فقد كان العامل الكبير فيها اي في هذه البذور ، هو القرآن الكريم ، وما فرضه من مقتضيات عقلية وعلمية، وجهت المسلمين بالضرورة وجهة البحث والاطلاع ، وانفتح لهم من ذلك المنفذ الذي قادهم على المدى الطويل ، الى بناء ما ابتنوه من جهاز علمي قوي وشامل ، فقد وجد المسلمون منذ البداية ــ ان هناك ضرورة ملحة لتقعيد قواعد التشريع في الدولة ، بعد ان صارت ــ اي الدولة ــ جامعة لامم واجناس ، لابد ان ينتظمها تشريع منظم وشامل ، يستوعب قضاياها الدينية والدنوية وهي قضايا يتخذ بعضها صبغة المتشاكل في كثير من الاحيان ، نظرا لتشعب الاتصالات وتداخل الثقافات والحضارات في كيان الدولة الاسلامية التي كان عليها ان تهضم كل ذلك ، وتستوعبه وتضع الاساس الديني والدنيوي الاسلامي ، البديل عنه ؛ ولا شك ان تقعيد التشريع ، كان اساسه النظر في القرآن ، وهذا النظر قد جعلت منه دواعي الحاجة العلمية والعملية ، جعلت منه نظرا متشعب المناحي ، كثير المقتضيات ، ذا صلة بمختلف ضروب المعرفة الموجودة ، والتي كان من اللازم ان توجد ، وهكذا كان النظر في القرآن داعيا للنظر في لغة العرب ومنطوياتها اللفظية والمعنوية ، وداعيا للنظر في القصص والتواريخ والايام ، وداعيا للنظر ايضا في الحديث وفنونه ورجاله ، ثم كان حافزا بعد ذلك على النظر في الفلسفة والمنطق والجدل ، وغير ذلك من العلوم التي ارتبط النظر فيها بعضه مع بعض ، وكانت نقطة الانطلاق في كل ذلك هي القرآن ، وكان في ذلك تكريس لمعنى العلمية والعرفانية المرتبطة بكتاب ، نزل اول ما نزل بذكر القراءة والعلم والقلم .

2) التيار العلمي الذي خلقه القرآن في كيان المجتمع العربي الاسلامي ، لم ينحصر ــ كما قد يبدو عند النظر السطحي ــ في خصوص المواضيع الدينية واللغوية والفلسفية والتاريخية وما في حكمها ؛ لقد اتجهت اهتمامات المسلمين ايضا الى العناية بالعلوم المادية المختلفة من طب وطبيعة وكيمياء وغيرها ، ويجب اعتبار الصلة الرابطة في هذا المجال ايضا بين القرءان ، واتجاهات المسلمين من هذا القبيل ؛ وتبرز لنا من هذا المعنى نقطتان : (أ) وجود عدد من السور متضمنة مسائل من العلم المادي من طب وحيوان وفلك وغيره ، ولا بد ان تكون الرغبة في تفسير مثل هذه الآيات العلمية داعيا الى التوسع في بحث المضامين العلمية التي تشير اليها ، الامر الذي من شأنه ان يوجه الاهتمامات الى العلوم المادية المختلفة ، كما توجهت اليها هذه الاهتمامات بالفعل ، خصوصا وقد تهيأ للعرب اتصال مبكر ببعض المصادر الحية لهذه العلوم ، كالطب ، مثلا ، فقد توافرت الروايات القائلة انه وجد في البلاد عدد من الاطباء النصارى واليهود عماوا لفائدة الخلفاء ، وقد افاد العرب منهم في البداية عمليا ، ثم كانت الاستفادة النظرية التي ادت الى معرفة علمية مستقلة بالطب وغيره ، اكتسبها العرب ، وخصوصا بعد ان نضجت ملكاتهم العلمية بالقدر الذي نضجت به خلال القرون التالية للقرن الاول الهجري .
(ب) هناك بالاضافة الى السور والآيات العلمية التي تضمنها القرآن ، آيات اخرى ــ وهي كثيرة ــ تشتمل في مضمونها على توجيه الى العلم وحث على النظر في الحياة والطبيعة ، وكل ذلك له ــ بطبيعة الحال تأثيره الفاعل في اذهان قوم ، يوجد القرآن مصدر توجيههم الاول والاخير ، ومكمن استيحائهم ، ومورد تكييفهم العقلي ، على نحو ما تم عليه ذلك التكييف العقلي .

وهناك قضية اخرى جديرة بالالتفات اليها في موضوع التأثير القرآني خلال العصر التالي للصدر الاول ذلك هو ما تم منذ القرن الاول ، والذي يليه ، من انصهار الكثير من افراد الشعوب الداخلة حديثا الى الاسلام في مضمار الثقافة الاسلامية العربية ، وبالاخص بروز عدد من افراد الامم المختلفة (اي الموالي) في نطاق الثقافة الاسلامية العربية ، كعوامل فعالة منتجة ، بل وكرواد مبدعين ، ياتون بمثل ما اتى به العرب في حظيرة الثقافة المشتركة بين الجميع ،

ونعلم ان البربر قد تأرجحوا بين الاستسلام للفتح العربي والتنكر له امدا طويلا ؛ والتعليل الذي يورد في العادة لتفسير هذه الظاهرة يتلخص في أن البربر لم يكونوا يعلمون في البداية من امد الدعوة ومحتواها الفكري والاخلاقي ما يجب أن يعلموه ، ولعل الكثير منهم لم يكونوا يرون في الانسياح العربي باقطار المغرب الا انه مجرد عملية غزو وافتتاح وكفى ؛ بيد ان طول احتكاك البربر بالعرب ، واستمرار الوجود العربي بامصار المغرب ، قد ساعد على تفتيح اعين البربر على ما يجب ان يفتحوا اعينهم عليه ، وتبين لهم اخيرا ان الامر ليس امر حرب او غزو ، بقدر ما هو امر حركة تحرير وتقويم وتطوير ، عليهم ان يندمجوا في تيارها ، لصالحهم هم ، قبل ان يكون لصالح غيرهم ، بل عليهم ان يحاولوا امتلاك زمام التيار هذا ، ويضبطوا حركته القوية الغامرة ، ويتبينوا جيدا مواقع اقدامهم منه وموقفهم فيه ، حتى يمكنهم ان يصبحوا من مالكي عنانه ، وموجهي دفته ، لا ان يكونوا مجرد مسوقين ، لا يدلهم في الامر ولا تدبير ، وكان عهد موسى بن نصير بالمغرب حاسما في هذا المعنى ، حتى اصبح البربر بعد ذلك — بفضل الاقتناع الذي لهم بالاسلام — بمثابة خط الدفاع الاول عنه ، وفي مقدمة الركب الذي يرود له الافاق الجديدة بالاندلس وغيرها ؛ وقد كان القرآن مادة الاساس في كل هذه التحولات التي وقعت ، وضامنا نتيجتها على النحو الذي حصلت به هذه النتيجة ، اذ ان القراء والفقهاء من العرب ، كانوا قد انتشروا على عهد موسى بن نصير بين القبائل البربرية يعرفون رجالها نصوص الكتاب الحكيم ، ويتدارسون معهم آياته واحكامه ، حتى تم على اساس ذلك التفهم البربري بأكثر ما يكون متانة وعمقا لحقيقة الدعوة ، وحقيقة الكتاب الذي يعبر عنها ؛ وادى هذا التفهم كما ذكر — الى ما اصبح عليه الامر بعد ذلك من شديد الصلة بين البربر والاسلام ، والتحامهم بالقضية الاسلامية ، الالتحام الذي افضى الى ما هو معروف من اصالة المركز الاسلامي بهذه الديار ؛ وما سقناه عن المثال المغربي ، ينطبق على كثير من الحالات الاخرى من هذا القبيل في غير المغرب ؛ فالقرآن كان بين ايدي العرب ، وسيلة مهمة جدا في تعبيد السبيل امامهم نحو الامم الاخرى ، وتبليغ الدعوة اليها ، واقناعها بان امامها حالة جد ايجابية معروضة عليها ، وتتطلب منها حسن اختيار ، وحسن ممارسة لما تختار ؛ وتلك ظاهرة نفسانية ، من بين اكثر ما هو معروف من ظواهر النفس ، واعراض ردود الفعل النفساني ؛ فالشعور عند الجماعة كما عند الافراد ، بان هناك مجرد حالة مهاجمة لهم ، تستهدف اكتساحهم وابتلاعهم لمجرد الاكتساح والابتلاع فقط — مثل هذا الشعور داع بطبيعة الحال الى اثارة شعور ملازم هو شعور رد الفعل ، وتحريك عوامل رد الفعل هذا على نحو عملي ؛ وليس هناك ما يخفف من شدة رد الفعل الذي ذكرنا ، ويجرده من صبغته كبادرة مقاومة ، او محاربة ، الا الشعور الذي قد يجتاح الجماعة ، ان الامر الذي تواجهه ، ليس هو امر تهديد بالاكتساح لمجرد الاكتساح ، وانما هو حركة التقاء فكري وحضاري ، المراد منه التفاهم على الحسنى ، والتضافر على اقامة موازين للحق والعلم والخير ، موجهة لصالح الجميع ؛ وذلك ما بدا فعلا للمجتمع البربري الذي كان دائم الانتقاض على العرب ، فاذا بهذا المجتمع وسورة الانتقاض تخفت عنده الى النهاية ، فيما تلتهب في نفس الانسان بهذا المجتمع حمية من نوع معاكس ، حمية من اجل القرآن ، لاخد حاملي رسالة القرآن ؛ حمية جعلت من البربر عماد البعثات الفاتحة في شبه الجزيرة الايبرية والاقاليم الاوربية الواقعة منها الى الشمال ؛ واهلتهم — على اساس ذلك — لتحمل رسالة في التاريخ ، هي رسالة تحقيق الاسلام الاوربي الغربي ورعايته لمدى قرون .

* * *

واستمر الزمن بعد ذلك ، متلاحق بعضه ببعض ، واستمرت المعجزة معه ، معجزة القرآن ، بكل نصاعتها وقوتها وفاعليتها العظيمة ؛ وقد انقضى القرن الاول على المسلمين ، وبدا القرن الثاني ، والرسالة القرآنية قد بلغت من آفاق الارض حدودا بعيدة جدا ، سواء في الشرق او في الغرب واتخذ الموقف العربي صورته المتبلورة ، التي تتمثل في وجود مواطىء قدم للعرب جملة الرسالة القرآنية على ربى الشام والعراق وفي جبال افريقيا والاندلس ، او على هضاب فارس وما جاورها ، او غير ذلك من مواقع الارض الافريقية او الاسوية او الاوربية .

وهذه الصورة المتبلورة في النطاق المادي ، كان لابد ان توازيها صورة متبلورة اخرى على مستوى الفكر والعلم والحضارة وما يتصل بذلك ؛ ولم يكن القرآن غائبا في هذا المجال ، كما لم يكن غائبا في غيره من المجالات الايجابية الخيرة ؛ والكتاب الكريم — كما نعلم .. نزل اول ما نزل — على اساس الدعوة الى

ما جاء في هذه الآية او الاخرى من القرءان ؛ فالواقع ان الجري وراء مواطن التطابق بين القرآن والعلم شـيء غير ضروري دائما ، لتأييد مضاميـن القـرآن ؛ لان الكتاب الكريم هو قيمة ابدية خالدة ، وليس العلم كذلك ، لانه وليد التجربة المنبثقة عـن الحـس ، او ناشيء عن جملة من المحاكمات العقلية ، وكل ذلـك قابل لان ينقض بعضه بعضا او يعدل بعض منه الاخر ، كما يقع ذلك في الكثير من الاحيان ، ضمن تأرجحات العلم وتبلوراته الدائمة ؛ انما الذي نقصد من موقـف القرآن من تحديات العصر، ان هذه التحديات لم تستطع ان تجرد النفوس من الحاجة اليه ، كوسيلة استنارة واستعلام واهتداء ؛ اضف الى ذلـك ، ان المقاصـد الانسانية في القرآن ، ما زال الحال يكشف عنها انهـا اساس ـ وليس من اساس بديل عنه ـ لبناء علاقات صحيحة ودائمة ، فيما بين المرء ونفسه ، وفيما بين الافراد بعضهم مع بعض داخل اطار المجتمع الخاص ، او ضمن نطاق المجتمع الانساني العام ؛ ولا نطلق مثل هذه التأكيدات من قبيل التعصب للمذهب الديني ، او مسايرة الآراء حوله ، وانما هي خلاصة تجربـة فكرية خالصة ، ونتيجة مشاهدات ومحاكمات عقلية توصل اليها ـ بالضرورة ـ كل من يعمل النظـر في مضامين القـرآن من جهـة ، وفي مشكلات العصـر الانسانية من جهة اخرى .

3) وليس من الضروري ان يقـف القـرآن موقف الرد على التحديات وكفى ، وانما هناك اساس ـ وهو معقول جدا ، وضروري جـدا ـ لكي يـؤدي المسلمون برسالة القرآن اليوم ، مثل ما اداه القرآن من رسالات نحو المجتمعات الانسانية في العصور السابقة؛ ان ازمة العالم اليـوم ، هـي ازمة الحيـرة والشـك والخوف من المصير ، وليس للتقنية ما تستطيعه لضمان اطمئنان انساني ، في هذا المجال ؛ وقد تنكر العلـم المادي للفلسفة طويلا ، وهو الان بصدد الرجوع اليها؛ الملاءمة بين الحقائق الماديـة المتطـورة في محيطـه ، والمقتضيات الانسانية التي لم تستطع التكيف مـع الواقع التقني في كل احواله وصوره ؛ ولا يستطيـع المرء ان يتصور وجود انسانية ، تقوم حياتهـا علـى اعتبارات الآلة والتحريك الآلي والانجاز التقني دون ان يبدو من ذلك للانسان افق معنوي واضح ، يبرر له وجوده الانساني من اساسه ويعطي للوجود والمصير مسوغا مقبولا في العقل ، متلائمـا مع الوجـدان ؛ ان للانسان في القرآن ، كثيرا مما يستقيه في هذا المجال؛ وليس امام المسلمين ، لكي يضعوا مفاتيح الافادة من القرآن بين يدي انسانية محتاجة الى هذه الافـادة ؛ ليس للمسلمين ، من اجـل ذلك الا ان يعرفـوا كيف يعرفون غيرهم بالمضامين الانسـانية في القرآن ، وكيف يفتحون على ذلك اعين انسانية حائـرة في امرهـا ، لا تكاد تعرف لها مصيرا واضحا .

سـلا : **المهدي البرجالي**

« وكلما تفرق المسلمون شيعـا ، وذهبوا طرائق قددا ، وخذل بعضهم بعضا ، وتنكروا للمبادىء القويمة التي قـام على دعائمها صرح نهضتهم المنيف ، وشامخ مجدهم التليد وجد العدو ـ المتربص بهم الدوائر ـ الى صفوفهم مدخـلا ، والـى قلوبهم سبيلا » .

جلالة الحسن الثاني

ويذهب بعضهم مذهبا اكثر تغوقا ، فياتي باكثر مما اتى به مماثلوه من العرب الاقحاح ، وقد برز من بين الموالي فى رواية الحديث اعلام من مثل مجاهد ومحمد ابن مسلم ، وعطاء وعكرمة ، وعرف من كبار النحويين، مثل سيبويه والفارسي والزجاج ، واشتهر من الفقهاء وغيرهم عدد مثل ذلك كثير ؛ وبطبيعة الحال ، فان النظر الديني — واساسه القرآن — كان داعيا مباشرا او غير مباشر لذلك ، فقد التقت — فى هذا المجال — نفسية التشبع بروح الاسلام عند هؤلاء الموالي ، وعقلية علمية منتجة ، متوافرة عندهم فى الاصل ، فكان تفاعل ذلك فى عقولهم ، اساسا لما اتوا به من مبادرات منتجة ، اهلتهم لما تأهلوا له فى نطاق العلوم الدينية ، وما يتصل بها ؛ ولو لم يكن الداعي الديني — القرآني اساسا فى هذا الشأن لكان نبوغ الموالي موجها الى حملة من العلوم الدنيوية التي ورثوا الاحتكاك باصولها في بيئاتهم الاولى ، غير الاسلامية ، ولما كان لهم بالتالي مثل هذا النبوغ الذي ابرزوه فى حظيرة العلوم الدينية، التي انشأها الاسلام ونمى رصيدها بروحه ومقتضياته؛ والمهم فى هذا الامر من اساسه ، ليس هو مجرد المشاركة العلمية من قبل هؤلاء الموالي ، فى مضمار الثقافة العربية الاسلامية ، وانما المهم — اكثر من ذلك — هو ما تشير اليه هذه المشاركة من انصهار الفكر العجمي والعربي ضمن بوتقة واحدة ، واندماج العجم فى حركة ثقافية عالمية ، تقوم على اساس من لغة العرب وادبهم ، وترتكز على القرآن الذي تعبر عنه هذه اللغة ، وما يرتبط بالقرآن من علوم وفنون تشعبت الى هنا وهناك ، مع ان نقطة انطلاقها واحدة كما ذكرنا ، وهي القرآن المجيد .

* * *

واستمر الزمن بعد ذلك متلاحق بعضه ببعض ، واستمرت المعجزة معه ، معجزة القرآن بكل نصاعتها وقوتها وفاعليتها العظيمة ؛ وفى عصرنا هذا ، عصر اصطراع المذاهب والنظريات الوضعية ، وتصادم الاتجاهات والنوازع الفكرية ، وتنكر الكثير من هذه المذاهب والنوازع لامد الروح وما تدعو اليه الاعتبارات الروحية من مثاليات حسنة ؛ فى هذا العصر ، وما يصطرع فيه من اضداد ، يبرز القرآن الكريم ، كما كان منذ اربعة عشر قرنا ، وكما لابد ان يكون — الى قيام الساعة — كتاب هداية لمن اضلته المسارب المظلمة فى الحياة ، ومصدر اشراق لمن غمت عليهم الآفاق ، ومنبع ايحاء لمن ايسوا من نجوع وحي العقل المجرد ، واقتنعوا انه غير موصل الانسانية — بمفرده — الى اقوم طريق — وان كان قد اوصلها الى مركب شديد التعقيد من الانجازات التقنية مشكلة الانسان الآن ، انه قد ابتدعها دون ان يستطيع السيطرة عليها ، وكونها من غير ان يكون له فى المصير المؤدية اليه ، قدرة اشراف كاف ، او مراقبة فعالة ؛ فى هذا النطاق، نطاق هذا العصر ، نستطيع ان نتبين بعضا من اوجه العلاقة بين الانسان الحاضر والقرآن ، وان كان نظرنا فى هذه العلاقة ، غير مستوعب وانما هو من قبيل التمثيل لا غير ؛ ثم انه منبثق على معطيات موضوعية، واخرى محتملة فقط ، او فى حكم الاحتمال .

ان من ابرز الخواص التي يتميز بها القرآن في يوم الناس هذا ، انه — من بين الكتب السماوية كلها — لا يزال الاكثر احتفاظا بالخطوة عند قومه من المسلمين، ينبع ذلك من عظيم الصلة بين القرآن والانسان ، وليس لاي عامل مضادان يرد موجبات هذه الحظوة ، او يقلص منها بالقدر الذي لا يعود لها فيه فاعلية حية وقائمة ؛ ولا يقصد بالحظوة هنا مجرد الشعور بالتقديس نحو الكتاب ، وانما المراد — اكثر من ذلك — ان الكتاب ما فتىء يتوافر له — وباستمرار — مجال يومي فى اذهان الناس بالعالم الاسلامي ، وفى حياتهم العامة ، بالقدر الذي لا يتوافر للكتب السماوية الاخرى فى حياة المنتمين اليها ؛ فالانجيل لم يعد فى الاعم الغالب الا كتاب خاصة الرهبان والقسيسين، وليس للعموم المسيحي علم به ، بقدر ما للعموم عند المسلمين ، ولا تختلف التوراة عن ذلك كثيرا ، علاوة على ان الديانة التي تعبر عنها التوراة ، ديانة تعيش فى نطاق محدود جدا ، وليس لها من مجالات التفتيح على العالم ، ما للقرآن ، والديانة التي يعبر عنها القرآن .

الديانات تواجه من تحديات العصر ما لم يسبق له مثيل من قبل ؛ والتحديات ضد الديانات ، تدخل فى اطار التحدي الذي يوجهه المنهج العلمي المادي ضد جميع القيم والمواضعات التي لا تدخل — بالضرورة فى نطاق التجربة الحسية ؛ وهذه التحديات الموجهة للديانات ، توجه بطبيعة الحال الى الكتب السماوية في ضمن ذلك ؛ بيد ان الذي يلحظ بهذا الشأن ، ان القرآن الكريم ، قد سجل من التفوق قدرا باهرا في مضمار الوقوف ضد التحديات العقلية والتجريبية التي يواجهها منطق العصر وعقلانيته فى مثل هذه الاحوال ؛ ولا اقصد بذلك ، ما يذكر احيانا من كون آيات معينة من الكتاب ، تنطبق على قضية كذا وكذا من قضايا العلم ، او ان قضايا العلم تتفق مع مضمون

ذكرى نزول القرآن :
درس ... وعبرة

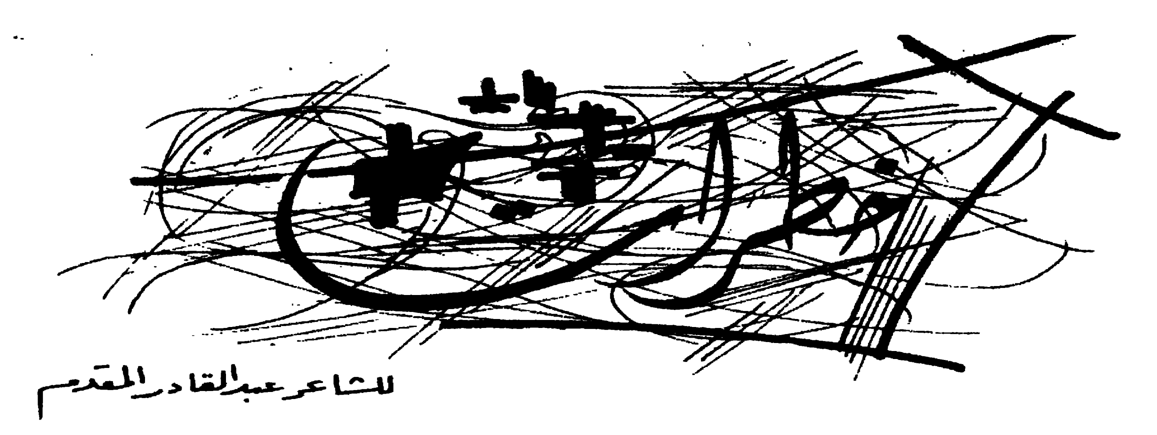
للأستاذ عبد العلي الوزاني

تستمد كل ذكرى قيمتها ، من قيمة الحدث الذي ترمز اليه ، وتستمدها من مدى احساس الناس باهمية ذلك الحدث ، وما قد يكون له من خطر في تاريخ حياتهم . فعظمة الحدث ، فى حد ذاته ، لا تغني عن الوعي به وتمثل معانيه ، والنفوذ الى اعماقه البعيدة . بدليل أن كثيرا من الاحداث القوية الاثر في تاريخ الناس ، قد تمر مناسباتها دون ان تحاط بما هي اهل له من احتفاء واهتمام ، ذلك لان الوعي بها ضعيف او هو مضمحل على الاطلاق .

ومما لا شك فيه ، ان شعور الامة بأمجادها وبطولاتها ومدى مساهمتها فى حضارة الانسان ، يعتبر دليلا على تنبهها لشخصيتها وحرصها على استمرارها على مدى العصور والاجيال . ومن ثم فهي تعمل بمختلف الوسائل ، لتجعل من ذكرى احداثها التاريخية البارزة ، حقيقة تعيش فى وجدان الفرد والجماعة ، فتسخر لذلك وسائل الاعلام ، واجهزة الثقافة ، وتجعلها ضمن كتب الدراسة ، وتقيم لها من المهرجانات الدورية ، ما يزيدها فى نفوس الناس رسوخا وتمكنا ، حتى تضمن استمرار تمجيدها والشعور بأهميتها لدى الناشئة والجيل الصاعد ، الذي يهيأ عن طريق التربية المنزلية والمدرسية والاجتماعية والسياسية ، لنقلها بكل معانيها ومغازيها الى الجيل الذي يليه .

وليس الاحتفال بهذه الذكريات القومية متعارضا مع مقتضيات التطور والتقدم والتطلع الى المستقبل ، كما قد يتبادر الى اذهان البعض ، وانما هو عمل من شأنه المحافظة على شخصية الامة ، لاستمرارها وتجددها وتطورها ، وشخصية الامة لا تتكون من الحاضر فقط ، وانما هي مكونة من الماضي والحاضر والمستقبل ، واستطيع القول ، بان الامة كلما كان وعيها لشخصيتها أكثر عمقا واقرب الى الصحة ، كلما الزمت نفسها الا تتخذ من الاحتفال بالذكريات ذريعة للمكوث فى الماضي والاستغراق فيه ، وانما هي تعود اليه لتأخذ ما هي فى امس الحاجة اليه من قوة دافعة ، تدفع بها فى طريق التطور، وتهبها الثقة بالنفس لاقتحام المجهول ، والسير الحثيث فى مضمار الحضارة ، خصوصا اذا نحن اقتنعنا بان من الاحداث الماضية ما لا تكون قيمته محدودة بحدود الزمن الذي وقع فيه ، وانما هو حدث خالد ، ما تفتأ آثاره تتجدد جيلا بعد جيل ، ولا يكون مضي الزمن بالنسبة اليه ، الا فرصة لابراز ما له من قيمة خالدة ، تترى آياتها على مر السنين والاحقاب .

وكل امة مهما كانت مساهمتها فى بناء الحضارة، الا ولها عدد من الذكريات العزيزة عليها ، الاثيرة عندها، والتي تعود بها القهقرى ، الى فترات من تاريخها البعيد او القريب ، لتعيش حدثا عسكريا ، او اقتصاديا ، أو او سياسيا او دينيا ، ذلك ان البناء السياسي للامة لا يمكن ان ينهض وان يستمر ، دون مجابهة عدد من المصاعب والازمات ، التي تقف فى معارضة شخصية الامة ، وتخضعها لامتحان قد يكون عسيرا او بالغ العسر . اذ ان عملية البناء ، بناء الامة ، لا يمكن ان يكون موكولا الى مجرد الظروف والمصادفات ، بل لابد من وجود الزعامة الحية ، والقيادة الواعية ، للخروج بالجماعة من حالة الفوضى والانحلال ، الى حالة التجمع والتكامل والتعاضد ، قصد بناء شخصية لها طابعها ومميزاتها . ومن المعلوم ان ظهور الزعامة الوطنية لابد ان يواجه قوة اخرى معارضة ، قد تكون هذه القوة عدوا فى الداخل او الخارج ، وقد تكون هي التخلف نفسه ، وقد تكون قسوة الطبيعة ، او خرافات تعيش فى ادمغة الناس، او غير ذلك . ومقاومة



للشاعر عبد القادر المقدم

اشرق الكون بعد عهد غائم　　وتراءت آي الهدى فى علائم
السماوات أولمت فى ابتهاج　　تنفح الارض من كريم الولائم
ذاك جبريل جاء يحمل بشرى　　للنبي الامي حر العزائم

* * *

اقـ ا المصطفى نزيل حراء　　بعد جهد ، والوحي سر العظائم
وتوالت على النبي شئون　　هي ادهى من كل هول حائم
هب فى قومه نذيرا ، ويا ما　　كان للرسل قبله من لوائم
فانبرى منهم ، يناويء مسعاه　　خصوم غلف القلوب سوائم
كم سفيه من اهله يعلن البغضاء　　تغريه في اذاه سخائم
وتباروا في النيل من دعوة القرآن　　يحدوهم ، جحود دائم
واذا الوحي في تصد الى ما　　بيتوا ، من مكايد وجرائم
يكشف السر عن نواياهم ، السود　　ويعلي للمكرمات الدعائم
يتحدى اولي الفصاحة ان ياتوا　　بشبه من آيه بالملائم
يتحدى العقل السليم بأسمى　　من عجيب البرهان من كل رائم

* * *

واستوت للقرآن دولة عز　　تتحدى قياصرا بالعزائم
واتاحت للعقل فجر حياة　　تتلاقى فيها صنوف الغنائم
هبة الشرق للمغارب من قبل　　ومن بعد ، ماتوالت غمائم
لغة العرب خصها الله بالفرقان　　اكرم به كتابا دائم

* * *

ليلة القدر هذه أكمل الله　　بها نعمة على كل صائم
نحتفي بانتهاء قرن سلام　　رابع بعد عاشر كالتوائم
في ابتهال لله ان يحفظ العرش　　ويعلي امامنا في الكرائم
ولتدم للولي اغلى حياة　　في امتداد الاعمار ، والدهر نائم

* * *

خطرات اتاحها عظم الذكرى　　فرنت ، كما ترن حمائم

طنجة ـ عبد القادر المقدم

يحتفل بذكرى نزوله فقط ، ولكن لان هذا الاحتفال جاء ونحن فى امس الحاجة اليه ، لعله يرمم ما تداعى من كياننا ، يجمع ما تشتت من صفوفنا ، ويذكرنا بعزنا القديم ، ومجدنا التليد .

2) ان الشباب العربي اليوم ، قد فتن فتنة كبرى عن دينه ومقدساته وضعف وازعه الديني ، واصبح بفعل عوامل كثيرة خاضعة للتيارات والمذاهب الفكرية والفلسفية الهدامة ، غير مفرق بين المعرفة التي يجب الا تعرف الحدود ، وبين المحافظة على الكيان الديني الاصيل ، وما ذلك الا لان المذاهب صادفت فيه فراغا روحيا وعقائديا ، بسبب عدم تجدد الدراسات الدينية ، وعدم مسايرتها لروح العصر ، فى اغلب البلاد العربية ، واكتفاء جل علماء الاسلام بالوعظ والارشاد ، وهو اسلوب اذا كان فيه من نفع ، بالنسبة الى العوام من الناس ، فهو عديم الجدوى بالنسبة للشباب الذي التقى بأحدث النظريات العلمية الحديثة، بمناهجها وطرقها الدقيقة ، الامر الذي جعله غير مستعد لتصديق كل ما يلقى اليه . هذا الفراغ الروحي الخطير ، اسرع بشبابنا العربي الى الارتماء فى احضان مادية الغرب ، متشككا فى دينه وعقيدته ، فلعل الاحتفال بهذه الذكرى المجيدة ان ينبهه الى واجبه كشباب مسلم ، ينتمي الى امة مسلمة ، فيذوذ عن دينه ، مستخدما ما توصل اليه من علوم حديثة ، وما كونه من تفكير علمي ، فى دراسة هذا الدين ، والبحث عن اسرار عظمته ، ومن يدري ؟ فلربما كان من نتائج ذلك وجود تلك الحلقة المفقودة حتى اليوم . فنحن اذا نظرنا نجد ان المثقفين المسلمين قسمان : قسم له اطلاع واسع على الدين ، بتشريعاته واحكامه ومقاصده ، ولكنه غير مزود بقدر كاف من الثقافة العلمية الحديثة، الامر الذي يجعله غير قادر على الملاءمة بين المواضيع الدينية التي يتعرض لها ، وبين مناهج العلم الحديثة ، فتجيء كتاباته غير مقنعة للجيل العربي الجديد المتعلم ، ولا مفحمة لخصوم الاسلام الاجانب . وقسم نهل من ينابيع المعرفة الحديثة ، فى الطب ، والاقتصاد، والعلوم الطبيعية ، والرياضيات وغيرها ، ولكنه لم يحاول حتى الان استخدام عقله العلمي فى معرفة دينه ودراسته على اسس علمية صحيحة ، ولا اقصد بهذا طبعا تطبيق مناهج هذه العلوم حرفيا على الدراسات الدينية ، فمما لا شك فيه ، ان المناهج تختلف باختلاف العلوم والفنون ، وانما المراد هو ان تكون الدراسات الدينية قريبة من المناهج العلمية الحديثة ، مسترشدة بروحها لا بحرفيتها .

3) التنويه بهذا الكتاب المعجزة ، الذي قوى على البقاء ، كل هذا العديد من السنين ، بالرغم مما تعرض له المسلمون من نكبات ، وما اصابهم من نكسات ، فى ادوار من تاريخهم الوسيط والحديث . وبقاء كتاب هذه العقود الطويلة من السنين يقرا ويتلى، ويدرس ويعلم للناس ، ليس بالامر السهل ولا بالهين ، وهنا يجب ان نذكر بكل اكبار واجلال ، جهود علمائنا المسلمين المتقدمين ، لما قدموه من خدمات لهذا الكتاب ، وما تناولوه من دراسات ، وما احاطوه به من عناية وتكريم ، حتى اوصلوه الينا بكل اخلاص وامانة، ولعل صنيعهم ان يكون قدوة لنا نحن مسلمي هذا العصر حتى نسلمه الى الاجيال القادمة ، كما استلمناه نحن من الاجيال الماضية ، ليكون فى ذلك الضمانة الكبرى لاستمرار الشخصية الاسلامية ، على مر العصور والاجيال . فنحن بقاؤنا مرهون ببقاء كتابنا الذي هو القرآن ، لا كدول الغرب المسيحي ، والفرق بين الطائفتين ، هو اننا لا تفرقة عندنا بين شؤون الدين وشؤون الدنيا ، فالاسلام دين ونظام ودولة ، اما الغربيون المسيحيون ، فعندهم ان الدين ان هو الا علاقة العبد بربه ، اما علاقة الفرد بالدولة ، فهي القانون ، كما هو مبسط حتى فى كتب الفصول الثانوية، لذلك فهم يحصرون الدين داخل الكنائس ، اما نحن فالدين دائما معنا ، اذا اخذناه على اساسه الصحيح ، وبمنهجه العام ، كان بيننا وبين انفسنا وضمائرنا ، في المصنع ، والمكتب ، فى البيت ، فى المدرسة ، فى كل مرافق الحياة ومجالاتها . فاذا خلت حياتنا الخاصة والعامة من عنصر الدين ، لم نكن مسلمين . وهذا معنى قولنا ان بقاءنا واستمرار وجودنا كأمة ، رهن ببقاء القرآن ، اذ بفضله خرجنا من طور القبيلة المتعصبة ، الى طور الامة المتحدة .

واذن فالاحتفال بمرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرءان، هو فى الحقيقة احتفال بمرور اربعة عشر قرنا على وجود امة القرءان، الامة الاسلامية الخالدة . وتأمل معي هذا الالتحام والامتزاج بين مجموعة من البشر ، وبين كتاب سماوي ، بحيث اذا ضاع احدهما ضاع لآخر (1) واذا بقي احدهما بقي الآخر ، فهما متلازمان لا سبيل الى الفصل بينهما بأية طريقة من الطرق . ولا أعلم ان هناك امة على وجه الارض ، منذ

(1) هذا مع العلم بأن القرآن باق ابدا ، لان الله تكفل بحفظه ، واذن فامة القرآن باقية ابدا .

كل هذه العراقيل او البعض منها ، يشكل فصلا من اهم امجاد الامة وبطولاتها الماضية ، ويمكن القياس على هذا ، وحتى اذا وجدت جماعة من البشر الذين لم ياخذوا بنصيب من الحضارة ، وليس لهم ماض مشرف ، حافل بالامجاد ، يمدهم بما يرضي غرورهم القومي ، ويدعم ثقتهم بانفسهم ، فهم يخلقون مناسبات ولو من اتفه احداثهم شأنا ، ذلك ان كل جماعة كيفما كانت درجتها فى سلم الحياة الانسانية ، تشعر بحاجتها الملحة الى شيء يشد عضدها ويشعرها بكيانها ، وبأن لها محورا تجتمع حوله ، وتجد في اجتماعها اسباب قوتها ومناعتها وحقها فى الحياة . ومن هنا يمكننا تصور الحظوظ الغالية التي كانت من نصيب امة تجد فى تاريخها من العظائم والمواقف الخالدة ، ما يجعل دماء الفخر تتدفق حارة فى عروقها، لتملأ خيالها بصور المجد ، وتعمر نفسها بعواطف الاعتزاز . وما الامة الاسلامية الا واحدة من تلك الامم التي قدمت للحضارة الانسانية خدمات جلى ، ولعلها ان تكون اعظم حظا من ذلك واسبق اليه ، كما اعترف بذلك خصومها انفسهم . وما ذكرى بدء نزول القرآن الكريم الا اهم امجادها على الاطلاق ، ذلك ان الحدث الذي تعود بنا هذه الذكرى اليه ، مخالف لجميع الاحداث التي عرفتها البشرية فى تاريخها الطويل ، مخالف لها فى وجهته ، واسلوبه ، وطبيعته ، وقيمه ، واثاره ، على حياة الانسان وحضارته ، وهو حدث ديني ، وسياسي واقتصادي ، واجتماعي ، وحضاري ، قلب حياة العرب راسا على عقب ، وصنع بها ما هو مفصل فى كتب التاريخ الإسلامي وتاريخ السيرة النبوية . لا نضع الى جانبه اي حدث مهما عظم ، من احداث التاريخ الانساني لا تعصبا ولا تحيزا ، ولكن انصافا للحقيقة التي لا يكابر فيها الا جحود معاند . فأين منه قيام الامبراطوريات على الظلم والاغتصاب والجبروت ، وغلبة الاقوياء واستبدادهم على الضعفاء؟ واين منه ظهور الثورات والانقلابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي دعت الى سفك الدماء، والوصول الى الاغراض والمقاصد على جثث القتلى ؟ واين منه ظهور الاديان التي تعرضت كتبها للضياع والتحريف والتزيد ؟ واين منه الفتوحات العسكرية التي اقامت للدكتاتورية دولة تبطش وتحرم حق الحياة ؟ واين منه الهجرات الجماعية التي حملت معها الدمار والموت ، واكتسحت اقواما آمنين ، وداست اناسا وادعين ، بل ابادتهم شر ابادة ، وصالت بشريعة الغاب ؟ هو حدث لا كالاحداث ، كان ظهوره خيرا وبركة على العالمين ، دفع الحضارة الانسانية الى الامام، واعطاها من المعاني الرفيعة ما سما بها الى المرتبة العليا، ونشر مبادىء الاخاء والعدل والمساواة ، ومنع العدوان والاغتصاب والاستبداد ، وكان حياة للضمائر ، وقوة للجماعة ، وحصنا للشعوب ، ونبراسا للحائرين ، وهداية للضالين ، وهيهات ان نتمكن من الاحاطة ولو بجزء يسير من افضاله على الحياة الانسانية ، الامر الذي استغرق آلاف المجلدات ، وما زالت جوانبه تتطلب المزيد ، دون ان ينفد ما يستطيع ان يهبه من اقتباس .

هذا الحدث هو الذي نحتفل ويحتفل العالم الاسلامي بذكرى ظهوره ، بعد مرور اربعة عشر قرنا . ولهذا الاحتفال دوافع عديدة نحاول اجمالها فيما يلي:

1) ان المسلمين اليوم فى وضع ربما كان من اضعف اوضاعهم منذ اصبحوا امة ودولة الى اليوم ، فهم فى أمس الحاجة الى قوة تعيد اليهم سابق عزهم ، وتجمعهم على كلمة سواء ، وما عساها ان تكون غير القرآن العظيم ؟ فغير خاف ان العالم العربي اليوم ، يعاني من مشكلة الاستعمار الصهيوني ، الذي ضرب ضربته القوية ، واصبح يملي شروطه وارادته ، متحدثا من مركز القوة ، ضاربا بكل القوانين الدولية عرض الحائط ، منتشيا بلذة النصر ، متماديا فى طغيانه ، محميا من قوى العدوان والبغي . وغير خاف ان المسلمين تخلوا منذ زمن بعيد عن مركز القيادة الذي احتلوه حقبا مديدة من تاريخهم الحافل ، متقهقرين فى ميدان العلم ، متخلفين عن ركب الحضارة ، حائرين بين تولية وجوههم نحو الغرب، او توليتها نحو الشرق، مستوردين النظم والمذاهب والعادات وانماط السلوك المختلفة من الخارج ، ممزقين ، منقسمين على انفسهم، مطموعا فيهم ، وفى ثروات بلادهم الطبيعية ، مترددين بين الاحتفاظ بشخصيتهم القومية ، وكيانهم الديني ، وبين الارتماء فى احضان الغرب او الشرق ، مفتقرين الى الزعامات الدينية ، والقيادات العسكرية ، التي هيأها القدر لاجدادهم الاوائل ، غير واثقين بلغتهم ، متعشقين للغة غيرهم ، منقسمين ما بين متعصب للحضارة اللاتينية، ومتعصب للحضارة الانجلوساكسونية، محتكمين فى تشريعاتهم الى قوانين الغرب الوضعية ، حاصرين القوانين الاسلامية الخالصة فى جانب ضيق من حياتهم ، هذا هو الوضع الذي يعيش فيه العرب اليوم ، وهو وضع بالغ السوء ، يجعل من هذه المناسبة حدثا لعله ان يكون بعيد الاثر فى حياة العرب والمسلمين فى هذا العصر ، لا لان القرآن فى حد ذاته اهل لان

والثقافة المشتركة ، والنظم المتبادلة ، ويهيمن على الكل ظل الاسلام الممدودة ، الامر الذي استحال فيه على الدماء ، ان تبقى عربية خالصة ، او فارسية خالصة، او تركية خالصة ، اذا انها امتزجت وتكون من امتزاجها اجيال جديدة لا هي بالعربية الصرفة ، ولا بالفارسية الصرفة ، ولا بالتركية الصرفة ، وانما هي مزيج من دماء وعروق وسلالات شديدة الاختلاف ، ولكنها في الوقت نفسه قوية الالتحام والالتئام ، وعلى هذا فالمصري او العراقي له نسب في ايران او الهند او تركيا ، والايراني او الهندي او التركي له نسب في مصر والعراق ، وكذا قل بالنسبة لكل مواطن في اية دولة اسلامية او عربية ، بل اني لاذهب الى ابعد من ذلك ، فاقول أن للصدفة أثرا بعيدا في انتساب التركي الى تركيا ، والفارسي الى ايران ، والهندي الى باكستان او الهند ، وكذا قل بالنسبة الى (العربي) الذي يقطن بلدا عربيا حيثما كان بحيث لو قدر لمن ندعوه (فارسيا) أن ينحدر من اجداد سكنوا المغرب أو العراق ، ابان الامبراطورية الاسلامية الكبرى ، لكان الان (مغربيا) او (عراقيا) يعد نفسه غير فارسي ، ولكن عربيا مغربيا او عربيا عراقيا . ولو قدر للسوري او اللبناني ان كان أجداده قد سكنوا بلاد (ايران) على عهد تلك الامبراطورية ، لكان الان فارسيا ايرانيا ، لا عربيا سوريا او لبنانيا ، وهكذا دواليك . واذا شئت التأكد من هذه الحقيقة ، فما عليك الا ان تنظر الى مقدار التشابه الموجود بين المجتمعات الاسلامية عربية كانت أو غير عربية ، مما يدل على التقائها في أصل واحد ، هو ذلك المجتمع الاسلامي الكبير الذي امتدت حدوده في اراضي واسعة جدا وتشمل عددا كبيرا من العروق والاجناس . وكانت هذه الروابط التاريخية الاصيلة ، كفيلة بان توحد بين المسلمين على اختلاف اوطانهم ، لولا غلبة القوميات على تلك الروابط ، ولكن ها هو الرباط الديني موجود ، لم تستطع القوميات ابطاله والقضاء عليه ، وهذه مناسبة الاحتفال بمرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن ، تاتي في وقتها المناسب، فلنجعلها فرصة لتقوية ذلك الرباط ، واتخاذه عمدتنا في التآلف من اجل تحرير الاماكن المقدسة ، واشعار العالم اجمع ، بان هناك رابطة اسلامية ، جامعة اسلامية تضم نصف مليار من البشر ، له وزنه الثقيل في ميزان السياسة الدولية ، لاعتبارات مختلفة ، زيادة على الكثرة العددية ، منها كون المسلمين يمثلون اغلب قارات الدنيا ، ويسيطرون على بقاع جغرافية كانت هم مناطق العالم القديم والوسيط ، وهي الان مناطق استراتيجية ، هامة بالنسبة للعالم الحديث . وجدير بنا ان نعرف ان تقوية ذلك الرباط الديني ، يعتمد فيها لا على جهود العرب المسلمين وحدهم ، ولكن حتى على جهود العلماء المسلمين الموجودين بالدول الاسلامية بحيث يقومون بدورهم في الدعوة الى الوحدة الاسلامية بين مواطنيهم ، والعمل على نشر تعاليم الاسلام بينهم، ويقتضينا الحق ان نعترف بما يبذله بعض علماء المسلمين في تلك الديار من جهود في هذا السبيل ، وأخص بالذكر العلامة ابا الاعلى المودودي ، امير الجماعة الاسلامية بباكستان . ولكن ما اروع ان يقتدى به علماء الاسلام الاخرون ، الموجودون بمختلف الدول الاسلامية. كما ان تقوية ذلك الرباط لا يمكن ان تتحقق بالاعتماد على الصدفة والاتكال على الضمائر وحدها ، بل لابد من تعزيز ذلك بخطط منظمة قصد الاكثار من عقد المؤتمرات الاسلامية ، وتبادل البعثات العلمية ، وتبادل الكتب والصحف والمجلات ، وتنسيق السياسة الخارجية على المستوى الحكومي ، والتعاون في ميادين الاقتصاد والادارة والتكوين المهني والتقني ، وغير ذلك من الوان النشاط لان ديننا ليس عقيدة فقط ، ولكنه ايضا سياسة واقتصاد وعلم وعمران ودين ودنيا ونظام وتشريع . هذا علاوة على كون الروابط الاقتصادية والعلمية من شأنها أن تعزز الرابطة الدينية وتزيدها متانة .

وعسى ان يكون من نتائج الاحتفال بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن ، ان يعاد تفسير القرآن وفق المناهج الحديثة ، اذ ان التفاسير الموجودة لحد الان مكتوبة بطرق تخدم اغراض النحو والبلاغة واللغة والفقه ، واذا كنا معترفين بما لهذه الالوان من التفسير من اهمية لا تنكر ، فاننا تواقون في الوقت نفسه الى تفسير جديد ، يناسب مسلم هذا العصر الذي قد يكون مشتغلا بفرع آخر من فروع المعرفة ، قد يكون طبيبا او مهندسا او عالما رياضيا ، ويريد الاطلاع على دينه ، فيجد في تلك التفاسير عسرا وصعوبة بما يصدانه عما هو بصدده ، الامر الذي يتطلب وضع تفاسير خالية مما هو من شؤون العلماء المختصين ، ومقصورة على ما يجب ان يعرفه كل مسلم، مهما كانت ناحية اختصاصه ، وبطريقة اقرب الى مناهج الدرس الحديثة . ونأمل من وراء هذا التبسيط في تفسير القرآن الا يبقى (الدين) من اختصاص قوم دون آخرين ، فان هذا لا يخدم قضية القرآن في شيء، اذا لم نقل انه يضر بها ، وانما يصبح الاشتغال به من حق الجميع ، بحيث لا يكون هناك احتكار للدين ولا

ان خلق الله البشرية الى اليوم ، كالامة المسلمة في ارتباطها بكتابها العظيم . ولا اعلم ان هناك كتابا منذ ان بدأ الانسان يكتب ، ومنذ ان اخذ الرسول والانبياء يتلقون الوحي من السماء ، كالقرآن الكريم في ارتباطه بالامة الاسلامية ، واقترن مصيره بمصيرها ، شيء جديد في تاريخ الاديان ، وتاريخ الامم ، وتاريخ الكتب. لذلك فان هذه الامة هامت بكتابها وشغفها حبا ، فعلماؤها لم يتركوا منه كلمة الا وقفوا عندها متأملين مستفيدين الدروس والعبر ، وشعراؤها وادباؤها اقتبسوا منه ما يحلي بيانهم ، ويقوي بلاغتهم ، وفنانوها ابدعوا في نقش آياته على جدران المساجد والقصور ، وفي تمويهها بالذهب ، والتفنن في خطوطها واعطائها اشكالا هندسية عجيبة الاوضاع ، حتى عدت من روائع الفن الاسلامي الجميل ، وخطباؤها اتخذوا من منطقه حجة ، ومن بيانه فصاحة ، ومن احكامه حكمة ، وحكماؤها استقوا حكمتهم من مغازيه ، وتأملاتهم من اسرار فلسفته ، وفلاسفتها وفقوا بين لطائفه واشاراته ، وبين ما انتهى اليهم من فلسفة العالم القديم ، وقادتها العسكريون خاطبوا جنودهم بلسانه وقووا عزائمهم بكلمه ، وشدوا من ازرهم بأوامره ونواهيه ، ترنم به مغنيها ، وتفنن في تلاوته قراؤها ، وكان سؤددا لاحيائها ، ورحمة لامواتها ، وشفاء لمريضها ، وأملا ليائسها ، وهداية لحائرها ، وقوة لضعيفها ، وردعا لقويها ، وعلما لجاهلها ، وغصة لعدوها . واين ما قلناه مما استقبلت به امة القرآن كتابها من مظاهر الحفاوة والتكريم ؟ وما احتفال هذه الامة بمرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن ، الا اسلوب من اساليب الاهتمام به ، والتعبير عن مشاعرها نحوه ومن اجل الاعتراف له بالجميل ، لانه اساس وجودها ، ومصدر حضارتها ، وصلتها بالسماء على مدى السنين .

وليست دواعي الاحتفال منحصرة فيما قدمناه، فهناك دواعي اخرى لها ايضا قيمتها ووجاهتها ، مثل تجديد الشعور الديني الذي ربما يكون قد اصابه شيء من فتور ، بسبب مغريات الحضارة الحديثة ، ومثل تنبيه الاباء والامهات الى ما يجب عليهم ان ياخذوا به ابناءهم من تربية دينية ، من شأنها ان تكون منهم مسلمين متمسكين بعقيدتهم ، ومثل اشعار الاجانب من اعداء العرب والمسلمين ، بانه ما زلنا اقوياء بعقيدتنا وشخصيتنا وكياننا الديني ، وزيادة احترام الاجانب الاصدقاء لنا ، اذ يروننا مستقلين بمذهبنا في الحياة ، بارزين بفلسفتنا في الحياة والمجتمع ، ومثل توجيه العناية الى الزيادة في الاهتمام بالقرآن ، بتدارسه وشرحه ، والرد على خصومه ، والعمل على انتشار تعاليمه في الاوساط الامية التي تتكون منها الاغلبية من سكان العالم العربي ، ومثل الالحاح على العودة دائما الى تاريخ الاسلام ، لاخذ القدوة من رجاله وقادته العظماء ، في السياسة والعسكرية والعلم والادارة والتضحية والفداء ، مع تأمل الواقع الاسلامي عند المسلمين الاوائل ، الذين كانوا من خلق القرآن ، لنرى كيف كانوا يترجمون تعاليم الكتاب الكريم الى اعمال وتصرفات ، تجعل الايمان به لا يصدر عن الحياة العقلية الاسلامية وحدها ، ولكن يصدر ايضا عن الواقع العلمي الذي يحياه الناس ، الى غير ذلك من الاسباب والعوامل التي يستحق كل واحد منها ان يفرد له بحث خاص .

هذا وان الاحتفال بذكرى بدء نزول القرءان ، لنرجو ان يكون من نتائجه ازدياد قوة الرابطة الدينية التي تربط العرب المسلمين ، بالمسلمين من غير العرب، حتى ليعيدوا تلك الايام المجيدة ، التي كانوا فيها على عهد الرشيد والمامون ، مواطنين في دولة اسلامية واحدة ، ترفرف عليها راية واحدة ، ويجمعها هدف واحد ، متوزعين على مختلف الميادين ، فهم يتعاونون على العلم ، وعلى الفن ، وعلى الجهاد ، وعلى الفلسفة ، وعلى كل نواحي نشاطهم ، اذا حدث عالم تركي او فارسي ، اجتمع حوله العرب وغير العرب ، ياخذون من علمه ومعرفته ، واذا مات عالم عربي مشى وراء نعشه العرب وغير العرب ، واذا الف عالم كتابا تلقفه الجميع من العرب وغير العرب ، بالرغم من وجود العصبية للجنس ، في بعض الاوساط التي عرفت بضيق الافق . نرجو ان تكون هذه المناسبة بعثا لذلك الاخاء القديم ، خصوصا والمسلمون اليوم قد اصيبوا في اعز مقدساتهم ، ومسوا في عاطفتهم الدينية التي لا تعترف بالحدود الجغرافية ، ولا بالانظمة السياسية ، ولا بالمصالح الاقتصادية ، ولا بالاختلافات الجنسية . فالكل لا يذكر الا انه مسلم ومسلم فقط ، عند ما يصاب في شرفه الديني .

ولو تأملنا لوجدنا ان الشعوب الاسلامية الموسومة بانها غير عربية ، بيننا وبينها اواصر قرابة ، وروابط نسب ، لاننا واياهم منحدرون من تلك المجتمعات الاسلامية التي تكونت بعد الفتوح ، حيث كان العربي والفارسي والتركي والهندي واليوناني والبربري تعقد بينهم روابط الصهر والولاء ، وتبادل العادات وادوات الحضارة ، وتمزج بينهم روابط الجوار

لاسلامي ؟ هل بلغناه دعوة القرآن ، ام تركناه جاهلا بها ، او عارفا بها عن طريق خصومها التقليديين الجدد ؟ وهل نحن امة القرآن سائرون على هديه ، محققون لمقاصده ، مترسمون خطاه ، او نحن بعداء منه عملا وسلوكا ومعاملة ، قريبون منه قولا وحديثا ؟ الى غير ذلك من الاسئلة التي يجب ان تكون مدار حسابنا لانفسنا في هذه المناسبة . فبغير هذا الحساب تفقد الذكرى كثيرا من فعاليتها وتكون مجرد مظاهر وشكليـــات .

وقوفنا على راس المائة الرابعة بعد الالف لبدء نزول القرآن يعني فيما يعنيه تأمل امة القرآن فيما صنعته لتكون جديرة بهذا الكتاب الذي شرفها الله به، هل كانت في مستواه ، في مستوى شرائعه وقوانينه واحكامه ، وهل حافظت على ما يريده لاتباعه من عزة جانب ، وظفر بالخصوم ، وسيطرة على الطبيعة ، وسيادة في الارض ؟ ان الله تعالى يراقبنا من فوق سبع سموات ، ويرى ما صنعته بالقرآن امة القرآن ، فواجبنا ان نحاسب انفسنا في هذا الصدد ، وان نحاسبها بصفتنا افرادا وجماعات ، مجتمعا ودولة ، شعوبا وامما ، حسابا مؤديا الى احصاء الحسنات والسيئات ، حتى نفهم اخطاءنا ونقوم اعوجاجنا ، ونكون امة القرآن كما ارادها القرآن ان تكون ، وحساب النفس هو ارقى صور الشجاعة الادبية ، ودليل استعداد الامة دولة وافرادا وجماعات للنهوض ، بل اني لاذهب الى ابعد من ذلك ، فارى ان مقياس المسلم الصحيح الايمان ، يمكن في حسابه لنفسه ، على ضوء تعاليم دينه ، ويجب ان يكون هذا الحساب يوميا ، لا ينتهي بانتهاء الاحتفال بهذه الذكرى ، بحيث نتخذ من هذه المناسبة مدرسة نتعلم فيها محاسبة النفس واخذها بالشدة المعقولة ، لنقد تصرفاتها واهوائها ، وقياس مدى بعدها عن الكتاب او قربها منه ، فيما صنعت وما اشتهت ، وما املت

ونودها ان تكون مناسبة لاظهار قوتنا العسكرية، وكفاءتنا العلمية ، وسيادتنا في اوطاننا ، وعلى ترابنا ، يهابنا العدو ، ويحترمنا الصديق ، ويطمع من ليس منا ان ينتسب الينا ، ويعتز من هو منا ان شرف بالانتساب الينا ، فخورا بوطنيته ، فالناس جميعا يحبون دين الاقوياء ، ويكرهون دين الضعفاء ، بل ان الاقوياء ولو لم يكن لهم دين ، تهيىء لهم قوتهم مكانا محترما بين الناس ، في حين ان الضعفاء ولو كان لهم دين قويم ، ينفر منهم الناس ، فلنكن اقوياء بديننا ، وبقوتنا العسكرية ، وباقتصادنا وصناعتنا وفلاحتنا ، وليكن اهتمامنا بتكوين المسلم ، من نفس اهتمامنا بتكوين الطبيب والاستاذ والجندي والعامل . فاننا ان فعلنا ذلك ، كنا كما قال الله تعالى عنا خير امة اخرجت للناس ، وكنا جديرين بان نكون امة القرءان ، فالقرءان لا يحب الهوان لاتباعه ، وانما يحب لهم العزة والكرامة والقوة والسيادة .

ونودها ان تكون مناسبة للزيادة في نشر العلم ، وتعميمه بين الناس ، امتثالا لاوامر القرآن الذي يدعو الى العلم ويقدس العقل ، ويرفع مقام العلماء . والتعليم اذا انتشر بلغة القرآن ، كان ذلك خير معوان على انتشاره وقراءته ومدارسته ، فالامية ما زالت واسعة الانتشار في جميع البلاد العربية ، بالرغم من الجهود التي بذلت . ويكفي القاء نظرة على الارقام التالية ، لتتضح لنا النسبة المئوية لعدد الاميين في البلاد العربية .

اسماء الدول	الذكور وحدهم	الاناث وحدهن	الذكور والاناث معا
الاردن (1961)	49,9	84,8	67,6
تونس (1956)	63,6	73,9	68,7
الجزائر (1964)	73,0	85,0	80,0
السودان (1956)	77,1	96,0	86,5
العراق (1957)	72,2	91,3	81,2
العربية السعودية (1962)	—	—	99,0
سورية (1962)	41,3	80,7	60,8
العربية المتحدة (1960)	56,5	83,5	70,0
الكويت (1961)	40,9	60,3	47,1
لبنان (1962)	—	—	13,9
ليبيا (1954)	72,1	90,1	81,0
المغرب (1960)	80,1	97,6	89,0

استئثار به ، الامر الذي يهيىء للطبيب والمهندس والعامل والتاجر والفلاح وصاحب الحرفة اليدوية ، ان يعتبروا انفسهم اعضاء فى اسرة الدين ، يدرسونه ، ويتفهمونه ، ويلمون بتعاليمه . وقد كان اجدادنا فى عهد الحضارة الاسلامية الزاهرة ، كلهم يعتبرون انفسهم رجال دين ، ولم يكن الدين عندهم وقفا على فريق دون فريق ، مما يدل على ذلك ان كل مسلم كيفما كان مستواه الاجتماعي والعلمي كان يتتبع المناقشات التي تجري بين العلماء ، وقد يدلي برأيه فيها ، حتى ان الجاحظ شكا من كون العوام فى عصره ، يتحدثون كثيرا عن مسائل علم الكلام . ومما يدل على ذلك ايضا ، ان كل مسلم تقريبا كان يتخذ موقفه من المذاهب الفقهية المعروفة ، فاما ان يكون مالكيا او حنفيا او شافعيا او حنبليا حسب المذهب الذي ارتضاه لنفسه ، وقد يكون فى البلد الاسلامي الواحد قضاة يمثلون مختلف هذه المذاهب ، ليختصم كل مسلم الى القاضي المثل لمذهبه . وكم نود اليوم ان يعود الدين الى انطلاقته وتفتحه ، وهيمنته على حياة الافراد والاستئثار باهتمامهم ، كما كان الشأن فى القديم ، واعتقد ان اعادة تفسير القرآن الكريم على النحو المشار اليه ، من شأنه ان يساعد على خدمة هذا الفرض .

وعسى ان يكون من نتائج الاحتفال بهذه الذكرى ، الا يبقى الاسلام موضوعا للدراسة ، ومادة للوعظ والارشاد ، ومجالا للتامل العقلي فقط ، وانما يتحول كل ذلك الى واقع عملي ، يتشخص فى الافعال والتصرفات وقواعد السلوك ، ويؤثر فى التربية بمعناها العام ، فى التربية المنزلية ، والمدرسية ، والعلمية ، والفنية والسياسية ، والاجتماعية ، لتخريج جيل مسلم ، يتجسم اسلامه فى شخصيته ، لا فى مقدار ما يعرفه عن الاسلام فقط ، اذ النموذج الانساني للمسلم ، هو الوسيلة الى اعطاء الواقع الاسلامي مفهومه الصحيح ، وهو التشخيص العملي لمعجزة القرآن ، هكذا كان المسلمون الاولون ، تشخيصا عمليا لمبادىء الاسلام ، وتعاليم القرآن ، فهناك المسلم العسكري ، والمسلم السياسي ، والمسلم الفنان والمسلم الطبيب ، والمسلم الفيلسوف ، كلهم مسلمون ، وكلهم نماذج لما يستطيع الاسلام والقرآن ان يصنعاه بالانسان ، عند ما يدخل الى مصنعهما الذي يخرج عظماء الرجال .

واعتقد ان من جملة الاسباب التي اثرت على عقيدة الجيل العربي الجديد ، وشككته فى قيمة دينية ، كون النماذج المسلمة المثلى التي تنتصب قدوة حسنى ، قد اصبحت نادرة ، فليس يكفي فى المسلم ان يعرف دينه ويتقنه فقها وعلما ودراسة ، بل لابد ان يكون فى خلقه وسلوكه ، وسيرته فى اهله ، وسيرته فى الناس ، ونظرته الى الحياة وتقييمه للاشياء ، شخصية اسلامية مستكملة لعناصرها الاساسية .

ولا شيء يساعد على ايجاد الشخصية الاسلامية غير التربية الدينية التي تبدأ منذ النشأة الاولى ، وتستمر فى جميع ادوار العمر ، اما ترك الجيل ينشأ على عادات غير اسلامية ، وفى جو غير اسلامي ، حتى اذا شب عن الطوق ، نحاول رده الى المحجة البيضاء ، عن طريق الوعظ والتقريع ، فاعتقد ان الرد سيكون على عكس ما كان منتظرا ، لان من شب على شيء شاب عليه .

ما ذا اقول ؟ لقد مرت علينا — نحن المسلمين — سنون وسنون ، ونحن نرجو ونرجو ، ولكن ماذا بعد الرجاء ؟ ان باب الرجاء واسع ، فلك ان ترجو ما تشاء ، ولكن الاكتفاء بالرجاء سوف لا يكون من شأنه ان يحقق لنا ما نرجوه ونتمناه ، فما احوجنا الى شيء من الجدية فى امورنا دينية كانت او غير دينية ، فكم رجونا قيام جامعة اسلامية ولكن الجامعة لم تزل حلما يداعب بعض الناس ، وكم رجونا وحدة عربية عامة ، او وحدة عربية اقليمية على الاقل ، ولكن الوحدة لم تتحقق ، سواء بمعناها الواسع او معناها الضيق ، وكم رجونا ورجونا ، فمتى يتحقق البعض مما نرجوه ويصبح ماثلا للعيان ؟

ونعود الى الذكرى المجيدة الخالدة ، لننظر اليها من زاوية اخرى ، وهي اننا نودها ان تكون مناسبة نحاسب فيها نفوسنا عما قدمناه لهذا الكتاب من خدمات ، غير مكتفين بالافتخار بما فعله القدماء من اجدادنا ، فاولئك ادوا ما عليهم من واجب ومضوا ، ولن يعفينا ذلك من قيامنا بواجبنا فى هذا المضمار ، لان الحياة العقلية للامة فى تطور مستمر ، وكل جيل يمثل منها مرحلة من مراحل تطورها . فما ذا يسجل علينا التاريخ فى هذه المرحلة التي نجتازها الان ، ليحاسب كل واحد منا نفسه هكذا : هل اكتفينا بترديد ما كتبه السابقون عن القرآن حتى الان ؟ او تقدمنا باضافتنا الخاصة التي تزيد الكتاب انتشارا وتمكينا [illegible] فى الارض ، وتزيده شرحا لبعض جوانبه التي اغفلها الدارسون وهل لاضافتنا طابع الابتكار والاصالة ، ا[illegible] هي مجرد تلخيص لكلام الاقدمين ، وتعليق عليه وشرحه فقط ؟ وماذا صنعنا من اجل ايصال هذا الكتاب الى الانسان خارج نطاق العالم العربي

رصد الميزانيات الضخمة ، المتناسبة مع ما تتطلبه هذه الوسائل من نفقات .

وهذا يعني ان ذكرى نزول القرآن ، يجب ان تكون نقطة تحول فى حياة المسلمين ، داخل اوطانهم ، حيث يعطون لحياتهم معناها الاسلامي الصحيح ، وفي شعورهم بواجبهم نحو تبليغ كتابهم الى الاجانب الذين لم تصلهم الدعوة .

وانه لمن المخجل حقا ، ان ياتي اجنبي ويطلب منا ان نقدم اليه كتابا يشرح حقيقة الاسلام بطريقة تناسبه كانسان اجنبي ، من المفروض فيه انه لا يدين بدين القرآن ، ويحاول معرفته على حقيقته ، فلا نستطيع اجابته الى طلبه ، لان المكتبة العربية خالية تماما من هذا النوع من الكتب .

فاين هم علماؤنا المختصون بهذه الناحية ، كما اختص مجموعة من الاجانب بحضارة الاسلام ، وهم الذين يدعون بعلماء الاستشراق ؟ واين هو المعهد العربي المخصص لتكوين الدعاة المسلمين ؟ واين توجد المكتبة التي تجمع المصادر والمؤلفات الموضوعة لهذا الغرض ؟ وكم بذلت الحكومة العربية من جهود ، وكم خصصت من اعتمادات مالية لهذه الغاية ؟ لا شيء .

اتمنى مرة اخرى الا تمر هذه الذكرى ، دون ان نستفيد منها على الوجه الاكمل ، وبارك الله للامة الاسلامية فى دينها وكتابها العظيم الذي قال الله تعالى فى حقه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

فاس : عبد العلي الوزاني

« لنحمد الله تعالى بادىء ذي بدء حيث هدانا الى التقوى ، وحيث أتاح لابصارنا الزائلة ان تعبده فى هذا اليوم الذي اقتدينا فيه باجدادنا وبصحابة رسول الله (ص) فبنينا المساجد وشيدنا بيوت الله ، واعلينا كلمة الله وتعاليمه » .

جلالة الحسن الثاني

هذه هي النسبة المئوية لعدد الاميين في البلاد العربية ، نقلا عن كتاب (مستقبل التربية في العالم العربي) للدكتور جميل صليبا ، وربما تكون قد نقصت في السنوات الاخيرة ، نظرا لوجود العزم الاكيد على محاربة الامية في العالم العربي ، ولكن ما اظن انها نقصت كثيرا ، لضعف الوسائل من جهة ، ولازدياد المواليد بكيفية تصاعدية من جهة اخرى ، فاذا كانت الامية منتشرة في العالم العربي بهذا الشكل الفظيع ، فكيف يتأتى للتعاليم القرآنية المبنية على أساس العلم، ان تجد سبيلها الى الجماهير العربية ، فتقف على حقائق دينها من ينابيعها الاصيلة ؟ واذن لابد من ان نتخذ من الاحتفال بهذه الذكرى دافعا يحملنا على تعميم العلم وتيسيره ، لان ذلك احسن وسيلة لضمان استعداد تلك الجماهير لتفهم مغازي القرآن وتدارسه، ولابد ان يكون تعميم العلم باللغة العربية التي هي لغة القرآن ، ومفتاح اسرا ، واحكامه وبيانه ، فاذا تقهقرت العربية عجزت الاجيال العربية التي لم تاخذ بنصيب وافر من لغتها القومية عن فهم القرآن وقراءته وتدبره، وتلك كارثة نسأل الله ان يجنبنا اياها .

ولو كان الاحتفال بهذه المناسبة في عصر آخر غير هذا العصر ، لكان لها مغزى غير المغزى الذي لها اليوم ، فحدث عظيم ان يحتفل بذكرى نزول القران في عالم اليوم ، العالم المادي الملحد ، الذي اختل فيه ميزان الانسانية ، فطغت المادة على الروح ، وارتفع ضجيج الآلة على اصوات المؤذنين ونواقيس الكنائس ، واصبح المروق من الدين موضة العصر ، في الفكر والاجتماع والفلسفة ، فليس مفكرا ولا فيلسوفا من لم يجاهر بعدائه للدين ، وليس حرا اجتماعيا من لم يعلنها حربا على الدين ، وكان من نتائج ذلك ان زحزح الدين عن مكانه الرفيع ، لتحل محله اوزاع من الفكر الضال ، واخلاط من الشكوك الهدامة ، فانعدمت الراحة النفسية ، والصفاء الروحي ، والاستقرار العقائدي ، وكثرت من جراء ذلك الامراض العقلية ، والاضطرابات العصبية ، وعمت حوادث الانتحار ، في هذا العالم المادي الملحد المرتد ، ترتفع اصوات ثلة من المسلمين ، وهنا في المغرب بالذات ، منادية بضرورة الاحتفال بهذه المناسبة ، مناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، فكانت هذه الاصوات كرد فعل ضد المادية الملحدة ، المهيمنة على اوضاع العصر ، ولهذا مغزاه الكبير ، ذلك ان البلاد العربية يرتفع منها الان صوت ، هو قبس من ذلك الصوت الذي ارتفع في الجزيرة العربية منذ اربعة عشر قرنا ، داعيا الى الله ، مهاجما الجاهلية المتعصبة البغيضة ، وما جاهلية القرن العشرين الا امتداد لتلك الجاهلية القديمة ، التي جاء القرآن لهدمها والقضاء عليها ، فما اشبه الليلة بالبارحة ! !

وكم اتمنى ان يسفر الاحتفال بهذه المناسبة ، عن وضع خطة للتوجه الى الاجانب ، قصد تعريفهم بكتابنا، وبأحكامه وتعاليمه ، باللغات التي يقرأون بها ويكتبون طبعا ، حتى يبلغهم ذلك الصوت ، الذي يؤكد مرة اخرى روحانية الشرق ، وسبقه الى نشر نور الهداية.

فهل انتهى عصر تبليغ الدعوة ؟ انه لم ينته ولن ينتهي ابدا ، ما دام على الارض انسان واحد ضال ، وعلى من يقع واجب تبليغ هذه الدعوة ؟ يقع على اتباع القرآن طبعا ، ولكن ماذا نرى في هذا المضمار ؟ تستطيع ان تقول وأنت مطمئن ، وبملء فيك : لا شيء تقريبا . فالعالم خارج البلاد العربية والاسلامية يجهل حقيقة الاسلام ، وحقيقة القرآن ، لان المسلمين مفرطون في واجبهم كمبشرين بالاسلام ، ومبلغين لدعوة القرآن ، التي يجب استمرار تبليغها دائما وأبدا وبدون انقطاع، على حين ان الغرب جاء في نشر دينه ، رغم انه اصبح لا يومن بشيء اسمه الدين ، وانما يريد استغلاله لمقاومة الاسلام ، ولاغراض سياسية واقتصادية ، فهو كافر به في بلده ، مومن به في البلاد التي يطمع في ثرواتها واراضيها . (1)

المسلمون معتمدون على ان الاسلام هو دين الحق ودين الفطرة ، وهذا لا شك فيه ، ولكن الحق يحتاج دائما الى شرحه والتعريف به ، والا احاط به الباطل ، وطاوله وصاوله ، لابسا قناع الحق ، ومتسترا تحته . فاذا لم يكن من مقاصد هذه الذكرى العمل على تبليغ دعوة القرآن الى العالم المادي الملحد ، على يد العلماء المسلمين ، المتضلعين في اللغات الاجنبية ، كانت الذكرى مفتقرة الى عنصر هام من عناصرها الايجابية. وغير خاف ان الدعوة الى الاسلام والقرآن ، يجب ان تلبس لكل عصر لباسه ، وان تتخذ من الوسائل ما يتناسب واوضاعه واحواله العامة ، ووسائل العصر الذي نعيش فيه ، هي الكتب والصحف والمجلات والمحاضرات والاذاعة والتلفزة والبعثات الثقافية المتجولة ، والمعارض الفنية والثقافية ، وتبادل الاساتذة بين الجامعات ، مع ما يحتاج اليه ذلك من

1) راجع (عيون البصائر) للمرحوم البشير الابراهيمي .

— وفى رواية : لا يضرهم من خذلهم او خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس .

القـــرآن نـــور :

1 — قال تعالى : (سورة النساء) « يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا »

2 — قال تعالى : (سورة المائدة) « قد جاءكم نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه » .

3 — قال تعالى (سورة الشورى) « وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا »

4 — قال تعالى (سورة التغابن) « فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ، والله بما تعملون خبير »

*

فالذين آمنوا بالله ورسوله واتبعوا النور الذي انزل معه . واتبعوا البصائر الواضحة واخذوه علما وعملا اولئك هم المفلحون .

هو نور البصيرة ، نور الهداية ، نور العلم والعمل ، نور يهدي من اتبعه

الا يا ليت قومي يعلمون ! يستورد بعض المسلمين نور التشريع من الخارج ونورهم بين أيديهم : نور جربه السلف الصالح ففتحوا به البلاد واسعدوا به الانسانية . وملكوا الارض شرقا وغربا للعلم والهداية والعدالة .

— اخذ غيرنا هذا النور عملا وغيروا العنوان وقالوا هذا علمنا ..

ونحن اخذنا العنوان وعطلنا ما فى الكتاب .. وعجزنا عن تحويل القرآن الى أعمال .

— استعد غيرنا بالقوة : والقوة آية من آياتنا .. نتلوها ولا نعمل بها .

— سلوكهم غير دينهم .. وسلوكنا غير ديننا .. فكيف نتخبط والنور أمامنا ؟

— ما فائدة الطاقة لمن لا يستغلها ؟ وما فائدة النور لمن لا يتبع هداه ؟

— نعوذ بالله من وقت يكون فيه المصحف غريبا ، احكام معطلة وجلد مذهب ، وتحفة للاقتناء ودعوى بلا دليل ، ونسبة بلا برهان .

*

رحم الله امرءا عرف قدر نفسه .

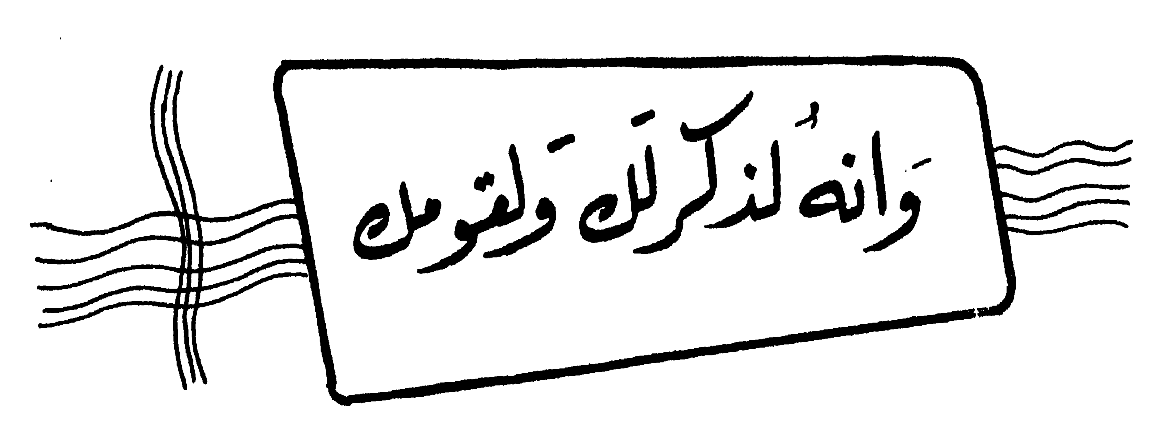
ان اعداء القرآن منذ نزل الى اليوم يخشون بأسه وصولته . ويخافون تأثيره وعمله اكثر مما يخافون الجيوش الفاتحة والحروب الجائحة . لان سلطان الجيوش والحروب لا يعدو الاجسام والاشباح اما سلطان القرآن فقد امتد الى النفوس الحرة وكرائم الارواح ، ولذلك سماه الله روحا .

فكل قوى الاعداء موجهة لتحول بيننا وبين العمل بالقرآن . فشغلوا برامج التعليم بالمادة ولا ينسبونها لخالقها ، وحاولوا اقناعنا بأن يكون القرآن تلاوةوتمتمة وتهويما وانقطاعا عن واقع الحياة .. وجذبا واستغراقا، اخذوا اللب لانفسهم عملاوانتاجا والهونا بالقشور جدالا وسفسطة واحتجاجا ، ان الحق يحتاج الى رجال ينصرون الحق فيرفع الحق شأنهم ، وينصرون الله فينصرهم ويثبت اقدامهم ، وبعد النصر لا خلاف على اسلاب ولا تطاحن على حكم ولا خروج على الجماعة فأن مسؤولية الحكم تكليف قبل أن تكون تشريفا . قال تعالى فى سورة الحج « الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » .

وقال تعالى فى سورة النور «وعد الله الذينآمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذيارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا .. »

انـــواع الاصـــلاح :

جاء القرآن وفى العرب صفات حميدة فقواها ونماها وعدلها وهذبها وازاح عنهم علل الباطل وحمية الجاهلية ، وحول العصبية المذمومة الى عصبية فى الحق وحمية لنصرة الدين وتحقيق رسالة القرآن فصار كما قال الرسول : خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا ان الامانة نزلت فى جذر قلوب الرجال فعلموا من القرآن وعلموا من السنة « فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة » .



للأستاذ عبد الرحيم عبد البر

ذكرى طيبة لنزول القرآن بعد مرور اربعة عشر قرنا .

أعياد متجددة دائمة ، وحياة سعيدة حافلة بالخيرات .

وشباب دائم لا شيخوخة له ولا هرم « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

— والحق يحتاج الى رجال وقوة :

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة »

وقوة لحمل الامانة والقيام بأعبائها ليحققوا وعد الله .

يتلون كتاب الله ويعملون به ويقومون بأمر الدين خير قيام .

« الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله » .

مع التلاوة عمل :

« ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور » .

ترى مظاهر هذه العناية بالقرآن فى كل البلاد الاسلامية :

حفظ ودراسة ، وتعبد وتلاوة ، وعمل بما فيه رجاء سعادة الدنيا والآخرة ، ومعاهد اسلامية ... ورجال تخصصوا فى التربية الاسلامية وبيان مناهج الفضيلة .. ومعلمون يغرسون هذه التعاليم فى الشباب الناهض ويشرحون كيفية السير على الصراط المستقيم الذي شرعه الله .

— فالعاملون لنهضة البلاد يفسرون القرآن اعمالا نافعة ايجابية ناهضة .

— والدارسون فى المعاهد والمدارس يفسرونه حججا واضحة وبراهين ساطعة .

— والجنود يحفظون الامن تحقيقا لرسالة القرآن الذي جاء بالامن والايمان.

— والرؤساء يبذلون الجهد لحسن السير ورفع المستوى الى كل خير .

— وهكذا تتحقق البشرى بحفظ القرآن تلاوة وعملا ودستورا للحياة

ويتحقق وعد الرسول صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان عن ثوبان قال : قال صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى ياتيهم أمر الله وهم ظاهرون .

أرقتني سورة جامعة فاقراه سورة اذا زلزلت الارض زلزالها .. الخ فقال : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها ابدا — فلما ادبر قال افلح الرويجل .

2 — اخرج الامام احمد ج 5 ص 410 فى المسند وابن ابي شيبة عن أبي عبد الرحمن السلمي قـــال حدثنا من كان يقرئنا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انهم كانوا يقترئون من رسول الله عشر آيات فلا يأخذون فى الاخرى حتى يعلموا ما فى هذه من العلم والعمل . فعلمنا العلم والعمل ، فكنا نتعلم القـــرآن والعمل به .

3 — واخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال : كنا اذا تعلمنا من النبي عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعلم ما فيه من العلم والعمل

4 — واخرج ابن عساكر عن محمد بن ابي قيلة قال كتب رجل الى ابن عمر يسأله عن العلم فكتب اليه ابن عمر : العلم اكبر من أن اكتب اليك به ، ولكن :

ان استطعت أن تلقى الله **كاف** اللسان عنأعراض المسلمين **خفيف** الظهر من دمائهم . **خميص** البطن من أموالهم **لازما** لجماعتهم فافعل .

5 — روى الطبراني عن ابن عمر قال : لقد عشت برهة من دهري وان احدنا يؤتى الايمان قبل القرآن . وتنزل السورة على محمد فنتعلم حلالها وحرامها ومـــا ينبغي أن نقف عنده منها كما تعلمون انتم القرآن . ثم لقد رايت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرؤه ما يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه وينثره نثر الدقل (رديء التمر)

*

ياقوم : هذا القرآن فيه شرفكم فى الدنيا بالعزة والسيادة والنصر والتمكين (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم) (وانه لذكر لك ولقومك) .

فيه شفاء الصدور بالنصر على الاعداء ونشر الدين الصحيح .

روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين .

ولك من الدرجات فى الجنة على عدد ما قرأت من آيات القرآن .

روى البخاري وابو داود عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ، يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها .

الرباط : احمد عبد الرحيم عبد البر

« حسبك ان تبلغ حيث بلغ بـــك »

دخل يحيى بن الحسين الطالبي على المامون فقال : يا امير المومنين حيرتني عارفتك حتى ما ادري كيف اشكرك ، قال : لا عليك فان الزيادة فى الشكر على الصنيعة ملق ، والنقصان عي ، وحسبك أن تبلغ حيث بلغ بك .

1 — جاء القرآن **باصلاح العقائد** ، الوجدانيـــة والمسؤولية وجزاء يوم الدين « مالك يوم الدين » « ان الدين لواقع » .

2 — **اصلاح العبادات** عن طريق تزكية النفـــوس وتقوية الارادة « قد أفلح من زكاها » — « قد أفلح من تزكى » .

3 — **اصلاح الاخلاق** عن طريق القصد والاعتدال لا افراط ولا تفريط « وكان بين ذلك قواما » « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » .

4 — **الاصلاح المالي** عن طريق الاقتصاد وحماية المال من التلف والضياع .. بلوجوب الاستثمار والسعي وكفالة العاجزين .. وتشجيع الكسب المشروع .

5 — **الاصلاح النسائي** عن طريق حماية المـــراة واحترامها بقانون الحق والواجب « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة »

6 — **الاصلاح الحربي** عن طريق تهذيب الحـــرب ووضعها على قواعد سليمة لخير الانسانية فى مبدئها وغايتها وايثار السلم عليها حتى تكون الحرب آخـــر العلاج فى نطاق لابد مما ليس منه بد .. وآخر الدواء الكي .

7 — **الاصلاح الاجتماعي** عن طريقتوحيد الصفوف « ان هذه امتكم أمة واحدة » فلا عصبية الا فى الحق ، فقد محا الاسلام العصبيات الظالمة وجعل الاخـــاء فى الدين اقوى من اخاء النسب والدم . وكون أمة يؤلف بينها المبدأ ولا تفرقها الحدود الاقليمية ولا الفواصل الجغرافية ، ولا الاختيارات السياسية فى الحكم : ملكية أو جمهورية ، ما دام الهدف هو العدالة والتكافل ونصرة الحق — الفرد للمجموع من غير أن يفنى فيه . والمجموع للفرد بتعاون .. فى حدود لا ضرر ولا ضرار وللشعب عدل ورحمة ومواساة ومحبة ، واولو الامر من الشعب لخدمة الشعب ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وبعد ذلك السمع والطاعة حق على كل أمرىء مسلم .. « وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة »

علـــوم القـــرآن ومعارفـــه

القرآن يخاطب العقل والقلب معا . ويجمـــع الحق والجمال معا . يرضي العقل والعاطفة ، فهـــو مزيج حلو سائغ يخفف على النفوس تجرع الادلـــة العقلية ، ويرفه عن العقل باللفتات العاطفية ، ويوجه العقول والعواطف معا جنبا الى جنب لهداية الانسانية فهو اسلوب علمي وادبي معا .

هذا هو التنزيل الحكيم تقرؤه فاذا بحر من العلوم

هذا التنزيل الحكيم تقرؤه فاذا بحر من العلوم والمعارف متلاطم زاخر واذا روح من الاصلاح فيه قوي قاهر يجمع الكمال من اطرافه :

فبينما تراه يصلح ما افسده الفلاسفة بفلسفتهم اذ تراه يهدم الشرك والوثنية ، وبينما تراه يصلح ما حرفه اهل الاديان السابقة اذ تراه يقدم للانسانيـــة مزيجا صالحا من عقيدة وعمل وسلوك نافع للدنيا أولا وللاخرة ثانيا .

عقيدة رشيدة ترفع همة العبد وتثبت كرامتـــه وسيادته .

وعبادة قويمة تطهر النفس روحا وجسدا وتشعر الانسان انه المقصود والمختار (خلق الانسان علمـــه البيان) وعلمه تسخير الطبيعة مع اخلاق عالية تؤهل المرء لان يكون خليفة الله فى الارض .

وشرع له احكاما شخصية ومدنية واجتماعيـــه تكفل حماية المجتمع من الفوضى وتضمن له حيـــاة الطمانينة والنظام والسعادة والسلام .

فهو دين يساير الفطرة ويوائم الطبيعة ويشبع حاجات العقل والقلب معا ويوفق بين مطالب الروح ومطالب الجسد ويؤلف بين مصالح الدين والدنيا ويجمع بين عز الآخرة والاولى : كل ذلك فى القرآن .

كل ذلك فى قصد واعتدال وبراهين واضحة مقنعة تبهر العقل وتملك اللب ترفع رأس المسلم فى عزة يقول الله أكبر ..

العلـــم والعمـــل :

تلقى الصحابة القرآن بنشاط وقوة للعمل بمافيه وتحقيق رسالته فتنافسوا فى حفظه وتسابقوا لتنفيذ مهمته حتى كانت أعمالهم أكثر من اقوالهم « فالقرآن حجة لك أو عليك » — فكان الواحد منهم اذا حفـــظ سورة من القرآن اكتفى بها حتى يحقق معناها عملا ويتقنها تنفيذا ويحولها أمرا واقعا وانتاجا ايجابيا .

1 — روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

قال آقررتم واخذتم على ذلكم اصري ، قالوا اقررنا ، قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين » .

ان ارتباط المسلمين بالقرآن الكريم يجب ان يكون عن طريق دينه وعن طريق لغته معا ، لانه لا يتحقق الكمال البشري الا بهما مما جرب هاته الحقيقة سلفنا الصالح والمسلمون الاولون الذين قاموا بدور كبير في نشر الاسلام واعلاء كلمة القرآن ولم يكونوا يتخلفون عن الركب المتقدم للقتال في سبيل نشر الاسلام واعلاء كلمته بين العالمين « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ، ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو اعلم بالمهتدين ، وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . » صدق الله العظيم .

ان الفلسفة التي نشأت بعد الفئة الاولى من المسلمين والتي اصبحت تدعو الى فصل لغة القرآن عن دينه قد اساءت فهم التشريع الاسلامي واخطأت حين غاب عن اذهانها ان اعجاز القرآن كامن في الفاظه المنسقة وله ترجمته مهما اتقنت ، وقام بها متضلعون في الثقافة العربية وللغات الاجنبية الاخرى التي يراد ترجمة القرآن اليها ، كما يمكن ان تفي بالمراد من اعجازه ، كما انها لا تعطي النظرة الكاملة للقرآن الكريم ، كتاب رب العالمين . وان كانت تقرب القرآن الى افهام غير العرب ان الامم الاسلامية غير العربية يدرك معظمها هاته الحقيقة ويتحسرون لضعف تلك الروح التي كانت تواكب جيوش الاسلام الفاتحة والمتجسمة في نشر تعاليم القرآن ولغة القرآن معا . ونعلم انه حتى في الوقت الحاضر هناك امم اسلامية عظمى لو وجدت مندوحة وامكانيات لجعلت لغة القرآن هي لغتها الرسمية ، وفي طليعتها الباكستان ، ونحن لا نعزو قصورها عن تحقيق ذلك لتقاعس العلماء ورجال الدين واللغة فحسب بل نعده ايضا ناشئا عن الاستعمار الشرقي والغربي الذين اجهزا على الامة الاسلامية قاطبة ولم ينج من دسائسه وويلاته اي قطر مسلم . وقد كان من اكبرهم الاستعمار الاجنبي البغيض ان يقضي على لغة القرآن كمرحلة هامة في القضاء على تعاليم القرآن حتى يتهود المسلمون او يتنصروا وبذلك يقضي عن كل معارضة له لانها تاتي طبعا من الاسلام ومن دستوره الحكيم « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ، انك اذا لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ، اولئك يومنون به ، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون » .

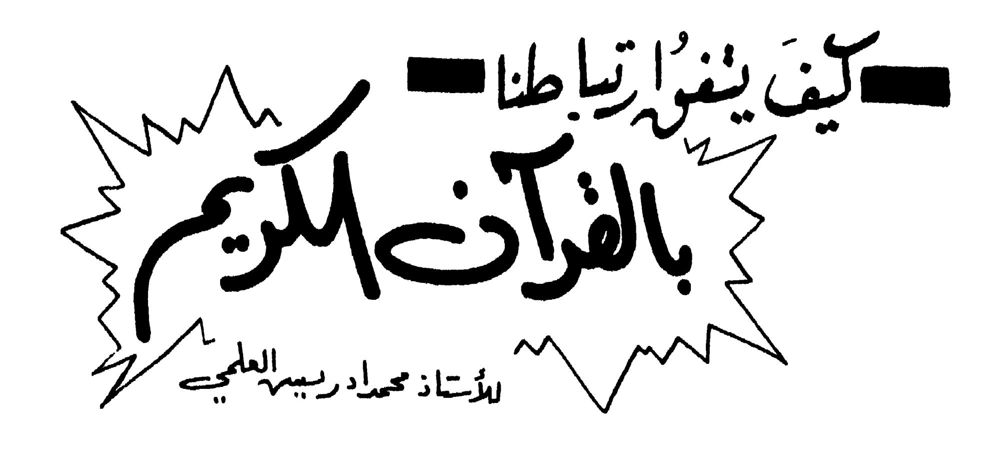
ان من يجوب الاقطار الاسلامية ويطلع على تقاليدها وعوائدها يدرك من جهة مدى تمسكها بالاسلام ، ومن جهة اخرى يرى ان اشياء كثيرة من لغتها ما زالت تطبع حياتها وتؤثر في مدى فهمها للاسلام وبذلك ينشأ البون بين من اعتنقوا الاسلام عن طريق القرآن وعرفوا لغته ودينه وبين من عرفوا دينه فقط ، وربما يكون ذلك اعظم عائق لقيام وحدة اسلامية ينشدها جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها .

ومن هنا نتحقق خطورة ما يرتكبه الذين دعوا ويدعون الى التفرقة بين لغة القرآن وبين دينه ، هؤلاء الذين لم ينتبهوا بعد الى الخطر المحدق بالامة الاسلامية والذي لا يعرفه حق معرفته الا الذين تعلموا الدين واعتنقوه عن طريق اللغة العربية لانها اللغة الوحيدة التي تستطيع ان تبلغ القرآن كما انزل دون ان تلحق به بعض التغيير المعنوي الذي قد ينشأ من تبديل لفظ عربي بمقابله في لغة اخرى لا يفي بالمراد به او يزيد على المقصود . كذلك تنتفي بعض الاشراقات والاشعاعات الروحية التي تلازم القرآن الكريم حين تلاوته بلفظه ، ولعل الذين منعوا الترجمة من علماء الامة الاسلامية كانوا يقصدون من ذلك عدم تحريف القرآن عن معناه الاصلي وعدم اخضاعه للتراكيب والمفردات الوضعية وهو كتاب سماوي نزل بلغة عربية قدر الله لها ان تستوعبه وتفي بالمراد من نزوله وتبليغه للناس كما اراده الله تعالى ، وتلك خاصية خص بها اللغة العربية كما خصها بان تكون لغة اهل الجنة ، وان يكون نبي العالم كله من العرب .

كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: « احب العرب عن ثلاث : لاني عربي ، والقرءان عربي ، ولسان اهل الجنة في الجنة عربي) ولا استطيع التعليق عن هذا الحديث واورده كما حفظته دون ان اتعرض اليه باسناد ، لاني لا استحضر روايته الان . فمعذرة من القراء الكرام .

ان اهمال تحفيظ القرآن وتلقينه للنشء المسلم يعتبر حدثا خطيرا في الاسلام وطامة كبرى وجناية على الصبيان ونبذا للامر النبوي الكريم الذي يقول : « ادبوا اولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وقراءة القرآن » .

ونحن نعلم مدى البون الشاسع من ناحية العقيدة والدين بين من ينشأون في احضان مجتمع يعتني



قبل ان اشرع فى تحليل فكرة الارتباط بالقرآن الكريم التي يجب ان تكون دائما اساسا لتمييز شخصية المسلم وتحقيق ذاتيته على الصعيد العالمي .

احيي هاته الفكرة السامية التي اوحت بتنظيم مهرجانات وتجمعات خطابية وتخليد مقالات وابحاث فى امهات الصحف والمجلات المغربية المرموقة مراحـــل الاحتفال بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على انبثاق نور الوحي الالاهي وبداية نزول القرآن الكريم كـلام رب العالمين لربط الصلة بين الناس وربهم على اسس من الايمان الصادق والحب المتبادل والاخلاص العميق .

والحقيقة ان احتفالا كهذا وكتابة ابحاث ومقالات فى موضوع القرآن ، الكتاب المقدس ، لمن شان كل ذلك ان يحيي فى نفوسنا املا جديدا بان الاسلام سيعيـد دولته وصولته ، وستعود له كرامتـه بين العالميـن ، وسيجد المسلمـون فى مشـارق الارض ومغاربهـا ان اعتناقهم للاسلام لم يكن بالصدفة ولا بدافع تقليـدي بحيث يتجسم مثلا تجسم الخرافات والاساطير فـي الاديان الاخرى لما عبرت عن ذلك الاية الكريمة : « انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون »

لقد مر على نزول القـرآن منجما وبحســب الاحداث والوقائع اربعة عشر قرنا وهو هو كما انزل لم يقع فيه تغيير ولم يلحقه تحريف ولا تزوير ولو في لفظ من الفاظه بل وفى حرف من الحروف ، وانمــا التحريف والتغيير ــ ويا للاسف ــ وقعا فى اعمـــال معتنقي دين القرءان الـذي نزل لاسعادهم وضمـان رفاهيتهم وازدهارهم دنبا ودينا « وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض ، ان الله لا يحب المفسدين » .

وتشكل هذه الظاهرة الهامة فى حيـاة القـرآن الكريم المنيرة الخالدة عنصـرا اساسـيا فى عبقريـة الاسلام وبقائه وتاهيله لان يكـون دين البشرية بـلا استثناء ، وبكون محمد صلى الله عليه وسلم الذي انزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان نبي الرحمة ورسولا لجميع امم الارض قاطبة ، « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ، وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السماوات والارض ، لا الاه الا هو يحيي ويميت » .

فقد قاوم القرآن اعاصير الزمان ، ولم تنطل عليه الحيل مهما اتقن حبكها واحكم نسجها ولو على ايـد الذين استطاعوا ان ينالوا من غيره من الكتب السماوية الاخرى ومن ضمنها التوراة والانجيل الذي اصبحـا محرفين يتنافيان كلية واجزاء مـع رسالتي موسـى وعيسى ابن مريم ومن جاء قبلهم وبعدهم من الانبيـاء والمرسلين لان الاسلام وحدة متكاملة وحلقات متماسكة منذ خلق الله الكون وبعث اليه آدم الى يومنا هذا «واذ اخذ الله ميثاق النبيئين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه،

فهـرس العـدد الثـالـث

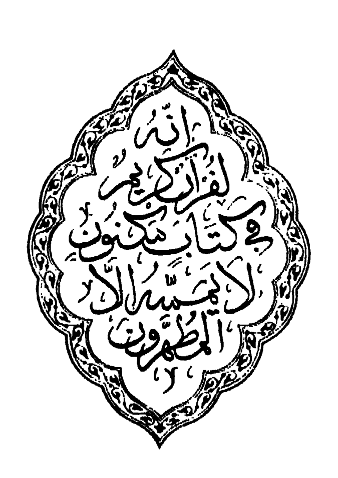
بالقرآن واهله ، ويتلوه ويتبرك به ، وبين من ينشأون وهم يجهلون القرآن ، لانهم لم يتعلموه قط ولم ينشأوا في مجتمع ايضا تعلم القرآن الكريم . فكيف يمكن الملاءمة بين هؤلاء واولئك في حظيرة واحدة وفي مجتمع واحد ، اللهم ان يكون هناك تنازل من احد الطرفين عما تنشأ عنه لصالح الطرف الاخر .

ومن هنا يجب ان تفكر الامم الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها في وضع سياسة تعليمية موحدة وتخطيط ثقافي موحد يراعي واقع الامة الاسلامية ويوافق بين ماضيها وحاضرها ويستجيب لمتطلبات العصر الحديث عصر الذرة والصاروخ دون ان يقع اهمال للجانب الد ، او اخلال بما يتطلبه الاخذ بأسباب الحضارة الحديثة .

واننا لنأمل ان تكون دعوة الاحتفال بذكرى القرآن الكريم وقد عاش بين ظهران المسلمين اربعة عشر قرنا كاملة كما انزل ، دون ان تستطيع اية يد مهما بلغت من القوة والصلابة والصراحة ان تنال منه او تحدث فيه اي تحريف او تزوير — نأمل — ان يكون الاحتفال بالقرآن الكريم نقطة انطلاق ايجابية في اخراج الامة الاسلامية من الحالة التي توجد عليها ، وقد حدث بينها وبين تعاليم القرآن بون شاسع الى حالة جديدة تتجدد فيها مفاهيم الاسلام وعقلية المسلمين على ضوء ما صارعهم من احداث وما لحقتهم من نكبات ، وعلى ضوء واقعهم وما تتطلبه حياة هذا القرن وما بعده ، لانهم خير امة اخرجت للناس تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتومن بالله وحده .

وان تعميم المصحف الكريم بين المساجد والمدارس والمتاجر والمصانع وجميع البيوت ، والمداومة على تلاوته وقراءته وتدبره لمن شأن ذلك ، ان يخلق عهدا جديدا في فهم القرآن وتدبيره واعتباره كتابا مقدسا لا محيد للمسلمين عنه ، بل ولا مخرج لهذا العالم من الحيرة التي يوجد فيها ومن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الخطيرة التي يتخبط فيها الا باتباع القرآن الكريم والاسترشاد بهديه واعتباره اساسا في كل شيء .

الرباط : محمد بن ادريس العلمي



العدد الرابع – السنة الحادية عشرة – ذو القعدة 1387 – فبراير 968

دعوة الحق

خاص

القرآن وعلومه في عهد الدولة العلوية الشريفة

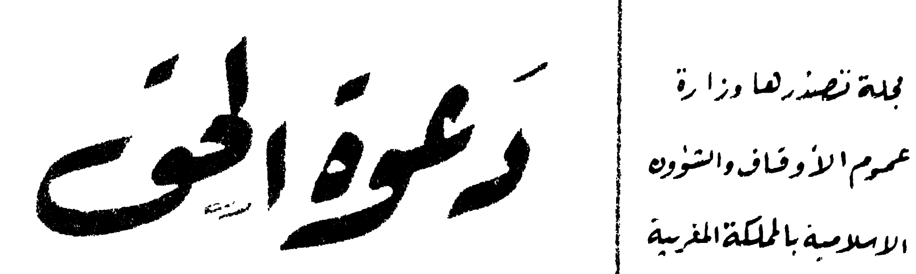
صد…
زارة …
الشؤو…
لمملكة…

الثمن درهم واحد



تتقدم وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية واسرة « دعوة الحق » الى مقام حضره صاحب الجلالة والمهابة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده بآيات الولاء والاخلاص ، والتبريك والاجلال ، بمناسبة الذكرى السابعة لتربع جلالته على اريكة اسلافه الامجاد ، داعين من الله العلي القدير أن يحفظه ويديم عمره ، ويقر عينه بولي عهده صاحب السمو الملكي الامير الجليل سيدي محمد وباقى اسرتـــــه الكريمة وشعبه المتعلق باهداب عرشــــه .

العدد الرابع
السنة الحادية عشرة
ذو القعدة 1387
فبراير 1968
ثمن العدد
درهم واحد



مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الاسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات ادارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ؛ والشرفي 30 درهما فأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمه الاشتراك في حســاب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغــرب .

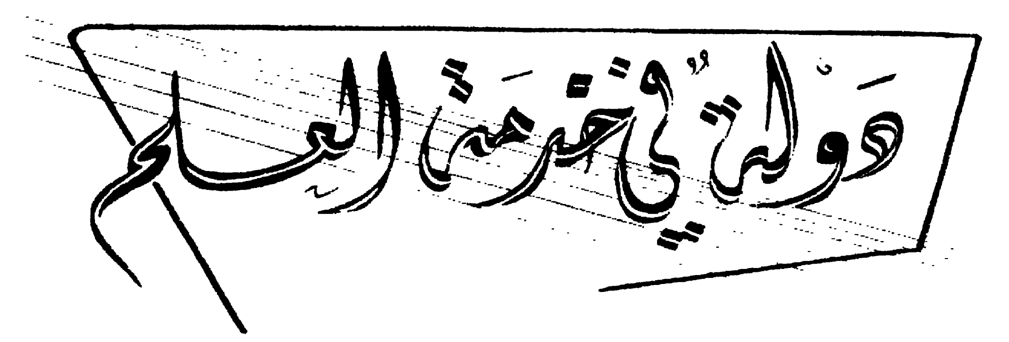
ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفـون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد



لمعالي وزير عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية الأستاذ
الحاج احمد بركاش

يصدر هذا العدد من « دعوة الحق » والشعب المغربي النبيل يحتفل بذكرى عزيزة عليه ، أثيرة لديه ، وهي الذكرى السابعة لتبوىء سيد البلاد ، وعاهلها المفدى عرش اسلافه الامجاد .

وان من بواعث الغبطة والسرور، ومشاعر البهجة والحبور، أن تقترن هذه الذكرى المجيدة ، بذكرى جليلة خالدة ، لها مكانها في التاريخ ، وتقديرها في القلوب ، وعبرتها في الاجيال الماضية والحاضرة وما يستقبل منها ، وهي ذكرى مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ...

ومساهمة منا في احياء هذه الذكرى العطرة الوطنية الغالية ، وفي ظلال احتفال المغرب والعالم الاسلامي في هذه السنة بذكرى نزول القرآن الكريم ، ولا سيما في هذا البلد الامين الذي أصبح مثابة للناس وأمنا ، ومهوى أفئدة المسلمين ، ومعقد رجاء الاسلام ، فاحتل مكانه من صدر الوجود في عهد العاهل الكريم صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله وأيده ، رأينا أن نصدر هذا العدد الخاص من مجلتنا يكون موضوعه منبعثا من صميم هذه الذكرى ، ومصدره أولئك الاقيال ملوكنا العلويون الذين اعتمدوا في تأثيل ملكهم ، وانهاض شعبهم على الحرص الموصول ، والجد النزيه ، والاخلاص لله ، والعمل على اعلان مجده باعزاز دينه ، وبث فنون العلم والمعرفة والثقافة في ربوع هذه المملكة السعيدة بما يوائم فطرة الله ، ويلائم طبيعة التقدم ، ويساير مقتضى الحياة ... فسطروا بذلك صفحات مشرقة خالدة في تاريخ هذه البلاد العزيزة .

لقد وجه ملوك هذه الدولة العلوية قافلة الحياة في طريقها القاصد ، وجمعوا حولهم القلوب النافرة الشاردة على هوى واحد ، ومهدوا لهذا البلد المسلم ، منذ قيضهم الله ملوكا على هذه الامة ، سبيل الاستقلال الخالص الصريح الذي حفظ الكرامة ، وأعان على النهوض ، فعاشت بلادهم حرة كريمة غنية ، عالية الرأس بين الشعوب والامم في ظلال عرش علوي منيف ، ثابت الاس ، رفيع الذرى ، وطيد الاركان .

ومما يدعو الى الاعتزاز والفخر ، ويبقى مخلدا في جبين الدهر ، ان دولة ملوكنا العلويين غنيت بملوك كانوا غرة المجد ، وهامة الشرف ، وعنوان النجابة والشهامة

وقد راع المولى الحسن الاول رحمه الله حال المسلمين من قناعتهم بالدون ، وقعودهم عن مسايرة التطور والتقدم والتمدن ، فجرد من نفسه عزيمة ماضية ، وهمة شماء ، واضاء دياجير الجهالة بوميض روحه ، وجمع كلمة الامة حول رايه ، ووحد وجهتها وراء خطاه ، وانطلق بها نحو العز المرصود ، والكمال المنشود ، فبعث البعثات الى الخارج ، الى ما وراء البحار وخلف السهوب ، بعد أن رد سهام الاعداء الجارحة التي كانت تنوش البلاد من أطرافها .

فلا غرابة اذا اعتبرنا المولى الحسن الاول رحمه الله ابا للنهضة المغربية الحديثة ...

وقد واصل المولى يوسف رحمه الله رسالة آبائه الكرام ، وأجداده المنعمين ، فاستيقظت فى عهده روح الوطنية الصادقة لمحاربة المستعمر الذي شن على البلاد حربا فى صراحة ووقاحة ، وانبعثت فى ايامه ثورات ملهبة للحماس للقضاء على الواغل المقتحم الكافر الذي سخره الشيطان الرجيم لافساد العقول بمدنيته الملحدة ، وعلمه الشاك .

والحق ان المغرب مسح عن اجفانه فى عهده فتور الوسن ، ونفض عن كاهله غبار الكسل والخمول !! .

ففي عهد هذا الملك الصالح شيدت مدارس وانشئت مؤسسات ومعاهد ، فى مختلف مدن المغرب وقراه على النمط العصري الحديث ، منها مثلا المدرسة اليوسفية بالرباط التي تخرج منها الجم الغفير من شباب المغرب وعيونه وعلمائه كما هو معروف .

وقد امتاز عصر محمد الخامس طيب الله بالرحمة ثراه بالطموح والكفاح ، والجلاد والنضال ، والعمل على حفز الهمم الوانية ، وايقاظ الضمائر الغافية ، واعزاز القومية المغربية ، وتحقيق الاماني الوطنية حتى نالت بلاده فى عهده استقلالا مطلقا ناجزا ، وحرية مهذبة الاطراف .

وقد عانى رحمه الله فى سبيل ذلك رهقا شديدا ، وكابد برحاء الهموم مع المستعمر الذي اراد للشعب المغربي ان يعيش ، ابد الدهر ، بين الحفر ، متاخرا جاهلا مريضا .. لكن همته القعساء ، وعزيمته الماضية ، أبت عليه الا ان ياخذ بيد شعبه ليسكنه بين السماكين ، فعلمه ، وفتح بصره وبصيرته ، وقاده نحو رابية المجد ، ورحاب السعادة الراضية والامل المطمئن ، فنشطت الحركة الفكرية فى أيامه ، وانتعشت النهضة الثقافية فى عهده ، وحظيت منه بعناية خاصة ، واهتمام بالغ .

وكان رحمه الله يجعل من كتاب الله مصباحا يستضيء به اذا ادلهمت الخطوب ، واحلولكت الاحداث ، واستبهمت السبل فيجد فيه الدواء الناجع ، والبلسم النافع لمعضلات الحياة .

تلك لمسات خفيفة عن ملوكنا الامجاد أتينا بها للتدليل على أن هذه الدولة قامت برسالتها الثقافية والاجتماعية والحضارية . وسيرى القارىء الكريم فى هذا العدد الذي خصصناه لخدمة القرآن وعلومه فى عهد هذه الدولة المجيدة تفصيل ما أجملناه ليقف بنفسه على المجهود العلمي الضخم الرائع الذي قام به ملوك هذه الدولة العلوية الشريفة .

وها هو جلالة الحسن الثاني ، حفظه الله ونصره ، وأطال عمره ، وحفظه فى صاحب السمو الملكي ولي العهد المحبوب ، وأبنائه البررة الكرام ، وشعبه الوفي ، يتم صرح هذه الحضارة المغربية المتفتحة ويرعى حركة المغرب العصرية الرشيدة ، بيد أمينة ، وتبصر واع ، وحكمة الاهية للوصول بهذا البلد الامين الى الكمال المنشود.

احمد بركاش

والنجدة ، فقد عملوا ، في وقت جمدت فيه القرائح ، وخارت العزائم ، على انشاء حضارة مغربية اصيلة ، ونهضة فكرية رشيدة متحررة من ربقة التقاليد ، واسار العادات بلغت في عهد جلالة الحسن الثاني غايتها المرجوة ، وشاوها البعيد ، وأمدها المرسوم ...

لقد أدى ملوك هذه الدولة المجيدة واجبهم ، وخدموا كتاب الله وسنة رسوله في تفان واخلاص ، وقاموا بما عهد اليهم نحو رسالة المغرب الحضارية والثقافية والاجتماعية والسياسية .

فبعد ما قضى المولى الرشيد على الخصم العنيد ، والعدو الكاشح ، بالعلاج النافع الحاسم الصواب ، وحل النزعات الاقليمية ، ورد على المغرب وحدته ، وجمع كلمته ، وأهاب بشوارد الانفس الى سواء السبيل ، اختط الخطة « الرشيدة » لرفع قواعد العمل المثمر ، ونشر العلوم ، وتنوير الافكار ، وبث روح المعرفة بين ابناء شعبه ، ضاربا المثل بنفسه حتى كان يحضر رحمه الله مجالس العلماء ، ويغشى رحاب القرويين ولا سيما مجلس العلامة ابي علي اليوسي تحفيا له ، واكبارا للعلم ، حتى قال فيه هذا الاخير في رسالته للمولى اسماعيل :

« ثم جاء المولى الرشيد بن الرشيد ، فاعلى للعلم مناره ، وأوضح نهاره ، وأكرم العلماء اكراما لم يعهد ، وأعطاهم ما لم يعد ، ولا سيما بمدينة فاس ، ففضح من قبله ، وأتعب من بعده ، ولو طالت مدته لجاءته علماء كل بلد ... »

وقد وجه المولى اسماعيل الذي امتاز عهده بالمضاء والعدل ، عنايته الى التربية والتوجيه ، وبسط رعايته على كل عمل من أعمال الفكر ، والى كل فن من فنون الثقافة فسلك سبيل أخيه في احياء المعاهد ، واعلاء شان المدارس والمساجد ، وجعل امتحان الطلبة اساسا لنيل اسمى المراتب ، وتبوء أسنى المناصب ، حتى عم العلم ، وانتشرت الثقافة ، وخر الجهل الفاضح في عهده صريعا لليدين وللفم ..!

وكان رحمة الله عليه يامر العلامة المجاطي بختم التفسير في قصره ، ثم يقوم بخدمة العلماء الحضور لذلك ، ويصب الماء على أيديهم اجلالا للعلم ، وتكريما للعلماء

وقد بلغ من تمسكه وخدمته للقرآن والسنة أن جمع ذات يوم جنوده ، وأحضر نسخة من صحيح الامام البخاري ، وقال قولته الشهيرة في قوة المومن الملهم المخلص الملتزم :

« انا وانتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشرعه المجموع في هذا الكتاب ، فكل ما أمر به نفعله ، وكل ما نهى عنه نتركه ، وعليه نقاتل » .

وهذا محمد بن عبد الله الذي انفسح مدى نظره ، واتسع افق تفكيره ، فترك اثرا ضخما ، وتاريخا حافلا في ميدان الفكر والثقافة ، فقد كان أماما من أئمة الدين ، وعلما هاديا من أعلام المسلمين ترك تصانيف عديدة ، وكتبا شهيرة تشهد لعقليته العملية الفريدة ، تقرأ بالمشرق والمغرب ، فهو الامام الموهوب لهذه الامة على رأس المائة كما قال في حقه عبد السلام بن الخياط القادري رحمه الله .

وكان للمولى سليمان ولوع بزيارة القرويين ، وتفقد علمائها ، وحضور مجالسهم والايعاز اليهم بالتصنيف والتاليف في مختلف الفنون والعلوم ، وضروب المعرفة والثقافة والفكر .

وقد اهتم المولى عبد الرحمن بشان العلم اهتماما زائدا ، فالزم جميع قواد اياالته ان يؤسس كل واحد منهم بناحيته كتابا لتعليم الاطفال أمور دينهم ، وعد من خالف ذلك أو تهاون به مجرما يعاقب أشد العقاب .

كما ربط ابنه المولى محمد أوثق الصلات بين المشرق والمغرب ، فأوفد بعثته المشهورة الى مصر لتعليم فن الطباعة وعلوم الطب والفلك والجغرافية ، وكان له باع طويل ، وقدم فارعة في العلوم العقلية كالحساب والتوقيت والتنجيم والموسيقى حيث درس تلك العلوم بالنقد والتحرير ، وختم كتاب اقليدس في الهندسة .

وانهجوا نهج دينه القويم ، الذي طالما دعا اليه ، وبذل الجهود فى الدلالة عليه ، مستصغرا فى سبيل نشره كل أذية ، وكل سبة فذية . لقد دعا اليه أعواما محتسبا صابرا ، وأوضح تعاليمه ليالي وأياما حامدا شاكرا ، تحفه فى كل مواقفه العناية الالهية ، وتقويه فى كل مراحله العزيمة الاخلاصية ، حتى طلع قمر الايمان فابدر ، وخبا الشرك فادبر ، وظهر دين الله وأزهر ، وانبلج الحق واشتهر ، وزهق تمويه الباطل ودحر . فتح عينا عمياء ، وأسمع أذنا صماء . أنقذ الناس من جاهلية جهلاء ، وحروب شعواء . وما فتىء صلى الله عليه وسلم ، معطيا مثل الانسانية الكاملة ، والاخلاق الفاضلة ، سائرا نحو هدفه الاسمى ، لا يصده صاد كيفما كانت قوته ، ولا يرده راد كيفما كانت شدته ، الى أن توفي والايمان منتشر الاعلام ، والدين ممتثل الاحكام ، والحق باسقة فروعه ، والصدق عامرة ربوعه ، والعدل مفتوحة أبوابه . وتركنا فى أمة جعلت الاسلام فى قلوبها وعقولها وعزائمها ، فأخلصت لله الشهادة ، وعبدته حق العبادة ، وقرأت القرآن تبصرا ، وتلته تدبرا ، واقتطفت ثمار الحكمة من اشجاره ، ورياحين المعرفة من أزهاره ، وجعلته رائدها فى المهمات ، ومفزعها فى الملمات ، ومصباحها فى الظلمات ، وصارت فى كل حال وحادث ملم على تعاليم المنقذ الاعظم صلى الله عليه وسلم ، شعارها الصدق فى الاقوال ، والاخلاص فى الاعمال ، والعدل فى الاحكام ، وخدمة الصالح العام ، رائدها الدعوة الى ضروب الاصلاح ، وأسباب الفوز والنجاح ، وانقاذ الانسانية من مخالب الغواية العاتية . أمة ، وما أعظمها من أمة ! يتراحم أبناؤها ويتعاطفون ، للضعفاء يساعدون ، ولحال البؤساء يرقون ، عن الضرر يتباعدون ، وعلى الخير يتكتلون ، وأمام الحق يخضعون ، نبذوا أغراضهم ، وبذلوا فى المصالح أموالهم ، واتقوا فى كل الاحوال ربهم . وان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .))

من خطبة الجمعة التي ألقيت بجامع حسان يوم الجمعة 26 رجب الاصب عام 1375 هـ الموافق 9 مارس سنة 1956 م .

((... فاذا كنتم مطالبين بأن تكونوا مثالا للاستقامة والنزاهة فى وظيفتكم كقضاة ، فانتم مطالبون أكثر من ذلك ، بأن تكونوا مثالا فى التقوى والورع ، لبقية الناس ، حتى تقوموا بمهمتكم الدينية أحسن قيام ، وتكونوا قدوة لغيركم ، واذا كان اتصافكم بوصف القضاء ، يوجب عليكم الاتصاف بالنزاهة والاستقامة ، فانكم فى العهد الجديد ، مطالبون بذلك أكثر من ذي قبل ، لانكم تمثلون الشرع الشريف الذي يتعين على القائمين بشؤونه ، أن يكون لهم مركز فى الاجتماع ، لا يجاريهم فيه أحد ، وذلك بالقيام احسن قيام ، وعلى اكمل وجه بخدمة مصالح الناس)) .

من الخطاب الذى ألقي بمناسبة تسليم ظهائر شريفة للقضاة الجدد ، يوم الاثنين 6 شعبان عام 1375 هـ الموافق 19 مارس سنة 1956 م .

((.. وليس الناظر الا الحارس الامين على الشىء المحبس ، فاذا كانت الشريعة تطالبه بصيانة متمولاته الخاصة ، فانها بالاحرى تطالبه بصيانة متمولات المحبسين

على سنة السلف الصالح :

شذرات ذهبية خالدة

المملكة المغربية ، معقل الوعي الإسلامي الأصيل في عهد الراشدين العظيمين : جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه ، ووارث سره جلالة الحسن الثاني أدام الله ملكه .

من اختيار الأستاذ م . ع

« ... وهكذا ستبقى علائقنا مستمرة ، علائق الاب مع ابنائه ، حتى نشعر باننا بينكم ومعكم ، كاعضاء أسرة واحدة ، متحدين متوادين ، وبالعروة الوثقى متمسكين، وبوصية الله بالتعاون عاملين (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون) .

من خطاب جلالة المغفور له محمد الخامس — نور الله ضريحه ، أمام الحشود الوافدة على القصر العامر في أعقاب عودة جلالته من المنفى . الرباط — يوم الجمعة 5 جمادى الاولى عام 1375 هـ الموافق 30 ديسمبر 1955 .

« ... ولا يغيب عن ذهننا أن سلامة الدولة مرتكزة على السلام والامن والاستقرار وضمان الحقوق وسلامة النفوس . وان ديننا الحنيف قد حض على الطاعة والنظام ضمن العدل ، وحث على السكينة واحترام حريات الافراد ، ورعى مصالح الجماعات. فاتحدوا ولا تتخاذلوا (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) » .

من خطاب جلالة المغفور له محمد الخامس — قدس الله روحه — اثناء زيارته الرسمية للعاصمة الاقتصادية ، الدار البيضاء ، يوم الاربعاء 25 جمادى الثانية عام 1375 هـ الموافق 8 فبراير 1956 م .

« ... أيها الناس ، ان الله انعم عليكم بدين الاسلام ، فبعروته الوثقى تمسكوا ، واسعدكم بمحمد عليه السلام، فسبيل ملته اسلكوا — اسلكوا سبيل الرسول المستقيم،

فى كل احوالكم . واتخذوا فى العدل قيمة لانفسكم ، وزينة لمحاكمكم . اشعروا الخصوم بان الحكم من قانون الله ، ومراقبة الله ، ليس مستمدا من هواكم ، ولا على وفق شهوتكم ، لتطمئن نفوسهم ، وتستقر وتنقاد لما فرض وقرر ، واقدروا مسالة الحكم حق قدرها ، والامانة العظمى التي حملتموها ، واصيخوا لقول الله ، وما اجل قوله (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين) — وفى الحديث القدسي : (يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا) .

من خطبة الجمعة بجامع القرويين بفاس ، يوم الجمعة 4 ذي الحجة عام 1375 هـ — الموافق 13 يوليوز 1956 م .

« ... ولا نظننا فى حاجة الى القول بان الحضارة فى الاسلام ، تقوم على اسس الاخلاق السامية والفضائل الانسانية ، وغيرة المواطنين عليها ، مما لم نفتا ندعو للتشبث به ، والنضال فى سبيله ، لتيقننا ان ذلك هو اصلح اساس للعمران ، والمدنية المثالية . »

من الخطاب الذي القي بالرباط ، فى حفلة استقبال اعضاء مؤتمر تيومليلين ، يوم الاربعاء 21 محرم عام 1376 هـ الموافق 29 غشت سنة 1956 م -

« ... أما الهدف الذي لن ندخر جهدا فى العمل على ابلاغ شعبنا اليه ، فهو حياة نيابية بالمعنى الصحيح ، تمكن الشعب من تدبير الشؤون العامة ، فى دائرة ملكية دستورية ، تضمن المساواة والحرية ، والعدل للامة أفرادا وجماعات ، حتى يتم بذلك خلق ديمقراطية مغربية بناءة ، تتفق مع ديننا الحنيف الذي جعل الناس سواسية كاسنان المشط ، ومع القرآن الكريم الذي جعل الامر شورى بين المؤمنين ، وأمر نبيه فقال له : « وشاورهم فى الامر » . وحثنا جميعا على التعاون فى البناء حين قال : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ومع تقاليدنا الوطنية التي لم تعرف من انظمة الحكم غير امامة الاسلام القائمة على العدل ، والمعاملة بالحسنى للجميع » .

من الخطاب الذي القي بالرباط - بمناسبة افتتاح المجلس الوطني الاستشاري - يوم الاثنين 8 ربيع الثاني عام 1376 هـ الموافق 12 نونبر سنة 1956 م .

« ... ولكي نعيد للاوقاف الاسلامية مركزها الرئيسي فى التوجيه الروحي ، نظمنا دروس الوعظ والارشاد ، ووجهنا الخطباء الدينيين نحو تجديد أساليبهم . وشكلنا هيئة من العلماء ، لاعطاء دروس دينية وفقهية ، فى جميع أنحاء المغرب الحاضرة والبادية على السواء . ومن الجهة الاجتماعية ، فقد اهتمت وزارة الاوقاف بتحسين أجور

الذين جعلوها وقفا على مصلحة العباد ، من طلبة العلم ، والقائمين بشعائر الد ں ، والمعوزين والفقراء وعابري السبيل » .

من الخطاب الذي القي بمناسبة تسليم الظهائر الى النظار الجدد ، يوم الخميس 16 شعبان عام 1375 هـ الموافق 29 مارس سنة 1956 م .

« ... وعليكم ان تراقبوا الله الذي يتولى سرائركم فيما تصدرونه من احكام ، وان تجعلوا شعاركم أولا واخيرا النزاهة والتبصر والسعي الحثيث لضمان الحقوق ، وهناك من القضايا ما يجب أن يعالج بكامل الحزم والسرعة . فلا ينبغي حرصا على ضمان الحقوق ، التماطل فى شانه ، وبالاخص فى تلك القضايا ما له مساس بالارامل والمحاجير ، والمطلقات . واظننا فى غنى عن تذكيركم بما قرره كتاب الله وسنة نبيه فى حق هؤلاء . وعسى أن تكونوا عند حسن ظننا ، وأن نرى وظيفتكم تسترد باعمالكم مكانتها اللائقة بها » .

من الخطاب الذي القي بمناسبة استقبال عدد من القضاة لمنحهم ظهائر توليتهم . يوم الاربعاء 11 ذي القعدة عام 1375 هـ — الموافق 20 يونيه سنة 1956 م .

« ... يا بني :

لم اعتن بتثقيفك فحسب ، بل كنت أدربك على تعاليم الاسلام ، واحترام اوامره، واقامة شعائره ، كما كنت القنك كيف يجب ان تعامل اباك واخوتك وشعبك والناس أجمعين . وهكذا نشأت يا بني للكبير محترما ، وللنظير أنيسا وملاطفا ، وعلى الصغير رؤوفا حنونا ، تصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتعين على نوائب الدهر .

يا بني :

أقم الصلاة ، وامر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك . ان ذلك من عزم الامور » .

من الخطاب الذي القي بمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لمولد سمو الامير مولاي الحسن، يوم الاثنين متم ذي القعدة عام 1375 هـ الموافق 9 يوليوز سنة 1956 .

« ... ايها القضاة الشرعيون ، أيها الحكام المفوضون ، لا تجوروا فى أحكامكم ، واهتموا بقضايا اخوانكم اهتمامكم بانفسكم . أنصفوا المظلوم ، وأيدوا المهضوم . اجعلوا المتخاصمين لديكم سواء عند التحاكم والقضاء . فلا غرض ولا شهوة ، ولا ميزة ولا رشوة . اسعوا فى مراقبة الحكم العدل فى سركم ونجواكم ، وأرضوا ضمائركم

« ... واياك ان تحيد عن صراط الاسلام القويم ، او تتبع غير سبيل المؤمنين ، فانه لا عدة فى الشدائد كالايمان ، ولا حيلة فى المحافل كالتقوى . واعرف الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة . وتقرب منه بالاعمال الصالحة ذراعا ، يتقرب منك توفيقك باعا . واجعل القرآن المصباح الذي تستضيء به اذا ادلهمت الدياجي ، واشتبهت عليك السبل . وليكن لك فى رسول الله ، وصالحي الخلفاء اسوة حسنة ، اولئك الذين هدى الله . فبهداهم اقتده . »

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة تنصيب صاحب السمو الملكي ، الامير مولاي الحسن وليا لعهد المملكة المغربية ، يوم الثلاثاء 10 ذي الحجة عام 1376 هـ — الموافق 9 يوليوز 1957م

« ... ان حرصنا على الاعتصام بحبل الدين ، والتشبث بمبادئه ، والسير على سننه ، ليعد احد العوامل الاساسية فى خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين ، بالرغم عما اعترض سبيلنا من عراقل ،و مامنينا به من اهوال وخطوب ، وسيظل عاملا اساسيا فى تحقيق اهدافنا المنشودة كامة تواقة الى حياة راقية كريمة . »

من الكلمة الافتتاحية التي توج بها جلالة الملك محمد الخامس — نور الله ضريحه — ، اول عدد من مجلة « دعوة الحق » الصادرة فى غضون شهر يوليوز 1957 .

« ... درج المغرب على ان يكون مهد التسامح الديني ، مما اتاح لكثير من الديانات أن تنعم فى كنفه بالحرية والكرامة ، ومما جعل المسيحية والاسلام تعيشان تحت سمائه جنبا الى جنب ، تعملان فى جو من التعاون والود والصفاء ، وتتآزران لتحقيق خير الانسانية وسعادتها عن طريق نشر التعاليم الالهية ، والدعوة الى التشبث بالمبادىء الانسانية السامية » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة اقتبال اعضاء مؤتمر تومليلين ، يوم الجمعة 26 محرم عام 1377 هـ — الموافق 23 غشت 1957 .

« ... لنوطد العزم على تنوير بصائرنا ، ولنسدد السير فى اصلاح شؤوننا . فان ديننا فى حاجة الى بعث واحياء ، واخلاقنا فى حاجة الى نمو وارتقاء . وان وطننا ليناديناالى اتمام تحريره وتوحيده ، وحماية مجده وتخليده . واننا لن نصل لشيء من ذلك ، بغير ما وصل به المؤمنون ، وما تحلى به العاملون المخلصون » .

من خطبة الجمعة التي كان القاها المغفور له محمد الخامس بتطوان ، يوم الجمعة 2 ربيع الاول عام 1377 هـ — الموافق 27 سبتمبر1957م

الموظفين الدينيين تحسينا ملموسا ، وتبنت تبعا لما امرناها به ، عائلات الشهــداء الذين أعدم آباؤهم او عاقلوهم فى سبيل القضية المقدسة ، وساهمت فى اسعاف طلبة المعاهد الدينيـــــة ... » .

من خطاب الذكرى التاسعة والعشرين لجلوس العاهل الكريم على عرش اسلافه المقدسين — الاحد 14 ربيع الثاني عام 1376 هـ — الموافق 18 نونمبر 1956 م .

« ... فانتم مسؤولون امام الله ، لانكم أمناء على الريع الذي يصرف فى مختلــفه وجوه البر والاحسان ، واعانة طلبة العلم وحفظة القرآن الكريم الذي به اعتزازنــا كمسلمين ، وعليه اعتمادنا فى شؤوننا الروحية ، وتصرفاتنا » .

من الخطاب الذي ألقي بالرباط أمام النظــار الجدد ، بمناسبة تسليمهم ظهائر توليتهم ، يوم الاربعاء 16 جمدى الاولـــى عـــام 1376 هـ — الموافق 19 ديسمبر سنة 1956 م .

« ... ولا تاخذكم فى اقامة العدل بين الناس لومة لائم ، او تحيد بكم عن تطبيق القانون عاطفة نسب ، او صلة صداقة ، وساووا بين الغني والفقير ، وانصفــوا المظلوم ، — ولا يجرمنكم شنئان قوم على ان لا تعدلوا — فالعدل اساس حضارتنا ، ومبدأ من مبادىء الاسلام السامية » .

من الخطاب الذي ألقي بالرباط ، على القضاة الشرعيين والحكام الاقليميين ، يوم السبت 3 جمدى الثانية عام 1376 هـ ، الموافـــق 5 ينايـــر 1957 م .

« ... وان المغرب الذي اختار الاسلام دينا ، والعربية لغة ، قد ساهم فى تاريخه المجيد ، بما يجب عليه من العمل على نشر الاسلام ونصرته والمحافظة عليه ، وقاسى طيلة عصوره التاريخية صعوبات كثيرة فى سبيل الذود عنه ، كما بذل مجهودات فى تبليغ الحضارة العربية الى كثير من الشعوب الافريقية والاوروبية . ونشارك دائما فى توطيد أواصر الاخوة بين المسلمين ، والمودة مع جميع ذوي النيات الحسنه فى كـــل الانحـــــاء » .

من خطاب الترحاب بعاهل الحجاز ، وقد القاه جلالة المغفور له محمد الخامس ، أثناء حفلـــة العشاء المقامة على شرف الزائر الكريم ، يوم الاثنين 18 رجب عام 1376 هـ — الموافق 18 فبراير 1957 م .

فالواجب على رعيتنا ان تتمسك بالدين ، وتقطع دابر الشك بحد اليقين ، وان تلجا الى الله اذا داهمتها الخطوب ، وتاخذ بسننه الكونية لنيل المرغوب (قل هذه سبيلي أدعو الى الله ، على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله ، وما انا من المشركين) .

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة الذكرى الثلاثينية لجلوس جلالة الملك محمد الخامس — طيب الله ثراه — على عرش المغرب ، — فى يوم الاثنين 24 ربيع الثاني 1377 هـ — 18 نوفمبر 1957 م .

« ... المساجد مهوى أفئدة المسلمين ، وأماكن للتذكير والتفكير فى ملكوت الله وعظمة خالقه ، يجتمع فيها المؤمنون لاداء شعائر الدين ، والنظر فيما يعود عليهم بالخير والمصلحة ، اذ فى تشبث المسلمين بعقيدتهم وقيمهم الاخلاقية ، ضمان لرابطتهم واتحادهم ، واستمرار لكيانهم فى العالم » .

من الخطاب الذي القاه جلالة الملك محمد الخامس — قدس الله روحه — بواشنطن ، اثناء زيارته للمعهد الاسلامي يوم الاثنين 2 جمدى الاولى 1377 هـ — 25 نوفمبر 1957 .

« ... وان فى طليعة المبادىء التي يقوم الاسلام على أساس منها ، والتي ترتفع فى عيون المغاربة الى مقام التقديس الروحي ، المحافظة على السلم ، وتوطيد العلاقات الودية بين الناس والامم ، واحلال التعاون والمودة فى سائر الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، كل التطاحن والتباغض والتطاول » .

من الخطاب الذي القي بسان فرانسيسكو ، فى مأدبة العشاء التي اقامتها البلدية ، ومجلس الشؤون الخارجية فى كاليفورنيا الشمالية ، لتكريم الملك الراحل محمد الخامس رحمه الله ، يوم الاربعاء 11 جمدى الاولى 1377 هـ — 4 دجنبر 1957 .

« ... واذا كانت دولتنا تمتاز بانها دولة فتية ، فانها فى نفس الوقت تمثل أمة عتيقة متشبثة بعقائدها الدينية ، وقيم الاسلام الروحية ، تلك القيم التي هي أسس حضارة شديدة الحرص على السلم والعدالة والمساواة » .

من الخطاب الذي القي بالمقر الدائم لمنظمة الامم المتحدة ، يوم الاثنين 16 جمدى الاولى 1377 هـ — 9 دجنبر 1957 م .

« ... ولعل ما نالته القرويين من عناية اسلافنا المقدسين بها ، واهتمامهم العظيم بشانها ، قد ضاعف عناية واهتمام جميع الذين سبقوهم ممن تداولوا الحكم بهذه

« ... كانت بلاد النكور من أوائل ما اختطه العرب من البلدان بعد الفتح الاسلامي فى وطننا ، وسجل التاريخ لها من ضروب البطولة فى مقاومة المهاجمين ونشر الدين فى هذه الاصقاع ، ما يستحق كل اعجاب واكبار » .

من الخطاب الذي القي بالحسيمة يوم الاحد 4 ربيع الاول عام 1377 هـ — الموافق 29 سبتمبر 1957 م .

« ... وكان المغرب من اشد البلاد الاسلامية ايمانا بان العدل أساس الملك . ولعل هذا ما جعل تاريخه الثقافي يتسم بطابع الاغراق فى العناية بالميدان القضائي . ومن المعلوم أن أجلة الفقهاء والقضاة المغاربة ساهموا بأوفر نصيب فى بناء هيكل التشريع الاسلامي ، وتوسيع دائرة دراساته » .

من الكلمة الافتتاحية التي كان جلالة الملك الراحل محمد الخامس — قدس الله روحه — قد توج بها أول عدد من مجلة « القضاء والقانون » الصادرة فى غضون شهر سبتمبر 1957 .

« ... ولعل اكبر وسيلة لجعل مجتمعنا المغربي سعيدا ، هو اقامة شريعة العدل بين افراده وضمان حقوقهم وصيانة حرياتهم ، وذلك ما يمكن من تحقيق الهدف الاجتماعي الذي جاء به الاسلام ، واقره فى نظام تشريعي شامل لجميع الاسس القانونية التي تكفلت تنظيم علائق الرحمة والمودة والسلام والبر بين الناس ، بعضهم مع بعض ، وصيانة الحقوق الخاصة للافراد ، والحقوق العامة للجماعات . ولا يخفى اننا أمة عريقة فى ميدان الدراسات الفقهية والتشريع ، تملك من ذلك ثروة تغنينا عن اتخاذ قوانين موضوعة لدول أخرى » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، أمام أعضاء لجنة تدوين الشرع الاسلامي ، يوم السبت 24 ربيع الاول 1377 هـ — 19 أكتوبر 1957 م .

« ... ان المغرب ينتمي الى عالم العروبة والاسلام الرحب الفسيح ، وهذا الانتماء يجعله شديد الاهتمام بما يجري فيه ، متتبعا عن كثب تطور أحواله ، مؤيدا قضاياه العادلة فى المنظمات الاممية ، كما انه سيسعى لتقوية ما يصله به من اواصر معنوية ومادية » .

« ... وفى الاسلام ما يكفي ويشفي ، وقد علمنا التاريخ ان أجدادنا المغاربة والمسلمين على العموم ، انما سادوا وشادوا بتمسكهم بالقرآن المبين ، واعتصامهم بحبل الله المتين . ولا سبيل للمسلمين للخروج من الحالة الحاضرة واهتدائهم الى أقوم طريق ، الا بالرجوع الى موارد الاسلام الصافية ينهلون منها ويعلون . وسيجدون فيها الدواء الناجع ، لكثير من أدواء العصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فالاسلام دين رحمة وسماحة وعدالة وسلام ، وهو يعطي للرب حقه فى نشاط المرء ، كما يعطي للمجتمع والاسرة والنفس حقوقها .

ليستضيئوا بمشاعل الثقافة الاسلامية العربية ، التي اضطلعت بحملها منذ قرون طويلة فى هذا الجزء الغربي من أرض الاسلام والعروبة » .

من الخطاب الذي القي بفاس ، بمناسبة تسليم قصبة الشراردة الى طلبة جامعة القرويين ، يوم الجمعة 18 ربيع الاول 1378 — 3 اكتوبر 1958

« ... ولا جرم ان الذي يسر علينا اعمالنا ، وقرب منا اهدافنا — بعد هدي الله وتوفيقه — هو ذلك الرصيد الخلقي الذي توافرت لنا فى اغلى القيم ، وأزكى الشيم الدينية والوطنية ، والذي عز به الاجداد وسادوا ، وبنوا وشادوا ، وحفظوا كيانهم ووجودهم ، رغم تقلبات الدهر ، ونكبات الايام » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة الذكرى الحادية والثلاثين لجلوس ، جلالة المغفور له محمد الخامس — طيب الله ثراه — على عرش اسلافه المبجلين ، يوم الثلاثاء 5 جمدى الاولى 1378 هـ — 18 نوفمبر 1958 .

« ... فاما الذين يعتصمون بالله عند الامتحان ، وتطمئن قلوبهم ساعة العسرة بالايمان ، ويدورون مع الحق حيث دار ، ويخلصون فى الاعلان والاسرار ، فقوم يكتب الله الفوز والظهور ، ويهيىء لهم رشدا فى كل الامور ، ويجزل حسناتهم ، ويعلي درجاتهم » .

من الخطاب الذي القي بمسجد آنسيرابي ، زوال يوم الجمعة 19 شعبان الابرك 1378 هـ — 27 فبراير 1959 م .

« ... يجب أن تعتزوا بقوميتكم وتفخروا بها ، وأن يكون سلوككم مستقيما وسيرتكم حسنة ، وأن يعتبر كل واحد منكم نفسه ممثلا للمغرب ، فى هذا البلد الاسلامي ، بل فى افريقيا التي تتطلع الى المغرب باعجاب ، نظرا للروابط العديدة التي تصلها به . ويجب أن تربوا أبناءكم تربية عربية اسلامية ، حتى لا يشعروا انهم غرباء عندما يرجعون الى المغرب » .

من الخطاب الذي القي بدكار ، أمام ثلة من الرعايا المغاربة المستقرين بافريقيا السوداء ، يوم الثلاثاء 22 شعبان 1378 هـ — 23 مارس 1959 م .

« ... كانت الثقافة الاسلامية ، ولا تزال محل اهتمامنا وعنايتنا من أجل تجديدها ونشرها ، تحدونا فى ذلك دوافع روحية وأخرى وطنية . وان مما يجعل رحلتنا لسوس كاملة الفوائد ، ميمونة الصلة والعائد ، ويتم بها بهجتنا ، تدشيننا اليوم لمعهد رودانة الديني الذي نامل أن يؤدي رسالته التربوية والتعليمية على أحسن الوجوه وأكملها »

البلاد ، اذ كانوا يرونها المنار الذي يشع منه ضياء المعرفة والايمان ، والحض الذي تحتمي به لغة القرآن وآدابها فى هذه الديار » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة تدشين اول جامعة مغربية عصرية ، يوم السبت 28 جمدى الاولى 1377 هـ — 21 دجنبر 1957 .

وائنا لنذكر فضل الاسلام على هذا الشمال الافريقي ، وما كان له من آثار فعالة فى تحريره وتوحيده وتمدينه ، وتاهيله للمساهمة فى أداء رسالة فاضلة ، تضمن الخير والسعادة للانسانية ، كما نبتهج ببقاء الروح الاسلامية التي رفعت قدر سلفنا حية فى نفوس الخلف ، تحفزهم للمحافظة على كيانهم ، والنضال فى سبيل الحرية والكرامة » .

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة الدعاء للجزائر ومؤتمر آكرا ، فى يوم الاربعاء 26 رمضان 1377 هـ — 16 ابريل 1958 .

« ... انها لمناسبة سعيدة حقا ، اذ يتاح فيها لمملكتنا ان تمتن روابطها مع اكبر دولة اسلامية ، تلك الروابط المبنية على وحدة العقيدة ، والمطامح ، والرغبة الملحة فى نصرة مبادىء الدين الاسلامي الحنيف وخدمة قضايا السلم والحرية والعدالة فى العالم » .

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة تقديم السفير الباكستاني أوراق اعتماده الى جلالة المغفور له محمد الخامس — رضوان الله عليه — ، يوم الاربعاء 28 ذي الحجة 1377 — 16 يوليوز 1958 .

« ... ولئن كان الاعتبار باحداث الماضي ، والاتعاظ بسير المتقدمين ، يفيد ان فى تثبيت الافئدة ، واجتناب الاخطاء ، فما اجدرنا بان نستخرج من حادثة الهجرة التي ينسب اليها تاريخ الاسلام ، عبرا تقوي عزائمنا على الثبات والتضحية واخلاص النيات ، وما أحرانا أن نتعظ بسير سلفنا الصالح الذي شغفته المثل العليا التي دل عليها الدين الحنيف ، فمضى مسترخصا النفس والنفيس ، ينشرها فى الارض ، ويهدي بها الامم ، ويلفت الانظار الى ما يتلألأ فيها من سنا الحرية والعدالة والتسامح والتساوي بين الناس » .

من الخطاب الذي القي بمناسبة العام الهجري الجديد يوم السبت فاتح محرم 1378 — 19 يوليوز 1958 .

« ... وما هذا العمل فى الواقع الا امتداد لعنايتنا المعهودة بجامعتنا المجيدة ، ومتابعة لجهودنا المبذولة فى تحسين أحوالها ، ورفع مستواها . فبعد ادخال النظام ، وتجديد المناهيج ، وتهيئة أماكن صالحة للدراسة ، تعين ان نخطو خطوة ثانية لتسيير الحياة المادية على طلبتها ، ولاسيما الافاقيين الذين يؤمونها من داخل المغرب وخارجه

اخواننا اللاجئيـــــن ،

أبينا الا أن نزوركم فى المخيمات التي تقيمون فيها لاجئين مشردين عن مدنكـم وقراكم ، ونقف وسطكم لنخاطبكم لا باعتبارنا ملكا فحسب ، بل باعتبارنا أيضا أخا مسلما عربيا ، يقاسم اخوانه العرب والمسلمين آلامهم وآمالهم ، ويشاطرهم سراءهم وضراءهم ، حيثما كانوا ، وأينما وجدوا)) .

من الخطبة التي القيت فى مخيم اللاجئين بأريحا يوم الجمعة فاتح شعبان 1379 هـ — 29 يناير 1960 م .

((... لقد كنا وشعبنا نتوق من زمان الى زيارتكم لنا ، ورؤيتكم فى هذا الجزء من الوطن العربي الكبير ، سيرا مع خطتنا الرامية الى توثيق التعارف والتعاون بـين ملوك الاسلام والعروبة ورؤسائها . وقد أججت هذا الشوق الزيارة التي قمنا بها الى بلدكم فى أواخر يناير الماضي تلك الزيارة التي قابلتمونا خلالها أنتم وشعبكم بكل حفاوة والتي استطعنا بها أن نتعرف على الاشواط التي قطعها بلدكم — تحت قيادتكـم الحكيمة — فى سبيل التطور والتقدم ، ونقدر الدور العظيم الذي تقومون به فى حماية الاماكن المقدسة التي تهفو اليها قلوب المسلمين فى كل مكان)) .

من خطاب الترحيب بجلالة الملك حسين ، عاهل المملكة الاردنية الهاشمية — يوم الجمعة 25 شوال 1379 هـ — 22 ابريل 1960 م .

((... وأملنا ان نرى الشعوب الاسلامية تواصل سيرها الموفق نحو استكمال حريتها ، وتحقيق وحدتها ، وتتعاون على خدمة السلم ، ونشر الحضارة فى المعمور)) .

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة حلـول العام الهجري الجديد ، فى يوم السبت 30 ذي الحجة 1379 هـ — 25 يونيه 1960 م .

((... ولقد أثر عن المغاربة فى ماضيهم — ومنذ خروجهم الى الوجود كشعب ذي كيان ممتاز — تشبثهم بالدين الحنيف ، وهيامهم بكل فضيلة ، وتقديسهم للعلم وتقديرهم للعلماء . ويرجع الفضل فى اصطباغهم بهذه الصبغة الى جامعة القرويين التي كانت لها آثار بعيدة المدى فى تكييف الحياة المغربية وتوجيهها باستمرار ، اذ هي التي مكنت للاسلام فى نفوس المغاربة وأطلقت ألسنتهم بالعربية .

فلا عجب ان صارت مهوى الافئدة وقبلة الانظار ، واستأثرت بعطف جميـع الملوك الذين تعاقبوا على حكم المغرب ورعايتهم وتاييدهم ، حتى رجعت مدرسـة شهيرة ذات أنصار ومريدين ، ومذهب معروف ، ومنهج واضح فى البحث والتحليل والاجتهاد والافتاء ، تسارع الى التدريس بها علماء الاقطار المغربية والاندلسية ، وتسابق الطلبة من الاقطار الافريقية ومن أوربا لطلب العلوم التي كانت تقرأ بهـا ،

ان الثقافة الاسلامية جزء من مقوماتنا الوطنية ، ولا يسعنا ونحن نشيد صرح نهضتنا الحديثة ، الا أن نستمسك بها ، ونحافظ عليها ، حفظا لكياننا ، وربطا لحاضرنا بماضينا ، وتيسيرا لاسباب التقدم والتطور التي يجعلها الاسلام في متناول أيدي الذين يعتنقونه ، ويسيرون طبق تعاليمه الخالدة ، على أن هذه المحافظة ، لا تعني — كما قد يتوهمه البعض — الوقوف عند حدود معرفة الاحكام الشرعية ، والقواعد اللغوية ، بل تفسح المجال لاستيعاب العلوم والفنون ، على اختلافها ، لتكون ثقافتنا الاسلامية حينئذ ثقافة كاملة ، نطيق بها المساهمة في اقامة ركن الحضارة الجديدة ، كما ساهم اجدادنا بها في اقامة ركن الحضارة القديمة)) .

من الخطاب الذي القي بتارودانت ، بمناسبة تدشين المعهد الاسلامي بهذه المدينة ، يوم الجمعة 20 ذي القعدة 1378 هـ — 29 مايو 1959 .

((... كما لا أكتم ثقتي من نجاحكم ، اذا عملتم كما عمل أفراد جيلي ، متآخين متضامنين ، متشبثين بمثل الاسلام العليا ، مخلصين لمبادئه السامية ، مؤثرين للصالح العام . فاحرص يا بني وليحرص معكجيلك على التحلي بتلك الاخلاق ، فانها اجمل زينة في الرخاء ، وأمضى عدة في الشدة . وللتاريخ شواهد تؤكد ان الامم الموفقة والافراد الناجحين ، انما أفلحوا بالتزام الاخلاق القويمة ، والسجايا الزكية الكريمة . ولك من الامة المغربية خير مثال : اشرق عليها لاسلام بروحانيته ولا ذكر لها يذكر ، فاتحدت باعتناقه بعد تفرقة ، وقويت بعد ضعف ، واستغنت بعد املاق ، وانتشرت تدعو لمثل الاسلام ، وتمكن لشريعته السمحة)) .

من الخطاب الذي كان وجهه جلالة محمد الخامس — قدس الله روحه — الى شعبه الوفي ، من مدينة — بيركوس — في طريقه الى سويسرا بمناسبة الذكرى الثلاثينية لميلاد سمو ولي العهد الامير الجليل مولاي الحسن حفظ الله .
في يوم الخميس 2 محرم عام 1379 هـ — 9 يوليوز 1959 م .

((... وحرصنا على أن يتم تطور المغرب ، في نطاق المحافظة التامة على شعائر الاسلام وتعاليمه ، والاعتزاز العميق بالقومية المغربية ، بل نحن لا نتصور ان يتطور المغرب خارج هذا النطاق . فالاسلام في جوهره دين يسر سمح ، يكفل الاستقرار والتقدم والسعادة والرفاهية للذين يتبعون هديه ، ويفسح مجال التفكير والبحث والاجتهاد)) .

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة الذكرى الثانية والثلاثين لجلوس الملك المنعم — محمد الخامس — رحمه الله — على عرش أسلافه المقدسين ، يوم الاربعاء 16 جمذى الاولى 1379 هـ — 18 نوفمبر 1959 م .

عرى الاخوة والصداقة . وقد زاد تلك الروابط «قوة ومتانة اهتداء شعبيهما بهداية الاسلام ، وقيامهما معا بنشر تعاليمه ، وتوسيع نفوذه داخل القارة الافريقية » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ترحيبا برئيس مالي يوم السبت 18 ذي الحجة 1380 هـ — 3 يونيه 1961 م .

« ... وحيث انكم حماة كتاب الله ، مفسرون لكتاب الله ، ولقوانين الاسلام ، حماة النظام ، لان عليكم أن ترفعوا المظالم بسرعة وبنزاهة وباستقامة حتى لا تفتحوا الابواب للانتقامات الشخصية ، والتصرفات الشخصية ، لذلك فان من واجب الدولة من جهة اخرى ، أن تساعدكم على القيام بمهمتكم ، وذلك باعطائكم المقـام الـلازم واللائق بكم فى المجتمع المغربي » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، لدى زيـارة صاحب الجلالة لوزارة العدل ، يوم الاثنين 27 جمدى الاولى عام 1381 هـ — 6 نوفمبر 1961 م.

« ... يجب أن تكون شخصيتنا الاسلامية بارزة فى جميع مظاهر النهضة ، وان تاريخ المغرب نفسه ليشهد بان أزهى عصورنا هي العصور التي كان التمسك بالاسلام فيها من أبرز المميزات ، وان كل حركة تحريرية اصلاحية ، انما قامت على أسس القيم الروحية ، ففي اطار ديننا الاسلامي السمح سنصوغ كل عمل ، وكل اصلاح ، لان المكاسب الدنيوية ليست غاية فى حد ذاتها ، لانها مكاسب محدودة . أما المكاسب الروحية ، فليست لها حدود ، لانها هي الوجود ، ولانها هي التي تمكن الفرد مـن حسن التصرف فى مكاسبه الدنيوية ، وتكيف تصرفه بالخصال الحميدة ، حتى لا تكون فى المجتمع شحناء ولا بغضاء ولا تفرقة » .

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة الذكرى الاولى اجلوس جلالة الحسن الثاني على عرش جدوده المنعمين ، يوم السبت 26 رمضـان 1381 هـ — 3 مارس 1962 م .

« ... وفيما يرجع لنشاط وزارة الاوقاف ، أوفدنا وزيرنا فيها الى جل الاقاليـم للتعرف على احتياجات المواطنين فى الميدان الديني ، وعلى ضوء دراساته ومشاهداته ، امكن بناء عدد من المساجد ، واصلاح وتجديد مئات اخرى ، كما يوجد تحت الدرس ، مشروع بناء عدد من المساجد فى الاحياء العصرية التي تزايد سكانها المسلمون .

وقامت وزارة الاحباس أيضا بتوفير العدد الكافي من الوعاظ والمرشديـن ، لتزدهر بهم من جديد ، حلقات الثقافة الاسلامية ، ويكون المسلمون على بينة كاملة من شؤون دينهم وآدابه السامية ، واخلاقه العالية » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبـة الذكرى الثانية لجلوس حضرة صاحب الجلالـة الحسن الثاني ايده الله ، على عرش أسلافـه المنعمين ، يوم الاحد 7 شوال 1382 هـ — 3 مارس 1963 .

والتي كانت تعدو علوم الشريعة واللغة ، الى العلوم المشاعة بين البشر من فلسفة ومنطق وحساب وهندسة وأدب وتاريخ وطب وموسيقى وتنجيم » .

من الخطاب الذي القي بفاس ، بمناسبة ذكرى مرور أحد عشر قرنا على تأسيس جامعة القرويين يوم الاثنين 18 ربيع الثاني 1380 هـ — 10 أكتوبر 1960 م .

« ... كما شاهدت السنة الاحتفال بذكرى مرر أحد عشر قرنا على تأسيس جامعة القرويين ، تلك الجامعة التي كانت اكبر سند للاسلام والعروبة فى هذا الجناح الغربي فى بلادهما ، والتي ستبقى محل عنايتنا ورعايتنا لتواصل اداء رسالتها التاريخية وخدمة الحضارة الاسلامية ، والثقافة العربية » .

من خطاب الذكرى الثالثة والثلاثين لعيد العرش يوم الجمعة 28 جمدى الاولى 1380 هـ — 18 نوفمبر 1960 م .

« ... وانني اعاهد الله واعاهدكم على أن أضطلع بمسؤولياتي ، وأؤدي واجبي ، طبق مبادىء الاسلام وقيمه السامية ، وتقاليدنا القومية العريقة ، ومقتضيات مصلحة الوطن العليا » .

من أول خطاب وجهه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني الى شعبه ، اثر توليته الملك — يوم الجمعة 15 رمضان المعظم 1380 هـ — 3 مارس 1961 م .

« ... ابتـاه ،

... وبنفس هذه الطمانينة ، استعادت ذاكرتي وصاياك الكريمة التي كنت تزودني بها ، وفى طليعتها خطابك الذي وجهته لي ، والذي ضم جوامع كلمك ، ذلك الخطاب الذي سيبقى لي نبراسا يضيء لي السبيل ، الم تتوجه الي فى ذلك الخطاب بهذا القول الحكيم :

يا بني لقد اخترت لك من الاسماء الحسن ، لاربط بين حاضر البلاد وماضيها القريب والبعيد . وليكون لك فى جدك المولى الحسن خير اسوة واعظم قدوة . فلم تطل على السادسة من عمرك ، حتى قدمتك للمعلم ليلقنك آيات القرآن ، وليغرس فى قلبك الطاهر الفتي حب الدين وعزة العروبة والاسلام » .

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة الذكرى الاربعينية لوفاة جلالة الملك محمد الخامس قدس الله روحه — يوم الخميس 20 شوال 1380 هـ — 6 أبريل 1961 م .

« ... ونحن لا نعتبركم أجانب فى هذه البلاد ولا غرباء عن اهلها ، بل نعتبركم فى بلدكم وبين أهليكم وعشيرتكم ، ولا عجب ، فمنذ فجر التاريخ وبلدانا مرتبطان باوثق

الاسلامية فى المشارق والمغارب على السواء ، الى الاعتصام بحبل الله ، والتسمك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، والى الاقتداء بهدي الرسول ، وسير الائمة الصالحين من بعده ، حتى نعود كما كنا خير أمة اخرجت للناس ، تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله)) .

من كلمة جلالة الملك ، بمناسبة عيد الهجرة النبوية ، يوم الاثنين 21 ذي الحجة 1383 هـ — 4 مايو 1964 م .

((... واننا لنستوحي من هذه الذكرى مبادىء خالدة كان لها الاثر الفعال فى تحرير الانسانية ، ورفع مستواها المادي والمعنوي ، واخراجها من الظلمات الى النور . وان مملكتنا القائمة على الحفاظ على هذه المبادىء السمحة ، لتهتدي بهديها فى تعايشها الانساني ، مع الطوائف الدينية الاخرى المقيمة بين ظهرنينا)) .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، جوابا عن تهنئة اعضاء السلك الديبلوماسي بعيد المولد الشريف ، يوم الخميس 13 ربيع الاول هـ — 23 يوليوز 1964 م .

((... ربوا بنيكم أيها الاخوة فى خشية الله قبل كل شيء ، وبذلك يحبونه عندما يبلغون اشدهم . ربوهم فى محبة وتقدير الشيوخ ، والعطف على الصغار ، والرفق بالمساكين ، لقنوهم المحبة المطلقة ، تلك المحبة التي ذكرها الله فى جميع الاديان والكتب المنزلة . وبهذا فقط سيخلد هذا المسجد وغيره ، ما دام فى جميع الاديان هذه الارض . وما دون هذا قال فيه تعالى فى القرآن الكريم : ((فاما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس ، فيمكث فى الارض)) .

فما دامت قلوبنا فى صفاء ، وأفئدتنا متجهة نحو التعاليم الالهية ، وما دمنا متعاضدين ومتضامنين ، فالله معنا ، وسيرشدنا ويساندنا)) .

من الكلمة التي ارتجلها جلالة الملك الحسن الثاني — ايده الله — بمناسبة تدشين الجامع الكبير بدكار يوم الجمعة 12 ذي القعدة 1383 هـ — 27 مارس 1964 م .

« ... كان الشعب المغربي دائما تواقا الى الحرية ، محافظا على كرامته . اعتنق عن طواعية واختيار ، لانه رأى فى الاسلام الاطار الحقيقي الذي يمكن حريته من الانطلاق ، وان الديانة الاسلامية خليقة بأن تكون أساسا للعمل فى البناء ، لانها تنبني على فضيلة جماعية تعود بالنفع على الجميع ، وعلى المجتمع » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة حملة انتخاب مجلس النواب ، يوم الاربعاء 21 ذي الحجة 1382 هـ — 15 مايو 1963 .

« ... ونحن على يقين أن العلم وحده منفصلا عن الايمان والوعي والشعور ، خراب للروح . لذلك ، فان رسالة شباب الجيل الصاعد ، تكمن فى التكوين الروحي بعد التكوين الجسمي ، لانها رسالة انسانية قبل كل شيء . وهذا التكوين الروحي ، يتم عن طريق تلقين وتنمية القيم الروحية التي يتميز بها ديننا الحنيف ، ويزخر بها ماضينا الذهبي ، فالاسلام يجعل منا نحن المومنين بنيانا مرصوصا يشد بعضه بعضا».

من الخطاب الذي القي بالمحمدية بمناسبة عيد الشباب ، يوم الثلاثاء 17 صفر الخير 1383 هـ — 9 يوليوز 1963 .

« ... واذا كان المغرب رفض قبل الاسلام جميع الفتوحات المادية والتاثيرات المعنوية ، فانه تقبل الهداية الاسلامية فى أول عهودها الزاهرة باطمئنان ورضى ، اذ وجد فيها رائده الروحي ومصدر انطلاقه لحياة العزة والكرامة ، فقد أثبت التاريخ انه حافظ على أصول ذلك الهدي ، واحتضنه وحمله فى أمانة الى مختلف الآفاق ، ثم انتصب عليه قيما حفيظا حين ابتلى العالم الاسلامي بالنكسة التي تلافاها لحسن الحظ اجدادنا المقدسون ، فى هذا الوطن العزيز » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة انشاء (دار الحديث) يوم الثلاثاء 26 رمضان 1383 هـ — 11 فبراير 1964 م .

« ... وان فى تعاليم الاسلام الحنيف ، وهدي القرآن الكريم ، ما يملأ النفوس فضيلة والمحجة نورا ، فلنخلص العمل لربنا ، ولنستمسك بتعاليم ديننا ، وتقاليد قوميتنا ، تتحقق لنا الآمال ، وتثمر الاعمال ، وتحالفنا السعادة فى الحال والمآل .
« قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله . وما أنا من المشركين » صدق الله العظيم » .

من الخطاب الذي القي بالدار البيضاء بمناسبة الذكرى الثالثة لجلوس جلالة الحسن الثاني أيده الله ، على عرش أجداده المنعمين ، يوم الثلاثاء 18 شوال 1383 — 3 مارس 1964 م .

« ... لما كان الاسلام دين النصيحة كما قال جدنا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، فان خير نصح نسديه بمناسبة عيد الهجرة النبوية هو أن ندعو أبناء امتنا

من ابناء المحاسيب واعيان الجيش والمخزن ، للاقامة هناك سنوات لحفظ القرءان وتجويده ودراسة العلوم الاسلامية ، واستمر الامر على ذلك زمن مولاي سليمان ومولاي عبد الرحمن وسيدي محمد بن عبد الرحمن . وفي هذه القبيلة درس كل من السلطان مولاي الحسن الاول ، ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ . وقد رايت فى مذكرات استقاها الاستاذ الحاج احمد بناني من السيد ادريس ولد منو الذي كان طالبا مرافقا لمولاي عبد الحفيظ فى مدة مقامه باحمر تفاصيل عن هذه الدراسة وبرامجها والسلوك والواجب فيها .

وقد عرف مولاي سليمان بمزيد من العناية بالكتاب والسنة واحترام لرجال القراءات ، فاتخذ امام المقرئين فى عصره سيدي ادريس الودغيري خطيبا بمسجد فاس العليا ثم نقله الى المسجد الذي بناه بالرصيف من فاس . ولسيدي ادريس المذكور ثمانية كتب فى علم القراءات ، اما اكرامه لشيخه سيدي محمد ابن عبد السلام الفاسي فقد سجله التاريخ بصفحات من ذهب وكان مولاي سليمان يتردد عليه لمنزله ويلقبه بشيخنا واغدق عليه هدايا كثيرة ، وحينما توفي امر جلالته بتحبيس كتبه على ابنائه ومن تناسل منهم فاذا انقطع العقب ترجع تلك الكتب او بعضها الى خزانة الزاوية الفاسية وبعضها الى خزانة القرويين . واكراما لهذا الشيخ الف مولاي سليمان كتابه عناية اولي المجد بذكرى ءال الفاسي ابن الجد . وتوجد فى بعض الخزائن الخاصة بمراكش نسخة عليها خط مولاي سليمان وطابعه الكريم ، كما توجد فى خزانة القاضي سيدي الصديق الفاسي نسخة عليها تقاريض العلماء المشيدين بفضل مولاي سليمان واعترافه بجميل استاذه ، ولا غرابة فمن الاثار التي يرددها فقهاء الكتاتيب القرءانية وطالما سمعناها منهم : من علمك حرفا من القرءان فهو سيدك ومولاك .

واشتهر فى زمن مولاي عبد الرحمن الاستاذ الحاج المعطي التادلي الذي قيل عنه انه تخرج عليه خمسمائة حافظ لكتاب الله فاتخذه السلطان المذكور معلما لبناته ، وكان الى جانب ذلك منكبا على نسخ المصحف الكريم وتوزيعه حتى عد من نسخه ما يفوق المائة من المصاحف .

وكان الحسن الاول ذا عناية تامة بدراسة القرءان والحديث ويكفي للدلالة على ذلك هذه التعاليق التي تنشر لاول مرة الحاقا بهذا المقال .

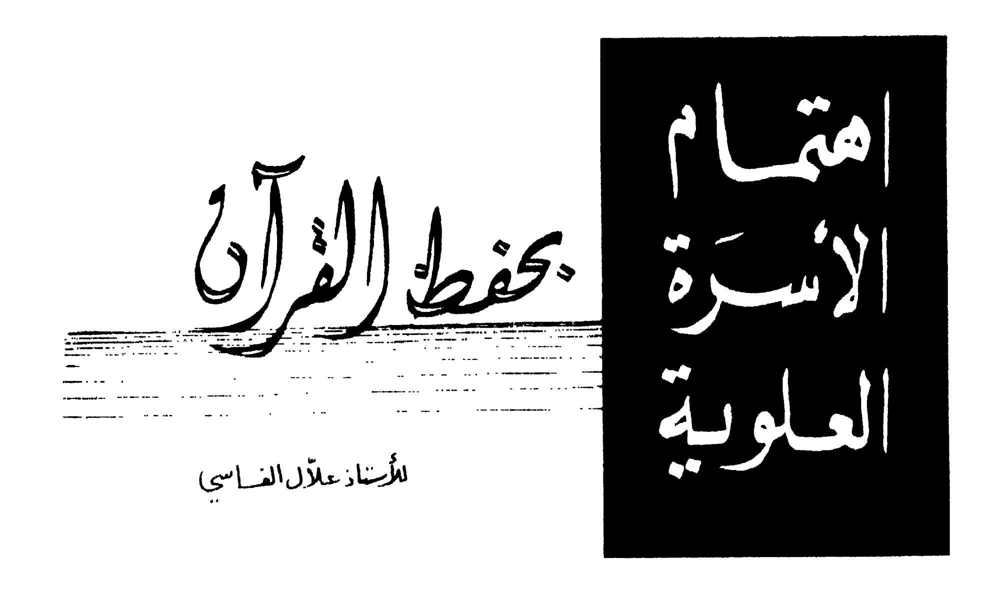
حدث اثناء قراءة الدروس المولوية من كتاب صحيح البخاري ان طلب السيد القاضي احمد ابن سودة عدم سرد حديث الافك قائلا ان الاوفق عدم اشاعته بين العوام ودراسته فعارضه فى ذلك العلامة السلفي سيدي عبد الله السنوسي الذي كان رجع من رحلته الى الشرق ودعا الى الاصلاح الديني فاشتدت المناقشة بين الفقيهين حتى الف ابن سودة رسالة في الرد على السنوسي واكد وجوب عدم قراءة حديث الافك وشنع على الشيخ عبد الله ادعاءه الاجتهاد واستدلاله بالكتاب والحديث وهو ممن لا يتجاوز درجة المقلد . وبعد ما اطلع مولاي الحسن على هذه الرسالة ملأ هوامشها تعاليق موضوعية وافق ابن سودة في بعض ما قاله ولكنه اعطى الحق للسنوسي فى قراءة قصة الافك المذكورة فى كتاب الله وختم بهذه الكلمة الرقيقة : (القرءان كله لنا فال حسن) .

وقد وقفت على تجريد لهذه التعاليق انتسخها بعض عدول فاس ، فرايت من المناسب نشرها فى خاتمة هذا المقال حفظا لها من الضياع وابرازا لجانب من جوانب العناية بمسائل الدين وما نص عليه القرءان الكريم . **ولا غرابة اذا راينا الحسن الثاني ينسج على منوال جده فى مشاركة اهل العلم فى الدراسات الدينية وكلنا رجاء ان يضاعف جلالته عنايته بالقرءان ودفع الناس الى حفظه ودراسة علومه الدينية فوقتنا احوج من كل وقت مضى الى المزيد من هذه العناية والرعاية.**

الرباط : علال الفاسي

الملحق

الحمد لله . تجريد ما وقع به مولانا الذي لم تزل فيوض المعارف مقتبسة من بيانه ، ونكت البلاغة طوع بنانه ، ادام الله نوره هاديا ، ومدد بحوره للمستمدين جاريا ، على تقييد الفقيه القاضي السيد احمد ابن سودة المؤلف فى الرد على من انكر عدم سرد الحديث الافك ، عند قراءة الحديث الشريف بالاعتاب الشريفة وهو السيد عبد الله السنوسي ، واذا رد عن ذلك بنصوص الائمة انكر التقليد وصار يدعى الاجتهاد بذكره ويقول برايه وذلك فى اواخر رمضان المعظم عام عشرة وثلاثمائة والف بمحروسة فاس ، صانها وحفظها المولى من كل باس .



لعل من نافلة القول ان نؤكد اهتمام اسرة مالكة كالاسرة العلوية المنحدرة من علي بن ابي طالب والمتصلة بالرسول عن طريق فاطمة الزهراء بحفظ القرءان وتلاوته ودراسة تفسيره وعلومه ، فذلك ما هو طبيعي وضروري لما يقتضيه واجب امارة المومنين ، وما يستوجبه المركز المختار الذي لآل البيت فى المجتمع الاسلامي .

لقد كان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فى جملة الصحابة الكبار الذين حفظوا القرءان وشاركوا فى جمعه وتدوينه وروايته وتلقينه ثم تفسيره وتاويله والسير على منهاجه ، فلا غرابة ان يورث ءال بيته نفس العناية والاهتمام بكتاب الله عز وجل .

والاسرة العلوية فى المغرب قامت على اساس الدعوة الى توحيد الدولة المغربية وجمع كلمتها حول امام من سلالة الرسول ومبايعته على العمل بكتاب الله وسنة رسوله . وقد كانت سجلماسة مقرا للدراسات القرءانية ومفزعا لحفاظ كتاب الله حتى ان العلامة اليوسي روى انه عرف فى ايام دراسته بها زهاء الالفين من حفاظ الروايات العشر والسبع ، ولكن جمعهم انتثر فى عهود الاضطراب وتوزعوا فى مختلف جهات المغرب. ولا شك ان اهتمام المولى الرشيد واسماعيل من بعده اعاد سبيل الامن والطمانينة ففسحا بذلك المجال لدراسة القرءان وسائر العلوم الدينية ، وتكفي مراجعة كتب التراجم والفهارس الحديثة لمعرفة العديد من العلماء الذين برزوا فى هذا العصر فى علوم القراءة والتفسير وما اليهما . وقد كان المولى اسماعيل نفسه من حفاظ القرءان يستحضر ءايه فى كثير من احواله كما وصفه بذلك سان لوي فى التقرير الذي رفعه لملك فرنسا لويز الرابع عشر فى شأنه .

ولا شك ان التقاليد الخاصة بالاسرة بدات تتبلور فى هذا الوقت بالذات ، ومن جملتها العناية بتعليم افراد الاسرة ذكورا واناثا آيات الكتاب الكريم واحكام الاسلام حتى اصبح من الضروري وجود كتاب داخل القصر للقيام بهذه المهمة واستمر العمل على ذلك حتى عهد محمد الخامس حيث أسس المدرسة الملكية العامة ، وقد عرف الامراء مولاي الحسن ومولاي عبد الله والاميرات عهد الكتاب القرءاني حيث كان استاذنا السيد محمد اقصبي يقوم فيه بواجب المحفظ للقرءان والمربي على ءادبه .

ومن اطرف ما نعلمه فى هذا الموضوع ان جلالة سيدي محمد بن عبد الله وصل فى بعض اسفاره التفقدية الى قبيلة احمر من منطقة آسفي ، وخرج ذات ليلة متنكرا لتفقد الاحوال فراى جماعات من القراء يرتلون القرءان وراى فقيها مشرفا على تلك الجماعات ومربيا لها ومفسرا لبعض الآيات فسره ذلك كثيرا . وفي الغد جاء القواد والاعيان لاستقباله ، وقدم له القراء وكان من بينهم ذلك الفقيه الذي رءاه فأمر بتنحية القائد، وعين ذلك الفقيه مكانه ، وقال للناس ان ! هل القرءان والمعرفة اولى بالولاية من غيرهم . ثم قرر ان يرسل اولاده ومن يرافقهم عادة

12 ــ المتسبب كالمباشر

13 ــ حمل الافك من انواع الغيب الخ

14 ــ وقد ذكر في الجامع الصغير الذي ينقل الخبر احد الشاتمين

15 ــ قوله عن الرازي ذكر قصة داوود ويوسف يقتضي اشاعة الفاحشة فوجب ان يكون محرما الخ .

16 ــ استدلالا بقوله تعالى : ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة الخ

17 ــ قوله عن ابي السعود والمراد بشيوعها شيوع خبرها .

18 ــ استدلالا بقوله تعالى : يعظكم الله ان تعودوا لمثله الخ .

19 ــ قوله واي اذاعة اعظم من ان نذكر اي عائشة بذلك الخ .

20 ــ والخوض في حديث الافك من هذا القبيل الخ

21 ــ قوله : بالروضة المنورة لايقراون ولا سورة تبت يدا ابي لهب اعظاما لرسول الله .

ولا زندقتهم وانما يقول مؤيد الكتاب والسنة ، فحام ولم يرد . ووقع له كالمجذوب لا يربط كلاما بكلام . وقد ختمنا بقول صاحبه خليل والله اعلم ، وان كان مبحوثا معه فيه .

12 ــ مفهوم

13 ــ لعل هذا يورد اذا اقتصر على التحدث وحده لا بحسب التبعية .

14 ــ من نقل كلام الناس الخ وعهدته على قائله .

15 ــ لعله الاقتصار عليهما .

16 ــ المحبون لذلك

17 ــ حبا وغرضا

18 ــ ولعله لمفتريه والله اعلم والا دخل في وعيده كل من الفه ونسخه وسرده ، فتطلق عليه الاعادة .

19 ــ القرءان .

20 ــ خاصا .

21 ــ القرءان كله لنا فال حسن .

انتهى التعليق الملكي بلفظه .

علال



مواضع التعليق من كلام ابن سودة

1 – فبيان لك من هذا الذي قررتاه ان ترك قراءة حديث الافك واجب على الرعية الخ .

2 – قال ابن العربي وقاية العرض بترك سنة واجب فى الدين الخ .

3 – وقال (ص) من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه الخ .

4 – وقد ادب سيدنا عمر رضي الله عنه صبيغ ابن عسل التميمي حين سأله عن معنى والمرسلات عرفا .

5 – لا يخوض المكلف فيما لايعنيه مستدلا بقوله تعالى تلك أمة قد خلت الخ .

6 – ومنها ما قاله القاضي عياض فى الشفاء من انه لا يجوز التحدث باخبار الانبياء الخ .

7 – وقد كره مالك التحدث بمثل ذلك الخ .

8 – قوله عن الدلجي ومن ثم لم يوافقه (اي مالكا) احد على كراهة التحدث الخ لانه لم يجز بذلك عبثا ولا ليترك سدى .

9 – قوله فى احتجاج الدلجي مع امره (ص) بلغوا عني ولو آية الخ .

10 – قوله ان ما قاله امامنا مالك فى كراهة التحدث هو الذي يقول به جميع الناس الخ .

11 – قوله فما عسى ان تقوله ايها المعترض الخ .

التعليق الملكي

1 – بل حسن لا احسن وخلاف الاولى .

2 – كالافتاء بغير المشهور اذا جرى به العمل او لضرورة .

3 – مسلم .

4 – والله اعلم .

5 – ولعله المقام محرز التفسير

6 – وهو شفائه .

7 – الكراهة سدا الخ

8 – من يومر

9 – ظاهر

10 – خلاف الدلجي

11 – انما يقول بالقرآن والحديث وقول مالك فى الاجتهاد وعدم حمل الناس على قوله ، وما اجاب به القعنبي الى غير ذلك وهو ان القرءان والحديث وكلام الائمة بلفظه مسلم صحيح فى نفسه ، لا لاحد ما يقول فيه ، الا ان قائله يضعه فى غير موضعه ويورده فى غير موارده ولم يوجد من يحسن جوابه عن ذلك ورده حتى يوقفه ويفحمه بالحجة عدى صاحب هذه النبذة في البعض . واما غيره فخبطة شعواء منه لفظا ومنه همزا ولمزا . لكونه اي المردود عنه ما يحتج به من قول مالك اذا قلت قال رسول الله الخ واذا قلت لكم انا فاعرضوا الخ انما كلامه فى ذلك مع الراسخين لا مع امثالنا فيفحم ، وما يتعرض له بخليل ويعترض عليه به فجوابه خليل فصله وقد قال الخ مبينا لما به الفتوى وبالظهور لابن رشد وبالقول للمازري وبالترجيح لابن يونس الخ وفقهه كله فى الكتاب والسنة الا انه لم يذكر الحديث بلفظه كصاحب الرسالة فى بعض المواضع ، وليطالب ببيان مسألة فى خليل غير موافقة للكتاب والسنة فيفحم . وغايته انه لم ينقل شبه الفلاسفة

يصلح لها ، ولا يقال اردت هذه الخشبة لقبول الرياسة والخيرات ، فلم اجدها تصلح لذاك ، ولم يتخرج هذا الكلام الا فى معرض الذي لمن لم يكن اهلا لقبول ما رشح له وما اريد منه .

« والتفات آخر : لا يصدر هذا الكلام الا ممن يزيد علمه باختبار الاشياء ، اما الفاطر العالم قيوم السماء فلا يناسب نسبة هذا اليه الا فى معرض الذي ممن اراد ان يظهر عيوبه لخلقه ، اما فى مثل الجمادات فلا .

« نحب من شيخنا ان يعطي هذا الكلام حقه من نظره السديد وان لا يقرني على خطأ ، سيما وفيه تجاسر على ما لست له بأهل . والله يعصم افهامنا من الزلل ءامين . »

ثم زاد باثره يليه توضيحا لمراده قوله : « لانك لا تقول عرضت فضيلة على الجبل فلم اجد فيه قابلية، وعرضتها على زيد فوجدته ظلوما جهولا ، الا اذا اردت ذم الصنفين على ان جلالة الاخطار فى الاخطار ، وليس الذي بمتوجه على من حمل ما يبلغه ، انما الظلم والجهل منصبان على الخاسر ، وجنس الآدمي والجان خير من الجماد ، اعني المومن ، والجماد قابل لما حمله من امانته ، وهي السجود والتسبيح والاذعان ، وما يؤمربه من خسف وزلزال ، ومن لم يخن من الجن ولانس ممدوح له فضيلة تحمل الامانة وعدم الخيانة فى امانته كما فسره به الكشاف ، وهل هو ابتكر هذا الوجه وتعب عليه ، لله دره ، أم سبق اليه أحدنا » الخ .

وقد اجابه الشيخ الطيب بما نصه :

« الحمد لله حق حمده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وجنده . كأن مراد مولانا الامام المؤيد، ابقى الله سعادته ومجادته الى الابد ، مناقشة الزمخشري فى عدوله فى الاية عن الحقيقة الى المجاز مع ان حملها على ظاهرها ممكن ، وهو المهيع المطروق الوارد عن السلف الذين هم اعلم منا بتاويل كتاب الله ومحامله الحقيقية والمجازية ، وادرى باساليب كلام العرب وما يتبادر من تراكيبهم وما ، لا . »

وبعد ان تعرض الشيخ الطيب لراي الزمخشري فى الاية الكريمة وهو وجهان كلاهما محمولان على المجاز ، وتعقبه بان حملها هي الحقيقة بخلق الادراك والفهم فى الجمادات المذكورة غير مستبعد على قدرة الله عز وجل وانه هو الحمل المنقول عن السلف ، استطرد لذكر الراي الذي ادلى به البيضاوي وهو محل بحث السلطان ، ولكنه انما نقله بالحرف ولم يعقب عليه بشيء ، كأنه لم ير فيه ما راى السلطان .

لكن تقييدا آخر ، نظن انه له ، وانه كتب بعد مراجعة ثانية من السلطان للشيخ الطيب ، وتحليته باوصاف راى انها فوق قدره كما فى طالعة هذا التقييد، يفصح عن موافقة السلطان فى بحثه وتأييده فى مناقشته، وهو يقول فيه :

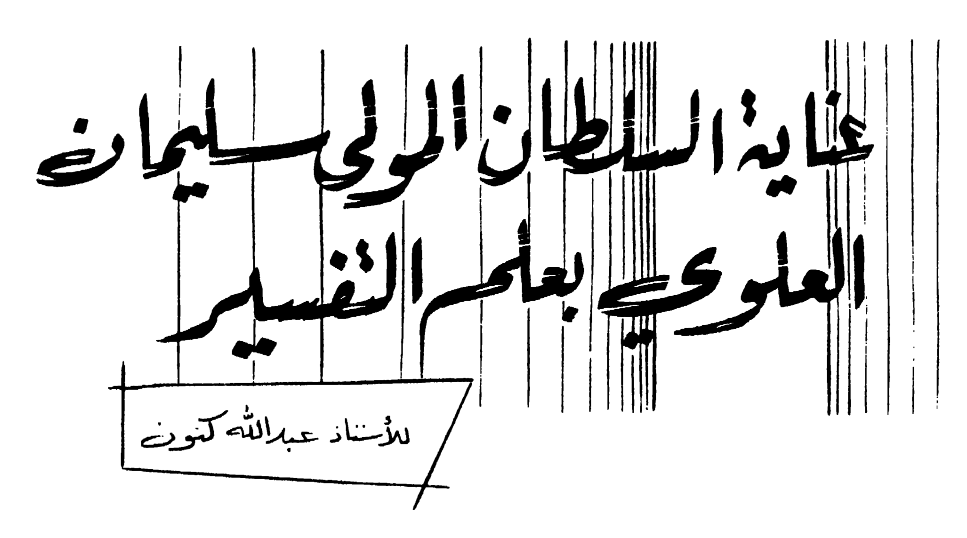
« ولنرجع الى المقصود فنقول ما اعترض به سيدنا على البيضاوي وارد عليه اي ورود ، عند تحكيم العبارة ومنعها من الانحراف والشرود ، والجرى على مقتضى اللفظ افرادا وتركيبا ، والاخذ بمعناه سياقا وترتيبا ، وبأدنى ادنى من ذلك يناقش العلماء بعضهم بعضا ، ويواخذ النقاد البصراء من يتساهل في التعبير ولا يحترز عما يوهم ما لا يرضى » الخ .

والجدير بالذكر ان العلامة مولاي عبد الهادي العلوي كتب على بحث السلطان غير موافق على ما لفظه: « الحمد لله تأملت ما كتبه مولانا الامير سليمان ومجاراة شيخه سيدي الطيب بن كيران فاتضح لي عدم صحة ردهما على الزمخشري والبيضاوي ، ولم يبين رايه وانما احال على تفسير العلامة ابي السعود. ومن هنا قلت ان التقييد الثاني ربما كان للشيخ الطيب ايضا لانه هو الذي فيه موافقة السلطان ومجاراته ، فضلا عن كون المصدر الذي انقل عنه ، وهو مجموع من محتويات خزانتنا الكنونية ، اكثره من مؤلفات الشيخ الطيب .

* * *

وءاية اخرى للسلطان مولاي سليمان فيها بحث ادلى به لشيوخه وعلماء مجلسه ، فوافقوه عليه ، وهي قوله تعالى (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون) فيه تقييد اظنه للشيخ الطيب ايضا ان المفسرين والنحويين ذكروا فى معنى (من) هنا وجهين ، البدل اي ولو نشاء لجعلنا بدلكم ملائكة كقوله (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) ، والثاني الابتداء اى ولو نشاء لجعلنا ملائكة ناشئين منكم ولم نجعلهم خلقا مخترعا بلا ابوين .. والخطاب على الوجهين للبشر عموما .

ثم قال التقييد : « وظهير لسيدنا السلطان المؤيد ، والعالم النحرير الاوحد ، مولانا سليمان بن مولانا محمد ، وجه ثالث كتبه بخطه الشريف وتلقيناه منه بالمشافهة وهو ان تكون (من) للبدل ، ولكن الخطاب خاص بالرسل كانه قيل : ولو نشاء لجعلنا بدلكم ايها الرسل ملائكة يخلفونكم فى دعوة البشر الى الله وتلقينهم عنه شرائعه واحكامه كما اقترحه الكفار



السلطان العالم ابو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل العلوي الحسني ، الى جانب اضطلاعه بشؤون الملك والامامة العظمى ، كان شديد الاهتمام بالعلم والاكباب عليه والتأليف فيه ، ولا سيما علم الحديث وعلم القرءان ، واعتناؤه بالعلماء وتقريبه لهم والمجالس التي كان يعقدها معهم للمذاكرة وقراءة الكتب العلمية المختلفة هو مما تعالم من سيرته واشتهر من برنامج عمله اليومي ، واخص ما كان يعنى به علوم البلاغة والحديث والقراءات ، كما يعلم ذلك من ترجمته وكم حض على تحرير مسائلها والتأليف فيها ، ومما هو معروف ان عدة كتب فى هذه العلوم وضعت بامره وتحقيقا لرغبته ، وانه اجاز عليها بالجوائز السنية ، والمكافآت العظيمة .

وهذا فضلا عن كونه هو نفسه قد عني بالكتابة فى موضوعات متنوعة من مسائل العلوم المذكورة ، وجود فيها ما شاء ، وتآليفه هذه توجد فى الخزائن العامة والخاصة بكثرة .

ويهمنا فى هذا المقام عنايته بعلم التفسير خاصة، وبعض كتاباته فيه ، لا سيما وهو مما لا ينبه عليه التاريخ ولا يشير اليه كتاب ترجمته الا تضمينا حين يؤكدون على اشتغاله بعلوم القرءان جملة ويعينون منها علم القراءات بالخصوص ، وهو الذي الفت فيه باسمه كتب متعددة من رجال مختصين ، وبعضها مطبوع متداول ، فأحببنا ان نلم فى هذه العجالة بشذرات من كتاباته وابحاثه التفسيرية على وجه التعيين ، لندل على شمول عنايته بعلوم القرءان ؛ للتفسير الذي هو لبها وجوهرها ، ونبرهن ضمن ذلك على غوصه وتعمقه فى الفهم وبعد نظره وتحققه بفنون البلاغة واسرار العربية ؛ الذي جعله يدرك ما خفي على بعض المفسرين ويراجعهم فيما لهم من انظار ، ولكن فى دائرة المسلمات من العقائد والاصول الفقهية وعدم الزيغ عن الصراط المستقيم .

واول ذلك بحث له مع العلامة البيضاوي في تفسيره للآية الكريمة : (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا) فان هذا المفسر بعد ما فرغ من عرض ما لغيره فى الآية من ءاراء وهي ان المراد بالامانة الطاعة وبعرضها على من ذكر الفرض والتقدير وليس العرض بالفعل ، او ان المراد بها الطاعة الطبيعية والاختيارية وبالعرض الاستدعاء طلبا للفعل من المختار وارادة لصدوره من غيره ، أو ان العرض كان حقيقة بأن خلق الله الادراك فى هذه الجمادات ، والامانة على كل حال هي الطاعة .. بعد ذلك اتى براي له خاص عبر عنه بقوله : « ولعل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن ، وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم القابلية والاستعداد ، وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها » . الخ .

فكتب عليه مولاي سليمان موجها الخطاب الى استاذه الشيخ الطيب بن كيران ما نصه :

« الحمد لله . اردت ان اظهر لشيخنا عوض والدنا ، جودة نظرنا ليكون ذلك عنده افضل من حمر النعم ، كما قالها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لولده لما استحيى ، فمنعه ذلك من الحياء فى العلم . وهو اعتراض على البيضاوي فى الوجه الذي ابداه ، فانه ينبو عن الفهم السالم ، ومن كان له حسن نظر فيما يعطيه الكلام ويرتب عليه النظام ، فأقول : انما يقال لعاقل مثل زيد أردته لقبول المعالي والمزايا فلم اجده

الدولة العلوية والقرآن الكريم

للعميد الرحالي الفاروقي

القرءان اصل اصيل فى حفظ المدنية الاسلامية وشرح مقوماتها ، وسبب قائم للهداية البشرية وتطور حياتها . ودلالة على النظر فى الكائنات والاتصال بطبيعتها .

ومنذ نزل الكتاب العزيز الى الارض والناس يستضيئون بتوجيهاته ونظرياته ، ويستنبطون اصول الحياة وفنون المعرفة على اختلاف المدارك والمذاهب والغايات من جوامع كلماته ، وما زالوا يستحثون على الاقتباس من وحيه فى كل عصر من العصور ، وما انفكت التفاسير تتشاكل فى وضعها مع احوال الزمان وظروف المكان ، وما برحت عناية العالم مصروفة الى ترجمته والوقوف على ثروته ، فاستفاد منه العنصر الاجنبي فى نهضته وحضارته ، وفى ابحاثه الفضائية ، وفى محاولاته الصعود الى المناطق السماوية ،ومع ذلك ففي كتاب الله عز وجل من الاسرار والعجائب ما لا ينبئك عنه الا تقدم الزمان ، وتطور فكر الانسان ، كما يقول الله تعالى : (وما اوتيتم من العلم الا قليلا). والمسلمون عندما اخذوا بهذا الكتاب فى حياتهم ، واستجابوا له استجابة حية كانوا راجحين فى كل ميزان ، وسابقين الى كل ميدان ، وكانت عزتهم وكرامتهم بمكان ، وصدق قول الله العظيم : (وانه لذكر لك ولقومك) .

ولقد نالت منه الامة المغربية اوفر الحظوظ والانصبة حتى قالوا ان القرءان نزل بلغة العرب ففسره العجم ، وحفظه المغاربة ، ونطق به المصريون ، ولقد شيد ملوك الدولة العلوية الذين اشتهروا بحماية الكتاب العزيز ، والذين كتب لهم شرف الدفاع عن استقلال الوطن العزيز عند ما طرا عليه طارىء الاستعمار عملا بقوله تعالى : (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) ، شيدوا اركان صرح المعرفة بهذا البلد الامين ورفعوا منارها ومعالمها وشجعوا هيئتها ومطالبها فكان ادنى ما يعامل به قارىء القرءان او الضارب فى العلم بأدنى سهم ، ان يعظم ويحترم وان لا يعامل بما تعامل به الرعية من اداء المغارم المالية ، والكلف المخزنية والحركات السلطانية ، وكانوا أعزهم الله يرون من فخر الدولة ومجدها تشييد المدارس القرءانية والعلمية على نفقاتهم الشخصية حتى كان الناس يقلدونهم فى هذا الباب والناس دائما على دين ملوكهم ، فيقيمون المدارس والمكاتب القرءانية والزوايا والرباطات والمساجد على نفقاتهم الخاصة مساهمة فى الخير واحتسابا بالله تعالى ، والدولة تعاملهم ازاء ذلك بالاجلال والتوقير، وتسندهم بالظهائر والتنويه والتقدير ، ولم يكن من المعروف فى المغرب ان يتعاطى المرء العلم وهو غير عارف بالقرءان ولا جامع له .

ففي عهد جد العلويين المولى اسماعيل بن الشريف توافرت المكاتب وتكاثرت المدارس فى المدن والقرى والمداشر ، يتعلم الناس فيها القراءة ، والكتابة ، والحساب ، ويحفظون القرءان الكريم ، وكانت العادة جارية فى هذا العهد وفيما بعد بالاحتفال بحفظة

غير مرة ، فقال قوم نوح (ولو شاء الله لانزل ملائكة) وقال كفار قريش (لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) الخ ... »

وقد وجه التقييد هذا الراي وايده ، واورد ما ياتي عليه من الاعتراض وابطله ورده ، وجعله من الفهم الذي اوتيه رجل مسلم كما ورد في الحديث ، ومما نشير فيه : كم ترك الاول للاخر ، لان المفسرين لم يهتدوا الى تطريق هذا البحث في الاية ، واقتصروا فقط على الوجهين السابقين ، ثم ختم الكلام فيه بقول ابن مالك المشهور في خطبة تسهيله « واذا كانت العلوم منحا الهية ، ومواهب اختصاصية ، فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتاخرين ، ما عسر فهمه على كثير من المتقدمين » .

* * *

وكتابة ثالثة له قدس الله روحه على ءاية (وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم ، الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه) الاية .. وهي ءاية جديرة بالتأمل ، وتثير تساؤلات عديدة ، وعليها مبنى عقيدة النصارى فلننظر كيف حرر السلطان مولاي سليمان مبحث تفسيرها بسياق ما كتبه عليها ونصه مستخرجا من شرح شيخه عليه .

« انه اعلم بمراده تعالى ربنا .. (وان الذين اختلفوا فيه) اي عيسى من بني اسرائيل اليهود الذين كذبوه ، والنصارى الذين صدقوه ، وفرقهم في زمان محمد صلى الله عليه وسلم (لفي شك منه) اي لفي شك من امر عيسى ولم يحقق احد من المختلفين فيه ما هو الحق المطابق للواقع ، فكيف يحاجونك بما لا يعلمون صحته ، الا فرقة واحدة ، وهي المعتقدة للحق الصادقة من فرق النصارى . ولهذا لم يختلف قولها مع قول محمد والقرءان ، فلم تقصد بالذكر وليست في شك .

« والحق ما انزل اليك وهو ما تعتقده الفرقة الناجية التي بقيت على الحق ومن تبعها عليه حتى اتى محمد بالحق والنور : انهم (ما قتلوه يقينا) اى من ظن ذلك (بل رفعه الله اليه) وذلك ما اشير اليه في الاية من اختلافهم وشكهم اى بيانه ان فرق النصارى اختلفت في نفسها ومع اليهود ، فقالت اليهود هو كاذب وقد قتلناه وصلبناه ولكن شككهم في ذلك انهم لم يجدوا صاحبهم المنافق الذي القى شبهه عليه ، او المسلم الذي فقدوه من العدد على القول بان شبهه القى على مسلم من اصحابه ، لانهم علموا بالعدد الذي في البيت الذي كان فيه عيسى ، فلذلك قالوا ان قتلنا المسيح عيسى فأين صاحبنا وان قتلنا صاحبنا فأين عيسى ، او قالوا البدن بدن صاحبنا والوجه وجه عيسى ، فلذلك كانوا في شك من فعلهم .

« واما النصارى المارقون عن الحق فقالت فرقة هو الله والاله لا يقتل ، وقالت فرقة قتل وصلب فلذلك زادها بعض لليهود ، وقالت فرقة هو ابن الله ، وقالت فرقة هو اله ثالث ، وهي التي تقول بالتثليث ، وقد وجدهم قسطنطين الملك على فرق تزيد على الثلاثين ، وكلها ضلال ، الا القليل المعتقدين ما في القرءان الذي يقوم على الحق ، حتى اتى محمد صلى الله عليه وسلم ، ففروا منه بدينهم ، وقد جمعهم قسطنطين المذكور على ما هم عليه الان ، او جلهم وسماها الامانة الكبرى، وهي في الحقية الخيانةالكبرى»

هذا تفسيره رحمه الله ورضى عنه للاية ، ويظهر عند تأمله ما فيه من تحقيق للنظر وتنزيل على الواقع واستدلال بتاريخ النصرانية نفسها ، مما يجعلنا نكبر همة هذا السلطان الذي لم تشغله مهام الملك وتدبير شؤون الرعية عن المشاركة مع اعيان علماء عصره في خدمة القرءان وعلومه بهذا الجهد الكبير والنفس العالي .

وقد اتبع شيخه هذا التقييد بشرح واف ، ابرز فيه نكته ومضامينه واستشهد عليها بالنصوص والنقول المؤيدة من قواعد الاصول والمنطق والبلاغة واقوال ائمة التفسير والمحدثين فاتى في ذلك بالعجب العجاب .

ومرة اخرى نظن ان شيخه هذا هو العلامة الطيب بن كيران لان نفسه ظاهر في كتابته ، وان لم يسم نفسه ولم يسمه كاتب الشرح وهو احد العلماء الاثبات .

ومن هنا نظن ايضا ان التفسير الذي كتبه الشيخ الطيب بن كيران والذي يبدا من سورة النساء ويقف في سورة غافر ، لا يبعد بل يترجح ان يكون بامر من مولاي سليمان ونتيجة لهذه المداولات التي كانت تجري بينهما في معاني الايات الكريمة ومراميها والتعليق على ما نحاه المفسرون السابقون في ذلك .

رحم الله السلطان العالم مولاي سليمان الذي كان مفخرة للسلاطين وعزا للعلماء .

طنجة : عبد الله كنون

فجاء آية فى الصنع ، وغاية فى الابداع ، وتفضل جلالته بالحضور فى الدروس التفسيرية والحديثية التي اصبحت تقام عادة فى رمضان من كل سنة بأمره واشرافه ، جعل الله هذه الاعمال خالصة لوجهه الكريم ، ودائمة بدوامه الى يوم الدين والجزاء .

وهاك ما يشهد للموضوع من الانتاج الواقع فى ظل الدولة العلوية مما بلغ اليه علمنا القاصر وهو قليل من كثير :

1) اللمعة فى قراءة السبعة لابي زيد الفاسي المتوفى سنة 1096 .

2) حاشية على الجعبري شارح حرز الاماني للمنجرة المتوفى سنة 1179 .

3) حاشية ايضا على الجعبري لابن عبد السلام الفاسي المتوفى سنة 1214 .

4) التوضيح والبيان فى مقرا نافع بن عبد الرحمان لابي العلاء البدراوي المتوفى سنة 1257 .

5) الاتحاف فيما يتعلق بالقاف للقاضي ابن خضراء المتوفى سنة 1322 .

6) تأليف فى تجويد القرءان لمحمد بن يوسف الجناني المتوفى سنة 1302 .

7) منظومة فى وقف القرءان فى قراءة البدور السبعة للسيد ابراهيم انجار المتوفى سنة 1253 .

8) تأليف فى قراءة نافع وبيان رواته للسيد محمد بن عمر التنملي المتوفى سنة 1299 .

9) تفسير البحر المديد فى تفسير القرءان المجيد لابن عجيبة المتوفى سنة 1224 .

10) حاشية على تفسير ابي السعود والبيضاوي للسيد حمدون بن الحاج

11) تفسير القرءان لابي الحسن الدمناتي المتوفى سنة 1306 .

12) تفسير من سورة النساء إلى حم غافر للشيخ الطيب بنكيران المتوفى سنة 1227 .

ومما يلاحظ ان ظاهرة حفظ القرءان مجردا عن معرفة معانيه لم تكن فى عهد السلف الصالح — ولذلك كان بعض الشيوخ لا يسمح بمحو الالواح حتى يقراها التلميذ بكل ما يتعلق بها من رسم ، وتجويد ، واعراب وتفسير .

ذلك ان القصد من قراءة القرءان هو معرفة معانيه الدينية ، والدنيوية ، والكونية ، ولا يتهيأ ذلك الا بدراسة اللغة العربية وادبها ، فانهما المفتاح لادراك ما فى القرءان الكريم من المعاني المختلفة ، فينبغي ادخال العلوم اللسانية الى المدارس القرآنية ويكون ذلك بنظام يضمن النجاح ويحقق الفرض المنشود ، ولا يتأتى هذا الا بتعدد الاساتذة فى المكتب القرءاني ليقوم كل واحد باختصاصه من تلك العلوم الادبية ، ونحن لا ننكر فضيلة تلاوة القرءان ولكن ليست التلاوة هي المقصود من القرءان والله الموفق .

مراكش — الرحالي الفاروق

القرءان على وجه خاص حيث كان الاباء برعاية الدولة يشترون افراسا كهدية لاولادهم عندما يجمعون القرءان العظيم ، ويتناول حافظ القرءان المصحف بيده ، ويركب الفرس يتفسح عليه ، وسائر صبيان المكتب تذهب للتفسح مع المحتفل به ، وتاتي اليهم اجواق الطرب فترافقهم وتشنف اسماعهم ، وبعد ذلك من اراد قراءة العلم توجه اليه ، وعندما يتمم دروسه يقع امتحانه واختياره ، ومن فاز باغلبية الاصوات على اقرانه عين قاضيا أو مفتيا ، فانظر كيف كانت عنايتهم بالقرءان الكريم ، وكيف كان الاحتفال به خاصا ، وكيف كان التشجيع للعلم فى هذا العهد الشريف .

وفى عهد المولى سليمان بن محمد كانت المناداة بحفظ القرءان وتعلم العلم ، والتشجيع على تعاطيه ونشره بالدراسة والتاليف وخاصة علوم القرءان والحديث بالغا اقصاه وقائما على المراعاة والملاحظة ، وتقديم المنح والجوائز ، وترتيب الارزاق والفوائد للمستحقين وللفائقين ، فمن ذلك انه رحمه الله امر ابا العلاء ادريس بن عبد الله البدراوي وكان من الشخصيات اللامعة فى القراءات ، والتجويد ، والرسم، ان يؤلف تاليفا فى مقرأ نافع ابن عبد الرحمان المدني فألف كتابه التوضيح والبيان فى مقرا نافع بن عبد الرحمان ، قال فى أوله جعلته سلما لتعليم الصبيان ، وتذكرة للماهرين بالقرءان ، وامره كذلك بتاليف فى همزة الوصل وفى الالف التي تزاد فى الخط الى غير ذلك من الخدمات القرءانية التي ارشد اليها رحمه الله ، وفى عهده نبغ المفسر الكبير الشيخ الطيب بنكيران الذي وضع تفسيرا جليلا من سورة النساء الى حم غافر .

واما فى عهد المولى محمد بن عبد الله فقد استوت النهضة وازدهرت الحركة باعتماد القرءان والحديث ، وبتوجيه التعليم وتنظيمه ، وتحديد برامجه ومناهجه ، ثم بوضع منشور للتعليم اذاعه على العموم والخصوص ، وتوعد كل من خرج عن احكامه، وراقب التعليم مراقبة تمنع من التصرف المطلق في ابوابه ، وهذا المنشور الذي له ذكرى فى التاريخ يعد من معالمه الحسنى ومكارمه المثلى رحمه الله تعالى ، ومن أجله انتشرت كتب السلف ، وكثر الاطلاع على آثار الاقدمين ، واستقام النظر فى الكتاب والسنة ، وكانت الصلات تاتي فى كل عيد الى القراء والعلماء والطلبة والمؤذنين وائمة المساجد ، تشجيعا لهم على ممارسة اعمالهم بنشاط واخلاص ، والاعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى .

وفى عهد المولى الحسن الاول كان اعتبار حملة القرءان الكريم متناهيا ، وكان تشجيعهم بالمكافآت السخية ، والاعطيات الوافرة التي كانت ترصد لكل من جمع القرءان الكريم ، واما الذين يحفظونه برواية الشيخ حمزة فكانوا علاوة على تمتعهم بالنوال والعطاء يتحررون من كل خدمة ونائبة ، وهذا الالتفات الخاص الذي توج عهد الحسن الاول رحمه الله ، ادى الى انتشار الكتاتيب القرءانية وازدياد عددها فى اكثر الاقاليم المغربية ، فكنت تجد اكثر الدوار او المدشر فى البادية من حفاظ القرءان الكريم حتى انهم اصبحوا يكونون مجتمعا خاصا فى هذا الاطار ، ويوجد فى بعض قبائل السراغنة دوار من اولاد صبيح ينيف سكانه على مائتي خيمة ما زال الى الان يطلق عليه دوار حمزة لانهم كانوا يحذقون رواية الشيخ حمزة .

واما حفيداه جلالة محمد الخامس رحمه الله وجلالة الحسن الثاني حفظه الله فقد كانا معلمين للخير ، ومقتصين هذا الاثر بحكمة ، ومجليين عن نفسهما فى ذلك المضمار ، واهتما على الخصوص زيادة على ما تحليا به من العطف والحدب ، على اهل العلم والادب ، وعلى ما امتعا به شعبهما من نهوض عام وازدهار شامل — بتنظيم التعليم عموما وبتنظيم مدارس القرءان والحديث خصوصا ، والكتاب والسنة هما المصدران الاساسيان للدين الاسلامي . وهما بؤبؤ كل عز ومنهاة كل مجد .

وقد زادت عناية امير المومنين الحسن الثاني فعين قراء اجلة وأساتذة اكفاء فى دار الحديث المؤسسة برباط الفتح ، وفى مدارس القرءان التي توجد بنواحي الجنوب والشمال ، مما جعل الالسنة رطبة بالدعاء لجلالته والثناء على همته ، واكتظت هذه المدارس التي تتلى فيها آيات القرءان الكريم بالطلاب الذين ياتون اليها من كل صوب وحدب بغية جمع القرءان ، وتجويده ، والالمام باحكامه ، وبرواياته السبع والعشر، وجعل اعزه الله وزارة الشؤون الاسلامية تشرف على هذا العمل البار وتراقب سيره ونشاطه ، وتؤدى الرواتب والمنح للقائمين عليها من شيوخ القرءات ، وللمستفيدين من نوابغ الطلبة والطالبات .

ومن معالم عنايته اعزه الله بالكتاب والسنة ، امره الشريف بطبع المصحف الكريم طبعا فائقا من جهة الخط والرسم ، ومن جهة الزخرفة والفن ،

المبين ، ولا يستغر الاحلاف ، وهم العمارنة ، وعرب بني . اسماعيل من العهم الى بني (يزناسن) ، فاستولى عليها، اعدائه داخل ا'وجدة ، وكان اهلها حزبين : حزب يدعو الكثير ة مقك ، وحزب ثابت على ولائه لدولته المغربية سز المواطنون الصادقون بمقدم الامير العلوي محمد ابن الشريف ، فانقضوا على الحزب الداعي الى الاتراك، فخضدوا شوكتهم ، وفتكوا بهم وردوهم الى الصراط المستقيم ، وصفت وجدة ونواحيها للامير محمد بن الشريف ، ولم يبق فيها معارض ولا مشاغب ، وكان ذلك سنة 1060 هـ .

ثم استولى المولى محمد بن الشريف على ندرومة وتلمسان ، وما يحيط بهما من القبائل ، وتصدت له الحامية التركية التي كانت في تلمسان ، فهزمها شر هزيمة ، وقدم عليه محمود شيخ حميان مع اعيان قبيلته وبايعه ، ودخل في طاعته ، ووصل الى عين ماضي والاغواط في الناحية الشرقية من الجزائر ، واستبشرت قبائل العرب كلها في الجزائر بهذا الامير الميمون ، وكانوا كارهين لحكم الاتراك المغيرين المغتصبين ، ثم رجع الامير سالما غانما منصورا مظفرا، بعد ما شب نيران الحرب في الايالة التركية ، ونسفها نسفا ، وضرب اولها بآخرها ، كما يقول الناصري في الاستقصا ، وخاف الاتراك على انفسهم ، فاستعملوا العقل والحكمة وبعثوا وفدا مؤلفا من عالمين وقائدين تركيين ، فوصلوا الى سجلماسة ، ومعهم كتاب من رئيسهم عثمان باشا يناشد المولى محمد بن الشريف الله ، ويحاكموه الى شريعة جده محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول له : نحن مسلمون ، فبما ذا تستحلون قتالنا ؟

فتاثر الامير محمد بهذه الرسالة ، واخذته القشعريرة وقال : والله ما اوقعنا في هذه المحذورة الا شياطين العرب ، انتصروا بنا على اعدائهم ، واوقعونا في معصية الله ، وابلغناهم غرضهم ، فلا حول ولا قوة الا بالله .

واني اعاهد الله تعالى لا اعرض بعد هذا اليوم لبلادكم ولا لرعيتكم بسوء ، واني اعطيكم ذمة الله ، وذمة رسوله ، لا قطعت وادي تافنا الى ناحيتكم الا فيما يرضي الله ورسوله . وكتب لهم بذلك عهدا الى صاحب الجزائر ، وقنع بما فتح الله عليه من سجلماسة ودرعة واعمالهما . انتهى .

وهذا الموقف الذي وقفه هذا الامير الجليل يدل على خوف من الله ، واتهام للنفس ، ووقوف عند حدود الشريعة ، وتعظيم لحرماتها ، مع انه لو أراد ان يتأول ، لكان له في التأويل مجال .

فقد اخرج الطبراني بسند صحيح من حديث عبد الله بن السائب قال : قال رسول الله (ص) : قدموا قريشا ولا تقدموها ، وتعلموا من قريش ولا تعلموها ، ولولا ان تبطر قريش لأخبرتها ما لخيارها عند الله تعالى . وله شاهد عند البزار من حديث علي ابن ابي طالب ، وآخر عند ابن عدي من حديث ابي هريرة .

وفي الصحيح عن النبي (ص) انه قال : الخلافة في قريش ما اقاموا الدين ، لا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه في النار .

فكان للامير محمد بن الشريف الحق في أن يتقبل بيعة من بايعه من تلك القبائل ، وان يتقدم ويحكم ، فهو احق بالحكم من أولئك الاتراك ، ولكن كما تقدم من شيمة آل البيت النبوي الكريم التواضع لله ولاخوانهم المسلمين اقتداء برسول الله (ص) الذي امره الله تعالى بقوله في سورة الشعراء (142 — 215 وانذر عشيرتك الاقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) .

امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يحذر اقرب الناس اليه ان يتكلموا على قرابتهم منه ولا يعملوا عملا صالحا ينجيهم من عذاب الله ، فحذرهم النبي (ص) امتثالا لامر ربه فقال عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين : يا فاطمة بنت محمد ، سليني من مالي ما شئت ، وانقذي نفسك من النار ، لا أغني عنك من الله شيئا ، ثم قال : يا صفية عمة رسول الله انقذي نفسك من النار ، لا اغني عنك من الله شيئا ، يا عباس عم رسول الله انقذ نفسك من النار لا اغني عنك من الله شيئا ، يا بني هاشم ، لا يأتيني الناس بالاعمال وتأتوني بالدنيا فتقولون : يا محمد ، فأقول : لا ، قد بلغت . أو كما قال عليه الصلاة والسلام . فمثل هذه النصوص هي التي جعلت الامير محمد بن الشريف يعتذر للاتراك ويعاهدهم كما تقدم .

فان قيل : ما علاقة هذا الخبر التاريخي بالموضوع الذي انت متصد للكتابة فيه ، وهو تمسك ائمة الدولة العلوية بكتاب الله وبيان رسوله صلى الله عليه وسلم، فالجواب :

ان معنى التمسك بكتاب الله ، هو اتباع الكتاب العزيز ، والوقوف عند حدود الله ، والتحاكم الى كتاب —

أئمة الدولة العلوية، وتمسكهم بكتاب الله وبيان رسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم

للدكتور تقي الدين الهلالي

قال الله تعالى فى سورة الاحزاب (33 انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)

اخرج ابن ابي شيبة واحمد ومسلم وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم عن عائشة قالت : خرج النبي (ص) غداة ، وعليه مرط مرحل من شعر اسود ، فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه ، ثم جاءت فاطمة فادخلها معه ، ثم جاء علي فأدخله معه ، ثم قال (انما يريد الله) الاية .

ومن حديث واثلة بن الاسقع عند ابن ابي شيبة واحمد وغيرهما ان النبي (ص) قال بعد ما غطاهم بالكساء : اللهم هؤلاء اهل بيتي ، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

فأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هم احق الناس بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونشر الويتهما بين الناس ، وتبوأ اعلى المراتب فى الدين والدنيا ، فهم سرج هداية ، ومصابيح الظلام ، كلما عظمت الخطوب ، واظلمت الآفاق بدا منهم سراج ، ولاح منهم بدر كشف الظلام ، وجدد الدين ، وقاد السفينة الى شاطيء السلامة والكرامة .

ومن هؤلاء المصابيح الغر الميامين الامام الحجة المجاهد ، الورع ، التقي الزكي ابو الاشبال علي بن الحسن بن محمد بن الحسن بن قاسم رضوان الله عليهم ، وكان هذا الامام على قدر محبته للعلم ، والجهاد فى سبيل الله ، وحج بيت الله الحرام ، والاجتهاد فى عبادة الله يكره الامارة .

وقد طلب منه اعيان غرناطة من العلماء والصالحين ، واهل الحل والعقد ان يبايعوه بامارة المومنين لما راوا من بلائه الحسن في جهاد اعداء الاسلام ، وكشف الغمة عن المسلمين بالجيش الذي جاء به من المغرب من المجاهدين ، فأبى عليهم كل الاباء ، ورعا وزهدا ، وتباعدا عن زهرة الحياة الدنيا اقتداء بجده محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الله اخرج من ذريته رجال صدق ، وائمة هدى، ومصابيح ظلام انقذوا المغرب من نكبته واقالوه من عثرته ، واقاموا من كبوته ، فقطعوا رؤوس الفتن ، وجمعوا شمل الشعب ، وطهروا الثغور من رجس الاعداء المغتصبين ، ولم يتم لهم ذلك الا لتمسكهم بكتاب الله ، واهتدائهم بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فان العز والنصر ، والسعادة والسيادة فى بلادنا هذه ، وفى سائر البلدان التي فتحها الله على المسلمين ، كل ذلك منوط باعلاء كلمة الله ، واتباع كتاب الله ، وهذه مواقف شريفة ، تفها هؤلاء الائمة امام كتاب الله وسنة رسوله تدل على مبلغ تمسكهم بهما .

الموقف الاول للامام المولى محمد بن الشريف لما بايع اهل سجلماسة واهل درعة ونواحيهما المولى محمد بن الشريف ، وكانت هاتان الناحيتان وغيرهما من الاراضي الجنوبية من بلاد السوس تحت حكم ابي حسون ، فتقلص ظله منهما ، واجمع اهاليهما على نصرة هذا الامير الجليل توجه الناحية الشرقية من

المبين ، ولا يستغرب بعد الاطلاع على هذا ما اعطى الله اسماعيل من العزة والنصر ، والقاء الرعب فى قلوب اعدائه داخل المملكة وخارجها ، وكون راياته فى حروبه الكثير ة مقرونة بالنصر والظفر .

الركن الاول (انا وانتم عبيد لسنة رسول الله (ص) وشرعه) استوى المالك والمملوك ، ومن خدم سنة رسول الله (ص) وسوى فيها نفسه بعبيده وجنده فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، وما احسن قول البوصيري اذا فسر بهذا المعنى :

ومن تكن برسول الله نصرته
تلقه الاسد في آجامها تجم

يعني من يكن خادما لسنة رسول الله بصدق واخلاص تنفتح له جميع الابواب ، وتنهزم امامه جميع الاعداء ، وترتجف قلوب الاسد ، وهي فى عرائنها هيبة له واجلالا .

الركن الثاني ان شرع رسول الله (ص) مجموع فى صحيح البخاري ، اذن فلا بد من العمل به ، كما سيصرح به هذا الامام تصريحا ينقشع معه كل ظلام ، اما سرد الفاظه سردا مجردا عن الدراسة والعلم والعمل ، فان ذلك لا يغني فتيلا .

الركن الثالث (كل ما امر به نفعله) يعني بلا قيد ولا شرط ، لانه معصوم (من يطع الرسول فقد اطاع الله) (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) .

الركن الرابع (وكل ما نهى عنه نتركه) وهو كذلك بلا قيد ولا شرط .

الركن الخامس (وعليه نقاتل) اي وعليه نوالي وعليه نعادي ، وعليه نحب وعليه نبغض ، وهذا معنى الخبر (اوثق عرى الايمان ، الحب فى الله والبغض في الله ، والموالاة لله والمعاداة لله .

الركن السادس (فعاهدوه على ذلك) اي عاهد الجند ملكهم وقائدهم معاهدة الرعية راعيها ، **ونحن نشهد بالله اننا ايضا عبيد لسنة رسول الله (ص) ، واننا نعاهد على ما عاهد عليه اولئك الجنود ذلك الامام العظيم .**

ومنها ما ذكره صاحب الاستقصا ص 69 من حوادث سنة 1099 قال : وفى خامس جمادى الاولى استدعى السلطان فقهاء فاس لحضور ختم التفسير عند قاضيه ابي عبد الله المجاصي فحضروا واكرمهم ووصلهم . اه

قد سمعت ما شفى وكفى فى تمسك الامام اسماعيل بسنة النبي (ص) ، وهذا الخبر يدلك على مقدار عنايته بتفسير كتاب الله عز وجل ، وهذه شروط السعادة والعزة والقوة ، فكل من فسر تلك القوه العظيمة ، والنصر المبين المتكرر المتوالي عشرات السنين الذي منحه الله هذا الملك السعيد بغير التمسك بالكتاب والسنة ، فقد خبط خبط عشواء في ليلة ظلماء .

ومنها ما ذكره صاحب الاستقصا ص 78 قال : ولما ولى المامون على مراكش امر برئيس الحضرة ، وامام الكتاب الفقيه ابي العباس احمد اليحمدي ان يعطيه التقليد ويوصيه بما تنبغي الوصاية به ، وكان المولى المامون منحرفا عن الوزير المذكور ، فمشى اليه على كره منه ، وحاز منه التقليد ، واستمع لوصيته امتثالا لامر والده ، ثم عاد اليه وقال : يا مولانا ان اليحمدي ينقصك ، ويزعم انه الذي علمك دينك ، في كلام آخر .

فقال له السلطان رحمه الله : والله ان كان قد قال ذلك ، انه لصادق ، فانه الذي علمني ديني وعرفني بربي . نقل هذه الحكاية صاحب البستان وصاحب الجيش ، وكلاهما قال : انه سمعها من السلطان المرحوم المولى سليمان بن محمد رحمه الله ، وهي منقبة فخيمة للمولى اسماعيل فى الخضوع للحق والاعتراف به ، رحم الله الجميع . اه

ومنها ان الشيخ ابا علي الحسن اليوسي وجه رسالة الى الامام اسماعيل رحمة الله عليه بقصد النصح ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وانتقد حكمه فيها من ثلاثة اوجه : الاول فى جباية المال من وجه شرعي ، وصرفه بوجه شرعي . الثاني فى اقامة الجهاد والمرابطة فى الثغور . الثالث فى الانتصاف للظالم من المظلوم ، وكف اليد العادية عن الرعية .

وكان نقده صريحا مكشوفا شديدا ، فقبله هذا الامام الجليل مع ما كان له من الهيبة عند الخاصة والعامة فى داخل المملكة وخارجها ، ولم يكن احد يتجرا على معارضته ، وان جل قدره .

ومن المعلوم ان الشيخ اليوسي كان استاذ اهل زاوية الدلاء وربيب نعمتهم قد ابدا واعاد فى مدحهم وموالاتهم ، والحنين اليهم ، وهم من اشد اعداء الدولة العلوية ، ولولا ان الامام اسماعيل كان عنده من تعظيم العلماء ، وخفض الجناح لهم ، وقبول نصحهم ، وان كان مرا ، لاتهم اليوسي لتشيعه لارباب نعمته ، والنظر

الله عند النزاع ، والرضا بحكمه والتسليم له ، كما قال تعالى فى سورة النور (51 ـ 52 انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ، ليحكم بينهم ان يقولوا : سمعنا واطعنا ، واولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ، ويخش الله ويتقه ، فاولئك هم الفائزون) وهذا عين ما فعله الامير محمد بن الشريف رحمه الله .

واخرج البخاري عن ابن عباس قال : قدم عيينة ابن حصن بن حذيفة ، فنزل على ابن اخيه الحر بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر ، وكان القراء اصحاب مجالس عمر ومشاورته ، كهولا كانوا او شبابا، فقال عيينة لابن اخيه : يا ابن اخي ، لك وجه عند هذا الامير ، فاستأذن لي عليه ، قال : سأستأذن لك عليه ، قال ابن عباس : فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر ، فلما دخل عليه قال : هي يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى هم ان يوقع به ، فقال له الحر : يا امير المؤمنين ان الله تعالى قال لنبيه : (7 : 199 خذ العفو وامر بالعرف ، واعرض عن الجاهلين) وان هذا من الجاهلين ، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل . وهكذا كان ائمة الدولة العلوية الذين سادوا وقادوا هذه الامة خير قيادة .

الموقف الثاني موقف مؤسس الدولة العلوية الشريفة ، ومرسي قواعدها الامام رشيد ابن الشريف رحمه الله . كان هذا الامام متمسكا بكتاب الله وسنة رسوله ، محبا لاهل العلم بهما ، ومقربا لهم ، يكرمهم غاية الاكرام ، ويستشيرهم فى جميع الامور ، ويصدر عن ارشادهم ونصيحتهم ، ولذلك مكن الله له فى الارض وقطع بسيفه رؤوس الفتنة ، وجمع به الشمل بعد الشتات ، واصلح به الامور بعد الفساد .

وقال صاحب الاستقصا نقلا عن صاحب النزهة ج 7 ص 35 ما نصه : وكان دخوله حضرة فاس القديمة صبيحة يوم الاثنين أوائل ذي الحجة سنة 1076 وبويع بها يومه ذلك ، ولما تمت له البيعة افاض المال على علمائها ، وغمرهم بجزيل العطاء ، وبسط على اهلها جناح الشفقة والرحمة ، واظهر احياء السنة ونصر الشريعة ، فحل من قلوبهم بالمكان الارفع ، وتمكنت محبته من قلوب الخاصة والعامة . اه

ثم قال فى ص 44 نقلا عن صاحب (نشر المثاني) من أخبار الامام رشيد بن الشريف : وكان يحضر مجلس الشيخ اليوسي بالقرويين . منقبة فخيمة ، ومأثرة جسيمة ، فرحم التي كانت تعرف للعلم حقه وتقدره قدره وفى ايامه كثر العلم ، واعتز اهله ، وظهرت عليه وكانت ايامه ايام سكون ودعة ، ورخاء عظيم . اه

الثالث مواقف الامام المؤيد بالله ركن الدولة وصاحب القوة والعزم والصولة مولاي اسماعيل بن الشريف رحمه الله

منها ما حكاه صاحب الاستقصا ص 58 قال : واما سبب تسمية هذا الجيش (بعبيد البخارى) فان المولى اسماعيل رحمه الله لما جمعهم ، وظفر بمراده بعصبيتهم ، واستغنى بهم عن الانتصار بالقبائل بعضهم على بعض ، حمد الله تعالى واثنى عليه ، وجمع اعيانهم، واحضر نسخة من صحيح البخاري وقال لهم : (انا وانتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه المجموع فى هذا الكتاب ، فكل ما امر به نفعله ، وكل ما نهى عنه نتركه ، وعليه نقاتل) .

فعاهدوه على ذلك، وأمر بالاحتفاظ بتلك النسخة وامرهم ان يحملوها حال ركوبهم ويقدموها امام حروبهم ، وما زال الامر على ذلك الى هذا العهد ، فلهذا قيل لهم (عبيد البخارى) ا هـ .

لما قرات هذا الموقف اصابتني قشعريرة ، ولم ادر كيف أقدر هذا الامام ، وكيف اثني عليه ، فان كلمته هذه لها مغزىعظيم يهز القلوب ، ويسمو بأرواح المؤمنة الى اعلى مستوى من الايمان واليقين ، هذا الملك العظيم الذي كانت تحسب له ملوك أوربا الف حساب ، وكان يخاطبهم فى مراسلاته معهم بأخشن خطاب ، وكان الامير شكيب رحمه الله معجبا اشد الاعجاب بمواقفه مع ملوك اوربا ، لا يمل من عرضها وتكرارها على كل زائر وكل مجالس ، وكانت تأخذه اريحية عظيمة حين يقرأ علينا سيرة هذا الامام العلوي العظيم .

استمع اليه يقول لعبيده وجنده : (انا وانتم عبيد لسنة رسول الله (ص) وشرعه المجموع فى هذا الكتاب ، فكل ما امر به نفعله ، وكل ما نهى عنه نتركه ، وعليه نقاتل ،) هذا الكلام الحكيم البليغ يشبه كلام اصحاب رسول الله (ص) ، وكلام التابعين والائمة المجتهدين فى دقته واحكامه .

فقد دل هذا الكلام على ستة اركان ، كل دولة حافظت عليها لابد ان تبلغ أوج السعادة والعزة والنصر

ايما نجاح ، فقضى عمره فى دراسة العلوم السلفية مع استاذه المذكور ، ومن سعد بمجالستهما من الناس ، مكثرا من الاعمال الصالحة وافاضة البر والاحسان ، واحيل القاريء الكريم على ما كتبته فى ترجمته فى جزء دعوة الحق من جزء ذي القعدة 86 هـ ما رس 67 م .

ومن اخبار عبد الله السنوسي الطريفة ما حدثني به اخي فى الله العالم السلفي الورع الرباني الاستاذ محمد ابو طالب الادريسي الحسني ، رحمة الله عليه قال : كان عند الفقهاء بفاس احتفال بدعي فى بعض الاضرحة، فانكر عليهم عبد الله السنوسي واعتزلهم فجاءه احد الفقهاء واراد ان يداعبه بكلام يغضبه ليستخرج ما عنده من الدرر التي تجيء عفوا فى حال غضبه فقال له القولة الجاهلية المشهورة عند المقلدين (نحن خليليون ، ان دخل خليل الجنة دخلناها معه ، وان دخل النار دخلناها معه) فأجابه الامام السنوسي على البديهة بقوله تعالى فى سورة الانبياء (67 اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون) .

اما الامام المنقذ الذي اجرى الله على يديه الكرامة الكبرى ، والمزية العظمى ، وهي تحرير المغارب الثلاثة من براثن عدو قوي ، فصارت له منقبة خالدة لم يسبقه فيها سابق ، ولا لحقه فيها لاحق :

وما احاشي من الاقوام من احد الا شبله وخليفته ووارث سره امام الوقت جلالة الحسن الثاني ايده الله ووفقه وزاده من فضله ، فانه شريكه فى تلك الحركات المباركة التي عم نفعها للاولياء ، وكانت قاصمة الظهر على الاعداء ، اقول : ان الامام محمدا الخامس كان سلفيا ، ليس عنده حجة الا فى كتاب الله وسنة رسوله ، وكان لا يرد ولا يصدر الا عن استشارة العلماء السلفيين كالامام الحجة ، خاتمة المحققين ، بقية السلف ، وعمدة الخلف شعيب الدكالي ، والامام الحجة ، بحر العلوم ، منطوقها والمفهوم ، سيف الله المسلول ، على اهل البدع والغلول ابي مصطفى محمد ابن العربي العلوي الحسني رحمهم الله رحمة واسعة

اما امام الزمان ، ونابغة العصر والاوان ابو محمد الحسن الثاني ، حفظه الله بالسبع المثاني ، فانه سار على سنن سلفه ، وزاده الله من فضله ، فلم يزل يبديء ويعيد ، وتصدر منه المكرمة تلو المكرمة ، والاية بعد الاية ، ومفاخره التي اكرمه الله بها لا يمكن احصاؤها ، فلنقتصر على ما نحن بصدده، وهو التمسك بالكتاب والسنة ، وبذل الجهد فى ذلك.

فانه ايده الله بنصره كان وزيرا لوالده ، ومشاركا له فى سلوكه ومناقبه ، ولما انتقل والده المبرور الى رحمة الله ، وتقلد اعباء الدولة ، سار على ذلك النهج القويم ، واشهد بالله اني سمعت المعلقين السياسيين من البريطانيين يبدون تحفظا شديدا فى استطاعة الحسن الثاني ان يتم حل المشاكل التي بدأ يسعى فى حلها والده ، وان يحافظ على الاستقرار ، وهيبة الدولة والصولة التي كانت لوالده رحمه الله فى داخل المملكة وخارجها لعلمهم بصعوبة تلك المشاكل وشدة تعقدها ، ووجود العقاب فى طريق حلها ، واخذ اولئك السياسيون يراقبون سير الحسن الثاني ، ويحصون خطواته ، فأخذ ريبهم يتبخر ويذوب شيئا فشيئا ، فما دار الحول على حكمه حتى زال عنهم كل ريب ، وانطلقت السنتهم بالاعجاب والاجلال .

ومن حدث عما يذاع فى اذاعة لندن العالمية ، فانه لا يفشي سرا ، وقد وفقه الله لحل تلك المشاكل السياسية والاقتصادية على وجه فوق ما كانوا يتصورون ، ثم حدثت له مشاكل اعظم منها ، فسلك فيها مسلك الحكيم البارع المتوكل على الله ، المتبرىء من حوله وقوته ، فخرج منها مظفرا مؤيدا منصورا اقوى مما كان حين دخلها ، وانعقد الاجتماع اليوم على كفاءته ونبوغه ، وكمال سياسته .

اما عنايته بكتاب الله وسنة رسوله ، فقد بذل فى ذلك جهودا محمودة ، وسعى مساعي مشكورة ، فمنها تأسيسه لدار الحديث ، وهي امنية طالما اخذت بألباب الملوك السابقين ، ولكن الله ادخرها لهذا الامام الجليل ، وكم ترك الاول للاخر ، ولا حاجة الى شرح ما لهذه المنقبة من الاهمية ، فانها قائمة بعينها تحدث عن نفسها ، وقد قال النبي (ص) : من احي سنة من سنتي قد اميتت بعدي فله اجر مائة شهيد . وفى دار الحديث احياء سنن كثيرة .

ومنها مدارس القرءان التي امر نصره الله بانشائها فى جميع انحاء المملكة ، ولا تزال فى اول نشأتها لا تخلو من ضعف ، وكذلك الامور فى بدايتها ، واول الغيث قطر ثم ينسكب .

ومنها المحافل القرءانية السنية التي يقيمها في كل سنة ، ويدعو لها كبار العلماء من انحاء الدنيا وارجائها .

ومنها خطبه البليغة التي صرح فيها ايده الله بنصره بوجوب اتباع الحجة ، وترك الراي والتقليد . ومنها كثرة الدعاء فى عهده الميمون الى الاصلاح باتباع

الى الحكم العلوي بعين السخط التي تبدي المساويء وبطش به ، ولكنه رحمه الله كان فوق ذلك . ومن اراد الوقوف على هذه الرسالة ليرى ما فيها من النقد الشديد ، ويعلم فضل الامام اسماعيل ، واذعانه للحق فليقرأها فى كتاب الاستقصا ص 82 ، ولولا طولها لنقلتها ، ولكني اكتفي بالاحالة عليها . واقتصر على هذا القدر ، لان المقام لا يتسع لاكثر منه فى ذكر تمسك هذا الامام بالكتاب والسنة .

اما السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل الذي يسمى بحق : عالم الملوك وملك العلماء، فحدث عن البحر ولا حرج فى تمسكه بالكتاب والسنة، ونشره علم الحديث ، وعكوفه على دروسه ، وبذله كل جهد فى ذلك ، ولم يكتف بذلك حتى الف كتبا نفيسة خلدت له ذكرا وفخرا لا تمحوه الايام منها مسانيد الائمة الاربعة ، ومنها محاذي الرسالة ، وكان نقادا مجتهدا يكره مختصرات الرأي وينفر الناس عنها ، ويرغب فى كتب الحديث ، والفقه المبسوطة التي تجعل كل مسالة مقرونة بدليلها من الكتاب والسنة ، وقد ذكرت بشيء من التفصيل مواقف هذا الامام من علوم الكتاب والسنة ، وتنفيره عن الراي والبدعة ، وتمسكه بالعقائد السلفية الخالصة من كل شبهة فى الجزء الخاص بأمجاد الدولة العلوية من مجلة دعوة الحق الصادر فى ذي القعدة 86 هـ ـمارس 67 م فاغنى عن اعادته هنا ، وقد جبلت الطباع على معاداة المعادات .

وكذلك السلطان مولاي سليمان بن محمد ذكرت فى ذلك المقال نبذة من تمسكه بالكتاب والسنة، ووقوفه عند ورود كتاب الامير عبد الله بن سعود امير مكة يشرح فيها دعوة آل سعود ، ودعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمهما الله ، فقد وقف السلطان الجليل المولى سليمان رحمة الله عليه موقف الناقد البصير ، المتحري للحق ، القائل به غير خائف فى الله لومة لائم .

ومن المعلوم ان السلطان العثماني كان قد اغتاظ غيظا شديدا على استقلال العرب عن حكمه ، ورجوع امارة بلادهم ، وخصوصا الحرمين الشريفين اللذين كان السلطان العثماني يتخذ الحكم فيهما دليلا على صحة خلافته وشمولها لجميع المسلمين ، حتى يعد من خرج عن حكمه خارجا على امام المسلمين .

ومن المعلوم ان بلاد العرب كلها ، وبلاد الاسلام فى افريقيا وآسيا كانت خاضعة لسلاطين آل عثمان الا المملكة المغربية ، فانها لم تخضع قط لهم ، بل كانت تسالمهم اذا سالموها ، وتحاربهم اذا حاربوها ، وكانوا معترفين باستقلال ملوكها . فالملك العلوي سليمان بن محمد لم يبال بعداوة السلطان العثماني لآل سعود ، لانه عزيز مستقل لا يخضع الا لله ، ولم يكن رحمه الله من قلة العلم بالمكان الذي يستطيع جيش العلماء المرتزقة الذين عبأتهم السلطنة العثمانية لتكفير آل سعود وتضليلهم ، حسبما سول لها حبها للاستيلاء على بلاد العرب ، اقول : لم يكن هذا الملك الجليل من قلة العلم بالمكان الذي يستطيع فيه أولئك العلماء المرتشون ان يضموه الى صفوفهم ، وان يلبسوا عليه الحق بالباطل ، ويوهموه ان عقيدة آل سعود ضالة ومخالفة للكتاب والسنة ، كما لبسوا على غيره من الامراء والقادة فاعلن مولاي سليمان موافقته لما يدعو اليه عبد الله بن مسعود ، لانه وجده مطابقا للكتاب والسنة ، ولم يكتف بأن يجيب رسالة برسالة ، بل أوفد ابنه أبا اسحاق المولى ابراهيم ، ومعه وفد من علماء المغرب الى الامير عبد الله بن سعود ، وبعث معه هدايا وتحفا فأكرم الامير السعودي وفادتهم ، وتباحث العلماء المغاربة برئاسة اميرهم مع العلماء السعوديين برئاسة اميرهم ، فكللت المباحثات بالوفاق التام على اتباع كتاب الله وسنة رسوله ، وترك الغلو فى قبور الصالحين وغيرهم ، وتجريد توحيد العبادة لله رب العالمين .

وعلى اثر ذلك الف السلطان مولاي سليمان رسالته المشهورة المتضمنة لاتباع الكتاب والسنة ، ومحاربة البدع والمحدثات ، ومنها الغلو فى قبور الصالحين الذي يصيرها أوثانا تعبد من دون الله ، وأمر ان تقرا على المنابر فى جميع انحاء المملكة المغربية ، فتركها منقبة خالدة على مرور الايام ، فرحمه الله واثابه رضاه .

اما الملوك الثلاثة الائمة الابرار الحسن الاول ، وعبد العزيز الاول ، ومحمد الخامس ، فتمسكهم بالكتاب والسنة امر مشهور . اما الحسن الاول ، وعبد العزيز الاول ، فقد حدثني غير واحد من الثقات انهما كانا يعتمدان كل الاعتماد على الامام المحدث المجتهد ، ناصر السنة ، وقامع البدعة ، عبد الله السنوسي نزيل طنجة فى آخر حياته ، وبها توفى رحمه الله ، واجل من حدثني عنه العالم السلفي ، والمصلح البر الوفي مولاي عبد العزيز بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن رحمهم الله رحمة واسعة ، وهذا الرجل الكريم ، وان لم ينجح فى ايام ملكه لصغر سنه ، وكثرة الفتن ، وفساد الرؤساء ، فقد نجح بعد اعتزاله الملك

اما الثانية فهي مذكورة في مقدمة كتاب التمهيد، وهي للامام الحافظ ابي محمد علي بن حزم رحمه الله قال : التمهيد لصاحبنا ابي عمر بن عبد البر ، لا اعلم في الكلام على فقه الحديث مثله اصلا ، فكيف احسن منه . وقال : وممن ادركنا من اهل العلم على الصفة التي بلغها ، واستحق الاعتداد به في الاختلاف ، مسعود بن سليمان ، ويوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر . انتهى .

ومن اراد ان يعرف قيمة هذه الشهادة فليطالع كتاب المحلى لابن حزم ليرى شدته وصرامته ، وغلظته على مخالفيه كائنين من كانوا . لا يهاب احدا . ومن المعلوم ان ابن حزم يخالف ابن عبد البر في المذهب اصولا وفروعا ، ولكن عبقريته الانت قناة ابن حزم التي لم تلن قط لغامز ، فهي كقناة عمرو بن كلثوم وقبيلته التي يقول فيها مخاطبا الملك عمرو بن هند :

فان قناتنا يا عمرو اعيت
على الاعداء قبلك ان تلينا

اذا عض الثقاف بها اشمأزت
وولته عشو زنة زبونا

عشو زنة اذا انقلبت ارنت
تشج قفا المثقف والجبينا

وقد الف هذا الكتاب العظيم منذ ما يربو عن تسعمائة سنة . ولا شك ان نشره ودراسته التي لا تتأتى الا به لم يزل امنية كل عالم . وكل ملك وامير . وكل غني ورئيس . ومن جملة الملوك الذين كانوا يتمنون نشره السلطان العالم الجليل مولاي عبد العزيز ابن الحسن . كما اخبرني بذلك مرارا . واخبرني ان والده السلطان المكرم مولاي الحسن بن محمد اعطاه نسخة مخطوطة من التمهيد قال : وهي باقية ضمن كتبي بفاس ، وسبب اخباره لي بذلك لاول مرة اني قلت له : اني سمعت ان الامام عبد الله السنوسي كانت عنده نسخة كاملة من التمهيد ، فقال لي : لا ادري ، ثم ذكر لي الخبر المتقدم ، ومنه نعلم عناية السلطان مولاي الحسن بن محمد بهذا الكتاب ايضا ، فلم يتح لواحد منهم ان ينشره ، لا بتكثير المخطوطات ، ولا بالطبع حتى كاد ينقرض ، ولكنها مكرمة ومفخرة ادخرها الله تعالى لجلالة الملك الحسن الثاني ، وهي يد بيضاء على كل طالب علم وعالم ، لا من المسلمين فقط ، بل من جميع البشر ، فلا توجد خزانة في الدنيا ، لا في امريكا ولا في اوربا ، ولا في آسيا تستغنى عن نسخة فاكثر ، ولا اقصد خزائن الافراد ، بل جميع الخزائن العامة التابعة للجامعات وغيرها .

وسيحدث نشر هذا الكتاب انقلابا عظيما في دراسات الفقه على جميع المذاهب الاسلامية ، ولذلك التمس بالنيابة عن كل طالب علم في الدنيا من جلالة الملك المظفر ، ثم من معالي وزير الاوقاف الاستاذ الحازم السيد الحاج احمد بركاش التعجيل بانجاز طبع هذا الكتاب ، وبذل كل جهد في ذلك ، فان للتأخير آفات .

ولي التماس آخر ، وهو ان يباع الكتاب بالدراهم وان لا يوهب الا لضرورة ، او للخزائن العامة ، اما العلماء وطلبة العلم ، ومن يريدون ان يزينوا خزائنهم ، فالواجب الحتم ان يؤدوا ثمنه ، وحسب الوزارة كرما ان يكون الثمن معتدلا ، فان هذا الكتاب لا ينشر النشر اللائق به الا اذا بيع ، وحجتي على ما ذكرت القصة التالية :

من المعلوم ان الكاتب القصصي (برناردشو) الانكليزي الشهير ، كانت القصة الواحدة من تآليفه يبلغ حق طبعها عشرين الف جنيه فاكثر ، وتتنافس فيها الدول لا الناشرون فقط ، ومن المأثور عنه انه الف كتابا . فلما طبع ، كتبت اليه رئيسة ناد نسائي تلتمس منه ان يقدم لخزانة النادي نسخة من ذلك الكتاب على سبيل الهدية ، فكتب لها في الجواب : ان الكتاب الذي لا يدفع ثمنه لا يقرأ ، فصدمت بخيبة الامل ، وقصدت بائع كتب لتشتري نسخة من ذلك الكتاب ، واشتكت لذلك البائع غلبة المادية على المؤلفين وبخلهم وزهدهم في التبرع للنوادي الخيرية ، وحكت له قصتها مع برناردشو ، فقال لها : واين جواب برناردشو الذي كتب اليك ؟ فأرته اياه ، فقال لها : انا اقبل هذا الجواب ثمنا لنسخة من الكتاب ، ففرحت بذلك ومنحته اياه ، فباعه هو من شخص آخر يجمع الآثار والتواقيع بخمسة دنانير .

اقول هذا : وانا مستعد ان ادفع ثمن النسخة من كتاب التمهيد التي تكرمت وزارة الاوقاف الموقرة باهدائها الي المجلد الاول منها . والذي يحملني على ذلك حرصي على نشر هذا الكتاب ، فجزى الله الملك الحسن الثاني على هذه اليد البيضاء احسن الجزاء ، ووفقه الى امثالها وامثال امثالها انه سميع مجيب .

مكناس : الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

كتاب الله وسنة رسوله ، وترك كل ما خالفهما ، فان ذلك يقع بحضرته الشريفة ، كما هو ظاهر من خطب العلامة الفاروقي ، ويقع في انحاء مختلفة من مملكته المحروسة بالله على ايدي دعاة يصرحون بالحق كله ، ولا يستطيع مخالفوهم على كثرتهم ان يمنعوهم ، وارجو ان اكون منهم ، فاني كنت في العراق قبل ثورة عبد الكريم قاسم ادعو الى اتباع الكتاب والسنة عشرات السنين ، وكان المفسدون والمعارضون كثيرا ما يوسوسون الى ملوك العراق ، ويلقبونني بالقاب تدعو الى الريبة ، فلم ينجحوا قط في ذلك .

فلما جاء عبد الكريم قاسم اشتدت الازمة ، وضاق الحبل على الودج ، لانه اطلق العنان للفوضويين والشيوعيين يقتلون ويخنقون ويسلحون في الشوارع في رابعة النهار ، واخيف العلماء ودعاة الاصلاح ، وزلزلوا زلزالا شديدا ، وصار الشيوعيون ، وان كانوا كاذبين في شيوعيتهم يتجمهرون امام مسجدنا ، فخاف التلاميذ على انفسهم وتفرقوا ، وكذلك المصلون الجمعة ، وما استطعت الخروج من العراق الا بعد اللتي والتي ، فرجعت الى وطني ومسقط راسي ووطن اجدادي ، فوجدت أبوابه مفتحة ، وما رايت من ملكه وزعيمه الامام محمد الخامس الا كل ترحيب واقبال ، وكذلك خلفه الابر الملك العبقري الهمام ابو محمد الحسن الثاني ، زاده الله نصرا على نصر ، وتوفيقا على توفيق ، وخلد ملكه ، واطال عمره ، وبارك في ولي عهده ، واقر به عينه وعين شعبه ، وبارك في جميع آل هذا البيت الكريم .

بقيت لي كلمة اقولها راجيا من ملكنا الهمام ان يتسع صدره لها ، كما اتسع صدر سلفه الامام اسماعيل لنصيحة الشيخ اليوسي ، وهي أن القدر الذي يريده جلالته من اصلاح امور الدين ، وتحقيق اتباع الكتاب والسنة ، قولا وعملا وحكما ، اذ بذلك تنال السعادة العاجلة والآجلة ، ويتشتت شمل الاعداء ، ويقضي عليهم القضاء المبرم ، ويقوم الملك على اساس متين ، وتصلح السياسة ، ويسعد الراعي والرعية لما نصل اليه حتى الان ، فارجو من جلالته ، ويشاركني في هذا الرجاء جميع دعاة الاصلاح ان يجرد عزمة حسنية علوية هاشمية لتحقيق تلك الامنية وقطع دابر اهل الفساد ، ولا يعنيه على ذلك ، ويبلغه اليه الا الله وحده ، ثم صالحو المؤمنين .

وانا اعلم بالعقبات الكؤود التي تقف في طريق هذا الاصلاح ، وان الذنب في ذلك ذنبنا جميعا كل على حسب قدرته ، ولكن :

اذا كان عون الله للمرء ناصرا
تهيأ له من كل صعب مراده

* * *

واذا العناية لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن امان

واصطد بها العنقاء فهي حبائل
واقتد بها الجوزاء فهي عنان

وهذه العناية الربانية هي التي نسأل الله تعالى ان تكون مصاحبة لعبده الخاضع لامره ، الحسن الثاني وولي عهده سيدي محمد .

منقبة عظيمة للحسن الثاني

كنت اريد ان اخص هذه المنقبة بمقال حتى جاءت هذه المناسبة المباركة ، فليكن جزء مقال ، وهذه المنقبة العظيمة هي طبع كتاب (التمهيد لما في الموطأ من الاسانيد) تأليف الامام الحافظ ، امام المغرب الكبير باتفاق ائمة الشرق والغرب العالم البحر ، والمسند الاكبر ، ابي عمر يوسف بن عبد البر النمري رحمه الله ، ولا اريد ان اذكر فضائل هذا الامام ، لانها مشهورة ، لها غرر معلومة وحجول ، فهي في كتب اسماء الرجال مبسوطة ، وفي مقدمة كتاب (التمهيد) مسطورة ، ولكني اريد ان اسجل هنا كلمتين اولاهما في المؤلف – بكسر اللام – وثانيهما في المؤلف – بفتحها – اما الاولى فقد قال الامام الحافظ ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير في تفسير قوله تعالى في سورة البقر (238 حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) ما نصه :

وقيل : بل الصلاة الوسطى مجموع الصلوات الخمس ، رواه ابن حاتم عن ابن عمر ، وفي صحته ايضا نظر ، والعجب أن هذا القول اختاره الشيخ ابو عمر بن عبد البر النمري امام ما وراء البحر ، وانها لاحدى الكبر ، اذ اختاره مع اطلاعه وحفظه ما لم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا اثر . اه

اقول : قد صح عن النبي (ص) بما لا يدع مجالا للشك ان الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، وليس مقصودي تحقيق القول في هذه المسالة ، وانما الذي يهمني هنا هو شهادة ذلك الامام الحافظ لأبي عمر بن عبد البر ، بانه امام ما وراء البحر ، ومعنى ذلك انه امام المغرب كله من مصر الى سنكال . وهذه شهادة لها قيمة رفيعة .

احدهما يرجع الى جواهر الحروف اما بالنسبة الى مخارجها بان لا تعطى حقها الواجب ، واما بالنسبة الى صفاتها التي تحقق ذاتها او تفصلها عما يشاركها أو يقاربها ، واما بالنسبة الى تعويضها بغيرها كجعل الظاء المشالة بدل الضاد الغير المشالة او السين المهملة بدل الشين المعجمة او الزاي بدل الجيم الى غير هذا مما يطول تتبعه وهو نتيجة معرفة المخارج والصفات.

وهذا المعنى تماما الذي اشتغل به القراء هو نفس ما يقال بالنسبة الى مخالفة العرب فى استعمالاتها المختلفة فى نطقها كتصحيح ما اعلوه او اعلال ما صححوه وتحقيق ما سهلوه وتسهيل ما حققوه واظهار ما ادغموه وادغام ما اظهروه الى آخر ما هناك . والقصد ان اشرح لك قوة الرابطة التي توجد فى علم القراءات وعلم النحو والصرف فليس فى امكان الباحث فى هذا الفن المحقق لقواعده ان ينفصل فى حقبة من حقب بحثه عن ما قرر فى قواعد الصرف التي يلزم ان تكون ضرورية عنده على أن اكثر من كتب فى الصرف بصفة خاصة لا يخلو كتابه عن مباحث مخارج الحروف وصفاتها ، وقد اطنب علماء القراءات وكذلك علماء النحو فى العصور القديمة من ذكر هذه المخارج فعدها الخليل بن أحمد سبعة عشر واعتبرها سيبويه ستة عشر واياه تبع الشاطبي وصاحب الدرر اللوامع وابلغها الفراء وقطرب والجرمي الى أربعة عشر . اما الصفات من همس وجهر وشدة ورخوة وانسفال واستعلاء واطباق وانفتاح الى آخر ما هناك فلم يقصروا ايضا عن الخوض فى جميع مباحثها . وليس فى الامكان استقصاء البحث فى هذه القواعد الضرورية فى فن القراءات لضيق المجال عن ذلك وقد بعدت المسافة بين المسلمين وبين هذه الدراسات حتى صار البعض من هؤلاء الباحثين الجدد يتوهمون ان هذه المباحث فى علوم القرآن يمكن الاستغناء عنها او لا حاجة للعلم والبحث فيها مع ان الواقع كما بينت لك سابقا لها ارتباط قوي بفقه اللغة وعلم الاصوات كما انها فى الواقع ايضا شعبة من شعب النحو والصرف واللغة . قلنا كانت هذه الجماعات المتخصصة فى علم القرآن ودراسته خاصة فيما يعرف بفن القراءات كانت هذه الجماعات محل تقدير واحترام من قبل رؤساء هذه الدولة العلوية الشريفة واقيالها الميامين فكانت التنشيطات والمكافئات وكان التأليف والانتاج العلمي فى هذه المواد القرآنية بالغا قمته ، ولا تخلو قبيلة او قرية او مدينة فى جميع انحاء المغرب من جماعات مختصة بهذه الدراسة واشتهرت بعض قبائل المغرب ببلوغ الهدف الاعلى فى هذا البحث العلمي الخالص وكانت هذه الدراسات القرآنية عاملا قويا فى نشر اللغة العربية وادابها والغوص فى معانيها الدقيقة مما يمت الى اساليب القرآن ولغاته المختلفة فكتب المغاربة فى هذا الميدان الشيء الكثير وشرحوا قول النبي عليه السلام انزل القرآن على سبعة احرف وبينوا وجوب متابعة المصحف العثماني فى الرسم وادلوا بدلائهم فى كل الموضوعات التي ترجع الى تجويد النطق بالكلمة كما نطق بها العرب وعلى حسب المسموع منهم فى ذلك من تحقيق وتسهيل ومد وتوسط واشمام وامالة وبرعوا فى ذلك البراعة الفائقة وندر من اهل العلم من لم يكن له المام بهذه القواعد ان لم تساعده ظروفه على التخصص وقد ادركنا فى نشأتنا الاولى جماعات من هؤلاء وهم يدرسون القرآن بالروايات السبع بل وحتى العشر فى كثير من الاحيان وربما تجاوز العشر الى الاربعة عشر وكانت هذه الجماعات تلاقي كل اهتبال من الرؤساء والحكام علاوة على ما يمنحون بين الفينة والفينة من مكافئات مالية وعقارية . وهذه الظاهرة وان كانت عامة ومتسلسلة فى سائر احقاب التاريخ الاسلامي بهذه البلاد المغربية فان ظهورها فى عصر الدولة العلوية الشريفة كان واضحا وملموسا وسوف احاول ان اتحدث لك باقتضاب عن بعض مشاهير القراء فى كل عصر من عصور هذه الدولة الميمونة التي نشأت حاملة راية الدين وسائرة على خطته لم تتنكر فى لحظة من اللحظات الى مبادىء القرآن ولا الى تعاليمه السامية والواقع انني اقولها واضحة صريحة **فعلى كثرة ما قرات من حياة الدول الاسلامية بصفة عامة او بالمغرب بصفة خاصة فاني لم اجد دولة قامت على هذه الاسس الدينية وحافظت عليها الى وقتنا الحاضر والى ما شاء الله من الازمان مثل هذه الدولة العلوية الكريمة** فالتاريخ دائما يحدثنا بتبادل هؤلاء الملوك الصالحين مع العلماء والفقهاء الافكار والاراء كل ما نزلت نازلة أو حدثت حادثة ولم يكن هذا الوصف ميزة من مميزات ملك معين او فى عصر معين بل كانت هذه الظاهرة مبدءا من المبادىء العليا الاساسية لهذه الدولة الكريمة ، وتاريخ مولاي الرشيد ومولاي اسماعيل ومن اتى بعدهم مملوء بمثل هذه الاستشارات التي تعبر على مبلغ ما للمبادىء الاسلامية من اثر قوي فى هذه الدولة العلوية الشريفة وسوف لا نذهب بك بعيدا فى التدليل على هذه الفكرة فامامنا وثائق هامة متبادلة بين مولاي اسماعيل الملك الهمام وموحد المغرب ومنقذه من مخالب الاستعمار آنئذ . وبين عالم جليل من علماء المغرب يومن بثاراء ربما كانت تخالف ظاهرا

القرآن وعلومه في عهد الدولة العلوية الشريفة

للأستاذ العابد الفاسي

سوف نحاول ان نتحدث بمعونة الله تعالى فى هذا الموضوع الشريف بمناسبة عيد العرش الكريم والاحتفال بالايام الوطنية السعيدة . ومن دون ريب ان البحث فى هذا الموضوع له علاقة قوية بالاحتفال بعيد العرش المجيد مع مناسبة الاحتفال بذكرى مرور أربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن . ذلك ان العرش العلوي منذ هيأ الله أسباب ولايته العامة وهو مرتبط رباطا قويا بالعلم وحملته بصفة عامة ومع الدارسين لعلوم القرآن بصفة خاصة رأينا ذلك أيام المولى الرشيد ومولاي اسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله ومولانا سليمان الى عصر الملك المقدس محمد الخامس قدس الله روحه ثم عصر هذا الشهم الابي جلالة مولانا الحسن الثاني أيده الله .

ففي كل حقبة من هذه الحقب التاريخية كان حملة القرآن والمشتغلون بدراسته على الطريقة الفنية من تجويد وقراءات وتقرير القواعد العلمية فى مخارج الحروف وصفاتها وربط ذلك بلهجات العرب واساليبها فى النطق والصوت مما يمت اليوم الى فقه اللغة الحديث وعلم الاصوات باعتبار مخارج الحروف من اقصى الحلق الى الشفتين وما الى ذلك .

والواقع ان هذا الفن ليس خاصا بعلماء القراءات وايمة الاداء وانما اشتهروا به وعلق لقبهم به لتساهل النحاة فى مدارك علم التصريف لانه علم وعمل (تطبيق) فكان منتهى الحاذق فى النحو ان يعرف ابواب الامالة ويقررها احسن تقرير ، ويعجز عن أداء اللفظ على مقتضى علمه ، ومثل هذا ايضا يقال فى ابواب الوقف وابواب تخفيف الهمز ، ثم ان القليل من علماء الصرف من يعتني بمخارج الحروف وصفاتها لان أكثرهم أو المحدثين أصحاب العصور المتوسطة فى النحو والصرف لا يبالون بهذه المخارج الا قليلا ، وتتابع الامر على ذلك وخلت أكثر الكتب التصريفية من هذه البحوث فظنوا ان هذه القواعد التي تذكر بصفة خاصة فى علوم القراءات . ظنوا انها ليست من التصريف فى شيء وان الرجوع فى مثل ذلك الى علم القراءات . وهذا قطعا خطأ نشأ عن تقصير البعض منهم وتقاعس الهمم . ولو اتقنوا العلم بكل شعبه لما كان هناك فرق بين طبقة القراء واهل الصرف ومن المعلوم ان اللحن فى الكلام حال يطرأ على الالفاظ فيخل بها . وقد قسموه الى جلي وخفي وقالوا ان الجلي يشترك فيه العموم والخفي يختص بمعرفته علماء القراءات ولم يختص بهذا القدر علماء القراءات الا فى الوقت الذي قصر فيه أولائك واذا ذهبنا نستخبر علماء اللغة عن حقيقة اللحن نجدهم متفقين على أنه صرف الكلام عن سننه الجاري عليه اما بازالة الاعراب او التصحيف أو الخطا فى القراءة كما قال الفيروزابادي ولا يريد صاحب القاموس بالقراءة تلاوة القرآن بل ما يعمها من قراءة شعر وخطب ورسائل الخ ، واذا كان اللحن لغة ما ذكر وان كانت له معان أخرى لا حاجة لنا بها هنا . فينبني عليه ان اللحن هو ان ينطق المتكلم فى الكلام العربي على غير مقتضى قواعد أهله ، ثم اذا حققنا النظر فى هذه المخالفة وجدناها تنحصر فى موضوعنا فى قسمين

عنه فوجدنا فيه اشياء مخالفة لمصحف الامام المروى عنه المؤلف فى كتب هذا الشان وقد تتبعناه فلم نجد فيه نقطا بسواد ولا بغيره ولكن فيه ضبط قديم ليس من صنع الكاتب بلون احمر على نهج ما كان عليه الشكل قبل الخليل بن احمد وربما غير فيه الكاتب احرفا وبتر احرفا لتوافق قراءة البصري التي ضبط عليها وبعد ما ذكر امثلة من ذلك قال : الى غير ذلك مما قيدته من اوله الى آخره تتبعا بعد قراءة ختمة فيه فى ثلاثة ايام . الى آخر ما اتى به ابو زيد من بحوث فى صحة نسبة هذا المصحف الى عقبة . ثم قال آخر بحثه وكان فى خزانة السلطان زيدان بمراكش فنقله ملوكنا ايد الله ملكهم فكان بفاس فى خزانتهم والمتحقق انه خط قديم جدا لا يبعد ان يكون فى القرن الاول وذكر ابو زيد المذكور فى كناشته ان هذا المصحف كان بخزانة مولاي الرشيد ، ولا نعلم شيئا عن مآل هذه الذخيرة العظمى بعد حديث هذا العالم الجليل عنها ونتمنى ان يوفق الباحثون فى العثور عليه بالخزانة الملكية الشريفة فيطبع على هيئته ويكون بذلك فتح عظيم فى تاريخ القرآن وطريقة رسمه فى العصور المتخلفة . وبعد كتابة هذا وقفت فى كناشتي العامة على نص نقلته عن كناشي بخط الامير مولاي عبد السلام بن السلطان مولاي سليمان .. ان السلطان مولاي عبد الله وجه على يد الحاج عبد الخالق عديل اربعا وعشرين مصحفا كلها منبتة بالذهب الابريز محلاة باليواقيت الثمينة المتنوعة الالوان العزيزة الوجود فى هذا الزمان سوى واحد من غير ذهب ومن جملتها مصحف كريم مكتوب فى آخر ورقة منه : كمل المصحف بحمد الله وحسن عونه وذلك بمدينة القيروان على يد عبده المعتصم بحبله حديج بن معاوية للامير المستجاب له عقبة بن نافع الفهري وبامره فى سنة 47 من الهجرة . فتبين ان المصحف الرشيدي الذي تحدث عنه ابو زيد قد قدمه هدية الى الحرمين الشريفين السلطان مولاي عبد الله وعسى ان يكون هذا الاثر الثمين لا يزال محتفظا به هناك وللبحث فى هذا المصحف بقية .

وبعد فقد ظهر فى عصر المولى الرشيد ومولاي اسماعيل ومن بعدهم جماعات من هؤلاء الجهابذة الاعلام ممن برزوا فى حقل علوم القرآن ودراساته المختلفة . فمنهم الشيخ الامام استاذ المغرب فى القراءات ابو زيد عبد الرحمن بن ابي القاسم ابن القاضي اشتغل بحفظ القرآن الكريم واتقان طرق قراءته الى أن صار كما يقول فى الصفوة . المرجوع اليه ، والمعول عليه فى احكام القراءات ومعرفة توجيهاتها وحفظ مذاهب ائمتها. قال الافراني : فلا تجد استاذا بالمغرب الا وقد روى عنه وعن تلامذته . وفى الاعلام بمن غبر . فى حق المترجم ما نصه : كان رحمه الله من الاساتيذ المبرزين فى علوم القراءات وممن يعول عليه فى احكامها ومعرفة توجيهاتها وحفظ مذاهب ايمتها وترجيحاتها واليه يرجع طلبة العلم فى ذلك وبه يقتدون فى تلك المسالك فلا تجد استاذا فى المغرب الا وقد روى عنه او عن تلاميذه . له مصنفات فى القراءات مشهورة وله اجوبة نظما ونثرا فى علم الرسم والضبط اخذ علم القراءات عن السيد الشريف مولانا عبد الهادي ابن عبد الله بن علي بن طاهر الحسني واعتمد ايضا شيخه محمد بن يوسف التملي وعن ابي زيد عبد الرحمن بن عبد الواحد السجلماسي وكانت وفاته فى عصر مولاي اسماعيل سنة 1082 وترجمته طويلة الذيل وقائمة كتبه متسعة الاكناف وقفنا له على شرح الدرر اللوامع فى جزء متوسط ورسالة فى وجوب اتباع رسم المصحف العثماني وكتاب الايضاح لما ينبهم عن الورى فى قراءة ام القرآن وله كذلك مفردات القرآن وعلم النصرة فى تحقيق قراءة امام البصرة فى سفر يميل الى الضخامة وكتاب بيان الخلاف والتشهير وما وقع فى الحرز من الزيادات على التيسير الى غير ذلك من كتبه ومقيداته . وممن توفى فى هذا العصر وكانت له مشاركة فعالة فى هذا الفن الاستاذ المقري المشارك ابو عبد الله محمد ابن مبارك المغراوي له عدة رسائل فى علم القراءات وهو صاحب الدالية فى الفن المذكور وعليها شروح متعددة وكانت وفاته سنة 1092 . وله ترجمة واسعة وموضوعات قيمة . ومنهم فى نفس العصر ايضا الاستاذ المحقق ابو عبد الله محمد العربي ابن احمد الفشتالي له مقيدات فى الفن ومعرفة عامة بالتجويد والاداء واحكام الرسم وله ذكر واسع فى كثير من المؤلفات المغربية توفى سنة 1092 ومنهم ابو زيد الامام العلامة الجليل عبد الرحمن بن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي هذا السيد الجليل كان له تضلع واسع فى كثير من العلوم المتداولة فى عصره والنادرة كذلك وشارك فيها مشاركة فعالة قراءة وتدريسا وتلمذ له اعيان القوم واكابر اهل العلم وكانت له علاقة متينة بمولاي الرشيد احد ملوك هذه الدولة السعيدة ومدحه بقصائد متعددة فى كل المناسبات وجمعت فى مجلد خاص هو جزء ضخم من كتاب حفيده عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن تحت عنوان اللؤلؤ والمرجان . وبلغت مؤلفاته على اختلاف مشاربها وموضوعاتها ما يقرب من المائتين . واشتهر بموسوعته العظيمة التي سماها الاقنوم فى مبادىء العلوم والتي هي فى الواقع جديرة ببحث خاص ورسالة خاصة .

في بعض الاحيان سياسة مولاي اسماعيل العامة وان كانت متفقة في الاهداف ومع اعتبار الفوارق المتعددة بين ملك متربع على العرش وله من مختلف الوسائل مما لا يتوفر عليه عالم لا يملك من وسائل العيش الا قليلا نرى المناظرة والحجاج بينهما يبلغ ذروته العليا في مسائل عامة يبدي العالم نصائحه وارشاداته حسب فكرته وتربيته وما بلغه اليه اجتهاده ويتقبل الملك الصالح تلك النصائح والارشادات بصدر سمح ولين عريكة وتسامح واغضاء عما يبدو في بعض الاحيان من جفاء في العبارة او خشونة في التعبير تصدر من عالم جليل عاش اكثر عمره باديا وفي بيئات خاصة لم يتذوق فيها طعم الحضارة الا لماما . هذا العالم الجليل هو ابو علي اليوسي . واحاديثه مع الملك الجليل ونصائحه وآراؤه مدونة في مختلف رسائله التي كان يوجهها الى الحضرة الاسماعيلية الشريفة وهي تطرق الموضوعات المختلفة مما يرجع الى تسيير الدولة وشؤونها العامة وفي الوقت نفسه نرى الملك الصالح يقارع الحجة بالحجة ويناضل بالتي هي احسن سبيلا وليس من هدف للجميع الا نصرة هذا الدين والعمل على النضال من اجله والدفاع عن حوزته وقد كانت لمولاي اسماعيل مواقف متعددة في هذه السبيل ومناظرات علمية شائقة بين كثير من علماء عصره في مسائل عامة ترجع الى المصالح العليا للبلاد ومسألة العبيد كافية في الموضوع ولم يحدث التاريخ في يوم من الايام ان هذا الملك القوي الشكيمة قام بعمل شخصي ضد عالم ثبت له اخلاصه وصدق قوله وهكذا نرى هذا المبدأ السامي مبدءا راسخا من مبادىء هذه الدولة تنتهج نهجه وتسير في سبيله قدما الى النهاية . وكم يحدثنا التاريخ عن مجالس يعقدها السلطان سيدي محمد بن عبد الله ومولانا سليمان والحسن الاول الذيتذكرنا استشاراته العلمية بعصور السلف الصالح وعهد الخلفاء السابقين فمن استشارة في وسق القمح والحيوان الى اوربا ومن استفتاء في استنجاد السودان بملك المغرب ايام الهجوم الفرنسي على تلك الديار ومن استشارة في بعض الاوضاع المالية المراد احداثها في المغرب اذ ذاك ومن استفتاء ايضا في مسألة استنكاف الدخان واغلاق مراكزه . وهكذا كان في عصر السلطان مولاي عبد العزيز ومن اتى بعده وها نحن نرى ان هذا المبدأ السامي للدولة لا يزال راسخ الاقدام قوي المكانة . فجلالة الحسن الثاني قد عودنا دائما هذا المبدأ فلا تقع نازلة او يقع الاهتمام بتشريع جديد الا ويبادر حفظه الله الى الاستشارة مع مختلف افراد شعبه وطبقاته المتنوعة من علماء ومفكرين واصحاب اقتصاد وصناعات وهو بهذا العمل نفسه ينفذ فكرة يطمئن اليها ويحيي عهودا سابقة من عهود آبائه الصالحين . استسمح القارىء في الخروج قليلا عن الموضوع الاساسي للبحث **وهو النشاط القرآني ومواده العلمية في عهد ملوك الدولة العلوية الشريفة** ، وان كنت ارى ان هذا التمهيد ضروري ومؤكد حتى يعلم من لا يعلم ان ملوك هذه الدولة الكريمة ليسوا كسائر الملوك في الارض فهم بأرومتهم الاصيلة وعراقتهم نسبا وحسبا ونشأتهم في بيئة دينية ورضاعهم حب العلم واهله في اثداء امهاتهم كانت لهم ناحيتان . ناحية تسيير يسيرون بها هذه الدولة الاسلامية بالنظر في مصالحها والذب عن كيانها وحياضها . وناحية تهذيبية اخلاقية ينشرون فيها تعاليم الاسلام ويحافظون على التراث ولا يقبلون هوادة ولا تسامحا اذا حاول محاول ان يمس قاعدة من هذه القواعد الثابتة الاركان بهذا عرفهم التاريخ الاسلامي في المغرب وبسبب هذا تعلق الشعب بهم وتفانى في خدمتهم واللياذ بهم . ومن اهم هذه القواعد العمل على نشر القرآن وتعاليمه الصحيحة وتهييء جماعات من حفاظ كتاب الله وتنشيط القائمين على خدمة علومه والتضلع في دراسة حروفه ولغاته حتى انتشر هذا العلم في الاوساط وكثر اساتذته وظهر في ميدانه شخصيات لامعة ولم يكن الامر قاصرا على عصر من عصور هذه الدولة بل بقي التسلسل محتفظا به من عصر مولانا الرشيد ومولاي اسماعيل الى الوقت الذي ادركناه وقد رأينا الان في عصر جلالة الحسن الثاني ايده الله بوادر نهضة مباركة في خدمة القرآن وفتح مؤسساته في مختلف مدن هذا المغرب العزيز وجلالته بهذا العمل يخدم في الواقع شريعة الاسلام التي تظهر واضحة في تعاليم القرآن ويقدم للامة مشروعا ثقافيا له اثره في حياة اللغة العربية اذ القرآن الكريم هو المعجم الكبير الذي ليس بعده معجم وهو دائرة المعارف الكبرى التي تشرح لنا كثيرا من حياة الامة العربية في جاهليتها واسلامها وهو الوثيقة المقطوع بها وحيا من الله الذي لا يشوبه ادنى ارتياب ولا يتطرق اليه ادنى وهم وهو الرابطة القوية التي تجمع بين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وهو الدستور الذي لا يعتريه تغيير ولا تجديد . واذكر بهذه المناسبة مفخرة سجلت ايام مولاي الرشيد حيث كانت خزانته العلمية تشتمل على مصحف عظيم القدر جليل المكانة تحدث عنه الشيخ ابو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في بعض دفاتره العلمية واشار له في كتابه محاذى الشفا . قال فيه مما يتعلق الغرض به « وقد وقفنا في هذه الازمنة على المصحف المنسوب لسيدنا عقبة بن نافع رضي الله



إنشاء دار القرآن بمسجد حسان

للعميد التهامي الوزاني

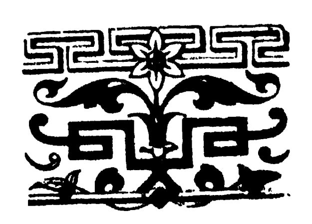
اجاد مولاي احمد العلوي فى التعبير عن الخراب الذي خلفه الاستعمار بالمغرب العزيز ، يوم زار المؤتمر الثاني لرابطة علماء المغرب بالدار البيضاء ، فقد قال بتاثر وامتعاض : ان الاستعمار بالغ فى تخريب القطاعات الروحية والمعنوية بالقطر المغربي ، وكما احتاجت القطاعات الاخرى الى الاصلاح والترميم احتاج لذلك الجانب الروحي للبلاد . ولهذا فان مؤتمر العلماء هذا خطوة كان لابد لها فى جملة خطوات لاعادة بناء القيم المعنوية فى بلاد المغرب .

ولعل مولاي احمد العلوي يكون نسى انه تحدث بهذا المعنى ، ولعل الكثيرين ممن حضروا المؤتمر لم يعوا هذا القيل ، ورغم كل ذلك فانه هو الواقع ، وانها لكلمة حق صدرت فى اشد الظروف مناسبة . وما هي الا ارتسامات نفسية تشغل بال الحكومة المغربية التي تسجل وتحصي مواقع الخلل فى الصرح المغربي العتيد ، بعد ان اقيل من عثرته ، وافاق من غفلته ، واناب من هفوته . وما احداث « وزارة الشؤون الاسلامية » بين مختلف وزارات الامة المغربية الا تجسيما لفكرة النهوض بالجانب المعنوي من الكيان الكلي للقطر المغربي العزيز . وقد جاءت هذه الوزارة فى الوقت المناسب ، وتأتى لها بحكم مأموريتها وطبيعة تكوينها ان تجمع من المعلومات التي تساعدها على معالجة شئون تدهش المطلعين عليها ، لما بلغه الامر من تداعي وانهيار . وان من الضمانات التي تبشر بعودة الحياة الروحية للمسلمين المغاربة ، وجود القصر الملكي وما بين جدرانه من خيار الاسرة المالكة ، التي اعتزت بالاسلام وعز بها ، وفى جوها الكريم تربى الملك البطل مولانا محمد الخامس امطر الله ثراه شابيب رحمته . وكان اول ما سمعه منه ابناء وطنه بعد عودته من المنفى قول الله تبارك وتعالى : « الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور » ، كانت آية كانما نزل بها الروح الامين على قلب رسول الرحمة والهداية صلى الله عليه وسلم لاول مرة ، فى حين ان نزولها الى سماء الدنيا قضى اربعة عشر قرنا من ايام الله . وسار الخامس برد الله مضجعه يعالج ما شاء من امور الملك ، ويصدر البلاغات والبيانات ، مشفوعة بآيات من القرءان الحكيم ، وكانه يقول للناس : ان القرءان هو الهادي الذي يوجهنا ، وبه نستهدي لتوجيه المغرب المسلم ، حتى يتخلص من الانحرافات والاهواء ، نفعل ذلك فى صبر واناة ، طبقا لما يجب ان يكون عليه علاج امة انهكتها الهجمات المخربة من الداخل والخارج ، وليس العلاج بالسهل ولا الميسور ، ولا يتم بمجرد اصدار الاوامر ولا ايجاد القرارات ، فان الحالة النفسية والاجتماعية تتطلب الشيء لكثير من التبصر والحكمة . واذا كان انتشار الخمور وصل الى حالة مزرية فى شعب مسلم ، دستوره القرءان الذي يحرمها فى غير هوادة ، فان التحريم العملي يتناول غروس الكروم ، وهي كروم منظمة يعيش من جراء تعهدها خلق كثير ، ثم هنالك معاصر الخمور ، وتكاليفها المادية والمالية ، تقدر بمبالغ طائلة من المال ، ثم من وراء ذلك عدة صناعات ، كصنع القوارير والصناديق

والذي يهمنا الان من كتبه هو ما يتعلق بفن القراءات وعلوم القرآن فمنها اللمعة فى قراءة السبعة والتقييد لما قد شرد من نصوص الدرة والقصيد جعله تذكرة لقارىء الثلاثة الزائدة عن السبعة لتمام العشرة بطريق التحبير والدرة : فى جزء متوسط والتحبير فى أصله كتاب للداني فى موضوع القراءات السبع والدرة قصيدة لامية فى موضوع القراءات السبع كذلك واضاف اليها القراءات الثلاث وهي لابي الخير محمد بن الجزري الشافعي وله عليها شرح وقفت عليه ولابي زيد هذا قراءة على الاشياخ المبرزين فى الفن منهم الاستاذ المشارك ابو عبد الله محمد عبد الرحمن الزامر القصري الفاسي وكانت وفاته سنة 1076 كما لازم المترجم شيخه الاستاذ الحافظ محمد بن محمد بن سليمان البوعناني فى القراءات السبع تلاوة ورواية ودراية كما لازم دروس الاستاذ الحافظ الراوية ابي زيد عبد الرحمن ابن القاسم ابن القاضي فأخذ عنه الروايات السبع ثم العشر وسمع عليه الشاطبية والتفصيل لابن غازي وقرأ ايضا على الاستاذ الكبير فى الفن أبا عبد الله محمد ابن عبد الله بن طاهر الحسني العلوي السجلماسي القراءات الثلاث ابي جعفر المدني ويعقوب وخلف ابن هشام الى غير ذلك من الاشياخ الكبار المتخصصين فى فن القراءات وكانت وفاة أبي زيد الفاسي المذكور سنة 1096 ومن هذه الطبقة الاستاذ الكبير شيخ القراءات بفاس العلامة المتضلع ابو العلاء ادريس بن محمد بن احمد الشريف الحسني المعروف بالمنجرة بلغ الغاية فى فن القراءات واليه بعد ابن القاضي المرجع وجميع القراء فى ذلك العصر اليه ينتسبون وعلى مجالسه العلمية يعتمدون اخذ عن جماعة من شيوخ عصره البارعين فى الفن كالحافظ ابي عبد الله محمد بن عبد الله السرغيني الهواري وغيره من علماء وقته ممن هو مسطر فى فهرسته .

(يتبع)

فاس : العابد الفاسي



لا يمكن ان يكون انسان واحد فكر فيما قدمه ملوك المغرب حفدة النفس الزكية وورثة عبد الملك والمنصور الذهبي ، من اعمال خالدة جليلة خدمة للقرءان وشريعة القرءان ، وقد توزع عاهلونا جوانب هذا المجهود الضخم فقام كل ذي سلطان ببناء قواعد في صرح القرءان المرد ، واحتفظت لبنة الختام بسرها لمولانا الحسن الثاني ، فكان عمله تتويجا لتلك الاعمال، وخروجا من مصاعب التصميم الى فضاء السعي الجدي المشكور . وها هي وزارته في الشؤون الاسلامية تشيد المساجد ، وتعيد تأسيس دراسات القراءات ووجوه الروايات في حفظ القرءان الكريم . وان يقرا القراء في هذه الكلمة العجلى المتواضعة فكرة انشاء دار القرءان بمسجد حسان ، فان الفكرة لا ترمي لمجرد المشاكلة والازدواج ، حتى تكون دار القرءان ، عجوز الصدر ذات الحديث ، من باب جمع المشابهات المتقاربات ، لكنها فكرة هادفة تقصد الى احداث مؤسسة القراءات القرءانية رواية ، والى جانبها معهد تحليلي للدراية ، ليكون هذا المعهد قمة لبقية الفروع ، يسيرها جماعة من المختصين مدعوين من سائر اطراف العالم الاسلامي ، لجعل ضريح محمد الخامس سقاه الغيث المهتون ، وتجددت عليه الرحمات مثابة لتركيز الدراسات القرءانية بالنسبة للعالم الاسلامي كله ، دون ان يتقيد المعهد بفروض الاطر الادارية ، وتكون مهمته علمية محضة للمحققين والمنقبين وحتى للمستشرقين . ويجعل مكتب التعريب تبعا لهذا المجمع القرءاني بصفته الامين على حرفية مفردات اللغة العربية ومكانة القاموس القرءاني منها .

لقد عهدنا في ملكنا البطل ان يسير بمؤسساته الى امجد اطواعها ، مصمما العزم على تحقيق ما ننسخ من آية او ننسهانات بخير منها او مثلها : فحتى اذا كان زمنه متأخرا عن زمن مولاي اسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله ومولاي سليمان ومولاي الحسن الاول ، فانه الملك الاول الذي اقام مؤتمرا قرءانيا حضره علماء كبار من شتى بقاع العالم الاسلامي .

عندما عرف الناس فكرة وزارة الشؤون الاسلامية في ادراج عيد العرش سنة 1968 ، في اطار سنة الدعوة الى الرجوع الى القرءان الكريم ، تأكد الجميع ان العاهل الكريم لن يكتفي بسنة واحدة ، وانما هي براعة استهلال لعمل عميق جذري لجعل القطر المغربي امة قرءانية شكلا وموضوعا ، وظاهرا وباطنا ، تحت شعار بريء من المسرحيات ، سائر نحو تحقيق حلم ابراز المسلمين في اقامة دولة اسلامية تعرف كيف تجمع بين اغلى واعلى الحضارات ، وادق المفهوم في تفسير آيات الذكر الحكيم .

ان احداث كرسي للدراسات القرءانية في « جامعة القرويين » لن يكون اقصى مرامي النفس الطامحة ، ولن يكفي ذلك في تقويم الانحرافات التي ازاغت الناس عن الصراط المستقيم الذي رسمه الذكر الحكيم ، فان على ولي امر المسلمين ان يعيد الجدة الى ما هدمه الاستعمار من مآثر اسلافه الكرام، في الحواضر والبوادي من المسايد والمعامر ، حتى كان المغرب من اكثر ان لم يكن اكثر الاقطار الاسلامية استظهارا للقرءان .

فهذه الكتاتيب التي كانت تحتضن الآلاف المؤلفة من حفظة القرءان ، اصبحت خرابا بلقعا ينعب فيها الغربان ، بعد ان كانت تتلى فيها آيات الرحمن ليلا ونهارا ؟ فكيف يرتفع عدد التالين للقرءان ان لم تعد « المعمرة » الى سابق عزها وغابر مجدها . فقد كانت مثوى للتربية الاسلامية ، لقربها من المسجد ، ولاتصال اطفالها بالعبادة ؟ فلم لا يشجع الناس على احياء « المعامر » ؟ ولم لا تكون هي التي تقوم بدور الاقسام التحضيرية وجانب من الابتدائية ؟ ولم لا يعطى الطفل المغربي فرصة لامكان حفظه للقرءان ؟ . ان مما كان معهودا ان الطالب القروي لا يتعاطى تعلم العلم الا بعد حفظه للقرءان ، حتى ولو ادى ذلك الى تقضية سنوات معدودات زيادة على الحد القانوني . فان من وسائل المحافظة على التوازن بالنسبة لنمو السكان ان يتدربوا على تأخير الزواج الى نحو الخامسة والعشرين ، وانما يتم لهم ذلك اذا كان لهم عمل اساسي يحتاج الى مدة اطول .

لن يفترض للقيام بهذه التعديلات احداث ميزانيات مالية جديدة ، وانما يحتاج الى تشجيع ادبي وتحبيذ من جانب الولاة ، والى ارجاع التصرف في مساجد البادية للجماعة تحت اشراف الدولة .

هذه جوانب من العناية بالقرءان ، جوانب يقصد بها وجه الله في غير جلبة ولا ضوضاء ، ومن حق وزارة الشؤون الاسلامية ان تجدد طرائق العمل في تشريعات مبسطة خالية من التعقيد الاداري ، مستندة الى كريم الاعراف ومساعدة ذوي النوايا الطيبة على ما يؤدي الى تطبيق تعاليم القرءان ، وتمهيد الطريق امام المتقين الاخيار . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

تطوان : التهامي الوزاني

والدنان ، ثم هنالك التجار والباعة ، واكثر من ذلك محاربة عادة الادمان وما يترتب على ذلك من حالات نفسية محزنة . فلكي تطهر البلاد من رجس الخمرة يجب اقبار هذه الانتاجات كلها وتعويضها بما يسد مسدها في سائر القطاعات . وليس للحكومة المسلمة يد في خلق هذه الوضعية ، ولكن عليها ان تمهد طويلا لاستبدال بلاء عادة كافرة بعادات مسلمة ، وانما صاحب البلاء هذه الحضارة ، لان الابطال الذين انشئوها غير مسلمين ، فلم ينظروا اعمالهم على اساس تعاليم القرءان ، وما قيل في الخمر يقال مثلا في الربا ، والتبرج وسائر الارجاس التي نشرتها حضارة كافرة ، لم تراع في خلقها ، تطابقها مع تعاليم القرءان . وعلى الامم الاسلامية ان تمهد لخلق حضارة قرءانية ، تستوعب كل ما يتطلبه تقدم العصر من مرافق ومظاهر ووضعيات .

هذا كان اتجاه محمد الخامس رحمه الله ورضي عنه ، حسبما تنطق به تصرفاته ومختلف انواع سلوكه، وهذا ما ورثه عنه — في جملة ما ورثه من فضائل ءال البيت — مولانا الحسن الثاني، اعانه الله على تحقيق خلق حضارة قرءانية ، قائمة من الاعماق باسقة في السماء ، والعهد الذي ارتبط به مع والده هو ما يرمز له باحياء سنن اسلافه في اقامة هذه المهرجانات التي تطبق طول البلاد وعرضها اشادة بالقرءان وفضائل القرءان ومزايا القرءان . وغني عن البيان ربط المساجد بالقرءان ، فانها بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه . والقرءان الكريم هو الذي يذكر اسم الله تبارك وتعالى ، الى جنب اوامره ونواهيه ، فاذا كان الامر يتصل باستعراض ما بذله الملوك العلويون من مجهود في الاشادة بالقرءان الكريم ، فان بناء المساجد يشكل الهيكل المادي لابلاغ رسالة القرءان ، والاحتفاظ بحفظ القرءان . وما اظن ان احدا من ملوك الاسلام حسب انه سيمجد لانه بذل المجهود في سبيل القرءان، ذلك لان المسلمين كافة يرون واجبهم الاساسي انما هو في العمل على زيادة نشر القرءان وتعاليم القرءان ، واذا تم بناء المسجد ، فان تجهيزه الاساسي بتزويده بمجموعات من المصاحف المجموعة في قمطر واحد ، ان المجزاة في اجزاء . وكنا ونحن صغار نجد من المصاحف الخطية وبالخصوص المكتوبة بخطوط مكناسية ما يتجاوز العد والحصر ، لكن الفترة الاستعمارية ازدردت منها المصاحف الثمينة وما بقي منها الا ما بقي من الوشم في ظاهر اليد . ورغم انها عوضت بمصاحف مطبوعة ، فان العناية التي كانت بالمخطوطات وما بها من زخرفة على رؤوس الاجزاء والسور ليس لها نظير في الدلالة على تغلغل حب القرءان في نفوس المغنين الذين يعصرون كل ما بقلوبهم من نبل وحب وايمان ، فيسيل حروفا على صفحات المصحف ، فكان القارىء يقرأ القرءان ويلمس ايمان الكاتب وثقته بخطه وعمله الذي يرجع معه ثواب الدار الاخرة . وكم قرانا في تراجم الرجال انهم كانوا يتخذون من تجويد كتابة المصاحف ووقفها عملا من اجل الاعمال المبرورة .

وقد انشأ ملكنا الحسن الثاني « دار الحديث » وها هو ينشىء دار القرءان ، بباعث قد يكون شعوريا وقد يكون لا شعوريا ، وقد تسمى هذه الدار بدار القرءان وقد لا تسمى ، الا انها على كل حال ستكون دار القرءان ، تلك هي البناية التي صممها مولانا الحسن الثاني ، واحسن اختيار موقعها في « جامع حسان » ، انها ضريح مولاي محمد الخامس الذي سينقل اليها رفاته الطاهرة الزكية . لن تكون «بطبون » لتجميد المخلوق ، ولكنها دار القرءان يتلى فيها آناء الليل واطراف النهار ، وفيها يسمع كل زائر من اى نحلة واى دين ، كلام الله مجودا عاليا في افخم مكان استطاع ملك عتيد ان يقيمه لتجسيم بروره بوالده ، وباشهاد الآماد والاجيال على حبه للقرءان الذي يقول سبحانه : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا » ، فهو يحب اباه لان القرءان امر بذلك ، ويزداد اجلالا للقرءان لانه يلمس ضميره في الحض على بر الوالدين .

وسوف تتمخض هذه الحركة التي مصدرها الهيام بالقرءان وتعاليم القرءان ، سوف تتمخض — ان شاء الله — عن مجهود واسع النطاق لخلق عالم مسلم يصدر في سائر تصرفاته عن اوامر ونواهي القرءان ، مسبوكة في قالب العصر الذي نعيشه ، بما فيه من مستوى سلوكي لم يسبق له نظير فيما يرجع لتزاحم الناس وتفاهمهم وقبول بعضهم لاعذار البعض . وقبل حدوث الظاهرة تظهر ارهاصاتها ، وما هذا الاريج العاطر الذي تضوع في مؤتمر حزب الاستقلال ، وتبلور القصر الملكي العامر الا سبب قدرة الله تعالى لاحياء الاهتداء بهدي القرءان ، والتفكير في وضع الاسس لحضارة مسلسلة روحا وعقلا لا صورة ومظهرا ، تحتل في الاقطار الاسلامية مكانة القيادة ، لتوجه الناس الى السعادة في العاجلة والعقبى الحسنى في الآجلة .

أحببت بالعدل والتقوى هدى (عمر) ... يسوس ملكا برأى غير ذى خطـل
آقمت (دار حديث) شمسها سطعت ... عبر الوجود ... وسارت مضرب المثل
أنشأتها لبناء الجيـل .. تغمـره ... نورا .. وتحفظ خطو الشعب من زلل
تساءلت أمة الاسلام ، أين لهـا ... زعيم وحدتها فى مجهل السبـل ؟
بلى ، ــ وحق خلود العرش فى وطنى ــ ... هذا زعيمك يوم الموقف الجلـل
رسالة العرش ان تبنى حضارتنـا ... على العلوم ، على الاخلاص فى العمل
ووحدة الصف من أسمى مبادئنـا ... مكاننا فى غد قيادة الـدول

يا دعوة الملك الغالى لمؤتمـر ... ليصبح العرب صفا غير منفصـل
دوى نداؤك فى الآفاق ، فارتعـدت ... فرائص الظلم من خوف ومن وجـل
واستيقن (القدس) يبكى الجرح ان له ... فيك المحرر من جرم ومن دجـل
غدا سيجتمع الابطال فى وطنـى ... وينزلون مقامـا وارف الظلـل
يا شعر .. ان جئت تغشى ظل مجلسهم ... فقل لهم : ثورة فى الشعب لم تـزل ..
نهوى السلاح ، ولكن من مصانعنـا ، ... عمادنا ثروة فى تربنـا الجـزل
مهلا فلسطين مهلا ... اننا عـرب ... سنزرع النصر فى واديك والجبـل
شعب العروبة ثار اليوم ثورتـه ... وليس يرضى سوى استقلالك العجل

رجعت للزمـن الماضـى اسائلـه ... عن قادة فى سداد الرأى كالرسـل
وعدت للعصـر مفتونـا بساستـه ... هل من زعيم بقلب الشعب متصل ..؟
وطاف بى الشعر حلو الجرس .. منبعه ... هواى فى ملكى .لذاك يسلس لـى
عرائس الفن هامت فى محاسنـه ... سمت معانيه فوق الحب والغـزل
من حكمة الحسن الثانى سما وطنـى ... يسير من أمل حلو الـى أمـل
لبيك انا جنود العرش .. يا ملكـى ... شعارنا الحب .. والاخلاص فى العمـل
مولاى عش لنفوس انت منيتهـا ... فحولك الشعب ان تأمره يمتثـل

الرباط : علال الهاشمى الفيلالى

من وحي الذكرى

وحدة المسلمين في ظلال العرش

للشاعر علال الهاشمي الفيلالي

قالوا العروبة والاسلام .. قلت لهم : العرش رمزهما فى الاطلس البطل ..
عرش الحضارة .. هذا الكون يعرفه فى ظله ينبت الايمان بالمثل
لو ينزل الوحى بالايات ، كان له وحى الزعامة فى سياسة الدول

اضاءنا العيد .. فاهتاجت عواطفنا والحب يسكر .. كم فى الحب من ثمل..
لولا غد بهبات العرش يغمرنا نورا ، تسلسل يوم العيد فى الازل
لو رغبة الاطلس الجبار كافية اتى يمجد باب القصر بالقبل
لكن فرسانه — والخيل قد ركضت بين الزغاريد — فى بشر وفى جذل
لله من عازف لحنا ، ومنفعل أو حامل راية ... أو موقد الشعل
تموج الشعب أرواحا وعاطفة فى مهرجان جليل بالمنى حفل

يا ثائرا نهضت بالشعب ثورته اسق العطاش كؤوس الفوز بالامل
تبنى الحضارة، تحيي الشعب.. انت لنا كالروح للجسم ، والابصار للمقل
بسطت ظلك فى الصحراء ، فانتفضت وجادها وابل من غيثك الهطل
غنى بحبك فلاح نهضت به نشوان يمرح فى انعامك الجزل
واسترجع العامل الاحلام زاهية فلم يعد خائفا من غيلة العلل
يسير للغد .. للانماء .. موكبنا على يديك الى شط المنى الخضل
طلعت فى جبهة الدنيا . وقد حليت بك الحياة ..وصنت المجد عن عطل

أرجعت للاوطان عهدا زاهرا ... ترويه منك سواعد وسدود

لن تبلغ الآمال الا أمة ... تسعى حثيثا للعلا وتزيد

فمحبة العرش المجيد عقيدة ... ما حدها فى العالمين حدود

للعرش أخلصنا ، ونحو ندائه ... قد هب أبناء لنا وجدود

عاشوا أباة الضيم أحرارا ، فلم ... يهنوا ، ولا كانت هناك قيود

أعجب بأحرار تسامى طبعهم ... وهمو لاحسان المليك عبيد !

والعرش سر وجودنا وأماننا ... لولاه لم يك للسلام وجود

لبيك يا بطل البلاد وحصنها ... فلنحن حولك فى النضال جنود

كم أضرم الدخلاء من نار لهم ... وهمو لها يوم الحساب وقود

مولاى عرشك فى القلوب موطد ، ... والعرش تمكين لنا وخلود

أدهشت كل العالمين بحكمة ... ومهارة تبدى لهم وتعيد

*

هذى (فلسطين) الشهيدة فى الورى ... ــ والهفتى ! ــ فردوسنا المفقود

كم من طريد بينها ومعذب ... ودم مراق يرتضيه شهيد

واحسرتاه على الديار وأهلها ... فالدمع فى جرح القلوب صديد !!

عقدت عليك رجاءها وخلاصها ... فالشرق فى بلوائها مفؤود

فلانت أجدر بالفداء ويومه ... ولانت من يحمى الحمى ويذود

هذا عدو الله عاث ضراوة ... فى ثالث الحرمين وهو عنيد

قد داس ساح (المسجد الاقصى) ومن ... أهدافه التخريب والتهويد

فمتى يزول الضيم عن أرض الهدى ... ويلوح فى تلك الربوع العيد ؟

ومتى تزاح (القدس) عن أرض الخنا؟ ... ويلوح فيها الصبح وهو جديد

ومتى يؤم النازحون ديارهم ؟ ... ومتى تطهر أرضهم فيعودوا

لهفى عليهم فى الخيام وفى الخصا ... صة ، والعدو على الكرام حقود

لهفى على الآساد حل محلها ... ــ واخيبتاه ! ــ ثعالب وقرود



فى ظل عرشك يجمل التغريد   فلانت فى نطق الخلود نشيد

يكفيك فخرا فى بلاد قدتها   ان الجميع شعاره التوحيد

أفلا يحق لنا وأنت امامنا   أنا نشيد مجدنا ونسود ؟

ما هبت الازمات فى أوطاننا   الا وأنت الى الامان معيد

ما خاب شعب صنته وهديته   للمكرمات ، وأنت فيه تقود

فاذا أردت فان دهرك طائع   يعنو اليك كما تشا وتريد

طوبى لشعب للمزايا قدته   فمصيره بين الانام سعيد

هامت بك العلياء فى أمجادها   والنصر أنت لواؤه المعقود

قد سدت بالاسلام فى أخلاقه   اذ أنت تاج زانه التمجيد

شيدت للقرآن ركنا شامخا   والسعى منك موفق محمود

هتفت بك الاكوان من أعماقها   فالعيد أنت يحوطك التاييد

والورد تحت خطاك مفروش هنا   والارض أكباد لنا وخدود

لو شئت للتاج الرفيع جواهرا   هبت اليك من القلوب وفود

أو شئت من شتى الروائع آية   فجميع عهدك للبناء شهود

أو شئت عقدا من سواد عيوننا   لسعت اليك من العيون عقود

أو شئت من أعلاقنا ونفوسنا   كنزا ، لكنا بالجميع نجود

أعطيتنا مثلا ، فقمنا قومة   فيها انبعاث للبلاد وطيد

نشاط الدراسات اللغوية
في المغرب العلوي

للأستاذ محمد المنوني

مقدمة :

ان الحقب المعني بالامر هنا يمتد من ظهور الدولة العلوية الى اواخر القرن الثالث عشر للهجرة ، حيث انتعشت دراسات اللغة العربية . ونشطت اكثر في الفترة الاولى من هذا الحقب .

والى جانب أثر الدولة في هذا ، يوجد عامل آخر يرجع الى تاثير الزاوية الدلائية . حيث استمر طابعه واضحا — في صدر هذا العهد بالخصوص — في اللغة والادب وغيرهما . وقد صادفت هذه الانتعاشة مرحلة وفرة المؤلفات بالمغرب . فكثر في اللغة العربية — نسبيا — الموضوعات المغربية .

وكان الكتاب المتداول اكثر . هو « القاموس المحيط » للفيروزابادي . وسنرى — فيما بعد مدى خدمة المغاربة له : بالتدريس والتعليق عليه من طرف زمرة من الاعلام . اضافوا الى معارفهم المتنوعة عناية خاصة باللغة ، ويبلغ عدد هؤلاء وغيرهم 27 اسما ، بينهم مؤلفون كتبوا 19 موضوعا ، وفيهم عدد كانوا يقومون بتدريس « القاموس » — كلا او بعضا — لطلاب اللغة — وعدد آخر اهتموا بتصحيح متنه ومعارضته بأصول متعددة بعضها يرجع الى اصل المؤلف نفسه .

على ان كتاب « الصحاح » للجوهري لم يعدم مكانته في هذا العهد ، وعلى حد تعبير محمد بن الطيب الشرقي (1) : « فان كتاب الصحاح . اجمع ايمة اللغة انه بمنزلة صحيح البخاري بالنسبة الى باقي الصحاح »، وعبارة غيره (2) : « فهو من كتب اللغة بمثابة الصحيحين من كتب الحديث » .

وسنتبين بعد : أن هذه الانبعاثة اللغوية تنقسم الى فترتين : تمتد الاولى الى اواخر القرن الثالث عشر للهجرة ، حيث ظهر افراد متضلعون في اللغة ، ووضع بعضهم مؤلفات لغوية اصيلة ، وفي الفترة الثانية أخذت هذه الانتعاشة تسير نحو الانحدار : فانقطع تدريس « القاموس » . وانعدمت الاصالة من المؤلفات ، التي اصبحت ترجيعا لصدى بعض موضوعات الفترة الاولى، وستقف هذه المرحلة الثانية عند أواخر القرن الثالث عشر للهجرة .

أما تصنيف هذه الدراسة فسيسير حسب المواضيع التالية :

اولا — مؤلفون واساتذة القاموس .

ثانيا — لغويون لم يؤلفوا .

ثالثا — وراقون معتمدون في نسخ القاموس .

رابعا — اهتمامات أخرى بالقاموس .

خامسا — خطبة حاشية القاموس. لمحمد الطيب الشركي .

---

1) في خطبة تعليقته على القاموس الاتية الذكر .

2) ابي زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز التادلي ثم المدني، في خطبة كتابه الاتي الذكر: « الوشاح وتثقيف الرماح في رد توهيم المجد الصحاح » ، ص 3 .

لهفى على الحق المداس تنكـــرا : طبع اللئـــام تنكـــر وجحـــود
أين الاباة من استجابوا للعــــلا ؟ أين الجحاجح والكماة الصيـــد ؟
مهما يطل مكر العـداة وكيدهـــم ، فالله يمكـــر فوقهـــم ويكيـــد
ستزول من جيش الدخيل فلولـــه ويزول تهديـد لـــه ووعيـــد
فالعـــرب قوم يثأرون لعزهـــم ، اذ بأسهم يوم الفـــداء شديـــد
هذى فلسطين سيبســـم بالكفـــا ح وبالبطولة يومهـــا المشهـــود

✽

يا حامى الدين الحنيف تحيـــة ، ترعاك من رب العبـــاد عهـــود
شكر الاله لك المساعـــى كلهـــا اذ أنت فينـــا ظلـــه الممـــدود
آتاك فى ظـــل البنـــود مهابـــة حتى يزول البـــؤس و التشريـــد
ويزيدنى شرفا على شـــرف بأنـــ ـــى فى الورى (حسانك) الغريـــد
صان الاله ولى عهـــدك دائمـــا فمحمد عـــز لنـــا وصعـــود
وليبق عرشـــك للبـــلاد يصونـــها فالمجد عنـــدك طـــارف وتليـــد
مرحى لعهدك يا مليكـــى انـــه عهد سعيـــد ، كلـــه تشييـــد !
وجهودك الجلى فـــلاح كلهـــا لم تخف منك مطامـــح وجهـــود
والشعب فى اخلاصـــه وولائـــه ديوان شعـــر كلـــه تمجيـــد
فى العيد اذ تبدى لديـــك ولاءهـــا حجت اليك جحافـــل وحشـــود
فمن السماء لك العنايـــة دائمـــا ومن العبـــاد يحفـــك التاييـــد

الرباط : محمد بن محمد العلمى

حطبته ، ويبين لنا سيدنا ما استقرىء من عاداته، وينبهنا عن المواضع المنتقدة فيه ، وهل اعتراضاته على الجوهري صحيحة أم لا ، وعلى م يتكل هو والجوهري في ضبط وسط الكلمة اذا كان محتاجا للتنبيه على نقطه حيث يفقد شبيهه فلا يدري المفقود هل هو من المعجم او من المهمل ... وهل ما يفعله صاحب القاموس من تقديم المادة الرباعية والخماسية على الثلاثية تارة وتاخيرها عنها اخرى له نكتة ام لا ، بينوا لنا ذلك بيانا شافيا، ولكم الاجر الجزيل والثواب .

والحاصلانا وجميع اهل العلم فى غاية الحاجة الى هذا التاليف ، وقد رجونا أن تاتي فيه بما لا مزيد عليه من الاتقان والحسن وكثرة الفوائد ، وما يناسب هذا المعنى من عادة الجوهري وغيره من كتب اللغة المشاهير ، ولا نكلفك بما فيه عليك مشقة ويحتاج الى طول زمان ، وانما نريد منكم ما حضر وسهل مما نعتاده من خزائن صدوركم من النفائس والذخائر ، المزرية باللالي والجواهر وانت خبير بأن هذه المسألة اكيدة ، وانها مفتقرة لعلومك الوافرة المديدة ، وانك ان لم تتولها ، فلا احسن لها ، فبين صوابها ، واغتنم ثوابها ... »

والى هنا ينتهي المراد من هذه الرسالة ، حيث يبين مدى اليد التي للمترجم فى جمع هذه الحاشية ، وأيضا فى تصميم تصنيفها .

7 — ابو العباس احمد الملقب الحبيب بن محمد الملقب الغماري ، الصديقي ، السجلماسي ، المتوفى عام 1165 هـ / 1751 م (17) ، اخذ عنه ابو العباس الهلالي — آتي الذكر — خطبة القاموس (18) .

8 — محمد بن الطيب الشركي الصميلي الفاسي . ولد بفاس عام 1110 هـ / 98 — 1699 م ، وبها تعلم . وكان سكناه بالدرب الطويل (19) من عدوة القرويين . وهو — فى ختام خطبة القاموس — يورد سنده الى مؤلف الكتاب . ويصدره بذكر اشياخه الفاسيين هكذا :

« اما القاموس — على الخصوص — فقد قرانا خطبته واكثر مواده — قراءة بحث — على شيخنا الامام العلامة ابي عبد الله محمد بن احمد الشاخلي (20) ، وشيخ الجماعة ، الامام الكبير ، أبي عبد الله محمد بن احمد المسناوي ، وسمعت كثيرا من مباحثه ومواده ، على الشيخ البركة ، نحوي العصر ولغويه ، ابي العباس احمد بن علي الوجاري الاندلسي ... » .

وقد كون المترجم بفاس نهضة لغوية راينا صداها فى رسالة عبد المجيد الزبادي الآنفة الذكر ، ولما رحل للمشرق كان من بين طلابه محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، الذي يقول عن استاذه فى طالعة شرح القاموس (21) : « وهو عمدتي فى هذا الفن ، والمقلد جيدي العاطل بحلي تقريره المستحسن » .

وبالمشرق — ايضا — اخذ عن المترجم ابو العباس الهلالي — آتي الذكر — ، حيث قرا عليه خطبة القاموس قراءة بحث وتحقيق على حد تعبير الهلالي ، الذي قال فى تحليته : « اشد من رايته عناية بعلم اللغة ، واحرصهم على مدى سوابقها ان يبلغه » ، وكانت قراءته على المترجم فى خلوته بالمسجد الحرام تجاه البيت العتيق .

وقد وصفه — ايضا — المرادي (23) بانه كان له الباع الطويل فى اللغة والحديث ، وقال عنه محمد الطالب ابن الحاج : « لم يكن فى زمانه احفظ منه بالنحو واللغة والتصريف والاشعار ، اماما فى التفسير والحديث والتصوف والفقه (24) » .

ويشهد المترجم على نفسه بأن له تضلعا قويا فى اللغة ، وفى هذا يقول اوائل خطبة حاشيته على القاموس :

« وقد كنت ممن نبغ فى هذه العلوم الشريفة ، ونبع بعيونها الفائقة وتفيأ ظلالها الوريفة ، وغاص قاموس بحرها ، وصاغ قابوس نحرها ، وتعرف الوحشي منها

---

(17) ترجمته فى نشر المثاني ج 2 ص 264 .
(18) طالعة فتح القدوس فى شرح خطبة القاموس : المخطوطة الاتية الذكر .
(19) « سلوك الطريق الوارية ، فى الشيخ والمريد والزاوية » لمحمد بن علي الزبادي مخطوطة خاصة — اثناء ترجمة المترجم .
(20) سقطت كلمة « ابن » قبل الساذلي .
(21) ج 1 ص 3 .
(22) طالعة « فتح القدوس فى شرح خطبة القاموس » ، المخطوطة الاتية الذكر .
(23) سلك الدرر ج 4 ص 94 .
(24) نقله فى فهرس الفهارس ج 2 ص 396 .

اولا — مؤلفون واساتذة القاموس

1 — ابو علي الحسن بن مسعود اليوسي المتوفى عام (3) 1102 هـ / 1691 م ، الف : « زهر الاكم فى الامثال والحكم » ، ولم يتمه ، لا يزال مخطوطا فى خزائن خاصة وعامة ، ومنه نسخة مذيلة بمراجع الكتاب . خ . ع . ك 1679 .

2 — ابو العباس احمد بن علي بن عبد الرحمن الجرندي الاندلسي الفاسي ، المتوفى عام 1125 هـ / 1713 م (4) ، وضع حاشية على القاموس (5) لا تزال غير معروفة .

3 — محمد بن احمد بن المسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي . الشهير بالمسناوي . الفاسي . المتوفى عام 1136 هـ / 1724 م (6) . من اساتذة القاموس بفاس . قراه عليه محمد بن الطيب الشركي — آتي الذكر — قراءة بحث واتقان على حد تعبيره (7) . ولما استعرض فى طالعة « تاج العروس » (8) المؤلفين الذين استدركوا على القاموس ، نسب للمترجم كتابة فى هذا الصدد . وهذه لا تزال غير معروفة ايضا .

4 — محمد بن احمد بن الشاذلي بن محمد بن ابي بكر الدلائي ، الفاسي ، المتوفى عام 1137 هـ / 24 — 1725 م (9) ، مطلع على غرائب اللغة العربية (10) . وقد قرنه محمد بن الطيب الشركي مع المسناوي : فى قراءة القاموس عليهما قراءة بحث واتقان (11) .

5 — ابو العباس احمد بن علي الوجاري القضاعي الاندلسي الغرناطي ، ثم الفاسي المتوفى عام 1141 هـ 1729م (12) ، احد اعلام النحو واللغة والتصريف وايام العرب (13) ... وهو — ايضا — من اساتذة محمد بن الطيب الشركي فى القاموس ، حيث سمع عليه كثيرا من مباحثه ومواده (14) . وقد وضع ملحقا للقاموس يوجد مخطوطه بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك 1690 . فى حجم متوسط . من 289 ص .

6 — عبد المجيد بن علي بن محمد المؤذن بن علي الصوفي بن احمد . المدعو الزبادي . الحسني . الفاسي المتوفى عام 1163 هـ / 1750 م (15) . ماهر فى علم اللغة امام فيه (16) . وقد ذكر فى هذا القسم لتسجيل اليد الكبرى التي له فى اقتراح جمع حاشية القاموس لمحمد بن الطيب الشركي . الذى اثبت فى طالعة هذه الحاشية قطعة من رسالة خاطبه بها المترجم فى هذا الصدد . وجاء فيها بعد كلام اورد فيه اسئلة فى فنون مختلفة :

« ... فاذا حقق لنا سيدنا — بارك الله فيه — تلك المسائل . واوضح لنا فيها الحق من الباطل . فلينجز لنا وعده الصادق دون اهمال . ويهمل علينا من غمام سائب فضله ووعده الصادق اى اهمال . بان يؤلف لنا الكتاب الذى كنا سالناه منه نحن وجميع من شملته هذه الحضرة الفاسية من اعيان الافاضل السراة ذوي العدد . فى اصطلاحات القاموس التى لم يحص « كذا » بها فى

---

3) انظر عن ترجمته وبعض مراجعها : « معجم المؤلفين » لرضا كحالة ج 3 ص 294 — 295 .
4) ترجمته ومراجعها فى « سلوة الانفاس » ج 2 ص 16 — 17 .
5) محمد الفاسي : تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الاقصى . مجلة دعوة الحق . السنة الثالثة ، العدد العاشر — ص 38 .
6) ترجمته ومراجعها فى « سلوة الانفاس » ج 3 ص 44 — 47 .
7) « تاج العروس من جواهر القاموس » ، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي . المطبعة الخيرية بالقاهرة ، 1306 — ج 1 ص 15 . وتفيد عبارة ابن الطيب فى حاشية القاموس : انه انما قرا على المسناوي خطبة القاموس واكثر مواده .
8) ج 1 ص 3 .
9) ترجمته ومراجعها فى سلوة الانفاس ج 3 ص 47 — 48 .
10) « ثمرة انسي فى التعريف بنفسي » لابي الربيع سليمان الحوات . مخطوطة خاصة
11) « تاج العروس » — ج 1 ص 15 .
12) ترجمته ومراجعها فى « سلوة الانفاس » ج 2 ص 148 — 149 .
13) « نفس المصدر » ج 2 ص 148 .
14) « تاج العروس » — ج 1 ص 15 .
15) ترجمته ومراجعها فى « سلوة الانفاس » ج 2 ص 184 — 187 .
16) « نشر المثاني » ج 2 ص 257 ، مع « الرياض الريانية » . مخطوطة خ . ع . ك 497 . ص 368

فانه قد حصل لي — بحمد الله — من مطالعة القاموس واستقرائه ، ومباحثة الافاضل عند قراءة بعضه واقرائه ، ما يستحسنه النجيب ، ويستعظمه الاريب، من اصطلاحه العجيب ... » ، ومن مؤلفاته اللغوية :

ا — « فتح القدوس ، فى شرح خطبة القاموس » ، مخطوط فى سفر وسط ، ومحفوظ فى خزائن عامة وخاصة .

ب — « اضاءة الادموس ، ورياضة الشموس(31) من اصطلاح صاحب القاموس » ، طبع بالمطبعة الحجرية الفاسية ، بمطبعة العربي الازرق عام 1323هـ ومنه نسخة مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط تحمل رقم 2557 . وهي مقابلة مع أصل صحيح عليه خط المؤلف، على يد العربي بن محمد الدمناتي ، فى 27 جمدى الثانية عام 1243 هـ .

ج — وينسب له فى طالعة تاج العروس (32) شرحا حسنا على القاموس . وهذا غير معروف . ولم يذكره مترجموه . والغالب انه التبس بفتح القدوس . الذي هو شرح لخطبة القاموس كما رأينا آنفا .

د — هذا وقد جاء فى فهرس المخطوطات العربية (33) ما يلي :

« اسعاف اللب الانوس بالاهم المانوس . من مصطلح صاحب القاموس » — تأليف ابي العباس احمد ابن عبد العزيز . أوله : « حمدا لمن جعل علم اللغة لسائر العلوم مفتاحا..» . رتبه على اربعة اصول وخاتمة. نسخة بقلم مغربي .فى 33 ورقة ، مسطرتها 10 أسطر (5254 هـ) .

فهل احمد بن عبد العزيز هو المترجم ، وهل هذا مؤلف آخر له فى اللغة ؟

10) عبد الرحمن بن عبد العزيز المغربي التادلي ثم المدني العمري . الف كتاب « الوشاح وتثقيف الرماح فى رد توهيم المجد الصحاح » ، رتبه على ترتيب أصله وادرج فيه ما اخذ على الجوهري من التصحيف مما ذكره السيوطي فى المزهر ولم ينتقده صاحب القاموس .

طبع على هامش الصحاح ومفردا ، وقد كانت هذه الطبعة المفردة بالمطبعة الكبرى ببولاق « مصر »، عام 1281 هـ . فى 134 ص ، من حجم متوسط .

ولم اقف — الان — على ترجمة هذا المؤلف ، وليس فى كتابه ما يحدد عصره ، سوى ما جاء فى ص 12 من ذكر الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي كشيخ لشيوخه . وقد كانت وفاة هذا فى عام 1134 هـ (34) .

11 — محمد الحبيب بن عبد القادر الفلالي ، كان مدرسا فى مدرسة تازروالت بسوس ، ثم استوطن المدينة المنورة حيث كان بها فى مفتتح عام 1243 هـ / 1827 م . وقد وضع نظما فى اصطلاح القاموس سماه الانفس المانوس (35) .

12 — محمد بن عبد القادر الكلالي الحسيني الشهير بالكردودي الفاسي ، المتوفى عام 1268 هـ /

---

31) فى النسخة المطبوعة : ورياضة النفوس .

32) ج 1 ص 3 .

33) ج 1 ص 45 ، وهو عبارة عن نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة 1936 — 1955 . تصنيف فؤاد سيد . أمين المخطوطات بالدار

34) « فهرس الفهارس » ج 1 ص 136 . وقد وقفت بعد هذا على ذكر المترجم عبد الرحمن التادلي عند ابي رأس المعسكري فى رحلته : « فتح الاله ومنته . فى التحدث بفضل ربي ونعمته » ، مخطوطة خ . ع . ك 2263 ، حيث أورد ذكره فى موضعين : ص 45 — 46 ، وص 95 — 96 ، وهو يسميه بالشيخ عبد الرحمن التادلي أصلا ونجارا ، المكي منشئا ودارا ، ووفاة واقبارا . ويصفه بأوصاف عالية ، منها الباع الواسع فى طريق القوم واللغة ، ثم يذكر أنه قرأ عليه شرح الامام ابن عباد على الحكم العطائية بمكة المشرفة عام 1205 هـ ... » . كما يذكر انه اتخذ مكة وطيبة دارا ، ومن هنا جاء وصفه بالمدني .

35) المعسول ج 8 ص 206 .

والمتداول ، وتصرف فى المختصر من دواوينها والمتطاول، ولم يزل معاني معانيها دهرا ، حتى قالوا تحبها قلـــت بهرا » .

كما يمتاز المترجم باستقلال الراي ، حسب هذه الفقرة الواردة فى مقدمة موطئه الفصيح :

« ولم أكن ممن ديدنه التقليد لاحد من البشر .

ولست بامعة فى الرجـــــال
اسائل هذا وذا ما الخبـــــر

ولكن ادور مع الحق حيث ما دار ، واتصـــــف بالانصاف بتوفيق الله تعالى لانه منار الفهم الذي عليه المدار ، ولست ممن يرى لتقدم الزمان فضيلة ، او يهتضم المتأخر فى حقيرة او جليلة ... » .

ولا شك ان فى طليعة مؤلفاته « أ » حاشيــــة القاموس ، التى سماها : « اضاءة الراموس ، واضافة الناموس ، على اضاءة القاموس » .

وكما سبق عن الزبادي : فان تدوينهذه الموسوعة مدين لطلبه مع جمع ذوي عدد من أعيان الافاضل السراة بالحضرة الفاسية ، ويؤكد المترجم هذا ، فيذكر فى أول الحاشية ان اشياخه الاساتذة ، واصحابـــه الجهابذة ، طلبوا منه جمعها ، ثم جاء فى ختامها :

« وقد انجزنا وعد السائل : « يقصد الزبادي »، وانجزنا الجواب عما ساله من المسائل ، رغبة فى جلب الدعاء منه وممن شاركه فى السؤال من اهل الحضرة الفاسية من أعيان الافاضل ، ومن شاركهم فى بقايـا الافاق من كل فاضل ... » .

لاتزال هذه الحاشية مخطوطة ، وقد تعـــددت نسخها بالمغرب فى الخزائن العامة والخاصة ، ويوجد منها فى خصوص المكتبة الملكية بالرباط تسع نسخ جلها تامة ، وتحمل الارقام التالية :

244 — 246 — 544 — 1071 — 1658 — 2522 — 4976 — 6111 — 7991 ، ومن الجدير بالذكر أن هذه النسخ كلها مكتوبة بخطوط مغربية .

ومن المؤلفات اللغوية الاخرى للمترجم : « ب » « موطئه الفصيح لموطاة الفصيح » ، وهو اسم شرح نظم فصيح ثعلب ، لمالك ابن المرحل السبتي ، منه نسخة غير تامة فى مجلد ضخم يحمل رقم 1563 فى الفهرس الجديد للمكتبة الزيدانية بمكناس ، ويوجـد الجزء الاول منه بدار الكتب المصرية تحت رقـــم 179 (25) ، وهناك قطعة من اوله ضمن مجموع خاص ص 675 — 765 ، بخط صالح الفلاني (26) وتعليقاته التي يناقش فى بعضها المؤلف .

ج — «شرح كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ» لابراهيم ابن اسماعيل الطرابلسي المعروف بابن الاجدابي ، بدار الكتب المصرية رقم 14 ش ، بخط علي الجزائري كتبه للشيخ محمد محمود بن التلاميـــذ التركيـــزي الشنجيطي (27) .

وهذه ثلاثة مؤلفات لغوية أخرى للمترجم لا تعرف الا من خلال ذكرها فى حاشية القاموس :

د — ضوء القابوس ، فى زوائد الصحاح علـى القاموس .

هـ — حاشية على درة الغواص للحريري .

و — المسفر عن خبايا المزهر للسيوطي .

واخيرا فان وفاته كانت بمستقره الاخير بالمدينة المنورة عام 1170 هـ / 1757 م ، ودفن بمشهـــد السيدة حليمة (28) .

9 — أبو العباس احمد بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالي السجلماسي الدغري ، المتوفى عام 1175 هـ/ 1761م (29) وهو ممن استقرا القاموس واقراه ، فقد قال فىخطبةاضاءة الادموس(30) الآتية الذكر: «امابعد

(25) « فهرس دار الكتب المصرية » ج 2 ص 42 .
(26) هو عالم سوداني مسوفي مترجم فى فهرس الفهارس ج 2 ص 264 — 269 .
(27) فهرس دار الكتب المصرية ج 2 ص 19 .
(28) ترجمته وبعض مراجعها فى معجم المؤلفين ج 10 ص 111 ، وفى سلوك الطريق الوارية المخطوطة السالفة الذكر .
(29) ترجمته فى نشر المثاني ج 2 ص 273 — 277 ، وتوجد مع بعض مراجعها فى معجم المؤلفين ج 1 ص 275 — 276 .
(30) ط . ف . ص 2 ، مع الرجوع الى مخطوطتها الاتية الذكر .

وغاية ما يقال : انه احسن مظهر ظهر فى زمانه، وانه لو بذل فيه كل متمول لكان قليلا فى اثمانه ، هذا : ومدة ذؤوبنا على تصحيحه تزيد على سنتين .. » .

ومن حسن الحظ ان هذه النسخة من القاموس المتحدث عنها لا تزال بقيد الوجود ، حيث تحتفظ بها المكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 8112 ، فى ثلاث مجلدات مختلفة الحجم ، وهي خالية من اية اشارة لقصة تصحيحها أو التعريف بها ، ولكنها مهمشة بخط المترجم اكنسوس « المعروف » ، بالتصحيحات والفروق بين النسخ وبعض التعليقات ، وفق ما اشارت له الرسالة الانفة الذكر ، كما يوجد على اول كل من المجلدات الثلاثة ملكية بخط العربي بن المختار الجامعي المقترح لهذا العمل ، وقد كتبت هذه النسخة بخطوط متنوعة ومتفاوتة فى الحسن ، ملونة وخالية من تاريخ الانتساخ : المجلد الاول بخط احمد بن عبد الكريم بن عبد العزيز بن عبد الرزاق ؟ والثاني بخط المذكور الى نحو النصف ، وباقية متمم بخط اكنسوس الذي لم يعلن عن اسمه ، والثالث مجهول الناسخ .

14 — محمد الامين بن عبد الله بن محمد الامين الحجاجي الجعفري الصحراوي ثم المراكشي المتوفى عام 1295 هـ / 1878 م (42) ، سكن مدينة مراكش زهاء 40 سنة ، وكان له شغف باللغة وحفظ لكثير من حوشيها (43) ، وقد تام — هو الاخر — بنظم اضاءة الادموس للهلالي ، فى ارجوزة سماها « استضاءة الشموس فيما حوت اضاءة الادموس » ، ثم شرحها باسم « الروض الانيس فى شرح استضاءة الشموس فيما حوت اضاءة الادموس » ، شرع فى هذا الشرح أوائل عام 1257 هـ واتمه يوم الثلاثاء 20 رجب من نفس العام ، ونبه فيه على مسائل ارتكب فيها خلاف الصواب ، منه نسخة مخطوطة فى الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ج 126 ، فى 274 ص من حجم متوسط .

ثانيا — لغويون لم يؤلفوا

15 — محمد الشاذلي بن محمد بن ابي بكر الدلائي ثم الفاسي ، المتوفى عام 1103 هـ / 1692 م ، انفرد فى عصره بعلم اللغة وحفظ ايام العرب وأقوالها وحكمها وامثالها (44) .

16 — محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحدابن زاكور الفاسي ، المتوفى عام 1120 هـ 1708 م (45) ، كان اليه المرجع فى النحو واللغة والعروض فى وقته(46)

17 — محمد بن أحمد بن محمد بن علال بن محمد ابن جلون الفاسي ، المتوفى عام 1136 هـ / 1724 م ، يستحضر اللغة ويقوم فى الاستشهاد عليها بالشواهد الغريبة (47) .

18 — محمد بن الحسين الجندوز المصمودي ثم الفاسي ، المتوفى عام 1148 هـ / 1735 م (48) ، محقق للعلوم العربية ، حافظ لغريب اللغة (49) .

19 — محمد الجيلاني بن احمد بن السيد المختار السباعي الحسني ، المتوفى عام 1213 هـ / 1798 — 1799 م ، يقال عنه : انه استجمع واستظهر كتاب القاموس حفظا واتقانا (50) .

---

42) ترجمته فى الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ج 6 ص 33 — 40 .
43) المصدر الاخير ج 6 ص 33 .
44) عند ترجمته من سلوة الانفاس ج 2 ص 96 — 98 .
45) ترجمته ومراجعها فى المصدر الاخير ج 3 ص 180 .
46) « المورد الهني بأخبار مولاي عبد السلام القادري الحسني » لمحمد بن أحمد ابن محمد بن أبي السعود الفاسي الفهري ، مخطوط خ ، ع ، ضمن مجموع يحمل رقم ك 1234 — ص 265 .
47) فى ترجمة من « الروضة المقصودة » لسليمان الحوات ، مخطوطة خاصة ، وانظر عن ترجمته — ايضا — فهرسة محمد التاودي ابن سودة المري ، مخطوطة خاصة .
48) ترجمته ومراجعها فى سلوة الانفاس ج 1 ص 235 — 236 .
49) الروضة المقصودة : المخطوطة الانفة الذكر .
50) انظر ترجمته من فهرس الفهارس ج 1 ص 217 — 218 ، مع الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ج 5 ص 144 — 152 .

1852 م ، (36) كان له اعتناء كبير بعلم اللغة (37) ، وقد نظم اضاءة الادموس للهلالي في ارجوزة سماها بحل العروس ، واقتصر فيها على القواعد وحذف الزوائد ، وهي مطبوعة بالمطبعة الحجرية الفاسية بذيل اضاءة الادموس ، في التاريخ الانف الذكر .

13 — محمد بن احمد بن محمد السوسي المراكشي اكنسوس ، المتوفى عام 1294 هـ / 1877 م (38) ، قام بتصحيح متن القاموس ومعارضته بعشرات النسخ الصحيحة ، مع تهميشه بالتصحيحات والفروق بين النسخ ، وبتعليقات عليه قد يناقس في بعضها محمد بن الطيب الشركي في الحاشية ، وكان قيامه بهذا التصحيح باقتراح من وزير الدولة الرحمانية محمد العربي بن المختار الجامعي (39) .

وقد تحدث المترجم عن عمله هذا في اكثر من رسالة خاطب بها هذا الوزير (40) ، حيث يذكر انه عارض متن القاموس بخمسين نسخة معتمدة ، فيها النسخة الكبيرة التي كتبها ادراق بخطه في سفر واحد (41) ، وكان يعاونه في هذا العمل اربعة من نجباء اصحابه ، يجلس معهم من الشروق الى الزوال ، ويتتبعون الالفاظ والكلمات : واحدة واحدة ، مدة تزيد على سنتين ، حتى تم التصحيح وتوابعه في مفتتح عام 1271 هـ / 1854 م .

وفي هذا التاريخ خاطب المترجم الوزير الجامعي يخبره بانجاز المهمة ، ويشرح الجهد المضني الذي عاناه ومنهجه في التصحيح ، وهو يقول في هذا الصدد:

« .. اما بعد : فليعلم الواقف عليه .. ان الله — جل وعلا ، بفضله واحسانه ، وعونه وامتنانه — قد اكمل مقابلة هذا الكتاب المبارك ، والمبالغة في تصحيحه، وتخليصه من آثار الغلط ، وتنقيحه في مواده واعرابه، وتبيين ما يحتاج الى التبيين من عويصه واغرابه ، وتحري ما هو الصواب عند اختلاف الاصول وتعارضها ، ومراجعة مواده أو مواد غيره ان امكن بذلك كشف غوامضها ، والا اثبتنا من النسخ في الهامش ما يحتمله المقام ، ولا تعتريه العلل المنافية ولا الاسقام وذلك بعد اعداد المقدور عليه من النسخ العديدة: «50» القديمة المعتمدة والجديدة ، مما ذكر بالصحة واشتهر، وظهر عليه من قرائن ذلك ما ظهر ، مع اجتناب القلق الموجب للملل ، واعتماد التاني البالغ في استقراء استصلاح الخلل ، عاكفين في الدياجير والهواجير ، ذائذين لحوائم الكرى عن ورود المحاجر ، حتى تخلص — بحمد الله — خلوص الابريز ، وتهيأت قابليته للترصيع والتطريز ، وصار واجبا على كل معتن ان يجعله قدوته وامامه ، وحقا على كل محصل ان لا يلقي الا اليه زمامه ، فمن كان ناقذا بصيرا ، وللحق وليا ونصيرا ، وراى غير هذه النسخة ثم راى هذه واختبرها الغى كل ما سواها واعتبرها ، ولو حلف باكيد الايمان، أنه لا مثل لها في هذا الزمان ، لكان — ان شاء الله بارا في قسمه ، مجريا للصدق على مرتسمه ..

---

36) ترجمته في سلوة الانفاس ج 2 ص 333 .

37) « ذكر من اشتهر أمره وانتشر ممن بعد الستين من اهل القرن الثالث عشر » للقاضي عبد الهادي بن احمد الصقلي الحسيني ، مخطوطة خاصة .

38) ترجمته في الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ج 6 ص 19 — 28 ، وفواصل الجمان لمحمد غريط ، ص 7 — 40 .

39) ترجمته في فواصل الجمان ص 61 — 63 .

40) هناك مجموعة رسائل من مخاطبات المترجم للوزير محمد العربي الجامعي المذكور ، تقع في جزء صغير ضمن مجموع ، خ ، ع ك 2276 ، ص 361 — 393 وقد اقتبست من رسالتين منها ما ذكرته في هذا الصدد ، وفي «الاعلام» المراكشي تحدث — لدى ترجمة اكنسوس — عن هذه المجموعة ج 6 ص 28 وقال : ورسائل المترجم التي خاطب بها الوزير الجامعي : جمعها الوزير الجامعي ، وهي في نحو خمس كراريس ، ابلغ من تاريخه » .

41) لم يذكر اسم ادراق الذي هو لقب لعائلة تعدد فيها العلماء والاطباء ، وقد جاء في ترجمة عبد الوهاب بن احمد ادراق المتوفى في عام 1159 هـ : ان له معرفة باللغة « نشر المثاني » ج 2 ص 251 ، فهل هو هذا ؟ وقد كان طرق سمعي من زمان ان نسخة من القاموس بخط أدراق صارت الى مكتبة العلامة الفاضل القاضي محمد الصديق الفاسي الفهري بسطات ، فلعلها هي هذه .

هذه سلسلة اصول نسخة القاموس المغربية ، التي خطها — بيده — احمد ابن ابراهيم الدكالي الفاسي بسجلماسة ، حيث وقف — أيضا — على نسخة الحائكي ، وقد بالغ فى الاعتناء بها : بتجويد كتابتها بخطه المغربي المجوهر المليح ، على غرار نساخة الخطاطين من اهل بيته ، مع جدولة وتلوين وتزويق ، ثم حلى هوامشها بالفروق بين النسخ ، وبشروح ينقلها عن مصادر مختلفة ، وهي — بمجلديها الاثنين — معدودة من ذخائر المكتبة الملكية تحت رقم 8148 .

22 — محمد بن ادريس بن محمد العمراوي الفاسي الشهير بابن الحاج ، المتوفى عام 1264 هـ 1847 م (59) ، يوجد بخطه نسخة تامة من القاموس فى مجلدين ، كتبها من نسخة شرقية جيدة منقولة من النسخة المشهورة المصححة ، الكائنة برواق الاروام بالازهر الشريف ، « المكتبة الملكية رقم 7807 ، وقد ذكر اكنسوس (60) من بين منتسخات المترجم نسختين من القاموس باعها بثمن مرتفع .

23 — محمد بن احمد البناني ، المراكشي النشأة والدار ، الفاسي الاصل ، النفزي النجار ، هكذا سمى نفسه آخر منتسخه الاتي ، والمؤرخ بعام 1279هـ 1862 م ، وقد أورد ذكره محمد العربي المشرفي فى نزهة الابصار (61) فى هذه الفقرة :

« ومنهم الفقيه العلامة ، ابو عبد الله السيد محمد بناني ، فصيح اللسان والقلم ، فاق أقرانه فى جودة الخط فهو فيه مفرد علم ، مارس كتب القاموس، فكانت نسخه التي كتبها بيده لا تعاقب فى الصحة ، اخرج منها بخط يده مجلدات كثيرة ، وقد اشرف على حفظ مواده ، وكان يعرف اصطلاحه ، وله معرفة فى اللغة والنحو والتصريف ورجال الحديث ... » .

ولا تزال نسخة مما كتبه من القاموس محفوظة بالمكتبة الملكية فى مجلد واحد مستطيل يحمل رقم2508 وخطها مغربي مجوهر مدموج حسن ملون مجدول ، مهمش كثيرا فى الخطبة ، وقليلا فيما سواها ، تلوح على كتابتها سيما الوراقة المراكشية ، مع عناية بترقيم صفحات الكتاب ، البالغة 625 ص ، فرغ من انتساخها — لنفسه — أوائل جمادى الاولى عام 1279هـ

رابعا — اهتمامات أخرى بالقاموس

24 — احمد بن محمد بن قاسم ابن زاكور الفاسي المتوفى عام 1176 هـ (62)/1762 م ، له : « اعفاء العين والاثر من السقم والضرر » ، وهو تقييد مشتمل على ما فى القاموس المحيط من أدواء وادوية ، وكلمات طبية، اقترح عليه جمعه بعض الاخوان ، حين شرع فى نسخ هذا الكتاب ، فاستخرجه فى 15 ورقة من الحجم المتوسط ، وفرغ منه فى 12 رمضان عام 1155 هـ بقصر تاوريرت ، وقفت على نسخة منه خطية عند قاضي الاحكام بسلا ، العلامة المعتني ، محمد المامون البدراوي الحسني ، فى صيف عام 1385 هـ / 1965م صحبة المؤرخ الجليل ابي خليل عبد السلام ابن سودة المري .

ادريس بن الوزير محمد بن ادريس العمراوي الفاسي ، المتوفى عام 1296 هـ (63) / 1879 م ، كتب تنويها حارا بالطبعة الاولى للقاموس الواقعة بمطبعة بولاق بمصر عام 1272 هـ ، وسجل بهذا الصدى الذي حدث بالمغرب لنشر هذا الكتاب ، وهو يقول فى هذا فى صدد محاسن المطبعة (64) :

« ... وهذه نسخة القاموس المطبوعة — عام اثنين وسبعين — بمصر ، يباهى بوجودها هذا العصر، لا تجد فى النسخ القديمة مثلها ولا ما يقرب منها ، فقد

---

(59) ترجمته فى سلوة الانفاس ج 2 ص 362 — 363 ، واتحاف اعلام الناس ج 4 ص 189 — 239 ، والاعلام بمن حل بمراكش وغيرها من الاعلام ، ج 5 ص 263 — 292 ، وفواصل الجمان ص 40 — 60 .

(60) الجيش العرمرم ط . ف — ج 2 ص 151 .

(61) اسمها الكامل : « نزهة الابصار ، لذوي المعرفة والاستبصار ، تنفي عن المتكاسل الوسن ، فى مناقب احمد بن محمد وولده الحسن » ؛ خ ، ع ، ك 579 — ص 476 .

(62) ترجمته فى سلوة الانفاس ج 3 ص 353 .

(63) ترجمته فى اتحاف اعلام الناس ج 2 ص 32 — 41 ، مع فواصل الجمان ص 142 — 162 .

(64) فى رحلته : تحفة الملك العزيز بمملكة باريز ط . المطبعة الحنيفية السلكية بفاس ص 54 — 55 .

20 — محمد بن عبد السلام بن العربي الفاسي الفهري المتوفى عام 1214 هـ / 1799 م (51) ، قال عنه ابو الربيع الحوات (52) : « صاحب الملكة التي ليست لغيره من أشياخه فضلا عمن دونهم ، فى العلوم العربية : من نحو وتصريف ولغة ، مع الوقوف على غريبها ، وحفظ ما ندمن شواهدها ، ومزيد الضبط والاتقان » ، وحلاه محمد الطالب ابن الحاج (53) : بالاستاذ اللغوي الحجة .

ثالثا : وراقون معتمدون فى نسخ القاموس .

والمعني بالامر هنا ثلاثة :

21 — احمد بن أبي القاسم (بن محمد الخياط) ابراهيم الدكالي (المشترائي) (54) ، لم أقف على تاريخ وفاته ، وكان بقيد الحياة اواسط عام 1203 هـ / 1789 م .

كتب بخطه نسخة من القاموس المحيط فى مجلدين وفرغ من انتساخها فى منتصف شعبان عام 1203 هـ ، بسجلماسة . وقد سلسل فى ختام المجلدين اصول هذه النسخة : واحدا فواحدا حتى الاصل الذي عليه خط المؤلف . وهو يذكر انه كتب نسخته هذه من اصل بخط محمد الملقب بالقرشي بن عبد الملك بن الحاج السجلماسي (55) ، الذي فرغ منه يوم الخميس مهل رجب الفرد ، عام 1193 هـ ، وهذا نقل من اصل بخط الفقيه الحسن بن احمد الحايكي البشابشي (56) ، ووقع الفراغ من كتابته ضحوة الخميس 8 قعدة عام 1137 هـ ، وفى ختام المجلد الاول جاء فى أصل الحائكي: أنه كتبه من اصلين : احدهما — وهو الاكثر اعتمادا — بخط الفقيه سيدي أحمد بن حمدان التلمساني (57) . والاخر بخط مشرقي ، وفى آخره ما نصه : كتبت هذه النسخة من نسخة موثوق بها ، مكتوب فى آخرها : نقلت هذه النسخة من نسخة عليها خط مؤلفها .

ثم فى ختام المجلد الثاني من اصل الحائكي ايضا يذكر انه وقع فى آخر الاصل الذي نسخ منه : انه نجز عشية السبت 17 قعدة عام 871 هـ بالاسكندرية ، على يد محمد بن عبد العزيز بن مسلم بن غازي (58)، وذكر الناسخ فى اصله ما يلي :

كتبت هذه النسخة من نسختين جليلتين احداهما مصرية ، مفروغا لبها على المصنف ، وبعد وفاة المصنف قوبلت جميعها على خطه مع مشايخ الديار المصرية ، والثانية يمنية ، مشمولة بخط مصنف الكتاب من اولها الى آخرها ، مقروة عليه جميعها ، آخر كل مجلس خطه الكريم ، اسكنه الله دار النعيم ، وفى آخرالنسخة اليمنية ما صورته : « كمل — بحمد الله — تصحيح الكتاب ، بقراءة كاتبه على مؤلفه : اضعف خلق الله ، قراءة بينه متقنة فى مدة قليلة ، دلت على سعادةمالكها: خليفة الله فى خليقته ، ولله — سبحانه — الحمد على جزيل انعامه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » ، وفى آخر الاصل المصري بخط المؤلف ما صورته : « بلغ العراض من أول الكتاب الى فصل الراء — وعليه البلاغ — بأصلى ، ومن اول باب الضاد الى باب النون تباعا ، وكتب مؤلفه محمد الفيروزابادي » .

ثم ذكر هذا الناسخ الاخير بيمنة اصله انه قابله ثلاث مرات ، ويعلق الحائكي على هذا ويقول : « وهو صادق رحمة الله عليه ، فلقد كنتاتطلب نسخة صحيحة منذ عشرين سنة او ازيد ، فلم أعثر على ما يقرب من نسخة الاصل ، فلله در من اطفأ به غليلي ، وشفا علتي وقطع عويلي ... »

---

51) ترجمته ومراجعها فى سلوة الانفاس ج 2 ص 318 — 319 .
52) ثمرة انسي فى التعريف بنفسي المخطوطة السالفة الذكر .
53) الازهار الطيبة النشر . فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادىء العشر ط . ف . عام 1317 — ص 61 .
54) أجرى ذكره فى « ثمرة انسي » محليا له بالفقيه الاديب الميقاتي بالحضرة السلطانية والمنار القروي .
55) وقع رفع نسبه آخر المجلد الثاني هكذا : محمد الملقب بالقرشي بن عبد الملك بن الحاج ابراهيم بن الطيب بن محمد بن السيد قاسم بن الامام الشهير ابراهيم بن هلال السجلماسي ولم أقف على ترجمته .
56) لم اقف على ترجمته .
57) لم اقف على ترجمته .
58) لم اقف على ترجمته .

اجمع أئمة اللغة انه بمنزلة صحيح البخاري بالنسبة الى باقي الصحاح ، دون غيره من باقي كتب اللغة الصحاح ، فلما رايته اكثر من التنديد عليه ، وبالغ في عزو الاوهام اليه ، انتصرت لابي نصر ، وعارضت اعتراضاته بالفتح والنصر ، وجعلت ارد ما يورده مشروحا في شرحي لمصنفات اللغة ، واتعقبه في الدروس اكمل التعقيب وابلغه ، وملأت من أوهامه الزائدة شرحي لكفاية المتحفظ ولنظم الفصيح ، وابديت في غيرهما ما تقر به عين اللغوي الفصيح ، فلما وقف على ذلك اشياخنا الاساتذة ، واصحابنا الجهابذة ، تاقت نفوسهم الى جمع ذلك في تعليق مستقل بايضاح ما هنالك ، فأخذوا يلحون علي ، ويتوسلون في ذلك الي ، وانا اعتذر من الخوض في البحر ، واقول ما لبحر البحر الا البحر ، حتى غبت مرة عن الاوطان لقضاء بعض الاوطار ، وابقيت قلوب الاحباب ما منها الا ما كاد يطير أو طار ، فورد علي في جملة كتب منهم ، كتاب من صاحبنا الاديب البارع المحصل الصوفي ، السيد الشريف ابي محمد عبد المجيد الصوفي (68) ادام الله رعايته ، وجعل في الخيرات سعايته ، يتضمن السؤال عن مسائل كثيرة ، تغفل عن ادراكها العقول الاثيرة ، من جملتها استنجاز وعد شرح غوامض القاموس ، والكشف عما تضمنه اصطلاحه من الناموس ، قال في صدره ، بعد حمد الله وشكره :

سيدنا الذي ما زال يبذل جهده في الافادة ، وفتح الزاد والرفادة ، فهو لنا بحر من الفوائد والعوائد لا نخشى نفاذه ، وسيدنا العريق في السيادة ، الغريق في بحر الكرم والمجادة ، المعروف بالاحكام والاجادة ، وشمسنا الذي استوى الاطناب في وصفها والايجاز لشهرتها في المشارق والمغارب والحجاز ، العلامة النحرير ، المغني بالتحقيق والتحرير ، وايضاح المشكلات وتقريرها باحسن تقرير ، الغيث الهامع الصبيب والروض اليانع الطيب ، شيخنا الامام أبو عبد الله سيدي محمد بن الطيب ، طيب الله حياته ، واشرق على الآفاق آيته ، سلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته ، ورضوانه وتحياته ، وآلاؤه وكراماته ، من ذي ود عذب مشربه وصفا ، وقرب منكم وما جفا ، واحب توددكم واصطفى ، وعهد رست اطواده ورسخت أوتاده ، وحب أوثق من الجبال ، وارشق للفؤاد من النبال ، سائلا عن احوالكم المرضية ، واشغالهم النفلية والفرضية ، جعل الله ذلك على سنن رضاه ، وسنن نبيه ومرتضاه ، صلى الله عليه وعلى آله وعلى كل من ارضاه ، حامدا لكم مولاكم على ما اولاكم ، من آلائه التي أعظمها نشر العلم وبثه ، وركض جواد الفطنة وحثه ، سائلا منه تعالى أن يمدكم بالقدوة والعون والتوفيق ، وأن يلهمكم تحقيق الصواب وصواب التحقيق ، ثم بعد كلام أورد فيه اسئلة في فنون مختلفة قال :

فاذا حقق لنا سيدنا — بارك الله فيه — تلك المسائل ، واوضح لنا فيها الحق من الباطل ، فلينجز لنا وعده الصادق دون اهمال ، ويهمل علينا من هامل سحائب فضله ورعده الصادق اي اهمال ، بان يؤلف لنا الكتاب الذي كنا سألناه منه نحن وجميع من شملته هذه الحضرة الفاسية من أعيان الافاضل السراة ذوي العدد ، في اصطلاحات القاموس التي لم يحض (69) بها في خطبته ، ويبين لنا سيدنا ما استقرىء من عاداته وينبهنا عن المواضع المنتقدة فيه ، وهل اعتراضاته على الجوهري صحيحة أم لا ، وعلى م يتكل هو والجوهري في ضبط وسط الكلمة اذا كان محتاجا للتنبيه على نقطه حيث يفقد شبيهه ، فلا يدري المفقود هل هو من المعجم او من المهمل ، نحو غذم وغذوم قبلهما غثم وبعدهما غرم ، وقد اعجم النساخ ذالهما بالقلم في جميع الفاظ المادة ، فان كان ذلك في الواقع كذلك ، فحقه أن يقول غذم بالمعجمة ليعلم أن غدم — بالمهملة — مهملة في كلام العرب او لم يحفظها هو ، وحيث سكت عنها فالاصل عندي ان تكون مهملة ، لانها وقعت في محلها فلا تحتاج للتنبيه ، وتكون حينئذ غدرم محتملة للامرين ، لانها رباعية فلابد فيها ايضا من التنبيه ، اما لو تعين اعجام غذم فلا اشكال في اعجام غذرم من غير تنبيه ، وقد كنت اتف كثيرا على نحو ذلك في القاموس ، ولم تحضرني الآن نسخة منه فأمثل منه ، وعند الجوهري عظم بين عشم وعلم ، فلم ندر هل ظاؤه مهملة أم معجمة ، وهي عندي مهملة وفي النسخ معجمة ، وكذلك عنده بعدفلحم فلذم ، قال فيها ابن السكيت الفيلذم البير الغزيرة الماء وذكر الشاهد ، وفي الكفاية : وماء فليذم اذا كان كثيرا

---

68) هو الشيخ عبد المجيد الزبادي سادس اللغويين في هذه الدراسة ، والصوفي لقب لاسرته ، حسبما بينه في رحلته التي تحتفظ الخزانة العامة بمخطوطتين منها : اجودهما رقم ك 398 ، ثم د 1808 .

69) هكذا في النسخ التي رجعت اليها .

كانت عدت عليها أيدي الناسخين حتى عجزت عن تداركها عقول الراسخين ، وكادت تنبذ لاجل التحريف ، وتطرح لاجل التصحيف (65) ، مع شرف موقعه من الدين ، واعتناء المتاخرين به والمتقدمين ، حتى قيض الله له بعض علماء مصر فصرفوا اليه وجه اعتنائهم ، بهمة دولتهم ورؤسائهم . فجاءت هذه النسخة فى غاية الاتقان ، وبرزت فى ميدان الجودة والاحسان ، واتسمت حسنتها فى غرة الدهر ، وفاز الساعون فيها بعظيم الاجر وجميل الذكر ، ومن عجيب سعدها أنها تباع بنصف ثمن النسخ المحرفة » .

26 — ابو الحسن علال بن عبد الله الفاسي الفهري ، المتوفى عام 1314 هـ / 1896 م ، له تجريد المفردات الطبية الواردة فى القاموس مع شرحها (66) .

27 — محمد بن محمد بن ابراهيم العلمي الحسني الفاسي ، المتوفى عام 1373 هـ / 1954 م ، الف : جوهرة وماسة ، فى شعراء القاموس والحماسة فى مجلد (67) .

خامسا — خطبة حاشية القاموس لمحمد بن الطيب الشركي

سبحان من القاموس المحيط رشحه من آثار آياته ، والقابوس الوسيط لمحة من انوار آياته ، فله الحمد على ما تلدنا من عقد صحاح جوهري آلايه ، وأولانا من لباب محكم ولائه ، انطقنا — جلت حكمته ، وبمنطقنا جالت نعمته — بالنعم السوابغ ، واذاقنا حلاوة بارع لسان العرب ، ما دونه الفائق المهذب من تطر الندى وارتشاف الضرب ، وقرب لنا جمهرة خلاصة التنقيح والتهذيب غاية التقريب ، واتاحنا من صراح المجد اللغوي ما نهاية الفصيح المختار المنتخب ان يستضيء بنور مصباحه المزهر ففيه الكفاية عن كل مصنف غريب ، والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على من أقام أساس مجد الدين أبي الطاهر محمد بن الطيب أبي الطيب الطاهر ابن الاطايب الاطاهر ، المعرب عن كل مغرب معجز من الاي الظواهر ، وناهيك بالقرآن العربي المبين الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد باطن ظاهر ، فلذلك لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثله لا ياتون بسورة من مثلهولو كان بعضهملبعض اقوى ظهير ظاهر ، وعلى آله الذين هم طراز الديوان وعين المجمع ، وأصحابه الذين أعيا عباب بحر فضلهم المجمل فضلا عن المفصل عارضة الاحوذي اليلمع ، ما قام امام له الِمام باطلاع المنطق فى عكاظ البلاغة فعكظ بسر صناعة كل معاكظ ، واقام همام له اهتمام بنواذر اجناس اليواقيت اللغوية ذا مجاز حقيقة الحقيقة والمجاز فلم يكظه عن تلك المقامات واكظ ، لانه المومن على اتقانها الجامع لمنظم قلائد عقيانها اللازم لاشادة نهايتها الواكظ.

اما بعد فان أولى ما يعتنى به المعنى بالعلوم المهمة ، واغنى ما يغتنى به الغني بالتحصيل فى علو الهمة ، الغوص فى قاموس اللغات ، والحرص على اقتباسقابوس الكلم النابغات . والتضلع بالوحشي الغريب ، والتمتع بالبعيد والقريب ، فبذاك يحوز العلوم بأسرها ، ويجوز فى المشكلات الى فكاك اسرها . وتعنوا له المعاني ، غنية عن معافات المعاني . ويحبي فى كل العلوم منحة التسهيل والتيسير . ويجبي اليه ثمرات خصوصي الحديث والتفسير . وقد كنت ممن نبغ فى هذه العلوم الشريفة ، ونبع بعيونها الغائضة . وتفيأ ظلالها الوريفة ، وغاص قاموس بحرها . وصاغ قابوس نحرها ، وتعرف الوحشي منها والمتداول . وتصرف فى المختصر من دواوينها والمتطاول ، ولم يزل معاني معانيها دهرا ، حتى قالوا تحبها قلت بهرا . وفى أثناء القراءة والاقراء ، والاستقصاء للمصنفات والاستقراء ، رأيت المجد السيرازي يكثر فى قاموسه من الاعتراضات على الصحاح ، ويجعل اهم اعراضه واتم أغراضه الالحاف فى ذلك والالحاح، ويتابع فى الرد، وياتي بالسديد الذي لا يحمله سد ، ورايت بعض المدعين يقلدونه فى كلامه ، ويعتقدون — لقصورهم — تصويب اعتراضاته عليه وملامه ، مع أن كتاب الصحاح

---

65) هذا باعتبار غالب النسخ المغربية .

66) محمد الفاسي تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الاقصى ، مجلة دعوة الحق ، السنة الثالثة ، العدد العاشر — ص 40 ، وانظر عن ترجمته سلوة الانفاس ج 2 ص 302 .

67) هذا كان — رحمه الله — يذكره فى مجالسه ، وانظر عن ترجمته سل النصال ، للنضال بالاشياخ وأهل الكمال للمؤرخ ابي خليل عبد السلام ابن سودة المري ، مخطوطة المؤلف .

ملوك الدولة العلوية

في خدمة كتاب الله الأكبر

بقلم محمد محيي الدين المشرفي
مدير المركز الوطني للتعريب

« ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة ، الا تخافوا ، ولا تحزنوا ، وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون » . (قرءان كريم)

جرت العادة منذ ان اشرقت شمس هذه الدولة العلوية الشريفة على ارجاء المغرب الاقصى ان يوجه ملوكها الميامين بالغ اهتمامهم للعلم والعلماء ، والفقهاء والدارسين ممن أنعم الله عليهم باكتناز كتاب الله في صدورهم وتحفيظه للناشئين . وليس فى ذلك ما يدعو الى الاستغراب ؛ فالتاريخ يعلمنا انهم ما فتئوا يعملون على نشر السنة والدين ، معتمدين فى ذلك على الكتاب والحديث ، مقدمين يد المساعدة الى كل من سخره الخالق سبحانه لاقراء كتابه المبين ، وذلك بتقديم المال والعطاء للمعلمين خاصة،علما منهم ــ قدس الله أرواحهم واسكنهم الجنة التي وعد بها عباده المتقين ــ ان هذه الامة لا تزال بخير ما بقي فيها كتاب الله محفوظا في الصدور واليه يلجأ فى السراء والضراء .

* * *

والواقع ان المغرب الاقصى بقي ، والحمد لله ، بعناية الله محفوفا منذ ان وصلت اليه الدعوة الاسلامية وخصوصا بعد ما وضع الله امر هذه الامة بين يدي ملوك الدولة العلوية ، ويكفي للاستدلال على هذا الفضل ، ان نشير الى ما يتوفر عليه من المساجد والكتاتيب الموجودة في كل جهة من جهات هذا البلد الامين ، لا فرق بين السهول والجبال والقرى والحواضر ، وهي مساجد وكتاتيب سيبقى اسم الله يتلى فيها الى يوم الدين ، ويقرا فيها كتابه لمن اراد ان يتفقه فى امور دينه من الصغار والكبار بغية الاستنارة بتعاليمه القيمة في الحياة ، واستعدادا ليوم النشر ، وما ادراك ما يوم النشر !

ومما يؤيد عناية الملوك العلويين بالقرءان ان السياح والوافدين على بلادنا من الخارج للاطلاع على مظاهر الحضارة المغربية تاخذهم الدهشة لما يشاهدونه من تمسك اهل هذا البلد الامين بأمور الدين ، ومحافظتهم على تعاليم القرءان الكريم ، وهم يستدلون على ذلك فى اخبارهم ورواياتهم بما يشاهدونه فى كل مكان من زوايا وكتاتيب ومساجد يعمرها فقهاء ومؤدبون ، اخذوا على انفسهم تدريس مباديء العلوم وتحفيظ كتاب الله العزيز بما يشعرون به من رغبة باطنية طاهرة وما يجدونه فى انفسهم من استعداد فطري للقيام بعمل يرتقبون من ورائه ثوابا من الله وجزاء ممن بيدهم زمام هذه الدولة .

متسعا ، وهو فى نسختي بالراء ، والزاي ساقط من الصحاح راسا ، وانما فيه الذال وهي عندي راء مهملة وفى النسخ معجمة ، وذكر بعده القلهذم : البحر الكثير الماء ، والقلهذم ايضا الخفيف ، ولم يذكر اعجام الذال ولا اهمالها ، والتنبيه متعين هنا وهي فى النسخ معجمة فما السر فى ذلك ؟ وكذلك ما اشبهه من التاء والثاء والجيم والحاء والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والفاء والقاف ، وعلى فرض الاعجام هو الاصل فلينبه على الاهمال ، واما السكوت على كل منهما فهو ملبس وليس بصواب عندي ، واليك النظر فى ذلك ، لانك العلم المفرد فى ذلك، وهل ما يفصله صاحب القاموس من تقديم المادة الرباعية والخماسية على الثلاثية تارة وتأخيرها عنها اخرى له نكتة ام لا ؟ بينوا لنا ذلك بيانا شافيا ولكم الاجر الجزيل والثواب ، والحاصل أنا وجميع أهل العلم فى غاية الحاجة الى هذا التاليف ، وقد رجونا أن تاتي فيه بما لا مزيد عليه فى الاتقان والحسن وكثرة الفوائد، وما يناسب هذا المعنى من عادة الجوهري وغيره من كتب اللغة المشاهير . ولا نكلفك بما فيه عليك مشقة ويحتاج الى طول زمان ، وانما نريد منكم ما حضر وسهل مما نعتاده من خزائن صدوركم من النفائس والذخائر ، المزرية باللالي والجواهر ، وانت خبير بأن هذه المسألة اكيدة ، وانها مفتقرة لعلومك الوافرة المديدة ، وانك ان لم تتولها فلا أبا حسن لها ، فبين صوابها واغتنم ثوابها، والله تعالى يبقيك منفعة للعباد ، ومرشدا للحاضرة والباد ، وسندا يقع عليه الاعتماد .

ثم طلب الاجازة ، واستحث انجازه ، فلم يمكني اهمال مسألة الكتاب دون بقية المسائل ، لانه ترجيح مرجح ونقضي لعزم السائل ، ولا سيما وقد تعددت الوصائل فى ذلك والوسائل ، فاستخرت الله وجددت النظر ، فيما فيه بحث المجد ونظر ، ووقفت اثناء مطالعتي على اغلاط له واضحة، واوهام ارتكبها مخالفا للجماء الغفير فاضحة ، وتقصيرات أوجبها ادعاء الاحاطة ، فجمعت ذلك ابدع جمع ، واودعته من التحقيقات ما تقر بتقريره العين ويصغى الى صوغه السمع .

فباحت لوفوق النحور تجسدت
لازرت بدر فى عقود وعقيان

جدير لها طيب الثناء لو انها
قديمة عهد او غريبة اوطان

وقد انقل ما اودعته تلك الشروح وغيرها الى هذا التعليق ، لانه كالشرح فهو بغيره لا يليق .

فالورد فى زمن الربيع طلوعه
والعقد ليس يزين غير الجيد

فان جمعه فى مواضعه أسرى واستر ، وضم ضمائره فى مراجعه اقرب لمراجعته واسرى وايسر ، فان وفى بغرض السائل ، واكتفى بما حواه من مقاصد المسائل ووصائل الوسائل ، فتلك منة من كامل الحول والمنة ، والا فلست مسترطا فى البيع البراءة من العيب ، اذ النزاهة المطلقة وصف عالم الشهادة والغيب ، على اني ما امليت سطرا منه الا فى شطر من الارض ، ولا عاينت معنى الا وانا ابن ارض او فوق ذات ارض .

يوما بفاس وفى مكناسة زمنا
وتارة فى زوايا العم والخال

وبرهة سفري صفرو وآونة
تازي وطورا ارى افلي الفلا الخالي

مع مفارقة الاصول ، المرجوع اليها فى هذه الابواب والفصول ، الا ما علق بالبال ، او علق فى طرس بال ، وقرائح بقروح الاهوال قرائح ، وجرائح بجروح الاحوال جرائح ، وأفكار جوامد ، وأسرار خوامد ، وقلب متقلب ، وفؤاد مفود متألب والدهر هد الظهر بالحدثان والاشجان ، وبريبه وصروفه قد طال ما اشجان ، وقت وما وقت ، أحواله كلها مقت ، اندثر فيه من العلم علمه ، وانتثر فى اديم الحلم حلمه ، وانقضى حد العرفان ورسمه ، ولم يبق فيه من العلم الا اسمه ، وكل واحد من هذه العوارض كاف فى بسط العذر لمن حلى بالانصاف خلاله، أو خال وما اخاله . يخال خللا خلاله ، على اني أسأل الله تعالى أن يفيض محاسنه ، ويجعله خالصا لوجهه الكريم ، وينفع به كل اريم ، بمحمد وآله .

الرباط : محمد المنوني

الاعلام ، لهم القدم الراسخة فى العلم ، واليد الطولى فى الاتقان ، والفوا تآليف حسنة ومنهم من فسر كتاب الله عز وجل ، ووضع عليه تقييدا فائقا ، ومنهم من شرح الموطأ للامام مالك او الشفاء للقاضي عياض ، او مختصر خليل او الفية ابن مالك ، ووضع على ابن هشام حاشية ، ومنهم من شرح السلم او السبكي او عقيدة السنوسي ، وما من علم الا الف فيه علماء هذه الدولة وابدأوا فيه واعادوا ووقعوا على الغوامض التي لم يعثر عليها من مضى » .

ويستطرد اليفرني فى الحديث عن انتشار العلم وخاصة علوم القرءان بالمغرب فى ايام مولاي اسماعيل فيقول : « وقد تلقيت من غير واحد ان القبيلة كانت قبل هذه المدة لا يوجد فيها الا طالب واحد ، وربما يحتاج احد من اهل مدشر او دوار لمن يقرا له رسالة، فلا يوجد من يحسنها حتى يرحل المسافات البعيدة لطالب يذكر له . اما الان فكل مدشر ودوار بل كل خيمة فيها طالب » . يستخلص مما تقدم دليل قاطع على اهتمام مولاي اسماعيل اهتماما زائدا بالعلوم والقرءان ، وتقديم يد المساعدة لمن كان يهتم به حفظا وتعليقا ونشرا داخل الكتاتيب القرءانية والمدارس العلمية المنتشرة هنا وهناك فى جميع اقاليم المملكة .

اما سيدي محمد بن عبد الله فتعتبر حياته بحق صفحة مذهبة من تاريخنا المجيد لما كان عليه من سعة فى العلم وشغف بنشره وحرص على اكرام اهله وذويه من العلماء والمدرسين . كان سيدي محمد بن عبد الله اماما من علماء الاسلام انصرفت عنايته قبل الملك الى مدارسة العلماء والمحدثين بمراكش ، فيجلس معهم ويناقشهم فى كثير من المسائل العلمية بروح ثاقبة نافذة ، ومن اياديه البيضاء حضه العلماء على نشر العلم وبثه بالتدريس والتأليف وحملهم على شرح امهات الكتب المتعلقة بعلوم القرآن، ورغم ما كان يقوم به من اعباء الملك فلم يقف — طيب الله ثراه — عند المطالبة بتصنيف المصنفات بل الف بنفسه كتبا كانت تقرأ فى المشرق والمغرب نجمل ذكرها فيما يلي :

1 — مذاهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان ، وهو كتاب قيم يتصل اتصالا وثيقا بالبحث الذي نحن بصدده ، ولذا سنتناوله بعد هذا بشيء من التفصيل والتعليق .

2 — طبق الارطاب فيما اقتطفناه من مسانيد الائمة وكتب مشاهير المالكية والامام الحطاب .

3 — بغية ذوي البصائر والالباب والدرر المنتخبة من تاليف الحطاب .

4 — الجامع الصحيح الاسانيد المستخرج من ستة مسانيد .

5 — الفتوحات الالاهية الصغرى وتشتمل على ثلاثمائة حديث .

6 — الفتوحات الالاهية الكبرى وهي اشهر مؤلفاته . ونظرا لما « للفتوحات » من الاهمية فقد اعتنى بها العلماء والطلاب على السواء فى حياة مؤلفها واستفادوا منها فى الشرق والغرب ، وممن تصدى لشرحها الشيخ التاودي بن سودة والشيخ محمد بن ابي القاسم من علماء المغرب الاقصى .

ولم يكتف سيدي محمد بن عبد الله بالتأليف وتوجيه المؤلفين بواسطة النصح والعطاء بل كان يظهر عناية خاصة بمرافق الدولة التي تستمد بالطبع قوتها ونشاطها من الكتاب والسنة ، ذلك انه اول من وضع تنظيما للعدلية واصلاح الدروس فى جامع القرويين موضحا ما يتعين تدريسه من العلوم فيه وما لا يجوز تدريسه ، واشار فى رسالة بعث بها فى هذا الموضوع الى الشيخ التاودي بفاس تحتوي على بنود ثلاثة : البند الاول يتعلق بالقضاء ، والثاني بأئمة المساجد ، والثالث بالمدرسين بمدينة فاس ، يقول فى ذلك : « وبعد فاننا امرنا ان لا يدرس العلماء الا كتاب الله تعالى بتفسيره ، ومن كتب الحديث المساند والكتب المستخرجة منها ، والبخاري ومسلما وغيرهما من الكتب الصحاح ، ومن كتب الفقه المدونة والبيان والتحصيل ومقدمة ابن رشد والجواهر لابن شاس والنوادر والرسالة لابن ابي زيد القيرواني ، وغير ذلك من كتب الاقدمين ... ومن الادب ما يعين على فهم كلام العرب لانه وسيلة الى فهم كتاب الله وحديث رسوله .

ومن الكتب التي اعتمدناها فى هذا البحث الخاص بخدمة القرءان الكريم على عهد الدولة العلوية المظفرة كتاب « مواهب المنان » الذي سبقت الاشارة اليه ، وهو كتاب مخطوط ، متوسط الحجم كبير الفائدة اسماه الامام الحافظ سيدي محمد بن عبد الله : « مواهب المنان لما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان» وهو يشتمل على نصائح ثمينة بالاعتبار لكل من تصدى لتلقين صغار المتعلمين القرءان الكريم ، وتنوير عقولهم بمباديء القراءة والكتابة والدين ، يشتمل هذا الكتاب على 91 صفحة من القطع المتوسط بما فى ذلك مقدمة لطيفة احتوت على 25 صفحة فيها من صالح

وقد ظل تبعا لذلك كتاب الله محفوظا بهذه الديار فى صدور الرجال والنساء فى بعض الاحيان ، بحيث اصبح المغرب الاقصى فى هذا القرن احد البلدان الاسلامية القليلة التي لا يزال يحفظ فيها القرءان حفظا ويدرس تدريسا يصح الاطمئنان اليه ، ذلك ان الفقهاء فى المغرب يعودون فى كل حين الى الكتاب لتحفيظه للصبيان بل يعتمدون فى ذلك على قوة حافظتهم التي مكنتهم من وعيه وحفظه سالما فى صدورهم ، وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده الصالحين !

ان الاهتمام بالعلم والعلماء عموما والقرءان الكريم بصفة خاصة يعتبر سلوكا طبيعيا فى ملوك الدولة العلوية منذ ان استتب امرها باذن الله فى هذه البلاد . ومن الممكن ان نبرهن على ذلك بما عرفناه من مواقف بطولية فى هذا الميدان اختص بها ملوك ثلاثة من فحول الدولة العلوية الشريفة ، نذكر فى مقدمتهم مولاي اسماعيل ، وما كان يقدمه من خدمات جلى لحفاظ القرءان الكريم ، والعاملين على التعريف به ونشره ، كما نشير فى هذا المقام الى الملك العالم سيدي محمد ابن عبد الله الذي يستحق كل تنويه نظرا للمآثر التي خلدها ذكره فى ميدان التأليف وتدريس علوم القرءان ، فضلا عن المعونة المادية التي كان يوجهها للمؤدبين ومعلمي كتاب الله وما يقدمه لهم من نصائح وارشادات لا تصدر الا عن نفس متمسكة بتعاليم كتاب الله وما لها من المام ودراية واسعة باساليب التعليم على العموم وكيفية تدريس مادة القرءان الكريم على الخصوص .

يضاف الى ما تقدم للدلالة على خدمة الملوك العلويين لكتاب الله الاكبر ، تلك العناية الفائقة التي يوليها جلالة الملك المعظم الحسن الثاني لحفاظ كتاب الله وعلماء الدين بما اقامه هذه السنة من حفلات بلغت اقصى مظاهر الروعة بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم .

* * *

أما مولاي اسماعيل فيحدثنا التاريخ بانه كان شغوفا بالعلم والعلماء ، ينفق عليهم بغير حساب ، ويبذل العطاء للمحصلين من طلبة العلم بعد الاختبار والامتحان طبعا ؛ يؤكد ذلك ما جاء فى شهادة احد الرحالة الانكليز ، « ستيورت » ، وهو يتحدث عن مشاهدته لمدينة مكناس اذ يقول : « توجد بهذه المدينة مدارس عديدة يتعلم فيها الصبيان الكتابة والقراءة والحساب ، ويحفظون القرءان عن ظهر قلب ؛ فاذا ما حفظوه اشترى لهم آباؤهم افراسا هدية ، ويتناولون المصحف بأيديهم ، ويركبون الافراس يتفسحون عليها، وتأتي اليهم أجواق الطرب ، وسائر صبيان المكتب تذهب للتفسح مع المحتفل به ، حافظ القرءان ، وبعد ذلك فمن اراد منهم قراءة الفقه يتوجه للمساجد » .

ومن المظاهر التي تدل على تقدير مولاي اسماعيل للعلماء والاعلاء من شأنهم استدعاؤه لحملة العلم وائمة الامة من العلماء الامجاد الى قصره العامر ، بمناسبة ختم احدهم تفسير القرءان الكريم ، كذلك استدعى قدس الله روحه فى جمادى الاولى من سنة 1100 هـ طائفة من علماء فاس لقصره العامر لحضور ختم الامام عبد الله المجاصي تفسير القرءان الكريم ، وكان الختم ببيته الخاص بالقصر الملكي العامر ، وبه نصب المنبر للفقيه المذكور . وبعد الفراغ من درس الختم افيض على الضيوف الكرام ، قادة الامة وائمتها الاعلام ما لذ وراق من فاخر الاطعمة ، وكان اكرم الله مثواه هو المتولي لنفسه صب الماء على ضيوفه العظام ، كما تولى تفريق الجوائز بيده الكريمة على مستحقيها تبركا بالعلم والعلماء ، وخدمة لكتاب الله الاكبر .

هذا ويخبرنا التاريخ انه كان يستقدم من مختلف اقاليم المملكة الخطاطين الذين يتقنون نسخ الكتب العلمية القيمة وفى مقدمتها تلك تهتم بدراسة علوم الدين ، ويجري عليهم الجرايات الضافية ، ثم يخصهم برواق من قصره العامر للقيام بأعمالهم الفنية ، ولا يفتر عن تفقدهم فى الصباح والمساء للاطلاع على ما ينجزونه من اعمال علمية فنية ، ثم لا يلبث ان يبذل لهم العطايا ويمنحهم الاراضي والمنازل الانيقة جزاء لهم بما قدمت ايديهم .

ويؤكد بالاضافة الى ما تقدم ازدهار العلم في ايام مولاي اسماعيل ما جاء فى « الظل الوريف » لصاحبه عبد الله اليفرني اذ يقول بالحرف : « حدثنا غير واحد ممن طعن فى السن من اشياخنا ، قال : كنا فى زمن الشبيبة نطلب العلم ونسأل عن مسائله ، خصوصا علم المنطق ، فلا نجد من يتقن مسائله على صورتها ، ولا نلقى من تضلع به ، بل كانت الارجوزة المسماة بالسلم لا يعرفها غير رجل او رجلين ، فلما مهد الله لهذه الدولة الاكناف واسمى قدرها واناف ، تدفقت على الناس العلوم ، وذللت صعاب الفنون حتى عاد صغار الطلبة يعرفون فنونا عديدة ولهم فيها عارضة مديدة ، وقد تخرج فى هذه الدولة السعيدة جماعة من

السور التي يحسن قراءتها في كل صلاة من الصلوات الخمس ، ففي ذلك يقول سيدي محمد بن عبد الله بعدما تحدث عن الفائدة المترتبة عن البدء بتحفيظ أم الكتاب : « ثم يتأكد عليه (اي المعلم) ان يبذل المجهود اولا في تعليم الصبي حزب سبح ويتعاهده معه تلاوة ودرسا حتى يحفظه ويصير على ظاهر قلبه لانه احتوى على صفار المفصل وبعض وسطه المقروء به مع ام القرآن في جل الصلوات ؛ ويؤكد ذلك ما اخرجه الامام احمد من ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب « سبح اسم ربك الاعلى » وانه كان يداوم على قراءتها مع « هل اتاك » في الظهر والعصر ومن انه كان يواظب على قراءتها في الجمعة والعيدين ، وما قاله لمعاذ في موعظته الا يقرا احدكم بسبح اسم ربك الاعلى ، والشمس وضحاها والليل اذا يغشى ، والفجر ، ولما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى العشاء والمغرب بوالتين والزيتون ، وصلى بها وبانا انزلناه في صلاة الغداة ، وقد أم ابن عوف الناس بسورة « والعصر » و « اذا جاء نصر الله » ؛ وقد امر صلى الله عليه وسلم بقراءة المعوذتين في الصلاة ولاشتمال الحزب المذكور على « اذا زلزلت » و « العاديات » ، وكل واحدة منها تعدل نصف القرءان ، وعلى « انا انزلناه » وهي تعدل ربع القرءان ، وعلى « الهاكم التكاثر » وقراءتها تعدل الف آية ، وعلى « قل يا أيها الكافرون » وهي تعدل ربع القرءان ، وعلى « قل هو الله احد » وهي تعدل ثلث القرءان ، الى غير ذلك مما لا يعد من فضائله ولا يحصى » ثم يختتم المؤلف هذا الفصل القيم بذكر فضائل حفظ الفاتحة وحزب « سبح اسم ربك » بقوله: « فالمقتصر على ذلك ممن اضطر لمعاشه او لم تظهر نجابته قد حفظ اول القرءان وآخره ، لا يبعد في جانب كرم الله ان يمنحه اجر ما بينهما ؛ وان ظهرت نجابته ولم يعقه معاشه فليداب على قراءته لعل الله يشرح صدره ويسهل عليه امر دينه وحفظه ، وبالله التوفيق » .

بعد هذه المقدمة الطويلة المفيدة في كيفية السير بالمتعلمين في تلقينهم السور الاولى من القرءان الكريم مع التنصيص على ضرورة تطبيق ما جاء فيها من احكام الدين ، ينتقل المؤلف الى تعداد هذه الاحكام مبينا للمعلمين طريقة تبليغها للصغار ، متوخيا في ذلك كله سبل الاختصار وطريق الوضوح ، مما يدلك على ما كان له من خبرة وراي مسموع فيما يرجع لتوجيه الطلاب وتعليمهم .

ولم تنقطع هذه السنة الحميدة يوما بالنسبة لملوك الدولة العلوية السابقين منهم واللاحقين خدمة منهم للقرءان الكريم وعملا على نشره في ربوع المملكة كلها من اقصاها الى اقصاها ؛ وليس من الغريب ان يظل ذلك ديدنهم حتى يومنا هذا، فلا اقل من ان نستدل على نشاط الحركة الفكرية والدينية اليوم في البلاد بما سنه جلالة الملك المعظم الحسن الثاني منذ ان وضع الامر هذه الامة بين يديه — وهو بدون منازع من اعظم ملوك العلويين قدرا واقومهم سيرة واطيبهم ذكرى — من قرارات تهدف في مبناها وفحواها الى العناية عناية خاصة بشؤون الدين والاهتمام بكتاب الله الاكبر ، من ذلك انه خصص — حفظه الله — جانبا من مكتبته الزاخرة للمصاحف القرءانية وما يتعلق بها من التفاسير كما تظهر عنايته الكريمة بكتاب الله في بذل العطاء والنصح لكل من يهتم بحفظ القرءان واقرائه ونشره ؛ ثم ينتهزها فرصة طيبة عند حلول شهر رمضان المعظم من كل عام فيقيم داخل قصره العامر — جريا على سنة اسلافه المنعمين — حفلات دينية ليلية يقرا فيها القرءان وتلقى فيها دروس قيمة يستمد القائمون بها عناصر شروحهم من آيات الله البينات . ولعمري انها حفلات تنشرح لها قلوب المومنين ، وهي تضفي كذلك على ضريح مولاي الحسن الذي تنظم فيه بريقا من الطهر والجلال ؛ وتلك سنة طيبة لا يمكن مشاهدة اثرها المحمود الا في هذه الديار التي ظل كتاب الله فيها محفوظا في صدور الرجال .

هذا ولا يفوت سيدنا المنصور بالله ان يدعو لحضور هذه الليالي الطاهرة ثلة من علماء المغرب الافاضل ، وجماعة من ائمة المشرق الاماثل للمشاركة في القاء تلك الدروس ؛ فينتهزونها فرصة طيبة لتقديم النصح والارشاد للجناب الشريف وللامة الاسلامية قاطبة مع الدعاء الصالح لكافة ملوك العرب والمسلمين ورؤسائهم ، وهي دعوات خالصة منبثقة عن نفوس مومنة كأقوى ما يكون الايمان ، لذلك فهي لا تزيد المؤمنين الا تمسكا بهذا الدين الحنيف الذي فضله سبحانه وتعالى على سائر الاديان التي سبقته وجعل الامة الاسلامية بفضله خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

ثم لا يقتصر جلالة الملك المعظم الحسن الثاني على حضور هذه الحفلات الدينية بانتظام ، بل يأخذ على نفسه بما اتاه الله من فطنة وعلم وحكمة — ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا — تتويج هذه الدروس بتوجيهات صالحة يطرحها امام الشخصيات

النصح والارشاد ما يحملك على الاعتقاد بانه بقدر ما كان هذا الملك الهمام سياسيا لبقا واسع المعرفة ، متضلعا فى العلوم وشؤون الدين بصفة خاصة ، بقدر ما كانت نظرته نافذة فى الاطلاع على طبائع الاطفال وميولهم ، وقدرتهم على استيعاب ما يقدم لهم من فوائد على من تصدى لتهذيبهم من ذوي المعرفة والاختصاص ، فقد كان رحمه الله يرى ضرورة ملحة فى تعلم العلم وتحصيل فوائده لكن على اساس العمل به ، كما انه يرى ان العلم يجب ان يقتنى فى الصغر قبل الكبر ، وهو وان كان يحث على حفظ القرءان حفظا يضمن رسوخه فى الصدور الا انه باعتباره رجل علم وعمل يفضل ان يعرف المعلمون والمتعلمون ايضا على ما جاء فى كتاب الله تعالى من تعاليم دينية لا تستقيم حياة الانسان الا بمعرفتها والعمل بها ، ولذلك يقول فى مقدمة الكتاب الآنف الذكر : « وبعد ، فلما كان غالب اعتناء طلبة الوقت لحفظ القرءان والتفنن فى قراءته بالروايات ، واهماله ما فرضه الله على الاعيان مما يدان به من علم العبادات والاعتقادات ، وان كان فضل حفظ كتاب الله تعالى مأثورا ومقام حفاظه بين أولياء الله مشهورا ، لكن لا مع الجهل بما يعبد الله به من ضروري الدين ، فانه على الموصوف بهذه الصفة حجة فى كل حين ، لان المقصود الاهم من حفظ القرءان هو تعلم احكام الدين التي بها الله يدان ، اذ مجرد حفظه فرض كفاية بلا ارتياب ، ومعرفة ما تبرأ به الذمة منه ومن غيره فرض عين وانجاب . فقد روي ان ابن عمر رضي الله عنهما اقام فى قراءة « البقرة » ثماني سنين ، لانه لم ينتصر على الحفظ بل تعلم ما احتوت عليه من احكام الدين » .

فأنت ترى ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله يلح كل الالحاح على التفقه فى الدين بناء على ما جاء فى كتاب الله ، لانه يخشى ان انصرف الناس الى الحفظ وحده كما كان ذلك شائعا فى زمنه بالمغرب ان لا يعطوا العناية الكافية لما جاء فيه من احكام . ثم يستطرد قائلا فى مقدمة « مواهب المنان » ما مؤداه بالحرف : « وكنت لقيت حال سفري من مكناسة الى مراكش سنة ثلاثين بعد المائتين والالف من الاساتيذ الجم الغفير الكثير ؛ والفيت كل من اختبرت منهم لم يتمسك من علم دينه بقطمير » ، مما حمله قدس الله روحه على جمع المسائل المهمة مما يتعين تحفيظه للصغار فى الكتيب الذي نحن بصدد مراجعة مقدمته .

يؤخذ اذن مما ذكر ان قراءة القرءان كانت متداولة بين الناس على نطاق واسع فى ايام سيدي محمد بن عبد الله ، وان عدد المعلمين والاساتيذ الذين اسندت اليهم مهمة اقراء كتاب الله للمتعلمين كان يربو بكثير على ما يمكن ان يتصوره الباحثون .

ثم يتصدى المؤلف الى تقديم النصح لمن كلف نفسه تعلم القرءان للصبيان ، فيقول : « اعلم ارشدنا الله واياك انه يجب على معلم صبيان المسلمين ان ينصحهم ويبذل المجهود فى ذلك لانه خليفة آبائهم بان يعلم من اتاه منهم اولا الفاتحة وحزب « سبح » . فان صعب عليه فليقرئه ربعه الاخر ، فان حفظ ذلك فليعلمه عقيدة ابن ابي زيد حتى يحفظها وترسخ في ذهنه ؛ فهي الاصل الاصيل » وبعد ذلك ينتقل الامام المؤلف الى الحديث عن اقسام الماء واحكام الطهارة والصلاة وكيفية ادائها فى اوقاتها ؛ فاذا رسخ ذلك كله فى عقل الصبي تعين اذذاك على المعلم ان يخبر والده بما قطعه معه من اشواط ، ويشير عليه باقامة « الختمة » اي بتنظيم حفلة دينية ابتهاجا بالمرحلة التي قطعها الصبي فى الكتاب ، ولا يفوت صاحب الكتاب ان يؤكد على المعلمين ضرورة الاهتمام بتحفيظ السور الاولى من القرءان ، بما فى ذلك ام الكتاب ، تحفيظا يمكنه من تقويم السنتهم وتقوية ذاكرتهم وتمهيد السبيل امامهم لاكتناز ما بقى عليهم حفظه من كتاب الله العزيز ، فيقول : « على المعلم ان يعلم الصبيان فاتحة الكتاب حتى يحفظها على وجهها لان تعلمها واجب فى حق كل مكلف يمكن منه التعلم لانها واجبة فى جميع الصلاة ؛ وقد احتوت على اسرار كتاب الله تعالى وهي السبع المثاني ؛ ويكفي فى فضلها ما روى عنه صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل ، قال الله تعالى : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل . » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا ، يقول العبد : الحمد لله رب العالمين ، فيقول الله تعالى : حمدني عبدي ؛ فيقول العبد : الرحمن الرحيم ، يقول الله : اثنى علي عبدي ؛ يقول العبد : مالك يوم الدين ، يقول الله : مجدني عبدي ؛ يقول العبد : اياك نعبد واياك نستعين ؛ فهذه الاية بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل ؛ يقول العبد : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين ؛ فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل » .

هذا وفى استطاعة الذين اسعدهم الحظ بمطالعة مقدمة هذا الكتاب ان يضيفوا الى المعلومات السابقة فوائد لا تقل عنها اهمية خصوصا فيما يرجع لانواع

الامراء والاميرات ، فلا يعود لهم شغل الا تعليمهم القراءة والكتابة ، وحفظ ما تيسر من القرءان الكريم وتلقي الضروري من الدين ما لا يسع المكلف جهله شرعا .

وهذه الكتاتيب التي كان الملوك يحرصون على انشائها داخل القصور الملكية كانت توضع تحت رعاية متصرف يكلفونه بالاشراف عليها ماديا وادبيا . وحرصا - قدس الله أرواحهم - على تنشئة ابنائهم وبناتهم تنشئة حسنة ، واعطائهم ما يليق بالامراء والاميرات من تربية خلقية كريمة تستمد طهارتها من تعاليم الدين القويم ، كانت الفتاة على الخصوص لا تدخل الكتاب الا بمرافقة مربيتها والقائمة على امرها ، كما انه كان من المستحيل ان يدخل الكتاب الخاص بالفتيات احد من الذكور حتى لو كان يصغرهن سنا او كان شقيقا من شقائقهن .

ويخبرنا الذين كرسوا حياتهم لدراسة احوال الدولة العلوية الشريفة جملة وتفصيلا ان نظام العمل المعمول به فى تلك الكتاتيب الملكية كان يدعو المؤدب الى الحضور مع شروق الشمس ، ولا يترك عمله الا بعد اداء صلاة العصر مع المتعلمين او المتعلمات بحيث يتناول فطور وطعام الغذاء معهم ، وذلك معناه ان المعلم كان يقضي معظم نهاره مع التلاميذ او التلميذات، فيما اذا كان الكتاب خاصا بالبنات ، ومما لا شك فيه ان نظاما كهذا يمكن المؤدب من فرض شخصيته على المتعلمين والمتعلمات ، لطول اختلاطه بهم ، وطبعهم بطبائع المروءة والادب ، فلا يغادر المتعلم الكتاب الا وقد اقتبس من المحاسن التي يتحلى بها معلمه ومؤدبه ، خصوصا وان النصائح التي كان الملوك يزودون بها معلمي ابنائهم هي ان لا يفصلوا ابدا بين الايمان والعمل عملا بقوله تعالى : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، وعلما منهم - طيب الله ثراهم - من ان العلم بدون عمل لا خير فيه بل كثيرا ما يكون وبالا على صاحبه . ولذا كان المعلمون فى القصور الملكية يحرصون كل الحرص على تطبيق التعاليم الدينية التي جاءت في القرءان الكريم ، فيحملون المتعلمين والمتعلمات على اداء فريضة الصلاة فى اوقاتها فيطبعهم هذا السلوك بالروح الاسلامية منذ حداثة اظفارهم ، ويشبون تبعا لذلك على التقى وطاعة الله ورسوله مهتدين بالهدي الحق : « ان المتقين فى جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم ، انهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا ، من الليل ما يهجعون ، وبالاسحار هم يستغفرون ، وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » .

وكان السلاطين يتتبعون خطوات المعلمين ، ويزودونهم بالنصيحة والارشاد حينا ، وينحون عليهم باللوم والتأنيب حينا آخر اذا ما لاحظوا فيهم نوعا من التواكل ؛ نلتمس شاهدا على حرصهم هذا ما جاء في كتاب « العز والصولة فى معالم نظم الدولة » لصديقنا العزيز فقيد الادب والتاريخ مولاي عبد الرحمان بن زيدان من انه لما ختم القرءان الكريم ايام السلطان المقدس مولاي الحسن دخل على جلالته يطلب الختمة، ويسوق لنا رحمه الله بهذه المناسبة قصة طريفة يختتمها بقوله : « وكان لوحي مكتوبا بخط مؤدبي من جهتين ، فأخذ اللوح مني وقراه ، ثم سألني عن الخط لمن هو ؟ فقلت للفقيه ! فقال : هذا غش لا ينبغي ، فليتركم تكتبون الواحكم بيدكم ، وسألومه » . وغني عن البيان ان فى مثل هذه الملاحظة دليلا واضحا على تفطن ملوك الدولة العلوية الى اجود الاساليب واحدث طرق التدريس التي من شأنها ان تحفز الاطفال الى العمل الشخصي الذي يعود عليهم بالنفع والفائدة ؛ وكيف يستطيع الطفل ان يتدرب على الكتابة حتى يحذقها ، اذا كان المعلم يكفيه مشقة العمل ويقوم مكانه بكتابة ما وجب ان يخطه بأنامله تدليلا للعراقيل والعقبات .

وكما ان السلاطين كانوا يراقبون مؤدبي اولادهم فينبهونهم الى سلوك سبيل العمل المنتج المفيد كلما حادوا عن الطريق ، كذلك كانوا يبذلون لهم العطايا والصلات ، تشجيعا لهم على قيامهم بالواجب خير قيام ، فمتى بلغ المتعلمون ، بنين وبنات مرحلة معينة فيما يرجع لحفظ القرءان الكريم - وهما مرحلتان : الاولى تدرك عندما يحذف الطفل استظهار سورة الاخلاص ، والثانية تنتهي به مع حفظ سورة البقرة - فان الملك كان يأمر اذ ذاك باقامة حفلة دينية شيقة تسمى حفلة ختم القرءان ؛ ويرفع بتلك المناسبة الكريمة لوح المحتفل به او المحتفل بها على منصة ؛ ثم يأتي من بالقصور بالهدايا الثمينة يضعونها على ذلك اللوح ، نقودا وثيابا ذات قيمة رفيعة ، مخيطة او غير مخيطة ، ويقدم كله للمعلم جزاء له على ما قدمت يداه، وتبركا بكتاب الله .

ويستطرد صاحب كتاب « العز والصولة » في وصف حفلات الختم ، فيقول : « ويخرج من القصر عدد منهم من قصع الكسكوس للمسجد المعد للصلاة برحاب باب القصر ، وقوارير ماء الزهر والورد وقماقمه ومجامير الطيب ، ويستدعى الاستاذ المقرىء لتناول ذلك وغيره من الاساتيذ المؤذبين ؛ فيحضرون ذلك الاحتفال ، ويوزع الطعام على السجون والزوار

الحاضرة ، مزودا بها في نفس الوقت هذا الشعب المغربي الوفي الذي يربطه به ميثاق قوي لا تنفصم عراه ، سائلا من الله عز وجل ان يعز الاسلام بفضله ويسدد خطى ملوك العرب والمسلمين ورؤسائهم ويمهد لهم جميعا سبل الخير والنجاح .

ولقد اضاف حفظه الله هذه السنة مكرمة اخرى الى المكارم التي اشتهر بها ومفخرة الى مفاخره المتعددة ذلك انه دعا الى الاحتفال بمرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم ، هذا الكتاب الذي لن تضل الامة الاسلامية طريقها ، بل لن يعتريها ضعف او فتور ما دامت متمسكة بما جاء فيه من شرائع واحكام تغنينا في الحياة وبعد الممات ان نحن عملنا بما تهدي اليه من خير ونور .

ولا غرو ان اهتمام جلالة الحسن الثاني بكتاب الله وشؤون الدين مما حمله حفظه الله على فرض اقامة الصلاة داخل المدارس والمعاهد التعليمية على اختلافها قد انتهى به الى يقين جازم حاسم ، كما يقول شهيد العروبة والاسلام سيد قطب الى « انه لا صلاح لهذه الارض ولا راحة لهذه البشرية ، ولا طمأنينة لهذا الانسان ولا رفعة ولا بركة ، ولا طهارة ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة الا بالرجوع الى الله ... والرجوع الى الله — كما يتجلى في ظلال القرءان — له صورة واحدة وطريق واحد ... واحد لا سواه ... انه العودة للحياة كلها الى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم ... » هذا الايمان القوي بالله ، وهذه العزيمة الراسخة التي اتخذها جلالة الملك الحسن الثاني اساسا لتنظيم شؤون المملكة عموما سيمكنان لا محالة هذا الملك الشهم الكريم من تحقيق ما تصبو اليه بلادنا من تقدم وازدهار ، خصوصا وان جلالته يتمتع بالاضافة الى هذا الرصيد الديني الطاهر الذي يعتمده في جميع حركاته وسكناته بمحبة الشعب واخلاص الامة قاطبة بحيث ينطبق عليه حفظه الله قول الشاعر اذ يقول :

(ملك) له انطوت القلـــ
ــوب على المحبة والوداد
(حسن) الصفات ومذ بدا
ما حاد عن نهج السداد
كالغيث في يوم الندى
والليث في يوم الجلاد
ورث الملوك فخارهم
وعليهم اربى وزاد
لا زال فينا حكمه
يبدي المعالم للرشاد

الى هذه المرحلة من البحث الذي نقوم به استفدنا انه كان لملوك الدولة العلوية الكريمة اهتمام بالغ بنشر القرءان وتشجيع من يحفظه او يقوم بتحفيظه كما ذكر ذلك بتفصيل في كتب السلف الصالح، شأنهم في ذلك شأن ملوك كافة الدولة الاسلامية التي تعاقبت على هذه الديار ؛ لكن الذي يمتاز به ملوك الدولة العلوية على غيرهم من ملوك وامراء الدول التي سبقتهم في هذا البلد الامين هو اهتمامهم الزائد بتعليم ابنائهم مبادىء الدين والقرءان الكريم وحرصهم على ان يختاروا لتلك المهمة الخطيرة امهر الاساتذة والمربين العارفين بأساليب التربية ، المعروفين بالصلاح والعقيدة المتينة حتى يكونوا حقا صالحين مصلحين ويتمكنوا من توجيه ابناء الملوك وبناتهم توجيها يؤهلهم ، فيما اذا افضت اليهم امور هذه الدولة من تسيير شؤونها على احسن وجه مستطاع ويمكنهم في نفس الوقت من مباشرة امور دينهم ودنياهم بصورة ترضي الخالق والمخلوق .

من اجل ذلك كانوا يفردون لابنائهم جناحا من القصر الملكي في كل من عواصم المملكة ، بفاس ومكناس ومراكش ، يتلقون فيه تعليمهم بعيدين عن ضوضاء الحياة السياسية حتى لا تصرفهم عن الدرس والتحصيل عظمة الملك وفخفخة السلطان . وبقدر ما كان الملوك العلويون يعنون بتعليم ابنائهم كذلك كانوا يهتمون بتثقيف بناتهم ، وتحليتهن بزينة العلوم والفنون ، وفي مقدمة ذلك كله حملهن على حفظ كتاب الله العزيز ، لا فرق بين شريفات او مشروفات ، يستقدمون لهن ثلة من خيرة المعلمين واطيبهم خلقا ، واشدهم نزاهة ، واحمدهم صيتا وذكرى ، اذ النساء شقائق الرجال في المعاملات والاحكام ، وغني عن التوضيح ان الحديث الشريف يشير في صراحة الى ضرورة الاهتمام بتثقيف الرجل والمراة على السواء ، قال صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا العلم ولو في الصين ، فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » . وبطبيعة الحال يحتل كتاب الله المقام الاول من العلوم التي ما فتيء ملوك الدولة العلوية يحضون ابناءهم وبناتهم على تعلمها داخل القصور الملكية ، جاء في حديث كريم : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » وبعد ذلك ينقطع المعلمون لتهذيب

اما بمراكش فقد تولى خطة تدريس اللغة والقرءان الكريم فى الكتاتيب الملكية جماعة من اساتذة الجنوب المعروفين بعلمهم الواسع ، وما كانوا يتمتعون به من حسن الاحدوثة ، عند خاصة الناس وعامتهم ، نذكر من بينهم حسب ما نقلناه عن كتاب « العز والصولة » : أبا عبد الله محمد بن عبد الواحد الريفي ، والاستاذ العلامة الجليل ابا عبد الله محمد بن الفاطمي، والاستاذ ابا عبد الله محمد بن الصديق الفيلالي ، والاستاذ البركة ابا عبد الله محمد بن موسى ، والاستاذ ابا اسحاق ابراهيم الضرير الذي اصطفاه السلطان مولاي الحسن الاول لتعليم حريمه امور دينهن ؛ وكان من الخير والصلاح بحيث كان يلازم مولاي الحسن فى حله وترحاله ؛ وهو الذي تولى غسل السلطان المذكور عند وفاته .

وغني عن الاثبات ان هؤلاء العلماء كانوا يعملون بكامل الاخلاص والتفاني للقيام بما انيط بهم من اعمال ، وكثير منهم من كان مفتوحا عليه وعلى يديه كالاستاذ الفقيه السيد محمد بن موسى السابق الذكر الذي كان فى اول امره مكلفا باقراء ابناء السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام علوم دينهم ودنياهم حتى بزغ من بينهم العلامة الشهير ابو الحسن علي صاحب البستان الشهير المعروف بمدينة مراكش بجنان مولاي علـي .

* * *

تلك لمحة قصيرة احببنا ان نقدمها لقراء مجلة « دعوة الحق » الغراء بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم ، واحتفال المغرب بحفلات عيد العرش المجيد ، لكي نقيم الدليل على اهتمام ملوك الدولة العلوية الشريفة بهذا الكتاب الاكبر وما جاء فيه من شرائع واحكام تهدي الى السبيل الاقوم .

وما اوردنا الامثلة الثلاثة السابقة الا على سبيل المثال فقط لا على سبيل الحصر ، والا اضطررنا الى تضخيم هذا البحث بصورة لا يتسع لها المقام ؛ انما الذي يتعين اثباته هنا هو ان جميع ملوك الدولة العلوية لم يعتمدوا على الكتاب رجاء ان تنالهم منه فوائد قريبة عاجلة ، بل انهم تمسكوا به عن ايمان عريض كالبحر وعقيدة راسخة كالدهر ، فالامر عندهم جد لانه امر سعادة هذه الامة المغربية النبيلة ، او كما يقول سيد قطب فى ظلال القرءان : وكأنه يشير الى مدى تشبثهم بهدي الكتاب الاكبر ان الاحتكام الى منهج الله فى كتابه ليس نافلة ولا تطوعا ولا موضع اختيار . . . انما هو الايمان . . . او . . . فلا ايمان . . . وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم ، فلذا اصلح الله امورهم فى الدنيا وانار السبيل امامهم لخدمة هذه الامة العريقة تحت راية القرءان ؛ فراحت اعمالهم كلها اعمالا مباركة طيبة توتي اكلها باذن ربها ، وظلت شجرتهم شجرة باسقة اصلها ثابت وفرعها فى السماء ، لا تنال منها النوائب ولا العواصف مهما يكن مصدرها تحقيقا لما جاء فى الكتاب من ان الله تعالى لا يبخس ابدا عباده الصالحين اجرهم : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم فى الارض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنـا » .

الرباط : محمد محي الدين المشرفي

مراجع هذا البحث

1 — المنزع اللطيف فى مفاخر مولانا اسماعيل الشريف (مخطوط ج 595 بالخزانة العامة — الرباط) . تأليف مولاي عبد الرحمان بن زيدان العلوي .

2 — مواهب المنان لما تأكد على المعلمين تعليمه للصبيان لامير المومنين سيدي محمد بن عبد الله . (مخطوط ك 795 بالخزانة العامة — الرباط) .

3 — العز والصولة فى معالم نظم الدولة (جزءان) لفقيد الادب والتاريخ مولاي عبد الرحمان بن زيدان العلوي .

4 — الدرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين بفاس الزاهرة . تأليف مولاي عبد الرحمان بن زيدان العلوي .

5 — الفتوحات الالاهية (المقدمة) لامير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله .

واضرحة الصالحين » ، عملا بقوله تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب والغارمين ، وفى سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

ودليل آخر على ما لملوك الدولة العلوية من اهتمام بتربية ابنائهم ، وتنشئتهم تنشئة اسلامية صالحة هو انه لا يوجد منهم داخل القصور الملكية من لم يكن يحسن القراءة والكتابة والحساب ، واستظهار قليل او كثير من القرءان الكريم ، « وربما وجد فى اميرات القصر فضلا عن امرائه ـ من كانت تقرأ برواية البصري كالشريفة السيدة حفصة بنت السلطان المنعم مولاي عبد الرحمن بن هشام » ، ويذكر مؤرخ الدولة العلوية الشهيرة مولاي عبد الرحمن بن زيدان ان اللوح الذي كانت تقرأ فيه السيدة حفصة لا يزال محتفظا به الى يومنا هذا تبركا به . وبعد ذلك يسوق لنا بهذه المناسبة معلومات جد مفيدة فى الموضوع من « ان السلطان مولاي عبد الرحمن كان قد عير معلما ممن امتازوا بقوة الايمان وسلامة الاخلاق لاقراء بناته فى اقليم تافيلالت المشارك مولاي الشريف ابن علي بن عبد الرحمن دفين مراكش ، ومن جملة التلميذات اللائي كن يقرأن على المعلم المذكور لالا حبيبة ولالا اسماء ولالا ستي ، وانما كان مولاي عبد الرحمن يقتدي فى ذلك كله بمن سبقه من آبائه الاولين » ، فكانت تربيتهم تربية اسلامية عربية اساسها كتاب الله وسندها سنة رسوله الكريم .

ولقد تأصلت هذه السنة الحميدة فى القصور الملكية حتى لانك كنت تجد بين النساء من يقرأن غيرهن من البنات والنساء ، ويحفظن نصيبا من القرءان الكريم لمن فاتهن زمن الدرس والتحصيل ، وهذا دليل آخر ما كان لملوكنا العلويين من رغبة صادقة فى تلقين كتاب الله لذريتهم الصالحة بصورة كانت ولا تزال تؤتي اكلها باذن ربها .

يضاف الى ما تقدم من البراهين الدالة على هذه الرغبة فى تنوير عقول الامراء والاميرات بنور العلم وشعاع القرءان ما أورده صاحب « العز والصولة » من النصوص الرسمية فيما يرجع لاهتمام ملوك المغرب وحرصهم الشديد على تدريس القرءان لابنائهم وبناتهم، واليكم نص ظهير شريف فى الامر بذلك بعد الافتتاح والختم الملكي ، نقش داخله عبد الرحمن بن هشام الله وليه .

وصيفنا الارضى الباشا القائد الجيلالي بن بوعزة، وفقك الله وسلام عليك ورحمته تعالى وبركاته ، وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بامتثال امرنا فى شأن الطالب السيد عبد الرحمان المدغري وتوليته اقراء الشريفات والصلاة بمسجد المدرسة ، الله يرضي عنك ويصلحك، آمين والسلام ، فى 28 ذي القعدة الحرام عام 1258 ».

ومن المعلومات الطريفة التي يفيدنا بها فى هذا المقام شيخ المؤرخين فى هذه الديار مولاي عبد الرحمان ابن زيدان اسماء بعض من كانوا يعلمون البنات بالقصور الملكية ، ويتولون مهمة تحفيظهن كتاب الله العزيز : منهم الصالحابو الفخر المختار الجراوي،وابو عبد اللهبن المهدي المنوني ، والعربي بن صالح النجاري الحلموني وكلهم كانوا مكلفين بتدريس القرءان ومبادىء العلوم بقصر من عاصمة مكناس ، كما ان شيخ جماعة المقرئين الاستاذ اليزيد العلمي وابا محمد عبد السلام النسب والاستاذ ابا العلاء ادريس بن محمد آل زكرياء الصبان كانوا ممن اختارهم الجناب الشريف للقيام بنفس المهمة داخل قصر المحنشة بمكناسة الزيتون .

وبالرغم من ان سرد اسماء الشيوخ والمؤدبين الذين كانوا مرسمين لتدريس القرءان الكريم داخل القصور الملكية يورث شيئا من السآمة والملل ، فاننا سنورد مع ذلك نقلا عن المصدر الانف الذكر جميع من عثر على اسمائهم ممن كتب لهم فضل اقراء ابناء الدوحة العلوية المنيفة ليتحقق القارىء من اصالة هذا البيت العريق ، واعتمادهم قبل كل شيء على كتاب الله وسنة رسوله فى زرع البذرة الصالحة فى قلوبهم ، اولئك الامجاد الذين سبق لهم فضل اقراء ابناء الملوك العلويين السابقين هم بالنسبة لمن كان يقطن مدينة فاس الفيحاء الاستاذ ابو محمد التهامي الشريف العلمي ، وابو زيد عبد الرحمان بن الرضى العمراني اللجائي ، وابو عبد الله محمد بن الطاهر الهواري ، والاستاذ ابو محمد التهامي الحسني ، والاستاذ ابو محمد التهامي بن عبد النور ، والاستاذ ابو عبد الله محمد بن الهاشمي اللجائي ، والاستاذ حمادي بن عبد القادر النسب ، والاستاذ ابو محمد عبد السلام المدعو ابن يش التلمساني ، والاستاذ ابو العباس احمد السعيدي ، وقد صاهر السلطان المقدس سيدي محمد ابن عبد الرحمان بن هشام ، فزوجه من ابنته الكريمة السيدة لالافاطمة الجبلية .

يضاف الى هذه النخبة الطيبة الصالحة الاستاذ ابو العباس احمد عبابو وهو آخر من كان له فضل اقراء البنات بفاس .

حاسم في هذا المجال ، عامل مستقطب لمجموع المشاعر الجهادية عند المجاهدين ، ومبلور للارادة القائمة على المحافظة على الكيان الاسلامي في هذه البلاد !

وقد استقرت جذور الدولة على اساس متين ، واستقرت معها « بطبيعة الحال » معاني العزة الدينية التي كانت في اساس الحركة الجهادية ضد البرتغال هذا الى معاني المحافظة السياسية ضد ذلك الغزو الاجنبي الواسع ؛ ومن المعلوم ان الحفاظ على المقوم الديني والمقوم السياسي – في مضمون الكيان المغربي – ما فتئا يتمازجان باستمرار في المفهوم الذي ساد عقلية المجتمع الاسلامي المغربي على امتداد العصور ، ولا يعني هذا – طبعا – ان ظروف الغزو ، والجهاد هي التي خلقت للشعور الديني مجالا ، كان منعدما من قبل ، فالشعور الديني والفكر الديني ، كل ذلك كان حقيقة قائمة واصيلة في كيان المجتمع الاسلامي المغربي ؛ الا ان الذي لا ينكر كذلك هو ان حالة الشعور بالتهديد ضد الوجود السياسي المغربي – بما يرتبط بهذا الوجود من ملابسات دينية وحضارية اسلامية ، ثم ما دعا اليه الشعور بذلك التهديد من ظهور قوة فتية في الميدان، هي القوة العلوية ، القائمة في اساسها على العمل من اجل انقاذ التراث الروحي والحضاري للامة المغربية الاسلامية . وبلورة اساس قوي لرد التحدي المضاد لهذا التراث ، واستبقاء الكيان الروحي والحضاري محتفظا بأصالته ومناعته – لا ينكر انه كان لكل هذه العوامل جميعها ، اثر جذري في بعث روحي جديد بالمغرب ، وتزويد الشرايين المغربية بدم فكري جديد، يتفق مع مبدأ المحافظة الدينية الذي هو اساسي في مزاج الشعب المغربي ، ويستجيب للمقتضيات الثقافية والحضارية التي – وان بقي جوهرها باستمرار – الا انها قابلة في العادة لعوامل التجديد الايجابي المثمر !

وكان من المنتظر حينئذ ان يعيش المغرب حالة استمرار لاصالة الفكر الديني والحضاري عنده ، كما كان من المنتظر ايضا ان يعيش حالة تبلور جديد في الروح والنهج الذي يقوم عليه هذا الفكر الديني والحضاري ، وذلك في نطاق المعنى الاعم الذي قامت عليه الدولة . وهو معنى مستخلص من تجارب الاجيال المغربية المتعاقبة . ومن نتائج الاقتناعات المغربية بعيدة الامد ، في مضمار الاحساس بالدين وتعقل روحه ومقتضياته واستمداداته ، ومن ثم ، كان لابد من انفتاح مزيد من الآفاق أمام الفكر الديني بالمغرب ، وكان من اللازم ان تنطوي هذه الآفاق على معالم جديدة ، يفرضها واقع الفكر العام الجديد الذي عاشه المغرب اثر قيام الدولة العلوية بين ربوعه ؛ ومن هذه المعالم التي يمكن ملاحظتها :

1) انمحاء اثر التيارات المتعارضة هنا وهناك، وتبلور النزعات السياسية الدينية ، في محور متمركز، يستقطب مختلف القوى والعوامل بهذا الصدد ، ويستجمع بذلك صفة المحورية بما تقتضيه من تكتيل وتركيز ، وما ينتج عن كل ذلك من توحيد المصادر والاتجاهات ، التوحيد الذي هو ضروري لنمو كل طاقة قوية ، واشتدادها واغتناء محتواها ؛ ان الصلة بين قيام الدولة العلوية ، والتوحيد من هذا القبيل، الذي حدث على نطاق واسع – هذه الصلة هي عبارة عن دقيقة بدهية قائمة ، لايحتاج اثباتها الى استدلال، الا ان الذي يجب لفت النظر اليه في مضمونها ، هو الجانب الفكري الديني المتعلق بهذا التوحيد ؛ وهو جانب من اهم الجوانب ، ان لم يكن اخطر الجوانب على الاطلاق ، وقد كان المجتمع المغربي من هذه الناحية، الناحية الدينية ، معرضا لمحاذير « تعدد المحاور » وتضاربها ، ومن هذا الباب دون غيره ، كانت امكانيات المغرب السياسية والاقتصادية وغيرها ، معرضة على نحو آلي ، وبصورة كاسحة لامرد لها ، معرضة للتوزع المحذور منه ؛ ومن هذا الباب ايضا ، انفتح امام المغرب المجال الواسع ، الذي ادى به الى الاحتفاظ بكيانه الموحد في المجالات الاخرى من سياسية وغيرها ؛ ومن ثم يستمد التطور الفكري الديني الذي وقع ، اهميته التاريخية ، وهي اهمية ، تستمد وجودها من الظرف التاريخي الموجود حينئذ ، ومن حقائق الشعب المغربي الروحية والمزاجية ، ومن ضخامة العامل المستقطب لكل هذه العوامل ، وهو العامل المتمثل في القوة العلوية التي برزت في الميدان .

2) استرداد المغرب قدرته على اتخاذ المبادرة في مجال التضامن مع البلدان الاسلامية ، وبناء العلاقات الايجابية معها ؛ وقد كان تاريخ المغرب في عمومه – تاريخ تضامن مع القضية الاسلامية في الاندلس وفي غير الاندلس ؛ ولما اصبح المغرب في غضون القرن التاسع ، فاقدا لزمام المبادرة ، ضاعت الاندلس الاسلامية بصورة حاسمة ، ثم استرجع المغرب بعض القدرة على العمل ولكنه سرعان ما فقدها بعد ذلك ، الى ان تمت له القدرة التضامنية ، بكل ما لها من فاعلية، وذلك اثر حدوث التطور ، الذي ادى الى قيام الدولة العلوية ؛ وبطبيعة الحال ، فان صورة التضامن لم يكن من اللازم ، ان تكتسي نفس الصورة التي كان عليها

لمحات من دنيا الفكر الديني على عهد العلويين

للأستاذ : المهدي البرجالي

تقوم الثقافة الدينية – في أساسها – على معرفة القرآن الكريم نصا وفهما ، والالمام بالحديث رواية ودراية ، ثم يأتي بعد ذلك العلم بالفروع على مناحيها الكثيرة كما هي في كتب الفروع . والواقع أنه يرتبط بموضوع الثقافة الدينية هذه ، أسس فكرية عميقة الجذور في كل تاريخ الفكر عند المسلمين ، وتنبني عليها في المجتمعات الاسلامية قيم ومواضعات فكرية وثقافية وحضارية ، هي من أخص خصائص الفكر الاسلامي في كل العصور وأبرز مقوماته

وقد عرف عن المغرب ، عراقته في هذا المجال ، واصالة الفكر الديني في المجتمع المغربي بقدر اصالة مناح كثيرة من مناحي العلم في هذا المجتمع .

وللدولة العلوية في هذا المجال ، سجل حافل ، سجل ينطوي على فصول طويلة يبدو من خلالها الكثير مما عرفته الثقافة الدينية القرآنية من توسع وتطور خلال عهد الاشراف العلويين ، وما تحقق في مضمار الفكر الديني خلال القرون الاخيرة من تبلورات اصلاحية مهمة .

وفي هذه العجالة ، لانطمع في الاتيان بلوحة مفصلة ، ووافية التعبير ، وانما هي لمحات من هذه الدنيا ، لمحات من دنيا الفكر الديني – القرآني على عهد العلويين ، نسوقها في هذا الاطار المحدود الذي يتسع له العدد وبطبيعة الحال ، فالمجال المتوافر الآن لايسمح بالتبسط كثيرا في الموضوع بقدر ما يجب .

قيام الدولة العلوية كان بطبيعة الحال ، تطورا فكريا اساسيا في تاريخ المغرب ، بقدر ما كان ذلك ايضا تطورا سياسيا له انعكاساته الداخلية والخارجية ؛ والملابسات السياسية ، أو الجوانب السياسية التي تتمثل من خلال هذا الموضوع ، لاتدخل – بالضرورة – في اطار المسائل التي نتناولها في هذه العجالة ؛ الا ان ذلك لايمنع من الاقرار بالصلة الحقيقية بين الفكر والثقافة والسياسة ، والتواصل او التفاعل الموجود في العادة بين هذا أو ذاك في كل ظرف من ظروف التاريخ هنا أو هناك ؛ وقد قامت الدولة العلوية – في ظرف تاريخي فريد من تاريخ المغرب ، اجتاحت فيه النفسية المغربية احساسات عميقة بالمخاطر الجذرية التي تتهدد المعاني العربية والاسلامية المتمثلة في الكيان الدولي المغربي ، والتي كانت تواجه اقسى تحد واجهته من قبل ، تحد موجه اليها من قبل التوسعية البرتغالية، وما يرتبط بهذه المواجهة من ملابسات شعورية دينية، الى جانب الملابسات الاخرى ذات الصبغة السياسية والاقتصادية الصرفة ؛ وكان من اولى النتائج المترتبة عن ذلك ، سيادة عقلية الحفاظ على الكيان الديني والحضاري للمسلمين المغاربة ، وقد اكتست الحرب الدائرة آنئذ صبغة جهاد ديني كان يشارك فيه علماء الوقت وقراؤه بما يرجى من ذلك من ثواب عظيم !

وفي هذا الظرف من تبلورات الحماس الديني عند سكان هذه البلاد ، كان قيام الدولة العلوية كعامل

يتخذه الملوك العلويون ازاء الكتاب الكريم ، عاملين على نشره والتشجيع على الاقبال عليه ، ومقبلين في ذات الوقت على مدارسته ، ومجالسة علمائه ، والاخذ عنهم ، والاعطاء لهم ايضا ، بل واعطاء العموم من ذلك نصيبا غير يسير ؛ لقد عرف عن الملوك العلويين الكثير من هذا القبيل ، ويمكننا ان نسوق العديد من الامثلة والشواهد على ذلك ؛ وفي المراجع المغربية كالاتحاف لابن زيدان صور كثيرة من هذا المعنى تشير في عمومها الى ما كان هناك في حظيرة الدولة العلوية من عناية بامر القرآن الكريم ، وبروز هذه العناية في مظاهر شتى تمثل تارة في اجراء الاوقاف على قراءته ، وطورا آخر في تبجيل حملته واكرامهم ، الى غير ذلك مما في هذا المعنى .

ونورد على سبيل التذكرة ، بعض النماذج السريعة التي ساقها صاحب الاتحاف في هذا المجال ؛ ومن ذلك وصفه لاجراء الشعائر التي يتلى فيها القرآن كصلاة التراويح مثلا ، وكيف كان يقع الاحتفال بها من طرف المولى الحسن الاول ، في جو من الحفاوة البالغة عظيم ؛ ومن الصور ايضا ، الظهير الذي كان أصدره المولى محمد بن عبد الرحمن تكريما وتوقيرا لشيخه في القرآن ؛ الشيخ محمد بن عبد الواحد الزجلي ، وجاء في ضمن ذلك الظهير كما ساقه صاحب الاتحاف، وكان صدوره لفائدة احفاد الشيخ « وحملناهم على كاهل المبرة والانعام ، والرعي الجميل المستدام ، واسقطنا عنهم التكاليف المخزنية ، والوظائف السلطانية ، لما لجدهم علينا من الحق بتعليم كتاب الله العزيز ... » وهذه العبارة الاخيرة هي المراد من سوق هذه الفقرات ، وذلك لما تشير اليه من تقدير كبير لحامل الكتاب الشريف ، وهو تقدير يعكس صورة عن الروح السائدة بهذا الصدد ، في حظيرة المغرب العلوي ؛ وهذا التقدير هو جانب من جوانب الصورة التي نعرض لها بصدد ما نتناوله في اطار هذا الموضوع ؛ اما الجانب الآخر ، فهو الذي نود التوسع فيه نسبيا ، اكثر من غيره من الجوانب ، وهو يرتبط بمجموع قضية الفكر والثقافة في هذه البلاد ، ويشير بصورة اخص الى سابقية الوعي العلمي في المغرب واصالة حركة الاصلاح والتطور الفكري بالوطن المغربي ؛ ونلمس كل ذلك — كما يحدده موضوعنا — نلمسه من زاوية الثقافة الدينية — القرآنية بالاخص ، ولذلك ارتباط بما اشرنا اليه من امر الفكرة السلفية ؛ والفكرة السلفية — كما نعلم — لها اطار واسع ، يستوعب في مضمونه معطيات متمازجة من الدين والعلم والفكر ؛ ومن ثم ، فهي — في صورتها المالوفة — حركة دينية وعلمية وفكرية في نفس الوقت ؛ وفي هذا المجال تتخذ قضية العناية بالقرآن في المغرب العلوي مدلولها العرفاني ، مثل ما تتخذ من مدلول روحي صرف .

ان الدراسات القرآنية هي — بطبيعة الحال — ذات شان رئيسي في كل دراسة دينية اسلامية ، ومن مدلولات القرآن المعنوية والتعبيرية ، تستخلص اهم القضايا الدالة على روح الاسلام واحكامه ومقتضياته ؛ واذا كان هذا صحيحا بالنسبة الى كل دراسة اسلامية مجردة ، فانه صحيح بالاولى والاحرى بالنسبة الى الدراسات الدينية القائمة في نطاق الروح السلفية ، والمستهدفة في الاساس ادراك الحقائق الدينية التي يستمدها الاتجاه السلفي من القرآن اكثر مما يستمدها من غيره ؛ وعلى هذا ، نجد ان الاتجاه للقرآن عند الملوك العلويين يدخل في نطاق اعم من مجرد الرغبة في التبرك بالكتاب المبين ؛ والنطاق الاعم الذي نقصد هو النطاق العرفاني ، بكل ما يدعو اليه من اهتمامات علمية ، ليس هناك غنى عنها بالنسبة لنزعة سلفية واعية ، وكان لهذه الاهتمامات العلمية نتائجها اللازمة، ومن هذه النتائج : (اولا) امتزاج الاقبال على دراسة القرآن بالاقبال أيضا على الدراسات الحديثية ، والقرآن والحديث هما قطبا الرحى في كل اساس علمي تقوم عليه النزعة السلفية أو تقتضيه الفكرة السلفية ؛ ان معيار السلفية هو صحة المأخذ عن الرسول في الاحكام والعقائد سواء فيما اتى به وحيا من ربه ، وهو القرآن، او ما نطق به من احاديث (والحديث — كما نعلم — مادة اساسية وواسعة لفهم الاسلام بعد القرآن ، ولذلك كان لابد من التقاء الاهتمام بهما معا ليتم من ذلك مفهوم صحيح ومتكامل للفكرة الدينية من ينابيعها الاصلية ، وهي ينابيع غنية ووافية بما يتطلب في هذا المجال (2) ظهور فكرة الاصلاح والتطوير على فكرة المتابعة والمسايرة ؛ لقد عقمت اساليب التناقل العلمي وتجمدت عند حدود روتينية تفتقر اكثر ما تفتقر لله — تفتقر الى تحقيق المقصود من صقل الملكات ، واستشارة العقول واكسابها القدرة على الابداع ؛ وقد اصيب تدريس العلوم الدينية بذلك ، كما أصيب تدريس غيرها من العلوم ؛ وكانت مظاهر ذلك بادية في مختلف الاقطار العربية ؛ اما المغرب العلوي ، فقد عرف تطورا هاما جدا في هذا الشأن ، اذ صاحب فكرة السلفية فيه ، بما تقتضيه من اقبال على السنة والكتاب — صاحبتها ايضا فكرة تطوير الاساليب المتبعة في تدريس العلم الديني ؛ بما في ذلك اساليب تدريس القرآن الكريم ،

الامر فى خلال العهد العربي بالاندلس ، وذلك لتغير الظروف والاوضاع العالمية على نحو حاسم . لكن التضامن الاسلامي الذي حصل ــ على نطاق واسع ــ بين المغرب العلوي والدول الاسلامية غيره ، اصطبغ بصبغة فعالة وايجابية جدا ، تتناسب مع ما أصبح له من امكانيات واسعة كدولة اسلامية ذات ثراء وقدرة وتنظيم ؛ وقد تمثل التضامن المغربي الاسلامي من هذا القبيل فى مظاهر عدة ، كان من بينها : التفاوض مع الدول المسيحية فى شأن اطلاق سراح الاسارى المسلمين ، وتمويل عمليات الاطلاق هذه فى كثير من الاحيان ، وتزويد المجهود الحربي للدول الاسلامية الواقعة فى حالة حرب مع الاجانب الى غير ذلك مما فى هذا المعنى ؛ كما تمثلت العلاقات المغربية مع المسلمين ايضا فى مجال الفكر والثقافة الدينية ، كما فى غير ذلك من مجالات الثقافة ؛ والواقع ان هذا الجانب الاخير، جانب التفاعل بين المغرب العلوي واقطار اسلامية غيره ــ الواقع ان هذا الجانب هو ذو قيمة كبيرة في سجلات التاريخ الفكري للمغرب ، واذا قارن المرء بين سرعة وفاعلية الاستجابة المغربية لوقائع التطور الفكري الديني فى العالم الاسلامي ، وبين موقع المغرب، الواقع فى الطرف الاقصى من العالم الاسلامي ، والادنى الى اوربا من كل اقطار المسلمين على الاطلاق ــ اذا ما قارن المرء بين هذا وذاك ، تبين له مقدار الحيوية التي توافرت للمغرب فى هذا المجال ، وسعة المجال التاريخي الذي يتمكن من افتتاحه على اوسع نطاق .

3) كان قيام الدولة العلوية ، كما سلف لنا ــ حدثا فكريا وحضاريا ، بقدر ما كان حدثا سياسيا كذلك، ويتجلى هذا ، علاوة على ما تقدم ــ يتجلى فى موضوع الاطار الذي يحتوي القيم العقائدية الدينية فى المجتمع الاسلامي المغربي ؛ والملحوظ فى تاريخ المغرب الاسلامي. انه تاريخ عقيدة واحدة مستمرة حقا ، وهي الاسلام ، لكن الاطار الذي تتحقق فى مضماره العقيدة ــ وهو اطار لا يمس الجوهر فى شيء ــ كانت تحدث فيه بعض التبلورات ــ على نحو أو آخر ، خلال تتابع مراحل التاريخ المغربي ، ومن ثم ، فان القضية العقائدية الدينية كان لها فى مجال التاريخ المغربي شأو كبير، وقد صاحب النظر العقائدي بالفعل ، تطورات السياسة المغربية منذ القرون الاولى ، وبالاخص خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، حيث تأرجح المغرب بين تيار محافظ جدا ، هو الذي ساده على عهد اللمتونيين ، وبين تيار فكري ديني آخر مضاد للاول فى كثير من المناحي ، وهو الذي شمل المغرب خلال عصر الموحدين ، وكان كل من التيارين الفكريين اللمتوني والموحدي ، مجرد مرحلة من مراحل التاريخ الفكري للمغرب ، مثل ما مر من مثل هذه المراحل في تاريخ العرب الفكري بالشرق ايضا ؛ وبظهور الدولة العلوية ، كان المغرب على ابواب تحوله الفكري الجديد الذي كان لابد ان يسلمه الى التطورات الفكرية المعاصرة التي نعيشها اليوم ؛ وكانت بذور من ذلك ايضا فى بلاد المشرق العربي تختمر وتنمو مع الامد الطويل ، لتتبلور فى الصورة التي وقعت بها النهضة الفكرية ببلاد الشرق ، وفي مضمونها فكرة مراجعة المفاهيم الدينية، التي تعقدت فى المجتمعات الاسلامية ، وتفلفت بما يتناقض احيانا مع سلامة الاسلام وفطريته وتلقائيته ؛ وقد وقع التفتح المضاد لذلك الانغلاق ، الانغلاق الذي استحكمت حلقاته مع القرون ؛ واكتسى التفتح الجديد فى الشرق ، صورة الفكرة السلفية ، فكرة الرجوع الى عقائد السلف الصالح الذين لم تتغلف مفاهيمهم العقائدية بالتعقيدات التي فرضتها ظروف مختلفة عاشها المسلمون طوال القرون ، فتكيفوا بكيفها ، سواء فى نظرتهم العلمية أو بعض مفاهيمهم العقائدية ؛ وكما فرض التفتح ذاك ما فرضه فى ميدان المفاهيم العقائدية؛ فقد كان من نتيجة ذلك التفتح أيضا ان خلق افكارا مضادة للتقليد المطلق فى فقه الاحكام والشعائر وغيرها؛ وفي ضمن هذه النوازع التطورية ، ظهر القرآن والحديث ــ كما كانا دائما ــ مادتين حيويتين اساسيتين ، وليس لهما من ثان فى أهميتهما كوسيلتين لاغناء الفقه الاسلامي وتطويره ، والتوفيق ــ فى نطاقه ــ بين مقتضيات الالتزام بروح السلف الصالح ، وروح التغيير المستمر الذي تفرضه ضرورة العصر وموجبات الحياة المتغيرة ؛ وقد كان المغرب العلوي ، مجال تبلورات فكرية رائدة من هذا القبيل ؛ والملاحظ ان الحركة الفكرية هذه ، قد وجدت سندها المباشر في ملوك علماء ومفكرين من طراز المولى محمد بن عبد الله والمولى سليمان حيث ان هذين الملكين ، لم يكن عملهما فى هذا المجال مجرد مسايرة لتيار اصلاحي راياه صالحا فآزراه ، بل انهما كانا رائدين كبيرين فى مجال هذا التيار ، وساهما فيه بالقدر الذي جعل منه حركة نهوض وتطور مهم جدا فى تاريخ المغرب الفكري الحديث

* * *

الصور التي عرضنا لها فى غضون الفقرة السالفة، تصلح كاطار لادراك بعض الملابسات التي تحيط بموضوع القرءان ، وموقف للاهتمام الكبير الذي كان

محتوياتــه ؛ ويسوق الناصري حــول ذلك قولــه « ... ومن عجيب سيرته رحمه الله ، انه ـ اي المولى محمد بن عبد الله ـ كان يرى اشتغال طلبـة العلـم بقراءة المختصرات فى فن الفقه وغيره ، واعراضهم عن الامهات المبسوطة الواضحة ، تضييع للاعمار فى غيــر طائل ، وكان ينهى عن ذلك غاية ، ولا يترك من يقــرأ مختصر خليل ومختصر ابن عرفة وامثالهما ، ويبالــغ فى التشنيع على من يشتغل بشيء من ذلك حتى كـاد الناس يتركون قراءة مختصر خليل ، وانما كان يحض على كتاب الرسالــة والتهذيب وامثالهمــا ... »

وقـد صاحب بروز هذه النزعة الاصلاحيــة ، التي كانت كرد فعل ضد عقلية علمية سادت طويلا دنيا العرب ، وكانت ـ اي هذه العقلية ـ بمثابة ترسب غير قادر على مسايرة التيار النهري الدافــق ـ صاحب بروز هذه النزعة ، حالة نشاط علمي مهم ، وجد معه علم التفسير وغيره من علوم القرآن ، مجالا خصبا ، كان ابرز آثاره ازدهار حلقات التفسير القرآني بالمساجد ، كما بالبلاط المحمدي والسليماني وفي كثير من معاهد العلم هنا وهناك ، وبروز عدد من كبار العلماء الذيــن عرفوا بمقدرتهم فى الفروع العلمية الاسلامية المختلفة ، بما فيها علم التفسير بطبيعة الحال ، وقد كان المولى سليمان من هؤلاء المتضلعين فى فن التفسير كما كـان متبحرا فى غيره ؛ وجـاء فى عبارة صاحب الاستقصاء حول ذلك قوله : « واذا تكلم ـ اي المولى سليمان ـ فى علوم القرآن انهل بما يغمر مورد الظمآن . » وكان من اعلام العصر السليماني ايضا فى التفسيــر الشيــخ محمد بن عمرو بن عبد الله الزروالي ويعد من شيــوخ المولى سليمان فى علم التفسير بالذات ؛ ومن علمــاء التفسير القرآني فى عهد المولى عبد الرحمن ، الشيخ حمدون بن الحاج ، وقد كان من المشاركين ، الا ان من اشهر حلقاته التدريسية ، تلك التي كان يلقي خـلالها دروسه فى التفسيــر .

وكما برز مفسـرون لامعون فى عهود الدولة العلوية، لـمـع نجم عدد من القرئين المجودين ايضا ، ومن هؤلاء محمد الشريف السجلماسي شيخ الجماعة بمراكش فى القراءات ، وذلك فى خلال عهد المولى عبد الرحمن بن هشام ؛ ومن اعلام ذلك العصر ايضا فى التجويد الشيخ محمد بن الطيب السجلماسي (وكان كما ذكر عنــه صاحب (الاعلام) « ... مجودا لكتاب الله عز وجل يعطي مخارج الحروف حقها ، ويحسن نطقها ، قــرأ القرآن بالروايات السبع ... »

وهذه مجرد نماذج فقط ، ومثيلها كثير فى خلال عهود الدولة العلوية باستمرار .

ســلا ـ المهـدي البرجالـي



الذي ـ كما نعلم ـ هو باب المسلم الى ارتياد المجالات العرفانية الدينية الواسعة ، لا ان يقتصر فيه على الحفظ المجرد ، ولو ان الحفظ فى حد ذاته شيئا مطلوبا، الا ان الكتاب الكريم ، أنزل للتدبر فيه ، واستخلاص العبرة والفائدة منه ، فيما ينفع الناس فى دينهم ودنياهم ؛ ولا شك ان الفكرة هذه ، تبدو الآن فكرة مألوفة ، ولا توجب تنبيها لها ، لانها من البدهيات المسلم بها ؛ غير اننا اذا وضعنا الامر فى اطاره الزمني المناسب، وارجعنا الدعوة لهذه الفكرة الى العصر الذي راجت فيه ، لراينا حينئذ انها كانت فكرة ثورية رائدة ، وانها كانت من اجدى الفكر واكثرها انضواء على المعاني الايجابية الخصبة ، وذلك لما كانت تعانيه المجتمعات العربية حينئذ من عقم اساليب التعلم ، وفشو ذلك فشوا شاملا لجميع قطاعات الحياة العلمية العربية ، وتواضع الناس على اساليبهم تلك ، وعدم استعدادهم بسهولة لتقبل تغييرات التطوير التي تقترح عليهم في ذلك . (3) افادة الخزانة المغربية من هذه الحركة الفكرية المتطورة ، وذلك بما ادت اليه الحركة من حمل روادها على توضيح مفاهيمهم وشرحها للناس ، والاتيان بالنماذج والصور التي يجب ان تحتذى فى هذا المجال؛ ومن ذلك كان العدد المهم من الكتب والرسائل التي صدرت بهذا المعنى ، وبقيت فى سجلات الخزانة المغربية ، وثائق شاهدة على فترة عظيمة من فترات التاريخ العلمي المغربي .

ولنتناول الآن بعض الامثلة على النقط التي اوردنا ، وقد كان المولى محمد بن عبد الله ، الرائد الاول فى هذا المجال ؛ ويتمثل فى هذا الملك العالم المفكر، ما تقدم أن ذكر ، من تمازج الدراسة الحديثية بأمر القرآن ، وذلك فى نطاق الفكرة السلفية التي تقوم على هذين السندين العظيمين ؛ وقد اشتهر المولى محمد بن عبد الله برواية الحديث وادراك معانيه ، ويورد الناصري فى ذلك قوله « ... وكانت له عناية كبيرة بذلك ، وجلب من بلاد المشرق كتبا نفيسة من كتب الحديث لم تكن بالمغرب ، مثل مسند الامام احمد ومسند الامام ابي حنيفة وغيرهما ... » الى ان قال بعد ذلك « ... ولما ولاه الله أمر المسلمين بعد وفاة ابيه ، زهد فى التاريخ والادب بعد التضلع منهما ، واقبل على سرد كتب الحديث ، والبحث عن غريبها وجلبها من اماكنها ؛ ومجالسة العلماء والمذاكرة معهم فيها ... » على أن الذي يبدو من استقراء الامور ان المولى محمد بن عبد الله ، لم يكن شغوفا بالمعرفة الحديثية هكذا لمجرد المعرفة بالشيء وحب الالمام به ، وانما كان ذلك مرتبطا عنده من جملة ما يرتبط به ـ كان مرتبطا عنده بموضوع العمل الاصلاحي الفكري الذي كان له به اهتمام واضح ، ويندرج الاهتمام بالحديث لديه ـ ضمن ذلك ـ بالاهتمام بمجمل قضايا العلم الديني من قرآن وحديث ، وفقه وغيره ، يدخل كل هذا فى دائرة مذهبه فى هذه الامور ، وما كان قارا فى نفسه من اتخاذ المبادرة العملية على هذا المستوى؛ ويمكن استبانة لمحات من هذا الاتجاه العلمي فى كتابه « مواهب المنان ، بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان » فقد اورد فيه المولى محمد بن عبد الله ما يفاد منه ان الاتجاه الاصلاحي كان عنده شاملا جامعا ، وانه غير محصور فى دائرة الحديث فقط ، وقد جاء فى ذلك ، قول الملك العالم « ... كان غالب اعتناء طلبة الوقت بحفظ القرآن ، والتفنن فى قراءته بالروايات ، واهمالهم ما فرض الله على الاعيان مما يدان به من علم العبادات والاعتقادات ، وان كان فضل كتاب الله ماثورا ، ومقام حفاظه بين اولياء الله مشهورا، ولكن لا مع الجهل بما يعبد الله به من ضروري الدين . فانه على الموصوف بهذه الصفة حجة فى كل حين ، لان المقصود الاهم من حفظ القرآن ، هو تعلم احكام الدين التي بها الله يدان ، اذ مجرد حفظ مجموعه فرض كفاية ، بلا ارتياب ، ومعرفة ما تبرأ به الذمة فرض عين وايجاب ... » « وكنت لقيت حال سفري من مكناسة الى مراكش سنة 1203 ثلاث بعد المائتين والالف ، من الاساتيذ ، الجم الكثير ، والفيت كل من اختبرت منهم لا يتمسك من علم دينه بقطمير ... » (1) ولا اخال ان هناك أوضح من هذه العبارات فى الدلالة على المفاهيم الاصلاحية التي كان يحمل لواءها المولى محمد بن عبد الله ، وكان اهتمامه بالحديث مقرونا باهتمامه بالقرآن ، كل ذلك يدخل فى نطاق « الثورة التعليمية » التى كانت ـ بالنسبة لذلك العصر ـ كما فى كل عصر ـ الاساس الحيوي لكل نهضة اجتماعية واقتصادية وغيرها فى اي بلد وفى اي مجتمع ؛ وكما اوردناه فى خلال النقطة الثانية من النقط التي اسلفنا ؛ فان مثل هذا التفكير الاصلاحي ، كان بمثابة صدمة قوية لحالة التزمت والمتابعة التي سادت حياة العلم فى كل انحاء العالم العربي خلال القرون الاخيرة ، حتى صارت اهم عامل فى تخلف العلم العربي وتقوقع

---

1) ابن زيدان : الاتحاف

جمعني الله مع كثير من العلماء والاولياء ، ذوي العقول واللطائف ... فازداد قلبي لهم حبا ، وتيموني (2) فما ملكت معهم عقلا ولا لبا ؛ ولا سيما علماء شنقيط ... (وبعد ان عدد بعضا منهم اضاف قائلا :) ولي فيهم عدة اشياخ سامرتهم ومارستهم في قراءتهم وعبادتهم :

(هكذا ، هكذا ، والا فلا ، لا
طرق الجد غير طرق المزاح)

حتى تعلمت ما شاء الله ان اتعلم (3) » .

وبعد حياة التعليم والاستيعاب هذه ، يدخل اميرنا في طور الانتاج العلمي والادبي وقرض الشعر ، ولا ريب ان مثل هذا العمل كان يقتضي منه هدوء بال واطمئنان فكر ، وهذا ما توفر له في مدينة مراكش الجميلة الهادئة ، فهناك قبل أن يصبح خليفة عن اخيه السلطان مولاي عبد العزيز وبعد ان اصبح خليفته ، وجد الجو مناسبا للتفكير والانتاج ؛ فقام بجل اعماله العلمية — ان لم نقل كلها — ونظم اراجيزه في مختلف الفنون .

اما فترة توليه السلطنة فلم تكن بطبيعتها وكثرة مشكلاتها السياسية والمالية وغيرها لتسمح له بمزيد من الانتاج العلمي او التأليف ؛ غير انها سمحت له بنشر كتبه ومؤلفاته على الملأ ، ومكنته من طبع عدة كتب خدمة للثقافة العامة ونشرا لعلوم القرءان بين الاجيال الصاعدة .

آثاره العلمية :

تلك نبذة موجزة عن حياة مولاي عبد الحفيظ ؛ أما أثاره العلمية فوافرة ، حدث عن البحر ولا حرج — كما يقال — ، وان متناول الحديث عن تلك الآثار لا يسعه الا ان يقسمها قسمين رئيسيين : في خدمة علوم القرءان ، وفي مديح نبي القرءان . وسنتحدث عن كل قسم فيما يلي :

اولا — في خدمة علوم القرءان : وتشمل آثاره في هذا القسم ما ياتي :

أ — مؤلفات نشرها : وانفق على طبعها ليسهل تناولها ، وليوفر المصادر والمراجع لطلبة العلم وشيوخه بجامع القرويين بفاس وبجامع ابن يوسف بمراكش وبغيرهما من مراكز العلم بالمغرب ، بل والمشرق ايضا؛ لان كثيرا من هذه الكتب طبعت بالقاهرة ، فجاءت فائدتها عامة شاملة . ومن هذه المؤلفات التي نشرها :

1 — حواشي الشيخ التاودي على صحيح البخاري
2 — المشارق للقاضي عياض .
3 — حاشية سيدي المهدي الوزاني العمراني في الانتصار للسدل .
4 — بداية المجتهد للحفيد ابن رشد .
5 — فتح الودود للولاتي على مراقي السعود للشنقيطي .
6 — الاصابة لابن حجر .
7 — تفسير ابي حيان المعروف بالبحر .
8 — شرحا الابي والسنوسي على صحيح مسلم .
9 — المنتقى للباجي .
10 — شرحا الحطاب والمواق على مختصر خليل
11 — الاحكام الكبرى لابن العربي المعافري .
12 — تحفة الملك العزيز في الرحلة الى باريز للوزير ابن ادريس العمراوي .

ب — مؤلفاته النثرية : واهمها ذلك المرجع الذي اشرنا اليه منذ قليل وهو :

1 — العذب السلسبيل في حل الفاظ خليل : وهو عبارة عن شرح لغوي ادبي لخطبة « مختصر » الشيخ خليل ابن اسحق الجندي (4) . وقد ابان مولاي عبد الحفيظ في كتابه هذا عن مقدرة علمية واطلاع واسع . يقع الكتاب في 118 صفحة من القطع الكبير ؛ وقد صدره بأبيات شعرية :

---

2) في الاصل : تيهوني وهو تحريف مطبعي .
3) مولاي عبد الحفيظ : العذب السلسبيل ، ص 2 المطبعة المولوية بفاس 1326 هـ .
4) يفهم من كلام الاستاذ الزركلي (الاعلام ج 4 ص 50) ان الكتاب في فقه المالكية ، بينما الذي في فقه المالكية هو « مختصر » الشيخ خليل الذي لم يقم مولاي عبد الحفيظ الا بتحليل مقدمته وشرحها كما ذكرنا .



نعني بالسلطان العالم الشاعر مولاي عبد الحفيظ ابن مولاي الحسن (الاول) الـذي تولـى السلطنـة واعتزلها فى فترة قصيرة حاسمة من تاريـخ المغـرب الحديث . وان هذه الفترة القصيرة التي لا تتعـدى خمس سنوات من حياته الطويلة التي استغرقت ثلاثة ارباع القرن (1) ، كانـت حافلـة بالاعمال والحـوادث لدرجة قد تغري المرء بوضع صفر امام الخمسـة فتصير خمسين ، اجل ، ان التاريخ احيانا ليسرع الخطى حتى يفرغ ما فى جعبته من احداث جسام فى بضع سنين ، مما لا يكاد يفعله فى بضعة أجيال .

ولعل قلة من القراء هي التي تعرف ـ زيادة على ما تقدم ـ ما كان يحظى به مـولاي عبد الحفيظ مـن خصائص علمية ، فقد كرس جزءا من حياته الحافلـة لخدمة علوم القرءان ، ولمديـح نبي القرءان محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام . وبهذه الاعمال التـي سنتحدث عنها ـ فيما بعد ـ استحق عن جدارة لقب عالم السلاطين وسلطان العلماء فى عصره ... ولعـل قلة من القراء ـ ايضا ـ هي التي تعـرف لمـولاي عبد الحفيظ صفته الشاعرية التي تفتح لها ذهنه ، وتفتقت عنها عبقريته ؛ فترك لنا ثـروة هامـة من الشعـر ، والتعليمي منه بوجه خاص ، فنظم لنا علوما مختلفة فى سلك من الوزن الشعري اللطيف الذي اعتادت كثرة الشعراء التعليميين ان تنظم فيه ، وتنسج على منواله لتقرب للافهام وتسهل للحفظ معارف منوعة وعلومـا جمـة .

نبـذة حيـاة :

وقبل الشروع فى فتح الصفحة العلمية من حياة مولاي عبد الحفيظ الحافلة التي طواها الزمن منذ أكثر من ثلاثين عاما ... وقبل التحدث عن آثاره العلميـة يجدر بنا أن نقول كلمة عابرة عن حياته مما يلقي بصيصا من نور على اتجاهه العلمي وشغفه بالثقافة القرءانية.

وولد مولاي عبد الحفيظ بفاس ـ عاصمة المغرب السياسية آنذاك ـ وشاءت عناية والده ان ينشئه فى احدى قبائل الجنوب المغربي : قبيلة بني عامر الواقعة جنوب غربي مراكش ، حيث استمتع الامير هناك بجو صحي بعيد عن ضوضاء المدينة ووخمها . وقد تربى مولاي عبد الحفيظ تربية الامراء ، ومهدت له جميـع السبل لتلقي العلم ومخالطة العلماء ، وبذلك أشبـع نهمه الروحي ملبيا رغبته النفسية فى تلقـي العلـم ، وحذق المعارف الجمة التي كانت منتشرة فى عهـده ، فاستوعبهـا .

يقول عن نفسه : « ... فاني منـذ الشبـاب وقلبي مشتاق للعلم واهله من ذوي الالبـاب ، حتـى

---

1) ولد سنة 1280 هـ وتوفى يوم الاحد 22 محرم 1356 هـ ؛ اما السلطنة فتولاها حين بايعته مراكش فى 6 رجب 1325 ، ثـم فاس فى 23 ذي القعـدة 1925 ؛ ولكنه تنازل عنها فى 28 شعبان 1330 هـ .

عبد الحفيظ بن الحسن نصره الله » ، وآخرها : « تمت 20 قعدة عام 1326 » ، قد تكون القصيدة بخط يد السلطان نفسه ، لست متأكدا من هذا ؛ على أنها ربما كانت بخط يد بعض الناسخين ، لاني أجد فيها بعض الاغلاط التي سأشير الى بعضها والتي قد ينزه عنها شاعرنا ان لم تكن من سبق قلمه .

والقصيدة طويلة النفس . فهي تتألف من واحد وسبعين ومائة بيت ، والميزان الشعري الذي صب فيه الشاعر افكاره ليس بحر الرجز الذي عودنا أن يطرقه في منظوماته . والذي يصلح كثيرا للشعر التعليمي والذي ينعته البعض بأنه حمار الشعراء ؛ وانما القصيدة من بحر آخر هو « الطويل » وهي لامية الروى .

يبدو الشاعر هنا اتباعيا (كلاسيكيا) وهذا شيء طبيعي في سلطان مغربي عاش في بيئة مغربية محافظة . وظل يعتز بمغربيته حتى في أحرج الظروف حين قال : « انني امثل شعبا لم يكن مستعمرا قط . لم يكن قط، جسما خاضعا خنوعا بل شعبا صالحا نافعا ؛ انني امثل مملكة ظلت مستقلة عبر قرون واجيال (5) » .

وعلى الرغم من كلاسيكية الشاعر فانه لم يفتتح قصيدته بمقدمة طللية او غزلية بالمعنى المتعارف لدى شعراء العرب القدامى ؛ وانما هجم على موضوعه او اغراضه التي كان يهدف الى طرقها هجوما خاطفا مباشرا . على ان من الممكن اعتبار ذلك الحوار الطويل بينه وبين من سماها « ربة الجهل » بمثابة مقدمة طويلة . تسودها روح الحجاج والجدال بالتي هي أحسن . وتشتم منها رائحة الغزل في مثل هذا البيت :

فلما بدت مني القوافي تواجدت
وكان لها وجه اغر محجل

كما يمكن اعتبار مديح النبي غرضا رئيسا في القصيدة ، وما عداه مقدمة له بما في ذلك مديح السلف الصالح . وفي هذه الحالة تكون المقدمة أطول .

ثم اننا نرى مولاي عبد الحفيظ يعمد في هذه القصيدة الى جزالة اللفظ . واختيار مفردات عويصة — قد تكون بعيدة عن الاستعمال — ليبره للقارىء عن مدى ما يتمتع به من مقدرة لغوية فائقة . وتفنن في التعبير سليم : بيد ان الجري وراء الحوشي من الالفاظ ، قد يشده شدا الى التفصح والتقعر والتعقيد احيانا . كما قد يجره الى الغموض وخفاء المعنى أو تفاهته احيانا اخرى .

ولا يمكن ان نستوفي جو القصيدة حقه من الكلام ما لم نتطرق الى تحليل القصيدة والبحث عن معانيها واهدافها الاساسية التي يمكن اجمالها في الآتي :

أ — حوار Dialogue طويل بينه وبين « ربة الجهل » التي تحثه على ترك العلم ، والاهتمام بغيره من شئون الحياة ؛ بينما نراه يسعى جاهدا لاقناعها ، فيدافع عن فكرته او وجهة نظره في الاشتغال بالعلم ، ووجوب العمل على ترويجه ، واخيرا يقنعها فتقتنع وتحثه على ممارسة العلم ودراسته في كل محفل .

ولا ندري من ربة الجهل هذه ؟ انما الشاعر يخاطبها أحيانا بـ « ابنة العم » وتارة يسميها بـ « مي » وتارة أخرى يدعوها « سلمى » . ولسنا نعتقد أن هناك شخصية حقيقية معينة تحمل هذا الاسم او ذاك ؛ ولكن الشاعر — عن طريق التجريد والتمثيل — رسم لنا هذه الشخصية الخيالية لترمز الى واحد او واحدة من اولئك الذين يخالطون المشتغل بالعلم ويخالطهم ، ويلاحظون ما هو عليه من شقاء البحث ، والبعد عن شؤون الحياة . فيلومونه — آنا — على طول الاهتمام والاستغراق في العلم ؛ وقد يغالون — آنا آخر — في لومهم فيجرون مقارنة بين مخاطبهم وبين بعض ذوي الحظوة والجاه . فيذكرون له اقبال الدنيا على هؤلاء الجهلة المحظوظين رغم انصرافهم عن العلم ودرسه ، وعدم الكد والجد والتعب والنصب ، مثلما يعانيه هو في الحياة .

ب — تمجيد العلم وتكريم العلماء ، وحث طلاب العلم على تحمل كل المشاق في سبيل طلبه . . . ولا شك ان شاعرنا هنا انما يحاول ان يعطي درسا عمليا لشعبه الذي انحرف بعض أفراده عن طريق العلم ، فحثهم بهذه الوسيلة على ممارسته ودراسته ، مبينا ان مغريات الجهل قد تفوق المشجعات على العلم . ولكن الحق والفضيلة والخير والجمال وسائر المثل العليا انما تنتصر في النهاية . كما ان الرقي والتقدم والكمال الانساني الممكن . خصائص ومميزات تكمن وراء النهل والعلل من ينابيع العلم الثرة .

ج — نقد الحالة العلمية التي تردت فيها بلاده ؛ فتصدى للتعليم من هو ليس أهلا له ، وساد المغرب جهال .

---

5) Vincent Monteil : « Morocco », p. 59 (1964)

كتاب « السلسبيل » شفا عليلي
ونيل المرتجى يشفي غليلي

وكنز الفضل من درر احتسابي
ومفتاح المواهب من « خليل »

فبالنفس النفيسة خذه ذخرا
ونورا فى الهداية عن دليل

2 ـ ومن مؤلفاته النثرية كتاب : كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع . وهو مطبوع ايضا ، لكني لم اقف عليه ، فلا ادري حجمه . وقد الفه السلطان الراحل فى الرد على بعض المبتدعة من متصوفة زمانه.

ج ـ اراجيزة : ونظم مولاي عبد الحفيظ عدة منظومات واراجيز فى فروع من المعرفة مختلفة ، وفي فنون من القول جميلة ، وهي حسب الحجم وعدد الابيات كما يلي :

اسم الأرجوزة	عدد صفحاتها	مجموع أبياتها	التعليق
ياقوتة الحكام فى مسائل القضا والاحكام	123	2.438	جليلة الفائدة تهم طلاب الشريعة ورجال القضاء والقانون .
الجواهر اللوامع فى نظم جمع الجوامع	108	2.111	جليلة الفائدة تهم طلاب الشريعة واصول الدين
نظم مصطلح الحديث :	109	2.074	ينم عن ثقافة واسعة فى علوم الحديث ، ويهم طلاب الحديث وعلماءه .
نيل النجاح والفلاح ، فى علم ما به القرءان لاح	102	2.035	منظومة فى علوم البلاغة تهم طلاب اللغة وآدابها والمشتغلين بالنقد الادبي .
المجموع الكلي :	442	8.658	مجهود أدبي ضخم بالنسبة لأمير مطوق بواجبات سياسية واجتماعية عديدة .

ولعل اهم الدوافع التي دفعت مولاي عبد الحفيظ الى خوض غمار المعارف ونظمها بهذا الشكل ما يلي :

1 ـ الموهبة الشعرية التي كان يتمتع بها . فان صاحب الموهبة لا يمكن ان يخفيها « وان خالها تخفى على الناس تعلم » لانها لا تلبث أن تعلن عن نفسها بنفسها . قد يقال : أن هذا نظم لا شعر ؛ والنظم قد لا يحتاج الى موهبة كبيرة . والجواب : أن كلا من الناظم والشاعر يفترف من معين واحد ، والذي ينظم الشعر يستطيع ان يقرضه ، ويعجبني هنا بيتان اوردهما شاعرنا فى اول صفحة من صفحات « نظم مصطلح الحديث » ، قال يصف « النظم » :

ردت فصاحته ورقة لفظه
وحش الكلام أو انسا بخطابه

كالنحل يرعى المر من نبت الربى
فيصير شهدا فى طريق رضابه

اليس هذا خيال شاعر أصيل ؟

2 ـ ثقافته الواسعة : وخاصة فى علوم الشريعة واصول الدين ، وفى علوم الحديث وعلم اللغة وآدابها .

3 ـ ما احسه فى الطلبة وشيوخ العلم من حاجة ماسة الى توفير مختلف المراجع فى فنون معينة .

4 ـ ما كان يحسه كثير من معاصريه ـ والمصلحين منهم خاصة ـ من ان العلم فى طريقه الى الانقراض ؛ ولذا عمد الى عدة علوم فنظمها شعرا كي يسهل حفظها، ويسهل نطاق تداولها بين عشاق المعرفة من مواطنيه.

5 ـ الرغبة فى الانتاج وافادة الناس بعلمه : فان العالم الذي لا يعمل ولا يفيد ، كالجاهل سواء بسواء ؛ وان العلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر ... هذا وجميع هذه الاراجيز مطبوعة بالمطبعة المولوية بفاس سنة 1327 هـ .

ثانيا ـ في مديح نبي القرءان الكريم :

ويشمل هذا القسم من آثار مولاي عبد الحفيظ قصيدة طويلة عثرت عليها مؤخرا ، واود أن اتحدث عنها لقراء مجلة (دعوة الحق) الفراء فى هذا العدد الخاص ؛ استجابة لرغبة كريمة اعتز بتلبيتها .

جو القصيدة : كتبت القصيدة بخط مغربي متوسط الجمال ، لاتحمل عنوانا وانما أولها : « لمولانا

الى غير من تهوى وتعلم ينقل ؟
رضينا بذل العلم يامى فى الورى
ولو ان ما في الجيب مزجى مقلل
اذا اجتمع الاقوام يوما بمجلس
علا النور من قد كان للعلم يبذل
اذا ما بدا من مشكل القول معضل
يصول به فحل من القوم عبهل (13)
ويحرمه الفدم (14) الضلول جهالة
وقد حال دون الفهم جهل عقنقل (15)
بلى ؛ كل علم من علوم كتابنا
تجاذبه م (16) الجهل من هو اجهل
يحار بها من كان بالعلم وصفه
فكيف جهول ذو اضاليل أثول (17) ؟
اسلمى ؛ تولى النشر والطي محنة

من الناس فى ذا الجيل من هو برعل (18)

وبعد ان يمعن شاعرنا فى وصف سوء الحالة التي وصلت اليها بلاده ، نادبا حظ العلوم ، والحديث ، والبيان ، واصول الفقه ، وفروعه ، والقواعد ، والتفسير ، والمنطق ، يقول :

ومن يدعي بالزور ما ليس عالما
به ، فادعاء القول — يامى — فهلل (19)
تولى ركاب العلم في كل منزل
من الناس يلهو بالمناصب حسفل (20)

وهنا يفحم الشاعر « ربة الجهل » فتستسلم قائلة :

هنالك قالت : ان للعلم منزلا
وان شؤون العلم فى الناس تفضل
الا بئس مال كان وصف رجاله
ذميما ، وهم في الناس غوغاء جهل
عليك بدرس العلم في كل محفل
وجاهد ؛ فخير الخير خير معجل

وهنا يحتفل الشاعر بانتصاره ، ويفخر بقوة حجته ، ويتعالى على محاجته فيهددها قائلا :

فقلت لها : لولا مقال مهذب
ورجعى تبين الحق ، والحق اعدل
لكانت جنود القول مني بسلا
يلاطمها جند لدى الحرب عزل
لها في الوغى يوم اللقاء شهامة
ومن بأسها (21) يخشى اللبيب ويذهل
اذا ما اتت يوما لحي تراهم
عن النطق منها عاجزين واجبلوا (22)
كأن لسان القوم عن رد قولها
عديم ، وما يرجو العديم المؤمل ؟

وبعد ان يسترسل فى الفخر تقترح عليه سلمى ان يتوجه بشعره لتمجيد السلف الصالح فيقول :

فلما بدت مني القوافي تواجدت
وكان لها وجه اغر محجل :
الا فليؤم الشعر منك — كرامة —
اناسا مضوا في السالفين وبجلوا

فيجيبها قائلا :

---

13) فحل عهبل : قوي يعترف الناس بفحولته وفضله .
14) فى الاصل : الفدح ، ولعلها تحريف عن الفدم وهي العيى عن الكلام فى رخاوة وقلة فهم .
15) عقنقل : كبير واسع .
16) م الجهل : على لغة خثعم وزبيد فى حذف نون (من) الجارة .
17) اثول:مجنون،احمق او بطي‌النصرة‌والخير، فى‌الاصل ورد الشطر هكذا : فكيف الجهول ذو الافاضيل الاثول ؟ واصلحناه من اجل الوزن .
18) برعل (كقنفذ) : ولد الضبع او ولد الوبر من ابن آوى . والمراد ان متصرفي هذا الجيل احط الناس قيمة .
19) فهلل (كجعفر) : من اسماء الباطل .
20) فى الاصل ورد الشطر هكذا : من الناس يلهوا من المناصب حصقل ، ولعل الصواب ما اثبتناه ؛ ونرى ان « حصقل » التي لم نعثر لها على معنى ، محرفة عن حسفل (كزبرج) بمعنى الردىء من كل شيء ؛ او محرفة عن حسقل (كزبرج ايضا) : بمعنى الصغير من ولد كل شيء .
21) فى الاصل : بؤسها ، والصواب ما أثبتناه .
22) اجبلوا : من اجبل الشاعر اذا صعب عليه القول .

د ـ الفخر وهو تلك الصفة التي تجعل العالم يذكر خير ربه ، حين يتحدث عن نعمته التي انعم بها عليه ؛ تحقيقا لقوله تعالى : « واما بنعمة ربك فحدث »

هـ ـ ويتخلص الشاعر من كل ذلك بلطف الى الحديث عن الاراضي المقدسة مهبط الوحي وموطن الهدى والرشاد ، ومبعث الحضارة الاسلامية الخالدة، ويثني على السلف الصالح ثناء عاطرا .

و ـ واخيرا يخلص الى مدح النبي صلى الله عليه وسلم ذاكرا مميزاته الخلقية والخلقية ، وفضله على سائر المرسلين ، ومشيرا الى وحيه المقدس وشريعته السمحة وسائر معجزاته الخالدة . كل ذلك فى نفس طويل لا يحد منه كلال او تعب . ويظهر من خاتمة القصيدة ان الباعث عليها ربما كان مرضا الم بالشاعر ، فنذر ان يمدح بها النبي (ص) لتقضى بها رغبته فى الشفاء العاجل . ويظهر ان امله قد تحقق فشفى من المرض ، ونال السرور الذي يجعله دائم اللجوء الى باب المصطفى الكريم ، يطرقها ولا يتحول عنها ابد الدهر ، سواء فى الصحة ام المرض ، فى السراء أم الضراء .

منتخبات من القصيدة :

ولا يمكنني هنا ان انشر القصيدة قضها وقضيضها لاسباب اهمها ضيق الوقت والمجال . وانما اكتفي بنشر منتخبات منها تعبر عن نفسية سلطاننا الاسبق، وتجلو لنا بعضا من صفاته الشاعرية .

قال رحمه الله :

اناخت ببالي ربة الجهل تسأل
وابدت أمورا ربما العقل يقبل

وقالت : ارى ان تترك العلم معزلا
فللجهل اقوام تسير وتدال (6)
اما انهم سادوا ، وشيدت حصونهم ؟
اما انهم فى حبها ـ الدهر ـ او غلوا (7)؟
فمن ذا رايت للعلوم مسارعا ؟
بلى ! كسبه من غير شك سيهمل
ا انت خبير ان للعلم غربة
تقطع اكباد اللبيب وتذهل ؟
لذاك رايت اهله في ثلاثة
الا قبحت تلك الرجال وقتلوا ! :
سفيه باخلاط الكلام معاند
اذا عظته بالحق ، للوعظ يهمل
وشخصان في حب الهوان تمالأوا
على كسب نوع الفلس حتى تمولوا (8)
فقلت لها : هذا كلام مهذب
اريد به علم الشرائع يبطل (9)
فلولا وجود العلم فينا لشيدوا
دعائم من جهل ، وللجهل دول
ولولاه كانت في الخلائق ازمة
وتلك مراد الجاهلين ليجهلوا (10)
وهل تعلمين انني في عصابة
تحرف معنى اللفظ قصدا ليفضلوا ؟
اجادلها حينا وحينا اعامل
بصفح ، وماذا ينفع اللوم ميل (11) ؟

* * *

الى ان قال :

ا اترك علما زاد قلبي صبابة
واشغلت فيه الفكر منذ كنت اعقل
والهو (12) بفلس كسبه عن عجالة

6) تدال : تعدو عدوا متقاربا ، او تمشي مشيا نشيطا .
7) اوغلوا : بالغوا وابعدوا فى الحب . فى الاصل : اوغل بصيغة تفضيل من الثلاثي وغل بمعنى دخل في الحب ؛ وليس مرادا .
8) تمالأوا : بضمير الجمع لا التثنية على اعتبار ان كلا من الشخصين يمثل فوجا او فريقا من الناس على حد قوله تعالى : « هذان خصمان اختصموا في ربهم » . تمولوا : اقتنوا المال ، او كثر مالهم .
9) في الاصل تبطل .
10) ليجهلوا : ليعنفوا ، فلا يحلموا بالناس ولا يرفقوا بالعلماء .
11) الميل : المائلون عن جادة الصواب ، ونصب الشاعر الفاعل هنا ورفع المفعول جريا على قاعدة تقارض اللفظين فى الاحكام اذا امن اللبس ، كما فى قولهم : خرق الثوب المسمار ، وكسر الزجاج الحجر ؛ مع أن المسمار هو الذي خرق ، والحجر هو الذي كسر .
12) في الاصل : الهوا .

ولا علموا وحيا تقادم عهده
ولا ما حوى ذاك الكتاب المنزل

* * *

علونا على الاقوام بالوحي اذ غدا
بطيبة يعلو جبرئيل وينزل

* * *

طعمنا العلى حتى تعاظم قدرنا
وكانت لنا عيشا ، وانه دغفل (36)

ويسترسل مولاي عبد الحفيظ فى تمجيد الرسول الاعظم الى ان يوجه اليه الخطاب قائلا :

تغنت بمدح القول فيك ربيعة
فحنت ، وغنتك الجنون وبجلوا
فانت الذي عم الخليقة بعشه
وقلبك ما عم البرية مرسل
وانت الذي قد لاذ آدم باسمه
ولولاك اضحى امره وهو مشكل
وانت الذي أوتيت خير شفاعة
اذا الرسل من يوم القيامة هللوا
تركت لنا ذين (37) الامانين مرهما :
بنوك الطهارى والكتاب المنزل
غرست لنا في الخير كل أرومة
فأضحى لنا في الناس مجد مؤثل
وبينت فينا ما شرعت من الهدى
فمنه لدينا مجمل ومفصل :
حديث وآى محكمات وسنة
فمن عنها يغدو عاديا فمضلل
فمبلغ علم المرء أنك خير ما
نبي سري ، والامام المفضل

ويطيل مولاي عبد الحفيظ فى ذكر مغازي النبي (ص)ومآثره واخلاقه الكريمة السمحة ، ومقامه السامي بين الانبياء والرسل عليهم السلام ، ثم يتوجه اليه مادحا ومتوسلا الى ان يختم قائلا :

مدحت جنابا شامخا به ارتجي
مطالبنا تقضى ، وبرءا يعجل
واني أتاني الظن يخبر أنها
أتاها قبول واضح ليس يجهل
فنلنا شفاء الجسم من كل علة
ونلنا سرورا دائما لا يزلزل
فأنت ملاذ المستجير وانني
ببابك – طول الدهر – لا اتحول

ونحن بدورنا ، نلوذ – مع شاعرنا الراحل – بحمى الرب العظيم ، وبجاه نبيه المصطفى الكريم ، في هذه السنة المباركة سنة الاحتفال بمرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرءان المجيد ، معجزة الرسول الخالدة ودستور المسلمين وامامهم فى مشارق الارض ومغاربها ، مؤملين ان يرزقنا جميعا الصحة والعافية والهناء والسعادة وتحقيق الاماني ، وحسن الخاتمة والسلام .

تطوان : عبد الله العمراني

---

36) دغفل (كجعفر) : وصف للعيش بمعنى الواسع المخصب .
37) فى الاصل : (تلك) . ولا تطابق حينئذ بينها وبين (الامانين) بعدها . ولذا اصلحتها بكلمة (ذين) تثنية (ذا) اسم الاشارة ، وبذا حصل التطابق واستقام الوزن والمعنى .

فقلت : امهليني يا ابنـة العـم انـنـي
اذا ذكروا نجـدا فانـي افكـل (23)

وان يعد قـوم عن هواهـم فان لـي
بحبهم شـأوا ، وانـي قنئـل (24)

ففي حى هذا القوم بنفسي تطارحـت
ولا ابتغي غيرا ، ولا انا قـردل (25)

* * *

ولا في خبايـا الـود مني تخالـف
ولا لـي مـأوى غيرهـم متنـزل

ولا لي رهـط غيرهـم بـه قربتـي
تطيب وغير القوم عرفـاء جيـأل (26)

ولا لي رهـط غيرهـم بـه غربتـي
تطيب وغير القوم ـ يامى ـ قصعل (27)

ولا تشـن عزمـي عنهـم ام قسطـل
بلى ؛ انني اهدى اذا ضل قوقـل (28)

ولا تشـن عزمـي عنهـم ام قشعـم
ولو ان جيشيها كماة و « قنبل » (29)

* * *

شغفـت بهم طفـلا وكهـلا وانـنـي
ادين بذا لو ان عمري نهشـل (30)

شغفت بهـم طفـلا وكهـلا وانـنـي
كذلك ، او يستكمل العمر نهضل (31)

* * *

بهم ارتجـي كـل المنـى ومآربـي
بهم ارتجي كل العلى ، اني حنثل (32)

* * *

اذا رضيـت عنـي كـرام عشيـرتـي
رضيت وما يرضيني ـ ياسلمى ـ عركل(33)

ثم يخلص الشاعر الى مدح الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فيقول :

محمـد خيـر المرسليـن وجاهـة
لدى ربه يوم المواقف جحفـل (34)

نبـي اميـن صـادق ومصـدق
رءوف رحيـم خاتـم ومبجـل

كريـم عظيـم شافـع ومشفـع
سـري وفـي فاضـل متفضـل

تكامـل خلقـا ثـم خلقـا وانـه
هو الليث والغيث الروى والهبركل(35)

تستر منه الحسن بالحسـن فوقـه
فلـولاه سـترا لم يسعهـم تحمـل

---

23) افكل : وردت فى الاصل بضم الكاف ولعلها بمعنى افتكل : اي احتفل واعتنى . ومن معانيها : رعـدة خوف او برد . وهي لقب الافوه الاودي أيضا.

24) قنئل (وزن زبـرج) : وردت فى القامـوس المحيط بمعنى رقبة الفيل او المرأة القصيرة . وهكذا يتصيد الشاعر الغريب حتى لا نجد المعنـى المـلائـم .

25) قردل : لا وجود لهذه المادة فى المعاجم التي بين أيدينا . ولعلها محرفة عن (قرزل) او (قذعل) بمعنى اللئيم الخسيس .

26) جيأل (معرفة بغير أل وقد تدخل عليها) : الضبع . وعرفاء : صفة بمعنى كثيرة شعر الرقبة . وتطلق ايضا على الضبع .

27) قصعل (كقنفذ) : اللئيم ، وتوجد فصعـل (بالفاء وبنفس المعنى) فهما لغتان فصيحتان .

28) ام قسطل : الداهية ، وقوقل (كجعفر) : ذكر القطا . ويضرب المثل باهتداء القطا فى المجاهل .

29) قنبل : جماعة الناس أو الخيل ، ولعل المراد هنا مقابل اللفـظ الاجنبـي فى الاصـل : « ولو ان جيشها » ولعل الصواب ما اثبتنـاه . وام قشعم هنا بمعنى الحرب .

30) نهشل : مسن مضطرب كبرا .

31) نهضل : رجل مسن هرم .

32) حنثـل : ضعيـف .

33) عركل : العركل الدف والطبـل ، والمـراد هنا اللهو واللعب ، فى الاصل : رضيت وما يرضين ... الخ والصـواب مـا اثبتنـاه .

34) جحفل : رجل جحفـل عظيـم القدر كريـم . .

35) الهبركل (كسفرجل) : الشاب الحسن الجسم

حيث عاصمته (عروس المغرب) طنجة . هكــذا توالت افواج الهداة والقراء عبر التاريخ ترد على المغرب رغبة في تعليمه وتثقيفه وبث آي القرءان في صدور ابنائه دولة تلو اخرى الى ان اتى الله بالدولة العلوية الشريفة ، فكان حظها في نشر الكتاب وفتح معاهده ، واختيار ملقنيه اوفر نصيبا ، واسمى عناية ، فقد عنيت برواتب قراء احزابه بالمساجد صباح مساء ، فضلا عما كان يحبسه بعض الموفقين من ابناء المغرب على مجوديه ومحسني تلاوته في ايام معينة خاصة ايام رمضان ، حيث يقطعون لياليه المشهودة في تراويحه، حتى ان من المحسنين من يفتحون بيوتهم في رمضان لحفاظ الكتاب الكريم فنخنتم بمنازلهم ختمات يغتنمون فضائلها كاسرهم مستمعين لآي الذكر الحكيم تتردد في اركان بيوتهم وقد تاثروا بها راكعين ساجدين ، خاضعين متضرعين الى منزله وحافظه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

واذا علمنا ان القرءان انزل على سبعة احرف – وحملناها على القرءات السبع – فللمغاربة في استظهار القرءان باحرفه ورواياته قصب السبق واليد الطولى في تحمل هذه الروايات بالاخص السبع منها – رواية نافع – وابن كثير ، وابو عمرو البصري، وابن عامر ، وعلي الكسائي ، وعاصم ، وحمزة .

وكانت قراءة المغاربة للعهود الاولى برواية حمزة وحرفه ، ولما رحل محمد بن خيرون الاندلسي الاصل، القيرواني الدار الى الشرق صدر المائة الرابعة – حمل الى المغرب قراءة نافع المدني شيخ مالك امام دار الهجرة (وجاره في تراب البقيع) بالمدينة المنورة .

نعم اختار اهل المغرب قراءة احد راويه – ابي سعيد عثمان المصري الملقب بورش (1) . ولم يمنع هذا ان تعاطي المغاربة دراسة باقي الروايات السبع بل العشر – فقد اعتنت دولتنا العلوية الشريفة بتهييء مدارس وزوايا لدراسة القرءان برواياته واحرفه في عدة نواحي ، فتلك زاوية سيدي زوين – وزاوية زرهون (مدفن المولى ادريس الاكبر – الفاتح) وسواها من الزوايا والكتاتيب المنتشرة في السهول والجبال التي اسست على بث القرءان في الناشئين على اختلاف رواياته فضلا عن الدراسات القرءانية التي كانت تعج بها المساجد بالاخص كلية القرويين – ما شئت من دراسة منظومات ابن بر الرباطي التازي (2) وابي الخير شمس الدين محمد الجزري – ولامية ابي محمد قاسم الرعيني الشاطبي وسواها من المصنفات في الفن الذي وجد تشجيعا على السير قدما تدريسا وتاليفا حيث انبرى لذلك جمهرة من علماء المغرب كابي عبد الله محمد (3) بن ابي جمعة الهبطي فاعتنى بوضع وقف آيات الكتاب الذي جرى عليه اهل المغرب ، نعم وقع له شيء خفيف في بعض الوقفات ، ذلك ما حفز العلامة الصوفي محمد بن المهدي بن احمد الفاسي (شارح دليل الخيرات) – لوضع رسالة ضمنها احكام تلك المواضيع سماها : « الدرة الغراء في قف القراء » كما الف في الموضوع تاليفا مستقلا الاستاذ محمد بن عبد السلام الفاسي ، وقد اخبر الاستاذ محمد المعاشي شيخ شيخنا المحدث الكبير ابي شعيب الدكالي المرحوم الاستاذ المكي بربيش قائلا : كان بدكالة 18 استاذا يدرسون الجعبري (4) .

ومن رجالات الفن ورواده المغاربة – الشريف الاستاذ شيخ القراء في عصره ت – 1257 – 1841 ابو العلاء ادريس ابن عبد الله الودغيري الحسني الشهير بالبكراوي ، كان مجودا للقراءة لا يضارعه احد في التجويد ، واليه المرجع في علوم القراءة اخذها عن الشيخ محمد بن عبد السلام الفاسي صاحب الحاشية على الجعبري على الشاطبية عن الاستاذ عبد الرحمن (5) المنجرة عن والده ادريس ؛ ومن مؤلفات الشيخ المنجرة هذا – شرحه ، نظم السجلماسي في الهمز وكيف يوقف عليه .

وقد لا يبعد ان تكون هذه الاستاذية تسلسلت منحدرة من ابي الحسن على بن عيسى الراشدي استاذ القراءات في الدولة السعدية – وقواعد اللغة

---

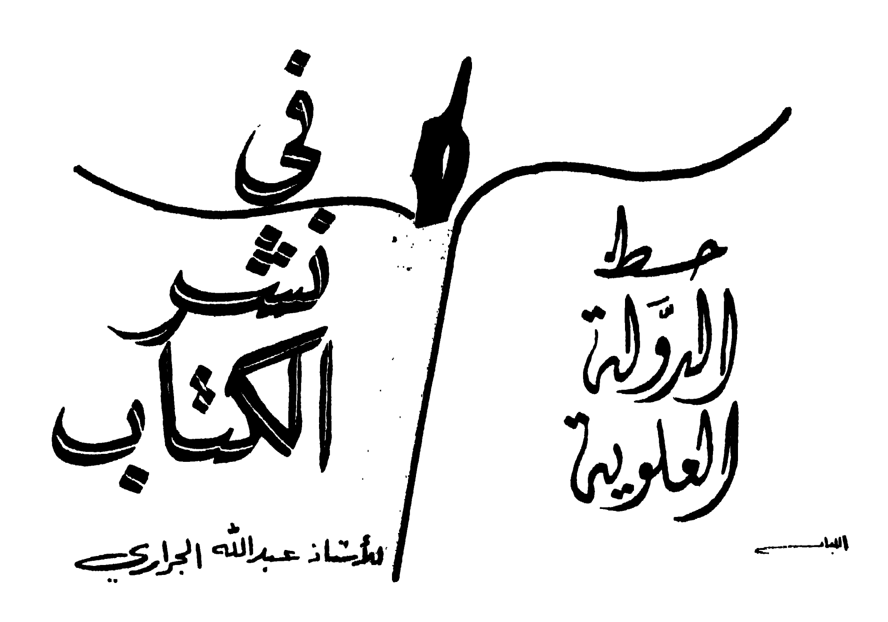
1) رحل من مصر الى المدينة سنة 155 وقرا على نافع ختمات ورجع الى مصر حيث انتهت اليه رياسة الاقراء بها .

2) نسبة الى رباط تازا – عتبة المغرب ، احد كتاب الدولة المرينية .

3) توفي سنة 1135 .

4) وهذه الظاهرة وحدها تدل القارىء على النهضة العلمية القرءانية التي كان يتوفر عليها المغرب في ناحية من نواحيه فكيف الى آخره ؟ .

5) تاريخ 1179 هـ .



العناية بكتاب الله تعالى شيء قد لا يحتاج الى بحث وتدليل . انه امر اصبح بين المسلمين فطريا ينشأون عليه منذ الطفولة الاولى ـ من فجر نزوله الى حد الساعة والى ما شاء الله خلوده ، حيث يتلقاه الخلف عن السلف استظهارا فى الصدور ، مؤمنين بما ورد عن الرسول الاكرم فى حامليه من فضل ـ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشراف امتي حملة القرءان واصحاب الليل » كذا رواه البيهقي فى شعب الايمان وفيه ايضا : ثلاثة لا يكترثون للحساب ، ولا تفزعهم الصيحة . ولا يحزنهم الفزع الاكبر ـ حامل القرءان يؤديه الى الله . يقدم على ربه سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين . الحديث . وروى البخاري فى صحيحه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه . ونصه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلم القرءان وعلمه » .

وكان الامام ابو عبد الرحمن السلمي التابعي الجليل يقول لما يروي هذا الحديث عن عثمان : هذا الذي اقعدني مقعدي هذا ـ يشير الى كونه جالسا فى المسجد الجامع فى الكوفة يعلم القرءان ويقرئه مع جلالة قدره ، وكثرة علمه ، وحاجة الناس الى علمه ، وبقي يقريء الناس بجامع الكوفة اكثر من اربعين سنة وعليه قرأ الحسن والحسين رضى الله عنهما .

ومن وراء هذه الحالة الخالدة ، والانبعاث الجديد ، والطفرة الموفقة التي كان الفوز فيها حليف المغاربة اذ فكر المسلمون وبناة قواعد الدين تفكيرا جديا فى اخوانهم البرابرة من الناحية الثقافية او التعليمية بتعبير أوضح حسب الوضعية التي كانوا عليها لاول عهدهم بالاسلام حيث جاء التعرف بدينه الحنيف وتفهمه ، وتعلم لغته .

وكان من الطاف الله تعالى ـ ان الهم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ـ فبادر رحمة الله عليه للامر بتعليم البربر الاسلام بمجرد جلوسه على عرش الخلافة سنة 99 ـ 717 م فوجه عشرة من التابعين وصلاح العرب لتعريف الناس بأمور دينهم ، وكان من بين هؤلاء المعلمين حبان بن ابي جبلة .

ولم يكن للراغبين فى الاسلام من اهل المغرب مفر من اللجوء فى تعرف امور الدين الى العرب رسل الرسالة ، وهداة الشعوب .

فهذا القائد موسى بن نصير الوارد على المغرب بعد حسان بن النعمان سنة 87 ـ 705 . اهتم اهتماما كبيرا بالزيادة فى نشر الدين واللغة العربية ، ورتب طائفة من العرب ليعلموا البربر القرءان (1) وفرائض الاسلام ، وادخل فى حظيرة الاسلام والعروبة اصقاعا شاسعة بالمغرب الاقصى ، وجعل مولاه طارقا عليه

(1) على نحو ما كان فى الشرق ومهبط الوحي .

عيد الأمل

للشاعر: المدني الحمراوي

ذكرى جلوسك فى أعماقنا وتــــر من لحنه منبع الالهام ينفجـــــر
فكل روح بها هامــت مدلهـــــة وكل فكر بما توحيــه يعتبــــر
عيد على أفقنا لاحت بشائـــــره للعرش والشعب فيه موقف عطــر
آمـــال أمتنــا بــه معلقـــــة يصدق السمع فيه ما يرى البصـر
عرش مفاخره فى الدهر خالـــدة حياته نعم للشعـــب تدخـــــر
ولا كنعمته البيضـــاء فى حســـن فانه نعمة جلــى لهـــا خطـــر
جلت به نعمة سبحـــان واهبهـــا انا بموقفه المشهـــور نفتخـــر
لولا شهامته كانــت كرامتنـــــا تحت النعال وكان الحق يندحـــر
لكنه أبـــدا سبـــاق أمتـــــه الى مفاخرها ما فاتــــه بشــــر
تحمل العبء فى حزم فقـــام بــه وسل عزما الى العلياء يبتـــدر
فكان ما أوقف الدنيا وأقعدهـــــا من منجزات له فى الحكم تشتهـر
طوى مراحل لم يحلم بها أحـــــد فكل ساعاته فى الكد تنحصــــر
وأسرع الخطو فى انهاض أمتـــه فلا تثبطه الاتعـــاب والسهـــر
يحب أمته فاضــت قريحتــــــه وعن مشاكلها ما صده ضجــــر
ومن حضارتها الهـــام فكرتـــه ومن تواريخها لعقلــــه عبـــر
ومن تقاليدها يسقى مشاعــــــره وهمها همه ففيـــه ينصهــــر
أخ لها وأب فى كـــل نائبـــــة بفيض راحته فى العسر تنجبـــر

والادب – استهل عمله العلمي في فاس بتدريس الكراريس – المنظومات الاولية المتعلقة بضبط القرءان ورسمه وتجويده، ثم اسند اليه كرسي الشاطبية الكبرى بمسجد الشرفاء.

والدولة العلية بالله لا تألو جهدا في النهوض بالميدان العلمي خاصة القرءان وعلومه، فقد رتبت جماعة من حفاظه لقراءة الحزب يوميا بالروايات السبع – بفاس ومكناس والرباط – ادركنا طائفة من المهرة فيها يقراون الحزب بالاحرف السبعة عقب صلاة العصر بالزاوية الرحمانية بالرباط، هم : الاساتذة : محمد المهدي متجنوش، والعربي الزناتي، وصالح بن عسيلة الضريرين، ومحمد المدور، ومحمد الشاذلي، والمكي ابن احمد بربيش. (1) رحم الله الجميع.

ومما انتجته تلك التلاوة الجماعية بالروايات – ان قامت هيأة من طلبة الرباط وعلى راسها الاستاذ المرحوم المكي بربيش المذكور، فطلبت من شيخنا الحافظ ابي شعيب الدكالي ان يدرس معها لامية الشاطبي وفعلا اجاب الرغبة وقراها معهم بشرح المقريء ابن القاصح بالزاوية الناصرية التي كانت بها جل دروسه (2).

ومن مبرات الدولة وتوقيرها لحاملي القرءان لا سيما دارسيه بالسبع او العشر اعفاؤهم من التكاليف والمشاق كيفما كان نوعها اعتبارا لاصطفائهم وامتيازهم عن الغير (3)، وقد تجلى هذا المدلول في عصر الحسن الاول قدس الله روحه، بل كان نفس المعنى يشمل علية العلماء وحفاظ كبريات المتون العلمية، كمختصر الشيخ خليل.

وقد يبدو ان ذلك منهم كان (علاوة على الاحترام) تنشيطا لهم على اداء رسالة التبليغ في انشراح وبعد عن كل ما يمكنه ان يشغل الفكر ويقف حجر عثرة في السير المنتظم الرتيب حفاظا على هذا القطاع الثقافي المقدس.

فكان ملوك الدولة ينظرون بعيدا الى المرافق من جميع جوانبها واضعين الاشياء موضعها حيث يسود الاستقرار والطمأنينة ; ومن العناية التي جبلوا عليها انهم كانوا يختارون للتراويح في رمضان حفاظا مهرة في القرءان وتجويده من الرباط وسلا طوال ليالي رمضان.

وان يفتخر المغرب اليوم رافعا راسه بين بقية الامم الاسلامية ومحلقا في اجواء العناية الربانية – فليفتخر بالذكرى المقدسة التي اقامها الملك المعظم الحسن الثاني ايده الله في رمضان (1387 – 1968) « ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان ».

فألقى حفظه الله ليلة القدر بعد صلاة العشاء بمسجد اهل فاس قرب القصر – خطابا قيما حضره اعضاء الدولة، والسفراء المسلمون، وعلماء الشعب والعلماء المدعوون من سائر الاقطار الاسلامية.

ذكرى هزت النفوس، واحيت القلوب – فامتاز رمضان المبارك باشراقاتها مما لم يسبق له نظير فيما عشناه وعهدناه.

فقد لمعت آيات الكتاب المبين في الصدور، ودوت رنات الوحي في اعماق المومنين، ولمعت الانوار في الاركان، وتمنى كل مسلم لو تطول تلك الايام ويمتد زمان رمضان اكثر – فضلا عن الدروس السلطانية التي كان يرأسها الحسن الثاني حفظه الله وعلاوة على المهرجانات الاخرى التي اقيمت كارهاصات للذكرى، وما كانت تعج به المساجد والاندية من دروس ومحاضرات; وقد لا ينسى التاريخ الكلمات الارتجالية التي فاه بها الملك المعظم حفظه الله – كاجابة عن تهنئة علماء الاسلام له بمناسبة عيد الفطر السعيد التي كانت كلها توجيهات ناهضة محركة تفيض صدقا وايمانا جاء فيها :

« جهادنا – هو العمل على ان يصبح كتاب الله عملة خلقية وانسانية وقانونية ».

ولقد تفضل حضرة وزير التربية الوطنية اخونا الاستاذ السيد عبد الهادي بوطالب – فتحدث عن المهرجانات والذكريات التي اقيمت في رمضان (1387 – 1968) محللا ما احتوته من مفاهيم ومدلولات (بواسطة التلفزة) بما يشفي ويكفي.

الرباط : عبد الله الجراري

---

1) اخذ عنه الكاتب القرءان برواية ابن كثير، واجازه بما اجيز به من طرف الاستاذ محمد المهدي متجنوش.

2) ولاحظ اثناء دروسه ملاحظات على وقفات الشيخ الهبطي المشار اليه في صلب الكلمة لا اطيل بذكرها.

3) يقول الله تعالى في سورة فاطر الاية 32 : « ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا »، الاية.

أبو عبد الله الهبطي
واضع وقف القرآن بالمغرب

للأستاذ سعيد أعراب

امتاز المغاربة ـ منذ قديم ـ بحفظ القرءان وتجويده واتقانه ، وعنوا عناية خاصة بقراءاته ، ومعرفة وجوه رواياته ؛ وسيطروا على هذا الميدان سيطرة تامة ، حتى لا يكاد يشاركهم فيها سواهم ، ولا سيما فى العصور المتأخرة ، فقد كان فى كل بلد مدرسة ، وفى كل مكان امام يرجع اليه .

وخلفوا ثروة هائلة ، اخذت جانبا كبيرا فى المكتبة المغربية .

وللاسف ، فقد أفل نجم هذا الفن ، ودالت دولته ؛ والذي يحز فى النفس ، ويبعث على الاسى والحسرة ؛ ان يضيع هذا التراث الضخم ، ولا يحظى بأي اهتمام من رجال الفكر واهل البحث .

وقد حاولت منذ مدة ، ان اضع فهرسا للمكتبة القرءانية بالمغرب ؛ وجردت من ذلك ما يشبه ان يكون معجما للقراء المغاربة عبر عصور التاريخ .

ولمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان العظيم ، وقد توج هذه الذكرى صدور « مصحف الحسن الثاني » فى حلته القشيبة ، واخراجه البديع ـ احببت ان اتحدث عن امام من ائمة هذا الفن ، كرس حياته لخدمة القرءان ، فأصبح الامام المقتدى به فى افريقيا كلها ؛ ذلك هو ابو عبد الله محمد بن ابي جمعة الهبطي السمات ، واضع وقف المصحف المغربي .

ولد ابو عبد الله الهبطي فى حدود منتصف القرن التاسع الهجري ، بقرية اهباطة من قبيلة سماتة ، احدى قبائل شمال المغرب ، على بعد نحو 50 كيلو مترا من مدينة العرائش ، ونجهل كل شيء عن حياته الاولى ، فلا ندري اين تعلم ؟ ولا على من اخذ ؟ .

وجبال الهبط فى هذا الظرف بالذات ، كانت مزدهرة بعلم القرءات وشيوخ الروايات ؛ وكل ما نستطيع ان نقول ، انه دخل الكتاب على عادة ابناء البادية ، فحفظ القرءان وجوده ؛ ثم رحل الى فاس ، فاخذ عن علمائها ومشايخها ؛ وهنا تطبق كتب التراجم بالصمت ، فلا تذكر من شيوخ الهبطي الا ابن غازي ، كشيخ له في القراءات ؛ والواقع ان الهبطي اخذ عن عدد وافر من رجالات الفقه والعربية ، والحديث والتفسير ، وعلم القراءات ، وربما كان ابن غازي آخر من اخذ عنهم من كبار شيوخ فاس ، كما انها لا تذكر من تلاميذ الهبطي ، الا ابا عبد الله محمد بن علي بن عدة الاندلسي ، وهم : ـ فى الحقيقة ـ جم غفير لا يكادون يحصون كثرة ؛ فالرجل سلخ الشطر الاكبر من حياته فى تعليم القرءان، وتلقين رواياته ، وقد طال عمره فالحق الاحفاد بالاجداد .

عاش أبو عبد الله الهبطي العصر الوطاسي ، وفاس لهذا العهد ، قد جمعت بين محاسن الشرق والغرب ، تعج برجال الفكر ، يتقاطرون عليها من كل حدب وصوب .

ويحدثنا فى هذا الصدد ابو الحسن بن ميمون (ت 917) فيقول : « اني ما رايت مثلها ومثل علمائها فى تلمسان وبجاية ، واقليم الشام باسره ، وبلاد الحجاز ومصر » . ويقول : انه ما راى مثلها ومثل علمائها فى غزراة الحفظ لنصوص المذهب ونصوص كل علم من العلوم » .

وكانت علوم القرءان ، تكاد تطغى على كل علم ، فقلما تجد عالما ليس له حظ من علم القراءات ، بل كان هناك مختصون ، لا يزاولون سواها من العلوم ؛ وابو عبد الله الهبطي من هذا القبيل ، فقد كرس حياته

فمحضتــه ولاء كلــه ثقــة وكله بعميق الحــب ينهمــر

اذا رأت شخصه فاضت مسرتهــا وهنأت نفسها واهتاجت الفطــر

وان يسافر تكن أرواحها رفقــا وان يعد فكأن الحشر منحشــر

بذكره رصعت أشعار عزتهــا وباسمه تتغنى البدو والحضــر

وبين أضلعها صانــت أريكتــه قلوب أمتــه لعرشــه أطــر

مفاخر الحسن الثانى اذا ذكــرت فانها بحروف النور تستطــر

به العروبة والاسلام قد رفعــا رأسيهما فبدا ما كـاد يندثــر

فعرشه لهما حصن اذا فزعــا وانه مطمح الاحرار والـــوزر

عرش على أسس التقوى قوائمــه بسطوة الحق والاخلاص ينتصــر

ما كان معتديا يوما على أحــد ولا تملكه بغـــى ولا بطــر

من بيت خير الورى حماة حوزتــه على مناقبهم فى الفضل يقتصــر

هم المصابيح لا يخبو لها وهــج بهم تعطرت الاخبار والسيــر

بشرى لامتنا بعرش دولتهــم فلن تخيب وآل المصطفى نصــروا

ميراث أسرارهم أفضى الى حسن لا غرو ان خصه بالرفعة القــدر

الحلم شيمته والعدل سيرتــه والعلم رائـــده ونطقـــه درر

مولاى عشت لشعب أنت مهجتــه مؤيدا ومباركا لـــك العمــر

وعاش شبلك فى ألطاف واهبــه وحقق الله ما ترجو وتنتظــر

الرباط : المدنى الحمراوى

واخطأ بعضهم فجعل تاريخ وفاته سنة 963 ظنا منه انه هو الهبطي الصوفي ابو محمد دفين المواهف قرب شفشاون . كما توهم بعضهم انه الهبطي ابو عبد الله نجل الصوفي المذكور ، وكان قاضيا بفاس توفى سنة 1001 وهو دفين الزربطانة . ولا تعرف من آثار الهبطي مترجمنا ـ الا هذا الوقف الذي قيده عنه تلاميذه ، ولم يدونه فى كتاب كما يتوهمه الكثيرون .

ولعل السبب فى ذلك يرجع الى اهتمامه بالقرءان، واشتغاله بتعليمه ، واخذ الناس عنه ، فلم يهتم بالتاليف ، ولا بأي علم من العلوم الاخرى . يرى عن ابي عبد الرحمان السلمي انه كان يحدث الناس بحديث عثمان بن عفان : « خيركم من تعلم القرءان وعلمه » ويقول هذا الذي اقعدني مقعدي هذا يشير الى كونه جالسا فى المسجد الجامع بالكوفة ، يقريء الناس القرءان ويقراه ، مع جلالة قدره ، وحاجة الناس الى علمه ؛ وبقى يقريء الناس بجامع الكوفة اكثر من اربعين سنة ، وعليه قرا الحسن والحسين رضى الله عنهما .

وهنا يجب ان نشير الى خطا وقع فيه بعض المؤرخين ، فقد ذكروا ان الهبطي اخذ الوقف عن ابن غازي ، وعنه قيده .

ومنشا الخطا ـ فيما اعتقد ـ هذه العبارة التي وردت فى نشر المثاني (ج 1 : 19) هكذا : « وهو (اي الهبطي) اخذ عن ابن غازي ، وعنه قيد الوقف » ـ اي عن الهبطي قيد الوقف بضم القاف وكسر الياء ، مبنيا للمجهول . وربما ذهب الوهم بالقاريء الى قراءته بفتح القاف والياء مبنيا للمعلوم ـ وهي قراءة غير صحيحة كما لا يخفى . ويؤيد ما ذهبنا اليه امور . :

1 ـ وردت نصوص توضح هذه العبارة بكل جلاء ، تجدها فى شرح الدالية لابي زيد المنجرة ، والمحاذي لابن عبد السلام الفاسي ، والسلوة للكتاني، وسواها .

2 ـ هناك رواية نقلها غير واحد ، تذكر ان السنوسي ورد على فاس وناظر الهبطي فى الوقف الذي اصطلح عليه ، ثم اذعن واخذ عنه ، كما اشرنا الى ذلك آنفا ؛ ومعلوم ان السنوسي توفى سنة (895) وهي السنة التي قدم فيها ابن غازي على فاس واستوطنها، ثم تصدر للاقراء بها فيكون الهبطي وضع الوقف ، وتناقله الناس عنه ، قبل تلمذته لابن غازي بزمان . واخذ الشيوخ بعضهم عن بعض ليس فيه غضاضة ، فهذا السنوسي اكبر سنا من الهبطي ، وقد اخذ عنه ، فهو من رواية الاكابر عن الاصاغر المشهورة فى علوم الحديث .

3 ـ ان النسخ التي بين ايدينا من وقف الهبطي، كلها تحمل عنوان « تقييد وقف الهبطي ـ لبعض تلاميذه » .

فالتقييد ليس من صنع الهبطي ، وانما هو من عمل بعض تلاميذه .

وقد وقفت على نسخة مهمة بالمكتبة العامة للمدينة المنورة ، بخط مغربي ، من اوقاف رباط سيدنا عثمان تحمل رقم 620 .

عليها تعاليق لبعض القراء المغاربة ، كالقدومي ، وابي علي الزياتي ، وابي العباس الصغير ، وابي فارس الزياتي ، ومحمد بن يوسف وابي القاسم ابن القاضي ؛ وهذه التعاليق تلقي اضواء كاشفة عن المصادر التي اعتمدها الهبطي فى وقفه ، كوقف الداني ، والنحاس ، وابي بكر الانباري ، وما الى ذلك مما يبين وجهة نظره فى المواضع التي انتقدت عليه وبعضها لم تثبت روايتها عنه ، ولم توجد فى النسخ المنسوبة اليه كما ، تذكر هذه التعاليق .

ومن الذين الفوا فى الموضوع ، وتتبعوا المواضع التي بدا لهم فيها ضعف وجهة نظره ـ ابو عبد الله محمد المهدي الفاسي (ت 1109) فى كتابه (الدرة الفراء ، فى وقف القراء) ، ولم اقف عليه . وكذلك ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي (ت1214) فى بعض مؤلفاته ، وقد قرات فصولا منها ـ وهذا الاخير ينصف الهبطي كثيرا ، ويقدره قدره . وقد انشد في هذا الموضوع : « كفى المرء نبلا ان تعد معايبه » ومهما يكن من امر فان الامام الهبطي ، له فضل كبير على المدرسة القرءانية بالمغرب ، التي ظلت ثابتة الاركان شامخة البنيان ، قرونا واجيالا ؛ وصارعت الزمان فى عصور حالكة ، كان صرح الاسلام فيها متصدعا ، وصوت الحق بها خافتا ؛ فلم يزل القرءان ـ ولله الحمد ـ الشغل الشاغل لاسلافنا رحمهم الله ـ محفوظا فى صدورهم ، مكتوبا فى مصاحفهم ، يتعلمونه صغارا ، ويرعونه كبارا ؛ سواء فى ذلك ، الرجال والنساء ، والسوقة والامراء ؛ وتلك منقبة يفخر بها المغاربة على من سواهم ، وصدق الله العظيم : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » .

ولنا عودة الى الموضوع فى فرصة اخرى بحول الله .

تطوان : سعيد اعراب

لخدمة القراءن ، تفهما وتعليما ، فادرك فحواه ومغزاه، وعرف أسراره واحكامه ؛ فقضى في محراب القرءان خاشعا متبتلا زمنا ليس بالقصير ، يعيش انواره ومعارفه ثم طلع على الناس بمذهبه الجديد في الوقف، وقد بناه على مقاييس محدودة ، وقوانين مضبوطة ، وقواعد مدروسة ، ترجع في جملتها الى الاعراب والمعنى ؛ وربما كان بعضها خاضعا لفن العربية ، وبعضها لعلم التفسير ، والبعض الاخر لمدارك الفقه والتشريع ، او لوجه من وجوه القراءات ، او لاسرار وحكم اخرى ، قد لا يدركها القارىء العادي ، وانما يعقلها العالمون المختصون في هذا الفن .

وقد وجهت اليه انتقادات ، واثيرت حوله ادعاءات ، وارتفعت أصوات هنا وهناك ؛ ولكن ابا عبد الله الهبطي ، وقف كالطود الشامخ ، لا تؤثر فيه الزوابع ، ولا تنال منه العواصف ؛ وظل ينافح عن مذهبه ، ويناضل عنه بالحجة والبرهان ؛ حتى رست قواعده ، وطبقت مناهجه في الحواضر والباد ، وفي كل مكان وناد ، واصبح المذهب المعمول به في سائر جهات المغرب ، بل وفي افريقيا كلها ، بيد اننا نجهل الدواعي التي دفعت الهبطي الى وضع وقفه ، وحمل الناس على اتباعه ؛ وقد نزعم بان الذي حمله على ذلك، ما كان عليه الناس من انحراف في التلاوة ، وخطأ في الاداء ؛ يقفون على غير ما ينبغي الوقوف عليه ، ويصلون ما لا يجوز وصله ؛ وربما وصلوا آية الرحمة بآية العذاب ، وبالعكس ؛ فيفسد المعنى ، ويضيع الغرض الذي نزل من اجله هذا الكتاب الاقدس .

وقد يضطر احدهم الى الوقف ، فلا يدري كيف يقف ؟ ولا اين ؟ سيما وقد اشتهرت بين الناس في هذا العصر ، وقبله لازمان — صناعة الارداف في القراءات ، فيقفون وقوف اختلاس ويجرون الوصل مجرى الوقف ، حتى ان احدهم ليسقط سقوط المصروع بالجان . فراى ابو عبد الله الهبطي ان يضع لهم هذا الوقف ، كمراحل ينزل المسافر بها ، ويتجدد نشاطه من اجلها ؛ فحدد المواضع التي يقف فيها القارىء ، يدفع النفس الحار ، ويجلب عن النفس البارد ؛ وبذلك يندفع عنه التعب والحرج ، وتقع له الاستراحة الداعية للوقف ، ثم يستانف القراءة مما بعد الكلمة الموقوف عليها الى الموضع الذي يقف عليه ثانيا ؛ وهكذا الى ان يقف وقوف انقطاع ، وينتهي من القراءة . قد يكون ذلك لا على ان الوقف مما ينبغي تعلمه ، ولا يجوز للقارىء جهله ، وقد قال الامام الانباري في قوله تعالى : « ورتل القرءان ترتيلا » ، ان هذه الاية تدل صراحة على وجوب تعلم الوقف وتعليمه» قال علي (ض) الترتيل ، تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف . فهذا واجب ربما اهمله الناس ، فندب الهبطي نفسه للقيام به وجند في سبيله كل قواه .

بقي هناك سؤال آخر ، يجب ان نضعه على انفسنا ، وهو : ما هي الاسباب التي جعلت مذهبه ينتشر بهذه السرعة داخل المغرب وخارجه ؟ وقد كانت قبله مذاهب ، والفت في الوقف مؤلفات لم يلتزم الناس العمل بها لا قديما ولا حديثا ؟ . واذا رجعنا الى المصاحف القديمة بالمغرب ، لم نجد اية علاقة على الوقف وانما الموجود بها علامات الاوس الآى .

قد تزعم ايضا بان الروح المعنوية التي كان يتحلى بها الامام الهبطي ، والانتصارات التي سجلها على خصومه المناهضين له ، هي التي جعلت مذهبه ينتصر، ويحمل طابع الخلود ، فيتلقاه الناس بالقبول ، ويجري به العمل الى يوم الناس هذا .

ويلمح الى هذا المعنى ابو عبد الله محمد ابى عبد السلام الفاسي في كتابه المحاذى ، فهو بعد ان اورد قصة السنوسي مع الهبطي ، ومناظرته له قال : «وكان الهبطي من اصحاب الاحوال ... فلم يسع السنوسي الا التسليم ، وكان ذلك سبب اقبال الناس على ما قيد عنه من الوقف » .

وكان ابو عبد الله الهبطي ، رجل علم وعمل ، وفضل وصلاح ، خيرا تقيا ، ورعا زاهدا ، فقيها فرضيا، متبحرا في علوم العربية ، عارفا بالقراءات ووجوهها . وقد حلاه في السلوة ، بالشيخ الامام ، العالم الهمام ، الفقيه الاستاذ، المقرىء الكبير النحوي الفرضي الشهير، الولي الصالح ، والعلم الواضح ، ثم قال : « وكان عالم فاس في وقته ، استاذا مقرئا ، عارفا بالقراءات ، مرجوعا اليه فيها ، وكان موصوفا بالخير والفلاح ، والبركة والصلاح ، ذا احوال عجيبة ، واسرار غريبة .. »

على اننا اذا رجعنا الى التاريخ نجد ان المغاربة نزاعون الى الوحدة بطبيعتهم ، فهم في الفقه على مذهب مالك ، وفي العقيدة على مذهب الاشعري ، وفي التلاوة على قراءة نافع برواية ورش ؛ فغير بعيد ان يختاروا مذهب الهبطي في الوقف .

توفى ابو عبد الله الهبطي سنة ثلاثين وتسعمائة (930) ودفن في روضة الزهيري بطالعة فاس .

ودونك ثالثا المولى عبد الحفيظ السلطان العالم واضع منظومة فى مصطلح الحديث واخرى (1)فى كتاب « المغنى اللبيب » ، وكتاب تحت عنوان « ياقوتة الحكام فى مسائل القضاء والاحكام » ، وكتاب « العذب السلسبيل فى حل الفاظ خليل » .

وهذا الحب والشغف والتعلق بالمعارف يبرز لنا جليا ايضا فيما كان يضطلع به السلطان المولى عبد الرحمن ابن هشام المتوفى سنة 1276 ه من احياء لشعائر الدين والعناية بالثقافة الاسلامية ورعاية حامليها والمتعطشين الى الارتواء من موردها ، وليس يكشف لنا عن هذا الامر الا الظهائر التي كان يحررها فى شأن العلم ويقترح فيها النظام المجدي فى تحصيلها والافادة منها افادة تعود بالخير العميم على المتلقي التواق الى كل ما يصقل عقله .

ومن بين هذه الظهائر التي تظهر لنا الاهتمام البالغ بالعلم والمعارف ظهير اصدره الى قاضي فاس المولى عبد الهادي مؤرخا فى 12 محرم الحرام 1261 ه نقتبس منه ما يلي نظرا لطوله :

« ولد عمنا الارضى الفقيه القاضي مولاي عبد الهادي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته وبعد فقد بلغنا توافر طلبة العلم على العادة وجدهم فى الطلب غير انه قل التحصيل والافادة وذلك لمخالفة الفقهاء فى اقرائهم عادة الشيوخ ، واعراضهم عما ينتج التحصيل والرسوخ فان الفقيه يبقى فى سلكة سيدي خليل نحو العشر السنين وفي الالفية العامين والثلاث اكثر ما يجلب من الاقوال الشاذة والمعاني الغريبة الفاذة وكثرة التشغيب بالاعتراضات وردها ، ومناقشة الالفاظ وعدها ويخلط على المتعلم حتى لا يدري الصحيح من السقيم .

الى ان يقول المولى عبد الرحمن :

« فبوصول كتابنا هذا اليك اجمع المدرسين وارشدهم لما فيه المنفعة العامة والافادة التامة ، وهو الاقتصار فى التقرير على حل كلام المؤلفين وافهامه للسامعين المتعلمين مع التنبيه على ما فيه من خطا وتحريف من غير اكثار هذر ولا تشغيب بترداد اعتراضات وطرر اذ المقصود هو حصول الفهم والافادة، والمناقشة فى الالفاظ انما هي لغو وزيادة وليست لاهل التحرير بعادة .

ويختم الظهير بقوله :

فينبغي حمل الطلبة على الاليق بحالهم من الدءوب والاطالة ، ومواصلة الطلب وترك البطالة والسلام (2).

وفي غمار هذه المبرات مجتمعة كان لابد للشعر ان ينتفض انتفاضته الرائعة ليعبر اذ لامناص له من تعداد حسنات اتت اكلها وازهرت فأخرجت ثمارا دانية القطوف .

فهذا الشاعر السيد محمد العلوي الشنقيطي يقول مادحا الخليفة المولى عبد الرحمن من قصيدة طويلة :

عمرت عمرت من عهد الشريعة ما
باض النعام بدور منه أدراس
داركتها بعدما مالت دعائمها
فاستحكمت واطمأنت فوق آساس

وكذلك يهتف شاعر فحل هو الوزير السيد محمد بن ادريس الكبير العمراوي راسما مناقب المولى عبد الرحمن فى رائية طويلة النفس :

وقام بنصر الحق ، بالحق فاعتلى
به ركن هذا الدين واعتصم الثغر
ولم تلهه عن لذة الدين امرة
ولا عن طلاب المجد خود ولا قصر

وغير هذا ، وغير هذا كثير وكثير مما لهج به شعراء العصر العلوي

وايضا يتجلى اهتمام ملوكنا العلويين بالعلم والعلماءفى تلك المجالس العلمية الرائعة التي لم تكن تصرفهم عن حلاوتها تبعات الملك واعباء السياسة ، ولم يلههم عن عذوبتها زخرف الدنيا ؛ لانهم يعرفون مسبقا ان التماسك الحضاري والاضطراد التقدمي لا يتحقق الا على اساس العلم والعرفان ، وليس أدل على ذلك من ان السلطان المولى محمد ابن عبد الله استقدم الى حضرته كبار العلماء وخصص لهم وقتا معينا لطرح القضايا العلمية ، وكان ذلك بعد صلاة الجمعة ، وكان من مجالسيه امثال السيد محمد الغربي والسيد محمد المير والسيد عبد الرحمن بوخريص والسيد محمد بن عبد الصادق والسيد عبد الرحمن المنجرة والسيد علي بن ادريس الفيلالي

1) طبعت بالمطبعة المولوية بفاس 1330 ه
2) الاتحاف ج 5 ص 118 ـ 119 ـ 120 ـ 121 لابن زيدان .

لمحات من الاسهام العلوي في خدمة العلم ورعاية العلماء

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

ان قصة العناية بالعلم والعلماء على عهد الملوك العلويين لشيقة تحفل بكل جديد مثير وتزخر بكل ثمين عذب ؛ ذلك ان شمس هذه الدولة الشريفة منذ ان اشرقت شمسها على ربوع المغرب وغمرت وهادها ونجودها ، والقائمون بها يمدون الظلال المعرفية الوارفة لتتفيأها الامة المتطلعة الى المجد والشموخ .

وليس هذا قولا تضافرت على خلقه الاستعارة والمجاز ، انما هو واقع حي تدعمه البراهين ، وتشهد له الحقائق ، فمن يستطيع ان ينفي وجود شخصيات عملاقة انطلقت في هذا العصر العلوي من قماقمها انطلاقة الصاروخ تبني المجد الادبي والعلمي ، وتبرز العبقرية الفكرية العظيمة امثال ابن ناصر المتوفى سنة 1089 هـ وعبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1091 هـ والامام اليوسي المتوفى سنة 1102 هـ وابن زاكور المتوفى سنة 1120 هـ وابن الونان المتوفى سنة 1187هـ وابن ادريس العمراوي المتوفى سنة 1264 هـ ، من يستطيع ان ينكر هذه الاسراب من المفكرين المتألقين الذين يمثلون اصالة الثقافة المغربية في اسمى مظهرها واروع صورها .

وليست العناية التي كان يوليها ملوكنا العلويون لكل ما يتصل بالعلم والعلماء من قريب او بعيد ترجع فقط الى شغفهم بنشر العرفان بين الرعية ، بل ترجع الى ان جلهم تسلح بوسائل الثقافة ، وخاض معامعها في جراة فبرز فيها ايما تبريز ، لذلك استطابوا عذوبة العلم وسلاسته فقدروا مكانة العلماء حق قدرها واسنوا بنفس راضية العطيات ، واغدقوا الصلات لانماء المواهب وتفتيق الملكات وشحذ العزائم .

وهناك اسماء تتألق في سماء العلم وتسمق وتعلن عن نفسها بنفسها من غير ان تحتاج الى اطراء مؤرخ ، فدونك المولى محمد بن عبد الله الخليفة العالم المتوفى سنة 1204 هـ الذي كان في العلم بحرا لا يجارى ، وفي التحقيق والمعارف لا يمارى على حد تعبير صاحب نشر المثاني (1) ، والذي رغم اثقال السياسة ومشكلاتها الف كتابه « الفتوحات الالهية » الذي طار ذكره كل مطار حتى بلغ المشرق فقرظه علماء ازهريون منهم محمد بن محمد الامين المالكي ، وكتابه « الجامع الصحيح الاسانيد المستخرج من ستة مسانيد » .

ودونك ايضا الخليفة المولى سليمان المتوفى سنة 1238 وقد وصفه صاحب الاستقصا بقوله : « واذا خاض في السنة والكتاب ابدى ملكة مالك وابن شهاب، ولو تصدى في الفقه للفتيا والتدريس لم يشك سامعه انه ابن القاسم او ابن ادريس ، واذا تكلم في علوم القرآن انهل بما يغمر مورد الظمآن (2) »

وقد تفتق ذهن هذا الخليفة العالم عن آثار علمية من بينها « عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي بن الجد (3) » ، ورسالة صغيرة تحت عنوان « جواز التجمير بالقسط في رمضان (4) » ، و « حاشية على شرح الخرشي لمختصر خليل (5) » .

---

1) انظر ص 271 ج 2 طبعة فاس .
2) انظر ص 172 ج 8 طبعة دار الكتاب سنة 1956 م الدار البيضاء .
3) طبع بالمطبعة الجديدة بفاس سنة 1347 هـ .
4) توجد نسخة منها بالخزانة الملكية رقم 5633 .
5) توجد نسخة خطية منها بالخزانة الملكية تحت رقم 1323



للأستاذ: محمد العربي الخطابي

بينت فى عدد سابق(1)عناية اهل المغرب الشديدة بالمحافظة على القرءان الكريم منذ الفتح الاسلامي الى الان ، واشرت اشارة عابرة الى بعض مظاهر التخلف فى ميدان العلوم القرءانية فى الوقت الحاضر .

واحب فى هذا المقال ان اتوسع بعض الشيء في تبيان مظاهر التخلف هذه وبوادر الانتعاش مع الاتيان بمقترحات ارى ان العمل بها قد يساعد على بعث العلوم القرءانية بما يتفق والعصر الحاضر .

كان للتدهور السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي اصاب المغرب وبلغ مداه فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر واوائل هذا القرن ، كان لهذا التدهور اثر بالغ فى انحطاط الحياة العلمية والثقافية وتفشي الجهل والبدع الضالة والابتعاد عن طريق السلف الصالح .

وقد كان حريا بالحركة الاصلاحية التي اختط منهاجها السلطان محمد بن عبد الله وخاصة فى ميدان التعليم الديني ، كان حريا بهذه الحركة ان تؤتي نتائج طيبة لو استمرت واتيح لها أن تلتقي باطلالة السلطان الحسن الاول على الحضارة الغربية الحديثة التي حاول أن يستفيد من رقدها لولا ظروف معاكسة .

ومن حسن حظ المغرب ان اهله بقوا متمسكين بالقرءان الكريم محافظين عليه رغم جميع مظاهر التدهور التي سادت حياة البلاد . وهذه ظاهرة نلمسها فى جميع اقطار العالم الاسلامي ، وهي ذات اهمية بالغة جدا لارتباطها الوثيق بانبثاق دعوة الاصلاح والتجديد وانطلاقها من معاقل قرءانية ومرامي سلفية. واليك مثلا الحركة الوهابية التي ظهرت فى الحجاز في القرن الثامن عشر ، والحركة السنوسية التي انبثقت فى برقة فى أوائل القرن التاسع عشر ، ودعوة جمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده ، والكواكبي ، ومحمد اقبال فى المشرق ؛ وعبد الحميد ابن باديس ، والبشير الابراهيمي ، والعربي العلوي ، وعلال الفاسي ، والمكي الناصري ، وتقي الدين الهلالي ، فى المغرب . ان تاريخ يقظة الشعوب الاسلامية مدين لرجال نبعهم الثقافي الاول هو القرءان الكريم .

بقيت الكتاتيب القرءانية المنبثة فى حواضر المغرب وبواديه مهتمة بتعليم القرءان وتحفيظه مع تلقين اصول الرسم بطريق السماع والاستظهار ؛ وقلة العناية بالتجويد والتفسير والقراءات ، اذا استثنينا عددا ضئيلا جدا من العلماء كانوا يتجهون الى هذه الناحية من علوم القرءان .

وقد سمعت عن بعض الثقاة ان من الشيوخ الاجلة ، رحمهم الله ، من كان يعتبر تفسير القرءان علما قد انقضى اهله ، ولا يجوز لاحد من المتاخرين ان يشتغل به . ولعل ذلك كان منهم غيرة وحرصا على حفظ كلام الله من عبث التاويل والخوض فى عصر تفشى فيه الجهل وتدهورت الاخلاق ، ولكن هذه الظاهرة ، كانت فى نفس الوقت علامة الهزال الذي اصاب الحياة العلمية والدينية .

1) « دعوة الحق » ، يناير 1968 .

كما انه – يعني المولى محمد بن عبد الله – عمل على نقل علماء من انحاء اخرى الى مراكش وطلب منهم أن يقوموا بالتدريس فى مساجدها ويحضروا مجالسه الحديثية ومن هؤلاء السيد احمد بن عثمان من مكناس ومن سلا السيد الطاهر بن عبد السلام ومن فاس السيد عبد الله المنجرة .

وهذه المجالس العلمية كانت المرحلة التمهيدية للمجالس الحديثية التي توالت فيما بعد لدى ملوكنا العلويين .

وانطلاقا من هذه اللفتات الطيبة المعذوذبة جرت عادة ملوكنا الامجاد ان يتخذوا أساطين الفكر المغربي شيوخا لهم يأخذون عنهم ويستنيرون بأفكارهم ويقيموا ندوات حديثية يصطفون لها فحول المحققين من جميع اطراف المملكة مع الاضطلاع بكل ما يحتاجون اليه من النفقات وما يتبع النفقات من الحاجيات وتكون هذه الندوات خلال الاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان

ولا غضاضة بعد هذه الجولة الخاطفة التي عرفنا فيها مدى تعلق ملوكنا العلويين بالعلم أن نستعرض أسماء لشخصيات تصدرت رئاسة المجالس الدينية فى الحضرة الملكية زيادة فى تبيان هذا الشغف المعرفي الذي تلبس شخصياتنا السلطانية .

فى عهد الملك المولى عبد الرحمن تسلم رئاسة المجالس العلمية لسرد الحديث النبوي الشريف السيد التهامي بن حماد بن عبد الرحمن المطيري المكناسي المتوفى عام 1249 هـ

وفي نفس عصر المولى عبد الرحمن انتقلت هذه الرئاسة الى الفقيه السيد عبد القادر ابن احمد الكوهن المتوفى عام 1254 هـ

وفي عهد المولى الحسن الاول اسندت صدارة المجلس الحديثي الى الفقيه ابى العباس احمد بن سودة المري المتوفى عام 1321 هـ وكان أول درس تراسه عام 1295 ، وكذلك كانت لهذا العالم رئاسة المجلس فى ايام المولى عبد العزيز

اما فى ايام السلطان المولى عبد الحفيظ فقد تراس المجالس العلمية شيخ الجماعة ابو العباس السيد احمد ابن الخياط الادريسي المتوفى عام 1343 هـ

وفي أواخر هذا الاخير واوائل عهد السلطان المولى يوسف تصدر للرئاسة الحديثية الشيخ ابو شعيب الدكالي المتوفى عام 1356؛

وعندما انتهت مقاليد الخلافة لامير المؤمنين سيدي محمد الخامس قدس الله روحه تكونت مجالس الحديث من العلماء الموظفين كالوزراء وغيرهم ، وكان يراسها وزير العدل او رئيس مجلس الاستئناف الشرعي .

واقتداء بالاباء والاجداد ارتاى نظر امير المؤمنين مولاي الحسن الثاني أن يقيم ندوات علمية رائعة في العشر الاوائل من رمضان المعظم يشارك فيها خيرة علماء المغرب والمشرق ويعالجون خلالها مواضيع اسلامية حساسة ، وفي ختامها يتفضل امير المؤمنين حفظه الله فيدلي بدلوه بين الدلاء مشاركة منه فى هذه الندوات القيمة التي أصبح لها صدى بعيد وبعيد جدا بين العلماء والمثقفين .

واجمالا وتفصيلا فان العصر العلوي يتميز – منذ المولى اسماعيل – برعاية العلم وتقدير العلماء ، والتمسك بالسنة والعمل على نشر العلوم الاسلامية لبعث روح اسلامية حقة .

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

السلفية اكثر مما كانت تخشى الحركة الوطنية السياسية . ومن هنا كان تشجيعها للجمود والتزمت باسم احترام الدين .

وفضلا عما ذكرته من اساليب التعليم الرسمي واغراضه ابان الحماية ، ورعاية « الجمود والتنويم الديني » ، فان الكتاتيب التي كان لها فضل كبير في المحافظة على القرءان الكريم فى المغرب ، بعيدة عن اساليب التعليم الحديثة ، وضعفت عنايتها بفن التجويد والتلاوة ، وانحصرت مهمتها فى تحفيظ القرءان الكريم مع اهتمام عرضي بالرسم القرءاني والوقف .

اما جامعة القرويين ومعاهد التعليم الديني في شتى مدن المغرب فقد انتعشت فيها الدراسات القرءانية منذ الاستقلال ، واصبح فيها « التفسير » على الخصوص من المواد الاساسية .

وتأسست فى عدد من انحاء المغرب جمعيات للمحافظة على القرءان الكريم ، وجعلت من ضمن أهدافها العناية بالتجويد وتشجيع حفظ كتاب الله .

ونظمت الدروس الوعظية فى المساجد ، وخاصة فى شهر رمضان المبارك ، وكان لتفسير القرءان مكان ملحوظ فى هذا الدروس .

وخصصت الاذاعة ، والتلفزة حصصا منتظمة لتلاوة القرءان الكريم ، وحصصا غير منتظمة للتفسير (واخيرا يبدو أن هذه الحصص قد انتظمت بالدروس المفيدة القيمة التي يلقيها أستاذنا الجليل الشيخ محمد المكي الناصري) .

ولا ريب أن حرمة القرءان الكريم ومكانته فى نفوس المسلمين كافة باعتباره كتاب الله ، اولا ، ونبعا حضاريا وثقافيا هاما ، ثانيا ، يتطلبان مضاعفة الاهتمام بهذا الكتاب المقدس وبعلومه . والذي اراه فى هذا الميدان :

— احداث « معهد للمقرئين » يكون عمله مزدوجا : 1) تلقين فن التجويد لحفظة القرءان الكريم الذين تتوفر فيهم بعض الشروط الضرورية : (اتقان الحفظ ، حلاوة الصوت ، مستوى ثقافي معين لا يقل عن الشهادة الثانوية) مع تلقينهم مواد التفسير والرسم القرءاني وعلم القرءات) . 2) اجازة المقرئين والاشراف على شؤونهم ، بحيث لا يتصدر للتلاوة سوى حملة اجازة هذا المعهد .

— احداث كرسي للعلوم القرءانية فى كلية الآداب . ولا تخفى صلة هذه العلوم القوية باللغة وفقهها والادب القديم وفنونه ، وبالتاريخ الاسلامي ايضا .

— تجديد دروس التفسير والعلوم القرءانية الاخرى فى جامعة القرويين وكلية ابن يوسف .

— العناية بنشر تفاسير مبسطة وتعميمها في المدارس الثانوية بصفة خاصة .

— نشر كتاب علمي ومبسط عن فن التجويد والوقف والرسم القرءاني والقراءات ، وتقرير دراسته فى المعاهد الدينية .

— احداث حصة لتفسير القرءان فى التلفزة ، على الا تتجاوز هذه الحصة عشر دقائق فى اليوم .

وقد كانت ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم مناسبة احتفل فيها المغرب احتفالا رائعا ، وظهر فيها تمسك هذا الشعب بكتاب الله العزيز . وعسى ان تكون هذه الذكرى العظيمة منطلقا جديدا لحياة جديدة تتجاوب فيها قيم الحياة العصرية مع القيم الاسلامية المثلى ، وتنبعث فيها حضارة مغربية أصيلة ذات ابعاد انسانية وروحية تستفيد من تقدم العصر ولا تتخلى عن جوهرها الاصيل المستمد من تعاليم القرءان وهديه .

• الرباط : محمد العربي الخطابي

وشاء الله ان يظهر، بعد فترة يسيرة من سقوط المغرب تحت قبضة الحماية الاجنبية ، رجال سلفيون مستنيرون دعوا الى التحرر والتعلم والنهوض على اساس من هدى القرءان ؛ واذا كانت دعوة بعض هؤلاء الرجال قد اصطبغت بصبغة سياسية وطنية ، بحكم حالة المغرب وظروفه اذذاك ، فان هذه الدعوة كانت في عمقها اسلامية سلفية .

وكان التفسير من العلوم القرءانية التي اصابها هذا الانتعاش السلفي ، وتصدى له علماء من أمثال علال الفاسي ومحمد المكي الناصري وتقي الدين الهلالي .

وقد انتعشت بهؤلاء الرجال القلائل الحياة العلمية والسياسية والاجتماعية ، بفضل الدروس التي كانوا يعقدونها في المساجد ، والخطب التي يلقونها في شتى المناسبات ، فضلا عن المقالات التي نشروها في جرائد ومجلات ظهرت في اوائل العقد الرابع من هذا القرن وما بعده .

وادت المدارس الوطنية الحرة ، التي تأسست في شتى المدن ، قسطها الحيوي في هذا المجال بما لقنته للناشئين من تعاليم القرءان ولغته ، فضلا عن العلوم الضرورية الاخرى .

وقد اتت سياسة « الظهير البربري » المعروف بنتائج عكسية ، فبينما كان يريد الاستعمار تفرقة المغاربة والقضاء التدريجي على الشريعة الاسلامية في نواحي حيوية وعزيزة على بلادنا ، تجلت الوحدة الوطنية في انصع مظاهرها ، وابدى المغاربة اعتصاما اشد بحبل الله المتين ، وبكتابه الكريم .

وكانت الحركة التحريرية الوطنية ، في جوهرها، حركة اسلامية سلفية ، بحكم ثقافة قادتها الاولين ، وبحكم طبيعة الشعب المغربي أيضا .

واذا رجعنا الى الموضوع الذي يعنينا بالذات ، وهو « القرءان وعلومه » ، فاننا نجد ان هذه المدة القصيرة والمضطربة التي بينا بعض ملامحها قد امتازت بما ظهر خلالها ، من اهتمام بالتفسير والتجويد والرسم القرءاني ، وكانت هذه المواد تلقن في كثير من مساجد المغرب ومدارسه الحرة . وساعدت المطبعة على دخول عدد من التفاسير الى المغرب ، وخاصة من مصر .

الا ان هذه الحركة الطيبة ، لم تكن مع الاسف شاملة عامة ، فقد كانت المدارس التي اسستها ادارة الحماية ، على قلتها تحاول بمكر وتحايل ان تبعد الناشئة المغربية عن دينها ولغتها وان تفصلها عن جذورها الاصلية بواسطة برنامج محكم ومدبر .

ولسنا ننكر ان القرءان كان من ضمن المواد التي تلقن في المدارس الحكومية ؛ الا ان ذلك كان يجري بأسلوب منفر وطريقة عقيمة تتنافى مع الاصول التربوية التي كان من المفروض ان تكون من الامور الجديدة التي تحملها معها « ادارة الحماية » .

لقد رتب المسؤولون في ذلك الوقت كل شيء ترتيبا يجعل حصة القرءان واللغة العربية أبغض الحصص الى تلاميذنا !

وكانت هذه الظاهرة سببا من الاسباب الكثيرة التي نفرت طائفة كبيرة من الشبيبة المتعلمة من تراثهم الديني واللغوي والتاريخي ، فكان من ذلك ما نشاهده الان ، بعد حصول المغرب على استقلاله ، من ضعف اهتمام الشبان بالقرءان لجهلهم به وبأسراره البيانية واللغوية وبما يتضمنه من تشريع وعبادات وما يدعو اليه من تأمل وتدبر .

واذا كانت المدرسة « نموذج الحماية » تتحمل قسطا من المسؤولية في ذلك ، فان قسطا آخر من التبعية يقع على جمود طرق التلاوة وانحطاط فن التجويد وانعدام التفاسير القرءانية المبسطة المطبوعة طبعا انيقا واضحا ، فضلا عن جمود بعض العلماء وتزمتهم وتمسكهم بأساليب عقيمة فيما يلقونه من دروس وعظية في المساجد . ذلك انه بالرغم من حركة التجديد والبعث التي تصدى لها بعض الرجال المصلحين ، وخاصة بعد صدور الظهير البربري سنة 1930 ، فقد بقيت الاساليب الوعظية الجامدة تسير في خط متواز مع حركة التجديد . على ان الجمود كان يحظى بتأييد المسؤولين ، في ذلك الحين ، وتشجيعهم في مقابل العنت والمحاربة الشديدة التي لقيتها دعوة الاصلاح والتجديد والتحرر . واذا كان عالم مصلح جليل ، مثل الاستاذ علال الفاسي ، قد فاق ، على الصعيد الوطني ، كل العلماء الجامدين المسخرين ، من حيث التأثير وبعث الهمم والتوجيه ، فان المشاغل السياسية والحزبية ، وفترات النفي والتعطيل التي عاناها قد حدت بشكل محسوس ، من تأثير دعوة الانبعاث الاسلامي التي كان من قادتها الاوائل .

ومثل ذلك يمكن ان يقال بالنسبة لعلماء مجددين آخرين .

واني لاستطيع ان اجزم أن ادارة الحماية كانت تخشى حركة التجديد الديني والدعوة الاسلامية

ويجمع الذين (1) ترجموا له على غزارة علمه وسعة اطلاعه فى المنقول والمعقول ، كما يجمعون على ورعه وصلاحه وعلو كعبه فى عالم التصوف والزهد .

نشأ عالمنا نشأة علمية ، دينية ، ففي سن مبكرة جعل يختلف الى الكتاب يقرأ القرآن الكريم ويستظهره ثم ما لبث ان اخذ يدرس المتون العلمية ويحفظها عن ظهر قلب ، وما هي الا سنوات معدودات حتى ترك القرية الى القصر الكبير يشتغل بطلب العلم ويفنى فى ذلك فناء عظيما ، وفى سنة ثمانين أو احدى وثمانين من القرن الثاني عشر قدم الى تطوان واقبل على حلقات الدرس ومجالس العلم يعب منها عبا ويتزود فيها بخير الزاد ، وكان ممن تلمذ عليهم فى تطوان الفقهاء المدرسون احمد الرشا وعبد الكريم ابن قريش ومحمد الورززي وعبد السلام بن قريش ومحمد الجنوبي .

ثم يمم الفتى الطالب وجهه شطر فاس منتدى العلم واهله ، فأخذ العلم فيها عن اشهر علمائها يومئذ من مثل شيخ الجماعة محمد التاودي ابن سودة وفرضي وقته محمد بنيس والحافظ النحوي اللغوي الطيب بن كيران ، وفي حلقات الدرس والتحصيل بفاس (تجلت فيه اليقظة وومض فى مساعيه الدهاء واشراقة الذكاء ، فلم يكن فى الحلقات العلمية ذلك الطالب المهمل الضائع ، بل مال الى اعلان مواهبه وكشف القناع عن مقدراته (2)) .

كان شغف عالمنا بالدرس عظيما وكان تعلقه بالمعرفة فريدا ، يدلك على ذلك قوله فى فهرسته متحدثا عن فترة تعلمه بالقصر الكبير : « ثم فنيت فيه ـ اي العلم ـ فناء عظيما حتى اهملت نفسي ونسيت أمرها (3) » وقوله عن فترة تعلمه بتطوان : « ثم لحقتني فاقة شديدة لاني استحييت أن اطلب معروفا من أحد فبقيت كذلك مدة فكانت الوالدة ترسل لي الخبز من البلد ثم فتح الله بالخير الكثير ، هذه سنة الله فى خواصه كما قال الشاعر :

لا تحسب المجد تمرا انت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

لكن حلاوة العلم ولوعته غيبت عني مرارة الفاقة » (4) .

وكان متمسكا بالدين ، محافظا على اقامة شعائره خلال ذلك ، فهو يقول متحدثا عن الفترة التي قضاها بالقصر : « فكانت أوقاتنا كلها معمورة بين مطالعة ومدارسة وعبادة » ويقول متحدثا عن فترة تعلمه بتطوان : « وكانت قراءتي والحمد لله كلها ممزوجة بالعبادة ، لم نترك قيام الليل الا نادرا ، وكنت اقسم الليل أثلاثا : ثلثا للنوم وثلثا للتهجد وثلثا للمطالعة ، وكنت الف الوحدة فما كنت اسكن الا وحدي للتفرغ للعلم والعبادة » .

وحينما عاد من فاس الى تطوان سنة 1191 هـ كان قد حصل على رصيد جيد من المعرفة ، وتوفر على زاد طيب من الثقافة ، يتمثل كل ذلك فى حديثه فى فهرسته عما حصله من العلوم الظاهرة والباطنة ، ويتمثل فى ذلك الاقبال الشديد الذي عرفته حلقاته العلمية بمساجد تطوان يوم تصدى للتدريس وجلس للتعليم ، ويتمثل ـ اخيرا ـ فى هذا الانتاج الضخم الذي تفتقت عنه قريحته والذي يصور سماته المعرفية وملامحه العلمية كأحسن ما يكون التصوير ، وهذا ثبت بأهم مؤلفاته : (1) البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد (2) تفسير الفاتحة « بشرحين بل ثلاثة احدها صغير فيه نحو كراسين والآخر كبير فيه نيف وعشرون كراسا (5) صغيرة ، وآخر صغير جدا فيه نحو ورقتين » (3) ايقاظ الهمم فى شرح الحكم ، ـ مطبوع ـ وهو شرح رائع وممتاز لحكم ابن عطاء

---

1) ترجم له تلميذه ابو محمد السكيرج والعلامة عبدالقادر الكوهن فى فهرسته والعلامة الرهوني التطواني والشيخ عبد الحي الكتاني فى فهرس الفهارس ، كما ترجم له مؤرخ تطوان الاستاذ محمد داود فى مختصره ومطوله ، وكتب عنه اخونا الاستاذ محمد المنتصر الريسوني فى سلسلته « شخصيات من بلادي » بجريدة الحسنى ، وقيل لي بأن مستشرقا يعد عنه دراسة شاملة .

2) جريدة الحسنى ، عدد 36 ـ السنة الاولى ـ جمادى الاولى 1382 هـ من مقال للاستاذ المنتصر الريسوني عن ابن عجيبة .

3) من فهرسته التي اطلعني عليها الصديق الاستاذ عبد القادر ابن عجيبة .

4) المصدر السابق .

5) اطلعني ـ مشكورا ـ الاخ الاستاذ عبد القادر بن عجيبة على نسخة مخطوطة من التفسير الكبير للفاتحة ، وهو يقع فى مجلد متوسط الحجم .



الذين قرأوا تاريخ المغرب تحت ظل الحكم العلوي ودرسوه سواء فيما هو متداول بين الايدي من كتبه او فيما لم يزل رهين الخط اليدوي وحبيس رفوف خزائن حكومية او خاصة ، الذين قرأوا هذا التاريخ يعلمون العلم كله الدور الذي يدل على نضج الفكر ويشي بخلوص النيات ؛ ذلك الذي نهض به ملوك الدولة العلوية الافذاذ فى حلبة الثقافة والفكر بوجه عام وفي مجال الجانب الاسلامي منها بوجه خاص ؛ وبحسبنا ان ندل على أسماء بهية ، مشرقة ، كان لاصحابها اليد الطولى فى بناء صروح الثقافة والفكر بهذه البلاد ، من مثل مولاي رشيد ومولاي سليمان والمولى محمد بن عبد الله ومولاي الحسن الاول والمولى عبد الحفيظ والمولى يوسف ومحرر المغرب محمد الخامس تغمده الله برحمته وخلفه العظيم الحسن الثاني نصره الله ؛ نقول : بحسبنا أن ندل على هذه الاسماء ليعرف الجاهلون والمتجاهلون فى الان عينه الخطوط العريضة والظلال الجلية لتلك الصورة الرائعة التي انتهت الينا نتيجة طبيعية للجهد الذي افرغه اولئك الملوك الافذاذ والسعي الذي بذلوه في خدمة الثقافة عامة وجانبها الاسلامي خاصة ، فكانوا بذلك ائمة يهدون بأمر الله تعالى ويسارعون الى فعل الخيرات .

واذا كان تاريخ شعب هو تاريخ شخصياته المتفوقة الفذة ؛ لانها هي التي ترتاد الآفاق الرحيبة اول الامر ، ثم ترسم للناس المنهج ، وتخطط لهم الطريق المفضية بهم اليها ؛ اذا كان الامر كذلك — وهو كذلك بالفعل — فان اولئك الملوك الذين المعنا اليهم من قبل هم الذين يشكلون اعصاب الصورة التاريخية لبلادنا وشرايينها ، وفي ثنايا تلك الصورة تطالعك عناية هؤلاء الملوك وخدمتهم الدائبة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ومصطفاه عليه افضل السلام متمثلة فى ذلك الاقبال العظيم من طرف المشتغلين بالعلم على الكتاب والسنة حفظا ورواية ودراية ؛ الامر الذي ادى الى نبوغ شخصيات — على عهد العلويين الاشراف — فى العلوم الاسلامية وبخاصة فى علم الحديث وفى علم القرآن ؛ وفي طليعة المنصرفين الى القرآن تدريسا وتحليلا وتفسيرا صاحب كتاب « البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد » العلامة التصوفي سيدي احمد بن عجيبة . ونريد ، قبل الحديث عن هذا التفسير الممتاز ، أن نعرف بشخصية مؤلفه ؛ لانها — كما غيرها من شخصياتنا — ما تزال مغمورة ، غير معروفة ، تنتظر عناية الدارسين ، وتترقب كرم الغيورين على علمائنا المنسيين وتراثنا الفكري المدفون ، ليكشفوا جوانبها ويبرزوها لجيلنا مثالا يتبع ، وانموذجا يحتذى .

وانه لمن حسن حظنا أن ابقت لنا الايام على فهرسته التي ترجم فيها لنفسه والم فى صفحاتها بجوانب حياته المختلفة، فهي مصدرنا ومرجعنا فيما نكتب عن حياته .

هو ابو العباس احمد بن محمد ابن عجيبة الحسني العمراني ، كانت ولادته بقبيلة انجرة على مقربة من تطوان فى غضون سنة 1160 هجرية .

القرآن الكريم وتلك العناية البالغة بعلومه وثقافته ؛ كل ذلك اسفر عن عملين جليلين يعكسان الاسهام الجيد لابن عجيبة فى مكتبة القرآن والتفسير ، اولهما تفسيره للفاتحة وقد تقدمت الاشارة اليه ، وثانيهما كتابه الممتع فى التفسير المسمى « البحر المديد في تفسير القرآن المجيد » ، وهو بيت قصيدنا من هذا العجالة .

هذا التفسير القيم يقع فى اربعة مجلدات ضخام (29 × 19) ، وليس منه موجودا الا نسخ ثلاثة ـ فيما نعلم ـ لعل النسخة الاصلية هي التي توجد فى ملك بعض الاشراف العجيبيين فى قبيلة الزميج ، اما النسخة التي نعتمدها فى هذا الحديث فهي التي يمتلكها الفقيه الاستاذ السيد عبد الرحمن الازمي، وقد اتاح لنا فرصة الاطلاع عليها فله جزيل الشكر، وهذه النسخة مكتوبة بخط مغربي تتفاوت نسبة جماليته من جزء لآخر واحيانا تتفاوت تلك النسبة بين صفحات الجزء الواحد لاختلاف النساخ ، ويعود تاريخ نسخها الى اوائل العقد الخامس من القرن الثالث الهجري . والجزء الاول يبتديء ، بعد مقدمة صغيرة ، بسورة الفاتحة وينتهي بسورة الانفال ، وقد فرغ مؤلفه من تبييضه ـ كما نقرا فى آخر سطوره ـ فى سادس عشر جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين والف ، والجزء الثاني يبتديء بسورة التوبة وينتهي بسورة المومنين ، وقد فرغ مؤلفه من كتابته ـ كما هو مثبت فى آخره ـ عشية يوم الثلاثاء سابع‌عشر صفر عام ثمانية عشر ومائتين والف ، والجزء الثالث يبتديء بسورة النور وينتهي بسورة حم وقد انهاه مؤلفه بالكتابة فى تاسع رمضان عام تسعة عشر ومائتين والف ؛ واما الجزء الرابع فيبتديء بسورة الشورى ويختتم بسورة الناس ، وفى آخره نقرا : « ... وبالله التوفيق وهو الهادي الى سواء الطريق ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ، كمل البحر المديد فى تفسير القرءان المجيد بحول الله وقوته ، نسأل الله سبحانه ان يكسوه جلباب القبول ويبلغ به كل من طالعه او حصله القصد والمأمول بجاه سيد الاولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين وامام المرسلين » ثم نقرا بعد ذلك : « ... وكان الفراغ من تبييضه زوال يوم الاحد سادس ربيع النبوي عام واحد وعشرين ومائتين والف على يد جامعه العبد الضعيف الفقير الى مولاه احمد بن محمد ابن عجيبة الحسني لطف الله به فى الدارين وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين » ، واذن فهذا العمل الجليل المطبوع بطابع العمق فى التحليل والنضج فى العرض لم يكن وليد سنة او سنتين وانما كان وليد فترة من الزمن قاربت خمس سنوات ، انفقها المؤلف فى رحلة بهية ، ممتعة فى اعطاف القرآن ، يقراه متدبرا ، متاملا ، ويعكس ذلك فى صفحاته محللا ، مفسرا .

ولتاليف هذا التفسير قصة يحسن ان تروى ذلك أن عالمنا بعد خوضه فى غمار التصوف ومصاحبة اهل الاذواق طلب منه شيخه « العارف المحقق البوزيدي الحسني عن اذن شيخه العارف الرباني مولاي العربي الدرقاوي الحسني ان اضع تفسيرا على فاتحة الكتاب يكون جامعا بين تفسير اهل الظاهر وتفسير اهل الاشارة من اهل الباطن ، يكون مستوعبا للكلام على حسب المقام ، ثم اذا فسح الله فى العمر واسعفه القضاء والقدر كملت باقيته بالتفسير باعانة القوي المتين ، العالم القدير ، فأجبت طلبهما واسعفت رغبتهما رجاء أن يحصل به الامتاع ويعم به الانتفاع ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب (1) » وقد افسح الله فى عمر عالمنا واسعفه القضاء والقدر فكتب تفسيره العظيم للقرآن الكريم .

ولقد عرف القرآن فيما عرف من الوان التفسيرات وضروبها تفسير رجال التصوف او اهل الباطن ، وهؤلاء فرقتان : احداهما تزعمت التفسير الصوفي النظري ، وهو فى راي اغلب الباحثين تفسير ينحرف بأهداف القرآن عن طريقها ويستمد من آياته مدلولات لم يقصد اليها الكتاب المبين ، واما الفرقة الثانية فهي التي عالجت التفسير الصوفي الفيضي او الاشاري ، وهو يقوم على استنتاج مفاهيم من الآيات « على خلاف ما يظهر منها بمقتضى اشارات خفية تظهر لارباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر الموارة (2) » ، والمفسر الفيضي او الاشاري رجل اخذ نفسه برياضة روحية فغمر اقطار نفسه اشراق الهي يريه ما لا يرى كل الناس ويبصره بما لايبصر كل الناس ؛ ومن ثم فهو يرى فى آيات الكتاب من المعاني والاشارات والتلميحات ما لا يراه كل الناس ولا يدركونه ؛ ولكن المفسر الاشاري مع ذلك جميعه

---

(1) من مقدمة تفسير للفاتحة .

(2) انظر كتاب « التفسير والمفسرون » لاحمد الذهبي .

الله (4) كتاب فى القراءات العشر « يشتمل على آداب القراءة والتعريف بالشيوخ العشرة ورواتها وتوجيه قراءة كل واحد منها ، فيه عشرون كراسة صغيرة » (5) كتاب فى طبقات الفقهاء وذكر ارباب المذاهب والتعريف بهم والتعريف بمشاهير اصحاب مذهب مالك من زمانه الى زماننا هذا على ترتيب وجودهم كل قرن وحده الى وقتنا هذا ، ثم اتبعتهم بذكر النحويين والمحدثين والصوفية غير ان الصوفية لم نستكمل ذكرهم ». (6) ازهار البستان فى طبقات العلماء والصلحاء والاعيان . (7) فهرسته ، وهي ترجمة حياته مكتوبة باسلوب خال من الصنعة البديعية الشائعة يومذاك على اقلام الكتاب . (8) كتاب فى حقائق التصوف . (9) كتاب شرح الاجرومية « جمعت فيه بين النحو والصرف عبارة واشارة كصناعة التفسير » (10) تأليف فى اربعين حديثا فى الاصول والفروع والدقائق . (11) شرح الحزب الكبير للشاذلي . (12) شرح اسماء الله الحسنى « افردت لكل اسم بابا كما فعل القشيري فى التحبير » (13) حاشية مختصرة على الجامع الصغير للامام السيوطي . (14) شرح همزية البوصيري وبردته . (15) تأليف فى القضاء والقدر . (16) تأليف فى الغيبة ومدح العزلة والصمت. (17) كشرف النقاب عن لب الالباب. (18) شرح الصلاة المشيشية . (19) قصائد وتوشيحات وأزجال من الشعر التصوفي ، جمعت فى ديوان مستقل ، بعضها فى تفسير الملك والملكوت وبعضها فى شأن النفس والعقل والقلب والروح وما يتعلق بذلك .

واكثر هذه المؤلفات ، على قرب العهد ، ضاع ودرس ، ولم تظفر الايدي الا بأقله ؛ على ان الاستاذ محمد داود فى مختصر تاريخه (1) يذكر بأنه وصف فى مطوله خمسة عشر من تآليف ابن عجيبة وقف عليها بنفسه .

لقد امضى ابن عجيبة العالم الجامع بين الشريعة والحقيقة والظاهر والباطن ايام حياته بين درس وتحصيل وتدريس وتاليف وعبادة وزهد فى متاع الدنيا الحقير حتى رجعت روحه الى ربها راضية ، مرضية فى سنة 1224 هـ ، ورقد جثمانه فى تربة مدشر الزميج من قبيلة انجرة .

*

لا تنتظر أن أحدثك عن « البحر المديد فى تفسير القرءان المجيد» قبل ان اصور لك شغف الرجل بالقرآن الكريم منذ نعومة اظفاره وولوعه بعلومه وتضلعه فى علم التفسير خاصة ، ولقد رايت ، قبلا ، كيف كانت نشأة عالمنا قائمة على الدين مرتكزة على العلم ، ومن اجل ذلك كان أول لقائه بالكتاب الكريم يوم جيء به الى كتاب القرية ليقرأ القرآن ويستظهره ، فكان هذا اللقاء فاتحة رفقة خيرة ومطلع صحبة طيبة بين عالمنا وبين كتاب الله الكريم ، وهكذا امضى سنوات ، وهو صبي يطوي الاعوام الاخيرة من العقد الاول ويجتاز عتبة عقده الثاني ، يداب على قراءة القرآن ويواظب على حفظه ، فلما انتقل من الكتاب فى القرية الى مجالس العلم وحلقاته فى تطوان وفاس اقبل بحب وشغف على دروس التفسير ، تلك التي كان ينهض بها علماء فحول من مثل القاضي عبد السلام بن قريش والعلامة محمد الجنوي والورع الزاهد سيدي احمد الزعري ومن اليهم ؛ وكانت حصيلته من علم التفسير عظيمة ، ففي باب « ذكر ما حصلناه من العلوم الظاهرة والباطنة » فى فهرسته يقول بعد ان ذكر مجموعة من العلوم حصلها : « ومن علم الاديان علوم القرآن وخصوصا التفسير فقد فتح علي فيه بما لم يفتح على أحد غيري فى زماننا هذا » ، وحينما رغب عن بهرج الدنيا وأعرض عن متاع الحياة وحلقت منه النفس والفؤاد والروح جميعا فى آفاق من الاشراق الالهي واجواء من الضياء الرباني كان القرآن رفيقه ، والرفيق قبل الطريق ، فى تلك المسالك التي يمتزج فيها الجهد بالمتعة « فكنت لا اصبر عنه — اي القرآن — وكنت اقرا فى الصلاة قائما، فاذا ضعفت صليت جالسا ، وربما ختمت فى الشهر اربع عشرة ختمة ، ثم قراته باللوح فقرات رواية المكي والبصري وبدات السبع فلم أدركه وكنت لا اقرأ فى اللوح حتى أطالع التفسير وافهم المعنى فبقيت كذلك مدة ثلاث سنين أو أربع » .

وانك لتستطيع أن تعرف مبلغ علم هذا العالم الجليل بالمعرفة القرآنية التفسيرية من خلال قراءتك للمقدمات العشر التي صدر بها كتابه فى تفسير الفاتحة ، وهي فى نحو ست وثمانين صفحة من القطع المتوسط ، ففيها صورة لاطلاعه الواسع على كل ما يمت للقرآن وعلم تفسيره بصلة ، ولولا اني اخشى الاطالة لاستطردت مصورا لك ذلك الاطلاع من خلال تلك المقدمات العشر .

وعلى اي حال فالنتيجة التي نريد أن ننتهي اليها من كل ما تقدم هي أن تلك الرفقة الطيبة الخيرة مع

1) مختصر تاريخ تطوان ، ص 300 من الجزء الثاني .

كان وفيا لخطوط المنهج الذي رسمه لنفسه فى مقدمة تفسيره حينما قال بانه سيقدم « فى كل آية ما يتعلق بمهم العربية واللغة ثم بمعاني الالفاظ الظاهرة ثم بالاشارات الباطنة متوسطا فى ذلك بين الاطناب والاختصار » وحينما قال فى المقدمة ايضا بأنه لايصح ذكر التفسير الباطني « الا بعد تقرير الظاهر ثم يشير الى علم الباطن بعبارة رقيقة واشارة دقيقة » ، واذن فهو لا يعالج التفسير بالطريقة الاشارية فقط على نحو ما فعل محمد بن الحسين السلمي فى كتابه « حقائق التفسير » وما صنع ابو محمد الشيرازي في كتابه « عرائس البيان فى حقائق القرآن » . واشارات ابن عجيبة ، على العموم ، لاتغرق فى غرابة المعنى وغموض الفكرة والبعد عن مدلولات اللفظ القرآني وايحاءاته كما هو الحال بالنسبة لبعض اشارات المفسرين الذين عالجوا هذا اللون من التفسير ، ان الاشارات العجيبية حافلة ، فعلا ، بالغوامض والدقائق والرموز ، ولكنها فى كل ذلك لاتبعد ، حين تبعد ، عن اللفظ القرآني الا بالقدر الذي تظل به مرتبطة بمدلول ذلك اللفظ وايحائه .

اما مصادر ابن عجيبة (1) فى تفسيره فهي :«انوار التنزيل واسرار التأويل » للبيضاوي و « ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم » لابي السعود العمادي و « الكشف والبيان عن تفسير القرآن » للثعلبي وكتابي القشيري (2) فى التفسير «التيسير فى علم التفسير »و « الاشارات » ، وشيء من تفسير ابن جزي وحاشية شيخ الشيوخ عبد الرحمن الفاسي ؛ ويلاحظ ، مثلا ، انه لم يتأثر بمصدره البيضاوي فيما اخذ عليه من ذكر حديث عن النبي عليه السلام فى آخر كل سورة فى فضلها وما لقارئها من الثواب ، وهي احاديث اتفق العلماء على انها موضوعة .

ان مكانة تفسير ابن عجيبة بين التفاسير الكثيرة جدا مكانة عظيمة ومرموقة ، فهو ــ فيما نعلم ــ أول تفسير يجمع فيه صاحبه بين الظاهر والباطن فيوفق الى ابعد الحدود ؛ ذلك أن جل المفسرين عنوا بالظاهر، وبعضهم كان يعرض للاشارة بايجاز وبقدر من مثل النيسابوري والآلوسي ، وبعضهم الاخر اغرق فى التفسير الاشاري ولم يلتفت للظاهر الا فى بعض الاحيان كسهل التستري ، فى حين صرف آخرون همتهم للناحية الاشارية ولم يلتفت ، بالاطلاق ، الى الناحية الظاهرية مثل ابي عبد الرحمن السلمي ، وعالج فريق آخر التفسير الصوفي النظري منه والاشاري ولم يتطرق الى الظاهر مثل مؤلف التفسير المنسوب لابن عربي . فابن اعجيبة ، بالنتيجة ، يكون ــ فيما نعلم ــ أول مفسر يكتب تفسيرا كاملا للقرآن الكريم جامعا بين الظاهر والاشارة ، افرغ فيه وسعه وبذل جهده حتى جمع له بين الحسنيين .

وفيما يلي نقدم انموذجين للاشارة العجيبية ، اولهما عن قوله تعالى من سورة الرعد : « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر ، يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » الاشارة : « الله الذي رفع سماوات الارواح وزينها بنجوم العلم وقمر التوحيد ، واشرق عليها شموس العرفان واسرار التفريد ، ثم استوى بأسرار ذاته وانوار صفاته على العرش وهو قلب العارف لانه سرير المعرفة ومحل بيت الرب ، وسخر شمس المعرفة وقمر التوحيد يجريان بالترقي الى محل التمكين وهو الاجل المسمى لهما ، يدبر امر السير والترقي ويفصل دلائل الطريق الموصلة الى عين التحقيق لعلكم بالوصال الى ربكم توقنون حين يكون ذوقا وكشفا ؛ والله تعالى اعلم (3) » .

وثانيهما عن قوله تعالى فى سورة الناس : « قل اعوذ برب الناس ، ملك الناس ، اله الناس ، من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس فى صدور الناس ، من الجنة والناس ، » الاشارة : « لا ينجي من الوسوسة بالكلية الا التخفق بمقام الفنا الكلي وتعمير القلب بأنوار التجليات المستوتية والاسرار الجبروتية حتى يمتليء القلب بالله .

---

1) ذكر بعض هذه المصادر فى آخر تفسيره ، واشار الى بعضها فى مقدمة من مقدماته العشر لتفسير الفاتحة
2) ذكر ابن عجيبة ان القشيري هو امام الطريقة الرمزية الاشارية فى التفسير ، ثم قال : « ... وذكر ابن خلكان ان ابا القاسم القشيري صنف التفسير الكبير وسماه التيسير فى علم التفسير وهو اجود التفاسير ، فهو تفسير آخر له غير المسمى بالاشارات ، وقد وقفت عليهما معا فالتفسير كتاب كبير فى اربع مجلدات واما الاشارات فصغير في مقدار مجلدين والله تعالى أعلم » .
3) من الجزء الثاني .

ملزم بأن يرى ؛ بل يؤمن بأن هناك قبل المعنى الفيضي أو الاشاري معنى ظاهرا هو الذي يجب ان يفهم من الآيــة قبـل غيــره .

وانما سقنا هذا الكلام المقتضب عن التفسير الاشاري لنقول لك بأن البحر المديد تفسير اشاري ولنقول لك ايضا بأن صاحبه ابن عجيبة في طليعة المفسرين الاشاريين ان لم يكن أروعهم على الاطلاق؛ على أننا يجب أن ننبه الى ان تفسير ابن عجيبة ليس تفسيرا اشاريا محضا وانما هو يجمع بين المذهبين الظاهري والاشاري فيؤلف ، بذلك ، بين عبارة الظاهريين واشارة الباطنيين ؛ ومن هنا نجده في مقدمة تفسيره يؤكد بأن مهمة التفسير مهمة شاقة وعملية عسيرة ، لايقدم عليها الا « العالم النحرير الذي رسخت أقدامه في العلوم الظاهرة عربية وتصريفا ولغة وبيانا وفقها وحديثا وتاريخا ، يكون اخذ ذلك من افواه الرجال ثم غار في علم التصوف ذوقا وحالا ومقاما بصحبة أهل الاذواق من أهل الحال والا فسكوته عن هذا الامر العظيم اسد واشتغاله بما يقدر عليه من علم الشريعة الظاهرة أتم (1) » ، ولقد اطلعناك على علم ابن عجيبة في المنقول والمعقول ، والمحنا الى زهده وتصوفه ، واقرأ هذه الكلمات لتعرف مكانته في عالم التصوف نظرا وسلوكا : « واما التصوف فهو علمي ومحط رحلي فلي فيه اليد الطولى والقدم الفالج ، حزت فيه قصب السبق على طريق أهل الاذواق فلله الحمد وله الشكر (2) » فابن عجيبة ، اذن ، هو ذلك العالم الذي يذخر من الكفاءات العلمية والتصوفية بلونيها النظري والتطبيقي أو السلوكي ما يؤهله للقيام بمهمة التفسير ، فهو – كما رأيت – عالم نحرير « رسخت أقدامه في العلوم الظاهرة وتنورت سرائره بالانوار الباهرة ، قد سلك الطريق واشرقت عليه أنوار التحقيق (2) »

وفي المقدمة يتصدى عالمنا للتفسير الاشاري فيقول : « واعلم أن القرآن الكريم له ظاهر لاهل الظاهر وباطن لاهل الباطن ، وتفسير اهل الباطن لا يذوقه الا أهل الباطن ، لا يفهمه غيرهم ولا يذوقه سواهم ، ولا يصح ذكره الا بعد تقرير الظاهر ، ثم يشير الى علم الباطن بعبارة رقيقة واشارة دقيقة ، « فمن لم يبلغ فهمه لذوق تلك الاسرار فليسلم ولا يبادر بالانكار فان علم الاذواق من وراء طور العقول ولا يدرك بتواتر النقول » ثم يعرض بعد ذلك كلام بعض العلماء في التفسير الاشاري من مثل صاحب لطائف المنن وسعد الدين في شرح عقائد النفي وكلام الشيخ زروق رضي الله عنه عن نظر الصوفي وقيمة الاشارة ، ثم تصدى ، بعد ذلك ، بالشرح للحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : « كل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع » فقال : » فالظاهر لمن اعتنى بظاهر اللفظ كالنحاة واهل اللغة والتصريف ، والباطن لمن اعتنى بمعنى اللفظ وما دل عليه الكلام من الامر والنهي والقصص والاخبار والتوحيد وغير ذلك من علوم القرآن وهو نظر المفسرين ، والحد لمن اعتنى باستنباط الاحكام من وهم الفقهاء ، فهم ينتهون الى ما يدل عليه اللفظ وسيق لاجله دون زيادة عليه ، والمطلع لاهل الحقائق من اكابر الصوفية لانهم يطلعون من ظاهر الآية الى باطنه فيكشف لهم عن اسرار وعلوم وغوامض تتجلى لهم عند استعمال الفكرة فيها »

ولقد صرفت لحظات ؛ بل ساعات ملذة ، معدودبة ، أتصفح هذه الاجزاء الاربعة الضخام التي يتألف منها تفسير ابن عجيبة ، ولكن الساعات مهما طالت فهي لن تتيح دراسة متعمقة لمنهجية ابن عجيبة في تفسيره وانما الذي اتاحته لنا تلك الساعات هي تكوين خطوط عامة ، لا ابرئها من النقص ، للمنهجية التي اتبعها ابن عجيبة في تفسيره والتي نرجو أن نتفرغ لدراستها في مستقبل الايام بحول الله ، تلك الخطوط العامة لمنهجية ابن عجيبة تتجلى في انه يورد في أول كل سورة بعض الحقائق المتعلقة بها كأسمائها وعد آياتها ومكان نزولها ووجه مناسبتها لما قبلها ، حتى اذا فرغ من ذلك أخذ آية أو آيتين أو اكثر ومضى يعالج جانبها النحوي واللغوي والتصريفي في غير ما اطالة ، ثم ينتقل من هذا ليفسر الآيات تفسيرا ظاهريا بعبارة سهلة واسلوب لا أثر للصنعة والتكلف فيه مما كان معروفا عهدئذ عند الكتاب المشارقة على الخصوص، وهو في أثناء تفسيره الظاهر قد يستشهد بالحديث النبوي الشريف وببعض الشعر الحكمي والزهدي، ولسنا نجد عنده اطنابا في بسط بعض الآيات التي، ربما، تكون اكثر من غيرها اغراء بالاطناب مثل آيات الاحكام ، ولكننا مع هذا نلمس في تفسيره اطلاعه الفقهي ومعرفته بمذاهب اعلام الفقه ؛ فاذا ما انتهى من تفسيره الظاهر ذيل ذلك « بالاشارة » التي يضمنها المدلولات الفيضية والمفاهيم الاشراقية للآيات الكريمة ؛ وهو في ذلك كله

---

1) من فهرسته .

2) من مقدمته لتفسير الفاتحة .



للأستاذ عبد العلي الوزاني

انا نعيش فى جو قرءاني هذه السنة ، جو يعبق بشذى النفحات الالهية ، ويفيض على القلب والنفس باقباس من المعاني الربانية ، فالارواح منه فى خشوع ، والقلوب فى نشوة من قداسة الذكرى وجلال الحدث .

وانها لخطوة مباركة مثمرة هذه التي تخطوها الدولة المغربية ، فى دعوتها الى احياء هذه الذكرى المجيدة ، وحث العاملين فى الحقل الاسلامي فى الداخل والخارج، على المساهمة فيها بالبحث والدرس .

وانه لمن غريب الصدف ، ان يكون هذا البلد المسلم ، الذي لم يصل الاسلام اليه الا بعد مشقة وجهد ، وبعد ان انتشر فى بقاع نائية عنا من الارض ، وحتى عند ما وصلنا لقى من المصاعب والمتاعب ما يفت فى العضد ، ويضعف من العزم ، الامر الذي كلف الفاتحين المسلمين الاولين لهذه البلاد تضحيات جساما ، بسبب الجهل والخرافة والروح القبلية الضيقة التي كانت مسيطرة على هذه البلاد ، اقول من غريب الصدف ان يكون هذا البلد الموجود فى اقصى بلاد المغرب العربي ، هو الذي يدعو اليوم الى الاحتفال بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرءان الكريم .

ولكن لو تأملنا لوجدنا ان من وراء ذلك حكمة يشاؤها الله ، فان يلقى الاسلام تأييدا واسنادا من بلد يبعد بكثير عن موطنه الاصلي ، يظهر ان الاسلام قادر على ان يصنع المعجزات فى اي شبر من الارض وصل اليه ، ولو بلغ المدى البعيد فى المسافة والمنأى . وكلنا يعلم ان الاسلام ظهر فى مكة ، ولكنه لم يلق من التايد بها مثل ما لقى فى المدينة ، وكلنا يعلم كذلك ما كان يتصف به فقهاء الحجاز فى العصور الوسطى من تساهل ديني ، اذا هو قورن بما عرف به فقهاء العراق من تشدد فى الدين ، يصل احيانا الى حد التزمت ، مع بعد المسافة بين الحجاز مهد الاسلام ، وبين العراق الذي كان قريب عهد بالمجوسية الفارسية ، بل كان لا زال لها فيه وجود وسلطان . وكلنا يعلم ايضا ان اجيالا من علماء الاسلام وزهاده ورجال التصوف فيه ، كانت من عروق غير عربية ، ومن الذين وصلتهم الدعوة متأخرة بالنسبة لغيرهم ، وينتمون الى اقطار تبعد عن مهد الاسلام بمئات الاميال . والمؤرخون يعللون هذه الظاهرة بعلل مختلفة ، كشعور حديث العهد بالاسلام بالحاجة الى الوقوف على قدم المساواة مع من بعد العهد باعتناقه الاسلام ، وقد يؤدي به ذلك الى التزمت ، ويمكن ان نضيف الى ذلك كون جماعة من الناس الداخلين فى الاسلام مؤخرا ارادت التكفير عن ماضيها السيء ، عن طريق التشدد فى التقيد بمبادىء الاسلام وقواعده .

ولعل ما عرف به المغاربة من قديم ، من اتباعهم لكتاب الله والتزامهم بجميع شرائعه ، ان يكون راجعا الى تلك العقدة التاريخية القديمة ، عقدة كونهم يعتبرون من الموجات الانسانية التي وصلتها دعوة الاسلام متأخرة . فاذا كان العراقي والمصري والسوري

فحينئذ تنقلب وسوسته فى اسرار التوحيد فكــرة ونظرة وشهودا للذات الاقدس كما قال الشاعر :

ان كان للناس وســواس يوسوسهــم

فأنت والله وسواسي وخناســي (1)

وبعـــد :

فان الفكر التصوفي اذا كان يضــم فى خزانتـــه القرآنية جـــل ما كتب والف فى التفسير الفيضـــي الاشاري فانه مما لايرضينا ان تظل مكانـــة الاسهام المغربي فى تلك المكتبة شاغرة ؛ ومن أجل ذلك فاننـــا لانتركها فرصة تفوتنا دون ان نلتمس من مولانا اميــر المومنين وحامي حمى الوطن والدين ان يسد ــ حفظه الله ــ الثغرة فى مكتبة التفسير التصوفي باصـــداره امره الشريف بطبع « البحــر المديد فى تفسير القرآن المجيد » ؛ وبذلك يضيف مولانا امير المومنين ، حفظه الله ، الى حسناته فى سجل خدمته لكتاب الله وحديث رسوله (ص) وهي لاتعد ولا تحصى حسنة اخـــرى تذكرها له ــ نصره الله ــ اجيال الاسلام فى الحاضــر والمستقبـــل .

تطــوان ــ حسن الوراكلي

1) مـــن الجـــزء الرابـــع .



ويعظم الخطب ، يذكر الجميع اخيرا انهم مسلمون ، ومسلمون لا غير ، فاذا ذكر الاسلام يحل السلام محل الحرب ، والوئام مكان الخصام ، وينادي المنادي ان حي على كلمة سواء ، تجمع الشمل ، وترتق الخرق ، وتاسو الجراح . شهد التاريخ مرارا على ما للاسلام من تاثير بليغ فى نفوس المغاربة ، فهو روح وطنيتهم ، وعمدة زعاماتهم ، ومحور بطولاتهم ، واس مجتمعهم، باسم الاسلام كونوا الدول واسسوا الحكومات ، وحملوا راية الجهاد ، وكافحوا الاستعمار ، وحرروا الوطن ، وقاوموا الاباطيل ، وردوا كيد الغادر ، وحملة المغير ، طيلة عصور المغرب الاسلامي .

وكما توحد المغاربة بالاسلام والقرءان في القديم ، فهم يتوحدون بهما فى الحديث ، وفى المستقبل كذلك ، ولعل حاجة المغاربة الى تقوية هذه الرابطة اليوم ، لا تقل عن حاجتهم اليها فى اي وقت مضى . لاننا نعيش فى عصر يعج بمختلف المذاهب والاراء والفلسفات ، منها البناء ومنها الهدم ، وبما ان الهدم اسهل من البناء ، فقد لقيت الهدامة منها رواجا كبيرا فى كل انحاء العالم ، ونحن ككتلة بشرية تتاثر بمختلف التيارات التي يزدحم بها العصر ، لابد ان يصلنا حظنا منها احببنا أم كرهنا ، خصوصا وان وسائل الطباعة والاذاعة والتلفزة ، قد ضربت الرقم القياسي فى سرعة نقل الاخبار العلمية والادبية والسياسية وغيرها .

قد يقول قائل : لماذا هذا الكلام الان ؟ ان الاسلام بخير فى جميع الاقطار العربية ، والمسلمون هنا لا يختلفون عنهم هناك ، كلهم مسلمون ، لا يماري فى ذلك احد ، وقد يزيد قائلا : ومن يجحد اسلام المغاربة حتى نتصدى للدفاع عن اسلاميتهم وعراقتها فى تاريخهم ، ورسوخها فى حاضرهم ؟ .

وقد بينت من قبل اني لا اريد بهذا الحديث تزكية المغاربة كمسلمين ، ولا ادعاء ان اسلامهم احسن واقوى ، من اسلام غيرهم ، ولكن الذي اريده والح عليه، هو اننا يجب ان نتخذ من الاسلام والقرءان درعا يقينا شر المذاهب الهدامة التي وجدت لها مرتعا خصبا فى بلاد اخرى ، فالحق ان اصعب ما يواجهنا الان ، هو تحويل النظريات والمباديء الاسلامية الى واقع معاش ، يطبع حياة الاسرة وحياة المجتمع ، وليس معنى هذا ان الواقع الذي نعيشه الان بعيد عن الاسلام من جميع نواحيه ، فللدين تاثير على حياتنا كمسلمين مومنين بالله ورسوله ، والوجدان الديني عندنا بخير ، الا ان الملاحظ هو كون طابع الخرافة ما زال مسيطرا على الاكثرية من المغاربة الذين ما زالت الامية ضاربة اطنابها بينهم ، على حين ان الاقلية المثقفة ثقافة اسلامية تعيش بعيدة عن تلك الاكثرية ، قاصرة جهدها على معاهد الدرس ، غير ملتفتة الى السواد الاعظم الذي يقع فريسة الخرافة ، اللهم الا ما كان من بعض المبادرات الفردية التي لا تكفي فى هذا الصدد .

فنحن مقبلون او قل ما يجب ان نكون مقبلين على عدة اشياء : منها تصحيح الاوضاع الاسلامية فى بلدنا ، فالكثيرون منا يفهمون الاسلام على غير حقيقته ، ويقعون تحت تأثير الخرافات والاوهام ، فعندما لا يتمكنون من اخذ معلوماتهم الدينية الضرورية من مصدرها الرئيسي ، يتجهون بعقولهم البسيطة الى المشعوذين والدجالين الذين يسيئون الى الاسلام عن عمد وعن غير عمد . والمغربي كمسلم يتصل بالدين اتصالا مباشرا ، ويشعر بحاجته الى اكتساب معلومات عنه فى جل نواحي حياته ، ان لم نقل فى حياته كلها : فى صلاته ، وزكاته ، وصيامه ، وحجه ، ومعاملته لزوجه واولاده ، وابويه واخوته ، وفى حله لمشاكله العائلية والاجتماعية ، وكذا فى بيعه وشرائه ، وسائر معاملاته المالية ، فهو مضطر اذن لان يعرف راى دينه فى كل هذا . وحينئذ اما ان يملأ ذهنه بالعلم الحق ان وجد اليه سبيلا ، واما ان يملأه بالخرافات اذا اعوزته الطرق المؤدية الى العلم الصحيح . فلنكن على يقين من انه لا يمكن ان يبقى خالي الذهن فارغ الراس تماما . فهو اذا لم يملأ راسه بالعلم ، عششت فيه الخرافة . والخرافة التي تلبس لبوس الدين مسيطرة على السواد الاعظم من المغاربة .

ومن تلك الامور التي نحن مقبلون عليها نشر العلم الذي هو اقوم سبيل للقضاء على الخرافة واستئصالها من جذورها . والعلم المراد نشره لابد ان يسير فى اتجاهين يلتقيان فى آخر الشوط . الاتجاه الاول هو اتصال العلماء بالطبقات الشعبية ، لتصحيح افكارها عن الاسلام وحقائقه وحدوده ، وذلك بوضع خطط منظمة تكفل نجاح المهمة ولا تعرضها للفشل . فنحن لحد الان نرى ان التصدي لهذا العمل يوجد اليوم فى نطاق ضيق من جهة ، وغالبا ما يوكل لاختيار الافراد ومبادرتهم من جهة اخرى ، وهذا لا ياتي بالنتائج المطلوبة ، لكونه يفتقر الى وضع تخطيط دقيق، يكون من شانه ان ياتي بالنتائج المرجوة .

ويحتاج هذا العمل الى تخصيص مبالغ مالية لهذا الفرض ، والى تاليف لجان للسهر عليه ، على ان

قد بلغته الدعوة قبلنا ، ومع ذلك يتشدد فى الدين فى تلك العصور ، فما ذا نفعل نحن وقد وصلتنا الدعوة بعده ، وبعد سلسلة طويلة من الجهود والاعمال العسكرية الطويلة المدى ، والتي استغرقت من الزمن نحو سبعين سنة ، كلها نضال وكفاح ؟ .

ايكون سبقنا اليوم فى الدعوة الى احياء هذه الذكرى ، راجعا الى تلك العقدة القديمة ، التي ربما كانت رواسبها ما زالت تعمل فى اعماق نفوسنا الى اليوم ؟ فمن المعلوم ان عقد التاريخ لا تموت ابدا ، وانما تبقى حية عالقة بوجدان القوم ، فى جميع مراحل حياتهم ، وكل ما هنالك انها تكمن فى اللاشعور او في العقل الباطن ، لتتحرك متى توفرت الظروف الملائمة لاثارتها من جديد .

قد نكون متأثرين بتلك العقدة ، بيد اننا ينبغي الا ننسى ان هناك عوامل اخرى لا تخفى على الباحث ، كان من شأنها ان دفعتنا الى هذا العمل ، فنحن قوم لنا ظروفنا واوضاعنا التاريخية والحضارية الخاصة ، الامر الذي زادنا يقينا بان الوسيلة الوحيدة للتقدم والنهوض ، هي التشبث بقواعد الاسلام وتعاليم القرءان ، التي افادتنا بتجربتنا كأمة لها تاريخ حافل مجيد ، انها كانت وما تزال وستبقى دائما اساس عزنا ، ودعامة سيادتنا ، ومناط وحدتنا القومية . والعاقل من لا ينسى التاريخ ، ولا يفوته اخذ العبرة من الحاضر ، وقد اخذنا العبرة فعلا .

وعليه فالصوت الذي ارتفع هنا بوجوب الاحتفال بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرءان ، كان رد فعل ضد الضلال المذهبي الذي كان له سلطان على انحاء عديدة من الارض .

والمغاربة عند ما يحافظون على دينهم ، ولا يريدون به بديلا ، من عامتهم الى خاصتهم ، لا يصدرون عن تعصب ، ولا عن جهل بما يجري فى العالم من احداث وتطورات ، وانما هم يفعلون ذلك لانه الامر الطبيعي الذي ينسجم مع تاريخهم ، ومع طبيعة تكوينهم الاجتماعي والسياسي والثقافي .

فالمغرب هو بلد الزوايا والربط ، وهو ملجأ المالكية العتيدة ، وللمالكية فى المغرب قصة طويلة ، لها جانبها الفقهي ، وجانبها الاجتماعي ، وجانبها السياسي ايضا . ومواقف رجال المالكية فى تاريخ المغرب مسجلة بمداد الفخر على صفحات التاريخ . والمغرب هو البلد الذي قامت جميع دوله المتعاقبة على اساس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة الى الاصلاح الديني والاجتماعي والسياسي ، على ضوء تعاليم القرءان . وهذا البلد الذي حمل راية الجهاد فيما يليه من البلاد شمالا وجنوبا ، وقدم ارواح ابنائه امتثالا لاوامر القرءان فى الدفاع عن حوزة الاسلام ، ومجاهدة اعدائه من الخوارج الجدد ، والمرتدين والمفيرين . فلا غرو اذا كان الوجدان الديني عند المغاربة قويا ، لا تنال من قوته الايام والاحداث .

ولسنا نزعم ان اسلامنا اقوى من اسلام غيرنا ، ولا ان ايماننا احسن من ايمانهم ، فهذا يتجاوز ما نستطيع الى ما نستطيع ، وانما نقول فقط : اننا مهما كانت أحوال العالم المحيط بنا ، لابد ان نبقى مسلمين ، ومسلمين فقط ، لان ذلك هو ما يقتضيه منطق تاريخنا وشخصيتنا وكياننا الاجتماعي والسياسي والثقافي ، وعلى ذكر الكيان الثقافي ينبغي لنا ان نذكر جيدا ان الثقافة الاسلامية لها فى هذا البلد وجود عريق ، فالمغرب هو بلد الفقهاء منذ عصوره الاسلامية الاولى الى اليوم ، وهو الوارث الشرعي للفقه الاندلسي ، وللسلفية فى هذا البلد دعائم راسخة ، وما زال لها فيه وجود يجمع بين التراث القديم ، ومعطيات الثقافة الحديثة . ولا يخفى على احد ان السلفية ليست تعصبا كما يزعم بعض البسطاء ، وانما هي كفاح وجهاد وعقيدة ودعوة الى الاصلاح ، كذلك كانت ، وكذلك تستمر اليوم ، لا فى المغرب وحده ، بل حتى فى بعض البلاد العربية والاسلامية .

والسر فى تماسك المجتمع المغربي ، بواديه وحواضره ، جباله وسهوله ، هو عقيدة الاسلام المهيمنة على الجميع ، منذ ان اصبح للاسلام دولة فى هذه الديار الى اليوم ، والتاريخ يثبت ان الفاتحين العرب الاولين لهذه البلاد ، لم يستطيعوا تثبيت اقدامهم فيها ، الا يوم تمكنوا من تحبيب الاسلام الى سكانها الاصليين ، ثم لم تكد تمر حقبة من الزمن ، حتى كان الجميع عربا وبربرا متأهبين لمعركة الجهاد والفتح ، فيما يلي المغرب من بلاد اسبانيا النصرانية ، ترفرف فوق رؤوسهم الوية الاسلام ، ومن يومئذ والاسلام جامعة المغاربة العتيدة ، والقرءان ملاذهم الاوحد ، يرجعون اليه فى خاصة امورهم وعامتها ، وكم قام عندهم مقام الجيوش المظفرة ، والجحافل الجرارة ، فى اخضاع الثائر ، وتاليف النافر ، واقرار النظام ، فعند ما تطل الفتن براسها ، وتكشر عن انيابها ، وتعصف النعرات بالرؤوس ، والعصبيات بالنفوس ، وتحتدم الاهواء ، وتزمجر الاحقاد ، وتقع الكارثة ،

محيي الدين محمد ، كنموذج لهذا النوع من الكتب الهدامة المفرضة .

ولكن بالرغم من ان حظنا من ذلك يسير ، فازمة القيم لا تخفى على الباحث فى اوساط الشباب المغربي. فلئن لم يكن لها من وجود فى الصحافة الادبية المغربية ، فلأن هذه توجد فى ايدي امينة مخلصة تقف حاجزا دون الافكار المنافية للاسلام ، ان تتسرب الى حياتنا الابية ، وان كان الامر قد يجوز عليها احيانا . فعندما تفشى اوساط الشباب وتبادلهم الراي وتراقب سلوكهم فى الحياة الاجتماعية ، فانك تلاحظ ازمة القيم التي يتخبطون فيها ، ومما جعل من الاراء المسيطرة عليهم ازمة ، كونهم يعيشون داخل مجتمع اسلامي متمسك باسلاميته ، وينتمون لدولة مسلمة ينص دستورها على انها دولة مسلمة ، على حين ان افكارهم تتنافى مع التزاماتهم كمواطنين مسلمين فى وطن مسلم ودولة مسلمة .

هذا الشباب لا يمكن اصلاحه بالنصح والارشاد، او بالحيلولة بينه وبين الثقافات الآتية من هنا وهناك ، او بتقريعه ولومه ، وانما ، وانما يكون الاصلاح بوضعه فى اطار حياة اسلامية يحميها القانون الاسلامي والرأي العام المسلم ، وانا ضامن لك انه بعد مرور بضع عقود من السنين سيجد الجيل المغربي المقبل نفسه اسلاميا لا يعرف غير القرءان والاسلام له هدفا وغاية .

فاس : عبد العلي الوزاني

همم الملــوك ...

همم الملوك اذا ارادوا ذكرها
من بعدهم فبألسن البنيان

ان البناء اذا تقادم عهده
اضحى يدل على عظيم الشان

يختار اعضاؤها من الناس المقتنعين بقيمة هذا العمل الذي يناط بهم ، المؤمنين بأهميته وجدواه ونجاحه في آخر الامر ، ثم لابد من التفكير في اختيار العناصر الصالحة لاداء هذه المهمة ، من ذوي الثقافة الاسلامية، وبلادنا غاصة بهم والحمد لله . فاذا تهيأ لنا ان نجد ذوي الاستعداد الحسن للقيام بهذه المهمة ، كان من اللازم ان يمروا بتدريب يستغرق سنة او سنتين ، يكتسبون خلاله قدرة على تبسيط نظريات الاسلام للعامة بطرق جذابة سهلة وميسرة . ومن الضروري حينئذ ان توضع كتب دينية قريبة المنال ، سهلة المأتى ، لتكون في متناول من يظهر استعدادا للقراءة الاولية من عامة الشعب ، اما الابنية التي ينبغي ان تخصص لهذا الفرض ، فاعتقد انها موجودة عندنا ، فهناك المساجد ، وهناك قاعات المحاضرات ، وهناك المدارس التي تفرغ من تلاميذها يومين في الاسبوع ، زيادة على العطل القصيرة وعطلة الصيف الطويلة ، بحيث يمكن شغلها بهذا الامر خلالها .

واما الاتجاه الثاني ، فهو الزيادة في نشر التعليم، **ونحن نذكر لدولتنا العلوية انها جادة في نشر العلم، بين طبقات الامة ، وان عدد الاطفال الذين يلتحقون بمدارس الحكومة يزداد ارتفاعا سنة بعد اخرى ، من الاستقلال الى اليوم ، بالرغم من المصاعب الموجودة في الامكانيات المادية والادبية ، ولكن كم نود ان تقوى هذه الحملة ضد الجهل وتشتد ، لتصبح شغلنا الشاغل في هذه المرحلة من تاريخنا .**

ومن تلك الامور التي نحن مقبلون عليها او يجب ان نكون مقبلين عليها تنقية حياتنا الاجتماعية من الاشياء والمظاهر المتنافية مع مبادىء ديننا الحنيف ، ليحل محلها واقع اسلامي تتجند سائر القوى الخيرة العاملة : للسهر على جعله حقيقة ماثلة للعيان . فالراي عندي الا سبيل الى تكوين واقع اسلامي الا بعد المرور بعملية التنقية . فانت اذا اردت ان تبذر بذورا في تربة، لابد لك من ان تنقيها مما قد يشوبها من طفيليات واشواك واحجار ومواد غير صالحة ، وكذلك الامر فيما يتعلق بالواقع الاجتماعي الذي نعيشه ، لابد من المسارعة الى تنقيته من الموبقات اولا ، قبل الشروع في تشكيل واقع اسلامي صحيح . وهذه التنقية يجب ان تشمل ناحيتين : يجب ان تشمل النفس ، والواقع الاجتماعي . واذا كانت تنقية النفوس عملا صعبا نظرا لتوقفه على ضرب من الشجاعة الادبية الفردية تعتمد على الضمير والعقيدة ، فان تنقية الواقع الاجتماعي ميسورة نسبيا ، نظرا لكونه ملموسا ومشهودا ، وخاضعا للمراقبة والراي العام .

وهذا هو النهج الذي بدأ به الاسلام ، وهو النهج الذي يجب ان نبدأ به اليوم ، الاسلام وجه عنايته اولا الى تنقية النفس العربية من ادرانها ، والمجتمع العربي من خرافاته واوساخه ، ولذلك كانت سور القرءان المتعلقة بتصحيح المعتقد من اوائل ما نزل من القرءان، فلما رسخت عقيدة التوحيد وانكشفت الخرافة على انها خرافة ، ونسفت قواعد المجتمع الجاهلي ، وازيلت الالغام من طريق الاسلام الواضحة ، وضعت في المدينة اسس المجتمع الاسلامي الجديد ، ليحل محل ذلك المجتمع الجاهلي الزائل . التنقية اولا ، ثم البناء ثانيا. وبغير هذا النهج ، نبقى غير قادرين على تحقيق الغرض المنشود .

وعملية تنقية المجتمع من المساوىء المتعارضة مع قواعد الاسلام ، ينبغي الا يقتصر فيها على مقاومة المظاهر غير الخلقية ، فهذا على ما له من قيمة ، ليس من شانه ان نحقق ما نصبو اليه من حياة اسلامية صحيحة ، التنقية يجب ان تكون من الجذور ، من الاساس ، والاساس هو اساليب التربية المتبعة حتى اليوم ، التربية بمعناها الخاص ومعناها العام ، فابناؤنا لا يربون في البيوت تربية اسلامية ، ومجتمعنا لا يربي الفرد بعد ان يحتضنه تربية اسلامية ، اللهم ما كان من تربية تقوم على اساس المصادفة اكثر مما تقوم على اساس القصد والتوجيه . والمجتمع يربي الفرد عن طريق الصحف والمجلات وسائر اجهزة الثقافة ووسائل الاعلام ، وكذلك عن طريق القيم السائدة فيه وعن طريق ما يتمسك به من عادات وتقاليد وفنون ومعارف ، وما هو من هذا القبيل . وكل هذه الوسائل التربوية يجب ان يعاد النظر فيها واخذها بما يتلاءم مع وجهة الاسلام ، والا فنحن غير قادرين على تنظيف النفس والمجتمع تنظيفا جذريا .

واذا كان العالم العربي كله يعاني من ازمة القيم ، فنحن ناخذ حظنا من هذه المعاناة ، ولكنه حظ لم يصل الى خطورة الحظوظ التي اخذت منها بلاد عربية اخرى، فصحافتنا الادبية نظيفة ، خالية من الافكار الملحدة التي ظهرت في بعض مجلات الشرق العربي وصحفه ، والكتب المنشورة في بلادنا خالية من الزندقة الفكرية ، على حين ان مطابع الشرق تطلع علينا بين حين وآخر بكتب كلها زندقة والحاد . ويمكن للباحث ان يطلع على كتاب (ثورة على الفكر العربي المعاصر) لمؤلفه :

حسب بعض المؤرخين ، أن السيد ابن الطيب الروداني قد ادخل معه من البلاد الشرقية مطبعة تيسر طرق النشر وتسهل اخراج الكتب من نطاق المخطوطات الى ميدان المطبوعات ، وقد راى المولى محمد بن عبد الرحمن ان هذه الآلة ستكون فائدتها عظيمة وسترجع على الثقافة المغربية بالخير العميم بل دفعه شغفه بالعلم وهيامه بالمعرفة الى حيازة هذه المطبعة وجعلها تحت تصرفه ظنا منه انها اذا كانت تحت سلطة المخزن ستكون أكثر نفعا من بقائها تحت يد احد المواطنين يتصرف فيها كيف يشاء .

وقد اخذت هذه المطبعة تعمل عملها بادىء الامر في مكناس ثم تحولت الى فاس كما نص على ذلك اخونا العلامة المؤرخ الثبت سيدي محمد المنوني في الدراسة المتينة التي حررها في هذا الموضوع ، وكما اشار الى ذلك شيخنا العلامة محمد المختار السوسي في موسوعته المعروفة باسم « المعسول » .

ومن هؤلاء الملوك العلماء العاملين تقف امام انظارنا شخصية فذة هي شخصية السلطان المولى عبد الحفيظ طيب الله ثراه . فقد وقف بنفسه على طبع مؤلفات عديدة كان من الممكن ان تعبث بها يد الحدثان وتقضي عليها عوادي الزمان ولكن هذا الملك العالم تداركها بفضله وتولى حفظها من الضياع واخراجها الى عالم الوجود . فلمن يرجع الفضل في اخراج كتاب « احكام القرآن » لابن العربي ؟ ومن يا ترى زين خزائن العلماء « بالبحر المحيط» لابي حيان و « مشارق الانوار » ذلكم المؤلف الجليل الذي وضعه القاضي عياض والذي كان اخواننا في المشرق العربي والعالم بأسره يتطلعون الى اقتنائه والاستفادة من درره ونفائسه حتى قال فيه بعضهم :

مشارق أنوار تبدت بمغرب

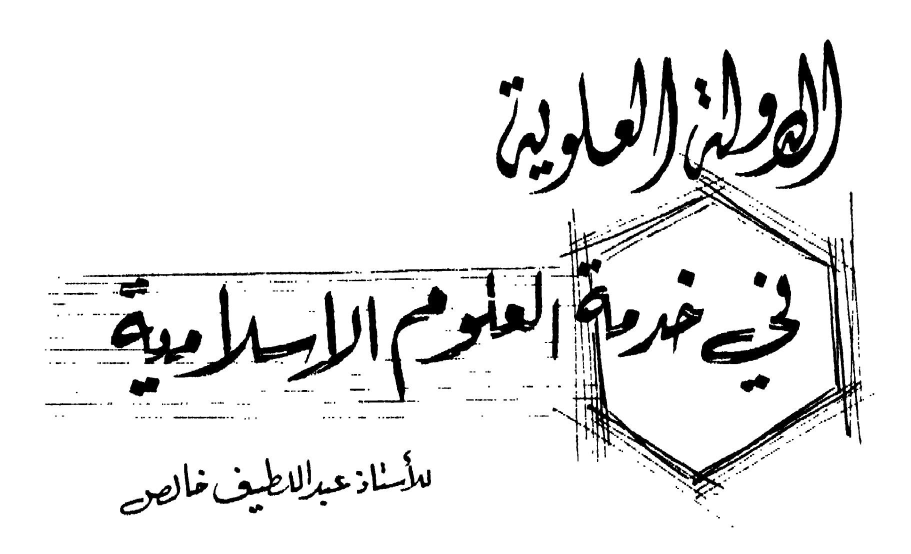
ومن عجب كون المشارق بالغرب

و « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » لابن رشد هو الكتاب القيم الذي كان كبار الفقهاء والباحثين يتلهفون شوقا للحصول عليه والارتواء من حوض نافعه والاغتراف من معين معارفه ؟ ومن نظم لنا « مغنى اللبيب » لابن هشام في رجز لطيف العبارة قوي الاشارة تلقفه علماء آخرون لشرحه حتى يعم نفعه ، وتحصل الفائدة للجميع ؟ انها اعمال ناطقة بعظمة مولانا عبد الحفيظ العلمية ومعربة عن مدى اهتمامه بالثقافة والفكر فقد خلف هذا الملك العظيم اثارا جليلة تتحدث عن مكانته وتخلد عهد حكمه ، كما ترك علوما لا تحصى ووقى من التلف والتلاشي مؤلفات جليلة لا تستقصى افلا يحق للعلوم الاسلامية ان تفخر بملك عالم ينظم « الشمائل المحمدية » « والجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع » ويؤلف « ياقوتة الحكام ، في مسائل القضاء والاحكام » افلا يجدر بعلوم القرآن والحديث ان تتيه بسلطان هائم بأنواعها المشرقة وفنونها الوضاءة يحضر مجالس التفسير ويترأس دروس الحديث ويناقش العلماء بحضرته ويناظرهم ويذكي فيهم جذوة البحث والتنقيب ؟ فالله المسؤول ان يجازيه على ما قدم من جليل الاعمال وبديع الفعال .

اما عن تطلع هؤلاء الملوك الى العلم ورغبتهم في ان تكون أمتهم تسير في ركب الحضارة والرقي وخوفهم من ان تتردى بلادهم في هاوية الانحطاط والحضيض فهو مما لا يخفى على احد . فقد تعرضنا سابقا الى اهتمام المولى محمد بن عبد الرحمن بآلة الطباعة والاستعداد الذي ابداه للانفاق عليها لانه كان يعلم حق العلم ان الطباعة تعد بمثابة اللبنة الاولى لكل هيكل علمي يراد بناؤه وكل رقي فكري يرام الوصول اليه .

ويحدثنا التاريخ في هذا الشأن من ملك عظيم آخر كان يتمنى ان يرتفع مستوى امته ويعمل بجد واجتهاد لاخراجها من العزلة والانكماش الذين استعذبتهما أمته واستطابت ظلالهما دولته . فقام يشيد بنيان العلم من الاساس ويبني دعائم المعرفة في بلاده على غرار ما كان يراه عند الامم والشعوب الاخرى .

وما هذا الملك الهمام الا المولى الحسن الاول الذي تاقت نفسه الى العلم والمعرفة ، ورام ان يجعل من امته خير أمة في هذا الميدان ، كان المولى الحسن الاول بعيد النظر مدركا لاسباب التطور والنمو ، خبيرا باسرار التقدم فقد اراد ان يبدا الاصلاح من الاساس الاول بدلا من الشروع فيه من اعلى القمم لانه كان يرى أن امته لن تستطيع أن تساير ركب الحضارة الجديدة الا اذا غيرت اساليبحياتها ، كما كان يدرك انه لن يتاتى لمملكته الانغمار في النهضة الحديثة الا اذا حورت عقليتها وما بنفسها غير انه كان يوقن حق اليقين ان لا سبيل الى ذلك الا اذا اخذ المواطن المغربي بأسباب هذه الحضارة وتشربها من ينابيعها ، فأخذ — قدس الله سره — يؤسس بعثات الطلبة ، ويوجهها الى الدول المتقدمة لترتوي من معين العلوم الجديدة ، وتغترف من ينابيع المدنية القائمة في الركن المتحضر من العالم ، وتكيل من الثقافة العصرية بالمكيال الاوفى . وهكذا



لعل ـ من اهم الامور التي تميز الدولة العلوية عن بقية الدول التي تعاقبت على الحكم في المغرب الاقصى ـ واجل الخصائص التي انفردت بها دون غيرها من الامارات والممالك ـ خدمتها للعلم والمعرفة، بصفة عامة ـ واشتغالها بالثقافة الاسلامية ـ بصفة خاصة ـ واقبالها على علوم القرآن والحديث بوجه أخص . فقد غنيت هذه الدولة العظيمة بملوك أعلام ، وأمراء جهابذة في اللسان والعرفان كما زخرت بالمآثر الخالدة من معاهد ومدارس ومساجد وزوايا كانت عنوان اهتمامات السلاطين السابقين والدليل على العناية التي يوليها ملوك الدولة العلوية وامراؤها في سبيل الدعوة الى الله وترغيب الرعايا في الاشتغال بالتعليم والتحصيل .

واذا كانت هذه الحقيقة بعيدة عن اذهان بعض المتطفلين على ميدان العلم والمعرفة ـ وبعض انصاف المثقفين الذين لم يستطيعوا اكتمال تكوينهم وتحسين معلوماتهم وتركيز معارفهم فانها ـ والحمد لله ـ لا تغيب عن العلماء المتلبسين بالثقافة المتينة الحق والمتطلعين للمزيد من البحث والتنقيب ـ ومما لا ريب فيه ان افتتاح الخزانة الملكية الذي ينتظر تحقيقه في الايام القريبة المقبلة سيكون مناسبة سانحة لهؤلاء الذين يرغبون في الاطلاع على هذه الحقيقة لانه سيضع امامهم البراهين القاطعة والحجج الساطعة على الاهتمام الذي كان يحظى به العلم من طرف ملوك الدولة العلوية خلال القرون الماضية واثناء العقود المتأخرة .

فمن سلطان هائم بالعلم ، شغوف برجاله كالمولى اسماعيل الذي لم تشغله الفتوحات المظفرة عن الاجتماع بالعلماء واستدعائهم لحضرته والذي حدثنا التاريخ عن الاعتناء الفائق الذي كان يخص به علامة المغرب اليوسي حيث قربه سنة وتابع مناظرته لعلماء فاس وغيرهم ـ الى مليك عالم يؤلف بنفسه ويشتغل بالبحث والتدريس ويتطلع الى قضاء اوقاته في مناظرة العلماء ومطالعة الفتاوي وتحديد المفاهيم كالمولى محمد بن عبد الله الذي خلف لنا آثارا علمية جليلة أعظمها كتاب « الفتوحات الالاهية في أحاديث خير البرية » الذي تم طبعه بالمطبعة الملكية في عهد جلالة الملك الراحل محمد الخامس ، والمولى سليمان الذي كان شديد الاهتمام بشؤون الدين يعلي مناره ، ويثبت أركانه والذي ترك تقاييد قيمة عن « المواهب » وغيرها من الكتب الاسلامية والذي حفزته محبته للسنة وتقديره لها الى الاعتقاد الجازم ببعض مظاهر الحركة الوهابية الى قائد ثابت جعل همه في تقريب وسائل العلم والمعرفة الى الناس وحبب اليهم العلوم على اختلاف مشاربها وطرقها وهيأ الاسباب للعلماء لاخراج مؤلفاتهم من الظلام الدامس الى حيز الوجود كالمولى محمد بن عبد الرحمان الذي يرجع له الفضل في ادخال آلة الطباعة الى بلادنا والذي كان السباق في ميدان التفتح الفكري والاستفادة من تجارب الشعوب الاخرى .

ويسجل التاريخ بمداد الفخر لهذا الملك العظيم عنايته بكل الوسائل التي ساعد نشر العلم ، فقد بلغه،

جلالته ينح على تحوير برنامج هذه الجامعة وادخال مواد جديدة في حصص التدريس بها حتى تجمع بين طابع الاصالة الذي ظلت تحافظ عليه طيلة احد عشر قرنا وبين روح التجديد التي يتعين ان تنفخ فيها حتى تستطيع ان تخرج علماء واعين لمسؤولياتهم الاجتماعية وتبعاتهم الوطنية .

وكان جلالة محمد الخامس يسهر بنفسه على تربيه الشعب تربية دينية كما كان يترأس بنفسه الحفلات التي تقام بمناسبة الاعياد الاسلامية الكبرى والليالي العظيمة الخالدة . فقد كان جلالته يحيي ليلة القدر وليلة المولد النبوي الكريم كما يحضر صلاة الجمعة في موكب رسمي تهفو لمنظره قلوب المومنين وتزهو بعظمته وجلاله نفوس المواطنين ، وقد بلغ من اعتناء جلالته بالدين وحرصه على اعطاء المثل الاعلى لشعبه ان كان يترأس بنفسه صلاة الجمعة ويخطب في جماهير المسلمين ويؤم بهم تقديرا منه للمنصب السامي الذي يجعل منه أميرا للمؤمنين وراعيا للملة والدين .

ولعل من واجب الاعتراف بالواقع ان نؤكد ان دور جلالة محمد الخامس في هذا الميدان لم يكن بالسهل اليسير لانه كان يعيش في ظرف كثر فيه الازدراء بالدين وقويت فيه شوكة الملحدين والمرتدين كما كان يواجه عسرا اراد الماديون ان لا يبقى فيه أثرا لمظاهر الروح، وحاولوا - عبثا - ان يكون السلطان فيه للحرية الدينية التي كانت ترتدي لباس الاباحية والتي كان يتستر وراءها بعض الضالين المضلين .

ولقد غادر محمد الخامس هذا العالم مطمئن البال - هادىء النفس ورجع الى ربه راضيا مرضيا لانه خلف وراءه شعبا مومنا ، وراعيا أمينا ، ورائدا صادقا هو جلالة الحسن الثاني الذي جمع ، بفضل التكوين الذي وفره له والده ، بين الثقافة الاسلامية الاصيلة والثقافة العصرية الحديثة والذي استطاع ان يوافق ضمن اهتماماته ومشاغله بين الدين والدنيا في توازن محكم وتعادل محمود لم يحقق فيه أي جانب الغلبة على الآخر .

فمنذ تربع صاحب الجلالة والمهابة الحسن الثاني ده الله ونصره على عرش اسلافه المنعمين اخذ يهتم بشؤون الدين ، وينكب على دراسة المشاريع التي يمكن بواسطتها تعزيز شأن الاسلام وتقوية جانبه وخدمة علومه .

وقد خرجت هذه المشاريع البناءة الى الوجود فكانت صورة لمشاغل جلالته وعنايته الفائقة بالدين ورجاله ، فقد فكر ، اولا ، في احياء الدروس الحديثية التي كانت تنظم في عهد اجداده المقدسين والتي لم يستطع محمد الخامس احياءها في عهد الاستقلال نظرا للاهتمامات الكبرى التي كانت تستحوذ عليه وتسيطر على فكره . وقد لعبت هذه الدروس دورا كبيرا في توعية المواطنين الذين توصلوا بفضلها ، الى ادراك الافاق التي تتوفر عليها الثقافة الاسلامية والحيز الكبير الذي يشغله التفكير في الاسلام والعلوم المتنوعة التي يزخر بها القرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد نفخت هذه الدروس في روح المواطنين بصفة عامة والمثقفين منهم ، بصفة خاصة ، الاهتمام بالدراسات الاسلامية والاقبال عليها . وقد ساعد على ذلك افتتاح دار الحديث الحسنية التي ما اعتقد انه كان في امكان ان تحصل على النجاح الذي لقيته من توافد الطلبة عليها وحسن استعداد العلماء للتدريس فيها لولا ما ظهر من قيمة العلوم الاسلامية ومن اكبار جلالة الملك للمتضلعين فيها . وقد نال القرآن من جلالة الملك الاهتمام اللائق به كمورد اولي للثقافة الاسلامية فتأسست مدارس للمقرئين كانت جوهرتها وزينتها مدرسة القراءات السبع التي اسست بشمال المملكة كما نظمت مباراة في التجويد كان لها احسن الوقع في نفوس المواطنين وان كانت تستدعي ملاحظات مختلفة تتعلق بطريقة تنظيمها وتعيين المشرفين عليها . وشمل الاهتمام بعلوم الدين طبع عدد كبير من المؤلفات الاسلامية الجليلة كترتيب المدارك للقاضي عياض والتمهيد لابن عبد البر وغيرها من المخطوطات النفيسة التي كانت تزخر بها الخزانات في المغرب والخزانة الملكية العامرة . وقد توجت هذه المنشورات باصدار مصحف الحسن الثاني الذي جاء ليسد فراغا كبيرا كان يشعر به كل راغب في التبرك بتلاوة القرآن الكريم والتفكير في الذكر الحكيم .

ولعل اعظم فتح عرفه الاسلام في هذا القرن هو القرار الذي اتخذه صاحب الجلالة بفرض الصلاة في المعاهد والمدارس واجبار الطلبة والتلاميذ واساتذتهم ومربيهم على اداء هذا الركن العظيم في الاوقات المحدودة واقامته على الوجه الاكمل . وان املنا هو ان يبقى هذا الامر المولوي السامي ساري المفعول وان تظل وزارة التربية الوطنية تسهر على تطبيقه حتى لا يغفل عنه مع مر الايام وكر الاعوام .

وان من دواعي الفخر ان يتصدى جلالة الملك وهو المثقف الواعي لمظاهر الحضارة المقدر لمختلف

توجهت البعثات المغربية الى أوربا فى نفس الوقت الذي وصلت فيها الى هذا الجزء من الدنيا الوفود الطلابية اليابانية .

وقد أراد الله سبحانه . لحكمة لا يعلمها الا هو، أن تتزود هذه البعثات بالعلوم العصرية الضرورية وان ترجع الى بلادها راضية مرضية لتجد المولى الحسن الاول قد غادر هذه الدنيا الفانية والتحق بالدار الباقية وتجد ان الايادي الاجنبية اخذت تعيث فسادا فى هذه الديار وتعمل جهد المستطاع حتى تظل بلادنا تغط فى نومها الثقيل وتبقى جامدة تجتر التقاليد الفاسدة البالية والعادات المضرة الغاوية حتى يبقى المجال مفتوحا لعبثها وكيدها لتصل الى القبض على زمام الامور فيها تحت شعار التقدم والحضارة واحتكار السلطات وابعاد ابناء البلاد عن مقاليد الحكم . وهكذا تحقق للمستعمرين الاولين ما ارادوا . فقد استولوا على البلاد وطردوا العناصر الصالحة ، وجعلوا مكانها بعض شذاذ الآفاق الذين كان همهم الاول والاخير ان لا تفيق هذه الامة من سباتها ولا تستشعر خطر الغزو الاجنبي والاحتلال الاوربي حتى يكون مكرهم قد تحقق وخديعتهم اتقنت وحتى يصير من الصعب على بلادنا أن تنهض من الكبوة وتطلع من الهاوية .

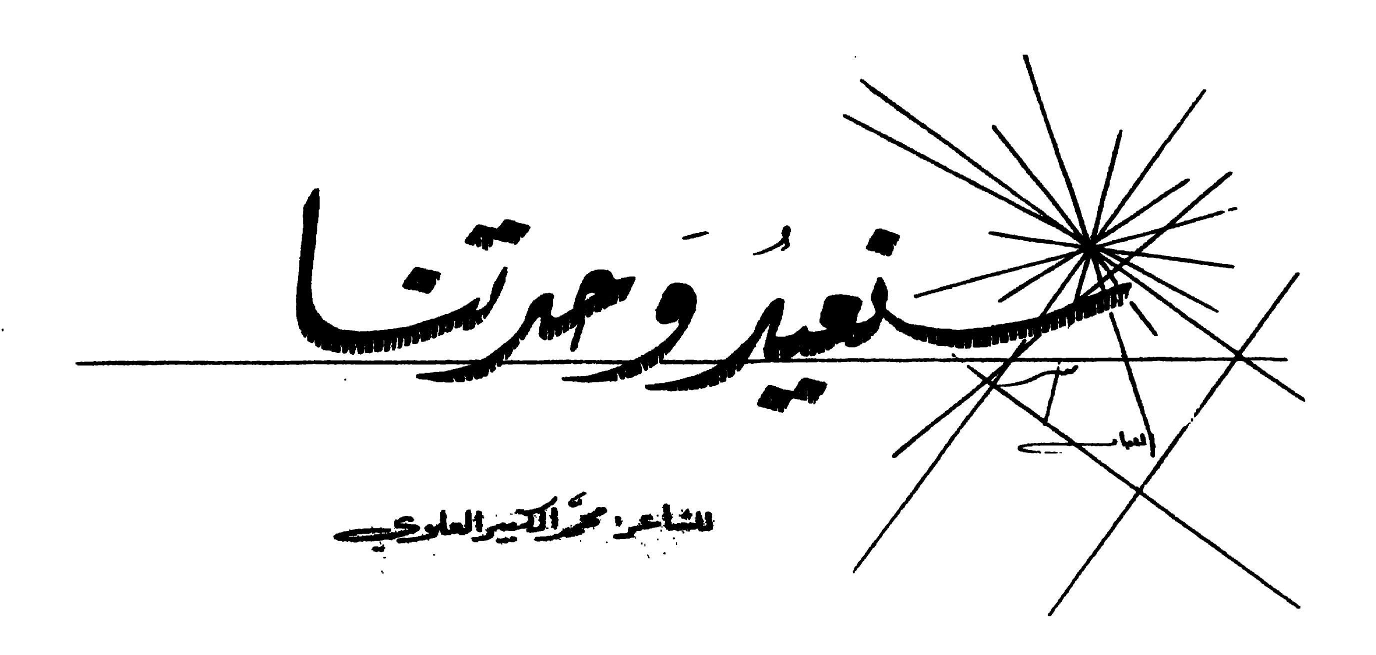
لقد رجعت هذه البعثات من أوربا مزودة باحداث العلوم كما عادت الى وطنها وهي متحمسة للاضطلاع بالمهمة النبيلة التي طوقتها بها الملك الحسن الاول ولكن هذه البعثات لم تجد لا فى الحكام ولا فى الاوساط الاجتماعية من يهتم بها ويفسح لها المجال لمزاولة خبرتها ونشاطها . فانقلب حماسها يأسا واستعدادها خمولا وتحفزها خيبة. وهكذا رضيت من الغنيمة بالاياب وحمدت الله على هذا المنقلب . ولعل من ضروب التحسر والاسف ان يصبح الطبيب من هؤلاء العلماء الذين تسلحوا بالعلم الحديث خبازا أو جزارا أو يمسي القائد العسكري الذي اطلع اثناء دراسته على خبايا الستراتيجية الحربية نجارا أو تاجرا رغم انه لم يكن مؤهلا للقيام بهذه الصناعة وهذه المهنة ، ولكن عوامل التأخر ومكايد الخصوم تفعل بالدولة والاشخاص ما تريد وتسخرهم كيف تشاء وتحول بينهم وبين ما يصبون اليه

وكيف لا يحصل مثل هذا الوعيد وقد كتب القدر على أمتنا أن تبتلى بالاستعمار وتصاب بالانكسار والخسران .

وقد شاء الله ان لا تدوم بلادنا فى هذه الكبوة اذ سرعان ما سرى الوعي الوطني فى النفوس فتحركت الهمم واستيقظت المشاعر لتغير مجرى الحياة فى بلادنا ، وانطلقت الامة المغربية تستعيد أمجادها وتحيي ما درس من آثارها وتخطو خطوات موفقة فى سبيل اصلاح احوالها ورفع مستواها الثقافي والاجتماعي .

وقد كانت هذه الانطلاقة المباركة ثمرة جهاد ملك علوي صالح هو سيدي محمد بن يوسف الذي قام يشيد معالم الدين ويؤسس المعاهد والمدارس ويسعى لاحياء كل غابر من تراثنا وكل دارس من رسوم حضارتنا . وهكذا لم تمض على المملكة المغربية فترة من الزمن لم تتجاوز ربع قرن حتى اخذت امتنا تستعيد مكانتها وتضع خطط الاصلاح والتقدم بايدي ابنائها. واذا كان الجزء الاكبر من عهد جلالة الملك الراحل محمد الخامس قد مضى فى محاربة المستعمرين ومقاومة الاحتلال الاجنبي ، فان هذا الملك المقاوم استطاع ان يوحد صفوف الامة وينفخ فيها روح المقاومة ويذكي فى نفوس ابنائها الرغبة فى العلم والمعرفة ادراكا من جلالته بأن هذه الامة لن تستطيع استرجاع مجدها وعظمتها الا اذا اقبلت على العلم ، وتسلحت بسلاح المعرفة الحديثة والثقافة العصرية .

وقد عرفت علوم القرآن والحديث ، فى عهده ، ازدهارا منقطع النظير لانها وجدت فيه المومن الصالح الذي يتفقد معاهدها بالتجديد ويتعهد معالم الدين بالاصلاح الضروري لنهضتها . فبالاضافة الى المساجد التي لا تحصى ولا تعد والتي شيدت بفضل عزيمته القوية وحزمه المكين والمعاهد الدينية التي لا حصر لها ولا عد عمل جلالته على اصلاح جامعة القرويين ، موئل الثقافة الاسلامية فى هذه البلاد ، وحصنها الحصين ، فقد أسس لها لها مجلسا علميا يضم خيرة العلماء وجعل على راسها مديرا حازما جمع بين الثقافة الاسلامية والتكوين العصري حتى يسهر على ادخال التغييرات المناسبة على برامجها وطرق التدريس ، وحتى تتمكن هذه الجامعة العتيدة من النهوض من كبوة الخمول والجمود التي كانت تتردى فيها وحتى تصير مثال الجامعات الاسلامية الموجودة فى كبريات العواصم بالعالم الاسلامي ، وحتى يقبل عليها الطلبة المسلمون من جميع الاصقاع كما كان شأنها فى الماضي . ولقد عبر جلالته بنفسه عن هذه الرغبة التي كانت تختلج فى اعماقه عندما حضر الى فاس لرياسة الحفلات التي أقيمت بمناسبة مرور احد عشر قرنا على تأسيسها وقد ساعدني القدر فحضرت هذه الحفلات وشاركت بالقاء قصيدة فى هذه الذكرى فاستمعت الى



بمناسبة حلول عيد العرش السعيد اتقدم بهذه القصيدة مشاركة متواضعة في هذه الذكرى المجيدة .

تاه الزمان بعرشك المزدان ... وتشرفت بك وحدة الاوطان
تاه الزمان بعيد عرشك زاهيا ... يمشي الهوينا مشية النشوان
فقد اكتست حلل البهاء بلادنا ... وتبرجت بجمالها المزدان
وبدت عواصمنا عرائس تزدهي ... بحليها وبحسنها الفتان
في كل قلب فرحة ومسرة ... وبكل بيت حفلة وتهاني
هذي جموع الشعب ضاق بها الفضا ... من كل صوب اقبلت ومكان
قد اعربت عن حبها وولائها ... للعرش والحسن العظيم الثاني
عرش يفيض على البلاد جنوبها ... وشمالها باليمن والاحسان
شرفت بلاد المغرب الاقصى به ... وتنعمت في منعة وامان
عرش تفيأت البلاد ظلاله ... فحنا عليها وهو نعم الحاني
عرش وشعب ساميان الى العلى ... في صالح الاوطان ملتحمان
ملك تفانى فى مصالح شعبه ... ففداه شعب مخلص متفان
ملك عظيم الشأن سام مجده ... يسمو عن الاشباه والاقران
ملك تفرد بالمحامد ماله ... في فعله وصفاته من ثان
العرب تشهد والاعاجم انه ... ملك الزمان خليفة الرحمان

جوانبها المادية والمعنوية ، لتناول الحديث عن الاسلام فى كل مناسبة ومحاولة تقريبه الى الافهام وغزو قلوب الزائغين المترددين حتى يعودوا الى حمى الديـــن ويفزعوا الى ربهم مومنين مسلمين فقد اعطى جلالته بذلك المثل حتى يقبل العلماء على اداء رسالة الدعوة بكل طمانينة وحتى لا يظل المثقفون ثقافة اسلاميـــة وجلين حانقين من ازدراء المنكرين وتردد الملحدين .

وعلى كل حال فقد واصل جلالة الملك ، حفظه الله العمل الذي كان يقوم به اجداده المكرمون فى سبيل نشر الدين وخدمة العلوم الاسلامية مستعملا فى ذلك طاقته الفكرية الهائلة ومستغلا مواهبه المتعـــددة لتعزيز جانب الثقافة الاسلامية فى هذه الديار ضاربا بذلك خير المثل لجميع الذين تقع على عاتقهم تبعـــة الدعوة لهذا الدين وموافقا فى جميع خطواته السديدة، بين جانب الثقافة الاسلامية الاصيلة وجانب الثقافـــة الحديثة العصرية ومؤكدا فى كل مناسبة بان هـــذا الجانب لا يقل أهمية عن ذاك وان خيـــر الافـــراد والشعوب من استطاع أن يمزج بينهما مزجا محكما لا ضرر فيه ولا ضرار .

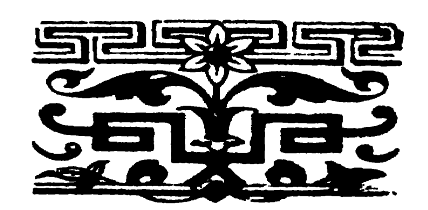
وخلاصة القول فان ملوك الدولة العلوية الذين تعاقبوا على الحكم فى هذه البلاد لم يالوا جهدا فى خدمة العلوم الاسلامية كل حسب استطاعته ووفق طاقته . واذا كان البعض منهم قد اكتفى بتشييد المساجـــد والمعاهد فان الآخرين وضعوا خير المشاريع واجلها لنشر هذه العلوم كما وجد من بينهم من رمى بنفسه فى هذه المعركة معتمدا على ثقافته للكتابة والتاليـــف والتدريس ومن وقف نفسه على طبع هذه المؤلفـــات وتيسير وسائل الحصول عليها على العلماء والطلبـــة وذلك أضعف الايمان .

الرباط : عبد اللطيف احمد خالص



واذا سلكت سلكت نهـج محمـد   واذا نطقـت نطقـت بالقـرآن
شنقيـط شيعتـك الابيـة انهـا   تسعـى لوحـدة هذه الاوطـان
انا لنقسم باسمك الحسن الـذي   هو في الاسامي جامـع الايمـان
لنوحـدن شمالنـا وجنـوبنـا   بكفـاحنـا وبقـوة الايمـان
سنعيد وحدتنا وماضي مجـدنـا   في ظل عـرشك وهو خير ضمـان

لشاعـر الوحـدة محمد الكبير العلوي



الشعب يشهد والبلاد بفضله ... وهما لعمري عندنا عدلان

أعلى المدارس والمساجد رافعا ... أعلامها مرصوصة الاركان

قد حرر الاوطان من ظلم العدا ... قهرا وحصنها من العدوان

وقضى على المستعمرين محققا ... نصرا تقر بمثله العينان

واقام جيشا في البلاد بمثله ... تعلو وتفخر أمة العربان

أمعلم الاجيال أستاذ الورى ... حسن البلاد محرر الاوطان

شمخت بك الجوزاء اذ جاوزتها ... ولانتما في الافق جوزاوان

وتغنت العلياء في آفاقها ... بثنائك الممتد في البلدان

واعتز عصرك في العصور مساميا ... ومفاخرا بك سائر الازمان

للمغرب الاقصى بعرشك عزة ... وله بك الشرف العظيم الشان

هذي مدارسنا تشع بنورها ... مملوءة بالشيب والشبان

تجلو الظلام بنورها وبهديها ... علما وتشفي غلة الظمآن

أنت الحكيم الفيلسوف المرشد الـ ... اعي المعلم ناشر العرفان

في الاشتراكيين نهجك واضح ... من حاد عنه هوى الى الخسران

تغني الفقير ولست تفقر مثريا ... هيهات بل تغنيهما في آن

ذو الفقر محظوظ لديك وذو الغنى ... اخوان في جدواك مشتركان

المغرب الاقصى سيصبح جنة ... في كل شبر منه عشر جنان

مليون هكتار تشكل آية ... من معجزات العاهل السلطان

هذي المشاريع العديدة انها ... خير الشهود واصدق البرهان

هذي السدود الشم قد اسستها ... نعم المؤسس انت نعم الباني

غمرت مواهبك الخلائق نعمة ... وهمت على الاوطان منك يدان

فجرت خيرات البلاد فأمطرت ... بنعيمها المتصبب الهتان

وهمت فيوضك في البلاد تعمها ... وطفت على الاوداء والكثبان

وبلغت حدا في المكارم قاصيا ... ينحط فكري دونه ولساني

الدهر دونك همة وعزيمة ... فاحكم فانك قدوة الاكوان

جلت صفاتك ان تحيط بكنهها ... كلمات مدح رصعت ومعان

لم آلف تعبيرا بمدحك وافيا ... لاقوله فشرعت في الهذيان

الصمت أبلغ في مديحك سيدي ... والقول عن تعداد مدحك وان

انت الذي ان قلت حيرت الورى ... ببلاغة واخذتهم ببيان

واذا سكت شغلت فكرك باحثا ... في الجد في التشييد في البنيان



للشاعر حسن علي العلوي

جدير بفعلك ان يشكرا ... وحق لشعبك ان يفخرا

اذا ما صنعت لنا شرفا ... تشيد في اثره مفخرا

وان انت اكسبتنا وطرا ... تضيف الى مثله وطرا

تريد لنا ان ندوس السها ... وان نطا الكوكب النيرا

وترجو لنا الصدر في زمن ... يعاف التاخر والقهقرى

فجندت امتنا للنضال ... واكسبت هذا الحمى مفخرا

وحققت آمالنا في العلى ... واجليت عن ارضنا العسكرا

يتيه بك الدهر اذ علقت ... يمينك في جيده الجوهرا

وتاجك انواره سطعت ... تنير القلوب وتهدي الورى

وعرشك وحدنا للعلى ... وآخى العروبة والبربرا

وملكك في ظله سعدت؛ ... بلاد الاشاوس اسد الشرى

وعصرك بالفن مزدهر ... وفي عهدك العلم قد اثمرا

واعمالك الغر قد عظمت ... وفاقت من العدد الاكبرا

فليست تحد منافعها ... وليست تعد ولن تحصرا

احبك شعب يريد العلى ... وبايع في شخصك الخيرا

وبايع فيك الجدير الذي ... يقود المواطن والعسكرا

سهرت على امة اخلصت ... وغيرك من يستلذ الكرى

وراينا المناكر قد غيرت ... وكنت الذي غير المنكرا



انها فرحة عيد الحسن الثاني العظيم
لوحة تستوقف التاريخ بالطبع الكريم
ها هنا نسعى جميعا فى صراط مستقيم
مجدنا وهو جديد وطد المجد القديم
كم بنينا من سدود تضمن الخير العميم
وبعثنا من نهوض ونشرنا من علوم
هذه بادرة العلياء والمجد الصميم
نحن للدنيا وللدين على الحق نقوم
نحن بالقرءان في الكون شموس ونجوم
ولنا في الضاد عز ، اذ بها العز يدوم

* * *

في ظلال الاطلس الحر جنان وعرائس
وعيون صافيات ، وجمال متجانس
في ظلال الاطلس الفض كنوز ونفائس
قد روى التاريخ حلوا في المغاني والمجالس
ومضى الدهر وما زال علينا خير حارس
وسما في كبرياء ، يخذل الخصم المشاكس
أيها الاطلس يا نبعا من النور المؤانس
انت أحرى ببلاد ، ليس فيها متقاعس
بل أسود حرسوا العرش ، وفاقوا كل فارس
في ظلال الحسن الثاني ، وفي أمجاد (خامس)

الرباط — محمد بن محمد العلمي

فقد جاءك الحسن المرتضى ... ليجعل من مائك الكوثرا
يحق لمن كان ذا فعله ... لموطنه الحر أن نشكرا
فشكرا أبا أمة برزت ... تمتع في وجهك النظرا
وتسأل رب السما أن يطيل ... لعاهلها المصلح العمرا
وأن يحفظ الله أسرته ... لخير البلاد ونفع الورى
ويحفظ للعرش شبل الحمى ... وليا لعهدك يرقى الذرى

فاس : محمد بن علي العلوي



وحاربت من قد اسا للحمى / والقمت من قد بغى حجرا
هزمت برايك من سولت / له النفس بالغدر نهب الثرى
وقلت لهم ارضنا تفتدى / وليست تباع ولا تشترى
بلاد اذا ما دعت للنضا / ل نريق على تربها الاحمرا
ونسترخص الروح في عزها / وما عرفت أسدها القهقرى
نسير بها دائما للامام / ونرفعها فوق هام الذرى
لقد اورثتنا الاصول الدفاع / وعلمنا المجد ان ننفرا
غرست لنا صالحات الامور / وها هو ذا الغرس قد اثمرا
وعلمتنا نفع مغربنا / وان نتقن العمل المثمرا
وحسبك ان قد ملكت القلوب / فكنت لها السمع والبصرا
واطلسنا الحر مبتهج / يباهي بك الشمس والقمرا
وتهتف باسمك صحراؤنا / وتدعو لك الله ان ينصرا
راتك فذكرتها حسنا / من الشرق جاء ينير القرى
يشد الرحال لخير البلاد / ويهجر ينبوعه الاطهرا
فابصرت الفرع في أوجه / يشابه في مجده العنصرا
وهبت تقبل من قد اتى / يحقق للامة الوطرا
وارقصها ان تراك بها / تدشن في ارضها مفخرا
فاضحت تزغرد من طرب / وحركت الدف والمزهرا
تحيي الذي زارها منقذا / يحول فيها الحصى جوهرا
وعدت فانجزت ما قد وعدت / واحييت بالعزم ما اندثرا
وقدمت للشعب معجزة / تكون من اصغر اكبرا
وخيرته بين كاس تراق / وسد عظيم يروي الثرى
وأرشدته فاستبان الصواب / وضحى له الشاي والسكرا
اذا ما قضيت له وطرا / تحقق من بعده وطرا
اردت لنا السد فانطلقت / سواعدنا تحمل الحجرا
وجئت تدشن ما قد وهبت / لنجني من فعلك الثمرا
اتيت لصحرائنا منقذا / تصير قاحلها اخضرا
وتجعل من ارضها جنة / تروق البصائر والمبصرا
تمر بها نفحات العبير / تناغي العصافير والجؤذرا
اذا كنت يا (زيز) فيما مضى / تكن الخراب وتمحو القرى

أشرقت والعرش العظيم هلاله ... بدر ينير كواكبنا فى فضاء
بالعيد فاهنأ أنت للعرش عيده ... والعرش حصن فضيلة وبقاء
ما زلت بالاعياد عزا مكرما ... مر السنين مجدد الارجاء
ومصادق الاجيال أنت تصوتها ... ما لاح نجم فى أديم سماء
وافت اليك قلوبنا تطوى الفضا ... خفاقة فى غمرة الاطراء
أشرقت من أفق الفخار وجئت من ... أصل الجلال وغرة الشرفاء
خاضوا البطولة ما استكان دفاعهم ... عن حوزة بالذود والاحياء
صانوا الفضائل للوجود وللنهى ... لنوال مجد فى ذرى العلياء
فعلوت شأوهم وكانوا سادة ... جلت محاسنهم عن كل ثناء
كنت الامير المرتضى لمحمد ... خل الوفاء ورائد الشهداء
وابن البطولة يافعا فمتوجا ... رمز الفخار مناط كل علاء
سادت بفضلكم البلاد جميعها ... وتفاخرت طرا بنيل رجاء
أيقظتها من نومها فتنبهت ... لما أنطت مصيرها ببناء
وأعدت بالنظم القويمة مجدها ... فسمت بهمتكم الى الجوزاء
وسرى التقدم فى ربوع ترابها ... من نفح كدك مثل موج ضياء
فتيامنت مر السنين بنهضة ... ميمونة اسستها عن صفاء
انقذت هذا الشعب من عثراته ... وحفظته من جولة الاعداء

مالى أحدث أنفسا عن ذا الذى ... للنفس كان شرارة من سناء ؟
بيض الايادى والانامل بالندى ... تضفو فتنعش مقترا بسخاء
ما زلت ترعى بالنفيس رعية ... حفظت لكم عهدا ودوم دعاء
الحلم شيمة بيتكم والحلم لو ... شئتم لكان لخالص الاهواء
دم للفضيلة للمكارم للعلى ... تحمى الحمى فى الريف فى الصحراء
طب فى الورى نفسا فانت زعيم جيـ ... ـل ونحن جند كرامة واباء
فاذا الملوك تصاعدت أعمالهم ... نهض الشعوب من الكرى لبناء

يا حامى الاسلام يا من فى الورى ... أعليت شان الملة الغراء
وضربت امثال النزاهة والتقى ... بين الملوك وسائر الكبراء
وكسوت دين الله ابهى حلة ... ضاءت بها الاكوان أى ضياء



العرش والتنزيل فى احياء … قم خاشعا للذكر فى الارجاء

أعظم بذكرى العيد والقرآن … رمزان من نور ومن ضياء

سبحان من بالدين والعرفان … أعلى لواء العرش فى العلياء

حق الثنا يا رب للايات … العيد والذكرى والف دعاء

نور الهدى عم الورى ببهائه … فى جلال يوم حافل بعطاء

عمت بشائره الفضا مذ أشرقت … هذى الملائك والملا فى لقاء

هبوا لبعث الدين والفرقان … ذا العيد بالذكر وبالاسماء

الدين والدنيا لنا صنوان … فكذا شعار الملة السمحاء

لله يا ذكرى ويا عيد فكم … أيامنا سعد وكم من رجاء

نور على نور وعيد مشرق … يهدى الالاه بنوره المترائى

من عهد طه محمد خير الورى … شرفا وآله زمرة الفضلاء

والوحى بالتنزيل ما زخرت به … آياته من رحمة وشفاء

ما أشرقت شمس علينا ولالات … نارا ونورا مثل ذا الضياء !

مولاى أقلبت البشائر والمنى … فى جلال عيد ساطع لالاء

عودوا (لاردن) ما استكان كفاحها — والقدس نسقى أرضها بدمــــاء
عودوا لاولى القبلتين وثالث الـــ — ـــحرمين يسعد يومنــا بلقــــاء

عودوا لهدى محمد ، حق الهدى — وبحبل دين تمسكوا لنجــــاء
يا رب قو العزم واشدد ازرنــا — واحفظ امامنا رمز كــل عـــلاء
والهم شعوب العرب كل عزيمـــة — لبنـــاء وحـــدة أمـــة وابــــاء
بالصدق والايمان نحمى سيرنــا — لا حول فى خلف وفى بغضــــاء
للذب عن ملة ومجـــد عروبـــة — ولغارة تصلو العـــدى لجـــلاء
فبمثل ذا يرضى الرسول وسبطه : — الصف صـــف مناعـــة ومضـــاء
فى موكب الحسن العظيم وركبـــه — نمضى ولا نبغى بديـــل عطـــاء
يا باعث الاســـلام يـــا ربانـــه — نحن الفدا فى اليســـر والضـــراء
فالعرب ان ساروا على هدى الرسو — ل ونهجكم فالنصر تلو النـــداء
انا وراءك سائرون مـــدى الزمـــا — ن فـــدم ودام العـــرش فى لالاء
لا زلت فى هذا الجلال منعمـــا — بولى عهدك رمز كـــل هنـــاء

مكناس : الحسن الحجوى



وجعلت للاخلاق كل حصانة   كى لا تضيع بنفثة الجهلاء
وحميت بالمثل القويم شبابنا   من كل مصطنع دخيل نباء
وحبوت بالعز الاصيل عدالة   ورجال علم عامل وقضاء
فوهبت شعبك من نبوغك تارة   ومن التقى اخرى ومن انشاء
فالمكرمات الخالدات كتبتها   والتضحيات بذلتها بوفاء
كم من أمان غاليات حققتها   أرضيت شعبا حافظا للولاء
فالضاد تشكر ما لكم من منة   بلغت بها شرفا عنان سماء
وكتبت للعلم الحياة بمجمع   اسسته بدعائم الاحياء
وافت اليه طلائع من مشرق   عضدوا جهابذة من العلماء
قننتوا الى الذكر الحكيم وفيهم   كنت الهدى علما بغير مراء
ابدعت فى الاعجاز علما وحكمة   وشأوت ابهى النور أى بهاء
وسموت بالفكر الاصيل وبالحجى   فكذاك كنت منارة الاراء

لله اذ سعد الزمان بليلة   وبسنة احييتها بنداء
تنزيل طه لذكره تجديد   الله حافظه لدوم بقاء
ناديت للذكرى فهامرت بنا   عشر واربع هيا للاحياء
جددتها فضلا بما عبقت به   آثار دوحتكم بلا احصاء
فى الليلة العظمى وما حفلت به   من رحمة وشفاعة وجزاء
عنت الوجود لمحفل ضم الهدى   الروح والملك استوى فى سماء
عم الضياء بمجمع دعواته   كم رددت فى الارض من أصداء
أوفيتمو عهدا لآل محمد   طوبى لكم يا صادق الانباء
فالارث عن شرف وحبل شريعة :   بالدين فاعتصموا بلا اغواء
والذود عن ملة ونهج كرامة   فالعرب لا ترضى بيوم شقاء
لهفى على أرض العروبة داسها   صهيون يا للصدمة الهوجاء !!
لابد من يوم نعود لاخذ ثأ   ر ، لا محال ، فاليوم يوم فداء
هيا الى التحرير فى أرض الكنا   نة فى الخليج معاقل الشهداء
فى الضفتين وفى القنال سنلتقى   وبحيرة ، لابادة الاعداء
هيا لغسل العار لا نرضى بنكـ   ـسة غدر يوم الهجمة الشعناء
مهلا فلسطين فلا هود يجو   ب فى أرض ايوب وفى سيناء

وهكذا كان يجتمع بالمفكرين والعلماء فى كل حدب وصوب ويعرفهم بما عزم عليه ويبين ان روح الاختيار وعدم التقيد بنظام فى الدراسة بالكلية القروية لا يمكن ان ياتي بالنتائج المتوخاة وان العالم كله يسير وفق نظام وتخطيطات محكمة فى جميع شؤونه واننا مقبلون على الاحتكاك بالامم والشعوب على اختلاف طبقاتها وتعدد نظمها واختلاف اجناسها وعقائدها وادیانها . وذلك يدعو بالطبع الى تجديد السلاح الذي نتسلح به دائما حتى لا نغلب على امرنا ونسقط فريسة لاهل البغي وانصار الضلال ، فكانت صرخته تنفذ الى اعماق قلوب جميع طبقات الشعب وتتلقاها الامة عن بكرة ابيها ، وقد اقبل الشباب والكهول والشيوخ على النظام الجديد للجامعة القروية هذا النظام المحكم الذي استطاع ان يخرج للمغرب علماء مقتدرين استطاعوا ان يحافظوا للامة على تعاليمها رغم المناورات والدسائس والمقاومات العنيفة التي كانوا يتلقونها من خصومهم المستعمرين والمتأثرين بروح الاستعمار والحركات الالحادية الهدامة .

ولا يتسع المجال هنا للتحدث عن هذا النظام وما كان يحتوي عليه من اسلاك يمكن اجمالها فى اطوار ثلاثة ابتدائي وثانوي وعالي ذو شعبتين دينية وادبية وكل طور اختير له مدرسون وخططت له التخطيطات ووضعت له المناهج التي كان يشرف على وضعها مجلس يسمى بالمجلس العلمي يحتوي على كبار علماء المغرب وتراسه شخصية انتهت اليها المشاركة فى المعقول والمنقول وعركت الحياة وعركتها ومارست الدراسة والتدريس اجيالا وقد دعاه التفكير فى تنظيم جامعة القرويين الى التفكير ايضا فى النواة الاولى التي تغذي كلية القرويين وتزودها بالعناصر الصالحة ، انها الكتاتيب القرآنية المنتشرة شرقا وغربا وجنوبا وشمالا فى المدن والقرى والجبال والسهول وفي كل نقطة من بلاد المغرب الفسيحة لان القوم كما ذكرنا متدينون بطبيعتهم ولا يمكن لمدشر ولا لقرية بل ولا لعائلة ان تعيش بدون مؤدب يرعى شؤون ابنائها ويهتم بتربيتهم وتعويدهم على احسن الخصال واجمل الفعال ويزرع فى افكارهم الطيبة البريئة الطاهرة الشاملة لجميع ما يحتاجه الانسان من مهده الى لحده وبل وحتى بعد هاته المرحلة حتى يلقى ربه ويشمله بعنايته ورحمته ويكتب له السعادة والعيش فى النعيم فى جنات عالية قطوفها دانية .

ولما رأى محمد الخامس طيب الله ثراه ان غاية الاستعمار وخططه ترمي الى القضاء على اللغة العربية وعلى القرآن الكريم الذي يحفظها بين دفتيه والاساليب والطرق التي شرعها للوصول الى اهدافه الخبيثة وجه عنايته الى رعاية التعليم القرآني حيث جعل امره سواء فى المدارس والكتاتيب موكولا اليه وحده ولا يمكن لادارة المعارف التي كانت تشرف آنذاك على التعليم العمومي ان تتدخل فى شؤونه الفنية والمادية حيث كانت القرويين تابعة لوزارة العدل والكتاتيب القرآنية حرة فى شؤونها المادية ولكنها من الناحية الفنية تابعة لوزارة الاحباس ، وقد اقبل الشعب المغربي على التعليم القرآني اقبالا اقلق راحة المستعمرين مما جعلهم يكيدون للقائمين عليه وينعتونهم بأقبح النعوت ويدعون انهم انما يتسترون وراءه لبث آرائهم المنافية للفضائل وللاخلال بالامن والنظام وتأليب عامة الشعب على الحكومة وحتى على الملك ولكنه رحمه الله كان على علم دقيق بكل هذه الدسائس ويقابلها بالصبر والحكمة ويسن من القوانين ما يظن الاستعمار انه فى صالحه ولكنها فى الحقيقة مسامير كان يدقها محمد الخامس فى نعش الاستعمار لان تقنين التعليم القرآني وتقسيمه الى كتاتيب قرآنية تهتم بالقرآن وحده وبتحفيظ متون العلوم العقلية والنقلية والى مدارس قرآنية حرة تعمل على العناية بتدريس مباديء العلوم اللسانية والشرعية والعقلية كل ذلك من شأنه ان يركز اللغة القومية ويحيط تعاليم القرآن الكريم بسياج من الرعاية والحفظ والتقدير ويجعل المقبلين عليها فى تكاثر دائما حتى كانت تفوق باضعاف مراكز التعليم الذي تشرف عليه الادارة الفرنسية .

وهذا ما حدا بهذه الادارة الى ان تتخذ موقفا متشددا ازاءها حيث عمدت الى اقفال ابوابها لانها شعرت بخطرها وعملها المنافي لتركيز النفوذ الاجنبي فى المغرب . فتظاهر تلاميذها الصغار فى الشوارع معلنين سخطهم على الاستعمار الثقافي واللغوي فقام جلالة المغفور له محمد الخامس بعمل حازم فى الموضوع حيث امر بفتح المدارس القرآنية واصدر ظهيرا ملكيا بتاريخ 11 ـ 12 ـ 37 يسمى بقرار وزيري نظم تفتيشا دقيقا للكتاتيب القرآنية والمدارس القرآنية وخصص منحا لحملة القرآن والقائمين على شؤون هاته الكتاتيب والمدارس ، ومن هنا اصبح التعليم بالكتاتيب والتعليم الحر يخضع لقوانين يضعها القصر الملكي وحده تحت الاشراف المباشر لجلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه . وبفضل هاته الرعاية الملكية السامية استطاع التعليم القرآني ان يحافظ على



للأستاذ محمد ادريس العلمي

من المعروف من كتب التاريخ ومن الطابع الـذي بقي لحد الآن يطبع حياة المغرب والمغاربة ان هاته البلاد قامت دولتها على الدين وعلى المحافظة على القـرآن الكريم وتعاليمه الحية رغم تعاقب السنيـن وتعـدد مشاكل الحياة وتعقدها ، واذا كان المرابطون استطاعوا ان يؤسسوا دولة تضم ما بين حدود مصر وجزيـرة الاندلس وما بين مناطق البحر الابيض المتوسط الـى تخوم افريقيا الجنوبية والغربية بفضل احتفاظهم على نشر القرآن وعلومه .

واذا كان الموحدون الذين جاءوا بعدهـم انمـا نجحوا فى دعوتهم بفضل تجديد ما اندثر من تعاليـم القرآن وعلومه على يد المهدي بن تومرت وعبد المومن ابن علي وبنيه . واذا كانت الدول التي تعاقبت بعدهم من مرينيين وسعديين لم تغفل هذا الجانب الحيـوي من حياة المغرب الاجتماعية فان العلويين برزوا فى هذا المضمار ابا عن جد وملكا عن ملك وخصوصا فى عهـد الملك الصالح المصلح محمد الخامس طيب الله ثراه .

هاتـه الشخصية الفذة التي لم يمنعها ما جـد فى مطالب الحياة وتكاليفها وضغط الثقافات الاجنبيـة والحركات الهدامة التي كانت تلقى تأييدا كبيرا مـن طرف المستعمرين واذنابهـم المنبثيـن فى كـل مكـان ــ (اقول) لم يمنعها كل ذلك عن ان تسن للبلاد نظاما دينيا ياخذ احسن ما عند الامم فى جميع مجالات الحياة العصرية ويحافظ ايضـا على الروح الدينية المثلـى ، ولذلك كنا نراه دائما فى صراع مع المستعمر ومع الذين يجهلون كل شيء عن تعاليم الاسـلام وعن الفكـرة التي نزل من اجلها القرآن وهي تكوين امة مسلمة قوية تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتومن بالله وحده .

نعم منذ ان تقلد زمـام السير بالمغـرب ورعاية شؤونه العامة والخاصة المادية والادبية وهو يفكـر ويبحـث ولا يـدع فرصـة تمـر دون ان يحقـق مغنما جديدا لامته وبلاده متدرعـا بالصبر الجميـل وسالكا طريق الحكمة والدعوة بالتي هي احسن امتثالا لاساليب الدعوة التي بداها جده المصطفـى صلى الله عليه وسلم والمستوحاة من تعاليم القرآن ومن الآيـة الكريمة « ادع الى سبيـل ربك بالحكمة والموعظـة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلـم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين » .

لقد درس اساليب الاستعمـار فى الاقتصـاد والسياسة والاجتماع وفي كل شيء شيء ، وكان يخلو الى نفسه دائما ويتأمل ماذا يراد بالمغرب وما يبيتـه الاستعمار الغاشم لاهله وبنيه ، وكان دائم التفكير في ذلك كله ، يخاطب احباءه واصفياءه ويبين لهم انه لا يدع الفرص تسير ولا يهدأ له بال حتى تسعد بلاده ويسعد اهله وتدرك مطالبها وتسير على نهج سلفها الصالـح رضوان الله عليهم .

وقـد دعاه تفكيره الديني المتجدد المنبعث من اعماق قلب مومن متيقظ شاعر بالمسؤولية الدينيـة والدنيوية ان يفكر فى التعليم الديني ويجدد لجامعـة القرويين التي تحتضنه شبابها ويطورها وفق الحيـاة الجديدة حتى تكون دائما فى مستوى رسالتها الخالدة .



كتاب محمد أو إلى دار الأرقم

للأستاذة آمنة اللوه

- رواية تمثيلية ... في أربعة فصـول ...
- زمانها ما بين الجاهلية وظهور الاسلام ...
- مكانها بادية العرب ومكـة المكرمـة ...

هذه رواية تمثيلية عن تحرير القرآن الكريم للمرأة المسلمة .. تتقدم بها كاتبتها المحترمة على صفحات هذا العدد المخصص لامجاد الدولة العلوية المالكة فى خدمة القرآن وعلومه .. راجية أن تعود مثوبتها على روح المجدد الاعظم فقيد العروبة والاسلام الملك الافخم مولانا محمد الخامس محرر المرأة المغربية فى القرن العشرين ومعيد نشاطها ونهضتها .. رضي الله عنه فى العالمين وأعلى مقامه فى العليين ..

اشخاص الرواية

الفصل الاول

ام سلمى	ظمياء
ابو سلمى	مية
ام أوفى	بنات صغيرات
خولة	سلمى وسليمى وسمية

(يرفع الستار عن ام سلمى وهي جالسة امام خيمة وحولها بناتها الصغيرات واحدة منهن فى حجرها تناغيها وترقصها .. وتداعب الاخريات وتغني بما تغني به الامهات عادة لاطفالهن .. وهي فى لباس عربي ذي الوان فى هيئة تدل على القناعة وضعف الحال ..)

ام سلمى : (تغني فى حنان) :

بنتي ! بنتي ! بين البنات
انسي بها طول الحياة
ازهى بها الى الممات
بنتي ! بنتي ! بنت الحسب
بنت العلا بنت العرب
فخري بها ولا عجب

(ثم يدخل زوجها ابو سلمى فى حالة نافرة ، وهو يزمجر .. وتقوم اليه احدى بناته لتحييه ، فيدفعها عنه فى خشونة ، فتلوذ بأمها) :

صبغته الدينية وتمكنت المدارس القرآنية الحرة من ان تؤدي رسالتها على اكمل وجه ، وقوي نشاط حفاظ القرآن وحملته خصوصا لما تحققوا من عناية صاحب الجلالة بهم واهتمامه بامر القرآن وحملته الذين وضع لهم شهادة خاصة تمنح للمجيدين منهم بعد ان يجتازوا اختبارا فى القرآن ورسمه تحت اشراف قاضي المدينة او القرية وبواسطة لجنة من حفظة القرآن وعلماء الرسم والتجويد تختار لهذا الغرض وبقي الحال هكذا الى سنة 1956 اي سنة الاستقلال حيث استرجعت وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة امر النظر فى التعليم القرءاني واصبح بمقتضى مذكرة رقم 21 خاضعا لتفتيشيات تنظمها هاته الوزارة بواسطة مفتشين رئيسيين ثلاثة وبمساعدة نواب مخبرين فى كثير من المدن والقرى وبعثت مصلحة التعليم الاصلي فى وزارة التربية الوطنية بمذكرات الى عمال المدن والاقاليم بواسطة وزارة الداخلية ترجوهم فيها مساعدتها في احصاء الكتاتيب والمدارس القرآنية عبر المدن والقرى فقام العمال بالامر خير قيام وبعثوا بتقارير ضافية عن عدد الكتاتيب والمدارس وعدد الحفاظ والمعلمين وعدد تلاميذ هاته الكتاتيب . وقد ارتأت مصلحة التعليم الاصلي ان لاتبقى الكتاتيب محافظة على نظامها العتيق الذي اصبح عائقا لها عن تأدية رسالتها نظرا لتطور اساليب التربية والتعليم من جهة ولكون العائلات المغربية قد تفتحت آفاقها عن النظم الجديدة المتبعة فى الامم التي سبقتنا فى هذا المضمار . فوضعت مشروعا للكتاتيب النموذجية طبق فى كثير من المدن والاقاليم كما انشئت مدارس للمقرئين بالشمال والجنوب اعطت نتائج لابأس بها . وبعد التعديلات التي ادخلت على وزارة التربية الوطنية انتقل امر تفتيش الكتاتيب والمدارس القرآنية والحرة الى نياباتها الاقليمية .

وفي سنة 1962 وضعت هاته النيابات احصائيات مكنتها من التعرف على عدد الكتاتيب والمعلمين والتلاميذ هذا العدد الذي ناهز نحو اربعة عشر الف كتاب تضم نحو هذا العدد من المعلمين وترعى نحو ثلاثمائة الف طفل

وبقي الامر على هاته الحال حتى سنة 1964 حيث انعقد اجتماع بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ضم كثيرا من المسؤولين من هاته الوزارة ومن وزارة التربية الوطنية وقر الرأي على رجوع الكتاتيب القرآنية الى الاحباس واحتفاظ وزارة التربية الوطنية بأمر مساعدتها فنيا فقط .

والحقيقة ان أمر العناية بالتعليم القرآني وبعلوم القرآن كان فى طليعة الاعمال التي تقوم بها الدولة العلوية منذ نشوئها لحد الآن وكان هذا التعليم يلقى من كافة الملوك والمسؤولين فى هاته الدولة ما هو جدير به نظرا لغيرة هذا الشعب على دينه والكتاب المنزل الذي هو دستور حياته المادية والمعنوية . وقد اظهر جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله فى كثير من المناسبات عطفه على حملة القرآن واهتمامه بالتعليم القرآني والتربية الاسلامية بوجه عام مما هو معروف ولا حاجة لبسطه لانه حفظه الله يقتفي اثر والده وسلفه الصالح فى ذلك فنرجو بمناسبة هاته الذكرى الخالدة ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم على الرسول الاعظم ان تتجدد الاعتبارات على جميع المستويات وان تسترجع تعاليم القرآن مكانتها في نفوس جميع المغاربة والمسلمين قاطبة لانهم كلهم جربوا الخروج عن هاته التعاليم والنتائج التي استنتجوها والوبال والانحطاط الخلقي والاجتماعي الذي وصلوا اليه ، والحقيقة انه لو اتبع المسلمون هاته الروح الانسانية التي تحويها تعاليم القرءان الكريم بل لو اتبعها الناس كلهم لانعدمت مشكلة الفقر ولحلت مشاكل التغذية ولعاشت منظمة الامم فى أمن من مخاوف الفقر وانعدام القوت . والناس من خوف الفقر فى الفقر . وصدق من أورد هاته الحكمة الاسلامية الخالدة .

الرباط : محمد ادريس العلمي

الفصل الثاني

مسعار	هبنقة
عوف	سمرة
صخر	ابو سلمى
مرة	ام هانيء

(يرفع الستار عن ثلة من الرجال فى مصطبة ، يشربون ويتسامرون ومن حين لآخر يتردد عليهم الساقي بما يطلبون .. واللباس عربي والاثاث بدوي والاواني من الفخار او من الصفيح ..)

مسعار : من منكم يخرج معي غدا الى الصيد يا رجال ! قد اتى موسم الصيد ، وقرمت اسناني الى لحم الظباء ، الآ ترون اسراب القطا تغدو علينا وتروح ؟

عوف : (فى تهكم) عهدي بك يا مسعار ، تدعونا لشن الغارات ، واقتحام حومات القتال ، فكيف غدوت اليوم تدعونا الى مطاردة الوعول، وبقر الوحش .. ! ؟

صخر : ان مسعارا غدا مسطارا يجتزيء باللقمة الباردة عن اللقمة الحارة ، صرف سهامه عن الهيجاء الى الظباء .. ! (ضحك) .

مسعار : كفاكم مزاحا يا رفاق ، كدتم بمزاحكم تثيرون حفيظتي ، فأدعو أحدكم الى المبارزة (يقولها فى حدة) .

مرة : كلا يا مسعار ، ليس فى الحي كله من يشتط به الامر الى هذا الحد ، فأنت ولا جدال مسعار الحروب وجذيلها المحكك . (يرفع كأسه) اشربوا يا قوم نخب مسعار ..! (يهزون كؤوسهم) .

(هنا يدخل هبنقة صاحب الفكاهات والنوادر، وهو شخص قصير ذو حدبة ، عليه امارات البله والدعابة ، وفي عنقه عقد من الودعات..)

صخر : تقدم يا هبنقة ، فلقد ظمئنا الى حديثك (يقولها فى فرح)

عوف : (وهو يضحك) ان ابا الودعات يحمل الينا اليوم فى حديثه فكاهات مستطابة ..

هبنقة : (يجلس على الارض ، ويدعو الساقي ولا يجيب ..) هات يا ساقي هات ! (يصفق ويبالغ فى التصفيق ، والساقي واقف لا يجيب) ما لساقيكم هذا يا قوم لا يجيب ، هو اعمى ، اصم ، لا يبصر ولا يسمع ! ولكن هكذا يكون ساقي اللئام حقا ! (يضحك القوم).

مسعار : يا ساقي ، اسق ابا الودعات كأسا مزة (يأتيه بها) قص علينا يا ابا الودعات كيف اصطدت أرنبك بالامس ؟

هبنقة : (وهو يتضاحك) اني يا فتيان ، لا اصطاد الوحشي كما تصطادونها انتم ، انما اخرج الى الصحراء فتقع الطيور من حولي ، فآخذ منها ما اشاء (يضحكون)

صخر : واذا نفر منك وحش ، فما تفعل به ؟

هبنقة : افعل به ما فعلت بالارنب الحمقاء .

سمرة : وما فعلت بالارنب الحمقاء ؟

هبنقة : خرجت يوما الى الصحراء ، فدعوت الارانب ، فاجتمعت حولي الا واحدة أبت أن تقترب مني لشدة حمقها ، فعدوت وراءها ، لكنها زادت نفورا ، فرميتها بسهم من نشابتي، فلما رات السهم يجري وراءها راغت عنه الى بعض الدروب ، فعارضها والله سهمي في الدرب ، فما زالت تروغ ويروغ معها الى ان نفذ فى كليتيها (يضحكون)

مسعار : وقل لهم يا ابا الودعات لماذا تجعل هذه الودعات فى عنقك ..

هبنقة : اجعلها فى عنقي علامة لي لئلا اضيع (يضحكون)

صخر : واذا خرجت بالابل ترعاها ، فكيف ترعاها ؟

هبنقة : اجعل الابل السمان فى خير المراعي ، وانحي عنها الابل الهزيلة .

صخر : ولماذا تفعل هكذا ؟

هبنقة : اني لا اصلح ما افسد الله (يضحكون)
(هنا يدخل ابو سلمى وهو يلوح بيديه في حالة اضطراب)

ابو سلمى : اسمعوا يا رفاق ، لقد تمردت علي المراة ، واستأسدت علي انثى ، لقد ملأت بيتي اناثا ، وانا فارس ابن فارس ، أريد الفرسان للضرب والطعان ، مالي واربات الحجال من لا يغني

ابو سلمى : (يخاطب امراته فى غضب) ـ آه ! انت ما زلت تدللين هذه المخلوقات ، وتوهمينهن انهن شيء يستحق الاهتمام ، الم انهك غير ما مرة عن ذلك ، اليس لك فى الشاء والابل وصغار المعزى والخرفان خير بديل عمن لا يغني شيئا ، لا فى السلم ولا فى الحرب . !
(ولما رآها لا تجيب ضرب الارض برجله .. فذهب يكلم نفسه) ـ ولكنها انثى بنت انثى ، وهي لا تلد الا الاناث ، عقمت عن ولادة الذكور ، وملأت بيتي باسماء النساء ربات المغزل ، هذه سلمى ، وتلك سليمى ، واخرى سمية .. وا اسفاه .. ! لقد الحقت هذه المراة بي العار ، فصرت استحي ان اغدو او اروح على مجامع القوم ، طالما تواريت عنهم .. يبشرون بالذكور والرجال ، وانا لا ابشر الا بذوات الحجال ، من لا يغني في قتال ولا نزال ، ومن لايقوم لي يوم الفخار ، الا مقام العار والشنار !

ام سلمى : (تنهره فى حدة) كفاك ايها الرجل كفاك ، بئس ما تنطق به كل يوم ، تغدو وتروح علينا وانت ترغى وتزبد ، ناقما على بناتك اللائي من صلبك ، ساخطا على من ليس لي يد في ايجاده ولا فى خلقه .. اذا كنت عقيما فانت اعقم ، واذا كانت هذه الفلذات غما عليك وكمدا فانهن لي رياحين وسلوى ونعيم (تضمهن اليها) .

ابو سلمى : (بتهكم وضحك)

سلوى ونعيم ! سلوى ونعيم ! لقد هممت ايتها المراة ان آخذ منك هذه السلوى والنعمة فأدسها فى التراب .. !

ام سلمى : لا تكفر ايها الرجل ، فان امك كانت انثى . وان العزى ومناة الثالثة الاخرى هما ايضا انثيان ، فليكن قلبك لينا .. !
(هنا يحس بوخز ضميره فيطرق قليلا ثم ينسحب من البيت) .

ام سلمى : (تناجي نفسها) اما من خلاص من هذا الهوان ؟ اليك عني ايتها الآلهة اين انت ! واين قدرتك ! يا ما تضرعت اليك لتكشفي عنا هذا الظلم ... ! اما ينجلي هذا الليل فيسفر عن صبح مشرق وضاح نطمئن فيه على انفسنا وعلى بناتنا ؟ ..

(وفي هذه اللحظة تدخل بعض نساء الحي زائرات ..)

ام سلمى : (تقوم اليهن مستبشرة) ـ اهلا بالعقائل الكريمات ، رحبت بكن الدار ...

ام اوفى : سلمت ام سلمى ، وسعدت بك سلمى ، وسليمى ، وسمية !

ام سلمى : زاد بك بيتي انسا ، ولقيت منكن عزاء وسلوى (تظهر عليها كآبة)

خولة : مالك يا ام سلمى شاحبة كاسفة ؟ ما للابتسامة قد غاضت من ثغرك ؟

ام سلمى : حز فى نفسي ايتها الاخوات ما نقاسيه نحن النساء من اضطهاد وما تقابل به البنات من كفر وهوان ..

ظمياء : انني سعيدة على اي حال ، لقد رضيت بما قسم لنا ، فنعمت بالا وسعدت حالا ..

ام سلمى : ولكن بئس ما اخترت لنفسك يا ظمياء

مية : ولكنها معذورة يا ام سلمى (تقول ذلك في لهجة قوية) انها تخشى ان يتحدث الحي عنها كما يتحدثون عنك ..

ام سلمى : (في اهتمام) ـ بماذا يتحدثون ؟

مية : يقولون انك خالفت سنة العربيات وتحديت الآلهة ، لذا فستثور عليك وينالك غضبها .

ام سلمى : فلتثر الآلهة ، ولتنقلب الارض ، ما دمت غير آمنة على بناتي وعلى نفسي ، وما دمنا مغلولات مظلومات موءودات .

ام اوفى : (باندهاش) ـ الى اين يذهب بك يا ام سلمى .. ! اتريدين ان تكوني لبابة السلولية ؟ ..

ام سلمى : نعم هي مثالي ، وهي قدوتي واسوتي ! فلم

لا تصرن انتن مثلها ؟ ولم لاتشعرن بهذا الذل الذي يخيم عليكن وعلى بناتكن ؟ انكن عربيات والعربية ابية ، لا ترضى بالهوان ، ولو في قصر من ذهب !

الزائرات : (بصوت واحد) ـ عاشت ام سلمى ! عاشت ام سلمى !

(ستار)

مرجانـة : ان مولاي من سادات العرب ، وهي تريـد ان تشاركه فى السيادة ، وبذلك تخرج عـن تقاليد قومهـا .

ميمـون : هل اذا تزوجت بك يا مرجانة ، يا فتانة ، تفرضين علي ارادتك انت الاخرى ؟ (ثم يقول فى عبث) لا ، لا ، لا ، اعيش اعـزب ولا تسود علي امـراة .

مرجانـة : دعنا من ثرثرتك يا ميمون ، فليس لـك بشأن النساء علم ، اذهب عنا .

ميمـون : (يخرج مهرولا وهو يقول) : اذهب آتيكم بالعرافة من هيكل الآلهة لتطرد شياطين الجن التي توسوس لسيدتي .

(وفي هذه اللحظة تدخل أم سلمى ، ومعهـا نساء الحي ، فيتمادين فى الحديث قبـل أن يجلسن)

ام اوفـى : هوني عليك يا ام سلمى ، لاتراعي ، فلـن تجلبي لنفسك الا العار اذا تماديت فى هذا .

ام سلمى : وهل اذا كنت أريد رفـع العـذاب عن نفسي وعن بناتي سمي ذلك عارا ؟ هل علي جناح ان التمست لبناتي ولبنات جنسي حق الحياة الكريمـة ؟

(وفي هـذه الاثناء يدخـل العبد ميمـون بالعرافة ، وهي عجـوز هرمة تلبس لباسا اسود ، يغطي سائرها وتخطو بتؤدة على عصا ترتعش ، وفي يدها بعض أشيائها ..)

ام سلمى : (فى اندهاش) من هذه يا عبد السوء ؟

ميمـون : (فى اضطراب) الشفاء ، الشفاء ، العرافة الداهية كاهنـة الحـي .

(ام سلمى تنقبض مشمئزة) .

ام اوفـى : مرحى ، مرحى ، احسنت يا ابن الامة ..!

العرافـة : (فى صوت يشبه الصفير) جئت اباركم باسم الكاهـن الاكبر ، والعراف الاشهـر ، عراف اليمامـة ، جئت اطرد من سمائكـم الشيطان المارد .. باسم اللات والعزى ، جئت اسوي الماء والهواء ، والظل فوق البيـداء .
(تشرع فى حركـات غريبـة ، واشـارات سحرية ، وهي فى صمت والكل فى وجـوم ، ثم تنشر أشياء أمامها وتنظر فيها وتقول) .

ان لم يكذبني حدسي فأم سلمى قد حل بهـا غضب الآلهة واستنزلت لعنة يغوث ويعـوق ونسرا .. لقد نطق لسانها بما فيه شك لآلهة العرب .. فاسرعوا بتقديم القرابيـن .. أجيبي يا علبة الاسرار ، ويا جعبة الانـوار ، قدموا القرابين ، (تسكت قليلا) انه الشفاء للسيدة ام سلمى ، ربـة السلمى ، على أن تغري ، وتقري ، وتملأ يدي ، بالسمن الزبدي ، والدرهم العسجدي ، العسجدي العسجدي (تكـررها ..) .

ام سلمى : كفاك يا عجوز ، انصرفي لحـال سبيلك ، واعطها يا ميمون ما يرضيها ، ولا تعد تدعوها
(يأخذ بيدها ، ويخرج بها)
(ثم تدخل أم هانيء التي ظهرت فى الفصـل الثانـي)

ام سلمى : رحبت بك الديار يا أم هانيء .. فهـل مـن نبـأ ؟

ام هانيء : جئتك بنبا عظيم ، هو الخلاص لمـا نحـن فيه جميعا ، واذا صدق قائله فهو الصبـح الابلج الذي سيفير وجه حياتنا .

ام سلمى : تكلمـي وافصحـي ..

ام هانيء : حدثتني أم رومان القرشيـة ان محمد بن عبد الله القرشي الفتى الامين نزل عليه كتاب كريم ، فيه كلام يأسر القلـوب ، ويشـرح النفوس ، ويأمر بشريعة ما عرفتها العـرب من قبل ، تقضي برفع الضيم عـن الضعفاء ، والتسوية بين الرجال والنساء ، وتحريـم السبي ، والواد ، والعضل ، واكراه الامـاء على البقـاء ..

ام سلمى : ومن هي أم رومان هذه التي انبأتك ؟

ام هانيء : هي أم فتاة لها عندي ، ارضعتها ببداديتنا ، فهي لذلك تزورنـي وازورها وتحمـل الي الالطاف والهدايا ، وكان مما حملت الي هذه المرة ، هذه الورقات (تخرجها مـن تلافيف ثوبها) وقالت انها من كتاب الله وانها ممـا انزله الله فى شأن تحرير المراة ..

ام سلمى : وهل تحفظين منها شيئا ؟

ام هانيء : نعـم ، احفظ منها آيات ، اعادتها أم رومان على مسامعي حتى حفظتها .

غناء الرجـــال .. قلت لها هـــذا فهاجت وتنمرت .. اي واللات والعزى ، زعمت ان البنات كالبنين .. !

عـــوف : بعـــدا لها من كلمـــة !

ابو سلمى : دلوني على حل يا رفاق ، خيـــر لـــي ان اواري وجهي عنكم من سوء ما ملكت يدي !

مـــرة : احزم امرك يا صاح ، واقطـــع دابر هـــذه الرقطاء قبل أن يستفحل امرها ، وقبـــل ان يتحدث العرب فيقولون : ان امراة من العرب خالفت سنة آبائهـــا وسولت لها نفسهـــا الخروج على عادات قومها ..

مسعـــار : لقد تهاونت يا ابا سلمـــى ، فهنت عنـــد المراة ، اعلم ان النار اذا اشتعلت اتت على كل ما حولها ، فبادر واقتل الفتنة فى مهدها فكل عـــار ينالك ينالنا ..

ابو سلمى : قولكم الحق ، ورايكم الصواب ، ستعلمون نبأها بعد حين ، سأدس بناتهـــا فى الطيـــن واجعلها حديثا للغابريـــن ..

(هنا تدخل امراة عجوز ، في يدها ورقات.. تحييهـــم وتجلس)

مسعـــار : ما بيدك يا ام هاني ؟

ام هانـــيء : (فى صوت متهدج) وريقات أتت بهـــا أم رومان من مكة ، البلد الحرام ، من عنـــد الفتـــى القرشـــي .

عـــوف : ومن الفتى القرشي هذا ؟ (فى استغراب)

ام هانـــيء : انه محمد ، ومن يجهل امر محمد ، وامر كتاب محمد .. !

عـــوف : وهل هذه الورقات من كتابه ؟

ام هانـــيء : لا ادري يا بني فأنا امية لا اقرا ولا اكتب، فانظروا من يقرؤها لكم .

مسعـــار : خذها يا سمـــرة ، انك كنت بالحيـــرة ، وخالطت الاحبار والرهبان ، ونظرت فى الزبر.

سمـــرة : (يأخذ الورقات من العجـــوز ويمضي فى قراءتها بتأثر والقوم فى وجـــوم)

سمـــرة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت ، واذا الجبـــال سيرت ، واذا العشار عطلت ، واذا الوحوش حشرت ، واذا البحار سجرت ، واذا النفوس زوجت ، واذا المـــوءودة سئلت ، باي ذنب قتلت ، واذا الصحف نشرت ، واذا السمـــاء كشطت ، واذا الجحيم سعرت ، واذا الجنة ازلفت ، علمت نفس ما احضرت ، فلا اقسم بالخنس الجـــواري الكنس ، والليـــل اذا عسعس ، والصبح اذاتنفس ، انـــه لقـــول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم امين ، وما صاحبكم بمجنون ،ولقـــد رآه بالافق المبين ، وما هو على الغيب بضنين، وما هو بقول شيطان رجيم ، فاين تذهبون ، ان هو الا ذكر للعالمين ، لمن شاء منكـــم ان يستقيـــم ، وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالميـــن . »

(وجوم يسود القوم ، ثم ينتبهون ، فينتفضون ويضطربون ويتصايحون ، وتأخذ العجـــوز أوراقها فتنسل ..)

ابو سلمى : امر امر ابن ابي كبشة ، لقد اخذت آيات كتابه تسير بين احياء العـــرب ، يستنكـــر الواد ، ويجعل للنساء مقاما مذكورا ، هـــذا لا يكون ، ولن يكـــون !

مسعـــار : اسرعوا الى بيوتكم ايها القوم ، اسرعـــوا قبل ان يفسد عليكم كتاب محمد نساءكـــم ، اسرعوا اسرعوا .. !

(يخفـــون للخـــروج)

ستـــــار

الفصل الثالث

غزالـــة	ام هـــانـــيء
مرجانـــة	خـــولـــة
ميمـــون	ابـــو سلمـــى
ام اوفـــى	مسعـــار
أم سلمـــى	عـــوف
العـرافـــة	نساء الحي

(يرفع الستار عن نفس المنظر بالفصل الاول، ويظهر بعض الخدم فى بيت ام سلمى وبينهـــن العبـــد ميمـــون)

غـــزالـــة : ان سيدتنا تئن وتشكو هذه الايام ولست ادري مما تشكـــو ..

الفصل الرابع

العـــاص	ابـو سلمـــى
خبـــاب	عـــــوف
عمـــــار	سمـــــرة
حمالة الحطب	مسعـــــار
ام سلمـــى	رجال .. ونساء ..
ام هـانــيء	

(يرفع الستار عن ساحة امام دار المقداد بن الاسود،معقل النبي (ص)واصحابه، واثنان من المسلمين يحرسانه من داخل ، واثنان آخران من خـــارج ..)

العاص بن وائل : (يتقدم من الباب ، وينظـــر الـى الحارسين شزرا) الا تزالان هنا يا ارذلان ؟ اليس لكما شغل عن هذا الباب الذي لازمتماه ملازمة الظل ، لكني اعرف كيف أنحيكما عنه اذا عدت ووجدتكما هنا .. اسمعتما ؟ ..

الحارس خباب : فالله خيـــر حفظا ، وهو أرحـــم الراحميـــن !

العاص : ستريان ! ستريان !

(ينصرف وهو يرسل ضحكات استهزاء)
(ثم تتقدم امراة الى الباب ، وعليها امـارات الشر ، تتلفت هنا وهنا .. واخيرا تلقـــي قمامة على الباب من قفة تحملها وتنصرف).

الحارس عمار : من هذه يا خباب ؟ ..

خبـاب : انها حمالة الحطب امراة ابي لهب الملعونة فى كتاب الله ، شأنها ايذاء الرسول والمسلميـــن تلقي عليهم القمامات وتسبهم فى المجالس .

عمـار : آ .. ! تذكرت ، هذه التي ذمها اشنع ذم فى كتابه الكريم ، تبت يدا ابي لهب ..

خبـاب : ان الحسد يا صاحبي هو الذي اوردهـــا المهالك ، وجعلها ملعونة على السنة الاوليـــن والآخرين .. (يشير) انظر يا صاح ، هـــذا حمزة بن عبد المطلب عـم رسول الله (ص) يتقدم الينا ، لعله اتى ليسلم !

عمـار : انـه هو ، وامارات الخير بادية عليه .
(يقف حمـــزة ، ويشير اليهما ان يفتحـــا البـــاب)

حمـزة : افتحا الباب (فى لهجة حازمة) .

خبـاب : وما تريد من فتح الباب ؟

حمـزة : أريد ان القى ابن اخي محمدا ، فليس احد اسبق اليه مني ، ابايعـه على ان الله واحـد لا شريك لـــه ..
(يفتحان الباب ويدخـــل ، ويغلقان عليـــه البــاب)

خبـاب : الحمد لله ، هذا نصر من الله للمسلميـــن ، وتمكين لدينه فى الارض .

صوت من داخل : حمزة بن عبد المطلب اسلـم ! الله اكبر ! الله اكبر !

(أصوات تردد التكبير)
(ثم يقف بالباب فـوج من النساء البدويات وهن وفـد أم سلمـــى ..)

ام سلمى : (تسأل رفيقاتها) هل هذه دار الارقم ؟

ام هانيء : انها دار الارقم فأنا أعرفها .

خبـاب : انها هي يا امـاء الله ، الخير اقبلتن ؟

ام سلمى : افتح لنا الباب (فى لهجة حازمة) افتـــح لنا الباب نلق رسول الله ، ونبايعه على الدين السمح ، ونسمع منه الكتاب الذي جاءنا به.. فهؤلاء عقائل العرب وكرائمهـــا .. جئـــن يسابقن الرجال اليه ، ويرجون ما عند الله ، هيا بنا يا اخوات ، هذه هي دار النجاة ، دار الارقم .. معقل الاسلام ودار النبوة ومشرق النور .. افتحا لنا الباب يا حارسان .. !

(يفتح الباب ويدخلن ، فيتعالى التكبير فـــي جوانب الدار) .

خبـاب : حمدا لك يا رب !

عمـار : شكرا لك يا رب العاليـــن ! اتممت نعمتك علينا،وجعلت افئدة من الناس تهوي الينا! اللهم اهد الناس الى الطريق المستقيم ، وانر أمامهم سبل الرشاد ليدخلوا فى دين الله افواجا !
(اذا بفوج من الرجال البدو يتقدمـــون الى الباب ، هم وفد ابي سلمى)

ابو سلمى : (يخاطب الحارسين) اهـذه هـــي دار الارقـــم ؟

ام سلمى : اسمعينا اياها يا ام هانيء .

ام هانيء : (ترتل بصوت شجي) اعـوذ بالله مـن الشيطان الرجيم « ربنا ، اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ، أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنـا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفـر عنا سيآتنا وتوفنا مع الابرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة ، انك لا تخلف الميعاد ، فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامـل منكم ، من ذكر أو انثى ، بعضكم من بعـض، فالذين هاجروا ، واخرجـوا من ديارهم ، واوذوا فى سبيلي ، وقاتلوا وقتلوا لاكفـرن عنهم سيآتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ، ثوابا مـن عنـد الله ، والله عنـده حسن الثواب » .

النسـاء : (بخشوع) صدق الله العظيم .

ام هانيء : ثم اسر اليكن ايتها الاخوات ، اني مـررت على مجمع القوم بالحي فى طريقـي اليكـن فاظهرت لهم بعض هذه الاوراق ليعلموا مـن نبا كتاب محمد ما يجهلـون ، ولارى كيف يستقبلون هذه الدعوة الجديدة .

ام سلمى : وهل قراواها ؟

ام هانيء : اجل ، قراوا بعضهـا ، فثـاروا وحاصروا حيصة حمر الوحش ، وانفضوا وهم يتوعدون وينوون شرا بنـا وبكتاب محمـد ، فجئت استحث الخطا لاحذركن من سوء مـا بيتوا ، وانبهكن قبل فوات الاوان ، حتى تحتـاط كل واحدة منكن لامرها ، والاجدر بنـا ان ننصرف الآن وندبر امرنا .

خولـة : نعـم ما ترين ، هيا بنا يا اخـوات ، وهيـا معنا يا ام سلمى ندبر امرنا ونستعين عليـه بالكتمـان ..

(يخرجن متسللات .. وبعد هنيهة يدخـل ابو سلمى فى انفعال شديد)

ابو سلمى : اين انت (فى صوت عـال) اين انت ؟ ام سلمى ، (صوت اعلى) ام سلمى الا تسمعي ، اخرجي من مخبئك فسيدك يناديك !

مرجانـة : (تتقـدم فى ادب) عفـوا سيـدي ! ان سيدتي ليست فى البيت ، خرجت منذ زمن، وركبت ناقتنا القصواء فى صحبة بعض نساء الحي وما زلت اتبعها ببصري الى ان غـابت وراء هذه التلال .

ابو سلمى : (فى هيجان شديد) تبا لك من امة ، وجه السوء والشؤم ، لا تأتيني الا بالاخبار السوداء مثالك ، اغربي عن وجهي .. ؟

مرجانة : (فى ذعـر) سمعا وطاعة يا مولاي .

(ابو سلمى يذرع البيت ذهابا وجيئة وهـو ينتفض انتفاضة المحموم)

ابو سلمى : اي عار يضمه بيتي ، لماذا لم يئدوا هـذه المراة ؟ لماذا كانت فى نصيبى ، لتنصب عليهـا لعنة الآلهة ، ولكني اعرف كيف اغسل هـذا العار عني ، انها خرجت وانصرفت الى بيت ابويها لتشكوني الى قومها ، ولم تعلم انـي حزمت امري وشكوتها اليهم قبل ان تشكوني، وفوضوا امرها الي . لا مفر لها منـي ولـو اوغلت فى البيداء ، ولا مناص لها من نقمتـي ولـو تعلقت بالنجـوم .. !

(هنا يدخل زوج أم أوفى مسعار ، وهـو يتلفت يمنة ويسرة فى حالة تأثـر)

ابو سلمى : علام تبحث يا مسعار ؟

مسعـار : ابحث عن ام اوفى ، اين هي ؟

(ثم يدخل عوف زوج خولة)

عـوف : اين خولة زوجتي ؟ اين هي ؟

(ثم يدخل آخر .. ثم آخر ...)

ابو سلمى : وانا ايضا ، افتقدت ام سلمـى ، وكنت اظن انها انصرفت الى اهلها ، كما تفعـل اذا غاضبتني ، ولكني ايقنت الآن ، انها ذهبت الى وجهة غير وجهة اهلها .. من يا ترى ينبئنـا بما كادته لنا هذه النسوة ؟ ..

(هنا يدخل ميمون فى حالـة الفزع)

ميمون : سيدي ! سيدي ! انني كنت ارعى الابـل ، وراء هذه التلال فمرت بي سيـدتي هـي ورفيقاتها يطوين الارض طيا ، وسمعتهـن يتحدثن انهن يقصدن دار الارقم ...

ابو سلمى : دار الارقم ! دار الارقم ! اين هـي دار الارقـم ؟

(تظهر عـلامات التعجب والاندهـاش على ملامح القوم ..)

مسعـار : هلموا بنا يا قوم ، نقتفي أثرهن ، ونردهن الى حظيرتهن ونستجلي امرهن ..

ستـــــار



تفرض الحياة على الانسان ان يعمل ، لكن قلبه او مزاجه يميل به الى التسلي . وهكذا يقضي ساعات فى ضمان حاجات الجسد ، ثم ساعات اخرى لقضاء حاجات ومتع الروح والقلب ... كل حسب مزاجه ، وكل حسبما يروق له . فالسيد التهامي مثل عامة الناس رجل عامل ، اكسبه عمله متانة فى الجسد ، ومرونة فى العضلات ، وصفاء فى الذهن ، واتزانا في الطبع . فهو من المحترفين الذين استفادوا من حرفتهم رزقا وصحة وفتوة دائمة ، الا أن تسليته ولهوه وحاجات قلبه وروحه ليست كحاجات كثير من المحترفين من ابناء بلدته سلا .

لشد ما يعيب على بعض الناس تلك الهواية المستحوذة على العقول (لعبة الورق) . فهذه اللعبة من وجهة نظره بمثابة ساحر خبيث يملك على اللاعب عقله ورشده، ويحرم البيوت أنسها واستقرارها ويحرم الزوجات قرب ازواجهم ، والاطفال رعاية آبائهم المستمرة ، بل هي وسيلة لتعكير المزاج اكثر مما هي وسيلة لترويقه والترويح عنه . ثم ويا للفظاعة هواية أولئك الذين يتعاطون الحشيش تدخينا وابتلاعا ، دون أن تلفت انظارهم قواهم الخائرة ووجوههم الذابلة. وايضا أصحاب الهوايات الاخرى ... ... لا ، لا ، عفا الله عن الجميع !

هواية السيد التهامي تملك عليه عقله الا أنها هواية رفيعة ...

قبل ان يتعاطى حرفة (خرط الخشب والنقش عليه) قضى اعواما بكتاب (الفقيه النجار) حيث حفظ القرآن في ظرف اثنتي عشرة سنة ! حقا لقد كان ضعيف الحافظة بشكل غريب رغم الجهود التي بذلها . ولولا انه منحرف الصحة يومئذ لما افلت من وثاق (الفلقة) ولا من ضربات قضيب (السفرجل) الدقيق المتين الذي يشبه الحديد فى متانته ، ولكن الله سلم .

وتفطن والده عندئذ الى ان ولده ليس بحافظ ، فهو لذلك لا يرجى منه تفوق فى مجالس العلم ، ولا يؤمل له ان يلتحق بجامعة القرويين ، ولذلك سلمه الى تعلم الحرفة (الذوقية) : حرفة خرط الخشب والنقش عليه ،على خشب العرعار وخشب الليمون، فهذه الصناعة الرفيعة ، تجعل محترفها يبدع ايما ابداع فى تركيب موائد مزخرفة قائمة على ثلاثة أو اربعة ارجل مخروطة باحكام وذوق سليم ، كما يبدع فى صناعة الرفوف والصناديق الكبرى والصغرى والخزائن واسرة النوم الفخمة التي تعلوها قباب من الخشب نفسه ... وهذه الاعمال الفنية وأمثالها لا يرغب فيها الا ذو الذوق الممتاز والراغبون فى حياة مرفهة سعيدة ، وايضا اصحاب الوجاهة الذين يأبون الا المحافظة على المستوى الطيب ، سواء فى حياتهم هم ، او حياة افراد اسرهم .

حذق السيد التهامي المهنة في ظرف قصير لم يتعد بضع سنوات ، وصار بذلك صانعا ماهرا يحظى بتقدير واعجاب وتنويه المعلمين الماهرين ، الذين كانت

خباب : نعـم ..

ابو سلمى : وهل جاءت نسوة الى هذا المكان ؟

خباب : ومن تكونون انتم وما شأنكم ؟

ابو سلمى : اننا ازواجهـن ، لقـد تركن ديارهـن وابناءهن ، استهواهن الشيطان ، وغواهـن كتاب محمد ، فانسللن الى هنا خفيـة .. ونخشى ان يكفرن باللات والعزى ، ويدخلن دينا غير دين آبائهن .. فاذا كـن فى الدار فأخرجوهن الينا ، ننقلب بهن الى بيوتهـن واهليهـن .

خباب : ان من يدخل هذه الدار اصبح فى حمى الله ورسوله ! فلا سبيل الى ما تطلبون .
(القوم ينظر بعضهم الى بعض)

عمار : ولكن ، هل لكم فيما هو خير من ذلكم ؟

ابو سلمى : ما هـو ؟

عمار : ان تدخلوا فيما دخلت فيه نساؤكم .

مسعار : (يندفع نحو الحارس) لقـد هممت ان اخبطك بسيفـي هذا خبطـا ، وان اريك انه لايقف شيء فى وجهنـا !

عـوف : مهلا يا مسعار ! اعلم انك فى البلد الحرام ، وفي الشهر الحـرام ، فمـا لك ان تروع احـدا هنـا .

خباب : اعلموا يا قوم ، انكم لستم اول من جـاء يطلب مثل طلبكم ، ان كثيرا من زعماء القبائل ورجالها اتوا يطلبون ان نسلم اليهم من هداهم الله للدخول فى دينه ، ولكنا ما سلمنا احدا..

ابو سلمى : (يخاطب اصحابه) لقد استفحل امـر محمد ، اي سحر يملكه هذا الرجل .. واية قـوة يسخـر ؟

سمـرة : ان بين يديه كتابا ، وقد سمعتم بعضه .. ان كان حقا ما يقولون فان لهذا الرجل شأنا ، واي شأن ، لقـد تبعـه اكابرنا واصاغرنا ، ضعفاؤنا ونساؤنا ، انه أعطى النساء شيئـا عجبا ، وجعلهن مثل الرجال فى الاحكـام ..
(ثم يرفع صوته) اسمعوا يا رفاق ، فان كان هذا الرجل على حق فلا يسبقنكم اليه أحد ، ان نساءكم بين يديه أترضون ان يحال بينكم وبين محارمكم ، كيف ننقلب الى ديارنا وقـد خلفنا وراءنا محارمنا ؟ ..

مسعار : لقـد نصحكم ابن عمكم .. لا ينبغـي لنا ان نعود الا ومعنا نساؤنا .

ابو سلمى : نصيحة .. ! .. ولكن كيف نكفر بآلهتنا ، باللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ؟ كيف يكون هذا ، انني فى حيرة ، اجيبي يا آلهـة، أأقترب أم ابتعـد ، ماذا افعـل يا يغـوث ويا يعوق ونسرا ؟

سمـرة : احزموا امركم يا قوم ، لا تترددوا ادخلوا فيما دخلت فيه نساؤكم فمن العار ان يكـن اهدى منكن سبيلا .. !

مسعار : (فى لهجـة حازمة) افتحـا الباب ايها الحارسان ، افتحـا !

(يفتح الباب ، ويدخلون ، ويتعالى التكبيـر فى جوانب الدار ، وبعد هنيهة ، يخرجـون ، وقد تأبط كل واحد زوجته وهم يكبرون ..)

الوفدان : (يخرجـان اثنيـن اثنيـن) الله اكبـر ! الله اكبـر ! ....

ستـــار

الرباط : آمنـة اللوه

يطلق سراح الوطنيين ، حتى يعود الى المسجد ازدهاره الكبير عند تلاوة القرآن ، ويزيد الحاحا على الرب الكريم بأن يطلب من زوجته الطيبة وأولاده الصغار أن يرفعوا بدورهم اكف الضراعة الى الله ، ولا يسعهم الا ان يفعلوا بقلوب عامرة بالثقة والايمان ... ويستمر ذلك الى أن يستجيب الله للادعية الصادقة ويطلق سراح الوطنيين ويتحقق الرجاء ...

وذات مساء خطير ، لم يجد المعلم التهامي مجالا للذهاب الى المسجد فقد كانت حالة الطواريء معلنة ، ونظام منع التجول مفروض ، فحتى المساجد ، بيوت الله ، مغلقة يسودها ظلام دامس وسكون شامل ، ولو ان الليلة ليلة عيد من اكبر اعياد الاسلام . لقد اختار الاستعمار هذه الليلة بالذات ليبث الكثير من لواعج الحزن العميق فى نفوس المسلمين ، وان الاحزان التي فاتت السيد التهامي فيما سبق من الاحداث الوطنية جاءت اليوم كصخرة ضخمة عاتية ونزلت بكامل ثقلها على قلبه لتسحقه وتمحقه سحقا ومحقا شديدين .

تسلل من السطح الى منزل جاره السيد الحسن الفيلالي لينصت الى (صوت العرب) ، يا أسفاه انه لايملك جهاز راديو حتى اليوم ! ! وبدات الموسيقى الحماسية (امجاد ياعرب امجاد ...) وتلاها صوت المذيع مجلجلا جهورا متدفقا متحمسا لينشر على الدنيا : دنيا العرب ، دنيا المسلمين ، دنيا الاحرار خبر نقل الملك الجليل محمد الخامس مع نجليه الاميرين الكريمين الى المنفى البعيد ...

بكى السيد التهامي تأثرا واخذ يردد مرارا « وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا ان لله وان اليه راجعون » بينما اشتد التوتر بالسيد الحسن الفيلالي واخذ يتوعد (والله لن تمر عليكم بسلام) اما زوجة الفيلالي فى فناء الدار فهي تفرغ في الفضاء العالي المشوب بقليل من نور القمر قذائف من الشتائم واللعنات فى حق الجنرال (كيوم) وانصاره من الخونة والمتجبرين ، لم تتعب ولم يتوقف لسانها لكأنها تتلو من ورقة واضحة الخطوط عامرة السطور ، وتجاوب معها ابناؤها الصغار وبناتها فملأوا الجو صراخا ، وانى لهم بمن يأخذ بخاطرهم !

ضاقت الدنيا من حول الجميع ، وهنا اسعف الموقف السيد التهامي بأن دعا جاره ومن معه بالتبعية للانصات الى مفرج الهموم : كتاب الله عز وجل . وافتتح التلاوة بسورة (سيدنا يوسف) ولكأنه وضع مسكنا لطيفا على القلوب ، لقد فهموا ضمنيا ومن خلال التمعن البسيط ان نبي الله يوسف سبق ان غدر به، وبيع بيع العبيد ، وفتن فى عرضه ، وادخل السجن، ولكنه خرج من هذه المحن كلها منتصرا مظفرا ... وتلك عاقبة الصابرين الاوفياء جميعا ...

اخذت عائلة الحسن الفيلالي بيد السيد التهامي تقبلها تبركا واعترافا بالجميل ، جميل بعث الامل في نفوسهم . فلم يبق عليه اذن الا ان يبادر وينقلب الى اهله ليقوم بنفس الدور ، ولكنه وجد الزوجة قد نامت وصدرها مشحون غيظا ، كما نام الاطفال ايضا وقد جفت على شفاههم الرقيقة ابتسامة العيد غير السعيد ..

سلا محمد احمد اشماعو

تكفيهم نظرة خاطفة الى انتاج السيد التهامي ، او انتاج غيره ، ليحكموا بجودة او تفاهة العمل المنجز ، وبذلك يمنحون ثقتهم باستمرار ، ويفخرون بوجود هذا الصانع او ذاك فى صفوفهم ، أو يرفضونه ويسلقونه بالسنة حداد .

ولما تروح الشمس الى مغربها ينفض المعلم التهامي يده من العمل وهو أشوق ما يكون الى الاستمرار فيه ، ولكن وقت ممارسة الهواية الرفيعة يكون قد حل . وبذلك يبادر الى المسجد الاعظم من حيث يجدد وضوءه فى النافورة العظمى التي تتوسط الصحن الغربي ، ويستند الى الجدار قليلا ليعب من النسمات الطيبة ، الواصلة راسا من البحر المحيط ، ثم يدخل بعد ذلك الى المسجد مع الداخلين . انه لا يعرف من اسس ، ومن وسع ، ومن حدد ، ولكنه يدرك ان رجالا عظاما هم لذين بنوا هذا المسجد عظيما هكذا ، وما جعلوه متسعا الى هذا الحد الا لوفرة المتعبدين فى زمنهم . ان المسجد الفسيح الارجاء العامر بالجلال والمهابة ، والذي مرت على منبره الكبير ومنابره الصغرى مآت الخطباء والوعاظ والمحدثين يمتليء هذه الايام بعناصر من الشباب الوطني التي اتخذت من المسجد معقلا حصينا للدفاع عن الديانة الاسلامية وبالطبع عن اهلها وارضها . خصوصا وقد قدروا ان قوة المستعمر تتلاشى امام صلابة العقيدة الاسلامية الخالدة الصامدة .

كان الشباب الوطني يتوافد على المسجد قبيل المغرب ، وفور اداء الصلاة كانوا ينتظمون فى صفين امام المحراب احدهما على اليمين والآخر على اليسار ويشرع فى قراءة (الحزب) اليومي ، لكن مع ترتيل جميل ، ونغمة مقتبسة من نوبات الامداح النبوية والطرب الاندلسي ، وتتصاعد اصوات الشبان الجهيرة واصوات الفتيان والصبيان الرقيقة فى تناسق يبعث على الخشوع وتندى له أكثر المآقي جفافا ، فتتغذى الارواح ، ترتوي الاذواق بدرجة بعيدة عن تدقيق الوصف .

في الواقع لم يكن السيد التهامي ينسلك فى اي صف من الصفين ، وانما يلزم احدى الاساطين القريبة من التجمع ، ويتناول مصحفه الخاص ويروح مساهما فى التلاوة ، فى الترتيل بل فى الترنم الجميل ، الذي يستغرق ما بين الساعة والساعة الا ربع ، ولكنها فترة رغم امتدادها تمر وكأنها لحظات قصار من تلك اللحظات التي يجود بها الزمان ، بين الحين والحين ، وهي بحمد الله فى هذا المسجد ، ومع هذا الكتاب الطاهر ، ومع هؤلاء الشبان الوطنيين تتجدد كل يوم كل مساء .

وينقلب السيد التهامي الى بيته ليتعشى وليبش فى وجه اهله واولاده ثم يعود لهوايته الممتعة ، يعود يتلو ويترنم ، وهو ذو الصوت الجميل ، تحت سمع وبصر زوجته التي تجلس محاذية له ، مستمعة بجوارحها وقلبها غير متضايقة من الدموع التي في عينيها ، حتى الاطفال كانوا ينامون على ترنمات ابيهم القاريء الخاشع .

بالمناسبة كان يلفت نظر السيد التهامي وهو بالمسجد يشارك فى القراءة أن الشبان الذين يعرفون بوجود بعض المتجسسين لصالح الادارة الفرنسية الحاكمة والذين يجلسون متوارين فى بعض الاركان المعتمة ، كانوا يرفعون اصواتهم اكثر ليسمعوهم من امثال هذه الآيات :

« ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا »

او « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ، تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول واياكم ... »

او « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين »

او « ... ولله العزة ولرسوله وللمومنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون » ... ...

ويلتفت السيد التهامي الى تلك الجهات المعتمة فيلمح ان هؤلاء المتجسسين الانذال يأخذون فى التسلل هاربين ، خوفا من ان تشير اليهم الاصابع (انتم الذين نعنيهم ، واليكم اشاراتنا) !

ان المعلم التهامي لم يشارك قط فى الاجتماعات والحلقات الوطنية ، ولكنه تفهم بعض المباديء الوطنية من خلال تردده اليومي على المسجد ومن خلال تتبعه الاعمال وتصرفات الشبان الوطنيين ... ولكم كان يحس بالانقباض والاستياء لما يعلم بطريق مباشرة او غير مباشرة ان لفيفا من الشبان الوطنيين قد ألقي عليهم القبض واودعوا السجن . وعندئذ يمعن فى تلاوة القرآن طرفا من الليل اكثر من المعتاد ، بل يستيقظ قبل الصبح ويقبل على القراءة تضرعا الى الله في ان

جلالته وربط فيه احداث العالم الاسلامي منذ عهد الدولة الاسلامية الكبرى ومراحل الفتح الاسلامي الرفيع وانبعاث الحضارة الاسلامية ومقومات السلم التي حافظ عليها المسلمون طوال حكمهم الاصيل في جو سادت فيه الحرية والمحبة والاخاء كل من وقع في دائرة حكمهم سواء من كان منهم مسلما او نصرانيا او يهوديا حتى ظل العهد الاسلامي مثالا للعدل والمساواة والاخاء وعنوانا للسلم والتسامح .

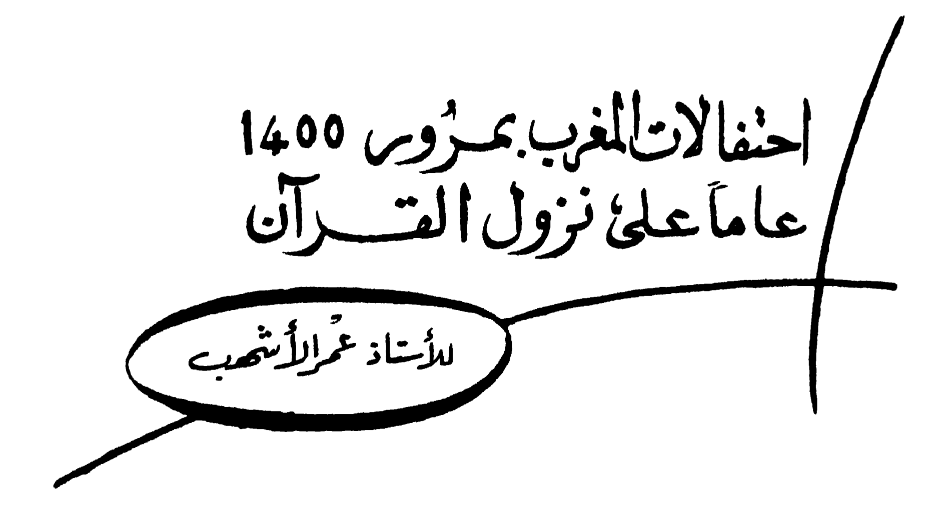
وقال جلالته ان العرب والمسلمين وهم في غمرة هذه اليقظة العظيمة اصيبوا بحروب صليبية ونكسات ومؤامرات كثيرة ، ولكنهم كانوا في خلالها ادعى الى التسامح واقرب الى الوئام من اى شيء آخر حتى منوا بعهود التخلف والانحطاط ، كما منوا بالغزو الاستعماري الذي شتت مجتمعاتهم وقضى على كياناتهم ، وفرق جموعهم ، واتى على وحدتهم ، فأكل كل جهد ، وطمس العلم والمعالم ، وقسم المغانم ، وجعل بين الامة الواحدة اكثر من حد من الحدود المسدودة ، والاماكن المغلوقة حتى يتسنى له البقاء على انقاض هذا التراث الذي خسرناه بعد ان شيدناه وبنيناه . واسترسل جلالته وهو يتحدث بصوت فيه نبرات من الاحساس بالمسؤولية والم بواقع الاحداث المتتابعة يقول : ومع تراكم هذه المتاعب كلها لم يفقد العرب والمسلمون املهم في استرداد مقوماتهم وبناء كياناتهم حيث قام نفر هنا وهناك يدعون الناس الى الجهاد والنضال والخروج من عتمة التخلف عندما غزت اوربا عالمنا الاسلامي بالآلة والمدافع وقد اثمرت هذه الدعوة منذ مطلع القرن التاسع عشر وأتت اكلها في كثير من الاوطان بعد جهد جهيد ، وبعد نضال مرير من المد والجزر الا ان الكيل فيه قد طفح بفضل اليقظة التي بدات تغمر من جديد ارجاء عالمنا الاسلامي .

ولكن اسمحوا لي ايها السادة ان اقول لكم ان هذه اليقظة التي انطلقنا على ضوئها نترسم طريق الخلاص ونترسم على هديها طرق النجاح والصلاح لم تكن لها اية فائدة تذكر اذا لم يكن شعارنا وعملنا في جميع مراحلها نستمده من ثمرة القرءان العظيم الذي بدونه لا نستطيع ان نبني اية نهضة ولا نتمكن بدونه ان نثبت اية عقيدة امام هذه التيارات الجارفة التي باتت تغزو عالمنا بشعارات من الانحلال والالحاد ، الا اذا تمسكنا بمنهج القرءان العظيم ، وجعلنا منه خير عدة ، واحسن عملة ، واعظم وسيلة ، لها من الانفاق والمنهج والغاية والهدف ، ما يناسب اى تطور في الدنيا ويصاحب اية نهضة في العالم ..

وقال الملك : ولقد درست بنفسي كثيرا من البحوث التي الفها المستشرقون عن القرءان واجمعوا فيها كلهم على انه اعظم مادة روحية ومعنوية تساير مقتضيات التطور وتنسق معالم الحضارة الانسانية في كل زمان ومكان . وقال جلالته اننا خلال المراحل الماضية حضرنا عدة مؤتمرات سياسية واجتماعية على مختلف مستوياتها ، وكانت جميع القرارات التي تؤخذ فيها لا تعدو مع ـ الاسف ـ ان تكون كلها قرارات نظرية لا يوجد فيها اى اثر للتطبيق ، ولو كنا خلال هذه الاجتماعات وما سواها عملنا على مستوى تدعيم نهضتنا الزمنية وطرائق معيشتنا وتقدمنا وارتباطنا ببعضنا على نحو من التقيد والالتزام بحدود تشريعات القرءان لكنا قد اوجدنا في نفوسنا وحدة متحدة ، لها مفهومها في مجال الوحدة الكاملة ، ولكنا بهذه الوحدة وذلك التقيد اكبر قوة ، لها مناعتها في هذا العالم الذي لا يعرف اى منطق سوى منطق القوة.

ونحن اذ نحتفل بهذه المناسبة التي نرجوا الا يكون امرها مقتصرا في المدة المقبلة على بلادنا وحدها بل نريد من العالم الاسلامي كله ان يترسم من هذا الاحتفال ضرورة التقيد والالتزام بمناهج القرءان الكريم وتشريعاته الرفيعة في علاقات الفرد بالمجتمع والمجتمع بالدولة حتى تكون الغاية قد اثمرت الى ما يهدف اليه المسلمون من تعزيز مجتمعهم وتدعيم مراكزهم . نقول ان احتفالنا هذا لم يكن المراد منه حماية القرءان لان الله هو الذي حفظه ومكنه لقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ولكننا في مثل هذه المناسبة وغيرها قد نستفيد منه بما يبعث الطمأنينة في نفوسنا ويزيل الاحقاد من قلوبنا .

هذا وقد اختصرنا بعض الجمل التي وردت في خطاب الملك لانه كان ضافيا ومسهبا ومتسلسلا وكانه يقرا احداث التاريخ من خلال اربعة عشر قرنا من لوحة مكتوبة امامه ، وقد يذهل المرء عند ما يعرف ان هذا الاستهلال كله انما كان بطريقة الخطيب المرتجل على نحو من البلاغة الفائقة ، والكيانة الرصينة ، والتعبير السليم ، والمعاني الرفيعة ، مستشهدا بالاحاديث والآيات الشريفة ، تنطلق من فيه انطلاق الماء من بين الاصابع ، من غير تلعثم او تفكير ، ثم ختم الملك خطابه بالدعاء ان ينقذ الله العالم الاسلامي وان يعيد الى شعوبه وقادته طريق الصواب ، مرددا في تأثر قوله : « اللهم اني اعوذ بك من نعمة يتلوها بطر



كان السيد عمر الاشهب رئيس تحرير جريدة « الزمان » الليبية احد الصحفيين الذين استدعوا لحضور حفلات مرور اربعةعشر قرنا على بدء نزول القرآن الكريم فى شهر رمضان المبارك ، وقد نشر سيادته فى جريدته المقال التالي :
« احتفالات المغرب بمرور 1400 سنة على نزول القرآن »
« ملك المغرب يلقي خطابا هاما بالمناسبة »
وقد احببنا أن ندرج هذا المقال فى هذا العدد الخاص بمناسبة عيد العرش .

كان جلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب قد قام خلال شهر رمضان المبارك بمبادرة اسلامية رفيعة عند احتفاء بلاده بمرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم لتكون هذه المبادرة الرفيعة انجع السبل الى تعزيز لقاءات اسلامية يتعزز فيها الخلق الاسلامي باعتزازه للقرءان العظيم وتتزود فيها الشعوب الناطقة بالضاد بعملة خلقية رفيعة لا تدانيها اية عملة فى العالم عندما كان المسلمون يتعاملون فى الماضي هذه المعاملة التي جعلت منهم خير امة اخرجت للناس ومكنتهم من ان يكونوا اعظم مثل انتصر به العدل وسما به السلم فى العالم حتى جاءت عهود الانحطاط والتخلف الذي مني به العالم الاسلامي زمنا طويلا .

ولقاء هذا التجديد الذي قام به المغرب من مبادرة اسلامية لها اثرها وجه جلالة الملك الحسن الثاني الدعوة الى اكثر من خمسمائة شخصية اسلامية بين كاتب ومفكر محدث ومحاضر ومؤلف وباحث للمساهمة فى هذا الاحتفال التاريخي حضروا كلهم من ماليزيا وايران وافغانستان وتركيا وباكستان والهند والعربية السعودية والكويت والعراق ومصر والاردن ولبنان وليبيا وتونس ، ومن داكار وساحل العاج وسيراليون والنيجر ونيجيريا والتشاد والسودان .
ولم نشاهد فى هذا المجمع احدا من الجزائر ولا من سوريا ، ولم يجرني الفضول للسؤال عن عدم حضور ممثلين عن القطرين الشقيقين .

وقد نزلت هذه الوفود كلها على ضيافة جلالة الحسن الثاني ، وقد تراس جلالته هذا الاحتفال بليلة القدر المباركة فصلى مع المدعوين ومع كبار الشخصيات المغربية صلاة العشاء فى جامع القصر الملكي الذي يحكي مسجده عهود الاسلام المتتابعة فيه منذ عهد المرابطين الى عهد الاسرة العلوية .

وبعد صلاة العشاء توجه المحتفلون بهذه المناسبة العظيمة الى جامع اهل فاس وهو من المساجد الاسلامية التي تعتبر مفخرة للفن الاسلامي العريق والجهد الاسلامي الاصيل ، وجامع اهل فاس يبعد عن القصر الملكي حوالي نصف كيلو متر حيث افتتح الملك فى صحنه الاحتفال المعني بخطاب بليغ ارتجله

وفى اليوم الثاني اختتم الملك الاحتفالات حيث قدم للعلماء وسام الكفاءة الفكرية ، وقدم للذين حازوا اوسمة ملكية سابقة مصاحف قرءانية مكتوبة بمـاء الذهب ، وتمنى للجميع كل خير وتقدم .

والمغرب العربي الـذي يحافـظ على تقاليـده وطرائقه الخاصـة فى الحيـاة والاعتـزاز بمقوماتـه التاريخية يستحق كل تقدير واحترام .

لمحة موجزة عن تاريخ المغرب

اذا ما تحدث اى متحدث عن طبيعة اى بلـد ومدى مكانته فى التاريخ والمجتمع عبر العصور السحيقة فمن الطبيعي ان يكون الحديث عن المغرب العربي الذي كانت الانطلاقة الاسلامية على نهاية شواطئـه تعتبـر حدثا هاما فى تاريخ بناء الامبراطورية الاسلامية فان التحدث عن هذا القطر الشقيق يستحق كل عنايـة واهتمام ، وليس من السهل ان يجد الانسان متسعـا من الوقت لاستيعاب كل ما يكتب فى مكان محدود على صفحات مثل هذه الجريدة حتى يوفي الواصف وصفه وانطباعاته الا اننا نستطيع فى ايجاز ان نقول ان المغرب بطبيعته الراهنة هو البلد العربي الوحيد الذي استطاع الحفاظ على جمال هذه الطبيعة وعلى مقوماته التاريخية وتراثه الرفيع من غير ان تطمسه الاحداث من خلال القرون العديدة التي مرت به وهو اقدم دولة فى تاريخ الدول العربية .

وقد نشأت الملكية فيه على التوالي منذ عهـد الادارسة حتى يوم الناس ، هذا فى نظام متناسق .

ولقد شهد عهد الموحدين والمرابطين فيه ازدهارا امتدت اثاره الى نجدة حكومات الاندلس ابان انهيارها وتقلص نفوذها .

وفى عهد الدولة العلوية شهد المغرب فى مدة حكم الحسن الاول ازدهارا وتفتحا على العالم كله . . ودار الاثار المغربية حافلة بالوثائق التي تعبر عن احتـرام كبريات الدول الاوربية لدولة المغرب واللجوء اليها في اكثر من وساطة وصور من الرسائل التي ارسلها جورج واشنطن وابراهـام لنكولن الى ملك المغـرب لايجاد وساطة بين الولايات المتحدة وحكومات اخـرى عـن طريق المغرب هي ضمن الوثائق التاريخية العديدة ولو لم تتعرض المغرب عام 1912 للانتداب الفرنسي عندما قسمت دول اوربا رقعة العالم العربي لاصبـح مـن السهل ان يقال عنه انه البلد الوحيد الذي لم تجتحه اية جيوش غازية وبالرغم مما استهدف له المغرب من احتلال وانتداب فان رجالاته وزعمائه كان همهم الاول هو الحفاظ على هذه المقومات الاصيلة .

فاذا ما لاحظ الزائر طبيعة البلاد الجغرافية من حيث سحرها وجمالها مضافا الى هذا كله ما ادخل على القطر الشقيق من وسائـل العمـران والتخطيـط والتنسيق فقد يصح القول بانه اجمل بلد فى العالـم العربي لنضارته وجماله ورقة اهله ، ومقياس الذوق الجميل عندهم فى كل شيء من اشياء الحيـاة حتـى اصبح الذوق فى تنسيق القريـة والمدينـة والمزرعـة والطرقات يتسم بجاذبية اخاذة ومنسقة .

وقد انطلقت بنا السيارة من مدينة وجدة وهي تجتاز شبكة عديدة من الطرق الحديثة عبر الاوديـة والسهول والجبال الى مدينة الرباط فى مسافة قدرها ستمائة كيلو مترا كلها واحة خضراء ، وكأنها حديقة منسقة بصنع بديع .

اما جمال المدن الرئيسية التي لا حد لها ، مثل تطوان ، طنجة ، فاس ، مكناس ، مراكش ، الرباط . والدار البيضاء وغيرها من المدن الكبيـرة ، فهـي تعبر عن رسوخ حضارة اصيلة تتسم بطابع اندلسي وذوق مغربي علاوة على الفن الاوربي فى ذوق منسق برزت فيه حضارة الشرق من غير ان تطمسها حضارة الغرب ، كما هو الحال فى البلاد العربية الاخرى .

ويتمسك المغاربة بذوقهم هذا فى حياتهم اليومية وفى منازلهم وطبائعهم وعاداتهم الكثيرة حتى اصبـح اعتزازهم بهذا الطابع الفريد اشبه بالكبرياء فى كـل شـيء .

والمغرب بطبيعته القطرية جذاب فى كل شيء ، مع الصعوبة التي تلاحظ عليه الى جانب بساطتـه ، ولعل هذا امر راجـع الى الاعتـزاز والثقة بالنفـس وبحضارة البلاد ومناخيها ، وهم يغبطون على هـذه الثقة الكبيرة التي حدت بهم الى ان يجعلوا من وطنهم جنة فيحاء ومرجعا تاريخيا اصيلا .

وكل شيء فى المغرب ينطق عن الاصالة العريقة، فالصناعـة المهنيـة للنحاس والجلـود والاصـواف ومشتقات المعادن الاخرى تعبر عن اصالة هذه النهضة القديمة والنقوش على الجـدران وتخطيـط المنازل والمساجد وصبغها بصبغة الفن الاسلامي الذي نشـأ فى بغداد ودمشق ثم انتقل الى الاندلس والمغرب يحكي عبر هذه العصور التي انطمس فيها هذا الفن فى عواصم

ومن جاه أو حكم يتخلله بهتان او ظلم او كفر » .

وبعد انتهاء الملك من افتتاح هذه الحفلة الكبيرة التي شهدها اكثر من ثلاثة آلاف من مختلف الطبقات الوطنية والمدعوين تقدم من جلالته شيخ جامعة القرويين والقى كلمة بليغة شكر فيها جلالته عن هذه البادرة العظيمة ، ودعا له بالتوفيق ، ثم اذن الملك المدعوين للتعرف والسلام عليه .

وقد قام وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بتقديم الضيوف الى جلالته مبتدئا بالحروف الابجدية لكل دولة من الدول ، وجاء اسم ليبيا فتقدمت للسلام على جلالته . وقد كانت منه لفتة كريمة عندما شد على يدي بحرارة لحظات طويلة توقفت خلالها المقابلات وهو يسألني عن صحة حضرة مولانا الملك المفدى بمزيد من الحب والتقدير .. فقال جلالته بالحرف الواحد : « كيف صحة مولانا الملك ادريس ، ان شاء الله يكون طيب وبخير ، ارجوكم تبليغه تحياتي ، وتحيات الشعب المغربي ، اننا نتمنى لشعبنا الشقيق كل خير وسعادة فى ظل مليكه العظيم » . ثم اذن لغيري بالمقابلة وقد استرعت هذه اللفتة السامية نظر جميع الصحفيين والمدعوين وكبار رجال المغاربة حيث اخذ كل منهم بدوره يسألني سؤالا خاصا ، وانتهى الاحتفال فى جو اسلامي رفيع .

ثم استمرت الاحتفالات بقية ايام رمضان المبارك فى جامعة محمد الخامس والمسرح الوطني وفى المساجد بالقاء مناظرات ومحاضرات دينية وتاريخية واجتماعية وسياسية واقتصادية ، ولا اكتم سرا اذا ما قلت ان كيل شيوخ المغاربة فى العلم والفقه والتاريخ قد طفح على كيل شيوخ المشارقة الذين كان بعضهم يتلعثم والبعض الاخر يردد نفس المعنى عدة مرات فى اقل من ثانية ، ولعمري ان هذا الترديد هو نفس الافتقار الى جوهر المادة ، ولقد ايدني فى هذه المقارنة مندوب السودان عندما استمعنا الى محاضرة دينية القاها العلامة الشيخ عبد السلام الفاسي شيخ جامعة القروبين ، وقد امتلات ردهات وكليات جامعة محمد الخامس من المواطنين لسماعها ، وقد كانت محاضرة فريدة من نوعها ، والحقيقة التي لا غبار عليها ، هي ان فى المغرب العربي ذخيرة صافية متجانسة فى الكتب وفى المتحدثين عنها وفى العلماء العاملين من اجلها ، هذه الذخيرة هي مفخرة للعالم الاسلامي كله .

واذا كان المغرب العربي يعتبر ذخيرة العالم الاسلامي للتراث الذي حافظ عليه والذي لا يوجد مثله فى اية عاصمة اخرى فان جامعة القرويين تعتبر تاج هذه الذخيرة ومعدنها الاصيل .

طريقة الاحتفاء بعيد الفطر

ويحتفل شعب المغرب العربي بحلول عيد الفطر احتفالا اسلاميا عظيما ويذهب المصلون صلاة العيد جماعات غفيرة الى الميادين العديدة والساحات الفسيحة فيصلون العيد فى العراء بالطريقة التي كانت متبعة زمن الصحابة .

الصلاة فى مسجد الملك

وعلى بعد كيلو متر وفى منطقة فسيحة الارجاء يصلي الملك وكبار المدعوين من رجال الدولة والسلك السياسي ورجال العلم والقضاء والادارة وكبار ضباط القوات المسلحة وغيرهم من وجهاء البلاد واعيانها صلاة العيد حيث يتسابق المدعوون كلهم لاخذ اماكنهم فى المسجد الذي هو عبارة عن حائط كبير من الخيام المربعة ، وعند الساعة التاسعة يأتي الملك ممنطيا صهوة جواده مع سرية من حاشيته ، وقد لبس الملك برنسا ابيض تعلو راسه عمامة بيضاء وبيده سبحة صغيرة ، وقد تسير السرية بين صفين من خيول الحرس الملكي المرتدي افراده زيا مغربيا مختلفا عن بعضه ، لان كل سرية من هذه السرايا تشكل عهدا من العهود الملكية التي حكمت المغرب من عهد الادارسة وهم اول من أسس دولة المغرب العربي الى عهد الدولة العلوية الحالية .

وقد يسهل على الناظر وكأنه ينظر لاول وهلة الى هذه السرايا والنماذج المختلفة عهود الاسلام من عهد الدولة العباسية الى يوم الناس ، هذا فى بساطة مؤثرة للغاية .

ويترجل الملك من صهوة جواده فيأخذ مكانه فى المسجد وتقام الصلاة ثم يعود الموكب الكبير على طبيعته الى القصر ويبدأ الملك فى استقبال اولاده ثم اولاد شقيقه الامير عبد الله ، ثم بقية الذين صلوا معه صلاة العيد ، وهكذا يستمر الاستقبال حتى منتصف النهار والحراس يقدمون للزوار التمر واللبن ، وهذا هو الشيء المفضل فى القصر الملكي طوال ايام العيد .

ماحققه المغرب

في عهد الحسن الثاني من منجزات في مجال الإسلاميات

للأستاذ محمد عبد الواحد بناني

لقد كان الاسلام هو غذاؤنا الروحي فى سنوات الكفاح الطويلة ، ولولاه ما صمدنا فى وجه الاستعمار.. وهذا الدرس قد تلقيناه عملا لا قولا ، فلا حيـاة ولا مستقبل لنا الا بالاسلام . وان انتصارنا على الاستعمار كان انتصارا للقرآن على خصومه ، ولولا هذا الكتاب الذي جمع قلوب مواطنينا على اختلاف عناصرهـم وقومياتهم لانتهت أمة المغرب والشمال الافريقي من زمن طويل ، ولاصبحت هذه الديار قطعة أوربية حقيقة لا مجازا .

حقا : لقد كان القرآن رائدنا فى معركة التحرر ، وسيظل كذلك بالنسبة لنا فى معركة الوحدة والبناء .

ذلكم بالنص هو ما كان اب المغرب الحديث جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه ، قد صرح به للسيد كامل الشريف نائب الامين العام للمؤتمـر الاسلامي بالقدس ، وهو يعبر أصدق تعبير عن المذهب الرسمي للدولة المغربية الا وهو الاسلام الذي منـه استمدت الامة المغربية قبل الاستقلال جذوة المقاومة والنضال ، والفدائية والكفاح ، وتستمد فى عهد بناء الاستقلال الاسس الحكيمة والقواعد السليمة لهـذا البناء ، كي يكون قويا متينا مباركا كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء .

وذلكم ايضا من حيث المبدأ العام ... أما بالنسبة للتطبيق ، ولتحويل هذا المبدأ السامي الى حقيقـة معاشة ، وواقع ملموس ، فها هو ذا جلالة محمـد الخامس — طيب الله ثراه ، وجعل الفردوس مأواه —

يبتدىء اول ما يبتدىء بفلذة كبده ، ولي عهده ، وخليفته من بعده ، جلالة الحسن الثاني ، اطال الله بقاءه ، واعز دوما لواءه ، فيوجه اليه خطابا توجيهيا ، كان مما ورد فيه :

« يا بني : لقد اخترت لك من الاسماء « الحسن » لاربط بين حاضر البلاد وماضيها القريب والبعيد ، وليكون لك فى جدك المولى « الحسن » خير اسوة ، واعظم قدوة . فلم تكد نطل على السادسة من عمرك حتى قدمتك للمعلم ليلقنك آيات القرآن ، وليغرس فى قلبك الطاهر الفتي حب الدين وعزة العروبة والاسلام. ولما ترعرعت يا بني اخترت بقاءك تحت سماء المغرب ليتم تكوينك الثقافي فى بيئة مغربية .. فأعددتك مواطنا مغربيا قبل اعدادك أميرا ، فقد كنت اقص عليك تاريخ بلادك ، ومواقف أجدادك ، كما كنت القنك معنـى المواطنة حتى تؤدي ولاية العهد التي أنطتها بـك ، واحرص على أن تومن بالواجب الوطني والصالـح العام .

وكنت أدفعك لتتعمق فى فهم معنى قيم الشعب لتخدمه الخدمة الصادقة .. وإياك ان تحيد عن صراط الاسلام القويم ، أو تتبع غير سبيل المؤمنين ، فانه لا عدة فى الشدائد كالايمان ، ولا حيلة فى المحافل كالتقوى.

واعرف الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، وتقرب منه بالاعمال الصالحة ذراعا يتقرب منك توفيقه باعا . واجعل القرآن المصباح الذي تستضيء به اذا ادلهمت الدياجي ، واشتبهت عليك السبل ، وليكن لـك فى

المشرق التي اجتاحها المغول والتتار ، وحافظ عليها المغاربة حفاظا اصيلا يحكي عن عظمة المغاربة ومقدرتهم على دفع هذه الحضارة الى الامام دفعا له آثاره فى هذه الوثبة الكبيرة حتى اصبح الاقبال من مختلف سياح اوربا وامريكا على اقتناء صناعة المغرب شيئا له اهميته الكبرى .

ولقد نجحت السياحة فيه خلال السنوات القليلة الماضية نجاحا كبيرا .

ولا يوجد فى العالم العربي بلدا قد يعتمد على نفسه من حيث الاكتفاء الذاتي اكثر من المغرب الذي تكاملت فيه ثروته الصناعية والزراعية والاقتصادية تكاملا يكاد ان يغطي جميع احتياجات شعبه مع ما يفيض من هذه الثروة وتصديرها للخارج .

ومع هذا الفائض الكبير من اللحوم والمواد الخام الكثيرة من الفوسفاط وغيرها ، ومن الحبوب والخضروات والفواكه التي تغطي احتياجات اكثر من بلد اوربي فى اوربا الغربية ، مثال فرنسا وبلجيكا والمانيا واسبانيا ، فان عددا كبيرا من المغاربة ما زالوا يناضلون لتحسين اوضاعهم ، ولا توجد فى المغرب بطالة بقدر ما يوجد بين سكانه احتياجات نقص في الدخل القومي عند عدد كبير من الفئات الوطنية .

ولكن المغاربة دابوا على العمل وزاحموا العامل الاوربي فى مصنعه وعرفوا كيف يسيرون حياتهم على مستوى من الرخاء . ومعيشة الفرد العادي فيه على مستوى يفوق احسن المستويات فى البلاد الاخرى .

والملك الذي يتعهد تحسين هذه الاوضاع وقد تبناها بنفسه ما برح يبذل قصارى جهده عاملا ودؤبا على تذليل جميع المشاكل التي تواجه بلاده بهمة متتابعة وبنظرة ثاقبة حتى تحطمت على ارادته اكثر المتاعب ، وهو ما زال يردد القول بين لحظة واخرى ان الواجب يحتم علينا بناء المغرب الحديث بناء متكاملا فى كل شيء حتى يستطيع الوطن مجابهة جميع الاحداث .

وشعب له مثل هذا التاريخ العريض والطموح الكبير لابد له ان ينبوا منزلة رفيعة بين الامم والشعوب على النحو الذي اطل به المغرب على العالم وهو يشيد هذه النهضة الكبيرة .

ليبيا : عمر الاشهب



روحها من روحه ، ومبادئها من مبادئه ، بحيث لو تعارض اي قانون من قوانين الدولة او قرار من قراراتها في اي مجال من مجالات حياتها السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية مع الدستور مادة او روحا ، حكم في الحال ببطلان ذلك القانون او القرار ، لتعارضه مع الدستور الذي هو القانون الاساسي للدولة .

وعندما نص دستورنا المغربي على ان « الاسلام دين الدولة » كان معنى ذلك ان الدين الاسلامي هو دين الدولة المغربية ملكا وحكومة وشعبا ، وان الاسلام دين ودولة ، اي عقيدة ونظام ، ومعنى هذا ان سائر مظاهر الحياة في المغرب ، وكل القوانين الفرعية التنظيمية التي تضبط اموره وتسير شؤونه انما يجب ان تستمد روحها ومادتها من الاسلام ، لانه طبقا لنص الدستور بالنسبة للمغرب هو الدين ، وهو الشريعة ، وهو النظام .

وبذلك قطع الدستور المغربي — بفضل المعية جلالة الحسن الثاني وبعد نظره ، وتشبثه بالاسلام وصدق ايمانه — السنة اي من المنحرفين الضالين ، كالداعين الى فصل الدين عن الدولة من العلمانيين اللادينيين ، أو المنادين بمناواة الدين اساسا ومحاربته رسميا من طرف الدولة بدعوى انه افيون الشعوب ومخدر الامم ، كالماركسيين الماديين .. كبرت كلمة تخرج من افواههم ، ان يقولون الا كذبا » .

وجلالة الحسن الثاني وهو المثقف الحصيف خير من يعلم انه لكي تتحول هاتيكم المادة من الدستور المغربي الى حقيقة معاشية تنطق بها كل مظاهر الحياة في المغرب المسلم لابد اولا من تعلية الشعور بالقيم الاسلامية الحقيقية ، وبمثله السامية العملية لدى كل فرد من افراد الشعب حتى يكون على علم ويقين من اهمية دينه العظيم وفعاليته التي لا تسامى في مجالات الحياة جميعها ، فأخذ جلالته يقيم خلال شهر رمضان المعظم سنويا ذلكم المهرجان العظيم بضريح مولاي الحسن الاول قدس الله روحه ، حيث تلقى تحت اشراف جلالته .. وايضا بمشاركته — تلكم الدروس القرآنية الحديثية التي يتلقفها الشعب عن طريق الاذاعة والتلفزة بكل اقبال واحتفال ، لانها تلبي نداء غريزيا فيه نحو الثقافة الاسلامية والتعاليم القرآنية والحديثية تغذي روحه واحساسه ، وتصقل مشاعره ووجدانه ، وتضيف عنده الى لذتي : الصيام والقيام لذات ، اذ تجعل الشعب كله مستشعرا روحانية الحديث الشريف « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع » فضلا عما يجنيه الشعب بواسطة هاتيكم الدروس من الفوائد التي تعود عليه بالنفع العظيم والخير العميم ...

ومن جهة اخرى فلكي يكون نص الدستور على ان « الاسلام دين الدولة » حقيقة ملموسة في شتى الوان حياتنا المغربية من سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية ونحوها كان من الطبيعي بل من الضروري التفكير في ايجاد اطار عال من ذوي الثقافة الاسلامية الممتازة بجميع فروعها ليقوم بهاتيكم المهمة ، ولذلكم انشأ جلالة الحسن الثاني دار الحديث الحسنية ، لتخريج حملة الدبلوم العالي والدكتوراه في العلوم القرآنية والحديثية ، والدراسات الاسلامية العالية ، هذه الدار التي قطعت ثلاث سنوات دراسية من عمرها ، والتي اسست على تقوى من الله ورضوان فهي توتي اكلها كل حين باذن ربها ، حيث اخرجت في السنة الدراسية المنصرمة الفوج الثاني من علمائها ، اولئك الذين سيبرهنون عن جدارة وكفاءة على انهم بعون الله وحسن توفيقه اهل للثقة الملكية الغالية ، ولاداء ما سينيطه بهم جلالته من أمانة ويحملهم اياه من مسؤولية ، وانهم سيكونون لهذا الوطن الحبيب على الدوام : نورا يشع ، وهدى يضيء ، وسيفا للحق على الباطل يتلالا مضاء وسناء ، وحجة قائمة دائمة على ان الله حق ، وان الاسلام صدق ، وان العاقبة دوما والى الابد للمتقين .

وتتوالى على وطننا العزيز في ظل الاستقلال نفحات الاسلام القدسية وانواره ، وتتفتح في مرابعه الميمونة ازهاره ، وتعم خيراته وبركاته وثماره . فهذا جلالة الحسن الثاني يختتم سلسلة دروس شهر رمضان المعظم عام ست وثمانين وثلاثمائة وألف بذلكم الدرس القيم والمحاضرة العلمية الممتازة ، التي كان موضوعها شرح الحديث النبوي الشريف : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » .

تلكم المحاضرة العلمية التي كانت خير مثال نموذجي لما يجب ان يكون عليه المتصدي للدراسات الاسلامية في هذا العصر من ثقافة واسعة متنوعة ، وقدرة على الاستنباط والاستدلال ، وتفتح وانعطاف مع المضامين الحقيقية والمثالية للشريعة الاسلامية في ثوبها الانساني النقي ، فضلا عن قدرته على الاجتهاد المنتج ، وعلى الخلق والابداع طبقا لمقتضيات الحياة

رسول الله وصالحي الخلفاء اسوة حسنة ، أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده . »

*

« من هذه الوصايا الكريمة — يقول جلالة الحسن الثاني — استمددت العون ، واستلهمت الرشد ، واستعدت العزم .. واذا كانت البنوة تفرض طاعة الاباء بتنفيذ اوامرهم وهم احياء ، فهي كذلك تفرض تنفيذ وصاياهم وهم أموات » .

ان احترامنا لمبادىء القرآن — يقول جلالته — وتشبثنا بتعاليمه ليس بالشيء الغريب ، حيث ان أبانا « محمد الخامس » رحمة الله عليه كان أول ما وضعه فى يدنا قلما ، وضعه لا لنخط الاحرف ولا لنرسم الرسوم رغم حداثة سننا ، وانما وضعه فى يدنا لاول مرة لنكتب بسم الله الرحمن الرحيم . ولم ندخل المدرسة الابتدائية ولا الثانوية حتى تضينا فى الكتاتيب القرآنية ما يزيد على اربع سنوات . هذا الشيء هو الذي طبعنا به وجبلنا عليه ، وجبل عليه آباؤنا واجدادنا والاجيال التي سبقتنا فى هذا البلد ...

واننا لنجد ونجتهد لا لنعيد لهذا الكتاب العزيز مجده والتعامل به ، فالله سبحانه وتعالى قد تكفل بذلك ، فالله خير حافظ للقرآن ، وهو ارحم الراحمين. ولكن جهادنا واجتهادنا هو العمل اليومي على أن يصير كتاب الله عملة خلقية وانسانية وقانونية ، ليتعامل به جميع بني الانسان مسلمين كانوا او عربا . واملنا فى الله سبحانه وتعالى أن يحقق رجاءنا واملنا ، حيث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما اجتمعت أمتي على ضلال » ، فأي هدى أهدى واحلى وافضل من هدي القرآن ! واي حق احق من كتاب الله ! فاذن من باب اولى واحرى أن يجتمع المسلمون على كتاب الله .

ويضيف جلالة الحسن الثاني قائلا : « ان الله سبحانه وتعالى قد تعهد لنا وقد ترابط معنا نحن معشر المسلمين فى كتابه العزيز حيث قال :

« ان تنصروا الله ينصركم » ونصرة الله تختلف باختلاف الازمنة والاماكن والاجيال والملابسات، ونصرة الله اليوم غيرها بالامس . وهي ليست نصرة الحرب ولا نصرة السيف . ولكن هي نصرة الدين الاسلامي بنصرة كتاب الله . ذلك الاشعاع الذي لا يقف فى وجهه مصفحات ولا دبابات ولا طائرات ، والذي من شأنه أن يقهر كل عدو . وكل قوة مادية او عسكرية كيفما كان نوعها ، وكيفما كانت كثرتها وشوكتها ! .. » .

واذن فقد وقع اجماع المغرب — ملكا وشعبا — منذ ايام الكفاح الاولى على الاسلام باعتباره دستورا للحكم ، ومبدأ للتشريع ، ومنطلقا للحيوية فى جميع مرافق النشاط بالمغرب ، فضلا عن كونه عقيدة مقدسة يعيش بها ولها ، ويضحي بأعز الغوالي تمسكا بها ودفاعا عنها ...

*

وما ان يتولى جلالة الحسن الثاني المعظم عرش المغرب المجيد حتى يكون منذ الوهلة الاولى امتدادا لجلالة والده المنعم :

يقول حفظه الله فى اول خطاب وجهه الى الشعب اثر توليه العرش :

... اعلن لك شعبي العزيز انني أمسكت معتمدا على الله مقاليد الملك ،وتربعت على عرش اسلافي المنعمين تلبية للارادة الاجماعية التي تمثلت فى بيعتك لي ، وتنفيذا لعهد جلالة ملكنا المرحوم ، وارضاء للواجب الوطني المقدس .

وانني أعاهد الله واعاهدكم على أن اضطلع بمسؤولياتي ، واودي واجبي طبق مبادىء الاسلام وقيمه السامية ، وتقاليدنا القومية العريقة ، ومقتضيات مصلحة الوطن العليا . كما اعاهد الله واعاهدكم على ان ادافع عن حوزة الوطن واستقلاله وسيادته ، واحرص على وحدته واعلاء شأنه بين الدول ...

والحق ان تباشير فجر اسلامي صادق بهذا الوطن العريق فى الاسلام والعروبة قد بدت واضحة للعيان على يد جلالة الحسن الثاني ، وان بعثا جديدا لتعاليم القرآن الكريم ، وسنة رسول الله العظيم الحكيم ، قد أخذ يشق طريقه نحو القلوب والعقول بفضل قيادة جلالته الحكيمة ومساهمته العظيمة ..

*

واول نصر حققه المغرب فى هذا المجال اثناء الاستقلال هو ما نص عليه دستورنا المغربي من ان « الاسلام دين الدولة » وان « الدولة تضمن لكل واحد حرية ممارسة شؤونه الدينية » .

ان الدستور معناه القانون الاساسي للدولة ، اي القانون الذي يحدد شكل الدولة وتكوينها ، ووظائف السلطات الحكومية فيها، والحقوق الاساسية للمواطنين بها ... ثم ان سائر القوانين الفرعية الاخرى انما تستمد

وقوانين التطور ، وفى حدود الاصول العامة للشريعة الاسلامية دونما زيغ او تنطع ، وبكل ايجابية وموضوعية .

وكذلكم كان الدرس الذي القاه جلالة الحسن الثاني فى ختام سلسلة الدروس الدينية يوم رابع عشر رمضان المعظم من هذا العام ، والذي كان موضوعه شرح الحديث النبوي الشريف ، « كم من رجل لو اقسم على الله لابره » .

وهكذا انطبق على مغربنا العزيز قول الامام البوصيري رحمه الله :

واذا سخر الاله اناسا

لسعيد فانهم سعداء

حيث رأينا روح جلالة الحسن الثاني الاسلامية تنعكس وتنشط شتى مرافق الحياة المغربية من حكومية وشعبية :

فهذه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تصدر بأمر من صاحب الجلالة :

— كتاب « الاسلام دين ودولة ونظام » للاستاذ عبد الحي حسن العمراني . وكتاب الاعلام بحدود الاسلام للقاضي عياض بتحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي. و « أربعون حديثا فى اصطناع المعروف » للمنذري بتحقيق الاستاذ ابن تاويت الطنجي .

— وكتاب : ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، لمعرفة اعلام مذهب مالك ، للقاضي عياض. حقق الجزء الاول منه الاستاذ ابن تاويت الطنجي ، ويحقق بقية الاجزاء الاستاذ عبد القادر الصحراوي الذي أنجز من هذا العمل الهام الجزأين الثاني والثالث . وهو الان فى مرحلة مقابلة النصوص بالنسبة للجزء الرابع .

— وكتاب التمهيد لما فى الموطا من المعاني والاسانيد للامام الحافظ يوسف بن عبد البر الاندلسي، صدر منه للان الجزء الاول بتحقيق الاستاذ مولاي مصطفى العلوي مدير دار الحديث الحسنية والاستاذ محمد عبد الكبير البكري الملحق بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

— واصدرت (هذه الوزارة ايضا) عددا خاصا من مجلتها « دعوة الحق » بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، هذه المجلة التي دخلت فى السنة الحادية عشرة من عمرها المبارك ، والتي تتلاقى على صفحاتها سواء من وطننا العزيز أو من الشرق العربي والعالم الاسلامي اخلص النيات واكمل المواهب واجمل الاقلام ، غايتها خدمة الثقافة والفكر ، ونشر الدراسات الخاصة بشؤون الاسلام ، وهي تعتبر بحق من اقوى والمع المجلات لا فى المغرب وحده بل فى العالم الاسلامي بالنسبة لمثيلاتها فى موضوعها ،

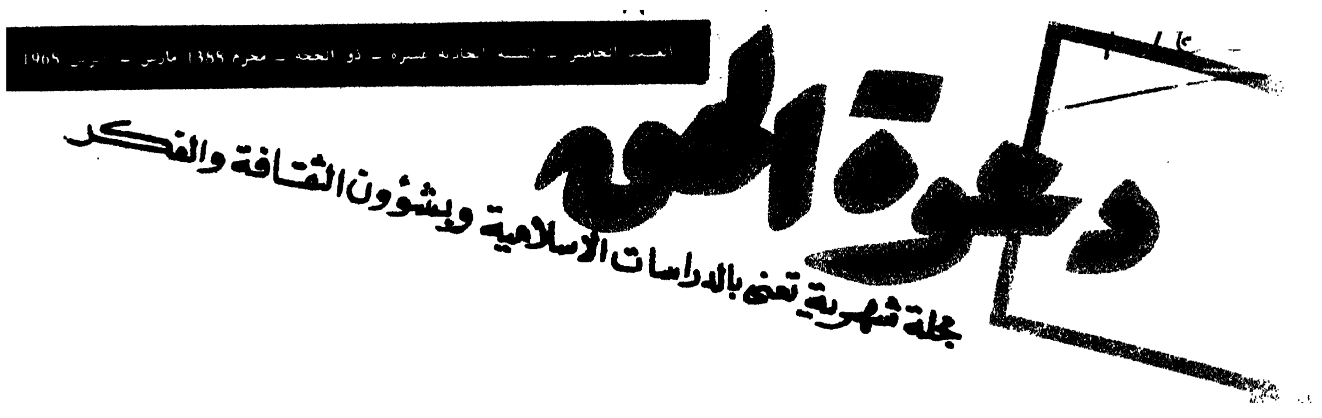
— كما تصدر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية مجلة مبسطة ومشكولة هي مجلة « الارشاد » الشهرية وغايتها التثقيف الشعبي والتوجيه الاسلامي .

وان من يمن الطالع والفال الحسن أن تظهر مع الذكرى العظيمة ، ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على ابتداء نزول القرآن مفخرة جديدة لجلالة الحسن الثاني لها وثيق الصلة بها ، بل ربما كانت من أجلها وبوحي منها، الا وهي ظهور اول طبعة من المصحف الحسني الذي قامت باعداده واصداره بأمر من جلالته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فجاء تحفة مغربية رائعة فنية . ولو حاولت تتبع نشاط وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى مجال الاسلاميات بجميع جزئياتها كالمدارس القرآنية التي تؤسسها — مدرسة سمو ولي العهد سيدي محمد للقراءات السبع بدار زهيرو بطنجة والمدرسة القرآنية بأرفود مثلا — بالاضافة الى تاسيس المساجد ونحو ذلك لا تسع بنا المجال ، ولهذا نكتفي من نشاطها بهذا القدر ، نذكره لها ونشكره .

*

وفى ميدان وزارة التربية الوطنية أول ما يلاحظ ان مادة الدين الاسلامي وتفسير القرآن والحديث والتاريخ العربي والاسلامي قد اخذت مكانا مرموقا بمدرستنا المغربية خصوصا فى مرحلة التعليم الثانوي بطوريه . وذلكم فى رأيي من الاهمية بمكان ، لانه هو الذي سيطبع تلامذتنا بطوابع التربية الاسلامية الخلاقة خصوصا وقد توجه صاحب الجلالة الحسن الثاني بفرض الحشمة فى اللباس على البنات ، وبجعل الصلاة اجبارية بالمدارس المغربية فى جميع الاوقات .

ولعل شهر رمضان المعظم هذا العام كان من المناسبات الاسلامية النادرة التي يجب ان تسجل على الحدق قبل الورق ، وتكتب بحروف من نور على الصدور قبل السطور ، ففيه احتفل المغرب ملكا وحكومة وشعبا بليلة القدر المباركة ، وذكرى مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن الكريم ، وقد حضر الى المغرب بهذه المناسبة وفد يمثل خيرة علماء المسلمين فى العالم باستدعاء من جلالة الملك ، وقد اقيمت بهذه المناسبة احتفالات ومهرجانات ، والقيت



في هـذا العـدد :

...درها
...ة عموم الأوقاف
...ون الاسلامية
... المغربية

ثمن العـدد درهمان

فهـــرس العـــدد الـرابـــع

كلمة العدد

عام جديد

يهـل على المسلمين اليوم عام هجري جديد ... فيستقبلون مطلعه منذ ... مستبشرين ، متأملين مستلهمين ، وقد غمرهم شوق غالب ، وتطلع متلهف الى ما يخبئه لهم الغد المحجب القريب من آمال عذاب ، تندمل لها الجفون القريحة ، وتلتئم معهـا القلوب الجريحة ، وتنتعش الجدود العاثرة . فقد عرفوا سنة ذاقوا حلوها ومرها ، ولمسوا خيرها وشرها ، ونعموا ـ احيـانا ـ بسلامها ، كما اصطلوا بنارها وسعيرها ، فادمت القلوب ، وأرمضت النفوس ، وأطارت النوم من معاقد الاجفان ..

فالمسلمـون يحتفلـون في عامهـم الوليـد بذكـرى الهجـرة النبوية الشريفة التي كانت حدا فاصلا بين النور والظلام ، والوثنية والوحدانية ، وحـدثا هاما فريدا من الاحداث الاسلامية الكبرى التي يجب أن تظل فى قلوب المسلمين ، حاملة اليهم سمات القوة والعظمة التي تدفعهم الى دعم حياة نامية متجددة متطورة تحوطها العزة ، وتؤيدها الكرامة ، ويدعمها التعاون ، وتحمـل للنفوس المكروبة المحروبة ، والقلوب المتباينة المختلفة برد اليقين ، ونفحات الهدى ، وحرارة الايمان ...

وان هذه الذكرى العظيمة الخالدة ، ذكرى الهجرة النبوية ، لترجـع بنا الى المواقف الحاسمة التي كان الرسول عليه السلام يقفها صامدا أمام قريش وأحلافها ، فنستخلص منها فى حياتنا أصدق العبر ، وأجمل الصور ، ونستجلي سمو العقيدة ، ونتأسى بثبات محمد عليه السلام فى جل مواقفه البطولية ، وعقيدة صحبه التي كانت تتحطم على صفاتهـا كل الاهـواء ، ومختلف النزعـات ...

لقـد عز على المشركين ان يروا انتصار دعوة محمد عليه السلام ، وانتشـار نـوره الهادي الذي عم الوجود ، وكبر عليهم ما دعاهم اليه الرسول ، وعسر عليهـم هضم تلك التعاليم الاسلامية السامية ، والاصول العامة رغم معرفتهم بهـا ، وشق عليهم ان يفارقوا عبادة الاصنام ، واللات والعزى ، وما كانوا عليه من انحلال خلقي ، وتصدع اجتماعي ، فقعدوا للرسول عليه السلام كل مرصد ، ومكر بـه الذين كفروا

العدد الخامس
السنة الحادية عشرة
ذو الحجة - محرم : 388
مارس - ابريل : 968
ثمن العدد
درهمـــان

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :

مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما
فأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حســاب :

مجله « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

**Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat**

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ
الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفـون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

لصحبه غذاء القلب ، وسكينة النفس ، وطمانينة الروح ، ومبعث حرارة تنعش القلوب المكلومة المظلومة المحرومة ، فتدفعها الى الامام ، وتملأها بالامل والرجاء .

فما أحرى أبناء هذا الجيل اليوم الذين يتنافسون على الشهوات ، ويتهالكون على الرخيص من الملذات ، ان يستوحوا عبرا من حادث الهجرة النبوية ، ويتحرك ذلك الايمان الراسخ فى نفوسهم ليتحول من الصورة المجردة الى الحقيقة الماثلة فتنحل مشاكلنا التي نعاني منها ونكابد ما تنوء به العصبة اولو القوة .

وما أجدرنا اليوم ان نملأ هذا الفراغ الروحي الذي نشكوه ، بالعمل النافع الجاد، المثمر الصالح ، ونهجر هذه الحياة الرخوة اللينة التي فككت أجزاء الامة الواحدة الى وحدات يسهل هضمها وبلعها والتغلب عليها بعد أن كانت فى عهود العز والفخار شوكة وشجى فى حلق الحاسد الواغر .

وان لنا أملا كبيرا فيما بقي عند المسلمين اليوم من صبابة ذلك الايمان الذي قاد اولئك الصحابة ، أسد الغابة ، وسهام الاصابة ، الى رحاب السعادتين ، والذي يحتاج اليوم الى اثارة وتحريك وتنظيم .

وأملنا أن يكون اشراق هذا العام الجديد باليمن والاقبال ، والرضى والسعود ، والفوز والتوفيق ، وان لايكون كاخيه الدابر مشؤوم المنازل أخرق ! ! ..

انى أرى نارا اعد هشيمها ، * وثقابها ، لكنها لم توقد

دعوة الحق

ليثبتوه ، وعذبوه في نفسه ، وفي قومه ، وفي اصحابه ليحملوه على ترك ما يدعوهم اليه ، وسخروا من دعوته ، واستهزأوا به والله يستهزيء بهم ، ويمدهم في طغيانهم يعمهون، فما استكان ولا تردد ، ولا تلكأ ، ولا لان ، بل بقي عليه‌السلام صامدا أمام عنادهم الجامد، وعتوهم الجامح ، وتعنتهم الاعمى الى أن فتح الله عليه الفتح المبين . ودخل الناس في دين الله افواجا ، افرادا وازواجا ، وعز الاسلام بعمر واضرابه ، فعز بهم الحق ، وارتفعت عن كاهل الدين أثقال يعانيها ...

لقد ظلت قريش وأحلافها تؤذي المسلمين ، وتسيء اليهم ، وتحرض ضدهم، وتضمر لهم كل عداوة وبغضاء ولكنهم – بالرغم عن ذلك – كثر سوادهم ، واخذ محمد عليه السلام يعرض نفسه على القبائل ، وان كان لم يفز بطائل ، ولا كفت قريش عن مساءتها اليه ، ومع ذلك كبر الشأن ، وانفسحت أبواب الامل ، لكن الوسائل المؤدية الى نشر الدين الاسلامي ، والتفكير في أمر قريش ، وفي الراحة من عنادهم وتصلبهم وجحودهم بقي واجبا قائما ملحا ، ولا سيما بعد ان حوصر المسلمون في الشعب ، ونقضت الصحيفة ، ومات ابو طالب وخديجة ، وازداد اذى قريش ، وردته القبائل عما كان يدعوها اليه من الدخول في الاسلام ، وتوالت السنون على هذه الحال ... فكان من الطبيعي أن يفكر النبي عليه السلام في مخرج حاسم يفرج الكرب ، ويزيل المحنة ، ويفسح مجال الامل والرجاء ، فكانت الهجرة من مكة الى المدينة ، وكان التوجه الى يثرب والله معه ، وكان النصر المؤزر معقودا في لواء النبي العظيم عليه السلام ، الذي اطمان على مصير دعوته وأمته ، وكانت الفرحة الكبرى للمدنيين الذين اظهروا استعدادا للذياذ عن هذه العقيدة الاسلامية الراسخة التي استقرت في حنايا ضلوعهم ، ووقعت من نفوسهم موقع الماء القراح من ذي الغلة الصادي

تتجلى عقيدة التوحيد في جل مواقفه صلى الله عليه وسلم مع القرشيين واحلافهم كما تتجلى في أعماله وتصرفاته ، فحياته سلسلة موصولة الحلقات من مظاهر هذه العقيدة ، ايمان لا تزعزعه الشدائد ، واستمساك في مزالق الفتنة والمحنة ، وعمل دائب في نصرة الله واعزاز دينه .

روى ان الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمي ، والاسود بن عبد المطلب ، وامية بن خلف في جماعة آخرين من صناديد قريش وساداتهم ، اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له : « هلم يا محمد ، فاتبع ديننا ، ونتبع دينك ، ونشركك في امرنا كله ، تعبد آلهتنا سنة ، ونعبد الاهك سنة ، فان كان الذي جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه ، واخذنا حظنا منه ، وان كان الذي بايدينا خيرا كنت قد شركتنا في امرنه واخذت حظك منه » .

فقال محمد : « معاذ الله ان نشرك به غيره » .

وانزل الله ردا على هؤلاء هذه السورة الكريمة :

« قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما اعبد ، ولا انا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين » فغدا رسول الله الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش ، فقام على رؤوسهم ، ثم قرأ عليهم السورة ..

فايسوا منه عند ذلك ، وطفقوا يؤذونه ، ويؤذون اصحابه حتى كانت الهجرة ..

لقد كان عليه السلام موقنا بعقيدته ، مومنا بدعوته ومبداه ، يعلم اصحابه الصبر على مكاره الراي ، والشجاعة في مواطن الباس والمحنة ، والاستشهاد في سبيل الحق ، فلا يرضى بانصاف الحلول ، ولا بالمساومة في العقيدة ، تلك العقيدة التي كانت

بالرغم عما اعترض سبيلنا من عراقل ، وما منينا به من أهوال وخطوب ، وسيظل عاملا اساسيا فى تحقيق أهدافنا المنشودة كامة تواقة الى حياة راقية كريمة » .

من الكلمة الافتتاحية التي توج بها جلالة الملك محمد الخامس — نور الله ضريحه — أول عدد من مجلة « دعوة الحق » الصادرة فى غضون شهر يوليوز 1957 .

« ... المساجد مهوى افئدة المسلمين ، واماكن للتذكير والتفكير فى ملكوت الله وعظمة خلقه ، يجتمع فيها المؤمنون لاداء شعائر الدين ، والنظر فيما يعود عليهم بالخير والمصلحة ، اذ فى تشبث المسلمين بعقيدتهم وقيمهم الاخلاقية ، ضمان لرابطتهم واتحادهم ، واستمرار لكيانهم فى العالم » .

من الخطاب الذي القاه جلالة الملك محمد الخامس قدس الله روحه — بواشنطن ، اثناء زيارته للمعهد الاسلامي يوم الاثنين 2 جمادى الاولى 1377 هـ — 25 نوفمبر 1957 .

« ان الثقافة الاسلامية جزء من مقوماتنا الوطنية ، ولا يسعنا ونحن نشيد صرح نهضتنا الحديثة ، الا أن نستمسك بها ، ونحافظ عليها ، حفظا لكياننا ، وربطا لحاضرنا بماضينا ، وتيسيرا لاسباب التقدم والتطور التي يجعلها الاسلام فى متناول أيدي الذين يعتنقونه ، وييسيرون طبق تعاليمه الخالدة ، على أن هذه المحافظة ، لا تعني — كما قد يتوهمه البعض — الوقوف عند حدود معرفة الاحكام الشرعية ، والقواعد اللغوية، بل تفسح المجال لاستيعاب العلوم والفنون ، على اختلافها ، لتكون ثقافتنا الاسلامية حينئذ ثقافة كاملة ، نطيق بها المساهمة فى اقامة ركن الحضارة الجديدة ، كما ساهم أجدادنا بها فى اقامة ركن الحضارة القديمة » .

من الخطاب الذي القي بتارودانت ، بمناسبة تدشين المعهد الاسلامي بهده المدينة ، يوم الجمعة 20 ذي القعدة 1378 هـ — 29 مايو 1959 .

« ... يجب ان تكون شخصيتنا الاسلامية بارزة فى جميع مظاهر النهضة ، وان تاريخ المغرب نفسه ليشهد بان أزهى عصورنا هي العصور التي كان التمسك بالاسلام فيها من أبرز المميزات ، وان كل حركة تحريرية اصلاحية ، انما قامت على أسس القيم الروحية ، ففي اطار ديننا الاسلامي السمح سنصوغ كل عمل وكل اصلاح ، لان المكاسب الدنيوية ليست غاية فى حد ذاتها ، لانها مكاسب محدودة . اما المكاسب الروحية ، فليست لها حدود ، لانها هي الوجود ، ولانها هي التي تمكن الفرد من حسن التصرف فى مكاسبه الدنيوية ، وتكيف تصرفه بالخصال الحميدة ، حتى لا تكون فى المجتمع شحناء ولا بغضاء ولا تفرقة » .

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة الذكرى الاولى لجلوس جلالة الحسن الثاني على عرش جدوده المنعمين ، يوم السبت 26 رمضان 1381 هـ — 3 مارس 1962 م .

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من خلال النطق الملكي

« .. وليس « الناظر » الحارس الامين على الشيء المحبس ، فاذا كانت الشريعة تطالبه بصيانة متمولاته الخاصة ، فانها بالاحرى تطالبه بصيانة متمولات المحبسين الذين جعلوها وقفا على مصلحة العباد ، من طلبة العلم ، والقائمين بشعائر الدين ، والمعوزين والفقراء وعابري السبيل » .

من الخطاب الذي القي بمناسبة تسليم الظهائر الى النظار الجدد ، يوم الخميس 16 شعبان عام 1375 هـ الموافق 29 مارس سنة 1956 م .

« ... ولكي نعيد للاوقاف الاسلامية مركزها الرئيسي فى التوجيه الروحي ، نظمنا دروس الوعظ والارشاد ، ووجهنا الخطباء الدينيين نحو تجديد اساليبهم ، وشكلنا هيئة من العلماء ، لاعطاء دروس دينية وفقهية ، فى جميع أنحاء المغرب الحاضرة والبادية على السواء ، ومن الجهة الاجتماعية ، فقد اهتمت وزارة الاوقاف بتحسين اجور الموظفين الدينيين تحسنا ملموسا ، وتبنت تبعا لما أمرناها به ، عائلات الشهداء الذين اعدم آباؤهم فى سبيل القضية المقدسة ، وساهمت فى اسعاف طلبة المعاهد الدينية ... » .

من خطاب الذكرى التاسعة والعشرين لجلوس العاهل الكريم على عرش اسلافه المقدسين — الاحد 14 ربيع الثاني عام 1376 هـ — الموافق 18 نوفمبر 1956 م .

« ... ان حرصنا على الاعتصام بحبل الدين ، والتشبث بمبادئه ، والسير على سننه ، ليعد أحد العوامل الاساسية فى خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين

وإننا لنتمم هذا العمل بما نأمر به من احياء التراث الاسلامي وطبع المخطوطات النادرة وتنظيم دروس للوعظ والارشاد فى جميع انحاء مملكتنا .

وقد اكتسى شهر رمضان المبارك فى هذه السنة حلة جليلة فى بلادنا تجلت فى الدروس الوعظية التي أشرفنا عليها بنفسنا وفى توجيه شعبنا الى ما فيه صلاحه فى الدين والدنيا ، ولقد شارك فى القاء هذه الدروس الوعظية طائفة من أجلة علمائنا وعلماء بعض الاقطار العربية الشقيقة .

وقد عنينا خلال السنة المنصرمة بطبع المصحف الشريف فصدرت هذه الطبعة فى الحلة القشيبة وفق رغبتنا ومبتغانا وانجزنا فى السنة نفسها بناء ثلاثة عشر مسجدا جديدا واصلاح ما يزيد على مائة مسجد ، وأصدرنا أوامرنا لوزارتنا فى الاوقاف والشؤون الاسلامية بالشروع فى تشييد واحد وعشرين مسجدا فى مختلف مدن مملكتنا وقراها .

من خطاب العرش الذي ألقاه جلالة الحسن الثاني يوم 3 مارس عام 1968 .

« ... وفيما يرجع لنشاط وزارة الاوقاف ، أوفدنا وزيرنا فيها الى جل الاقاليم للتعرف على احتياجات المواطنين فى الميدان الديني ، وعلى ضوء دراساته ومشاهداته أمكن بناء عدد من المساجد ، واصلاح وتجديد مئات أخرى ، كما يوجد تحت الدرس ، مشروع بناء عدد من المساجد فى الاحياء العصرية التي تزايد سكانها المسلمون .

وقامت وزارة الاحباس أيضا بتوفير العدد الكافي من الوعاظ والمرشدين ، لتزدهر بهم من جديد ، حلقات الثقافة الاسلامية ، ويكون المسلمون على بينة كاملة من شؤون دينهم وآدابه السامية ، وأخلاقه العالية » .

من الخطاب الذي القي بالرباط، بمناسبة الذكرى الثانية لجلوس حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني أيده الله ، على عرش اسلافه المنعمين ، يوم الاحد 7 شوال 1382 هـ — 3 مارس 1963.

« .. واذا كان المغرب رفض قبل الاسلام جميع الفتوحات المادية والتاثيرات المعنوية ، فانه تقبل الهداية الاسلامية فى أول عهودها الزاهرة باطمئنان ورضى ، اذ وجد فيها رائده الروحي ومصدر انطلاقه لحياة العزة والكرامة ، فقد اثبت التاريخ انه حافظ على أصول ذلك الهدى ، واحتضنه وحمله فى امانة الى مختلف الآفاق ، ثم انتصب عليه قيما حفيظا حين ابتلى العالم الاسلامي بالنكسة التي تلافاها لحسن الحظ أجدادنا المقدسون ، فى هذا الوطن العزيز » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة انشاء « دار الحديث » يوم الثلاثاء 26 رمضان 1383هـ — 11 فبراير 1964 م .

« ... ونظرا لما أولانا اليه من شرف الامامة واناط بنا من واجب المحافظة على شعائر الدين الاسلامي الحنيف اصدرنا أوامرنا لوزارتنا فى عموم الاوقاف فى نطاق تنمية الوعي الاسلامي وتيسير أسباب العبادة لشعبنا بمواصلة حملات الوعظ والارشاد بجميع جهات المملكة ، وبناء المساجد بالمدن والقرى والاحياء المفتقرةاليها، وقد شيد 46 مسجدا خلال سنة 1966 ووقع اصلاح مئات أخرى من المساجد ، وقمنا ببعث الثقافة الاسلامية بطبع طائفة من كتبها القيمة منها والنفيسة ، واعتنينا بالمدارس العتيقة بالبادية حتى عادت الى ازدهارها السابق ، وصار الطلاب يلقنون فيها القرآن الكريم بمختلف قراءاته ، ومبادىء العلوم الدينية واللغوية .. »

من خطاب العرش الذي القاه صاحب الجلالة نصره الله يوم 3 مارس سنة 1967 .

ان عنايتنا بالمحافظة على القيم الاسلامية وبنشر التعاليم الدينية لا تقل عن اهتمامنا باشاعة الرخاء والازدهار والطمانينة بين افراد شعبنا .

ولم نفتا نوجه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لبناء المساجد وتعهدها بالاصلاح والصيانة والتجهيز حتى تبقى بيوت الله عامرة يذكر فيها اسمه ويتلى فيها كتابه العزيز .

ماها ، وبين شعب هذه البلاد ، واحتفاء بتلك الاصرة الجامعة التي احكمها اتحاد الاماني ، وتوافق المطامح ، وتواكب الجهود والتضحيات .

التحام العـــرش والشعب

لقـــد ادرك اسلافك ــ شعبي العزيز ــ منـــذ نيف وثلاثة قرون ما لهذه الصلة من قيمة ثمينة ، وقدر نفيس ، فحرصوا عليها حرص الشحيح ، واتخـــذوا من توثيق عراها وتنميتها واحكامها منذ انتشرت الوية هذه الدولة فوق ارض هذا الوطن ، اتخذوها خطـــة رسموها لانفسهم ، وهدفـــا ترامت اليه امانيهــم ومطامحهم ، فبلغوا من هذا المقصد ما املوا ، ونالوا من هذا الغرض ما اليه ذهبوا ومالوا ، واشاع الله فى قلوب اجدادنا المقدسين الذين تعاقبوا على عرش هذه البلاد الحب الصادق ، ذلك الحب الــذي يورث الرعايـــة والعناية ، والاهتمام بصغير الشؤون وكبيرها ، والثقة التي تدفع الى العمل الصالح ، وتخلق الراي السديد ، والنظر الذي لا يحيد عما فيه العائدة الجميلـــة ولا يميل . وشاءت العناية الالاهية ان يكون ذلك التجاوب، ويتولد ذلك الوئام ، ويتأصل ذلك الانسجام ، ويعظـم التبادل ، وتغزر مادة التعاطف ، وتقوى عوامل التكاتف بين ملوك هذه الامة وشعوبهم ، فلم يختلـــج فى صدر الرعية مطمح من المطامح ، ولا امل من الآمـــال ، ولم يخامر نفوسها فرح او ترح ، على اختلاف الازمنـــة والعصور ، وتبدل الاحـــوال وتجدد الظـــروف ، الا تأججت فى نفوس الجالسين على عرش هذه البـــلاد ، جميع هذه العواطف والمشاعر ، وحفزها هذا الوجدان الى الاخذ بما يؤكد دواعي المسرة والابتهاج ، ويوفـــر اسباب الطمانينة والارتياح ، ويكفل تحقيق الرغائـــب والمطالب ، ويضمن دفع الشدائد والنوائب ، وكان لهذا اللقاء بين العواطف ، ولهذا الالتحـــام بين الارادات ، عبر العصور السالفة والازمان الخالفة ، الاثر الحميد الذي طبع مجرى تاريخ هذه البلاد منذ اشراق فجـــر الدولةالعلويةالى يومنا هذا،فلم يشعر اجدادك واسلافك ــ شعبي العزيز ــ فى يوم من الايـــام ، او فى حال من الاحوال ، سواء فى السراء والضراء ، او فى الشـــدة والرخاء ، ولم تشعر انت من بعدهم بفاصل من الفواصل التي تجعل الحاكمين بمعزل عن المحكومين ، او حائل حول دون الالتفاف والائتلاف ، او بعائق يقف فى وجه اتحاد المصالح والغايات والاهداف ، ولم يشعر اسلافي المكرمون الملوك المنعمون خلال الاحقاب المتابعة مـــن تاريخنا الحافل بالمكرمات والامجاد ، ولم اشعـــر انـــا بعدما اناط الله بي مقاليد امرك فيما تصرفت فيه من وجوه ، ودعيت اليه من اعمال ، وحملت من اعبـــاء ، وهديت اليه من سبيل ، لم اشعر بما يوهن العزائـــم ، ويفت فى الهمم ، ويكذب الظن ، ويخيب الامل ، بـــل درجت فراسة الشعب المغربي على الصدق ، وتوالـــي حسن ظنه وتتابع جميع اختياره ، ورحبت ارجـــاء ثقته وبرزت فى الخطوب والملمات والظروف المدلهمات، درجت تلك السجايا التي فطر عليها ، والمزايا التي طبع عليها ، وصلحت نيات ملوكه وخلصت طواياهم ، فهداهم الله الى الصراط المستقيم ، ووفق خطاهم الى التدبير السليم ، وعرفهم من مصادر الحكم وموارده ما صلحت به الاحوال ، وطاب به المآل ، فسارت بمـــا اجتمعت عليه قلوب الحاكمين والمحكومين ، واتحدت حولـــه كلمتهم ، سارت سفينة هذه المملكة الى شاطيء النجاة على الرغم مما اعترض سبيلها من صعاب واحتف بهـــا من مكاره واحدق بها من اخطار .

تجـــاوب اصيـــل ومستمـــو

ان هذا التجاوب الاصيل الذي يستمد قوته من الماضي القريب والبعيد ، وعن الحاضر الراهن العتيد ، وهذا الولاء المتبادل والوفاء المشترك ، والتعلق بالقيـم التي تتمثل فى العـــرش وفي شخص من قيضه الله لاعتلائه ، وقيادة هذه الامة ، كل هذا خليـق بامدادنا بالحول والطول للتغلب على ما يمكن أن يعترض سبيلنا من عقبات ، وبتوطيد عزمنا على المضـي قدما فيمـــا نستهدفه من ارساء قواعـــد مستقبلنـــا على الاسس المكينة والدعائم المتينة ، وارشادنا الى أصلح الاسبـــاب وانجع الوسائل المؤدية الى ما يعود على بلادنا بالحسنى وزيـــادة .

شعبـــي العزيـــز :

لقـــد دابنا كلما حلت هذه الذكرى وتوجهنـــا اليك بالخطاب على استعراض ما انجزناه من اعمـــال وطويناه بهذا الانجاز من مراحـــل ، وما بقي علينا ان نقطع اليه من انجاز وتحقيق تتميما للعمل الذيبداناه، واستكمالا للبناء الذي بنيناه لتكون على بينـــة مـــن مساعينا وبصيرة من جهودنا ، وليكون علمك محيطـــا باننا نخطو كل سنة خطوات ، ونتقـــدم كل حقبـــة درجـــات .

نصّ الخطاب الملكي لعيد العرش

احتفل الشعب المغربي في جو من البهجة والحبور بالذكرى السابعة لتربع جلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله وأيده على عرش اسلافه المنعمين .

وقد ترأس العاهل المفدى حفلة عيد العرش برحاب المشور السعيد حيث القى خطاب العرش الذي استعرض فيه مختلف المنجزات التي حققتها بلادنا في شتى المجالات والآفاق وما سينجز في عهده الزاهر في المستقبل القريب .

وكان جلالة الملك محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الامير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله ، وحضر هذا الحفل العظيم أعضاء الحكومة ورؤساء البعثات الديبلوماسية والامراء وأصهار صاحب الجلالة ورئيس المجلس الاعلى ووكيل الدولة العام ونواب كتاب الدولة والجنرالات واعضاء الدواوين الملكية وعدد كبير من الشخصيات المدنية والعسكرية ووفود من الاقاليم وعدد كبير من الضباط السامين .

كما حضرت جموع غفيرة من المواطنين الى المشور السعيد للاستماع الى قائد البلاد حفظه الله وهو يلقي خطاب العرش الذي استغرق القاؤه ما يقرب من الساعتين
وفيما يلي نص الخطاب الملكي السامي :

الحمد لله

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

تلتقي مشاعرنا ومشاعرك في مثل هذا اليوم من كل سنة منذ أن القى الله الينا زمام أمرك وحملنا امانة الرعاية لشؤونك ، والسهر على مصالحك ، نلتقي لقاء يتسم بطابع خاص ، ويمتاز عن كل لقاء يتم بيننا في سائر ايام السنة بسمة ليس لها نظير ولا شبيه ـ ذلك لان اجتماع الكلمة على الاحتفال بهذه الذكرى ، واتحاد العواطف ، وائتلاف القلوب للاعراب في هذا اليوم المشهود عن المسرة والابتهاج ، والافتخار والاعتزاز وشكر النعمة ، ما سلف منها وما بقي ، والامل المعقود الصادر عن الثقة والاطمئنان ، كل هذا انما هو اجتماع واتحاد ، وائتلاف حول العرش وما يرمز اليه العرش من معاني الاستمرار والاستقرار ، والولاء المتبادل الممتد عبر السنين والاجيال ، والوفاء الثابت الذي جرى عليه الملك والشعب مدى العصور الطوال ، فليس احتفالك كل سنة في مثل هذا اليوم بذكرى جلوس عاهلك على عرش اسلافه المنعمين ، الا احتفالا بتلك الصلة الوثيقة الرابطة بين عرش هذه المملكة وحامي

وعملنا على مضاعفة التوفير وتوجيهه نحو [الأعـ]ـمال المنتجة عن طريق النشاط الذي يقوم به كل صندوق الايداع والتدبير وبورصة القيم بالدار [البـ]ـيضاء التي أمرنا بتنظيمها طبقا للمرسوم الملكي الذي [أصـ]ـدرناه في هذا الشأن ، ويهدف هذا التنظيم الى [تقـ]ـوية فعالية مراقبة الدولة في الشؤون المتصلة بالقيم [المـ]ـنقولة .

وقد اخذت وزارتنا في المالية في تطبيق [إصـ]ـلاحات اساسية في ميدان التوفير والسلف ، فانشأ الصندوق الوطني للسلف الفلاحي سبعة وخمسين « 57 » صندوقا محليا لفائدة صغار الفلاحين ونحن على وشك اصدار نصوص تشريعية تقضي باحداث صناديق جهوية للتنمية وتنظيم السلف الخاص بالعقار والفنادق .

جهود الدولة لمواجهة حالة الجفاف

هذا وقد منينا خلال سنتين متواليتين بجفاف اضطرت معه الدولة الى اتخاذ التدابير لمواجهة الحالة وذلك بضمان وتوفير الحبوب الكافية حتى لا يترتب عن هذا الجفاف ما يترتب عنه عادة من مسغبة وخيمة العواقب ، جسيمة الاضرار ، الا أن الجهد الذي افرغته الدولة نهوضا باعباء مسؤوليتها تفاديا لهذه العواقب قد كلفها استيراد الحبوب ما بين فاتح يوليوز 1966 و 30 يونيه 1967 مبلغ قدره خمسة ملايير ، كما أن استيرادها سيكلف الدولة مائتين وسبعة وسبعين مليونا وخمسمائة الف درهم في المدة الفاصلة بين فاتح يوليوز 1967 و 30 يونيه 1968 ، وهو تكليف عظيم ، [إ]لا ان الله الرؤوف بعباده وقانا شر ظروف عصيبة [و]أيام يابسات .

هذا وقد بلغت استسلافات البنك الوطني للانماء [الا]قتصادي لتمويل التجهيزات الصناعية ما يزيد على [ثـ]ـلاثة وخمسين مليون « 53 » درهم وذلك لغاية 30 [شـ]ـتمبر من السنة الماضية ، وقد توصل هذا البنك [من] الخزينة بقرض طويل الامد قدره مليون وسبعمائة [و]احد وخمسون الفا وثلاثمائة وثمانية وثمانون « 1 751 388 » درهما وذلك ليتمكن من مواجهة [جميـ]ـع التزاماته .

الاشغال العمومية

دعائم أساسية للتنمية

واذا كانت سياستنا المالية تعكس ما نبذله من جهود في مضمار التنمية ، فان اختصاصات وزارتنا في الاشغال العمومية والمواصلات تكتسي من الاهمية ما ليس به خفاء للصلة التي لاعمال هذه الوزارة باقتصاد البلاد ، وذلك ان بناء الطرق والجسور والموانيء والمطارات وتوسيع شبكة المواصلات والنقل ، وتعهدها بالصيانة المستمرة ، وتوليد الطاقة الكهربائية وتشييد السدود كل هذا من الاعمال التي تعد دعائم أساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وان نظرة سريعة الى منجزاتها واعمالها لخليقة بأن تدل على ما تضطلع به هذه الوزارة في مجال النمو الاقتصادي ، وان من الجدير بالتنويه ان شبكة الطرق في بلادنا يزداد طولها منذ فجر الاستقلال بمعدل سنوي قدره 500 كلم تقريبا ، وبفضل هذا المجهود اصبحت البلاد متوفرة على شبكة طرقية متنوعة ممتدة تصل خطوطها المحكمة البناء بين أطراف وطننا المحبوب .

وقد امتازت السنة الفارطة بأشغال توسيع ميناء اسفي واقامة ارصفة اضافية في ميناء كل من الدار البيضاء وطنجة ، فضلا عن الشروع في الدراسات المتعلقة بتجهيز موانيء جديدة .

أما شبكة السكك الحديدية التي يبلغ طولها : 1 778 كلم فقد عنيت مصالح وزارتنا في الاشغال العمومية بتمتين بعض خطوطها ، ومنها الخط الواصل بين طنجة والقصر الكبير ، يضاف الى هذا توسيع مجموعة الفنادق التابعة للمكتب الوطني للسكك الحديدية .

وتم خلال السنة الفارطة ايضا انجاز البرنامج الهام الرامي الى تجديد مطار الرباط وسلا وتوسيعه بحيث اصبح قادرا على استقبال أضخم الطائرات واحدثها ، كما قاربت اشغال توسيع مطار طنجة نهايتها ، وانجزت الدراسات الخاصة باعداد مطار الدار البيضاء ـ النواصر الذي نحرص اشد الحرص على أن يكون من المطارات الدولية ذات الشأن العظيم .

وتعددت في السنة المنصرمة وسائل توليد الطاقة الكهربائية فأقيم في سيدي قاسم مولد تبلغ طاقته خمسة عشر الفا وستمائة « 15 600 » كليواط ، كما

لا يهدأ لنا بال حتى يكون يومك أحسن من أمسك وغـــدك أفضـــل مـــن يـــومـــك

واننا لا يقر لنا قرار ولا يهدأ لنا بال تفكيرا فيما يعود عليك بالعائدة الحسنة ، وتدبيرا لشؤون الدولة على تباين وجوهها وتعدد الوانها لتتصل الجهود المجدية الناجعة وتتلاحق المساعي المثمرة النافعة ، حتى يكون يومك احسن من امسك ، وغدك أفضل من يومك ، وحتى يتوالى سيرنا فى الطريق القويم الذي اوضحناه ويطرد الرقي المنشود الذي رسمناه فى شتى الميادين وسائر المجالات ، ولقد انتظمت السياسة التي سلكناها خلال السنة المنصرمة اعمالنا المنجزة ومشاريعنا المدروسة الماثلة للتطبيق والمشاريع التي ما تزال رهن البحث والدرس والتمحيص ، فاشتملت على ما يهم الميدان الداخلي ، وعلى ما يتصل بمواقفنا فى الحقل الدولي ، وما سلكناه فى هذا المضمار من سبيل واخترناه من مقاصد واهداف ، فالاستعراض الذي اعتدنا ان نقوم به بمناسبة هذه الذكرى سيلم بالجانبين معا من جوانب تفكيرنا وتدبيرنا وبالوجهين على السواء من وجوه أخذنا وردنا وانقطاعنا الى ما انقطعنا اليه من شؤون .

الشـــؤون الماليـــة والنقـــديـــة

شعبـــي العزيـــز :

ان كثيرا من المشاريع التي وضعناها وانجزناها والاعمال التي قمنا بها وحققناها فى بحر السنة المنصرمة مما له مساس بالمجال الداخلي هو وليد تفكيرنا المتصل وجهدنا المسترسل ، كما هو وليد اللقاءات بشعبنا افرادا وجماعات خلال تنقلاتنا العديدة عبر أقاليم مملكتنا شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، بغية معرفة الحاجات ، والاحاطة بالمشاكل والمتطلبات . فلما تم لنا ما كنا نريده من هذا الاستطلاع ، وعكفنا على استيعاب الرغائب ودرس المآرب والمطالب ، فنفذنا من هذا الفحص والاستكناه الى مكامن القوة والضعف ومظان النقص والوفرة ، ومسارب الداء ، وسبل العلاج والدواء .

ولم نقتصر فيما وضعناه من مشاريع واتخذناه من تدابير على أعمال الصيانة والمحافظة والابقاء على ما تتوفر عليه بلادنا من تجهيز ينتظم الميادين الاقتصادية ، والاجتماعية ، وانما استهدف سعينا التحسين والتكميل ، والتوسيع والتجديد ، والتنمية والتشييـــد .

سياستنـــا الماليـــة

ولتكون شعبي العزيز عالما تمام العلم بسياستنا فى الميدان الداخلي ، فاننا نرى لزاما علينا ان نعرض عليك قبل كل شيء الخطوط الكبرى لسياستنا المالية والنقدية ، لما لهذه السياسة من أثر فى مختلف وجوه نشاط الدولة ، ولما تخضع اليه ميزانيتنا من ضرورة اعتبار مداخيل الدولة ومراعاتها اجتنابا لكل تفريط او تقصير ، وتفاديا لكل اختلال يمكن أن يصيب ميزان المداخيل والمصاريف ، وتنكبا لما عسى أن يترتب عن هذا الاختلال من سيء النتائج ووخيم العواقب .

وعلى أساس هذه الاعتبارات ، وحرصا منا على توجيه الطاقات الانتاجية للبلاد الوجهة التي تتفق والنمو الذي نبتغيه ، وضع القانون المالي لسنة 1967 كما وضع نظيره لسنة 1968 .

ففي السنة الماضية تم تنفيذ قانون المالية فى ظروف مرضية ، فرغم ارتفاع نفقات الاستثمار وضعف المساعدة الخارجية، تمكنت الخزينة من مجابهة اداءاتها بحيث سددت سبعة وعشرين مليون « 27 » درهم من تسبيقات معهد الاصدار

وحيث ان سياسة التقتيـــر الصارمة التي التزمناها فى الميدان المالي منذ سنة 1964 ، قد اسفرت عن النتائج الايجابية ، فان هذه السياسة قد روعيت فى وضع قانون المالية الذي يحدد الميزانية العامة لسنة 1968 .

انمـــاء التوفير والزيادة فى موارد التمويل

وشعورا منا بضرورة تزويد البلاد بأنظمة نقدية ومالية تساير متطلبات نموها الاقتصادي والاجتماعي، صرفنا قسطا من عنايتنا فى السنة الماضية الى اعادة تنظيم الاجهزة الخاصة بالقرض وتوسيع السوق المالية قصد انماء التوفير والزيادة فى موارد التمويل الخاصة بالاقتصاد الوطني .

وقد اصدرنا فى شهر ابريل الماضي ، تحقيقا لهذه الغاية مرسوما ملكيا يتضمن القانون التنظيمي للمهنة البنكية والقرض ، ويعتبر بمثابة الأطار القانوني الاساسي للسياسة النقدية .

خلال هذا الاجتماع وضع مشروع اتفاق يقضي ...امة مرحلة انتقالية مدتها خمس سنوات ويتضمن ...امجا للتعاون بين هذه الدول فى ميدان المبادلات ...جارية وتنسيق الجهود الاقتصادية والصناعية .

اقامة نظام تفاضلي مع السوق الاوربية

ولما نوليه من عناية بالغة بعلاقتنا بالمجموعة الاقتصادية الاوربية ، فقد استؤنفت المحادثات بيننا وبينها ، وتبودلت خلال هذه المحادثات وجهات النظر حول اقامة نظام تفاضلي فى الميدانين الفلاحي والصناعي

وفي اطار جهودنا الرامية الى تنويع مصادر الاستيراد ومواقع التصدير ، اجرينا اتصالات ببلاد افريقية اسفرت عن ابرام اتفاقين ، احدهما مع النيجر، والاخر مع السودان ، وسيكون لهذين الاتفاقين الاثر الحميد فى تصدير منتوجاتنا .

تدابير لنظام الواردات

ولاجل النهوض بالصناعة الوطنية ، اتخذنا في السنة الماضية عدة تدابير استهدفت فى جملتها اضفاء جانب من المرونة على نظام الواردات من المواد الاولية وادوات التجهيز الضرورية ، وتوجيه استيراد هذه المواد والادوات توجيها يكفل لنا ايجاد منافذ لانتاجنا الوطني ، كما استهدفت تخفيض اثمان المنتوجات المصنوعة فى المغرب ودراسة عدد من المشاريع الهامة وخاصة ما يتصل منها بقطاعات التغذية والنسيج والكيماويات .

صناعات متعددة الاشكال

وفضلا عن انشاء مصنعين للسكر فى ناحية ...غرب ، فان الصناعة الغذائية الاخرى ظفرت بنصيبها ... الاهتمام كصناعة الزيت والمواد المستخلصة من ...سمك وغيرها وذلك بما تم توظيفه من اموال فى هذا ...سبيل .

وعلاوة على الاستثمارات الاخرى التي اتجهت ... توسيع الصناعات الكيماوية وغيرها مثل مصافي ...ترول ووحدات اللدائن والعجلات ومصانع الورق ...وات البناء وايجاد معمل للزفت بمدينة المحمدية ... فرغ من الدراسة المتعلقة باحداث مصنع بالدار ...بيضاء لتحويل المعادن .

وتاكيدا لاهمية الاستثمارات الصناعية ، نشير الى ان المصالح العامة وحدها ساهمت فى هذا المجال خلال السنة الماضية مساهمة ارتفع مبلغها الى 260 مليون درهم اي ما يساوي 46 فى المائة من جملة الاستثمارات الماذون بها .

الاهتمام بالصناعة التقليدية

اما اهتمامنا بالصناعة التقليدية ، فانه ليستجيب لرغبتنا المزدوجة فى المحافظة على هذا التراث الوطني الحي ، وجعله مسايرا لمتطلبات الحياة العصرية والنماء المرغوب فيه .

وقد تم فى هذا الشأن انجاز بناء مراكز التكوين المهني ، كما تم خلال السنة الماضية بناء معهد النسيج والغزل بمراكش ، ومركز نحت الاحجار الكريمة بفاس ، ومركز الدباغة والجلود ببني ملال ، ومعهد النسيج بالقصر الكبير .

هذا وتتولى ادارة الصناعة التقليدية الدعاية لترويج منتوجات الصناع باعداد الفهارس وطبع المنشورات وتوزيعها واقامة المعارض وتنظيم شهر الصناعة التقليدية كل سنة ، كما توالي هذه الادارة مراقبة المصنوعات للمحافظة على جودتها .

البحث والتنقيب عن مصادر جديدة للثروة

ولئن كان للنشاط المعدني والبترولي مكانة مرموقة فى اقتصاد البلاد ، فان المغرب يتوفر ، ولله الحمد ، على مناجم ذات اهمية عالمية تتجلى فيما يصدره الى الخارج من ثرواتنا المعدنية ، وهذا ما يحفزنا الى تحسين وسائل الاستغلال المعدني وتوسيع اسواقه والبحث والتنقيب عن مصادر جديدة للثروة الكامنة فى باطن الارض .

انتاج الفوسفاط يتضاعف

وان من حسن حظنا ان بلادنا تتوفر على كميات طائلة من الفوسفاط ، فالى جانب ما لنا من هذه الثروة بالمواقع المعروفة كاليوسفية وخريبكة ، فان مناجم ابن جرير ستحقق ما نطمح اليه من توازن اقتصادي واجتماعي بين انحاء مختلفة من مملكتنا ، وسيكفل لنا استغلال هذه المناجم ، زيادة على ارتفاع الانتاج ، ما نتطلع اليه من بعث حياة مليئة زاخرة بين سطات

تم استخدام المعمل الكهربائي بمشروع قليلة الذي تبلغ طاقته السنوية المحتملة 60 كليواط في الساعة .

الاتجـــاه الى تشييد السدود لتعميم الرخاء

وبرز نشاط وزارة الاشغال العمومية والمواصلات بخصوص السدود الكبرى ، وذلك بالشروع في تشييد سد ءايت عادل على وادي تاساوت ، وتمتيـــن سد النخلة ، كما انتهى في صيف السنة الفارطة العمل مـن بناء سد مشرع قليلة وذلك في الوقت الذي توبعت فيه الدراسات المتعلقة بانشاء سد زاويـــة نورباز ، وسد عربات ، وسد ماسة . وان مما تجدر الاشارة اليه في هذا المقام اننا دشنا خلال مقامنا الاخير باقليم قصـر السوق الاعمال الاولى لبناء سد الحسن الداخل على وادي زيـــز .

ولنا وطيد الامل ان نشرع خلال هذه السنة في اعمال تشييد سد ماسة ، كما نأمل من وراء اقامة هذه السدود كلها التي تساهم اريحية الشعب المغربي في تشييدها الحصول في أجل قريب غير بعيد على اطيب الثمرات وازكى الفوائد وتحقيق الرخاء وتعميم الازدهار بغزارة المحاصيل واطراد نمو الانتاج .

التجـــارة والصناعـــة والمعـــادن

ان التجارة والصناعة بنوعيها العصري والتقليدي والمعادن كانت وما تزال موضع اهتمامنا ومناط ءامالنا لما تدره جميعها علينا من ارباح وتفيدنا من تشغيل لليد العاملة ، ولانها احدى الوسائل التي تساهم في خلـق الازدهار بهذه البلاد وبالتالي في تقدمها ورقيها وانطلاقها

تقدير لم يخطيء وتدبير حقق الظن والرجاء

وفي علمك شعبي العزيز اننا اقدمنا وليس العهد ببعيد ، على تأميم تجارتنا الخارجية الخاصة بانتاجنا من الفلاحة والمصبرات والصناعة التقليدية ، ومنـــذ ذلك الحين واهتمامنا بهذا التأميم ونتائجه عظيـــم ، وحرصنا على نجاحه شديد ، وان مما يبعث المسرة في قلبنا ، ان تقديراتنا لم تخطيء ، وان تدبيرنا حقق ظننا ورجاءنا ، فقد قام مكتب التسويق والتصدير بالمهمـة التي عهدنا بها اليه قياما محمـودا ، واستطعنـــا ان نحسن ميزان الاداءات بشكل ملموس ، بما وفره علينا هذا التأميم من عملة صعبة ومن تزايد في دخل المنتجين الذين افادوا ايما افادة من تسويق منتوجاتهم رغـم الصعوبات التي تعترض سبيلنـــا في تصريف هـــذه المنتوجـــات .

والى جانب هذا فقد ساهمت تجارتنا الخارجية في تنويع اسواقنا ، فتزايدت صادرتنا خلال سنة 1967 بنسبة تتراوح ، حسب المنتوجات ، بين 15 و 25 في المائة من حيث الكمية ، وترتب عن هذا ازدياد دخلنا بنسبة تتراوح بين 10 و 15 في المائة ، وفاقت كميـــة صادراتنا من الحوامض في السنة الماضية بما قـــدره 100 الف طن عن السنة التـــي قبلها ، وبلغـت قيمـة صادراتنا من الحوامض وحدها نحو 000 000 390 درهم في السنة 67 ، وبهذا احتلت هذه المنتوجـــات الدرجة الثانية بعد الفوسفاط من حيث التصدير .

ان التجربة التي خاضهـــا مكتب التسويـــق والتصدير والتي حققت النتائج التي توخيناها جعلتنا نعهد اليه بتسويق منتوجات اخرى كالقطن ، وبذلـك اصبح هذا المكتب مكلفا بتسويق 80 في المائـة مـــن صادراتنا على وجه الاجمـــال باستثناء المنتوجـــات المعدنيـــة

ولم يكتف المكتب بهذا ، وانما اخذ بعين الاعتبار الوسائل المحدودة التي يتوفر عليها صغار المنتجيـــن، فعمل على بذل الوسائل المالية لهم مساعـــدة علـى الاستمرار في الانتاج والمحافظة على جودتـــه .

تنشيـــط الحركـــة التجاريـــة

ورغبة منا في تنشيط الحركة التجارية وتوسيع امكانياتها ، عملنا في السنة الماضية على تغيير نظـــام الواردات وتبسيط الاجراآت المتعلقة بجلب البضائـــع من الخارج ، وقد راعينا في هذا التنظيم توفير قسط كبير من حرية الاستيراد مـــع المحافظـــة على توازن ميزان الاداآت وحماية الصناعة والفلاحة ، وان مـــن شأن هذا النظام ان يساعـــد على انعـــاش الحيـــاة الاقتصادية والتجارية والمالية في مملكتنا .

التعاون مع دول المغرب العربي

هذا ولم يغب عنا ما للتداول مع دول المغـــرب العربي في الشؤون الاقتصادية من كبير اهمية ، فقـــد شاركت بلادنا في اجتماع وزراء الاقتصاد لدول المغرب العربي الذي انعقد في تونس في شهر نوفمبر الماضـــي،

ـج الشبكة الهيرتيزية الواصلة بين مكناس وميدلت، ـحبل المحوري بين ميدلت وقصر السوق . ـاصلت الجهود لتجهيز القرى باقامة مراكز تليفونية ـيدة ، فتم تجهيز ما يزيد على مائة جماعة قروية .

وبالاضافة الى المشاريع الجديدة التي وقع ـجازها فى مجال المواصلات السلكية واللاسلكية على ـصعيدين الوطني والدولي ، والتي منها تعميم ـمواصلات بواسطة التلكس ، أبرم اتفاق بين بلادنا ـشركة امريكية هامة يقضي بانشاء محطة للمواصلات ـبواسطة الاقمار الصناعية بغية تحقيق الاتصال السريع والمباشر بمختلف قارات العالم .

وقد انشأنا عددا من المكاتب والوكالات البريدية الجديدة فى شتى انحاء المملكة ، وبهذا اصبحت البلاد متوفرة فى نهاية التصميم الثلاثي على 264 مؤسسة بريدية انجز معظمها بمناسبة اليوم التاسع من شهر يوليوز فى السنة الماضية تحت شعار التنمية القروية .

حملة توعية لفائدة التوفير والادخار

وقامت وزارتنا فى البريد فى السنة الماضية طبق تعليماتنا بحملة توعية واسعة لفائدة التوفيرات استجابة للنداء الذي وجهناه لشعبنا فى هذا السبيل بنتائج حميدة تجلت فى افتتاح 40.580 حسابا جديدا، كما تجلت فى ارتفاع مبلغ الوفر من 67 مليون درهم الى 98 مليون درهم .

رفع مستوى الشغالين وتحسين حالتهم

وفي ميدان الشغل والشؤون الاجتماعية واصلنا خلال السنة الفارطة عملنا الرامي الى تحسين حالة ـشغالين ورفع مستواهم ، فأصدرنا نصوصا تشريعية جديدة تقضي بتحديد مسطرة لبقاء المؤسسات ـصناعية والتجارية مستمرة فى نشاطها وتفرض عليها ـن تعويض فى حالة استغنائها عن العمال ، والغاية من ـذه التدابير هي السعي لايقاف حركة عن العمال ـمن العمل الى بلوغ سن التقاعد لليد العاملة من ـة ، وبذل تعويض للعمال المطرودين عن الضرر ـاصل لهم وتمكينهم هم وأسرهم من وسائل العيش ـما يتاح لهم الحصول على شغل جديد من جهة ـى ، ومن أهم ما نهتم به تشغيل اليد العاملة ، ـحصول على الشغل لعمالنا فقد ابرمنا اتفاقات ـائية مع المملكة الليبية والجمهورية الفيدرالية الالمانية . ونحن بالاضافة الى هذا بصدد دراسة اتفاق تشغيل مع هولاندا ، ولقد عكفت مصالح وزارتنا فى الشغل والشؤون الاجتماعية على وضع مخطط شامل لليد العاملة ، يقع تنفيذه بتعاون مع المكتب الدولي للشغل ، ويولي هذا المشروع اهمية كبرى للتكوين المهني الذي سينظم تنظيما جديدا يحقق الغاية التي نتوخاها فى هذا السبيل . واذا كانت وزارتنا فى الشغل والشؤون الاجتماعية قد انجزت بنسبة 100 فى المائة الاهداف المرسومة فى المخطط الثلاثي فى ميدان التكوين المهني بما فتحته من مراكز جديدة فى مراكش وآسفي ووجدة والعرائش ، وبتاسيع طاقة المراكز الموجودة بنسبة 75 فى المائة ، فاننا نعمل على توجيه التكوين المهني توجيها جديدا يتلاءم مع مقتضيات التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد ، بما يجب أن يتيحه من ترضية الحاجات الحقيقية لمختلف القطاعات كيفا وكما ، وتنويع التكوين المهني واشتراك القطاع الخاص فى هذا المجهود عن طريق تعميم التدريب فى المعامل والمصانع .

وقد انشأنا فى مدينة الدار البيضاء تنفيذا لهذه الخطة المعهد الوطني لتكوين الاطارات التقنية ، اما في ميدان الشؤون الاجتماعية فاننا اصدرنا عدة نصوص تشريعية تستهدف بصفة خاصة تحسين سير الجمعيات التعاضدية .

التعليم :

حرصنا على تكوين جيل صالح

ان عنايتنا الخاصة منذ الاستقلال بشؤون وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة ، لتأخذ من تفكيرنا نصيبا غير يسير ، وذلك استجابة لرغبتنا ورغبة رعايانا فى التربية والتعليم ، وحرصا منا على تكوين جيل صالح مؤهل تأهيلا صحيحا للعمل فى جميع الميادين ، ورغم سياسة التقتير التي خضع لها مختلف الوزارات ، ارتفعت ميزانية الوزارة خمسة اضعاف اي من مائة مليون درهم الى ما يزيد على خمسمائة مليون درهم ، وهي ميزانية تمثل اربعة فى المائة من الدخل الوطني وما يعادل 6 ، 17 من الميزانية العامة .

تعميم التعليم والسعي لحل مشاكله

ولقد كان من نتائج التحرر الاجتماعي والسياسي الذي واكب فجر الاستقلال والسنوات التالية تأثير

ومراكش ، وسد الفراغ الذي يشاهده العابر للمنطقة الفاصلة بين هاتين المدينتين ، ولقد افادنا استغلال المناجم التي جرى تعدينها لحد الان تجربة وخبرة ، فعلى ضوء هذه التجربة والخبرة قررنا ان يسير استغلال مناجم ابن جرير ، ومن الجدير بالذكر فى هذا المقام ان انتاجنا من الفوسفاط سيبلغ فى اثناء السنة الحالية أحد عشر مليون طن ، وان هذه الكمية من الانتاج تم تسويقها وتصريفها ، فعلينا اذن ان نواصل الجهود حتى يطرد نمو انتاجنا لنستطيع تلبية الطلب المتزايد ، وحتى لا تتضايق أثماننا من المزاحمة والمنافسة .

على اننا ما زلنا نوالي المساعي قصد الظفر بمصادر جديدة للثروة المعدنية ، فلقد ابرمت الدولة مع شركة بترولية هامة اتفاقا تقضي بالتنقيب عن البترول فى اقليمي أكادير وطرفاية ، كما أبرمت الدولة اتفاقات أخرى مع شركات أجنبية كبرى تنتمي الى دول غربية وشرقية ، منها الاتفاق الخاص باستغلال منجم الفوسفاط فى ابن جرير وبناء مصنع كيماوي فى مشرع بنعبو ، والاتفاق المتعلق باستخراج النحاس فى نواحي الاطلس المتوسط ، والاتفاقات المتعلقة بالتنقيب واستغلال مناجم جديدة للرصاص والزنك والمنغنيز فى عدة جهات من مملكتنا .

خطة تستند الى القوانين المشروعة

هذا وقد استرجعنا مناجم الحديد الواقعة بالريف ، وتم هذا الاسترجاع بعد التفاوض بيننا وبين من كان يعنيهم امر هذا المنجم ، ووفق الخطة التي رسمناها لانفسنا والتي لا تستهدف المصادرة والاستلاب والاغتصاب ، وانما تستهدف الوصول الى المقاصد والاهداف بالاستناد الى القوانين المشروعة والاتفاقات المبرمة ، وسيكون من نتائج هذا الاسترجاع اقامة مركب صناعي يعود على اقليم الناضور بالعائدة الحسنة .

السياحة

الاسبقية للسياحة فى مخطط التنمية

ان السياحة التي أوليناها الاسبقية فى مخططنا للتنمية ، والتي ما زلنا نوليها الاسبقية الى جانب الفلاحة وتكوين الاطارات ، لترتبط ارتباطا وثيقا بالري والتشجير والاشغال العمومية والصناعة ، فهذه المرافق جميعها تساهم فى تدعيم الجهد السياحي وتشترك فى تمهيد سبل ازدهار هذه الصناعة الجديد لان تعبيد الطرق وتهيئة المطارات واحياء الاراضي بالري والتشجير ، وبناء السدود ومحطات التوليد الكهربائي وبعث الحياة الصناعية فى منطقة من المناطق وتجميل المدن ، كل ذلك يساعد على نمو السياحة وتنشيطها .

واذا كانت العناية قد اتجهت فى السنة الماضية الى تهيئة المناطق السياحية التي عينها المخطط الثلاثي وبدات الدراسات المتعلقة باستصلاح المصايف ومحطات الاستجمام واقامة وحدات سياحية ، وابراز المعالم الاثرية والمعمارية بالمدن الهامة فى مختلف انحاء مملكتنا، فان هذه العناية انصرفت كذلك الى توفير الفنادق الصالحة فى شتى المواقع السياحية الهامة ، وقد تضافرت مساعي وزارتنا فى السياحة والمؤسسات العمومية او الشبيهة بالعمومية والقطاع الخاص على العمل فى هذا الشأن وتوسيع نطاق الجهاز .

وقد ظفر التكوين المهني الى جانب هذا كله بقسطه من العناية ، وكان لمساعي وزارة السياحة ووزارة التربية الوطنية ووزارة الدفاع الوطني من الاهتمام الكبير به ما ادى الى ارتفاع مجموع الطلاب الذين اشرفت المدارس المختصة فى تكوينهم خلال السنة الماضية الى 1324 طالبا داخل المملكة ، واتيح لخمسة وسبعين « 75 » طالبا أن يتابعوا دراسات عليا خارج المغرب لتستفيد السياحة وتدبير شؤون الفنادق بعد عودتهم الى وطنهم من الدراية التي لقنوها والخبرة التي اكتسبوها .

انجازات فى ميدان المواصلات السلكية واللاسلكية

وقد انجزنا فى ميدان المواصلات السلكية واللاسلكية ، مختلف المشاريع التي اشتمل عليها المخطط الثلاثي ، وبفضل هذا أصبحت تطوان وطنجة متصلتين بالشبكة العامة التي تربط بين مختلف أرجاء بلادنا ، كما تم ربط كل من اكادير وآسفي ومراكش بخطوط أوتوماتيكية ، ومن اهم منجزات السنة الماضية ايضا مد حبل بحري عبر البحر الابيض المتوسط بين جنوب فرنسا وشمال المغرب ، وقد بدأ استخدامه خلال السنة المنصرمة ، وسيصبح بهذا الخط في الامكان اقامة مواصلات أوتوماتيكية بين كل من الرباط والدار البيضاء والعواصم الاوربية ، كما تم استغلال المواصلات الرابطة بين مكناس وقصر السوق بواسطة

نشاط وزارة الداخلية

الدور الفعال لوزارة الداخلية

وقامت وزارتنا في الداخلية بدور فعال في الميادين الاقتصادي والاجتماعي معا ، فعلاوة على ما نضطلع به من مهمة السهر على امن المواطنين والمحافظة على النظام ، فقد انطنا بعهدتها بتنسيق اعمال المصالح التقنية وتعبئة الطاقات ، ذلك أن من الضروري ان تكون وزارتنا في الداخلية متتبعة للتطور الوطني ، وان تعمل على أن يندمج المواطنون في نظام اقتصادي واجتماعي لا يستقر على حال لما يطرأ على عالمنا اليوم من تبدل سريع وعلى التقنيات بجميع فروعها من نشوء وارتقاء ولما للنمو من متطلبات .

نجاح تجربة التنمية الاجتماعية

وقد وجهت وزارتنا في الداخلية جهودها اعتبارا لما سلف ، وجهة اقتصادية ، سعيا منها وراء تمكين المواطنين من وسائل المشاركة في العمل الذي نحن بسبيله ، ليتأتى بذلك استعمال الطاقات الموجودة انجع استعمال وأجداه ، فبعد النجاح الذي حالف التجربة التي باشرناها باقليم بني ملال على اساس التنمية الجماعية ، اصدرنا تعليماتنا بتطبيق هذه التجربة في أقاليم مملكتنا كافة ، فكان من نتائجها توجيه الفلاحين ، وتحسين الوسائل الزراعية ، وتعميم استعمال الاسمدة ، وبالاضافة الى ما تم تشييده لفائدة منكوبي الغرب وتافيلالت من دور السكنى يبلغ عددها 300 4 سكن ، فقد انتهت دراسة برنامج واسع النطاق يهم بناء 000 60 مسكن في البادية ، ومن جهة اخرى فان وزارتنا في الداخلية عملت على شن حملة لاعطاء الجماعة مدلولها الحقيقي ، وعلى انجاز التجهيز الضروري لتحسين مستوى المواطنين في البادية ، وان مما نرتاح اليه شديد الارتياح ان جهود الهيئات المنتخبة والسكان واعوان الدولة تآزرت لانجاز هذا التجهيز .

التنويه بمجهود القوات الملكية المسلحة في نطاق التنمية

ويطيب لنا ، شعبي العزيز ، ونحن نستعرض مختلف المرافق ، ونرسم صورة للاعمال والمنجزات التي بوشرت في مختلف الميادين ، ان نسجل باعتزاز وافتخار ، استمرار قواتنا المسلحة الملكية في بذل المجهود الذي عهدنا اليها ببذله في اطار التنمية التي ننشدها ، بفضل ما تتوفر عليه من وسائل وما تواصله من سعي قصد بقائها في مستوى القوات العصرية ، فان قواتنا المسلحة الملكية تأخذ بنصيبها في المساهمة ببعث تنمية البلاد ، وتحافظ على الخصال التي أوثرت عنها ، والتي تجعل منها اداة صالحة لمواجهة كل حالة تتطلب تدخلها . ولقد أعدنا النظر في تنظيمها وعنينا على الخصوص باحداث المدارس ومراكز التكوين لتكون اطاراتها قادرة على الاضطلاع بجميع المهام ذات الصبغة الوطنية ، هذا ولم يخب ظننا فيما توخيناه من فرض الخدمة العسكرية الاجبارية التي يتلقن خلالها شباب يفدون من مختلف الآفاق ، وينالون في مدة من الزمن تكوينا يبث في نفوسهم مبادىء صالحة ويستفيدون منه عند انتهاء فترة الخدمة العسكرية بما يكتسبونه من خبرة ومعارف .

تنمية التجهيز الصحي

وفي ميدان الصحة العمومية ، لم تنقطع جهودنا الرامية الى تنمية التجهيز الاساسي ، حرصا منا على تيسير وسائل الوقاية والعلاج للمواطنين في جميع انحاء مملكتنا .

وفي هذا السبيل تم توفير خمسمائة واربعين (540) سريرا موزعة على ستة مراكز ، وسيتم قريبا تشييد مستشفيين جديدين احدهما في سوق اربعاء الغرب ويتوفر على مائة وعشرين (120) سريرا والثاني في الرماني وبه ثمانون (80) سريرا .

وقد وقع فتح ثلاثة مراكز صحية حضرية وقروية وثلاثة وثلاثين (33) مستوصفا قرويا .

تجديد المستشفيات وتكوين الاطباء

وفي الوقت نفسه وقع تجديد عدد من المستشفيات الموجودة ، وزودت بمعدات للفحص والعلاج ، كما أدخلت اصلاحات عصرية على خمسة وتسعين (95) مستوصفا قرويا ، وبذلك اتسع بشكل محسوس نطاق الخدمات الصحية التي تتجلى في التطعيم ، ورعاية الامومة والطفولة ، ومكافحة الامراض المعدية ، والتربية الصحية التي لا مناص منها لتوفير السلامة البدنية والعقلية للمواطنين .

قوي ادى الى نجاح ملموس من حيث الكم ، لقد عمم التعليم ، ولكن هذا التعميم وضع عدة مشاكل ، وقعت محاولة حلها باتخاذ تدابير ان ترتب عنها فسح المجال لقبول عدد كبير فى المدارس ، فانها اسفرت عن عواقب لاتبعث على الرضى والارتياح ، ذلك ان التعليم الذي كان ينبغي ان يحتفظ بالمستوى الخليق بتأهيل شبابنا للاضطلاع بالمسؤوليات والقيام بالمهام التي يستوجبها نمو البلاد ورقيها ، اصبح من جراء هذه التدابير فى مرحلة التعليم الابتدائي وفي المرحلة الاولى من التعليم الثانوي لا يستجيب لرغبة البلاد فى ان تتوافر لديها الافواج من المتعلمين الاكفاء ، فتعليمنا يعاني ازمة شديدة تستدعي العلاج السريع ، لان مستوى المعلمين ببلادنا ضعيف ، ولان ابناءنا لم يوجهوا التوجيه الكفيل بضمان رصيد من الاطارات الصالحة التي تشعر بلادنا بالحاجة الماسة اليها ، ولان طلبتنا لم يرغبوا الترغيب الضروري فى اقتناء العلوم واكتساب المعارف الفنية التي لاغنى عنها لكل امة تود أن تتدارك النقص اللاحق بها وتطوي المراحل لتبلغ شأو الامم التي تقطع الاشواط تلو الاشواط وتحث الخطى مستهدفة الرقي المطرد والتقدم المتواصل .

اصلاح التعليم وتكوين المعلمين تكوينا سليما

ولذا فان المخطط الخماسي يرمي الى اصلاح حالة التعليم ، ويبين أن هذا الاصلاح لا يمكن ان يتحقق الا باصلاح المعلمين والاساتذة وتكوينهم تكوينا سليما يحصل به ارتفاع مستوى التلاميذ ، فاذا نحن ظفرنا بالمعلمين المستوفين شروط الكفاية والخبرة والاقتدار على التوجيه المستجيب لمتطلباتنا ، فاننا سنضع حدا للازمة التي نعانيها ونبلغ الغاية التي نتوخاها ، واننا لعازمون على صرف بالغ عنايتنا وكبير اهتمامنا فى اجل قريب الى توفير اسباب النجاح لهذه الخطة التي لا نرى مناصا من اتباعها .

... وتكوين اطارات التفكير والتنفيذ

زد على هذا انه لا يحسن بنا ونحن نرغب فى ان تثب بلادنا الوثبة الكبرى ، ونجد ليتأتى لنا سعيا وراء النمو والازدهار سقي مليون هكتار أن تعوزنا اطارات التفكير والتنفيذ فى الوقت الذي تكون فيه بلادنا غاصة بشباب لا يمكن ان يرجى منه المساهمة الفعالة المجدية بسبب انحطاط مستواه ، ولا يمكن ان يضطلع بدور نافع فى المجهود الذي نحن مطالبون بتقديمه وبذله . فالحاجيات الملحة علينا تستلزم ان نولي جانب تكوين الاساتذة والمعلمين ما هو خليق به من رعاية ليساهم المعلمون والاساتذة بدورهم فى مجهود الامة ، وذلك باعداد الاداة من العاملين الكفاة فى مجال التنمية المقصودة .

شؤون القضاء :

قانون جديد للتنظيم القضائي

وفيما يخص الوضع القضائي فى البلاد ، فقد اوليناه عناية خاصة تبلورت فى الخطوة الحاسمة التي سجلتها وزارة العدل هذه السنة لتركيز قضائنا على امتن الاسس واقواها ودعم اجهزته بأحدث التنظيمات واجداها .

ونشير فى هذا الصدد الى ان التجربة التي باشرناها منذ فجر الاستقلال الى الآن ، اظهرت بصفة جلية ان عددا من المحاكم لاتوجد فى المواقع المناسبة لها ومحاكم اخرى قد تعين احداثها ، كما ان قانون التوحيد قد فرض عدة اجراءات اصبح من الواجب معها تكييف انظمتنا على ضوئه وحسب مقتضياته .

ولمعالجة هذه الحالة بصفة اكثر فعالية اصدرنا فى شهر يوليوز من السنة الفارطة مرسوما ملكيا بمثابة قانون جديد للتنظيم القضائي .

وهكذا اصبحت المملكة تتوفر على ثلاث محاكم استينافية وست عشرة محكمة اقليمية ، وسبع وعشرين محكمة للسدد ، ومائة واحدى وتسعين ملحقة يوجد مقرها بجانب مركز كل جماعة قروية .

كما عالجنا فى القانون المذكور قضية تفتيش المحاكم وتنظيم سيرها واتاحة الفرصة لمراقبة نشاطها وانتاجها .

وقد استأثرت باهتمامنا ايضا مشكلة قلة الاطر التي تعانيها وزارة العدل ، نتيجة لما جدد فى مختلف مرافقها من اصلاحات وتطورات ، فاتخذنا لتعزيز اجهزتها وضمان حسن سيرها عدة تدابير ، منها اصدار تعليماتنا لفسح مجال العمل فى هذا القطاع الحيوي للشباب الذي نال تكوينا قانونيا وتثقيفيا .

ليستفيد هذا الاقليم من برامجنا ، كما اننا جادون في بناء مركز بوجدة وءاخر بأزيلال قوي الطاقة شديد الفعالية ، ونالت التلفزة من جهتها نصيبا من الاهتمام والرعاية ، ولن يمضي الا وقت يسير حتى تنتظم شبكة التلفزيون جميع مملكتنا .

الشبيبة والرياضة :

العقل السليم فى الجسم السليم

ان اهتمامنا بتربية الشبيبة جسميا وعقليا وروحيا ، يتزايد باستمرار ، لعلمنا ان الشبيبة هي اقدر على تحمل المسؤوليات والمشاركة المجدية في المجهود الرامي الى تنمية البلاد ، كلما استقامت اخلاقهم وسلمت اجسامهم واتسعت مداركهم وتفتحت عقولهم .

ولذلك سعينا الى تعميم الثقافة الشعبية والتربية البدنية ، بحيث شملت برامج الدولة فى هذا الميدان خلال السنة الماضية اربعمائة وثلاثين الفا من المواطنين من بينهم مائة الف امراة .

وقد نظمت فى السنة الماضية لفائدة الشبيبة عدة رحلات سياحية داخل القطر وخارجه ، واقيمت دورات تدريبية متعددة استفاد منها ثلاثة ءالاف وخمسمائة شاب ، كما قطع الانعاش النسائي خطوات موفقة في القرى والمدن بما نظم من تداريب لصالح المراة وتثقيفها ومساعدتها على الرقي الاجتماعي ، وشاركت بلادنا فى مهرجانات رياضية دولية هامة سواء ما أقيم منها في المغرب او فى اقطار اخرى .

اما فى ميدان التربية الشعبية ، فقد انتهت السنة الماضية بتنظيم موسم ثقافي حافل استمر اسبوعين كاملين وشمل جميع انحاء مملكتنا .

وقد قررنا احداث المعهد الوطني للشبيبة والرياضة لتكوين الاطر المتخصصة فى كل ما يتصل بشؤون الشباب والرياضة والتثقيف الشعبي .

شؤون المقاومة وقدماء المحاربين

الاهتمام بحالة المقاومين وعائلات الشهداء

لقد عنى المغرب ملكا وحكومة منذ فجر الاستقلال بقدماء المقاومين ، ولم يدخر وسعا فى سبيل اسعاف عائلات الشهداء والمعطوبين ، وضمان حياة هادئة كريمة لغير هؤلاء ممن قاوموا وصابروا وكان لهم حظ مشكور فى محاربة الاحتلال لتظفر البلاد بالحرية والاستقلال ، ولقد قطعنا والحمد لله مرحلة التقنين والتنظيم لفائدة قدماء المقاومين ، وعكفت اللجنة الوطنية للمقاومة على درس الملفات واحصاء عدد الذين قاوموا حقا وابلوا البلاء الحسن الذي لا ينكر ، عاملة تارة بقاعدة مملكتنا او متنقلة عبر الاقاليم ، ولا سيما بعد اعلان حالة الاستثناء مستعينة فى احصائها وتمحيص الملفات برجال السلطات والادارة العامة للامن الوطني ، فاستطاعت ان تدرس بفضل طريقة التنقل فى البحث فى اقل من سنتين عددا كبيرا من الوثائق والمستندات فاعدت الملفات ونفذت الاجراءات القانونية ، فنالت طائفة من عائلات الشهداء والمعطوبين المعاشات التي قررتها النصوص القانونية لفائدتهم . وعلاوة على هذا فقد وزعت اعانات نقدية على اسر من استشهدوا وعلى الذين اصيبوا بعطب وعلى المعوزين وذوي الفاقة من قدماء المقاومين خلال السنة المنصرمة ، والعمل موصول لبذل معاشات اخرى واعانات نقدية وتوظيف من لم يظفر لحد الان بمنصب اداري عملا بالنصوص التي اصدرناها وايجاد العمل فى مرافق شتى لطائفة كبيرة من قدماء المقاومين والمحاربين ، ومن جهة اخرى فان وزارتنا فى الخارجية على اتصال بالدولتين الفرنسية والاسبانية حتى يظفر قدماء المحاربين بما لهم من حقوق قبل هاتين الدولتين .

الفلاحة :

استمرار العناية والاهتمام بالقطاع الفلاحي والاصلاح الزراعي

شعبي العزيز :

ان الميادين التي اطلعناك على ما انجزناه فيها متأثرة ومؤثرة فى قطاع نوليه من عنايتنا ومن اهتمامنا باستمرار واتصال ، الحظ الاوفى والنصيب الاوفر ، ولن تنقطع هذه العناية ولن يفتر هذا الاهتمام لايماننا بأنه القطاع الذي يتحكم فى الازدهار الذي نريده لبلادنا، فاذا رايت الجانب الكبير من جهودنا مصروفا لشؤون الفلاحة التي تحتل الصدارة من بين الاسبقيات التي حددناها ، فما ذلك الا لاننا نعتقد اعتقادا راسخا ان الفلاحة ونموها وما يستتبعه هذا النمو من غزارة في الموارد ، كل هذا يتقيد به ويرتهن باتساع نطاق الصناعة والسياحة والاشغال العمومية والمواصلات

هذا فضلا عن العناية الكبرى التي نوليها لتكوين الاطباء المغاربة وتجهيز المركز الجامعي بما هو فى حاجة اليـه مـن ادوات وآلات .

اصـــلاح الوظيفـــة العموميـــة

واهتماما منا بشؤون الموظفين ، سواء كانت هذه الشؤون تتعلق باستقرارهم أو بالضمانات التي قـررنا أن يتمتعوا بها ، وثقـة منا بأن اطارات الدولة لن تألو جهدا فى الاسهام بالنصيب الوافـر من العمـل على تحقيق برامجنا الهادفة الى النماء والرخـاء ، فقـد اصدرنا خلال السنة الماضية سائر النصوص الاساسية المتعلقة باصلاح الوظيفة العمومية ، فأصبحت اطـر الدولة على اختلاف درجاتها تتوفر على نظم محكمـة روعي فى اعدادها تبسيط مسطرة التسيير ، ومحـو الفوارق ، وذلك بتوحيد قواعد ترقية الموظفين وسـن قوانين متشابهة فيما يرجع لولوج الاسلاك الاداريـة ونظام الاجور عملا بالقاعدة التي اقررناها فى توجيهاتنا الملكية والرامية الى ان يتساوى الموظفـون فيمـا يتقاضونه من مرتبات كلما اتحد أو تجانس مستواهـم فى التكوين العام وفي الاضطلاع بالمسؤوليات .

عمليـــة ادمـــاج الموظفيـــن

وتنفيـــذا لهذه النظم والقوانين ، فقد شرعت وزارتنا فى الشؤون الادارية فى عملية ادماج الموظفيـن فى الاسلاك الجديدة المنبثقة عن الاصلاح ، متعاونة في ذلك مع وزارة المالية ومختلف الوزارات التي يعنيهـا الامـر ، وقد قطعت الى الآن فى هذا المضمار مراحـل شاسعة ، ولن تنصرم السنة الحاليـــة حتى تكـون العملية قد انتهت أو اشرفت على الانتهـــاء .

نظـــام جـــديـــد للتقـــاعـــد

وبجانب هذا فقد وافقنا على مشروع مرسـوم ملكي سيسن بمقتضاه نظام جديد للتقاعد والمعاشات، تراعى فى احكامه متطلبات مغربة الوظيفة العموميـة ، ويؤخذ فيه بعين الاعتبار واقع البـلاد فى الميـدان الاقتصادي والاجتماعـي وضرورة تبسيط المسطـرة الجاري بها العمل الآن ، ليتسنى للموظفين ان يحصلوا — دون تأخير و تماطل — على رواتب عند احالتهم على التقاعد تفوق الرواتب التي يكفلها لهم القانون الصادر فى عهد الحجر والحمايـة .

المحافظـــة على القيـــم الاسلاميـــة

ان عنايتنا بالمحافظة على القيم الاسلامية وبنشر التعاليم الدينية لاتقل عن اهتمامنا باشاعة الرخـاء والازدهار والطمانينة بين افراد شعبنا .

ولم نفتأ نوجه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لبناء المساجد وتعهدها بالاصلاح والصيانة والتجهيـز حتى تبقى بيوت الله عامرة يذكر فيها اسمـه ويتلـى فيهـا كتابـه العزيـز .

احيـــاء التـــراث الاسلامـــي

واننا لنتمم هذا العمل بما نأمر بـه من احيـاء التراث الاسلامي وطبع المخطوطات النادرة وتنظيـم دروس للوعظ والارشاد فى جميع انحاء مملكتنا .

وقد اكتسى شهر رمضان المبارك فى هذه السنة حلة جليلة فى بلادنا تجلت فى الدروس الوعظية التـي اشرفنا عليها بنفسنا وفي توجيه شعبنا الى ما فيـه صلاحه فى الدين والدنيا ، ولقد شارك فى القاء هـذه الدروس الوعظية طائفة من اجلة علمائنا وعلماء بعـض الاقطـار العربيـــة الشقيقـــة .

طبع المصحف الشريف والعناية بتشييد المساجد

وقد عنينا خلال السنة المنصرمة بطبع المصحف الشريف ، فصدرت هذه الطبعة فى الحلـة القشيبة وفق رغبتنا ومبتغانا ، وانجزنا فى السنة نفسها بنـاء 13 مسجدا جديدا واصلاح ما يزيد على مائة مسجد ، واصدرنا أوامرنا لوزارتنا فى الاوقـاف والشـؤون الاسلامية بالشروع فى تشييد 21 مسجدا فى مختلـف مدن مملكتنا وقراهـا .

عنايتنـــا واهتمامنا بوسائـــل الاعـــلام القائمـــة على التـــوعيـــة والتعـــريـــف

وقد كان لوسائل الاعلام التي تتوفر عليها بلادنا حظ كبير من اهتمامنا وعنايتنا لما نيط بهذه الوسائل من امل فى التوعية والتثقيف ، والتعريف باهدافنـا ومنجزاتنا ، فعملنا على توسيع شبكة الارسال عـن طريق الاذاعة والتلفـزة وتقويتهـا وعلى الزيادة فى ساعات الارسال وتنويع البرامج الموجهـة للداخـل والخارج ، فاقمنا جهازا بآيت ملول فى اقليم اكاديـر

الضرورية لتنتج الارض اقصى ما يمكن ان تنتجه حسب نوع تربتها ودرجة جودتها .

ولكن اذا كانت هذه الالتزامات كافية فيما يرجع للاراضي البور فان مناطق السقي تستلزم من المجموعة الوطنية ، ومن فلاحيها . مجهودا اكبر ، وتفرض عليهم واجبات اعظم وأوفر . ذلك ان الامة قد صرفت وستصرف من أجل تنميتها مبالغ مالية ضخمة ، يتعين استثمارها افضل استثمار ، لتعود بالنفع العميم على مجموع الاقتصاد الوطني . وعلى هذا ، فستقوم الامة في هذه المناطق بانجاز التجهيز الخارجي من تشييد السدود ، ومد القنوات الرئيسية لتصل المياه الى راس كل ضيعة وحقل ، ويستلزم هذا توزيع الاراضي بغية انشاء وحدات انتاجية قابلة للاستثمار المنظم ، وسن القوانين لضمان الاستقرار والاستمرار في استغلال الارض والحيلولة دون تفتيت الملكية الزراعية تفتيتا يتعذر معه استثمار القطع الصغيرة بصفة مجدية .

وفي مقابل هذه الجهود . يجب على الفلاحين ان يقوموا في المناطق المذكورة بالتجهيز الداخلي لاراضيهم ، ويباشروا استثمارها حسب التوجيهات التي ستبذلها المصالح الفلاحية المختصة ، سواء فيما يرجع الى استعمال الماء او فيما يتعلق بنوع المزروعات وطريقة تناوبها . وستحرص الادارة اشد الحرص على ان يفي الفلاحون بالتزاماتهم ، كما انها ستتخذ الاجراءات المناسبة ان صدر اخلال أو تهاون ، فاذا تخلف فلاح من انجاز ما تتطلبه ارضه من تجهيز داخلي : انجز هذا التجهيز على حساب الفرد الذي لم يباشره بنفسه ، واذا لم تطبق التوجيهات والارشادات المتعلقة باستثمار الاراضي ، فان بالامكان بعد الانذار والاعذار ، ان يتخذ من التدابير الصارمة ما يمكن ان يؤول الى نزع ملكية ارض الفلاح المتهاون، بيد ان رعاية الملكية الخاصة ، وضمان الحقوق ، يقتضي ان يكون نزع الملكية عند الاقتضاء مقرونا بمنح مقابل عادل تتخذه لجنة محلية تتالف من ممثلين للوزارات المختصة ، ومن ممثلين للفلاحين ، وتستأنف احكام هذه اللجنة لدى هيئة مركزية يشارك في اعمالها زيادة على الوزارات المعنية بالامر عضو من ديواننا الملكي وممثل لوزيرنا الاول .

هذا وان سقي الاراضي سينشأ عنه ارتفاع في قيمة الهكتارات ، بفضل توظيفات الدولة ومنجزاتها ، فطبيعي أن تسترد الامة جزءا من المبالغ المصروفة في هذا المضمار عن طريق الضرائب التي ستزداد كلما ازداد الانتاج وارتفع الدخل الفلاحي ، وعن طريق استرجاع قسط من فائض القيمة واعادة النظر في ثمن الماء .

تكوين جماعة مهنية

وغني عن البيان ان ميثاق كهذا يتطلب تطبيقه ان ينتظم الفلاحون في جماعات مهنية تعي المسائل الموضوعة وتعمل على حلها مع المصالح المختصة ، وان تتضافر جهود المسؤولين بوزارات الفلاحة والاصلاح الزراعي والداخلية والتجارة والصناعة والاشغال العمومية لانجاز تعهدات الامة لصالح الفلاحة في جميع انحاء مملكتنا . ولن يكون لهذا الميثاق المفعول المرتقب والمغبة المرجوة ، الا اذا كنا جميعا مومنين بأن الغاية من الالتزام به هو اشاعة الرخاء الذي ننشده والرقي الذي نرومه ونقصده ، وليس بعزيز على هممنا التي تغلبت على كثير من الصعاب أن تكسب المعركة في هذا المجال .

التخطيط الخماسي

شعبي العزيز :

لم يمض على استرجاعنا للاستقلال وحرية التصرف المطلق في شؤوننا الا مدة جد وجيزة ، حتى كان التخطيط الاقتصادي والاجتماعي سبيلا من السبل التي سلكناها لتحقيق جملة من الاعمال والمنجزات ، ونتج عن تنفيذنا لمخططات التنمية الاقتصادية والاجتماعية تجربة وتقدم لا مراء فيهما ، حتى أن القسط الذي نصرفه من مواردنا للاستثمار لا للاستهلاك قد تزايد بصفة منتظمة ، فقد انفقنا من دخلنا الوطني في سنة 1967 ما يربو على 13 في المائة ، في حين اننا لم ننفق منه في سنة 1960 الا احد عشر في المائة ، واذا كان هذا التقدم يبدو بطيئا ، فليس بالامكان ان يؤمل اللحاق في هذا المضمار بالبلاد ذات الاطر الكافية والثراء العريض التي تصرف في سبيل الاستثمار حظا من دخلها أوفر واجزل .

الاسبقية للفلاحة في التصميم الخماسي

لقد تجلى مجهودنا بصفة خاصة في مجال الفلاحة التي ءاثرناها بالاسبقية الاولى من بين اسبقيات

والتشغيل ، كما يخضع له ولازدهاره متطلبات التنمية الاجتماعية كنشر التعليم وتعزيز جانب القضاء ومضاعفة وسائل الوقاية والعلاج وتثبيت الاستقرار الذي تتفيأ ظلاله جميع انحاء مملكتنا . فمنذ ذلك الوقت الذي اناط الله فيه بعهدتنا مقاليد أمور والفلاحة وما يرتبط بها من شؤون ، شغلنا الشاغل ، وكدنا الشامل ، نوالي التعليمات ، ونلاحق التوجيهات، ونسهر على أن ينفذ ما نصدره من اوامر ، ونسنه من تشريع ، تحقيقا لرغبتنا فى حث السير واسراع الخطى فى هذا المضمار حتى يتوفر لدينا من الانتاج والموارد ما يكفل تنشيط الميادين الاخرى وتوسيع رقعة العمل فيها .

اهتمامنا بما يتصل بالاراضي واستثمارها

وان استعراضا وجيزا للاعمال التي بوشرت تنفيذا لتوجيهاتنا ، وتطبيقا لتعليماتنا ، لخليق بأن يدل دلالة واضحة على مدى اهتمامنا بكل ما يتصل بالاراضي الزراعية واستثمارها ، فقد تضمنت توجيهاتنا الملكية الصادرة فى ربيع 1965 فصلا خاصا بالاصلاح الزراعي ، لم يمر الا زمن يسير حتى اصدرنا النصوص التشريعية القاضية بتنظيمه وتحديد الوجوه التي اردناها لتطبيقه ، فوزعنا الاراضي توزيعا اخضعناه لهذه النصوص ، وواصلنا اعمال الاستثمار وربطنا سيره بسير بناء السدود التي عزمنا على اقامتها فى مختلف أطراف المملكة ، كما واصلنا عملية التسميد وتوزيع الزريعة المختارة ومباشرة زراعات جديدة سعيا منا فى استدرار الربح على الفلاح وتمكين الصناعة من الاستفادة من هذه الزراعات ، وانقطعنا لحماية التربة من الضياع والانهيار ، فغرسنا الاشجار وانصبت جهودنا على التنمية فنالت الحظ الكبير من عنايتنا الدائبة الموصولة ، واهبنا بالفلاحين بعد التوعية والارشاد أن يتعاونوا على الحرث حتى تشمل الزراعة مساحات اوسع ، ولم نقتصر على هذا ، وانما امعنا النظر فى السلف الفلاحي وما يجب أن يضطلع به من دور ، فعملنا على تسهيل بذله وتقريب الحصول عليه والتكثير من مصادره .

فبالاضافة الى ما رسمناه لسياستنا الفلاحية من اهداف تقوم فى جوهرها على سد حاجات السكان من الموارد الغذائية ، وتيسير المواد الاولية لصناعات التحويل الوطنية ، والاسهام فى تحسين ميزان تجارتنا الخارجية وذلك بالزيادة فى حجم صادراتنا الفلاحية لصرف ما تدره هذه الصادرات من عملة صعبة في سبيل اقتناء وسائل التجهيز ، وبالاضافة الى ما نتوخاه من توسيع نطاق الميدان الاجتماعي ، فاننا نرمي من وراء سقي مليون هكتار بفضل السدود التي قررنا تشييدها بحول الله ، وبفضل ما سنتوفر عليه ان شاء الله من غزير الانتاج ، الى المشاركة ولو بحظ يسير فى مكافحة الجوع الذي اصبح شبحه يخيم على الافكار ويهدد الانسانية بأوخم العواقب .

جهود من اجل الفلاحين لتحسين انتاجهم وتسويق غلاتهم وتكوين ميثاق فلاحي

واليوم وقد قطعنا اشواطا بعيدة بما بذلناه للفلاحين من مساعدات ، وقمنا به لفائدتهم من مبادرات ليتمكنوا من تحسين انتاجهم وتسويق غلات اراضيهم والاستفادة من ريع مجهوداتهم ، واصبحنا مقبلين على انجاز مخطط خماسي لتنمية اقتصادنا تحتل فيه الفلاحة المقام الاول ، فقد صح عزمنا على ان تشترك جهود المواطنين بما فيهم الفلاحون على عمل يهدف الى تكثير الموارد بالاستثمار والاصلاح الزراعي ، وان يكون بين الفلاحين وبين غيرهم من أفراد المجموعة الوطنية ميثاق يحدد الواجبات المفروضة والحقوق المخولة ، وستكون مصالح الدولة المختصة ، أداة الامة ، تنفذ التزاماتها ، وتسهر على حقوقها . اما الميثاق ، فانه سيتألف منه كل متراص البنيان ، متكامل الاحكام ، ترتبط فيه الالتزامات بعضها ببعض ، بحيث لايطالب الفلاح بما يفوق امكانياته الخاصة ، الا بمقدار ما تكون الامة قد قدمت له من عون ، وامدته به من مساعدة . فاذا تقاعس الفلاح عن العمل ، واخل بما عليه من واجبات ، أصبحت الامة فى حل مما التزمت به ، وامكنها عند الاقتضاء ، أن تقوم بما تراه ضروريا لضمان المصلحة العامة ، وسيكون هذا الميثاق الفلاحي اطارا قانونيا ، تطبق بنوده على سبيل التدريج ، وتختلف احكامه باختلاف المناطق ، وتلتزم الامة بصفة عامة ، حسبما لديها من وسائل ، وفي حدود ما تتوفر عليه من امكانيات ، بأن تضع رهن ارشارة الفلاحين مصالح الارشاد والاستثمار ، وتمدهم بالقروض ، وتقوم بما ينوبها من تجهيز ، وتعمل على تنمية البحث الزراعي بمختلف فروعه . اما الفلاح فيلتزم من جهته ، بأن يسخر امكانياته الخاصة ، وما يناله من مساعدات لاستغلال ارضه على احسن وجه ، وذلك بأن ينجز فى الوقت الملائم ، الاعمال الفلاحية

السدود قصد استثمار الاراضي القابلة للسقي البالغة مساحتها مليون هكتار . واذا نحن قابلنا بين انتاج الاراضي المسقية وانتاج الاراضي البور ، فان الفرق بين الانتاجين كبير ، كما ان الفرق بين قيمة المنتوجات فى هذا القطاع وذلك بين شاسع . فنحن لا نستغل من اجل السقي الا مليارين اثنين بالامتار المكعبة من المياه الغزيرة التي تروي أراضينا والتي تبلغ كميتها مائة وعشرة ملايير متر مكعب . ومن جهة اخرى فاننا لم نستقص بعد المواقع العديدة التي يمكن أن تقام فيها السدود . فسياسة بناء السدود على صعيد واسع ، اذا كان سلوكها أمرا مرغوبا فيه من الوجهة الاقتصادية ، فانها سياسة لا يحول دون انتاجها اي حائل فني . وهذا ما دعانا الى تخصيص ملايير عديدة لبناء السدود فى السنوات الخمس المقبلة فى نطاق المخطط الخماسي ، وسيتطلب منا تنفيذ هذا المخطط مضاعفة الجهود سواء فيما يرجع الى السياحة أو الى تكوين الاطارات ، وسيكون على الدولة فى مجال السياحة زيادة على اعداد وسائل الايواء ، أن تبذل للمستثمرين المساعدات والمنافع ، وان تهيء المناطق السياحية لتشجيعهم على توظيف رؤوس اموالهم اكثر من ذي قبل فى هذا القطاع ، لتتوفر لدينا الاسباب الكفيلة بتقوية امكانياتنا فى هذا المضمار ، وترغيب العدد الوفير من عشاق السياحة فى الرحلة الى بلدنا .

وسنسلك فى تكوين الاطر السبيل التي تفرضها علينا الحاجيات المتوقعة لاقتصادنا ، فعلى شبابنا ان يوجهوا النصيب الاوفر من عنايتهم الى اقتناء العلوم واكتساب المعارف التقنية لنحقق الاهداف الثمينة المطلوبة .

عناية المخطط الخماسي بالصناعة

والى جانب الفلاحة والسياحة وتكوين الاطر فان المخطط الخماسي يعنى بالصناعة ، سواء منها الصناعة العصرية أو الصناعة التقليدية ، كما يعنى بالمعادن والصناعة المعدنية ، وبرنامجنا الصناعي يعتمد على تحويل المنتوجات الفلاحية ، مثلما يعتمد على الصناعات التي يمكن للمغرب أن ينال بفضلها مكانا فى السوق الدولية بسبب مناخه وموارده الطبيعية وكثرة اليد العاملة فيه .

وبالتعمير والسكنى فى البادية

ولقد اهتم المخطط الخماسي اهتماما لا يخلو من طرافة بالتعمير والسكنى فى البادية ، فنص على برنامج للبناء واسع النطاق ، اذ ما دامت الفلاحة تكون أسبقية الاسبقيات فى بلادنا ، فان علينا أن نأخذ بعين الاعتبار هذا الامر فى سياستنا الاعمارية حتى نكفل لليد العاملة التي ستدعى الى العمل بما قررناه من استثمارات هامة فى الفلاحة الاستقرار فى مواطن الانتاج .

وتحقيق مختلف الاستثمارات

وقد ضمنا المخطط الخماسي على وجه الاسبقية المشاريع التي تهم التجهيز الاساسي الضروري لتحقيق الاستثمارات الفلاحية والصناعية والسياحية ، اذ لابد للصناعة مثلا من شبكة للطرق تؤدي اليها وتنطلق منها وتساعد على نقل المنتجات . وفضلا عما للتوظيفات الخاصة بالتجهيز الاساسي من ارتباط بتحقيق وانجاز مشاريع تهم قطاعات اخرى ، فان اهم ما سنهتم به من اعمال فى هذا المجال ، هو تحسين وصيانة وتعهد الشبكة التي تتوفر عليها بلادنا .

بيد انه لايكفي أن يتضمن مخطط من المخططات قائمة مشاريع التوظيف والاستثمار ، ولو كان اختيار هذه المشاريع اختيارا يتصف بالاحكام والدقة ، بل يجب ان تزاح عن طريق الاستثمارات كل عقبة يمكن أن تقف فى وجه تحقيقها وتزال كل عرقلة لسيرها بعد الانجاز ، ولذا فان مخططنا الخماسي يتعرض للتعديلات والاصلاحات التي يجب ان تتناول الاطار القانوني حتى يمكن لهذا الاطار أن يكون عاملا من عوامل الحفز والترغيب فى النمو الاقتصادي ، على أنه لا فائدة من وراء تعديل القوانين واحكام وضعها اذا لم تكن البلاد متوفرة على الادارة الفعالة المنوط بها امر تطبيق هذه القوانين . ولئن كان من شأن الاصلاحات التي ادخلناها على جهازنا الاداري ان يمهد السبيل للاعمال المنتظرة ، فان اصلاحات اخرى كتحقيق اللامركزية وتبسيط المسطرات تبسيطا لايخل باحتراز الدولة واحتراسها امر يتعين علينا أن نباشره حتى تقرب الادارة من المواطنين ونفضي الى تقوية انتاج مرافقنا الادارية .

فنجاح مخططنا الخماسي مرهون بتحقيق استثمارات وقع الاختيار عليها باعتبار الفائدة المرجوة منها للبلاد ، ومراعاة ما يتطلبه النمو من تقديم ما هو اهم وأجدى .

التخطيط ، فاذا نحن احصينا ما انفقناه لفائدة الفلاحة فى الحقبة الفاصلة بين سنة 1965 وسنة 1967 تبين لنا أن مبلغ هذا الانفاق يساوي ستين مليارا من الفرنكات ، سواء تعلق الامر ببناء السدود وصيانة التربة او بتحسين الزراعة فى الاراضي البور وتربية الماشية ، وقد كلفتنا السدود وحدها صرف ستة وعشرين (26) مليارا ، واستلزم احياء الاراضي وحمايتها بالتشجير على وجه الخصوص بذل عشرة ملايير ، وتجدر الاشارة هنا الى ان الانعاش الوطني الذي رسمناه كخطة للانماء والتشغيل منذ شهر يوليوز سنة 1961 كان عاملا على تيسير توظيف هذه الاموال فى الفلاحة ، فقد ساعد الانعاش الوطني على نمو البلاد سواء فيما يرجع الى السقي وغرس الاشجار وصيانة التربة أو احياء الاراضي واقتلاع الاحجار ومد الطرق والمسالك ، وان بعض الارقام لتعبر عن مدى هذه لمساعدة ابلغ تعبير ، فقد بلغت أيام التشغيل طيلة المخطط الثلاثي زهاء اربعة وخمسين مليونا من الايام ، وادت الخزينة مقابلها اثنى عشر مليارا ، واستطاع الانعاش الوطني فى سنة 1967 وحدها تشغيل مائة الف شخص مدة مائتي يوم ولم يساعد الانعاش الوطني على النمو الاقتصادي مساعدة فعالة فحسب ، وانما أتاح حل مشكلة قلة التشغيل ولو بصفة جزئية .

السياحة وتكوين الاطارات في المخطط الثلاثي

والى جانب الفلاحة فان المخطط الثلاثي كان قائما على اسبقيتين أخريين وهما تنمية السياحة وتكوين الاطارات ، ولم يكن من السهل الحصول فى هذين الميدانين فى ظرف ثلاث سنوات على نتائج باهرة ومع هذا فقد ارتفع عدد الوافدين من السياح بوجه يدعو الى التفاؤل وأدى هذا الارتفاع الى فتح مجالات جديدة للعمل وتوفير للعملة الصعبة الصالحة لتجهيز البلاد ، اما تكوين الاطارات فقد اسفر عن نتائج يسرت الاسراع بمغربة الوظائف ، واتاحت لنمو البلاد ان يقوم على دعائم وطنية . هذا وان الاطارات التي سيتوفر عليها المغرب فى المستقبل القريب ، ستكون اكثر عددا بفضل ما نوليه للتعليم من عناية كبيرة ، وستكون مستجيبة لجميع متطلباتنا ، كفيلة بسد حاجاتنا ، ذلك أن الاطفال الذين يختلفون الى المدارس الابتدائية يساوي عددهم مليونا ومائتين وخمسين الفا ، وان تلاميذ المدارس الثانوية يبلغون مائة واربعين الف تلميذ ، وهؤلاء جميعهم هم اطارات المستقبل وعمدة المغرب غدا .

واذا كان المخطط الثلاثي جعل الفلاحة فى طليعة الاسبقيات ، فانه لم يهمل الصناعة ولم يغفل عن نموها . الا ان هذا القدر الضخم من الاستثمارات فى الفلاحة والسياحة والصناعة وتكوين الاطارات لم يكن بالامر الميسور لولا الجهود التي بذلتها الامة ، ولئن استفاد المغرب من مساعدات خارجية ، فان جملة صالحة من تجهيزاته أدى كل مواطن ثمنها بما بذله من جهد فى سبيل الادخار . ولن يفوتنا فى هذا المقام أن نلفت النظر الى ان بقاء ثمن السكر فى المستوى الذي حددناه كان له الاثر الحاسم ، وان قبولك — شعبي العزيز — لما اتخذناه من تدبير فى هذا الشأن ، مثال رائع من امثلة التضحية التي يتحملها كل بلد واع لحاجاته ومدرك لغاياته يوثر البذل والسخاء بغية الرقي والنماء ، وهكذا فقد تحقق فى السنوات الاخيرة تقدم لا ينكر وان كانت معالمه تكاد تكون محجوبة عن العيان ، لان الاستثمار فى الفلاحة وتكوين الرجال بوجه خاص ، لا يوتى على الفور ثماره ، بل لا تبرز نتائجه الا بعد مرور حقبة من الزمن ، وانه ليتعين علينا ان لا ننسى هنا الازدياد المطرد فى عدد سكان مملكتنا بمعدل اربعمائة واربعين الف مولود كل سنة وهو عدد يقتضينا أن نواجه ما يلزمه من تغذية وتربية وعلاج وتشغيل .

علينا مضاعفة الجهود

ومهما يكن من امر ، فان علينا أن نواصل فى المستقبل جهودنا ، بل علينا أن نضاعفها حرصا على التحرر من التخلف ، ورغبة فى الانطلاق نحو التنمية الاقتصادية ، وهذا التحرر وهذا الانطلاق هما الهدفان اللذان يرمي اليهما المخطط الخماسي . وسيكون هذا المخطط الذي يتضمن الاسبقيات التي حددناها في المخطط الثلاثي اطارا لعملنا بعون الله الى غاية سنة 1972 ، فاذا كنا نرغب حقا فى ان يوازي ارتفاع انتاجنا الفلاحي ازدياد عدد سكان بلادنا،فان من آكد الواجبات علينا أن نضاعف الجهود فى مجال التنمية الفلاحية . الا ان الفلاحة التقليدية التي تعتمد على انتاج الحبوب وحدها ، لا يمكنها أن تضطلع بسد حاجاتنا ، ولذا فانه يتحتم علينا ان تستبدل بعض الاساليب وبعض الزراعات بغيرها ، وأن نواصل فى نطاق واسع بناء

عملنا في الميدان الديبلوماسي

وكان عملنا في المجال الديبلوماسي والحقل الدولي موسوما بسمة الداب والكد ، فطالبنا سواء في الدورة الاستثنائية او الدورة العادية لمنظمة الامم المتحدة باعادة الحقوق المغتصبة الى اهلها وادانة المعتدين وانسحابهم دون قيد ولا شرط من المناطق العربية التي احتلوها استلابا وانتهابا ، وجلائهم عن أرض القدس الشريف التي انتهكوا حرماتها وعاثوا فسادا في رحابها.

حضور المغرب الدائم

ولم يتأخر المغرب عن المشاركة في اجتماعات وزراء الخارجية العرب المنعقدة بالقطرين الشقيقين الكويت والسودان ، وفي مؤتمر الاقتصاد المنعقد ببغداد، وأوفدنا وزيرنا الاول لينوب عنا في مؤتمر القمة العربي الرابع المنعقد بالخرطوم ، كما شارك المغرب في اجتماع وزراء الاعلام المنعقد بمدينة بنزرت من القطر التونسي الشقيق .

الدعوة الى مؤتمر قمة خماسي

وحرصا منا على دراسة تطورات الازمة ، وخاصة بعد صدور قرار مجلس الامن الاخير ، دعونا الى عقد مؤتمر خامس بالرباط للملوك والرؤساء قصد تحديد موقف يهدف الى تحقيق انسحاب المعتدين من الاراضي العربية .

مساهمة المغرب في النشاط الدولي

وساهم المغرب في اعمال المنظمات العالمية وحضر جميع المؤتمرات والاجتماعات الدولية الهامة ، وكان دور المغرب ملحوظا في منظمة الامم المتحدة خلال دورتها الطارئة أو دوراتها العادية التي انتهت في شهر دجنبر الاخير ، كما ساهم المغرب في جميع اجتماعات منظمة الوحدة الافريقية وفي ضمنها مؤتمر القمة الافريقي الرابع الذي اجتمع بكينشاسا والمؤتمر الاخير الذي انعقد باديس ابابا ، كما شارك في نطاق المغرب العربي مشاركة تجلت في اعمال المؤتمر الثاني لوزراء التعليم والمؤتمر الطبي ولجنة النقل الجوي .

صداقتنا مع الجميع

والى جانب هذه الاجتماعات والمؤتمرات ، عملنا على تمتين الروابط الاقتصادية والتجارية والفنية والثقافية بين بلادنا وبين شتى اقطار العالم ، والى توسيع مجالات الاستفادة من مساعدة الهيئات الدولية المتخصصة في شؤون المالية والاقتصاد .

السعي لاسترجاع حقوقنا في نطاق التفاوض والاقناع

وقد سعينا تحقيقا لاسترجاع حقوقنا بشأن الاراضي التي سلبناها ، سعيا يتفق والخطة التي التزمناها ، والسبل التي رسمناها .

فاذا كنا ما زلنا متمسكين بمطالبنا ، حريصين على استعادة ما اقتطع من ترابنا ، فاننا اليوم كدابنا بالامس ، مستعدون في اطار ما اتخذته منظمة الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية من مواقف وقرارات، للتباحث والتفاوض وموالاة الاتصال لاقناع اشقائنا واصدقائنا بمشروعية هذه المطالب .

على اننا واصلنا خلال السنة الماضية ، المساعي لحمل صديقتنا الدولة الاسبانية التي تربطنا بها روابط الجوار والمودة القديمة ، على وضع القرار الذي اتخذته منظمة الامم المتحدة في شأن ايفني والساقية الحمراء ووادي الذهب موضع التطبيق والتنفيذ ، واننا لنأمل ان تسفر جهودنا المتوالية عن النتائج المطلوبة التي لن تزيد روابط الاخاء وأواصر الجوار والصداقة الا قوة ومتانة .

استقبال شخصيات سامية

هذا وقد استقبلنا شخصيات سامية وفدت على مملكتنا من مختلف الاقطار الشقيقة والصديقة وفي مقدمتها جلالة أخينا الملك حسين عاهل المملكة الاردنية الهاشمية ، وفخامة الرئيس حماني الديوري رئيس جمهورية النيجر ، ونائب مستشار الجمهورية الالمانية الفدرالية ووزير خارجيتها السيد ويلي براندت ، والسيد محمود رياض وزير خارجية شقيقتنا الجمهورية العربية المتحدة ، واتاحت فرصة اللقاء بهذه الشخصيات كلها المباحثة معهم في شؤون مختلفة منها ما يشغل الرأي العام الدولي وسنأثر باهتمامه

الاعتماد على النفس وعلى مساعدة الاصدقاء

بيد ان انجاز ما نعتزم انجازه يتطلب صرف اموال طائلة سنقترض قسطا منها من البلاد الصديقة والمؤسسات الدولية ، ولا غنى لنا بعد هذا عن الاعتماد على انفسنا لتمويل ما يجب تمويله وبذل مجهود داخلي لتقتنع البلاد الصديقة والمؤسسات الدولية باننا قادرون على تمويل الشطر المهم من مشاريعنا ، وسنلجأ الى مختلف وجوه الادخار الوطني والى العمل لندرك الغاية ونظفر بالمرام . فاذا نحن افرغنا قصارى جهودنا ـ وهذا شرط أساسي ـ فان بلوغ الاهداف التي سطرناها فى المخطط الخماسي سيؤدي الى معدل ارتفاع سنوي فى الانتاج الوطني تتجاوز نسبته بقليل اربعة فى المائة والى ارتفاع سنوي يتجاوز خمسة في المائة ابتدا من سنة 1973 ، وعندما تؤتي الاستثمارات الفلاحية جميع نتائجها ، فان ازدياد انتاجنا سيوازي أو يفوق ازدياد السكان .

تصميمنا على بلوغ المقاصد

وبفضل التجربة التي اكتسبناها من تنفيذ المخططات السابقة ، وبفضل ما لنا من تصميم على بلوغ مقاصد مخططنا الخماسي ، فاننا سنسير بعون الله فى الطريق الواضح ، والنهج السوي ، نحو هدفنا الاسمى ، وغايتنا المثلى .

وسنعرض فصول المخطط الخماسي الجديد في الايام المقبلة على المجلس الاعلى للانعاش الوطني والتخطيط قصد دراسته وابداء الرأي فيه ، حتى اذا انتهت هذه الدراسة ، واعرب اعضاء المجلس عن آرائهم فى مضمونه ، استأنفنا النظر فيه واصدرنا قرارنا بشأنه .

الشؤون الخارجية :

ما كان المغرب غائبا

شعبي العزيز :

تلك هي الجهود التي صرفناها فى الميدان الداخلي ،وتلك هي الخطوط التي رسمناها للاعمال التي تتجه همتنا لتحقيقها فى المستقبل ، وقد استأثرت الشؤون الدولية الى جانب هذا بحظ كبير من اهتمامنا ، وما كان المغرب يوما من الايام غائبا ولا خاملا فى هذا المجال ، بل كان وما يزال دائب الحركة ، حاضرا حضورا بارزا باسهامه ومبادراته ، فحفلت السنة الماضية كسابقاتها بحضور المغرب ومشاركته فى مجهود المنظمات الدولية والاقليمية ، وتمتين علاقاته بمختلف الامم والشعوب ، على اساس المساواة والاحترام والود والتعاون فى الوجوه الاقتصادية والثقافية والفنية ، وكان لبلادنا النصيب الوافر فى الدفاع عن القيم الانسانية المثلى ، بدعم السلام والامن فى العالم ، وتقريب الشقة بين الدول الضاربة بسهم كبير فى التقدم الصناعي والدول السائرة فى طريق النمو ، وبمحاربة الميز العنصري واستنكار البغي والعدوان ، وبمناصرة الشعوب المهضومة الجانب والسعي لتصفية الاستعمار والاخذ بمبدأ التعايش الدولي فى نطاق العدالة والكرامة

المؤازرة والتاييد لشقيقاتنا العربيات

لقد عرفت منطقة الشرق الاوسط خلال السنة الماضية ازمة حادة افضت الى تلك النكبة التي حلت بالاقطار العربية عقب العدوان الصهيوني ، والتي مازال جرحها لم يندمل وآثارها قائمة لم تضمحل . ولم تكد تنشب هذه الازمة حتى بادرت بلادنا الى اتخاذ موقف المؤازرة والتأييد لشقيقتها العربيات ، مدفوعة الى ذلك بدافع أواصر القربى ، وواجب التضامن ، ونصرة الحق والعدالة والقوانين المتواضع عليها بين الدول .

اقتراحنا لعقد مؤتمر مستعجل للقمة لمواجهة الحالة

واقترحنا فى شهر ماي قبل العدوان عقد مؤتمر مستعجل فى مستوى الملوك والرؤساء أو مستوى رؤساء الحكومات العربية لدراسة الحالة وتوحيد الخطة والاتجاه ، وبمجرد ما شن الصهاينة عدوانهم الاثيم سارعنا الى تأكيد تضامننا مع الاقطار العربية الشقيقة ، وعززنا التعبير عن هذا التضامن بارسال وحدات من قواتنا المسلحة الملكية للمشاركة فى خوض المعركة ، فلما أعلن وقف القتال لم نتوان فى مواساة ضحايا العدوان ، فأرسلنا الادوية والاغطية ومواد التغذية وغيرها ، ووجهنا الى شعبنا نداء للمساهمة فى الاكتتاب ببذل المال واظهار الاريحية والسخاء لفائدة الضحايا ، فاستجاب شعبنا لندائنا بما فطر عليه وجبل فى كل كارثة وخطب من نجدة واسعاف .

اسلافنا ، ان نتوجه بقلوبنا الطافحة بمشاعر حفظ الذمام ، الزاخرة بآيات الاجلال والاعظام ، الى روح بطل الامة الخالد ، وعلمها المجاهد ، فقيد العروبة والاسلام ، وباعث النهضة الهمام ، سيدنا ووالدنا المنعم ، محمد الخامس ، داعين له بالرحمة والغفران، والمثوبة والرضوان . فقد أمضى عمره مكافحا ومناصرا ومناضلا ومصابرا ، ولم يهن له عزم ، ولم تلن له قناة ، فغالب الصعاب ، وصارع المكائد والاهوال ، ولم ينل من نفسه تهديد ، ولم يثن من عزمه وعيد ، أسدى رحمه الله لهذا الشعب أسنى الايادي وأجمل المكرمات واسمى المبرات ، وبذل في سبيل تحريره واستقلاله اعظم التضحيات ، فأثاب الله جهوده احسن ثواب ، وكتب له الظفر وحسن المئاب ، فتحقق لك شعبي العزيز ، على يديه ، ما كنت تصبو اليه من خلاص وانعتاق ، وحرية وانطلاق . وانا لنبتهل الى الله فى هذا الحفل الحافل ، والمجمع الشامل ، أن يجازيه عما بذل واسدى ، واسلف وقدم بأوفى ما يجازي به النبيئين الاطهار ، والصديقين والشهداء والابرار ، ويجعل مثواه فى جنات عليين ، ومقامه المحمود بين اوليائه المتقين .

حملنــا الامــانــة بعونــه تعالــى

واذا كانت ارادة الله استأثرب به واختارته لجواره ، والمغرب المستقل بعد الاحتلال ما يزال في مراحله الاولى من البناء والتشييد ، والنشوء والتجديد فان هذه الاراده استخلفتنا من بعده ، والقت على كاهلنا مقاليد السيادة وأعباء القيادة ، فحملنا الامانة مؤمنين بعونه تعالى فى شد ازرنا ، والاخذ بيدنا ، وتسديد خطانا ، وتيسير هدانا ، وواثقين بانك شعبي العزيز، شعب وهبه الله من الشمائل والمزايا ، ومن الفضائل والسجايا ، ما يصح معه الاعتماد والاستناد ، ويتسنى به تذليل الصعاب ، وتتوافر به الوسائل والاسباب ، للوصول الى الهدف المقصود ، والغرض المنشود . ومنذ ذلك الحين والعناية متجهة اليك ، والرعاية موقوفة عليك ، والحدب موصول لاسعادك ، والاهتمام مقصور على رفع مكانك ومقامك ، فلا يمضي يوم من الايام ، ولا تمر ساعة من ساعات الليل والنهار ، الا كان قلبي مفعما بك ، وعقلي منقطعا اليك ، وارادتي مصروفة لما يرضيك ، معبأة لما يكفل لك الهناء المديد ، والعيش الرغيد . فجميع ما يضطرب بين جوانحي من عواطف ، وجميع ما يجول فى نفسي من خواطر ، وجميع ما يسعف به الخيال ، ويجود به العقل ، ليس له من مدار ، وليس له من مثابة ، وليس له من قصد الا انت وما يهمك ، سررت أو حزنت ، رجوت أو اعترتك خيبة امل ، رغبت فى شيء أو استولت عليك رهبة ، طفحت نفسك بالبشر وامتلأ قلبك باليقين ، أو رانت عليك الكآبة والتبست عليك السبل ، وتقاسمتك الاشجان ، وجرى بما لاتهوى الحدثان

اجتمعنــا على كلمــة ســواء

فكل حالة من هذه الاحوال ، تلابسني فى غدوي ورواحي ، وحلي وترحالي ، وكل احساس من هذه الاحاسيس ، هو احساس يمتلك فؤادي ويملأ جوانبي، ولا يعتري هذه الاحوال تغيير او تحويل ، الا عندما تنقشع السحب المظلمة التي تخيم على نفسك ، وتخلف المسرة الكآبة فى حناياك ،والاطمئنان فى وجدانك وطواياك ، ولا اجد لذة العيش ، ولا حلاوة الحياة ، وانت كاسف البال ، مروع السرب ، تخشى الفوائل، وتتهيب الزمان ، وكل مطمح كريم سمت اليه همتك، وكل مرغوب شريف تعلق به رجاؤك ، وكل مقصد جميل ترامت اليه مطالبك ، هو مطمح من مطامحي ، ورغبة من رغائبي ، ومطلب من مطالبي ، ابذل له من جهدي وكدي ، واوليه من عنايتي واهتمامي ، طريفي وتليدي ، حتى اذا تسنى ادراكه ، وان قيل عزيز المنال عسير غير يسير ، كان الظفر به مشاعا بيني وبينك، وباؤغه قرة عين لي ولك ، لقد اتحدت مشاعري ومشاعرك ، وتناسقت اوطاري واوطارك ، وتوشجت مصالحي ومصالحك ، واتم الله علينا النعمة المطلوبة، والمنة المخطوبة ، فسرت وأياك على المحجة البيضاء ، واجتمعت شعبي العزيز ، وعرش بلادك وعاهلك على كلمة سواء .

احيـاء ذكـرى نـزول القـرآن

شعبـي العزيـز :

لقد كان احتفاؤنا واحتفالنا جميعا بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، والذكر الحكيم ، برهانا على مدى تعلقنا برسالة الله الخالدة ، وتمسكنا بالكتاب البين المنزل من السماء هدى للمتقين ورحمة للعالمين . وانت تعلم ما كان لهذا الاحتفاء الشائع ، والاحتفال الرائع ، من الاثر الحميد ، والصدى البعيد فى ارجاء العالم الاسلامي الذي اكبر بادرة هذا التمجيد والتكريم ، وادرك بليغ اعتداد المغرب بكتاب

وانتباهه ، ومنها ما يتصل بالعلاقات الودية وروابط التعاون بين بلادنا وبلادهم ، ومنها ما يهم الاقطار العربية بصفة خاصة .

شعبي العزيز :

ان ما عرضناه عليك والقيناه على مسامعك لم يكن بالعرض الذي يفيد الاستقصاء ، ولا بالبيان الذي يقتضي الحصر ، وانما قصدنا الى الاجمال من غير اسهاب ، والى الالمام دون اطناب ، لتقف على اهم ما بذلناه من جهود خلال السنة المنصرمة ، وتطلع على اكثر ما اعددناه من مشاريع مردودا وريعا وعائدة ونفعا ، ولئن تبين لك مما عرضناه وبسطناه ، ان هذه الاعمال وهذه المشاريع ، هي ذات اهمية عظمى وشأن أي شأن فى تطور البلاد ونهضتها ، ورقي المجتمع ورفع مستواه ، فان تحقيق ما بقي علينا تحقيقه وانجازه وتطبيقه يتطلب منا المزيد من العمل والكد وتجنيد العزائم ، وتعبئة الهمم ، واستنفار المواهب والكفايات والصلاحيات ، ليتم لنا ما نريد ونبتغيه لجيلنا وللاجيال الآتية من بعدنا ، من ضمان حياة اسعد وافضل . على انه لن يتأتى المراد من اعمالنا ومشاريعنا ، ولن نبلغ القصد من مساعينا ، ولن نضمن تلك الحياة المنشودة حاضرا ومستقبلا ، الا اذا كان تجنيد عزائمنا ، وتعبئة هممنا ، واستنفار مواهبنا وكفاياتنا ، مصحوبا بادراك وشعور ، ووعي لما يسترعي اهتمام العالم المتمدن من مشاكل ، ويستوجب من ابتكار للحلول ، واستنباط لوسائل معالجة المعضلات. وعلى الرغم مما تمتاز به بلادنا من خصائص ومميزات ، وما تنفرد به من بعض الوجوه من سمات وصفات ، فاننا بحكم صلتنا الوثيقة بهذا العالم المتمدن ، وبحكم كوننا جزءا لا ينفصل عنه ، لامناص لنا من مشاطرته اهتمامه ، ولا محيد لنا عن استيعاب ما يستخلصه من نتائج ، ويفضي اليه من حلول ، ويظفر به من فوائد . ذلك ان تطور بلادنا ومسايرتها لموكب الحضارة الذي لا يتردد ولا يقف ولا يني ، ومجاراتها للاقطار التي تغذ السير فى مضمار النمو والازدهار ، كل هذا موقوف على ما لنا من استعداد للاخذ والاستمداد ، وقابلية للاستفادة والانتفاع .

تسخير المواهب وتجنيد الطاقات

وبالاضافة الى هذا كله ، فلن نبلغ المرتقى المأمول ولن ندرك الشأو المطلوب ، الا اذا كان تسخير مواهبنا وتجنيد طاقاتنا وكفاياتنا ، وانتفاعنا مما يخطوه العالم المتحضر من خطوات سريعة فى مضمار الاكتشاف العلمي والابتكار والاختراع ، مقرونا بالشعور بأن السير فى طريق النمو يلقي علينا أثقل التبعات ، ويفرض علينا اعظم المسؤوليات ، ويوجب علينا احترام كثير من الالتزامات ، فلا يمكن ان نتوقع نجاحا لاعمالنا ، ونأمل فوزا بأمانينا الشاملة لميادين مختلفة ، وتحقيقا لمطامحنا التي تنتظم مجالات الاقتصاد والاجتماع ، الا اذا كنا جميعا مؤمنين بجدوى ما نقدم عليه من اعمال ، ونقبل عليه من انجاز ، ايمانا صادقا لا يعتريه على توالي الايام فتور ولا نقصان ، وكان بيننا من التضافر والتضامن والتآزر والتعاون ما يؤمن الجهود المبذولة ، والكفايات المعبأة ، والمواهب المجندة ، التناسق والانسجام ، والتكافل والوئام ، والافضاء فى نهاية المطاف الى الغاية المتوخاة ، والغرض المقصود الذي هو الانطلاق من التخلف الى النماء ، والتدرج من العوز الى الرخاء ، والارتقاء من ازدهار محدود محصور الى ازدهار شامل موفور .

نسال الله أن يبارك نهضتنا

ان لبلادنا من الامكانيات والمقدرات ، وان لك شعبي العزيز ، من العقل والادراك والتمييز والتمحيص والحكمة البصيرة ، وان لك من حسب صريح لارض آبائك واجدادك ، ورغبة صحيحة فى العمل المثمر البناء وحرص على أن تحل بلادك اسمى الدرجات ، وتبلغ بها ارفع المقامات ، ما هو خليق بأن يقيم البرهان ، ويقدم الدليل على أن وطنك العزيز سيصبح بما أضفى الله عليه من خيرات ، وبما وهبك من استعداد لاستصلاحه واستثماره ، وطموح لاعلاء شأنه ، واعزاز جانبه ، مضرب الامثال فى الجد والحيوية ، وصدق النية ، ومضاء العزيمة والاستبسال . والله المسؤول بعد هذا ان يبارك نهضتنا ، ويثبت اقدامنا ، ويوفق مسعانا، ويمدنا بعونه على الاضطلاع بالمسؤوليات وتحمل الاعباء ويقينا مزالق الزلل وعواقب الاخطاء .

جزى الله خيرا فقيد العروبة والاسلام

شعبي العزيز :

ان ما جبلنا عليه من شيمة الاخلاص والوفاء ، ومزية رعاية العهد والبقاء ، ليقتضينا ونحن نحتفل فى هذا اليوم بالذكرى السابعة لجلوسنا على عرش

واعتصم بحبله ، وابلى البلاء الحسن فى اعلاء كلمتـــه ونشر الويتــه والتمكين له فى المعمور ، ليضرع اليــك ابناؤه مبتهلين أن تكون لــه وليا ونصيرا ، ومعينــا وظهيرا ، وتسبغ على بــلادنا نعمة رعايتك وعنايتك وتعصمها من كل سوء ، وتدفع عنها كل مكروه . اللهم ان هذه البلاد التي كانت وما تزال معتزة بايمانهـــا ، فخورة بيقينها ، متشبعة بمثلها وحريصة على مقدساتها وحرماتها ، تسألك أن تديمها محفوفة بسياج من حفظك وصيانتك ووقايتك وحراستك ، دائبة على الاهتـــداء بهديك ، مستنيرة بنور كتابك الحكيـم ، سائرة على صراطك المستقيـــم .

اللهم اغمر قلبي بنورك ، ووسع معرفتي بــك ، واملأ نفسي بالاقبال عليك والانابـة اليك ، واجعــل الاعتماد عليك دأبي والاستناد اليك قصدي ، والهمني من الاعمال ما ترضى به عني ، اللهم اني اسألك الخشية فى الغيب والشهادة ، واسألك كلمة الحق فى الرضــا والغضب ، واسألك عونا تشد بــه أزري ، وتأييــدا ينشرح لــه صــدري

اللهم ادم ما بيني وبين شعبي من محكم الاواصر والصلات ، ومكيـــن التجــاوب والتآزر والتماسك والتضافر ، واوزعنا ان نشكر هذه النعمة التي انعمت بها علينا ونذكر صنيعك الجميل فينا واياديك البيضاء قبلنا ، وسدد اللهم خطانا لما فيه خير البلاد وصلاحها وازدهارها ورخاؤها وسعادتها ، فانك موئل الرجــاء ، والمستجيب عنـد الدعـــاء .

الله ؛ واوفد للمشاركة في الاحتفال بهذه الذكرى من مشارقه ومغاربه وفودا من أجلة العلماء واقطاب العرفان توثق بهم حبل التواصل والتعاطف ، واستحكمت بهم آصرة الاخاء والتآلف .

الاسترشاد بهدي القرآن والحفاظ على الاسلام

واني لاهيب بك شعبي المؤمن ، الصادق الايمان، الراسخ العقيدة ، أن توالي سيرك ، وتواصل سعيك، مسترشدا بهدي القرآن ، متمسكا بتعاليم الفرقان ، متدبرا آياته ، ممتثلا لاوامره ونواهيه ، فان في ايماننا بالله ، وتمسكنا بما أوحى به الى نبيه ورسوله المصطفى المختار ، وحفاظنا على الدين الاسلامي الحنيف ، وما يدعو اليه ويحض عليه من العمل بالمبادىء المثلى ، والحرص على القيم [illegible] ، وسلوك المحجة البيضاء ، ما يكفل لنا الفوز وحسن المصير وان الله على نصرنا لقدير .

دعوة مستجابة لتربية النشء

وحري بنا ونحن في مجال التذكير ، ان نسترعي انتباه نسائنا اللاتي هن امهات ابنائنا ، والمتحملات لقسط وافر من مسؤولية تربية ناشئتنا والمساهمات بحظ غير يسير فيما نشيده ونبنيه ، ونرفعه ونعليه من صرح نهضتنا ، الى وجوب اهتمامهن بتربية اطفالنا الذين هم رجال المستقبل ، ومناط الآمال ، تربية قوامها تحبيب مكارم الاخلاق اليهم ، ونشر الفضائل في نفوسهم ، وتأديبهم بالاداب الاسلامية ، وتلقينهم القواعد الدينية ، وتعويدهم على التمييز بين المنكر والمعروف ، والحلال والحرام ، وتدريجهم على حب التقاليد السليمة التي اكسبتنا ذاتية معلومة ، والتعلق بالقيم والمقدسات ، التي كفلت لهذا الوطن العزيز الدوام والاستقرار ، حتى يكونوا رجالا صالحين كأفراد ، قادرين على اداء واجباتهم ، والاضطلاع بالاعباء التي تنتظر منهم ان يكونوا في مستواها استقامة ونزاهة وايثارا ونكرانا للذات وخبرة ودراية واستعدادا وكفاية ، وحتى تتالف منهم الامة الواعية المتبصرة العالمة بالنافع والضار ، والصحيح والزائف. وهكذا فان على المراة المغربية ان تكون مدركة للمسؤولية الملقاة على كاهلها ، متفهمة للمهمة العظمى المنوطة بها في مجتمع كمجتمعنا يتوق الى المزيد من المناعة والحصانة .

آن للعرب والمسلمين ان يحاسبوا انفسهم ويوحدوا صفوفهم

شعبي العزيز :

ان شديد حرصنا على الاعتصام بالقيم الروحية الخالدة ، والمبادىء السامية التي قامت على اساسها في الماضي حضارتنا التي اضاءت انحاء المعمور ، واشرقت بها ارجاء الدنيا ، لهو الباعث الذي دعانا الى استكناه الاسباب التي جعلت من العالم العربي والاسلامي كيانا مفكك الاوصال ، مدخول القوى ، مبدد الشمل ، تتنازعه عوامل الشتات والانحلال ، فعرفنا ان مرد هذه الظاهرة الاليمة ، وهذا المصاب الجلل ، يرجع الى قلة الاهتمام بالقيم الاسلامية ، وعدم الاكتراث بالتعاليم الدينية ، والتفريط في اركان الدعوة المحمدية . وقد آن للعرب والمسلمين ان يحاسبوا انفسهم حسابا شديدا ، ويتداركوا ما فيه فرطوا وما به استهانوا ، ويعملوا على اصلاح ذات بينهم ، وضم شتاتهم ، وجمع كلمتهم ، والتعاون بينهم لانقاذ انفسهم من الهوة التي ترديوا فيها ، والمحنة التي حاقت بأوطانهم والهزة العنيفة التي عصفت بأموالهم وديارهم وسلبتهم اولى القبلتين وثالث الحرمين ـ وعسى الله ان يكف بأس الذين كفروا ، وعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده ، فيصبح العرب والمسلمون صفا مرصوصا وبنيانا متماسك الاجزاء يشد بعضه بعضا ، وكيانا لا تنفصم عراه ولا ينبت ما اوصى الله تعالى أن يكون موصولا بينه .

دعوات ملك صالح

فاللهم انا نسالك أن تمن تفضلا وتكرما على اخواننا العرب والمسلمين ، وتثبت اقدامهم ، وتوحد كلمتهم وقواهم لما فيه رضاك ، وتلم شملهم ، وتقيل عثرتهم ، وتعيد اليهم ما فقدوا من عز ومجد ، وما سلبوا من كرامة ، وتهب لهم من الحول والطول ما يرد عليهم ما اضاعوه ، ويملكون به زمام أمرهم ، ومقاليد حاضرهم ومستقبلهم ، وتجود عليهم ، وجودك كفيل بالمكرمات ، وحقيق ان يظهر الآيات البينات ، بالهداية التي يسهل معها استئناف سيرة آبائهم الاولين واسلافهم القادة الصالحين المصلحين

اللهم ان المغرب ، هذا البلد الذي احتضن الاسلام عند مطلع فجره واشراق نوره ، وتمسك بهديه

رد سماحة الاستاذ المودودي على رسالة قداسة البابا

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب القداسة البابا بولس السادس

بلغتني بوساطة الدكتور آر . اي . بتلر مدير (لويولا هال) بلاهور من قداستكم رسالة جديرة بالتقدير ناشدتم فيها اتباع جميع الاديان الشهيرة وجميع ذوي النوايا الحسنة فى العالم علاوة على اتباع الكنيسة الكاثوليكية ان يتخذوا مطلع السنة الجديدة يوم السلام . وكان بودي ان اكتب الى قداستكم ما عندي من آراء تتعلق بهذه الرسالة فى حينها . الا ان الاعمال المتجددة فى شهر رمضان المبارك وعيد الفطر حالت دون القيام بهذا الواجب . وها انا اخاطب قداستكم فى اول فرصة متاحة :

اهني قداستكم بما وجهتم الى سكان المعمورة من الدعوة الى الغاية التي يشارك فيها الجميع ، كاشفين القناع عن وجه العوامل التي تشكل عقبة كاداء فى تحقيق هذه الغاية . ومن الحقيقة التي لا يكابر فيها احد ان السلام من الحاجات الاساسية التي تتوقف عليها سعادة النوع البشري . الا ان العوامل التي حرمت النوع البشري من بلوغها على رغم تطلعه اليها واحساسه الملح لتحقيقها هي نفس العوامل التي قد استلفتم الى معظمها انظار العالم . واعتقد : انه ما دامت لا تتخذ الاجراءات الصارمة للقضاء على هذه العوامل لن تنعم الدنيا بالسلام ابدا بمجرد الاعراب عن الآمال الطيبة والاماني المعسولة . وعلى هذا ، مما لا مندوحة منه فى نظري فى هذا الشأن : ان يحاسب كل منا نفسه افرادا وامما وجماعات دينية ، بصدق النية والاخلاص والامانة لينظر : ما هي تقصيراته نفسه التي ادت بأبناء نوعه ثم بنفسه هو فى النهاية الى الحرمان من العيش فى السلام ، ويستفرغ ما وسعه من الجهود فى قمعها . كما يجب على كل واحد منا ان يحيط غيره من الطوائف علما بما يرى فى مواقفها نحوه من امور تؤلمه وتمس من كرامته ، بصراحة متناهية وبقصد الاصلاح ، لا بنية اثارة المرارة وزيادتها ، لتنهض هذه الطوائف الى التخلي عن مواقفها كهذه .

وبنفس القصد اريد ان استرعي انتباه قداستكم الى امور يشكوها المسلمون من الاخوان المسيحيين ، لكي تبذلوا جهودكم فى اصلاحها باستخدام نفوذكم الكبير ومكانتكم العظيمة فى العالم المسيحي لكونكم المرشد الاعظم للكنيسة الكاثوليكية . وانا بدوري ارحب من الاخوان المسيحيين بأن يعلمونا بما اذا وجدوا في سلوكنا نحوهم من امر معقول يسبب لهم الشكوى منا . ونحن لن ندخر وسعا فى ازالته باذن الله . ان الطريق الذي يمكن لنا ان نتكاتف فى احلال السلام وخلق جو التصالح فى الدنيا هو ليس الا ان يسلك بعضنا نحو بعض مسلك العدل ، او يتخلى عما فيه غمط حقه وعن اللجوء الى ما يؤلمه على الاقل اذا تعوزه رحبة الصدر فى سلوكه الحسن معه .

ان الامور التي يشكوها المسلمون لا فى بلد واحد فقط او من شعب واحد فقط بل يشكوها جميع المسلمين فى انحاء العالم من اخوانهم المسيحيين ، اريد ان اعرض على قداستكم بدون لبس ولا ابهام :

1 — يتأذى المسلمون من الهجوم الذي لا يزال العلماء المسيحيون يشنونه على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى القرءان والاسلام فى كتبهم وخطبهم . قد اوردت كلمة « الهجوم » قصدا لئلا تقعوا فى سوء التفاهم فى كوننا نشكو حتى من النقد العلمي المعقول ، اذ اننا لا ننكر النقد العلمي المبني على البرهان وفى حدود النزاهة والاحترام ، مهما كان يحتوي على اعتراضات عنيفة . بل نرحب بمثل هذا النقد العلمي ، ونستعد ان نقابل البرهان بالبرهان . ولكن الذي نشكو اليكم بحق هو الهجمات التي تشن على نبينا وكتابنا وديننا ، والتي تتكون من افتراءات واتهامات سخيفة بلغة تدمي القلوب وتمس بالكرامات . ولا تزال هذه الهجمات على قدم وساق .

اما المسلمون فانهم يراعون كل المراعاة جوانب الادب والتكريم فى شأن مريم وعيسى عليهما السلام . ونعتبر من وجهة عقيدتنا كل كلمة تنال من كرامتهما او تنافي مكانتهما كفرا . وانكم لن تجدوا ولا مثالا واحدا ان مسلما قد ارتكب ما ينافي الادب فى شأن سيدنا المسيح وامه الصديقة عليهما السلام . ونحن وان كنا لا نعتقد فى الوهية المسيح ابن مريم . الا اننا نؤمن بنبوته عليه السلام ايماننا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم . ولا يكون احد مسلما حتى يؤمن بالمسيح وغيره من الانبياء عليهم السلام ، كما يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم . كما اننا لا نعتبر القرءان فقط كتابا منزلا من الله تعالى ، بل نعتبر كذلك التوراة والانجيل مما انزله الله . ولا يتفكر احد من المسلمين فى اهانة هذه الكتب المقدسة . ونحن اذا ناقشنا هذا الموضوع فلم نناقش الا من ناحية مبلغ استناد وصحة الكتاب المقدس فى صورته الحالية . وهذه ناحية قد

رسالة قداسة البابا لأجل إحلال السلام في العالم ورد الأستاذ المودودي عليها

نقله إلى العربية : خليل احمد الحامدي
مدير دار العروبة للدعوة الاسلامية
لاهور - باكستان

(ارسل البابا الى جميع قادة الاديان الشهيرة فى العالم بما فيهم اتباع الكنيسة الكاثوليكية رسالة فى شهر يناير الماضي ناشدهم فيها ان يفاتحوا اليوم الاول من السنة الجديدة كيوم السلام ، وقد جاءت رسالته هذه فى باكستان الى سماحة الاستاذ أبي الاعلى المودودي أمير الجماعة الاسلامية فيها . واليكم ملخص رسالة البابا ورد الاستاذ المودودي عليها)

ملخص رسالة البابا :

نخاطب جميع الناس الصالحين فى الدنيا ونناشدهم ان يجعلوا اول يناير : مطلع السنة الجديدة يوم السلام . نعتقد ان جميع الامم ، والمنظمات الدينية العالمية ، والحركات السياسية والحضارية التي تطمح الى اقامة السلام العالمي وتسعى فى سبيل تحقيقه تشعر كلها فى الوقت الحاضر بضرورة احلال السلام ، كما تشعر بالاخطار التي تهدد السلام ...

والعقبات التي تعرقل احلال السلام يجب ازاحتها . منها اتباع الامم العالمية اهواءها فى انشاء العلاقات فيما بينها . كما ان بعض الاقطار يساورها الشعور بانها محرومة من حق العيش فى كرامة وسؤدد . ولاجل عدم الاعتراف بحقهم هذا قد سلكوا، واضعين رؤوسهم على اكفهم ، طريق المقاتلة الاضطرارية وتسود على الوجه العام الفكرة التي تقول بعدم امكان حل المنازعات الدولية بالعدل وبطرق معقولة من المفاوضات، وتقضي بارجاع هذه المنازعات الى (قاضي السيف) الذي يمكنه ان يستخدم لذلك ما لا يحصى من الوسائل والادوات الفتاكة لاراقة الدماء البشرية ..

اذن ، فلا بد لاجل احلال السلام والتعايش السلمي من توجيه الجيل الجديد الى التسامح والاخوة والتعاون الدولي . ان السلام لن يتحقق ابدا باللجوء الى الدعاية الفارغة . ان الدعاية الفارغة تبدو حسنة وخلابة فيما يظهر لانها تضرب على اوتار قلوب البشر. الا ان هذا الامر كثيرا ما يتخذ ستارا لتغطية فقدان الاخلاص واللامبالاة ، بل يتحول فى غالب الاحيان وسيلة للانحياز والعدوان . فما دامت لا تستهدف الدول وما دام لا يستهدف السكان حكاما ورعايا في الدول التعاطف والتحابب والاخلاص والعدل بعضهم مع البعض ، وما دام الافراد والامم لا تنال حرية التعبير والعمل فى كافة النواحي المدنية والخلقية والدينية يصير التشدق لاجل السلام بدون جدوى . ولو اقيم كيان شكلي من السلام والنظام القانوني مدعما بوسائل القسر وبدون الدعائم اللازمة للسلام والحرية ، لمن المحتوم ان تستمر سلسلة قاهرة لا نهاية لها من الثورات والحروب .

المسيحي من سرور وارتياح وابتهاج علنا يوم انتصار اسرائيل على العرب ظاهرة الحقد والعداء اللذين يضمرهما المسيحيون في قلوبهم للاسلام والمسلمين . والطريقة التي تكونت ، بل كونت ، بموجبها دولة اسرائيل في فلسطين لا يخفى على احد تاريخها . كان العرب يستوطنون فلسطين منذ الفي سنة . وما كان السكان اليهود فيها يشكلون نسبة اكثر من 8 ٪ في مطلع القرن الحاضر . فجاءت الحكومة الانكليزية ، والحالة هذه ، تقرر جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ، وجاءت عصبة الامم يومها لا تصادق على هذا القرار فحسب ، بل تعطي الحكومة البريطانية حق الانتداب في فلسطين وتوصيها باشراك الوكالة اليهودية في الحكومة لتنفيذ القرار المذكور . وبدأت بعد ذلك سلسلة هجرة اليهود من انحاء العالم الى فلسطين بكل طريقة ممكنة ، وتوطينهم فيها . حتى بلغت نسبتهم فيها خلال مدة 30 سنة 33 ٪ . وكان هذا القرار الذي اتخذ لاجل توطين الشعب الاجنبي في وطن الشعب الاصيل عدوانا سافرا . ثم اتخذت خطوة اخرى اشد فتكا وخطورة من سابقتها . حيث ارغمت امريكا جمعية الامم المتحدة ، على رؤوس الاشهاد ، على اصدار قرارها في تبديل وطن اليهود الاصطناعي الى دولة يهودية . وبموجب هذا القرار الغاشم قسمت فلسطين واعطيت لليهود الذين كانوا يشكلون 33٪ من جميع السكان 55٪ من مساحتها ، بينما اعطى العرب الذين كانوا يشكلون 67٪ منهم 45٪ من مساحتها . ولم يكتف اليهود على هذا ، بل انهم حصلوا باللجوء الى القوة على مساحة اخرى فاصبح مجموع المساحة التي احتلوها 77 ٪ من المجموع ، وطردوا آلافا مؤلفة من السكان العرب من ديارهم واموالهم بالقتل والارهاب والنهب والسلب . فهذه هي اسرائيل ، وهذا تاريخ تأسيسها . وهل من رجل في الدنيا يحب العدل والامانة بامكانه ان يقول : ان اسرائيل دولة شرعية تكونت من طريقة طبيعية وعادلة . بل ان وجود هذه الدولة هي عين مظهر العدوان الغاشم . والمزيد من الظلم والعدوان ان اليهود ، على رغم ذلك ، لا يرضون بالوقوف عند الحدود التي اقاموها في فلسطين قسرا. بل انهم ما زالوا يعلنون صراحة منذ سنين بان وطنهم الحقيقي هو من النيل الى الفرات . وبكلمة اخرى ان الشعب اليهودي يحتضن ، بصفة دائمة ، الخطة العدوانية التي يريد تحقيقها بفرض الاستيلاء على هذه المنطقة بكاملها وتشريد اهاليها الاصليين بوسائل الارغام ، واستقدام اليهود من انحاء العالم واسكانهم فيها . وان الحرب المباغتة التي شنها اليهود في الخامس من شهر يونيه الماضي هي ليست الا حلقة من هذه الخطة العدوانية البغيضة ، والتي استولت اسرائيل فيها على ما يقارب من ستة وعشرين الف ميل مربع من المساحة . ان العالم المسيحي هو المسؤول عن هذا العدوان السافر الغاشم . وهو الذي ساعد على خلق وطن جديد للشعب الاجنبي في داخل وطن شعب آمن مطمئن ، وهو الذي ساعد على جعل هذا الوطن الاصطناعي دولة مستقلة ، وهو الذي امد هذه الدولة العدوانية بالعون المالي والسلاح الحربي وجعلها تتمكن من تطبيق خططها التوسعية . وها قد نرى العالم المسيحي يغرق في غمرة الفرح والابتهاج والاهتزاز لما حققت هذه الدولة من انتصارات . وهل تعتقدون قداستكم — بعد كل ذلك — ان المسلمين في العالم يعتمدون على عدالة المسيحيين ونياتهم الحسنة وبراءتهم من الحقد الديني والعصبية ؟ وما ذا ترون قداستكم : هل هذه هي السبل لايجاد السلام في العالم ؟ فالواجب على قداستكم — لا علينا — ان تؤنبوا الاخوان المسيحيين على موقفهم هذا ، وتعملوا على تطهير روحهم من هذا الدنس .

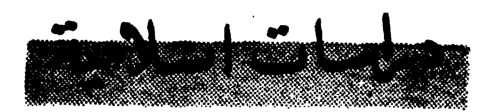
4 — وهناك اعتداء صدر من قداستكم انتم . وان كنت اظن ان هذا الاعتداء مبعثه النية الحسنة ، ولا تشعرون بكونه اعتداءا في حقيقة الامر ، واقصد من ذلك اقتراح قداستكم حول تدويل القدس القديم. ولعلكم تنوون من هذا الاقتراح صيانة هذه المدينة المقدسة من الحروب والاشتباكات ولكن هذا الاقتراح في حقيقة الامر ينطوي على عدوان آخر . اذ من البداهة ان الرقابة الدولية على هذه المدينة ستتولاها المنظمة الدولية التي خلقت دولة اسرائيل بطريقة اصطناعية ، والتي لم تردع اسرائيل من اتباع سياسة العدوان ، ولم تتدارك ازالة آثار العدوان ان وقع . ان هذه المدينة ان تولتها المنظمة كهذه فانها ستفتح ابواب

جرت فيها المناقشة بين العلماء المسيحيين انفسهم ايضا . ولم ينكر احد من المسلمين ابدا بأن الله تعالى قد اوحى الى موسى وعيسى وسائر الانبياء عليهم السلام الذين جاء ذكرهم فى الكتاب المقدس ، وان المسلمين اليوم وان كانوا لا يقرون بكون الكتاب المقدس فى صورته الحالية وحيا منزلا من الله بأجمعه . بيد انهم يعتقدون ، بدون ما ريب ، ان فيه ما نزل من الله تعالى . ولذلك فان اخواننا المسيحيين لم يجدوا مجالا للشكوى اننا قد ارتكبنا اهانة انبيائهم او كتبهم المقدسة . والعكس من ذلك فاننا لا نزال ننال منهم منذ القرون ضروبا من الاذى فيما يشن كتابهم وخطباؤهم من الهجوم العنيف على نبينا الكريم وعلى كتابنا المقدس وعلى ديننا الحنيف ، الامر الذي هو اكبر سبب في اساءة العلاقات بين الاخوان المسلمين والاخوان المسيحيين ، لانه يورث الاحقاد المتبادلة . كما ان الدعاية غير الصحيحة تبذر فى قلوب عامة المسيحيين انفسهم كذلك بذور الكراهة والاحتقار للمسلمين . وتكونون قد اسديتم خدمة جليلة مشكورة فى احلال السلام لو نصحتم اتباع المسيحية ان يحسنوا سلوكهم نحو المسلمين حيث لا يبلغ حد الايلام واثارة الكراهة فى القلوب على الاقل .

2 — ان الوسائل التي ما زالت تستخدمها البعثات المسيحية والمبشرون المسيحيون منذ مدة طويلة فى نشر الديانة المسيحية فى العالم الاسلامي هي ايضا مما ياخذه المسلمون على اخوانهم المسيحيين . لا نتناول بالبحث اعمالهم فى البلدان الاخرى والشعوب غير الاسلامية . والذي جربناه وشاهدناه بام اعيننا فى البلدان الاسلامية والشعوب الاسلامية هو انهم — اي المبشرين المسيحيين — لم يقتصروا على « التبشير » فقط ، بل جاوزوا هذا الحد ، واختاروا الوسائل الاخرى التي ليست من وسائل التبشير فى حقيقة الامر ، بل هي من وسائل الضغط السياسي والاطماع الاقتصادية والهدم الخلقي والعقائدي ، والتي لا يقر من فيه مسكة من العقل بكونها وسائل نزيهة لتبليغ الدين . انهم فى معظم اقطار افريقية حرموا المسلمين من التعليم بمعاونة من القوى الاستعمارية ، واغلقوا ابواب دور التعليم على وجه كل من لا يعتنق الديانة المسيحية او يختار لنفسه الاسم المسيحي بدل اسمه الاسلامي على الاقل . ان الاقلية المسيحية ذات النفوذ التي خلقت بهذه الطريقة هي التي تسيطر اليوم من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية على كثير من الدول الافريقية التي معظم سكانها المسلمون . هذا هو العدوان الصريح الذي عوملت به الدول الافريقية ذات الاغلبية الاسلامية . ان القسم الجنوبي من السودان جعل « محمية » لدعاة المسيحية فى ظل الاستعمار الانكليزي ، وقصرت جميع حقوق التعليم والتبليغ فيها على البعثات المسيحية ، وفرضت على المسلمين قيود منعتهم من دخول هذه المنطقة لا لنشر الدعوة الاسلامية فيها فحسب ، بل للاغراض الاخرى ايضا . ولا اكاد افهم : باى دليل يعد هذا الطريق وسيلة نزيهة ومعقولة لنشر الدين . وها نحن في بلادنا نرى ما تتبعه مستشفيات الارساليات التبشيرية ومؤسساتها التعليمية من سياسة يعرفها القاصي والداني . مثلا انها تفرض على المرضى والطلبة المسلمين رسوما واجرا باهظة ، بينما كل من يعتنق الديانة المسيحية توفر له كافة التسهيلات للعلاج والتعليم ، اما مجانا او مقابل اجرة رمزية . ومن الظاهر البديهي ان هذا الطريق ليس من التبليغ في شيء ، وانما هو عملية شراء الذمم والمتاجرة بالايمان . وعلاوة على ذلك فان المؤسسات التعليمية التابعة للارساليات المسيحية فى بلادنا تحاول اعداد جيل لا تعجبه المسيحية ولا الاسلام ، بل يشكل عنصرا اجنبيا فى جميع نواحي اخلاقه ومدنيته ولغته ومنهج حياته ، ومن الناحية الدينية تنشأ فيه ميول الحادية لا دينية بدلا من الميل الى المسيحية او الاسلام . هل من رجل له المام بالعقل يستطيع ان يعد كل ذلك من خدمة دينية ؟ هذه هي العوامل التي بموجبها لا تعتبر البعثات التبشيرية فى الدول الاسلامية على الوجه العام بعثات دينية بل تعتبر خلايا لمؤامرة خطيرة ضد الاسلام والمجتمع الاسلامي .

وانا بدوري ارجو من قداستكم ان تتأملوا نتائج هذه الطرق الخاطئة ، وتحاولوا تحسين ما تنتهجه الارساليات التبشيرية من طرق للدعوة والتبليغ ، باستخدام نفوذكم ومكانتكم .

3 — هناك شعور عام يسود عامة المسلمين نحو العالم المسيحي هو : ان العالم المسيحي يكن حقدا شديدا بالنسبة للاسلام والمسلمين . والتجارب التي نمر عليها بين حين وآخر ، تؤكد هذا الشعور وتعمقه. ومنها ما شوهد اخيرا فى الحرب التي اندلعت نيرانها بين العرب واسرائيل . فان الارتياح الذي اعرب عنه فى معظم البلاد الاوربية والامريكية بمناسبة انتصار اسرائيل على العرب ترك فى قلوب المسلمين فى سائر الدنيا اثرا اليما وجرحا لا يندمل . ولا تكاد تجد بلدا من البلاد الاسلامية الا وتراه يعتبر ما ابداه العالم



القرآن وعلومه في عهد الدولة العلوية الشريفة

للأستاذ العابد الفاسي

- 2 -

ترجمة المقريء سيدي ادريس المنجرة .

كانت وفاته فى محرم عام 1137 فى عهد مولانا اسماعيل ، وله من المؤلفات فى القراءات يشرح دالية ابن المبارك ، تعرض فيه رحمه الله كما قال ابو القاسم دراوة الشاوي للغاتها واعرابها ومعانيها وتوجيه القراءة بها فاحكم بذلك سابقها وفتح غامضها وبين اسرارها الخ . وله غير ذلك من الكتب فى الفن مع كثير من الرسائل والتقاييد مما لا يسع البحث فيه باطناب.

ومن هذا القبيل ايضا ولد المترجم قبله اتصالا شيخ القراء بفاس وخطيب مسجد الاشراف بها ، ابو زيد عبد الرحمن ابن ادريس المنجرة ، كان له تضلع كبير فى القراءات باختلاف رواتها ومشاركة فعالة فى غيرها من علوم الصناعة من لغة ونحو وتصريف . وترجمته طويلة الذيل ، وكتبه بالغة اقصى التحقيق ، ومن اهم كتبه حاشيته الكبرى على شرح الجعبري على الشاطبية وشرحه على فتح المنان ، وشرحه الدالية لابن المبارك وتوفى فى الحجة متم عام 1179 فى عهد السلطان محيي السنة سيدي محمد بن عبد الله ، ومن اراد استيفاء ترجمته فعليه بفهرسته . عذب الموارد .

ومن علماء هذا الفن الذين حازوا قصب السبق فيه الامام المقري الشهير ابو القاسم بن علي بن دراوة الشاوي ، به عرف اخذ فن القراءات على الامام الاستاذ القدوة ابى العلاء ادريس بن محمد المنجرة ، وعلى الشيخ ابي العباس احمد بن مبارك السجلماسي ، وعلى الاستاذ ابي العباس احمد التقي السجلماسي اللمطي، وكذلك اخذ قراءة حمزة فى تخفيف الهمز وما يوافقه عليه هشام على الشيخ المشارك العارف الاستاذ سيدي محمد بن عبد الرحمن البصري المكناسي ، واجازه بخط يده . ومن شيوخه فى الفن ايضا الامام الراضي ابن عبد الرحمن السوسي، وقد كان من موالي السلطان الجليل مولانا اسماعيل ، وهي مفخرة عظيمة لهذا المترجم . وتدل مرة اخرى على ما كان لهؤلاء الملوك من شفوف واعتبار لهذا الفن . ومن كتبه التي وقفت عليها شرح دالية ابن المبارك المفراوي ، وهو شرح مفيد جدا اشبع فيه الكلام على قراءة حمزة فى تخفيف الهمز وفرغ منه فى رمضان عام ثلاثة وثلاثين ومائة والف ، وسماه (تنبيه السالك الى خيار ثمار دالية ابن المبارك) وله ايضا شرح على الشاطبية امره بشرحها شيخه سيدي احمد بن مبارك . وتقييد على الدرر اللوامع ، وشرح على باب وقف حمزة،وهشام على الهمز من حرز المعاني ، وحاشية على شرح الجعبري ، ووقفت على نص اجازة البصري المذكور له حلاه فيها بالاستاذ الحافظ المجيد اللافظ المتقن المجود ابو القاسم الشاوي دراوة مولى السلطان مولانا اسماعيل هـ .

ولم اقف على تاريخ وفاته ، وممن كان له نصيب وافر فى هذا العلم الشيخ الامام المجتهد النظار ابو العباس احمد بن مبارك السجلماسي اللمطي . ومـ عسى ان اقول فى حق هذا الرجل العظيم بحثا وعلمـ واجتهادا وبراعة وتحقيقا بحيث لو قال فيه الباحث

القدس الشريف على مصراعيه امام الهجرات اليهودية، كما كانت فتحت الحكومة البريطانية ابواب فلسطين امامها تحت انتداب عصبة الامم . ثم انها ستوفر لليهود كافة التسهيلات فى شراء الاراضي والابنية في هذه المدينة ، كما وفرتها حكومة الانتداب البريطاني قبل ذلك فى فلسطين . فبهذه الطريقة ستتحول هذه المدينة فى مدة يسيرة الى مدينة يهودية محضة ، يسيطر عليها اليهود الذين لا يحترمون المقدسات المسيحية ولا المقدسات الاسلامية .

اعتذر الى قداستكم هذه الصراحة فى هذا الرد المسهب على رسالة قداستكم . الا اني كنت ارى من واجبي ان احيط قداستكم علما بما هي العقبات الحقيقية التي تحول دون تحقيق السلام ، والتي تمس الحاجة الى الخطوات الفعلية لازاحتها . واكرر مرة اخرى ان تعلمونا بما اذا كان هناك من تصرف صادر من العالم الاسلامي يصبح عقبة فى تحقيق السلام العالمي . واني سأستخدم النفوذ الذي اتمتع به ، الى حد ما ، فى العالم الاسلامي لازاحة هذه العقبة ، واسترعي انتباه قادة العالم الاسلامي ايضا الى ذلك . والسلام على من اتبع الهدى .

أبو الاعلى المودودي

امير الجماعة الاسلامية بباكستان

ـ صخرا على صخر !! ـ

اقول لهم في ساعة الدفن : خففوا
علي ، ولا تلقوا الصخور على قبري
الم يكف هم واحد قد حملته
فاحمل بعد الموت صخرا على صخر

احمد شوقي

الفاسي هذا الف الكثير في هذا الفن ، وتعرف له عدة موضوعات حرر فيها المناط وكان له القول الفصل في ميادينها ، ومن كتبه في هذا الفن كتاب المحاذى الذي يقع في مجلدين ، واسمه الكامل : (اتحاف الاخ الاود المتداني لمحاذي حرز الاماني) . او (وجه التهاني بما يفك اسر العاني من فوائد النشر وكنز المعاني) . وقد اتى رحمه في هذا الكتاب بالشيء الغريب المدهش وكان عند القراء المغاربة في العصور المتأخرة بمنزلة المدونة في فقه مالك .

اما بقية كتبه في الفن فهي الاتية :

شرح دالية ابن المبارك السجلماسي في وقف حمزة وهشام على الهمز وهو المسمى بالقطوف الدانية في شرح الدالية .

وحاشية على شرح الجعبري لحرز الاماني .

وحاشية على الجرابردي لشامية ابن الحاجب التصريفية وهي تمت الى القراءات بالشيء الكثير في سفر ضخم .

وطبقات المقرئين .

وفهرسة اشياخه في القراءات نظما وفهرسته النثرية .

تسهيل المعارج الى تحقيق المخارج جزء متوسط حاز الدرجة العليا في تحقيق مخارج الحروف وصفاتها.

ونظمه في سر تقديم احدى وجهى الخلاف في الاداء سماه ابراز الضمير في اصرار التصدير .

واغلب هذه الكتب قد قراناها وعرفنا كثيرا من فصولها الممتعة وحتى حاشيته الكبرى على شرح الجرابردي ، فقد وقفت على نسخة منها بخط المؤلف بالخزانة الملكية رقم 3058 ، ويوجد بأول ورقة منها بخط الامير الصالح ما صورته بنصه ولفظه : اشتريناه من ورثة شيخنا المذكور آخر المحققين من لم يدركه في هذا الفن المتقدمون سليمان . وعقب هذا كتب الامير المذكور كلمات اصابها تلاش يفهم من فحواها وقف الكتاب المذكور على العالم بهذا الفن ، واجوبة المترجم كثيرة في الموضوع ربما بلغت المجلدات .

والشيء الذي نأسف لعدم العثور عليه هو كتابه في طبقات المقرئين ، وترجمة هذا الشيخ واسعة جدا ، ولا تزال آثاره العلمية ناطقة بعلو كعبه ومشاركته في كثير من الفنون ، وقد ترجمه كثير من تلاميذه سواء في مطلق العلوم او في خصوص الدراسات القرءانية ، وقد قسم ابو الربيع الملك الصالح في ترجمته من العناية تلاميذه الى اربعة اصناف . صنف اخذوا عنه قراءة القرءان بالروايات افرادا وجمعا مع تحقيق احكامها في مجالس الدرس ، وصنف اخذوا عنه قراءة القرءان كذلك ، لكن لا مع تحقيق الاحكام بل بمجرد الدراسة او السماع فقط . وصنف اخذوا عنه ما سوى القراءة واحكامها من فنون العلم فقط . وصنف اخذوا عنه كلا من القراءة باحكامها وغير ذلك من سائر فنون العلم — ثم فصل الامير تلك الاصناف وعين لكل صنف جماعات عدا الصنف الاول ، ثم قال : واني والحمد لله من هذا القبيل فقد قرات عليه ختمات شتى من كتاب الله برواية ورش عن نافع قراءة تثبت وتجويد ، واستفدت من علومه بالمذاكرة في غالب الفنون ما وجدت بركة الانتفاع به في ديني ودنياي وسمعت من حكمه ومواعظه ووصاياه ، ونصائحه ما تتأثر به القلوب القاسية وتنقاد له النفوس الابية . الى آخر كلامه ، توفي رحمه سنة اربع عشرة ومائتين والف .

ومن المتأخرين ممن برزوا ايضا في هذا الفن الاستاذ المقري الكبير ابو العلاء ادريس بن عبد الله الحسني الودغيري عرف بالبدراوي ، اخذ هذا العالم عن عدة اشياخ ، في مقدمتهم : شيخ القراء في عصره ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي عن شيخه المنجرة عن والده .

خطب بمسجد الرصيف ثم بالقرويين لمدة معينة وكانت وفاته في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام في محرم سنة تسع او ثمان وخمسين ومائتين والف ، وترك من الكتب في هذا العلم عدة انظام ورسائل ومؤلفات ، منها حاشية على الجعبري على الشاطبية ، وشرح الدالية للاستاذ محمد بن مبارك السجلماسي في موضوع تخفيف الهمز لحمزة وهشام ، وكتابه الشهير التوضيح والبيان في مقرا نافع المدني بن عبد الرحمن ، ورسالته في همزة الوصل وفي الالف التي تزاد في الخط .

ومن كتبه القيمة شرحه على نظمه المسمى (عمدة البيان) ، وموضوعه ذكر المحذوف في القرءان من الفات وردت في المصحف كما رواها نافع رتبها على حروف المعجم ، وكانت بين المترجم وبين السلطان ابي الربيع علاقة قوية ، وحين نظم حقيقة الروم والاشمام في ابيات ثلاثة قال فيها على طريقة الغزل :

انه اكبر من كل ترجمة تحاول استقصاء معارفه ومشاركته لكان صادقا فى قوله وكل مؤلفاته وكتبه تدل على عبقرية نادرة قل وجود مثيلها فى كثير من الازمان ، وحسبنا الان ان نتحدث فى جملة موجزة عن براعته فى فن القراءات ، وقد عثرت له على الشيء الكثير من مقيداته فى بحوث خاصة تتعلق بهذا العلم ، ومن عادته رحمه الله فى كتابته ان يحيط بالمسألة خبرا من جميع جهاتها ويصدر حكمه الفاصل عن روية واستنتاج صحيح ، وقد ذكر له تلميذه ابو القاسم الشاوي شرحه على دالية ابن المبارك ، قال : وقد شرح بعضها ايضا الفقيه المشارك العالم الزاهد الاستاذ المجود شيخنا ابو العباس سيدي احمد بن مبارك السجلماسي اللمطي فتصفحته عنده ، وربما استفدت منه مسائل ... اتى فيه بالقول الجميل وبالمباحث التي يعجز عنها علماء هذا الجيل .

وفى عصر السلطان ابي الربيع سليمان بن محمد العلوي بلغ هذا العلم درجة كبيرة فى الاوساط حيث كان السلطان المذكور متشبعا بروح القرءان وتعاليمه متفانيا فى احياء علومه ودراسة قراءاته ، مهتبلا باخذ الفن عن شيوخه المبرزين فيه ، والتاريخ يحدثنا عن علاقته المتينة التي كانت بينه وبين شيخه الاستاذ الكبير شيخ القراءات والمبرز فى علوم اللغات ابي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي الفهري حتى بلغ من اجلال السلطان المذكور له ان وضع تأليفا خاصا فى بيت شيخه وعائلته سماه : (عناية اولي المجد بذكر آل الفاسي بني الجد) ، واني لاستغرب من بعض الباحثين الذين يستفيدون بعقولهم ومألوفاتهم ان يؤلف امير وسلطان فى بيت من البيوتات العلمية او أسرة من الاسر العريقة لسبب من الاسباب يحمله على ذلك ، ويقولون كيف يمكن ان يتنازل امير من سموه وعرشه الى التأليف والتنويه بافراد من شعبه ، والعادة ان العلماء من افراد الشعب هم الذين يكتبون فى مناقب امرائهم وحوادث ايامهم ، نقول لهؤلاء مهلا على رسلكم فليس الناس سواء وليس الامراء او الملوك فى هذه الدولة العلوية الشريفة كباقي الامراء او بعضهم فى دول اخرى . وقد قدمت ذلك فى طليعة المقال ما كان عليه رؤساء هذه الدولة الشريفة من اجلال واعظام واكبار لاهل العلم عموما . وقد ذكروا فى تاريخ مولاي الرشيد انه كان يحضر دروس العلماء بالقرويين ويناقشهم فى دقائق المسائل ، وقد قال العلامة ابو علي اليوسي فى احدى رسائله لمولانا اسماعيل . بعد كلام فى العلم ورفع درجة اصحابه ، قال : ثم جاء المولى الرشيد بن الشريف فاعلى للعلم مناره واوضح نهاره واكرم العلماء اكراما لم يعهد واعطاهم ما لم يعد ، ولا سيما بمدينة فاس ففضح من قبله واتعب من بعده الخ .

وهكذا قالوا فى السلطان مولانا اسماعيل فى تقدير العلماء والاعلاء من شأنهم ورفع مقاماتهم حتى ان المؤرخين نقلوا عنه بمناسبة حفلة اقيمت بالقصر العامر حيث ختم الامام محمد بن الحسن المجاصي تفسير القرءان الكريم . حكوا عنه اشياء غريبة فى تواضع الملك الجليل مما كان له وقع كبير وصدى عظيم فى كل الاساط الاسلامية داخل البلاد وخارجها حتى بلغ اثره مختلف البلاد الاسلامية ، وقد اشار الى هذه الحادثة التي تدل على سمو اخلاق اتصف بها مولانا اسماعيل — الشيخ مرتضى الزبيدي فى شرح الاحياء ، ونقله عنه العلامة مؤرخ الدولة العلوية سيدي عبد الرحمن ابن زيدان فى كتابه « الدرر الفاخرة » ، وهذه اعظم فى الواقع منقبة من التاليف فى شعبة حملت نور العلم قرونا متتابعة ، وكان لاحد امرائنا الجلة علاقة قوية باحد افرادها ممن كان له تضلع قوي في كثير من العلوم وخاصة فن القراءات باسلوبها العلمي، على ان الامر ينتهي التردد فيه بنص نذكره الرحالة بلقاسم الزياني فى كتابه « جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان فى ذكر اشياخ مولانا سليمان» قال عند ذكر مؤلفات الامير المذكور : (ثم تاليفه في السادات الفاسيين وذكر نسبهم وعلمائهم بالاندلس وبفاس لما استوطنوها ، وذكر جميع من كان من علمائهم وصلحائهم واهل الخير اظهارا لمكارمهم ومحبة فى جانبهم وحرصا على بقاء ذكرهم وذهاب اكثرهم تكرمة لشيخهم الذي اخذ عنه ، وهو الفقيه المقريء الكبير والعلم الشهير السيد محمد بن عبد السلام الفاسي رحمه الله) .

فهل يمكن بعد هذا النص ان يتطرق وهم فى صحة نسبة التاليف الى هذا الامير الصالح ، وهنا يقال : قد قطعت جهيزة قول كل خطيب .

ومن الملاحظ ان هذا النص صادر من شخص له مشاحنات ومنازعات مع افراد من اهل هذا البيت معاصرين له ، وليس المحل مناسبا لاتمام هذا البحث وكيفما كان الحال فان الامير ابا الربيع نفسه كان احد شيوخ هذا الفن والمتعاطين له بامعان وعمق ، وقد وقفت له عن رسائل تكلم فيها باسهاب عن اشكالات وانتقادات خطرت بباله فى كثير من وقوف القرءان التي يرتئيها الامام الهبطي ووافقه على كثير من ابحاثه جماعة من اهل العلم فى عصره . والشيخ ابن عبد السلام



وترهات بعض المستشرقين

للأستاذ عبدالله العمراني

- 2 -

مغامز أخرى :

كنت اود لو اجد فسحة من الوقت لكي أتتبع كل مغامز هؤلاء المستشرقين الذين ما حسبوا ان القرءان اسمى من ان تناله اذايتهم وتخرصاتهم ؛ وانه أقوى واصلب عودا ، وأكثر صمودا في وجه من يحاولون - عبثا - نغمازه كتغماز التين ؛ ولكن ما لا يدرك كله . لا يترك بعضه او جله كما قيل . ولهذا اكتفي هنا بتتبع بعض النقاط تكملة للبحث الذي بدأته في العدد الماضي من هذه المجلة الغراء .

أمية النبي (ص) :

يحاول هؤلاء المستشرقون أن يضللوا ابناء جلدتهم بما يكتبونه عن الاسلام ، ويحاولون في نفس الوقت ان يشككوا المسلمين في بعض معتقداتهم التي ايدها التاريخ ، وشهد بها العقل ، واتفقت عليها الامة الاسلامية جمعاء ، وعززها البحث العلمي الصحيح ، كما اظهرت بعض النقوش التي اكتشفت في شبه الجزيرة العربية صدق ما جاء به القرءان ، ونص عليه في بعض سوره .

ومن علائم التضليل التي يلجأ اليها هؤلاء ، استشهادهم ببعض الآيات والاحاديث على طريقة « ويل للمصلين » اي أنهم ياتون بما قال الكفار المعاندون للنبي (ص) وصحبه ، ويتركون الجزء الخاص بالرد عليهم من القرءان ؛ فها هو ذا المستشرق الانكليزي الذي أشرنا اليه آنفا يقول :

« اتهم الاخيرون (يقصد اهل مكة) النبي بأنه كان يدون الخرافات واساطير الاولين التي حكاها له الاجانب » .

وهو يشير بذلك الى جزء من الآيات الكريمة (4 - 6) من سورة الفرقان ، قال تعالى : « وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا ، قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض » .

ولعله يستند في احتجاجه ببعض هذه الايات الى كلمة (اكتتب) التي من معانيها : كتب ، ولا حجة له في ذلك من عدة اوجه :

1 - ان معنى اكتتب هنا : استكتب او استنتج، اي طلب ان يكتب له ، ان عرب شبه الجزيرة كانوا ادرى بلغتهم ؛ اذ لو كانوا ارادوا خط يده وتدوينه هو لما يلقى اليه ، لكانوا قالوا - بكل بساطة - : (كتبها) ولكنهم قالوا : اكتتبها أي انه طلب من شخص آخر ان يتولى الكتابة عنه ؛ تماما كما نقول اليوم : « اكتتب الشعب المغربي لنكبة فلسطين بعد حرب خامس يونيه 1967 » اي ان افراد الشعب المغربي طلبوا تسجيل اسمائهم ضمن المتبرعين للنكبة ، لا ان كل فرد تولى كتابة اسمه بنفسه . ولا يعكر على هذا المعنى جملة (تملى عليه) فمعناها : تقرا عليه اي على كاتبه ، فهنا تجوز كما لا يخفى ، اذن لا حجة لهذا المستشرق ومن لف لفه في قول المكيين وادعائهم .

ضممت لاشمام لتفعل مثلـــه
فضنت وجاءت فى القراءة بالاصل

فرمت باخفاء لكي تدرك المنـــى
فقالت اشيخ الذكر فاقراه بالوصل

فان وقوفي يقتل الصف حسنه
فقلت لها قفي فقد لذ لي قتلـي

والابيات الثلاثة المذكورة نقلها المترجم فى كتابه التوضيـــح .

ونقل المؤرخ الشريف ابن زيدان ان السلطان ابا الربيع اجازه عنها بمائة مثقـال لكـل بيت . وكتابـه التوضيح هذا مفيد جدا فى بابه ، وقد الفه باشارة من الملك العادل ابى الربيع كما ذكره المترجم . وكانـت بينه وبين الشيخ المقري الاستاذ اللغوي ابي الحسن علي اللحلاح مناقشـات ربما بلغـت الحدة فى بعـض مراحلها ، وكان اللحاح هذا بارعا فى الفن ايضا ، ولـه موضوعات فى القراءات وغيرها ، منها حاشية له على شرح لامية الافعال لابن عبد السلام الفاسي المذكور اولا

وممن برع فى هذا الميدان من المتأخرين شيخنا العلامة شيخ الجماعة ابو العباس سيدي احمـد ابن الخياط الزكاري الحسني ، له حاشية على كتـــاب التوضيح لشيخه سيدي ادريس الودغيري المتقـدم الذكر ، ومنها رسالة فى شرح مخارج حروف خاصـة يقع اخراجها من غير مخارجها فى تلاوة كثير من القراء كالجيم والتاء والقاف والضاد ، ومنها تلخيصه لكتاب القول الوجيز فى قمع الزاري على حملـة كتـاب الله العزيز للامام ابى عبد الله بن عبد السلام الفاسي وهو فى الاصل جواب عن اسئلة ترجع الى علم القراءات .

وقد بقي علينا الحديث عن شخصية لامعـة فى هذا الفن ايضا وهو الاستاذ العلامـة ابو علي الحسن ابن محمد اللجائي دارا المدعو كنبور ، وان اتاحت لنا الفرصة عدنا الى ترجمته فى ذيل نتعرض فيه لكثير من هؤلاء العلماء المغمورين الذين لا يذكرون فى المجامـع التاريخية الا قليلا .

هذه خطرات وارتسامات تتعلـق بنشـاط فن القراءات فى الازمنة المختلفـة لهـذه الدولة العلويـة الشريفة التي برهنت فى جميع حقبها التاريخية على ما لها من رغبة صادقة فى نصرة هذا الدين الاسلامـي والاخذ بيد حملة العلم القائمين بالدعوة الى ديـن الله والاستمساك بعروته الوثقى .

ولسنا ندعي ان هذا البحث القصير يفي بجزء من آلاف الاجزاء مما يلزم ان يقال ويكتب هنا سواء فى فاس او غيرهـا من مختلـف العواصـم المغربيـة . ويتعين ان نستحضر هنا مراكش ، ودكالة ، والاخماس وبني يحمد ، وبني زروال ، والجايـة ، وشفشـاون ، والقصر الكبير ، ومناطق سوس الشاسعة ، وازمور ، والرباط وتمكروت ، وسلا ، وغير ذلك من الاقاليـم والقرى التي لا تقل درجة عن فاس وناحيتها .

وانما هدفنا الان ان نلم المامة ونشير اشارة الى ما كان لهذه الشعبة من شعب علوم القرءان من المكانة والاعتبار سواء فى الاوساط الشعبية او عند ملوكنـا العلويين قدس الله ارواحهم ، وبذلك نضع اللبنـة الاولى فى هذا البحث الذي نرجو ان يتسع ويأخـذ حظا وافرا من اوقات اهل العلم والدراية .

وجلالة مولانا الملك الحسن الثاني الذي له القدح المعلى فى هذه المضمارات هو الذي نوجه الى جلالتـه الرغبات الملحة فى احياء هذا الفن وتنشيط علمائـه وفتح لمعاهد العالية له على غرار ما فعل حفظه الله فى دار الحديث الحسنيـة وهي مأثـرة عظيمة لجلالـة الحسن الثاني ستبقى مخلدة له فى صفحاته الذهبية . نريد من جلالة الملك ان يتوجه بانظاره الشريفة الـى احياء هذا الفن الذي اشتغل به اسلافه الاكرمـون ، ونرى ادخال هذهالشعبة القرآنيةالىالمعاهد والجامعات شيئا ضروريا ، وله اثر قوي فى الرفع من مستواها فى فقه اللغة والادب ، حفظ الله مولانا الامام واحيا به ما اندرس من هذه الفنون الاسلامية العتيقة ، وبارك في ولي عهده وسائر افراد عائلته الكريمة .

فاس : العابد الفاسي

ببصره بنفسه ، او يصل الى سمعه فى ظلمات صحراء العرب ، ولم يضره ، ولم يزر به انه لم يعرف علــوم العالم ، لا قديمها ولا حديثها ؛ لانه كان بنفسه غنيا عن كل ذلك ؛ ولم يقتبس محمد من نور اي انسان آخر ، ولم يغترف من مناهل غيره (2) » .

اما الكاتب الامريكي هليــر V M. Hillyer فيقول : « ومن وقت لآخر ، كانت تنزل على النبي آيات من السماء ، ولما لم يكن فى استطاعة النبي ان يقرا او يكتب ، فقد كلف آخرين ان يكتبــوا لــه على سعــف النخل ، وعند ما جمعت تلك الآيات تالف منها كتــاب كبير هو القرءان الكريم (3) » .

هذا ، والصحيح المعول عليــه ان اميــة النبــي العربي كانت امرا لا جدال فيه الا من المكابرين المعاندين، ولأميته (ص) دلائل قاطعة اهمها :

ا ــ هذا الجيش العرمرم من جلة الصحابة الذين كانوا يتولون كتابة الوحي عنه ؛ وفيهم من تولى الخلافة عنه وهم ابو بكر عبد الله بن ابي قحافة ، وعمــر بــن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب ؛ وفيهم غير هؤلاء الزبير بن العوام ، وعبد الله بن مسعــود ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية بن ابي سفيان، وكان هذان الاخيران أكثرهم كتابة عنه (ص) . وهناك آخرون سنذكرهم فيما بعد .

فلو كان صلى الله عليه وسلم يقــرا ويكتــب ، لتولى الكتابة بنفسه ، فذلك اسلم لمن يريد التعديل والتحوير فيما يكتب ؛ اما اذا سجله مسجلون ، ودونه كتاب ، فلا مجال بعد ذلك لاي تعديل او تنقيح .

ب ــ حينما كانت قريش تستعد لغزوة أحــد ، وتتأهب لتثار لقتلاها فى غزوة بدر ، بعث العبــاس بن عبد المطلب ــ وكان بمكة ــ كتابا الى ابن اخيه النبــي (ص) يخبره باستعداد قريــش وخروجهــم اليــه . استدعى الرسول عليه السلام كاتبه ابــي بن كعــب ، وطلب منه قراءة الكتاب ؛ وحينما انتهى أبي من قراءته استكتمه النبي ما فيه . . . وهذا دليل على أميته (ص) لانه لو كان قارئا لقراه هو ، وكفى نفسه مئونة تكليف ابي القراءة ، ثم استكتامه فحوى الكتاب .

ج ــ ما وقع فى تحرير معاهدة صلح الحديبية ، فقد املى النبي على كاتبه قوله : « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . . . » فقال سهيل ممثل قريش : « والله لو كنا نعلم أنك رسول الله مــا صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتــب : محمد ابن عبد الله » . فقال صلى الله عليه وسلــم : « والله اني لرسول الله ، وان كذبتموني . . . » ثم قال لعلي : « امح (رسول الله) » ، فاجاب كرم الله وجهه : « والله لا امحوك ابدا » ، فقال (ص) « ارينه » فاراه اياه فمحاه بيده الشريفة (4) .

فلو كان الرسول الاعظم يقرا ويكتب ، لمحا الكلمة دون مساعدة احد .

د ــ ومثل ذلك وقع حينما وفد على النبي (ص) وفد ثقيف وسألوه شروطا ، فقال لهم : « اكتبوا مــا شئتم ثم ائتوني به » . وطلبوا من سيدنا علي ان يكتب ويحل لهم الربا والزنا فأبى . وسألوا كاتــب الوحــي الثاني خالد بن سعيد بن العاص ان يكتب ؛ فنبهه علي الى مطلبهم الصعب ، فقال خالد: اكتب ما قالوا ورسول الله اولى بأمره .

فلما قرئت الشروط على النبي ، وانتهى القارىء الى كلمة « الربا » قال النبي للقارىء : ضع يــدي على الكلمة ، فوضعها فقال : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا » ثم محا الكلمة . . . وفعل (ص) مثل ذلك حينما بلغ القارىء كلمة « الزنــا » أي انــه طلب وضع يده عليها فلما وضعها قرا : « ولا تقربــوا الزنا » ثم محاها . وامــر بالكتــاب ان ينسـخ مــن جديــــد (5) .

هـ ــ ومن الادلة القاطعة على اميته صلى الله عليه وسلم تلك الآيات الكريمة المتعددة الواردة فى القرءان المجيد : قال تعالى : « هو الذي بعث فى الاميين رسولا منهم . . . » وقال : « الذين يتبعون الرسول النبــيء الامي . . . » وقال عز من قائل : « وما كنت تتلــو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك » .

لغــــة القــــرءان :

يقول متعنت : « وفيما يتعلق بالاخيــر (يعنــي القرءان) يوجد جدال ــ كما سنرى بعد ــ حول ما اذا

---

2) الابطال (ترجمة محمد السباعي) ، ص 50 .
3) تاريخ العالم (ترجمة ابراهيم ميخائيل عودة) ص 251 .
4) جمهرة رسائل العرب ج 1 ، ص 31 .
5) ابراهيم الابياري : تاريـخ القرءان ص 49 .

2 – وعلى فرض ان اكتتب بمعنى كتب ، ففي الامر حينئذ شيء من التجوز ايضا ، كما تقول : « جاءني فلان » وانت تقصد خطابه او رسوله . ويكون معنى « تملى عليه » تملى على كاتبه كذلك .

3 – ان قول المكيين لا يمكن ان يتخذ حجة على معرفة النبي (ص) القراءة والكتابة ، لان المكيين خصوم، وكلام الخصم لا يطمأن اليه ، وحكمه لاغ لانه خصم ، والخصم لا يمكن ان يكون حكما .

4 – ان القرءان الكريم صريح فى الرد على هذا الراي القائل ؛ وهو اجدر بالتصديق من قريش .

هذا وقد أورد هذا المستشرق معنى هذه الاية ايضا فى ص 62 من كتابه دون ان يكلف نفسه مئونة الاتيان بما قبلها وما بعدها ، لان ما قبلها وما بعدها حجة تدمغ اقوال المكيين ، وتفيل رأيهم ، وتفند راي من يسير فى ركابهم من المستشرقين المتعصبين .

ويقول فى موضع آخر (ص 57) : « وعلى اي حال ، فهناك اثر او حديث مبكر يقول : انه (يعني النبي ص) هو نفسه قد كتب فى اليوم الذي ابرمت فيه معاهدة الحديبية . وليس من المحتمل قطعا ان النبي كان مطمئنا وواثقا بشركائه ليقراوا له رسالة او – فى ايامه الاولى – وثيقة (بوليصة) شحن ، ومن المدح الهزيل ان تدعوه بالنبي الامي كما يفعل بعض اتباعه » .

ويقول مستشرق آخر فى كتابه : محمد والقرءان (ص 179) ناقلا عن حديث ، الله يعلم من اين اتى به ، لانه – كسابقه – لا يشير الى المصدر الذي استقاه منه – يقول : « ومن جهة اخرى – حسب حديث آخر – عندما كان محمد يعقد مع المكيين هدنة الحديبية ، وعند ما دعا سكرتيره ليتولى تحرير نص المعاهدة ، صاح فى وجهه ممثل القرشيين سهيل قائلا: لماذا لا تكتب أنت نفسك ؟ مما يشير الى ان المكيين لم يكونوا يعرفونه اميا » .

فأيا من هذين المستشرقين نصدق ؟ الانكليزي ام الاسباني ؟ الاول الذي يعتمد حديثا ويزعم ان النبي (ص) تولى كتابة شروط المعاهدة بنفسه ؟ ام الثاني الذي يعتمد حديثا ايضا ويدعى ان ممثل قريش (سهيل بن عمرو العامري) عنف النبي وطلب منه تحرير المعاهدة بنفسه ؟ ليس احدهما بل كلاهما جديرا بالتصديق ؛ فلن نصدق الا التاريخ الذي هو اعظم شاهد يشهد بأن النبي (ص) استدعى سيدنا علي ابن ابي طالب – احد كتاب الوحي – ليتولى تحرير الشروط التي كان يمليها الرسول عليه السلام ، بينما كان سهيل يتدخل احيانا لتصحيح بعض الكلمات او املاء بعض الشروط . وفى اعتقادي ان ليس هناك أثر خاص او حديث مأثور ، استند اليه هذا او ذاك ، كل ما فى الامر أنهما مخطئان ، ومصدر خطئهما سوء فهمهما للنقاش الذي دار بشأن تحرير شروط الحديبية . فقد امر رسول الله (ص) كاتبه علي بن ابي طالب أن يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل : « لا أعرف هذا ؛ ولكن اكتب (باسمك اللهم) كما كنت تكتب[1] » .

فهذه العبارة (اكتب .... كما كنت تكتب) كانت الفخ الذي وقع فيه هذان الكاتبان . وزيادة في الايضاح أقول : كانت قريش تبدا كتبها بعبارة (باسمك اللهم) وكذا كان يفعل رسول الله فى بعض كتبه حتى نزل قوله تعالى : « وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها » فكتب (بسم الله) ، ثم نزل « قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن » فصار يكتب (بسم الله الرحمن) ولما نزل قوله تعالى : « انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم » اصبح النبي يصدر رسائله كلها بالبسملة كاملة .

وهكذا نرى ان ممثل قريش حينما قال (اكتب ... كما كنت تكتب) انما كان يعني : من كاتبك ان يكتب الجملة التي كنت تستفتح بها كتبك من قبل .

ويتحدث الكاتب الحر توماس كارليل عن امية محمد (ص) فيقول : « ... ثم لا ننسى شيئا آخر وهو انه لم يتلق دروسا على استاذ ابدا ؛ وكانت صناعة الخط حديثة العهد اذذاك فى بلاد العرب . ويظهر لي ان الحقيقة هي أن محمدا لم يكن يعرف الخط والقراءة وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء واحوالها ؛ وكل ما وفق الى معرفته هو ما امكنه ان يشاهده بعينيه ، ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية .

« وعجيب – وايم الله – امية محمد ! نعم ، انه لم يعرف من العالم ولا من علومه الا ما تيسر له ان

---

1) الاستاذ احمد زكي صفوت : جمهرة رسائل العرب ، ص 30 – 31 .
الدكتور محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص 363 .
الشيخ محمد الخضري : محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ج 1 ، ص 126 .
الدكتور حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج 1 ، ص 166 .

غير ان بعض المستشرقين وتبعهم بعض الباحثين العرب ، استغلوا اسلوب القرءان المستقل هذا ليزعموا ان القرءان ليس شعرا ولا نثرا . وهدفهم من وراء ذلك تأكيد شكوكهم حول وجود نثر فني عربي في العصر الجاهلي يستحق منهم الدراسة ؛ مع ان القرءان نزل ليتحدى الناثرين فى الجاهلية ، فان عجزوا عن محاكاته والاتيان بمثله ، كان ذلك احد اوجه اعجازه،وكان ادعى لتصديق محمد فى رسالته الخالدة.

واسلوب القرءان هذا هو الذي خدع العبريين زمن النبي (ص) فقالوا : ان القرءان شعر والنبي شاعر، ذلك انهم قبل ان يقتبسوا من العرب الوزن والتقفية ، لم يكونوا يشترطونهما فى شعرهم فظنوا القرءان شعرا.

معنى اقرأ :

ان ترجمة القرءان الى اية لغة اوربية تفقده كثيرا من معانيه السامية ، وجمال أسلوبه البديع ؛ وها هوذا أحد الغربيين يشهد بذلك قائلا : « والواقع ان كثيرا من المترجمين الاوائل لم يعجزوا عن الاحتفاظ بجمال الاصل فحسب ، بل كانوا الى ذلك مفعمين بالحقد على الاسلام الى درجة جعلت ترجماتهم تنوء بالتحامل والتفرض . ولكن حتى أفضل ترجمة ممكنة للقرءان فى شكل مكتوب لا تستطيع أن تحتفظ بايقاع السور الموسيقي الآسر ، على الوجه الذي يرتلها به المسلم ، وليس يستطيع الغربي ان يدرك شيئا من روعة كلمات القرءان وقوتها ، الا عند ما يسمع مقاطع منه مرتلة بلغته الاصلية (11) » .

وفى نطاق ذلك العجز المشفوع بالحقد والتحامل والتفرض ، ما نجده عند الذين حاولوا ان يهزاوا بالعرب والعروبة والاسلام حينما ترجموا بعض مفردات القرءان بما يتفق وهواهم ودعاويهم المغرضة . لقد فسروا لنا — مثلا — كلمة (اقرا) التي وردت فى الحديث النبوي الشريف ، وافتتحت بها أول سورة نزلت من القرءان تفسيرا مدهشا ، وغرضهم من ورائه بالطبع ان يفهموا القارىء العربي ما لم يكن ليفهمه من الكلمة الاصلية ، او يحملوا تلك الكلمة ما لا تقدر على تحمله .

اجل ، انهم يترجمون كلمة (اقرا) بكلمة (سمع) او (اعرض بلغة « المسيد » عندنا) فهذه الترجمة في نظري تقتضي ان النبي (ص) سبق له ان كتب او قرا وحفظ هذا الذي يطلب منه تسميعه او عرضه ؛ تماما كما يسمع التلميذ او يعرض درس محفوظات سبق له ان كتبه او قراه وحفظه اما فى الفصل الدراسي او خارجه . وممن ترجم الكلمة بهذا المعنى ارنست رنان (23 — 1892) Ernest Renan المشهور بتعصبه وشعوبيته ضد العروبة والاسلام والساميين عموما

وهكذا نجد من كانت لغته اسبانية مثلا لا يترجم الكلمة (اقرا) بلفظة Lee بل يترجمها بـ Recita ومن كان انكليزي اللغة ترجمها بـ Recite بدل Read وهكذا . بينما كلمة اقرا هنا تتضمن شيئا جديدا ؛ شيئا من المبادهة او المفاجأة ، اي ان النبي (ص) لم يسبق له ان قرا او دون شيئا بيده ، وانما هو سيتلو ما يمليه عليه جبريل عليه السلام . فالقراءة فى رايي تشمل ثلاثة انواع :

ا — ان ينظر الواحد منا فى ورقة او رسالة او كتاب ، فيقرأ ما يقع عليه بصره ، اما سرا واما جهرا .

ب — ان يقرا او يردد ما يقال له ؛ كما يفعل الاطفال الصغار قبل ان يتعلموا الخط ؛ ولا تكون هذه القراءة الا جهرا .

ج — أن يقرا ما كان قد كتبه او حفظه . وكما تكون هذه القراءة سرية تكون جهرية ، فان كانت جهرية كانت تسميعا كل هذه المعاني ممثلة فى القرءان الكريم :

فالمعنى الاول يوجد فى مثل قوله تعالى فى سورة الاسراء خطابا للشخص المحاسب يوم القيامة : « اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » . وورد عن قتادة رضي الله عنه : ان الذي لم يكن فى الدنيا قارئا يكون قادرا على القراءة ذلك اليوم (12) ... وقد ترجم الامر بالقراءة فى هذه الاية الكريمة ترجمة صحيحة : Read (13) .

ويوجد المعنى الثالث فى مثل قوله تعالى فى سورة المزمل خطابا للمصلين : « فاقراوا (13) ما تيسر من القرءان ... فاقراوا ما تيسر منه » وكذا فى سورة الاسراء « وقرءانا فرقناه لتقراه على الناس (13) على مكث » ... فقد ترجم فعل القراءة هنا بالمرادف

11) روم لاندو : الاسلام والعرب (ترجمة منير البعلبكي) ص 36 — 37 .
12) الزمخشري : الكشاف ج 2 ، ص 354 .
13) N. J. Dawood: The Koran, p.p. 235, 59, 228, 26, ed. 1961.

كانت اللغة التي املى بها محمد كتابه كانت دارجة قرشية رفعت فيما بعد الى درجة اللغة الرسمية للعرب ، او انها كانت لغة ادبية ، ذلك الفن المستخدم بصفة خاصة لدى الشعراء ، عربية المعلقات او القصائد التي نالت الجوائز فى مواسم عكاظ ، والتي جمعت في ديوان الحماسة (6) » .

واقول لهذا ما ذا ترى من فرق جسيم بين لغة قريش ولغة المعلقات ؟ هل لغة قريش هي شيء آخر غير تلك اللغة التي كان يقرض بها شعراء الجاهلية مثل عنترة وزهير والنابغة أشعارهم ؟ هل يوجد خلاف بين لغة هؤلاء الشعراء ، ولغة القرءان الكريم ؟ .

ان احدا لا يستطيع ان يتصور وجود خلاف بين لغة هؤلاء الشعراء وامثالهم ، وبين لغة قريش ؛ او بين هاتين وبين لغة الشعراء الجاهليين الذين وصلتنا أشعارهم ومعلقاتهم ، فلغات القبائل العربية — ان صح ان نطلق على لهجة كل قبيلة لفظ لغة — هي ذات منبع واحد ، وأصلها لا يختلف ، وقد اختلفت الفروع اختلافات طفيفة نتجت عن تباعد المسافة وظروف اخرى محلية من طبيعية واجتماعية ؛ ولكن الاتصالات بين القبائل والتقاءاتها المنتظمة بسبب الحج والحرب والتجارة والاسواق والمواسم التي كانت تقام بين فترة واخرى ، كل ذلك جعل الصراع بين لهجاتها قائما على قدم وساق ، وجعل احداها تنتصر على ما عداها ، وهي لهجة قريش التي لم تسلم من احدى نتائج الصراع وهي احتفاظها ببقايا من اللهجات المغلوبة على امرها . وبما ان فترة الصراع بين هذه اللهجات سبقت ظهور الاسلام ومجيء الشعراء الجاهليين المعروفين لدينا ، فان القرءان والشعر الجاهلي جاء بلغة (7) قريش ، وهذا امر طبيعي ، لان القرءان — معجزة محمد الباقية — نزل ليتحدى العرب كافة ؛ هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فان الشاعر — لسان قومه والذائد عن مفاخرهم — انما كان يقرض شعره باللغة المفهومة لدى جميع العرب .

ورد فى الحديث النبوي الشريف : « انزل القرءان على سبعة أحرف». ووجه هذا الحديث عدة توجيهات من اهمها ذلك الذي يفسر الحرف باللغة ، اي ان القرءان عربي اللسان نزل معظمه بلغة قريش واقله بلغات قبائل مضرية اخرى ست هي : كنانة بن خزيمة، واسد بن خزيمة ، وهذيل بن مدركة ، وضبة بن طابخة ابن الياس بن مضر ، وبنو سعد بن هوازن بن قيس عيلان ، وثقيف بن هوازن أيضا ؛ فهذه القبائل بالاضافة الى قريش كلها مضرية ؛ ولغاتها كلها ممثلة فى القرءان الكريم ، وهي متقاربة بالطبع ؛ قد تختلف فى معنى كلمة أو فى اعرابها او فى نطق بعض حروفها ، وقد تختلف فى مثل الترقيق والتفخيم والابدال والامالة وما اشبه ، وهذا امر طبيعي فى سائر اللغات ولدى سائر الشعوب ، ولكنها — مع ذلك — كلها عربية مضرية سليمة غير ملحونة .

يقول احد الباحثين : « وهذا الوحي الهم الرسول معناه كما الهم لفظه ، فهو بمعناه ولفظه من صنع السماء ، والرسول ناطق بلسان السماء يملي على قومه ما أملته عليه السماء ، يصور ما تصور فى وعيه ، وينطق بما أنطقته السماء . ولسان الرسول عربي ، ولهذا جرى القرءان على لسانه عربيا (8) » .

وفى هذا المجال يقول احد العلماء : « القرءان معنى قديم قائم بذات الله تعالى ، يلفظ ويسمع بالنظم الدال عليه ، ويحفظ بالنظم المخيل ، ويكتب بنقوش وصور وأشكال موضوعة للحروف الدالة عليه ؛ كما يقال : (النار جوهر محرق) ، يذكر باللفظ ويكتب بالقلم ، ولا يلزم منه كون حقيقة النار صوتا وحرفا (9) » .

وجمهور العلماء ومؤرخي الادب العربي على ان القرءان من نوع النثر ، وان كان يمتاز عن النثر العربي المعهود بميزات جعلت له شخصيته المستقلة واسلوبه الخاص . يقول ابن خلدون : « واما القرءان وان كان من المنثور الا انه خارج عن الوصفين (السجع والنثر المرسل) وليس يسمى مرسلا مطلقا ولا مسجعا ، بل تفصيل آيات ينتهي الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ، ثم يعاد الكلام فى الاية الاخرى بعدها ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية (10) » .

---

6) Mahoma y el Koran, p. 174

7) الدكتور علي عبد الواحد وافى : قصة اللغة ، ص 104 و 108 ، طبعة خامسة 1962 .

8) ابراهيم الابياري : تاريخ القرءان ، ص 83 .

9) محمد حقى النازلي : خزينة الاسرار ، ص 9 .

10) المقدمة ص 499 ، ط . القاهرة 1930 ، ثم الاسكندري وعناني : الوسيط ، ص 100 ، والسباعي بيومي : تاريخ الادب العربي ، ج 2 ، ص 36 ، والدكتور محمد نبيه حجاب : بلاغة الكتاب ، ص 47 ، طبعة اولى 1965 .

أعلام الإسلام في مجال البطولة:

البطولة العسكرية

بقلم الأستاذ أنور الجندي

ان اشد ما تحتاج اليه امتنا اليوم هو التماس « القدوة » فى تاريخنا والبطولة فى ماضينا والعبرة فى تراثنا العربي الاسلامي الحي المتجدد المرتبط بالحياة لا ينفك عنها . هذا التراث الحافل بالبطولات والمواقف الخالدة التي قامت على الايمان الصادق بالاهداف الرفيعة والمثل العليا والقيم الانسانية . ولطالما كان التاريخ سلاحا بعيد المدى فى مواقف التحدى وساعات الحرج التي تمر بها الامم . ولطالما كانت أعمال الابطال والقادة منارا يضىء الطريق امام الامم فى ابان يقظتها واوان التطلع الى مواقف الشرف والفخار . ما احوجنا الى مراجع هذه البطولات من وجهة نظر مسلمة ، لا تقدر البطولة الا على أنها عمل ايجابي يضيف لبنة فى بناء الاسلام نفسه ؛ وليس ذلك التقدير الغربي ، القائم على تقديس الفرد او تكريمه لشخصه ، فالاسلام ينظر الى اعلامه وقادته على انهم حملة الالوية على راس الموجات والمراحل ، يجددون شباب الاسلام فى مجالات الدفاع عنه والدعوة اليه وبناء حضارته وتصحيح مفاهيمه . ولقد كانت ابرز مفاهيم الاسلام فى البطولة هي بطولة القوة واليقظة والمقاومة والرباط فى سبيل الله .

1) فهذا « **خالد بن الوليد** » : الفاتح البطل الذي لم يهزم قط . والذي كان كالقضاء النافذ يحصد حصدا ولا يدع لخصمه فرصة للنصر ؛ فما ان يدخل المعركة حتى يتجه الى قائدها فى كتيبة من المبايعين على الموت فيبارزه ويقضي عليه فتنهار معنوية جيشه ويضطر الى التسليم ، ومن مواقفه الرائعة : مسيره بالجيش من العراق الى الشام فى مفازة لا ماء بها ، يوم اعطش الابل ثم سقاها وكمم افواهها ومضى ينحرها على مراحل الطريق فيروي الناس والخيل .

2) و « **سعد بن أبي وقاص** » : الذي اقتحم نهر دجلة برجاله فعبر الى الضفة الاخرى ، وكان العرب لا يعرفون البحر فدفع ستمائة من رجاله على راسهم عاصم بن عمر على خيولهم ، فما بلغوا الضفة الاخرى، اندفع بفرسانه الى لجة النهر فامتلأ بالخيل فلم يكن ماؤه فى تلك الساعة ليرى ، ولعله مما لم يقع لقائد أن يقود معركة حاسمة وهو منبطح على وجهه ، وفى صدره وسادة يشرف على الناس فى ميدان المعركة ويرمي بالرقاع فيها امره ونهيه ، ولكن ذلك ما وقع لسعد فى القادسية التي انتصر فيها المسلمون انتصارا مظفرا فقد كره ان يدير المعركة من وراء ستار ، فيقف ذلك فى عضد الناس ، فقال : احملوني واشرفوا به ، على الناس ، فلما واجه الجند هتفوا وهللوا فناداهم بقوله: اذا سمعتم التكبير مني فشدوا شموع بغالكم ، فاذا كبرت الثانية فتهيئوا ، فاذا كبرت الثالثة فشدوا النواجز على الاضراس واحملوا .

3) و« **عقبة بن نافع** » : الذي انطلق فى عشرة آلاف يزحف ويخترق تونس والجزائر ويذهب الى بلاد الزاب وينتصر على الروم حتى وصل طنجة ، وهناك وقف ونظر الى الشاطىء الآخر ، حيث تستوي اسبانيا، وفكر فى اقتحام البوغاز ، ولكنه فضل ان يتجه جنوبا

الصحيح في اللغة الانجليزية Recite لان القرءان هنا في معنى التسميع والتلاوة بعد الحفظ .

اما المعنى الثاني فيوجد في مثل الحديث الشريف الوارد عن السيدة عائشة ام المومنين : « ... فجاءه الملك فقال : اقرا ! قال : ما انا بقارىء ... » وفي مثل قوله تعالى : « اقرا باسم (13) ربك الذي خلق.. اقرا وربك الاكرم ... » وهذا المعنى هو الذي لم يوفق المستشرقين الى ترجمته ترجمة صحيحة ، او لم يريدوا ان يوفقوا اليها ؛ فكتبوا : Recita او Recite بينما الواجب ان يقولوا : Lee او Read فهذا هو المراد هنا :

هذا وقد وفق أصحاب مكتبة Bergua في ترجمتهم للقرءان حيث ترجموا اول سورة العلق باللفظ (14) المناسب . اما مترجم كتاب فيليب حتي « تاريخ العرب » الى الاسبانية فأتى بكلمة أخرى غير ما سبق وهي كلمة Habla (15) أي تكلم ، وهي ترجمة غير دقيقة ايضا ؛ ولكنها اخف ضررا .

وليس هذا فحسب ، بل ان سوء الترجمة قد اوقع بعضهم في غلط عربي آخر فادح فلنستمع مثلا الى N. J. Dawood وهو يقول في مقدمة ترجمته للقرءان الكريم : « واتاه جبريل الملاك ، وقال : سمع ، فأجاب : ما ذا سأسمع ؟ What shall I recite (16)

وبدهي ان هذا المعنى ليس مرادا ؛ وانما المراد : ما انا بقارىء ، أي لست في العادة من الذين يستطيعون القراءة .

لقد خفي عليهم امر (ما) هذه فحسبوها استفهامية بمعنى (أي شيء) او (ماذا) بينما هي في الحقيقة نافية بدليل الباء التي زيدت في خبرها. ولعل هذه احدى الدقائق التي لم يتفطن لها هؤلاء الذين يدعون العلم بلغة العرب وأسرارها ، ويتهجمون على القرءان ومعانيه والفاظه وتراكيبه واعجازه ؛ ومع ذلك لا يلبثون ان تفضحهم كتابتهم، وينم عنهم عجزهم ، ويعميهم الهوى والتعصب .

(يتبع) **تطوان : عبد الله العمراني**

---

14) El Koran, p. 507, 4ª ed.

15) Historia de los Arabes, traducción de L. R. Velasco, p. 90.

16) The Koran, p. 9.

قال ابو عبد الرحمن السلمي :

حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرءان ،كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما ، انهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر ءايات ، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرءان والعلم والعمل جميعا .

11) و « **النعمان بن مقرن** » فاتح نهاوند وشهيدها، وفى اشد المعارك هولا زلق فرسه فى الدماء فصرع الفرس واصيب النعمان ثم صرع ، وكانت آخر كلماته لاخيه « عجل بالبشارة الى امير المؤمنين وتناول اخوه نعيم بن مقرن الراية فدفعها الى حذيفة بن اليمان ، شارك فى فتح العراق وفارس مع المثنى وابى عبيدة وكان طليعة وفد سعد بن ابي وقاص الى يزدجرد .

ان صورة البطولة العسكرية فى تاريخ الاسلام حافلة بالمواقف الخالدة ، ليس فى مواقف الاعلام البارزين فحسب ، بل فى اعمال المسلمين الذين كانوا يؤمنون بان الحرص على الموت هو مصدر الحياة .

ولعل أصدق وصف للمسلمين فى هذا المجال هو ما صوره احد جنود المقوقس فى مصر حين قال :

« رايت قوما الموت احب اليهم من الحياة ، والتواضع احب اليهم من الرفعة ، ليس لاحد منهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، اميرهم كواحد منهم ، ما يعرف كبيرهم من صغيرهم ، ولا السيد من العبد ، اذا حضرت الصلاة لم يتخلف منهم احد » .

ولكن هل كان جانب البطولة العسكرية وحده هو اعظم جوانب البطولة الاسلامية ، الحق ان هذه البطولة كانت حافلة بالنماذج الباهرة فى كل مجال ، فالى صورة اخرى .

(القاهرة) — **انور الجندي**

قال الاحنف : راس مال الادب المنطق وفصاحته ، ولا خير فى قول الا بفعل ، ولا فى مال الا بجود ، ولا فى صديق الا بوفاء ، ولا فى ثقة الا بورع ، ولا فى صدقة الا بنية ، ولا فى حياة الا بصحة وامن .

الى بلاد السوس الادنى ، ثم سار متجها غربا بفتح البلاد حتى وصل شاطىء المحيط ، وكانت لحظة رهيبة فى حياته ، فقد دفع حوافر فرسه فى البحر حتى كاد يغمره الماء ، وهو يتطلع الى المحيط فى اتساعه ولا نهائيته ، وقال كلمته الخالدة « والله لو اعلم أن وراءك ارضا لذهبت اليها غازيا فى سبيل الله » .

4) و« قتيبة بن مسلم » : المسلم المجاهد الذي اندفع من مزارع الزيتون فى الشام حتى وصل حدود الصين ، فى جيش كثيف ، وارسل الى ملك الصين وفدا فاعادهم الملك ساخرا وقال لهم: قولوا لصاحبكم ينصرف فاني قد عرفت حرصه وقلة انصاره ، قال : كيف يكون قليل الاصحاب من اول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون ، وكيف يكون حريصا من خلق الدنيا وغزاه ، اما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فاكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه .

5) و « محمد ابو القاسم الثقفي » : فاتح السندفى الثالثة والعشرين من عمره .

و « ابو عبيدة بن الجراح » : الذي تلقى الامر بتوليه قيادة الجيش وعزل خالد فرفض ان يبلغ خالد ذلك ابان المعركة ، وكتمه عشرون ليلة حتى علم به خالد من غيره ، وظل بين جنده الذي يحبه حتى بدا طاعون (عمواس) يتفشى فى الجند ، وعلم عمر بالامر ، فأراد أن يحتال له ليرده ، فكتب اليه يستدعيه وعرف ابو عبيدة غرضه وقال : يرحم الله عمر ، يريد أن يستبقي ما ليس بباق ، فلما جاءه الموت قال لاصحابه : قولوا لعمر (امير المؤمنين) انه لم يبق من امانتي شيء الا وقمت به واديته ولم يكن فى بيته الا سيفه وترسه .

6) و « موسى بن نصير » : القائد الذي لم يهزم له جيش قط ، والرجل الذي كان يطمح فى ان يطوق اوربا فيندفع فاتحا لها من الاندلس حتى يصل الى مقر الخلافة فى دمشق بعد ان يمر بفرنسا وايطاليا والدول الرومانية الشرقية ، وهو الذي بعث طريف بن مالك ، فطارق بن زياد لارتياد الاندلس ، وبقي يوالي الامدادات والنجدات حتى اتسع الفتح ، هناك مضى من الناحية الاخرى حتى التقى بطارق ، ومضيا معا الى عاصمة القوط .

7) و « العلاء الحضرمي » قائد اول معركة بحرية فى تاريخ الاسلام ، اعد مائة سفينة شراعبة وانزلها البحر واشرف على توزيع جنوده ، وركب معهم بعد ان اخذ عليهم العهد والميثاق وانساب فى عرض الخليج يحمل جنوده البواسل وسفينة العلاء الكبرى تحمل علم الاسلام وتسير فى المقدمة ورماح الجنود وحرابهم مشرعة وسيوفهم مسلولة ، فلما بلغوا ، نشب القتال وحمى الوطيس ، وتمزق شمل الاعداء ، واغرقت سفن العدو ، وتم للسلمين النصر ونزل العلاء بجنوده الى جزيرة « دارين » .

8) و « طارق بن زياد » : صاحب العزيمة الحديدية التي تصوره وهو يحرق مراكبه بعد ان جاز المضيق الى الاندلس ، ومهما يكن من صحة الرواية فانها تعطي صورة عزيمة طارق الجبارة ، وايمانه العميق بالنصر ، وقد كتب للاسلام صفحة ماجدة ، ودفع جنوده واندفع معهم، وقال كلمته الخالدة : « اني لم احذركم أمرا انا عنده بنجوة وانا ابدا بنفسي » .

9) و « المثنى » القائد البارع الذى حضر المعارك مع خالد بن الوليد ثم تولى القيادة بعده ، وتمكن من مواصلة الفتح ، فتوغل فى داخل ارض فارس ، الى معاقلهم الدفاعية رغم احتدام القتال ، فقد اخترق صفوف العجم وسحق جموعهم الهائلة ، واوقف غزوهم السريع ، وفى معركة نهر جوير ، خرج المثنى وكان يحرس الجسر ، عند تراجع القوات الاسلامية ، بعد مصرع ابي عبد الله مسعود الثقفي ، وكادت تحيق الهزيمة بالمسلمين ، لولا ان وقف المثنى على الجسر فى عدة من فرسان المسلمين وحموا مؤخرة الجيش فى ارتداده ، واثناء عبور النهر أمام هجمات الجيوش الفارسية الساحقة ، وفى هذه المعركة اصيب ومات شهيدا ، وفى ابان اصابته كشف حقائق الموقف لخلفه ، ودله على ما يجب ان يعمل .

10) و « اسد بن الفرات » : القاضي الذي قاد اساطيل الفتح والفقيه العالم الذي تحول الى امير من امراء البحر بعد سني الستين ، خرج على راس اسطول اللواء على ذراعه حتى صار تحت ابطه ، ولما اشتد به ضخم متجها صوب جزيرة صقلية فى تسعمائة فارس وعشرة آلاف من المجاهدين ، فاستطاع ان ينفذ الى الجزيرة ويهزم الروم فى معركة كبرى ويستولي على سلاحهم ، وقد استشهد فى المعركة ، راى وفى يده اللواء ، فلما حمل الناس معه رؤي والدم يسيل مع قناة الجوع اضطر وجنوده الى اكل لحوم الخيول ، هنالك سعى اليه بعض من طلب منه العودة الى افريقيا فغضب وقال : ما كنت لاكسر غزوة المسلمين وفى المسلمين خير كثير ومضى فى عزيمته حتى فتح اغلب البلاد واستشهد فى سرقسطة على اثر اصابته بالطاعون بعد ان كتب صفحة رائعة فى تاريخ البطولة .

تطبيق الاسلام وتمطيطه وتفصيله وخياطته عليها ، متوهمين ان الاسلام لكي يكون دين حضارة ومدنية وتقدم وتطور لابد من ان يكون قابلا للتفصيل على هاتيكم النظريات بحيث اذا لم يكن قابلا لذلك عند التجربة فالعيب فى نظرهم يقع على الاسلام لا على تلكم النظريات ، فى حين ان عكس صنيعهم هو الصحيح الذي يؤيده العقل والمنطق ، وتدعمه التجربة والواقع، اذ الواجب ان نعمد الى النظرية الاجنبية فنختبرها ونفحصها بمعيار الاسلام ونصوصه واصوله فاذا قبلها الاسلام قبلناها على اساس انه الاصل وهي الفرع ، وهو الكل وهي الجزء . واما اذا نبت عن الاسلام ، ولم نجد لها فى اصل من اصوله ولا فرع من فروعه مكانا فالواجب ان نرميها بعيدا ، بل ان نحاربها معارضين ونعارضها محاربين ، لانها تحمل فى طيها بطلانها ، وبين ثناياها تفاهتها وعقمها : (لو كان خيرا ما سبقونا اليه) . (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) . (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) صدق الله العظيم .

ولنعد الى هيئة الامم المتحدة فنجد انها ولدت يوم 24 اكتوبر 1945 اذ تم فيه تصديق خمسين دولة تمثل غالبية دول العالم المتمتعة بالاستقلال آنذاك على ميثاق هذه الهيئة الدولية التي جاءت وليدة حربين عالميتين متتاليتين ، أهلكتا الحرث والنسل ، والزرع والضرع ، واتتا على الاخضر واليابس ، وخلفتا وراءهما الخراب والاضطراب بما تركتاه من ملايين اليتامى والارامل والثكالى والعجزة والمشوهين والمشردين والمعتوهين ، الامر الذي كان يدعو فى الحاح الى اتخاذ موقف عالمي دولي لمنع الحرب فى المستقبل ،واستباب الامن والسلام فى شتى انحاء المعمور ، وخرج ميثاق هيئة الامم ليعلن على الناس ما ياتي :

(نحن شعوب الامم المتحدة قد آلينا على انفسنا:

1) ان ننقذ الشعوب فى المستقبل من ويلات الحرب ، خاصة بعد الحرب العالمية الاولى والثانية التي جلبت على الانسانية مرتين احزانا يعجز عنها الوصف فى ظرف جيل واحد .

2) تأكيد ايماننا بالحقوق الاساسية للانسان، وكرامة الفرد وقدرته ، وبما للرجال والنساء والامم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية .

3) ان نهيء الاحوال التي يمكن فى ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدت .

4) ان ندفع بالرقي الاجتماعي الى الامام .

5) ان نرفع مستوى الحياة فى جو واسع من الحرية . وفى سبيل تحقيق هذه الغايات اعتزمت شعوب الامم المتحدة التحلي بالتسامح حتى تعيش جميعا فى سلام وحسن جوار . وقد استخدمت شتى الوسائل فى ترقية الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعها . لذا قررت شعوب الامم المتحدة ان توحد جهودها لتحقيق هذه الاغراض ..

* * *

تلكم هي الخطوط العريضة لوظيفة الهيئة والتي يعمل لتطبيقها والسهر على تنفيذها اجهزة ضخمة هي : الجمعية العامة ، مجلس الامن ، المجلس الاقتصادي والاجتماعي ، محكمة العدل الدولية ، مجلس الوصاية، الامانة العامة ، بالاضافة الى منظمات تابعة لها هي : وكالة غوث اللاجئين ، منظمة الاغذية والزراعة ، منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة : (اليونسكو) منظمة الصحة العالمية ، البنك الدولي للانشاء والتعمير .

* * *

وبديهي ان المثل السامية التي يدعو اليها ويعمل من اجلها ميثاق المنظمة مثل دعت اليها الشريعة الاسلامية ودستور القرءان ؛ فهو يدعو الى الاخوة الانسانية ، ومنع الحرب ، والعمل من اجل السلام ، ويقدس كرامة الفرد ، وينص على كون المراة شريكة الرجل فى الحقوق والواجبات ، وبالتالي يدعو الى كل ما فيه تطور وازدهار الامم والمجتمعات فى شتى الميادين .

فللدعوة الى الاخوة الانسانية والعمل من اجل السلام العام :

قال تعالى : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

وقال : (يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة، ولا تتبعوا خطوات الشيطان، انه لكم عدو مبين) .

الإسلام وهيئة الأمم المتحدة والسلام

للأستاذ محمد عبد الواحد بناني

قبل ان ادخل فى صميم الموضوع ارى لزاما على ان اهيء الجو النفسي لبعض القراء الافاضل وخاصة الشباب منهم ، هؤلاء الذين اتخيلهم الان يستغربون، وبحسن نية يتساءلون : ما هي العلاقة بين الاسلام، وبين هيئة الامم المتحدة ؟ .

ان الدين كما عهدنا يبحث فى مسائل الصلاة والزكاة ، والحلال والحرام ، وفى موضوعات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . بينما هيئة الامم المتحدة تبحث فى موضوعات السلم والحرب وتوطيد علاقات الاخاء بين الامم ، وفى التعاون الدولي لحل المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ونحوها .. فما هذا الخلط اذن بين ما هو ديني صرف وبين ما هو دنيوي ، او بعبارة اخرى بين الاسلام من جهة ، وبين هيئة الامم المتحدة من جهة اخرى ؟ .

وأؤكد لكم ان هذا النوع من الشباب موجود فعلا ؛ وقد التقيت بنماذج منه فى شتى المناسبات وخصوصا بين صفوف التلاميذ فى التعليم الثانوي ، وهم معذورون فى تصورهم القصير – ولا اقول القاصر – للاسلام ومجالاته الحيوية واهتماماته الانسانية ، فهم فى خطب الجمعة ، كما فى الدروس النظامية ، كما فى غير ذلكم من احاديث الوالدين والواعظين ، تصور لهم موضوعات الاسلام واهتماماته كأنها لا تخرج عن دائرة الجنة والنار والترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، بينما الاسلام في حقيقته وجوهره دين متكامل متوازن تأخذ فيه شؤون الاخرة نصيبها الاوفى ولكن فى اعتدال ، وتأخذ فيه شؤون الدنيا نصيبها الادنى ايضا ولكن في اعتدال ، فهو اذن يأخذ بنظرية الاوساط التي تقول : ان الفضيلة وسط بين رذيلتين ، اي مرحلة تتوسط رذيلتين : فالجبن مثلا رذيلة ، والتهور او الطيش ايضا رذيلة ، وبين الجبن والتهور مرحلة وسطى هي الشجاعة ، فالشجاعة اذن فضيلة وخلق جميل . وهي كما رايتم جاءت وسطا بين رذيلتين ، وهكذا بقية الفضائل الاخرى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) .

ولكون الاسلام خاتمة الاديان فقد جعله البارى تعالى منة علينا نحن البشر ، ورحمة بنا واحسانا الينا، متمشيا مع تطورات الحياة ، صالحا لكل زمان ومكان، مستوعبا فى اصوله ومبادئه العامة جميع ما تفتقت او تتفتق عنه العبقرية الانسانية من معاني الفضيلة والخير والحق والنبل ، بحيث لا تجد عند التطبيق نظرية ذات معنى انساني نبيل ، او مغزى سامي عميق ، الا وتجد الاسلام قد سبق فدعا اليها ! او على الاقل لا تجد فى نصوصه الصحيحة واصوله العامة ما يتعارض معها ، او يتجافى عنها ، وما دام الامر هكذا فان من اكبر الاساءات التي توجه للاسلام باعتباره دينا ونظاما متكاملا كما ذكرنا ما يتجه اليه بعض المأخوذين بالتيارات الاجنبية ممها كان مصدرها، وبالنظريات غير الاسلامية كيفما كان عقمها وتفاهتها ، اذ يعمدون الى هاتيك التيارات والنظريات فيحاولون

مجلس مهمته القضاء والحكم فيما يقع من خلاف بين طائفة واخرى ، وان تبعث كل قبيلة بعريفها - وهو رئيس جيشها ! - لتتكون من هؤلاء العرفاء هيئة تقوم بتنفيذ ما يحكم به النقباء وتعين لكل من العرفاء والنقباء كتاب بلغ عددهم اثنين واربعين كاتبا اذذاك ، وتدل كثرتهم هذه على ان المهمة التي كلفوا بهـــا عظيمـــة وجسيمـــة ! .

اما دستور هذه المنظاة فهو قوله تعالى :

(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ؛ فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء الى امر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ، ان الله يحب المقسطين .)

وعلى هذا الاساس كان مجلس النقبــاء يقــوم بمحاولة الاصلاح بين الطائفتين المتنازعتين أولا ، فان بغت وطغت وتجنت وظلت احداهما ولم تمــل الــى السلم وآثرت الحرب والاعتداء قرر مجلس النقبــاء قتالها جماعيا ! .

وبهذا اوجد النبي الحكيم والزعيم العظيم محمد عليه الصلاة والسلام تبعة ومسؤولية مشتركة ومتبادلة بين سائر القبائل فى جزيرة العرب ، وقد كان عليه السلام بعيد النظر اذ اوجد بجانب مجلس الحكم هيئة للتنفيذ ؛ فكان المجلس مهيب الجانب ، مرهوب الكلمة ؛ نافذ الارادة ، يقول ويعمل ، ويامر فيطاع ، ولا سيما والنفوس البشرية تختلف :

اذا انت اكرمت الكريم ملكتــه
وان انت اكرمت اللئيم تمــردا

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

فلعل وعسى تصل الانسانية عن طريق منظمتها العتيدة قريبا الى النضج السياسي فتعامل اسرائيل ومن نحا نحوها من اعداء السلم وعشاق الحروب بالطريقة الاسلامية العملية حتى تفيء الفئة الباغية الى الطريق القويم والصراط المستقيم .

الرباط : محمد عبد الواحد بناني

- مــن كيدهــن -

قال ابو اليقظان : كان يقال لعبد الملك بن مروان : ابو الذبان لشدة بخره. يريدون ان الذباب يسقط اذا قارب فاه من شدة رائحته . قال : ونبذ الى امراة . له تفاحة قد عضها ، فأخذت سكينا ، فقال لها : ما تصنعين ؟ قالت : اميط عنها الاذى، فطلقهــا .

وقال : (وان جنحو للسلم فاجنح لها وتوكل على الله .) ولحرص الاسلام على « السلام » جعله شعاره ورمزه حيث يتبادله يوميا مئات الملايين من المسلمين قائلين : السلام عليكم ، ومستمعين : وعليكم السلام ! .

* * *

وعن الكرامة الانسانية ، قال تعالى :

(ولقد كرمنا بني آدم، وحملناهم فى البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

* *

وعن المراة عموما يقول الرسول : (النساء شقائق الرجال فى الاحكام) ويستثنى من ذلكم طبعا ظروف خاصة بينها الشرع الحكيم فى مكانها .

* * *

واما عن تنظيم المجتمع تنظيما يضمن له التماسك ويدفعه الى التطور والازدهار ، فالتاريخ يذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول عمل قام به بعد هجرته من مكة الى المدينة انه آخى بين المهاجرين والانصار ، معلنا للجميع انه لا يكمل ايمان الفرد المسلم حتى يحب لاخيه ما يحبه لنفسه ؛ فبادر الكثيرون من الانصار بالتنازل عن نصف املاكهم واموالهم للمهاجرين، وهكذا بنى عليه السلام المجتمع فى الاسلام على اساس الاخاء والتعاون ، فقضى بذلكم على نار الحسد والغش والأثرة والغدر التي كانت تحرق النفوس والقلوب في ايام الجاهلية ، وكان من نتائج ذلك ان آوى الانصار اخوانهم المهاجرين ونصروهم بل وآثروهم على انفسهم فامتدحهم القرءان بقوله : (يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) ، واخذ عليه السلام يعالج التجارة وينبه الناس الى اهميتها فى الحياة الاقتصادية للمجتمع (تسعة اعشار الرزق فى التجارة) . كما بين الحلال والحرام فى المعاملات ؛ فكفت طوائف عن تجارات كانت بضاعتها النساء والخمور ، والربا والقمار ، وبحث الناس عن المهن الشريفة فوجدوها فى التجارة او الزراعة او نحوها .

وحكم القرءان بقطع يد السارق فاحس الناس بسلطة القانون وحمايته واطمأنوا وساروا يغدون ويروحون بتجارتهم وامتعتهم آمنين مطمئنين بفضل سهر السلطة ويقظتها الممثلة فى شخص الرسول وجند المسلمين .

وحظر القرءان التلاعب بالاسعار والموازين والمكاييل (فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم) ، (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون) (واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) .

وبذلكم — ومثله كثير — انتظمت الاسواق ، وحسن التعامل واستثمرت الاموال ، فعادت على اصحابها بالفضل الكثير ، فنشط الناس للعمل فى التجارة والصناعة والزراعة ونحوها .

وهنا يلتقي تنظيم هيئة الامم المتحدة مع تنظيم الرسول عليه السلام للمجتمع فى خط واحد هو منع الحرب والعمل من اجل السلام ، ولكنه ، أي تنظيم الامم المتحدة ، يقصر عن تنظيم الرسول ودستور القرءان فى كيفية التطبيق ، فينتج عن ذلكم القصور ما نراه ونعيشه ونشاهده اليوم من وقوف الامم المتحدة حائرة امام اعتداءات وحروب (كاعتداء الصهاينة المتواصل على العرب ، واغتصابهم فلسطين وتجاهلهم قرار الامم المتحدة الذي اتخذ بالاجماع والذي دعا اسرائيل الى عدم ضم القدس اليها ، وعودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم ، وقرار مجلس الامن الصادر بالاجماع ، والذي ينص على وجوب انسحاب الجيوش الصهيونية من الاراضي العربية ورفض اسرائيل الاذعان له .

اما بيان ذلكم فهو ان النبي عليه الصلاة والسلام وهو يبث الدعوة للاسلام كان مشركو قريش يعاندونه ويطاردونه بينما الصفوة الفاضلة من شبانهم يسلمون ويناصرونه ، فذاع صيته فى الجزيرة، وشاع امر الدين الجديد ومعاندة قريش له ، وكان ذلك حافزا على أن تبعث القبائل وفودا تستطلع خبر النبي ودينه الجديد ، وكان عليه السلام يبث فى هذه الوفود دعوته للاسلام ويقرا عليهم ما يتيسر من القرءان ، حتى اذا آنس منهم رشدا طلب أن تعين كل قبيلة نقيبا لها ذا راي ونفوذ فيكون مسؤولا عن ساوكها بأن يتركوا عادات الجاهلية من نهب وسلب ، وتعد وحرب ، وان يتكون من هؤلاء النقباء

ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين » ومعنى سفه هنا خسر . والذي خسر نفسه فى عذاب اليم . واعتمادا على ما سبق ان قلنا فى اللفظة الثانية من هذه الحلقة ، يكون المعذب مضطربا ابدا . ولهذا قيل: « زمام سفيه » كثير الاضطراب ، وهذه « خفة في البدن (4) طبعا ، لكن مسببها هنا الهلع الشديد . واصله ، بصفة عامة ، الخفة (5) والحركة (6) » .

4 ـ الكلمة : « **نعق** » من سورة البقرة الاية 171 « ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون » . ومعناها بلغة طيء يصيح ، وقد تبدل العين منه غينا (7) ، شأن عدد لا يحصى من المفردات السامية التي اختلطت حروفها على مدونيها ــ وسترد حين يتيسر ان شاء الله ، بحثا مستقلا لذلك . قال الامام شهاب الدين البغدادي (8) : « نعق الغراب نعاقا ونعيقا اذا صوت من غير ان يمد عنقه ويحركها ، ونغق بالغين بمعناه (9) .

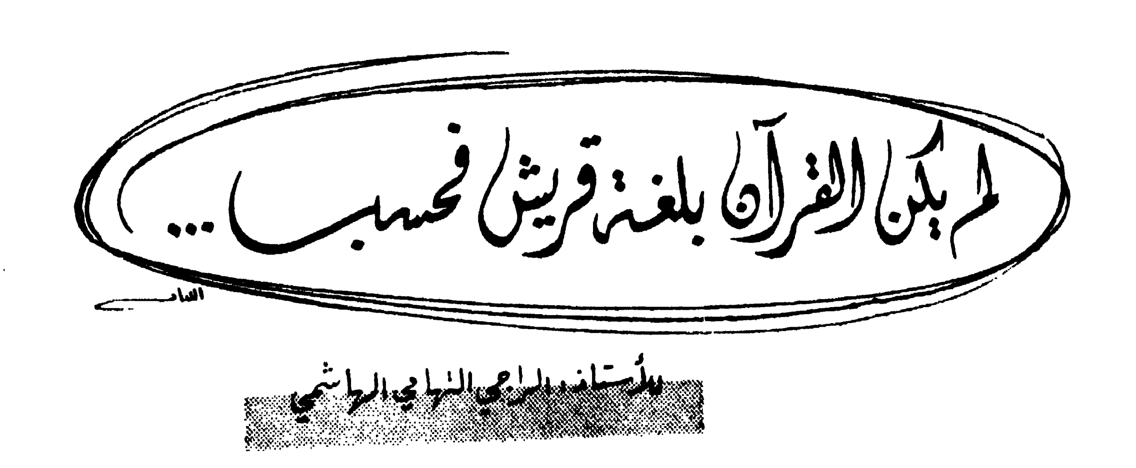
5 ـ كلمة « **ابنه** » فى قوله تعالى : « وهي تجري بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » الاية 42 من سورة هود ، ومعنى هذه الكلمة بلغة طيء ، يقول ابو القاسم ابن سلام (10) : « ونادى نوح ابنه اي ابن امراته ، بلغة طيء ويؤيده قراءة » ونادى نوح ابنها « وهي شاذة » . ومعلوم أن هذه القراءة الشاذة هي لعلي بن ابي طالب رضى الله عنه (11) . اما محمد بن علي وعروة بن الزبير فقد تخلصا من هذه القضية بشكل بارع حين قرا ابنه بفتح الهاء (12) .

13 ـ لهجة سكان حضرموت :

1 ـ كلمة « **ربيون** » الكائنة فى الاية 146 من سورة آل عمران والتي يقول فيها جل شأنه : « وكأي من نبيء قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » ويظهر ان هذه اللفظة سمعت أول ما سمعت بين سكان حضرموت ، فى وقت يصعب على تحديده . ولذا عده العلامة الامام ابو القاسم بن سلام (13) من لهجة أهل حضرموت ، الا انه اتضح الان ، وبشكل يكاد يكون قطعا ، أن اصل هذه المفردة آرامية ؛ واصلها « ربة » بكسر الراء وتضعيف الباء ، التي تعني جماعة كثيرة من الناس (14) . وهي في هذه اللغة ܪܒܘܬܐ (rébouto) ولقد فطن لذلك قديما العلامة الراغب الاصفهاني فقال (15) :

---

4) الراغب الاصفهاني صفحة 234 .
5) الكشاف الجزء الاول صفحة 95 .
6) الصحاح الجزء السادس صفحة 2234 .
7) ابن السليت القلب والابدال صفحة 32 .
8) تفسير روح المعاني الجزء الاول صفحة 41 .
9) ولقد خصص المرحوم J. Cantineau في كتابه القيم « Cours de philologie arabe » فقرات مهمة لابدال العين بالغين صفحة 94 .
ــ كما ان المقال المهم الذي نشره المستشرق R. Rusicka فى « الوثائق الشرقية عدد (1954) صفحة 176 الى 237 تحت عنوان La question de l'existence du gh dans les langues sémétiques en général et dans la langueougaritienne en particulier. يعد بحق مرجعا مهما فى هذا الباب لكل من اراد ان يكون فكرة صحيحة عن هذه القضية ، سواء من اللغويين او القرئين او مؤرخي اللغة .
10) ذيل تفسير القرءان العظيم (الجللين) الجزء الاول صفحة 194 .
11) Materials for the history of the text of the Qur'ân صفحة 187 .
12) الكشاف الجزء الثاني صفحة 217 .
13) حاشية تفسير القرءان الكريم للامامين جلال الدين محمد بن احمد المحلى، وجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي ، الجزء الاول صفحة 66.
14) الاب رفائيل اليسوعي : غرائب اللغة العربية صفحة 182 .
15) المفردات في غريب القرءان ، صفحة 184 .



للأستاذ الراجي التهامي الهاشمي

- 13 -

12 ـ القبيلـــة : طـــيء :

تكون « طـيء » مع « همـدان » و « الازد » و « مذحج » القبائل الاربعة الضخمة التـي تنحـدر من كهلان . وبنو كهلان هم الذين ورثوا رياسة البادية ، واعني امارة اطراف اليمن وثغورها بعد حمير . وطيء لقب لجد جاهلي قديـم يقال ان اسمه الحقيقـي كان جلهمة . كان موطنهم الاصلي اليمن ثم انتقلـوا ـ في وقت يصعب تحديده ـ الى جبلي : « اجا » و « سلمى» من بلاد نجد (1) . وكانوا يعبدون فى مسكنهم الجديد هذا صنمهم المدعو « الفلس » .

ويعد عدد كبير من فاتحي الاندلـس من هـذه القبيلة . واما اصل هذه الكلمة اللغوي فالغالـب على الظن انها من الطاءة ، التي بمعنـى الابعـاد فى المرعى . والنسبة اليها طائي .

شاركت هذه القبيلة فى القرءان الكريم بخمـس مفردات : اربعة منها في البقرة ، وواحـدة فى هـود ؛ وتفصيلها كما ياتي :

1 ـ كلمة : « **رغـد** » الموجودة فى سورة البقرة الآية 35 التي يقول فيها عز وجـل : « وقلنـا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » ، ومعناها بلغة طيء خصب . « وقراها النخعي بسكونها (2) » .

2 ـ المفردة « **رجـز** » فى سورة البقـرة ايضا الآية : 59 « فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيـل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون » ومعناها بهذه اللغة التي نتحـدث عنهـا ، العذاب،ويرى عدد كبير من المفسرين أن هذا العذاب هو الطاعون الذي انزله الله على « الذين ظلموا » من قوم موسى حين خالفوا امر ربهم ، والذي قتل منهم ، في ساعة واحدة ، ما يزيد على أربعة وعشرين الفا .

ولا شك أن المصاب بالعذاب ، اي عـذاب كان ، مضطرب أشد الاضطراب ؛ لا يهدىء لـه بـال ، ولا يستريح له عقل . ومن هنا راى كثيـر من المفسريـن ان (3) « اصل الرجز الاضطراب ، ومنه قيـل رجـز البعير رجزا فهو ارجـز ، وناقـة رجزاء اذا تقـارب خطوها واضطرب لضعف فيها » .

3 ـ اللفظة « **سفـه** » فى الاية 130 من سـورة البقرة ، التي يقول سبحانه فيها : « ومن يرغـب عن

---

1) الاعـلام ج 3 صفحـة 337 .
2) الالوسـي . روح المعاني الجزء الاول صفحـة 234 .
3) المفردات فى غريـب القـرءان صفحـة 187 .

الراغب الاصفهاني اصلها من الحنك (حنك الانسان والداية (26)) .

2 ـ لفظة : « تـارة » فى الايـة 69 من سـورة الاسراء التي جاء فيها : « أم امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بمـا كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا » ، ومعناها بهذه اللغـة مـرة .

ولقد وردت فى القرءان الكريم مرة اخرى فى الاية 55 من سورة طه : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى » ، ولقد اشتهرت فى اللغة العربية الفصيحة الاشتهار الذي تعرف ، واستعملت هـذا الاستعمال الواسع الذي تلاحظ .

3 ـ المفردة : « اشمـأز » الموجودة فى الاية 54 من سورة الزمر التي يقول فيها سبحانه وتعالى : «واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون » ،ومعناها بلغة الاشعريين مالت ونفرت . وهذا الفعل «اشمأزت» فى الاية يقابل الفعل يستبشـرون . فقلـوب الكفـار تشماز كلما ذكر الله وحده ولكنها تستبشر عند ذلك آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ، وهذه هي المقابلة التي بسط القول فيها الزمخشري حين قـال (27) : « ولقد تقابل الاستبشار والاسمئزاز اذ كل واحد منها غاية فى بابه لان الاستبشار ان يمتلىء قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل ، والاسمئزاز ان يمتلىء غما وغيظا حتى يظهر الانقباض فى اديم وجهه » .

4 ـ كلمة : « ثجـاجـا » فى الاية 14 من سورة النبأ ، وفيها يقول عز من قائل : « وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا » ، ومعناها بلغة الاشعريين رشاشا .

لم ترد هذه المفردة فى القرءان الكريـم الا مـرة واحدة ، ولم تستعمل بكثرة فى اللغة العربية الفصيحة، مما يدل على غرابتها ، وان كانت وردت فى حديـث شريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم « افضـل الحج الحج والثج » ومن القراء من يقرأها بحاحا .

اكادير : الراجي التهامي الهاشمي

26) المفردات فى غريـب القرءان ، صفحـة 134 .
27) الكشـاف ، الجزء الثالث ، صفحـة 349 .

ـ كمـال المـروءة ـ

من عامل الناس فلم يظلمهـم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهـم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ،ووجبت اخوته ، وحرمت غيبتـه .

« وقيل رباني لفظ في الاصل سرياني ، واخلق بذلك ، فقلما يوجد في كلامهم » ومعلوم ان الربي كالرباني .

وقد قرئت هذه المفردة بالحركات الثلاث « فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب (16) » ومن بين الذين قراوها بالضم او الكسر علي ، وابن عباس ، والحسن ، وابن مسعود(17)

2 ـ كلمة : « **دمرنا** » في الاية 16 من سورة الاسراء التي جاء فيها : « واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » ولقد وردت هذه المادة ثمان مرات في القرءان الكريم . ثلاث مرات على صيغة دمرنا (18) . وعلى صيغة دمرناهم مرتين (19) وعلى صيغة تدمر مرة واحدة (20) وعلى صيغة تدمير مرتين (21) . ومعناها بلغة سكان حضرموت اهلكنا وورودها بكثرة في القرءان الكريم كما ترى دليل على كثرة استعمالها في اللغة العربية الفصيحة .

3 ـ « **منساته** » في سورة سبأ الاية 14 التي يقول فيها الحق سبحانه : « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » ، ومعناها بهذه اللغة العصا . ولقد سبقت الاشارة اليها في الحلقة الحادية عشرة حين الحديث عن لهجة قبيلة خثعم . وبسطت القول هناك، سيما في قراءاتها المختلفة ، واستنتجت من هذه القراءات الكثيرة غرابة هذه اللفظة . فعد الى ذلك وفقك الله .

4 ـ « **احقاف** » في الاية 21 من سورة الاحقاف التي جاء فيها : « واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم » ومعنى هذه اللفظة عند سكان حضرموت الرمل . ويضيف صاحب الكشاف فيقول (22) : « وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقب الشيء اذا اعوج ، وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال ، مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشجر من بلاد اليمن ، وقيل بين عمان ومهرة »، وجدير بالذكر ان اشير الى ان هذه المفردة في هذه الاية هي التي اعطت اسم السورة ، وانها الوحيدة الواردة في القرءان الكريم .

5 ـ كلمة « **لغوب** » في الاية 38 من سورة (ق) التي جاء فيها : « ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب » ومعناها بلهجة سكان حضرموت اعياء . ومن القراء من يقراها بالفتح. ولم ترد الا مرتين في القرءان . الاولى في سورة فاطر الاية 35 ، والثانية في مكاننا هذا الذي نتحدث عنه .

14 ـ لهجة الاشعريين (23) :

تنتسب قبيلة الاشعريين الى كهلان . وكانوا في جاهليتهم يعبدون مع قبائل عك والسلف الصنم الذي كانوا يطلقون عليه « المنطيق » ولقد وجد المسلمون في جوفه حين كسروه سيفا اختاره النبي صلى الله عليه وسلم واطلق عليه اسم المخذم .

ويرى بعض النسابين ان قبائل الاشعر هي : « الجماهر (24) وجده (25)، والانعم ، والارغم ، ووائل وكاهل ، وعبد شمس ، وعبد الثريا . شاركت هذه القبيلة في القرءان الكريم بأربعة الفاظ وزعت في القرءان الكريم حسب البيان الآتي :

1 ـ كلمة : « **احتنك** » في الاية 62 من سورة الاسراء التي جاء فيها : « قال ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا » ، ومعناها بلغة الاشعريين استأصل ولعلها من احتنك الجراد الارض او احنك الشاتين . يجعل

(16) الكشاف ، الجزء الاول صفحة 221 .
(17) Jeffery صفحة 35 .
(18) في الاعراف الاية 137 ، وفي الشعراء الاية 172 وفي الصافات الاية 136 .
(19) في الفرقان الاية 36 ، وفي النحل 51 .
(20) في الاحقاف الاية 25 .
(21) في الاسراء 16 والفرقان 36 .
(22) الجزء الرابع صفحة 448 .
(23) انظر لمعرفة هذا سبائك الذهب 32 ، وجمهرة الانساب ، والاعلام للزركلي ، الجزء الاول صفحة 334.
(24) بضم الجيم .
(25) بضم الجيم وتشديد الدال بفتحة .

560) فى ص 498 ، ع ل ترجمة لمسلم بن الحجاج لامام صاحب ثاني الصحيحين قال فيها ، له الصحيح » فيه 300.000 حديث ، وقد اشتبه عليه الامر فيما نقل عن مسلم انه قال الف كتابي هذا من ثلاثمائة الف حديث اي اخترته من هذا العدد ، والا فما فى صحيحه هو نحو 4000 حديث فقط بدون المكرر تقريبا كما فى صحيح البخاري من غير تكرار كذلك .

561) فيه ايضا تعريف بمسلم بن عقيل ابن عم سيدنا الحسين ومبعوثه الى الكوفة الذي قتله ابن زياد ، ضبط اسم ابيه عقيل ، بصيغة المصغر أي بضم العين وفتح القاف وهو عقيل بن ابي طالب اخو علي (ض) بالتكبير لا غير اي بفتح العين وكسر القاف .

562) وفي هذه الصفحة ع ني تحت عنوان المسند قال : هو الكتاب فى الحديث اشهر من كتبوا فيه ابو داود ، الدارمي ، مالك ، مسلم بن الحجاج ، النسائي الخ وهذا خطأ فى التعريف وفي التمثيل ، فالمسند هو الكتاب فى الحديث الذي يجمع احاديث كل راو من الصحابة على حدة فيقال فى تراجمه مسند ابى بكر مثلا ومسند عمر ومسند فلان وفلان ، وليس فيمن ذكرهم من يعد من اصحاب المسانيد الا الدارمي واحمد بن حنبل .

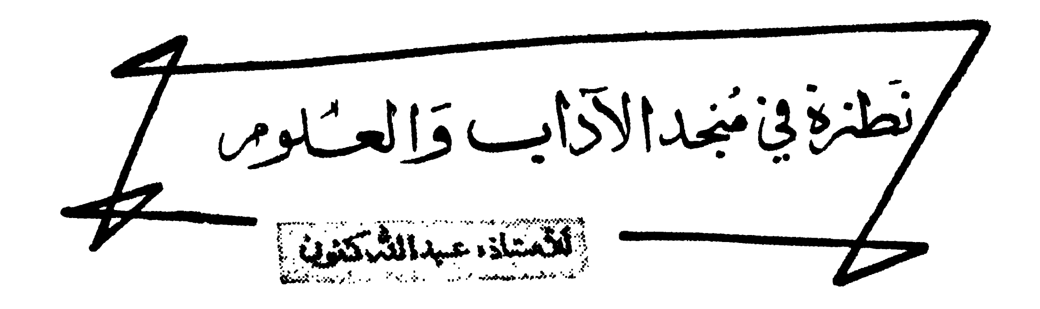
563) فى ص 499 ، ع نى فى ترجمة للشيخ عبد السلام بن مشيش قال فيها احد اقطاب الصوفيين الاربعة فى المغرب ، ولم يبين الثلاثة الباقين من هم ، وظني انه اعتمد فى هذا العدد على كتاب الشيخ عبد السلام القادري المسمى بالاشراف على نسب الاقطاب الاربعة الاشراف وهم الجيلاني وابن مشيش والشاذلي والجزولي أو اعتمد كلام احد المستشرقين على هذا الكتاب ولم يحقق الموضوع فظن انهم كلهم مغاربة باعتبار ان المؤلف مغربي مع ان الجيلاني ليس من المغرب كما هو معروف ، وزيادة على ذلك ففي المغرب من اقطاب التصوف أكثر من هذا العدد الذي حصرهم فيه . ثم قال فى هذه الترجمة : دفن فى جبل العلم قرب دزان بدال اول الكلمة ونظن انها خطأ مطبعي صوابه وزان بالواو . وزاد المنجد قائلا فى ترجمة ابن مشيش : له « اعانة الراغبين فى الصلاة » مخطوط في لندن، ولا نعرف لابن مشيش اثرا غير صلاته المشيشية المشهورة وبعض الوصايا المنقولة فى ترجمته ، فلعل هذا يكون احد شروح صلاته ان لم يكن وقع غلط في نسبته اليه .

564) فى هذا العمود ايضا بعنوان مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الانام مايلي : كتاب للكلاعي ولشمس الدين المراكشي ، اهتم بهما (يعني بالكتابين المسمين بهذا الاسم لكلا المؤلفين) ابن ابي الدنيا والتنوخي وابن المغيث محدث قرطبة وابن بشكوال .. وفى هذا تخليط لو انتبه المنجد الى تاريخ هؤلاء وتقدمهم على المؤلفين المذكورين لما وقع فيه ، والكلام اصله لكشف الظنون وخلاصته ان هذين المؤلفين ذكرا فى كتابيهما من استغاث بالنبي (ص) اقتداء بابن ابى الدنيا ومن بعده من الاعلام الذين الفوا فيمن استغاث بالله عز وجل ولجأ اليه عند اشتداد الازمة ففرج الله عنه ، فانت ترى ان الكلاعي والمراكشي هما اللذان اهتما بكتب من ذكر بعدهما لا العكس وان موضوعهما مغاير لموضوع هؤلاء ، لان للعلماء فيه مقالا ليس هذا محل بسطه .

565) فى ص 500 ، ع ني ترجمة لمصطفى كمال اتا تورك جاء فيها : اجرى اصلاحات عظيمة من اعمقها تاثيرا فى الحقل الديني والاجتماعي والثقافي استعمال الابجدية اللاتينية عوض العربية فى الكتابة التركية .. وهذا الكلام وحده كان كافيا لمنع استعمال هذا المنجد فى العالم العربي كله ، لان المعجم الذي يحكم بان نبذ الابجدية العربية من الاصلاحات العظيمة والاعمق تاثيرا فى حياة الدين والاجتماع والثقافة ، لايمكن ان يكون معجما عربيا بحال .

566) فى هذا العمود كذلك بعنوان مصفرى بفتح الميم والفاء والف مقصورة ءاخرا قال المنجد : شعب من بربر المغرب ، منهم يقيمون (كذا) بين فاس وتازة ومنهم قبلي فاس فى الاطلس الاوسط ومنهم فى واحات الصحراء اعتنقوا الاسلام وأبحروا الى اسبانيا وانضموا الى الخوارج ووالوا دولة بني عباس الى أن ظهر ادريس الاول فانقادوا اليه .. ولا نعلم بين شعوب البربر وقبائله من اسمه مصفرى فلعل هذه قراءة محرفة لصفرى البربر اي صفريته ونعني بهم الخوارج الذين انتشر امرهم فى عهد الولاة قبل قيام الدولة الادريسية وهم الذين لعبوا بعض الادوار التي يشير لها كلام المنجد وان كان ينقصه التحرير .

567) فى ص 501 ، ع ني ترجمة لطرس بن ربعى الشاعر ضبط اسمه بصورة اسم المفعول اعني بفتح الراء مع التشديد وهو بكسرها على صفة اسم الفاعل واسم ابيه ربعى ضبطه بفتح الراء وهو بكسرها وقال انه عاش قبل الاسلام بثمانين سنة وفي الاعلام للزركلي ما يفيد انه اسلامي لا جاهلي .



- 20 -

بقيــة حــرف الميــم

553) فى ص 493 ، ع ل تعريف بمريم المجدلية ضبط فيه وصفها هذا بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال وهو فى الاناجيل الاربعة انما ضبط بفتح الميم ، فهل هما (قراءتان) ؟

554) فى المكان نفسه ترجمة ابن مريــم صاحب كتاب البستان قال فيها انه نقلـه من نيل الابتهــاج للمكي وغيره ، وصاحب نيل الابتهــاج ليس مكيا بــل هو سوداني من تنبكتو

555) فى ع ني من هذه الصفحة كلمـــة عن بني مرين ملوك المغرب اجحف فيها بحقهم غاية الاجحاف والمهم انه ضبط اسمهم بضم الميم وهو بفتحها كمــا يعلمه كل من له عناية بالتاريخ .

556) وفيــه تعريف بمــزدك الفارسي مؤسس النحلة المزدكية المعروفة سماه مزدق بضم الميم والزاي وفتح الدال بعدها قاف وهو كما فى التاج بفتح الميــم وسكون الزاي وءاخره كاف على وزن جعفر ومذهبه يسمى المزدكية بهذا الضبط وبالكاف ءاخرا ، عــرب كذلك من قديم

557) وفيه ايضا ذكر لكتاب المزهــر فى علــوم اللغة للسيوطي ضبط بكسر الميم وفتح الهاء على انه هذه الآلة المعروفة من ءالات الطرب والشائع على الالسنــة في اسمه هو ضم الميم وكسر الهاء على انه اسم فاعل من ازهر ، ومن ثم سمى الشيخ ماء العينين نظمه لــه بثمار المزهر فهو اذن وصف لا اسم ، وقد قرض العالم الاديب السيد عبد الرحمن بن جعفر الكتاني نظــم المزهر هذا بقطعة شعر قال فى أولها :

خَــل عنـــا نغمـــات المزهـــر
وائلنـــا مـــن ثمـــار المزهـــر

فاكد بذلك ان اسمه المزهر بالضم لا المزهــر بالكسر .. وقد توسعت قليلا فى ضبط اسم هـــذا الكتاب لاني لم ار احدا نص عليه حتى الطبعة المحققــة التي صدرت منه فى جزئين بمعرفة رجال من أهــل العلم والادب سكتت عن ضبطه ، ولم تشكله بالحروف مع ان نص الكتاب فيها كله مشكول

558) فى ص 495 ، ع ل تعريف ببلدة مازونــة فى الجزائر كتبها مزونه بميم فزاي وهي بألف بعد الميم

559) فى ص 497 ، ع ل ترجمــة لعبد الله بــن مسعود الصحابي الجليل قال فيها : اخــذ عنه الناس تفسيره المتسامح فى تحريم الخمر .. ولا ادري من اين اتى بهذا الكلام ، فالمعروف عن صحابة رسول الله (ص) انهم على كلمة واحدة فى تحريم الخمر وبذلك احتــج علماؤنا على من خص اسم الخمر بعصير العنب قائلين ان تحريم الخمر نزل بالمدينة ولم يكن شرابهم الا مــن نبيذ البسر والتمر وان الصحابة الذين اطلقوا اســم الخمر على هذه الانبذة عرب فصحاء كانوا يعرفــون مدلول الكلمة الشاملة ، وبخصوص ابن مسعود فــان المنقول عنه خلاف ما زعم المنجد ففي سبل السلام انه قال فى السكر بفتحين انه خمر وفى نيل الاوطار انــه اعني ابن مسعود حد رجلا وجد منه ريح الخمر .

583) فى ع ني من هذه الصفحة كلمة عن مليانــة من مدن الجزائر كتبها بالف بعد النون وهي بتاء .

584) وفيه كلمة عن مدينة مليلية المغربية جعلها مليــلا حسب النطق الافرنجي وهي بالعربي مليلة أو مليليــة .

585) فى ص 513 ، ع ني تعريف بالشيخ عبــد الرؤوف المناوي شارح الجامع الصغير ضبط نسبــة المناوي بفتح الميم وهو بضمها وسمــى شرحــه على الجامع الصغير التفسير واسمه فيض القدير .

586) فى نفس العمود ترجمة لوهب بن منبه قال فيها عبد الله وهب بن منبــه اليماني وضبط وهب بفتح الهاء وهو بسكونها وعلى كل حال فان يكن اراد وهبا نفسه فعبد الله هنا زائدة أو هي كنيته ابو عبــد الله بعد حذف ابى منها خطأ وان يكن اراد ابنه عبــد الله فكان عليه ان يقول عبد الله بن وهب بن منبه ، الا ان التاريخ الذي اعطاه لوفاته هو لوهب فلم يكن بــد من اعتبار عبد الله هنا بقصد الكنية .

587) فى ص 516 ، ع ل كلمــة عن مدينة المنكب بالاندلس سماها المنقــر بالقاف تعريبــا لاسمهــا بالاسبانية المنكــر وكان عليه ان يذكرها باسمها العربي لا ان يعربها من اللفظ الذي عجمها الاسبان بــه .

588) فى ص 517 ، ع ل ترجمة بعنوان المهائمــي علاء الدين قال فيها عنه انه من تباع مذهب الوجودية لابن العربي وانه هاجر الى الهند هربا من الحجاج وانــه توفى 1432 .. وفي هذه الترجمــة تخليط كثيــر فأولا ليس هناك مذهب يعرف بالوجودية لابن عربــي (لا العربي) الا ان يكون مراده وحدة الوجود ، وهذه ليست هي الوجودية ولا سيما بالمفهــوم الفلسفــي الجديد . وثانيا اذا كان هذا من اتباع ابن عربي فكيف عاش قبله فى زمن الحجاج الذي هرب منه الى الهند ! ثم تاريخ وفاته مما يؤيد أن فى هذه الترجمة خطأ يجب ان يصحــح .

589) فى العمود الثاني من هذه الصفحة تعريــف بكتاب المهذب لابي اسحاق الشيرازي فى فقه الشافعية الذي لخصه من تعليقة شيخه ابى الطيب الطبــري ، ضبطه بكسر الذال مع تشديدها على صيغــة اســم الفاعل وهو على صيغة اسم المفعول مفتوح الذال بدليل اسماء بعض شروحــه : المستعذب فى شــرح المهذب والطراز المذهب وغيرهما .

590) فى ص 520 ، ع ني تعريف بكتاب الموش لابي الطيب الوشاء قال عنه انه كتاب فى اللغة ، وا كذلك بل هو فى قواعد الظرف وءاداب الظرفاء ، والم نفسه لما ذكر الموشى اتبعه بقوله او الظرف والظر وهذا ليس اسما له ثانيا من وضع المؤلف ، وانما من وضع ناشره الخانجي بين به موضوعه واعقب اسمه الذي وضعه له المؤلف .

591) فى العمود نفسه تعريف بكتاب الموطأ لما مالك قال فيه شرحه بطليموس وهــذه مــن غر المنجد ، فكيف يشرح بطليموس الموطا وهو من اه القرن الثاني الميلادي ، والحقيقة انه اراد البطليوس فتصحف عليه بمن ذكره . وذكر فى جملة شراح القرطبي وهو يعني ابن عبد البر كما يفهم ذلك م كشف الظنون الذي ينقل عنه ، ثم ذكر اخيرا المغر ولا ندري من هوهذا المغربي الذي يعنيه ممن شــ الموطــا وهم كثــر ، والــذي عنــد صاحب الك الزرقاني بدل المغربي فلعله ظنه مغربيا .

592) وفيه ايضا تعريف بقرية مولاي بوشتا فيه : قرية فى المغرب الاقصى ... فيها زاوية بوش الولي ، يقولون انه استمطر السماء بصلواته ... عندهم شفيع الموسيقيين والمغنين . اما كون الشـ ابى الشتاء رحمه الله استمطر السماء بالصلاة ، شيء لا غرابة فيه وصلاة الاستسقاء من شعائر ا الاسلامي . واما كونه عندهم (؟) شفيعا لمن ذكــر لانعرفه وليس فى الاسلام شفعاء من هذا القبيل فى النصرانيــة .

593) فى ص 524 ع ل ترجمة لميسرة الحقير ، الخفير من زعماء الخوارج المغاربة جاء فيها انه من مطغارة وهي مضغــرة وهــي بضاد فغين تليه مباشــرة .

594) فى ع ني من نفس الصفحة تعريف بمد مسراتة الليبية كتب اسمها ميسوراتة وهو كما ا مسراتة ويقال فيها ايضا مصراتة بالصاد .

595) فى ص 526 ، ع ل ترجمة لموسى بن م الفيلسوف اليهودي المعروف قال فيها انه هجر ة لما دخلها العرب ، والعرب لم يدخلوا قرطبة على المترجم فى القرن السادس الهجري بل فى اواخر الاول ، فالصواب لمـا دخلها الموحدون .

568) فى ص 502 ، ع ل بعنوان المظالم قال اسم محكمة كانت فى عهد الخلفـاء الراشدين كمحكمـة الاستيناف العليـا وفي هذا تزيـد كثير ، وولايـة المظالم من خطط الحكومة الاسلامية ولكنها متاخـرة عن هذا العهـد بكثيـر .

569) فى العمود نفسه ترجمـة لمعاذ بن جبـل الصحابي الجليل ضبط اسمه فيها بفتح الميم وهـو بضمها .

570) وفيه ايضا كلمة عن بني معافر من العرب اليمنية ضبط اسمهم هذا بضم الميم وهو بفتحها .

571) فى ع ني من نفس الصفحـة تعريف بابن المعتز الخليفة العباسي الشاعر جاء فيه انه لم يتمتع بالخلافة الا اياما والصحيح ان مدة خلافته يوم وليلة ثم خلـع وقتـل .

572) فى ص 503 ، ع ني تعريف بمعد بن عدنان الجد الاعلى للنبي (ص) قال فيه انه اسم جمع اطلـق على بعض القبائل العربية ، وكأنه لما رءاه جماع كثير من قبائل ربيعة ومضر ظنه اسم جمع من غير ان يلحظ حقيقة اسم الجمع التي لاتنطبق عليه والا فهو اسم مفرد على وزن مفعل من العدد او من المعد وهو اللحم على ما عند ابن دريد فى الاشتقاق .

573) فى ص 504 ، ع ل ترجمة ابن معطي صاحب الالفية فى النحو وصفه فيها بالمغربي وضبطه بضـم الميم وفتح الراء وحقه ان يكون بفتح الميم مع فتح الراء أو كسرها نسبة للمغرب واما الضم فلا محل له فى هذه النسبـة .

574) فى هذا العمود كذلك ذكر المعلقات السبـع وسرد اسماء اصحابها بدون عطف حتى اذا اتـى على ءاخرهم عطفه بالواو على القاعدة الاجنبية فى ذكـر حرف العطف مع المعطوف الآخر ، وقد شاع هذا الامر عند الكتاب المتأثرين بالاساليب الاعجمية ولا اصل لـه فى العربية .. نعم عندنا واو الثمانية عند من يقول بهـا وهي انما تزاد فى المعطوف الثامن كما فى قوله تعالـى (ثيبـات وابكـارا) لا ما قبله كالسابع هنا .

575) فى ع ني من هذه الصفحة ترجمة لمعن بـن اوس الشاعر جاء فيها انه مدح عمرا وهجا ابن الزبير ولا ندري من هو عمرو هذا الذي مدحه معن ، والـذي فى ديوانه انه مدح عبد الله ابن جعفر وابن عباس وهجا ابن الزبير فى قطعة شعرية وليس فيه مدح لاحد يسمى عمرا ولا عمر لو فرضنا ان عمـر فى كـلام المنجـد صرفت خطـأ .

576) فى ص 505 ، ع ل بعنوان مغراوى كلمـة عن هذه القبيلة المغربية التي حرف اسمها من مغراوة بتاء فى ءاخره الى مغراوى بالف مقصوره خطأ ، وقـال فيها دخلوا فى الاسلام وتزعمهم حـولات بن ويمـار وصوابه صولات بالصاد بن وزمار بزاي بعد الواو .

577) فى ع ني من هذه الصفحة كلمة فى التعريف بالمغرب لا باس بها ولكن وقع فيها اغلاط خفيفة منهـا قوله وهو يعين موقع الاطلس الكبير : وجبل سفـرو شرقا واسمه الصحيح سارو . والخطأ جاء من الترجمة عن الفرنسية ومنها كتابته تادلا بحذف الالف التـي بعد التاء ومنها تسميته الساقية الحمراء بالساخيـة اعني بخاء بدل القاف وقد يكون هذا خطأ مطبعيا .

578) وفي العمود نفسه تراجم لبعض الاشخاص الموصوفين بالمغربي ضبط وصفهم هذا بضم الميم وهو بفتحها .

579) فى ص 506 ، ع ل ترجمة للمغيرة بن شعبة وغيره ممن سمي بهذا الاسم وهو مضبوط عنده بضم ففتح على صورة المصغر ، وهو بضم فكسر مكبر .

580) فى ص 507 ، ع ل ترجمـة للمقدسـي الجغرافي صاحب كتاب احسن التقاسيم ضبط نسبه فيها بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال مع الفتح ، وهو بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال مخففـة نسبة الى بيت المقدس ، ولعلنا نبهنا على نضيره فيما سبق ولكن ها هنا محاله فلذلك أعدناه .

581) فى ع ني من هذه الصفحة كلمة فى التعريف بمقديشيو عاصمة الصومال ، كتب فيهـا الصومـال بالسين والشائع على الالسنة الصاد ، وقالْ هاجـر اليها العرب من الجزيرة وخاصة من الحساء ولا شك انه يعني الاحساء التي هي هجـر قديما ، ثم قـال اسس فيها سلالة ابو بكر فخر الدين ، وهذا كلام غير واضح يحتاج الى شيء من التحرير . وكلام المنجـد عن مقديشيو كان فى أيام الاستعمار الايطالي فهو حري الآن ان ينزهه عن هذا العار وبنوه بجهاد ابنائه المخلصين

582) فى ص 512 ، ع ل ترجمة للكاتبة المصريـة ملك حفني ناصف ضبط اسمها بكسر اللام والصواب فتحها وجعل لقبها بحاثة البادية والمعـروف باحثـة البادية بصيغة اسم الفاعل لا بصيغة المبالغة .



كنت قرأت منذ زمان طويل اخبار القبائل التي تسمى (اسكمو) واحوال معيشتهم ، ومساكنهم واسفارهم وحالة الجو فى بلادهم ، وذلك معروف فى كتب الجغرافية . والذي يهمنا هنا من أخبار الاراضي القطبية ما شاع أن السنة عندهم يوم واحد ، نهار وليلة ، ستة اشهر للنهار ، وستة اشهر لليل .

ولم اؤمل قط ان ارى تلك الاراضي ، لما قراته من شدة البرد وتراكم الثلوج هناك ، وأنهم يلجأون الى لبس الجلود والاختباء فى بيوت يحيط بها الثلج من كل جانب ، الى غير ذلك من الاخبار .

وفى صيف سنة 1963 اجتمعت بالدكتور زين العابدين خير الله الجلبي كان استاذا فى مستشفى الامراض الخاصة بالنساء فى جامعة ماربورك بألمانيا، فأخبرني أن الاراضي القطبية واسعة ، وليست محصورة فى الاراضي التي يسكنها قبائل (اسكمو) وانه هو نفسه زار الاراضي القطبية فى شمال النرويج ، وركبنا القطار والسيارات مدة يومين ، اثنى عشر يوما لم ير فيها ظلمة ولا ليلا ، بل كانت كلها نهارا .

ومن ذلك الحين عزمت على زيارة هذه الاراضي فى اقرب وقت ممكن . فلما اشرفت السنة الدراسية على نهايتها ذهبت الى السفارة النرويجية فى الرباط، وسألتهم عن الاراضي القطبية التي لا تغيب فيها الشمس بضعة اشهر ، فأخبرني أن الامر كذلك ، وأن هناك نواحي تابعة للحكومة النرويجية تبقى الشمس فيها مشرقة مدة ثلاثة اشهر من أول مايو (أيار) الى آخر يوليوز (تموز) فتأهبت للرحلة وتوجهت من مكناس فى سيارتي يسوقها الحاج احمد هارون فى اليوم الثاني من يوليو ، وسرنا متوكلين على الله من مكناس الى تطوان ، ثم عبرنا البحر من سبتة الى الجزيرة الخضراء ، ثم سرنا عبر اسبانيا ففرنسا فألمانيا ، فالدانمارك فالسويد فالنرويج ، وتركنا السيارة فى مدينة (اوسلو) عاصمة النرويج ، وأن سكانها متمدنون ، وأنه اقام هناك نحو فوصلنا مدينة (ناروك) ، وشاهدنا الشمس مشرقة مدة اربع وعشرين ساعة .

أوقات الصلاة فى الاراضي القطبية :

كنت عازما قبل أن اصل الى تلك البلاد على ان اصلي خمس صلوات فى مدة اثنتى عشرة ساعة ، ثم اترك الصلاة اثنتى عشرة ساعة ، فتكون خمس صلوات فى اربع وعشرين ساعة .

فلما وصلت الى تلك البلاد تغير رأيي ، وظهر لي أن تتبع أوقات الصلاة فى تلك البلاد الاراضي الجنوبية من البلاد النرويجية ، فيصلي المصلي صلاة الصبح وقت طلوع الفجر فى الجنوب ، ويصلي الظهر حين تزول الشمس فى الجنوب ، وهكذا الشأن فى جميع الصلوات ، بناء على قاعدة : ما قرب من الشيء يعطي حكمه ، وكذلك يفعل الصائم فى رمضان اذا جاء فى وقت الشمس ، أو فى وقت الظلام.

هل فى الاراضي القطبية فصول ؟

ينبغي أن يعلم أن فى تلك البلاد ما يشبه الفصول الاربعة ، وقد تقدم ان الشمس تستمر مشرقة من أول مايو (أيار) الى آخر يوليوز (تموز) ثم تغيب غيابا جزئيا فى اول غشت (آب) فى كل يوم تبقى غائبة اكثر من اليوم الذي قبله ، فيكون الليل

596) فى نفس العمود بعنوان الميمية ما يلــي : قصيدة (ألفها) ابو السعود شيخ الاسلام .. تداولتها العربان اولها :

أبعـــد سلمـــى مطلب ومـــرام
وغير هواهـــا لوعـــة وغـــرام

وصواب الشطر الاول ليتزن : أبعـــد سيمى ولم ندر ما قصد بقوله تداولتها « العربان » والقصيدة مذكورة في كتاب الكشكول للعاملي وغيره . ولطـــول حرف الميم لم نتتبع عبارات المنجد فى هذا الحرف التي تحتاج الى تقويم ، وانما ذكرنا هـــذه لنضمنها هـــذه الاشـــارة .

طنجـــة — عبد الله كنـــون

— عبيرنا رهج السنابك —

يروى ان عبد الله بن المبارك العالم العامل والعابد المجاهد خرج مـــع المسلمين يوما لمجاهدة اعداء الاســـلام ، ولما دارت رحى المعركة كتب رسالة الى صديق لـــه فى مكة كان قد تخلف عن الركب ، وفضل التفرغ للعبادة بجوار الكعبة قال فيها :

يا عابـــد الحرميـــن لـــو أبصرتنـــا
لوجـــدت أنـــك بالعبـــادة تلعـــب
من كـــان يخضـــب خـــده بدموعـــه
فنحورنـــا بدمائنـــا تتخضـــب
ريـــح العبيـــر لكـــم ونحن عبيرنـــا
رهج السنابـــك والغبـــار الاطيـــب

هكـــذا فهـــم الاولـــون معنـــى العبـــادة .

اما مدينة ناروك التي تقدم ذكرها فقد سافرنا اليها من (اوسلو) ، بعض المسافة بالقطار ، وبعضها بالسيارة ، وكنا فى كل بضع ساعات نجتاز خليجا من خلجان البحر ، بمعدية ، وهي باخرة كبيرة ، تدخلها السيارات ، فتبقى فيها نصف ساعة او اكثر حتى تصل بها الى البر ، فتخرج السيارة منها وتستأنف سيرها .

وقد رايت القطار نفسه يعبر البحر فى معدية بين المانيا الشرقية والدانمارك فى مدة ساعتين . وتلك المعدية ضخمة عظيمة الحجم ، ذات ثلاث طبقات، يصعد الى الطبقة العليا بالمصعد الكهربائي .

وهناك معدية رايتها تستعمل بين سبتة والجزيرة الخضراء ، وهي ايضا عظيمة ، ولكنها دون تلك . وليس مقصودي ان اصف هذه الرحلة ، لان وصفها يحتاج الى مؤلف مستقل ، وانما ذكرت ما تقدم استطرادا .

من وحي الاندلس — قصيدة من بحر جديد

لما مررنا بأرض الاندلس فى رحلتنا الى شمال اوربا تذكرت اهل الاندلس المسلمين ، وما كان لهم من المجد والسؤدد ، فقلت هذه القصيدة ، وهي من بحر جديد اخترعته . واجزاؤه اربعة : مستفعلاتكم مستفعلن مرتين . له عروض واحدة صحيحة ، لها ضربان ، أولهما مذيل ، والثاني عار عن التذييل ..

وكل هذه التفاعيل بفتح العين ومعناها : مستخرجاتكم مستخرج ايها المسلمون ، فالزموا مستخرجاتكم ولا تهملوها .

وقد احدث العرب المولدون أوزانا شعرية زائدة على بحور الشعر بعد زمان العرب الاقحاح ، ونظموا عليها شعرا كثيرا ، ثم جاء زمان الموشحات والازجال ، فاشتغل بها العرب فى الشرق والغرب ، واشتملت على ادب جم . ونظم بهاء الدين زهير شعرا اخترع له وزنا خاصا ، وهو قوله :

يا من لعبت به شمول
ما الطف هذه الشمائل

فلا غرابة اذا اقتديت به ، والقيت دلوي فى الدلاء . وهذا نص القصيدة :

لما بدا لنا جمالكم
اضحت قلوبنا اسرى الغرام

وانبعثت بها مودة
تنمو وتزدهي على الدوام
قد طال هجركم وصدكم
وما رثيتم للمستهام
ولم نزل نفي بعهدكم
وما رعيتم لنا ذمام
فهل سمعتم بقاتل
لمن يحبه هذا حرام
هبوا اسيركم لو نظرة
صلوا عميدكم لو بالكلام
اما ترونني متيما
لم تدر مقلتي اي منام
محبتي لكم عفيفة
غدت بريئة من كل ذام
وعاذل اتى يلومني
كلامه غدا مثل الكلام
فقلت : يا فتى ويحك اتئد
فأنت طالب ما لا يرام
عذلك زادني صبابة
فكف او فزد من الخصام
يا موطنا غدا مفتخرا
بخير امة من الانام
بالعرب اذ علوا مراتبا
قد بلغوا بها اقصى المرام
اندلسا دعيت في الورى
وجنة سمت خير مقام
معجزة فلم ير الورى
لها مماثلا لو فى المنام
كيف افتخارنا بمجدهم
ونحن لم نزل بلا نظام
والخلف ما لهم مفتخر
لكن عليهم بالاحتشام
الا اذا حيوا واتحدوا
وارتجعوا الى نهج الكرام
واتبعوهم في دينهم
دين محمد بدر التمام
فالعرب ما لهم معتصم
الا بحبله ولا التئام
والعز عنهم مبتعد
الا اذا اقتدوا بذا الامام
فهو حياتكم فى بدئهم
وهو حياتهم على الدوام

قصيرا والنهار طويلا ، ولا يزال الامر كذلك ، يزداد الليل طولا والنهار قصرا الى آخر اكتوبر (تشرين الاول) فتغيب الشمس وتبقى ثلاثة اشهر غائبة ..

وفى اول فبراير (شباط) تطلع الشمس . ثم لا تلبث ان تغيب ؛ فيكون النهار قصيرا والليل طويلا . ولا يزال النهار يطول . والليل يقصر الى آخر ابريل (نيسان) ثم ينعدم الليل . فهذه مدد تشبه الفصول الاربعة فى البلاد التي يكون الليل والنهار طول السنة .

وقد عرفنا حكم اوقات الصلاة فى الاشهر الثلاثة الشمسية . ومثلها الاشهر الثلاثة المظلمة . بقي حكم اوقات الصلاة فى ربيع تلك البلاد وخريفها ، وهما مدتان ، يكون فيهما ليل جزئي ونهار جزئي ، فكيف الحكم فى اوقات الصلاة والصيام ؟

لا يمكن ان نفكر فى هذه المسالة ثم نبدي راينا فيها الا اذا احطنا علما بليلها ونهارها ، كيف يطول وكيف يقصر . فالليلة الاولى بعد انتهاء مدة الشمس، وهي اول ليلة من غشت (آب) كم طولها ؟

فاذا كان طولها نصف ساعة او اقل ، فهل يحكم عليها بانها ليلة تصلى فيها المغرب والعشاء والصبح عند نهايتها ؛ ويفطر الصائم ، ويتسحر فيها ، ويصوم نهارها ؛ ويصلي الظهر والعصر فى وسطه ، ام يستمر على اعتبار توقيت العاصمة (اوسلو) ويعتبر الليل ليلا ، والنهار نهارا ؟ وما مقدار الساعات التي يبلغها الليل طولا حتى يعتبر انه ليل ؟ واذا مضى اكثر الاشهر الثلاثة وقصر النهار جدا يعود السؤال نفسه . وهكذا يقال فى المدة الثانية التي تبتدىء من شهر فبراير (شباط) وتنتهي فى آخر ابريل (نيسان) .

فان قيل : انت اول من بدا هذا البحث ، فعليك ان تجيب عن اسئلتك ، وتبدي رايك ؟ قلت : يمنعني من ذلك انني من اهل الحديث المتبعين للسلف الصالح المتجنبين للراي ، المعتبرينه كالميتة لا يجوز الاكل منها الا بقدر الضرورة . فما نزل من المسائل ، وتحقق وقوعه ؛ وسئلنا عنه افتينا فيه بالراي قائلين: ان كان صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فمنا ، والله بريء منه ، كما قال عبد الله بن مسعود .

اما مدة الشمس فقد وجب علينا ان نجتهد فى حكم اوقات الصلاة فيها ، لان ذلك وقع ونزل ، وقسنا عليه مدة الظلام ، لانهما سواء . اما المدتان الاخريان فندعهما حتى يحتاج بعض المسلمين الى معرفة الحكم ، فييسر الله له من يفتيه .

وقد كان السلف الصالح ، اذا سئل احدهم عن مسألة استحلف السائل بالله ، انها وقعت ، فان حلف له افتى فيها برايه ، والا قال : دعها حتى اذا نزلت ييسر الله لها من يفتي فيها .

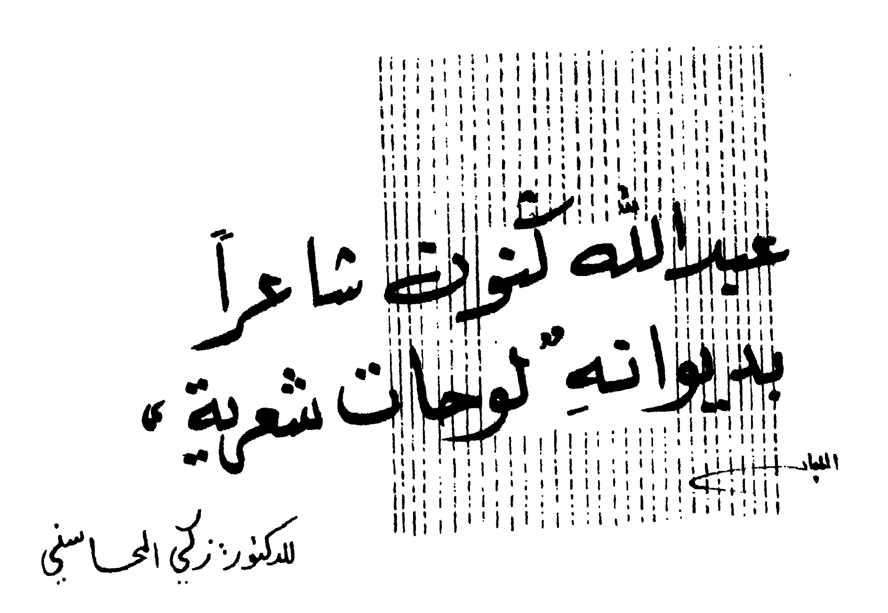
وما زعمه بعض المتقدمين من ان بلاد بلغار يقصر فيها الليل والنهار جدا وهم ، وقد لاحظت ان الليلة الاخيرة التي مضت قبل وصولنا الى بلاد الشمس فى نصف الليل ، كما يسمونها ، لم تكن مظلمة ، حتى اني مع ضعف بصري ، وانا راكب فى السيارة ، كنت ارى الاشجار ، واغصانها تتحرك ، ولا توجد ظلمة اصلا ، الا ان الشمس مختفية . ومن حين يتوسط الانسان بلاد النرويج متوجها من الجنوب الى الشمال تقل ظلمة الليل شيئا فشيئا حتى تنعدم بانعدام الليل نفسه . فسبحان الخلاق العليم .

ولاحظت ايضا : كما لاحظ من معي ان الشمس فى نصف الليل تكون قريبة من الارض ، كانها تريد ان تغيب ، لكنها لا تغيب ، بل تأخذ فى الارتفاع وتدور فى السماء ، فتشكل دائرة من نصف الليل الى نصف الليل . قال الله تعالى فى سورة الحج (46 أفلم يسيروا فى الارض ، فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، او آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الابصار ، ولكن تعمي القلوب التي فى الصدور) فأخبر سبحانه وتعالى أن السير فى الارض يزيد فى العقل والعلم المكتسب بالتجارب ، وقل رب زدني علما .

وهناك فى تلك الناحية قبائل بدوية تسكن الخيام ، ولها ماشية ، وهي الايائل ، وهي نوع من الحيوان يشبه الظباء ، الا انها اكبر منها ، وقرونها متشعبة كالاشجار يحلبونها ويأكلون لحومها ، وينتفعون بجلودها . ولا يستطيع شيء من سائر الحيوان كالبقر والغنم أن يعيش فى تلك البلاد غير الايائل ، لشدة بردها ، وكثرة ثلوجها ، ولتلك القبائل لباس خاص .

وسمعت انهم وثنيون ، لا يدينون بالنصرانية التي يدين بها اهل تلك البلاد ، ولا أعلم مقدار هذا الخبر من الصحة ، وليس هذا الجو خاصا بشمال النرويج ، بل يعم كذلك شمالي السويد .

وقد علمت أن من اراد ان يشاهد الاراضي القطبية التي فى شمال السويد يستطيع ان يسافر اليها بالقطار .



كم ذا ، كنت احب التعبير الفرنسي في الصديق القديم (Mon vieux)

وكم يروقني ان اطلق على اصدقائي الذين سلخت العمر بصحبتهم وودهم ان ادعوهم بمثل هذا التعبير العربي الجميل ! ..

من هؤلاء القدامى الاحبة صديقي الاستاذ العظيم اديب المغرب وعلامة العرب والاسلام فى القرن العشرين « عبد الله كنون » اني اقرأ فيض عبقريته فى كل شهر بمجلة مجتمعنا العلمي العربي بدمشق وحين تفد علي مجلة (دعوة الحق) الحبيبة ابدأ بالتهام مقاله ثم اتحلى بالمقالات التالية .

ولقد ارسلت اليه ابياتا بواكيا فى رثاء امه الحنون لمرور عام على غيابها عن دنيانا ، وسرعان ما ورد علي منه رسالة وكتاب ، أما الرسالة فقد املاها على الآلة الكاتبة استجابة لطلبي منذ سنين اذ لم استطع قراءة خطه المغربي ، ونحن فى الشرق لا نجيد قراءة الخطوط المغربية ، وهذا تقصير فينا . وقد حملَ الي البشرى برسالة فى انه أخرج لقرائه ديوانا من شعره ، فحمدت الله قبل أن انظر فى ديوانه ، اذ كان لابد ـ عندي ـ من ان يغالبه الشوق فى شعره ليراه مطبوعا فى ديوان ، وهو منذ سنين استجاب لرغبتي فى أن أراه يجعل عوده الى المغرب بطريق الشام اذ كان رئيسا لوفد الحجاج المغربي ، فيا لله كم كان سروري بالفا ومؤنسا حين حظيت برؤيته ولقائه الحبيب بضفاف بردى ، ويا لله امسية ضمتنا فى متنزه « اشبيليا بدمر »

فى ضاحية من ضواحي دمشق الفواحة اذ كان الماء يندلع من مطافر على بركة كبيرة وساعتئذ والغروب يدلف الى مراتعه الداكنة اخذ الشاعر الكبير عبد الله كنون يقرأ لي من شعره العذب المصفى ، ولم اكد اسمع هذا الشعر الرقيق الرصين والمكين الحر حتى اقامني سماعه واقعدني ، فهتفت به :

ـ يا لك شاعرا مكينا كبيرا ، اين خبأت هذا الشعر وانت رب الشعور تساقط عليك الموحيات من رباته الفواتن ، فهلم لطبع ديوانك ! ..

واخذنا نضحك من اجل ربة الشعر ، فان العرب زعموا ان لكل شاعر شيطانا يلهمه واخذت انبذ هذا الزعم مريدا الربات الفواتن لاخيلة الشعراء ، لا الشياطين الراجمين .

كل ذلك مر بخاطري وانا التهم التهاما جديدا ديوان صديقي القديم عبد الله كنون الذي اسماه (لوحات شعرية) وقد كتب مقدمته معربا عن قعوده عن الشعر زمنا حتى كان هذا ديوانه الاول فى هذه الآونة العطرة من عام 1967 .

يقول فى مقدمته الوارفة انه مزق من شعره جانبا . واني لاعد هذا العمل وادا ، فكيف جاز لعلامة الادب والدين الاستاذ كنون ان يئد من شعره البنات الفوالي وقد نهى الاسلام عن الواد « واذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت » والقصيدة بنت الشاعر ولا يجوز وأدها مهما يبلغ الامر فيها من قدم ، او ضعف ، أو خلاف .

وكلمـــا اتتفـــوا خـــلافــــه
فهـــو ضلالـــة وهـــو الحســـام
صلـــى عليـــه مـــن ارسلـــه
هـــدى ورحمـــة يجلـــو الظـــلام
مـــا غـــردت ضحـــى حمامـــة
واشرقـــت ذكـــا بعـــد غمـــام
والآل والصحـــاب كـلـهـــم
أزكـــى صلاتـــه مـــع الســـلام

وقد اطلع على هذه القصيدة الاديب الكبير العالم المحقق العبقري سيدي عبد الله كنون فاعجبته واثنى عليها . فاحببت ان اتحـف بهـا القـراء الاعـزاء . وسأستأنف حلقات (تقويم اللسانين) بعد نشرها ان شـــاء اللـــه .

وفى الاياب من هذه الرحلة عرجنا على قرطبـــة وزرنا مسجدها ، فاعتراني شعور فيه روعة واجلال واعجاب ، وحزن ، لا اقدر ان اصفه بلسان ولا بقلم : ولا اظن ان شخصـــا له شعور انساني يرى ذلـــك المسجد ولا يعتريه مثل ذلك الشعور ، سواء اكـــان مسلما ام غيـــر مسلم .

وصف جامع قرطبـــة

من أمثال العرب : ان الحديث لـــذو شجون ، وقد بدا لي ان انقل هنا وصف مسجد قرطبة الجامـــع من كتاب مدنية المور فى الاندلس الذي ترجمه بالعربية من اصله الانكليزي لمؤلفه (جوزيف ماك كيب) ليـــرى القارىء العربي المسلم شيئا من مجد اسلافه وهـــذا نص ما قاله فى وصف مسجد قرطبـــة :

لم يبق من آثار قرطبة فى القرون الوسطى الا اثر واحد ، وهـــو جامعها الذي لا يزال الى اليوم ، جميع اطفال قرطبة يسمونه مسجدا ، ولولاه ما تجشم احد عناء السفر لمشاهدة قرطبة ، ولـــو كانت علـــى خمسة أميال منه ، ولكن الناس من جميع انحـــاء الدنيا يسافرون اليها ليشاهدوه .

وهو اعظم معبـــد فى الدنيـــا بعد كنيســـة (سنت بيترس) ، وهو آية لا نظير لها من الهندســـة والبناء . وظاهر هذا المسجد لا يستولي على اللب ، ولم يكن المور الذين كانوا يفضلون الاقامة داخـــل البيوت اكثـــر مـــن خارجها يهتمون نسبيا كثيـــرا بالظاهـــر .

واما فى الداخل فهناك العجائب ، اذا دخلـــت الجامع من اي باب من ابوابه التسعة عشر يخيـــل اليك انك تائه فى غابة مـــن اشجار المرمر ، ففيـــه ثمانمائة وستون سارية رقيقة من المرمر والرخـــام واليسر ، وفيه غير ذلك الف واثنتا عشرة سارية .

وفيه تسعة عشـــر رواقا ، ينتهي كـــل منها ببـــاب من الابواب التسعة عشـــر ، ولـــه سقف خشبـــي منخفض نسبيا ، قد زخرف احسن زخرفة بالارجوان والذهب .

وفى الاعياد الكبيرة توقد مائتان وثمانون ثريـــا من الفضة والنحاس ، يحترق فيها الـــزيت العطر ، وتتلألأ فيها آلاف كثيرة من المصابيح ، فتلقى انوارها على ذلك المشهد . واكبر ثريا منها كان محيطها ثمانية وثلاثون قدما (فوت) يحمل الفا واربعمائة واربعـــا وخمسين مصباحا ، ولها مرآة تعكس النور ، فيزيد شعاعه تسعة اضعاف . وفيها (6000) الف طبق مـــن الفضة مسمرة بالذهب ، ومرصعة باللؤلؤ .

وكان الجامع قد شيد مع مضافاته فى القـــرن الثامن والتاسع والعاشر . والمحراب الذي هو اقدس محل فى مسجد المور ، كان فيه حنيتان ، وكان أعظم زخرفا من سائر المساجد . وآخر المحراب يشبـــه صدفة من رخام ، وله مدخل يتلألأ كالذهب الخالص أو الديباج بفسيفسائه الجميلة . واحيل القارىء علـــى كتب زخرفة البناء او كتب الاستدلال ، ليرى عجائب هذا الجامع العظيم .

وكان بناؤه من النصارى المنتمين الى الكنيســـة اليونانية . وكانت بينهم وبين المور مودة ، فجلبوهم لبنائه ، وهو اثر لمدينة زاهرة ، لا يضاهيها اليـــوم شيء فى الدنيا كلها . وكان عبد الرحمان الاول مؤسس هذه الدولة . قد جعل مدينة قرطبة على مثال مدينـــة دمشق التي قضى فيها اوائل عمره ، وهو الذي ابتدأ بناء الجامع ، واتمه الخلفاء الذين جاءوا بعده . وبلغت نفقاته علـــى مـــا حدث بـــه مؤرخـــو العـــرب (300.000.000) دولار ، وكان هذا آخر عمل عملـــه فى حياته . وقد شيد غير هذا هو وخلفاؤه ورجـــال دولتهم قصورا فخمة ، ومساجد كثيرة ، كانت تزيـــد المدينـــة فى كل سنة جلالة وبهـــاء اهـ

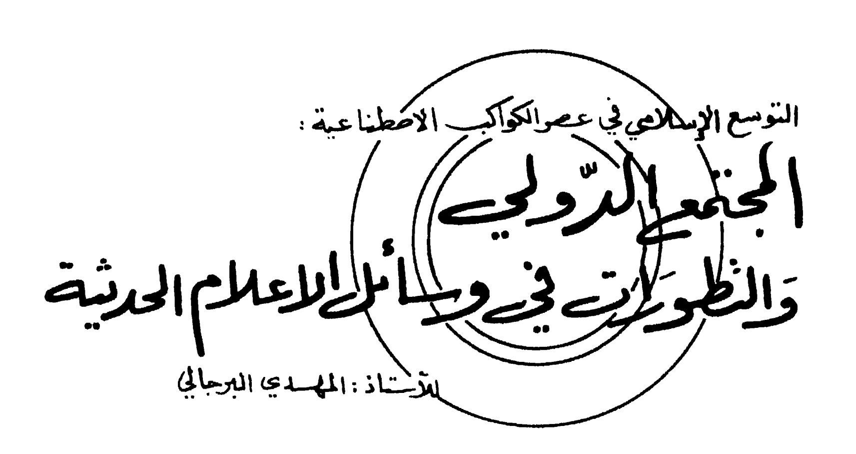
أولئـــك آبائـــي فجئنـــي بمثلهـــم
اذا جمعتنا يـــا جريـــر المجامـــع

لكن لا ينبغي لنا ان نقتصر على الافتخار بمجدهم، بل ينبغي لنا وبتحتم علينا ان نعمل بقول من قال :

لسنـــا وان احسابنـــا كـــرمـــت
يومـــا علـــى الاحســـاب نتكـــل
نبنـــي كمـــا كانـــت أوائلنـــــا
تبنـــي ونفعل مثـــل مـــا فعلـــوا

فنسأل الله أن يوفقنا لاحياء ذلك المجد الشامخ، انه على ذلك قديـــر .

الدكتور تقـــي الدين الهلالي



الاعلام ، قوة من القوى الرئيسية ، العاملة فى محيطنا العالمي الراهن ، والمؤثرة بشكل او بآخر — في تكييف العقلية الفردية والجماعية ، على مستوى العالم كله ؛ لقد كانت الجريدة أداة الاعلام الرئيسية خلال القرن الماضي وأوائل الحاضر ، أما اليوم فان العالم يدخل في عصر الاعلام عن طريق الكواكب الاصطناعية فما هي الملابسات الناشئة عن ذلك ؟ وما هو موقف المجتمع الدولي من مثل هذه الامور ؟

لعله لا يخطيء من يذهب الى تسمية عصرنا هذا بعصر الاعلام أو عصر وسائل الاعلام ، اذا ما فضل آخرون لهذا العصر تسميات اخرى ، تنطبق عليه ايضا ، كالعصر النووي أو الفضائي أو غير ذلك ؛ وفي موضوعنا هذا الذي نعالجه الآن ، لا نبتغي التوسع فى تبيين قيمة الدور الحيوي الذي تؤديه وسائل الاعلام فى حياة الحضارة الحديثة فذلك ، مما نعيشه عمليا ونعيش آثاره والحقائق المرتبطة به فى شتى الميادين . فأدوات الاعلام هي — فى دنيانا الحاضرة — من اشد ادوات الحضارة تغلغلا فى حياة الناس ، وانتشارا بين ظهرانيهم ، مما قد لا نحتاج معه الى ايراد الحديث عن أهمية هذه الوسائل الاعلامية ، ودورها القوي فى المجتمع الانساني الحاضر ؛ لكن وسائل الاعلام — اذا كانت تؤدي ادوارا فى حياة الحضارة الحديثة ، قربت المسافات بين الناس ، وساعدت على تعريفهم ببعض البعض ، فان لها من جانب آخر ، ملابسات دقيقة ترتبط بها على وجه أو آخر ، بل وينتج عنها — اي عن هذه الملابسات — جملة قضايا ومشاكل ، قد تكون محرجة فى بعض الاحيان . وهذه الملابسات والمشاكل والقضايا المتعلقة بها ، هي ما يعني — بصورة اخص — رجال القانون الدولي ، فى وقتنا هذا ، وقد تزداد عنايتهم بالموضوع اكثر بكثير ، مما هو عليه الامر الآن ، نظرا لازدياد تشعب وسائل الاعلام الحديثة ، واتساع مداها ، وتنوع وسائلها ، واشتداد فاعلية تاثيراتها على صعيد العالم قاطبة ؛ ان انواع التاثير التي تحدثها وسائل الاعلام الحديثة ، تتناول الفرد ، كما تتناول الجماعة ، وتمس الحياة المجتمعية المحدودة فى كل قطر على حدة ، كما تمس الحياة الدولية والعالمية عموما ؛ وكل هذا مما يخلق حالة الاهتمام القانوني بالانظمة الاعلامية الحديثة ، باعتبار انها — اذ تمس العلاقات بين الناس على مستوى العالم كله — فلا بد ان ينجر عنها كل ما ينجر عن الاحتكاك بين الناس من عواقب قانونية دولية ، كأي شيء يتعلق بحالة العلائق بين الاقطار بعضها ببعض ، والشعوب بعضها مع بعض .

وياتي كل هذا ، من كون انظمة الاعلام الحديثة ، قد خلقت حالة فريدة من نوعها ، لم تكن موجودة من قبل ، بمثل هذه الصورة ؛ وهذه الحالة هي التي تتمثل فى زوال اية قيمة للمسافة والحواجز الفاصلة بين الدول ، وتهيؤ المجال هكذا ، أمام مختلف الدول ، لايصال كل ما تبتغي قوله الى الشعوب الاخرى عبر حواجزها الطبيعية والاصطناعية دون ان تستطيع تلك الحواجز شيئا فعالا ودائما لحجز ما يصدر عبرها من

وقد عتبت فى كتاباتي على الشاعر العظيم ولي الدين يكن اذ كان قد مزق كثيرا من شعره ، وكذلك فعل الشاعر الفرنسي الفريد دو موسيه ..

وكيف دار الامر فقد اخذت اسكب على ديوان « لوحات شعرية » شعوري وتأملي وعقلي ونظراتي في الادب والنقد والتحليل فاذا بي ادهش لما ارى من شعر فى موضوعات اشتات فى الوطنية والوصف والشكوى والغزل ايضا ـ وهل على عبد الله كنون من حرج أن يتغزل ؟ ان جلباب الوقار الذي يزين منكبيه لا يزحزحه عنهما شعر الغزل ولا الغزل نفسه .

وآنست فى شعره حزنا مريرا وقد يكون دفينا فى مثل قوله فى قصيدته التي اسماها : « الحماسة العصرية »

فان كان فى طبعي اتضاع لماجد
فرب اتضاع كان فى حسنه كبرا
يقول حسودي انني متطامن
وكيف ونفسي قد تجاوزت الشعرى
لئن غره مني مداراة جاهل
فان السياسي من يداري الورى طرا

فأثار فى كوامن نفسي قضية الحسد فرحت انظر الى شعره ويدور خاطري بأبيات لابي الطيب المتنبي فى شكواه من حسد حساده حتى حسدوه على حياته ، حتى سمى ابنه الاوحد « محسدا » وقد قتل معه . وكان الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر محسودا فالف رسالة فى الحاسد والمحسود جاءت فى التحليل النفسي اعجوبة ادبه وفكره ، وفي ديوانه اي الاستاذ عبد الله كنون قصائد ممتعات وروائع فواتن تموج بخواطر مليئة بالحماسة والذوب فى حب الوطن والرثاء للعظيم الاديب والفداء للحركة الوطنية والحركة الاسلامية والاعياد الملكية . ولقد رحت الوب على شعره فى رثاء امه التي توفيت منذ عام فلم اجد من اجلها مرثيةفىديوانه(*)ولقد رثى اباهـ ووجدتمقطوعة بعنوان (وداع) فيها حزن وما احسبه من اجل الام فأخذت اعتب عليه بيني وبين نفسي ثم ابحت هذا العتاب قلمي ليبلغه وليكون فى ديوانه الثاني البكاء على الام . وانني حتى اليوم لم اجمع شعري ليكون ديوانا حتى لا احمل الى قرائي الاعزة وقارئاتي العزيزات احزانا ومواجد وان ديواني سيكون فيه عشر قصائد في امي .

ولم يخل الشاعر الكبير عبد الله كنون ديوانه من الروح العلمية المعاصرة فكتب قصيدة فى الذرة واحب ان يجرب حظه فى الشعر الحر فعمل قصيدتين اردفهما بقصائده المستقيمة الخليلية العامرة ، والظاهر انه يعطف على الحركة الجديدة فى الشعر المنثور ، وانا من اجل عطفه اتجاوز عن نقده فى هذه التجربة التي يريد بها عبد الله كنون ان يلبس اللبوس المعاصر ، ولو كان ما فوق الركبة (Mini-jupe) فارتد خيالي اليه ـ حفظه الله ـ حين دمر علي بدمشق فاذا بي اطالعه فى بذلة اوربية وعقدة عنق وهو حاسر الراس عليه من الشباب ما يغالب الكهولة وكان ارسل الي صورا لشخصه الحبيب بالبرنس الابيض الصوف المغربي وعلى رأسه العمامة البيضاء .. ولعل من يقول، حين يقرا مقالي هذا ، اني لم اورد له شعرا فيه سوى ابيات ثلاثة وليعلم هذا القائل اني ارغبه بهذا الشعر الجميل المكين وبشاعره الموهوب ، ولقد دللته على النبع فليرد موارده الدارة ليجد الري فيها .

فللاستاذ الصديق القديم عبد الله كنون عواطر تحياتي من ضفاف بردى تأتيه بها الانسام عليلة هفهافة على « طنجة » التي كم أتوق لرؤيتها ولتسريح الطرف فى المغرب الاغر بعد ان سرحته فى كتب افذاده البواقع وقد اطرفوني بها ومنهم صديقي الفيلسوف والاستاذ الكبير الدكتور العميد عبد العزيز الحبابي واخي الاديب الموهوب والسفير السياسي المحنك عبد المجيد بن جلون وسواهم كثير ممن اقرا لهم واتوق الى رؤيتهم من كتاب وشعراء ومفكرين .

واذا ختمت هذا المقال عدت بالقول الى قصيدة (المكتبة) فى ديوان « لوحات شعرية » اذ وصفها الشاعر الملهم بأنها حرم الفكر والشعور فاحببت ان تشاركني الاعجاب بها بنتاي « ذكاء وسماء المحاسني » وهما الحائزتان على الليسانس فى الوثائق والمكتبات من جامعة القاهرة ولقد طربتا واعجبتا بها اذ وجدتا نفسيهما سادنتين لهذا الهيكل الفكري الخالد الذي هو (المكتبة) .

دمشق — الدكتور زكي المحاسني

(*) لقد توفيت المرحومة والدة الاستاذ سيدي عبد الله كنون بعد طبع الديوان .

الاربع والعشرين ساعة دون انقطاع ؛ والادوات التي يقوم عليها الجهاز الاعلامي العصري ، تتنوع — كما نعرف — بقدر ما عند الانسان من تنوع في الحواس والسبل المؤدية الى التعقل ؛ فهناك الوسائل الاعلامية المتعددة على السمع فقط ، كالاذاعة او السمع والبصر في آن واحد كالسينما والتلفزة ؛ او البصر لا غير ، كمعارض الرسوم ، وخزانات الكتب والصحافة المكتوبة وغير ذلك مما في هذا المعنى ؛ ان كل هذه الوسائل تتضافر جميعها لايصال « افكار العصر » ومعطياته المختلفة الى ذهن الفرد عن طريق حواسه السمعية والبصرية ، وبجميع ما يمكن من ملابسات الاغراء كالاستعانة باللون والنغم والمفاجأة ، واستغلال غريزة الفضول والاثارات المختلفة ، ومن كل نوع ؛ وتختلف الموضوعات الاعلامية التي يتلقاها المرء كل يوم ، اختلافا لا حد له متراوحة هكذا بين اشد المواضيع السياسية والعلمية تعقيدا ، الى المواضيع الفكاهية والتسلية وما في حكمها . الا ان مجموع المواضيع الاعلامية الملقى بها الى الفرد . تتركز كلها تركزا يساهم في صياغة عقلية هذا الفرد من ناحية اجتماعية واقتصادية وسياسية ويساهم — بالنتيجة — في التأثير على نظرته الى نفسه، والى قومه والى العالم والى الحياة نفسها،وما يتلبس بها من فلسفات ونوازع ؛ ولا نقول بهذا ان وسائل الاعلام الحديثة هي وحدها التي تكيف عقلية الفرد على نحو ما نرى عليه الفرد في مجتمع أو آخر من المجتمعات؛ ان وسائل الاعلام لاتعدو ان تكون وسائل وكفى ، فليست هي التى تكيف عقلية الفرد ، وانما الذي يكيفها هو مختلف المؤثرات التي يجدها الفرد في مجتمعه منذ بداية ابصاره للنور ، بما يدخل في ذلك من المفاهيم التي يدين بها الآباء ، والروح التي تسود حياة الدراسة الرسمية . والمواضعات التي يسير عيها المجتمع مبدئيا او عمليا . يتمثل ذلك في تقاليد هذا المجتمع ، وفلسفته، وطراز حياته والسلوك الشائع في حظيرته ، والاقوال التي تروج في محيطه وغير هذا من العناصر التي تشكل منها صورة حضارته الخاصة ، كل هذا يلعب الدور الرئيسي في صياغة العقلية الاصلية التي ينشأ عليها الفرد . والسبيل الفكري والعملي الذي يسير عليه في الحياة ؛ وبهذا يتسلسل الفرد عن مجتمعه ، ويبقى مؤتمنا على الوديعة الحضارية التي يتلقاها عن هذا المجتمع ؛ يبقى كصورة من الصور عن هذه الوديعة، صورة تصلح لان يقتبس منها فرد او افراد من الجيل التالي الذي هو جيل ابناء ذلك الفرد او احفاده المباشرين ؛ وتاتي وسائل الاعلام في الغالب ؛ لا لتخلق شيئا عند الفرد ، خارجا عن ماهية الوجود الحضاري الذي يعيشه منحدرا اليه من قومه ، ولكن لتركز فيه بطريقتها الخاصة ، جوهر العناصر الفكرية والحضارية القومية التي تلقاها في الاصل عن مجتمعه ، اي انها تعمل على اخصاب هذا الوجود الحضاري القومي عنده، وتوسيع آفاقه واعطائه منطلقات جد غنية وايجابية ، وادعى الى زيادة تغلغل الفرد في حضارة قومه وحياتهم الخاصة ، وهذا دور مهم تؤديه وسائل الاعلام الحديثة، في نطاق العمل الدائم الذي يبذله المجتمع من اجل ضمان اندماج افراده فيه ، وجعل هذا الاندماج اكثر حيوية وفاعلية وبنائية ؛ لكن هناك بهذا الشأن سبيلا لملاحظة احوال تبدو في هذا النطاق ، تبعا لما هناك من اختلاف في فلسفة الاعلام عند اهل هذا البلد أو الآخر ، واختلاف كذلك في المناهج والقوالب والصيغ التي تسير عليها عمليات الاعلام في شتى الاقطار بالعالم المتخلف او العالم المتقدم . فالفرد — عندما يتلقى عن المجتمع في البيت والشارع وغيره ، جملة قيم واصول هي قوام حضارة ذلك المجتمع وشخصيته الفريدة — ان المرء عندما يتلقى ذلك ، فانه يتلقاه بصورته الطبيعية الصادقة التي تعكس روح المجتمع ، الحقيقية ، كما هي ، بطبيعتها النموذجية التي لم يتسرب اليها تعبير اساسي ؛ اما عندما يحتل الفرد مقعده في المدرسة فانه لابد ان يجد هناك صورة معدلة عن روح مجتمعه وتقاليد بلاده . داخل اطار فيه بعض التجديد والتغيير، يتمثل ذلك في الحقائق « غير القويمة » التي تاخذ المدرسة على عاتقها تلقينها للطفل لتربط الصلة بينه وبين الحقيقة الاكثر اطلاقية والاشد تجريدا كالقضايا العلمية ، والحقائق الرياضية وغيرها ، وعندما تنتهي المعاهد المختلفة من صياغة عقلية الطفل المعدلة ، الجامعة بين ارتباطه بحضارة قومه ، وحضارة العالم ، وبين الحقائق المجردة في الحياة — حينئذ يصير الفرد حرا في كثير من اختياراته الفكرية وما ياخذ به ، وما يرفضه من معطيات الفكر والنظر ، ضمن الحدود الاساسية التي تشكل شخصيته القومية والانسانية ؛ وهنا تاتي وسائل الاعلام الحديثة ، لتكون بالنسبة اليه المدرسة الدائمة التى تتعهد الحالة العقلية المعدلة ، التي صيغ عليها ذهنه في المدرسة ، هذا اذا كان قد تعلم . اما اذا كان غير متعلم ، فان وسائل الاعلام ، تقوم بالنسبة لهذا الاخير بدور الصائغ الاساسي لعقليته المعدلة ، الجامعة بين ارتباطاته ، واتصالاته بالعالم الخارجي عنه ماديا ومعنويا .

الا ان هناك عناصر جديدة في الموضوع ، تظهر عند انتقالنا من وسائل الاعلام بالمدرسة وما في حكمها،

بضاعة اعلامية اجنبية ، قد تنال موافقة المصدرة اليهم هذه البضاعة وقد تكون مدعاة لاثارة اشمئزازهم وسخطهم كذلك .

ومن مفارقات عصرنا ، ان قدرة وسائل الاعلام على اختراق الحواجز المختلفة بين الاقطار قد حصلت فى نفس الوقت الذي اشتدت فيه الرغبة عند الدول فى اقامة مزيد من الحواجز فيما بين بعضها البعض، يدعو الى ذلك ما هو واقع من تناقض المصالح الاقتصادية وغيرها بين الامم ، واشتداد المشاعر القومية والاقليمية فى كلمكان .

وهذا التناقض بين القدرة على اختراق الحواجز التي لوسائل الاعلام الحديثة ، وبين الرغبة فى الابقاء على الحواجز ، وتنميتها طبقا للمقاييس والمفاهيم التي تسود اعضاء المجتمع الدولي فى عصرنا الحاضر — نقول : هذا التناقض الحاصل هو من بين ما تثيره الادوات الاعلامية الحديثة من قضايا وملابسات مثيرة للاهتمام ؛ الا ان ما ذكرناه هو صورة واحدة من المسألة تتعلق بالصلات بين الامم بعضها مع بعض ، ويبقىهناك فى المسألة صورة أخرى تتعلق بصلة الفرد بمجتمعه ؛ وفي هذا النطاق ايضا ترتبط بوسائل الاعلام ملابسات مختلفة تتعلق بمدى حرية فكر الفرد ازاء الوسائل الاعلامية المتغلغلة فى كل مرفق من مرافق حياة الافراد فى اي مجتمع ، والى اي حد يحق بل يجب على وسائل الاعلام ان تتدخل فى تكييف عقلية الفرد ، وتطعيمها ، وتوجيهها على نحو ما من ميادين التوجيه .

وسواء بالنسبة للفرد وعلاقته بالمجتمع ، او بالنظر لعلاقة الامم بعضها ببعض ، فان المفاهيم هنا تختلف اختلافا كبيرا ، حول الدور الذي تقوم به وسائل الاعلام فى هذا المضمار ، وما اذا كان هذا الدور يجب ان يؤدى على كيفية او أخرى ، ليكون دورا ايجابيا مفيدا حقا ؛ فوسائل الاعلام الحديثة ، تقوم بنشاط يومي جبار فى كل انحاء العالم ، لكن تقدير الناس لهذا النشاط يختلف بحسب مفاهيمهم ونظرياتهم ، والمؤثرات التي يتأثر بها كل فرد او كل جماعة ؛ فهناك من يرى فى وسائل اعلام معينة ان ما تقوم به ، هو عبارة عن عمل توجيهي مفيد ، يخدم مصالح المجتمع او المجتمعات أو يبصرها بما يجب أن تسعى اليه وتعمل له ، بينما يرى آخرون فى سياسة اعلام من هذا القبيل ، انها تقوم على مسخ الحقائق وتحريف الوقائع والعدوان الناشيء عن سوء نية : النية التي ترمي الى تحقيق نوع من البلبلة والتهديم لامبرر معقولا لهما ؛ وقد تجد من بعض الجهات سياسة اعلام اكثر محافظة ، والتزاما للمواضعات الدولية المعمول بها ، ولكنك قد تجد — من جهة اخرى — من يرى فى هذا الالتزام بالمواضعات الدولية ، نوعا من التحفظ المبالغ فيه ، والذي يقلص — كما يرى مثل هؤلاء — من فاعلية التأثير الموجه الذي يجب ان يقوم به الاعلام فى الاصل .

هذه الاختلافات فى تعيين مفهوم رسالة الاعلام، وتعيين حدود لها اكثر ثباتا وما يجب ان يقوم به الاعلام الحديث من وظيف ، فى بناء المجتمع المحلي، ثم ما يجب ان يقوم به من دور كذلك فى تكوين علاقة سليمة وبناءة بين المجتمعات المختلفة — نقول ، مثل هذه الاختلافات ، ليست أمرا بسيطا فى حد ذاته ، بل انها امر ذو بال ، والى حد كبير . فقضية الاعلام — بهذا الاعتبار — تتعلق بكثير مما لدى الناس من مفاهيم مختلفة فى السياسة والثقافة والتنظيم العام بكل مدلولاته وموضوعاته ، وما يتخذونه حسب هذه المفاهيم من مناهج وسلوك فى التفكير والعمل ثم ان الموضوع كذلك يتعلق بطبيعة الفلسفة التي ياخذ بها قطر او آخر من الاقطار ، والعقلية التي تسيطر على هذا المجتمع ، او غيره من المجتمعات : ان الامر هنا — امر وسائل الاعلام — اذا كان فى اطاره التقنولوجي الذي يعطي صورة عن حالة توسع تقني ، هو من أهم مميزات العصر ، فانه من جانب آخر ، يضع على المجتمع الانساني ، مسؤوليات جسيمة ، مسؤوليات تتلخص فى جعل الاحتكاك الناشيء عن توسع الوسائل الاعلامية احتكاكا ايجابيا ، مستنيرا ، وتلافي كل ما امكن — الصعوبات التي تسببها حالة الاحتكاك والتواجه بطبيعتها .

فالنظر الى موضوع الاعلام من هذه الزاوية ، هو اذن نظر فى وجه من اوجه الحضاره القائمة ، واستطلاع لافق مهم من آفاق الحياة الانسانية الراهنة ، حيث تتداخل التقنولوجيا مع الحياة العامة للناس تداخلا كبيرا ، وحيث يتطلب هذا التداخل كثيرا من التطور الفكري على صعيد الانسانية ، لتلافي المشاكل الناشئة عنه .

* * *

يقع الفرد — فى عصرنا الراهن — تحت تاثير اعلامي شديد التركيز عليه ، يحيط به من مختلف الاوجه ، ويصاحبه طول نهاره وليله كذلك ، أي خلال

الفرد فى مختلف انحاء العالم ؛ وعامل ذلك ـ كما نعرف ـ التطور السريع الشامل الذي ادركته المواصلات الحديثة فى عالمنا الراهن حيث تتخذ الارض والبحر والهواء مطايا سهلة الاستعمال لتحقيق اضخم عمليات تواصل بين المجتمعات الانسانية عرفت لحد الآن ؛ وتاتي بعد ذلك الامواج الكهربائية المغناطيسية لتجعل هذا التواصل ، فوريا وشاملا على النحو الذي يكاد يجعل من الفكرة هنا وهناك ، ارثا مشاعا بين جميع الناس ، لا اعتبار لما بينهم من ابعاد ارضية وبحرية مترامية ، على شتى المحيطات والقارات والجزر بانحاء كوكبنا الارضي .

فهل من الممكن اعتبار هذه الحالة ، بمثابة حظ حسن توفر لانسانية القرن الحالي ، من بين ما توفر لها من حظوظ جميلة فى مضمار الحضارة والتقدم ؟

ربما يعتبر القاء هذا السؤال ، غير ذي موضوع ، نظرا لبداهة الجواب الذي ينتظر من القائه ؛ والا فمن يجادل فى الفائدة التي يجنيها الانسان المعاصر من الامكانية التي توفرت له : ان يلتقي مع موارد الثقافة والراي عند غيره فى شتى بقاع العالم ، كل هذا بمجرد حصوله على كتاب يقتنيه ببضع دراهم ، او مجلة او صحيفة ، لايكلفه الحصول عليها الا ثمن ازهد من ذلك بكثير ؛ وقد لا يكلفه ذلك شيئا مباشرا حينما يضع يده على الزر ، زر جهاز الاستقبال عنده ، فاذا به ملتق مع خارج بيته فى نفس اللحظة والحين .

حظ جيد توفر ـ ولا شك ـ لانسان هذا العصر ، الذي اصبح فى امكانه هكذا ان يتعلم ويتثقف، ويكون الراي والذوق ، بعشر معشار ما كان يصرف فى سبيل ذلك من جهود قبل ؛ غير ان هذا الحظ الجيد لا يخلو هو ايضا من ملابسات تتصل به ، هذه الملابسات قد تبدو منطوية على بعض التعقيد فى نظر البعض ، وقد يراها كثيرون بالغة حد المشكل الذي يجب ان ينظر اليه باهتمام ، ويعنى بتصفية الآثار التي قد تنتج عنه فيما اذا لم تقع تصفيته ، قبل ان تتولد عنه مضاعفات محتملة . فما مصدر هذا التعقيد الذي تخلقه الحياة الاعلامية المتطورة فى عصرنا الراهن ؟ وما هي آثاره والنتائج المترتبة عنه ؟ وماذا يفكر فى موضوعه على مستوى العالم ؟

اشرنا فى فقرة سالفة الى المظهر البسيط لهذه القضية التي يعتبرها البعض بمثابة مشكلة تخلقها وسائل الاعلام الحديثة ، وذلك حينما قلنا ان هناك تناقضا كبيرا بين الرغبة التي تجتاح عصرنا دافعة الامم الى اقامة الحواجز فيما بين بعضها البعض ، بينما تسير وسائل الاعلام الحديثة ، نحو القدرة على اختراق هذه الحواجز والنفوذ منها نفوذا غير مراقب، وغير مضبوط بحال من الاحوال ، والواقع ان مايثير الالتفات فى هذا التناقض ، ويظهره بمظهر المشكلة عند عدد من الناس فى العالم ، هو ان اختراق الحواجز هذا لا ينحصر مداه عند حد معين ، بل يزداد نطاقه توسعا وامتدادا بقدر ما تزداد التقنية الحديثة توسعا وامتدادا هي كذلك ؛ فالصور المنقولة عبر الامواج كان مداها ينحصر فى منطقة محدودة داخل القطر الواحد ، أو حتى اذا ما توسع مداها ، فانها لاتتجاوز النواحي المجاورة لذلك القطر الذي تصدر عنه الصور المنقولة (المتلفزة) غير ان نظام الاقمار الصناعية قد احدث بهذا الصدد تحولا مدهشا فى مجال الصور المنقولة ، اذ عمل على توسيع نطاق انتقالها ، فصار من الممكن تبادلها بين القارات وعبر المحيطات الشاسعة ، كما برهنت عنه تجربة نقل البرنامج التلفزيوني بين اوربا وامريكا منذ بضع سنوات مضت ؛ والتجربة التي تم بموجبها نقل الصور بكل وضوح من امريكا الى غربي اوربا ، مسجلة بذلك بداية الدخول فى فترة جديدة من التواصل العالمي ، لها ما بعدها فى برامج المواصلات اللاسلكية عبر الكوكب الارضي .

وقد جرت فى اليابان خلال سنة 1964 دورة الالعاب الاولامبية ، التي تقع دوريا على راس بضع سنوات كما نعلم ؛ وليس المهم فى الامر ، وقوع الالعاب ونجاح الدورة تلك بالشكل الذي نجحت به ، وانما موطن الاهمية بهذا الصدد ، هو النجاح الاعلامي الذي تحقق بتلك المناسبة والذي تم على اساسه نقل صور بواسطة القمر الصناعي ، العملية التي تمت خلال تلك الدورة ، كانت بالعكس من ذلك ـ مجرد بداية لفتح صفحة جديدة فى تاريخ العلم وفي تاريخ الاعلام ، وفي تاريخ العلاقات الدولية عموما ، هذه الصفحة ما تزال فى بداية انفتاحها ، اما الآفاق التي تلوح من خلال هذه الصفحة الجديدة فتبدو لها ملامح مليئة بالوعود الواسعة ، التي من شأنها ان تحدث فى حياة العالم من التطورات ، ما احدثه ظهور البث اللاسلكي ، والطيران ونحوهما ؛ الوعود الواسعة التي ذكرنا ، تتصل ـ طبعا ـ بموضوع المواصلات ، والمواصلات الاعلامية

الى وسائل الاعلام العمومية ، على مستوى الصحافة وغيرها من الوسائل التي استعرضنا صورا منها من قبل . ان هذه العناصر الجديدة تظهر (اولا) فى كون وسائل الاعلام العمومية تتوجه الى جميع مستويات الناس ابتداء من الاطفال الى الشيوخ وما بين ذلك ؛ ثم ان وسائل الاعلام العمومية ـ وان كانت تتقيد بمباديء اساسية فيما تقدمه من مواد ـ فان هذه المباديء الاساسية نفسها ، تتأثر بعقلية الانسان القائم على وسائل الاعلام والمكيف لطريقتها وقوالبها ، بل والمكيف كذلك لروحها فى بعض الصور ؛ واظهر ما يظهر لنا هذا فى الصحافة المكتوبة بالنسبة للمجتمعات الليبرالية فى الاقطار ؛ فالصحافة فى مثل هذه الحالة، تتمتع بقسط كبير من الحرية فى التوجيه والاقناع ، مما ينوع امامها السبل التي تتخذها فى هذا التوجيه والاقناع ؛ وقد لا يقع ان تخرج كل الصحف عن اطار الاهداف والمباديء القومية والانسانية التي ياخذ بها المجتمع والتي يتلقى المرء اصولا لها فى اسرته والشارع والمدرسة ؛ بيد ان التلوين الدقيق لابد ان يدخل في صميم هذه المباديء والاهداف المعروضة على الناس بواسطة الصحف ، تلوين يتأثر بعقلية الكاتبين في الصحف ، والموجهين لها ، ويتأثر كذلك بنوازعهم واقتناعاتهم الشخصية ، التي لايلزم ان تتخذ وجهة واحدة الامر الذي يجعل للحقيقة الواحدة اكثر من صورة ، واكثر من لون ؛ وعلى افراد المجتمع العاديين ان يتلقوا كل هذه الصور والالوان المتضاربة ، ويهضموها جميعها ويتمثلوها تمثلا يسهم فى تكوين عقلياتهم وافكارهم ، على اساليب ومناح مختلفة .

* * *

هذه الحالة من تعديد الصور للحقيقة الواحدة ، واختلاف الوسائل الاعلامية المؤدية الى هذا التعديد ، تجد انصارها الذين يذهبون فى تأيد ذلك الى القول ، ان الفرد الراشد الناضج لايمكن اعتباره دائما كتلميذ مدرسة ، تصب عقليته فى قالب واحد ، يشبه جميع القوالب التي تستعملها كل المدارس الاخرى فى بلاده . ان المرء الراشد يصبح فى العادة ذا قدرة اكبر على تكوين افكاره بنفسه ، وسلوك سبيل هذا الاختيار أو الآخر فيما ياخذ به من نظريات ومذاهب ، تاتي اليه من خارج ذهنه ، فالمجتمع الذي صاغ له عقليته القومية منذ صغره ، قد منح له المادة الخام التي يرتكز عليها وجوده الفكري والحضاري فى بلاده ، اما المدرسة فقد ساعدته على تنمية ملكاته ، وصقل عقليته ، وربطت بينه وبين العالم الخارجي ، ومنحته من خلال ذلك ، امكانيات العثور بنفسه لنفسه ، على افكاره واستنتاجاته الخاصة ، التي قد تكون استنتاجات مشابهة لما عند عموم الناس، فتعتبر لذلك استنتاجات عادية ، او عادية جدا ، وقد تكون استنتاجات فريدة من نوعها ، وذات عطاء خلاق ، فتعد استنتاجات نابغة او عبقرية ؛ وفي جميع هذه الحالات ، يكون المرء ـ وهذا هو الاهم ـ ذا قدرة على الاستنتاج لنفسه ؛ ولهذا فان تلوين المادة الاعلامية التي تقدم له تلوينها بحسب النوازع والمقاصد والعقليات التي للقائمين على تقديم هذه المادة الاعلامية ـ هذا التلوين ، لا يجب ان يعتبر ضارا بالعقلية العامة عند الناس ، ولو كان ينطوي فى بعض ما ينطوي عليه ـ على ما يوجب الحيرة والاضطراب فى افكار بعض الناس وتصوراتهم ؛ اذ ان الحيرة التي تثيرها الموضوعات والاستنتاجات المتناقضة ، مما تحمّله ادوات الاعلام المقروءة وغيرها ، سرعان ما تستقر بالمرء فى الاخير على شيء ، على استنتاج هو من بنات فكره واختياراته ، وحينئذ يكون الاستنتاج من هذا النوع ـ الاستنتاج وليد الحيرة والتأرجح ـ اكثر غنى واعمق اساسا من غيره من الاستنتاجات المبتسرة التي يكونها الآخرون لانفسهم مباشرة ، وبدون اصطدام بآراء مختلفة ومتناقضة عند الآخرين ، وبدون معاناة الحيرة وما فى معناها .

ويقابل هذه النظرة الى الموضوع ، نظرة اخرى تذهب الى ضرورة تضييق الباب امام الاختيارات الفردية فى ميادين الفكر والثقافة ، بحجة ان تعدد الاختيارات وتنوعها بغير تحديد ، من شأنه ان يبث روح البلبلة الفكرية التي لا تستقر على هدف ثابت ، ومن شأنه كذلك ، ان يجعل الفكر ذا طبيعة ترفية اكثر من ان يبقي عليه كأداة توجيه دقيق ملتزم ومتناسق يؤدي الى مقاصد مدروسة مقدما ، ومنسجمة مع الاهداف الحيوية للمجتمع .

وليس من استنتاج قد يؤدي اليه مثل هذا التفكير الا الاستنتاج القائل بافضلية صهر ادوات الاعلام المختلفة ، فى بوتقة واحدة ، تستمد روحها من نهج مشترك ، وفكرة مشتركة ، وان كانت الصور والاساليب المظهرية ، تختلف فيما بينها اشباعا للحاجة الطبيعية الى التنويع والتلوين ، ولو من حيث المظهر فقط ، واذا كان هناك من الاقطار النامية من ياخذ بهذا المبدا الاخير ، فان الحياة العالمية الآخذة فى التشابك والتداخل باقصى صورة ممكنة تسير عمليا نحو فرض مبدأ التنويع ، وتكثير الصور الاعلامية المعروضة على

هذه الشبكات من الاقمار الصنعية والاشراف هكـــذا على توجيه المحتوى الاعلامي الذي ينبعث عن هـــذه الاقمار ؛ ومثل هذا الاحتمال قد اثار بالفعـــل عـــدة اعتراضات قانونية وجيهة ، تنصب كلها على التساؤل عن معقولية ان تتولى دول معـــدودة ، السيطـرة على مقاليد التوجيه الفكري العالمي ، مساهمـــة في تكييف الافكار السائدة في المجتمع الانساني على الكيف الــذي يتفق مع نظرتها الخاصة ، تتذرع الى ذلك بما يتوفر لها من استعدادات ضخمة في التقنية والمال وغيرهما ؛ وبطبيعة الحال ، فان مثل هذه الحالة لاتبدو معقولـة اطلاقا ، ومتناقضة مع مبدأ التفاهم العالمي الذي هـو على صيغة التفاعل ، بمعنـى التشارك في الفعـــل من طرفين او اطراف متعـــددة ؛ بقيت ـ بعد كل هذا ـ حالة ثالثة ، وهي حالة اشراف دولي مشتـــرك علـى محتويات الاعلام الذي تتولى بثه شبكـات الاقمـــار الاعلامية المحتملة ؛ وقد حدثت على الصعيد الدولـي حول هذه النقطة بالذات ، مبادرات مهمة بقدر كبيـر، وترتسم حول الموضوع ملامح اتجاه عالمي مثمر ، قـد نعرض لتفاصيله ـ بحوله تعالى ـ في حديث قادم .

ســـلا ـ المهدي البرجالي

ـ تكفيــه الشكوة الواحــدة ! ! ـ

حكى ان رجلا مر على اناس من قبيلة من قبائل الزوايا في شنقيط ـ (اولاد ابييدى) وكان الناس يرمونهم بسقـم الفهم ـ يدفنون ميتا ، فحضـر لينال الثواب ، فلما وضعوه في القبر ، صبوا عليه شكوة من اللبن . فقال لهم الغريب: « ما هذا ؟ » فقال له عالمهم : « في رسالة ابن ابي زيد : ويصب عليــه اللبـن . الاصل : ينصب عليه اللبن ، بكسر الباء ، فحرف هذا ».

فقال الغريب : « تكفيــه الشكــوة الواحـــدة » .

بوجه اخص ! وقد تحققت وسائل الاعلام اللاسلكية في خلال الثلاثين سنة الاخيرة ، التطور الذي نلمسه على صعيد حياتنا اليومية ، الا ان هذه الوسائل الاعلامية اللاسلكية ، لم تصل لحد الآن الى المستوى الكمالي الذي ينشد من حيث المبدأ ؛ فما يزال البث الاذاعي على الامواج القصيرة ، يلاقي في بعض الاحيان مصاعب طبيعية جمة ، تحول بينه وبين ان يؤدي مهمته دائما على الوجه الاكمل ؛ وما زالت « التلفزة » وهذا اهم ما في الامر — محدودة المدى في كل بلد لا تتجاوزه الا الى البلدان المجاورة ؛ حتى ولو بلغت الاجهزة المرسلة للصور مدى بعيدا في الكمال التقني ، ومثل هذه النقائص ، ليس مما يسهل سبيل التواصل العالمي على النحو الذي يراد به اقامة مثل هذا التواصل ، فانحاء الارض محتاجة الى « رؤية » بعضها بعضا مباشرة ، كما هي في حاجة الى « سماع » بعضها بعضا مباشرة كذلك ؛ وهذه « الرؤية » المباشرة على المستوى العالمي ، هي ما تتركز حوله الاهتمامات الان ، بعد نجاح مبادرة سنة 1964 في اليابان ، والتطورات التقنية في هذا الميدان ، التي اعقبتها بعد ذلك .

على انه اذا كانت التطورات التقنية ، قد بلغت المدى الذي تنفتح معه ابواب الوعود بهذا الصدد ، على مصراعيها ، فان هناك — من الجانب الآخر — قضايا متعلقة بالقانون الدولي ، يثيرها هذا الموضوع من اساسه ، ولا ينتظر ان تصل هذه القضايا في الاجل القريب الى تسوية عالمية محكمة ؛ ان القضايا القانونية من هذا القبيل التي يخلقها امر التوسع في الاقمار الصناعية على صعيد الاعلام تتصل بما سبق ان اشرنا اليه — قبل — من حالة التناقض القائمة في هذا العصر، التناقض بين رغبة الدول في تقنين التسرب الاعلامي الى اراضيها او الاكتفاء بمراقبة تسربه على الاقل ، وبين اندفاعية وسائل الاعلام الحديثة ، وطغيانها على كل مراقبة ، وتقنين ، وخاصة فيما يتعلق بالاعلام عبر الاجواء الحرة ، التي لاتخضع لحدود او قيود ؛ ان الاقمار الصناعية التي يراد لها ان تفتتح عصر الصور المنقولة عبر العالم كله ، تعد ولا شك ، اكبر تحد يمكن ان يقوم ضد الرغبة العامة في مراقبة التسرب الاعلامي وتقنين تسربه — عند الاقتضاء ، وهذا النوع من التحدي يثير تساؤلات كثيرة في عدد من المحافل العالمية ، ويثير مع التساؤلات دواعي تفكير في المستقبل الاعلامي على مستوى العالم ، والملابسات القانونية والسياسية التي يخلقها ذلك ، أو من شأنه ان يخلقها بالضرورة ؛ وتتركز التساؤلات حول هذه الشبكة من الاقمار الصنعية التي ينتظر لها ان تصبح اداه رئيسية لنشر ثقافة اعلامية على مستوى عالمي شامل ، الامر الذي — اذا ما تم بالفعل — فان من ابسط نتائجه ، هو اقصاء الحواجز الاعلامية نهائيا بين الدول وجعل المجتمع الانساني العالمي ، واقعا تحت فكرة اعلامية متشابهة في كل مكان ؛ ولا شك ان الامر على هذا النحو سيبدو خطوة ايجابية جدا في سبيل العمل على تقريب تيارات الفكر العالمي بعضها من بعض ، وخلق جو موحد للتفكير والتقييم والاستنتاج عند مختلف المجتمعات الانسانية ، التي تباعد بينها تناقضات الافكار بقدر ما تزداد افكار الناس تعددا وتشعبا ، وتتناقض مصالحهم بالتبعية لذلك ؛ والواقع انه من السهولة بقدر كبير تبين مظهر الايجابية على نطاق واسع في مثل هذه الآفاق التي يعد بها عصر الاقمار الاعلامية الصنعية ، غير ان المظهر المثمر لهذه الآفاق ، لا يجب ان يحجب عن الاذهان ، اهمية المشاكل العملية التي يحدثها تقدم عالمي من هذا القبيل ، وهناك حالتان اساسيتان يمكن ان تتركز فيهما معطيات الاعتراض الذي قد يقوم بهذا الشأن ، (اولى) الحالتين ، ان تنفرد كل دولة بتكوين « شبكتها » الخاصة من الاقمار الاعلامية ، الصنعية وهذه الحالة ، فوق انها غير ممكنة من الناحية العملية ، اذ ان الدول ليست كلها بذات امكانيات مالية وعامية وتنظيمية تمكنها من تكوين « شبكات » اقمار صنعية ، بحيث تنفرد كل دولة بشبكتها الخاصة — فضلا عن هذا ، فانه — ولو مع فرض ان تستطيع كل دولة دولة ، شيئا من هذا القبيل ، فان الذي لابد ان ينتج عن ذلك بطبيعة الحال ، هو زيادة تعقيد الحالة الاعلامية بالعالم ، وجعلها اداة تعارض على نطاق اوسع مما كان لحد الآن ، لا اداة تفاهم وتلاحم فكري على النحو المنشود من حيث المبدأ . (ثانية) الحالتين ، ان تتولى الدول ذات الامكانيات الكافية ، اي الدول الكبرى ، تكوين

كمثـــل روض نــاعـــــم
بـــزهـــــره ، محتفـــــل
انظر الى ســـــري فمــــا
يلفى لـــــه مـــــن مثــــل
وكيــــف لا ونشــــاتـــــي
« نيــــل بلــوغ الامــــل »

94 — لولا فساد الناس ...

فى الرحلة العياشية :

« قال ابو الحسن الزيات : ماشيت بعض الادباء بشرقي قرطبة فمررنا بمسجد خرب ... فكتب ذلــك الاديب على المسجد ..

بأي جناية وبـــأي ذنـــب
بيوت الله خربها الزمـــان ...

ثم انحم ..! ودرنا بجوانب ذلك المسجد وعدنا ولم نر احدا ..! فوجدنا بيتا مكتوبا ..:

فساد الناس خربها ولـــولا
فساد الناس ما فسد الزمـــان

95 — فى شمعـــــة ..

وجدت للشيخ العروضي ابي الطيب وابي البقاء صالح بن شريف الرندي هذين البيتين فى وصف شمعة:

وصفراء لون التبر قاسمتها الهوى
اذا ما بكيت الحب ليلا بكت معـــي

كمثلي فى لوني ، وسقمي ، وحرقتي
وصبري ، وتسهيدي ، وصمتي ،وادمعي

96 — فى البحـــــر ...

ووجدت له ايضا فى البحر ...

البحر اعظم مما انـــــت تحسبـــــه
من لم ير البحر يوما ما راى العجبا..
طام ، له حبب طاف علــــى زرق
مثل السماء اذا ما ملئت شهبـــــا

97 — لم تسبح ولم تطـــر ..!

وجدت منسوبا للتطيلي الاندلسي فى وصــــف سفينة ...

تجري فللماء شاقا عائـــم ذرب
وللرياح جناحا طائـــر حـــــذر
قد قسمتها يد التدبير بينهمـــــا
على السواء فلم تسبح ولم تطر..!

98 — انا الفريق فما خوفي من البلل ..!

وجدت فى ختام المقامة التي كتبها الشيخ عبـــد القادر ابن شقرون فى موضوع بنت الرماد « الطنجية » هذه الابيات :

القت الى القوم ما اخفت بباطنها
وفاح منها شذا يبري من العلـــل

اذ قال كل من الاقوام نرجمـــها
ومزقوا لحمها من غير ما زلــل

فأصبحوا ولسان الخبز ينشدهم
« انا الفريق فما خوفي من البلل»

99 — مدائن العجين ... !!

نظر احد الشعراء الاندلسيين الى صورة مدينة من مدن العجين ...!! التي كانت تصنع من الحلـــوى بالاندلس ... فاعجبته وسال لعابه من اجلها .. ! فقال له صاحبها :

صفها .. وخذها .. فانشد ..

مدينـــة مســـورة	تحار فيها السحرة ..
لم تبنهـــا الا يـــد	عذراء ومخـــدرة ..
بدت عروسا تجتلـــي	فى درمك مزعفرة ..
وما لهـــا مفاتـــح	الا البنان العشرة ...!

100 — جامد .. وذائب ..

وجدت فى شعر المعتمد بن عباد هذين البيتين :

لله ســــاق مهفهـــف غنـــج
قام ليسقـــي فجـــاء بالعجــــب

اهدى لنا مـــن لطيــف حكمتــه
فى جامد الماء ذائـــب الذهـــب

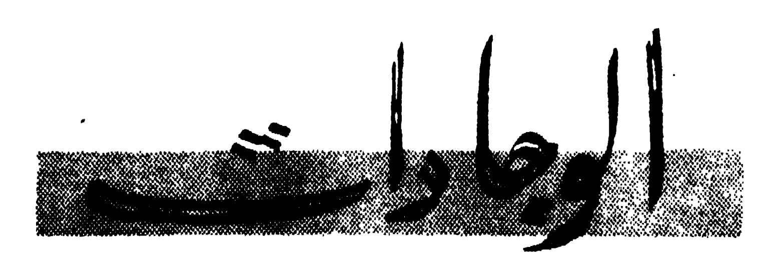
101 — وصف دمية من المرمر فى حمام ..

وجدت فى وصف دمية من المرمر بحمام الشطـــارة باشبيلية .. ابياتا لابن زيدون يقول فيها :

ودمية مرمـــر تزهـــو بجيـــد
تناهى فى التورد والبيـــــاض

لها ولد ولم تعـــرف حليــــلا
ولا المت بأوجاع المخــــاض

ونعلـــم انهـــا حجـــر ولكـــن
تتيمنـــا بالحـــاظ مــــراض



للأستاذ عبد القادر زمامة

92 ـ واجترعنا الفراق والتوديعا ..!

وجدت في مخطوطة « تاج المفرق في حلية علماء المشرق » وهي الرحلة التي دونها الشيخ خالد البلوي الاندلسي ...

« لما دخلت المدرسة السراجية بالاسكندرية .. رايت على باب بيتي الذي سكنته فيها ما نصه :

عليك سلام الله يا خير منزل
رحلنا وودعناك غير ذميم
فان تكن الايام فرقن بيننا
فما أحد من صرفها بسليم
واني لارجو عودة يشتفي بها
غليل محب بالعباد كليم

ثم تأملت فاذا بعده بخط آخر ما نصه :

تركنا ههنا ثم ارتحلنا
كذا الدنيا نزول وارتحال
وما دهر على احد بباق
ولا يبقى على الانسان حال

ثم التفت امامه فاذا بعده بخط آخر ما نصه :

قد حضرنا في ذا المكان وغبنا
وكذا الدهر غيبة وحضور
فاذكرونا يا حاضرين بخير
واعلموا انها الليالي تدور

ثم نظرت فاذا تحته بحائط آخر ما نصه :

قد حضرنا في ذا المكان وغبتم
وقرانا من بعده ما كتبتم
وذكرنا بكل جميل
فاذكرونا بمثله ان حضرتم

فعجبت لدار تدين برحيل ! وتنبىء عن سفر طويل! وتفرق بين كل خل وخليل ..! وكتبت من نظمه هنالك بطرف دامع ..! وقلب عليل ..!

قد اسلتم لنا الدموع نجيعا
وذكرنا كم بخير جميعا
وسألنا يا حاضرين دعاء
واجترعنا الفراق والتوديعا ..!

93 ـ على خدود دار « عديل » بالمعادي ـ !

وجد مكتوبا بخدود بيوت دار « عديل » بحومة « المعادي » بفاس ما نصه :

انظر بديع بهجتي
ذات الجمال الاكمل
كانني شمس الضحى
اذا بدت في الحمل
كانني بكر غدت
تجلى بانواع الحلل
شمائلي شاملة
لرائق الحسن الحلي
شكلي رفيع شكله
وذاك غير مشكل



1 ـ مفهـوم الادب ورسالتـه

للالفاظ التي نستعملها مدلولات تتسع وتضيق، بل وتختلف احيانا ، ليس فقط بين عصر وآخر ولكن في العصر الواحد والبيئة الواحدة ، بين شخص وآخر تبعا للمضمون الذي تحتويه من مفهوم كل فرد وتجربته الشخصية ، وتختلف بين عصر وآخر لنفس السبب باعتبار التطور الحضاري الذي يكسب الالفاظ اشعاعا جديـدا على الدوام ؛ ومن قبيل هذه الالفاظ لفـظ الادب ، بل ربما كان على راس الالفاظ التي اصابت من التطور فى دلالاتها الشيء الكثير . لهذا كان من الواجب تحديد المفهوم الذي يهم هـذا البحث . أما سائـر المفهومات القديمة للفظ والتي تشرحهـا الموسوعات القديمة فلا تهمنا بالنسبة لهذا البحث ، بـل تهـم الدارس اللغوي الذي يرصد التطورات التي عرفهـا اللفظ عبر العصور . وسواء كان هذا اللفظ يعنـي الخلق او الدعوة الى الطعام او مجموعة من الفضائـل او مجموعة من العلوم اللسانية فماذا يكون من فائـدة لهذه المعاني الاثرية اليوم ؟ ومن الحق أن نشير الى أن لفظ الادب اليوم لم يعد يطلق اطلاقا للدلالة على مفهوم متعارف عليه لا يحتمل الاختـلاف ، وانما يقيـد أو يخصص على نحو من الانحاء ، ومن ثم نعثر على عبارات تتمايز الدلالات فيما بينها تمايزا ملموسا كقولنا : أدب الدنيا والدين ، وادب البحث ، والادب التطبيقي وادب النفس وعلم الادب وادب اللغة والآداب العامة . صحيح أن هذه الدلالات على اختلافها تتصل فيما بينها من ناحية وتتصل باصول معان قديمة من ناحيـة اخـرى ولكن الوقوف على هذه الصلة لايهم غير باحث معين هـو الرجل المعجمي اما الباحث فى الادب كفرع من فـروع الثقافة الانسانية او كمظهر من مظاهر التعبير الفني عن الانسان فيهمه تحديد المجال الذي تتحرك فيه ظاهـرة الادب بالنسبة للعصر الذي يعيش فيه ، لا سيما عندما يكون هدف البحث ربط هذه الظاهرة بالمجتمع مـن ناحية وبالدولة من ناحية اخرى .

مـا الشروط الضرورية التي يأخذ معهـا اي انتاج فكري اسم الادب ؟ هناك ضروب مختلفة لنشاط الفكر تستهدف غايات مختلفة ، منها ما هو محاولـة رياضية لكشف نواميس الكون ومنها ما هـو تأويـل فلسفي لظواهر الكون ومنها ما هو تصوير ما يجري فى الشعور او النفس من ضروب التأملات بشكل مـن اشكال التعبير . ومهما قيل فى الادب وصلته بشكـل من هذه الاشكال فانه سيبقى منفلتا من ربقة التجديـد لانه نشاط فكري حر ، يطرق كل باب من ابواب المعرفة ويحلق فى كل جو من اجوائها ، انه الريشة التي تنقـل كل ما يطفح به الحدس الانسانـي فى صياغـة ذات خصائص شكلية تجعل له صلة او نسبا بالفـن . اما مجاله فهو كل ما يتحسسه الفكر فيضع لـه اسما أو يجسده فى الحـرف .

وقديما راى ابن خلدون أن الادب مادة لا موضوع لها ينظر فى اثبات عوارضه او نفيها . فهو لا شك قـد استعرض مجموعة من الاشكال الادبية فلم يجـدها

102 — الشنقيطي .. عبشمي ؟ اموي .. ؟

وجدت في الترجمة التي كتبها المرحوم احمد تيمور لشيخه الباقعة اللغوي محمد محمود الشنقيطي المتوفى بمصر سنة 1322 ما ياتي :

« هو الاستاذ العلامة الحجة الثقة ..؟ امام اللغويين في عصره ! شيخنا محمد محمود بن احمد بن محمد التركزي . الشنقيطي .. اشتهر والده (بالتلاميد) بالدال المهملة ..! وسبب ذلك على ما اخبرني به ..! انه كان يقرىء تلاميذه في خيمة انفرد بها .. فكان كل من يسال عنه يقول : اين خيمة التلاميذ ؟ ثم اطلق هذا اللقب عليه ..

وتركز بضم فسكون اسم قبيلته ..

وهو في الاصل اموي .. النسب .. ؟ ولهذا كان يكتب في توقيعه .. العبشمي ..؟ نسبة الى عبد شمس..! ثم ترك كتابته لما أقام بمصر »

103 — قتيل « المخصص » .

ووجدت ايضا في نفس الترجمة . مما يتعلق بالشنقيطي المذكور :

« وكان لا يمل المطالعة ليلا ونهارا ..! حتى اضنته كثرة الجلوس .. وسببت له امراضا وآلاما ..! لاسيما لما اشتغل بتصحيح كتاب « المخصص » وانه كان يقابله مع شخص آخر بمكان رطب ! في الطبقة السفلى من داره .. فاشتد به مرض الصدر..! والم الرثية * في اطرافه ..! وكثيرا ما كان يقول :

« انا قتيل — المخصص — ؟! انا قتيل الكتب ..»

104 — كيف لا يشرد خوفا من سرف ..؟

وجدت هذه الابيات في ترجمة محمد بن ابي الفضل الصفاد .. وهو الذي ورد على احمد المنصور الذهبي من مكة .. وقد ترجمه ابن القاضي في الجذوة . والدرة .

* الرثية : داء المفاصل .

لا .. وفرع كدجا الليل الغسق
وجبين ضوؤه ضوء الفلق

ومحيا كلف البدر به
وخديد من حواليه شفق

ما ارى الغزلان الا سرقت
منه جيدا . والتفاتا ، وحدق

اخذتها فتولت شردا
كيف لا يشرد خوفا من سرق ..؟

105 — تكبو الجياد ولا تنبو عزائمها ..!

وجدت في ترجمة ابي الحسن الخزاعي مؤلف كتاب « تخريج الدلالات السمعية » التلمساني المولد .. الفاسي الوفاة .. الاندلسي الاب .. ابياتا قالها لما كبا فرس الامير موسى بن ابي عنان المريني .. في سوق الشماعين .. بفاس .. من جملتها .

مولاي لا ذنب للشقراء ان عثرت
ومن يلمها لعمري فهو ظالمها

وهالها ما اعتراها من مهابتكم
من اجل ذلك لم تثبت قوائمها

ولم تزل عادة الفرسان مذ ركبوا
تكبوا الجياد ولا تنبو عزائمها ..

وقد انطلقت هذه — الكبوة — السنة عدد من شعراء ذلك العصر .. ومن جملتهم ابو الحسن الخزاعي المترجم في — الدرة — والجذوة . و مستودع العلامة .. ومقدمة التراتيب الادارية ..

فاس : عبد القادر زمامة

معينة او مغلق على نفسه ، فالأدب وسيلة اتصال ، ولانه وسيلة اتصال بين حريتين فهو حر كذلك ، ولا يوجد ادب له معنى فى مجتمع لا توجد فيه حرية » .

ولما كان الادب هو تعبير الكاتب عن ارادته الحرة ، وكان القارئ ايضا يقرأ للكاتب بمحض ارادته ويستجيب له أو لا يستجيب بمحض اختياره ، فالعمل الادبي اذا وثيقة بين ارادتين حرتين ، فهو وثيقة حرية ، ووثيقة الحرية هذه لا يمكن ان تكون ضد الحرية . لهذا نرى أن أسوأ ما يعترض سبيل ازدهار الادب فى مجتمع من المجتمعات ان يدعى الاديب أو الكاتب لاتخاذ موقف لا يشعر فى قرارة نفسه بانه موقفه كانسان ، أو لم يكن حرا في أن يتخذ غيره ، أو لم يكن حرا فى أن يسير اليه من طريق اخرى . ان الادب حينئذ لن يبقى أدبا وان ظل يحتفظ باسم الادب ، لانه سيفقد الكشف والجدة والدعوة الواعية ، ويتحول الى دعاية وتوجيه لا ينبثقان عن ارادة حرة أو وعي حر وبالتالي سيكون مظهرا لعدم تطابق الكاتب مع ذاته . واسوأ ما فى هذا الوضع ان الكاتب ينفصل بذاته عن جذوره الانسانية وينسلخ عن حريته ويقضي على تلقائية الفكر فى مجتمعه .

هذا الحديث عن حرية الاديب او حرية الادب ربما تراءى تحديا للمجتمع أو تحديا للدولة فى راي بعض الناس ، وهنا نبلغ جوهر القضية المطروحة للبحث ، وهي : **ما الموقف الذي يجب أن يتخذه الاديب من الدولة ومن المجتمع ؟** وتنشأ عن هذا الموقف اقضية اخرى نرى لزاما أن يتعرض لها هذا البحث ، ولهذا رأينا أن نتناول الموضوع من جذوره كي نتبين في وضوح موضع فروعه واذا كان لابد ان نتخذ موقفا فيجب أن نتخذه انطلاقا عن فلسفة شخصية تلتزم قاعدة كلية تطرد فى هذا المجال وغيره .

3) الفرد والدولة والمجتمع

لقد فرقت بين الدولة والمجتمع قصد الدقة والايضاح ، فقد تكون الدولة صورة لارادة المجتمع ، وهنا لا يكون ضير فى اطلاق احدهما على الآخر ، وقد يكون العكس فتكون الدولة هي السلطة الموجهة ويكون المجتمع هو الارادة العامة المعطلة وعندئذ يكون لكل منهما مصيره الخاص وأسلوبه فى العمل والسلوك .

ما الدولة اذن ؟

افضل ان يكون الجواب مستقى من الواقع لا من نظريات فقهاء القانون . لقد كانت الدولة فى فجر النهضة الاوربية الحديثة كما صورها الكاتب الانجليزي توماس هوبس فى القرن السابع عشر هي ذلك العملاق الضخم الذي صنعه الانسان على صورته ليعيش فى حمايته ويتلقى منه الحياة والحركة ، ويجب أن تتمثل فيها القوة المطلقة والسلطان المطلق لانها مسؤولة عن حماية الافراد وتنظيم العلاقات فيما بينهم ، وحماية المجتمع فى الداخل والخارج ، ويوم تضعف أو تهن يجب على الافراد ان يتخلوا عنها ليضعوا امر حمايتهم وسلامتهم فى زمام سلطة اقوى . تلك كانت سلطة الدولة فى هذا القرن ، ويأتي جان جاك روسو ليجمع فى تناسق شاعري بين الفردية التي تعشقها كشاعر وبين منافع التعايش المشترك ، فلم ير فى تعايش الافراد الا ارادة عامة او عقدا اجتماعيا على الدولة ان تمثله وتسير بمقتضاه . وتنطلق الثورة الفرنسية سنة 1787 هذا المنطلق المثالي لتعلن ارادة الامة العامة . على أن الفرد فى ظل العقد الاجتماعي لا يمنح الدولة الا العناصر الضرورية لتحقيق اهدافها بينما يحتفظ لنفسه بل عليه ان يحتفظ بكل حقوقه الطبيعية .

4) صراع الفردية والمجتمع

ومنذ عصر جان جاك روسو تطورت النزعة الفردية تطورا كان له مظاهره الواضحة فى المذاهب الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التي ظهرت بعده ، فلقد كان النصف الاول من القرن التاسع عشر عصر الفردية ، ولكن النصف الثاني من هذا القرن كان رد فعل لهذه النزعة لصالح النزعة المجتمعية . واصبحت الاتجاهات الفلسفية والاجتماعية تتمحور حول موضوع الفرد والدولة مدفوعة بالتطورات الاقتصادية . فقد اقتضى تضخم الصناعات الحديثة التوسع فى تصريف الانتاج كما اقتضى ظهور حق العمل ، وانتقلت الافكار من مبدأ حرية العمل الى مبدأ توجيه العمل ومن مبدأ عدم التدخل فى الحركة الاقتصادية الى مبدأ التدخل ، لتحقيق مصالح الطبقة الكادحة . ودخلت النظريات الاشتراكية مجال الاختبار والتطبيق ، وهي نظريات رغم اصولها القديمة فقد استمدت فى الواقع محتواها من نتائج التقدم العلمي الذي عرفه هذا القرن من ناحية ، ومن التطور الصناعي والاقتصادي الذي كان يأخذ شكل أزمة تنذر بالانفجار من ناحية ثانية . نعم ، لقد واكب هذه التطورات الاجتماعية تطورات اخرى عظيمة فى ميدان العلوم الطبيعية والانسانية ، وتراءى للفلاسفة الاجتماعيين ان بامكان المرء تسخير معطيات علوم الحياة والنفس ومناهج العلوم الطبيعية فى سبيل تطوير الاوضاع الاجتماعية ، وهكذا تتداخل علوم مختلفة وتطورات حاسمة لتزيد مشكلة العلاقة بين الفرد والدولة عمقا

تستقطب موضوعا معينا او لعلها ظهرت له وكأنها صور مستقلة واساليب متمايزة لكل منها طابع فكري خاص .

غير أنها تتحد فى الصياغة واشكال التعبير، فاكتفى بهذا المظهر ، وقال انه شعر ونثر ، وعلى هذا النحو جرى اصطلاح الباحثين الى العهود المتأخرة .

واليوم نجد اننا لسنا بأحسن حالا من العلامة ابن خلدون ، وقصارانا فى تعريف الادب بغير تعريف المدرسيين ان نقول : انه تعبير الانسان عن موقفه الفكري او الوجداني من شيء بالذات . هذا الموقف يختلف فى نوعه ومداه ، فقد يضيق او يتسع وقد يتحرر او يتقيد بحسب شخصية الاديب نفسه ومدى حساسيته بالروابط المجتمعية والانسانية والكونية ، ومدى عمق وسرعة الاهتزازات التي تتحملها او تتلقاها خيوط وعيه المشتبكة بالعالم حوله . والادب تبعا لذلك هو التعبير عن مواقف انسانية ازاء الحوادث والاشياء المختلفة ولتكن امراة او غروب شمس او اصلاحا اجتماعيا ، او ثورة او مجاعة . فهذه الحوادث أو الاشياء كلها قضايا ، لان الفرد مطالب بأن يقف منها موقفا معينا وبشكل فريد يختص به ، حتى ولو كان الموقف جماعيا ، لانه بتفاعله مع هذه الاشياء يعبر عن كيانه ، ومن ثم كان التعبير عن هذا الموقف يقتضي الشعور بقيمة ما يعبر عنه .

والموقف الانساني اي موقف يستلزم درجة معينة من الوعي للذات وللعالم ، والادب تبعا لذلك بوصفه تعبيرا عن هذا الموقف لا بد ان ينطوي على قيمتين :

أولاهما : الجدة ، لانه تجربة جديدة بالنسبة للاديب فهو يعانيها على نحو فردي خاص لا يتكرر ، ومعنى ذلك أن هذه التجربة لايهمها — بالنسبة لصاحبها — كل ما تراكم من تراث الانسانية الادبي عبر الاجيال فى موضوعها ، لان ذلك لا يعني سوى ركام من الثلوج . ان الاديب الحق مسؤول عن التعبير عن موقفه كانسان تجاه الاحداث او الاشياء ، كنموذج فريد ، وبصورة تلقائية فى ظروف فردية بالنسبة اليه لا يمكن تكرارها ، والا كان مجرد آلة ذات نشاط تلقائي لا يختلف فيها زيد عن عمرو ، بل لا يختلف فيها اثنان مهما تباعد الزمان والمكان وهذا خلاف الواقع البشري.

ثانيهما الكشف عن الحقيقة : وليس معنى ذلك ان على الاديب أن يكشف بعض الحقائق التي تصير فيما بعد قوانين مطردة فى النفس او الطبيعة ولكنه مطالب بأن يكشف ذاته كما هي لان فى عمله ذلك كشفا عن جانب من جوانب الكنه الانساني الذي هو عرق نابض فى كتلته اللامتناهية . ان عليه ان يعبر عن ذاته بكل اخلاص وحرية ، وفي ذلك كسب للانسانية . هذا العمل — بحكم حضارتنا — يكاد يصبح عملا ذا مظهر وظيفي او قل انه ينبغي ان يكون كذلك . يقول الكاتب الفرنسي جورج دوهميل : « ان معظم المواطنين فى هيأة اجتماعية عادية تشغلهم مهام عملهم الشخصي واعبائه عن ان يجدوا المقدرة والوقت اللازمين لمعرفة العالم بالمعنى الفلسفي والشعري للكلمة ، وان يعبروا فى لغة لبقة عن خلاصة ما يكتشفون ، وهم يكلون ذلك الى الرجل المختص اي الى الكاتب الذي يناط به — فى حدود ما يتمتع به من ثقة — أن يزاول اعمال المعرفة » ونحن هنا نلتقي مع بعض ما يذهب اليه المذهب الوجودي من ان وظيفة الادب هي كشف العالم حتى لا يظل اي فرد يجهل ما يحدث فيه . يقول سارتر : « ان هدفنا هو المساهمة فى احداث تغييرات معينة فى المجتمع الذي نعيش فيه ، ونحن نتحالف مع كل من يسعى لتغيير ظروف الانسان الاجتماعية وفكرته عن نفسه » . وهذا الهدف مما تعطف عليه الماركسية ايضا لانه لب فلسفتها .

فموقف الاديب يشمل الكشف عن المجهول اولا والجدة ثانيا ، والدعوة ثالثا . اي توجيه المجتمع لانه عندما يختار موقفه لا يختاره عبثا واعتباطا وانما يختاره عن وعي وتقدير لما يجب ان يكون . فكأنه يختاره للانسانية جمعاء فى ظرف كظرفه ، ولان فى هذا الموقف يتمثل الانسجام مع الحقيقة والقضاء على الزيف . ومن هذه الناحية نلاحظ ان الادب يرتبط لا محالة بنزعة اخلاقية معينة ، وان كان لا ينطلق مبدئيا لخدمة هذه النزعة فانه ينتهي اليها .

2) الادب والحرية

لا يتحقق ادب من هذا النوع الذي المعنا اليه الا مع الحرية ، لانه لا يمكن ان نمارس تجربتنا للحياة بمطلق ارادتنا واختيارنا ولا تعبيرنا عن مواقفنا الشخصية ازاء مظاهرها واحداثها ولا ان تكتشف ما هو طي نفوسنا من أسرار وحقائق بل لا يمكن ان نقوم بدعوة للاخرين لما نراه حقا وخيرا الا اذا كنا احرارا كما لو كنا نحن الذين نصوغ العالم لاول مرة او نوجده بارادة مطلقة . يقول الكاتب الفرنسي سارتر: « ولكي يقدم الكاتب هذا العالم لوعي القراء لابد ان يكون كل من الكاتب والقاريء حرا فى تفكيره ، اذ لا يمكن أن يتفاهم كاتب وقاريء كل منهما عبد افكار

تسير الفلسفة الماركسية من حيث هي فلسفة مادية يقول عنها اصحابها انها مفهوم علمي ـ **لانها المفهوم العلمي الوحيد بمعنى انه الوحيد الذي يتمشى مع** ما تعلمنا اياه العلوم ، وماذا تعلمنا العلوم ؟ **انها تعلمنا ان العالم واقع مادي وان الانسان ليس غريبا عن هذا العالم بل هو يستطيع ان يعرفه ، ومن ثم يستطيع ان يغيره** . ان المادية الماركسية هي النظر الى العالم ومواجهته فى تطوره الواقعي ، والعمل على تغييره أو بالاحرى تغيير المجتمع فيه . لـذا اصبحت هذه الفلسفة هي فلسفة الطبقة العمالية الكادحة ، وطبقة البروليتاريا ضد البورجوازية والرأسمالية والاقطاع .

هذا هو مفهوم ما اصطلحنا على تسميته بالنزعة الكلية التي هي محتوى الفلسفة الماركسية اما اسلوبها فى العمل وهو ما يتراءى جوهريا بالنسبة للبحث لان اسلوب العمل هو المناخ الذي على الاديب الملتزم ان يتكيف معه فشيء آخر . فاذا شبهنا المشرف على تطبيق النظرية الماركسية فى مجتمع ما بمهندس اجتماعي ـ ولا ضير فى ذلك ما دام المهندسان معا التكنولوجي والاجتماعي يعملان على التخطيط والتصميم وفق قواعد علمية مسبقة ثم تطبيق هذا التصميم فى حقل الانتاج ـ تمكنا من تصور اسلوب العمل الاشتراكي الكلي النزعة انه هندسة اجتماعية تهدف دائما الى اعادة تركيب المجتمع كله وفقا لخطة محددة كما انها ترمي الى توسيع سلطة الدولة حتى تصير الدولة والمجتمع شيئا واحدا تقريبا . كما تهدف الى التحكم فى القوى التاريخية التي يتشكل بها مستقبل المجتمع المتطور . هذا الاسلوب فى العمل يتحكم فى الفرد ويسخره لغاياته دون ان يأبه لدوافعه الانسانية فهو بدلا من بناء مجتمع يلائم فيه بين الدوافع الانسانية والواقع المجتمعي مع الحفاظ على كرامة الافراد رجالا ونساء يستهدف تشكيل هؤلاء الافراد تشكيلا يلائم البناء الجديد فهو اسلوب يستبعد منذ البداية امكانية اختبار النجاح او الفشل لان كل من سوف لا يلائمهم هذا البناء الجديد سيحكم بعدم صلاحهم لهذه التجربة وبالتالي للحياة فيما بعد أو سيدفعون كرها لتكييف دوافعهم الانسانية وترويض اشخاصهم وفق التصميم الجاهز .

7) ما مفهوم الادب فى ظل النزعة الكلية وما مدلول التزامه فى ظل هندستها الكلية ؟ ؟

لنترك الكلام لاحد رجال الاشتراكية الكلية النزعة وهو الزعيم الصيني ماوتسي طونغ ، ففي محاضرة له مشهورة عن الادب والفن وكان قد القاها فى مؤتمر للادباء الصينيين سنة 1942 يقول عن موضوع الادب: « ان الاعمال الادبية والفنية مهما كانت مستوياتها **هي نتيجة العمل الفني للعقل الانساني وهو يعكس ويصور** حياة الناس ، وهكذا فان الادب والفن الثوريين **هما** نتيجة لانعكاس وتصوير حياة الناس فى عقول الكتاب والفنانين الثوريين » .

وحول صلة الادباء بالجماهير يقول : « **يجب على** الكتاب والفنانين الاكفاء بأصالة **ان يذهبوا بين** الجماهير ويجب أن يهبوا انفسهم **لهم بلا شرط ومن** كل قلوبهم يجب أن ينضموا للصراع المشتعل » ، « ومثل هذا الادب والفن يستطيع ان يدفع الناس **الى** الحركة وان يوقظهم وان يرغمهم على **الاتحاد ليقوموا** بصراع منظم تأخذ الجماهير خلاله مصيرها **فى ايديها** هي » . « ويجب ان نذكر خبراء الحركة **الادبية بأن** الكتاب الثوريين لا يستطيعون أن يضيفوا **عملا ذا قيمة** الا عندما يتحدون مع الجماهير **وعندما يعبرون عن** افكار واحاسيس الجماهير وعندما **يكونون المتكلمين** المخلصين باسم الجماهير » .

ويتحدث عن المقياس النقدي للادب فيقول : « نطالب بالوحدة بين السياسة والفن والادب **ونحن** نطالب بالانسجام بين المحتوى والشكل **اي الاندماج** الكامل الصحيح للمحتوى السياسي الثوري **مع اعلى** مستوى ممكن من الشكل » .

هذه بعض جوانب من اقوال ماوتسي **تونغ تصور** مفهوم الادب ووظيفة الاديب كما ينبغي أن تكون **عليه** فى ظل دولة شيوعية . ونعود الآن **لاجمال معطيات** نظرية النزعة الكلية من حيث المبادىء **والاسلوب** وتصورها لوظيفة الادب ، لكي نحكم **عليها بعد ذلك** .

1) ان الدولة هي التطور النهائي لثورة البروليتاريا فى المجتمع .

2) انه بالامكان احداث تغيير فى تنظيم **المجتمع اذا** تحكمنا فى قوانين سيره التي اكتشفها **العلم والفلسفة** للعمل فى صالح الجماهير مثلما **نتحكم فى قوانين** الفيزياء . لايجاد تنظيمات جديدة .

3) انه بمقدورنا التنبؤ بما سيؤول اليه التطور الاجتماعي فى ظل تجربة كلية كالشيوعية لتحقيق اهداف الثورة الاشتراكية .

4) على الاديب والفنان ان يكون فى خدمة هذه التجربة الكلية بفكره وقلمه وعليه ان يفضح اعداءها ويمدح انصارها ويعطي نفسه للجماهير **بدون تحفظ**

وتوترا . واتضح ان تلك الآراء اصبحت تتبلور في اتجاهات سياسية معينة . ومعنى هذا انه اذا كان قيام الدولة امرا ضروريا لضمان سلامة المجتمع وتوازنه فانها مع ذلك أمام اختيار حاسم لا محيد عنه ، تبعا لنوع الارادة التي تمثلها والوضع والنظام السياسي الذي تقوم على اساسه .

5) ظهور الدولة ذات السلطة الكلية

ان الدولة اما ان تكون قائمة على اساس نظام اشتراكي يقتضيها القيام بثورة اصلاحية جذرية ، وتستهدف تغيير الوضع الاجتماعي كله ، وبناءه وفق نظرية علمية أو فلسفية معينة فهي بهذا العمل وتلك الايديولوجية تواجه تجربة كلية هي التي تستهدفها كل ايديولوجية اشتراكية وهي فى هذه الحال لابد ان تمثل السلطة الكلية فلا تؤمن بحرية الفرد داخل المجتمع كيف ما كان مظهر هذه الحرية ، لان تجربتها بعيدة المدى وتستهدف التغيير وتطوير المجتمع ككل، وما على الافراد الا أن يخضعوا لهذه التجربة وينصهروا فى بوتقتها وان يتخلوا بالتالي عن كل حرياتهم ويسيروا وفق مخطط معلوم لغاية معلومة . واما أن تكون الدولة قائمة على اساس نظام ديموقراطي فهي ترى ان رسالتها تنحصر فى القيام علاوة على وظائفها السياسية بتحقيق عدد من التجارب الجزئية (ذات المدى المحدد ، والمجال المحدد ايضا) وذلك لتحقيق الاصلاح أو التوازن الاجتماعي ، وهي فى هذه الحال لا تمثل الا سلطة جزئية لانها تترك للفرد نصيبا من حق توجيه الدولة وممارسة مسؤولياته وحرياته فى نطاق مشروع فهي بهذا دولة ذات سلطة جزئية .

ان موقف الاديب من الدولة او موقف الدولة من الاديب انما يكتسي أ همية قصوى أمام نظرية الدولة الكلية السلطة ، لان الدولة الجزئية السلطة تعطي للاديب حريته كاملة فهل يمكن ان يوجد ادب بالمفهوم السابق للادب فى ظل دولة اشتراكية ذات نزعة وتجربة كليتين ؟

ان المذهب الاشتراكي ـ وهو الذي يرى أن على الدولة أن تعمل على تطبيق التجربة الاشتراكية في المجتمع ـ يتميز بين جميع المذاهب السياسية بانه مذهب كلي النزعة وذو فلسفة لها منطقها الخاص ، والحقيقة أنها فلسفة تتسع لتأويل التاريخ الانساني وتفسير الحركات الاجتماعية والتنبؤ بالمستقبل البشري ومصير الانسان ، وقد يبدو لاول وهلة ان نشاط الاديب او الادب فى ظل دولة اشتراكية لهو فى الواقع التزام بخدمة حركة اجتماعية ذات تأثير فى تاريخ التطور الاجتماعي والانساني ، وان التنكر او الحياد او الهروب من تحمل مسؤولية بهذا القدر من الخطورة يعد على الاقل حيادا سلبيا بالنسبة لعملية تطوير الانسان بل هروبا من واجهة النضال فى سبيل سعادة البشرية . والواقع ان الاشتراكية كنظرية تختلف عن نفسها حين تصبح تجربة اجتماعية ، واذا فليس من الحق التحدث عن الاشتراكية باعتبارها مذهبا واحدا فى كل مجتمع ، وانما يجب أن يكون الحديث منحصرا فى دائرة اشتراكية متطرفة تمثلها دولة كلية النزعة كالاتحاد السوفياتي أو الصين الشعبية اذ فى ظل دولة كهذه أو تلك توضع المشكلة التي نحاول مواجهتها بحدة . فالى اي حد يمكن للاديب ان يحتفظ بشخصيته وحريته ؟ والى اي حد يمكن ان يضع نشاطه فى خدمة الدولة ؟

وبما ان محتوى نظرية النزعة الكلية واسلوب العمل فى ظلها هما اللذان يحددان موقف الاديب فانني افضل ان احلل اولا هذين العنصرين قبل الحديث عن موقف الادب لان هذا الاخير نتيجة لهما .

ما هو محتوى نظرية النزعة الكلية وما أسلوبها في العمل ؟ ؟

ان معطيات فلسفية وعلمية عديدة قد ساهمت فى بناء ايديولوجية الدولة الاشتراكية الكلية النزعة وتقوم هذه الايديولوجية على عدة مباديء ، منها : ان الحياة الاجتماعية تقوم على مبدا شبيه بمبدا الانتخاب الطبيعي وتنازع البقاء ، ومنها : ان الحياة الاجتماعية تمثل على الدوام صراعا ماديا بين طرفين متناقضين فى مصالحهما وهما الاقوياء بثروتهم والمستضعفون بفقرهم وان هذا النضال هو المحور الذي تدور حوله احداث التاريخ وان الانظمة السياسية القديمة كلها انما قامت فى خدمة طبقة واحدة بعينها هي طبقة الاقوياء لضمان مصالح ثروتها . فاذا أمكننا تحليل القوى التي تحدث التغيير الاجتماعي وتخلق التاريخ البشري لانها بمثابة قوانينه فسوف ننفذ الى ماوراء الاحداث ليتاح لنا التحكم فيها ، ونحن نتعلم من الديناميكا كيف تنشأ قوى جديدة من تبادل التأثير بين قوتين ، وننفذ الى العلل الاساسية المسبب للحوادث الفيزيائية ومثل ذلك مطلوب منا فى المجتمع لان فيه قوى مادية **كالمصالح الاقتصادية** وقوى روحية **كالدين** ، وعلينا ان نحلل صراع هذه القوى وان ننفذ الى ما وراء أسبابها ليتاح لنا التحكم الكلي في تطور المجتمع ، والتنبؤ بمستقبله ، بل علينا اخضاعه للتجارب الكلية للتدخل فى مصيره . وفي هذا الاتجاه

يمكن التدخل فيها أو تزييفها أو فرضها على الاديب ، فى ظل سلطة كلية تتعارض تعارضا صميميا معه .

امـا المتناقضات الكامنة فى تلك النظرية كمـا اشرنا مّن قبل فهي ما يتصل بموقفهـا مـن الادب وشخصية الاديب . فانه اذا سلمنا بالقول بحق الدولة فى التدخل المباشر فى الافراد فماذا ينبغـي ان تطلب منهم عندئذ من خلق وابتكار يعبر عنهما الادب والفن ، انها بالاولى تقتل الاستجابة الحرة فى الفرد وهي لباب التعبير الادبي وتنتظر منه استجابة معينة شبه آلية . فالنزعة الكلية باختصار لا يهمها الفرد ، ولا مواقـف الافراد ، وانما يهمها الكل لخير الكل . وكل التصورات والرؤى الفردية هي توافـه لا ضرورة لوجودهـا او التعبير عنها ، نعم ان هذه النظرية ترى فى الادب والفن طاقة قوية يجب استغلالها لخدمة التوجيه الجماهيري والدعاية . وهو امر طالمـا عمل ادباء وفنانون كثيـرون فى خدمته ولم يكن ما انتجوه فى هذا الموضوع فى مستوى الفـن والادب .

ولكن ما قيمة هذه الصيحات المتكررة ذات النمط الرتيب وذات المحتوى الواحد تصدر من واحد او من فئة من الكتاب شبيهة بنشيد مبتذل تلقيه شرذمة من الجنود امام ضابط ؟ ما قيمة هذا النظم الذي يقوم به جما عة من المداحين فى ظل دولة أو فى ظل ثورة اذا لم ينبعث عن شعور صادق . ولكن اليس يتراءى للبعض وكأننا ندعو لانفصال الاديب عن مشاكـل مجتمعـه وحياة امته ؟ بل اليس فى هذا الموقف تواطؤ مع دعـاة الفن للفن ؟ بما فى هذا الموقف من هروب وسلبية وتعال وفوقعية كما يصفه به خصومه . واظـن ان كلامنـا السابق لم يحاول التمهيد لاقناع القراء بهذا الموقـف أو ذاك بل كان همنا ان نوضح فقط ان العمل فى ظـل دولة مطلقة السلطة لخدمة الادب بروح الادب بمفهومه السابق أمر غير ممكن لان نظرية وسلوك الدولة الكلية او المطلقة يتنافيان مع مبدأ الحرية التي هي روح الادب، سواء فى ظل دولة اديولوجية كالدولة الشيوعية او فى ظل دولة دكتاتورية من اجل الحكم فقط كما هو الشأن فى بعض بقـاع العالـم .

لكن انصار النظرية الماركسية قد لا يقتنعون بهذا الذي نقول بل يرفضونه مـن اساسه ، ويرون انـه بالامكان وجود ادب موجه لخدمة هـذه الايديولوجية كما يوجه كل شيء فى ظلها لخدمة الانسانية على نحـو جماعي كلي ، لتغيير ظروف حياتنا ، وبالتالي توجيـه التاريخ البشري نحو مصيره المحتـوم . وهـذا ما تستهدفه الثورة الثقافية فى الصين فى هـذه الايـام (1967) بزعامة ماوتسي تونغ اذ يبدو ان هذه الثورة جاءت فى نظر قادتها لتصحيح الوضع الفكري فى الصين الذي اصبح يهيأ بعوامل مختلفة لقيام حلف بينه وبين الفكر غير الماركسي . وهكذا كان من جملة شعـارات هذه الثورة الثقافية شن حرب شعواء على كل ما هـو اجنبي عن الماركسية وما هو متناف معها . سواء كان مذهبا فكريا او أثرا ادبيا او فنيا حتـى ولو كـان سينفونيـة لبتهوفن . قد يكون وراء هـذه الثـورة محركات سياسية ولكن ذلك لا يهمنا ، كما ان نقـد الاوضاع فى الصين ليس مـن اختصاصنا . ولكننـا نتساءل فقط هل يمكن وجود ادب موجه فى ظل دولـة من هذا النوع ؟ مع التفرقة باديء ذي بدء بين ما هـو ادب وما هو مجرد دعاية ادبيـة ؟

كيف يوجه الادب ؟ وما مصيره فى ظـل سياسة توجيهيـة ؟

ان الجواب على هذين السؤالين يجب ان نطلبه فى الوقائع التاريخية وفي هذا الصدد يمكن ان نأخـذ كمثل على الادب الموجه فترة من حياة الادب فى الاتحاد السوفياتي لننظر الى التجربة فى بوتقة العمل ، والـى الادب كيف امكنه التكيف مع هـذه التجربة ، والى النتائج التي حققها ، والى اي امد ظل الادب محافظـا على مقوماتـه فى ظلهـا ؟

لقـد خضع الادب فى الاتحاد السوفياتي منـذ انتصار الثورة الشيوعية وسيطرتها على الحكم وقيام الدولة الاشتراكية الكلية النزعة لواقع لا زالت اصداء النقد تتردد حولـه الى اليوم . وفي المؤتمرات الادبية السوفياتية نفسها تتردد اصوات بعضها هو صـوت

او شروط ليبشر بنتائج نجاحها وبمصير التجربة الكلية وخيرها المطلق .

8) نقد هذه النظريات

ان ردودنا على هذه الآراء ذات شقين :

اولها يقوم على فضح الاخطاء العلمية الكامنة فى اسسها ومعطياتها والمتناقضات الكامنة فى صفتها العلمية ، لانه اذا كانت هناك اخطاء وتناقضات فلا يمكن لادب ينبثق عن حرية ووعي ان يسير فى ركابها او تحمل اوزارها والوقوع فى التناقض مع نفسه اذا هو بشر بها ولانه لا مندوحة من اصطناع المنطق العلمي نفسه لمواجهة مذهب اجتماعي وفلسفي (فالحديد لا يفله الا الحديد) .

اما الاخطاء العلمية الكامنة هناك فتتعلق اولا بالفكرة التي تزعم انه بالامكان احداث تغيير كلي في المجتمع ، وانه بالامكان اخضاع المجتمع لمجموعة من التقنينات يمكن معها أن نتنبأ بمصيره على نحو ما يتم فى التجربة العلمية . فالتجربة الكلية تقوم على التدخل المباشر فى الافراد لمحاولة تغييرهم — وكما قلنا — فهي بدلا من محاولة بناء مجتمع جديد يلائم الافراد تستهدف تشكيل هؤلاء الناس تشكيلا يلائم البناء الجديد . وهو عمل يستبعد منذ البداية امكان اختبار النجاح او الفشل لان كل من سوف لا يلائمهم هذا البناء الجديد سوف يحكم عليهم بعدم صلاحهم للحياة . وفي هذه النزعة ابتعاد عن صفة المنهج العلمي ، واهدار لكرامة الانسان اذ بينما هي تريد اسعاد الفرد وتحقيق كرامته ، اذا بها تحاول تغييره ، بل تزييفه .

وثاني الاخطاء العلمية التي يقع فيها هذا الاتجاه الكلي ، انه يريد فرض التجربة بصورة مطلقة على الكل . والكل لا يمكن جعله حقلا للتجربة ولا مجالا للبحث العلمي ، لاننا فى حقل العلوم ايضا لا يمكننا دراسة اي قطعة من العالم بكليتها ، لان لهذه القطعة صفات وتطورات لا تنتهي .

وثالث تلك الاخطاء ان التجربة الكلية لا تهدف فقط الى محاولة اعادة تنظيم المجتمع ، بل تسعى الى جعل الدولة والمجتمع شيئا واحدا اي جعل سلطة الدولة مطلقة . وفكرة كهذه مستحيلة التحقيق من الوجهة العلمية ، لانه لا يمكن التحكم فى كل العلاقات الاجتماعية ، وكل نوع من التحكم يخلق مواقف شخصية جديدة لدى الافراد فتحتاج هي بدورها الى التحكم ، وهكذا دواليك الى ما لا نهاية له وهذا امر يفوق كل امكان تتوفر عليه الدولة او تحلم به ذلك ان الكائن الانساني غير قابل بطبعه للانضباط والتحديد ولا يمكن معه التوقع والتنبؤ لانه حر فى سلوكه ، تلقائي فى مواقفه ، وليس كتلة مادية آلية . فاذا اريد له ان يكون كذلك فانه يستجيب لهذه الارادة استجابة تخيب لا محالة امل المريدين .

ورابع الاخطاء — من الوجهة العلمية — فى نظرية التجربة الكلية انها تستبعد الوقوع فى الخطا ، بل تقاوم كل نقد يقفها على اخطائها مع ان دور العالم ازاء تجربته العلمية هو دائما دور الناقد الذاتي لانه يبحث دائما عن تكذيب لفروضه . وذلك أن فينا — كما يقول كارل بوبر — ضعفا لا يتفق والروح العلمية يجعلنا نعتقد بأننا دائما على صواب ، ويبدو هذا الضعف شائعا على الخصوص فى المحترفين السياسيين . والطريق الوحيد للاقتراب من المنهج العلمي فى السياسة هو التسليم بأنه لا يمكن القيام بعمل سياسي خال من العيوب ، وان ترصد هذه العيوب ، والعثور عليها ، والتعلم منها من اهم اهداف السياسي الذي يريد ان يتصف بمنهجية العالم .

واهم ما تقع فيه التجربة الكلية من اخطاء — في المجال التطبيقي — انها تتحكم فى الآراء والميول والافكار وتجمدها بواسطة الدعاية والتربية الموجهة فتسيطر على العقول والراي العام وتضرب حوله سدودا لا يستطيع معها الانفتاح والتجاوب مع الخارج وهذا لا يتفق مع الفكر الحر النقدي ، ويقضي على المعرفة حتى انه يمكن القول مع كارل بوبر انه كلما زاد مقدار السلطة السياسية زاد معها باطراد مقدار التقنين على المعرفة .

الشق الثاني من ردودنا على هذه النظرية — وهو الاكثر صلة بجوهر الموضوع — يقوم على بيان ما يباعد بينها وبين روح الادب .

فمن بين تلك المفهومات المخطئة ما يتعارض كليا مع روح الادب لان الادب لايقبل تزييف ا لطبع البشري ولا يقبل التدخل فى وجدان الانسان او تلقائية الانسان وبالتالي حرية الانسان ، وكل ادب حق انما ينبثق عن حرية ، ويفهم فى ظل الحرية ، لانه وثيقة للحرية كما قررنا . من اجل ذلك يتعارض دائما مع كل سلطة مطلقة ، تتجاهل اخطاءها وتقاوم النقد ولو كان نزيها ، وتترفع بذاتها عن كل اعتبار ، لتجعل الغاية تبرر الوسيلة . ومن ناحية ثانية فان الادب فى محتواه تعبير عن مواقف حرة وعن تجارب روحية خالصة فكيف

السوفياتي ، لقد كتب اديب بولوني شيوعي منذ وقت قصير يلح على عدم تصوير الموت فى الروايات باعتبار ان الموت ليس شيئا نموذجيا . ان الموت ليس شيئا هاما فى نظر الانسان الشيوعي حتى ولو كان حدثا عاما ، صحيح ان الانسان يموت ولكن المجتمع الشيوعي يعيش دائما . ان الفرد ينجز قدره على الصعيد الوحيد الذي يهم أن يتحد فيه مع المجتمع ، وطبيعي ان هذا لا يترك ميدانا حرا للادب كما نفهم ، اي انه لا يترك الباب مفتوحا لطرح عدد من الاسئلة حول معنى الوجود البشري وغايته مع فضوله فى نبش أعماق الانسان .

يتضح من خلال هذه التعليقات الواعية أن الادب فى ظل الدولة الاشتراكية ذات النزعة الكلية أصبح خلوا من كل موضوع اجنبي عن التجربة الاجتماعية ذاتها مفروضا عليه أن يحلم او يتنبأ او يتأمل وهو يمشي متصلبا فى طريق التنفيذ او كأن الادب فى هذه الصورة انسان يريد ان يمارس حرية التجول وهو منخرط في كوكبة من الجنود يتحرك بحركاتها ويتجه وفق خارطة خارج راسه .

صحيح أن الادب السوفياتي اليوم غيره الامس فيما يتصل بالنظام المفروض عليه . وانه أصبح يتنسم نسائم الحرية ، ولكنه ما زال يشكو العقم بالقياس الى الادب فى دول أخرى فى أوربا .

ونحن لا ندين التجربة الاشتراكية الكلية وحدها فقط فى هذا المصير المحزن بل قد تكون هناك عوامل اخرى ، ولكن اسلوب العمل فى هذه التجربة يتحمل القسط الاوفر من المسؤولية فى هذا المصير .

وهذا بالطبع يختلف عن حكمنا فيما لو كان هناك كتاب وادباء اختاروا العمل مع الثورة والتجربة بمحض حريتهم ، ولذلك يجب أن نؤكد انه اذا كان الاديب أو الكاتب يصدر فى حماسه للثورة أو الدولة عن عقيدة وموقف حر واستجابة عفوية فالامر يختلف بحيث لا يمسه هذا النقد من قريب او بعيد ، لان النقد اذ ذاك يتجه الى قيمة ما يعتقده وقيمة ما ينتجه ، اننا نرى أن من أخطر المتناقضات ان يتنكر الاديب لذاته ليضع قلمه وفكره عن قهر فى خدمة اتجاه معين . لان كل ما قد ينتجه بوحي ذلك لن يعتبر ادبا ، لانه لن يعبر فيه بصدق ومعاناة وبالتالي لن يكون فيه شيء من الجدة والكشف .

وعندما نتحدث عن قضية توجيه الادب لا ينبغي ان نعتبر ان توجيه الموضوعات هو كل شيء فى هذه القضية ، لان لهذا التوجيه حتما آثاره على الشكل أو الاسلوب . وعندما تحدثنا عن توجيه الادب فيما يتصل بالمضمون اكتفينا بالاشارة الى انفصال الادب عن كل ما هو مجتمعي وانساني تحت تأثير توجيه الدولة وضربنا لذلك مثلا بوضع الادب فى فترة من فترات حكم الدولة فى الاتحاد السوفياتي ، وكيف تقيد هذا الادب بالتعبير عن تجربة الدولة فى الحقل والمصنع والانسان ، وكيف أصبح الادب ميدانا للتبشير بالنتائج الحتمية التي هي كل شيء بالنسبة للانسان السوفياتي، ولكننا لم نتحدث عن جانب الشكل او الاسلوب . والقضية المطروحة الآن بالنسبة للاسلوب فى ظل الادب الموجه هي أن الادب اذا كان يتقيد بموضوعات معينة ويتجه نحو جماهير معينة فكيف يجب أن يكتب ؟ ايكتب بلغة رفيعة هي صفوة فن صاحبها ومبلغ سموه ، أم يكتب بلغة جماهيرية أي بأسلوب شعبي ؟ ويبدو أن قانون العرض والطلب يتحكم فى الادب الموجه كما سنرى ! فالذوق يجب ان يكون جماعيا . ولا مندوحة عن اختيار لغة الجماعة . اي لو كانت القضية تطرح نفسها علينا فى العالم العربي بظروفها لما كان هناك جدال فى ان تصبح اللغة العامية لغة الادب والكتابة في كل بلد عربي وهو الاتجاه الذي لوحظت بوادره فى مطلع هذا القرن فى مصر . ان ماوتسي تونغ الزعيم الصيني يفرق بين الادب والفن للاغراض التعليمية وبين الادب والفن لرفع مستوى الجماهير . فالفارق عنده بينهما هو فارق فى الدرجة ، وفي المرحلة الاولى من النضال يجب ان يهتم بجعل المعرفة والثقافة وكل الاعمال الادبية والفنية وسيلة لرفع حماس الجماهير ودفعها نحو النصر النهائي . وهكذا واجه الادب الصيني نفسه قضية التجنيد الاجباري فلبس البزة العسكرية هو الآخر وتقمص الاسلوب الخشن السطحي . يقول ماوتسي تونغ بنفس العبارة : « ليس واجبنا الاول أن نصنف الورود للتطريز بل ان نرسل الفحم لمنطقة الجليد » وهو يحدد فى نفس الوقت المقياس النقدي الذي يجب أن يقاس به العمل الادبي بالنسبة للانتاج الادبي الموجه وفي هذا الصدد يعلن ان النقد له مستويان سياسي وفني ، ومعنى ذلك ان نقدنا للادب والفن لا ينبغي أن يكون بمعزل عن مضمونه السياسي، اما المقياس الفني الخالص فهو مقياس ثانوي بالنسبة للمجتمع وادب المجتمع الذي يخوض معركة النمو والازدهار (مشاكل الادب والفن . دار الفكر ، القاهرة 1956) .

نستخلص من عرض هذه الآراء أن الدولة عندما تقوم بتجربة اجتماعية كلية لا تستطيع أن تنظر الى

الدولة وبعضها هو صوت الحرية ولكن اصوات الحرية تخفت آخر الامر فى غمرة الهيـاج والعنف . (1)

ويعتبر عهد ستالين مثلا نموذجا قويا لانهيـار الادب والفن فى ظل حكم مثالي فى نظر الدولة الشيوعية

وقد كان على الادب والفن فى ظل هذا العهد ان يدور حول موضوع واحد هو العمل والانتـاج اما الموضوعـات العاطفية الخاصـة للكائنات الانسانية ، والمواقف الحرة او المختارة بحرية فهي عقوق للمجتمع وللدولة واصوات مشوشة يجب أن تخنـق .

لقد كان الكتاب فى الاتحاد السوفياتي ـ كمـا وصفتهم احدى المجلات الادبيـة (الآداب البيروتية 5/ 1955) مهندسي الروح الانسانية حتـى موت ستالين ، وكانوا موظفين يتلقون من الدولة تعويضات مادية كبيرة ينتجون مقابلها أدبا مطابقا من الوجهـة الايديولوجية لتوجيهات الحزب ، ومتحركا من حيث الشكل فى اطار الواقعية الاشتراكية . وقد كان جبين الادب فى تلك الايام موحدا توحيدا كاملا . فان كـل مهندس كان يقوم بواجبه فيخرج كتابه او مسرحيتـه التي يتبين للقاريء من سطورها الاولى ان العامـل التقدمي سينجح حتما فى تسيير مصنعـه ، ويتزوج رفيقته الستاكانوفية او يعدل عنها من غيـر ادنـى حسرة ، اذا ما انحرفت .

ويقول الكسندر مارك احد الكتـاب الفرنسيين الصحفيين معلقا فى احدى المجلات ؛ الآداب البيروتية ع 2 ـ سنة 1955) : لم استطع ان اكتشف الا ثلاثـة كتب بعد الحرب الثانية لا تنتهي بنهاية سعيدة ـ اي منذ قرابة عشرين سنة ـ كان لابد من الاعتراف بـأن الحرب قد خلفت موتى وجرحى ، ولكن كل مبالغة في وصف المصائب والكوارث كانت تقابل بتقطيب الجبين، واذا لم يكن من مأساة فى الادب السـوفياتي ، فذلك لانه ليس فى الحياة السـوفياتية نفسها مأساة معترف بها . قد يكون هناك موت أو مرض او الم او شقاء فـردي ، ولكن حياة الفرد ذات اهمية ضئيلة بالنسبة للمجتمع ومهماته . ولذلك فان الجو المأساوي لا يمكن أن يوجد الا تحت حكم راسمالي ، حيث تضحيات الفرد وآلامه عبث لا جدوى منه . اما فى الاتحـاد السوفياتي حيث توجه جميع الجهود نحو بناء مجتمع شيوعي ، حتـى ولو مات الفرد او اخفق فان المجموع يبلغ غايته ، ومن ثم يبلغ الفرد نفسه غايته . اما الملهاة فليست اكثـر نجاحا من المأساة . ان الفكاهة ينبغي ان لا تحتل مكانا فى دولـة جماعيـة .

وهكذا نتبين ان الواقعية السوفياتية لا تعنـي آخر الامر ـ ما دامت المأساة والملهاة وانـواع الصراع مفقودة فى الادب السوفياتي ـ الا الامانـة لسياسة الحزب والانسياق لها .

نعم لقد انتظر الناس بفارغ الصبر مصير الادب بعد موت ستالين وتساءلوا عمـا اذا كانت الدولـة مستعدة للتنازل عن تطبيق القوانين الصارمة التـي اودت بكل نشاط للاعمال الادبية والفنية فى الاتحـاد السـوفياتـي .

لقـد ادرك المسؤولون انفسهم خطـورة ذلك واصبحوا يولون ظهورهم لاساليب بات اخفاقها محققا وفي المؤتمر الثاني للكتاب السوفيات المنعقد فى دجنبر 1954 صورة لهذا المصير . وتعليقا على هذا المؤتمـر تقول(مجلة « PREUVES » ع 49 / 1955) : ما عساها تكون الحدود التي يقبل فى اطارها قليل من الحيـاة وقليل من التنوع فى الادب السوفياتي بعد الآن ؟ .

ان الجواب على هذا يمكن ان يكـون واضحـا بالنسبة لمراقب خارجي . فليس هناك ايـة قضيـة انسانية من القضايا الجوهرية يمكن انتطرح فى العالم

---

1) كتب الاستاذ عبد الكريم غـلاب فى بعض اعداد صحيفة « العلم » ع 6367 ، عن الادب والدولـة فى الاتحاد السوفياتي ينقض محتواه ما نتحدث عنه فى هذا المقال ، ويرجع ذلك الى كون الاستاذ غـلاب تحدث عن رحلة فى الاتحاد السوفياتي اكثر مما تحدث عن تحليل الوضع الفكري هناك ، ولان واقـع الادب السوفياتي اليوم غيره فى ظل الحكم العنيفالذي عرفته ايام ستالين ، فهو اليوم اكثر انفتاحا على العالم ، واكثر تنسما للحرية . ومع ذلك فالكاتبالمحترم يؤكد فى مقاله روح ما ذهبنا اليه حين يقـول: « ولكن لايمكن ان ينشر كتاب الا اذا مر على لجنةالتحرير وهي منظمة رسمية تراجـع كل ما يريد ان ينشره الكتاب والشعراء فتجيز نشرها او ترفضالنشـر . » ويمكن القول بان « اتحـاد الكتـاب السوفييت » يوازي الحزب الوحيد فى الدولة ، بل هو حزب فكري لايتنفس المفكر خارجه ، وهـذا وحده يغطي على الضمانات الاجتماعية والقيمـةالمعنوية التي يتمتع بها الاديب هناك . ومع ذلك فمقالنا يضرب المثل بالادب السوفياتي فى فتـرة كانت اشد انغلاقا مـن الآن .



في صحبة الشعر

للأستاذ عبد العلي الوزاني

استقبلني السيد مدير هذه المجلة العتيدة الاستاذ محمد بنعبد الله ، بوجه بشوش ، ولسان يفيض بعبارات المودة والصداقة ، في مكتبه ، حيث تلتقي جميع تيارات الفكر المغربي ، وتتردد اصداء المواهب الخلاقة ، لابناء هذه البلاد الميامين . وكان المكتب حقا على شيء من الجهامة ، يوحي بالجهد العظيم ، الذي يبذل من اجل ان نسعد بهذه الصفحات النقية ، الطافحة بما يلذ من احاديث العقول ، وخلجات النفوس . وما كاد يستقر بنا المجلس ، حتى بادرني الاستاذ بقوله : يظهر ان موضوع الشعر قد راقك ، فكل احاديثك الاخيرة تدور حوله . فقلت : اي نعم ، وذهب بي الخيال بعيدا في رحلة خاطفة الى جنات عبقر ، لأعود من جديد الى الصديق البشوش الذي انطلق يحدثني حديث الادب والفكر واعبائهما الثقال ، ولكن الخواطر والتأملات التي اثارتها عبارته تلك ، ما لبثت ان آنست وحدتي وانا في طريقي الى فاس ، عقب انتهاء هذا اللقاء مباشرة ، حيث وجدتني اطوي الطريق طيا ، والقوافي والكلمات الشعرية تتراقص في مخيلتي، وتتدافع تدافع الاشجار الباسقة على جانبي الطريق ، ومن ثم كان مولد هذا الحديث ، الذي ادرته بيني وبين نفسي ، قبل ان اديره بيني وبين القراء الكرام .

هناك عادة لها سلطان على نفسي ، كما ان لكل انسان عادة او عادات ، تلازمه في سائر اطوار حياته ، او في بعضها على الاقل ، وهي اني اذا هزني داع من داعي العقل والوجدان ، الى لون من الوان النشاط العقلي والروحي ، ادمن عليه حتى ارتوي ، دون ان اقنع منه بالشيء اليسير ، فلسفة كان هذا اللون او اجتماعا او تاريخا او نقدا ادبيا او غير ذلك . فانا منذ عدة شهور مدمن شعر ، اقرؤه اذا اصبحت ، واقرؤه اذا امسيت ، واشغل به نفسي فيما بين الصباح والمساء ، امتشقت الحسام مع ابي فراس ، وصاولت الخصوم مع المتنبي ، وقارعت الكؤوس مع ابي نواس ، وكانت لي عين غزلة مع ابن ابي ربيعة ، وخيال آثم مع نزار قباني ... كما عشت مع غير هؤلاء ، متنقلا بين هذه العوالم الساحرة العجيبة ، واجدا في ذلك لذة ومتاعا ليس الى وصفهما من سبيل . وكلما لقيت شاعرا اعطيته زمام نفسي ، وتركته يقودني على هواه، ناسيا او متناسيا كل ما كتبه عنه الكاتبون ، وما احاطه به الناقدون ، لاني اريده خالصا لي بدون وساطة احد ؛ ولو كان الوسيط اماما من ائمة البيان ، او بليغا من جهابذة البلغاء . وماذا يبغي الوسيط عند ما يدخل فيما بيني وبين من اقرأ له من الشعراء ؟ ولماذا يدس انفه في هذه العلاقة التي اريدها بعيدة عن اعين الرقباء، لان لي فيها وطرا من اوطار الروح ، ولي عندها غرضا من اغراض القلب والوجدان ؟ فأحيانا يود القارىء ان يخلص له شاعره المفضل ليجرب جنته وناره ، او حيرته وشكوكه ، او يأسه وقنوطه ، تجربة فيها كل ما في تجاريب الحياة التي يتعرض لها ، بما تحمله من خير وشر . ان نقاد الشعر اذ يساعدوننا على هضم الشعر ، انما يفعلون ذلك عن حسن نية ، ورغبة منهم في وقايتنا من شرور الضلال بين اودية

الادب والفن نظرة سليمة او موضوعية . وانما تنظر اليه نظرة انتهازية قوامها تسخيره للدعاية مهما فلسفت نظرتها واكسبتها شكلا اديولوجيا علميا . كما نستخلص ان الشكل والمضمون فى الادب الموجه يسيران فى خط مواز للسياسة المتبعة كما أن النقد الادبي نفسه يستمد مقاييسه من صميم فلسفة النتائج الحتمية ، وكل ما عدا ذلك شيء ثانوي . ولا مجال حتما لانبثاق مذاهب ادبية تشذ عن القاعدة العامة . وهكذا ننتهي الى الاقتناع بأن ادبا موجها لا يمكن ان يصدر عن نزعة انسانية حرة او احساس موضوعي سليم ، ولن يعبر بالتالي عن شيء يتفق الناس على انه ادب بالمعنى الذي يصطلحون عليه .

انني لا انتقد بهذا الاسلوب اي تجربة اشتراكية تجري هنا او هناك من اقطار الدنيا بالنظر الى مضمونها الانساني ، فقد يكون من الحق الاشادة بنوع من تلك التجارب القائمة عن حماس ووعي وحسن نية ، هذه التجارب التي تقوم على فكر متفتح وتخطيط جزئي ، ولكنني أحب ان اوضح فى حرية ووعي ايضا ان احدى نتائج الاشتراكية المتطرفة هي التناقض مع الاسلوب العلمي كما وضحت من قبل . اشرت من قبل الى ان البعض قد يلاحظ او يستنتج مما سبق انني اعارض كل التزام ادبي فى ظروف لم يعد لرجل الفكر والقلم معها مجال لغير العمل بل المساهمة فى توعية الجماهير والتبشير بنتائج الانظمة القائمة ، والتجارب الجزئية او الكلية ولا سيما فى بعض البلاد النامية . ومع اعتراضي على اسلوب هذا الاستنتاج بل تخطيئه من حيث ان هناك فرقا بين الالتزام والالزام وان مدار نقدنا يقوم على شجب الالزام فاني ارى انه لا تناقض بين حرية الاديب والتزامه ، بل أرى اكثر من ذلك ان أعمق معنى لالتزامه ينبثق من الحرية . وما دام الكاتب او الشاعر يعطي نفسه الحق فى أن يكون طرفا ايجابيا فى الحياة البشرية فان عليه بحكم مسؤوليته عن مصير الانسان ان يضع فنه فى خدمة القضايا العادلة . ونزيد قائلين : انه لا يمكن ان نتصور اديبا سليم الاحساس عميق النزعة الانسانية لا ينفعل بحياة مجتمعه بل حياة العالم بأسره ، ولا يعكس فى انتاجه قضايا الانسان ومشاكله .

بعد هذا التحليل المسهب نعود لنتساءل: ما موقف الاديب من الدولة ؟ أو ما ينبغي ان يكون موقف الادب من الدولة ؟ انه لن يكون حتما موقف الخصم لانه ليس هناك تعارض بين حرية الفكر وقيام الدولة ، ولكنه ينبغي ان يكون موقف الرجل الحر فيقف دائما بجانب القيم الانسانية . وهذا يعطي للادب مدلوله الاجتماعي ، ويحدد موقفه من المجتمع من ناحية اخرى ، ومعنى ذلك ان القيم الانسانية اذا كانت مستهدفة من جانب المجتمع فان الفكر الحر والموقف الانساني الحر هو الذي يدعو لها ويحميها . وبالفعل فان المجتمع يتغذى من هذه القيم ويجدد علاقاته بها باستمرار ويطور مفهوماته لها على ضوء الاحداث التي يمر بها فى صورة استهلاك ما ينتجه الادباء الاحرار الذين يخدمون بأقلامهم قضايا الحرية والحقيقة والجمال ، فيصورون للجماهير مدلول نضالهم الانساني ، وحقهم الطبيعي فى أن يعيشوا أحرارا ، وفي أن يتصلوا بتلك القيم وأن ينشدوها ويسعوا في تحقيقها فى جميع المجالات . وعلى الاديب ان يعي دوره النضالي باستمرار فلا يهن ولا يضعف عندما تعترض طريقه مصاعب أو مقاومة حتى ولو بلغت العنف لان مهمته هي اقتحام كل المخاطر فى سبيل دعم القيم الانسانية وتبديد كل المخاوف امام المناضلين فى سبيلها . ولا شك ان مثل هذا الموقف يقفه اديب في ظل دولة ديموقراطية النزعة سيلقي منها كل تشجيع لان موقفه هذا هو الذي يعطي لديموقراطيتها ابعادها الحقيقية ، بل وجوده وحده فى ظلها يعطي المدلول الحقيقي لهذه الديموقراطية ولهذا لم نرد الاطالة في تبسيط العلاقة بين الادب والدولة ذات النزعة الجزئية أو السلطة الجزئية ، لانها دولة ديموقراطية بطبيعتها تعطي للفرد كرامته وحقه الطبيعي فى التعبير والتفكير ، وتفتح كل الظروف التي تستمر بها حريته وكرامته . وتلك امثل صورة لعلاقة الادب بالدولة فى نظري واحسن مثل ينبغي أن تسعى الدولة لتحقيقه بدل أن تضغط على الفكر وتحول دعوته الى دعاية وتنكر لمبدإ النقد الذاتي . واذا كان يتفق لبعض الدول ان تمر بهذه المنعطفات الخطيرة فى بعض مراحل تاريخها فان الفكر الحر – والادب صورته – يبقى رقيبا بل داعيا مسئولا عن تصحيح الوضع للخروج من المنعطف الضيق الى الطريق القويم .

فاس : محمد عبد الملك الكتاني

يكون لك من راي ، وما يخصك من تجربة ، هذا الناقد اقبل على اعماله كثيرا واستفيد منها ، ولكن حتىهذا كثيرا ما اضيق به ذرعا ، واحب ان تتاح لي الفرصة لاسير فى رياض الشعر وحدي ، ليس معي الا خواطري وتأملاتي ، وهذه البدائع الشعرية تاخذني بروعتها من كل جانب ، وتملك مني الخوالج والحواس ، ليتحقق معنى الصحبة بيني وبين الشعر ، الصحبة بمفاجآتها ومغامراتها ، وما تحمله من لذة والم ، وخير وشر ، ويمكنك ان تعتبر حديثي هذا عن الشعر ، وكذا احاديثي السابقة ، من قبيل ما يفعله اولئك النقاد ، عند ما يتدخلون بيننا وبين من نصحبهم من الشعراء ، وربما تكون قد ضقت به ذرعا ، كما قد نضيق احيانا بتدخلات النقاد . . .

ولكن هل يخلص لنا الشاعر وتخلص له فى بعد عن جميع الشوائب ؟ لا اعتقد ان هذا اللقاء الخالص يمكن ان يتحقق ، ذلك اننا اثناء صحبتنا للشاعر ، نراه من خلال ما حشونا به ادمغتنا من قبل ، من كل ما استفدناه من قراءاتنا ، وتجاريبنا والاصداء التي تحدثها فينا شتى احداث الحياة ، وحتى ذلك الناقد الذي نظن انا ابعدناه عن لقائنا المباشر للشاعر ، يلبس طاقية الاخفاء ، ليتسلل الى نفوسنا ، فيلون عيوننا ، ويغلف اخيلتنا ، ويضع شيئا من توابله فى اذواقنا ، وليس فى وسع احد مهما بلغت مناعته الذاتية ، ان يطرح الناقد الكامن فى نفسه ، ذلك انه لا يأتينا مباشرة ، ولا يواجهنا حتى نتمكن من صده ، وانما يحتال علينا ، ويندس فى خلال قراءاتنا ، ويسعى الينا متنكرا فى كتب المدرسة ، ومحاضرات الجامعة ، واحاديث الاصدقاء ، فاذا به يهيمن على علاقاتنا بشعرائنا المفضلين ، نتحدث اليهم ويتحدثون الينا ، وناخذ عنهم ونعطيهم ، ولكن الناقد القابع فى اعماقنا لا يترك هذا الاتصال يتم ، دون ان يدس انفه فيه ، من حيث نظن اننا استطعنا ابعاده عنا ولو موقتا ، وتلك مغالطة يقع فيها كل من قرا الشعر واراده خالصا مصفى من كل شائبة او عامل خارجي يملك قوة التوجيه والملاحظة والنقد ، وهكذا دائما قراءاتنا للشعر ، وصحبتنا اياه .

واني لارى فى هذه الصحبة شيئا زائدا على القراءة ، فقد تقرا الشعر فتتأثر به وتتمثل معانيه ، وتنفذ الى اعماقه ، وتمضي معه شوطا هنا او هناك ، وبعد ذلك تعود ادراجك ، كمن قام برحلة خاطفة لم يلبث ان عاد منها وكان شيئا لم يكن ، اما صحبة الشعر ، ففيها ما تستدعيه الصحبة من معاني الالفة والانسجام والتوافق والتماثل، صحبتنا للشعراء تعني فيما تعنيه، اننا تكونت بيننا وبينهم صداقة ، قد تكون عابرة لا تستمر طويلا كصداقة ركاب القطار ، وقد تكون محاطة بشيء من الحيطة والحذر وربما سوء الظن ، وقد لا تخلو من بعض الخلاف وسوء التفاهم ، شأن كل صداقة تتكون بين الناس ، ولكنها على اية حال تحمل الكثير مما فى الصداقة من التلقائية والعفوية وطرح الحرج والكلفة جانبا ، واعتقد ان كلا من القارىء والشاعر اذا هما وصلا من لقائهما الى هذا الطور ، فقد اصبحت صلتهما ذات خطر ، ولعلها ان تكون فيما بعد صداقة دائمة ، وقد تتحول الى حب واعجاب وتقدير ، واذا وصلت الصحبة الى هذا الحد ، فتلك هي العشرة الدائمة المستمرة التي لا تنال منها لايام ، بل هي تزيدها ثباتا ورسوخا ، وحينئذ تصبح علاقة المتلقي بالشاعر هي نفس علاقته بنفسه وجوارحه وكل عصب فيه ، فلا غرو حينئذ اذا راينا اختلاط السيئات بالحسنات ، واتحاد اسباب النفور باسباب المودة والعطف ، وتداخل النواحي القوية والنواحي الضعيفة. لذلك كانت افضل واقوم علاقة عندي بين قارىء وشاعر ، هي تلك التي تقف عند حدود الصحبة بكل ما فيها من تعقل وحذر ، فلا هي معاملة جافة كالتي بين الزبون وصاحب الانتاج ، ولا هي بالهيام المطلق ، والمحبة العمياء ، وانما هي صحبة فقط ، فيها الالفة والانسجام والتوافق ، ولكن فيها ايضا شيء من حساب ، وقليل من حيطة وسوء ظن . فالحب يعمي ويصم (احب حبيبي ولو كان عبدا اسود) ، اما الصداقة العاقلة الرزينة الواثقة من نفسها ، فتقيم نوعا من التوازن بين شخصيتي الطرفين ، بحيث لا يطغى احدهما على الاخر ، بيد أنها فى الوقت نفسه ، لا تمنع من الاستسلام الموقت ، والانقياد الواعي ، السليم من كل عوامل الامحاء والفناء ، فناء الذاتية وذوبانها وتفتتها . فانا — مثلا — يلذ لي ان اسلم قيادي لشاعر كبير ، ويحلو لي ان اتركه يحلق بي ، وياخذني من كل جانب باقواس قزحه الزاهية الجميلة ، فيدركني الانبهار ، واكاد اصيح من نشوة الفرح ، ولكن بشرط ان يبقى لي شيء من قدرة على استخلاص نفسي من قبضة الشاعر ، وانتزاعها من بين ذراعيه ، لانفصل عنه قليلا ، فانظر الى ما ترك عندي من اثر ، وما صنعه بخيالي ونفسي اثناء ارتمائي بين احضانه فى لذة وانتشاء ، اما اذا عجزت ، فتلك هي الضيعة ، وذلك هو الشلل الادبي الذي لا ارضاه لنفسي ولا ارضاه لاى قارىء كان .

الشعراء ، ولكن ما ادراهم اننا نود دائما ان نكون من من المهتدين ؟ السنا نجد انفسنا احيانا فى حاجة الى ارسالها على سجاياها ، لتمرح فى حدائق الشعر ، هائمة بين رياحينها ، سكرى لا تريد ان تفيق من احلامها الجميلة ؟ الا يستحق الشعراء منا ان نكافئهم على احسانهم الينا بأن نقاد اليهم دونما اعتماد على سند أو معين ، لنعيش مغامراتهم وتجاربهم التي تعرضوا لها ، موكولين الى انفسهم وظروفهم وحدها ، دون ما عاصم يعصمهم من شرور التجربة وآفات الطريق ؟

صحبة الشعراء تجربة ومغامرة تفقد كثيرا من سحرها ومفاجآتها وما يترصد لها عادة من عوامل الخيبة والفشل ، والنجاح والتوفيق ، اذا هي خضعت لعين الناقد الفاحصة ، ونظرته الثاقبة ، وذهنه اليقظ ، ولم تترك لظروفها وحظوظها ، بل وقعت تحت المصباح الكشاف ، مصباح الناقد الذي يفيدنا كثيرا ، ويتولى تبدير كثير من الظلمات امام سعينا الى نفوس الشعراء وقلوبهم ، ولكن ضوءه قد يعشي الاعين ، ويعوق عن الرؤية الواضحة احيانا ، شأن المصابيح الوهاجة ، عند ما تغمر الناس بضوئها الساطع ، فتنبهم امامهم كثير من الاشياء .

متعة كبيرة ان تتعرف الى انسان فتبلو خيره وشره ، وحالات انقباضه وانبساطه ، وحيرته ويقينه ، وتفاؤله وتشاؤمه ، مكتشفا هذه الطباع من خلال التجربة وحدها ، دون ان يقف بينك وبينه انسان آخر ، ليقدم اليك كشفا لا يترك منه كبيرة ولا صغيرة الا احصاها ، فيضيع عليك لذة المغامرة ، ومتعة المعاناة ، ولا يمكن ذكاءك من فرصة استعماله فى قراءةالاشخاص. ونفس المتعة تجدها اذا انت تعرفت على شاعر عالما مغلقا على نفسه ، تدل عليه فقط ، هذه الكوى المفتوحة فى جدرانه ، والمدعوة بالكلمات ، فانت تنظر من خلالها بعين متلصصة متعرضا لما قد يعوق عن الرؤية الواضحة من غواشي ربما اشتملت على انظارنا حتى عند ما ننظر الى الدنيا من جوانبها الواسعة ، وآفاقها المفتوحة الرحيبة ، ملء عيوننا بسعتها . ويغتال هذه المتعة ان يتدخل انسان نسميه ناقدا ليتولى – نيابة عنا – تذوق الشعر وهضمه وقتله فهما ودرسا فيضعه بين ايدينا طعاما جاهزا فيه نكهة وله طعم ، ولكننا لا ندري شيئا عن المراحل التي مر بها ليكون على شكله الماثل امامنا . لا اقصد بهذا الى التقليل من قيمة نقد الشعر ، والا لكان حديثي عن الشعر منذ ان بدات هذه السلسلة من الاحاديث نقضا لهذه الفكرة ، وانما اريد الى شيء واحد فقط ، ليس من شانه ان يزحزح النقد عن مكانته قيد انملة ، وهو ان قارىء الشعر يحتاج احيانا فى صحبته للشعراء ، الى ان يعتمد على تجربته وحدها دون واسطة الناقد ، بشأن سائح يقبل من بعيد على بلاد جميلة تطأها قدماه لاول مرة ، فلا يستنجد بدليل ، وانما يهيم فى طرقاتها ، فيجد بعضها مسدودا، فيعود القهقرى من حيث اتى ، ليسلك طريقا آخر قد يؤدي الى مكان بعيد عما كان يتوقع ، وهكذا من درب الى درب ، ومن ضياع الى ضياع ، واجد فى ذلك لذة وراحة ، راحة المغامرة ولذة التجربة ، ذلك ان من مصادر المتعة العقلية والروحية للانسان ، ان يكتشف الاشياء والمعاني بنفسه ، دونما مساعدة من احد . فبالنسبة الى ذلك السائح ، كان فى امكانه ان يسترشد بدليل ، فيكفيه مؤونة البحث عن اسم هذه الطريق ، واسم ذلك الربع ، ويملأ ذهنه بمعلوماته المحفوظة المعادة ، ويقف به عند كل أثر ليلقي عليه محاضرته التقليدية ، ولكنه يعدل عن ذلك ، لانه يريد ان يشبع فضوله عن طريق التأمل الانفرادي ، وليس من الضروري أن ينجح فيما هو بصدده ، اذ المهم هو متعة التجربة فى حد ذاتها .

لقد قمنا – كما قام غيرنا – بنزهات شعرية في دنيا الشعراء ، صحبة هؤلاء الادلاء الذين نسميهم نقادا ، فوجدنا الناقد الذي يحذرنا من نزوات الشاعر، والناقد الذي يقول لنا عن شاعر ما انه كاذب ، فلا تثقوا بما يصدر عنه ، والناقد الذي ينبهنا الى ان ذوق هذا الشاعر رخيص مبتذل ، والناقد الذي يضم يديه على عالم أحد الشعراء ويختصره ويقدمه الينا فى قارورة ، زاعما ان كل ما انتجه هذا الشاعر ، وما سينتجه فى المستقبل ، لا يمكن ان يخرج عن الدائرة التي رسمها له ، وقد يكون كل ما قالوه صحيحا ولو على سبيل الافتراض ، ولكن اين هي الصحبة بكل ما فيها من عفوية وما تخبئه من مفاجآت ، امام هذه التعاليم التي يحيطنا النقاد بها علما ؟ لذلك كان افضل النقاد عندي ، هو ذلك الذي يطرح جانبا التعميم واصدار الاحكام المطلقة على أعمال الشعراء ، ويقف بي عند نص معين ، يرافقني فى قراءته ، دون ان يصدر حكما ، وانما يكتفي بان يلفت نظري الى هذه العاطفة الرقيقة ، وهذا اللفظ الجميل ، وتلك الخاطرة اللطيفة ، كرفيق يصاحبك على الطريق ، ليشاركك المتعة بجمال الاشياء دون ان يلبس روب القاضي ليصدر الاحكام ، من غير ان تكون عنده مراعاة لما قد

بقصائده ، كان مستعدا لان يصحبه ويعاشره هؤلاء الناس على اختلاف الوانهم وطبقاتهم ، لانه اصبح شيئا عاما ، بل هو الذي خطب ودهم ، ومد اليهم يد الصداقة ، منذ أن اسكر آذانهم بكلمته الاولى ، وبعدها جاءت كلماته تترى ، ففتحت لها كل باب ، واتخذت لها منزلة رفيعة من كل قلب ، وكونت لها عشا دافئا في كل روح .

وصحبة الشعراء لها حدود ، اي ليس في امكاننا ان (نصحب) كل شاعر ، لاننا لا نملك القدرة على ان نحلق مع جميع الشعراء ، في جميع الاجواء ، ولا على ان نسير معهم جميعا جنبا الى جنب . فنحن نصحب الشعراء الذين نتمكن من اللحاق بخطواتهم ، والوصول الى امتداد قاماتهم ، بينما هناك شعراء آخرون يخطون خطوات الجبابرة ، ويشمخون شموخ الالهة ، اصولهم ثابتة ، وفروعهم في السماء ، خيالهم يطوي الاكوان طيا ويلخص اجيالا واحقابا بكاملها ، ويضم الدنيا على سعتها بين جنابه . هؤلاء لكذب على انفسنا اذا زعمنا انا (نصحبهم) والاقرب الى طبائع الاشياء ان نقول : نحن نسير وراءهم ، وننظر مبهورين الى بصمات اصابعهم ، الى مواطىء اقدامهم ، الى صراعهم العظيم مع اسرار الوجود الكبرى . وهيهات أن يسير الاقزام بخطوات المردة ، وأن يتطاول الحجر الملقى على شم الجبال ، او الفراخ الضعيفة على سباع الطير انظر كم من كتاب وشعراء تسلقوا اكتاف شكسبير ، وشدوا انفسهم الى كيانه الضخم ، وراضوا اقلامهم على الاعتراف من بحره البعيد القرار ، ومع ذلك فالعملاق ما زال يشرف من علو شاهق على هذه المخلوقات التي تسمى جاهدة مشرئبة ، دون ان تدنو من قمته الا لترتد عنها ، عائدة الى السفح ، لتعاود الكرة من جديد واذن فالصحبة مشروطة باستطاعة القارىء ان يتابع الشاعر في خطواته ، وسبحاته ، وانطلاقاته عبر آفاق الخيال . وهنا ياتي دور الشاعر نفسه ، ليساعدنا على تحقيق هذا النوع من الصداقة بيننا وبينه ، بالا ينغلق ، ولا يصدنا عنه باللفظ المبهم ، والعبارة الغامضة والخيال الملفوف في لفافات من السرية ، وانما يمد الينا يده ليرفعنا اليه ، ويوطىء لنا طريقا نلقاه عنده ، اقول هذا ، لان هناك عددا من الشعراء الذين يلقون الينا بكلمتهم ، وعند ما نتلقفها منهم ونريد اتخاذها مفتاحا لدنياهم ، نجد انفسنا في طريق مسدود .

وكما لا يتحقق معنى المصاحبة كاملا مع اولئك الفطاحل من الشعراء ، بالنسبة الينا ، كذلك لا يتحقق بيننا وبين صفار الشعراء من ضعاف المواهب والملكات بالنسبة الينا ايضا ، نظرا لكون طاقاتنا الروحية اضخم من طاقاتهم ، ومجالاتنا الخيالية اوسع من مجالاتهم ، فاذا نحن قرانا لهم ، فانما هي القراءة المشجعة ، واذا صحبناهم كنا مضطرين الى التنازل عن كثير من قوانا الروحية اذا استطعنا الى ذلك سبيلا ، بنفس الاسلوب الذي يتخلى به البعض منا عن مستواه الفكري والادبي، ليضع نفسه الى جانب البسطاء من الناس ، حتى اذا استرده صعب عليه أن يبقى حيث هو ، فيضطر الى استرجاع ما اعتاده من توثب وانطلاق . وكل صحبة تحملك حملا على ان تضع مكاسبك الروحية والفكرية جانبا ، ليست صحبة بقدر ما هي احسان ، وليست اخذا بقدر ما هي عطاء ، ولا تأثرا بقدر ما هي تأثير . ولا يفهمن احد من كلامي هذا اني ازري بالمبتدئين من الشعراء ، فهم احق بأن ندرسهم ونتجاوب معهم ، ونخصص لهم نصيبا من اوقاتنا ، ولكن لا نستطيع ان نقول انا (نصحبهم) الا بكثير من التجوز ، نظرا لما يفهم من المصاحبة ، ومن معاني التكافؤ ، وتماثل القوى والملكات .

وليس من الضروري ان نكون شعراء ، لكي نصحب شعراء نا المفضلين ، كما قد يتبادر الى الذهن، وكما قد يفهم من معاني المصاحبة المتقدمة ، والا كنا نشترط في كل مجموعة من الاصدقاء والصحابة ان يكونوا ذوي مشرب واحد ، واتجاه واحد ، في نشاطهم الانساني ، وهذا لا يقول به عاقل . فانت تجد الحداد يرافق النجار ، والاستاذ يرافق المحامي ، وموظف الادارة يرافق الطبيب ، بنفس الطريقة التي يرافق بها الموسيقار الرسام ، والنحات الاديب ، والراقص المصور ، فالعبرة انما هي بالتقارب والتجانس في مستويات الفكر ومطارح العاطفة والخيال . ولو كان كل فنان او صاحب كلمة ، لا يصاحب الا المنتمين الى نفس نشاطه الروحي ، سواء في واقع الحياة او واقع الفن ، لكان في ذلك ضرر كبير بالفن الذي يلتقي فيه الطرفان ، ذلك ان من عوامل النهضة الفنية أن يكون هناك كثير من التنوع في الاطراف الملتقية على ارضية الفنون والآداب ، حتى يستمد بعضها من بعض ، وياخذ ما هو في حاجة اليه ، لتطويره والنهوض به الى الاوج الرفيع ، وهكذا نجد الشاعر يستفيد من الناقد، والموسيقار ياخذ عن الرسام ، والمصور ياخذ عن الراقص ، فيحدث التكامل بين مجموع هذه العناصر ، التي يكمل بعضها بعضا ويمده بدم جديد .

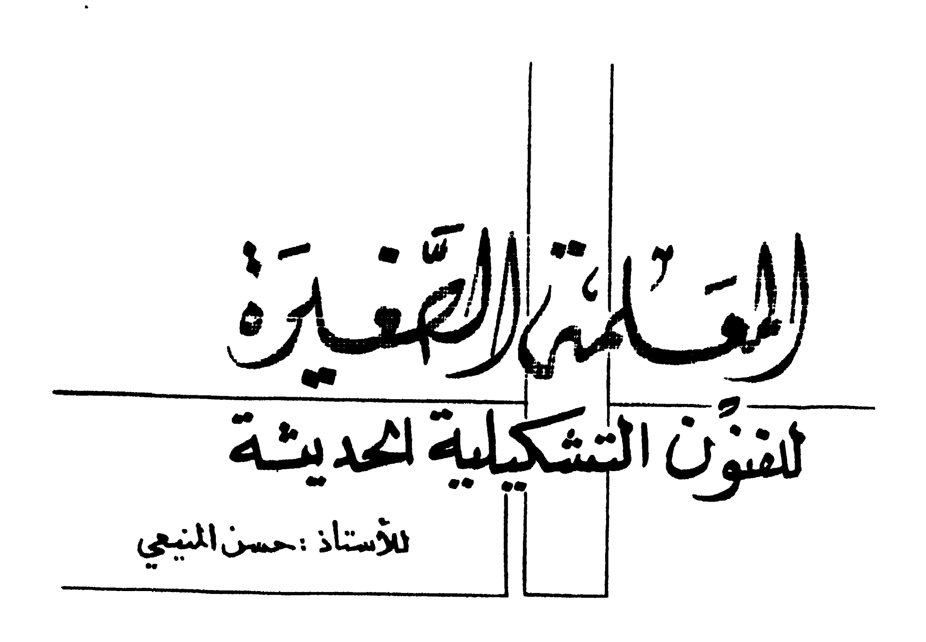
وليست صحبة الشعر هينة وادعة قليلة التكاليف رضية العشرة ـ كما قد يتخيل البعض ـ في جميع الاحوال ، فمنها ما يجهدنا ويخرجنا عن طورنا ، ويهزنا هزا عنيفا ، وياخذنا اخذا شديدا . وما رايك في شاعر كلف باقتحام الصعاب كأبي الطيب المتنبي ؟ فصولاته وجولاته ، وناره المتأججة ، وسخطه العظيم ، ومصاولته الجريئة ، وجراته على أهل زمانه، وتحديه لمكر الايام ، كل ذلك عشته معه ، فكنت اخال العرق يتصبب من جبيني ، في رحلتي مع هذا المتمرد الثائر الطموح . اما صحبة المعري فهي رحلة في دنيا من الظلام الحالك ، مع نفس معذبة محرومة ، كلها مواهب وطاقات ضخمة ، وكلها شك وعذاب وحيرة ، فعشرتها محنة ، وصحبتها عذاب ، ولكنه عذاب لذيذ ، عذاب عظيم ، فيه عمق ، وفيه تغلغل الى صميم الاشياء ، وفيه هتك للحجب ، واقتحام لاسرار الوجود ، اين منه اللذائذ الجوفاء ، الباعثة على الخمول ، الداعية الى الكسل . وكم احب الشاعر الذي يستفزني ، ويقيمني ويقعدني ، ويجري بي صعدا في مرتقى صعب ، وان ادمت قدمي الصخور الناتئة ، والاشواك الحادة . ولكن كم يطيب لي ايضا ان اعود الى نفسي لآخذ نفسا ، والتمس راحة بعد تعب ، وجنة بعد جحيم ، وحينئذ اجدني امام مجموعة من الشعراء المرحين ، الذين يحققون لي هذه الغاية . فهل من مرح مع ابي نواس ؟ او جولة مع ابن ابي ربيعة ؟ او غدوة مع امرىء القيس ؟

ولا يتحقق لصحبة الشعر معناها الكامل ، الا اذا كانت خاضعة للصدفة او الاختيار الحر ، فلا صحبة مع الاكراه ، وتدخل ارادة الغير ، لتفرض علينا شاعرا معينا . لا يمكن ـ مثلا ـ ان تكون دراستنا لشعر معين انتجه شعراء معينون داخل المدرسة او الكلية ، صحبة بالمعنى الصحيح للكلمة ، لان هناك ارادة شاءت لنا ان نقرا نصوصا من نوع خاص ، لشعراء من طراز خاص، بقطع النظر عن كوننا نحبهم او نكرههم ، وبقطع النظر عن كون النصوص المفروضة علينا مما يتفق واذواقنا ، او مما يختلف عنها كل الاختلاف . واذا كان الشاعر العربي يقول :

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى
عدوا له ما من صداقته بد

فنحن لا نتفق معه في اعطاء الشخص المفروض علينا هذا اللقب ، فما الصديق ، والمؤنس ، والصاحب، الا من وكل امر اختياره الى ذوقك ومبادرتك ، يصدق هذا على صداقة الناس داخل الحياة الاجتماعية وعلى صحبتهم داخل الحياة الادبية . والمدرسة او الكلية اذ تفرض علينا نصوصا معينة ، لشعراء معينين ، تكون في الحقيقة مراعية لمصلحتنا ، مشفقة علينا من الضياع في دنيا الشعراء الواسعة ، لذلك فهي لا تتركنا احرارا في ان ندرس الشعر كيفما اتفق ، وانما تقوم بالتحديد والتعيين ، تحديد النصوص ، وتعيين الشعراء . ولست ادري كيف يمكن ان نسمي دراسة شاعر صحبة ، اذا نحن فرض علينا ان نعرفه في جانب دون آخر ، وفي لون من اتجاه دون آخر ، فلا صحبة الا بالتعرض لجميع الجوانب ، لاكتشافها جانبا بعد جانب ، ولا صحبة الا حيث يتحمل الانسان مسؤولية ما تجره عليه من خير او شر ، اما عند ما تقوم المدرسة أو الكلية بالاختيار والاصطفاء نيابة عنا ، بل دون استشارتنا ، متحملة وحدها المسؤولية كاملة ، فقد انتفى معنى المصاحبة ، وتحول الامر الى الزام وتنفيذ . نعم قد تكون دروس المدرسة او الكلية فرصة لنشوء صداقة بيننا وبين شاعر فيما بعد ، وكثيرا ما احببنا شعراء ، فعاشرناهم في مختلف اعمالهم ، بعد ان عرفناهم داخل المدرسة ، وضمن البرامج المقررة . والعاطفية المصطنعة قد تتحول بفعل الزمن الى عاطفة حقيقية ، والصداقة المزيفة قد تنقلب الى صداقة اصيلة ، هذا مع العلم بأننا قد نجد من بين الشعراء المفروضين علينا في المدرسة او الكلية ، ذلك الشاعر الذي نحبه أول ما نلقاه في اعماله المقررة ، الا ان المدرس لا يدعنا (نصاحبه) اذ يكلفنا ان نحفظ له عددا من القصائد عن ظهر قلب ... ويوجع ادمغتنا بما شاء ، مما كتب عنه النقاد والباحثون ، ويطغى صوته هو ، وشعوره هو ، وذوقه هو ، على صوت الشاعر وشعوره وذوقه ، واذا لم نقم بكل ما أمرنا به من حفظ وهضم للمعلومات التي حشا بها ادمغتنا عن الشاعر ، فالويل لنا من غضبه وسخطه ... فأين هي الصحبة مع هذا الجو الصارم الذي قدر لنا ان نلقى فيه الشاعر المظلوم .. ؟ فالصحبة انما تبدأ يوم نتخلص من هذا المدرس ، ونملك ان نمد ايدينا الى دواوين الشاعر وقتما نشاء ، وكيفما نشاء ، لنقرأ ما يروقنا ، لا لنؤدي فيه امتحانا ، ولا لنعيده على سمع المدرس ، دون ان نسقط كلمة او حرفا ، وانما لنعيش في احلام منعشة ، ونختلف في آفاق مشرقة .

الطرف الذي ربما لا يدري شيئا عن هذه الصحبة هو الشاعر ، فقد يصحبه آلاف الاشخاص ، ينتمون الى بقاع مختلفة من الارض ، وهو لا يدري شيئا عن الكثيرين منهم . بيد ان الشاعر عند ما ألقى الى الناس



اصبحت الفنون التشكيلية ، منذ بداية القرن العشرين ، تحقق انقلابا هاما فى الاشكال والقوالب ، وذلك بعد اطلاع الفنانين على تجارب اساتذتهم امثال : « سيزان » و « فان كوغ » بحيث مكنهم هذا الاطلاع من مسايرة القاعدة الاولى الموروثة عن النهضة ، والمعجزة الاغريقية ، ومراعاة رسالة الفن التي تنطوي على التعبير الصادق لمظاهر الطبيعة ومحتوياتها كما يؤكد ذلك الفنان « ليونارد » عندما يقول « بأن أحسن طريقة للرسم : هي التي تبتعد عن التقليد العميق وجعل اللوحة أقرب الى الشيء الطبيعي المعبر عنه » او كما يرى « أنجريس » فى حديثه عن الفن الذي لا يصل فى رايه « الى الدرجة القصوى من الكمال الا عند ما يشبه الطبيعة بقوة الى ان ندرك فيه الطبيعة نفسها»

وهكذا فقد احس سائر الفنانين طيلة قرون عديدة انه لا وجود للجمال الا فى الاخلاص للشيء الحقيقي والانسجام معه ولو بطريقة لا واعية . فكان هذا الاحساس قاعدة اساسية للفن الغربي ، أصبحت سائدة منذ السبعينيات الاخيرة خصوصا فى الوقت الذي اخذ فيه الرسامون ينسلخون عن الطبيعة وذلك منذ سنة 1910 .. أما عملية انسلاخهم هذه فقد ساعد على تحقيقها اثر فنون الشرق الاوسط ، وكذا الفنون الزنجية ، واكتشاف الصورة الشمسية . ثم ما لبثت أن غيرت مجراها وظهرت فى صورة ازمة تحدث عنها « دو لاكروا » فى مذكراته التي جعل فيها فناني القرن العشرين أمام تساؤلات عديدة ، من بينها محاولتهم الحصول على طريقة لتجاوز التشابه بالطبيعة وتقليدها وجعل حد لمشاكل العصر .

وفى غمرة تلك المحاولة الرامية الى تخطي الطبيعة وابتكار خلفيات جديدة انقسم الرسامون الى فئات وطوائف طبقا لما وصلوا اليه من استنتاجات وحلول فى عملية البحث ، وان كان بعضهم قد ارتأى أن يتقلب فى جل المدارس ويعانق كل الاتجاهات دون أن يحصر نفسه فى طائفة معينة . وبذلك اصبحت لدينا تياراتفنية عديدة نذكرها كما يلي :

اولا — **الواقعيون** : (أو الذين يعبرون عن الطبيعة باخلاص) .

كان عصر هؤلاء يدعوهم الى التساؤل عن الوسيلة الكفيلة لابراز الطبيعة شاملة واضحة المعالم. وكان معظمهم قد استجاب لهذا الاتجاه رغم طغيان المدارس الحديثة الناشئة ؛ واقتنع بأن القضايا الاستتيكية لم تتغير منذ « فوكي » و « كوربي » و « كورو » . لذلك توصلوا الى قاعدة مفادها « أن البحث الرصين فى اصالة الفن لم يثبت شيئا غير

كتبت هذا المقال بالاعتماد على المراجع الآتية :

— مجلة حقائق « Réalités »

Panorama des arts plastiques

واذا كنا قد رددنا القراء لشعرائهم المفضلين ، الى التجانس والتقارب غالبا ، ونفينا ان يكون المراد بذلك الاشتراك في القدرة على نظم الشعر ، فنحن بطبيعة الحال ، لا نعني التجاوب والتجانس الكاملين ، بمعنى ان تزول كل اوجه الخلاف بين الطرفين ، حتى ليكون احدهما نسخة طبق الاصل من الاخر ، فلا خير في الصحبة التي من هذا النوع ، لافتقارها الى العناصر السالبة ، والعناصر الموجبة ، والى عنصر الاثارة والاستفزاز والتحدي ، لابد أن يكون لهذه الصحبة جانبها الايجابي المثمر المتوقف على شيء من خلاف ، وقدر من صراع ، لا ينافي التجاوب الحاصل . فعندي الاصراع بدون تجاوب ، أي بدون ان يكون لكل من الطرفين اثر في الاخر ، قد يكون هذا الاثر حسنا وقد يكون سيئا ، ولكن ليس من شأنه ان يسيء الى الصداقة والعشرة ، ما دام الطرفل يلتقيان على محبة نوع من المثل ، ويومنان برسالة الشعر في تحقيق تلك المثل او الاقتراب منها على اقل تقدير .

نعم ، لا خير في صلة تربطني بشاعر ، اذا كان كل ما عنده مطابقا لكل ما عندي ، فحينئذ لا يكون في مقدوري ان استدرك عليه شيئا، ولا أن احاجه في شيء ولا ان اخالفه احيانا وازور عنه لاعود اليه بقلب متشوق واذن فهي صحبة عقيمة سلبية الى ابعد الحدود ، وخير لي وله ان يمضي كل لنا لطيته ، ليبحث عن صديق آخر ، تكون صداقته خيرا وبركة على الفن الشعري ، وعلى الشاعر والمتلقي عنه على السواء ، والطبيعة قد كفتنا مؤونة هذا ، اذ أنها لم تكون انسانين متحدين في جميع الطبائع والميول ، وانما جعلت الاناسي مختلفين ـ رغم ما قد يكون من تشابه ـ احبوا ذلك او كرهوه .

وفي الوقت الذي نشترط فيه في الصحبة الفنية تلك ، ان تكون مبطنة بشيء من خلاف ، ينبغي الا تتسع شقة الخلاف ، فتتحول الصحبة الى منافرة ومغاضبة، قد تؤديان الى قطيعة لا عودة بعدها الى ايام العشرة الحلوة الرضية . الصديق الذي يماثلك في كل شيء ، قد تكون صحبته مدعاة الى الملل والنفور ، والصديق الذي يخالفك في كل شيء ، تكون صحبته مجلبة للخصام الذي يستدعي القطيعة . وخير من الاثنين ، الصديق الذي يثيرك ولا ينفرك ، ويخالفك ولا يناقضك، ويبتعد عنك ليقترب منك ، سواء في واقع الحياة او في واقع الفن . وتشبه العلاقة بين الطرفين ان تكون كالعلاقة التي بين الرجل وبين من يهوى من النساء ، فهي اذا شاءت الاحتفاظ بهواه ، لا بد ان تعاكسه احيانا قليلة ، معاكسة كيسة ، فيها حذق وذكاء ، ليكون دائما هائما بها مفتونا بروعتها ، اما اذا كانت له كالخاتم في اصبعه ، طيعة ذلولا ، حتى لكأنها رغباته واهواؤه ، قيل لها كوني انسانة فكانت ، فهو والحالة هذه ، قد يحتفظ زمنا ، ولكن الشيء الذي اشك فيه ، هو ان يكون حبه اياها ، من ذلك النوع الذي يتجدد بين آونة واخرى .

فاس : عبد العلي الوزاني

ولتوضيح هذا الاتجاه ، وابراز انطباق اللامعقول فيما هو تافه ، فقد عمد رواد هذه المدرسة الى ضبط الطبيعة فى لوحاتهم بصورة دقيقة مما جعلهم أحيانا « اتباعيين » فى مناهجهم وذلك فى محاولتهم تحقيق تداخل بسيط او قوي مع الاشياء المنقولة بفرشاتهم .

وينتمي الى هذه النزعة جورجيو دي شريكو ، ومارك شغال ، وبول كلي ، وجون ميرو ، وسلفادور دالي ، واندريه ماسون ، وروبرتو ماتا ، وماكس ارنست واسكار دمينيس وغيرهم ....

3 — **البوب آرت** : (Pop' arts) اصبح هذا الفن سائدا فى امريكا وانجلترا منذ سنين قليلة ، وكان قد نتج بصورة مباشرة عن التجربة الدادية . اذ بينما كان « شفيتور ، ودوشان ، وبيكابيا » ينتجون لوحاتهم منذ ما يقرب من نصف قرن ، بعناصر مأخوذة من الحياة الواقعية : كالصحف العتيقة ، والتذاكر المستعملة ، وعقائب السجاير والثياب المزقة ، ويستلهمون طريقة « الكولاج » المستعملة من طرف التكعيبيين ، أصبح هؤلاء اساتذة هذا الاتجاه الشعبي الذي كان عشاقه يضعون تصميماتهم بوسائل مألوفة كصناديق الجعة ، وباب البوفيه المزوق بصور الممثلين والمهرجين . أما اساليبهم التعبيرية فقد كانت تختلف عما هي عليه عند الداديين ، اذ كانوا يقومون بعملية اقتلاع للاشياء الحقيقية من جذورها المتأصلة ، وتلوينها بطابع شعري ثم صبغها بمعنى ثاني يجعلنا اكثر اقترابا منها فى وضعها الاول ، كأنهم يريدون بذلك تبرير وجود تلك الاشياء فى الحياة العادية ، بينما كان الداديون يأخذون نفس الاشياء والعناصر ويستعملونها للتعبير عن سخطهم وكراهيتهم للحضارة القائمة على الاستهلاك.

ومن رواد هذه المدرسة : كورت شفيتور — دوشان ، بيكابيا ، ياسبير جونس ، كلوس أولدنبوغ ، الكسندر اطيرو ، جيمس رورنكيتا ، طوم فسليمان وغيرهم ...

رابعا : **الذين يشوهون الطبيعة** :

تعتقد طائفة هامة من الفنانين المعاصرين انها لم تبتعد كليا عن الواقع فان فعلت ذلك فانما تفعله فى الالوان والاشكال كما حدث للرسامين من ذوي الاتجاه التعبيري فى هذا العصر ، الذين غيروا معالم الواقع حسب اغراضهم التعبيرية الخاصة دون ان يأخذوا اي اعتبار لمتطلبات المنطق الفني القديم، كما كان الشأن عند رسامي القرن التاسع عشر ، هذا وبينما كان الانطباعيون والمدققون (4) يجهدون انفسهم فى تبرير الاختيار المقصود لالوانهم بطريقة علمية ، وتوضيح الاسباب التي جعلتهم يرسمون الشجرة باللون الازرق الداكن بعد ارتكازهم على نظريات وقواعد فيزيقية ، كان الوحشيون والتكعيبيون قد تحرروا من كل ضغط واقعي ورسموا الابقار باللون الاخضر ، والسماء باللون الاصفر . فى حين كان الوجه الامامي لنماذجهم البشرية متداخلا فى الوجه الجانبي (البروفيل) .

1 — **الوحشية** : نشأ هذا المذهب فى غضون سنة 1897 وذلك عندما وقف « دوماتيس » ضد « تعسف الانقسامية » فى الفن .. وفى المذهب تأثيرات وايقاعات عديدة لاعلام الرسم امثال « فان كوغ وجوجان وجوستاف مورد » . اما هدفه الرئيسي فقد كان يقوم على ابراز اللون بدون خجل او ظلال وتوهيمات ، اذ تسطع فى لوحات الفنان الوان خالصة صريحة ، تعرض بانشراح لتعبر عن احساس واضعها، وتجسد المهارة فى عملية الخلق التي تتخذ ابعادا مخالفة للطبيعة التي لا يمكن الابداع فى تقليدها كما يقول « ماتيس » ...

كانت واقعية الوحشية تنم فى الغالب عن بهجة الحياة وصفاء ذاتية المنتمين اليها كما تيس ، وروول دوفي ، ودران ، وموجان ، وجورج براك . اما فى المانيا وشمال اوروبا فقد كان المذهب يستعمل نفس الالوان المستعملة فى فرنسا الا انه كان مطبوعا بالقلق والخلل الرومانطيقي والعزلة والخوف امام طبيعة جامدة ، معادية ، لا انسانية .

---

4) **المدققون** : Les Pointillistes هم الرسامون الذين ينتمون الى مدرسة « Pointillisme » . وهي عبارة عن رسم يقوم على تقديم الالوان الخالصة بحيث تبدو الظاهرة التعبيرية الاساسية من خلال تلاحق الالوان وتزاحمها فى اطار منسق . تولد هذا الاتجاه عن آراء « دولكروا » فى الطبيعة الملونة بالظلال . ويطلق على هذا المذهب ايضا تسمية : الانطباعية الجديدة « Le Néo-Impressionnisme »

الرتيبية والملل ، وان السر الازلي للرسم لا يكمن الا فى ثنايا القيم الانسانية التي تورثها التقاليد » .. وعليه فقد كان عملهم يرمي الى معانقة الطبيعة بابراز عناصرها كما هي : الشيء الذي جعلهم يرددون مصطلحات كانت متداولة فيما بينهم منها : « الميراث الواقعـي » ، « والعقلية الكلاسيكية » ، « والمهنة القوية » .

ويمثل هذا الاتجاه : اندري دنويي وبرايير ، وبرودسكي وروجيه شابلان وغيرهم .

ثانيا ــ **السانجون** : كان اصحاب هذه المدرسة يحتفظون بأسرار الطفولة ويستلهمون مواضيعهم من الاصل . اي من البيئة التي تحتضنهم بطقوسها الشعبية . وتحفزهم الى تقديم رؤى بسيطة خارقة للكون . اما اقتحامهم لميدان الرسم فقد كان عن طريق تنكرهم للقواعد المضبوطة والحركات والقوانين الجارية فى عالم الفن . اذ كان عملهم نتيجة انطلاقة سحريةتقوم على الخلق والابتكار استجابة لرغبة غامضة استبدت بهم ذات يوم ، فكان من اللازم التعبير عنها وسط عالم غابن بالنسبة لرؤياهم . اثبتوا محاسنه باخلاص دقيق مما جعل الشجرة عندهم عبارة عن قصيدة شعرية كل ورقة منها تقوم مقام بيت القصيدة وتحتاج الى شرح كامل .

ويمثل هذا الاتجاه : هنري روسو ، وموريس اوترينيو ، وكاميي بوربوا ، ورفائيل مورينو .

ثالثا ــ **الذين ينظرون الى الطبيعة بغرابة**

ينقسم هؤلاء الى اربعة مدارس :

1 ــ **الدادية** : وقد كانت هذه المدرسة حصيلة الفواجع التي اجتاحت الانسانية فى بداية هذا القرن من ذلك فوران الحروب وما حملته من خراب وتدمير : اذ ما ان احس اتباع المذهب بخطورة ما وصلت اليه الانسانية من اوضاع سيئة ، حتى تكونت لديهم ازمة ضميرية ، وانساقوا وراء شعارات خاصة تنعكس فى اتجاههم العبثي Adsnede وتعريتهم للكون ، واتخاذ مواقف معادية للبورجوازية . اما الفن فى أشكاله التقليدية للطبيعة فقد كان فى رأيهم مجرد « تزوير مثالي » (1) وانتاج مجتمع يدعي « الرزانة والتعقل » بيد انه لم يتمكن من انقاذ الانسانية مما تسلط عليها من وبال وما يرهقها من فواجع .

وامام هذا الموقف الاجرامي رفض الداديون الاعتقاد فى الحياة الواقعية واستسلموا للعبثية وغشوائية « باكونين » (2) الذي كان يرى « التخريب نوعا من الابتكار الفني » (3) . كما ان لوحاتهم كانت تتضمن « آلية » ترمز الى معول التخريب والهدم ، فى حين كانت الطبيعة تبدو عندهم فى اطار خاص يناقض الطبيعة بأشكاله اللامعقولية .

وفيما يخص رواد هذه المدرسة فقد كان هؤلاء منقسمين الى فريقين :

ــ **فريق زوريخ** : ويضم جان آرب ومارسيل جانكو ، وهانس ريضتر . وصوفي طوبير ...

ــ **وفريق نيويورك** : ومنه مارسيل دوشان وفرانسيس بيكابيا ومانري ، وماكس ارنست ، وكورت شفيتر ...

2 ــ **السريالية** : تعتبر هذه المدرسة وارثة للمدرسة الدادية حيث كانت تقدم على اقتناء كل ما هو جميل او عجائبي فى المجتمع الحديث وقد صرح احد اعلامها ، وهو «برتون» ، فى البيان الاول الذي وضع سنة 1924 « ان كل ما هو عجيب جميل ، مهما كان هذا الشيء العجيب .. اذ لا جميل الا فيما هو عجيب » .

---

1) Une mystification idéaliste

2) **باكونين** « Michel Bakounine » متمرد روسي من مواليد 1814 . (توفي سنة 1876) ــ كان قد قصد باريس واتصل هنالك بالاديبة « جورج صاند » وبالمفكر « برودون » ثم طرد من فرنسا بطلب من الحكومة الروسية فقام بعد ذلك بحملة سياسية ترمي الى احداث هزات ديمقراطية الشيء الذي جعله يحكم عليه بالاعدام مرات عديدة ــ ونقل الى سيبيريا ، فهرب من منفاه قاصدا « سويسرا » حيث كون هناك « جمعية الاخوان الدوليين » La secte des frères internationaux » ورابطة الديمقراطية الاشتراكية ــ كان فى سويسرا يحاول الاتصال بالشغالين ليبث افكاره فيما بينهم مما جلب له عداوة « كارل ماركس » ــ اما جمعيته الدولية فقد كانت تبشر بالالحاد الديني ومحو الطبقات ومساواة الجنسين وتقاسم الاملاك واللامبالاة بالحكومات والسلطات ــ حاول ايضا القيام بانقلاب شيوعي فى مدينة ليون » .

3) وهو القائل بأن « التخريب نوع من الابتكار »

كرائد اول للاتجاه التجريدي .. هذا وفيما يتعلق بتلك التجربة التي عاشها « كندنسكي » نرى ان هذا الفنان نفسه يروي قصتها فى : « نظرة الى الماضي » (5) حيث يقول : « ... كنت قد سحرت فى مدينة ميونيخ بمشهد غير منتظر .. بل امسيت محط اندهاش فى مقر عملي . كان ذلك قرب غروب الشمس عند ما كنت عائدا الى بيتي محملا بصندوق الالوان غائصا فى احلامي وفى ذكرى العمل المنجز . وفجأة أبصرت على الحائط لوحة ذات جمال فريد تتألق بشعاع داخلي . فمكثت حائرا ، ثم اقتربت من اللوحة المرسومة التي لم اكن ارى فيها اشكالا بعيدة عند ادراكي او شحنة غريبة لدى .. وفى سرعة تمكنت من الوقوف على مفتاح الصورة المرسومة : كانت اللوحة من وضعي ، وكانت قد علقت على الحائط بكيفية مقلوبة . وفى الغد حاولت فى وضوح النهار استكشاف انطباعات البارحة لكني ما ادركت الا نصف التوفيق اذ كنت ارى المارة دوما رغم اللوحة المعكوسة ...

حينذاك فهمت بوضوح ان المواد تضر برسومي، بل احسست وكأن هوة سحيقة تنفتح تحت تقدمي بينما تتجمع لدي فى الوقت نفسه وفرة من الامكانيات والتساؤلات العديدة المليئة بالمسؤولية كان من اهمها ما ياتي : اي شيء يمكن ان يعوض المادة ؟ ..

ثم انتصبت امامي خطورة رسم «زخرفي» وكانت الظاهرة اللاتعبيرية لوجود اشكال منمقة لا تستطيع سوى تخويفي .. وبعد سنوات من العمل الدقيق وجهد متواصل من التفكير ، ومحاولات عديدة رصينة قائمة على ابراز فاعلية الاشكال الخالصة ومعايشتها فى تجريديتها والانغماس اكثر فأكثر فى تلك الاعماق اللامحدودة ادركت اساليب الرسم التي اسير عليها اليوم والتي آمل واريد انها سوف تتزايد فى نموها .. هذا وقد استغرق ذلك زمنا طويلا الى ان وفقت الى اجابة صائبة للسؤال : بماذا تعوض المادة ؟

واخيرا سمعت ان فنانا لامعا لا اذكر اسمه صرح بانه اذا اردنا ان نرسم ، فانه يلزمنا ان نلقي نظرة كاملة على اللوحة ونصفها على خشبة الالوان والنموذج . وكان هذا حكما جميلا ، على اني اكتشفت توا انه لا يؤثر فى نفسي الا فى خط معاكس حيث ان عشر نظرات الى اللوحة ، وواحدة الى خشبة الالوان ونصفها الى الطبيعة هو الذي لقنني طريقة مقاومة اللوحة وكيفية اعتبارها ككائن متنطع لرغائبي واحلامي التي كان لابد من اخضاعها بالقوة الى تلك الميولات .. كذلك اتضح عندي بتزايد « تباين » ميدان الفن وميدان الطبيعة الى ان تمكنت من اعتبار كل منهما بذاته كميدانين متفارقين على الاطلاق .. »

وهكذا نستفيد من هذا التصريح ان للفن ميدانا حقيقيا ينفرد عن ميدان الطبيعة ويخضع لقوانين ثابتة كما ندرك تولد الاتجاه التجريدي الذي احس به من قبل سائر الفنانين دون ان يستطيعوا التعبير عنه حتى اذا ظهر رسميا كان محط بحوث ودراسات عديدة جعلته ينقسم الى نزعتين :

— التجريد اللاشكلي

— والتجريد الهندسي

1 — **التجريد اللا شكلي :** ظهرت هذه النزعة منذ سنة 1945 . وكان اصحابها يرفضون كل ضغط خارجي كما كانوا يباشرون عملهم بحرية كاملة كما يفعل الموسيقي اثناء ابتكار الحانه .. اما طريقة عملهم فقد كانت تقوم على بعثرة البقع والخطوط بألوان صارخة لطيفة تعبر عن العزف والهدوء وتعكس طباع الفنان التي كانت تختلف حسب الظروف مما جعل النقاد يحصرون اصحاب هذا الاتجاه فى مراتب منها :

— **اصحاب العنف :** وهم يشبهون التعبيريين فى ارتكازهم على العواطف الهستيرية ومنهم جميس بروك وسام فرنسيس ...

— **اصحاب التنميق :** وهؤلاء يبحثون فى توازن الاشكال عن انعكاسه لوداعتهم الانسانية ومن بينهم جان اتلان ، وآنا ايفا برغمان ، وبرسييه ..

— **الفنائيون :** وهم اكثر التصاقا بالطبيعة فى حركاتهم والوانهم وان تأثر بعضهم بالمذهب السريالي . وقد اشتهر منهم هانس هارتونغ ، وبولوك ، وجورج ماتيو ، وكندنسكي ، وسونيا ، وبيكابيا وغيرهم .

2 — **التجريد الهندسي :**

اذا كانت الهندسة هي الوسيلة المطلقة لمحو اية علاقة مع الطبيعة فقد كانت بالنسبة للرسامين « البنائين » طريقة للتخلص من القلق ، ونبذ الغموض، ودحر الخوف وذلك باشكالهم المتينة وخطوطهم الهندسية

(5 « Regard sur le passé » - Wassily Kindinsky - Munich, 1963.

2 — **التكعيبية** : لعبت هذه المدرسة دورا هاما في عالم الفن وتركت أثرا بعيد المدى في مجموعة من الفنانين أمثال « دولوني » وليجي ومودريان ، ودوشان أما كيف طرح روادها قضية الواقع أو الحقيقة ، فذلك راجع الى امتداد اصول هذا المذهب في الفنون الزنجية وفي تلميحات « سيخران » ، بيد ان « براك ، وبيكاسو » كانا منذ ابحاثهما الاولى ، في سنة 1907 ، يريان أن الصور المرئية لا يجب أن تنتقل الى اللوحة حسب النظام الطبيعي . بل عليها أن تكون منكسرة مطابقة لاحساس الفنان وعواطفه أثناء المشاهدة : لذا تبدو كل العناصر متداخلة بعضها في بعض مما يجعل الانتاج التكعيبي متشعب الرؤى ، مخللا لعناصر الطبيعة التي تكدست في عقل الفنان وكونت شحنة هائلة ، كأن يختلط منظر السماء بالمدينة والطاولة وواجهة الدكاكين والقارورات وغير ذلك ...

وما أن تتشعب هذه الاحاسيس التي تبدو منظمة على صفحة اللوحة ، حتى تغدو بالنسبة للفنان شاهدا حيا للواقع الذي اراد التعبير عنه ، والظروف التي سعى الى عرضها والتعايش معها في نطاق تحليلي ذاتي للواقع الذي يتضح جزئيا وسط الخليط التعبيري الصوري (*) .

يمثل الاتجاه كل من بيكاسو وبراك ، وفرنناند لجي ، ومارك شاغال ودوشان ، وبيكابيا ، والمهندس المعماري لوكوربيزيي « Le Corbusier »

3 — **المستقبلية الايطالية** : سبق لهذه المدرسة أن عبرت عن اتجاهها في البيان الذي نشرته سنة 1909 ، وفي المعرض الاول الذي اقامته سنة 1911 ، اذ كانت مدينة للتكعيبية وللاثر القوي الذي تركته في أعلامها « كبوشيوني ولويجي روسلو ، وسفريني » حيث كان هؤلاء يقدسون الاتجاه التكعيبي ويجعلون من انتاجهم عبارة عن أنشودة لتفوق الالية والتقنية وكل القيم الحديثة ، كما كانوا يتوخون الوصول الى واقعية سيكلوجية ، بتحقيق انسجام كلي مع الواقعية المرئية ، والواقعية الباطنية المتسترة .

4 — **التعبيرية** : تولد هذا الاتجاه عن حالة الظلم والفساد الاجتماعي ، ومرارة الحروب : اذ كان الفنان أمام هذا الوضع اليائس ، يأخذ مادته من الواقع ثم يغيرها ويصبغ عليها صورة شخصية تعبر عن سخطه واحتجاجه أو مواساته للمخلوقات المظلومة ، والا عبر عن قلق فرادني كما هو الامر عند « جيا كميتي » و « سوتين » أو أبرز نوعا من السخرية اللاذعة والحنان الفائض والعواطف الجياشة .

من رواد هذه المدرسة : بيكاسو — سوتين — مودغلياتي ، برنارد بوفيه جيا كميتي وغيرهم .

5 — **الاحواليون** : بينما كان الفن محط انقلابات عديدة في التجديد ، كانت شرذمة من الرسامين تحاول الاستقرار في مكانها بتبني الاكتشافات السابقة (التكعيبية والوحشية ، والتجريدية) في بساطة وحذر وبالارتكاز على اقلها عقيدة . وهكذا عمل هذا الاتجاه على بروز رسامين من أمثال هنري دوفاركييه ، وبالتوس ، وأندري مارشان ، وجان كارزو ، وماسيمو كامبغلي .

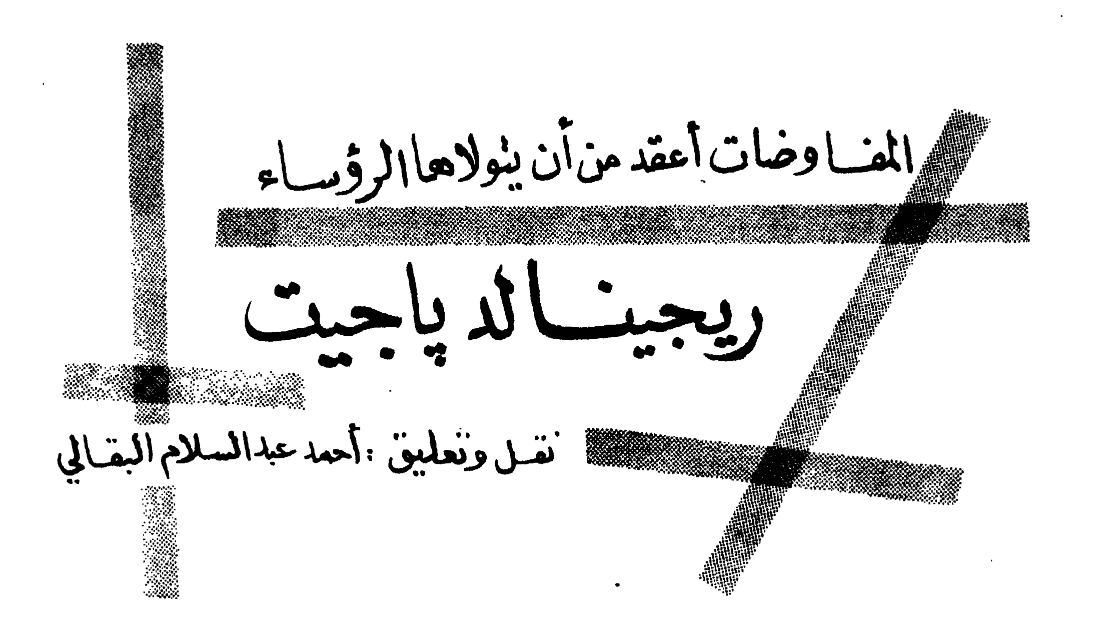
6 — **المدرسة التعبيرية الجديدة** : كانت تتردد بين الواقع والتجريد. وكان يعرف روادها في المقارنة التي قام بها « بول كلي » فيما بين الفنان وجذع الشجرة حيث كان كل منهما يمتص أكلته من الحياة ومن الواقع بأن يحمل الاول ما توصل به الى لوحته والثاني الى أوراقه .. وهذا النوع من العمل يفسر موقف الفنان المحايد بالنسبة للواقع . على أن اتباع هذه المدرسة ذهبوا بعيدا بهذا الموقف الحيادي الى أن ركزوه في حدود التجريد المطلق . ومن هنا كان انتاجهم يبدو تجريديا أثناء الوقوف عليه والتطلع اليه لاول وهلة ، بيد أن الناظر المتفحص لا يتاخر في استكشاف الوان الطبيعة واشكالها التي تترجم احساس الفنان المرتبط بتلك الطبيعة .

من اعلام هذه المدرسة : روجيه بيسيير ، جان بزين — الفريد مانسيه — مارك توبي — شارل لبيك وغيرهم .

خامسا : **التجريدية** : او الذين يرفضون الواقع :

كان هذا الاتجاه وليد صدفة غريبة ، أفادت الرسام في أن الموضوع والحكاية لا داعي لهما في عالم الرسم اذ يكفي أن تثير اللوحة اعجاب الغير بأشكالها والوانها وما تتضمنه من تعبير كما حصل للفنان « كندنسكي » الذي كان محط تلك الصدفة القائمة على تجربة رخيصة مكنته من تغيير نظرة في الرسم وبروزه

* من المعروف أن الرسام التكعيبي يعرض في الوقت نفسه الوجه الجانبي (البروفيل) والوجه الامامي للشيء وقد تداخل كل منهما في الاخر .



ما أحوجنا فى هذا العصر الذي كثرت فيه مؤتمرات القمة الى نصيحة سياسي عجوز مجرب مثل « ريجينالد باجيت »

المشاكل التي يتخبط فيها العالم العربي اليوم لم تعد تستطيع الانتظار وليس ثمة كاف من الوقت ليتعلم ملوكنا ورؤساؤنا بالتجربة والخطأ ، كما كان الامر فى القصور والبلاطات القديمة حيث كان الزمن نهرا بطيئا او آسنا لا يتحرك . الاحداث تتعاقب بسرعة مدهشة فى هذا العصر . وكل دولة تستفيد من تجارب جيرانها فى جميع مجالات الحياة . واذا كان العالم العربي يمر اليوم بما مرت به الدول الاوروبية قبل قرنين ، واعني بذلك التطور السايكولوجي ، فاننا ينبغي ان نعد انفسنا محظوظين لقدرتنا على دراسة اخطائهم وتجاربهم والاستفادة منها . يبلغ « ريجينالد باجيت » الثامنة والخمسين من العمر وهو مستشار ملكي ، وعضو برلمان عمالي عن « نورث هاميشون » منذ 1945 .

كتب للويكند تلغراف هذا المقال القصير بمناسبة زيارة رئيس الوزراء السوفياتي « كوسيجن » لبريطانيا وهذا ما كتب :

رؤساء الدول ينبغي الا يلتقوا ، اذ حين يجتمعون تؤثر اصطدامات شخصياتهم على المصالح العامة . وينبغي الا يتفاوضوا ابدا . اذ حين يحاولون تكون النتائج فى الغالب كوارث !

في المدرسة تعلمنا انه بعد مفاوضات « حقل ثياب الذهب » دخلنا الحرب مع فرنسا فى نفس السنة!

نابليون قابل القيصر على طوف بـ « تيلست » ، وملوك اسبانيا « ببسايون » والمفاوضتان معا اديا الى الحرب .

اجتماع هتلر بالمستشار النمساوي تبعها الاحتلال .

واجتماعاته بموسوليني ادت الى حلف قام على عدم الثقة والغيرة التي أودت بحياتهما معا .

رحلات تشرتشل أثناء الحرب كانت اكثر خصوبة ، الا ان اجتماع الدار البيضاء ادى بنا الى الاستسلام بلا قيد ولا شرط ، بينما ضمن مؤتمر « يالتا وطهران » استعباد شرق اوروبا .

زيارة ماكميلان لموسكو افزعت المانيا دون ان تطمئن روسيا .

وزيارته لدوكول « برامبويي » وكينيدي « بالبهامات » عكرت جو المفاوضات للدخول فى السوق المشتركة .

وما نزال نعاني من زيارته لافريقيا ، فقد خلق عدم الثقة فى كل مكان ذهب اليه .

ومن المؤتمرات الكبرى ، كان فرساي ــ حيث اجتمع كليمانصو ولويد جورج والرئيس الاميريكي ويلسون ــ اعظم كارثة !

الثابتة التي كانت تعطي دليلا على وجود الانسان وسيطرته على الفراغ والموت او العدم .

هذا وقد كان الرسم الهندسي يستعمل فى تزويق البنايات وزخرفتها كما أنه لعب دورا هاما فى ميدان الهندسة المعمارية .. ومن رواد هذا الاتجاه : ويلي بانميستي ، وماكس بيل ، وأوطو فرند وفيكتور دمسارلي وغيرهم ..

وبعد فهذه اشارة عابرة الى مدارس الفنون التشكيلية الحديثة وما تنطوي عليه من ارهاصات فلسفية وابعاد استتيكية . وقد قصدت من ورائها التعريف بهذا الفن الذي اصبح مشاعا عندنا بكثرة ، وتسهيل السبيل أمام المتذوق والمتعلم لادراك رموزه .

الا ان هذه الدراسة بعيدة أن تكون جامعة مانعة نظرا لتعدد المدارس وصعوبة حصرها فى مقال واحد . وعليه اشير الى انه توجد مدارس أخرى شاذة كالمدرسة الميتافزيقية Pein'ure métaphysique والمدرسة الاليكترونية P. électronique والتحطيمية (6) « Le destructivisme » والفورتيسية (7) « Le Vorticisme » التي أخذت انطلاقتها الاولى فى انكلترا على يد « وندام لويس » وغيرها من المدارس التي تسعى جادة الى التعبير عن الانسان فى مراحل تطوره وفى صراعه الدائم مع المادة ومع اشباهه من الاحياء ، وفى مواجهته للظروف الحياتية .

مكناس : حسن المنيعي

---

6) **التحطيمية :** « Le destructivisme » كنت قد ترجمت لجريدة « العلم » فى عددها الصادر يوم 12 فبراير 1967 مقالا يعرض اتجاهات هذه المدرسة الحديثة التي تقوم على الفوضوية وتحطيم عالمنا حتى لا يكون الفنانون من ضحاياه .. وهذه المدرسة تستغل كل المواد لتزكية استتيكيتها فى هذا العالم المنهار ، وربما تعتبر مكملة لمدرسة « البوب آرتين » .

7) **الفورتيسية** « Le Vorticisme » اخذت التسمية من كلمة « Voetex » وهي اقصى درجة فى عالم الطاقة كما انها ابعد ما يمكن ان تصل اليه الفعالية فى علم الميكانيك وفى عالم الرسم ندرك أن كل شعور او حكم فرداني يبدو للوعي الانساني نشيطا فى صورته الاولى .





للأستاذ العالم الشاعر نديم الجسر
مفتي الديار اللبنانية ...

اخشى على قلبي ، وانت حبيبه ، ان يستشيط اذا ظللت تذيبه
مابي ، وحقك ، ان يكون منعما سيان عندي ، برده ولهيبه
كلا ، ولا بي أن يقر قراره هين علي سكونه ووجيبه
لكن اخاف فراره واباقه ان طال من هذا الجفاء نصيبه
ويلي اذا انتهت الحياة ولم اجد قلبا منيبا فى الحساب انيبه
فتن الحياة أمرها تلك التي تأتي على القلب الكسير تريبه

* * *

واحسرتا للعبد يظلم نفسه ويظل يعلو ، بالثبور ، نعيبه
ويقول ربي شانني واهانني ويخوض فى قدر السماء يعيبه
واذا اصاب الخير قال ، بجلهه ، هذا على علم لدي أصيبه
يكبو ، ويطلب أن يقال عثاره يجني ويرجو ان تقال ذنوبه
وينام عن سنن الحياة ويشتهي ان المحال اذا دعاه يجيبه

* * *

ياسادة جمع « الكتاب » شتاتهم ووقاهم من فرقة تهذيبه
بالله ، بالاسلام ، بالجرح الذي مازال ينهر فى القلوب صبيبه
لا تتركوا احقادكم تطفى على ايمانكم بالله فهي تشوبه
الخطب فى الاسلام فوق صغائر نلهو بهن وقد اطل رهيبه

والاسباب ليست بعيدة عن الفهم .. المفاوضات الدولية ينبغي أن تكون اجراءات مهيلة تمارس بعناية فائقة . ويتولاها ناس المفاوضات حرفتهم الاساسية . الاقتراحات لا ينبغي ان تلقى على عواهنها دون سابق دراسة . وحين تقدم ينبغي ان تدرس بتدقيق للقبول او الرفض او مرفقة باقتراح مقابل ..

حضور العظماء يعقد هذه الاجراءات الدقيقة ، لانه لا يوجد هناك من هو اعلى منهم للرجوع اليه . قيمتهم وغالبا حظهم الانتخابي يعتمد على النتائج التي يرغبون فيها ، وحين يقولون « لا » يصبح موقفهم مبدأ قائما .. وحين يقولون « نعم » فان تعهداتهم غالبا ما تقبل بدون فحص كامل ، وحين يثبت البحث أن التعهد كان غير عملي ، تتبادل تهم عدم الثقة . ولصيانة وجه الواحد ، عندما لاتتمشى الامور ، يلقى اللوم على الآخر .

واخطر من هذا كله ان المصالح المتضاربة غالبا ماتصبح سبب المواجهة العدائية .

وظيفة الديبلوماسية هي ان تحقق لنا التعايش مع مشاكلنا التي لا تحل ؛ ولكن عندما نأخذ هذه المشاكل الى مؤتمر قمة ، فاننا نسلط عليها الاضواء ، ولا يمكن ان نتجاهلها بعد ذلك .

العظماء يتخذون مواقفهم ، ولتبريرها يبالغون في اختلافاتهم لدرجة يصعب عندها احتمالهم .

ولكل هذا ينبغي ان نضيف عاملا شخصيا ؛ عظماء هذا العصر غالبا ما يكونون « خارجي الانانية » « Extrovert Egoists » و « الخارجوا الانانية » قلما يتحابون طويلا .

نابليون قد يكون اعظم رجل ، ولكنه كان اشنع ديبلوماسي . فقد خلق عدم ثقة عالمي لدرجة انه لم يعرف امكانه التعامل مع احد .

الرئيس البريطاني ، ويلسون رجل عظيم ، له كثير من الروح الامبراطورية اليعقوبية ، نفس الاخلاص لنجمه ، نفس الطاقة والشجاعة ، نفس القدرة على قلب واستغلال كل زلة او خطا يقترفه خصومه لمصلحته ، ونفس السهولة على الايحاء بعدم الثقة !

كان هذا واضحا طول مدة رئاسته . عندما فاز بقيادة حزب العمال لم يحصل الا على صوت واحد من زملائه اعضاء هيأة وزارة المعارضة ، وهذا لم يحدث لشكهم فى مقدرته ..

وكمثل ، حكاية روديسيا كانت محاطة بالحذر . منذ 1923 تمتعت روديسيا بالاستقلال الداخلي . وسرعة تقدم الافارقة كانت شغل الحكومة الروديسية، ولم تكن لبريطانيا الوسيلة او الرغبة فى التدخل . ولم يحدث الاستقلال فرقا بالمرة ، ولكن باجتماع رؤساء حكومات الكمنويلث اصبحت الحبة قبة !

وبمحاولة السيد ويلسون تقوية عضده ادخل نفسه فى شباك مؤتمر الكمنويلث واضطر الى اعطاء وعود بعقد مؤتمر آخر لا قدرة له على الوفاء بها ، ليس بالشكل الذي فهمها به اعضاء المؤتمر على أي حال .

وعند ما ضاق عليه الوقت دعا « سميث » الى اجتماع « التايجر » واضطر ان يعرض عليه شروطا اعتبرها الافارقة غير متفقة مع تهداته لهم . هذه الشروط اعطت « سميث » عمليا السيادة المستقلة . ولو اعطيت السلطة لمستر « بودن » لعرض هذه الشروط على « سميث » لكان الامر سوي في « سالزبوري » .

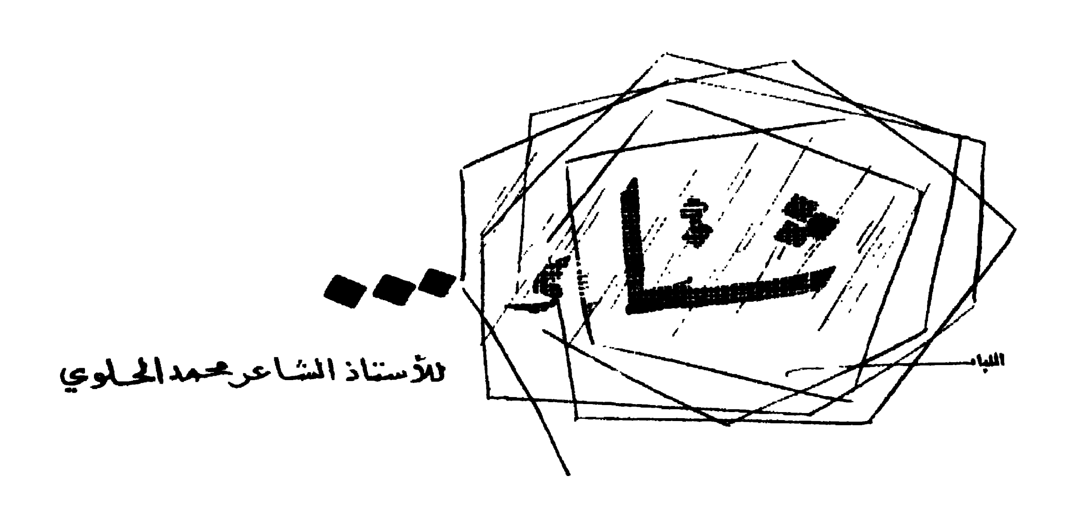
وبما ان شخصية وقيمة ويلسون اقتضت ان تلبس الهزيمة حلة النصر ، فقد جرت قصة « التايجر » والانذار النهائي .. وقد سبب هذا عدم ثقة لدرجة أن بيض روديسيا ، لعجب ويلسون ، رفضوا اقتراحا اعطاهم فى الحقيقة ، كل شيء !

وهكذا احيلت القضية على هيأة الامم لفرض عقوبات يجب الا تغضب جنوب افريقيا — وما كانت لتؤثر على سميث اذا لم تفعل !

وقد أدى ويلسون ثمنا غاليا لعدم كسب ثقة البيض والسود على السواء . ولا يمكننا الا ان نؤمل انه تعلم درسه !

ريجنالد باجيت

ترجمة احمد عبد السلام البقالي



للأستاذ الشاعر محمد الحلوي

الجو أدكن والطبيعة ترتدي ... ثوب الحداد كأنها لم تبسم

والسحب تذرف فى سخاء دمعها ... والريح تزار والربى فى مأتم

هذي الرياض فأين وشي زهورها ... وعبير رياها وجدولها الظمي ؟

أين الخمائل ؟ أين فرحة طيرها ... بطلائع الفجر الوضيء الملهم ؟

أين الفراش معربدا في نشوة ... يمتص فى نهم رحيق البرعم ؟

أين الاراجيح التي علقت بها ... ايدي الولائد والصبايا الحوم ؟

دنيا انطوت بجمالها وضيائها ... وطوت محاسنها يد لم ترحم

كانت رؤى عبرت وحلما أمتعت ... أطيافه نفسي وان لم تحلم

* * *

غامت سمائي بعد صحو لم تغب ... عني بشاشته ولم تتجهم

وتناثرت أوراق روضي مثلما ... تهوى دموع من محاجر مغرم

خلعت يد الانواء عنه رواءه ... واتته نائحة بوبل مسجم

والطير كالتمتام اخرسها الاسى ... أصباحها مثل الظلام المعتم

ضاعت وهامت بعدما عصفت بها ... هوج الشتا وبعشها المتهدم

غطى الجليد عشيشها وتلفعت ... بمروطه في ذلة المسترحم

سكتت طيورك يا خمائل بعدما ... دوت مجلجلة رعود الموسم

مرحى بوجهك يا شتاء وان يكن ... جهم الملامح في قساوة مجرم

لم تنس « اندلسا » وكيف اضاعها ... ذاك الشقاق وفي الفؤاد ندوبه
دول نكاد نكون في تاريخنا ... صورا لها يطوي البعيد قريبه
ما كانت « الحمراء » الا ومضة ... من عهد مجد قد أطل شحوبه
القصر لايبقى اذا لم يحمه ... شعب أبي ضرسته حروبه
أولى علامات الزوال لامة ... ترف يدب الى الشعوب دبيبه

* * *

استغفر الرحمن من يأس بدا ... مني على غرب الدموع غريبه
لم يجتمع ، في صدر عبد مؤمن ، ... يأس مع الايمان فهو يشوبه
ثلث البسيطة ملكنا ، وعديدنا ... ثلث الورى ، والدين نحن قطوبه
ولنا من البر الفسيح عوالم ... ولنا من البحر المحيط دروبه
ولنا من الامواه اعظم أنهر ... ولنا من النفط العظيم قليبه
ولنا ، ببحر الروم ، أطول ساحل ... هو حصة الاسد اشترته نيوبه
وعلى معابره الثلاثة تلتقي ... أشداقنا ، فنجبه ، ونجوبه
ويشد وحدتنا كتاب واحد ... نلقى عليه الله وهو حسيبه
مهما تفرقنا فلا معدى لنا ... عن الفة يقضي بها تأديبه
هذا بمعركة البقاء سلاحنا ... لم يجتمع عند الشعوب ضريبه
ان مسنا قرح فما من معشر ... الا اتاه ، من القروح ، نصيبه
دول هي الدنيا يداولها الذي ... خلق الوجود وصرفته غيوبه

* * *

هي نكبة لكن أكاد أرى بها ... خيرا لشعب اترفته عيوبه
ما الخطب ، عندي ، ان يباغت نائم ... في غفلة ، بالمترفات ، تنوبه
الخطب أن يبقى الخمار ملازما ... شعبا توطأ بالنعال جنوبه

لبنان ـ نديم الجسر



للدكتور عبد السلام الهراس

فى احد شوارع تطوان شاهدت مواطنا جائعا تخونه رجلاه فيتداعى على الارض ، وذلك قرب بناية رائعة ، ولم يسعفه من المارة الا رجلان وامرأة .... فاليه والى اطفاله اهدي هذه القصيدة :

رايته يجثو والهموم تؤوده ... ويصفعه ذل وينهشه فقر

وترفض رجلاه التحرك ، اعظما ... واحسن منها قد تقيأها القبر

وفي عينه حقد يطير شراره ... يؤرثه ظلم العشيرة والدهر

ومن عجب ، حتى الدموع تخونه ... سوى دمعة حيرى يبددها الذعر

ومر به القوم الشباع كأنهم ... بكلب عقور او بأوبئة مروا

اشخصا اراه ام بقايا لخرقة ... يلاعبها ريح ويمسكها سر ؟

* * *

وقالت له الارض الرؤوم الى متى ... تعيش واقواما ضميرهم صخر

تداعوا على الفحشاء جهرا وخفية ... ويطربهم شر ويؤذيهم خير

وداسوك يا روح الفؤاد ، فأثخنت ... كرامتك الثكلى المهانة والعسر

ومن مدمع الايتام صيغت حياتهم ... ومن كسرة الجياع كان لهم وفر

ولولا نضال البائسين وبذلهم ... لارواحهم انى يكون لهم نصر

* * *

ومدت اليه يدا حانيه ... وادمع احزانها جارية

وكادت تمزق اعماقها ... لتحضن فلذتها الغالية

الخير يقطر في نداك سنابلا ذهبية ريا معطرة الفم
والبشر يكمن خلف وجهك عابسا واليمن خلف جمالك المتلثم

* * *

وعلى الرصيف رأيتها انسانة تجتر شجو مصابها كالعلقم
مقرورة عصر الطوى امعاءها فتكومت في جنح ليل مظلم
لم يبق منها الجوع الا هيكلا اودى به البرد المجمد للدم
غطت وجيها شاحبا بملاءة مسحوقة من عهد جد آدم
وبكت فلم يسمع بكاها عابر يرنو اليها في ازدراء مؤلم
وتوسدت أرضا تبلل تربها وتأوهت في حالة المستسلم
ودنوت من أختي العجوز وفي يدي خبز وفي شفتي دعاء المسلم
قالت وفي نبراتها غصص الاسى مخنوقة بلسانها المتلعثم
من لي بمطفأة تدغدغ نارها مشلول أوصالي وتدفيء أعظمي
ودعتها ومدامعي مسجومة ويدي على قلب يذوب محطم

* * *

ابصرتها فذكرت نكبة اخوة قرثى عرايا تحت جنح مخيم
يتقلبون على الثرى في رعشة ويراقبون مصيرهم في ميتم
ويناشدون ضمير عالمنا الذي ماتت مشاعره ولم يتألم
صور تطل مع الشتاء بوجهها فتثير احساسي وتنزف من دمي
ولطالما سنحت فأرق طيفها جفني وفجرت المرارة في فمي
فكرهت أغطيتي وعفت أسرتي ورأيت مدفأتي كنار جهنم
وودت لو ان السعادة حالفت كل العباد غنيهم والمعدم
لكنها قسم وليس بقادر احد على أمنية لم تقسم
مرحى بوجهك يا شتاء وان يكن جم المآسي فهو جم المغنم
رو البطاح وصغ ثراها جنة خضراء يزخر فيضها بالانعم
واسق الروابي وانم في تيجانها زهرا لشاعرك المحب الملهم
واهبط بموطني المفدى رحمة وسلامة وبشير خير مفعم

تطوان : محمد الحلوي

ابن زيدون

مسرحية شعرية في أربعة فصول

للشاعر عبد الله بن الهاشمي الفيلالي

الفصل الرابع

(وفيه ثلاثة مشاهد)

المشهد الاول :

نفس المنظر : في بهو قصر « العميد ابن جهور »

ابن المكري : انا « مريمي » هويتك قبلا — فارحمي مهجتي المليئة حبا
« ابن زيدون » قلبه الصخر ، لكن — انا لا زلت من جمالك صبا
لم لا تجعلين حبي بديلا — عن هواه .. ؟ فقد جفاك وصدا ..

ماري : انت مغرور ..

ابن المكري : انني فيك صب — هدني لاعج الصبابة هدا

ماري : استمع انك الحبيب لقلبي — غير انى في حيرة وعذاب
« ابن زيدون » سافر اليوم ، لكن — بعد ان خط لي سطور كتاب
قال لي افحش الكلام ، وانكى — من عتاب ، وغضبة وسباب

(ابن عبدوس يظهر)

ابن المكري : ابن عبدوس ..

ابن عبدوس : ما تقولان ..

ابن المكري : انا — نتسلى باعظم المعجزات
ابن زيدون ..

ابن عبدوس : انه لحقود — كفرت روحه بقدس الصلات

ماري : ابن زيدون كان قبل حبيبي — كان قلبي ، ومهجتي ، وحياتي
ان « ولادة » رمت بهوانا — حيث يفني ظلما مع المهملات

ابن عبدوس : ابن زيدون وحده من تجنى — كيف « يا مريمي » استطاع سلوا
لا تقولي « ولادة » بل فقولي : — ابن زيدون ، واجعليه عدوا

ابن المكري : اغفري ذنبه ..

ماري : فكيف وانى ..؟ — لست اعفو عنه ليعرف امري

ابن عبدوس : كيف « يا مريم » السماح لنذل

ماري : لك سمعا ...

ابن عبدوس : فانني جد غر

دعتــه بشــوق الــى صــدرهــا لتلثـــم انفــاســه الفــانيــة
وقالــت لــه والاســى ثــائــر على شفتيهــا هلــم ليــه
فكــم بائس قــد سقــاه الــردى وحطــم عــزتــه طــاغيــه
سرى في عروقي بشــوق ، ومــن احــن عليــه كــأعمــاقيــه
ولكننــي قــد جــذبت عداهــم الــي بصــاعقــة قــاضيــه
فليست دماهــم ســوى ظلمتــي وليست دماكــم ســوى شمسيــه

* * *

وطفــى شــوقــه
لعنـــان التــراب

فــرمــى جسمــه
فوق صدر التــراب

ســاكبــا روحـــه
في حنــايا التــراب

والاســى والدمــوع
وظــلام العــذاب

لعنــة للابــد
فوق دنيــا الذئــاب

فــاس — عبد السلام الهراس

ابن عبدوس : هو ذا الـراي

مـاري : اسمعـا ..

ابن عبدوس : اي راي لـك

مـاري : مهلا .. فان رايـي ظاهـر

هـو فعـل المكيدتيـن

ابن عبدوس : رضينـا

ابن المكري : هـو ذا الراي

ابن عبدوس : سوف يعلم

ابن المكري : طبعـا

مـاري : فوداعـا الى اللقـاء ..

ابن المكري : وداعـا ..

ابن عبدوس : احضري للتنفيذ في الغد ..

مـاري : سمعـا ..

(تخـــرج)

ابن عبدوس : ضربة تقسم اللئيم ، ومكر ..

ابن المكري : خطة اتقنت

ابن عبدوس : قريبـا سيـدري

ابن المكري : ما اظن « العميـد » يقبـل منـا ما رسمنـاه من خديعـة مكـر

ابن عبدوس : لا تقـل هكـذا ...

ابو خالـد (يدخل) السلام عليكم

هما معـا : وعليك السلام يا « ابـا خالـد »

ابن المكري : اي شـيء ..

ابن عبدوس : اجلس ..

ابو خالـد : فماذا سأحكي

ابن المكري : قل لنا ما رايتـه مـن مشاهـد

ابو خالـد : هل علمتم بحـادث اليـوم

ابن عبدوس : مـاذا ؟

ابو خالـد : قد ابـاد « العميد » حان الخمـور

قـد تناهـى اليـه ان شبابـا يشربون الخمـور رغم الظهـور

وارتأى ان يرى السكارى عيـانـا فاتـى والجنـود خلـف ركابـه

كم دنـان تكسرت ، كـم وجـوه لطمت لـم يرعك غيـر سبابـه

اتركونـي من ذا الحديث ، وهاتـوا عـن كؤوس الشراب كل الفنـون

واسمعوا لـي نشيد خمـر

ابن المكري : رويـدا

ابو خالـد : ها هـو اللحـن صادحا بجنونـي

اسقنيهـا مـن وجنيتك شرابـا واسكبيها في الكأس نور شمـوس

عصرتها الهـة الفجـر صرفـا سلـوة الهـم أو سرور العبـوس

ما سقاهـا كسرى ، ولا هي دارت فـرحـة مـن انيسة لانيـس

اخذت مهجـة الصبـاح دنـانـا وهي سر المنـى ، وحلم النفـوس

حبست ثم فضهـا للنـدامـى رشـأ ننحنـي لـه بالـرؤوس

بسمت في كـؤوسنا حين صبت كـم تحب الســراح روح الحبيس

ابن عبدوس : (فى ابتسام)

يـا ابـا خالـد كفـاك

(ماري تخرج من جيبها ورقة ثم تلقي بها الى ابن المكري قائلة)

ان هذا كتابه (1) فتأمل   كم ترى فيه من بذي السباب

(يقبضه)

ابن عبدوس : قله يا ابن المكري بصوت علي

ابن المكري : مثلما شئت يا وحيد الصحاب

(بعد ان يتم القراءة)

ابن عبدوس : ان قلبا يملي عواطف شر   هو احرى بحرقة وعذاب

ابن المكري : يا ابن عبدوس لم اكن حقودا عليه   قبل هذا حتى قرات الخطابا

ابن عبدوس : انت يا بن المكري اتدري بانا   قد رمانا ، وشتت الارابا

مذ غدا كالوزير والشعب يعلي   منه حتى سما على الوزراء

ان قلب « العميد » اكبر راض   عنه .. اما رأيي مع الآراء

فجميعا كرغوة الموج تبدو   ثم تفنى سريعة في الماء

ابن المكري : استمع ..

ابن عبدوس : ها انا ..

ابن المكري : تأمل قليلا   انه خلك الوحيد الوافي

ماري : ان تسامى فمثلما انت سام   وتذكر كم عاش فى استخفاف

ابن عبدوس : انا لست الحقود .. حاشا عليه   غير اني اشاء رفع مكاني

ماري : ابن عبدوس قد سمعنا كلاما

ابن عبدوس : خبريني ..

ماري : ماذا يريد الجاني

كيف يهوى «ولادة » وهو يدري   انك الصب .. دائسا كل قلبك

ابن عبدوس : اسمعي

ماري : ها انا .. ولكن تمهل   انها من هواه القت بحبك

ابن عبدوس : اسمعيني .. فانني صرت وغدا   وبليدا منذ اصطفته حبيبا

ان شخصا يجني عليك لاحرى   ان يجازى ، ولو يكون قريبا

فكرا فى العقاب

ابن المكري : مهلا رويدا   ان امر العقاب شيء يسير

ابن عبدوس : كيف هذا العقاب ؟

ابن المكري : سهل لدينا   ان نكيد الغداة وهو سفير

نحن نهواه ان يطيل .. فخطا   باسم ولادة اليه كتابا

انها ازمعت رحيلا اليه   فليقابل هناك منها ركابا

ثم سيرا الى « العميد » وقولا :   ابن زيدون شاء للشعب فتنة

شعب «بطليموس» اصطفاه معينا..   كيف يبقى ، ففي الاقامة محنة ؟

لم يقف كالسفير عند هداكم   بل غدا دائسا من الكفر امرك

ماري : حيلة تعجز العقول ..

ابن عبدوس : رويدا   ان سحرا منه سيغلب سحرك

ابن المكري : كيف هذا ؟

ابن عبدوس : اسمع فانك تدري   يوم قام « الفاسي » فينا يحاضر

قد سمعنا منه الجحود صراحا   كيف بعد الشهود فيه يكابر

حين يدري العميد هذا ، فسحقا   لابن زيدون ..

ابن المكري : رايك الان ماكر

1) فى الفصل الاول نص هذا الكتاب .

ائـت بالرمـــل مسرعـــا

ابن المكــري (صائحـــا) يا « مصافي »

مصافي الحارس لـــك سمعـــا

ابن المكري : هات على الطبق رمـلا

اسرع الخطـو ...

مصافــي : احضر الرمل حــالا (يخــرج)

ابن المكري : حـــارس لا اراه للقصـــر اهـــلا

ابو خالــد : ولمـــاذا .. ؟

ابن المكري : لانه مستهـــام بفتـــاة هنـــا مـــن الروح اغلـــى

ربمـــا ان رآك تنظـــر في الـــرمل ، يفضي لنا بمـــا هـــو كاتـــم

(يـــدخـــــل)

ابن عبدوس : قـــد اتـــى بـــه ...

ابو خالــد (لابن المكــري) اعندك شيء

ابن المكري : اي شـــيء تعنيـــه ؟

ابو خالــد : اعنـــي الدارهـــم

ابن المكري : لست فينا عرافـــة الحي حتـــى تأخـــذ الاجـــر

ابن عبدوس : ائتـــه بالدراهـــم

ابن المكــري (وقد اخرج الدراهـــم) :

خذ .. وهـــات الحديث صدقـــا

ابو خالــد : رويدا ان شيئا اقوله هو صـــدق

ستری مایکون.. اسمع .. وفكر..

ابن عبدوس : ان قـــولا يقـــولـــه هـــو حـــق

ابو خالــد (وهو يخط الرمل باصبعه) :

زوجة ام خديعة .. سوف يبـــدو

ثم يصيـــح : آه .. « بابن المكري » تريدك زوجا

يـــوم تغـــدو كشاعـــر غزلـــي

ابن‌عبدوس يكرر: يـــوم تبـــدو كشاعـــر غزلـــي

ابن المكري : تهزآن .. هل المحـــال سيرجـــى

ما تقولان هـــل انا مثـــل وغـــد تضحكـــان الغـــداة من غفلاتـــه

اتركانـــي : سأخـــرج الآن حينـــا فوداعـــا ..

(وهـــو يخـــرج) : فالحر ضد عداتـــه

(ـ يتضاحكان وهنا يخرجان ايضا ـ) بينما الحارس « مصافـــي » يكون قد اخذ بتلابيب ابي خالـــد ،واعترض طريقه ، وعلى هذه الحالة يسدل الستـــار .

ختـــــــام

المشهـــد الثانـــي

نفس المنظر : (العميد ابن جهـوروابنه ابو الوليد وهما يتذاكران في شأن ابن زيدون) .

العميـــد : ولدي استمـــع .. فقلبك غـــض ابن زيـــدون ظـــالـــم يتحـــدى

كثـــرت حولـــه الشكاوي

ابو الوليد : رويـــدا ان للناس فـــي النوابـــغ قصـــدا

ما يـــزال النبيـــل شغـــل لئـــام عفوك الله .. فاغمر الكـــون ودا

ابن المكري : اتــدري ... غير شعر الخمور من كل شعرك

ابو خالد : انني شاعر وللخمر فني

ابن عبدوس : اتئد .. هل ترى جهلنا بقدرك

ابو خالد : زوجتي كم رجت شفاء ... ولكن ... انا في الخمر قد قضيت حياتي

ذات يوم اجبتها بقصيد ... هو في الشعر آية الآيات

(ينشد بصوت عال) :

تقولين لي اتركها ولست بتارك ... وما الخمر الا لذة وتنعم

هي العلم والربح الكثير ، وشربها ... لذيذ ، وفوز في الحياة ومغنم

اذا ذاقها يوما جبان رأيته ... كقائد حرب للوغى يتقدم

وان مصها العريان ، والبرد قارس ... شديد ، تلظت في دماه جهنم

وان ذاقها يوما فقير ترده ... غنيا وما في الجيب واليد درهم

ولو شرب المرضى كؤوسا مليئة ... لصاروا صحاحا لم يصبهم تألم

لو الجمل المحروم ذاق كؤوسها ... لاصبح فينا ناطقا يتكلم

ابن المكري : قف سمعنا ، اهكذا انت

ابو خالد : عذرا ... ان كل الشباب مثلي واكثر

ابن المكري : لو يكون الشباب مثلك يوما ... كنت اختار ان اموت واقبر

ضاع حق البلاد فيك ، وماتت ... ثورة للشباب في الدم تزخر

ابن عبدوس : لا تقل هكذا وخله حرا

ابو خالد : انا حر للخمر والشعر احيا

انا للكأس والندامى ، وانتم ... للوزارات في غضارة دنيا

ثم شيء .. لم تعرفوه سباني

ابن المكري : اي شيء ...

ابن عبدوس : افصح ولا تخف عنا

ابو خالد : ان ارى في الرمال ما كان غيبا ... كل سر يجلى

ابن المكري : اتسخر منا .. ؟

ابو خالد : كيف الهو .. ومرة جربوني ... لتروا انني سأصدق قولا

ابن عبدوس (لابن المكري) :

ما ترى ؟

ابن المكري : انني اشك ..

ابو خالد : ولكن ... جربوني

ابن عبدوس (لابن المكري) : بذا انت اولى

ابو خالد (لا بن المكري) :

اي سر تخفيه اجلوه حينا

ابن عبدوس : قل له ما تشاء ...

ابن المكري : انك تعلم

يا « ابن عبدوس » كم كتمت غرامي ... وجحيم الهوى قضاء محتم

انني اعشق التي انت تدري ... ملكتني بحسنها وبهاها

هل سترضاني زوجها ...

ابن عبدوس : لست ادري

ابو خالد : ربما

ابن المكري : انني قتيل هواها

ملكت مهجتي

ابو خالد : رويدا ... رويدا ... هل تجافيك أم تنال رضاها

العميـد : ظهر اليوم كل شيء ، وابدت ... ما توارى عن ناظرينا الغيوب
ابن زيدون خائن وعنود ... سوف يدري مصيره المحتوما
سوف يدري باننا ان غضبنا ... اصبح الكون من لظانا جحيما
كنت شاكا ، وقد تجلى يقيني ... انا يا رب مومن بقضائك
انت تدري حقيقتي ، ان قلبي ... اعمق الصفو مثل صفو سمائك
هذه زهرة تفوح عبيرا ... كيف صارت افعى لتنفث سما
كيف اضحى الصباح ليل ظلام ... صار جهل النفوس فى الارض علما

ابو الوليد : رحمة يا ابي فعقلك اسمى ... ونبين هل كل ما قيل صدقا

العميـد : ولدي لا تزد على ذاك شيئا ... لست تدري وليس عقلك ارقى

ابو الوليد : لست ارقى فكرا ، ولكن شخصا ... فاتهم فى الذكاء جريا وسبقا
ابن زيدون شاعر ، عشقته ... روح ولادة جمالا وخلقا
وابن عبدوس قبله كان صبا ... من هواها يموت وجدا وعشقا
هجرته الى ابن زيدون .. هذا ... ما دعاه .. فكاد جورا وحمقا

ماري : ان هذا مولاي هجر كلام ... شبلك الان قد تفاحش نطقا

العميد لابنه : اخرج الآن من مقامي وذرني

ابو الوليـد (في ادب) : ... لك سمعا — (يخرج)

العميـد : ... وذاك خير وابقى

ماري : عشت فينا مولاي ظلا ظليلا ... وليعش شبلك الطموح الابي

العميـد : جئتما كالصباح زحزح ليلا ... ان هذا منكم ولاء وفي
لست يارب غاضبا عن حياتي ... رغم ما في الطريق من اشواك
ابن زيدون سوف اصليه نارا ... اي عذر ينجيه شر الهلاك

ماري : عاش مولاي .. اننا سوف نمضي

العميـد : ... انا اوصيكما حذار ثم حذار

ابن عبدوس : انا ارجو مولاي منك طلابا ... ان تدوم الاسرار خلف الستار
لو درى الشعب ما نقول ، لاضحى ... كل شيء هنا حديث الديار

العميـد : ليس في مجلسي خؤون فيفشي ... كل ما قلتماه من اسرار
امضيا ...

هما معا : لك البقاء .. وداعا ..

العميـد : ... انقلا ما يكون من اخبار

ابن عبدوس : ذاك حق علي ما دمت حيا ... فوداعا (وهو يخرج) ان الولاء شعاري

(ستـــار)

المشهد الثالث

« يظهر هنا ابن زيدون فى سجنه على اليمين ، ويرى على اليسار بهو مضاء يقف فى وسطه السجان »

ابن زيدون : انت يا سجن هل رحمت فؤادا ... صار تحت الظلام صوتا خفيا
لست تدريه من يكون ؟ وما يشـ ... ـكو ..؟ وهل عاش باكيا أم رضيا
انه شعلة من الله .. يا سجـ ... ـن اذن .. آ .. عرفته عربيا
هو عصف الرياح يهزأ بالر ... مل ، وسيل هذا السدود قويا

* * *

ايها النور عفتني ، ولماذا ؟ ... الاني فى السجن ما زلت حيا

العميد : طفت وادي الخيال فانزل الينا ... واسمع الصوت من عميق الجحيم

ابو الوليد : لا تكن – يا ابي – عليه غضوبا ... انا افديك من مليك رحيم

من اولاء الذين بابك جاؤوا ... اتراهم جماعة الوزراء

العميد : انهم صادقون ..

ابو الوليد : ان هواهم ... ان يغطوا نبوغه بالدهاء

حيث اضحى منكم قريبا .. وصاروا ... دونه .. غاظهم عظيم الولاء

فوشوا بالسفير حقدا .. وشاؤوا ... للوزير العظيم كل شقاء

احد الحراس : مولاي بالباب «ابن عبدوس » اتى ... مع غادة ..

العميد : فليدخلا

احد الحراس : سمعا لكم

العميد : فلننختم هذا الحديث ، فانه ... اصمى فؤادي بالاسى ..

ابو الوليد : فلنختتم

ابنعبدوس وماري : منا السلام عليكمو

العميد وابنه : وعليكمو منا السلام

العميد : ابن عبدوس ما اردت ؟

ابن عبدوس : اردنا ... منك صونا لحق هذي البلاد

اخذت صبغة الجحود ، واضحت ... كم تعادي من مرشد او هادي

لا لشيء .. حنانك الله اني ... لا ارى غير علة وفساد

كيف يغدو الخؤون فينا نبيلا ... اننا امة بغير عماد

ابن زيدون باعنا للاعادي ... بئس راي الهوى .. وسوء اعتقاد

العميد : ابن عبدوس ما تقول .. ؟

ابو الوليد : لابن عبدوس : تأمل

ابن عبدوس : انا والله صادق في ودادي

العميد : كيف هذا .. ؟

ابن عبدوس : مولاي انت عليم ... ان « بطليموس » كهف كل مغامر

لم كان المقام فيه طويلا ..؟ ... ابن زيدون خان كل الاوامر

انه حالف العدو

ابو الوليد : امانا ... ليس هذا الا افتراء كذوب

ماري : اسألوا «ابن المكري» عن السر انا ... قد علمناه من حديث غريب

ابو الوليد (يتجه نحو ابن عبدوس وماري)

اصمتا ...

ثم يتجه نحو ابيه : يا ابي وشاية حقد ... هي ما ينطقون من اقوال

لا تشق ...

العميد : اني ساعمل فكري

ماري : نلت مولاي غاية الآمال

لابن زيدون فى الحياة رجاء ... هو ان يفتدي مليك البلاد

ابن عبدوس : ان هذا مولاي ما قد سمعنا ... يوم وافى «الشرقي» احدى النوادي

اسأل الحاضرين فى الحفل .. ماذا ... قال عنكم من وصمة وعناد

اسمعوني اذا نطقت بقول ... انا والله صادق في مقالي

(ثم يتجه نحو ابي الوليد) :

واستمع يا بني دافعت عنه ... مثل استاذك العزيز الغالي

(يسكت قليلا)

ابو الوليد : يا ابي لا تطل وجومك .. فانطق ... مالك الآن ساكتا لا تجيب

ولادة : ايهــا السجــان ..

السجــان فــي اضطراب : آ .. لا تدخـلا ارجعــا ..

ولادة (فى استعداد) : انـا اتينا للوزيـر

السجـان : كيف هـذا .. اي بـاب فتحت قـدر حـل ، وشر مستطيـر

ائتيـا بالاذن حـالا ..

ولادة : لا تخـف قد اتينـاك مـن الباب الكبيـر

فتـح الجنـد لنا ..

عائشة المغربية : ماذا تـرى ..؟ ان بـالبـاب جنـودا امنـاء

وبامـر « العميـد » المرتجـى نحـن جئنـا ..

ولادة : ليس فى الامر خفـاء

السجان (وقد هم بفتح الباب) :

حجـة واحـدة عنـدكمـا لم تـدع للفكـر فى الامـر مـراء

حجتـي .. انكمـا الآن هنـا

ولادة : افتح الباب فقد طـال الكـلام ..

(يفتـح الباب)

ولادة (لابن زيـدون وقد كان فى غفلـة كمن يفكـر تفكيرا عميقا) :

ابن زيـدون ...

ابن زيـدون فـي دهشة وفرحة) : احقا ما ارى هـل انا فى يقظـة ام في منـام

ولادة : « ابن زيدون » يا اعـز حبيـب

عائشة المغربية : « ابن زيـدون » يا بني وروحـي

ابن زيدون : جئتمـا فرحـة لقلبي ، ونـورا لجفونـي ، وبلسمـا لجروحـي

جئتنـي « يـا ولادة » كصبـاح زحزح اليـل عن حياتي الحزينـة

ولادة : يا بن زيـدون يا ربيـع شبابـي حبك الغالـي واجب ان اصونـه

ابن زيدون : انت حبي ، وانت ربـة شعـري انت لحنـي ، اصوغ منك رنينـه

حجبتني الفيـوم عنك ، ولكـن جعـل القلب من غـرامك دينـه

ظلموني ، فالحزن ادمـى فـؤادي يسمع السجـن فى الظلام انينـه

شيـع الحاسدون انـي مـريب ووشـوا للعميـد جورا وظلمـا

غيـر مجـد ما صغته من قصيـد لم اجد فى العميد عطفـا وحلمـا

* * *

حسدوني على هـواك ، وكـادوا كل كيد ، وبالغـوا في الخيانـة

وخلا الجو ، فانبـرى كل وغـد لك يبـدي غـرامـه وحنـانـه

لا تحيدي عن الهـوى ، ففـؤادي حفظ العهـد في الغرام وصانـه

* * *

اين فى النادي من يشابـه فنـي في اقتدار ، وفي حـلاوة جـرس

اين فيهم من يدرك اليوم شـأوي في نبـوغ ، وفي كرامـة نفـس

* * *

في دمـي ثـورة على الكفـر تغلـي وبحب الاسـلام دان فـؤادي

كـل يوم يـزداد صف الاعـادي في اتحـاد ، وصفنـا فى تمـاد

ان هـذا اذا رأوه عقـوقـا لبـلادي ، فيـا ضيـاع بـلادي

ولادة : يا بن زيـدون ..

ابن زيدون : هـا انـا

ولادة : ضاق صدري كم تقاسي مـن الاسى والبعـاد

لم يلـن شعرك الجميـل قلوبـا كصخـور تسـيء للاخـلاق

حيـل الفكـر لـو عمدنـا اليهـا صرت حـرا وضاع كيـد العـداة

صـوت : انتحر .. انتحـر

ابن زيدون : حنـانك ربـي اي صـوت .. ؟ واحسرتاه علـي

صـوت : انتحـر ... انتحـر

ابن زيدون : سأقتل نفسي بيدي كي ارضي الفـؤاد الابيـا

لا .. لان السمـاء تلعـن نفسي وتراني الحيـاة وغـدا غبيـا

لا افك الفـؤاد من قسوة القيـ ـد بكف تجنـى على مهجتـي

* * *

اي شيء يلوح في ظلمـة السجـ ـن ، اطيف المنون يدنـو الي ..؟

أم مـلاك اتى لتخليص روحـي من عذاب ، انـي اعيـش شقيـا

انـت يا طيف لعنـة أم جحيـم ارنـي وجهك الذميـم الغويـا

غير اني لا اكـره اليـوم شيئـا ادن منـي مـلامسـا راحتـي

انظـر الجفـن ذابلا ، وضلوعـا كـم تجافت فراشهـا الحجريـا

* * *

يا الهـي ناداك قلـب حـزيـن صار صخرا ، ولم يعـد دمويـا

اي ذنب جنيت .. ؟ لم اكبت النـو ر ، ولا دمـت في الصبابـة غيـا

رمت قطف الزهور في الغصن تندى فاستحالت شوكـا يحـز يـدي

عـدلك الله ان قلبـي جـريـح كيـف يقسو قلب الحيـاة علـي

شئت ان اجمع الشتات ، وابنـي مـن شعوب الاسلام صرحا قويـا

كيف نجم « الاسبان » يلمع في الجـ ـو ، ويغدو غض الشعاع سنيـا

وشعـوب الاسلام في غفـوة النـ ـوم ، تجافـى اتحادها العربيـا

فاسمـح الله ان بكيت بدمـع انـا ارجـو سماحـك الازليـا

هل لشكـوى الحياة ابدعت جفنـا فجـر الحـزن دمعـه اللؤلؤيـا

قد نسيت الصباح من طول ليلـي وظـلام السنيـن فـي مقلتـي

حسـدونـي ولم اكـن غير طيـف عـاش تحت السماء قلبـا وفيـا

* * *

ايـن مني المـروج وارفـة الظـ ـل ، وغصن الزهور يندي شذيـا

ورفيـف النسيم ضمخـه العطـ ـر ، فابدى اتساقـه السحريـا

اين مني رقص الغصـون عليهـا يسكب البلبـل الغنـاء الشجيـا

لحظـة لم تـدم .. كروضة انس قصف الريـح زهرهـا العطريـا

* * *

اين يا جنتـي ظـلالك منـي ؟ انا اهـوى عبيـرك القدسيـا

ظلليـنـي على البعـاد ، فـانـي عشت في غربـة حزينـا شجيـا

سـوف تصفو الحياة للحاسد اليـو م ، ويغـدو جم السرور زهيـا

غير ان الحيـاة لا تحفظ العهـد وقلـب الزمـان ليس وفيـا

طـالمـا تكبت الغيـوم ضيـاء ثم يبـدو ملء الفضـاء سنيـا

حرت يا رب اولنـي منك عطفـا كيف احيـا ، وهل اطيق المضيـا

صـوت : الفـرار ... الفـرار ..

ابن زيدون : اي نـداء ملأ السجـن والفضـاء دويـا

سوف لا ارتضي الفـرار نجـاة ان سـر النجـاة في شعـريـا

ربـة الشعر اوسعي النفس عـذرا انت سيفـي سأنتضيـه جليـا

وانظمي من جواهـر اللفظ عقـدا واسكبـي سحـره على شفتـي

(ومن الجانب الايسر تظهـر ولادة مع عائشة حين يكـون السجـان مستديرا جهتهما) :

ابن زيدون : ايها السجان .. هـل تسمعنـي
السجان (وقـد عاد ففتح الباب) : اي شيء
ابن زيدون : هـذه اجمـل حلـوى
(وهو يحمل شيئـا منهـا) :
انـا اهـديك .. فهـل تقبلهـا
السجـان : هاتهـا ... (يمسك)
ابن زيدون : هي من ، هي سلـوى
(يغلق السجان الباب ويبتعد)
ابن زيدون (وهو ينظر اليه من ثقب الباب) :
حملقت عينـاه فيهـا ... انـه ربمـا شـك ... اراه يقتـرب
السجان (بعـد ان يفتح الباب) :
اعجبتنـي غيـر انـي لـم اثـق من يكـن مثلـي ذكيـا يسترب
فالـذي عنـدك يغـدو بيـدي والـذي عندي يغدو من نصيبك
ابن زيدون : مثلمـا شئـت ، ولا تخش اذى
السجـان : لازم الحيطـة ، واحذر من قريبك
(وهـو يمـد اليـه)
خـذ وهات الآن ..
ابن زيدون (وهويمسك) لا تخش اذى (وهو يمـد اليـه) :
هـاك خـذ حلوى شهيا طعمهـا
(السجان وقد اغلق الباب ، وانتحى ناحية وهو يتطلع الى الحلـوى)
اي حلـوى عجنتهـا غـادة تشبه الشمس (ثم ينقض عليها قائلا):
لذيـذ لثمهـا
اي كـف عجنتهـا ... انهـا تفضـل السكـر تـزري بمذاقـه
سقيت بالخمـر صرفا ... فانـا اشبـه النشوان في سكر اغتباقـه
(يقـول وقـد ارتخت مفاصله) :
اشبه النشوان .. (اشبه النشوان)
انـي لم اعـد استطيع المشي .. اجثو هاهنـا
ابن زيدون (كانه يريد ان يعرف حالته) :
ايها السجان ... ايها السجان ... (السجـان يرفع راسه قليـلا)
ايهـا السجـان لـو ترحمنـي بانـاء المـاء ... ظمـآن انـا
(السجان لا يجيب ثم يستلقي على الارض وقد اصبح لايستطيع حراكا)
ولادة (تظهر الآن ، وهي تقترب نحو السجان ، ثـم تلتفت نحو عائشة التي لا تظهر) :
فقـد الوعـي ... تعالـي ..
(عائشـة تظهـر)
انظـري وربمـا مـات ...
عائشة (في يقين) : بعيـد ان يمـوت
« ابن زهـر » سوف يشفي داءه
ولادة (وقـد انحنت عليه) : نفـس بيـن انقطـاع وخفـوت
ابن زيدون (وهويطل من ثقب الباب) :
راقبـاه .. حركاه ... وانظـرا : انـه ذئـب ...
عائشـة (لابـن زيـدون) : تنـاهـى أمـره
ثم لـولادة : اخرجـي المفتاح مـن اثـوابـه

ابن زيدون : اسمعي يا ولادة انا حر رغم اني سجين جور الحياة
ان سجني ، وان اضر بذاتي هو اجدى لفكرتي واعتقادي
كل حر سيبلغ القصد ، مهما خانه الحظ ، رغم كيد الاعادي

ولادة : انت انساني ، ولكن رويدا ليس هذا مصير كل نبيل

ابن زيدون : ظلموني ...

ولادة : وفي فرارك منهم اسوة الهجرة التي للرسول

ابن زيدون : كل ما تنطقين صدقا ، ولكن كيف انجو ..؟

ولادة : وذاك شيء يسير

عائشة : قد حملنا اليك اطباق ثمر ثم حلوى ، والسم فيها كثير
واذا ما السجان اعطي شيئا منه لم ينتبه الى ما يدور
نحن نمضي ، ونختفي ، واذا ما فقد الوعي ، واعتلاه زفير
ليس الا اخذ المفاتيح منه هكذا سرعة تتم الامور
ترتدي انت ثوبه ، ثم نمضي

ابن زيدون : ان هذا اثم ، وجرم كبير
اي ذنب « السجان » حتى نجازيه بسم ...

ولادة : قد خانك التفكير

ابن زيدون : سوف لا ارتضي بهذا خلاصا ..

عائشة : انت انساني لديك ضمير
لا تخف فالسجان حينا سيشفى و « ابن زهر » لنا طبيب خبير
ذاك رأي « ابو الوليد » رآه

ابن زيدون : ذاك رأي « ابو الوليد » رآه ..؟

عائشة : وهو من اصدر الاوامر حتى فتحوا الباب ..

ابن زيدون : لم يشاور اباه

عائشة : ابدا

ولادة : ما درى العميد بهذا ..

عائشة تقاطعها) : قد دعاه ، وما استجاب نداه

ابن زيدون : افعلا الآن ما تشاءان ، لكن احذرا ، فالسجان ارجو شفاءه

ولادة : لا تخف فالسجان لا شك يشفى

عائشة (تشير الى الطبق) : كل شيء فيه السموم .. فحاذر ..

السجان (يقترب منهم) :
اخرجا فقد اطلتما المكث ردحا من زمان ..

ابن زيدون (للسجان) : اني اليك لشاكر

ولادة : سوف نمضي ..

السجان : اجل ..

ولادة : وداعا ..

ابن زيدون : وداعا

عائشة (تتاخر) : ابن زيدون ... اتقن الامر ... غامر

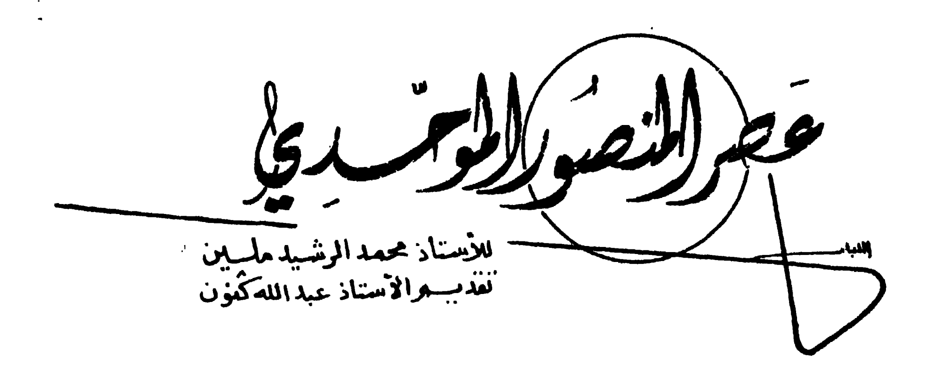
ابن زيدون : لا تخافي ..

السجان : كفاك سيدتي الآن

عائشة : وداعا ..

(وقد استدبرته) : الامر ايسر .... ظاهر ...

(يخرجان معا ـ وهنا يبدأ السجان في اغلاق باب السجن)



عصر المنصور الموحدي

للأستاذ محمد الرشيد ملين
تقديم الأستاذ عبد الله كنون

يعقوب المنصور الموحدي شخصية غنية عن التعريف ، فهو من أكبر الشخصيات العظيمة في عصره بلغ المغرب في عهده من الشأو البعيد ، والصيت الطائر ، ما حفل به تاريخ هذه البلاد .

وقد افرد لدراسة هذه الشخصية الفذة ، التي طبعت المغرب اذ ذاك بعصر ذهبي اصيل ، الاستاذ الكبير السيد محمد الرشيد ملين الذي كتب ، بغيرة علمية ، ووطنية صادقة ، دراسة مستفيضة عن الحياة السياسية والفكرية والدينية لعصر يعقوب المنصور الموحدي في الفترة المتراوحة بين سنة 580 ـ 595 .

والطبعة الاولى لهذا الكتاب صدرت عن دار التاليف والنشر السلطانية بالمطبعة المحمدية عام 1946 بتشجيع واذن المغفور له مولانا محمد الخامس جاد الله بالرحمة ثراه ، الذي حبذ حسن ما وفق اليه المؤلف من العمل ، معلقا ـ رحمه الله ـ على ما يزهر مستقبل المغرب خير أمل .

وطبقا للارشادات الملكية السامية التي تحض على التفرغ للعلم ، وتحث على الاكتراع من منابعه الصافية دبج الاستاذ السيد الرشيد ملين فصول كتابه المخصص لحياة شخصية وعصر المنصور الموحدي ، فجاء هذا الكتاب يشهد للاستاذ السيد ملين بالباع الطويل ، والبحث الرصين ، والتوفيق الرشيد ، والدراسة المستانية .

وقد فاز هذا الكتاب بالجائزة الاولى للتاليف في مباراة كانت تونس اذ ذاك قد اجرتها في نطاق التشجيع بين المؤلفين .

ويسعدنا أن نثبت مقدمة الطبعة الثانية المزمع انجازها قريبا والتي كتبها علامة المغرب الاستاذ سيدي عبد الله كنون .

تاريخ المغرب حافل بالمواقف العظيمة سواء في الحرب أو السلم ، في رفع راية الحفاظ على الكيان أو تمهيد سبل الحضارة . أما الشخصيات الكبيرة التي تركت دويا في الدنيا ، ان في ميدان السياسة والحكم أو في مجال الثقافة والفكر ، فان تاريخنا يزخر بالعدد العديد منها وفي مثله يقال حدث عن البحر ولا حرج .

لكن الذي يعوزه هو الاقلام المثقفة التي تعرضه العرض اللائق بعظمته ، وتبرز عبقريته الخالدة في الاعمال والرجال ، وتخدمه الخدمة التي ترد اليه اعتباره عند ابنائنا قبل غيرهم من المستهينين به ، الذين شوهوا محاسنه ، ونكروا معالمه ، وكان لهم اثر كبير في الاهمال الذي مني به من طرف الكتاب والباحثين، واساءة توجيه من تناولوه بالطعن والتجريح في دراسات ينتقصها العلم والانصاف . ولقد قصر المتقدمون من مؤرخينا في رد تلك التهم التي كان الاندلسيون يلصقونها بالمغرب والمغاربة .. والصبيانيات التي نسبوها لرجل عظيم ، مثل يوسف بن تاشفين ، لم يجدوا ما ينتقدون عليه الا ان يتعلقوا بعجمته المزعومة وسوء فهمه لبعض النصوص الادبية فيما ادعوا ، فأسفوا الى ما لا يقبله عقل ولا منطق . بل انا لنرى من مؤرخينا من يروي تلك الترهات ويتفكه بها كما فعل المقري في نفح الطيب ، فكان من نتيجة ذلك أن اعتبرت حقائق تاريخية ، وبنيت عليها احكام واحكام . وجاء باحث أجنبي يبطن تعصبا كبيرا على الاسلام ، هو

ولادة (بعد ان تنتهي من البحث) : لم اجد شيئا
عائشة : شديد مكره
ابن زيدون : انه في ظهره مختبيء
(يقلبانه على بطنه)
ولادة : ها هو المفتاح ..
عائشة : سيري وافتحي
ولادة (بعد ان تفتح الباب) :
انت حر ...
ابن زيدون (وهو يخرج من سجنه) :
شاكر فعلكما ..
عائشة (لولادة) : افرحي يا ولادة ثم امرحي
ابن زيدون (لولادة) :
يا ملاكا خلصتني يده من قيود .. يا شعاعا من جمال
(ثم لعائشة) :
انت من اجلسني فوق السها قدرك العالي بعيد ان ينال
(تسمع اصوات آتية من الابعاد ، كأنها مظاهرة هائلة)
عائشة : اي اصوات
ولادة : ضجيج هائل
ابن زيدون : لست ادري ... ربما امر حدث
عائشة (لولادة) : انظري ولادة ماذا جرى ..
(ولادة تخرج مسرعة)
ثم لابن زيدون : اي سجن قاتل اي حدث ...
ابن زيدون : سوف لا ابقى هنا .... (يتحرك)
عائشة : بل فانتظر .. ربما جد من الامر جديد
تقترب الاصوات منا ...
ابن زيدون : ثورة سنرى الآن
ولادة (وهي داخلة مسرعة) : هيا ... مات العميد
(هنا تضج الاصوات : عاش ابو الوليد .... ابن زيدون ... ثم يسمع كأن الباب الخارجي بالسجن قد تحطم)
ولادة (التي تكون اقرب منهما الى الباب) :
حطم الباب ...
(الاصوات ترتفع وهي تقترب ... ابن زيدون ... ابن زيدون)
ابن زيدون (للجمهور) : قفوا ..
(ثم لولادة وعائشة) :
هيا اخرجا ...
(اصوات ... وزغردات ... وتصفيقات : ثم يسكت الجميع لنسمع صوتا واحدا عاليا : عاش ابن زيدون ... وعاش ابو الوليد .

ستار

النهاية

الرباط : علال بن الهاشمي الفيلالي

ويهمنا في هذه الكلمة كتابه الاول عصر المنصور الموحدي ، فان هذا الملك العظيم الذي هو اكبر شخصية في عصره ، والذي بلغ المغرب العربي بمعناه الواسع الذي شمل الاندلس ، على عهده من الرقي والحضارة والقوة والمنعة ، ما لم يبلغه في أي عهد آخر ، من العار أن لا يكون تاريخه معروفا لدى العرب عموما ، وان تكون اعماله مجهولة عند اكثر المواطنين فضلا عن غيرهم . انه لا يقل عظمة ولا شخصية عن عبد الرحمن الناصر ولا عن المنصور ابن ابي عامر ولا عن صلاح الدين الايوبي وهذه الصبغة ، ومع ذلك فان التواريخ العامة ودوائر المعارف والمعاجم العلمية لا تحفل بترجمته ولا تقدم منها للقارىء اذا تناولتها الا معلومات قليلة في بضعة سطور .. افبهذا نبني كياننا القومي ونعلي من شأن تاريخنا وحضارتنا في العالم ؟ بل ابهذا نلقن ابناءنا والجيل الصاعد مفاخر اجدادهم وأعمالهم الخالدة ؟

لذلك كان عمل الاستاذ ملين يستحق التقدير والتنويه، فكتابته لتاريخ المنصور الموحدي، بالخصوص مما يدل على غيرته العلمية والوطنية في آن واحد . وهو لم يسم كتابه تاريخ المنصور الموحدي ، بل عصر المنصور الموحدي أو الحياة السياسية والفكرية والدينية في المغرب ، من سنة 580 الى سنة 595 أي انه ارخ لحقبة من دولة الموحدين تكاد لا تزيد على خمس عشرة سنة ، هي مدة ولاية يعقوب المنصور ، ثالث خلفائهم وأجلهم قدرا واسيرهم ذكرا وأخلدهم اثرا ، ولكنه لم يهجم على موضوعه هجوما بدون توطئة ولا مقدمة ، بل مهد له أولا بفصل عن منطقة الحوادث التي هي حوض البحر الابيض المتوسط وسيطرة العرب عليه بعد الفتح الاسلامي ثم الجزر الذي تلا ذلك المد ، وقيام الحروب الصليبية ، ووقوف المغاربة في وجه هذا العدوان على الضفة الشمالية الغربية للبحر المذكور ، ووقوف المشارقة على نظريتها الشرقية . وهذا هو الوقت الذي ظهر فيه الموحدون .

وبعد هذا التمهيد تناول المؤلف الكلام على الحياة السياسية في المغرب بشيء غير قليل من التفصيل ، وقسم ذلك الى خمسة فصول ، ذكر في اولها ولاية المنصور بعد وفاة والده خارج مدينة شنتمرية وهو محاصر لها ، وفي اثناء حروبه مع بني غانية وهم فل المرابطين بقي ينازع الموحدين السلطة في بعض انحاء المملكة ، وفي الثالث استرجاعه لما كان لهؤلاء قد استولوا عليه من مدن بافريقية ، وفي الرابع جولته بافريقية ، وفي الخامس حروبه باسبانيا . ثم تعرض للحياة الفكرية وحصرها في اربعة فصول اولها عن بعض مظاهر الثقافة في عصر المنصور ، والثاني عن اللغة والنحو والادب خاصة ، والثالث عن الشعر في عصر المنصور ، والرابع عن العلوم في هذا العصر ، وبعد ذلك تكلم على الحياة الدينية في فصل فريد ، اعقبه بخاتمة ذكر فيها نهاية المنصور .

فنحن نرى ان عناصر البحث موضوعية ومنوعة، وانها تستوعب وجوه النشاط ومجالات العمل الذي قام به المنصور ليجعل من عهده عصرا ذهبيا في تاريخ المغرب العربي ، وان كان سردنا لعناوين الفصول لا يعطي فكرة تامة عن ابعاد البحث والاجواء التي حلق فيها مما لا يلم به من يتصوره الا من قرأ الكتاب . وانما المهم هو الطريقة التي عالج بها المؤلف هذه المسائل، فهي تتردد بين العرض والنظر ، وبذلك جاءت هذه الفصول كأنها حلقات متسلسلة من قصة ممتعة لايشعر القارىء معها بأدنى سأم او ملل ، ولا يفرغ من قراءة فصل حتى يكون قد قامت عنده رغبة ملحة في قراءة الفصل الذي يليه . ولنشر الى الفصل المعنون ببعض مظاهر الثقافة في عصر المنصور ، فانه على تركيزه واشتماله على ادق المعلومات في الموضوع يكاد يكون مقالا وصفيا أو استعراضا صحفيا لاسلوبه الخفيف المشوق وهو في الواقع بحث عميق ودراسة مستوفية بما أحراه ان يكون نموذجا مدرسيا لكتب المطالعة في الاقسام الثانوية .

وهكذا صور لنا الاستاذ ملين عصر المنصور الموحدي بما ازدهر فيه من حضارة وعلم وادب وفن ، وما كان للحياة السياسية فيه من مفاجآت آلت كلها الى انتصارات باهرة . وما طرأ على الحياة الدينية من تطور نتيجة لقيام الدعوة الموحودية . صور لنا ذلك كله بمثل ريشة الرسام الماهر وهو يبحث ويدرس ويحقق من غير ان يتورط في اختلاف الروايات واضطراب المؤرخين . ويثقل هوامش الكتاب بالمراجع والتعاليق، فجاء عمله تحفة أدبية تستهوي المثقف وغيره ويستفيد منها الدارس والقارىء العادي . وتلك ميزة لا تتحقق الا للقليل من الكتاب .

فنهنىء الاستاذ ملين على هذا التوفيق ونتمنى له مزيدا من النشاط لفائدة المكتبة المغربية واثرائها بمثل هذه التحفة النادرة .

طنجة : عبد الله كنون

المستشرق الهولاندي رينهرت دوزي ، فتحامل على المرابطين وتاريخهم وانكر ما لهم من فضل على العلم والادب ، كما انكر الاندلسيون قبله ما للمغرب من يدفي فتح بلادهم وتوطين العروبة والاسلامفيها وحمايتها الى ما شاء الله .

وخلص ذاك لكتابنا الجدد فصاروا يتشككون في كل ما ينسب الى المغرب من عمل عظيم واثر جليل ، ابتداء من خطبة طارق بن زياد التي القاها في جيش الفتح ، قائلين : كيف يصح أن ينطق بربري في أول عهد المغرب بالعربية بهذه الخطبة البليغة ، ويفهمها قومه البربر الذين يتالف منهم معظم الجيش ؟ ونسوا ان جده عبد الله هو الذي اسلم ، فالعربية بالنسبة لمن نشأ في حجرها ولقنها ابا بعد جد ، ليست لغة اجنبية عنه . وما لهم لم يقولوا ذاك في الفارسي والرومي وغيرهما ممن اسلموا ونطقوا بالعربية وأصبحت لغتهم الاولى ، ومنهم من له فيها انتاج رفيع ؟

وبغض النظر عن الماضي فان هؤلاء المتشككين انفسهم ، منهم من يعرف اكثر من لغة اجنبية ويكتب بها ويخطب . ويكون في مخاطبيه من يفهمه اكثر مما يفهم العربية — مع الاسف ، فهلا قاس الغائب على الشاهد وجعل عبقرية طارق في درجة عبقريته هو على الاقل ؟!

فأما اذا تعلق الامر بسبة تاريخية وموقف مشبوه فان سحب الشك حينئذ تتبدد ، ولا يتحمل مسؤولية ذلك الا المغرب المظلوم . وهكذا الصقت به تهمة احراق كتاب الاحياء للغزالي مع انها كانت بفتوى قاضي قرطبة وحرصه الشديد على ذلك . والصقت به تهمة امتحان الفيلسوف ابن رشد ، وهو انما كان بسعي خصومه من اهل بلده وتحريضهم عليه . والصقت به تهمة اغتيال لسان الدين ابن الخطيب ، في حين كان المغرب يدافع عنه ، والاندلس تبعث الوفود مطالبة براسه ، ولما لم ينجح سعيها دست اليه من كتم انفاسه تحت ستار الظلام .

وهذه الاحداث كلها تخف وزنا ازاء معاملة يوسف ابن تاشفين للمعتمد بن عباد في نظر هؤلاء المنتقدين ، الذين اقاموا الدنيا واقعدوها انتصارا للمعتمد وتطاولا على يوسف ، ولا أدري ماذا كانوا يتخذون من موقف، لو أن يوسف عامل المعتمد بما عامل به هذا وزيره ورفيق صباه الشاعر ابن عمار ، ولم يبق على حياته كما هو الشأن في الملوك اذا ظفرت بمنافسيها وان لم يكن لها عليهم حجة كحجة يوسف على المعتمد ! فهذه المعاملة التي كانت حرية ان تعد في مناقب يوسف ، وتضرب مثلا على حلمه وسعة صدره وحسن سياسته. اصبحت وصمة في تاريخ المرابطين كلهم . وتذرع بها دوزي للنيل منهم ومن المغاربة اجمعين . حتى لقد اقام مناحة على مصير العلم والادب في عهدهم . وهم الذين احتضنوهما باحتضان اهلها واسلموا قياد الحكم في دولتهم الى الفقهاء باعتبار انهم اساتذة الحقوق ورجال القانون ، وأمنوا روعة البلاد الاندلسية من الاكتساح الوحي الذي كان قاب قوسين او أدنى من ايام ملوك الطوائف ، ولم يثبت عليهم انهم أراقوا محجم دم أو قتلوا انفسا في غير حرب او قتال !

حقا ان الظلم الذي حاق بتاريخ المغرب ظلم عظيم، ولا ينتظر ان يرفعه عنه الا ابناء هذا الوطن البررة به، الذين جاهدوا في سبيله . واسترجعوا حريته واستقلاله ، وحققوا وحدته ، وهم الآن مدعوون لبناء كيانه الجديد، ورفع قواعده على أساس ماضيه المجيد، من غير أن ينساقوا في حبل المتآمرين عليه باسم البحث النزيه ، ولا أن يغتروا بالدعايات الباطلة التي تروج ضده بدافع من الحقد الدفين وفعلا فان من وفق منهم للعمل في هذا الصدد قد نفى كثيرا من الشائعات . وصحح غير قليل من الاخطاء . واصبحنا نرى الكتاب الذين يخوضون في هذا التاريخ يتحفظون بازاء الاحداث الكبرى فلا يسارعون الى الحكم ، ولا يتبرعون باعطاء الاراء ، وتلك خطوة اولى في تقرير الحقيقة والرجوع الى الصواب .

وممن كانت له يد وعارفة في الاهتمام بتاريخ المغرب قديمه وحديثه . والاعتناء بكتابته الكتابة المحررة المعتمدة على النظر والتمحيص والدراسة المستأنية . الاستاذ الكبير السيد محمد الرشيد ملين ، فقد وضع كتاب عصر المنصور الموحدي ، وكتاب نضال ملك الذي ارخ به للمغفور له محمد الخامس فسد به ثغرة ما كانت لتسد لولاه ، لانه سجل في كتابه هذا مرحلة الكفاح السياسي ضد الحماية . تلك المرحلة التي تعد اهمفترة في حياة محمد الخامس رحمه الله ، واهم حلقة في تاريخنا الوطني الحديث . وكان له في ذلك قصب السبق مع التوفيق التام ، لانه ممن شارك في ماجريات تلك الاحداث بجانب العاهل الراحل . فتاتى له أن يطلع على ما لم يطلع عليه غيره ، وبذلك فضح سياسة الحماية ودسائس الاستعمار واظهر ما كان يلاقيه الملك المناضل وشعبه المخلص من عنت وارهاق في سبيل استخلاص الحق من مغتصبيه المستهترين .

مبداه وطموحه السياسي :

لقد مات والده في غمرة الثورة على العامريين وظل يعتنق مبدأ اعادة الخلافة للامويين ، وقد اضطهد بسبب ذلك ولاقى الامرين حتى السجن فاضطر الى مغادرة قرطبة عشر سنين فنزل في المرية سنة 404هـ على حاكمها ابن خيران ، وقد ظهر ابن حمود العلوي يطلب الخلافة فلعب دورا كبيرا بالفتنة ، وكشف امر ابن حزم بأنه يعمل للامويين فزج في سجن المرية بضعة اشهر ثم افرج عنه على شرط التغريب فغادر المرية الى حصن القصر الى ان تغلب الحزب الاموي وتولي عرشهم عبد الرحمن بن محمد سليل عبد الرحمن الناصر الاموي في بلنسية ، فانتقل ابن حزم الى بلنسية حيث اندهش اذ لم يكن الوضع مستساغا لوجود خيران وحدوث انقلاب آخر اطاع بالخليفة الاموي . وتعس ابن حزم ثم تخلص وظل يوالي تأييد مبداه السنين الطوال الى ان فاز الحزب الاموي وولي عرشه عبد الرحمن بن هشام الناصري فشكل وزارة من الادباء كان فيهم ابن حزم ، ولكنها لم تطل اكثر من سبعة واربعين يوما بلغ فيها ابن حزم اربه وقنع بانتهاء البيت الاموي فاعتزل السياسة نهائيا وعكف على العلم يعمل باسلوب خاص لفت اليه الانظار واصبح يشار اليه بالبنان واطلق عليه عالم الاندلس ولولا هذا ما وصلنا خبره ، اذ لم اجد في تاريخ الاندلس السياسي ذكرا له .

العقدة النفسية التي حولته الى العلم :

ذكر في سيرته على طوق الحمامة انه لما خرج من المقاصير شهد جنازة فلما دخل المسجد لم يصل سنة تحية المسجد فانتقد ، وكانت العادة الرجوع الى المسجد بعد الدفن ، ثم لا سنة اذذاك ، فلما عادوا الى المسجد قام فصلى فانتقد ايضا. وعظم هذا الانتقاد على نفسه فوجدت عنده عقدة تفوق ، اذ آلى ان لا ينفك عن مجالس العلم حتى يتفوق ، الا انه ظل على عظاميته فسلك في انتاجه مسالك خاصة دون ان يطلح داءه النفسي العضال وهو ما ورثه في صباه وهو نكد المترفين الذي تحول الى جدل وعظامية البيت التي تحولت الى مسالك خاصة اثارت عليه نقمة حملت الفقهاء على حرق كتبه كما سيأتي ، وقد لقي في مسلكه العلمي من النكد والتعب ما لا يقل عن مسلكه السياسي. اذ كان يسلك في جدله ومناظرته مسلك العنف والسباب وهذا بتأثير منشئه في الصبا وهو مسلك ابناء المترفين من ضيق الصدر والولوع بالنكد والتهجم بالشتائم والسباب .

مجالس العلم ومكاسبه :

كان علي ابن حزم قوي الارادة ، فارغم نفسه على الجلوس في مجالس العلم . لقد اكتسب في المقاصير والقصور سماع الشعر وحفظه ، وفي تمثيله ادواره الغرامية ، اكتسب قول الشعر والاضطلاع باللغة العربية والتعمق بها . فساعده هذا على تلقي علم الحديث ، وهو اول ما يتلقى حسب اصول ذلك العصر فقد قرر مترجموه كابن بشكوال والضبي ان اول سماعه على ابن الجسور احد شيوخ المحدثين في قرطبة . وقد قرا عليه ايضا تاريخ الطبري وبعد موت ابن الجسور تحول الى ابن نامي الذي اكثر ابن حزم من ذكره في كتبه وكذا اخذ عن ابي القاسم الازدي المصري وكان قدم الى الاندلس وكذا اخذ عن ابي الخيار وتأثر منه بالمذهب الظاهري ، هؤلاء اهم اساتذته ، وقد اخذ عن آخرين اقل منهم مدة لا يتسع المقام لذكرهم .

وفي خلال ايام التعليم اكتسب ابن حزم هذا المترجم نخبة صالحة من الزملاء الذين تحولوا الى اصدقاء واعتمد عليهم اثناء ضيقه بسبب مبدئه السياسي ومذهبه الظاهري كابن شهيد وابي علي الفاسي وابن الطبني ، وابو بكر البلوي ، ولقد كان لصداقاته هذه افضل الاثر في تقلبات الايام عنده ، فقد كان يلجأ اليهم في الملمات .

اعتناق المذهب الظاهري والعمل لنشره :

كان ابن حزم عظاميا يتحرى ما يميزه . لقد كان بيته شافعي المذهب ، وكان السائد في الاندلس المذهب المالكي ، الا ان ابن حزم المترجم لم يرض هذا ولا ذلك بل جنح الى اعتناق مذهب بائد جامد هو مذهب داود الظاهري وهو الاخذ بظاهر الكتاب والسنة والتوسع بهذا للاستغناء عن الراي والقياس الى حد رمي اهل الراي والقياس بالكفر ، وكان المالكية اهل راي ولهم في التشريع المصالح المرسلة وسد الذرائع ، فكان في اعتناقه المذهب الظاهري ومحاولة نشره جالبا على نفسه المقت الكثير . قال ابن خلدون : « وقد فعل ذلك ابن حزم في الاندلس على علو مرتبته في حفظ الحديث ، وصار الى مذهب اهل الظاهر ومهر فيه باجتهاد زعمه في اقوالهم ، وخالف امامهم داود وتعرض للكثير من ائمة المسلمين فنقم الناس ذلك عليه واوسعوا مذهبه استهجانا وانكارا وتلقوا بالاغفال والترك» . على ان الكتاب المتأخرين كالاستاذ احمد امين والدكتور طه الحاجري فانهم يرون ان المذهب انتشر الى حد كبير وكان له اتباع رغم تصدي اكثر علماء الاندلس له ،

الامام ابن حزم

عالم الاندلس

للأستاذ: إحسان النمر

احوال الاندلس فى عصره ـ بيئته ونشاته العائلية ـ مبداه السياسي ومتاعبه ـ علمه ومعارفه ـ منهبه الظاهري ـ مؤلفاته .

احوال الاندلس في عصره :

بلغت الاندلس اوج عظمتها فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم الامويين وعهد الحاجب المنصور وابنه الناصر لدين الله ثم تداعت الى السقوط.

كان منصب الحاجب فى الاندلس كمنصب رئيس الوزراء اليوم مع الفارق فى منصب الملك (الخليفة) فيما بعد اذ هو صاحب السلطة وكان الحكم ميالا الى الادب ولم يفكر بمصير الخلافة بعده لان خليفته هشام فى سن التاسعة فاستوصت عليه امه صبح ، وكان الحاجب احد نوابغ الدنيا فى السياسة وهو الامير محمد بن ابي عامر فنال ثقتها واطلقت يده فى كل الامور وقد نال ثقة الشعب ورجال الدين لما اظهر من الكفاءة فى الادارة وفى الحروب وقد كان عهده استمرارا لعظمة الاندلس وقد لقب نفسه بالمنصور وقد اشتهر بأبي عامر المنصور . وبعد موته تلاه ابنه عبد الملك الذي لقب بالمظفر الا ان حكمه لم يطل اكثر من سنتين فخلفه اخوه عبد الرحمن الذي لقب بالناصر لدين الله وجميعهم هجروا على هشام الخليفة الملقب بالمؤيد فنشأ ضعيفا مكتوما لا يعرفه احد فطمع الناصر بالخلافة واضطر هشام على التنازل اليه عن لقبها الباقي له . فثار البيت الاموي يعضده القرشيون والمضريون فى الاندلس فوقعت الفتنة فى الاندلس اذ انقسمت الاندلس الى حزبين امويين وعامريين كانت نتيجتها القضاء على البيتين وظهور ملوك الطوائف وهم حكام المقاطعات الذين استقل كل واحد منهم فى مقاطعة على طائفة .

احوال بني حزم الوزراء فى هذه الفترة :

انتقل بنو حزم من لبلة فى غرب الاندلس ونزلوا فى قرطبة حيث سطع نجمهم فى عهد العامريين فاستوزروهم . وقد نزلوا فى الزاهرة التي بناها المنصور العامري فى شرق قرطبة ، فلما شبت الثورة على العامريين ودمرها البربر انصار المهدي الاموي فانتقل الحزميون الى غرب قرطبة ثم الى المرية .

نشأة ابن حزم :

فى سنة 384 هـ وفق 994 م ولد علي بن احمد ابو محمد المشهور بابن حزم ، وكان والده احمد ابن سعيد وزيرا للعامريين فنشأ ابنه نشأة المترفين اذ كان ضعيف الجسم فتركه والده بين الجواري والخصيان يعيش عيش المترفين المائعين ، لانه لم يكن يعول عليه لضعفه . فنشأ فيه الميل للخنوثة وعشرة النساء والاصغاء الى قصصهن والاشتغال باسرارهن . ولما راهق ولع بهن الواحدة بعد الاخرى ، وقد ولع بالشعر يحفظه ثم ينشده ، واكثر فى حبه وغرامه ، وكان عفيفا فاستمر الشوق عنده كما يحصل لمن لا يتمتع ، فالف على ذلك كتابه طوق الحمامة ، ولم يكن يبالي بشيء ، ولم يكن يخرج من القصر ، ولم يكن يعرف صداقة الامثال ، وقد انطبعت فى نفسه تقلبات الجواري والخدم فكانت اساس كتابه الاخلاقي الذي اسماه مداواة النفوس ، وقد ضم اليها ما لاقى بسبب مبداه السياسي .

ـروحه وتقاريره فى هذا الصدد ، وقد تطور الامر الى السلف ومن يطلع على ما كتبه ابن رشد وابن تيمية يجدانها ماخوذة عن هذا الكتاب على انه بعد الاطلاع على الفقه الجعفري نجد ان اقوال هؤلاء فيها كثير من المغالاة وانهم ظلموا الشيعة المعتدلين وانه ينبغي لمن يطلع على هذه الكتب ان يتريث بالاخذ بها وان يرجع الى ما كتبه المرحوم رشيد رضا وما كتبه ويكتبه الشيخ محمد أبي زهرة فاننا فى عمل للتوفيق بين السنة والشيعة المعتدلين فقد كفى تمشيا مع الدعايات السياسية الضارة .

على ان ابن حزم لم يقف عند عقائد الفرق الاسلامية بل تجاوز ذلك الى عقائد الديانتين : اليهودية والنصرانية ، فكان ذلك سببا لاهاجة أهل الديانتين ومهاجمتها للاسلام . والجدير بالذكر هنا ان نشير الى ان الحال فى الاندلس كان على خلاف غيرها ، فان اصحاب الديانات الاخرى كانوا كثر وكانوا على شيء من القوة والتكتل حتى بلغ بهم الامر الى التطاول على شخصية الرسول الاعظم بالسباب . واذا علم هذا فلا يستغرب المطلع على كتاب الشفاء للقاضي عياض كثرة شروحه ، وتقاريره فى هذا الصدد، وقد تطور الامر الى ثورات اصحاب الديانتين والبطش بهم وتأثرهم مما أدى الى ضياع الاندلس فى النتيجة . فكانت هذه احدى الاسباب ان لم نقل أهمها .

رسائل وكتب أخرى :

ولابن حزم رسائل وكتب منها : رسالة فى اعجاز القرآن ، ورسالة فى النصائح المنجية ، ورسالة سماها جمهرة الانساب ، واخرى فى الناسخ والمنسوخ ، واخرى الاحكام لاصول الاحكام ، الى غير ذلك من الرسائل والكتب التي ذكرت فى معجم الادباء عن ابن صاعد الاندلسي انها بلغت نحو أربعمائة مجلد تقع في ثمانين الف صفحة مما لم يبلغه احد فى الاسلام .

الحكم على ابن حزم :

كان ابن حزم عظاميا ينشد الاغراب فى جميع اتجاهاته ، فقد كان ينسب نفسه الى الفرس ولا فرس فى الاندلس . وكتب عن الحب مضحيا بكرامته غير مبال بما يقال فيه ، اذ لم يستشهد بشيء من مواقف عشاق العرب ، بل استشهد بمواقفه مع جواري ابيه واقاربه .

وبالرغم عن سيادة المذهب المالكي فى الاندلس والمغرب سيادة مطلقة فانه تمذهب بالمذهب الظاهري غير مبال بنقمة فقهاء المالكية الاشداء .

وقد صمم على استرداد مركز عائلته وهو الوزارة وقد تمسك بالخلافة الاموية رغم فقدان الشخصيات القوية من اعقاب الامويين ، وقد ظل سائرا يتغلب على الصعاب رغم ضعفه الشخصي وتداعي بيته وزوال قصورهم وموت اكثر انصارهم فما زال يعمل حتى بلغ الوزارة وتمتع بهذا اللقب ، وما زال يعمل للمذهب الظاهري حتى انتشر ، وقد شغل الاندلس بالمجادلات الدينية فى وقت كانت فى غنى عنه ورغم حرق كتبه واندحاره فى لبلة فى اقصى غرب الاندلس فانه فاز ، فقد اعتنقه ابن تومرت واقام عليه دولة الموحدين فساد الاندلس وافريقيا . وتمسك به الموحدون واعظموه واعظموا صاحبه ابن حزم حتى قال احدهم حين مر عن قبره بعد مائة سنة : « كل العلماء عيال على ابن حزم » . وقد اعتبر ابن رشد مذهبه رابعا فكان يذكره مع الحنفي والشافعي والمالكي وقلما ذكر المذهب الحنبلي .

لقد ماتت المنافسة والمنافسون وعاشت منزلة ابن حزم . قال صاعد : « كان ابن حزم اجمع أهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه فى علم اللسان والبلاغة والشعر والاخبار » . وقال الذهبي : « وكان اليه الانتهاء فى الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم فى الكتاب والسنة والملل والنحل والعربية والاداب والمنطق والشعر مع الصدق والامانة والحشمة والسؤدد والرياسة والثروة » . وقال عنه الاستاذ احمد امين فى كتابه ظهر الاسلام : « كان عالم الاندلس الديني غير مدافع ابن حزم فقد كان واسع الاطلاع قوي النفس فى الجدل متعدد نواحي النبوغ يهاجم من خالفه حتى يدخله فى قمقم » .

هذا ابن حزم احد علماء الاسلام البارزين وهو راس انصار السلفية ، ويكفي ان نعرف ان ابن رشد وابن تيمية وامثالهم قد أخذوا عنه وتابعوه فى هذا المنهج رضي الله عنهم جميعا .

نابلس : احسان النمر

واعتزاله آخر الامر فى غرب الاندلس وحرق كتبه فى اشبيلية علنا . وقد ظل فى عزلته الى ان مات سنة 456 عن 72 سنة من العمر .

قال الاستاذ احمد امين فى ظهر الاسلام : « وقد تعلم ابن حزم الحديث وتبحر فيه ، وقد تبعه كثيرون على مذهبه الظاهري ، وقد خرجوا من مذهب مالك اليه ، كما ان كثيرين ضاقوا به ذرعا وانكروا عليه صراحته واعلنوا الحرب على كتبه حتى بلغ بهم الغيظ أن احرقوها علنا فى اشبيلية » . وقرروا أيضا ان مذهبه هو الذي احياه ابن تيمية فيما بعد .

« مؤلفات ابن حزم »

طوق الحمامة :

هو كتاب يبحث فى موضوع الحب مثله فى مواقفه مع جواري مقاصيرهم مقسما باغلظ الايمان على انها كانت مواقف عف فيها الى اقصى حدود العفاف ، وانه كان تحت مراقبة شديدة .

وقد أصيب فيها بنعم احدى الجواري التي احبها وصادف ذلك أيضا موت اخيه الكبير واليفه الوحيد ابي بكر فى صباه وموت أبيه فأثار ذلك شاعريته ونثره الذي ضمنه كتابه هذا فاتى بالدرجة الثانية وسطا بين شعراء الاندلس من درجة ابن شهيد وابن دراج فى النثر ، فما ظهر فى طوق الحمامة فكان عاديا قال الاستاذ احمد أمين عنه فى ظهر الاسلام : « وأما نثره فقيمته فى صراحة معناه وغزارته لا فى ناحيته الفنية » . اما نثره البليغ فيظهر فى رسالته الاخلاقية مداواة النفوس . وهو واسع الاطلاع فى آداب اللغة العربية ، ويعتبر فى الذروة من هذه الناحية . ويمتاز طوق الحمامة أيضا بأن ضمنه الشيء الكثير من ترجمته ، وما أصابه خلال النكبات .

مداواة النفوس :

ان تجاربه العديدة وتقلبات الزمن حملته على كتابة رسالة فى الاخلاق اسماها « مداواة النفوس وتهذيب الاخلاق » . وقد قلد فيها اسلوب ابن المقفع فى كتابيه « الادب الكبير والادب الصغير » فاتى على جانب من البلاغة والحكم الرائعة والفوائد الجليلة ، فمن ذلك قوله : « من ابتلي بالعجب فليفكر فى عيوبه ، فان اعجب بفضائله فليفتش ما فيه من الاخلاق الدنيئة فان خفيت عليه عيوبه جملة فانه اعظم الناس نقصا وعيبا واضعفهم تمييزا . وأول ذلك انه ضعيف العقل جاهل ، ولا عيب افظع من هذين ، لان العاقل هو من عرف عيوب نفسه وسعى فى اصلاحها » .

ومنها قوله : « التلون المذموم هو التنقل من زي متكلف لا معنى له الى زي آخر مثله فى التكلف لا معنى له » .

ومنه قوله : « من ساوى بين عدوه وصديقه في التقريب والرفعة فلم يزل على ان زهد الناس فى مودته وسهل عليهم مؤونة ولم يزل على استخفاف عدوه له وتمكن من مقاتله وافساد صديقه على نفسه ، والحاقه بجملة اعدائه » .

ومنه قوله : « اثنان عظمت راحتهما ، احداهما فى غاية المدح ، والاخرى فى غاية الذم . وهما مطرح الدنيا ومطرح الحياء » .

المحلى والمجلى :

المحلى هو كتاب فى الفقه الظاهري ، وقد انتقد كبار الائمة جميعا ، وقد شرحه بكتاب آخر سماه المجلى . وقد جمع فيهما الاصول والفروع بغير تناسق فتناقض فيهما ، قال ابن كثير عنه : « انه جمع بين طرفي النقيض فى اصوله وفروعه وهو فى الاصول ظاهري جامد يابس وفى الفروع قول مائع . فرمطه القرامطة وهرسه الهرائسة . وان لا ثمرة له » .

وقد طبع المحلى مؤخرا فى مصر . قال الدكتور طه الحاجري عن سيره فيه : « يعرض المسألة من مسائل الفقه الاسلامي ، مقررا فيها رايه وهو لا يستند الا الى الادلة المأثورة : القرآن وما صح من الحديث كما هو مذهبه ، ثم يعرض آراء الائمة السابقين مالك والشافعي وأبي حنيفة والاوزاعي ومن اليهم فى هذه المسألة مع ايراد ادلتهم وبيانها ثم تفنيدها اذ يعرضها على الاثار المروية الصحيحة . أو يعرض الاثار التي اعتمدها هؤلاء الرجال على النقد ، اذ ينقد اسانيدها ويتحدث عن رجالها ثم ينتهي بأن يصك رايه فيها صكا، لا يتجمل ولا يترفق ولا يتلطف . وما زلت اذكر له هذه العبارة واسمع فى نفسي أصداءها متجاوبة : « اما قول ابي حنيفة ففي غاية التخليط والتناقض والفساد ، اما قول مالك فظاهر الخطأ » .

كتاب الفصل في الملل والنحل :

درس ابن حزم آراء ومعتقدات جميع الفرق الاسلامية وكتب عنها كتابا سماه كتاب « الفصل فى الملل والنحل » وهاجم سائر المعتقدات المخالفة لمذهب

1 — ان طارقا بربري ، حديث عهد بالاسلام والعربية ؛ لانه لم يرتبط بموسى بن نصير الا عند ما ولي هذا الاخير قيادة المغرب سنة 89 هـ . وبين هذا التاريخ وتاريخ الفتح (92 هـ) فترة وجيزة، يستبعد معها ان يجد طارق العربية بحيث تسمح له بالقاء الخطب ونظم الشعر .

2 — أن المصادر الاولى عربية واندلسية ، قد سكتت عن هذه الخطبة ولم تشر اليها ، ولا تنص عليها سوى المصادر المتأخرة كثيرا عن الفتح مثل نفح الطيب .

3 — اسلوب الخطبة بما فيه من الصنعة والزخرف لا ينتسب الى عصر طارق الادبي وانما الى عصر متأخر جدا عن القرن الاول ، ولذلك يرى ان هذه الخطبة هي اقرب الى خصائص اواخر العصر العباسي وربما الى ما بعد ذلك .

4 — ورود هذه العبارة : « وقد اختاركم امير المؤمنين من الابطال عربانا » مما يزيد من حظ الشك ويقوى الارتياب ، لان الجنود لم يكونوا عربا ، بل كانوا برابرة . وبناء على تلك الادلة يخلص الدكتور هيكل الى حكم يرجع فيه ان تكون الخطبة قد وضعت على لسان طارق من طرف بعض الرواة المتاخرين كثيرا عن الفتح والمتاثرين كثيرا بأسلوب أواخر العصر العباسي وربما بالعصر المملوكي .

ويرى بعد ذلك ان طارقا قد يكون خطب في جنوده، وقد يكون تغنى انتصاراته مفاخرا مباهيا ، ولكن المعقول ان يكون فعل ذلك بلغته البربرية التي كان يجيدها والتي كان يفهمها جنوده (3) .

وقد تصدى الاستاذ الجليل عبد الله كنون مفندا بعض هذه الادلة الجدلية ونلخص رده فيما يلي :

1 — ان طارقا البربري نشأ في حضن العروبة والاسلام ؛ فأبوه هو الذي اسلم بدليل اسمه « زياد » ولا شك انه كان من مسلمة الفتح المغربي الاول ، وانتقل الى المشرق حيث نشأ ولده في كنف موسى بن نصير .

2 — لا غرابة في نبوغ طارق البربري في العربية فقد نبغ فيها امثاله عن غير العرب كعكرمة البربري وسلمان الفارسي .

3 — ليس في الخطبة من الصنعة البيانية ما يمنع نسبتها لطارق لان بلاغتها في معانيها ، والمعاني ليست وقفا على عربي ولا عجمي .

نعم قد تكون الخطبة تعرضت لبعض التصرف بالزيادة او النقصان من الرواة ، غير ان هذا لا يسوغ نفي اصل الخطبة ، وليس بحجة للتشكك في نصها الكامل .

ويطمئن الامير شكيب ارسلان لنسبة الخطبة لطارق اعتمادا على اثباتها في النبوغ المغربي وثبوتها لدى مؤلفه الحجة .

الى هنا نكون قد عرضنا مختلف وجهات النظر حول خطبة طارق بن زياد ملاحظين تقاربها احيانا وتباينها احيانا اخرى ، والدكتور هيكل وحده ينكر ان يكون طارق قد خطب بالفصحى ، اما الاستاذ عنان فلا يستبعد ذلك ولكن بأسلوب غير هذا الاسلوب .

واسارع الى القول بأني لا اشاطر الدكتور هيكل في حكمه الذي بناه على حيثيات لا يعتمد البعض منها الا على افتراضات ، والبعض الاخر يعتمد على اساس النص الوارد في نفح الطيب . فكون طارق ، مثلا ، حديث عهد بالاسلام ، لم يتصل بموسى بن نصير الا عند تولية هذا قياده المغرب سنة 89 هـ — امر لا يمكن تسليمه، لان طارقا ابن لمسلم وهو زياد ، وحفيد لمسلم وهو عبد الله، حسبما ذكره ابن عذاري في نسبه ؛ فله على الاقل ، ابوان في الاسلام ، وهكذا لم يعد هذا القائد البربري حديث عهد بالاسلام ، ولم تعد الفترة التي قضاها في الاسلام لا تتعدى ثلاث سنوات . ولعل الدكتور هيكل يشايعنا هذا في تعليقه رقم (3) ولو على طريق الفرضي، ثم من اين لنا معرفة ما اذا كان طارق قد نشأ في المغرب دون المشرق ؟ او تحديد ذلك التاريخ بالذات لاتصاله بموسى بن نصير ؟ وما لنا لا نفترض ، وهو اقرب الى المعقول ، ان اباه او جده هو الذي كان بالمشرق ؟ فنشأ الابن والحفيد في بيئة عربية صرف ، اتاحت له حذق لغتها والنبوغ فيها والفوز بثقة بلاط دمشق ليتولى مكانة مرموقة في الدولة الاموية مما اهله لقيادة جيش الفتح . ثم ان احدا من الموحدين القدماء لم يقل بأن طارقا خطب بالبربرية او نفى الخطبة بالعربية !

اما كونها لم ترد الا في المصادر المتأخرة كثيرا كنفح الطيب فليس الامر كذلك ، اذ وردت في مصادر اقدم بكثير من عصر المقري ، فقد اوردها ابن خلكان ، وهو من القرن السابع ، وردت في تحفة الانفس لابن هذيل ، وهو من القرن الثامن ، وقد نقلها عنان في كتابه المشار اليه سابقا ، واهم من هذا ان صاحب الامامة والسياسة قد اثبتها وهو من رجال القرن الثالث

(3) انظر كتابه : الادب الاندلسي ص 80 — 83 .

خطبة طارق بن زياد من جديد

للدكتور عبد السلام الهراس

من منا لا يعتز بهذه الخطبة ؟ ومن منا لا يعدها اعرق تراث مغربي يقترن بفجر الاسلام بالمغرب والاندلس ؟ ان ناحيتها البلاغية لم تكن تسحرنا ، ونحن اطفال فى المدرسة ، وانما الذي كان يثير فينا مشاعر الاعتزاز والزهو هو تلك الروح المغربية الاسلامية التي تتحدى الاخطار ، وتهزأ بالاهوال ، وتقتحم الصعاب ، وتهوى البطولات والخوارق البشرية . ولكن بعض الباحثين ــ سامحهم الله ــ حاولوا نسف تلك المشاعر وزعزعة تلك الصورة الرائعة التي كونتها مخيلاتنا من خلال تلك الخطبة ، وحاولوا تنغيص تلك النشوة الروحية التي كانت تسبح فى اجوائها احساساتنا ونحن نرددها على مسامع معلمنا بالمدرسة الابتدائية وكان كل واحد منا طارق محصورا بين البحر والعدو وهو واثق بالنصر المبين .

وكانت بلاغتها التي رويت عليها فى نفح الطيب شؤما عليها اذ كانت من اهم الثغرات التي تسرب منها النقد ليهدم كيانها من القواعد !! ولكن بقليل من البحث حاولت أن اتلافى تلك الثغرات واوصدها فى وجه الشكوك التي تثار حول نسبة الخطبة لصاحبها طارق والحفاظ على تراثنا الذي نعتز به بشكل او بآخر حسب ما سننتهي اليه فى هذا المقال .

ممن احتار فى امر هذه الخطبة الامير شكيب ارسلان رحمة الله عليه فقال :

« تلك الخطبة الطنانة التي لو حاول مثلها قس ابن ساعدة او سحبان وائل لم يات بأفصح ولا بأبلغ منها ، ولقد كنت افكر مليا فى امر هذه الخطبة واقول فى نفسي .. هذا لغز من الغاز التاريخ لا ينحل معناه بالسهولة ... » وحقيقة هذا اللغز لدى امير البيان ان طارقا بربري ، والخطبة تعد من انموذجات الخطب العربية ، ولم يستطع التلفيق بين هذين الامرين المتناقضين وقد حاول ، لكنه لم يسترح لمحاولاته ... واخيرا زال تردده عند ما جزم الاستاذ الكبير عبد الله كنون بأن هذه الخطبة من جملة انطباع البربر بالطابع العربي البحت . (1)

وكذلك يرتاب فى نسبة هذه الخطبة لطارق كل من الاستاذ المؤرخ عبد الله عنان واستاذنا الدكتور احمد هيكل أستاذ الادب الاندلسي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة . فأما الاول فيرتكز فى ارتيابه على الادلة التالية : (2)

1 ــ كون الخطبة لم ترد فى المصادر التاريخية الاسلامية القديمة ، ولم يشر اليها لا ابن خلدون ولا ابن الاثير وانما نقلها المقري وحده عن مؤرخ لم يذكر اسمه .

2 ــ روعة اسلوبها وعباراتها مع ان طارقا لم يكن عريقا فى العروبة والاسلام ، وينتهي من ذلك الى الحكم بانها من انشاء بعض المتاخرين ، صاغها على لسان طارق مع مراعاة ظروف المكان والزمان ، وان كان لا ينفي أن يكون طارقٍ خطب ولكن فى غير هذه اللغة .

ويبني الدكتور هيكل شكه فى هذه النسبة على ما يلي :

---

1) انظر النبوغ المغربي ج 1 / 22 ، 23 الطبعة الجديدة .

2) دولة الاسلام فى الاندلس ج 1 / 47 .

ج) نص تحفة الانفس نقلته عن كتاب الاستاذ عنان : (7)

« ايها الناس : اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر ، واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام في مأدبة اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيوشه واسلحته واقواته موفورة ، وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ، ولا اقوات لكم الا ما تتخلصونه من ايدي عدوكم ، وان متدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب عن رعبها منكم الجراة عليكم ، فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد القت به اليكم مدينته الحصينة ، وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت ، واني لم احذركم انا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة ارخص متاعا فيها للنفوس (كذا) ، ابدا بنفسي ، واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفه الالذ طويلا ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي ، فما حظكم فيه بأوفى من حظي . وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان ، الرافلات في الدر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقيان ، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المومنين من الابطال عربانا ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا ، ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ، ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته ، واظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مغنمها خالصة (كذا) لكم من دونه ، ومن دون المؤمنين سواكم . والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين » .

« ايها الناس ما فعلت من شيء فافعلوا مثله ، ان حملت فاحملوا ، وان وقفت فقفوا ! ثم كونوا كهيئة رجل واحد في القتال ، واني عامل الى طاغيتهم بحيث لا انهيه (كذا) حتى اخالطه وامثل (كذا) دونه ، فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تنازعوا ، واياكم اياكم ان ترضوا بالدنية ، ولا تعطوا بأيديكم ، وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة (كذا) والذلة وما قد اجل لكم من ثواب الشهادة ، فانكم ان تفعلوا ، والله معكم ومفيدكم (كذا) تبوءوا بالخسران المبين ، وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين ، وهاأنذا حامل حتى اغشاه فاحملوا بحملتي » .

فاس : الدكتور عبد السلام الهراس

---

7) انظر دولة الاسلام في الاندلس 1 / 46 ، 47 ، والاستاذ عنان لم يشر الى المصدر عند ايراده نص الخطبة ، بل بعد ما عقب عليها بقوله : « ويشير صاحب كتاب تحفة الانفس الى خطبة طارق .... ثم يورد نص الخطبة ». وآسف ان المصدر ليس بين يدي ولم احصل عليه بعد ! ولذا اعتمد على الاستاذ المؤرخ عنان في هذا النص .

للهجرة ، كما سنبين ذلك من بعد ، كما وردت قطعة منها في كل من « ريحانة الالباب » للمواعيني (توفي 570 / 1168) وكتاب « استفتاح الاندلس » لعبد الملك ابن حبيب .

ويجدر بنا ان نورد هذه النصوص ليتسنى لنا مقابلتها والتعليق عليها وعلى ما يتصل بها .

أ — نص ابن خلكان : (4)

« فلما نزل طارق من الجبل بالجيش الذي معه كتب تدمير الى لزريق الملك انه وقع بأرضنا قوم لا ندري من السماء هم أم من الارض ، فلما بلغ ذلك رجع عن مقصده في سبعين الف فارس ، ومعه العجل يحمل الاموال والمتاع وهو على سرير بين دابتين عليه قبة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد ، فلما بلغ طارقا دنوه قام في اصحابه فحمد الله سبحانه وتعالى واثنى عليه بما هو اهله ، ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم في الشهادة ثم قال :

« أيها الناس ! اين المفر ؟ والبحر من ورائكم والعدو امامكم ، فليس لكم والله الا الصدق والصبر ، واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام في مآدب اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة ، وانتم لا وزر لكم غير سيوفكم ، ولا اقوات لكم الا ما ستحصلونه من ايدي اعدائكم . وان امتدت بكم الايام — على افتقاركم — ولم تنجزوا لكم امرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب برعبها منكم الجراءة عليكم ، فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذه الطاغية فقد القت به اليكم مدينته الحصينة ، وان انتهاز الفرصة فيه لممكن لكم ، ان سمحتم بأنفسكم للموت ، واني لم احذركم امرا انا عنه بنجوة ولا حملتم على خطبة ارخص مباع فيها النفوس ابدا فيها بنفسي ، واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالأرفه الالذ طويلا، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه اوفر من حظي ، وقد بلغكم ما انشات هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان ، الرافلات في الدر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقيان ، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الابطال عربانا ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا، ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واستماحكم لمجالدة الابطال والفرسان ، ليكون حظه معكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة ويكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المسلمين سواكم ، والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين .

واعلموا اني اول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله ، فاحملوا معي ، فان هلكت بعده فقد كفيتكم أمره، ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون امركم اليه ، وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فانهم بعده يخذلون » .

ب) نص الامامة والسياسة : (5)

« فلما بلغ طارقا دنوه (اي لذريق) منهم قام في اصحابه فحمد الله ثم حض الناس على الجهاد . ورغبهم في الشهادة وبسط في آمالهم ثم قال :

« ايها الناس ، اين المفر ، البحر من ورائكم والعدو امامكم ، فليس ثم والله الا الصدق والصبر ، فانهما لا يغلبان ، وهما جندان منصوران ، ولا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة . ايها الناس : ما فعلت من شيء فافعلوا مثله ؛ ان حملت فاحملوا ، وان وقفت فقفوا . ثم كونوا كهيئة رجل واحد في القتال . الا واني عامد الى طاغيتهم بحيث لا اتهيبه حتى اخالطه (6) أو أقتل دونه. فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتولوا الدبر لعدوكم ، فتبددوا بين قتيل وأسير ، واياكم اياكم ان ترضوا بالدنية . ولا تعطوا بأيديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة (كذا) والذلة ، وما قد اجل لكم من ثواب الشهادة ، فانكم ان تفعلوا ، والله معكم ومعيذكم. تبوءوا بالخسران المبين وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين ، وها انذا حامل حتى اغشاه فاحملوا بحملتي » فحمل وحملوا . . . »

---

4) وفيات الاعيان 2 / 177 — 178 طبعة بولاق . في ترجمة موسى بن نصير .

5) الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة 2 \ 75 الطبعةالثانية (ط. الحلبي) سنة 1377 — 1957 مصر

6) في الاصل « واقتل » ! وهو تصحيف .

كفـالتــه

ولد ابو الحجاج بعد ولاية ابيه للحكم بنحو خمس سنوات ، وتوفى والده فى رجب 725 هـ (يونيه 1325م) ولم يكن الابن قد تجاوز بعد سبع سنوات ، فكفلتـه جدته أم ابيه السيدة الحرة الجليلة « فاطمة بنت امير المسلمين ابي عبد الله الغالب بالله محمد الثالث » ، وكانت تتوفر على مزيد من الخبرة لطول تجاربـها فى القصر النصري ، فهي « واسطة العقد ، وفخر الحرم، البعيدة الشأو فى العز والحرمة وصلة الرحم ، وذكر التراث ، واتصلت حياتها ملتمسة الراي ، برنامجـا للفوائد ، وتاريخا للانساب » (1) فاستقى حفيدها ابو الحجاج من لبان خبرتها ، وتزود بالجم من حكمتها ، لاسيما وانها بقيت الى جانبه فترة ليست بالقصيرة، فقد عاصرته طفلا يحبو ، ثم فتى يافعا ، ثم سلطانا كبيرا ، حتى توفيت فى عنفوان شبابه عام 749 هـ / 1348 م مواصلا برها ، ملتمسا دعاءها ، مستفيدا بتجربتـها وتاريخها ، مباشرا مواراتها بمقبرة الجنان ، داخـل الحمراء ، سحر يوم الاحد السابع لـذي الحجـة 749 هـ (2) ، وكان عمرها يومئذ قد نيف على التسعين عاما .

تربيتــه وثقافتــه

كان السلطان ابو الوليد اسماعيل والد ابـي الحجاج قد وكل تربية أبنائه الى نخبة ممتازة من رجال العلم والراي والادارة ، اشرفوا على هؤلاء الامراء فى حل وترحال تثقيفا وتدريبا ، كما تعهدهم صقلا للمواهب وتنمية للملكات ، فكان ان برز لنا ابو الحجاج من بين اخوته الملك الفنان الشاعر ، والسياسي الهـادىء الوقور ، وانعكست توجيهات مؤدبيه علـى ميولـه السليمة من جانب ، وعلى ما خلعه على العمـارة الاندلسية من نفسيته الشاعرة من جانب آخر ، بمـا اضفاه على آثار اسلافه ، من ذوق فني له روعتـه وسحره وجماله . كذلك حبه للعلم وتقريبه العلماء ، وكلفه بالاداب والفنون ، الذي تجلى فيما قام به مـن منشآت ثقافية ، ورعاية للقائمين بالامر فى هذا الميدان.

وهكذا تاثر ابو الحجاج بخلاصة من المربييـن العلماء ، والمحنكين من رجالات السياسة ، امـثال الحاجب ابي النعيم رضوان ، والشيخ الرئيس ابـي الحسن علي بن الجياب ، والمؤرخ لسان الدين ابـن الخطيب ، وغيرهم ممن حفل بهم بلاط والده ابي الوليد اسماعيل الاول (713 — 725 هـ / 1313 — 1324م) ثم بلاط شقيقه السلطان محمد الرابع (725 — 733 هـ / 1324 — 1333 م) .

« اعتلاؤه عرش غرناطـــة »

تقلد يوسف الاول شؤون المملكة فى يوم الاربعاء 13 ذي الحجة 733 هـ (الموافق 25 اغسطس 1333م) ولم تكن سنه يومئذ قد تجاوزت 16 عاما .

انعكاســات ثقافة السلطان :

كان لبيئة السلطان اثر الاعداد والتوجيه ، ثـم الاضطلاع بمهام المنصب الخطير ، فقد كان والـــده اسماعيل ذا شخصية دينية محافظة ، حريصا علـى اقامةالحدود وفقالشريعة الاسلامية، ففي عهدهخصوصا حرمت المسكرات ، وضيق الخناق على الفساد الاخلاقي وحرم جلوس الفتيات فى ولائم الرجال (3) ، فكـان جديرا بالوالد أن يحرص على تنشئة أولاده كذلـك ، حرصا على مستوى سلالة بيت الملك ، وحفاظا عليهم من مؤثرات تتنافى وشرف التقاليد الملوكية .

وفى ضوء ما أسلفناه نستطيع ان نتحدث عـن ثقافة الحجاج العامة ، فنقول : انه كان شخصية فنانة، تتمتع بروح شاعرية ، عمل ما استطاع فى سبيل حماية العلوم والاداب والفنون ، وربما اجمل ابن الخطيـب بعض هذه الخلال فى قوله : « كان أبو الحجاج مـن جملة الملوك فضلا وعقلا واعتدالا » (4) ، وقد تجلى هذا الاتجاه الثقافي عند السلطان فى جوانب هامة من حياته ، نذكر منها :

الجانـب الفنـي :

ويتمثل فيما قام بتشييده فى مجال المعمـار الهندسي ، وبخاصة ما أضفاه على أجنحة الحمراء ،

---

1) الاحاطة ج 1 ص 221 « عنان » .
2) نفس المصدر 222 .
3) نفس المصدر ج 1 ص 395 — 401 ، واللمحة البدرية ص 71 — 74 .
4) أعمال الاعلام لابن الخطيب ص 314 .

من أعلام الاندلس:

يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة

(733هـ 755هـ 1333 - 1354 م)

للدكتور محمد كمال شبانة
استاذ التاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

« ... كان فنانا شاعرا ، انشا جامعة غرناطة ، لتستعيد ماضي لدتها جامعة قرطبة ، ودانت له الحمراء بافخم وأبهى منشآتها ... »

« نسبه وولادته »

هو سابع ملوك بني الاحمر « يوسف بن اسماعيل ابن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن محمد بن احمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الانصاري» فهو بهذا يتصل نسبه بأمير الخزرج « سعد بن عبادة » من سادة الانصار بالمدينة .

يكنى السلطان بـ « ابي الحجاج » كما يعرف بـ « أمير المسلمين » ، وهو اللقب الملكي الذي غلب على سلاطين بني نصر ، منذ اعتلى عرش غرناطة مؤسس دولتهم محمد الاول بن الاحمر (635 — 671هـ — 1238 — 1272 م » ، كما عرف بـ « الغالب بالله»

ولد ابو الحجاج بحمراء غرناطة فى الثامن والعشرين من ربيع الثاني عام 718 هجرية / 28 يونيو 1318 م ، أمه تدعى « بهارا » النصرانية » ، « طرف فى الخير والصون والرجاحة » ، حظية والده السلطان أبي الوليد اسماعيل (713 — 725 هـ / 1314 — 1325 م) ، وكان قد استولدها ، فأنجبت « يوسف » هذا ، أما اخوته محمد ، وفرج ، وفاطمة ، ومريم فمن الحظية « علوة » ، وأما اسماعيل فمن الحظية « قمر » .

صفاته

يجمل لنا صفات أبي الحجاج معاصره ووزيره لسان الدين ابن الخطيب ، فيذكر انه : « كان ابيض أزهر ، ايدا ، مليح القد ، جميل الصفات ، براق الثنايا ، انجل ، رجل الشعر اسوده ، كث اللحية ، وسيما ، عذب الكلام ، عظيم الحلاوة ، يفضل الناس بحسن المرأى وجمال الهيئة ، كما يفضلهم مقاما ورتبة، وافر العقل ، كثير الهيبة الى ثقوب الذهن ، وبعد الغور ، والتفطن للمعاريض ، والتبريز فى كثير من الصنائع العملية ، مائلا الى الهدنة ، مزجها للامور ، كلفا بالمباني والاثواب ، جماعة للحلى والذخيرة ، مستميلا لمعاصريه من الملوك (1) .

1) راجع مقدمة مخطوطة القاضي النباهي « نزهة البصائر » الاسكوريال 1653 ، وكذا مخطوطة ابن الخطيب « كناسة الدكان » الاسكوريال 1712 .

كتابه « الدور الكامنة » في اعيان المائة الثامنة » وافاض الكاتبين في التنويه بأبي الحجاج — كأديب وفنان — برز في النصف الاول من القرن الثامن الهجري (منتصف القرن الرابع عشر الميلادي) .

هذا . ونضيف أن القاضي شهاب الدين بن فضل الاندلسي قد قال عن أبي الحجاج : « ان له يدا في الموشحات (1) » ذلك اللون الشعري الخاص ، الذي لم يقتصر انتشاره على المحترفين من اهل الاندلس فحسب . بل نعداه الى ملوكهم وامرائهم ، فتعاطوه ايضا . حتى طبقت للاندلس في هذا شهرة فاقت شهرة المشارقة .

« علاقات أبي الحجاج الخارجية »

لم تكن علاقة غرناطة بالممالك النصرانية الاسبانية تتسم بالصفاء . تبعا لمخطط النصارى في حروب الاسترداد La Riconquista المعروفة ، وكان معاصره على مملكة قشتالة يومئذ « الفونسو الحادي عشر » (1312 — 1350 م) الذي عول على الاجهاز على آخر معاقل المسلمين . املا منه أن تسقط غرناطة نفسها على يديه فيتوج تلك الحروب التي بدأها أسلافه مع العرب الفاتحين . وعرف يوسف الاول نواياه معاصره القشتالي . فاستنجد — كسابقيه من امراء الاندلس — بالمغرب . الذي كان يحكمه — وقتئذ — السلطان أبو الحسن علي المريني (697 — 753 هـ) فايده بجيش عظيم . عقد عليه لولده الامير أبي مالك . وكان الامير يبلغ ذروة انتصاراته في اراضي النصارى يومئذ . لولا أن هؤلاء كانوا قد أعدوا له كمينا ، وفاجأوه فقضوا عليه وعلى كثير من حراسه . وعادت بقايا الجيش العربي الى مواقعها الاندلسية . ولكن ما كادت تبلغ السلطان أبا الحسن مأساة ولده حتى بادر بارسال جيش أعظم واقوى . قبض له الظفر على الجيوش الاسبانية . بيد أنه لم تكن هذه المعركة حدا فاصلا بين الفريقين . اذ ما لبث الاسبان أن خاضوا ضد المغاربة والاندلسيين — بعدئذ — المعركة العظمى (وقعة طريف) أو معركة سالادو (2) Batalla de salado 7 جمادى الاخرة 741 هـ (30 اكتوبر عام 1340م) ، تلك المعركة التي يؤرخ بها الاسبان لانتصاراتهم في حروب الاسترداد . فقد أحرزوا فيها انتصارا ساحقا ، بفضل خدعة حربية محكمة ، سقطت على اثرها كل من طريف والجزيرة الخضراء وقلعة بني سعيد ، واستولى الاسبان عقب المعركة على علم المقاتلين المغاربة ، وما زال حتى اليوم في كنيسة طليطلة العظمى ، وقد نجا السلطان ابو الحسن من الموت بأعجوبة ، ولحق ابو الحجاج بغرناطة على راس فلول الجيش الاندلسي.

وبذلك انكسرت شوكة بني مرين تجاه الاسبان اثر هذه المعركة ، ولم يتسن للمغرب بعدها أن يعود الى الاندلس ارض الجهاد مرة أخرى ، كما أن سلطان غرناطة — من جهته — آثر بعدئذ مهادنة جيرانه النصارى ، فلم تقع بينه وبينهم وقائع حربية تذكر ، وذلك حتى نهاية حكمه ووفاته .

« اصلاحاته »

يشيد المؤرخون المعاصرون بعصر أبي الحجاج ، فقد ابتنى المصانع في كثير من مدن الاندلس كان بعضها قائما للصناعات المحلية ، والبعض للاحتياجات الحربية . ففي مدينة المرية — ذات المرفأ الحربي الهام — كانت تقوم « دار الصناعة » هذا الى جانب صناعة الحرير التي اشتهرت بها المدينة ، بالاضافة الى صناعة الحديد والنحاس والزجاج ، لما عرفت به أجوازها من وفرة المعادن والخامات .

كذلك اشتهرت مدينة مالقة بصناعة الفخار المذهب العجيب ، والثياب الموشاة بالخيوط الذهبية ، تصدر من هذا كله كميات وافرة الى الخارج ، حسبما يروي ابن بطوطة في « رحلته » حيث زار الاندلس على عصر هذا السلطان .

هذا ، وقد قام يوسف الاول بانشاء بعض القلاع والحصون ، واخصها « حصن البيول » قرب مدينة بسطة ، كما جدد ما كان قائما منها ، كحصن جبل فارة بمالقة ، المطل من اعلا الجبل على البحر المتوسط ، والى هذا السلطان يرجع الفضل ايضا في تشييد السور الاعظم حول ربض البيازين ، الذي ما تزال بقية منه قائمة حتى اليوم خارج غرناطة ، ولا سيما في الجهة الشمالية الغربية ، تحصينا للعاصمة ، وسدا دفاعيا عنها .

---

(1) القلقشندي صبح الاعشى ج 5 ص 160 .

(2) وبهذا يذكرها الاسبان في مؤلفاتهم ، نسبة الى نهرسالادو المتاخم لبلدة طريف جنوبي الاندلس .

وما اضافه الى هذا القصر ، مثل باب الشريعة (1) ، وبهو السفراء (2) ، والحمامات السلطانية (3) ، مما لا يزال — حتى يومنا هذا — شاهد صدق على الروح السامية ، المنطلقة فى آفاق الجمال .. لما انفرد به هذا القصر الخالد من زخارف خطية ، ونقوش ذات هندسة ابداعية ، فى سحر اخاذ ، وجمال فتان ..

الجانــــب العلمـــــي :

ويتضح من هذا تشجيع ابي الحجاج للحركـــــة العلمية وتشييده المدارس الثقافية بالمملكـــــة ، وفى مقدمتها جامعة غرناطة او « المدرسة اليوسفية » (4) ، وذلك على يد حاجبه ابي النعيم رضوان النصري عام 750 هـ / 1349 م ، ثم ما كان من رصد الاوقاف المغلة عليها ، رغبة منه فى اعلاء شأنها ، ومساعدة قصادها من العلماء والطلاب على ان يردوا منهل العلم فى يسر ورخاء ، حتى لقد كانت جامعة غرناطة تحاول استعادة مكانة جامعة قرطبة الاموية .

كذلك راينا هذا الملك الاديب يفسح المجال فى بلاطه لجهابذة العلم والادب ، ويأخذ بيدهم الى منصب رئاسة الديوان او الوزارة ، مقربا اياهم فى مجلسه ، باذلا الخلع والمنح — على المجودين منهم — فى شتى المناسبات ، حتى لهجت السنتهم بذكره ، وتناولتــــه اقلامهم بالحمد والثناء (5) .

وبالجملة ، فقد بلغت الحركة الفكرية والادبية ذروة ازدهارها فى مملكة غرناطة على عصر السلطان ابي الحجاج يوسف الاول .

لقد برز من اقطاب المعرفة والكتابة والشعر فى هذه الفترة عدد جم ، أمثال ابن الخطيب ، وابــــن الجياب ، وابن زمرك ، صاحب القصائد المنقوشة فى ابهاء الحمراء ، وابن الحكيم الرندي ، وابن خاتمـــة الانصاري ، ومن اليهم .

واذا كانت الحركة الفكرية الادبية بالاندلس خلال المائتين والخمسين عاما التي عاشتها مملكة غرناطة قد مرت بأطوار ثلاثة : طور التكوين ، وطور النضوج ، وطور الانحلال ، فان عصر السلطان ابي الحجاج يمثل الطور الثاني ، الذي أشرق ابان عصر شقيقه — قبله — السلطان محمد الرابع ، وبقي متلالا الى عصر ابنه — من بعده — السلطان الغني بالله محمد الخامس (755 — 760 هـ / 1354 — 1359) ثم (762 — 793 هـ / 1361 — 1392 م) .

الجانــــب الادبـــــي :

يعتبر يوسف الاول رائد هذه النهضة الادبية التي سادت الاندلس يومئذ ، فقد رعى روادها من الادبـــاء والشعراء والكتاب ، كما كانت روحه الشاعرية تفيض من حين الى حين ، بما يوجبه الخاطر ، استجابة لموقف يستدعي القول ، او تلبية لذات نفسه والهامها ...

بيد انه — للاسف — لم ينته الينا حتى اليــــوم شيء من شعر هذا السلطان ، بالرغم مما عرف به فى هذا الميدان ، فقد تحدث عن ابي الحجاج — كشاعر — كل من وزيره ابن الخطيب فى بعض مؤلفاته الادبيـــة كالاحاطة مثلا ، ثم المؤرخ ابن حجر العسقلاني ، فى

---

1) هو المدخل الرئيسي للحمراء ، عبارة عن بوابة عربية هائلة ، يبلغ ارتفاعها نحو خمسة عشر مترا ، وعقدها الزخرفي كحدوة الفرس ، قد نقش عليها اثر خطي تعريفا بمنشئها (يوسف الاول) ، وتاريخ انشائها وهو شهر ربيع الاول 749 هـ (1348م)

2) احد ابهاء الحمراء الرئيسية، مساحته ثمانية عشرمترا طولا ، واحد عشر مترا عرضا ، وينتهي كل من طرفي البهو بسبعة عقود ، ترتكز على عمد مرمرية ، وللبهو قبة فخمة يبلغ ارتفاعها حوالي ثلاثــة وعشرين مترا ، قد زخرفت على طراز النجوم ،ويعلو البهو برج قمارش الشامخ .

3) تعتبر هذه الحمامات قطعة فنية اندلسية رائعة ،وهي ثلاثة اقسام : الاستراحة ، والغرفة الدافئــة ، والغرفة الساخنة . ولها موقد سفلي وماسوران فى الجدران ، بالاضافة الى ماسورة خاصة لنشر العطر فى الحمام . اما الاحواض فبعضها للماء البـــاردوبعضها للساخن ، والقبة ذات فتحات نجمية مـــن الزجاج السميك .

4) كانت تقع المدرسة فى درب ضيق يحاذي شارع الملكين الكاثوليكين بغرناطة . بيد ان المبنى القديم قد أزيل منذ القرن 18 م ، ولم يتبق منها الان سوىمحراب مسجدها ذي النقوش والزخارف الخطية . اما بقية المبنى فقد حولته بلدية غرناطة الى مقر ادارة المهرجانات الموسيقية العالمية ، التي تقام بهـــذه المدينة فى رحاب الحمراء من كل عام .

5) اللمحة البدرية ص 100 .

أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين

سلا - الرباط

للأستاذ عبد الله الجراري

من بين مؤلفات الكاتب الاستاذ عبد الله الجـراري ـ كتـاب : « أعـلام الفكـر المعاصر ـ بالعدوتين ـ الرباط وسـلا ... »
وقـد اقترح بعض الاخـوان علىالاستاذ الجراري أن يضع لهـذا المؤلف مقدمة ـ كتعريف به وبرجاله ـ فى عرض لمراحل التعليم قديما وحديثا ـ طلب منه نشرها على حدة ، وبالفعل مثلت للطبـع وفى الايام القريبة ستطلـع .
ودونك ايها القاريء فاتحتها اولا ، ونموذجا مصغرا من محتوياتها ثانيا :

بسم الله الذي لا يستعان الا بـه

والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله

وبعد ما اتممت تأليفي : من اعلام الفكر المعاصـر بالعدوتين ـ الرباط وسلا ـ اقترح علي ان اضع عليـه مقدمة وفعلا لبيت الاقتراح وكتبت المقدمة راغبـا ان تكشف ما انطوت عليه الدراسات فى عهودها العتيقـة من الكتاب ومراحله ، الى المسجد (المدرسة الاولى) وما لعبه كل منهما فى تعليم وتهذيب النشء عبرالتاريخ ، الى ان فاجأ الاستعمار البلاد ، واندفع يؤسس المـدارس والمعاهد ، واضعا برامجه ومناهجه المنبثقة عن غايات تبشيرية خطيرة فى مقدمتها اضعاف اللغة العربيـة ووضع حصة ضئيلة منها فى برامجها كخيال وتمويـه تستهوي بها بسطاء العقول من المواطنين للاقبال على تعليمها ، والتسابق على مقاعد مدارسها الجديـدة ، ورغم ما كانت تقوم به من مرغبات ودعوات بوساطـة عملائها كـان الناس يحاربونها ويقاطعون من دفـع بأبنائه فى جحيمها . هذا فى المدن اما فى القرى والبوادي فكانت السلطة ترغم رجال القبيلة من قـواد وشيوخ ومقدمين وباقي السكان على حشر ابنائهم فى معاهدها الاستعمارية لحد سجنت معه بعض المتمنعيـن مـن ادخال اولادهم اليهـا .

واذ راى الواعون من ابناء المغرب خطورة الموقف وحراجة المـآل على مستقبل الاولاد ـ فكروا فى وضع تعليم يحفظ عليهم لغتهم ومبادئهم وينقذهـم فى ذات الوقت من سموم المدرسة الجديدة ـ فكانت النتيجـة وضع تعليم حر يصطبغ بصبغة الجـدة فى تنظيمـه وبرامجه مع الحفاظ على مقومات اللغة والدين كل هذا تحت ستار الكتاب القرآني والسير به نحو تطويـر يرفعه الى مكان يضمن تثقيف المنخرطين فى صفوفـه ولكن فى حذر اذ كان الاستعمار يرصده فى رقابة صارمة لحد كان لا يطيق معه سماع كلمة مدرسة ان هـو الا المسيد بكل ما له وما عليه ـ كما سيراه القاريء داخل المقـدمـة .

ولكن ما بعد الشدة الا الفرج فقد شاءت الاقدار ان يعتلي عرش المغرب بطل من ابطال الدولة العلويـة ـ هو المغفور له محمد الخامس الذي كانت فرنسا ترى فيه ساعدها القوي فيما وضعت وتضع من خطط ، وتنشده من اطماع واهداف طالما حاكها الساسة من رجالها ، بيد انها ظنون باءت بالخيبة اذ اصبح العاهل مع شعبه

وينوه ابن الخطيب مؤرخ العصر بتلك المنشئات الحربية فيقول : « .. وبنى (ابو الحجاج) من الابراج المنيعة فى مثالم الثغور وروابي مطالعها المنذرة ، ما ينيف على اربعين برجا ، فهي ماثلة كالنجوم ، ما بين البحر الشرقي (الابيض المتوسط) من ثغر البيرة الى الاحواز الغربية » (1) .

اما الزراعة والتجارة فى عصر يوسف فقد بلغت شأوا عظيما ، وكانت لغرناطة علاقات تجارية بكثير من الدول ، وفى كتاب ابن الخطيب « معيار الاختيار ، فى وصف المعاهد والديار » (انظر مشاهدات ابن الخطيب فى بلاد الاندلس والمغرب . تحقيق د . العبادي 1958 م) اشادة بالرخاء الذي عم الاندلس على عهد هذا الملك خاصة .

الوباء الهائل

هذا ، وتجدر الاشارة الى هذا الحدث — غير السياسي — فى عصر السلطان، الا وهو الوباء الخطير، ونكبته المروعة ، التي اجتاحت مطنقة حوض البحر المتوسط يومئذ (749 — 750 هـ / 1347 — 1348 م) فقد سقطت جمهرة عظيمة من الاندلسيين بسببه . فى مقدمتهم المشاهير من رجالات السياسة والادب والعلم ، امثال الرئيس أبي الحسن علي بن الجياب ، رئيس ديوان الانشاء فى بلاط أبي الحجاج هذا ، وقاضي الجماعة الشيخ أحمد بن محمد بن برطال فى هذا العهد ايضا ، الذي تحدث عنه ابن الخطيب فى احاطته ، ذاكرا انه « توفى — رحمه الله ، وعفا عنه — أيام الطاعون الغريب بمالقة ، فى منتصف ليلة الجمعة خامس صفر من عام خمسين وسبعمائة (14 يناير عام 1349) ، وخرجت جنازته فى اليوم التالي لوفاته ، فى ركب من الاموات يناهز الالف ، وينيف بمائتين ، واستمر ذلك مدة (2) » .

وقد ارخ الوزير المعاصر لسان الدين ابن الخطيب لهذه الكارثة ، وكتب عنها رسالة خاصة ، أسماها : « مقنعة السائل عن المرض الهائل » ، وصف فيها ظهور المرض وملابساته ، وكيف انتشر بصورة مروعة على أوسع نطاق بالبلاد الاندلسية ، كما تحدث عن عوارض هذا الوباء ، وسبل التوقي منه ، وكيفية علاجه ، وانهى الرسالة بدعاء واستغاثة بالله من شره .. (3) .

كذلك تحدث عن هذا المرض شاعر المرية الكبير « احمد بن علي بن محمد ابن خاتمة الانصاري » (724 — 770 هـ) — بعد ان عصف الوباء نفسه بثغر المرية — فى رسالة خاصة ، اسماها : « تحصيل غرض القاصد، فى تفصيل المرض الوافد (4) .

ماساته

قضى السلطان أبو الحجاج يوم العيد الاصغر فى مسجد الحمراء بيد مخبول مجهول القدر والصفة ، عاجله بطعنة نافذة ، بعد ان هجم عليه وهو ساجد ، اثناء ادائه سنة عيد الفطر من عام 755 هـ / 19 اكتوبر عام 1354 م ، ولم يتجاوز عمره السابعة والثلاثين الا بأشهر قلائل ، رحمه الله .

اولاده

كان له من الابناء محمد وعائشة من حظيته بثينة واسماعيل وقيس وفاطمة ومؤمنة وخديجة وشمس وزينب من حظيته مريم ، واكبر الذكور محمد ، يليه اسماعيل ، واصغرهم قيس .

وقد تولى الملك من الابناء — فور مصرع أبي الحجاج — كبيرهم محمد الخامس المكنى بأبي عبد الله، والمعروف بالغني بالله ، وذلك حتى عام 760 هـ (1359 م) ثم ثار عليه اخوه اسماعيل الثاني ، الذي نودي به ملكا حتى عام 762 هـ (1361 م) حيث استرد محمد الخامس ملكه من جديد ، وبقي متربعا على العرش حتى توفى عام 793 هـ (1392 م) .

اما قيس — اصغر اولاد أبي الحجاج — فقد مات مقتولا .

القاهرة : محمد كمال شبانة

---

1) الاحاطة ج 1 ص 517 « عنان » .
2) ابن الخطيب « الاحاطة » ج 1 ص 247 ، 267 ط « عنان » .
3) توجد هذه المخطوطة فى مكتبة الاسكوريال بمدريد ، ضمن مجموعة خطية ، وتقع فى عشر لوحات فقط (فهرست الغزيري 1780) . وقد قامت « مجلة اكاديمية العلوم البافارية الالمانية » بتحقيق هذه الرسالة ، وترجمتها الى الالمانية عام 1863 م .
4) ما زالت هذه الرسالة لم تنشر ، وهي من مخطوطات الاسكوريال ايضا ، ضمن نفس المجموعة الخطية المذكورة (الغزيري 1780) .

ـ ان ياتي كل واحد ببيضة (1) وحامضة ـ ليمونة ـ وقدر من النقود لتزوق لوحته التي يدرس بها القرآن، او ياتي بورق سميك لهذه الغاية ، ثم يشرع الفقيه في تهيىء ادوات العمل الفنـــي ، فيحضر الورق الابيض الجيد الذي يلصق بالالواح او ما يقوم مقامها ، كمـــا يحضر الالوان (الاصباغ) احمـــر واصفر واخضـــر وازرق ـ لتحل فى دوايا خاصة ذات عيون تبلغ الواحدة احيانا العشرة او تزيد ـ كل لون يوضع فى عين وتعرف هذه الدواة بـ « المجمع » يصنع من فخار بمعمـــل الفخارة ويطلى بطلاء أزرق كانه مقور (2) يعطيه رونقا مع تزويق وترخيم جوانبه ونقشهـــا ، وتحضر كذلك مساطر واقلام ـ كالمسطار (بكـــار) المعروف عنـــدنا بـ (الدبـــد) .

وبعد ايجاد هذه الادوات وتهييئها ـ يشـــرع كبار التلاميذ فى العمل فيبداون بتجليد بعض الالـــواح بالورق ، واثر جفافها .. ياخذون فى الرسم بالمسطـــار او (الدبد) واضعين عليها اشكالا بديعة من التراخيـم والترويق الرقيق ـ البسيط منـــه والمركب حسب مقدرة الرسام وباعه فى الفن ، بل وابتغاء صاحب اللوح وطلبه ، اذ هناك انواع من الرسم ـ منها نوع يسمـــى القصبة ـ وهو عبارة عن رسم يحتوي اعمدة فى طـــول الى علو على صورة ـ مخروط ـ هندسي . ومنهـــا المربع الذي ترقم جوانبه بتراخيم هندسية بداخلهـــا بلاليط وتعاريج فنية جذابة .

وفي هذه الاثناء يكـــون بعض التلاميـــذ ازاء الرسامين قصد الاقتبـــاس منهم والاخـــذ عنهـــم مايستطيعون الوصول اليه من فن الرسم الذي لـــه مزيته فى شحذ الاذهان واذكاء العقول .

اثر هذا يأتي دور التلوين وتناسب الالوان بعضها مع بعض فى الوضع والتنسيق حيث تجذب النظـــر وتلفته الى تنسيقها وترتيبها .

في هذا الوقت ـ يكلف الرسامون بعض التلاميذ بمساعدتهم على التلوين ، ويصبحون وقتئذ كمدربيـــن على الفن يتمرنون عليه بتلوين الالواح المعبر عنهـــا في اصطلاح الكتاب بن « التعمار » بل منهم مـــن يحمـــل المسطار (الدبد) بمجرد مشاهدته تسطير لوحـــة او لوحتين ، ويجعل يرسم رسما قد لايفرق بينه وبيـــن رسم ـ الكبار من التلاميذ .

لـــذا تكون هذه الفترة من السنة التي تصادف شهر رمضان ـ فترة ملحوظة فى الكتاب العتيـــق ـ تساعد التلاميذ على التدرج الى ميدان الفن ، والفـــن الجميل الـــذي يذكـــي فيهم روح التريث والترتيب والتنظيم ووضع الاشياء فى نصاب ونسق رتيب ؛ وغير خاف ما للفن اليوم من عنايـــة واعتباز فى النفـــوس والهيآت والمتاحف ، مما اصبح له ابطال عالميون بمـــا سطروه من الواح زيتية فنية نالت الاعجاب والتشجيع المشرف حيث يحصل رساموها على جوائـــز قيمـــة واحيانا تشترى باثمان باهظة لتعلق فى صدور الحجرات والقاعات رغبة فى ان تكون امام الانظار والعيون تتملى من لحظة لاخرى بالنظر اليهـــا .

لهذا يكون تلاميذ المكتب العتيق استيقظوا قبل سباقين الى ميدان الفن مقدرين قيمتـــه ومزيتـــه ، ومعبرين عنه بريشتهم احسن تعبير قبل ان يدرج في حابته ابناء العصر الجديد ، وتظهر به المدرسة الحديثة كشيء مبتكـــر غريب .

وعندما تكاد عمليات الفن تشرف على الانتهـــاء ـ يطلب مدير المكتب ومسيره من التلاميذ : « حـــق اللوحة » للا بيض ، وفكها ليحملها الى منزله يوم ستة وعشرين رمضان (ليلة القدر المباركة) ـ وحق العيد المعروف ـ بحق لعواشر ـ وعشية اليوم يطلق سراح التلاميذ حيث يقضون آخر رمضان وسبعة أيام مـــن شوال ـ فى راحة هي عطلة العيد .

ومما جرت به عادة الاطفال ـ انهم ينشدون على لوحهم المزوق نشيدا طال العهد به ، وقد لا يعرفـــه ويسمع به النشء الجديد اليوم : « لال بيـــض بيـــض واعطن وحد البيض باش نزوق لوح لـــوح عنـــد الطالب الخ

نشيد ماحون يشيد باللـــوح المزخرف والفـــن بالطبع ـ فى توحيد وايمان ببعض السمعيات كالجنة ، والتضرع اليه تعلى فى تحقيق المنـــى والرجـــاء اللذين يعدان فى مقدمة رغائب المؤمن المسلـــم .

الرباط ـ عبد الله الجراري

---

1) البيضة وما معها لا دخل لها فى الادوات وانما هي للمعلم خاصة فى رمضان الذي لابد فيه عـــادة مـــن الحريرة وهي لاتستغنى فى خليطها غالبا عن البيض،وماء الليمون تحسينا يضفي عليها لذة طيبة .

2) المقور كمعظم المطلى بالقطران .

الوفي يدا في يد لايفكر كالكتلة الحرة وراءه الا في صالح الامة ، والسير بها الى ما يتفق وكرامتها ـ فاتجه اول ما اتجه الى نشر العلم وفتح معاهده في اطراف المغرب جنوبا وشمالا شرقا وغربا . فكنت لاتسمع الا حجرا اساسيا يوضع لمعهد هنا أو مدرسة تفتح هناك ، هكذا والحماس ينمو في النفوس ـ وجذوة التحرر تتاجج في الشرايين مندفعة عن طواعية للبذل في سخاء وتنافس ، وعم التعليم الجنسين ـ فتية وفتيات على حيطة اتخذت حول تعليم الفتاة رغم ما كان يلاقيه تعليمها من معارضة ، على انه ـ كانت بالمغرب منذ عصور بعيدة الى تاريخنا المعاصر دور لتعليم البنات تعليما بسيطا لا يكاد يعدو رفع الامية في بساطة مع حفظ سور من الذكر الحكيم . كما كانت دور لتعليم بعض الصناعات اليدوية من خياطة وطرز وما يمت اليهما بصلة مما لا يسمح للفتاة كربة بيت ينتظرها ان تجهله .

نعم فاجأها التعليم الجديد وانغمرت في معاهده كأخيها الفتى رغم الاشواك التي كانت تعترضها في الطريق .

تم فكر الشعب في نقطة حيوية هامة هي الخروج من الامية البغيضة فقام يعالج المشكل ويقاومه خصوصا من فاتهم التعليم ابان الشباب لعارض يتم أو فقر فأخذوا يسترجعون ما ضاع في حسرة وندم ـ سالكين في هذا التعليم ما خطته الشعوب الاخرى في تصميماتها من طرق المقاومة ، غير ان قوة الاستعمار الغاشمة كانت تحول دون هذا التعليم وتسعى بكل جهودها لاقباره في مهده كما سنرى ذلك بعد .

وجاء الاستقلال بعد كفاح مرير كان في حظيرته ابعاد المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه هو واسرته الكريمة الى منفى سحيق (مدغشقر) بيد انها محنة فاتنة (تنطبق عليها الحكمة الماثورة « كم من نقمة في طيها نعمة » فتجدد الحماس في النفوس وقويت حساسية المغامرة في يقظة واعية لحد التضحية فقام الشعب المغربي يكافح ويطالب بالتحرر وعود صاحب العرش الى عرشه مستميتا الى النهاية ، فلم يلبث ان عاد المبعد رحمة الله عليه حاملا راية النصر والتحرير ، واستانف الرسالة من جديد في حيوية انشط واجدى ـ مرددا في غير ما فرصة : « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » (1) ولافتا نظره السديد نحو سائر المرافق الجديرة بالاهتمام ـ اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا ـ خاصة منها المعرفة ومحاربة الجهل المتفشي في الاوساط مكملا رسالته الخالدة التي كانت هجيراه منذ اعتلائه على عرش اسلافه المنعمين . كما تكفلت المقدمة ببسط ما امكن من مراحل ايجابية في تسلسل موجز ومشوق يبعث على ترقب ما ضمه الاصل من اعلام الفكر بالعاصمة ـ وشقيقتها سلا ـ راجيا من الله تعلى التوفيق .

المؤلف

ثانيا : الكتاب القرآني اثناء رمضان :

يتقمص المكتب القرآني ايام رمضان حالة جديدة غير ما كان عليه قبل ـ فكبار التلاميذ يضعون الالواح (يعلقونها كما يقولون) وفعلا تعلق في مسامير خاصة يسلك فيها عود من خشب معوج الطرف كالمحجن يحمل ما شاء الله من الواح . ثم يأخذون في دراسة القرآن الكريم وتكراره متهيئين لاداء التراويح في اختلاف المساجد . وحتى الصغار الذين استظهروا حصة من الكتاب يدربون بنفس « المسيد » على اداء التراويح بما معهم من محفوظ ، وبين العشاءين يصحبهم المعلم الى المسجد الذي يؤم فيه كامام راتب او يؤدي فيه التراويح ايام رمضان ، ويقدمهم بعد صلاة العشاء لاداء التراويح بالمصلين ـ بحزب او نصفه ، فاذا فرغ تقدم آخر برعاية المعلم ، وقد يحضر ابو الطفل او وليه رغبة في رؤية ابنه أو قريبه يستظهر آيا من الكتاب العزيز وقد تقدم للتراويح بها وخلفه جماعة من المصلين ـ انها وايم الله لخصلة حميدة يمرن الصغار بها اداء الصلوات وتمكنها من انفسهم ـ

« فصادف قلبا خاليا فتمكنا »

ومن مظاهر رمضان التي تلفت النظر اكثر ، ويصبح « المسيد » معها ـ مدرسة فنية تعنى بالرسم وتهيىء تلاميذ ـ لما عرف بـ « للا بيض » فتوقف الواح الدراسة كما اشير اليه قبل ويامر المعلم الصغار

1) قالوا وما الجهاد الاكبر ؟ قال : جهاد القلب ، قال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس هو مشهور على الالسنة ، وهو من كلام ابراهيم بن علية انتهى انظر الجزء الاول من كشف الخفا ص 424 .

العربي المعاصر في الشمال الافريقي » للكتاني ، « فهذه مصر نرى اتجاهها الادبي يسير نحو هدم ما للعربية من آداب وفنون ، وجعل الادب الغربي هو الكل في الكل تفانيا في حب الجديد ، وتسترا باسم الاصلاح ، وتلك لبنان تسرع بخطى هوجاء نحو اللامذهبية الادبية ، وتندمج برعونة في قشور الادب الاجنبي (1) .

ثم ان الظاهرة التي تصحب هذا التاثر تتمثل في انه ياتي متاخرا ، بمعنى ان بعض المدارس الادبية قد تظهر بالشرق ، في حين نجد ان ادباءنا ما زالوا يدورون في فلك المدرسة التي ظهرت قبلها ، وأنا هنا اعني الاتجاه الغالب ، والا قد لا نعدم بعض المبادرات الا انها لا تعد شيئا اذا قوبلت بالاتجاه العام ، كما انني اعني في نفس الوقت التاثر في المستوى الذي يجنح الى الجودة . ونستطيع ان ناخذ كمثال على تاخر الاستجابة قضية الشعر الحر ، ولا نعدم امثلة اخرى من مختلف الفترات السابقة .

كان لابد من هذه المقدمة لنؤكد حقيقة واقعة لن يعمينا التعصب عن انكارها ، وليس من الانصاف الحقيقة نحمل البراهين لاثبات عكسها ، واذا كنا لا نساق هاهنا وراء التشعب في تعليلها ، فاننا لا ننسى ذلك التعليل البسيط الذي يتمثل في ان وطننا يقع في بقعة اعتبرت احقابا طويلة في نهاية المعمور ، بعيدا عن مراكز الحضارات القديمة ، فكان اجدادنا في مختلف العصور يترقبون الطارق ، وكل طارق ياتي بجديد . ومن هذا الجديد ما وقع الاقبال عليه واحتضن احتضانا ، ثم وقع النسج على منواله ليس في المجال الادبي فحسب ، ولكن في مجال الحضارة بصفة عامة ، وليس من الشرق فقط ، ولكن من الشمال ايضا يوم كانت هناك اندلس اسلامية ، ومنها بصفة او اخرى يوم صارت مسيحية، ومن جارتها فرنسا بشكل اقوى منذ عهد الحماية ، ونتيجة الاحتكاك وبرامج التعليم على ذلك العهد .

فهل كان محتوما علينا ان نكون كذلك ، اي ان نكون قاصرين عن الابتكار ؟ ! ابتكار شيء جديد يحدو حذونا فيه هؤلاء وأولئك ، لقد ابتكروا هناك بالشرق فن المقامة ، وابتكر الاخرون بالشمال بالاندلس الاسلامية فن الموشحات ، وأولئك وهؤلاء فن الازجال ، فماذا ابتكرنا نحن من هذا القبيل ؟

واذا وجدنا هناك من مجال كنا احسن حالا فيه من هذه الناحية ، فليس هو الادب بحال من الاحوال ! ! والمجال امامنا فسيح للبحث في هذه الظاهرة من جوانب مختلفة ، يتطرق عالم الاجتماع الى الظواهر الاجتماعية عندنا اصولها ونتائجها وتطوراتها ، ويتطرق المهتم بالحضارة الى مختلف المظاهر الحضارية ، اصولها ونتائجها وتطوراتها كذلك ، ويتطرق الناقد الى الناحية الثقافية والادبية دون أن يكون في غنى عن ابحاث هذا وذاك ! !

اما في مجال القصة ، فاننا ظللنا زمنا ننتج فيما ننتج من ادب ــ وكما كان اشقاؤنا بالشرق ــ فنا ادبيا اقرب الى القصة هو المقامة ، الا اننا لم نستطع طيلة الربع الاول من هذا القرن ان نطور هذه المقامة وندخل عليها عنصري التحليل والنقد الاجتماعي كما فعل اشقاؤنا بالشرق .

فنحن نقرا مثلا : « المقامة المكناسية » للاديب المرحوم محمد غريط دون ان نجد فيها من التحليل والنقد الاجتماعي ما نجده في « حديث عيسى بن هشام » للمويلحي ، و « ليالي سطيح » لحافظ ابراهيم ، و « ليالي الروح الحائر » لمحمد لطفي جمعة. على الرغم من انها تعتمد كلها اسلوب السجع.

فالمقامة المكناسية وصف لرحلة قصيرة قام بها بطل المقامة « المتجول بن السائح » الى مكناسة . ــ والراوي هنا بدون اسم ــ فوصف هناك ما راى من بعض المآثر التاريخية ، وبعض المظاهر العمرانية الحديثة ، وقد يثير في نفسه بعض ما رآه من بعض المشاهد والذكريات ، فساحة (الهديم) « حيث القياطين والموازين المرفوعة ، والبضائع الموضوعة » تذكر بطل المقامة ــ ولا يخال الا الكاتب نفسه ــ بـ « جامع الفناء » من مراكش الحمراء « حيث الصبا متوقد اشهابه ، والهوى منفتحا بابه ، والعيش رائقا شرابه » ومروره بدار ببعض الاحياء بمكناس يذكره ببعض ذكريات صباه بهذه المدينة ، « ووقفت بدار كنت بها امرح ، واؤلف متون اللعب واشرح ، وانا بما دون سبعة اعوام لا اصيخ لعتاب ولا لملام ، فكنت أرى الدرهم دينارا ، والعصا مكحلة تقذف نارا ، والقصبة حصانا ، والسطح ميدانا ، والصبابة حوضا ، ومغرس التمامة روضا ، ولا أرى غير المربية

---

1) نفس المجلة ، عدد 15 ، السنة الثانية .



هناك حقيقة تواجه الدارس للادب المغربي بصفة عامة ، وهي انه غالبا ما ترسم خطى الادب بالمشرق ، وقد كان ذلك منذ العصور الاولى التي عـرف فيها المغرب والاندلس الاسـلام واللغة العربيـة ، بفضل الفتوحات العربية ، وكان الامر كذلك منذ انبثاق عصر النهضة الادبية بالمشرق .

ففي ميدان الشعـر لا يمارى احـد فيمـا كان لشعراء الشرق من تأثير على الشعراء المغاربة ، كما لا تعزب عنا مختلف الاصداء التي كانت تتردد هنا لمختلف المدارس الشعرية هناك ، وفي ميدان المقالـة كذلـك ، ولعله الميدان الذي نستطيع القول بأنـه يتوفـر على نتاج ضخم يجنح الى الجودة في غالبه .

اما في مجال القصة ـ وكما هو الامر في المقالـة ايضا ـ فان هذا التأثير كان يصحبه تأثير آخر ليس مصدره الشرق ، ولكن اوربا وفرنسا بصفة خاصة ، على انه ان كان مباشرا عند البعض ، فلقد كان عنـد البعض الاخر بصورة غير مباشرة ، وعن طريق الشرق نفسه انتاجا او ترجمة . وقد انفتحت امامـه آفاق ادبية جديدة ، فهب ادباؤه يتمثلـون هـذه الآفـاق وينتزعون الى التأثر بها .

لقد كان هناك تأثر اذن ، على الرغـم ممـا كان يدعو اليه بعض الادباء المغاربة ، فهذا الاستاذ الطريس يقول في بعض مقالاته المتسلسلة تحت عنوان : « الحياة الادبية ببلادنا » والمنشورة بمجلة « المغرب الجديد(1) » « فليس من المتعين علينا ان نتبع الشرق ولا الغرب، وليس من حظنا ان نتكلف في اختيار نوع التعبير عن عواطفنا » .

وهذا الاستاذ الناصري يقول في بعض مقالاته: « ... أما من يفكر بعقل مغربي ، ويحس باحساس مغربي ، وينظر الى الاشياء كلها بعين مغربية صافية ، ويتسلح بكل الثقافـات دون ان تفنـى شخصيتـه الخاصة في واحدة منها ، فذلك ما لا يزال قليل العدد في هذا البلد (2) » .

ويقول الدكتور تقي الدين الهلالـي في مقـال : « في سبيل الدفاع عن الكرامة القومية » .

« والمقصود هنا دعوة اهل وطني الى الاقتصاد في مدح آداب غيرهم ، واحتقار آدابهم وحثهـم على ترك التقليد (3) » ومثل ذلك قاله آخرون مع اختلاف في اللهجة اعتدالا او تطرفا ، كما جاء في مقال « الادب

---

1) العـدد 13 السنـة الثـانيـة .
2) نفس المجلد ـ العـدد 11 ، السنـة الثانيـة
3) المغرب الجديـد عـدد 14 السنـة الثانيـة .

وفى قصة « الفقيه البركة » تتضح لنا خطة الكاتب فى النقد الاجتماعي حيث يصف هنا نوعا آخر من الناس اتخذ اسلوب التدجيل لنيل الحظوة والاحترام ، وشخصية الفقيه البركة ترمز لهذا الصنف من النصابين .

واذا كان الكاتب قد استطاعفى «خابية لا تمتلىء» التخلص من اسلوب المقامة ، فهو هنا وفى قصة « صاحبنا » لم يستطع التخلص منه نهائيا ، وربما كان يقصد الى ذلك قصدا حتى يستطيع ان يفرق شخصية قصته فى لجة من السخرية على طريقة الجاحظ وصنيعه فى « رسالة التربيع والتدوير » مع ابن عبد الوهاب ، « وقيل عنه : ان أقل ما يحسنه احالة الذكر الى انثى ، والانثى الى ذكر ، والماء الى حجر، والحبل الى ثعبان، والتراب الى ذهب رنان .. »

ومثل ذلك يقال فى قصة « صاحبنا » التي تصف ضربا آخر من النصابين ، ويمكن القول بان قصتي « خابية لا تمتليء » و « وفاء لفاس ووفاء للحب » تمثلان اكتمال الفن القصصي عند الكاتب فى شكله الحديث ، حيث استطاع التخلص فيهما من اسلوب المقامة نهائيا، دون ان يخرج فيهما معا عن غرض النقد الاجتماعي الا انه فى هاتين القصتين لا يلجأ الى طريقة التهويل والتشويه ، وانما يكتفي ببعض اللذاعات الساخرة على طريقة القصاص الروسي دستوفسكي .

(يتبع)

الرباط : محمد الامري

— حزم —

قال الجاحظ :

قال رجل بخيل لغلامه : هات الطعام واغلق الباب ، فقال هذا خطأ ؛ بل اقول : اغلق الباب وءات بالطعام ، فقال له الرجل:انت حر لعلمك بالحزم .

والمعلم من الانام عدوا جافيا ، ولا غير الاربعاء والخميس حبيبا وافيا (1) » .

فاذا استثنينا السابقتين وفيهما بعض التحليل والنقد ، « شعور الطفل نحو مربيته ومعلمه ، وفرحه ليومي العطلة » لا نجد في باقي المقامة الا وصفا هو على دقته لا يرقى التحليل النقدي ، ولا يخلو من جمال في الاسلوب على طريقة مدرسة السجع .

على ان نوعا آخر من القصة ظهر خلال العقد الثالث من هذا القرن هو القصة التاريخية ، ولا نشك في ان هذا النوع من القصص ظهر عندنا نتيجة شيوعه بالشرق ، في كثير من الصحف والمجلات او في بعض الكتب الخاصة . لقصاصين من مثل جرجي زيدان ، ونقولا حداد ، وفرح انطون ، ويعقوب صروف ، وشكيب الجابري وغيرهم . ونستطيع ان نسوق على سبيل المثال قصة « ذكرى المولد النبوي الشريف في قصر البديع » للاديب المرحوم الحاج محمد بنونة ، في القسم الثاني (2) . لان القسم الاول كان وصفا للقصر حسب روايات المؤرخين ، مع التذكير بانه سيتناول موضوع الاحتفال بذكرى المولد النبوي بهذا القصر « بهذه الصورة البسيطة : صورة العرض الساذج البعيد كل البعد عن اسلوب البحث العلمي ، وهي طريقة فيها تمتع بدون لغوب ، وفيها لذة لا تضني الفكر » .

ويلفت نظرنا في القصة — على الرغم من ان صاحبها لم يطلق عليها هذا الاسم — اختفاء اسلوب السجع — الا لماما — ليحل محله الاسلوب السردي الرشيق ، الحافل بالتصوير الدقيق ، والخيال الرائق الجميل ، ولا يخلو من تشويق لذيذ ، وهناك قصة : « مؤامرة على شاعر تديرها امراة (3) » لكاتب مجهول امضاها ب « ابن المقفع » ، وفي هذه القصة يدخل عنصر آخر هو عنصر الحوار ، ويعتمد احيانا على قال ... وقالت ... ويخلو منهما احيانا اخرى، كما ان القصة — ويبدو انها معتمدة على بعض النوادر الواردة في كتاب الاغاني — لا تخلو من عقدة .

وفي هذه الفترة ظهرت القصة الاجتماعية التي يعد الاستاذ عبد الخالق الطريس من اول من طرقها، فهو في قصته « فاطمة » يخرج بالقصة المغربية الى المجال الفسيح الذي انفتحت آفاقه امام القصة العربية على العموم .

فاذا انتقلنا الى الفترة الثانية ، وتمتد من بداية العقد الرابع الى بزوغ الاستقلال لاحظنا ان القصة اخذت تحتل مكانتها في الصحف والمجلات المغربية ، ولا يكاد يخلو عدد منها من قصة موضوعة او مترجمة، على ان أبرز قصاصي هذه الفترة هم الادباء : احمد بناني ، وعبد الرحمن الفاسي ، وعبد الهادي الشرايبي، وعبد القادر بن الهاشمي ، واحمد الزغاري ، وعبد الله ابراهيم ، وقاسم الزهيري ، والفنان المرحوم عبد الكريم بن ثابت ، وعبد المجيد بن جلون ، وعبد الكريم غلاب ، وعبد العزيز بن عبد الله ، واحمد زياد ، وعلى الرغم من التفاوت الموجود بين هؤلاء سواء من حيث غزارة الانتاج القصصي او قلته ، وطريقة العرض والاسلوب فان هؤلاء أبرز من يمثل هذه الفترة ، واذا كان هناك من قاسم مشترك بينهم فهو انتزاع موضوعات قصصهم من المجتمع او التاريخ المغربي ، فالكاتب احمد بناني في قصصه « خابية (4) لا تمتلىء » و « وفاء لفاس (5) ووفاء للحب » و « الفقيه البركة » و « صاحبنا (6) » يغلب عليه روح النقد الاجتماعي في اسلوب لا يخلو من سخرية لاذعة تذكر بالجاحظ من ادباء العربية ، ففي « خابية لا تمتلىء » تراه يذكر بعض الأساليب التي يلجأ اليها باعة التحف الاثرية لحمل السياح على الشراء ، وهي اساليب في معظمها غير شريفة ، الا انها على الرغم من تنوع النماذج التي ساقها الكاتب في هذه القصة لم تثر اهتمام السائح الامريكي الذي كانت مهمته تنحصر في البحث عن جزيرة « الاطلاشيد » التي طواها المحيط ، وكان اهلها يجعلون حمقاهم في مارستان خاص ، ويكلفونهم بملء خوابي مثقوبة ، وهذا ما حفز المجلس العلمي الامريكي الى ايفاد العالم طوماس الى فاس عند ما بلغ الى علم المجلس وجود مارستان بهذه المدينة يكلف حمقاه بملء الخوابي المثقوبة ! ! .

---

1) مجلة النبوغ ج 1 سنة 1939 .
2) العدد 14 السنة الثانية من مجلة المغرب الجديد.
3) مجلة النبوغ المجلد الاول 1939 .
4) الثقافة المغربية ، غشت 1941 .
5) الثقافة المغربية شتنبر 1941 .
6) رسالة المغرب ، س 9 ، عدد 89 .

سابهم من العدو الرابض بالقرب منهم في المهدية المعمورة ، وما يتهددهم به من العز والكسح . فكتب التمنرتي رسالة (مفتوحة) في 25 جمادى الثانية عام 1025 الى جميع السوسيين يستنهض هممهم للجهاد والدفاع عن ذلك الجزء المهدد من الوطن ، مطلعهـا : « الحمد لله الذي قرن نصرة الدين باجتماع كلمتـه ، والف بين قلوب عباده المومنين في الذب عن حماه بعزته وحكمته ... » . وانشأ خطبة في تحريض المقاتليـن وبعث الحمية في نفوسهم ليخطب بها بعد تكامـل الجيوش التي استنفرها يحيى الحاحـي ، مطلعهـا : « الحمد لله الذي وعد المومنين النصـر والظهـور ، وجعله حقا عليه بمحض الفضل على مـرور الازمـان والدهور ... » . والرسالة والخطبة موجودتان في مخطوطة الفوائد الجمة ، فلا نطيل بهما .

وفي أوائل عام 1039 / 1629 اخذ الاسبانيـون يعدون – في تكتم – حملة كبرى للهجوم على المغـرب مثلما فعل البرتغاليون من قبل بقيـادة سبستيـان ، وجمعوا لذلك اسطولا قويا في مرسى مالقة يضـم 66 سفينة حربية ، واستنجدوا بالامم النصرانية الاخرى ليمدوهم بالرجال والعتاد والمؤونـة فيشنوها حربا صليبية لا تبقي ولا تذر . وكانوا يقصـدون النـزول بثغر سلا . وتسربت اخبار الحملـة الى التطوانييـن فكتبوا رسالة عجيبة في الصنعة الانشائية (سجعـا وتنميقا) آية في الشعور القومي والغيـرة الوطنيـة ، وبعثوا بها الى أهل فاس يستنفرونهم ويستنصرونهم . والرسالة غفل لم يذكر اسم منشئها ، وان كنت ارجح – لاسباب – أنها للامام العربـي ابن يوسف الفاسـي (المتوفى عام 1052 \ 62)) . وبعـث التطوانيـون برسائل مماثلة الى السلوييـن المعنييـن بالامر والـى غيرهم من ابطال المقاومة في مختلف انحاء البلاد المغربية وجاء في تلك الرسالة : « الى أجلة الشرفـاء والقضاة والفقهاء ، والخطباء والاعيان والنبهاء ، وحملة السيوف والاقلام ، وسائر الكافة من الخواص والعـوام ، مـن أهل الحضرة الفاسية المحروسة (...) وان مما وجب به اعلامكم ، ليعرف الى ما يجب اعتناؤكم واهتمامكم ، أن النصارى – دمرهم الله – تواترت الاخبـار لدينـا عنهم ان طاغيتهم الفائل الراي ، الخائب السعي ، قد وسوست اليه امنيته ، وانشبت اظفارها فيه بحول الله منيته ، ان يقصد بأسطوله هذه العدوة ، ولعله اتخـذ الخالي قبله قدوة . فاحتفل في جمع عمارة هي بحول الله من النصر فارغة ، وللمسلمين ان شاء الله تعالى غنيمة سائغة ، اشتملت الان على ستة وستين غرابـا دون السفائن التي بين الكبار والصغار ، والله يلبـس جميعهم الذلة والصغار . وهم الان بمرسى مالقـة – اعادها الله – ينتظرون ما يرد عليهم من امههـم من المدد ، ويتكامل لزيهم من العدد والعدد ، وقد استعدوا بكل وجه يقدرون عليه ، وتنتهي طاقتهم اليه ، من عدة القتال ، وآلة المحاصرة والنزال ، مما يحتاج للهـد والهدم ، والبناء والرم . وقد كانت هذه الامم الكافرة فيما سلف من السنين القريبة متنافرة ، فالان قـد الفتهم دعوة التثليث ، وتنادوا الى غزو الاسلام والله المغيث . ونحن نستعين على الثلاثة بالواحد ، ونضرب بالتوحيد وجه كل مثلث جاحد . وكل شيء ما خلا الله باطل ، وجيد محلى بغير التوحيد عاطـل . وغظم مـا يتوقع من عبورهم ، ونزولهم بثغورهم ، زلزلة سلا في البر والبحر ، والله يرفع ما يتوقى من هـذا الامـر . وان كان لذلك البلد من هذا الامر حظ التعصيـب ، فلكل ثغر بل بلد من ذلك سهم ونصيب ، على ان الاسلام يسلمه ولا يسلمه ، ومن مكر الماكر وغدر الغادر يحفظه ويعصمه ، وان اتسعت اقطاره ، وتناءت مدنه وامصاره جسد واحد ، ان اشتكى بعضه اشتكى كله ، ويؤلـم الجمع ما يؤلم المفرد كثره وقلـه . فكتبنـا الى تلـك الحضرة التي هي قاعدة الاسلام ، المحتوية على جملة من حماة السيوف والاقـلام ، والبلد الطيـب المخصوص بجزالة الاراء واصالة الاحلام ، من الاسد المسارعة الى نصرة دين النبي عليه الصـلاة والسـلام ، لتأخـذوا لفرض الواجب ما يستحقه من الاهبة ، وتتقربوا من ذلك الى الله تعالى بأعظم قربة، وتعرفوا بذلك من اليكم تعريفه من قبائل المسلمين واجنادها وانجادها ،وتبلغوا مبلغ الجد في استنفارها واستنجادهـا ، في اغوارهـا وانجادها . وليس يحتاج مثلكم ان يولج الى تحريض على الجهاد ، وحض على الجـد فيه والاجتهـاد ، فان وجوب ذلك كالشمس ليس لها حاجب ، وانتم اعرف الناس بالفرض والواجب . وقد عرفنا اهل هذه الثغور خصوصا اهل سلا ومن اليهم من الخاصة والجمهور . اما اخوانكم من هذا الثغر فعلى حال تسركم ان شـاء الله ، قد بذلوا المجهود في الاستعداد ، وبلغوا المقـدور في استجماع آلة الجهاد ، وقد جعلوه نصب اعينهـم ، وعمارة قلوبهم والسنتهـم ، تطير بهم اجنحة العـزم استباقا ، وتهزهم احاديث الجهـاد طربا واشتياقـا ، راجين احدى الحسنيين ، مؤملين النصـر من منـزل السكينة على جد الحسنيين ... » .

وكانت فاس آنـذاك – للأسـف – عبـارة عن مدينتين منفصلتين عدوة القرويين وعـدوة الاندلس



انعكاسات في أدب القرنين العاشر والحادي عشر

للأستاذ : محمد حجي

- 4 -

ولعبد الرحمن التمنارتي دالية مطولة (103 بيت) يتفجع فيها على تدهور الاحوال فى المغرب وعودة المسيحيين الى احتلال الثغور بعد ان مكنهم المامون السعدي من العرائش داعيا الى مقاومتهم ورد عاديتهم بل والى غزوهم فى عقر دارهم . وسلك فى هذه القصيدة مسلكا غريبا اذ مهد بذكر دول المغرب من الادارسة حتى السعديين مشيرا بصورة خاصة الى امجادهم وأهم معاركهم الظافرة ، مثيرا الحمية الوطنية فى بني قومه ليكونوا اباة اسيادا كأسلافهم . وبعد ان يفصل احداث الزلاقة والارك ووادي المخازن ، يلخص أعمال ملوك المغرب فى قوله :

فكم من ديون قد قضتها سيوفهم
على الكفر لم تمطل بهن عهود

وكم نسفوا من قرية بعد قرية
بأرض النصارى والانام شهود

روينا عن ابناء الزمان حروبهم
احاديث منها قائم وحصيد

ثم يذكر بحسرة ما آلت اليه الاحوال فى هذه البلاد :

وقد افلت تلك المعالي شموسها
وضم بنيها فى الوهاد لحود

وسامنا سوء الهون من كل ترعة
بنو اللؤم قالوا ما بفيل اسود

فعرش منهم بالعرائش ثلة
شجت كل حلق والفواد تؤود

... فياأسود المغربين تنبهوا
فقد طال ما أنتم فى الغي رقود

... لدى مثلها تقضي السيوف مع القنا
ويلبس فيها مغفر وزرود

وشهب وشقر واضحات شباتها
وجرد لها منها عليها شهود

... خفافا ثقالا فانفروا وتجهزوا
امامكم النصر العزيز يقود

لئن اخلدت منا النفوس الى الثرى
فانى لنا دار النعيم خلود

... كأني بأجبل النصارى تدكدكت
اذا نشرت يوما عليها بنود

فان تمتروا فادروا مشاهد من مضى
تؤيد عزما ضل عنه بليد

واما استولى يحيى الحاحي على سوس فى اواخر العقد الثالث من القرن الهجري الحادي عشر ، سارع الى الاستنجاد به وقدمن مدينة سلا - وكانت آنئذ مهددة باحتلال الاسبان ، والملك السعدي زيدان في مراكش عاجز عن انجادها - وقرىء كتاب السلويين فى الجامع الكبير بترودانت ، وفيه شرح ضاف لما

الاول (الاسعاف والانجاد فى ذكر الآيات الواردة فى فضل الجهاد) . والثاني (لباب مراقي الجنة) جمع فيه نحو 130 حديث فى فضل الجهاد واهله والنفقة فيه ووعيد تاركيه ... ثم جاء ولده عبد الهادي المتوفى عام 1056 / 1646 فاخرج كتاب (فلك السعادة الدائر بفضل الجهاد والشهادة) وهو اختصار لكتاب مطول له فى الموضوع لم نقف عليه ، قال عنه فى المقدمة انـه يحتوي على 12 بابا و 28 فضلا . واما فلك السعـادة فيتركب من مقدمة فى مشروعية القتال ، واثني عشر بابا ، الاول فى الامر بالجهاد وحكمه وآدابه ... والثاني فى معرفة من يحارب وفى شروط النكاية والمهادنة ومنع الاستعانة بالمشرك . والثالث فى فضل المسارعـة الى الجهاد ، والرابع فى ذم الفرار وفضل القيام فى الصف. والخامس فى فضل انغماس العدد القليل فى الكثيـر . والسادس فى فضل الجهاد والمجاهدين وترجيح الجهاد على الحج وترجيح غزو البحر وشهادته وفضائـل الجرح فى سبيل الله . والسابع فى وجوب النفقـة في سبيل الله وتجهيز الغازي ... والثامن فى الامر باعداد العدة وفضل الرمي والخيل . والتاسـع فى الربـاط والحراسة . والعاشر فى فضل الشهادة . والحـادي عشر فى بعض قصص المجاهدين والشهداء . والثاني عشر فى الغنائم واحكام الغلول والجزية وفداء الاسرى. وينتهي الكتاب بخاتمة فى ذكر النقل والسلب والامان. وفيه الى جانب الاحكام الدينية والتفصيلات الفقهية والمذهبية المتعلقة بالمواضيع الواردة فى العناوين السابقة صفحات ادبية رائعة حيث يقف المؤلف من حين لآخر متحسرا على الحالة الصعبة التي يعيش فيها المغرب آنذاك ، متأملا فى الاخطار المحدقة به ، فتجيش عواطفه ويخط قلمه فقرات ملتهبة بالوطنية الحقة والقوميـة الصارخة ، منها : « وانه ـ الجهاد ـ وان كان كفايـة فهو الان على التعيين لاجل ما عرض ، اذ كان واقعا فى صدر الاسلام لاعلاء الدين وكلمته . واما الان فقـد افضى الامر الى مدافعـة الانسـان حريمه وذريتـه ، فتشتد عزيمته ، وتتاكد فريضته ، فيا لله ويا للابطال! ويا لحماة الزمان من الرجال ! هـل فيكـم من يعيـن المسلمين ؟ ! ويستنصر لاخوانه المومنين ؟ او من تهزه اريحية التعطف فيلبي نداء المستصرخين ؟ او من لـه انفة ابية لا يرضى بترك اخوانه بين اظهر المشركين ؟ الا متعصب للدين ؟ الا من فيه غيرة على المسلمين ؟ الا من لـه شفقـة على المومنيـن ؟ الا من فيـه رحمـة للمستضعفين ؟ الا ذو همة كريمة ! الا من له عزيمة ! الا شخص لا يرضى بالعار ! الا شخص لا يبقى مـع المراضع فى الدار ! الا نفس لا تقبل التخلف مع عجزة النسوان ! الا من يابى ان يعد من جملة الصبيان ! امـا والله لو سمع هذا من تقدمكم من اهل الصلاح ، لبادروا الى الكفاح . ولو عاين ما وقع من فساد من سبق من الابطال ، لم يعرجوا على اهل ولا اطلال ، ولو ابصر اهل النجدة ما جرى فى الاسلام ، لراوا ان الخير كله فى ورود الحمام . عجبا كيف يستبيح الذل مقدام ! ام كيـف يجبن اريب همام ! ام كيف يتاخر متعصب لدينه ! ام كيف يتوانى مساجل عن نفيسه وثمينـه ، ام كيـف يتردد من يريد حماية الاوطان ، ام كيف يقصـر مـن يسعى لنفسه واهله فى الامان ! ام كيف يصح فى الاذهان توشية بملابس وتيجان ! ام كيف يستطـاب طعام أو شراب ، او تضاجع ذوات الخدور الاتراب ! ام كيف تبقى فى العيون قطرة من المدامع ، بعد تشييد البيـع وتخريب الصوامع ! ام كيف لا يتضمخ الانسان بالاحزان على محارب تعمر بالقرءان صارت لنواقيس الرهبان ! ام كيف يريد الحياة كرام ، بعد اخذ حصون الاسلام ! ام كيف يلذ قرار ، بعد اخذ سواحل البحار ! ام كيف يصحو عن الاسى عاقل ، بعد اخذ المراسي والمعاقل .. »

الرباط محمد حجي

فضلا عن المدينة البيضاء (فاس الجديد) . ومع ذلك كان للرسالة السابقة مفعولها ، وصدر عن العدوتين جوابان لا يختلفان في مضمونهما من حيث التعبير عن الشعور بالواجب ، والحماس الفياض ، والاستعداد الكامل للدفاع عن حوزة البلاد . والجوابان الى ذلك تحفتان ادبيتان ، اولهما من انشاء محمد بن قاسم ابن القاضي المتوفى اواخر عام 1040 / 1631 باسم سكان عدوة القرويين ، والثاني بقلم محمد المكلاتي المتوفى عام 1041 / 1632 على لسان اهل عدوة الاندلس . وقد جاء في جواب ابن القاضي بعد مقدمة طويلة مسجعة : « ... فاعلموا حفظكم الله ورعاكم ، واخصب بمنه وكرمه روض مجدكم ومرعاكم ، ان كتابكم الكريم ، وخطابكم العظيم ، وصل للقراء في البلد ، واجتمع عليه في الجامع الاعظم الصغير والكبير والوالد والولد ، حتى لم يبق من اهل المدينة من الخاصة والعامة احد ، وصاحوا كلهم عند سماعه صيحة واحدة ، تقطعت عند ذلك لسماعها القلوب والافئدة ، ونادت جميع العباد : يا للمسلمين ويا للجهاد . واقبلت الناس بالوفود ، واقشعرت من ضجيجهم المسامع والجلود ، وفاضت من شدة غيرة الاسلام مدامعهم على الوجنات والخدود . فياله من مجمع عظيم يجل عن الصفة ، ومشهد كبير لا يصفه الا من حضره وعرفه ، فاجتمعوا وتالفوا ، وتعاهدوا وتحالفوا ، ان كل من تخلف منهم عن هذا الامر العظيم اذا صدر ، ان دمه عندهم هدر. وعقائد الايمان والحمد لله في قلوبهم راسية ، وقلوبهم على الكفار والمنافقين قاسية . واما ما اشرتم اليه من ان العدو والكافر ، اخذ في جمع عسكره وجيشه المديد الوافر ، وانه قاصد لهذه العدوة ، ومرس بمالقة هي عنده الان دار الندوة ، فويل للكفرة الفجرة ، الم يعلموا ان الواحد منا للعشرة ، وتبا لهم من فئة ، الم يعلموا ان العشرة منا للمائة . واما ما ذكرتم انهم جمعوا ستة وستين غرابا ، فسيعود ذلك عليهم ان شاء الله حسرة وعذابا ، فويل لهم ولما جمعوا ، وتبا لرايهم وبئس ما صنعوا . ولكن لو كان كبيرهم الذي علمهم السحر معه عقل وازن ، لذكرهم بغنيمة وادي المخازن ... » .

وفي صدر جواب المكلاتي :

شهد الاله وانت يا ارض اشهدي
انا اجبنا صرخة المستنجد
لما دعا الداعي وردد صوته
قمنا لنصرته ولم نتردد

وبعد مقدمة مسجعة يقول : « ... فكتابنا هذا اليكم من فاس — حرسها الله — وصنع الله في ريعان الشباب ، والعزم على من حاربه متوقد الشهاب — شكرا لله — وقد وصل كتابكم ففضضنا ختامه ، وتصفحنا اخباره واعلامه ، فاذا السحب وانواؤها ، والبروق وقد خفق على راس امير الكلم لواؤها ، فسجد له كل بليغ واقترب ، وبايعه رعايا الكتاب منشدين فسمعا للامير العرب ، وطاعة لداعيه للجهاد، واخلاص النية لرب العباد . وما هو الا النذير العريان، وخبر الواحد الذي صار كالعيان ، اشار الى جلية خبر العدو — دمره الله — وكيف لا ياخذ في التاهب والاستعداد ، ونادى كلابه من اقاصي البلاد . ظانين انهم يعودون بالخلف وينقلبون ، (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) ، وانه شحن اساطيله بمرسى مالقة — اعادها الله — وما كان منه من الاستنفار بعد النفار ، — فما ذكرتم منا ناسيا ، ولا استحثتم لنصرة الدين وانبا . ها نحن بعد التاهب واخذ الحذر ، طيرنا بالخبر في الآفاق ، اجنحة الاوراق. وحملناه الركبان والرفاق . فانسوا من هنالكم من طوائف المجاهدين بانجاز الله لهم موعد نصره ، وبلج افق الاسلام عن سناء بدره ... » .

وقبل ان نختم هذا العرض الخاطف نشير الى ان كتبا اخرى قد الفت في موضوع الجهاد خلال الفترة التي نتحدث عنها زيادة على كتاب ابن يحبش التازي المتقدم . منها كتاب عيسى بن محمد البطوي من علماء جبال الريف في اوائل القرن الهجري الحادي عشر ، سماه (مطلب الفوز والفلاح ، في آداب طريق اهل الفضل والصلاح) — مخطوط في مجلدين ضخمين — خصص الباب الثامن منه لحكم الجهاد والرباط وفضائلهما وتمني الموت . وفي أثناء الابواب الاخرى حرص في كل مناسبة على ذكر مقاومة الاجنبي ، وبخاصة من طرف الشيوخ الذين درس عليهم وكان لهم قدم صدق في الدفاع عن الوطن . وقد عرف الجهاد لغة وشرعا ، واتى على ذكر اقسامه والاصل فيه . وشروطه وفرائضه ، وبماذا يتعين ، وفيما يقاتل به . وفضائله وآدابه . وكتب عشرات الصفحات في فضائل الجهاد مستشهدا بآيات واحاديث واشعار ، وروى قصصا عدة للمجاهدين ...

والف عالمان من شرفاء سجلماسة الحسنيين كتبا في الجهاد . اولهما الحافظ عبد الله بن علي بن طاهر المتوفى عام 1044 / 1634 . الف كتابين سمى

ويقف الاخ التواتي وقفة طويلة عند الاحـداث البارزة في تاريخ الاندلس والتي يسميها وامثالها عبد الله عنان بالمواقف الحاسمة كوقعة الزلاقـة والارك والعقاب .

وعند ما حلل موضوع تدخل المرابطين بالاندلس (ابتداء من ص 309) رأى أن نقل المعتمد الى المغرب منفيا كان من باب الحكمة ، والواقع ان هذا الرجل كغيره من أمراء الطوائف لو عاش هذا العصر في بلده للقي اسوأ مصير ، فقد خان الامانة التي كانت بين يديه ومد يده الى العدو بعد أن خشي على نفوذه مـن المرابطين ، فكان نفيه اشفاقا ورحمة من المرابطين ، هذا اذا تركنا جانبا ، الظروف التي قضى فيها بقيـة حياته وعبر عنها في شعره العاطفي الذي انسى اخواننا من مؤرخي العرب كل شيء عن موالاته للعدو ضـد اخوانه المسلمين .

وقد اهتدى المؤلف الى مواقف الخيانة التي طالما اظهرها أمراء الاندلس في الوقت الذي كان فيه ملوك المغرب وشعبه يضحون بأنفس ما يملكونه لاقـرار الوجود الاسلامي بالاندلس .

وقد شغلت حوالي 150 صفحة من الكتاب ظروف سقوط الاندلس وأسبابه بما في ذلك :

1) انعدام الوحدة في النضال العربي
2) الثورات الداخلية
3) تدخل المولدين والصقالبة والبربر
4) التدخل النسوي في شؤون الدولة والاغتيـالات والخيانة
5) نشاط فلول الاسبان بالشمال
6) التدخل الكنسي
7) الاستنجاد بالمغرب
8) انعدام الروح الاسلامية في علاقات العـرب بالاسبان .

ويمكن القول بأن هذه الاسباب متكاملة . لولا أن الترتيب المنطقي كان يحسن أن يبدأ بالسبب الخامس يليه الثالث فالرابع فالثاني فالسادس فالاول فالثامن . أما العامل السابع فلا نتفق مع الصديق التواتي في اضافته الى باقي عوامل الانهيار ، فالمنطق يقتضي أن الاستنجاد بالمغرب طبيعي في ظروف كالتي اجتازتها الاندلس من يوم نشأتها دولة اسلامية ، وقد ظل العرب فيها أقلية حتى في أسعد أيامهم والا فكيف نحكـم بانسجام « انعدام الوحدة في النضال العربـي » و « انعدام الروح الاسلامية في علاقات العرب بالاسبان » مع عامل الاستنجاد بالمغرب ؟ .

وعلى كل ، فللمؤلف وجهة نظره فيما يرجع الى قضية التدخل المغربي بالاندلس حيث يعتبره « شعورا باقتناع الاندلسيين بعجزهم عن الوقوف منفردين في وجه هجومات اعدائهم النصارى » (ص 626) .

ولا بأس أن نلاحظ في هذا الباب ان التدخـل المغربي بالاندلس لم يكن وبالا بأية حال وفي اي وقت على الاندلسيين ، فانطلاقا من جيش طارق الذي فتح بأسلحته الاندلس ، نشهد التدخل المرابطي الذي اخر سقوط الاندلس لمدة اربعة قرون والموحدي الذي واصل اقرار الوجود العربي ثم التدخل المريني الذي لم يتخل ابطاله عن نصرة هذه البلاد حتى بعد اندحار جيوشهم النظامية اذ لعب المتطوعة المغاربة اكرم دور بطولي في جهاد العدو ، ودون اي طمع مادي ، حتى آخـر لحظة من الوجود العربي . وفي جميع ظروف السيطرة المغربية كان الاندلسيون يعين منهم كثير من قـواد الجيش وعديد من القضاة والولاة والموظفين ، ويفتح البلاط المغربي على مصراعيه لاستقبال مفكريهـم وشعرائهم .

واخشى أن انساق هنا مع ذكرياتي عن تاريخ الاندلس واحداثها على حساب افكار المؤلف الخاصـة وطريقته الطريفة في ربط الاحداث بأسلوب عذب قلما تعرض به أحداث الاندلس خاصة .

ان كتاب الاخ التواتي هو تعليق مركز علـى الجانب المأسوي من تاريخ الاندلس ، وهو مع ذلك لا يخلو من معالجة للاحداث البارزة مع اختيار المؤلف لطريقة العرض المباشر في اغلب صفحات الكتاب وهي طريقة تتفق تماما مع الاتجاه الذي اختاره في معالجـة الجانب المذكور من تاريخ الاندلس .

وموجز القول ان كتاب مأساة انهيار الوجـود العربي في الاندلس جدير بالقراءة وهو غني بـالآراء والافكار النيرة ، بل يصلح أن يوضع بين يدي طلاب الجامعة ليناقشوا آراء ونظريات مؤلفه . ويطلعوا على جوانب خفية من عوامل انهيار الاندلس لان مأسـاة الاندلس حظيت بالوصف اكثر مما حظيت به العوامل التي ادت اليها .

فاس : ابراهيم حركات





تأليف : عبد الكريم التواتي
تعليق : ابراهيم حركات

يقع الكتاب فى 688 صفحة ويشكل اكثر من نصفه عرضا تاريخيا للوجود العربي فى الاندلس وهذا القسم بالذات تتناوله مصادر قديمة وحديثة كما هو معلوم ولكن الاستاذ التواتي نزع عنه صبغة الابحاث الجافة التي تكتنفها او تذيلها النقول والمراجع ، وقدم الينا فى اسلوب شيق ادبي هذا العرض التاريخي الذي نحن أحوج ما نكون اليه مجتمعا بعد ان كتب ولا زال متفرقا فى الابحاث والرسائل الجامعية والخاصة فضلا عن المصادر القديمة .

والآن لننطلق مع الاستاذ التواتي فى مقدمته اولا، فهو هنا يدلي ببعض الافكار الجريئة التى وان لم تكن لها علاقة مباشرة بالموضوع فهي نتيجة عملية يجب استخلاصها من عبرة انهيار الوجود الاسلامي فى الاندلس ، الا وهي الدعوة الى وحدة عربية اسلامية قبل الدعوة الى وحدة افريقية حيث يرى المؤلف فى مقدمته ان العرب اضاعوا الاندلس (او هكذا تتضح فكرته على الاقل) حين أقاموا علاقاتهم بأولئك القوم (أي المسيحيين) على اساس غير ديني محض ، وحين أضحوا لا يهتمون الا بالمظاهر الدنيوية لتلك العلاقات ، فكانت أن حاقت بهم النتيجة الحتمية لكل علاقة من هذا القبيل » .

ويرى المؤلف تأكيدا لكلامه ، ومن خلال الاخطار المحدقة بالعرب « ان الدعوة الى الله والعمل على نشر الاسلام ، فيها كل الضمانات لابعاد كل خطر لا عن العرب وحدهم ولكن عن المجموعة البشرية قاطبة » .

قد تكون أفكار المؤلف هنا وفى اي موضوع آخر من الكتاب قابلة للمناقشة كاية افكار اخرى مهما سمت، ولكن لا مراء فى أن تاريخ الاندلس ومصيرها جديران بأن تستخلص منها نتائج عملية فى تسيير دفة الحكم فى العالم الاسلامي قاطبة . وهذا ما فعله الاستاذ التواتي بحق .

وفى الفصل الاول من هذا الكتاب يتناول الاستاذ موضوع العرب قبل الاسلام وهنا يلتفت مرة أخرى الى بعض الافكار الذكية التي يستند فيها الى مراجعحسنة، وهو فيما نفهم يمهد لقابلية العرب للحضارة وتاثيرهم المباشر فى هذا الباب بالاندلس كما فى غيرها .

على أنه من الصعب أن نستعرض فصول الكتاب واحدا واحدا فقد تناول مختلف مراحل التاريخ الاندلسي من غير أن يدخل فى تفاصيل الاحداث غالبا ، حيث يطل من عل ، وبمنظار مكبر ، على هذه الاحداث ، مسجلا نتائجها ومحللا اسبابها ثم يقدم ذلك باسلوبه الادبي الشيق الذي تستاثر به العاطفة وينساق به هول المصير وهو بعد فى ثنايا مراحل الاضطراب الاولى من تاريخ ذلكم الفردوس المفقود .

محنك ، او رحالة واسع الاسفار ، او مؤرخ خبير بأسرار التاريخ ، او مطلع عليم بموضوعات الاسفار .

من اجل كل هذا يحظى هذا الخليفة الجليل بتقدير الاميرة (صباح) واعجابها وبحبها العميق والتفاني الذي لا حد له ، وهي — من جهتها — جديرة منه بالاعجاب والمحبة ، اذ وجد فيها المراة الكاملة ، اللبقة الذكية ، الحازمة القوية المجدة الصامدة ، ووجد فيها المراة العظيمة التي تقدر العلم وتحب مصاحبة العلماء ، لقد كانت عند حسن ظنه في تولي الشؤون الصغيرة والكبيرة وفي التدخل لحل المشكلات على الوجه المرضي الموفق ... وافتتن بها الامير اكثر ، وهي تلد له ولي عهده (عبد الرحمن) ولكن لما مات هذا الولد كانت قوية في تقبل الصدمة والصبر عليها ، وما مضت مدة حتى ولدت ولدها الثاني (هشاما) وبذلك صارت (ام هشام) وراعية ماهرة لشؤون هذا الولد ، واختارت له اختيارا من يقوم بحاجياته الصحية والتعليمية والمالية ... وهي في هذا الصباح — فعلا — بصدد اختيار احد الرجال الذين سيوكل امر ابنها بهم ، وتخامرها هنا رغبة في ان يكون من بينهم رجل بالذات ، رجل تريده — في الواقع — قريبا منها ، وقريبا من والدها . اقد وصفوه لها وصفا خلابا ، وصفته الجواري مدلهات بجماله واكتماله وشخصيته البارعة ، وصفه خدام القصر كرجل لبق محنك لم تر مثله بأعينهم ؛ بل ان الخليفة نفسه معجب به وبرسائله التي يكتبها الى المتظلمين الذين يفدون الى قصر الخليفة بقصد التشكي ، فرسائل (محمد بن ابي عامر) صارت ترضي متعة يجدها الخليفة في قراءتها ، ان لها طعما خاصا ولذة خالصة في بلاغتها وسبك معانيها وعذوبة بيانها ، لكم يتوق الامير ان يتكاثر المشتكون ليتوصل بأكبر عدد ممكن من هذه الفرائد الادبية الممتعة ! لهذا لا عجب ان وجد الخليفة في نفسه عطفا خاصا على هذا الشاب ليعين وليا على أمور ابنه العزيز (هشام) .

— 2 —

لم تهتم الاميرة (صباح) فجر هذا اليوم ، بأصداء الموسيقى التي كانت ترددها جنبات القصر ، ذلك لان سمعها وبصرها وكل حواسها كان يستغرقها اعجاب عظيم بالرجل ، الرجل الذي دعي الى تولي شؤون الطفل (هشام) ، فأقبل على القصر مهيب الطلعة ، بهي الشخصية ، براق النظرات ، فتان البسمات ، نظيف الملبس ، انيق اللحية مرجل الشعر فواح العطر ، بالاضافة الى اللفظ المختار والفكرة العميقة ، والثقة بالنفس في غير شموخ او كبرياء ، والرقة في الجانب من غير تذلل او استخذاء ... كان الرجل من الرجال الحازمين القائمين على شؤون الدنيا ، العارفين بأسرار صدور الرجال وبأسرار صدور النساء ايضا ! لقد وفى للخليفة العظيم حقه من الاجلال والتعظيم ، ومنحه محض السمع والطاعة ، وابدى له كامل الاستعداد لخدمته والتفاني في الاخلاص له ... اما الاميرة (صباح) فقد اقبل عليها اقبال الحظ السعيد ، وسد امامها كل حيز او مجال ، فلم تعد تراه الا هو ، لقد نصب نفسه لان يحب ويهام به ويرى الاحلام ، احلام اليقظة والمنام ! الا انه حذر على نفسه ان ينزلق في غرام يثير حوله الاقاويل وشكوك الامير ولي نعمته .

فتن (صباح) ان يكون (محمد) ممتازا الى هذا الحد ، فهو رجل ذو اناقة جذابة وحديث ممتع ، وادب شامل ، له خبرة بشؤون العلوم والآداب ، وفنون الحساب والتنجيم ، واساليب التهذيب والتعليم ، وخطط سياسة الممالك والامصار ... ان الاميرة تكاد تكشف في (محمد) كل يوم جديدا من براعته وخبرته ، حتى انه ليستطيع ان يفيد البستاني في غراسة خضره وبذرها ، واستنبات الزهور والرياحين وتلقيحها ، وهو ان صادف الطباخ عرفه بفنون غريبة من الاطعمة من شأنها ان تعجب الخليفة والاميرة على السواء .

— 3 —

قالت (صباح) لوصيفتها الخاصة :

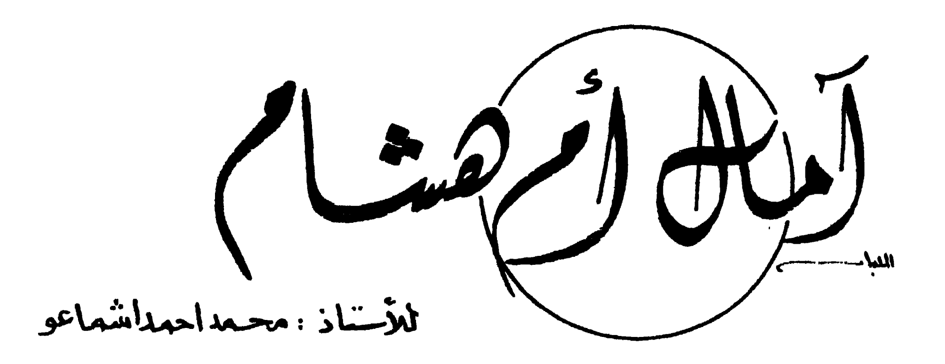
— اين هشام ؟

فابتسمت الوصيفة الذكية وأجابت :

— هو بين يدي مربيه ، لقد اخذه الى الرياضة بعد طلوع الفجر فعاد منها يا مولاتي — كعادته — جليل الطلعة كطلعة امه حفظها الله ، ولعله الان منكب على حفظ ابيات من الشعر ...

— قاتل الله (ابن ابى عامر) ، هل يريد ان ينشىء من ابني شاعرا يهيم بالجمال ولا يتحدث الا عن الجمال ، ولا يعيش الا من اجل الجمال .. ؟ آه لو رجعت صبية ، انني والله لاكتفي من المعارف كلها بالشعر ! الم يتكفل الشعر بتطويع قواعد النحو والصرف وعلوم الشرع والفلك والحساب ... اذن ، كل شيء

قصة العدد



— 1 —

تقلبت الاميرة الجميلة (صباح) فى فراشها الوثير ، وازاحت عنها الاغطية الصوفية الثمينة ، ولوحت بذراعها البضة الناصعة الى ما فوق راسها ، فلامست شعرا رائعا فريدا فى نوعه بين شعور النساء فى (قرطبة) ، وبما انه لم يخضع بعد للانامل التي تسويه وتعطره ، فقد بدا متهدلا على الجبين الوضاء والوجه المليح الجذاب . وعادت الاميرة (صباح) فتقلبت مرة اخرى فى سريرها بدلال واسترخاء ، ثم هدأت مصيغة الى الجوقة التي كانت منهمكة تحت شرفة القصر فى عزف نوبة (قائم ونصف العشاق) . ولم يكن فى هذا العزف اي ازعاج لمزاج الاميرة ، ذلك لان العزف يبتديء ـ بأمر من الخليفة اعز الله امره ـ مع الشروق فى مجلس بعيد عن مخادع النوم بمسافات، ثم تاخذ الجوقة فى الانتقال شيئا فشيئا حتى تصل الى ما تحت الشرفات ، وبهذا يكون الاستيقاظ تدريجيا ، وبذلك ايضا تمازج الموسيقى ، فى اول الامر ، احلام النائمين ، ثم تأخذ فى اخراجهم من عالم الرؤى الزاهية الى دنيا اليقظة الجميل : دنيا القصور الرائعة بحجراتها الزاهرة الانيقة التي بذل فيها مهرة الصناع خلاصة مهارتهم : هندسة ، وبناء ، وزخرفة ، وتلوينا ، وتأثيثا، وتجهيزا . فقامت الجدران هكذا سالبة للالباب برخامها الصقيل ، وفسيفسائها الملون الدقيق ، ونقشها العجيب الذي يجذب الانظار ويستهوي النفوس ويبعث فيها الانتعاش والالتذاذ ، ثم هذه الابواب والشرفات التي تعجب كل الاعجاب بأقواسها المقرنصة ومصاريعها التي لمستها يد الصناعة الدقيقة فأخرجت منها تحفا خلابة للعقول فى النقش والحفر ، ثم اضاف الفنانون روعة الى روعة ، فجاءوا بالبسط النادرة والارائك الفاخرة والمتكآت الناعمة والمسرجات المخرمة ، مع ما يلزم ويلائم من معلقات ومنشورات وستائر حريرية شفافة ذات الوان مختلفة : فى حمرة الورد ، وزرقة البنفسج وبياض الفل وصفرة الياسمين ...

ورغم ان الاميرة (صباح) لم تنم ليلتها الاخيرة نوما عميقا كافيا فلقد استيقظت فى هذه الضحى قوية النشاط شديدة العزم ، على ثغرها ابتسام ، وفى قلبها انتعاش ، وان كان فى خاطرها هواجس ، وما كان لهذه الهواجس ان تشوب داخليتها ، ذلك لانها اصابت من دنياها الكثير ، لقد انتقلت من قسوة البداوة ، وجفاء الحياة النصرانية وصخبها وفجورها وخشونتها الى حياة الاندلس الاسلامية المتحضرة الوقور الطاهرة المليئة بما يهز الفؤاد ويبهج العين ويمتع الذوق ويشنف السمع ... ان قصر (الزهراء) على جانب عظيم من الجلال والعظمة ، والصناعة الدقيقة والتجهيز الباذخ ، وسيد القصر (الحكم) ايده الله فى مستوى الرجل المثقف النابغة ، الشغوف بالعلوم والآداب وفنون الحكمة ، الخبير بالالحان الموسيقية والاوزان الشعرية ، الذواقة لعيون الامثال والحكم والالغاز والنكات ... ولا أحلى على نفسه من مجالسة محدث

وهز قلب الفتى هذا الجو الحافل الذي يحيط به ، انه بمثابة البدر ترمقه كل العيون باعجاب وافتتان ... وحدثته نفسه ان ينصرف الى متعه ومسلياته مع الوصائف الصغار والوصيفات الصغيرات بين دروب الرياض ومنعطفاتها ... ولكنه كان قد تلقى الوصايا الصارمة من مربيه (ابن ابى عامر) بأن يكون رصينا متزنا فى خطواته وفي دخوله على علية القوم ، وفى سلامه على والده المبجل ، وفى تلقي ولاية العهد ، ثم فى تقبل التحيات والتبريكات من الحاضرين ...

— 5 —

طلع الفجر ، وتبدد الظلام فى الانحاء ، وانكشف النهار عن سحاب ثقيل حجب وجه الشمس وخنق النسمات اللطاف التي اعتادت ان تداعب الازهار المتفتحة وتحمل منها العبير العابق الى اطراف القصر والى ما وراء الاسوار فتنتعش القلوب وتتشبع الصدور بنفحات العطر الزكي ، حتى البلابل التي كان من شأنها ان تسبق العازفين والعازفات بالتغريد اصبحت اليوم وهي ترسل صفيرا هو الى الولولة والنحيب اقرب .

والاميرة (صباح) عاطلة من حليها والبستها الفاخرة متسربلة باللباس الابيض الذي يغطي كل اجزاء جسدها من قمة الراس الى اخماص القدمين ، ووجهها من خلال المنديل القطني الابيض يبدو كدرا حزينا ، حمرته ميالة الى الزرقة ، والعينان منتفختان من شدة البكاء على الخليفة التي انتقل الى جوار ربه. وبين الحين والحين كان يثير دمعها الغزير ذلك النواح المرير والعويل العميق اللذين ترسلهما الخادمات والوصائف وترددهما عنهن جنبات القصر الفسيح الذي يطبق عليه الحداد ، لقد تبدت زخارف القصر ونقوشه كأنها من نوع تلك التزويقات التي يصنعها عابث بقضيبه ، وهو جالس على الارض فى غير اهتمام ، حتى اذا قام، تخطاها بقدمه وتركها للرياح تعفيها وتمحوها محوا لا اسف بعده .

وتسلل ولي العهد تائها فى جنبات القصر لا يدري ماذا سيفعل به ! لقد همسوا له انه سيصبح خليفة وسلطانا وملكا عظيما ليس له فى الدنيا مثيل فى مملكته الواسعة المتحضرة الجميلة ، فهل هذا صحيح ؟ ها هي حجرات ابيه الفخمة الوثيرة الفرش ، المبثوثة الزرابي، الفخمة الاثاث راكدة ... وهذه خزانته العظيمة في احسن تنسيق وترتيب : جناح للآداب وفنونه ، وجناح للفقه ومذاهبه ، وجناح للتفسير باقلام الاقطاب الاعلام، وجناح للفلسفة وعلم التنجيم ، وجناح للطب والادوية ... ... كل هذه المئات والآلاف من الكتب لم تستطع ان تنقذ الخليفة العظيم ، الذي اقتناها وافنى العمر الغالي فى رعايتها ، ولا ان تؤخر اجله سنوات اخرى ، بل ولا يوما آخر !

وبينما هذا الخليفة الفتى هائم محطم الفؤاد ضائع الفكر اذا بوصيفات والدته المخلصات يطبقن عليه ويحملنه الى والدته فى حرص وعناية ، ان مسالة توليته الخليفة اصبحت محل نزاع واختلاف نظر ، فلا عجب ان انقلبت الاميرة الحزينة اليائسة الممزقة القلب الى امراة شديدة البأس ، ثابتة الجنان يقظة النظرات ، متوقدة العزم ، مستلهمة كل هذا من الرجل الاول في هذا القصر ، الحازم اليقظ (محمد بن ابى عامر) الذي جاء يخبرها ان عم ولدها يسعى فى الاستيلاء على الخلافة بتواطىء مع جماعة من خدام القصر وخصيانه ووصفائه ! ومن عينيها التائهتين ومن تمتمات شفتيها استمد محمد عزمه وخطته الحاسمة فذهب الى قصر (المغيرة) عم هشام واشرف على اغتياله دون تردد وبذلك خلا الجو واستقرت الاحوال ... !

— 6 —

سمحت الاميرة بعد ايام ان يبدا اليوم ببعض القطع المعزوفة على العود منفردا ، ان لهذه الالة الرخيمة النغرات لتاثيرا على النفس ، هو اقرب الى التأثير الحزين منه الى التأثير المفرح المذهب للاحزان، ما دام الموقف يتطلب من الاميرة صبرا ومداراة لسكان هذا القصر من اقرباء الخليفة الهالك ... ان الحياة استمرار لا توقف معه ، وامل لا يخالطه يأس ، وتجدد لا يلحقه بلى ولا فناء . ها قد عاد للجو صفاؤه ، واستأنفت البلابل تغاريدها ، وفتحت الورود اكمامها زاهية نضرة ، بل ان البستانيين قاموا — بعد توقف — بشذب الاشجار وسقي الاغراس وتنظيف الممرات . كما عاد الكتاب واصحاب البريد ومختلف الموظفين الى اعمالهم ، وعادت الطباخات الحاذقات الى مطابخهن يتفنن فى تهييء الاطعمة والاشربة والحلويات اللذيذة السائغة ... فلماذا يبقى — بعد هذا — قلب الاميرة المسكينة ساكنا معطلا منغلقا ؟ لا مناص له من ان يتحرك وينفعل ويتفتح !

في الشعر فلأترك ولدي للشعر فلا خوف عليه منه ! .
— بصراحة — يا مولاتي — ان صبيك يميل من الان للجميلات اليانعات ، ولعله يرى الى اي حد تميل النساء الى استاذه فيريد ان يحظى بشيء من ذلك !

— لياخذوا الصغير فهو لهن ، أما (محمد) فهو . . . . . . اسكتي عليك اللعنة . اسمعي — بعد أيام — سينصب مولانا الخليفة محمد مسؤولا عاليا على مدينتنا هذه ، ووالله ان مدينتنا لسوف تصبح اكثر ازدهارا واوسع ثراء ، وسيجد حتى الفقراء وافر المال بين ايديهم . . . اما نحن فسنفوز بهدايا لا يمكن ابدا ان نتخيلها او نتصور روعتها ، ما دام ذلك في استطاعة الرجل البارع (محمد) . . . والله يا ملعونة لو طالبته بهدية لقطعت من لحمك بأسناني ، هل فهمت؟

— حاشا مولاتي ان ازعجها او أثير ذرات الغبار من حولها ، الرجال العظام للنساء العظيمات ونحن لسنا الا وصيفات ، فأين منا مقام الاميرة السامي . . ؟

— من هذا التواضع اخاف ! ان لك لعيونا قاتلة ، فاقتربي مني افقوءهما لك واستريح !

هربت الوصيفة وبقيت الاميرة وحدها تنعم بتصورات الآمال والاحلام في فراشها ، ومن خلال الشرفة كانت تنعم بمناظر الرياض البهية وشمس الصباح المشرقة الساطعة الباهرة ، تحوم في طيها أسراب الحمام البيضاء ، هائمة عبر الجو الصافي الزرقة ، الرخي النسمات . . . لكم تهيج النفس وتثور الاحلام في مثل هذا الصباح عند رقاق الشعور ، من حيث يحلمون وهم منطلقون عبر الرياض الزاهرة بين الورود والازهار الناضرة بين المياه المتدفقة ايديهم في ايدي احبتهم ، ومناكبهم تطاول مناكبهم فلا تلحقها ، واجسادهم تحتك — عفوا — ببعضها فتشيع في الاجساد القشعريرة المثيرة ، حتى اذا وصل بهم التطواف الى خميلة ملتفة الاغصان ، وافرة الامن والامان ، ركنوا اليها وغابوا من حيث لا رقيب !

لقد سعت بكل ما لديها من لباقة ومن مكانة عند الامير حتى عين (محمدا) أمينا على القصر بما فيه من مال ومتاع واناس ! وسعت بحذق كبير ان تزيل كل شك من نفس الخليفة من جهة تصرفات (ابن ابي عامر) اما هو فقد اعانها على سعيها بلطفه العظيم ولباقته البالغة ازاء الخليفة بارواء شغفه الى الكتب ، بحيث كان يتوصل بوسائله الخاصة بآخر ما انتجته قرائح العلماء والحكماء والادباء بالمشرق والمغرب ، ثم يعطي من وقته للخليفة يقرا له ، ويتناقش معه ، ويمدد معه اوقات المذاكرة والمطارحة الى حين يشعر الامير العليل بالانهاك ، وعندئذ يتحفه بقطعة شعرية لشاعر او شاعرة من المشرق او من المغرب وبذلك يبقى اثرا ممتعا في نفس الخليفة الجليل يبيت يخامره طيلة الليل . . . !

— 4 —

لكم هو رقيق وبديع لحن هذا الصباح ، فالعازفون والعازفات حرصوا على ان يبداوا يومهم هذا بنوبة (رصد الذيل) وبذلك تمتزج الاصوات والانغام متناسقة رقيقة ساحرة مما يجعل الاحاسيس تتضارب في النفوس بين الخشوع والاعتبار ، وبين الانتشاء والطرب . . . لكن الامر مع (صباح) مختلف فهي لم تنفعل لما تسمع ما دام بالها منشغلا بمهمة عظيمة ، مهمة ضمان مستقبلها في هذا القصر السعيد الزاهر ومستقبل ولدها (هشام) العزيز .

لقد بذلت جهودا بكل ما لديها من اجلال وتقدير للخليفة وحب عميق لولدها ووله وافتتان بـ (محمد ابن ابي عامر) لتضمن استقرار الاحوال بتنصيب ولدها (هشام) وليا للعهد . فمن يدري ما تخبئه الايام؟ ان الخليفة منحرف الصحة متدهور الاحوال بدرجة اصبح ينقص معها من فترات بقائه في خزانته العامرة ، ويبكر بصرف العلماء والادباء من مجلسه ليختلي بالحكماء واهل الطب يفحصونه ويجرون عليه تجارب عقاقيرهم . . . دون تحسن يذكر .

واطلت الاميرة من شرفة مخدعها فاذا بـ (محمد ابن ابي عامر) قائم قومة العزم والحزم المعهودة فيه ، ليشرف على الاعمال الكبرى والصغرى ، التي تنجز في هذا الصباح بمناسبة حفلة تنصيب (هشام) تلميذه وولد (الحكم) الجليل والضمانة الكبرى لبقائه عزيزا مكرما بهذا القصر . وبادرت نازلة لتشرف بنفسها على حفلة التنصيب بجميع مراحلها ، من اللحظة التي ادخل فيها الفتى الحمام لينظف ويعطر ويقص شعره ، الى الوقت الذي كان فيه بين يدي (العريفة) تلبسه لباسه الحريري ، وتشد نصفه بمنطقة من الديباج النادر ، وتعلق على كاهله رداء مزركشا فاخرا ، وتقلده خنجرا مرصعا باليواقيت والاحجار الكريمة ، وتميل الى راسه فترجله بمشط عاجي ثم تفرق الشعر عند الجانب الايسر من الراس ، بينما القرط الذهبي معلق بشحمة الاذن الفتية . وعندئذ بدا الامير الصغير في بياض ابيه ودقة ملامحه ، وفي قامة والدته واناقتها . . .

نعم ، هم يتربصون فى المنعطفات ، ووراء الصخور ، وفى بطون الاودية — فرادى وجماعات — وبذلك يتمكنون من بقر البطون وبتر الاذرع والافخاذ وحز الرؤوس ، ومن يدري ؟ فمحمد المنصور جريء يتقدم دائما مشاته وفرسانه ، افلا يقع يوما فى احد هذه الكمائن الفظيعة ؟ فليحفظ الله البطل (محمدا) فما زال فى قلوب احبائه حاجات فيه لم تقض !

— 8 —

مئات العازفين والعازفات اجتمعوا — فى هذا الصباح من هذا اليوم — بجنبات الرياض وابهاء القصر تحت قيادة موحدة ، لعزف اللحن الاندلسي الخالد (التواشيح السبع) ، وكانوا متحمسين فى عزفهم ، منسجمين فيه ، منتشين بالادوار الموسيقية التي يؤدونها ، ولا احلى على النفس ولا على النظر من اولئك الجواري الرشيقات الانيقات اللواتي اختلفن حسنا وبهاء وتساوين فى الفتنة الطاغية السالبة للعقول ، لقد تبدين كلهن منسدلات الشعور — السوداء والشقراء — حتى الاحضان ، عاليات الصدور دقيقات الخصور — ، عاريات الاذرع والنحور ، لا تكف السنتهن عن الانشاد، ولا شفاههن عن الابتسام . ولا عيونهن عن التحديق الفاتن او الغمز الساحر ، ورغم رقة انامل وعذوبتها وامسانها الحريرية فانها كانت تشد على الاوتار شدا فيخرج اللحن عند ئذ كاملا صداحا مطربا .

واختفى البطل (محمد) فى هذا اليوم الحافل متواريا فى احد الحجرات مع بعض الاقران . بينما قام على الشؤون الخليفة الشاب نفسه ، يساعده اقرب المقربين اليه . وقامت الاميرة (صباح) بواجبها في اليوم السعيد ، وان كان الحفل العظيم المقام اليوم هو بمثابة ماتم عظيم لآمالها ، ومبكى اليم لحبها الذي سدفنه ابتداء من هذا اليوم ! لقد خسرت الدعامة القوية الثانية التي كان يستند عليها قلبها الجريح ، وها هو الجريح عاد ينزف . وسيبقى ينزف الى ان ينتهي من اليوم سيصبح محمد رجلا لامراة اخرى ، تكون هي اقرب اليه من كل واحدة ، اقرب الى شخصيته القوية . وطلعته البهية ، وبسمته الفاتنة . وسمرته الخلابة ، وجسده القوي وصحته الوافرة وحديثه الممتع . وغزله الرقيق ، ورقته العجيبة ... سيكون صباحها معه وضحاها وزوالها ومساؤها وليلها الطويل معه ايضا ، وفى احضانه . ستؤاكله وتشاربه وتحادثه وتغازله ... وياخذ هو بكفها فى كفه ، ويمضي بها الى جولة بين الرياض بين الزهور الناضرة والمياه المتدفقة والاغصان المثمرة المتدلية والاطيار الشادية المترنمة ، سيجدان فى طريقهما عينا نابعة صافية فتشرب من مياهها العذبة فى كفه ، وستعترضهما بركة عامرة فينزعان عنهما ثيابهما ويرتميان فى مياهها الرقراقة ، وهناك تحت الماء تتشابك يداهما ، وتشد الذراع على الذراع وتطوقه الضفيرة المعطرة ، فلا تجد مناصا من الاعتذار له بضحكة رقيقة احلى على السمع من رنين الاوتار ...

اين للاميرة (صباح) الرزينة الرصينة فسحة فى الزمان والمكان ، ولو فى حجرة من حجرات الخدم البسيطة تغلق عليها بابها وتطلق العنان لنواحها ودموعها الغزيرة ، وتنتف شعرها وتعض على بنانها وتضرب على صدرها اسى ولوعة وحرقة على ضياع (محمد) سيد الابطال ومفخرة الرجال ذي المقدرة على جميع الافعال ... ولكن خشية الشامتين وتقولات المتقولين هي تضحك الان ملء شدقيها ، وتجري فى خفة ابنة العشرة ! انها تعطي اوامرها وتراقب الخدم ثم — تغتنم الفرصة — فتطل على حبيب القلب ، حبيب العمر ، حبيب الابد ، فتراه أكثر ازدهاء ورونقا وفتوة ، انه بين خلصانه واقرانه فى رقة عذراء وحيائها ، تعلوه صفرة خفيفة لا يمكن ان يتفطن الى سرها الاهي !

ثق يا محمد ان (صباح) التي تقدرك رجلا شهما ابيا بطلا، خبيرا بالدنيا والناس،لبقا في معاملة النسوة، جبارا فى امتلاك البابهن وقلوبهن ... ثق ان هذه المراة ستفاق قلبها بعدك الى الابد ، لقد كانت تؤمل فيك وان لم تصرح ، وكانت تريدك لها وان لم تفصح ... اما وقد تجاهلتها فليسامحك الله ، ليسامحك على كرامة غالية أهملتها ، وقلب رقيق شغوف تخطيته . ولتهنأ (أسماء ابنة الغالب) ابنة زميلك في الكفاح والجهاد ، ورفيقك فى مقارعة اهل الشمال ، وفتح اراضيهم وافناء رجالهم وسبي نسائهم ...

— 9 —

تمسكت الاميرة (صباح) بسندها الاخير الذي لم يبق لها سواه وهو ولدها (هشام) ، واخذت تعمل على تحريره من الحجر الذي جعلوه يعيش فيه ، وزينت له لذة التملك والتحكم والسيطرة ومتعة اعطاء الاوامر ثم رؤيتها بعد ذلك تسري نافذة بين الكبراء والرؤساء والموظفين لتنجز ، ودفعت به ليظهر امام افراد شعبه ليسمع هتافات النصر واصوات الولاء

تخلص الاميرة لما تعترف ، فيما بينها وبين نفسها ، انها لا تشعر في هذه الايام بفراغ كبير في قلبها! نعم ، ان هذا القلب كان يرتكز على ثلاث دعائم : زوجها الخليفة الجليل ، وابنها الغالي هشام ، وصفيها الودود محمد ... اما وقد مضى السيد الجليل الى حيث لا امل في رجوعه ، فلتشد بقوة على الدعامتين : دعامة الروح ودعامة القلب ، هشام ، ومحمد . محمد الرجل الذي هون عليها المصاب وآنسها برقيق اشعاره وبليغ حكمه ، وطرائفه ونكاته ... وبذلك حرك الدماء — من جديد — في عروقها ، وهز بدون رفق قلبها ، وافسح المجال واسعا امام خيالها حتى احست فعلا بالدفء يسري في شرايينها وبالدبيب المنعش يتمشى في اعضائها فيتمثل في وردتين متفتحتين على خديها . انها اصبحت تحب الدنيا من جديد !

ولم يفلت الرجل الحازم فرصة خلو القصر من رجله الاول ولذلك بادر — اول ما بادر به — الى اقصاء الصقالبة الذين ارادوا ان يستبدوا بالامور بعد موت الخليفة . لقد قتلهم بدون رحمة وانهى مشكلتهم . اما (صباح) فلم يصعب عليه ان يستبد بها ! وكيف لها ان تعصى او تتمنع وهي تحت رحمة رجولته وقوة شكيمته ، وذكائه وحزمه ومرونته في نفس الوقت . لم تتردد في وضع زمام نفسها ، وزمام شؤون ولدها ، وزمام مسائل القصر — بمن فيه وما فيه — في قبضته مع كامل الاطمئنان الى استبداده اللذيذ وطغيانه العجيب !

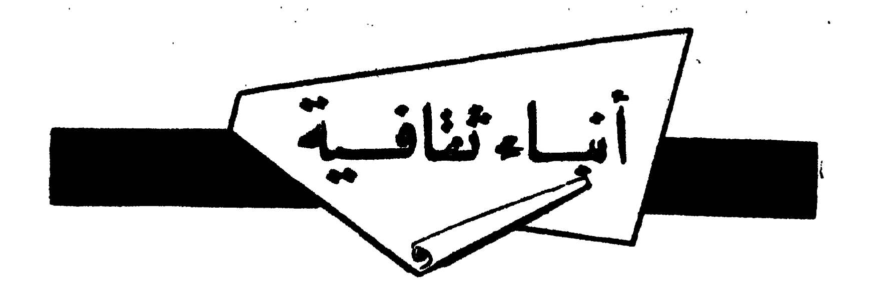
غير ان الرجل وان كان صادقا مخلصا في تسيير الامور فهو ثمرة ناضجة بعيدة عن متناول الاميرة ، تشتهيها ولا تجد السبيل لاشباع نهمها منها ، خشيته كانت ان تشبع وتعاف ، اذن فلتبق دائما مشتاقة مؤلمة ، ذات رجاء متصل بالليل وبالنهار !

— 7 —

غطت الابواق بزعيقها القوى على رنين الاوتار في هذا الصباح النكد ، واهتزت جنبات القصر بقرع الطبول القاصف وهدير الفرسان الراعد ، وذلك ما زاد قلب الاميرة (صباح) انغلاقا على انغلاق . يا لقلوب الرجال ! ما بال (محمد) ... وقد اغدق الله عليه من النعم الكثير فأحيط بحب سيدة القصر الاولى وبتقدير الفتى المجيد (هشام) خليفة المسلمين الجديد، وباعجاب صغار سكان القصر وكباره ، وباعجاب صغيراته وكبيراته ايضا ، ما باله يبحث عن المتاعب بنفسه ويرمي بها الى المصير المجهول ! لقد عزم — ولا راد لعزمه — على ان يقود الجيوش الذاهبة الى الشمال لرد هجومات النصارى الذين ارادوا ان يستغلوا فرصة موت الامير من حيث تصور اختلال الامور بمن بعده . انه لم يعد الا منذ ايام ، وها هو يشد الرحلة مرة اخرى مسربلا بالحديد مزودا بالسلاح القاطع ، راكبا على جواد مطهم يخضع لشدات اللجام خضوعا تاما ويتهادى وسط شوارع (قرطبة) تتبعه الهتافات العالية ودعوات النصر الصادقة . يا لله من هذا الرجل ! لم يكفه اعجاب من في القصر من سيدات واسياد ، فرام الحصول على اعجاب الجماهير ، الجماهير التي تجد الرجولة والشجاعة وثبات القلوب ، ولا تريد دائما الا اخبار النصر ، لقد كادت هذه الجماهير ان ترفعه عن جواده وتضعه على الاكتاف عند رجوعه من غزوته الاولى المظفرة ، التي عاد منها تسبقه احمال الغنائم واسراب الاسارى المقيدين ، ويسير من حوله جموع المجاهدين يكسوهم غبار ارض المعركة ويسيل على جباههم عرق الجهد والتحمل الشديدين اللذين اجبروا بهما النصارى على استسلام او الفرار . وابى القائد (ابن عامر) المنصور الا ان يصلي مع الجموع الزاخرة على ارواح الشهداء ، ويخطب ببراعة منوها بهم ومرجعا كل فضل اليهم !

انها لمواقف رائعة اعجبت اهل (قرطبة) وامتعتهم . ورفعت من قيمتهم في اعين انفسهم ، فمن زمن بعيد لم يروا النصارى يمرون امامهم مقيدين اذلاء ، ومن زمن بعيد لم يسمعوا عن نصارى الشمال يطلبون مهادنة المسلمين وامانهم بعد ان اضطروا الى رفع راية الاستسلام امام الابطال المسلمين وصمودهم ... واليوم ها هم بفضل شجاعة القائد المظفر (ابن ابى عامر) يذوقون حلاوة الانتصار ويتمتعون بحياة السلم والاستقرار والهناء .

الا ان للاميرة (صباح) رأيا آخر في كل هذا لا تستطيع ان تبوح به ! ؟ انها تعرف جبروت اقوام الشمال وشدة بأسهم وصمودهم في ميادين الكفاح المرير ، فهم ان غلبوا مرة ليس معنى ذلك انهم سيغلبون في كل مرة ، اذ تضامنهم يشتد في حالة العسرة والانهزام ويستعينون بجيرانهم اقوام النصارى الاقربين والابعدين ، ويزيد في عزمهم وصمودهم تحريضات القسس والرهبان والقواد القوي الشكيمة ... ثم ان وعورة مناطق الشمال الجبلية تجعل محقهم النهائي امرا مستحيلا ، وتربصهم بالمسلمين امرا متيسرا ،



* في الموسم الماضي نظم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي استفتاء حول قضايا ومشاكل اللغة العربية .

وقد حظي ذلك الاستفتاء باهتمام المفكرين العرب والمستشرقين ، والمعتنين بالدراسات اللغوية والشرقية في العالم ، اذ حددوا في اجابتهم — التي نشر البعض منها في مجلة اللسان العربي ، العدد الخامس مع مقدمة وتلخيص وتعليق — انواع المشاكل التي تعترض سير وانتشار لغة الضاد ...

ومزيدا في بحث قضايا اللغة العربية وعلاقاتها مع الانسان والعالم ، قرر المكتب الدائم تنظيم استفتاء آخر حول :

« علاقة الاسلام باللغة العربية »

والسؤال الموضوع هو :

هل هناك تلازم أو ارتباط ما بين انتشار الاسلام وانتشار اللغة العربية ؟ وفي حالة الايجاب ما هو مدى التلازم أو هذا الارتباط ؟

اسئلة ايضاحية :

هل تناصرون الراي القائل بوجود علاقة سببية بين الاسلام واللغة العربية وانه لولا الاسلام لما تأتى للغة العربية ان تنتشر في العالم كما انه لو لم تكن اللغة العربية لغة القرآن لما انتشر الاسلام ؟ — مهما كان جوابكم هل يمكنكم أن تتفضلوا بالاستدلال على صحة رايكم بواقع بيئتكم الاقليمية وبماضيها ؟

هلا تلاحظون في بلدكم بصفة خاصة وفي البلاد الاسلامية بصفة عامة ان الوعي الاسلامي والوازع الديني يقويان ويضعفان تبعا لما يعتري لغة الضاد من قوة وضعف وان العكس بالعكس ؟

ما هو مدى تأثير الفكر الاسلامي عن طريق لغة القرآن في اللهجات أو اللغات الاقليمية في الاقطار الاسلامية غير العربية او لدى الجاليات الاسلامية في الاقطار الغربية أو الاسيوية ؟

اذا كان هنالك تأثير ما للهجتكم الاقليمية في تعابيركم العربية المحلية فما هي نسبته ومداه ؟

ما هي المكانة التي يجب ان تحتلها العربية في بلدكم بالنسبة للغات الاجنبية ؟

* سعيا وراء تدعيم الروابط الثقافية بين بلدان المغرب العربي الكبير : تونس — الجزائر — ليبيا — المغرب الاقصى .

فان النادي الثقافي ابو القاسم الشابي ينظم مسابقة في القصة الطويلة بين كتاب هذه الاقطار الشقيقة حسب الشروط التالية :

1 — ان تكون القصة باللغة العربية الفصحى في اي موضوع يختاره الكاتب .

2 — ان تقدم في خمس نظائر مرقومة ، غير مكتوب عليها اسم المؤلف ومصحوبة بظرف يذكر بداخله الاسم والعنوان ، مع بيان عنوان القصة المعروضة .

3 — ان توجه في اجل اقصاه موفى شهر أوت 1968 باسم السيد رئيس (النادي الثقافي ابو القاسم الشابي) حي الوردية — تونس) . عن طريق البريد المضمون الوصول .

4 — ان لا تكون القصة قد نشرت او اذيعت .

الجائزة المرصودة : 1.000 دينار تونسي

والملاحظ ان مقدار هذه الجائزة وضعته الشركة التونسية للتوزيع على ذمة النادي قصد تشجيع الانتاج القصصي وهي تتعهد بنشر القصة الفائزة مع ضمان حقوق التاليف لصاحبها . وسيقع اسناد هذه الجائزة يوم 9 اكتوبر 1968 بمناسبة ذكرى (ابي القاسم الشابي) .

* اقيم في الرباط حفل تكريمي لنابغة المغرب الفذ استاذ الجيل الحافظ المحدث سيدي المدني بالحسني.

وقد اقيم هذا الحفل بمناسبة الذكرى التاسعة لوفاته حضره بعض تلامذة الحافظ المدني ونخبة من رجال الفكر حيث افتتح الحفل بعد صلاة المغرب بالامداح النبوية وبعدها تقدم الاستاذ السيد عبد الله الجراري فتحدث عن احد مؤلفات الفقيد وحلله

وهمهمات الدعاء ... ولكن من تخاطب ؟

ان ممارسة الحكم عند (هشام) عبء ثقيل ، لا يمر معه يوم دون ان يكون البال منشغلا ، والراحة منعدمة والنوم مستعصيا ، زيادة على النوايا الخافية والاغراض المتعددة الكامنة فى اقفاص الصدور ، وانى للحاكم ان يركن لاحد ركونا تاما او يثق به ثقة تامة ..؟ فلم اجهاد النفس واقلاق الخاطر ورجل الدولة (محمد) قائم بواجبه فى كل الظروف والاحوال ، مع المسؤولين جميعا على جميع المستويات ، كلهم يخافونه ويعملون تحت رقابة من صرامته اكثر مما يعملون من رقابة من ضمائرهم ... ثم هذه الغزوات الظافرة فى ارض الاعداء ، لا يكاد يذكر تاريخ الاندلس ان دولة اسلامية هاجمت النصارى فى عقر ديارهم مرات متتالية دون انهزام او حتى تراجع ... لا ... لا احد اولى من (محمد) فى تولي الامور ، فهو اكفأ فى تسييرها . اما (هشام) الخليفة الفتى ففي الاندلس الزاهرة على اتساع رقعتها ما يغري فتى مثله الى الفوز باللذائذ والمتع حيثما كانت ومع من تيسرت !

لكن (أم هشام) لا ترى هذا الراي السفيه ، ان سليل الخلفاء احق بأمور دولته التي اسسها الاجداد بالجهد والعرق والدم، والامة لا تعرف الا خليفة وحيدا لها هو هشام ، ولا تعرف عن (ابن عامر) الا انه احد خدام الخليفة السابق ، واحد خدام الخليفة الجديد ، فلم يسمح لنفسه بأن يتطاول وان يتصدر ويتعنت ، فليبتعد ، او فليبعد ، مهما تطلب الامر من جهود واعمال وحتى دسائس ومكر ان اقتضى الحال ...

انه لم يعد للاميرة من عدو سوى (محمد بن ابى عامر) المكنى بالمنصور ، والايام لا تزيدها الا شعورا بهذا الحقد المرير . انها تضرب صفحا عما مضى وتتناساه ، وتؤكد ان هذا العربي تجاوز حده ، حتى انه جعل من ابنها الخليفة (الشكلي) ، ومن نفسه الخليفة (الفعلي) ، وافرغ على شخصه الالقاب ، ويأبى الا ان يظهر امام الخاصة والعامة بانه الحاكم المطلق التصرف ، بل انه يمهد بذلك - كما يقال - ليصبح الخليفة الجديد ... لا بد من عمل شيء ، اي شيء !

— 10 —

استاء (محمد بن ابى عامر) لما بلغه ان (أم هشام) أخذت تحيك المؤامرات وتسعى سعيا مستمرا جادا لتبعده من ميدان الحكم ، فما كان منه الا ان اتصل بالخليفة ، واطلعه على ما يجري من اعمال مشبوهة داخل الاندلس وخارجها ؛ لقد عرف كيف يعرض آراءه ومعلوماته ويصوغها فى القالب المثير لهذا الخليفة الناشيء ! وكيف لا يعرف وهو يخاطب تلميذا قديما عريقا فى مواقف التلمذة خالدا فى جوها ...

وتحرك (هشام) فاستدعى امه ، وافهمها ان امور الدولة لا تعنيها فى قليلها او كثيرها ، وانها بتصرفاتها تعرض أمن البلاد للخطر ، وقد يثور الشعب ويأتي على حكم الخلافة من اساسه ، وقد لا يتورع بانزال الضربات بالخليفة نفسه وبعشيرته ، وعندئذ لا يحمد احد عاقبة التصرفات الطائشة . وبادر (المنصور) فضيق الخناق على (صباح) واحاطها بجيش من المتجسسات ، وفرض رقابة على تحركاتها، وامر ان يخصص لها جناح من قصر الزهراء البهيج لا يكاد يقربه احد ، واوكل بها طائفة من عجائز الخدم يحملون اليها الطعام والشراب ويضفون الى جوها الكئيب كآبة اخرى بشكاوهم وبعجزهم ...

وهكذا أمست الاميرةالسابقة لا يحلو لها الخروج الا فى الامسيات الكئيبة العابسة من حيث تراقب بطرف كليل مغارب الشمس ، وتجد انسجاما كبيرا مع الافق المغطي بالسحب الباعث على القنوط واليأس اما اصباحهم الزاهرة والحانهم الرائعة - هناك - فلم تعد تهمها كثيرا ولا قليلا . انها فى نظرها أوهام باطلة في دنيا زائفة .

الرباط : محمد بن احمد اشماعو

* اقام اتحاد كتاب المغرب العربي ، حفلة تكريمية للاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون ، بدار الفكر ، حضرها كثير من الادباء والمثقفين ، والمهتمين بالفكر ، تقديرا للمجهودات الجلى التي بذلها الاستاذ كنون فى ميدان الفكر والعلم داخل المغرب وخارجه ، وقد تكلم فى هذا الحفل الاساتذة : محمد عزيز الحبابي ، وعبد الكريم غلاب ، وعلي الصقلي ، وعبد الله الكامل الكتاني ، وعمر بهاء الدين الاميري ، وكلهم اشادوا بأستاذية كنون وايادبه البيضاء فى مجال التاليف .

وفى الاخير شكر المحتفى به ، اتحاد كتاب المغرب العربي ، والخطباء الذين نوهوا بأعماله .

* تأسست فى الرباط « جمعية الآباء واصدقاء الاطفال المتخلفين علقيا » .

* نظمت وزارة البريد سلسلة من المحاضرات الفنية التي تهدف الى اطلاع المهندسين على التطورات التقنية الحديثة فى ميدان المواصلات السلكية واللاسلكية

* افتتح بالدار البيضاء مؤخرا معرض فني كبير للنحت ، عرضت فيه 76 عملا من الاعمال الفنية .

* « متنوعات الاستاذ محمد الفاسي » كتاب يصدر قريبا عن رئاسة جامعة محمد الخامس ، بمناسبة ذكرى تأسيس جامعة محمد الخامس .

* زار تونس الاستاذ محمد بن تاويت ، لالقاء سلسلة من المحاضرات هناك . وقد أجرت معه جريدة « العمل » التونسية حديثا فى شؤون الثقافة والفكر .

* احتفل فى المغرب ، بالموسم الثقافي التونسي ابتداء من 12 فبراير الماضي الى 18 منه . وقد دشن هذا الاحتفال بمسرح محمد الخامس من جانب معالي كاتب الدولة فى الشؤون الخارجية التونسية الحبيب بورقيبة الابن ، برفقة معالي وزير التربية المغربية ، ومعالي وزير الانباء ، وشخصيات ثقافية أخرى . وقد عرضت فى هذا المسرح مجموعة قيمة من الكتب التونسية الحديثة ، وبعض المخطوطات النادرة ، كما عرضت عدة أفلام من انتاج تونسي ، الى جانب مسرحية « بيرما » للشاعر الاسباني فيدريكو كرثيا لوركا .

وسيقام بتونس موسم ثقافي مغربي مماثل ، وذلك نتيجة الاتفاقية المبرمة بين المملكة المغربية ، والجمهورية التونسية .

* زارت المغرب ، بدعوة حكومية ، المغنية المصرية المشهورة السيدة ام كلثوم ، واحيت ثلاث حفلات ناجحة فى مسرح محمد الخامس ، بمناسبة عيد العرش السعيد .

وقد احتفت بها جميع الاوساط المغربية احتفاء كبيرا ، وتركت خلفها صدى عميقا فى نفوس مستمعيها وقد نقلت التلفزة المغربية حفلاتها الثلاث .

وقبل أن تغادر المغرب ، زارت فاس ، ومكناس، ومراكش ، والدار البيضاء ، للوقوف على التراث المغربي النفيس ، كما قامت بالترحم على جلالة المغفور له محمد الخامس .

* صدر عن الدار التونسية للنشر كتاب « شموع على الطريق » لمحمد الصباغ ، كما سيصدر عن نفس الدار كتاب « رسالة الفكر » للاستاذ عبد الكريم غلاب.

* اقيمت عدة احتفالات كبيرة فى سائر المدن المغربية تمجيدا لعيد العرش ، واصدرت الصحف والمجلات اعدادا خاصة بهذه المناسبة الكريمة .

* أصدرت وزارة التربية والتعليم مجلة بعنوان « اللقاء » ، كما أصدرت كتابة الدولة فى الشبيبة والرياضة مجلة تعنى بشؤون الشباب ، والثقافة . والفكر . نتمنى لهما الازدهار والنجاح .

* قامت فرقة « المعمورة » بعرض مسرحية « ولي الله » فى أهم المدن المغربية .

* قام بزيارة الى المغرب ، وفد برلماني ايطالي .

* نظمت جمعية ابن بطوطة بطنجة مهرجانا ثقافيا فنيا .

* عين الاستاذ مرسي زغلول . مندوبا دائما للمغرب ، فى هياة اليونسكو .

* أصدرت مجلة « باري ماتش » عددا خاصا عن المغرب .

تحليلا دقيقا وبعده اخذ الكلمة الاستاذ حسن ابراهيم الكتاني الذي ارتجل كلمة تحدث فيها عن الفقيد ودوره في التوجيه العلمي زهاء نصف قرن .

وبعده تحدث الشيخ المكي الناصري عن حياة الفقيد بكلمة مستوفية .

ثم انتقل المحتفلون لتاليف لجنة « احياء تراث الحافظ المدني » من بين السادة الحاضرين ضمت حوالي خمسة عشر عضوا من رجال الفكر والادب .

* صدر اخيرا عن مكتبة الرشاد « مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس » والكتاب يطلعك على أهم أسباب انتكاسات العرب وتوقف انطلاقاتهم عبر القرون من لدن سقوط الاندلس الى سقوط القدس الشريف . كما يضع امامك الادواء التي اصابت الوجود العربي وتوشك ان تحول دون مواصلته الزحف لنشر دعوته الانسانية في العالم . كما يجلي غوامض الاسرار في الازمة الاندلسية ومأساة سقوط فلسطين الشهيدة .

هذا الكتاب .. « مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس » من تاليف الاستاذ عبد الكريم التواتي المفتش بالتعليم الثانوي .

* اصدر الاستاذ السيد عنيبة محمد الحمري ديوانه : «الحب .. مهزلة القرون » .

* شهد المغرب مهرجانات كبرى بمناسبة ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، حضرها علماء مبرزون من تونس ، وليبيا ، والجمهورية العربية المتحدة ، والاردن ، ولبنان ، والاتحاد السوفييتي ، والباكستان ، والصين والسينغال ، والتشاد ، والنيجر وايران ، والسودان ، الذين وفدوا على المغرب ، بدعوة من صاحب الجلالة ، للمشاركة في هذه المهرجانات الكبرى ، حيث قاموا بالقاء سلسلة من المحاضرات والندوات في مختلف المنظمات الثقافية في الرباط ، وغير الرباط ، في موضوع نزول القرآن ، والعمل بتعاليمه ودستوره ، حتى يعود للمسلمين مجدهم الغابر ، تحت راية هذا الكتاب العزيز .

* أنعم صاحب الجلالة على العلماء الذين شاركوا في مهرجانات ذكرى مرور نزول القرآن ، بوسام الكفاءة الفكرية ، وذلك في حفل اقامه صاحب الجلالة تكريما لهؤلاء العلماء .

* قدم اتحاد كتاب المغرب العربي ، مجموع الاكتتاب الذي اشرف على جمعه ، لفائدة منكوبي العدوان الصهيوني ، وذلك الى سفير المملكة السعودية

* نظم سفيرنا بالمملكة الليبية ، الاستاذ عبد الهادي التازي ، معرضا تاريخيا وثائقيا ، بمركز السفارة المغربية هناك ، عرض فيه الوثائق التي تمس العلاقات الليبية المغربية .

* مثل المغرب في مؤتمر العلوم الافريقية الذي انعقد مؤخرا في دكار الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس .

* في منتصف الشهر الماضي عقدت جمعية تاريخ المغرب اجتماعها العام ، وذلك في كلية الاداب بالرباط .

* في نطاق برنامج دار الشبيبة المدرسية الثقافي بالدار البيضاء ، نظمت ندوة ثقافية بعنوان « مفهوم الموت عند اندري مالرو »

* افتتح في المركز الفرنسي بالدار البيضاء ، في الاسابيع الاخيرة معرض طريف ، عرضت خلاله مختلف انواع لعب الاطفال التي ظهرت خلال القرون الماضية .

* صدر في سلسلة كتاب « العلم » رقم 5 ديوان الحرية للشاعر المرحوم عبد الكريم بن ثابت .

* صدر للاستاذ علال الفاسي ، كتاب تحت عنوان « دائما مع الشعب » .

* أصدرت مجلة « الايمان » عددا خاصا ممتازا عن الذكرى العظيمة لمرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم .

* وزع معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الحاج احمد بركاش على العلماء الذين زاروا المغرب للمشاركة في ذكرى نزول القرآن نسخا من المصحف الشريف الذي أمر باصداره صاحب الجلالة ، وصدر عن وزارة الاوقاف ، وذلك في حفل ببيت معالي الوزير.

تتكون من 16 استاذا من مختلف كليات الطب بفرنسا. وكان النجاح حليف الدكاترة : عبد اللطيف بريبش ، عبد القادر التونسي ، عز الدين العراقي ، عبد الهادي مسواك .

* قام مكتب التربية الشعبية التابع لكتابة الدولة في الشبيبة والرياضة بانجاز شريط ثقافي حول حياة وكفاح الملك الراحل محمد الخامس . وقام بتوزيعه على جميع اقاليم المملكة لتقديمه في حلقات خاصة بالنوادي الثقافية ، ودور الشباب .

* تستعد مجلة «البحث العلمي» لاصدار عدد خاص في موضوع القرآن الكريم ، وذلك في اطار الاحتفال بذكرى مرور 14 قرنا على نزوله .

* ستوجه وزارة التربية والتعليم استاذين للتدريس في مدارس السينغال .

* انضم المغرب الى معاهدة استكشاف واستخدام الفضاء العلوي .

* عقد السيد وزير التعليم جلسة عمل خصصها لدار الحديث الحسنية ، لاعادة النظر في اصلاحها .

* توفي بالقاهرة الدكتور جمال الدين الشيال ، عميد كلية الآداب بالاسكندرية ، واستاذ التاريخ الاسلامي . وهذا الاسم اللامع معروف في الاوساط التعليمية والثقافية بالمغرب ، حيث قضى بين ظهرانينا مدة طويلة ، كان يشتغل فيها بالتدريس ، والقاء المحاضرات ، والمشاركة في الندوات الفكرية . كما أن له بهذه البلاد اصدقاء ومحبين . ومن مؤلفات المرحوم : « أعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي » « مصر والشام بين دولتين » « رفاعة الطهطاوي » « تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي » « مجمل تاريخ دمياط والاسكندرية » كما قام بتحقيق كتاب « مفرج الكروب في اخبار بني ايوب » .

* صدر في تونس كتاب « اليس الصبح بقريب » للعلامة المعروف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور .

* قام الاستاذ الشاذلي النيفر بتحقيق مخطوطة « الفارسية في تاريخ الدولة الخصصية » وصدر الى الاسواق .

* أوصى الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب بأن تحفظ مكتبته بعد وفاته في كلية الشريعة بتونس ، لينتفع بها بنو وطنه .

* « جيش التوشيح » عنوان كتاب لابن الخطيب ، وتحقيق الشيخ محمد ماخور، صدر اخيرا في تونس .

* كما صدر للاستاذ حسن حسني عبد الوهاب كتاب « الادب التونسي » .

* « الحان عربية على أوتار من الغرب » عنوان كتاب ، صدر حديثا للاديب الليبي فؤاد الكعباري .

* « تاريخ الرواية الحديثة » ، اسم كتاب صدر مؤخرا عن منشورات عويدات ببروت ، وقد قام بنقله الى اللغة العربية الاستاذ جورج سالم ، وهو من تأليف ر . م . البير يس .

* المكتبة العصرية البيروتية اصدرت كتابا بعنوان : « الدخل والعمالة والنمو الاقتصادي » من تأليف والاس بيترسون . وترجمة الاستاذ برهان دجاني . وقد نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين .

* احتجبت عن الصدور مجلة « أفكار » التي كانت تصدرها وزارة الثقافة بالمملكة الاردنية، بسبب الظروف القاسية التي تمر بها هذه المملكة .

* صدرت عن دار نزار قباني ببيروت « الاعمال الشعرية الكاملة » للشاعر صاحب الدار .

* اصدر مؤخرا الاستاذ شاكر جابر قصة بعنوان « الهارب » والمؤلف من الكتاب العراقيين المعروفين في ميدان التأليف .

* انتهى الاستاذان خليل العطية ، وعبد الله الحيدري من جمع وتحقيق ديوان مسكين الدارمي .

* « اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى » عنوان كتاب صدر مؤخرا . وهو من تأليف الاستاذ نجدة فتحي صفوة .

* كتاب «أخبار الظراف والمتماجنين» لابن الجوزي، صدر اخيرا بتقديم وتعليق السيد محمد بحر العلوم ،

* زار المغرب اخيرا الاستاذ نذير فانصة ، صاحب مجلة « الاخاء » الايرانية .

* نظم معهد « غوتة » الالماني اسبوعا للثقافة الالمانية بالمغرب .

* فى اطار العلاقات الثقافية بين المغرب والجزائر قامت فرقة المسرح البلدي لمدينة الدار البيضاء بعرض مسرحية « ديوان سيدي عبد الرحمان المجدوب » فى مختلف المدن الجزائرية .

* نظمت سفارة المغرب بباريس بالتعاون مع المركز السينمائي المغربي ، اسبوعا للافلام المغربية ، بالعاصمة الفرنسية .

* درس معالي وزير التربية مشاكل جامعة القرويين وجامعة محمد الخامس ، مع المسؤولين عنهما .

* القى الاستاذ البير ديترس استاذ العلوم الاسلامية بجامعة كوتيخين بالمانيا محاضرة بالعربية بمدرج كلية الاداب بالرباط ، فى موضوع « مساهمة العرب فى تاريخ العلوم الطبيعية » .

* افتتح بالنادي الثقافي التابع لكتابة الدولة فى الشبيبة والرياضة ، بمدينة القنيطرة معرض للرسوم الزيتية والنحت ، بمشاركة الفنانين .

* يوجد تحت الطبع — كتابان للاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون .

* منحت جامعة لاغوس الدكتوراه الفخرية للاستاذ السيد محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس.

* اصدرت مجلة « اتصال » البلغارية ، عددا خاصا عن الآداب والفنون فى المغرب .

* أصدر الدكتور عبد الكبير الخطيبي ، مدير معهد العلوم الاجتماعية كتابا بالفرنسية عن « القصة فى المغرب العربي » .

* تصدر قريبا عن معهد العلوم الاجتماعية بالرباط، مجلة حولية تعنى بالشؤون الاجتماعية بثلاث لغات : العربية ، والانجليزية والفرنسية .

* انتخب الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس ، نائب رئيس للمجلس الدائم للمؤتمر الدولي للدراسات الافريقية الذي عقد مؤخرا فى العاصمة السينغالية .

* نظم بتطوان مهرجان ديني كبير بمناسبة الذكرى الثانية والثمانين لوفاة العالم الشيخ سيدي عبد السلام بن ريسون .

* يصدر قريبا عن المركز الجامعي للبحث العلمي العدد الحادي والثاني عشر من مجلة « البحث العلمي » .

* تراس وزير التربية الوطنية مؤخرا اجتماعا لدراسة مشاكل التعليم التقني .

* زار المغرب فى هذه الايام الاستاذ فانسان مونطاي مدير المعهد الاساسي لافريقيا السوداء بدكار . والقى عدة محاضرات فى كبريات المدن المغربية .

* سيستمر الاحتفال بذكرى نزول القرآن طوال هذه السنة ، بناء على تعليمات الملك المعظم الذي خصص لهذه السنة القرآنية ، مشروعات مهمة ، ستقوم حكومته بتنفيذها خلالها .

* فاز الراهب لوريدو ديات من مدينة طنجة بجائزة جامعة غرناطة عن رسالة أطروحته « المغرب فى النصف الاول من القرن الثامن عشر » . وقد صدرت هذه الاطروحة فى سلسلة تصدرها جامعة غرناطة بعنوان : « دفاتر عن تاريخ الاسلام » .

* نوقشت فى كلية الحقوق بالرباط ، الرسالة التي تقدم بها الاستاذ محمد المزغراني ، وهو من خريجي القرويين ، ودار الحديث ، وذلك لنيل الديبلوم فى الدراسات القانونية . وتتكون الرسالة من 170 صفحة وكانت لجنة الامتحان تتكون من الاساتذة : علال الفاسي ، والدكتور مأمون الكزبري ، والدكتور علي العبيدي . وقد منحت اللجنة درجة الدبلوم فى الدراسات القانونية للاستاذ صاحب الرسالة .

* جرت فى الرباط ، بكلية الطب ، مباراة التبريز فى الطب ، لاختيار اربعة اساتذة مغاربة للتدريس فى الكلية المذكورة ، وذلك تحت اشراف لجنة التحكيم التي كانت

* جائزة مونسو الفرنسية التي تمنح لكاتب اجنبي اسهم في نشر الثقافة الفرنسية ، منحت في هذه السنة الى الروائي اللبناني فرج الله حايك .

* صدر في حلب كتاب « فتح الله الصقال » من تاليف الاستاذ البدوي الملثم .

* وفي نفس هذه المدينة اقيم تمثال للشاعر البحتري

* مجلة « الايمان » التي تصدر في النجف ، اصدرت عددا خاصا بالعدوان الصهيوني على فلسطين ، والبلاد العربية المجاورة .

* رفعت في دار الكتب اللبنانية صورة العلامة الشيخ احمد عارف الزين ، صاحب مجلة « العرفان » الذي توفي سنة 1960 ، عرفانا بجميله على الثقافة العربية ، من خلال مجلته « العرفان » التي اسهمت في الفكر العربي بنصيب وافر .

* « اصداف الصمت » ، للشاعر رياض فاخوري ، صدر في بيروت خلال الاسابيع القريبة .

* نعت لبنان الاديب الكبير رئيف الخوري . وللفقيد مجموعة من الكتب النفيسة في الادب، والبحث، والعلم والترجمة .

* صدر في هذا الاسبوع عن « دار اليمامة » في الرياض كتاب « ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع » ، وهو من تاليف الشيخ محمد الجاسر .

* صدر للاستاذ انور الجندي في القاهرة كتاب عنوانه « تطور الصحافة العربية » والكتاب دراسة عن الصحافة الاخبارية في مصر منذ نشاة الصحافة المصرية الى اوائل الحرب العالمية الثانية .

* يصدر قريبا للاستاذ انور الجندي اول حلقة من الموسوعة العربية الاسلامية عن الفكر والتاريخ الاسلامي والثقافة العربية . موضوع الكتاب الاول (الاسلام وحركة التاريخ) الكتاب دراسة شاملة لحركة التاريخ الاسلامي منذ فجر الاسلام الى العصر الحديث .

* يعد الاستاذ انور الجندي كتابين جديدين الاول : (اعلام واصحاب اقلام) يضم 52 دراسة لشخصيات من اعلام العالم العربي في النصف قرن الماضي ، وسيصدر اوائل الشهر المقبل .
والثاني : (الاسلام وحركة التاريخ) يتضمن عرضا جديدا لتاريخ الاسلام وهذا تحت الاعداد .

* وقد صدر له اخيرا كتاب عظيم تحت عنوان : (الاسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب) ويقع في 400 صفحة بارك الله في عمر الاستاذ الكبير انور الجندي .

* نظم في احدى المتاحف بليننغراد معرض لفن الرسم في الشرق القديم ، عرضت فيه مخطوطات مهمة . ومن بين المخطوطات نسخة للمقامات الحريرية .

* سيحتفل في هذه السنة بمرور 1200 سنة على وفاة الامام ابي حنيفة ، وميلاد الامام الشافعي ، كما سيحتفل بمرور 700 سنة على وفاة السهروردي ، ومرور 550 سنة على وفاة ابي العباس القلقشندي ، و 100 سنة على ميلاد امير الشعراء احمد شوقي .

* اصدر الاستاذ الشيخ محمد حسن آل ياسين « شرح قصيدة الصاحب بن عباد » في اصول الدين .

* صدر للدكتور صالح احمد العلي كتاب بعنوان « موظفو بلاد الشام على العهد الاموي » .

* « الفكر العربي المعاصر » اسم الكتاب الذي صدر في لندن للكاتب الانجليزي ماكموري الذي يشتمل على دراسات في الادب العربي المعاصر .

* صدر في القاهرة كتاب « حياة شاعر » ، يتضمن حياة الشاعر السوفييتي بفنوشنكو ، الذي قام بترجمته الى العربية الاستاذ حليم طوسون .

* في طاجكستان ، انتهى طبع ملحمة الفردوسي « الشاهنامة » في 9 مجلدات .

* بدا في الجمهورية العربية المتحدة جمع الوثائق القانونية والقضائية والسياسية لمصر في جميع العصور لجرد هذه الوثائق وتصويرها وفهرستها .

* عهدت مكتبة الكونغرس الاميركية الى احدى دور النشر الانجليزية بطبع قائمة تحتوي على اسماء جميع

كما قام نفس المحقق بتحقيق كتاب « النقود الاسلامية المسمى بشذور العقود فى ذكر النقود . للمقريزي .

* صدر للشاعر حسان يوسف المطفى ديوان تحت اسم « غدا تلتهب الرمال » .

* فرغ الاستاذ عبد الله الحيدري من تحقيق كتاب « عقود الجمان فى عدم صحبة ابناء الزمان » لمرتضى الكردي المتوفى 1133 هجرية .

* اصدر الاستاذ عبد الرزاق الهلالي كتابا يحمل عنوان « قصة الارض والفلاح والاصلاح الزراعي فى الوطن العربي » ، مشتملا على دراسة علمية لدعوات الاصلاح الزراعي فى الوطن العربي والقوانين التي انتهت اليها تلك الدعوات .

* « شعراء من كربلاء » هذه الدراسة الشعرية الفها فى كتاب الاستاذ سلمان هادي الطعمة .

* صدر للاسوان ديوان « لو ينطق النابالم » للشاعر محمد علي الخناجي .

* قام الاستاذ نجيب المانع بترجمة كتاب « دوستوينسكي » الى اللغة العربية ، وهو من تاليف الاستاذ رينيه ويليك استاذ الادب المقارن فى جامعة ييل

* صدر فى دمشق كتاب « الشرق الاحمر » من تاليف الاستاذ سلامة عبيد ، وهو عبارة عن انطباعات المؤلف عن الصين الشعبية .

* « رقائق الشعر فى الادب والزهد والوعظ » مجموعة قصائد قام بجمعها وطبعها الاستاذان محمود مهدي الاستانبولي ، وخير الدين وانلي .

* فى جدة صدر ديوان بعنوان « الشجرة ذات السياج الشوكي » وهو للشاعر محمد عمر عرب

* قام الاستاذ ادوار الخراط بترجمة رواية الشوارع العارية » للروائي الايطالي فاسكو براتوليني الى اللغة العربية ، وصدرت عن دار الاداب ببيروت .

* من الكتب المهمة التي كان لصدورها صدى كبير، كتاب « المورد » ، وهو قاموس انجليزي — عربي ، قام بتاليفه الاستاذ منير البعلبكي .

* فاز الكاتب لويس كيو بالجائزة الوطنية للاداب الفرنسية . والكاتب يبلغ الثانية والسبعين ، وله عدة روايات منها « لعبة الصبر » و « الدم الاسود » . كما فاز الكاتب الفرنسي ايسيين مارتن بالجائزة الوطنية الكبرى للفنون . واحرز كذلك الكاتب روبير اسكاربيت على الجائزة الادبية العالمية للسلام . ويبلغ قدرها خمسين الف فرنك بلجيكي .

* نعت القاهرة ، عميد كلية التجارة بها ، الاستاذ رضوان احمد خالد .

* كما نعت الكاتب المعروف الاستاذ محمد توفيق دياب عن 82 سنة .

* كما نعت الدكتور محمد احمد ابو الفرج ، الاستاذ بكلية الاداب بجامعة الاسكندرية .

* الكاتبة العربية ابكار السقاف ، اصدرت كتابا بعنوان « اسرائيل وعقيدة الارض الموعودة » .

* « الكنايات العامية فى سامراء » . صدر هذا الكتاب فى بغداد لمؤلفه الشيخ يونس ابراهيم السامرائي .

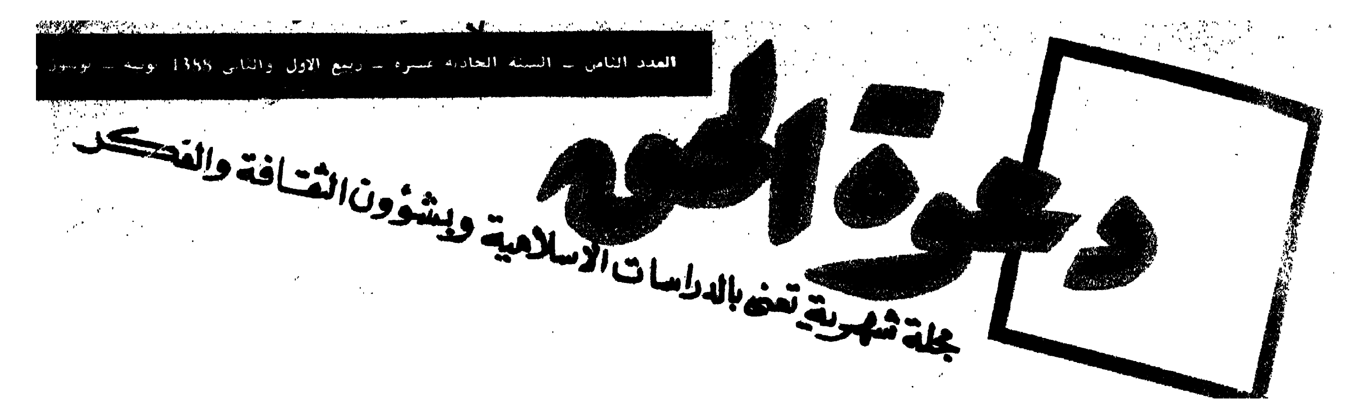
* بقرار من المجمع العلمي العراقي ، ستترجم « المعلمة الاسلامية » من اللغة الانجليزية الى العربية

* اوصت لجنة احياء التراث الشعبي بوزارة الثقافة بالعراق ، طبع «ديوان العباس بن مرداس» و « الجمان فى تشبيهات القرآن » . وسيقوم بتحقيق الكتاب الاول الدكتور يحيى الجبوري ، وبتحقيق الكتاب الثاني الدكتور احمد مطلوب ، والدكتورة خديجة الحديثي .

* صدر فى دمشق الجزء الاول من « قاموس احياء الالفاظ » الذي قدمه وحققه وشرحه الاستاذ اسامة الطيبي .

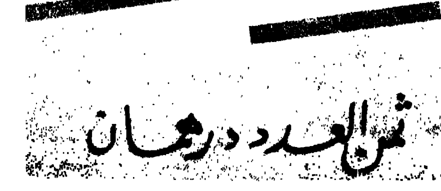
* اتم الاديب الدمشقي سعد صائب ، ترجمة مجموعة شعرية للكاتبة السورية الآنسة ديزي موصلي الى اللغة العربية .

* ستصدر للمستشرق المجري الدكتور عبد الكريم جرمانوس ، طبعة جديدة من مؤلفه الشهير « الله اكبر » .



في هـــذا العـــدد :

تصدرها
وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية



الكتب التي ظهرت فى العالم الغربي منذ اختراع المطبعة الى يومنا هذا .

* فى لندن ، بيعت بالمزاد العلني مخطوطة من البردى تحتوي على شعر يوناني .

* لاول مرة تظهر موسوعة عن الخط العربي ، قام بتأليفها الاستاذ ناجي زين الدين .

* تقوم السيدة كور باعداد رسالة الدكتوراه عن السيدة أم كلثوم ، سيدة الطرب العربي .

* قامت رابطة العالم الاسلامي بترجمة صحيح البخاري الى اللغة الانجليزية .

* تم فى القاهرة ، طبع ديوان الشاعر العراقي الكبير ابراهيم الزهاوي ، بتحقيق الاستاذ عبد الله الجبوري .

* قرر وزير الثقافة فى الجمهورية العربية المتحدة ، ترجمة كتاب « انهيار الدولة الرومانية وسقوطها » .

* انشيء بالاسكندرية متحف للخط العربي منذ فجر الاسلام الى أيامنا هذه .

* قرر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالعربية المتحدة ، اصدار كتاب يضم بروتوكولات حكماء صهيون باللغتين الانجليزية والفرنسية ، لفضح دسائس الصهاينة ووسائلها غير المشروعة . وسيوزع الكتاب على 67 مركزا ثقافيا اسلاميا ، فى آسيا ، وأوربا ، واميركا اللاتينية .

* أقيم فى دمشق احتفال تخليدا للذكرى المائوية السابعة للطبيب العربي ابن النفيس .

* صدر عن المكتبة العصرية ببيروت كتاب « الحركة اللغوية فى الاندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف » من تأليف البير حبيب .

* صدر باللغة الايطالية كتاب « تاريخ العرب » الذي الفه المؤرخ اللبناني فليب حتى .

كلمة العدد

حول رحلة الوفد المغربي للاتحاد السوفياتي والجمهوريات الإسلامية

كانت المهرجانات الدينية الكبري التي احتفل بها المسلمون فى هذه السنة بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم منطلقا لبعث جديد ، ووعي رشيد ، وايقاظ همم المسلمين ، وشد عزائمهم ، وتحريك سواكنهم للنظر فى أحوالهم،والعمل على ترقية شؤونهم للسير قدما فى مواكب الحياة الراكضه التي يتطلبها الكون ، وتقتضيها مستلزمات التطور والانعتاق، ولا سيما فى هذه الظروف الحاضرة التي انفجرت فيها المخاطر من حول العالم الاسلامي ، وتواثبت الخطوب على جوانبه ، وتفاقمت النوازل في أطرافه ...

وقد اتخذت حكومة صاحب الجلالة نصره الله وايده مستنيرة بهديه وارشاده من هذه السنة ، سنة القرءان ، احتفاء بذكراه ، وتخليدا لامجاد الاسلام ، واعظاما لما قام به رجاله الافذاذ ، وقادته الاماثل ، الذين اعطوا المثل الاعلى فى صلابة العقيدة ، وصدق لنية ، وقوة الايمان ، من فتوحات ظافرة ، التفت لها الدهر ، ومواقف حاسمة ، دوخت العالم ، فكانت شجى فى حلق الحاسد ، وقذى فى عين من اضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة .

وهكذا احتفل المغرب المسلم بهذه المناسبة المجيدة الدينية احتفالا يليق مع جلال الذكرى ، وقدسية المناسبة ، وروعة المقام ، حيث مرت في جو تغمره العظمة والعبرة ، ويحفه الطهر والصفاء ، فاستدعى رجالات الاسلام من جميع جهات الدنيا ، واصقاع المعمور ليجددوا ما اندرس من عهد ، ويؤكدوا مواثيق يتعزز بها الدين ، ويسود المجد ، ويتم النور ، ويتحول المسلمون جميعهم الى منزلتهم الاولى من صدر الحياة .

ومن احق فى البلاد الاسلامية من المغرب وملكه بالاحتفال بهذه الذكرى التي جمعت القلوب المخلصة على حماية الدين ، وقيادة النفوس المومنة الى نصرة الحق ، ومحاربة الاعداء الكائدين الذين لا بد من أن يدركوا وبال

العـدد الثامن
السنة الحادية عشرة
ربيع الاول والثاني 1388
يونيه - يوليوز 1968
ثمن العدد .
درهمان

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

وكيف لا يتم لهم ما أرادوا واجدادهم الفاتحون ، الغر الميامين ، لم يقف امام تحقيق غايتهم رعن الجبال ، وشم الوهاد ، ومناعة الارض ، وبعد الشقة ، وقسوة المناخ ، لقد طلبوا الموت وفتحوا له صدورهم ، فوهبت لهم الحياة ، وسادوا الدنيا عندما طلبوا النصر المؤزر من السماء .

وكفى هذه البلاد العظيمة فخرا ومجدا انها اجتمعت فيها من المؤسسات العليا للعلم والعرفان فى مختلف العصور ما عز نظيره فى غيرها من الاقطار ، فقد كان تيار العلم متدفقا من بخارى ، وسمرقند، وفرغانة ، ونسف ، وترمذ ، وخوارزم ، وطشقند ، وبلخ التي اصبحت مراكز علمية مشهورة يشع منها نور العلم والحضارة فى العالم اجمع ، ويتدفق منها ينبوع الفكر الاسلامي الى الشرق والغرب اجيالا واجيالا .

وهل لنا ان نعدد طبقات العلماء والفهماء الذين كانوا هداة مرشدين جادت بهم هذه الارض المعطاء ، وقمما عليا تهدي الانسانية الحائرة فى بيدائها، ومنائر شامخة يهتدى بها في دنيا الفكر والدين والثقافة .

وحسب هذه الاقطار الاسلامية فخرا اولئك الاعلام الذين رفعوا للاسلام لواء ، وللعروبة مجدا ، وللانسانية مشعلا ، كقثم بن العباس عم رسول الله (ص) ، والامام الحافظ الحجة أمير المومنين فى الحديث ، ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري . والترمذي . والامام الكبير محمد بن اسماعيل القفال صاحب محاسن الشريعة . وولده ابي القاسم الشاسي صاحب التهذيب ، ونظام الدين الشاشي ، وابن الهيثم بن سعيد الشاسي صاحب المسند فى مجلدين والمشهور بمحدث ما وراء النهر ، وجار الله الزمخشري ، ويوسف السكاكي ، وعبد القاهر الجرجاني ، وسعد الدين التفتازني ، والعلامة السيد الشريف الجرجاني ، وشمس الدين السرخسي صاحب المبسوط ، وعلي بن ابي بكر المرغيناني صاحب الهداية ، وعبد الله بن احمد النسفي صاحب التفسير ، وابي منصور الماتريدي امام اهل السنة، وابي بكر الخوارزمي الكاتب الاديب ، والشطرنجي الصولي الاديب المعروف وابي النصر الفارابي المعلم الثاني ، والشيخ الرئيس علي ابن سينا ، وابي زيد البلخي، وبني موسى بن شاكر،وابى الريحان البيروني الذي علم المسلمين فلسفة الهند وعلومها ، والجوهري الذي اهدى الى الامة العربية معجمه اللغوي .

اولئك آبائي فجئني بمثلهم   اذا جمعتنا يا جرير المجامع

* * *

ولما اضطرب المسير ، وابطأ التقدم ، وتعثرت الخطى جادت هذه البلاد المباركة ، كدأبها ، بابطال كماة ، ارادوا وصل ما أمر الله به ان يوصل، فتنفس بهم العمر فى ميادين الجهاد والجلاد ، ومحاربة الظلم والطغيان والفساد ، كالامام المجاهد الكبير الشيخ عبد القادر شامل القوفازي وغيره ممن جاهدوا فى الله حق جهاده ، فاشفت بهم التضحية والاقدام على شفا الموت والهلاك ، فخلدوا وقائعهم الناصعة بالتضحية والايثار على صفحات الخلود ، فكانوا ــ بحق ــ رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، بعد ما ابلوا بلاء حسنا فى الذياذ عن كرامة الاوطان وحرمة الكيان ، وعزة الماضي المجيد ، والدفاع عن الحاضر الملح .

امرهم ، وداء بغيهـم وعتوهـم وعنادهـم ، فيخروا للاذقان ضارعيـن ، صرعـى لليديـن والفـم .

وقد حضرت وفود اسلامية تمثل مختلف الاقطار من جميـع جهات العالم لتشارك المغرب احتفاله بهذه الذكـرى ، ولتقيـم وحـدة متماسكة الوشائج ، وثيقة العرى ، تستمد أسسها من كتاب اللـه الذي جعـل من المسلمين خير أمة أخرجت للناس ، كما حضر فيمن حضـر من رجـالات الاسلام وفد يمثل مسلمي آسيا الوسطى والاتحاد السوفياتـي برئاسـة سماحة الشيخ السيد ضياء الدين ابن المفتي ايشان ابابا خان مفتي مسلمـي آسيا الوسطى وقازاخستان .

وعقب هذه الاحتفالات الدينيـة الكبـرى وجهـت حكومـة الاتحاد السوفياتي دعوة الى وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية للقيام برحلة الى الاتحاد السوفياتي والجمهوريات الاسلامية بها .

وتلبية لما توجبه الروابط الدينية والتاريخية من التواصل والتعاطف والمجاملة ، فقد قام وفد مهم يضم خيرة رجال الفكر والثقافة ، وحماة الدين والفضيلة لزيارة الاتحاد السوفياتي والجمهوريات الاسلامية لقي فيها من الحفاوة البالغة ، والاكرام الجميل ما يحفى القلم دون توفيته بعض حقه .

وتراس الوفد الذي عينه صاحب الجلالة والمهابة نصره الله وأيـده معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج أحمد بركاش، وعضوية الاساتذة السادة :

عبـد الرحمـن الدكالـي
عبـد اللـه كنـون
عبـد الكبيـر الفاسـي
محمـد بنعبـد اللـه .

كما انضم الى الوفد سعادة سفيرنا بموسكو الاستـاذ عبد الهـادي الصبيحـي .

* * *

ويعتبر موقع الجمهوريات الاسلامية فى آسيا الوسطى من أعظم المواقع، ومسقطها من اكرم المساقط ، وعدتها الممكنة من خير العدد ، فقد كانت هذه البلاد الشاسعة الاطراف فى آسيا الوسطى والتي كانت تعرف فيما قبـل بالتركستان ، مهدا لرجال الدين الصحيح ، والعلم الناضج ، والفن الاصيل، ومنبت العزة والاستقلال الصريح ، وموطن الحريـة والكرامة والسيـادة الكاملة ، كما كانت ايضا مركزا للدول المستقلة الحرة ، والامبراطوريات التي سارت بذكرها الركبان طوال العصور المتعاقبة قبل ظهور فجر الاسلام وبعده.

هذه الامة التركستانية ظل مسلموها ـ فى مختلف العهود ـ يكافحون ويناضلون ، ويشرحون صدور الناس للاسـلام ، ويخوضـون الصعـاب والاهوال ، لتثبيت دعائمه ، وتركيز اسسه وقوائمه ، فكانوا منبت الانفـة والاباء ، ونقطة التحول ، ونواة الاصلاح ، ومصدر الخلاص .

ركائز التفكير الاسلامي

لسماحة مفتي طرابلس العلامة
نديم الجسر

أثار أحد اساتذة الفلسفة فى الجامعة الامريكية ببيروت شبهات وشكوكا حول بعض آيات القرآن ، وكانَ للحوار الذي عقده سماحة مفتي طرابلس العلامة الشيخ نديم الجسر للرد على ما أثاره هذا الاستاذ فى جريدة « النهار » دوي عظيم فى العالم العربي كله ..وقد بلغ من اعجاب العلماء المحققين بذلك الرد القيم ان أحدهم قال عن الجزء المتعلق بركائز التفكير الاسلامي انه من ناحية شموله (للايمان والعمل) يكاد يكون أعظم وانفع من كتاب (قصة الايمان) .

وقد رات جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية بطرابلس كعادتها فى نشر ما يخدم الايمان والاسلام ، وينفع الشباب المثقف الحائر بين الفلسفة والعلم والقرآن ، ان تطبع من رد سماحة الاستاذ الجسر ذلك القسم المخصص لبيان ركائز التفكير الاسلامي وتنشره فى كتيب صغير الحجم ليكون فى متناول ايدي الناس عامة والشباب خاصة ، فان هذه الركائز هي كما وصفها كاتبها بقوله :

« كخزانة الدواء فى البيت يجد فيها الشاب العلاج لكل شك وزيغ » .

« ودعوة الحق » يسرها أن تنقل الى قرائها ،باعتزاز ، هذا البحث القيم الذي وصلها اخيرا من سماحة مفتي طرابلس العلامة الشيخ نديم الجسر تعميما للفائدة .

التحرير

وجود الله

ارجح ان الجدل بيننا ، الان ، ليس عن وجود الله او عن عدم وجوده . فانك ، وانت استاذ الفلسفة، لابد ان تكون عند الحق من قول فرنسيس باكون « ان القليل من الفلسفة يبعد عن الله والكثير منها يرد الى الله » . والظاهر من كلامك انك مؤمن بان الله هو خالق الكون . ومؤمن ، بالتالي ، وبالبداهة ، بان خالق الكون هو خالق النواميس ، وبانه خالق الحياة ، وخالق الذباب ، الذي قال عنه القرآن ، فى سورة الحج « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له . ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز » قبل ان قال (روجر باكون) و (توماس اكويناس) بقرون طويلة ، قوليهما المشهورين : « ما من عالم قد عرف ، حتى اليوم ، حقيقة ذبابة » .

وانما انت تستصعب تصور الذهن لهذا الاله ، على طريقة القرآن الذي يقول عنه « ليس كمثله شيء» وتستشكل فى خلق الله لآدم من تراب ، وتقطع كل علاقة لله فى خلق الاجنة ، حتى تكاد تخرج من هذه الصعوبات والاستشكالات الى ما يوشك ان يكون الغاء لوجود الله .. وهذا ما يحيرني فى أمرك .. والا فقل لي : كيف نوفق بين كونك مؤمنا بأن الله خالق الكون، وخالق الحياة ، وخالق الانسان ، وخالق النواميس، وكونك تغفل ، وانت العالم الالمعي ، عن تفسير آيات خلق آدم ، وخلق الجنين فى بطن أمه بانها قد تعني

ومما شرف الوفد المغربي انه حمل معه في هذه الزيارة المفيدة هدايا تتضمن مجموعة من الكتب الاسلامية التي انجزتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وفي مقدمتها المصحف الكريم الذي امر مولانا صاحب الجلالة نصره الله وايده وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بانجازه وطبعه ، كهدية منه حفظه الله الى مسلمي تلك الاقطار النائية الذين تقبلوه بصدر رحب ، وحفاوة بالغة ، ودموع حرى تشي بما يجول في قلوبهم من صدق النية وبرد اليقين ، وحرارة الايمان .

ومما يدعو الى الاعتزاز والفخر ـ أيضا ـ ان المشرفين على الادارة الدينية لجمهورية عزبكستان هم من الطلبة المتخرجين من جامعة القرويين العامرة الذين ربطوا حسن العلاقات الطيبة بيننا وبين المسلمين هناك .

والحقيقة اننا لم نكن نتصور المسلمين الذين تشرفنا بزيارتهم وسعدنا بلقياهم يمارسون شؤونهم الدينية بالصورة التي رأيناهم عليها في مختلف المساجد التي قمنا بزيارتها مما اثلج صدورنا ، وافعم قلوبنا املا ورجاء ، ولكن ذلك غير كاف ... فللادارة الدينية مجال رحب الحدود للقيام بتوسيع الدروس الدينية على اوسع نطاق حتى يعم نفعها بين المسلمين ، ولا سيما بين الاحداث .



احد حدود الاطلاق . ولا تقف الا اذا اصطدمت بالحق او بالخير .

وهذا المفهوم الجامع . كما انه يشمل كل انواع الحريات . من حرية التفكير . وحرية العقيدة ، والقول، والعمل . والتملك . والتصرف . فانه يشمل ، كذلك ، كل انواع الحق والخير . بالنسبة الى الفرد ذاته . وبالنسبة الى غيره من الناس . وبالنسبة الى المجتمع. لا فرق ، فى ذلك كله . بين ان يكون الفعل او القول مباحا بذاته للفرد . أو حقا من حقوقه المشروعة . او ضربا من القربات الى الله . فلو اسرف الفرد فى اكل الطيبات . اسرافا مضرا بصحته ، انقلب المباح حراما . ولو اسرف فى اساءة استعمال . حقه وقف حقه . ولو اسرف فى الزهد والتقشف والتبتل . بل فى العبادة نفسها . بل فى الصدقات والمبرات . الى الحد الذى يصطدم . عنده . حريته بخير نفسه او زوجه او ولده او وارثه او المجتمع . لانقلبت قرباته هذه كلها الى محرمات يمنعها القرآن .

3 ــ القــرآن والعلــم

ان القرآن يجعل لحقائق العلم الطبيعية القاطعة، القوة نفسها التى للحقائق الرياضية القاطعــة . اي السلطان نفسه الذى للعقل . لان العلوم الطبيعية انما هي انكشاف للنواميس التي خلقها الله فى الكــون . وانكارها . هو بالضرورة . انكار للعقل الذي يــدرك النواميس . وانكارللذى خلق النواميس . ومعارضة للقرآن الذي استدل فى آيات كثيرة . بهذه النواميس. على وجود الله وقدرته . وهذه الانكارات تؤلف بذاتها تناقضا عقليا صارخا بين الايمان والعقل .

وليس صحيحا قولك « ان العلم الذي حث على طلبه الاسلام هو فى جوهره العلوم الدينية والشرعية وما يتعلق بها وليس الفيزياء والكيمياء » . بل الحث عام يشمل علم الدين الذى هو اعظم العلوم وانفعها للمجتمع ويشمل علم الطب . وكل علم ينفع الناس والمجتمع . وليس ادل على ذلك من الآية 28 من سورة « فاطر ». التي يخلع بها القرآن وصف « الخشية الكاملة » على علماء الطبيعة . ويكاد يحصرها بهم حين يقول : « الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمــــرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء». فهل العلماء هنا هم علماء الشريعة والفقه ، ام هم علماء الطبيعة العالمون باسرار النواميس فى الحياة والنبات والحيوان والمطر وطبقات الارض ؟

4 ــ القــرآن ليـس بمـوسوعة

ولكن القرآن ليس بموسوعة للعلوم والفنون . وما فيه من الاشارات الى بعض النواميس الطبيعية انما هو للتدليل على وجود النظام المحكم ، ثم الاستدلال العقلي بهذا النظام على وجود الله . واما قول القرآن « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » فليس معناه انــــه موسوعة لعلوم الاولين والاخرين ، كما يقول بعض البلهاء . بل معناه انه لم يترك اصلا من الاصول ولا مبدأ من المبادىء التي يرتكز عليها الحق والخير الا ذكــره وبينه .

5 ــ نهج القرآن فى الخطــاب

ان اعجاز القرآن اللغوي لا يقوم على بلاغتــه المعروفة عند بلغاء العرب فحسب . وانما يقوم علــى قدرة عجيبة فى التعبير عن الحق ، بشأن النواميــس الطبيعية والاجتماعية ، التي لم تكن معروفة للعرب، او معروفة للبشر . ببيان يفهمه البدوي الساذج على قدره . ويفهم اسراره المدهشة العالم او الفيلســوف على قدره . لانه ما كان لله العليم الحكيم ان يخاطب الناس بامور لا يفهمونها ولا سمعوا بها ولا تتســـع لادراكها معارفهم .

فاذا قال لهم سبحانه « ويمسك السماء ان تقع على الارض » سورة الحج الآية 65 ــ أو قال لهــم « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » سورة الاسراء 12 ــ أو قال لهم « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » سورة الزمر 5 ــ أو قال لهم « والفلك تجري فى البحر بامره » سورة الحج 65 ــ او قال لهم « وانزل لكم من السماء ماء » سورة النمل 60 ــ او قال لهم « افرايتم النار التي تورون . اانتم انشأتم شجرتها ام نحــن المنشؤون » سورة الواقعة 71 ــ أو قال لهم « الم نجعل له عينين » سورة البلد 8 ــ او قال غير ذلك من مئات الايات الدالة على قدرته . المشيرة الى النواميس التي وضعها فى مخلوقاته ، فانه يقول لهم ما يفهمونه على ظاهره. من غير ان يشوش افهامهم ويذهل عقولهم بذكر ما لا يفهمون من اسرار نواميس الجاذبية، والنور، والبصريات . ودوران الارض على نفسها امام الشمس، وقانون ارخميدس . او اسرار عملية المطر ، او اسرار ناموس الاحتراق عند اتحاد الكربون مع الاوكسجين.. ولكنه سبحانه يقول لمن سياتي من العلماء الذيــن يطلعون على هذه الاسرار « سنريهم آياتنا فى الافاق وفى

الخلق التطوري للخلية الانسانية بطريق النواميس التي خلقها الله ، مثلما تد تعني ، في الظاهر ، الخلق الدفعي المباشر ، مع ان كلا الخلقين داخل في قدرة الله ، وليس احدهما بادل على هذه القدرة والحكمة من الاخر ؟

ومهما يكن الامر ، فاننا لا نسوق الحديث اليك وحدك ، بل نسوقه الى من وراءك من الشبان العلماء الذين يؤمنون بوجود الله وبانه خالق الكون ، ويرددون في صدورهم بعض الاسئلة التي طرحتها ، وامثالها . والحوار مع هؤلاء لا يدور ، اذن ، حول وجود الله . والا فتكون مصيبة ان نبدأ ابجدية الايمان من أولها . ونسرد قصة الايمان التي الفناها من بدايتها الى نهايتها .. وانما يدور الحوار على القرآن وما فيه من آيات متشابهات ، يبدو لك ولهم ، في الظاهر ، انها تتناقض مع العقل او مع العلم ، ويدور ايضا حول تفكير المسلمين في العالم المعاصر ، وزعمك انه مقيد ومشدود الى الوراء شدا يمنعهم من الانطلاق والتلاقي مع التفكير العقلي العلمي الحديث .

فعلينا ، اذن ، ان نكشف تراب الظنون الباطلة عن ركائز التفكير الاسلامي ، لنرى ان كانت تتعارض مع العقل ام تعتمد عليه ، وتتنافى مع العلم ، كما زعمت ، ام تؤيده ؟ وبهذا الكشف والتبيين يستكمل الرد على شكوكك وشكوك غيرك ، مهما كان نوعها وموضوعها ، حججه وبراهينه ، بدون تطويل ، ويصبح هذا الرد المركز الذي نضعه كالجعبة فيها السهام ، بل كخزانة الدواء في البيت ، نجد فيها العلاج لكل شك وزيغ .

وقبل ان نكشف عن ركائز التفكير الاسلامي نسارع الى بيان امور اربعة :

ركائز التفكير الاسلامي

اولها — انني المسؤول عن صدق هذه الركائز . وانا المطالب بالدليل على كل واحدة منها لانه لا يتسع المجال في هذا الرد الصحفي ، لبسط الادلة على ما نقول . ولو اردنا ان نفعل لاحتجنا الى مجلد ضخم او اكثر ، ولن يتسع عمرنا ، الذي اشرف على نهايته ، لمثل هذا العمل الضخم . ولعل الله يقيض له من يقوم بـه .

اما الامر الثاني ، الذي نسارع الى بيانه وتأكيده، فهو ان التفكير الاسلامي نابع من اصول القرآن ومبادئه لا ينفك عنها ابدا .

والامر الثالث هو : ان ركائز التفكير الاسلامي تتلاقى تلاقيا تاما مع آخر ما انتهى اليه العقل والعلم والفلسفة من الحقائق القاطعة المتفق عليها .

والامر الرابع هو : انه لا تعارض مطلقا بين قولنا ان ركائز التفكير الاسلامي ترسو على أصول القرآن ومبادئه وقواعده ، وقولنا انها تتلاقى مع حقيقة التفكير العالمي المعاصر ، لان أصول القرآن تتسع لكل ما هو حق وخير ونافع ومفيد في كل عصر وزمان ومكان ، ولان فهم أصول القرآن يزداد عمقا كلما ظهرت حقائق العلم القاطعة . وبهذا التوفيق يكون لنا فكر اسلامي معاصر جديد ينبع من القرآن القديم . ولا قيمة لراي الجامدين والجاهلين .

فما هي ركائز التفكير الاسلامي (القديم والجديد) التي تتلاقى مع حقائق العقل والعلم القاطعة ؟

1 — القرآن والعقل

ان القرآن يجعل للعقل السلطان الاعلى في ادراك كل معاني الحق والخير ، من اتفه الامور كاماطة الاذى عن الطريق ، الى اعظمها وهو وجود الله وصفات كماله . وفي القرآن اكثر من 300 آية تدعو الى تحكيم العقل ، وتزري ازراء شديدا بالذين لا يحكمون عقولهم. وابلغ هذه الايات واوجعها قوله « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » . وكل ايمان لا يبنى على العقل لا يعد من الايمان الكامل . اما ايمان العجائز فانما هو مقبول من باب العذر ورفع الحرج عن العاجزين .

والقرآن يكره الجمود على تقاليد الاباء والاجداد اذا كانت هذه التقاليد تناهض احكام العقل القاطعة ، ويهزأ بهؤلاء الجامدين ، ويسخر من الخرافات والاساطير ، وليس فيه اسرار يحدث تصورها تناقضا عقليا في الذهن . وكل نص في القرآن يحدث تصوره ، في الظاهر ، تناقضا عقليا في الذهن يجب تأويله حتى يرتفع التناقض .

فالاسلام ، اذن ، هو الدين السماوي الذي يجعل الجدل العقلي الصارم طريقا للوصول الى الحق .

هذه حقائق يقينية مقررة ، حتى تكاد تكون معلومة من الدين بالضرورة . ومن جهلها او انكرها فهو جاهل لحقيقة القرآن والاسلام .

2 — القرآن والحرية

ان حرية الانسان ، في نظر القرآن ، هي أمر طبيعي وضروري وبديهي . وان حرية الفرد مطلقة الى

10 — غايـــــات الاشيـــــاء

ومن ركائز التفكير الاسلامي ، الراسية علـــى اصول القرآن ، اننا محجوبون عن ادراك بدايـــــات الاشياء ونهاياتها . هذا مقرر . هكذا خلقت عقولنا ، بل هكذا خلقت حواسنا ، حتى فى عالم المادة الـــذي نعيش فيه ، كما يقول (باسكال) . فالصوت اذا افرط فى الشدة يصم اسماعنا ، او على الاصح لا نسمعه ، والنور اذا افرط فى الشدة يعشي ابصارنا بل يصعقنا، كما صعق موسى ، والقرب يمنعنا من الرؤية اذا افرط، كما يمنعنا البعد . هذا هكذا فى عالم الشهادة ، فكيف اذا كان الامر الذي نريد معرفة أولياته وبداياته ونهاياته وغاياته فى عالم الغيب ؟

11 الظـــن والحـــق

من ركائز التفكير الاسلامي (ان الظن لا يغني من الحق شيئا) سورة النجم 28 — وهذا هو نفســــه منطق العقل فى اثبات الشيء ونفيه . هنالك فرق كبير، عند القطع والجزم . بين الاثبات والنفي . فنحن نجـــزم بثبوت الشيء الذي يقوم الدليل العقلي او العلمـــي القاطع على وجوده . ولكن لا يحق لنا أن نجزم بنفـــي الشيء او الخبر الذي لم يقم لدينا الدليل على وجوده. الا اذا كان تصور وجود هذا الشيء ، أو هذا الخبر ، يشكل تناقضا عقليا فى الذهن ، كما يقول (لايبنتز) . اما اذا لم يكن الامر كذلك ، وكان الشيء أو الخبر من النوع الممكن ، فاننا نقف امامه موقفنا من كل ممكن غير مستحيل . فلا نقطع بثبوته عقلا ولا نقطع بنفيه عقلا .

12 — نواميس الله لا تتخلف

« ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » سورة فاطر 43 — وكذلك يقول العلـــم ان النواميس الكونية ثابتة ولا تتعطل ولا تتخلف . ولكن الانسان يستطيع ان يوقف تأثير ناموس بناموس آخر. ولا يقال . هنا . ان الانسان عطل فعل الله ، او عطل خلق الله . ولكن يقال ان ناموس الله تعطل بناموس الله . كما فى تأخير نمو الخلية الانسانية فى الجنين أو افسادها او تشويهها بالمواد الكيمائية او بالاشعة .

الصوفيـــــة فى الاســـــلام

واما قولك عن الصوفية لمن اعتبرها الحل النهائي والجذري لمشكلات الانسان المعاصر (ان كلامه هذا يخبىء وراءه سلوكا هروبيا هدفه الابتعاد عن مواجهة الحقائق والواقع عن طريق انطواء الانسان على ذاته) فهو ، منك ، قول فى منتهى الصحة والعمق والاخلاص . فانه ليس فى دين الاسلام صوفية بهذا المعنى (الهروبي الانطوائي) قط . بل هذه صوفية خيالية اتتنا رياحها المخدرة من الشرق القديم ، ومن النساك المترهبين ، فى فترة تلقنا الفكري والاجتماعي والاخلاقي والوجداني، فراق لبعض المخلصين منا أن يصوغ على مثالهـــا صوفية اسلامية ، كان منها الصافي النابع من معين النبوة ، وكان منها ، بعد ذلك ، المعكر بزبد الطقوس الغريبة عن معدن الاسلام وجوهره .

واذا كان فى الاسلام صوفية فانما هي صوفية النبي وكبار اصحابه فى عبادتهم ، وبعدهم عن الترف ، وجهادهم الدائم الدائب فى كل ما ينفعهم وينفع الناس : من سعي وعمل ، واكتساب وارتزاق ، وعلم وتعليم، وقوة ودفاع ، ونصح وارشاد ، وتعاون وتناصر وامر بالمعروف ونهي عن المنكر ، واهتمام بامر الجماعة ، واستنكار لكل ما يحمل معنى الانقطاع عن الدنيا أو معنى التبتل او التعمق فى العبادة او المغالاة فى الزهد، او الانطواء على الذات ..

هذه اهم الركائز فى التفكير الاسلامي النابع من معين القرآن ، وهي تكاد تكون كالبديهيات فى منطق العلم ومنطق القرآن . وهي الكفيلة بالرد على كـــل التساؤلات والشكوك والصعوبات التي اثيرت ، وبالرد على كل صعوبة يجدها الشاب الثقيف فى بعض آيات القرآن ، حتى يفهمها ، او يكف عن تكذيبها على الاقل. ويكفي الشاب الثقيف اذا كان يسأل للاستفهام حقا ، لا للجدل والمراء « بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » سورة الحج 9 — ان يعرض شكه على هذه الركائز ، وينعم النظر فيها ، ليجد الجواب الذي يرضاه العقل السليم ، والمنطق القويم ، والقرآن الكريم .

فى الـــرد بايجـــاز علـــى تســـاؤلاتك

أ — اما تساؤلك حول موقف المسلم من الثقافـــة والحضارة المعاصرة ، والانقلاب العلمي ، والثـــورة الصناعية ، وكتاب (دارون) فى أصل الانواع ومؤلـــف (ماركس) فى « راس المال » ونظرية (اينشتاين) فى (النسبية) ، فانك تجد جوابه فى الركائز الثـــلاث الاولى التي أوضحنا فيها ان القرآن يقدس العقل والعلم والحرية . ولن يكون موقف المسلم ، من هذه المستجدات التي ذكرتها ، الا كموقف كل انسان ذي عقل سليم . يدركها ويفهمها ويأخذ منها بكل ما يتلائم مع الحـــق والخير ، على أساس مفهوم الحرية فى الاسلام .

انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » . وقد جاء الوقت ، وانكشفت بعض الاسرار ، وتبين الحق .

6 — قانــــون العليــــة

من ركائز التفكير العقلية فى القرآن امر الفطرة، ومن جملتها « قانون العلية » . ذلك ان فى عقولنـــا قوانين فطرية وهي التي سماها « كانط » « قوانين العقل المنظمة » .

ومن جملتها ، بل من اعظمها قانون العلية ، الذي يتطلب بالبداهة ، لكل معلول علة ولكل مسبب سببا . هذا مقرر ، وليس لنا ان نشك فيه ، كما انه ليس لنا ان نتطلب عقولا وراء عقولنا التي فطرنا الله عليهـــا « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها » سورة الروم 30 — وبهذه الفطرة من قانون العلية ندرك وجود الله . ومهما اختلف المتفلسفـــون فى هذه الفطرة وكونها مكتسبة من تجارب الانســـان الطويلة ، او كونها من خلق الله ، فان قانون العلية الذي اعتبره (ديكارت) صادقا وغير خادع ، واستدل به على الله ، وعلى صفات كماله ، هو ، على كل حال، القانون العقلي الذي يتحكم فى ادراكنا لكل ما فى الوجود وعليه يقوم العلم ، وعليه تقوم المعرفة ، وعليه تقوم الحياة ، وعليه يقوم الايمان بالله .

7 — ميــــزان التناقــــض

ان النظر العقلي يدور ، فى كل شيء من الماديات والمعنويات ، والمشاهدات والمغيبات ، حول احكـــام ثلاثة : (الوجوب والامكان والاستحالة) . هذا مفهوم عند ابسط الناس علما وفهما ، ولكن الذي يشتبـــه ويخفي على بعض ارقى المثقفين من الشباب ، احيانا ، هو التفريق بين نوعين من المستحيل : المستحيل العقلي وهو الذي يشكل تصور وجوده او تصور عدمه تناقضا علقيا فى الذهن ، كقولنا الواحد ربع الاثنين لا نصـــف الاثنين ، او قولنا جزء الشيء اكبر من الشيء ، او قولنا جبل لبنان يدخل فى الفنجان . اما المستحيـــل العادي فهو لا يحدث تناقضا عقليا فى الذهن ، ولكننا ، بحكم العادة ، نظن انه مستحيل ، وما هو كذلـــك ولكننا تعودنا ان نراه مستبعدا كالمستحيل ، ثم عرفتنا الايام انه لبس بمستحيل عقلي : مثل الصعود الـــى السماء ، والتخاطب والتناظر من اقاصـــي الارض ، والوصول الى القمر . والميزان الضابط فى تكذيب الخبر ليس استبعاده واستغرابه ، بل هو كونه يحـــدث تناقضا عقليا ، كما يقول (لايبنتز) . فان احدثه نفيناه، وان لم يحدثه توقفنا عن التكذيب . فلا يغفلن الشاب الثقيف عن التفريق بين هذين النوعين من المستحيل اذا هو تورط فى جدل مع نفسه حول الله والديـــن واخبار القرآن .

8 — نطـــاق العقـــل

من ركائز التفكير الاسلامي الراسية على اصول القرآن ، التفريق ، فى الادراك ، بين عالم الغيب وعالم الشهادة . وهذا نفسه ما عرفته الفلسفة واوضحـــه (كانط) . فهنالك نوعان من الادراك للموجـــودات : ادراك لكنه الشيء بذاته ، وادراك لوجوده بالدليل ، مع العجز المطلق عن ادراك كنه ذاته . فالعقـــل البشري قد يستطيع ادراك كنه الشيء بذاته ، الى حد ما ، ضمن نطاق محدود ، وهو نطاق العالم المادي المحسوس (عالم الشهادة) ، اما فى عالم الغيب غير المحسوس فالعقل يستطيع ادراك وجود الشـــيء بالاستدلال ، ويستطيع ادراك بعض صفاته ، مـــن آثاره . ولكنه يعجز عن ادراك كنه ذاته . هذا مقرر لا يحتمل الجدل . وبهذا الادراك نستدل على وجود الله ، وعلى بعض صفات كماله ، من اثاره ، بـــدون ان نستطيع ادراك كنه ذاته .

9 — التصــور والتعقـــل

ومن ركائز التفكير الاسلامي ، الذي ينبع مـــن اصول القرآن ان نفرق بين التعقل والتصور . هكـــذا يقول العلم ، وهكذا تقول الفلسفة الصحيحة . فليس كل ما يمكن تعقله يمكن تصوره . لاننا قد نعقل وجـــود الشيء بالدليل ، ولكن لا نستطيع ان نتصوره . وليس عجزنا عن تصور الشيء الذي تعقلناه مبررا للقول بعدم وجود . اترانا نستطيع ان نتصور ان صحيفة من ورق السجاير الرتيق الرقيق ، اذا قطعت بالتضعيف 45 مرة ثم ركمت صعودا تدق بالقمر ؟ ولكننا بالحساب البسيط نتعقله . واذا القي الينا من المجرة مثلا جهاز تلفزيون ، افلا نستدل به على وجود صانع ، ثـــم نستدل به على بعض صفات ذلك الصانع ، التي منها انه عاقل وذكي وعالم ؟ ولكننا مع تعقل وجـــوده ، وتعقل بعض صفاته ، لا نستطيع تصور كنه ذاته ، لاننا لم نشاهده ولم نحسه ، فلا ندري اهو من البشر أم من نوع الانسان الالي ، ولكن هل يصح ، فى حكم العقل ، ان ننكر وجوده لاننا لا نستطيع تصور كنـــه ذاته بعدما تعقلنا وجوده وبعض صفاته بالدليل العقلي القاطع ؟

تكاد تطلقها « الى ظل ذي ثلاث شعب. لا ظليل ولا يغني من اللهب » .. فأما ان تنكر وجود الله ، وأما ان تقول بالتجسيد للاله ، واما ان تقول بوحدة الوجود .. وما احسبك تريد شيئا من هذا .

ثم . هل القرآن وحده قال بهذا التنزيه لله عن مشابهة الحوادث ، أم اجمعت عليه كل الكتب السماوية المنزلة الصحيحة ، كما اجمع عليه كل الفلاسفة الالهيون ؟

أم ترانا ، مع الدكتور العالم الاستاذ فى الفلسفة نحتاج الى أن نبدأ الابجدية من اولها ، ونقول له المحدث محدث والله قديم ، والمحدث يفتقر الى محدث والله قائم بذاته والمحدث ممكن الوجود والله واجد الوجود.. والمحدث مركب والمركب محدود والله مطلق .. الى آخر الامثولة ؟ ..

اننا لا نحتاج الى ذلك معك ، ولكن ما العمل وقد نجرت السؤال على صفحات الجرائد ؟ انسكت ليقول الشباب الذين يقفون على عتبة الزيغ : انه حيرهم فلم يحيروا جوابا ؟

الا تذكر ما قلناه فى الركيزة التاسعة عن الفرق بين التعقل والتصور ، وان ليس كل ما يمكن تعقله بالدليل القاطع يمكن تصوره .. ثم ، الا تذكر ما قلناه فى الركيزة الثامنة عن عجز عقولنا عن ادراك كنه الشيء بذاته الا فى المحسوسات ؟ ثم . من الذي زعم ان القرآن قال عن الله بانه لا يوصف ؟ امثلك يقول هذا ، والقرآن مملوء بصفات كمال الله سبحانه ؟ ولو لم ترد صفات كمال الله فى القرآن السنا نستطيع ان نعرفها من آثاره ؟ الم يعرفها (ديكارت) بعقله ، لما رجع عن شكه واستنتج من وجود نفسه ، وجود ربه وخالقه ، ثم استنتج من آثاره اكثر صفات كماله ؟

الايمـــان العجـائـــزي

هـ ــ واما قولك « انه يفترض فى المسلم ان يعتقد بايمانه وقلبه لا بعقله وذهنه » فغير صحيح . بل عكسه هو الصحيح . فليس فى الاسلام ايمان قلبي روحانــي يكتفي بالتخيل او الالهام أو التلقين او التقليد ، بدون ان يعتمد على ادلة العقل اذا نضج العقل وبدأ التفكير، اما الذي يسمونه ايمان العجائز فانه ليس بالايمــان الكامل ، الذي يقف على رجليه اذا عصفت زوابــع الشك او اعاصير الشبهات . ولكنه يقبل من العجائز والعاجزين عن الاستدلال العقلي ، من باب رفع الحرج والتكليف بالوسع ، وهما من اهم واحكم مبادىء القرآن. بل ان هذا الايمان العجائزي ، الذي نحسبه تلبيــا روحانيا الهاميا تلقينيا تقليديا ، ينبع ، فى الحقيقة ، من العقل الباطن الذي تكمن فيه ، من غير شعور منا ، ادلة العقل بالفطرة التي فطر الله الناس عليها ، ومن بعضها قانون العلية ، الذي يتطلب العقل فيه لكــل معلول علة ، ولكل مسبب سببا .

ولو اكتفى ايمان الاسلام بان يكون من الظــن والخيال والالهام والتلقين والتقليد ، لما كان يختلف ، فى هذا عن ايمان المشركين وعبدة الاوثان . كلا ثم كلا . ان ايمان الاسلام هو ايمان الحق واليقين ، لا ايمــان الظن والخيال و « ان الظن لا يغني من الحق شيئا » . واذا كان ايمان المسلم يقع ، أخيرا، فى القلب والضمير، فانما ينحدر اليهما من قمة العقل ، طاهرا من ادران الظنون والاوهام ، بعد ان يمر بمصفاة العقل السليم ، ويصبح صالحا لمقاومة الشكوك والشبهات ، كالدم الذي يرده القلب الى حيث يصفى من سمومه ليصبح قويا وصالحا لمقاومة الجراثيم .. هذا هكذا . ومن ظن ان فى الاسلام ايمانا كاملا غير هذا الايمان العقلــي البرهاني اليقيني ، فانه يشوه معنى الايمان بالله الذي يمتاز به دين الاسلام عن الوثنية المشركة بكل اشكالها.

طرابلس : نديم الجسر

اما مذهب (دارون) فقد بينا فى محاضرتنا ، وفى كتابنا « قصة الايمان » ، نقلا عن « الرسالة الحميدية » انه عند ثبوته الثبوت القاطع ، لا يتنافى مع القرآن .

واما نظرية (اينشتاين) فى (النسبية) فقد بينا فى « قصة الايمان » انها لا تتعارض مع القرآن فى شىء، لان القرآن يؤيد كل ما هو حق فى باب العقل والعلم .

ب — واما تساؤلك حول خلق آدم من طين فتجد جوابه فى كلامنا عن مذهب (دارون) . ومثله سؤالك عن المعجزات ، فانك تجد جوابه فى الركائز (7 ، 8 ، 9 ، 10 ، 11) . فالمعجزات التي قد ورد ذكرها فى كل الكتب السماوية لا فى القرآن وحده ، ما هي فى الحقيقة الا خرق للناموس من قبل الله . فاذا كنا نؤمن بان الله هو خالق الكون وخالق نواميسه ، فبداهة العقل تحكم بان الذي خلق الناموس قادر على خرقه . والقول بنفي هذه القدرة هو الذي يشكل تناقضا عقليا .

وكذلك سؤلك عن الملائكة والجن ، فانك لتجد جوابه فى الركائز الخمس المذكورات . لقد كان تصور الملائكة والجن ، لعمري ، اكثر صعوبة قبل اكتشاف نواميس الضوء .. اما اليوم بعد معرفة امواج الضوء وانواعها من المنظورة وغير المنظورة ، وسلالمها الكثيرة التي يقع العالم المنظور فى سلم واحد منها فقط ، فقد اصبح من قبيل التعنت والمراء ان نقف من الملائكة والجن موقف الانكار .

والخلاصة ان هذه الامور الغيبية كلها ، من خلق آدم ، وخرق النواميس ، ووجود الملائكة والجن ، انما يقع تصديقها او تكذيبها تحت تمحيص مبدأ التناقض الذي ذكرناه فى الركيزة (7) . وبما انها من النوع الممكن، ولا يحدث تصور حدوثها أو وجودها تناقضا عقليا فى الذهن ، فلا مجال للجزم والقطع بتكذيبها .

خلق الانسان

ج — واما تساؤلك حول الاية الواردة فى سورة « المؤمنون » التي تتعلق بخلق الانسان من نطفة وعلقة ومضغة ، وقولك عنها ان ظاهرها يفيد الخلق الدفعي المباشر ، وان هذا يتنافى مع علم الاجنة ، وما ثبت فيه من تطور الخلية الانسانية ، وتحيرك فى كيفية التوفيق بين خلق الله المباشر المتكرر للنطفة فالعلقة فالمضغة فالجنين فى اطواره المذكورة ، وبين كوننا نستطيع ان نتحكم فى نمو الخلية ، ونستطيع تأخيره او تشويهها ، ونكون بالتالي كالمعطلين لعمل الله فى الخلق، فانك لتجد جوابه فى الركيزة (12) ، وفى كلامنا عن خلق آدم ومذهب (دارون) ، وقولنا فيه : ان الخلق يمكن ان يكون بالطريق التدريجي التطوري ، على مقتضى نواميس وقوانين وضعها الله فى الكون . واحسب ان علم الاجنة مما يؤيد هذا الخلق التطوري ويقدم عنه مثالا محسوسا ، وان كان الخلقان يقعان تحت قدرة الله ، وليس احدهما ادل على القدرة من الاخر .

واما تعجبك مما يعطيه ظاهر الاية من معنى الخلق المباشر المتكرر ، فتجد جوابه فى الركيزة (5) ، التي بينا فيها ان نهج القرآن فى مخاطبة الناس انما يكون على قدر افهامهم ومعارفهم . وما كان لله العليم الحكيم ، الذي هو الخالق فى الحقيقة على كل حال ، ان يحير الناس ، فى عهد نزول القرآن ، بذكر تفاصيل الخلق عن طريق الخلية ونموها التطوري بقوة النواميس التي وضعها الله فى الكون ، وهم لا يفهمون معنى الخلية ولا معنى الناموس ولا معنى التطور .

وهذا ما قلنا عنه انه من اعجاز القرآن : حين يعبر عن المعنى بعبارة يفهمها البدوي الامي على ظاهرها ، ويفهمها العالم الفيلسوف فى اعماق اسرارها

وآخر الاجوبة عن امر الخلية هذه تجده فىالركيزة (12) التي قلنا فيها ان نواميس الله لا تتخلف ، ولكن يمكن توقيف اثرها بتسليط ناموس على ناموس . فنحن عندما نتحكم فى نمو الخلية او فسادها أو تشويهها لا يقال اننا عطلنا عملية الخلق التي يقوم بها الله بيده . ولكن يقال ان احد نواميس الله قد توقف بأحد نواميس الله ، طبقا لما اراد الله فى الناموسين ان يتفاعلا ، وطبقا لما اراد الله للانسان من التصرف فى استعمال النواميس والانتفاع بها ، وطبقا لما تدره الله فى علمه الازلي من خلق الجنين او عدم خلقه . وهذا اظهر من ان يحتاج الى جدل .

« ليس كمثله شيء »

د — واما كلامك عن مخالفة الله لجميع الاشياء وعن قول القرآن عن الله « ليس كمثله شيء » وقولك انت عنه فى آخر الكلام عن لسان المسلم « كيف أؤمن بكائن يقال ليانه فى الحقيقة لا يوصف ؟ وهل يكون ذهني خاليا من كل معنى أو تصور حينما اصفه بالعدل والرحمة مثلا ؟ الا يكون ، عندئذ ، وجود مثل هذا الاله أو عدم وجوده سيين بالنسبة الي » .

فاني أسألك ، فى جوابه : مالك يا دكتور ؟ انه ليبدو انك تكاد تضع المشكلة فى طريق مسدود ، او

اسباب واحوال ينبغي ان يستخلص المسلمون منها ما يمدهم فى حياتهم الحاضرة . اما ذكر تسلسل الحوادث فى حياة رسولنا العظيم دون المغزى الحقيقي لها فانه قليل الغناء فمن اول مغزى هذه الهجرة ان يعرف المسلم المومن ما فعله الايمان بنفوس اسلافنا حيث آثروا الاحتفاظ بايمانهم والصبر على اذاية المشركين لهم ولو كلفهم هذا الايمان التخلي عن متاع الدنيا وراحتها ، قال الحافظ ابو بكر بن العربي عند تفسير قول الله تعالى : « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » ، قال علماؤنا رحمهم الله كان رسول الله قبل بيعة العقبة لم يؤذن له فى الحرب ولم تحلل له الدماء ، انما يومر بالدعاء الى الله والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل ، فكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم عن بلادهم ، فهم بين مفتون فى دينه ومعذب ، وبين هارب فى البلاد مغرب ، فمنهم من فر الى ارض الحبشة ومنهم من خرج الى المدينة ومنهم من صبر على الاذى ، فلما عتت قريش على الله وردوا امره وكرامته ، وكذبوا نبيه ، وعذبوا من آمن به وعبده ووحده وصدق نبيه ، واعتصم بدينه اذن الله لرسوله فى القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم ، فكانت اول آية انزلت فى اذنه له بالحرب واحلاله له الدماء : « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » ، وقال الحافظ ابن العربي قبل هذا : وكان الكفار يعتمدون النبى صلى الله عليه وسلم والمومنين بالاذاية ، ويعاملونهم بالنكاية ، لقد خنقه المشركون حتى كادت نفسه تذهب فتداركه ابو بكر ، وقال : اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ، وقد بلغ باصحابه الى الموت ، قد قتل ابو جهل ، سمية ام عمار بن ياسر ، وقد عذب بلال وما [illegible] هذا الا الانتحار بالقتال .

وهذه النصوص تبين لنا ان مشروعية القتال كانت دفاعا عن النفس اولا وعن حرية نشر الدعوة وحرية العقيدة والتوحيد ثانيا .

ومما سبق هذه الهجرة وهيأ للنبي واصحابه موطنا آمنا لاقامه الدين فى امن وجماعة ما كان الرسول يقوم به فى مواسم الحج من تبشير بالاسلام ومن عرض نفسه على القبائل للايمان برسالته وحمايته حتى يبلغ كلمة الله الى الناس ، واستمر دائما على الدعوة والتبشير بالاسلام اعواما فى مواسم الحج حتى وجد من سكان المدينة الاوس والخزرج من استجاب لدعوته وآمن برسالته ، فكانت النتيجة ان فتحت المدينة بالقرءان كما يقول الحافظ بن القيم . فكانت ديار الانصار عامرة بتلاوة القرءان .

فتوطدت فى المدينة دعوة الاسلام ووجد النبي واصحابه مكان الامن والايمان مستعدا لقبول المهاجرين وعلى راسهم صاحب الرسالة ، فأخي النبي بعد الهجرة بين المهاجرين والانصار فواسى الانصار المهاجرين بالنفوس والاموال حتى جمع الله بهم الشمل ومهد لهم الغلبة والنصر ، ومدح الله صنيع الانصار ورضى عن احوالهم وسيرتهم وايمانهم وانزل فيهم قرءانا يتلى على مر القرون والاعوام ، فقال تعالى : « والذين تبواوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » .

ولابد من اشارة هنا الى ان اسلافنا الصالحين قاموا بنشر دعوة الاسلام فى المشرق اولا وفى المغرب ثانيا كما هو معلوم فى تاريخ الاسلام العظيم ، وهذا ما ينبغي ان يفعله المسلمون فى الوقت الحاضر ، فيكونوا ويؤسسوا جمعيات لنشر الدعوة الاسلامية بالطرق السليمة المشروعة ، كما يفعله غيرهم من اصحاب الديانات الاخرى ، لا فرق فى هذه المساعي الحميدة بين عالم وتاجر وغني وفقير . اما هذا التواكل الذي يعيش فيه العالم الاسلامي فهو سبب الخذلان . العالم الذي يقول انه ضعيف وليس له ما ينفقه على نفسه وعياله وعلى السفريات فى مختلف النواحي؛ بل البعض لا يقوم بواجب التعريف بالاسلام حتى فى الحي الذي يسكن فيه ، والغني الذي له فضل من المال يقول :هذه مهمة العلماء وهم المكلفون بنشر العلم الديني ، والتاجر يبخل حتى بزكاة ماله ، والجاهل لا رغبة له حتى في التعلم ، وهكذا بتفريط الجميع حلت التهلكة بالعالم الاسلامي وتفككت وحدة المسلمين وتوالدت النكسات عليهم ، مع ان الله تعالى يقول : (وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، واحسنوا) وسيرة النبي وقادة الاسلام وابطاله تبين لنا التطبيق العملي والقدوة المثلى من وجوب التعاون على كل خير كما تقول الاية : (وتعاونوا على البر والتقوى) وتقول آية اخرى : (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ، فأين المسلمون

عبرة من ذكرى المولد والهجرة

للأستاذ محمد الطنجي

جرت عادة المسلمين فى العصور الاخيرة بالاحتفالات فى مبدا العام الهجري والمولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وذلك بقصد التذكير بعظمة رسول الاسلام والحض على احياء سنته والسير على المبادىء المثلى التي جاء بها ، وكثيرا ما يقع الاعتناء بذكر تسلسل الحوادث فى سيرة الرسول دون اخذ العبرة منها فيفوت المقصود الذي قصده من احدث هذه الاعياد ، فان الرسول عليه السلام ولد فى شهر ربيع الاول وتوفاه الله فى نفس هذا الشهر ، وكانت هجرته ايضا فى شهر ربيع الاول الا ان الاحتفال بالعام الهجري جعله المتأخرون من المسلمين فى شهر المحرم ليكون فى مبدا العام الهجري .

ومما ينبغي ان يعرفه المسلمون ان الاحتفال بهذه الذكريات لم يكن من الاعياد الاسلامية فى عهد الرسول (ص) ولا فى عهد خلفائه الراشدين بل احدثت هذه الموالد بعد القرون الثلاثة التي اخبر الرسول انها خير القرون ، ولعل ذلك كان لما قل العمل وكثر في المسلمين القول والجدل ، فقد عقد الشيخ علي محفوظ رحمه الله فى كتاب الابداع فصلا فى بدع الموالد ، ومن احدثها نقل فيه ما ياتي : قيل اول من احدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون فى القرن الرابع فابتدعوا ستة موالد : المولد النبوي ومولد الامام علي رضي الله عنه ومولد السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ومولد الحسن والحسين ومولد الخليفة الحاضر انتهى ثم ذكرانها ابطلت حتى كاد الناس ينسونها ثم احييت كما ذكر ان اول من احدث المولد النبوي بمدينة اربل الملك المظفر ابو سعيد فى القرن السابع هذا فى بلاد المشرق .

اما فى بلاد المغرب فنستفيد وقت احداث هذه الموالد مما ذكر ـ الشيخ احمد بابا السوداني فى كتابه: نيل الابتهاج نقلا عن الخطيب ابن مرزوق : قال الخطيب بن مرزوق سمعت شيخنا الامام ابا موسى ابن الامام وغيره من شيوخ المغرب يستحسنون ما احدثه العزفي وولده ابو القاسم بالمغرب في ليالي المولد وهما من الايمة ويستصوبون قصدهما فيه والقيام به ، ونقل عن بعض علماء المغرب انكاره ، والاظهر عندي (الخطيب يقول) ما قاله بعض المغاربة استعمال الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة واحياء سنته ومعونة ءاله وتعظيم حرمهم وفعل انواع البر افضل مما سواهما مما احدث اذ لا يخلو من مزاحم فى النية او مفسد للعمل او دخول شهوة وطريق الحق والسلامة معروف ، فالافضل تكثير الصلاة عليه واعمال البر ، قال الشيخ السوداني الناقل انتهى ملخصا وقد ذكر المؤرخون ان ابا العباس العزفي توفى سنة 649 فيكون فى القرن السابع ، فالعلماء عدوا هذه الاحتفالات من البدع ولكن بعض العلماء يراه من البدع المستحسنة .

وبعد هذه الكلمة فى بيان هذا الاحتفال بالمولد نخلص الى مجال العبرة من الهجرة ، فان الهجرة لها

خلود الاسلام

للأستاذ حسن السايح

تجتاز الامم الاسلامية اليوم مرحلة الغفلة عن حقيقتها الوجودية الى مرحلة الوعي الذاتي ، ولعل هزيمة فلسطين كانت اعظم مناسبة للنقد الذاتي والعمل الى الرجوع الى القيم الاسلامية ، فمنذ أن انحرف المسلمون عن انطلاقاتهم الرشيدة فى عهد الرسول وهم يعانون محنة الاغتراب ، واذا كانت الخلافة الاسلامية تستقطب مصالح المسلمين كافة وتغطي بعض التخلفات فانها انحرفت يوم اصبحت تقيم اسسها على عصبية لم يقرها الاسلام ، او على عبثية سيقت اليها قسرا . او على تفرق وتصدع نتيجة فقد الشخصية الواعية ، حتى انتهت اخيرا على يد العثمانيين الذين لم يستطيعوا ابراز ملامحهم الخلافة فى معناها الحقيقي فانغمست فى تجديدات ضائعة اعان المتآمرون من الصهاينة والمستعمرين على تحطمها ، فماتت ، وبقي المسلمون يتامى يعملون فى اطارهم القديم ولا يعملون فى اطار جديد .

لقد كانت الخلافة الاسلامية بمفهومها الحق اعظم منطلق للاسلام ، ولكن المسلمين حينما انحرفوا انتهوا الى تشتت استغله خصوم الاسلام استغلالا فاحشا ، ورغم عناد هؤلاء فانهم لم يستطيعوا ان يقتلوا الروح الاسلامية التي ظلت دائما حية قوية في كل قلب مسلم .

والمسلمون اليوم فى حاجة اكيدة الى البحث عن وسائل تحقيق تكتل المسلمين فى اطار قوي للعمل على نهج يوافق تطور القرن الذي نعيشه ويحافظ على حقيقة الروح التي كانت تعمل لها الخلافة ... ذلك لان رسالة الاسلام يجب ان نؤديها فى فهم جديد عميق للاسلام وفى اطار قوي جديد للعمل .

اما بالنسبة للفلسفة الاسلامية فحاجتنا الى بعث تراثنا الاسلامي وخلق حركة ثقافية اسلامية واقعية ونحن نملك اسس هذه الفلسفة فى اصول العقيدة الاسلامية نفسها . فقد بنى الاسلام على (الاعتدال) فى كل شيء حتى لا تتصارع الارادات في الانسان سواء فى علاقته مع غيره ، أو فى الصراع الوجداني الداخلي ، وذلك ليظل الانسان مسايرا النزعة الفطرية فى تكوينه النفسي والعقلي والجسمي .

واذا كان الفيلسوف افلاطون حاول ان يقيم مدينة فاضلة على اساس مجتمع طبقي قوي تتبدد فيه (الاعتدالية) فقد شعر بخيالة تفكيره ورجع الى سيادة القانون وخضوع الجميع له ، وبذلك عادت الفلسفة التي نادى بها افلاطون الى دعوة الدين ، ورغم ان افلاطون فى دعوته الى طبقية قسرية لم يكن شيوعيا يقيم الفلسفة على الاقتصاد ولا داروينيا يقيم بقاء الاصلح على الانتخاب الطبيعي ، فانه كان ينشد الانسان المثالي الذي صاغه الاسلام (فى اعتدالية) متزنة طبيعية تقرر الواقع وتطوره فى دائرته الكونية دون قسر او تكلف ، وجاء الماركسيون من بعده ليأخذوا فكرة الصراع البشري للانتخاب الطبيعي عن دارون ،

من هذه التعاليم والمبادىء التي رفعت اسلافنا الى مقامات الرياسة والسعادة والمجد .

ثم اننا نجد فى هجرة النبي ما يدفعنا الى الاقدام كما كان الرسول يبذل مجهوده ولا يبالي بالمؤامرات على قتله او نفيه او حبسه كما تذكر الاية الكريمة : (واذ يمكر بك الذين كفروا ليشبتوك او يقتلوك او يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وقد لخص الحافظ بن العربي ما تشير اليه الاية فقال: قد بينا انها مكية وسبب نزولها والمراد بها ما روى : ان قريشا اجتمعت فى دار الندوة وقالت ان امر محمد قد طال علينا فماذا ترون ، فأخذوا فى كل جانب من القول ، فقال قائل نرى ان يقيد ويحبس ، وقال آخر نرى ان ينفى ويخرج ، وقال آخر نرى ان يأخذ من كل قبيلة رجل سيفا فيضربونه ضربة واحدة فلا يقدر بنو هاشم على مطالبة القبائل ، فاتفقوا عليه وجاء جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه بذلك واذن له فى الخروج فامر النبي (ص) علي بن ابي طالب بأن يضطجع على فراشه ويتسجى بثوبه الحضرمي وخرج النبي حتى وضع التراب على رؤوسهم ولم يعلموا به واخذ معه ابا بكر الى الفار فلما اصبحوا نظروا الى علي فى موضعه وقد فاتهم ووجدوا التراب على رؤوسهم ولم يعلموا تحت خزي وذلة ، فامتن الله على رسوله بذلكمن نعمتهوسلامتهمن مكرهمبما اظهر عليهم من نوم على السرير كأنه النبي ومن وضع التراب على رؤوسهم وهذا كله مكر من فعله جزاء على مكرهم والله خير الماكرين .

وهنا نذكر صنيع النبي فى اخذ العدة لهذهالهجرة والخروج خفية ، والمكوث فى الفار اختفاء من الكفار الذين آذوه والجأوه الى الخروج من مكة موطنه ومقر عائلته الى دار هجرته ومحل اقامته مع سلوك طريق وعر غير مسلوك حتى وصل الى اتباعه وانصاره واعتز بحياته بينهم حتى قال لهم بعد فتح مكة : لو سلك الناس شعبا وسلكت الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار .

والمغزى الذي يجب اخذه من كثرة هذه الاحتياطات فى هذه الرحلة هو اتخاذ الاسباب التي تضمن الوصول الى الهدف المقصود والاستعانة بالكتمان واخذ الاحتياط والعلم بان التوكل على الله هو بعد اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة لا قبل ذلك

وهذا ما فقده المجتمع الاسلامي فصارت احواله وسياسته واستعداداته ان وجدت يقع الاعلان عنها تفاخرا ورياء وكثيرا ما يكون ذلك ادعاء فقط ، ونظرا لعظمة الهجرة وفسحها المجال لانتشار الدعوة الاسلامية اخذ بعض الصحابة يفخر بها على ما يظهر من حديث الرسول الذي بنظر الى الحقائق واصلاح النفوس لا الى المظاهر والانتقال من مكان الى مكان ، وهذا والله اعلم ما يستفاد من قول الرسول : (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) ، نقول وهذا هو الحظ الاوفر من الهجرة وهو باق بعد الصحابة المهاجرين لجميع المسلمين الى يوم القيامة ، فالى العمل ايها المومنون .

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون

الرباط : محمد الطنجي

لقد كانت الكنيسة فى الغرب لا تهتم بموقف الانسان وحياته المادية فى الارض ، ولم تكن لها صورة كونية لبناء العالم وتفهم الاشياء على اساس عقلي ، بل ان الكنيسة فى الغرب على يد (تارتوريارن) كانت تؤمن بالمستحيل وترفض المعرفة الفكرية بصفة عامة ، بينما كان (ارنوبيوس) لا يجد فائدة لاية معرفة كانت ، وقد كان هذا الجمود الفكري فى الغرب طاغيا عندما كان (كليمنطت ، واوروجين ، واثناسيوس) يضعون في الاسكندرية نظرية التثليث الخيالية ايضا ، كما يلاحظ ان (سيبريان ، وامبروز ، واغسطس) وجهوا عنايتهم وجهودهم الفكرية لكفاح الانسان الاخلاقي ومشاكل الخطيئة والتعميد ، حتى اصبح التدين المسيحي في الغرب رواقيا يؤمن ان محافظة الانسان على روحه وهدوئها فوق كل شيء ، وظل الصراع دائما بين المعرفة عن طريق الايمان الخالص والحدس • أو عن طريق التفكير الدياليكتكي ، بينما الاسلام ظل دائما يجد الحل فى كل الاراء والنظريات على اساس (اعتداليته) .

واذا كانت الاخلاق المسيحية تبنى على المحبة وتحتاج لفلسفة اضافية لبناء المجتمع فالاخلاق الاسلامية تبتني على العمل والحرية والمسؤولية ، وليست فى حاجة الى فلسفة لتفسير موقفها من الكون لانها هي الواقع .

ان المسيحية عندما تتقدم فى تفكيرها تتصل دائما بالتفكير الاسلامي ، وقد برهن على ذلك (فيكو) في كتابه (خطبة فى كرامة الانسان) عندما انفصل عن الاراء المسيحية متحررا تحررا عقليا ومرددا كثيرا من الاراء الاسلامية فقرر أن الله خلق آدم على صورته • زمن ثم انطلق لسرد كثير من الاراء التحررية التي توافق الاراء الاسلامية ، كما أن (كلفان) اعلن عداءه للتصوير والايقونات فى الكنائس لانها تشغل عن العبادة جريا على المذهب السني الاسلامي ، وتبدو الاعتدالية الاسلامية فى بناء شخصية المسلم ، فلا رهبانية فى الاسلام بمفهوم الرهبانية فى الاسلام لا لمفهوم الرهبانية الكنسي ، اما بالمفهوم الاسلامي فالرسول يقول الجهاد رهبانية امتي ، وقد نصح المسلمون الاولون رجال الحرب بعدم مهاجمة الرهبان لانهم اعضاء سلبية في المجتمعات ولذلك فالاسلام وسط بين الرهبانية والفطاقورسية .

واذا كانت اللوثيرية تعتقد بان لا صلة بين الاخلاص والاخلاق لان الاخلاص امر ديني محض لا ارتباط له بالمكان المطلق الذي هو شحنة الايمان لا شحنة الاعمال • ولان الايمان ياتي من الله لا من الانسان لتخرج من مشاكل (الوجوب) على الله ، فان الاسلام فى اعتداليته قرر العلاقة وفوض الامر لله تعالى بل أن اللوثيرية لم تخرج عن نهج بعض الفرق الاسلامية في اعتقاداتها .

ويعتبر مذهب التطهير فى المسيحية ان الكسل خطيئة منددا بضروب الاستمتاع ، وهو فى هذه المحاولة يقترب من الدعوة الاسلامية الى العمل وترك التوكل والكسل ، واقامة اعتدالية الجدية والتسلية معا .

وقد اقر مجمع (ترانت) فى قواعد تعلم الدين المسيحي ان الايمان التقليدي هو الايمان الصحيح على غرار الكلمة الاسلامية • اللهم ايمانا كايمان العجائز ..

وعندما انتقد (ديدرو) المسيحية ووصفها بالقسوة والتخيل والانقسام والخطر على الامن العام • انما كان ينتقد الانحرافات المسيحية الحقة التي لو عاش المسيح لسانده فى نقدها نظرا لما اصابها على يد الرهبان • بل يرى (ديدرو) ان اللوثيرية افضل من الكاثوليكية • ويرى (الكالفانية افضل من اللوثيرية والسوسيانية افضل منها • وعبادة الله فى المعابد فقط افضل من السوسيانية ... فهل يا ترى وصل الى غير ما دعا اليه الاسلام من عبادة الله المطلق الوجود الذي هو معكم اينما كنتم ! !

واذا تجاوزنا الكنيسة الى المذاهب الفلسفية والعلمية التي ناهضت الكنيسة فسنرى انها فى معظمها تأثرت بالتفكير الاسلامي • فمذهب (لوك) الحسي الذي صدرت منه الاسس اللازمة للديمقراطية المقررة ان الناس يولدون متساوين ثم تختلف معارفهم بناء على التجارب الحية • يتأثر بالراي الاسلامي الذي يرى ان كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه • او يمجسانه او ينصرانه • وقد انتزع الفكرة السياسيةمن هذه الفطرة الخليفة عمر حين اعلن أن الناس يولدون احرارا ، وعلى اساس ذلك فالمواطن الصالح انما ما يصنعه القانون الصالح ، فالتربية الاسلامية هي التي تكيف المواطن اجتماعيا وسياسيا وتربويا في تركيب فيزيائي اجتماعي • وعلى اساس ذلك ايضا يكون الحاكمون المنتزعون من الامة نفسها حسب الكلمة (وكما تكونون يولى عليكم) فالمستبد العادل فى القمة منتخب من القاعدة وقد يكون المستبد العادل رحيما عادلا او يكون من خلال تصرفه مسوغا للحكم المطلق ،

والجدلية عن (هيجل) وليفيموا (اعتدالية) للمجتمع. ولكنهم اقاموا المجتمع على (اعتدالية) اقتصادية اكيدة لم يعد الانسان فيها أكثر من آلة صماء ... ولذا كان الفرد اساس الفلسفة والمذاهب وموقعه في الجماعة اهم نقطة شغلت الفكر الانساني، فمن الطبيعي ان نبدأ الفلسفة والمذهب بالفرد ، لان المعرفة انبثقت منه . وعلى اساس ذلك اشتغل المحللون بالجانب النفسي والاجتماعي للفرد ، فتولد عن ذلك الاهتمام به وبحالته العقلية والنفسية والمذهبية وعلاقته مع غيره، ونتجت عن ذلك المذاهب الاجتماعية والاشتراكية والليبرالية والشيوعية الهادفة لتحقيق سعادته وسعادة مجتمعه . ومن تم لا يخلو الفرد فى كل تاريخ من عناية خاصة بأصحاب الفكر ، وكل تطور يحدث فى الفكر يجعل من الفرد نقطة التحول والبحث الى ان تبلورت فى القرون المتأخرة فلسفة دراسة الفرد وما يسمى بالذات والانا . وكان ديكارت فى القرون الوسطى من المع الذين وجدوا كينونة الفرد فبدأ من الشعور بالانا . وظل قويا لا يجد من يخالفه الى عصر سارتر الذي بدا اكتشاف الفرد من الوجود ، قبل البدء بالشعور . وبذلك اصبحت الوجودية تعلن أن الانسان موجود ومنه ينبع كل شيء بدل أن ينبع الوجود من المجتمع كما كان . اما فى الاسلام فالفرد فيه جزء من الوجود ذاته بل هو جزء من الكون كله . وعلى اساس ذلك اعطى للفرد حريته وللمجتمع حقوقه ليضمن للجميع توازنا نفسيا واجتماعيا واقتصاديا قارا على اساس (الاعتدال) .

وظل المجتمع الاسلامي ينمو فى ظلال الفرد والجماعة على اساس فلسفة الاسلام (الاعتدالية) بين الوجود الفردي والوجود الاجتماعي (والاعتدالية) بين ظاهر الوجود الاجتماعي والذاتي ..

وقد فقدت اوربا هذه (الاعتدالية) على يد الكنيسة التي حاربت الوجود الفردي فاتجه الفكر العربي الى تنمية روح الفرد بعد الصراع مع الكنيسة فكان التطرف فى الحرية ايضا على حساب الجماعة . وهكذا (فالاعتدالية الاسلامية) دائما موفقة فى التصالح بين الفرد والجماعة ، غير ان فلاسفة أوربا تأثروا بمدرسة ابن رشد على يد طوماس الاقويني فحاربوا الصوفية وشجعوا العقل ، كما حاربوا النظرية المزدوجة التي ترى ان ما كان صحيح فى اللاهوت قد يكون صحيحا فى العلم ، وهذا الاتجاه الرشدي يخالف الاعتدالية الاسلامية السنية السلفية ويساير النزعة الفلسفية لان الاسلام كان اكثر دقة فى معالجة قضايا الانسان من الفلسفة اليونانية فهو لم يخرج الانسان عن الوحدة الكونية بخلاف العلم اليوناني من قبله فقد اهتم بالحياة الانسانية بالدرجة الاولى .

ان الآراء والنظريات الاسلامية التي غزت الفكر الغربي كانت محدودة المجال ولم يكن نفوذها بارزا الا فى الجامعات العلمية وعقلية احرار الفكر الغربي (1) . ولذلك نجد مرونة الفكر السني والاعتزالي التي تقر التاويل اثرت على (أمبروز) الذي اكد لأوغسطين معتمدا على سلطته الدينية انه لا يجب الايمان حرفيا بما جاء من قصص فج فى الانجيل ، كما أن الشرط العقلي فى الايمان انتقل فى عصر اباء الكنيسة ، ثم جاء (لوثير) ليظهر تأثره الواضح بالتفكير الاسلامي ، فترجم الانجيل ووضعه بين يدي المؤمنين ، وشدد اصحابه فى التأويل الظاهري متمسكين بحرفية النص على طريقة مذهب ابي داود ، كما حجر كثير من الاباء فى قضايا المعرفة الدينية حتى يكون ما يؤمن به الناس عن اقتناع يبلغ حد اليقين : ... اما الاسلام فهو ينبني عن الاقتناع الفكري والوجداني على أساس حرية العقيدة ومبدأ حرية الفكر والعقيدة وأتاح للعلم ان يخطو خطوات واسعة ادت بالفكر الانساني الى صورته الحاضرة ، لان الفكر هو عنصر الحضارة الخلاق وهو الذي يصلنا بالماضي وبالمستقبل اكثر مما نتصل بهما عن طريق الروابط العريقة والطبيعية والمصالح المشتركة ولان العقل مزيج من العقائد والمثل العليا التي تحرك البشرية لتنشأ الحضارة وليكون التاريخ ، فالحرية ضرورية لانطلاقه ، والاسلام اذ يعتمد على العقل ، يزوده بقوة الايمان ، وصدق الموضوع ، وذلك سر انصاره فى هذا الصراع الابدي بين المادة والروح والجسد والعقل .

---

(1) كما ان العرب انفسهم لم يأخذوا من الفكر الغربي الاغريقي الا جانبا واحدا حيث اكتشفوا فى منطق ارسطو المعرفة القومية والنقد المركز فتاثروا به وتأثرت به مدرسة طوماس الاقويني الذي اكتشف كثير من اتباعه من خلال بحثهم فى الفلسفة اليونانية عن العلم الهلنستي الاسكندري مجالات في الطبيعة ذاتها لا فى المنطق . ومهدوا لعلماء الطبيعة فى الغرب الذين كان لهم اثر فى تطور العلم الطبيعي مثل جليليو ونيوتن .

يحمل العمران المادي ، ولا يقيم الاهرام ، وانما يحمل الثقافة الفكرية والروحية ، وقد سارت العروبة في المغرب المسلم بسرعة فائقة لاسباب كثيرة ولان المسجد كان هو (فروم) المسلمين يخطبون فيه رجال القيادة كما كان (الكلية) ايضا يدرسون فيه ويتعلمون ، ومن خلال تاريخ المغرب نعرف مدى اتساع الثقافة في العهود الاولى للاسلام فى المغرب حيث كانت القيروان جامعة عظمى يعلم فيها اساتذة مثل الامام سحنون ، والامام اسد بن الفرات،وتعلم فيها نساء عالمات كخديجة بنت سحنون ، وفاطمة بنت اسد ، ثم تقيم امراة من المغرب مسجد جامعة القرويين بفاس ، ويشيدون الربط لنشر الاسلام فى افريقيا الجنوبية والوسطى فى وحدة متناسقة كاملة اقامتها دعوة القرءان .

الرباط : الحسن السائح

فضائل علي

قال الجاحظ :

لا يعلم رجل فى الارض متى ذكر السبق فى الاسلام والتقدم فيه ، ومتى ذكرت النخوة والذب عن الاسلام ، ومتى ذكر الفقه فى الدين ، ومتى ذكر الزهد فى الامور التي يتناصر الناس عليها ، كان مذكورا فى هذه الخلال كلها الا علي .

لقد تقدم علم الاخلاق فى أوربا منفصلا عن الكنيسة فأصبحت الاخلاق علمية عقلية كما يرى (كلارك) . اما الاسلام فيرى ان الاخلاق تساير الفطرة والفكر السليم ، ولا تتغير حسب الاهواء والظروف لان الله خلق كل شيء فأتقنه صنعا كما يردد (روسو) فى كلامه دون ان يعرف انه يردد آية قرءانية ، والانسان بتدخلاته فقط يفسد الخير ليستحيل الى الشر .

وكما يروي الاسلام ضرورة الدين للبشر كافة (فلوك) يعتقد ان الدين ضروري لضبط الشعب . والفكرة العالمية التي يهدف لها الاسلام الذي لا يقر الوطنية بالمفهوم الضيق كانت دعوة المفكرين الغربيين الى عهد (فختــه) وفى عمل كثير من رجال الفكر الاشتراكي .

وبينما كان الدين الاسلامي طلائعيا داعية وعي وتقدم دائم، ترى مواقف الكنيسة ضد التقدم مشهورة فى التاريخ : فكم اعدمت من مفكرين ، وكم أحرقت من علماء ، فانعدمت حرية الراي لانها طقوس كهونية لا دستور مدون ، ولان التوراة كتاب أدبي لا كتاب مذهب وفلسفة وقانون ، ولذلك كانت الكنيسة تستأثر بالمعرفة كالكهان ليبقى الدين مجهولا عن الشعب ، اما الاسلام فقد اعطى فرصة التدين والمعرفة للجميع ، فالايمان فيه متسلسل راسخ ، والمعرفة فيه تتحول وتتجدد والمثل الاعلى هو الشوق الصوفي الدائم الذي يتجدد ولا يدرك ابدا ، وبما ان الاسلام دين ليس فلسفة لانه عقيدة وعمل ، اما الفلسفة فهي وسيلة للنقد والهجوم على التقليد او الدفاع عنه واعادة البناء، ولقضايا الاجتماعية هي التي تصلح لمنطقة الفلسفة ، اما الدين فعالمه اسمى من ذلك واشمل ، وليس في وسع الفلسفة ان تحل المشكل العويص الذي هو بداية الكون ومصيره المفزع ، او الاستقرار والتنظيم لما من طبيعة الدين .

لقد ثار كثير من المفكرين الغربيين على الكنيسة ولم يثوروا على الايمان ، ولقد صاغ فولتر ونيوتن ديانة دون وحي بل صاغ كومت ديانة وضعية لقبها (هسكلي) بانها الكاثوليكية بدون مسيحية ...

وتحرر كثير من المفكرين المسيحيين عن نظرية الخطيئة (الاصلية) متأثرين بالاسلام ، وبذلك اقروا ان الجنس البشري قادر على ادراك الكمال كما في الاسلام .

واذا كان المذهب البروتستانتي ترعم الثورة الدينية على الكاثوليكية ، ومكن الشعوب من قراءة التوراة ففتحت المدارس وانتشر العلم واصبحت التوراة اساس آداب الامم الشمالية فانما بدأت من جديد ما دعا اليه القرءان فى اول اية منه (اقرأ) بل ان نهضة القرن الثامن عشر فى أوربا نتيجة الاحتكاك مع الثقافة الاسلامية التي اذاعت فى أوربا الاراء الاسلامية ، وكان العرب يمثلون من تلك القرون الفكر العلمي والنهضة الصناعية كما تمثلها المانيا الحديثة اليوم الدعوة الى العلم التجريبي ... وشهدت أواخر القرون الوسطى مدرستين عظيمتين : مدرسة أوكام فى أكسفورد وباريس ، ومدرسة ابن رشد فى (أوربا) وهؤلاء هم الذين وصلت معرفتهم الى ديكارت وبيكون ليقولوا (بالمنهج) الذي حول التفكير الغربي ، غير ان ديكارت هزم ارسطو فاحتلت الرياضيات مكانة المنطق واصبحت الحياة مجرد تعبيرات كيمائية طبيعية لتقدم على الرياضيات ثم وطد الافكار الدينية على أساس دبكارتي — (مالبرنش) وموسيه من بعد ، فتاثر العقل الغربي فى نهضته بالاسلام الذي يقرن العلم التجريبي يحتاج للعلم العقلي ، (فلا عقل بدون تجربة) والعكس كذلك ، وقد استعمل بعد ذلك فولتر العقل ليبني عليه لاهوتا عقليا وحقوقا طبيعية واخلاقا طبيعية متأثرا بفلسفة ابن طفيل فى حي بن يقظان .

ان التقدم العلمي بالنسبة للمسلمين امر ديني سواء كان العلم يتصل بالدين او بالمعارف الدنوية التي لها غايات دينية ، فالاسلام يفرض معرفة ويفسر الاهلة فى القرءان على أساس الفلك ، ولذلك يدرس المسلمون الفيزياء والكيمياء والوسائل الميكانيكية لخدمة الانسان عقليا ونفسيا وتربويا اتباعا لتعاليم الدين ، ولذلك اهتموا بالرياضيات واشتغلوا بالحساب وطوروا الارقام ونظموها . وفى تاريخ المغرب نذكر باعجاب تقدم الرياضيات على يد تميم بن طريف مخترع الارقام على الزوايا التي ذاعت فى فاس وقرطبة واعتبارها الافرنج المعجزة العربية التي قدمت العلم .

ان الاسلام بدأ منطلقا من أول كلمة نزلت فى القرءان ، « اقرأ باسم ربك » ، فالاسلام بنى على التعلم والمعرفة والتجربة والتأمل والتبصر فى الكون ، وحمل الى الشعوب التي اعتنقته بسرعة فائقة كل معارفه وتجاربه ، فكان المسلمون الاولون يحملون القرءان في فتوحاتهم ليعرفوا العالم الاسلامي بدعوة القرءان في سهولة ويسر ، وحسبنا ان نعرف نجاح الدعوة الاسلامية فى المغرب من أول يوم ، ونرى فى المغرب طارق بن زياد كخطيب مفوه وسابق المطملي كشاعر كبير ، ويحيى الليثي كفقيه مجتهد ، لان الاسلام لا

موقوفا على امـــة دون اخرى أو على جنس دون آخر فان الهمم القوية والعزائم الموجهة تستطيع توجيـــه الفرد الى ما فيه الخير له ولامته . لذلك يمكننـــا اذا امنـــا بحقيقة العلم وصلاحيته واعتقدنا ذلك أن نرفع من مستوى التعليم الجامعي فى امتنا وأن نرفع مـــن مستوى التقدير المعنوي لعلمائنا فنشجعهم على مواصلة العمل وندفعهم الى الاخلاص فى عملهم والى تقديـــر مسؤوليتهـــم .

قيمـــة العالم الحقيقية لاترجع الى ما يكتسبه من ربح خاص به وانما ترجع الى ما تكتسبه الامـــة منه ومن تجاربه واعماله ؛ لهذا أرى أن الواجب يفرض علينا تقدير العلماء من جهة ويفرض على العلماء تقدير مسؤوليتهم من جهة أخرى وبذلك تنصهر مصالحهـــم في مصالح الامة وتندمج منافعهم بمنافع باقي الافراد.

الشعور بالمسؤولية الوطنية واجب ملقـــى على عاتق العلماء وقد يربطون بينه وبين الشعور العالمـــي ولكنه ارتباط يجب أن لا يؤدي مطلقـــا الى الاضـــرار بالوطن او يتسبب فى اهانة الامـــة التي ينتمي اليهـــا العالـــم المسؤول .

اذا فقد العالم الشعـــور بمسؤوليته الوطنية فقد يصبح آلة فى يد اعداء الامة التي ينتمـــي اليهـــا ويصير علمه آنذاك خطرا على دولته وعلى مواطنيه .

ولهـــذا فلا يمكننا ان نفصل أبدا العنصر العلمي عن العنصر التوجيهي الذي يتصل بكيـــان الدولـــة وباخلاقها وبتربيتها اذ لا بد من ايجاد برامج كفيلـــة بتحقيق هذا الفرض الذي يجمع بين التوجيه السليم والعلم النافع اذ لا منافاة بين العلم والتوجيه التربـــوي الذي يتصرف فى مصير العلماء.

والغالب ان الدول الكبرى لا تهمل هذه الظاهرة فى تعليمها وتوجيهها فهي تعمل ما امكنها على ربـــط شعور العالم بأمته حتى يصبح منقادا لها يعمل مـــن أجلها ويخدم بعلمه حاضرها ومستقبلها .

فالعالم السوفييتي مثلا قد يهدف الى تحقيـــق أغراض وأهداف يكون فيها النفع للسوفييتيين دون ان يكون فى اعتباره غيرهم لان مصالحه القومية تقتضـــي ذلك وكذلك العالم الامريكي مثلا قد يعمل على البلـــوغ بعلمه الى تحقيق الرخاء والازدهار والتمكـــن مـــن الاستمرار الحكمي لامريكا دون اعتبار لباقـــي الـــدول الاخـــرى .

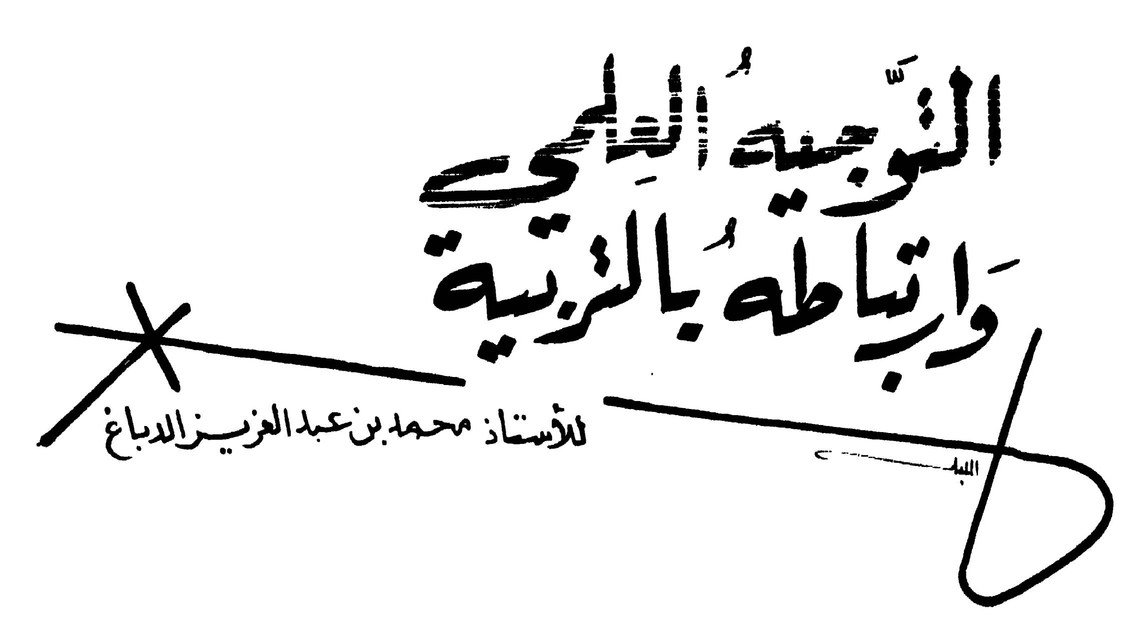
ومعنى ذلك هو ان هذا الشعور الداخلي المرتبط بالعمل على جعل الامة التي ينتمي اليها العالم فى مركز القيادة ليس غريبا عن الانسان وليس بعيـــدا عـــن الشعور البشري لان حب الظهور وحب التغلب وحب الانتصار وحب القيادة غرائز بشرية ان العلم لايمحوها وانما يهذب طريقة تنفيذها وتحقيقها فقط .

واذا علمنا ذلك وجب علينا ايضا أن نربط بيـــن العلم فى امتنا وبين الاهداف التربوية التي يجب علينـــا تحقيقها فنحن فى حكـــم الجغرافية البشرية مغاربـــة عرب مسلمون لا نرضى أن ننسلخ عن هذه الخصائص وأن نبتعد عنها بل ان شعورنا الداخلـــي يدفعنا الـــى الغضب والتحدي والمقاومة كلما شعرنا باهانة لهـــذه المقومات من غيرنا ولكن فرق كبير بيـــن ان نغضب اذا اهاننا غيرنا وبين أن لانغضب اذا نحن اهنا انفسنـــا فان الغضب التقليدي الذي يأتي عن طريق الانفعال ولا يأتي عن طريق العمل هو غضب طائش قد يضر بالامة أكثر من ان ينفعها لانه غضب لايدفع الى البناء وانمـــا يـــؤدي الى الانتحـــار .

تصور موقف العرب فى ايـــام النكسة التي اصيبوا بها فى حرب فلسطين فان غضبهم وحده لا يكفي اذ لابد من استعداد علمي يؤازرون بـــه غضبهم ليكون لذلك الغضب نتيجة ايجابية اما أن نغضب لاننا اهنـــا في كرامتنا ثم نستمر فى لهونا وعبثنا وتنكـــرنا لتقاليدنا واهمالنا لاسس الرقي فان هذا هو العمل المنكر الـــذي لا يرضاه العقل ولا ترضاه الهمـــم .

من غضب من أجل الانكسار يجب عليه أن يبحث عن اسبابه وان يوجه عنايته الكبرى للقضاء عليه فاذا كان جاهلا فليقبل على العلم واذا كان متخاذلا فليتحـــد واذا كان مريضا فليبحث عن اسباب العـــلاج أما اذا استمر على لهوه وعبثه وجهله رغم معرفته للاسبـــاب ولوسائل العلاج فانه يكون آنذاك كالعالم الذي لا يعمل بعلمه وكالمريض الذي يعرف أن شفاءه فى تناول دواء معين ولكنه يرفض تناول ذلك الدواء فيكون مسؤولا عن استمرار مرضه وتعذر علاجـــه .

اذا اتضحت هذه الحقيقة اصبح من الضروري استيعابها ومحاولة تنفيذها فى برامجنا العامـــة وصار من اللازم اذاعتها فى جميع المجالات لان العلم فى الحقيقة اساس عملي لحياة الامم وترقية الشعـــوب وذلك اذا كان يهدف الى الخير والسلام أما اذا كـــان يؤدي الى الخراب او التنكر للمقومات التربوية التي ترفع من شأن الانسانية فانه سيصبح خطرا على العالم وقد يكـــون فى يوم من الايام سببا فى الدمار .



الحاجة الى تحقيق وجودنا واثبات شخصيتنا تدفعنا الى العمل من أجل الحصول على المعرفة والتبحر فى العلوم العامة لان كيان الدول لا يقوم على الجهل ابدا فبالعلم غزا الانسان الفضاء واستغل الامكانيات الطبيعية التي لم يكن له بها علم فكشف عن الطاقات المجهولة وبحث عن وسائل الغذاء التي تمكن الانسان من الحياة الرغيدة الآمنة .

لقد أصبح العلم ضروريا لحياة الامم وترقية الشعوب ، والامة الجاهلة لا تثبت وجودها ولا تستطيع حماية نفسها ممن يحاول غزوها أو يريد استعبادها .

ان العلم هو المحرك القوي الذي يدفع الامة الى الامام وهو السلاح الناجح الذي يحمي الذمار ويصمد أمام الجهل والذل والعار فاذا استطاعت امة أن تعتني بالجانب العلمي وتعمل على انشاء المعاهد والجامعات فانها تصبح سيدة متحكمة وتصير لها هيبتها بين الدول .

الدولة الجاهلة امام الدول العالمة كالقزم امام العماليق لا يستطيع مطاولتهم ولا مقاومتهم بل انها كالمشلول الذي يريد أن يسابق الاقوياء الاصحاء المفتولي العضلات يسيرون الى الامام وهو متقاعس جاثم لا يستطيع حراكا .

فاذا شعرت امة بالتخلف او احست بضعفها ازاء الامم الاخرى فما عليها الا ان تسرع الى التسلح بالعلم لانه مفتاح الخير وباب الامل .

طريق العلم واضحة : مواظبة على التعلم واخلاص فى الطلب من المواطنين وتشجيع للمراكز العلمية وانشاء لها من الحكومات الرسمية ومن الهيآت العامة ومن الافراد المخلصين .

العلم واجب وطني يتحمل مسؤوليته كل افراد الامة وجميع الهيآت الادارية والحرة ، لهذا نجد فى بعض الدول الراقية شركات وهيآت تؤسس بعض الجامعات وتكفل العلم وتحميه وتستغله للمصالح الاقتصادية وتنمي به الدخل العام للامة .

فلم يعد من المعقول ابدا فى هذا العصر ان تحيا امة جاهلة حياة كرامة وعزة وحياة رفاهية وغنى فان العلم اصبحت له السيطرة على توجيه الامم واصبحت بيده الموارد والمنشآت العامة فكم من امة بسبب جهلها صارت كالبقرة الحلوب يستغلها الآخرون وهي لا تلقى من وراء الاستغلال الا جهدا وعناء بل ان الامة الجاهلة قد تؤخذ منها المواد الخام بثمن بخس ثم تعود اليها بعد ان تحولت على يد الفنيين والعلماء الماهرين الى اشكال اخرى بثمن مرتفع قد ينزف اقتصاد الدولة الجاهلة ويجعلها دائما فى خضوع وخنوع .

وكم يعجبني هنا قول الرصافي رحمه الله :

اذا ما الجهل خيم في بلاد
رأيت اسودها مسخت قرودا

وليعلم القراء أن التقدم العلمي فى العالم ليس

في سبيل تصحيح مفاهيم تاريخ
الفكر الاسلامي والثقافة العربية

كانت مرحلة مقاومة وتحد ولم تكن فترة انحطاط

للأستاذ أحمد أنور الجندي

حاول بعض المؤرخين والكتاب ان يصفوا الفترة من 656 هـ بعد سقوط بغداد الى 1213 هـ 1798 م — وهو تاريخ قدوم نابليون الى الشرق — بانها فترة انحطاط .

والحق ان هذه القرون الستة لا يمكن أن تدرس على انها مرحلة واحدة ، ولا يمكن أن يصدر عليها حكم واحد فضلا عن ان علامات اليقظة فى عالم الاسلام سبقت قدوم نابليون بوقت طويل ، وقد انبعثت من الاعماق ولم تكن بفعل مؤثر خارجي .

واعتقد أن هذا الحكم ربما قصد القائلون به قطاعا معينا هو « الادب العربي » ثم انسحب على الفكر الاسلامي كله ، ذلك ان الدلائل المؤكدة تثبت أن « الفكر الاسلامي » قد واجه مرحلة ضخمة من مراحل التحدي خلال فترة الغزو الخارجي ، وانه استجاب استجابة واضحة فكان على مستوى المعركة ، وقد استمر هذا الفكر قويا الى مرحلة (عصر الوحدة الاسلامية العثمانية) وأن فترة ضعفه لم تزد على مائة عام قبل ظهور دعوة التوحيد عَلى لسان الامام محمد ابن عبد الوهاب .

*

والواقع ايضا ان « الادب » ليس هو « الفكر العربي الاسلامي » فى هذه المرحلة ، ولكنه قطاع واحد منه ، ولم يكن سقوط بغداد فى الحق هو أول مرحلة الغزو الصليبي ، وليس سقوط بغداد الا حادثا جزئيا ، ربما احدث اثره فى الاداب نتيجة للهزة العاطفية التي اصابت المسلمين بعد سقوط (بغداد) مقر القيادة السياسية الاسلامية ، اما اثره الفكري فلم يكن عميق الغور ، اذ أن مراكز الثقافة لم تلبث ان انتقلت الى الشام ومصر والمغرب ، ويمكن القول بأن « عصر الغزو والمقاومة » كان امتدادا طبيعيا لعصر « التبلور والانصهار » لعالم الاسلام فكرا ومجتمعا . بل ان ثمرات الفكر الاسلامي والعلوم والفلسفات كلها قد تفتحت فى عصر المقاومة ، ولعل الادعاء بأن هذه المرحلة جميعها فترة ضعف ، ولا نقول انحطاط ، قد جاء بنتيجة ما لوحظ من توقف حملات الصراع بين المذاهب والدعوات ، التي اتسم بها « عصر التبلور والانصهار »بيد ان هذا التوقف فى معارك السجال ، وانما هو ظاهرة طبيعية لهذه المرحلة ، وليس علامة جمود ، فان المذاهب التي نشأت نتيجة اختلاف مفاهيم المعتزلة والسنة ودعاة الكلام والفلاسفة والتصوف كانت قد تقاربت ، بعد أن زال الصراع السياسي الذي كان يحمل لوائها ويستخدمها ، وبعد أن دخلت الى الاسلام موجات ضخمة من السلاجقةوالبربر والمماليك وعناصر مختلفة من الاجناس والامم ، وبعد أن غلبت الثقافة السنية التي حمل لوائها الاتراك فى عناصرهم المختلفة : سلاجقة واتابكة وأيوبيين وعثمانيين من بعد وكانوا بالاضافة الى المماليك والبربر (المرابطون والموحدون) جميعا من انصار الثقافة السنية ، بينما كانت الثقافة التي تحمل طابع اهل البيت — وهي اساسا لا تختلف مع مذهب السنة والجماعة الا فى

وحيث اننا اصبحنا نحس بأن العلم سلاح ذو حدين يمكنه ان يبني ويشيع الخير والسلام ويمكنه ان يهدم ويشيع الشر والفزع لم يعد مبرر لاهمال الجانب التربوي فى التوجيه العلمي .

وهذا الجانب يجب ان نستمده نحن العرب من كياننا ومن وجودنا وأن نضفي عليه حلة من قوميتنا وديننا . فالعالم العربي يجب ان يجمع بين الحقائق العلمية وبين شعور يربطه بأمته وتربيتها ولا يتأتى ذلك الا بتوجيه تربوي يبدأ من المدرسة الابتدائية والثانوية ويصل الى التعليم الجامعي اما اذا انحرف التوجيه التربوي فى ربط شعور العالم بأمته فان ذلك التعليم قد يؤ دي عكس ما كنا نتوخاه منه بحيث نتيقن بأنه سيوجد لنا علماء سيكونون كالاجانب في امتهم لا يفكرون وفق مناهجها فى الحياة ووفق مصالحها الخاصة وهذا هو السبب الذي يدفع كثيرا من المهتمين بالتربية والتعليم فى امتنا الى الدعوة الى ربط التعليم باللغة العربية وبالتربية الاسلامية وبالتاريخ الحضاري للعرب لانهم يرون فى ذلك احياء لمقوماتنا وبعثا لحضارتنا وتجديدا لتقدمنا العلمي وفتحا لمجال العمل الجدي من اجل تحقيق مستقبل زاهر للامة العربية .

ان المستقبل هو النتيجة العملية لاعمالنا الحاضرة فاذا كنا نعمل بجد واخلاص وفق برنامج صالح ومخطط واضح يرتكز على احياء المقومات وحفظ كيان الامة كان المستقبل زاهرا وكان الغد خيرا من الحاضر ومن الماضي إما اذا كانت البرامج منحرفة وكانت التربية منكوسة فان المستقبل ايضا يكون مظلما ويكون ضائعا ويكون اسوأ من الماضي والحاضر .

اذا كان الامر كذلك فما علينا الا ان نخطو خطوة عملية فى تحقيق هذا الهدف المقصود فنعمم تعليم اللغة العربية ودروس الحضارة الاسلامية ونوجه النشء الى تربية دينية قد تكون قادرة على توحيد شعورنا فى المستقبل .

ومن المعلوم ان طلبة اليوم هم علماء الغد واساتذة المستقبل فاذا تكونوا ونضجت عقولهم وتهذبت نفوسهم اصبحوا مسؤولين عن توجيه الامة وجهوها الى الخير والصواب .

فمصير الامة فى المستقبل رهن فى أيدي شباب اليوم فان وجهوا الى العلم والخير كان المستقبل وضيئا مزدهرا وعليه فان الواجب الوطني يدعو جميع الافراد الى العناية بالشباب وتربيته وتوجيهه الى طريق العلم الناجع المفيد .

وما العلم الناجع المفيد الا العلم الملقم بالاخلاق الفاضلة الهادفة الى اصلاح الامة واصلاح الانسانية .

فالعلم دون اخلاق قد يكون خطرا على الامة وشرا على العالمين .

ومن اسس الاخلاق استغلال العلم للترفيه على الامة وللعمل على تنمية اقتصادها وتقوية دفاعها وابعاد الاذى عنها .

وبربط التوجيه العلمي بالشعور التربوي نستطيع أن نهيىء العلماء الذين نرجوهم وهم العلماء الذين يجمعون بين قوة العلم وقوة الايمان ويضيفون الى معرفتهم العامة شعورا قوميا يحققون به وجودنا ويثبتون به شخصيتنا أمام الراي العام العالمي .

اننا لا نستطيع ان ننفصل عن الكتلة البشرية لاننا ننتسب اليها عن طريق الجنس والمصالح المشتركة ولكننا لا نريد أن نتصل بها دائما اتصال التابع بالمتبوع او اتصال المحب الولهان الذي ينسى وجوده ويندمج اندماجا كليا فى عشيقه بل نريد أن يكون فى علاقتنا بالغير عنصر العقل من حيث اختيار أحسن ما عنده وعنصر العاطفة من حيث الاعتزاز بالعنصر الشخصي المستقل الذي يثبت شخصيتنا كامة ذات حضارة وتاريخ ودين وذات مباديء سامية ترى صلاحيتها للعالم وتعمل من اجل ابقائها ونشرها بين اطراف المعمور .

وبهذه التربية القويمة نستطيع استغلال الطاقات العلمية فى تنمية المجتمع وفي رفع مستوى البلاد اقتصاديا وخلقيا ونستطيع بناء دولة قوية تستند في بنائها وتحقيق وجودها على العلم والاخلاق .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

والقصة والنصوص . وفى تاليف الموسوعات وكان ذلك تحديا للضعف السياسي ، وكان مجال العلم التجريبي والفلسفة قد اتسع افقه فى الاندلس ، بينما عرفت الشام ومصر بالتقدم فى مجال الفقه والنصوص .

*

ولعل من اهم الظواهر فى هذه المرحلة : (ظهور الثقافة العربية) مقام الادب العربي الذي لم يكن فى كل هذه المراحل ممثلا للفكر الاسلامي ، وقد كان طابع التكامل والوسطية التي اشتهرت فى الابحاث فى هذه الفترة اكثر اصالة من ذلك التمزق الذي حفلت به الفترات الماضية حين كان الادباء والشعراء يذهبون الى ابعد مدى فى خدمة الامراء واذلال النظم لهم ، وتولهم غير الحق ، واسرافهم فى المدح والهجاء، والمجون والاباحة الخمريات على نحو بلغ انحرافه عن مفهوم الاسلام حدا كبيرا .

ان الثقافة العربية فى مرحلة الغزو الخارجي قد كانت تحررت من خلافات المذاهب ومعاركها ، كما تحررت من اهواء الشعراء والنظامين من الواقفين على اعتاب الامراء ، ومن ثم كان العلماء وهم القادة فى هذه المرحلة اشد الناس عزوفا عن عطايا الحكام او قبول مناصبهم ، تحرز لفكرهم واستعلاء على قبول الظلم أو كتمان كلمة الحق ، وكان للثقافة الاسلامية فى هذه المرحلة اثرها الواضح فى التخلص من المحسنات البلاغية وجمع الفنون المختلفة والمزج بينها ، وكان التاليف الموسوعي الجماعي المنوع فى هذه المرحلة يهدف الى تقديم المعرفة بصورة شاملة وسريعة ، وكان ذلك فى واقعه انما يمثل أكبر رد فعل للغزو الصليبي والفرنجي والمغولي وما دمر من مكتبات وقضى على معاهد وجامعات ، فهو عصر خوف وسرعة ومقاومة ، استهدف جمع حصيلة ضخمة من التراث الاسلامي وحفظها وتنسيقها فى موسوعات ما تزال حتى الآن من الاعمال التي قامت عليها النهضة الحديثة في مجال التراجم والفقه واللغة .

اما توقف الاجتهاد وغلبة النقل والتعليق فيرجع ذلك الى طابع العصر نفسه ، فان عصور المقاومة والجهاد لا تتيح فرصة العمل المنظم الذي يحقق الابداع والاجتهاد ، ابداعا واجتهادا يتصل بعصور البناء ونمو الحضارات وازدهار السلام ، كما يقوم فى كنف الوحدات النامية المزدهرة ، ومن خلال تطور الحياة الاجتماعية ونموها بالتفاعل والتعامل ، اما فى عصر المقاومة فمن الحق ان يتصرف الفكر الاسلامي كله الى شحذ اسلحة المواجهة والجهاد واعادة صياغة الفكر على نحو من الشمول والتكامل حتى لا يفقده الغزو المتصل مقاوماته الاساسية ، وآية ذلك ان النشاط العقلي للمسلمين لم يتوقف وان ضعف فيه الابتكار الذي هو ثمرة حياة الدعة والسلام ، وبرزت ظاهرة تاليف الموسوعات التي تعد من اعمال مراحل التحدي والمقاومة ، ويمكن القول بأن هذه ليست فترة موت ولكنها فترة بناء على نحو يتفق مع تحديات العصر فى مجال حياطة وحماية وتجديد الفكر الاسلامي وتنسيقه على نحو جديد .

وقد تنوعت الثقافة فى هذه المرحلة بين ابحاث التاريخ والجغرافية والادب والكلام واللغة والعروض والحديث والتفسير والفلك والموسيقى والسياسة والرياضة ، ويرجع ذلك الى انتشار دور العلم فى ارجاء مصر والشام وخزائن الكتب ، وقد وصف حكام هذا العصر بانهم مثقفون ثقافة ممتازة ، وقد احاطوا أنفسهم بطبقة ممتازة من المثقفين، وآية ذلك مجالس بدر الدين محمود وصلاح الدين الحافلة بأهل العلم ، فضلا عن بناء المدارس ، وقد مضى المماليك فى نفس طريق الايوبيين، فكان الظاهر بيبرس يقرب النابغين فى كل علم ، ومنه، ويقول : ان سماع التاريخ أعظم من التجارب وكذلك فعل قلاوون ، وظلت المساجد خلال هذه الفترة عامرة بحلقات العلم وكذلك الزوايا والمدارس .

وقد ابرزت هذه المرحلة عديدا من الاعلام .

القزويني 605–682 ، ابن منظور 620–711 ابن نباتة 686–768 ، ابن قيم الجوزية 691–851 ابن بطوطة 703 – 779 القلقشندي 756 – 821 ، المقريزي 766–845 لسان الدين ابن الخطيب 733 – 808 ، ابن خلدون 732 – 808 .

وهكذا تنهار من اساسها تلك الشبهة التي تقول ان مرحلة ما بين سقوط بغداد وقدوم الحملة الفرنسية كانت مرحلة تخلف وثبتت عكس ذلك .

انور الجندي

الفروع — قد انحسرت فى منطقة فارس وما بعدها وتمثلت فى الفرس والتتار .

*

ومن ابرز ما تتسم به هذه المرحلة منذ الغزو الخارجي للعالم الاسلامي (الصليبيون فى المشرق والفرنجة فى المغرب) هو غلبة طابع التصوف على الجماعات الاسلامية وتغلغل هذه الظاهرة فى المجتمع الاسلامي وتأثيرها على مفاهيم الثقافة السنية والربط بينها وبين مفاهيم الثقافة الشيعية فى الالتقاء على حب النبي وآل البيت مما قرب هذه المرحلة بين اهل الفقه واهل التصوف وبين السنة والشيعة جميعا .

وقد كان لسمة « التصوف » الظاهرة الواضحةفى هذه المرحلة اثرها البعيد المدى ، في معركة المقاومة للغزو الاجنبي . فقد كانت من عوامل القوة الدافعة لمجموعات ضخمة من الشباب بالفتوة والمرابطة فى سبيل الله والانصراف الى الجهاد والمقاومة والاعتصام بالثغور . والانضواء تحت لواء القوات الاسلامية المندفعة بقيادة عماد الدين زنكي ونور الدين محمود، وصلاح الدين الايوبي ، والظاهر بيبرس ، ويوسف ابن تاشفين وعبد المؤمن بن علي وغيرهم من زعماء مقاومة الغزو الخارجي لعالم الاسلام .

وفى هذه المرحلة كانت المعاهد الاسلامية القائمة فى انحاء العالم الاسلامي هي العامل الاكبر الذى حافظ على اللغة العربية والفكر الاسلامي : الازهر فى مصر ، والقرويين فى فاس ، والزيتونة فى تونس الاعظم بالقيروان ، والاموي بدمشق ، ومعاهد النجف وكربلاء وسامرا ، وكلها استطاعت أن تحتضن الفكر الاسلامي واللغة العربية فى هذه المرحلة الدقيقة وتذود عنهما عادية الغزو ، وقد ظلت هذه المعاهد من حلقات المساجد والكتاتيب ، والى الجامعات قائمة بدورها التاريخي ، خلال فترة اجتياح المغول والصيلبيين والفرنجة لعالم الاسلام .

وكان دور المراة فى مجال العلم خلال هذه الفترة مطرد النماء ، فقد ظهرت اسماء لها شهرتها فى هذه المرحلة من المسلمات المتفقهات ، كن يعلمن ويتحدثن فى مجالس القاهرة ودمشق ، كما رافق حكم المماليك فى مصر والشام حركة علمية أدبية توافرت خلالها المدارس والمكتبات والمؤسسات الخيرية فضلا عن التاليف والابحاث الدينية واللغوية وظلت اللغة العربية هي لغة العلم والسياسة .

وكان للازهر دوره الضخم فى هذه المرحلة . فقد اطلق صلاح الدين الايوبي 567 — 1171 م للازهر رسالته فى مجاله الثقافة الاسلامية السنية ، ومنذ عصر صلاح الدين أصبح الازهر جامعة الفكر الاسلامي ومهدا للاسلام واللغة العربية ، فلما جاء الظاهر بيبرس جدد شباب الازهر ، حيث عادت صلاة الجمعة .

وكانت للازهر فى مرحلة الغزو والمقاومة مدارس فرعية متخصصة تمده بالطلاب ، وكانت اقامة هذه المدارس قد بدات فى عصر الدولة الايوبية ، وقد اقامها نور الدين محمود فى الشام (دمشق وحلب) وفى مصر قامت مدارس مختلفة لدراسة الفقه الشافعي والمالكي والحنفي والحنبلي والحنفي ، وفى المدرسة الناصرية تولى شأن الدراسة ابن خلدون وتعهد الازهر علماء كثيرون فى مختلف انحاء عالم الاسلام ، فى هذه الفترة منهم : عبد اللطيف البغدادي (589) هـ وقد تولى التدريس بضعة اعوام فيه ، وكان موسى بن ميمون يلقي فيه دروسا فى الرياضة والفلك والطب ، وكان شرف الدين ابن الفارض يعقد به حلفات الصوفية الروحية. وكذلك شهاب الدين السهروردي ،وشمس الدين بن خلكان صاحب وفيات الاعيان ، وكان الازهر فى هذه المرحلة يضم اعدادا ضخمة ، وكان مفتوحا للطلاب من كل مذهب ، تدرس فيه سائر العلوم الدينية واللغوية ، ويقوم على تثقيف العدد الكبير من الطلاب عدد كبير من الاساتذة ، يقصدونه من كل بقاع عالم الاسلام ، ويقطن فى اروقته منهم عدد كبير ، بلغ فى اواخر القرن الثامن الهجري سبعمائة وخمسين طالبا (المقريزي) .

*

ومن علماء الازهر فى القرن الثامن الهجري : شمس الدين الاصبهاني (أمام الدنيا فى المقومات) وشرف الدين الزواوي المالكي ، وكان بمصر من الاندلس العلامة : محمد بن يوسف ابن جنان النقري، والعلامة الحافظ بن حجر العسقلاني ، وتقي الدين المقريزي ، تلميذ ابن خلدون ، والحق ان الازهر منذ الغزو المغولي والقضاء على الحضارة الاندلسية ، اصبح اكبر مهد فى عالم الاسلام كله، وميزته انهيتوسط هذا العالم ، وانه قريب من الحجاز ، وله صبغته العربية المحضة (د . فولزر) والواقع ان هذه الفترة ناضلت فيها الثقافة الاسلامية وان ضعف الادب ، كانت عوامل اليقظة والقوة واضحة فى مجال التاريخ

ولكن الدين وحده ، هو الذي يخبرنا لم يعيش الانسان ؟

((افحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، وانكم الينا لا ترجعون)) . ((تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا)) . والدين وحده هو الذي يخبرنا أيضا : الى أي غاية يجب أن توجه حياة الانسان ؟

نخلص من هذا كله : الى ان التطور الفكري والبحث العلمي لا يتعارضان مع الاسلام فى شيء البتة ، ومع قليل من التحفظ ليس لدينا ما يمنع من تبول تلك الاراء التي ذهب اليها الفيلسوف ((وليم جمس)) فى قوله ((ان موضوع العلم ، وطرق البحث، واساليب المعرفة فيه تختلف عنها فى الدين ، ومع هذا لا يناقض احداهما الآخر)) .

ولكن مما ينبغي معرفته أن الفيلسوف وليم جمس يتحدث عن دين تنحصر وظيفته فى النهوض بروح الانسان فحسب ، والدين الاسلامي غير هذا لانه ينظم الحياة من جميع وجوهها فهو نظام عالمي عام . يوجه الانسان فى الحياة ويساعده على أن يحصل لنفسه وللجماعة الانسانية اسمى درجة من الكمال الانساني فى الروح والخلق والمادة والعقل والقيم ، لانه قانون الفرد والجماعة والعلاقات ، وكل تكييف لعمل الانسان حسب تعاليم الاسلام يعتبر عبادة مشروعة .

والاسلام لا ينسجم مع نتائج البحث العلمي والعقلي فحسب ، بل قدس هذا النوع من البحث ، فجعل متابعته واجبا دينيا يؤجر عليه المسلم ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)) .

وكلمة العلم فى القاموس الاسلامي أطلقت ولم تخصص بمادة معينة من مواد العلم فوجب أن تبقى مطلقة دون تقييد بمعلوم مخصوص أو منظور مخصوص ((هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) ويرشدنا هذا الاطلاق الى أن العلم فى نظر القرآن ليس خاصا بعلم الشرائع والاحكام من حلال أو حرام وانما العلم فى نظره هو كل ادراك يفيد الانسان توفيقا فى القيام بمهمته العظمى التي القيت على كاهله منذ قدر خلقه وجعل خليفة فى الارض، وهي عمارتها واستخراج كنوزها واظهار أسرار الله فيها ، فادراك ما يصلح به النبات وينمو ويثمر وما تستنبت به الارض وتحيا ((علم)) .

وادراك ما يصلح الحيوان ويستمر فى نسله وتتصل قوته علم ، وادراك موارد الصناعة على اختلاف أنواعها وكيفياتها وتوزيعها علم ، وادراك الامراض وعللها وكيفية علاجها وطرق الوقاية منها علم . وادراك ما تعرفه الامم من وسائل الدفاع والهجوم حفظا للاوطان ودفعا بما يرهبهم علم ، وقد جاء الايمان بهذا كله واضحا وجليا فى القرآن الكريم وبه كان العلم بمعناه الشامل العنصر الاول من عناصر الحياة فى نظر الاسلام .

ما دام كل ذلك فى سبيل النفع العام المنقذ للانسانية ، المعالج لادوائها ، المفيد لتقدمها ورقيها .

والاسلام الحنيف يدعو الى العلم ، والعلم يؤيد دعوة الاسلام ((ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون)) .

((ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب)) .

فالاسلام ساق هذه المظاهر الكونية ليرشد الى العلم الصحيح . والى الايمان بالله خالق الكون .

وكلما دق علم الانسان بالطبيعة ومظاهرها كلما ازداد ايمانا بالله . ومفاتيح العلم فى الاسلام واضحة صريحة لا عوج فيها ولا امتا ، فالقرآن الكريم صراحة وضحنا وجملة وتفصيلا يدعو الى العلم والسير والنظر . ولفظ القرآن نفسه مشتق من القراءة ، وهي ادنى مفاتح العلم لبني الانسان ، وان أول كلمة نزلت على رسول الانسانية محمد — عليه الصلاة والسلام — هي « اقرأ » وكلمة « اقرأ » فيها من الامر والتوجيه العالمي الملزم لكل مسلم ومسلمة فى كل زمان ومكان .

وان أول قسم فى القرآن الكريم اقسم به الرحمن فى ثاني آية نزلت بعد الامر بالقراءة صدر بحرف من حروف الهجاء وكان بالتعلم وبما يسطر العالمون « ن والقلم وما يسطرون » .

فأول سورة نزلت من القرآن سورة « العلق » ومن العلق يخلق الانسان وكانت السورة التالية فى النزول لسورة العلق هي سورة « القلم » وبالقلم يكتب ويتعلم الانسان .

فانسانية الانسان لا تكون الا بالخلق والعلم قال رب العزة « الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان . علمه البيان » .



الدين والعلم : كلمتان من أشيع الكلمات قديما وحديثا . ولكل كلمة مدلولها ومفهومها .

فالدين : هو القوانين الاعتقادية التي جاءت من طريق الوحي الالهي . وهو ضالة الارواح ، وأنشودة العواطف ، وبلسم جراح الحياة ، ونسيم الراحة والطمأنينة ومهب نفحات الحق ، وهو واحد لا تعدد فيه ، بعث الله به الانبياء كافة الى الامم رفعا لما طرأ عليهم من الخلاف ، وحسما لما احتوشهم من روح النزاع « كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » .

وجاء فى دائرة معارف القرن العشرين حرف (د) أن الدين : هو الطاعة والانقياد واسم لجميع ما يعبد به الله .

والعلم : هو مجموع المعارف الانسانية المؤيدة بالدلائل الحسية والعلم لا يعترف بمسألة الا اذا قبلها العقل وايدها الحس ، وقبلت الخضوع لاسلوبه من الاختبار والتمحيص والغربلة والتحقيق والتدقيق .

ويطلق العلم أيضا : على ما يضاد الجهل على الاطلاق وقد يقصد بالعلم تلك المعرفة الرياضية والطبيعية التي قامت على تجارب دقيقة والتي وصل عن طريقها الانسان الى كشف قوة البخار والكهرباء والذرة الى ما شاء الله .

واذا كانت هذه التعاريف : تعطي فى مضمونها الحد التام لمعنى كلمتي : الدين والعلم ، فهل يجتمعان؟ او لا يجتمعان ؟

فى نظر الماديين والطبيعيين : انهما نقيضان لا يجتمعان وضدان لا يلتقيان والحقيقة التي لا يسوغ انكارها : أن العلم والدين يلتقيان فى اسعاد البشرية . ورفاهية الانسانية .

غاية العلم : الكشف عن الحقيقة وخدمة الانسان فى الحياة .

وغاية الدين : اسعاد الانسانية فى الحياة الدنيا، وفى الاخرة .

فالدين : اداة لمعرفة الحقيقة ، والعلم : اداة لمعرفة الحقيقة .

اذن ... : العلم والدين يواجهان الحقيقة الا أن الطرق مختلفة ، فالدين يعطي المعرفة من طريق الوحي ، مدركة ببصيرة خاصة ، على حين ينشد العلم المعرفة عن طريق البحث والملاحظة ومقاييس التعميم والاختيار والتجربة ، والعلم لا يحكم بصدق قضية الا اذا خضعت لاسلوبه وقام عليها البرهان .

وان الطرائق العلمية والدينية لتعرف الحقيقة ، لبست متعارضة ، ولا ينفي بعضها بعضا ، فان الدين والعلم يعالجان حقيقة واحدة ، غير أنهما يمثلان نواحي مختلفة فهما لا يتفقان بالضرورة فى رؤية الحقيقة الا انهما يواجهانها من طرق مختلفة .

والعلم وحده هو الذي يخضع للتجارب فى المعامل ويرى فيها جوهر الحياة وعناصر القوة قال العلامة (اينشتاين) : ((العلم يخبرنا بما هو كان ولكن الوحي وحده هو الذي يخبرنا بما ينبغي أن يكون)) .

وهذه التفرقة التي ذكرها اينشتاين مهمة وحقيقة واقعة لاجدال فيها . فالعلم يصف ويحلل ، والدين يأمر، وقد يستطيع العلم او يفيدنا ما هو الانسان ؟ وكيف اصبح على ما هو عليه ؟

وقالت ايضا : « وان اوربا تدين للعرب وللحضارة العربية وان الدين الذي فى عنق اوربا وسائر القارات للعرب كبير جدا » .

وقال العلامة « كارينسكي » ان الخدمات التي اداها العرب للعلوم لم تكن مقدرة حق قدرها من المؤرخين وان الابحاث الحديثة قد دلت على عظم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا العلم بينما كانت اوربا فى ظلمات القرون الوسطى » .

وقال الفيلسوف الفرنسي « الكسي لوزاون » . « خلف محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة وسجلللاخلاق وكتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا او المكتشفات الحديثة مسألة تتعارض مع الاسس الاسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية .

قال العلامة « دريبر » المدرس بجامعة (هافارد) بأمريكا فى كتابه (المنازعة بين العلم والدين) « ان اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة 638 ميلادية اي بعد موت محمد بست سنوات ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية وقدرها حق قدرها » .

ولو اردنا ان نستقصي كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا واوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم » .

« ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذي نالته الصناعات فى عصرهم فقد استفادت منها فنون الزراعة فى اساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات وسنن النظم الزراعية الحكيمة وادخال زراعة الارز وقصب السكر والبن ، وقد انتشرت معالمهم ومصنوعاتهم لكل نوع من انواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن . وكانوا يذيبون المعادن ويجردون فى عملها على ما حسنوه وهذبوه من سبكها وصنعها ، واننا لندهش حين نرى فى مؤلفاتهم من الاراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر » .

ويقول فى مواطن اخرى : « ان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الاوربيين الذين نزحوا اليها من بلادهم لطلب العلم وكان ملوك اوربا وأمراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها » .

وقال العلامة سديو فى كتابه تاريخ العرب :

« كان المسلمون فى القرون الوسطى منفردين فى العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها اينما حلت اقدامهم وتسربت عنهم الى اوربا فكانوا هم سببا لنهضتها وارتقائها » .

وقال العلامة جيبون المؤرخ الانجليزي :

كان من اثر تنشيط الامراء المسلمين للعلم ان انتشر الذوق العلمي فى المسافة الشاسعة بين سمرقند وبخارى الى فاس وقرطبة ويروى عن وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائتي الف دينار لتأسيس جامعة علمية فى بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد طلبتها ستة آلاف لا فرق فيهم بين غني وفقير » .

وقال دريبر :

اول مدرسة انشئت للطب فى اوربا هي المدرسة التي اسسها العرب فى (بالرم) من ايطاليا وأول مرصد اقيم فيها هو ما اقامه المسلمون فى اشبيلية بأسبانيا . وانهم رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا واوجدوا علوما اخرى لم تكن موجودة من قبلهم » .

وقد امتاز العرب فى الجمع بين فروع العلم والادب وفاقوا غيرهم فى هذا الميدان ومن يطلع على كتب محمد بن موسى الخوارزمي يجد أن المؤلف جمع بين الجبر والادب فانت تجد ان المادة الرياضية مفرغة فى اسلوب اخاذ وقالب ادبي رائع لا ركاكة فيه ولا تعقيد

وانظر الى كتب البيروني تجد ان الادب والرياضيات اجتمعا متعانقين . قال العلامة درابرا : « لقد كان تفوق العرب فى العلوم ناشئا عن الاسلوب الذي توخوه فى مباحثهم وهذا الاسلوب هو الذي أوجب لهم هذا الترقي الباهر فى الهندسة والمثلثات » .

وقال الكاتب الهندي فسواني : « التهذيبالعربي هو الذي انشأ فى آسيا واوربا نشأة جديدة وانسانية جديدة » .

ان هذه الاقوال التي جاءت على لسان علماء افذاذ لمرضاة العلم فى ذاته تشهد صراحة وضمنيا وجملة وتفصيلا لحضارة المسلمين ومدى فاعلية الحضارة الاسلامية الانسانية التي لمست الانسانية فيها معاني السيادة ومست القلوب فيها معانيالسعادة واعتلت فى ظلها صروح المجد .

هذه الحضارة ستظل خالدة خلود الابد ، باقية بقاء الدهر ، مدوية دوي الآذان لا ينضب لها معين ، ولا ينتهي لها مدى .

احمد عبد الرحيم السايح

فالدين الاسلامي هو الدافع الاقوى لكل علم صدق ، وهو الدافع الى التبحر والعمق والاصالة فى كل علم وفن .

وهذا هو السر فى أن حضارة الاسلام كانت أروع الحضارات العالمية مجدا واجداها نفعا ، تلك الحضارة الشامخة التي اقامها الاسلام باسقة الفروع وارفة الظلال انتشلت الانسانية من وهدة الضياع وزوايا النسيان وبوأتها مكانا عليا ..

وليس من شك فى اننا نحن ابناء العالم الاسلامي اهل اصالة واثالة فى العلم قدنا الانسانية نحو المجد والقوة بفضل علماء العروبة والاسلام الذين حملوا المشعل الحضاري واضاءوا الدنيا بالمعرفة والعلم والنور .

ولقد تلمست اوربا انهار حضارة المسلمين العلمية فاستقت من روافدها المعرفة والفلك والجبر والهندسة والكيمياء والطب والفلسفة والزراعة وسائر انواع الفنون الحضارية .

وبنى رجال أوربا بما تعلموه فى معاهد المسلمين بالاندلس وبما نقلوه من علوم اسس النهضة الحديثة التي ظهر نجمها فى القرن الثامن عشر وازدهر فى القرن التاسع عشر وتألق فى القرن العشرين .

والاسلام بدعوته الى العلم هو الذي خرج رجال الحضارة وجهابذة العلم واساتذة الدنيا وعمالقة العلماء امثال :

ابن الهيثم والكندي والفارابي وابن سينا والبيروني والبتاني والبوزجاني والفرغاني والطوسي والبغدادي والرازي والقزويني والانطاكي والزهراوي والخوارزمي والصوفي وجابر والجاحظ وابن البيطار وابن النفيس وابن حيان وابن حمزة. والادريسي والمسعودي وابن بطوطة وابن زهر .

وهذا ابن الهيتم (965 — 1039) يبحث فى السهول والاودية ويجول فيها طولا وعرضا . حتى يضع قواعد علم الضوء .

وابن الدجيلي يسهر على قمم الجبال العالية ، يحدق فى الكواكب والنجوم ليحدد افلاكها ويعرف أبعادها ويقيس محيط الكرة الارضية بالاجهزة الدقيقة .

وابن النفيس يجري التجارب والاختبارات حتى يثبت ان الدم ليس سائلا مستقرا فى الاوردة والشرايين المبثوثة فى الكائن الحي . بل هو سائل متحرك يدور فى جميع اجزاء الجسم ، وذلك قبل أن يكتشف (هارفي) الدورة الدموية بثلاثة قرون .

وابن مسكوية الذي يسبق فلاسفة أوربا وعلمائها بثمانية قرون فى علوم الاخلاق والفلسفة والتهذيب والبيلوجيا .

وجابر ابن حيان يحلل عناصر الطبيعة وتفاعل المواد المختلفة حتى يضع اصول علم الكيمياء وابن يونس يسبق العلماء فى اختراع بندول الساعة « الرقاص » .

وما زالت اسماء العلوم والمصطلحات التي اعطاها هؤلاء العلماء المسلمين لغرائب العلم ، ما زالت حية نابضة فى جميع اللغات رغم ما نالها من تحريف وتغيير .

ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة العربية الاسلامية باعزاز كما شهد لها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه الذين لا يبغون من بحوثهم ودراساتهم الا مرضاة العلم فى ذاته . والذين لا تسيطر عليهم العصبية الهوجاء ، والسطحية العمياء .

واننا نسوق الى العربي بعض النقول التي جاءت على لسان فلاسفة العالم والتي تشهد صراحة وضمنا لمجد الحضارة الاسلامية .

والواقع ان الاسلام ليس فى حاجة الى اقوال هؤلاء فهو قوي بذاته . لكننا نأتي بها لما نراه من أن كثيرا من كتابنا ومؤرخينا يغمطون حق حضارة العرب.

وان شئت بعبارة أقرب فقل انهم يجهلونها ولا يعرفون عنها الا النذر اليسير . والى هؤلاء واولئك بعض اقوال كواكب الاستشراق والبحوث العلمية والدراسات الواسعة .

قال « هير شفيلد » وليس للقرآن مثيل فى قوة اقناعه ، وبلاغته وتركيبه واليه يرجع الفضل ، فى ازدهار العلوم بكافة نواحيها .. وان الدين الاسلامي مخالف لهذه الابراج الشامخة التي تسقط من ضربة واحدة لان فيه قوة وصلابة ومناعة تجعله قادرا على المقاومة قدرة تامة » .

وقالت الكاتبة الالمانية الدكتورة « سيجر هونكه» « ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التي نهضت بها أبناء الصحراء من العدم ، من أعجب النهضات العلمية الحقيقية فى تاريخ العقل البشري فسيادة ابناء الصحراء التي فرضوها على الشعوب ، ذات الثقافات القديمة ، وحيدة فى نوعها وان الانسان ليقف حائرا أمام هذه المعجزة العقلية الجبارة والتي يحار الانسان فى تعليلها وتكييفها » .

ويظهر لي ان اليمنيين كانوا مضرب الامثال في الشجاعة والمروءة والوفاء . والامثال التي احتفظ التاريخ لنا بها تقوم حجة على ذلك وكلها تشيد برجالات اليمن المغاوير . كـ « مروان القرظ » الذى يضرب به المثل فى العز و « لاحر بوادي عوف » و « اجبن من المنزوف ضرطا » و « لو ترك القطا ليلا لنام » وغيرها كثير .

ولقد شاركت اليمن بالفاظ كثيرة فى القرآن الكريم بيانها كما ياتي :

1 ـ كلمة : « **لهوا** (6) » فى قوله تعالى : « لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذنه من لدنا انا كنا فاعلين » الآية 18 من سورة الانبياء . ويكاد سائر المفسرين وجميع اللغويين ان يتفقوا على ان هذه اللفظة تدل هنا على المراة وان اغفلوا الاشارة الى انها تدل على المراة فى لغة اليمن (7) ، ومن الذين ذهبوا هذا المذهب الزمخشري حين قال : « وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المراة (8) » وهو كلام يظهر بوضوح ان جار الله لا يركن اليه وانما يرويه دون ان يعتقده وشأن الزمخشري فى هذا الباب شأن الراغب الاصفهاني ، كلاهما يشك فى هذا التأويل . الا أن صاحب المفردات فى غريب القرآن يحاول ان يجد لهذا التأويل مبررا فيقول (9) : « ومن قال اراد باللهو المراة والولد فتخصيص لبعض ما هو من زينة الحياة الدنيا التي جعل لهوا ولعبا » ويجعل العالمان الجليلان جلال الدين محمد بن احمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر السيوطي المراة زوجة فيقولان : « لو اردنا أن نتخذ لهوا : ما يلهى به من زوجة او ولد (10) غير أن العلامة اسماعيل ابن حماد الجوهري وسع هذه المعنى اليمني اكثر مما كنا ننتظر فقال (11) : « وقد يكنى باللهو عن الجماع» وهو بعد ذلك يعطي المفردة في هذه الآية معنى المراة او الولد . ويذهب لهذا المعنى وبدون التواء مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي فيقول (12) : « واللهوة المراة الملهو بها كاللهو » .

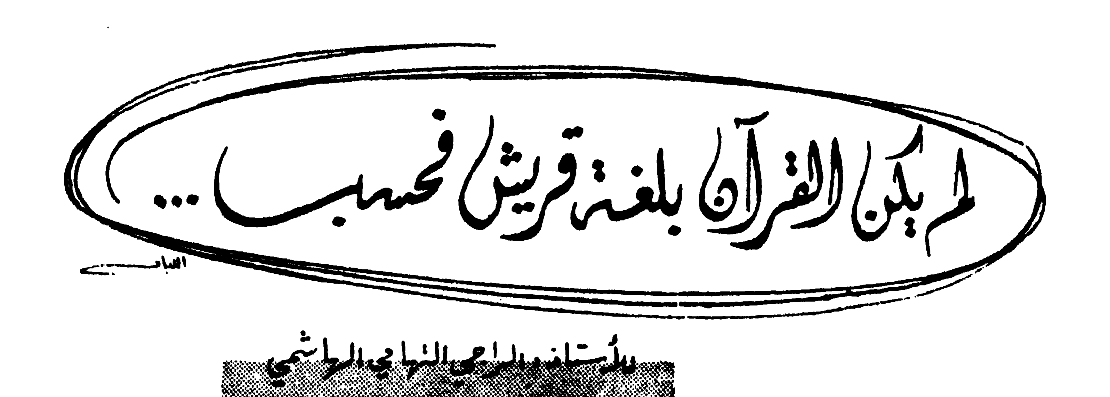
2 ـ المفردة : « **حاق** » فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم (13) ولاسيما فى قوله تعالى : « فوقاه الله سيئات ما مكروا، وحاق بآل فرعون سوء العذاب» الآية 45 من سورة غافر ، ومعناها بلغة اليمن (14) وجب وهي تدل على نفس المعنى فى لغة قريش ولهذا فلا اشكال هنا .

3 ـ اللفظة : « **المرجان** » فى قوله تعالى : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » و «كانهن الياقوت والمرجان » الآيتان 22 و 58 . اجمع المفسرون وعلماء اللغة قديما على أن هذه المفردة يمنية. يقول السيوطي (15) : « واخرج (16) فيه (17) عن الكلبي قال : « المرجان صغار اللؤلؤ بلغة اليمن » .

غير انه من الملاحظ ان هذه المفردة موجودة فى اللغة الاغريقية بنفس الصيغة تقريبا ولا يستبعد أن يكون صيادوا اليونان الذين كانوا يبحثون عن هذا الحجر النفيس قرب شواطىء البحر المتاخمة لشبه جزيرة العرب قد تركوا هذه اللفظة لليمنيين وقت ازدهار بلادهم. ويظهر لي ايضا ان اليمن تمتعت بازدهار تحسد عليه فى حقب مختلفة من تاريخها الطويل سواء بعد بناء سد مأرب أم قبله ، سواء وقت خرابه او بعد خرابه بزمن ليس باليسير .

---

6) اول من عزا هذه المفردة الى اليمن هو الاستاذ الجليل : «ابو القاسم بن سلام» .
7) الا ابو عبيدة فقد راى انها تدل على المراة فى لغة اليمن واخبر انه رواه عن الحسن (الاتقان صفحة 135 من الجزء الاول) .
8) الكشاف الجزء الثالث صفحة 5 .
9) المفردات فى غريب القرآن صفحة 455 .
10) تفسير القرآن العظيم المعروف بالجلالين الجزء الثاني صفحة 32 .
11) الصحاح الجزء السادس صفحة 2487 .
12) القاموس المحيط الجزء الرابع صفحة 388 .
13) فى الانعام الآية 10 وهود الآية 8 والنحل 34 وغيره .
14) ابو القاسم سلام فى رسالته المنشورة فى حاشية تفسير الجلالين صفحة 163 من ج 2 .
15) الاتقان فى علوم القرءان الجزء الاول صفحة 134
16) ويقصد ابا بكر الاباري .
17) يعني كتاب الوقف .



للأستاذ عبد الرحمن التهامي الهاشمي

- 15 -

14 ــ قبيلة اليمن :

قال الشاعر الكلاعي يصف اليمن

هي الخضراء فاسأل عن رباها
يخبرك اليقين المخبرونا
وبمطرها المهيمن فى زمان
به كل البرية يظمئونا
وفى اجبالها عز عزيز
يظل له الورى متقاصرينا
واشجار منورة وزرع
وفاكهة تروق الآكلينا

كما يصفها السيد محمد شكري الالوسي البغدادي فيقول : (1) « فهذا اقليم عظيم متسع الارجاء متباعد الاطراف والانحاء ، لم تزل محمودة على السنة الاصفياء لما اودع الله فيها من البركة فى جميع الاشياء. وكانت تسمى الخضراء لكثرة مزارعها ونخيلها واشجارها وثمارها ومراعيها وريعها . »

ولاقليم اليمن تاريخ قديم حافل يدل عليه هذا العدد العديد من القصور الفخمة العجيبة الفاخرة ، نذكر منها قصر غمدان الذي اسسه ازال بن قحطان بأمر اخيه يعرب ، وهو القصر الذي ورد ذكره فى قصيدة الشاعر ثعلبة بن عمرو العبدي (2) قال :

« ولو كنت فى غمدان يحرس بابه
اراجيل احبوس واسود آلف »

ومن مدنها القديمة التي اشتهرت بين القبائل مدينة نجران التي يذكرها الشاعر الجاهلي عبد يغوث ابن وقاص الحارثي (3) فيقول :

فياراكبا اما عرضت فبلغن
نداماي من نجران ان لا تلاقيا

ومأرب المشار اليها فى القرآن الكريم فى قوله عز وجل (4) « لقد كان لسبا فى مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور » . بلدة جميلة فى اليمن ذات ماء عذب وهواء منعش .

اما اسواق اليمن فى الجاهلية فقد كانت مزدهرة (1) وهي التي ساعدت على انتشار اللهجة التي كانت سائدة فيها بين جميع قبائل العرب . واللغة التي كانت معروفة آنذاك فى ربوعها هي اللغة الحميرية . جاء فى كتاب نهاية الآرب فى معرفة أحوال العرب نقلا عن المؤرخ الفرنسي دردي ما يلي (5) : « كانت الآداب قبل انتشار العرب من جزيرتهم متأصلة فيهم مؤداة بلغتين الحميرية فى اليمن والقرشية فى الحجاز وبالاخيرة جاء القرآن . »

1) بلوغ الارب فى معرفة احوال العرب الطبعة الثالثة بالقاهرة صفحة 202 من ج 1 .
2) انظر ترجمته عند الانباري 559 . وفى كتاب الاشتقاق صفحة 197 وعند احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون فى المفضليات الطبعة الثالثة بدار المعارف ص 253 .
3) انظر ترجمته فى المفضليات صفحة 155 .
4) سبأ الآية 15 .
5) نهاية الارب الجزء الاول صفحة 181 .

بالمكان اروكا ، واصل الاروك الاقامة على رعي الاراك ثم تجوز به في غيره من الاقامات .

اخرج ابو عبيد عن الحسن قال : كنا لا ندري ما الارائك حتى لقينا رجل من اهل اليمن فأخبرنا ان الاربكة عندهم الحجلة فيها السرير (34) .

7 — لفظة : « **معاذير** » في قوله جلت قدرته : « ولو القى معاذيره » الآية 15 من سورة القيامة . روى ابو عبيدة عن الضحاك « ان معاذيره ستوره بلغة اهل اليمن (35) » .

والملاحظ ان هذه المفردة وردت في مصحف الامام على وزن مفاعيل بمد العين ولم يقراها ، في علمي ، قارىء بغير ذلك — وحقها ان تكون على وزن مفاعل ليس الا ، ما دامت جمعا للاسم المفرد معذرة (36) . غير ان الامام محمود بن عمر الزمخشري بحث عن علة ذلك فقال (37) : « قلت المعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحو المناكير في المنكر . »

يكاد المفسرون يتفقون على ان المعاذير معناها الستور كما ذكرت اعلاه ، — وان الستر يمنع عادة رؤية المتحجب وراءه كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب — الا مجاهد فيقول في قوله تعالى : « ولو القى معاذيره » اي ولو جادل عنها .

8 — كلمة : « زوج بـ » في قوله عز من قائل : « كذلك وزوجناهم بحور عين » الآية 54 من سورة الدخان . وفي قوله تعالى : « متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين » الآية 20 من سورة الطور .

« اخرج ابن ابي حاتم عن عكرمة في قوله تعالى : (38) « وزوجناهم بحور عين » قال هي لغة يمانية وذلك ان اهل اليمن يقولون : « زوجنا فلانا بفلانة » . ولقد عثرت بمناسبة البحث عن تطور هذه الكلمة خلال تاريخها الطويل على الطف تأويل يمكن ان يجده باحث في هذا الباب . ذلك ان الراغب الاصفهاني حين علم — وهو العالم الخبير بما تقوله العرب وما تدع — ان ليس من قولهم : « تزوجت بامراة » اتى بتأويل ظريف لقول الله تبارك وتعالى « وزوجناهم بحور عين (39)» قال : « اي قرناهم بهن ، ولم يجيء في القرآن زوجناهم حورا كما يقال زوجته امراة تنبيها ان ذلك لا يكون على حسب المتعارف فيما بيننا من المناكحة » .

ولم يتفق المهتمون بلغة القرآن جميعهم على نسبة هذه اللهجة الى اهل اليمن ، ذلك ان الفراء يرى ان قولهم : « تزوجت بامراة (40) » لغة في ازد شنوءة .

وهنا يحق لقائل ان يقول: لماذا لم تدخلها والحالة هذه في لغة ازد شنوءة حين تعرضك لها (41) ابادر فاقول انني لم ار مبررا معقولا لما ذهب اليه الفراء ، ولذا لم آخذ برايه ، ذلك انني استنتجت من بحثي في لهجة ازد شنوءة ان ليس من خصائص لغتها ان تتميز عن اللهجات الاخرى بالحروف كما هو الشأن في لغة تميم مثلا .

هذه من جهة ، ومن جهة اخرى لم استطع ان احدد بالضبط تحركات افراد قبيلة ازد شنوءة (42) وما اظن ان احدا بقادر على ذلك في الوقت الراهن ولذا فليس من المستبعد أن يكون هذا التركيب استعمل بين افراد من قبيلة ازد شنوءة على أرض اليمن او ان يكون تركيبا يمانيا وسع استعماله اهل

---

34) الاتقان في علوم القرآن صفحة 135 الجزء الاول.
35) المصدر السابق نفس الصفحة .
36) الصحاح الجزء الثاني صفحة 739 الذي لم يبين سبب ورود جمعها على معاذير بالياء كما سكت عن ذلك صاحب القاموس المحيط في مادة (عذر).
37) الكشاف الجزء الرابع صفحة 165 .
38) الاتقان في علوم القرآن الجزء الاول صفحة 135
39) المفردات في غريب القرآن صفحة 216 .
40) الصحاح الجزء الاول صفحة 320 .
41) انظر دعوة الحق العدد التاسع والعاشر من السنة العاشرة ابتداء من صفحة 76 .
42) وان كنت أعرف انهم قليلوا الارتحال عن ارضهم بسبب تعاطيهم للحياكة التي كانت تتطلب منهم استقرارا في الارض ، ونظاما مضبوطا في العيش.

ومن المحتمل ان يكون صيادوا اليونان تركوا لليمنيين هذه الصيغة μαργαρίτης Margarites التي تدل عندهم على لؤلؤة صغيرة (18) وهو الشرح الذي اعطاه لهذه المفردة جميع اللغويين . قال الجوهري (19) : « والمرجان صغار اللؤلؤ وقالا صاحبا الجلالين (20) : « المرجان خرز احمر أو صغار اللؤلؤ . وقال الراغب الاصفهاني (21) « والمرجان صغار اللؤلؤ » .

والملاحظ ان هذه الكلمة لم ترد فى القرآن الكريم الا مرتين : وفى سورة الرحمن دائما .

4 — الكلمة : « **وزر** » فى قوله تعالى: «كلا لا وزر» الآية 11 من سورة القيامة نسبها الى لغة اليمن العلامة ابو القاسم ابن سلام (22) وروى « ابن ابي حاتم عن الضحاك فى قوله تعالى (لا وزر) قال لا حيلة وهي بلغة اهل اليمن (23) »

وهي حسب ابن سلام ، لفظة مشتركة بين ثلاث قبائل بمعان مختلفة ، فهي بمعنى « لا حيلة ولا ملجأ ، بلغة توافق النبطية » (24) وهي : « ولد الولد بلغة هذيل » (25) ومعناها اخيرا ولا حيل بلغة اهل اليمن .

5 — كلمة : « **سامدون** » فى الآية 61 من سورة النجم التي يقول فيها الحق سبحانه وتعالى : « وانتم سامدون » يقول الامام جلال الدين السيوطي الشافعي (26) : « اخرج ابو عبيدة من طريق عكرمة عن ابن عباس فى قوله وانتم سامدون قال الغناء وهي يمانية . »

وقد اعطت فى اللغة العربية الفصيحة « سمد » فى قولهم سمد البعير بمعنى رفع راسه (27) . وقد اعطت ايضا فى اللغة العربية الفصيحة ، اخذا عن اللغة اليمانية « اسمدي لنا يا جارية (28) اي غني لنا (29) »

ويوضح الجوهري هذه المفردة اكثر فيقول : « السمود اللهو . والسامد اللاهي والمغني . والسامد القائم والساكت (30) » .

ويرى بعضهم انها حميرية ، ولا فرق بين القولين ما دامت الحميرية هي اللغة التي سادت اليمن فى ذلك الوقت .

ويحسن ان نشير الى ان هذه المفردة لم ترد فى القرآن الكريم الا مرة واحدة .

6 — « **ارائك** » فى قوله تعالى : « اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك . نعم الثواب . وحسنت مرتفقا » الآية 31 من سورة الكهف . وقد وردت اربع مرات أخرى فى القرآن الكريم على صيغة الجمع دائما (31) . ومفردة ارائك فى اللغة العربية اريكة : « سرير منجد مزين فى قبة او بيت . فاذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة » (32) .

اما سبب تسمية هذه الآلة بهذا الاسم فقد بينه بكل وضوح الراغب الاصفهاني حيث قال (33) : وتسميتها بذلك اما لكونها فى الارض متخذة من آراك وهو شجرة أو لكونها مكانا للاقامة من قولهم : اراك

---

(18) غرائب اللغة العربية صفحة 269 .
(19) الصحاح الجزء الاول صفحة 341 .
(20) تفسير القرآن العظيم المشهور بالجلالين صفحة 221 من الجزء الثاني .
(21) المفردات فى غرائب القرآن صفحة 465 .
(22) الجلالين ذيل صفحة 265 من الجزء الثاني .
(23) الاتقان فى علوم القرآن صفحة 135 من الجزء الاول .
(24) انظر دعوة الحق فى عددها الثاني من السنة العاشرة 37 .
(25) وقد ورد بيان ذلك فى مجلة دعوة الحق فى العدد الرابع من السنة 9 صفحة 18 .
(26) الاتقان فى علوم القرآن الجزء الاول صفحة 134
(27) المفردات فى غريب القرآن صفحة 241 .
(28) اساس البلاغة صفحة 219 من طبعة 1953 وجعلها المؤلف هنا من المجاز .
(29) الكشاف الجزء الرابع صفحة 43 .
(30) الصحاح الجزء الاول صفحة 486 .
(31) فى سورة يس الآية 56 وفى الانسان الآية 13 وفى المطففين الآية 23 و 35 .
(32) الصحاح الجزء الرابع صفحة 1572 .
(33) المفردات فى غريب القرآن صفحة 16 .

الأربعون حديثاً في الأدب العربي والفارسي والتركي

للدكتور فيكتور الكك

« من حفظ على امتي اربعين حديثا من امر دينها بعثه الله فى زمرة الفقهاء والعلماء

ان موضوع (الاربعون حديثا) لهو من اهم الموضوعات التي ينبغي ان يتنبه لها المشتغلون بالدراسات الاسلامية ، والمنصرفون الى دراسة الآداب العربية والفارسية والتركية والاسلامية بوجه عام ، فى اصولها وتأثراتها وروافدها . فالاحاديث الاربعون تحتل مكانا بالغ الاهمية فى الثقافة الدينية الاسلامية ، اذ انه لم يكتب لاي فن من فنون الادب الاسلامي ما كتب لهذا النوع من التأليفات فى الاحاديث الاربعين من عميق الاثر الذي تركته فى انفاذ تعاليم الاسلام الخلقية الى اذهان العامة ، فضلا عن الخاصة من جهة وفي الدفاع عن العقائد الروحية والاجتماعية والسياسية واشاعتها بين مختلف فئات المؤمنين من جهة اخرى .

منشا الفكـرة :

اما فكرة (الاربعون حديثا) فقد نشأت فى القرن الثاني للهجرة (الثامن للميلاد) تحت تأثير الحديث الضعيف : « من حفظ على أمتي اربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله فى زمرة الفقهاء والعلماء » ؛ فكانت سببا فى تصنيف مآت الرسائل فى الآداب الاسلامية ، باللغات العربية والفارسية ، والتركية ، مدة اثنى عشر قرنا ، وعاملا فى ايجاد هذا الفن الادبي الديني المشترك بين آداب اللغات الثلاث . وثمة عامل آخر اثر فى تطور هذا الموضوع ، وهو الاهمية التي تعطيها الاقوام السامية والآرية والطورانية التي عاشت فى الرقعة العربية الاسلامية للعدد (اربعون) . وليس يخفى على اهل العلم ما جاء فى القرآن الكريم من آيات ذكر فيها العدد اربعون ، نمثل لها بالآيتين التاليتين ؛ ففي سورة البقرة الاية الحادية والخمسون : « واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون » ؛ وفى سورة الاعراف الاية المائة والثانية والاربعون : «وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة » .

اما الاحاديث النبوية التي ذكر فيها العدد (اربعون) فليست بقليلة منها : «اقرا القرآن فى اربعين» ؛ و : « بعث رسول الله لاربعين سنة » ؛ و : « نتف الابط كل اربعين يوما مرة » ؛ و : « من احتكر طعاما اربعين ليلة فقد برىء » .

وقد اثرت عوامل اخرى فى جمع (الاربعون حديثا) وتصنيفها نذكر منها ، العوامل المادية والمعنوية التالية:

الرغبة فى نيل شفاعة الرسول (ص)، والنجاة من نار جهنم ؛ والرغبة فى الدعاء الصالح والذكر الجميل ، وملء الوقت الذي يمضي دون فائدة ، والرغبة فى خدمة المسلمين ، واظهار المقدرة فى علم الحديث والادب ، ثم اتباع السلف ، وتحقيق رغبة الاصدقاء والتلامذة والاستشهاد فى اثناء تقرير الدروس ، ونصرة مذهب او طريقة ما ، والتمكن من تفصيل الآراء فى مسألة من مسائل العصر ... ويأتي اخيرا التحبب الى الخاصة ،

ازد شنوءة اثناء رحلاتهم هناك (43) . ذلك ان اليمن مساحة ارضية قد يعيش فوقها ويتداول عليها افراد من قبائل مختلفة بينما ازد شنوءة جماعة من الناس قد يوجدون فى نواح مختلفة من بينها ارض اليمن .

هذا اذا لم ننس الاشارة الى ان لفظة زوج لفظة موجودة فى جميع اللغات السامية تقريبا فهي مثلا بنفس الصيغة فى العبرية زوج זוג

ولامر ما لم اقل انها لفظة سامية بل ذكرت عنوة انها لفظة موجودة فى جميع اللغات السامية اعتقادا مني انها ليست منها أصلا . ذلك ان اللفظة الاغريقية Ζεῦγος zeughos تدل على شخصين متحدين بالزواج هي التي أعطت دون ريب هذه المفردة للغات السامية ولكنها عرفت ، أول ما عرفت فى اليمن ، لذا جعلناها منها .

9 — كلمة : « **نقبوا** » فى قوله تعالى : « وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد بطشا فنقبوا فى البلاد هل من محيص » الآية 31 من سورة ق « اخرج أبو بكر بن الاباري فى كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان فنقبوا هاموا بلغة اليمن . هذا على من قرأها بقاف مفتوحة بالتشديد اما بكسر القاف مع التخفيف فأمر آخر أظنه بعيدا عما نحن فيه .

10 — لفظة : « **العرم** » فى قوله تعالى « فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتي أكل خمط واثل وشي من سدر قليل » الآية 16 من سورة سبا .

« أخرج سعيد بن منصور فى سننه عن عمرو بن شرحبيل فى قوله تعالى : « سيل العرم » المسناة بلغة اليمن (44) غير ان كثيرا من المفسرين اعطوا لهذه المفردة تفسيرات كثيرة يمكن جمعها فى خمس تاويلات هي :

— العرم الجرذ الذي نقب على اتباع بلقيس السد الذي بنته لهم .
— العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة .
— العرم المسناة وهي التي نذهب اليها وهي بلغة اهل اليمن .
— العرم اسم الوادي، وقديكون اسم الوادي الذي اقامت فيه بلقيس سدها .
— العرم المطر الشديد — ومن القراء من يقراها بسكون الراء .

اكادير : الراجي التهامي الهاشمي

---

43) حددت فى حلقة سابقة (دعوة الحق) لجمادى الاولى 1387 صفحة 76) الرقعة الارضية التي كانوا يعيشون فوقها ومن ضمن هذه الرقعة جزء من قبيلة اليمن .
44) الاتقان فى علوم القرآن صفحة 135 الجزء الاول.

الاربعون فى اللغة التركية :

يقول الدكتور قره خان فى كتابه باللغة التركية (قرن حديث) : ان الاتراك هم الذين اهتموا اكثر من غيرهم بالناحية الادبية فى ترجمات (الاربعون حديثا) وشروحها وهم الذين انتجوا اكثر الامثلة المنظومة فى ذلك . فالكتاب العثمانيون وعلى الاخص طبقة العلماء منهم وجهوا عناية خاصة الى مصنفات (الاربعون حديثا) ذات الطابع الديني والتدريسي . وخير مثال على ذلك رسائل جمال الدين الاقسرايي ، وابن كمال باشا ، ولطفي باشا، وطاش كوبري زاده ، والبركوي وغيرهم . وقد وضع بعض الكتاب الاتراك مثل ادريس التبليستي وبروسه لي فردوسي ، واوزبك ولي الدين ، وسواهم رسائل باللغة الفارسية فى هذا الموضوع ولكن لم يصل مؤلف من هذهالمؤلفات من حيث القيمة الادبية التعليمية الى درجة ترجمان (الاربعون حديثا) وشروحها التي كتبها الاتراك فى لغاتهم الاصلية ، ولم يرتفع ، الى طبقة آثار الصنف الاول فى هذا الميدان بنسبة ارتفاع المؤلفات الموضوعية باللغة التركية .

وقد ظهرت ترجمات (الاربعون حديثا) وشروحها فى الادبالتركي منذ القرن الرابع عشر للميلاد،واعتبرت نوعا ادبيا دينيا شائقا فى القرن الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والنصف الاول من القرن الثامن عشر ، كما اعتبر كل شاعر تركي كبير فى عصره ترتيب اربعين حديثا ضربا من اللذة والواجب ، او ضرورة يستدعيها العرف الشائع فى العصر الذي يعيش فيه . وعليه خلف الشعراء الاتراك الكبار مثل نوائي ، وفضولي، وخاقني ، ونابي ، وتائب ، ومنيف ، مصنفات فى (الاربعون حديثا) ، ناهيك عما تركه غيرهم فى هذا الموضوع من الكبار ايضا مثل حزيني ، وأصولي ، ونوعي، وعاشق جلبي ، وعالي ، ورحلتي فى القرن السادس عشر ، وامثال كفه لي فيض ، وابن طاش كوبري زاده ، واوقجي زاده محمد ، وانقره لي اسماعيل ياسوخي ، فى القرن السابع عشر ، وامثال اسحاق خواجه سي احمد وبروسه لي اسماعيل حقي ، ومستقيم زاده محمد الدين ، فى القرن الثامن عشر وغيرهم وغيرهم .

واستمرت هذه الحركة الى قرننا هـ لذا، ووضعت فى الموضوع المذكور مؤلفات حرية بالاعتبار ، طبعت وشاعت بين الناس .

هذا غيض من فيض موضوع (الاربعون حديثا) البالغ الاهمية ، وقد استمر قرونا طويلة واهتدت بتعاليمه اجيال كثيرة — وانما العلم نور وهدى .

بيروت : الجامعة اللبنانية : الدكتور فيكتور الكك

صلاة عروضية

نظر الحماز الشاعر الى رجل يخفف الصلاة ! فقال : لو رآك العجاج لهزج بك . قال : كيف ؟ قال : لان صلاتك أرجوزة .

واثارة الاعجاب ، والحصول على جائزة ، والتوصل الى اكرام او انعام ...

جمـــع الاربعـــون :

ولقد جمعت هذه الاحاديث وشرحت ، واتخذت فى بادىء الامر صورة كراسة او رسالة فى الحديث ،قبل ان تصبح ضربا من ضروب الادب وانواعه .

ثم اخذت تكتسب مع الزمن وخاصة فى الفارسية والتركية مظهرا ادبيا،فشرعت تمازج فترة بعض النظم، ثم تطورت الى انماط منظومة فى الفارسية والتركية .

بدأ موضوع (الاربعون حديثا) بعبد الله بن المبارك (القرن الثاني للهجرة ـ الثامن للميلاد) . ولم يمض زمن طويل حتى استأثر باهتمام الناس ، وظل يتطور ويتكامل خلال العصور حتى بلغ الذروة فى القرن السابع للهجرة ـ الثالث عشر للميلاد . والاربعون حديثا التي جمعها محيي‌الدين النووي آخر المجتهدين فى ذلك العصر تعد اكبر رسالة فى هذا الموضوع ، بالنسبة لقيمتها ورواجها وكثرة الشروح التي تناولتها حتى ايامنا الحاضرة . فثمة خمسون شرحا لهذا الكتاب باللغة العربية اكثرها لمشاهير العلماء ، وهناك مائتان واثنتان وخمسون رسالة فى (الاربعين حديثا) وضعها مائتان وثمانية عشر مصنفا ! وهذان العددان اللذان نجزم انهما دون العددين الحقيقيين يكفيان وحدهما لابراز القيمة الكبرى التي اوليت لهذا الموضوع فى اللغة العربية . ثم ان وجود علماء كبار من مثل ابي بكر الاجري ، والدارقطني وابن القاسم القشيري ، وابن ودعان ، وابن عساكر ، وابي طاهر السلفي ، ومحيي الدين بن العربي، وسعد الدين التفتازني ، وابن حجر العسقلاني ، وابن حجر الهيثمي وجلال الدين السيوطي ، وعلي القارىء ، وغيرهم ، بين هؤلاء المصنفين ، يبين بيانا واضحا هذه القيمة الكبرى التي اعطاها العالم الاسلامي ايضا لهذا النوع من الادب الديني . وقد اتخذت هذه المؤلفات بفضل التفاعل الفكري بين العقلية العربية والفارسية والتركية صبغة دينية تعليمية ادبية صرفا منذ نشأتها.

ولا بأس فى هذا العدد بايراد قول النووي لايضاح هذه الفكرة وبيانها قال : ثم من العلماء من جمع الاربعين فى اصول الدين، وبعضهم فى الفروع، وبعضهم فى الجهاد، وبعضهم فى الزهد ، وبعضهم فى الآداب ، وبعضهم في الخطـــب .

وجاء فى « كشف الظنون » : وقد صنف العلماء فى هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات ، واختلفت مقاصدهم فى تأليفها وجمعها وترتيبها ، فمنهم من اعتمد على ذكر احاديث التوحيد واثبات الصفات ، ومنهم من قصد ذكر احاديث الاحكام ، ومنهم من اقتصر على ما يتعلق بالعبادات ، ومنهم من اختار احاديث المواعظ ، ومنهم من قصد اخراج ما صح سنده وسلم من الطعن ، ومنهم من قصد ما علا اسناده ، ومنهم من احب تخريج ما طال متنه وظهر لسامعه حتى يسمعه حسنه ، الى غير ذلك، ويسمى كل واحد منهم كتابه بكتاب الاربعين.

الاربعون فى اللغة الفارسية :

وقد ظهرت مصنفات (الاربعون حديثا) اي «جهل حديث»فى اللغة الفارسية ، بميزتيها الاساسيتين فى وقت واحد : اعني الطابع الديني ، والطابع الادبي ، كما راج تأليف الرسائل التي تجمع الاحاديث فى مناقب الامام علي وامامته . ونتج عن ذلك كله انواع راقية من « جهل حديث » (الاربعون حديثا) على ايدي احمد رومي ، وايجي وغيرهما الى ان بلغ حد الكمال فى القرن التاسع الهجري على يد الصوفي الشاعر الكبير عبد الرحمن جامي ، فى ميدان الترجمة المنظومة « اربعين جاوي ترجمة اربعين حديث» . ومن الامثلة على ترجمة جامي قوله فى هذا الحديث : « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » ما يلي بالفارسية :

هركسي را لقب مكن مؤمن
برجه از معي جان وتن كاهد ؛
تا نخواهـــد برادر خود را
آنجه از بهر خويشتن خواهد .

وكان القرن السادس عشر للميلاد ، فألف الكاتب الفارسي المشهور حسين واعظ كاشفي «الرسالة العلية فى الاحاديث النبوية » ، فجاءت اجمل مثال وارقاه لرسائل « جهل حديث » التي تمزج بين النظم والنثر .

وقد داب كثيرون من ادباء الفرس على ترجمة رسائل اصحاب (الاربعون حديثا) المشهورة باللغة العربية ، مثل « اربعون » النووي وبهاء الدين العاملي . وبهذا الصدد يقرر الدكتور عبد القادر قرة خان : وعلى هذا فاننا نعرف ستة واربعين شارحا ومترجما لرسائل « جهل حديث » ، اربعة عشر منهم مجهولون ، ومع ذلك فنحن نجزم ان كثيرا من الرسائل قد بقيت هنا وهناك مجهولة لا نعرفها .

المعلوم ، وهي بضم ففتح فعلة من الهمز بمعنى الطعن كاللمزة المذكورة بعدها فى أول السورة (ويل لكل همزة لمـــزة) .

627) وفى نفس العمود ترجمة للكمال ابن الهمام ضبط اسمه فيها بفتح الهاء وتشديد الميم ، هو بضم الهاء وتخفيف الميم على وزن غلام .

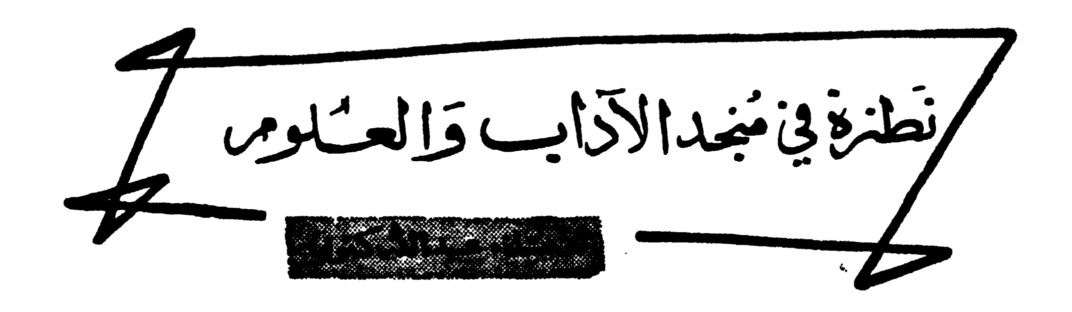
628) فى ص 556 ، ع ل تعريف بالشيخ سعيـــد الحنصالي سماه فيه الهنسلي ، وسمى طريقته تبعـا لذكره الهنسلية ، وذلك من خطأ الترجمة عن الفرنسية التي لا يوجد بها حرف الحاء ولا حرف الصاد ، وهذا زيادة على ما فى تلك الترجمة من التخريف .

629) فى ع نى من هذه الصفحة تعريف بقبيلـة هوارة المغربية ، ضبط اسمها فيه بضم الهـاء وهـو بفتحها ، والتعريف مع ذلك غير مستوف ، فلينظر ما كتبه عنها الشيخ مرتضي الزبيدي فى تاج العروس .

630) فى ص 559 ، ع ل بعنوان هيبـــون قال : (مدينة فى الجزائر تسمى فى يومنا بونه) ، والواقع ان بونه هو اسمها القديم ، والفرنسيون كانوا يسمونهـا أيام الاحتلال بون . اما اسمها العربي فلا هذا ولا ذاك وانما هو عنابة او مدينة العناب لكثرته فيها .

631) فى ع نى من الصفحة نفسها ترجمة للحافظ نور الدين الهيثمي صاحـب مجمـع الزوائد ومنبـع الفوائد ، قال فى كتابه هذا : (جمع فيه زوائد الكتب الستة) ، وكلامه يوهم انها الكتب الستة المعروفـة ، ويبقى بيان هذه الزوائد وعلى ماذا زيـدت ؟ مـع ان المراد بالكتب الستة مسندا لامام احمد ، والمعاجـــم الثلاثة للطبراني ، ومسند البزار ، ومسند ابي يعلى ، وبالزوائد الاحاديث التي جاءت فيها زائدة على ما في الكتب الستة المعروفة الى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابي داود وابي ماجة .. فكيف يفهم هذا المعنى من اطلاقه القول بانه جمع فى كتابه المشار اليه زوائد الكتب الستة ؟ .

طنجة : عبد الله كنون



- 22 -

حرف الهاء :

620) فى ص 547 ، ع ل ترجمة للخليفة العباسي موسى الهادي ، قال فيها : ولى ابنه جعفرا على الرشيد فى وراثة العهد ، يعني خلع اخاه هرون الرشيد من ولاية العهد التي جعلها له ابوهما المهدي ؛ وجعلها هو لابنه جعفر ، ولكن كلامه لا يؤدي هذا المعنى . ثم قال : فقتل بعد سنة من ملكه .. بسعاية الخيزرانة أم الرشيد التي كانت تطمع بالملك لنفسها. وهذا أيضا كلام غامض وموهم ويحتاج الى تصحيح ، فان الخيزران هي ام للهادي والرشيد معا خلاف ما يوهمه كلامه من انها ام للرشيد فقط ، ثم هي الخيزران لا الخيزرانة . ولما خلع الهادي اخاه لم ترض الخيزران بذلك ونهته فلم ينته واستطال عليها فأوعزت الى جواريه بقتله فقتلته خنقا وتولى الرشيد الخلافة، وبذلك يعلم ما فى قوله انها كانت تطمع بالملك لنفسها من التزيد .

621) فى ص 550 ، ع ل كلمة عن ناحية الهبط من بلاد المغرب ، قال فيها : بلدة فى المغرب فى مقاطعة القصر الصغير شمالى مراكش ، ولا تعرف بلدة في المغرب بهذا الاسم ، فلو قال ناحية فى المغرب الشمالي ينسب اليها كثير من اهل العلم لكان اقرب الى الصواب .

622) فى نفس العمود بعنوان الهجرة الاولى قال: (هي هجرة النبي مع الانصار من مكة ... الى بلاد الحبشة) ، والهجرة الاولى لم يكن فيها النبي (ص) ولم يذهب الى الحبشة قط لا فى الهجرة ولا فى غيرها. ثم قال : (والهجرة الثانية هي هجرة النبي الى يثرب ... وقد هاجر معه الانصار والمهاجرون) . والانصار هنا لا محل لها ، اذ الانصار فى عرف الاسلام والسيرة النبوية هم أهل المدينة الذين نصروا النبي (ص) وهاجر اليهم ، فلا معنى لكونهم هاجروا معه الى مدينتهم التي هي يثرب . وكذلك ذكره للانصار في الهجرة الاولى غير صواب ، فالذين هاجروا الى الحبشة كانوا من مسلمي مكة قريش وغيرهم ، الا ان يحمل على النصرة العامة .

623) فى ص 551 ، ع ل كلمة هرم بن سنان الجواد العربي المشهور ضبط اسمه فيها بفتح الراء ، وهو بكسرها ، ولعله لما وقع فى سياق ذكر الهرم واجه الاهرام ضبط فى الطبع بالفتح خطأ .

624) فى ص 552 ، ع ل ترجمة لابن الهذيل العلاف المشهور من ائمة المعتزلة ، جعله فيها بالزاى بدل الذال المعجمة وهو خطأ .

625) فى ع نى من الصفحة نفسها ترجمة لابراهيم بن هلال الفقيه المغربي المعروف ، وصفه بالغلالي وهو الفيلالي بالفاء منسوبا الى اقليم تافيلالت

626) فى ص 553 ، ع نى ذكر سورة الهمزة وضبطها بفتح الهاء وسكون الميم على اسم الحرف

يتعدون ينبغي بعلى ، وهذا دليل اهمال اللغة ، وطرح العناية بها جانبا ، وذلك شأن الامم المخذولة المنحطة، السائرة الى الاضمحلال . وقد راينا اسلافنا كيف اعتنوا بلغة القرآن ، وخدموها احسن خدمة ، فضبطـــوا مخارج حروفها وصفاتها ، وتجويد النطق بها ، وحققوا معاني كلماتها ، وتركيب جملها ، وجودة اسلوبهـــا وبلاغتها ، وتركوها لنا فى غاية الكمال والجمال ، فلم نكن خير خلف لخير سلف .

ومن المعلوم ان القرآن هو اول كتاب ينطق بلغة العرب الخالصة ، ولا يستطيع احد معرفة اللغة العربية وفصاحتها وبلاغتها ، واسرارها الا بدراسة القرآن ، واتخاذه اماما ومنارا يهتـدى بـه فى علومها ، هـذا بالنسبة الى غيرالمسلمين الذين لا يهمهم من القرآن الا ما فيه من فصاحة وبلاغة ، وانه حجة فى اللغة العربية، فكيف بالمسلمين الذين يجب عليهم — ان كانـــوا مسلمين حقا — أن يتخذوا القرآن اماما وسراجا منيرا، يتبعونه ويهتدون به فى دينهم ، يحلون حلالـــــه ، ويحرمون حرامه ، ويتخذونه حكما ، فيه شريعتهــم ، ومنهاج اخلاقهم ، وهدايتهم ، وشفاء صدورهم وروح ارواحهم كما قال تعالى فى سورة الكهــف (1 — 3 الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ، ويبشـــر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا. ماكثين فيه أبدا .)

قال ابن كثير : قد تقدم فى أول التفسير انه تعالى يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الامور وخواتمهــا ، فانه المحمود على كل حال ، وله الحمد فى الاولـــى والآخرة ، ولهذا حمد نفسه على انزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فانه اعظم نعمة انعمها على اهل الارض ، اذ اخرجهــم به من الظلمات الى النور ، حيث جعله كتابا مستقيما لا اعوجاج فيه ، ولا زيغ ، بل يهدي الـــى صـــراط مستقيم ، واضحا بينا جليا ، نذيرا للكافرين ، بشيرا للمؤمنين .

ولهذا قال (ولم يجعل له عوجا) اي لم يجعل فيه اعوجاجا ، ولا زيغا ولا ميلا ، بل جعله معتـــدلا مستقيما ، ولهذا قال (قيما) اي مستقيما (لينذر بأسا شديدا من لدنه) اي لمن خالفه وكذبه ولم يؤمن به ، ينذر بأسا شديدا ، عقوبة عاجلة فى الدنيا ، وآجلة فى الاخرى (من لدنه) اي من عند الله الذي لا يعذب عذابه احد ، ولا يوثق وثاقه احد (ويبشر المؤمنين) اي بهذا القرآن الذين صدقوا ايمانهم بالعمل الصالح (أن لهم أجرا حسنا) اي مثوبة عند الله جميلة (ماكثين فيه) فى ثوابهم عند الله ، وهو الجنة خالدين فيه أبدا دائما ، لا زوال له ولا انقضاء . اهـ .

قوله : (وهو الجنة) الذي اراه ان الاجر الحسن الذي يمكث فيه المؤمن ابدا لا يختص بنعيم الجنة ، بل ينتظم سعادة الدنيا والآخرة ، لان الله وعد بذلك فى غير ما آية من كتابه العزيز لقوله تعالى فى ســـورة النحل (97 من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن، فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وحكمة الله تعالى وعدله يقتضيان ثـــواب الدارين لكل امة صالحة ، وعقاب الدارين لكل أمـــة فاسقة ، وادلة هذا فى القرآن كثيرة .

فسبب ما يقاسيه المسلمون فى هذا الزمان من الشقاء هو اهمال القرآن ، وجعله وراء ظهورهــم . والخطأ الذي نحن الآن بصدد اصلاحه لا يقع ويشيع الا فى امة اهملت القرآن ، لان هذا الفعـــل تكـــرر استعماله فى القرآن ، فجاء فى ستة مواضع أحدهـــا قوله تعالى فى سورة الفرقـــان (17 — 18 ويـــوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول : أانتم اضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل . قالوا : سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ، ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا) .

معنى هاتين الآيتين ان الله تعالـــى يســـأل المشركين يوم القيامة الذين كانوا يعبدون الملائكـــة والانبياء والصالحين ، كعيسى وأمه ، وسائر من عبد من الصالحين ، فيقول لهم : أانتم امرتم هـــؤلاء أن يعبدوكم ، فيتبرؤن منهم منزهين الله تعالى عن الشريك قائلين : سبحانك ، ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من أولياء ، اي لا يليق بنا أن نتخذ المشركين اولياء ، او نرضى بعملهم ، ولكن متعتهم وآباءهم بالنعم ، ولم تعجل لهم العذاب ، فتركوا كتابك ، واتبعوا اهواءهم ، وكانوا فى علمك هالكين ، فحق عليهم العذاب .

ففعل (ينبغي) لا ينبغي أن يتعدى بعلى ، وانما ينبغي ان يتعدى باللام .

32 — منع انباء وآراء وما اشبههما من الصرف

كل من يستمع الى الاذاعات يعلم ان بعـــض المذيعين يمنعون صرف كل جمع من جموع التكسير جاء على افعال ، كانباء وآراء ، واحزاب ، والذي ورطهم

تقويم اللسان مستقيم

للدكتور تقي الدين الهلالي

(6)

30 ـ قولهم : تنبأ بكذا وكذا

يريدون أنه علم بصدق الفراسة وقوة الحدس ما سيكون فى المستقبل كما قال الشاعر :

الالمعي الذي يظن بك الظن
كأن قد رأى وقد سمعا

وفى الخبر : اتقوا فراسة المؤمن ، فانه ينظر بنور الله ، رواه البخاري فى التاريخ والترمذي عن ابي سعيد . وبعضهم يقول : تكهن بكذا وكذا ، وهذا شيء لا يمكن التكهن به ، وسنرى معنى تنبأ الحقيقي .

قال فى اللسان : قال سيبويه : ليس احد من العرب الا ويقول : تنبأ مسيلمة ، بالهمز ، غير انهم تركوا الهمز فى النبي كما تركوه فى الذرية والبرية والخابية . ثم قال : ويقال :تنبى الكذاب اذا ادعى النبوة ، وتنبى كما تنبى مسيلمة الكذاب وغيره من الدجالين المتنبين . ثم قال : وتنبأ الرجل : ادعى النبوة . اه .

وقال شاعر اندلسي فى ابي الطيب احمد بن الحسين المتنبي يخاطب احد امراء الاندلس حين رآه ينشد شعر المتنبي :

تنبأ عجبا بالقريض ولو درى
بأنك تروي شعره لتألها

وقد عرفت أن معنى (تنبأ) ادعى النبوة ، وهي الانباء عن الله تعالى . وقصص المتنبئين مذكورة فى العقد الفريد وغيره من كتب الادب ، والمتنبؤون هم الذين ادعوا النبوة . واستعمال تنبأ بمعنى أخبر بشيء يقع فى المستقبل استعمال استعماري ، من استعباد اللغات الاوربية للغة العربية ، فان جهال المترجمين يترجمون الفعل الانكليزي (Propfesy) بقولهم : تنبأ وانبأ ، ويترجمون (Prophecy) بالنبوة يريدون بذلك الاخبار بالشيء قبل وقوعه ، والصواب ان يقال: توقع وتفرس ، وحدس انه يقع كذا وكذا .

وقال فى معجم أوكسفورد فى معنى (برونيساي) Prophesy يتكلم كنبي . وقال فى معنى (بروفيت Prophet) هو الموحى اليه المخبر عن الله ، فظهر لك أن الاوربيين يستعملون (تنبأ) بمعنى يتكلم كما يتكلم النبي ، والنبي كثيرا ما يخبر بالمغيبات ، فهذا الاستعمال فى لغتهم سائغ . وقد توهم المترجمون أن كل ما ساغ فى لغتهم يسوغ فى لغتنا ، خصوصا ولغتهم لغة القوى القاهر ، ولغتنا لغة الضعيف المغلوب على أمره.

ومعنى (بروفيت) فى اللغة الانكليزية لا يختلف عن معناه فى اللغة العربية ، فهو الموحى اليه المخبر عن الله تعالى ، وحق لغتنا علينا أن ننظفها من كل استعمال دخيل ، محافظين على جمالها ونضارتها وبهجتها . ويقال فى الكلام الفصيح : صدق حدسه ، وتحقق ظنه ، والمخطئون يقولون : صدقت نبوته .

31 ـ ينبغي عليه

ومن الاخطاء الشائعة فى هذا الزمان فى الاذاعات والصحف قولهم : ينبغي عليه أن يفعل كذا وكذا ،

ومثال تقدم الياء على الواو (سيد) فان أصله (سيود) بدليل الفعل : يسود ، حكمت عليه القاعدة المذكورة بابدال الواو ياء وادغام الياء فيها . وفعلة بكسر فسكون ، كحكمة ، وقربة ، وهي السقاء ، انما تجمع جمع تصحيح على فعلات كما فى الحديث المتفق عليه (انما الاعمال بالنيات) وتجمع جمع تكسير على فعل — بكسر ففتح — كحكمة وحكم ، وقربة وقرب ، وشيمة وشيم ، وذلك كثير ، ولا تجمع البتة على فعائل ، لانها لفظ ثلاثي ، والذي يجمع على فعائل هي الكلمات الرباعية ، كبرية وبرايا ، وضحية وضحايا ، وفضيلة وفضائل .

وقد جمعت النية على (ني) بكسر النون وتشديد الياء ، كسدرة وسدر ، وهو نادر ، قال النابغة الجعدي :

انك انت المحزون فى اثر الـــ
ـــحي فــان تنــو نيهــم تقــم

قال صاحب اللسان : قيل فى تفسيره : ني جمع نية ، وهذا نادر . قال ابن الاعرابي : قلت للمفضل : ما تقول فى هذا البيت ؟ قال : فيه معنيان : أحدهما يقول : قد نووا فراقك ، فان تنو كما نووا تقم فلا تطلبهم . والثاني قد نووا السفر ، فان تنو كما نووا تقم صدور الابل فى طلبهم انتهى .

اقول : والمعنى الاول هو الظاهر ، وهذا البيت من بحر المنسرح .

35 — هذا العمل له ما يبرره

ومن اخطائهم قولهم : لهذا العمل ما يبرره ، وكأنهم يريدون بالتبرير أن يجعل من البر وهو الاحسان. وقد بحثت فلم اجد فى لسان العرب، وهو اكبر معجم عند العرب اليوم ، برر على وزن فعل ، كعلم ، وانما وجدت بر وابر ، وهذا من أخطاء المترجمين للفظ الانكليزي Justify والصواب أن يقال : لهذا العمل ما يسوغه، اي يجعله سائغا ، فلا يعاقب فاعله ولا يلام .

36 — قولهم : يعشق الصحافة ويعشق العلم

قال فى القاموس : العشق والمعشق كمقعد ، عجب المحب بمحبوبه ، أو افراط الحب ، ويكون فى عفاف وفى دعارة ، او عمى الحس عن ادراك عيوبه ، او مرض وسواسي يجلبه الى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور . اهـ .

قال الحافظ ابن الجوزي فى كتابه تلبيس ابليس فى أثناء انتقاده على بعض الصوفية استعمالهم لفظ العشق فى حب الله تعالى قال : لا يعشق الا ما ينكح . وكلام صاحب القاموس يؤيده ، فان قوله : يكون فى عفاف وفى دعارة ، يدل على أن العشق لا يستعمل استعمالا صحيحا الا فى حب يتعلق بمن تمكن مباشرته، والشخص الذي تمكن مباشرته ، وهو المعشوق ، يكون ممتنع الوصول ، فيزيد ذلك الامتناع فى اذكاء نار العشق فى قلب العاشق ، فان كان تقيا عفيفا صبر وامتنع عن طلب الوصال ، ايثارا لما يبقى على ما يفنى ، أو تجنبا للعار ، وان كان غير عفيف اندفع فى طلب الوصال بدون مبالاة ، وهذا هو الذي عبر عنه اللغويون بالدعارة . وكلتا الحالين لا تتفق الا مع المعشوق الذي تمكن مباشرته .

اما الصحافة والعلم والمعرفة والرياضة وما اشبه ذلك ، فالصواب أن يعبر فيها بالحب ، وكذلك حب الله سبحانه وتعالى ، وحب رسوله والمؤمنين ، لا ينبغي أن يعبر عنه بالعشق . ويدل على ذلك ايضا قول صاحب القاموس (أو مرض وسواسي يجلبه الى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور) فان من احب الله ورسوله والعلم واهله لا يجلب لنفسه مرضا وسواسيا ابدا ، بل يزداد عقله قوة وصحة .

وكذلك القول بأن العشق عمى الحس عن ادراك عيوب المعشوق ، لا يتناسب الا مع من تمكن مباشرته. ويروى حديث فى العشق ذكره داود الانطاكي فى كتابه (تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق) ص 6 هذا نصـــه :

عن ابن عباس عن النبي (ص) قال : من عشق فعف ، فمات دخل الجنة . زاد الخطيب عنه : فظفر ، ثم ابدل قوله : (دخل الجنة) بقوله (مات شهيدا) ، وفى اخرى (فكتم) . والحديث بسائر ما ذكر صححه مغلطاي ، واعله البيهقي والجرجاني والحاكم فى التاريخ بضعف سويد وتفرده به . ورواه ابن الجوزي مرفوعا وابو محمد بن الحسين موقوفا ، واخرج الخطيب عن عائشة رفعه ايضا .

وحاصل الامر اما صحته او حسنه . والجواب عن تفرد سويد المنع بوروده عن غيره وحكايته تحديثا وكونه قبل عماه ، فلا تدليس . اهـ .

فى ذلك انهم رأوا (اشياء) جمع شيء ممنوعة من الصرف فقاسوا عليها ما يشابهها فى اللفظ لجهلهم . وقد اتفق النحاة على منع صرف (أشياء) ، واختلفوا فى تعليله اختلافا كثيرا ، لو ذكرته هنا لشوش على كثير من القراء ، وأيأسهم من فهم المقصود ، فأقتصر على ذكر القول الراجح ، وهو قول الخليل وسيبويه .

قال صاحب اللسان : وأشياء : لفعاء عند الخليل وسيبويه . اهـ . وبيان ذلك ان لام الكلمة تقدمت على فائها وعينها فصارت (لفع) اتصلت بها الف التانيث الممدودة ، فصارت (لفعاء) وهو وزن أشياء ، باعتبار الهمزة الاولى آخر الكلمة فى الاصل تقدم على أولها وثانيها ، فلم يبق الا المد والهمزة ، وذلك ما يسمى بألف التانيث الممدودة كما فى اصدقاء واغنياء وغيرهما من الجموع، وكما فى خضراء وحمراء وصحراء وغيرهن من الاسماء المفردة .

والذي حملهم على هذا التأويل انها جاءت ممنوعة من الصرف فى القرآن ، قال تعالى فى سورة المائدة (101 يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم)

وقال ابن حمدون على الازهري : اشياء ، جمع شيء ، وأصله : شياء ، فكرهوا اجتماع همزتين بينهما حاجز غير حصين ، وهو الالف فقدموا الهمزة الاولى لام الكلمة على الفاء والعين ، فصار اشياء ، فهو ممنوع من الصرف لالف التأنيث الممدودة . اهـ .

اقول : علة منعه من الصرف غير معلومة يقينا ، وتعليلات النحويين حدس وتخيل قل ما يثبت أمام النقد، والمقصود بها ترسيخ القواعد فى ذهن الطالب . اما أنباء وآراء وما أشبههما فلا معنى لمنعها من الصرف ، وقد اصبح الانشاء عند المتكلمين باللغة العربية لا يستفاد من المدرسة وقراءة كلام البلغاء ، وحفظ اشعارهم ، وانما يؤخذ من الاذاعات والصحف ، وذلك دليل على أن علم العرب اليوم بلغتهم ضحل ، وذلك دليل على التخلف ، وهم يرون الشعوب المتقدمة كبريطانيا وجرمانية وفرنسا تبذل الجهود والاموال فى رفع مستوى لغاتها ونشرها فى الدنيا كلها ، فأين التقدم الذي يتبجح به بعضهم ؟ .

33 ـ التعبير عن افتتاح المدرسة ونحوها بالتدشين

يقولون : دشن المدرسة ، أو المصرف ، يعنون افتتحها باحتفال ، وهذا الفعل لم اجده فى شيء من معاجم اللغة التي عندي الا فى المنجد ، ولا عبرة به ، لانه يخلط الدخيل بالاصيل ، وفى القاموس دشن : اعطى ، وتدشن اخذ ، وداشان : بلد ، والداشن معرب الدشن ، يعنون به الثوب الجديد لم يلبس ، والدار الجديدة لم تسكن . اهـ .

وفى اللسان : داشن معرب من الدشن ، وهوكلام عراقي ، وليس من كلام اهل البادية ، كأنهم يعنون به الثوب الجديد الذي لم يلبس ، أو الدار الجديدة التي لم تسكن ولا استعملت . اهـ .

وقول صاحب اللسان : كلام عراقي ، وليس من كلام اهل البادية ، يؤيده ما قرأته فى معجم لعالم عراقي موصلي نسيت اسمه الآن ، ضمنه الكلمات السريانية التي دخلت فى اللغة العراقية ، فذكر منها (دشن) الدار الجديدة ، اي سكنها لاول مرة . ومن سوء الحظ انه ليس عندي فى هذا الوقت معجم سرياني ، ولو كان عندي ما قدرت أن استفيد منه لضعف بصري ، وعدم وجود من يعرف اللغة السريانية هنا .

وكيفما كان الامر فاستعمال الفعل (دشن) وما يشاركه فى الاشتقاق بمعنى افتتاح المعرض أو المدرسة ليس من كلام العرب، ولا حاجة اليه، والذوق السليم يكرهه .

34 ـ جمع النية على نوايا

ومما يحزن ويسوء كل من له غيرة على لغة القرآن ان اكثر الخطباء والكتاب يجمعون (النية) على (نوايا) وذلك دليل على افلاسهم وجهلهم بقواعد اللغة العربية ، لان النية فعلة بكسر فسكون ـ وعينها واو بدليل نوى ينوي ، فأصلها (نوية) حكمت عليها القاعدة الصرفية الشهيرة بقلب الواو ياء وادغامها فى مثلها .

والقاعدة هي قولهم : اجتمعت الياء والواو ، وسبقت احداهما بالسكون ، فقلبت الواو ياء وادغمت فى الياء ، وقد شبه علماء الصرف هذين الحرفين عند اجتماعهما وسبق احدهما بالسكون بالحجر والصحفة من الخزف ، او الصيني والحجر ، فالصحفة هي الواو، والحجر هو الياء ، فمتى وقعت الصحفة على الحجر ، وهي الواو الساكنة انكسرت الصحفة ، كما فى نية ، ومتى وقع الحجر على الصحفة ، اي سبقت الياء الواو ، وهى ساكنة انكسرت الصحفة، وهى الواو ، فالانكسار خاص بالواو ، سواء اتقدمت أم تأخرت .

تأملات انسانية :

السياسة والحضارة من منظور أخلاقي

للأستاذ : المهدي البرجالي

الى أي حد تلتزم السياسة بالاخلاق القومية فى عصرنـا الحاضـر ؟ سؤال يتطارحه الناس باستمرار ، ولا يملكـون حين النظر فى هذا الامر ـ الا ان يحملـوا الخلـق السياسـي المعاصـر أوزارا غير محدودة ، انطلاقا ممـا يستنتجونـه من ملاحظة السلوك الدولي العام ، وما ينطبع به هذا السلوك من ظواهر غير مقبولة في كثير من الاحيان !

بيد أن هذا لا يعني ان القضية ، هي قضية عصرنا على وجه الخصوص ، لكنها اتخذت ـ حقا ـ فى هذا العصر ، طابعـا شديد الالحاح ، أكثر من أي وقت مضى ، فما هي عوامل ذلك ؟ والى أين تتجه آفاق السياسة والاخـلاق فى مضمـار الحيـاة الحضارية الحديثة ؟

السياسة ظاهرة أساسيـة من ظواهـر سلـوك الانسان ، بل ينظر اليها باعتبارها من أخص خصائصه، ولهذا نرى لها مكانا بارزا بين الاوصاف والمميزات التي تطلق على الانسان ، يراد منها تعريفه تعريفا يميزه عن غيره من المخلوقات ، فيقال فى مضمون ذلـك ـ انـه حيوان سياسي ، كما يقال عنه ، انه مخلوق عاقل ، او متكلم او ضاحك ، أو غير هـذا من الصفـات ، التـي يعتقد ان الانسان ـ من بين الحيوانـات الاخـرى ـ يتسم بها ، تخصه دون غيره .

واذا كانت السياسة تدخل ـ هكذا ـ فى بـاب الخصائص المميزة للانسان ، على نحو ما تعرفـه بـه السياسة عند الانسان ـ فذلك لان لها اتصالا بفكـره واخلاقه ونوازعه التي ترتبط كلها بمجتمعيته ،القائمة عليها حضارته .

ان السياسة بارتباطاتها الفكرية والاخلاقية هذه، تبرز للمتأمل اذن كظاهرة من ظواهر الحضارة بقدر ما هنالك من ظواهر اخرى تتشكل منها حالة حضاريـة ما فى القديم والحديث ! والحضارة كما نعلـم ـ لهـا جوانبها المعنوية ـ ثقافية واخلاقية ـ مثل ما لها من جوانب مادية ، تتمثل فى توسع اقتصادي او عمراني او غيره من هذا الباب ، باب الصلة بين الحضـارة والاخلاق ، نتطرق الى موضوع السياسة ، وما تنطوي عليه من ملابسات اخلاقيـة ، وذلـك على اعتبـار أن السياسـة ـ كما اسلفنا ـ مقوم اساسي من مقومات الحضـارة ، فى أي مجتمع ذي حضارة !

فماذا يبدو من ظواهر فى هذا المجال ؟

وماذا تعنيه هذه الظواهر ؟

والعجب من هذا الرجل الذي قضى عمره فى علم الطب والفلسفة كيف تكلم على هذا الحديث كأنه من علماء الحديث ، ولا غرابة فى ذلك ، فان المسلمين فى زمان عزهم وارتقائهم كانت لهم ثقافة جامعة عالية لا تشبهها اي ثقافة من ثقافات العصر الحاضر . واذا اردت أن تزداد علما بذلك فعليك بمطالعة كتاب عيون الانباء فى طبقات الاطباء ، لابن ابي اصيبعة ، فانك ترى أولئك الاطباء الذين ترجم لهم متبحرين متفننين فى علوم كثيرة ، اذا رايت اطلاعهم فى كل علم منها تقول: انهم لا يحسنون غيره ، وهذه مزية خاصة بعلماء الاسلام .

اما المثقفون فى هذا العصر ، فاغلبهم لا يحسن من العلوم الا ما اختص به ، ومن عجائب ما رايت فى ذلك اني كنت اتحدث فى مستشفى العيون التابع لجامعة بون بألمانيا مع رئيس المستشفى ، وهو احد العلماء العشرة الذين يتألف منهم مجلس الجامعة الاعلى ، وهو الدكتور البروفيسور (شميت Schmit) وكان ذلك سنة 1954 فوجدته يعتقد وجود الدولة العثمانية واستمرار سلاطينها ، مع أنه بلغ الغاية فى علم الطب، حتى انه يدعى من الولايات المتحدة ليسافر الى هناك لاجراء الاعمال الجراحية والقاء المحاضرات ، وقد بلغ جهله بالتاريخ الى ما رأيت .

وهذا الحديث ايضا يدل على ان العشق لا يكون الا لمن تمكن مباشرته . ثم راجعت الجامع الصغير فوجدته ذكر حديثين فى هذا الباب ، أحدهما عن عائشة ، ونصه : من عشق فعف ، ثم مات ، مات شهيدا . رواه الخطيب ، واشار اليه السيوطي بعلامة الضعف .

والثاني : عن ابن عباس : من عشق فكتم وعف فمات ، فهو شهيد . رواه الخطيب ، واشار اليه السيوطي بعلامة الضعف ايضا .

وان صدق الانطاكي فى نقله صحة الحديث عن الامام الحافظ علاء الدين مغلطاي ، فانه حجة فى علم الحديث . ويؤيد ما ذكرناه أن حب الله ذكر فى القرآن فى مواضع عديدة ، ولم يعبر عنه بالعشق . وحب الرسول صلى الله عليه وسلم جاء فى الحديث .

اخرج البخاري من حديث انس بن مالك ان النبي (ص) قال : لا يؤمن أحدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين .

والاحاديث التي جاء فيها حب الله ورسوله ، وحب المؤمنين بعضهم بعضا كثيرة ، ولم يرد فى شيء منها التعبير بالعشق . هذا وموعدنا المقال التالي بحول الله .

مكناس : تقي الدين الهلالي

السياسية المدنية ، كالوسائل التقنية المستخدمة في تأطير القوى الاجتماعية جهويا ، او الوسائل المستعملة في الاتصالات الدولية عالميا ، وهكذا ؛ وليس للتوسع السياسي – عن طريق العلم – على نحو ما أشرنا اليه – ليس له اي حد ينتهي اليه ، فطالما ان التطور العلمي يدخل في صياغة الحياة الانسانية وتقرير سيرها على نحو معين ، فان نصيب السياسة من التأثر من ذلك نصيب متزايد الاهمية ، اذ ان الحياة السياسية تتداخل – كما اسلفنا – ومفهوم الحضارة تداخلا لا حد له ، وهذا التداخل بين السياسة والحضارة ، لم يزده العصر الحاضر ، الا تأكيدا من ناحية نظرية أو عملية ، متى انه في الامكان ان يزعم المرء ان التنظيم السياسي في عالمنا الحاضر ، وما يرتبط به من احوال اجتماعية وادارية واقتصادية وثقافية ونحوها ، يعكس – بمجموع ذلك – الصورة المعنوية للحضارة ، اذا كان العمران وما من نوعه يمثل الصورة المادية الصرف للحياة الحضارية ، ومن هنا يزداد تأكدنا عن سعة المدخل الذي للعلم الحديث في ميدان السياسة ، وذلك كتنمية لمدخل العلم في مجال الحضارة والحياة الحضارية .

واذا كانت السياسة هكذا جزءا من نظام الحضارة ، وكانت الحضارة الحديثة ، سريعة التحول بتأثير التطور العلمي الذي يرفدها ، فان الملابسات الاخلاقية ، الناشئة عن ذلك ، لابد ان تكون موضوع اهتمام الفكر الحضاري ، اهتمام هذا الفكر في محاولته تأصيل الحضارة انسانيا ، بقدر ما هي متأصلة على الصعيد المادي ، وذلك في الواقع خلاصة القضية الانسانية في هذا العصر ، ومشكلة عصرنا ، انه يسير – في مضمار حلها – خطوات غير ناجحة دائما .

2) التوسع في مضمار العلاقات الانسانية ، وهذه الحالة من التوسع ، تبرز مظاهرها في شتى آفاق الحياة اليوم ، سواء في النطاق الاقليمي المحدود ، أو في المجال العالمي الواسع ، ولا ريب ان تطور العلم ، كان عاملا اساسيا في توسيع نطاق الصلات الانسانية ، وتنويع آفاقها على نحو ما هي عليه من سعة وشمول، ويرجع الامر في هذا، بطبيعة الحال ، الى تطور أساليب المواصلات ووسائلها ، وذلك باب من ابواب التطور العلمي ، ونتيجة من نتائجه ، ولكن قضية العلاقات الانسانية ، لا تدخل فقط في مضمار المواصلات التي اختزلت المسافة ، وادنت الامم من بعضها البعض ، فهناك ملابسات ذهنية وسيكولوجية وسياسية وغيرها ، انبثقت عن روح العصر ومؤثراته ، وكان لها الاثر الجوهري في زيادة ربط الامم بعضها ببعض ، ومضاعفة حالة التشابك بين الافكار والمصالح بين المجتمعات في شتى القارات والجزر ؛ ان وسائل المواصلات الحديثة عامل مهم في تكييف صورة الارتباطات الانسانية كما هي واقعة فعلا ، ولكن هناك ما هو اقوى من كل عاقل آخر ، وهو عامل التحفز الذهني ، والفضول الفكري والتفتح النفسي الذي صاحب ثورة العلم والفكر في العصر الحديث ، وجعل الناس في شتى بقاع العالم ، يحنون الى الاتصال بعضهم البعض وتفاعل بعضهم مع بعض ، على اية صورة ممكنة ، ومما يشير الى هذا المعنى ، اي ان تأثير الارادة الانسانية في التواصل ، هو اقوى من كل عامل آخر مما يشير الى ذلك ، ما نلحظه من نزوع متزايد الى الاستغناء عن مركبات النقل السريعة ، واستعمال بعض الوسائل التي تبدو بدائية اليوم ، كالدراجات والزوارق او غير هذا ، للتحول فيما بين القارات ، وربما للطواف حول العالم او جزء كبير من العالم ؛ ان هذه الارادة الانسانية المصرة على مبدأ توسيع التواصل ، والذاهبة في هذا الخط الى أقصى مداه ، هذه الارادة ، هي من بين القوى الفاعلة في هذا العصر ولها مضاعفات شتى في مختلف اوجه نشاط الحياة الانسانية الحديثة ، الا انها – ككل شيء يتعلق بالانسان – لها ملابسات اخلاقية واسعة ، ولها اتصال من جانب آخر ، بالحياة السياسية في العالم ، وبالاخلاقية السياسية ضمن ذلك ، ان سعة التواصل بين الناس ، قد نشأت عنها بالضرورة ، سعة مماثلة في المصالح القائمة فيما بينهم ؛ وقد تشعبت هذه المصالح وتعقدت بقدر كبير ، فكان من اللازم ان ينشأ عن ذلك ما يمكن ان ندعوه بـ « الحساسية المصلحية عند الامم » ، حساسية قوية التأثير في تكوين النظرة الى الامور ، عند مجتمع أو آخر وتكييف العلاقات بين المجتمعات بعضها مع بعض ؛ ان الاساسية المصلحية ، تقوم في كل عصر ومصر كصورة مألوفة من صور الحياة عند الناس ، سواء في نطاق خاص ، او على مستوى أعم لكن لا احد يستطيع ان يثبت ان هذه الحساسية كان لها مجال عالمي معقد مثل ما لها من مجال عالمي في عصرنا هذا .

وتتبلور في محيط الحساسية المصلحية ، نزعات مختلفة ، وربما تكون متناقضة في بعض الاحيان ، تناقضا يقوم في العادة كعامل من عوامل التصادم الحتمي بين الامم ؛ وقد تذهب هذه النزعات المصلحية

الموضوع مما تعددت فيه الآراء منذ قديم ! وقد ذهب تعدد الاراء ــ بهذا الشأن ــ الى حد التناقض الكامل بين من ياخذ بمبدأ اخضاع السياسة للمثاليات الخلقية ، وبين من يذهب الى القول باتخاذ المصلحة ــ مهما كان السبيل اليها منافيا للمثل الاخلاقي ــ اتخاذ المصلحة ــ على هذا النحو ــ كمقياس للعمل السياسي ، يسار عليه فى تحقيق هذا العمل وتكييفه والاخذ بنتائجه .

سبيلان فى الراي ذهب اليهما الفكر السياسي ــ الاخلاقي فى عصور مختلفة ، وقامت على اساسهما ايضا احوال واوضاع سياسية من شتى الانواع .

وفى عصرنا هذا ، تتخذ القضية طابعا ملحا جدا ، بل تبدو اشد الحاحا من اي وقت مضى ، ولا يرجع هذا الى ان عصرنا هو اكثر اخلاقية من غيره ، او ان حاله استقامت من ناحية النظرة الاخلاقية ، اكثر مما استقامت النظرة الاخلاقية عند المجتمع الانساني في غير هذا العصر ، انما مرجع هذا الالحاح الذي تفرضه القضية الان ، هو بالاخص ، ما توجبه حالة التوسع العام الذي تعرفه الحياة الانسانية المعاصرة ، وهو توسع يتسم بسمة فيها كثير من الشمول ، يرمي الى استيعاب حياة الناس كلها فى نطاق واحد ، وصهر مصالحهم ونوازعهم فى مصهر واحد ، ويربط بينهم برباط وثيق ؛ لكن المشكلة هي : ان هذا الارتباط والانصهار هل يتم بانسجام مع ما نعتبره مثلا اخلاقية، ومبادىء انسانية ؛ ام ان هناك عوامل اخرى ، اكثر قوة واشد مفعولا ، تفرض حالة الترابط والتلاحم الانساني داخل اطار التوسع الهائل الذي يطبع صفة عصرنا الحاضر ، وتجعل من هذا التوسع ، وما يفرضه من مقتضيات ، عبارة عن تيار مجترف يتجاوز المثل النظرية ، ولا يبقى منها الا على ما جرى مع عنف جريانه ؟ ثم يفرض السؤال نفسه ايضا : اذا كان الفرض الثاني هو الفرض الراجح ، فما هي اذن مظاهر هذا التوسع الذي نشير اليه ؛ وصورة الارتباط بين هذه المظاهر والقضية السياسية ــ الاخلاقية ، التي يقوم عليها موضوعنا ؟

ونجتزىء هنا بايراد بعض آفاق هذا التوسع ، والمراد منها بطبيعة الحال هو مجرد التمثيل، لا الحصر، لان الحصر ، ليس له من ضرورة تفرضه من اجل تصور القضية التي نعالجها هنا ، ثم ان هذا الحصر ــ ولو فى نطاق مجمل ــ مما لا يتيسر فى بحث محدود جدا كهذا .

نجتزىء اذن بثلاثة نماذج من حالة التوسع القائمة وهي :

1) التوسع العلمي ؛ وبطبيعة الحال ، فاننا لا ننظر الى توسع العلوم نظرة ترتبط بالموضوع من الناحية العلمية ، بل نبقى ملتزمين بالقضية من جانب اتصالها بالسياسة والاخلاق ! ونحن ندرك سلفا ، اي ارتباط موجود اليوم بين التطور العلمي من جهة ، وبين مشاكل السياسة فى عصرنا هذا ، من جهة ، وقضايا الاخلاق ايضا فى عصرنا من جهة اخرى ؛ والموضوع هذا ــ فى حد ذاته ــ موضوع العلم والاخلاق ، ما فتىء يثير الكثير من الاهتمام لدى المفكرين وذوي النظر فى هذا العصر ، والامر فى هذا ، كالامر ايضا فى قضية العلاقة بين الفن والاخلاق ، والاقتصاد والاخلاق ، او غير ذلك من المواطن التي تتداخل فيها الملابسات الاخلاقية بصورة او بأخرى ؛ الا ان العلم ــ بالنظر لصلته الوثقى بالحياة ــ وارتباطه بمشاكل المجتمعات اليومية ــ العلم يبدو ــ لذلك ــ اكثر اثارة لموضوع الاخلاق ، وادعى الى خلق اهتمامات فكرية من هذا القبيل ؛ اهتمامات ناشئة فى عمومها عن حالة الاحتكاك بين الواقع الذي يخدمه العلم ، وبين القيم المثالية القائمة فى الذهن ؛ ويزيد من اهمية هذا الاحتكاك حدوثه فى كثير من الاحيان على شكل تصادم شديد الوقع على الفكر ، يضطر معه الانسان الى مراجعة كثير من اقتناعاته ، واعادة تحسس مواطىء قدميه فى دنيا المسلمات التي لديه فى الذهن ؛ فاذا اضفنا الى هذا ، ارتباط العلم بالسياسة ارتباطا لم يعرف مثيله تاريخ العلم ، ولا تاريخ السياسة من قبل ، ادركنا عمق القضية التي يخلقها التطور العلمي المعاصر فى هذا الموضوع ، وهي قضية تتشعب هكذا شعبا تتصل بالسياسة ، بقدر ما تتصل بالاخلاق ، وتلمس عالم المثل والقيم ، على نحو ما تمس عالم الواقع الماثل ؛ وهكذا يذهب التشعب بعيدا فى هذا المضمار ؛ فالعلم اليوم اداة انسانية بالمفهوم الايجابي التقدمي للانسانية ، ومن اجل ذلك ، فهو موضوع فى متناول الانسان يستخدم تطبيقاته فى شتى الافاق التي يستغل فيها التطبيق التقنولوجي للعلوم ، ووجود العلم هكذا ذا قابلية غير محدودة لاستخدام العملي من قبل الانسان ، قد جعل منه اداة عمل سياسي ، مثل ما جعل منه اداة اقتصادية واجتماعية وغيرها ، بل ان المداخلة بين التقنولوجيا الحديثة والسياسة ، يتسع لها اليوم اكثر من مجال ، فاذا بثمرات هذا التدخل ، تبدو على اشد ما تكون وضوحا فى التكتيك الحربي مثلا ، او فى الحياة

يمثل الخيط الامتن الذي يصل الحياة السياسية في العالم بمثاليات اخلاقية ، لكن وجه التعارض بين النزعة المثالية في القانون الدولي وبين الواقع الدولي، ان هذا التعارض ، يوسع — باستمرار — من دائرة المناقشات الاخلاقية التي تتصل بموضوع السياسة، ويبقى على القضية — قضية السياسة والاخلاق ، لا كمشكلة موجودة فحسب ، بل كمعضلة آخذة في التوسع كذلك ؛ وستبقى القضية مطروحة على الضمير الحضاري الانساني ، الى ان يبلغ هذا الضمير مداه في استيعاب القضية ، وهضمها ، والخروج منها مخرجا يتفق مع منطق انسانية واعية متبصرة.

* * *

ويبدر بعد هذا ، سؤال لازم وروده في هذا المساق وهو : هل من حل اخلاقي لمشكلة السياسة في هذا العصر ؛ وما هي آفاق هذا الحل اذا كان ممكنا؟ انه من السذاجة بمكان ، التفكير في هذا الامر ، على نحو ينتهي الى « اتخاذ جملة تدابير » تقوم كـ « حل» لقضية شاملة ومعقدة كقضية العلاقات الانسانية ، وما يجب ان تتكيف به لتنطبق عليها مقومات اخلاقية سليمة ، من السذاجة حقا محاولة شيء من ذلك ، على اساس ان يكون له تأثير « معجزي » في تقويم الامور من هذا القبيل ، وعلة العلل في هذا التعقيد ان الامر ، أمر العلاقات الانسانية — وان كانت صورته البسيطة هي صورة تعايش وتعامل بين الناس — ، غير ان هذه الصورة البسيطة ، تكمن وراءها عوامل ومواضعات عقلية ومادية جد معقدة ، لا يسهل من الناحية العملية السيطرة عليها ، وان كان ذلك قد يبدو ميسورا من وجهة نظرية ؛ والعوامل والمواضعات هذه هي متاتية من طبيعة المناخ الحضاري الذي يشكل صورة الاشياء في العالم الحضاري ؛ ويشكل في نطاق ذلك صورة الحياة السياسية العالمية التي تؤطر احوال العلاقة بين المجتمعات ، وتكيف صبغتها على نحو ما هي عليه ؛ ومن هنا كان التفكير في تكييف السياسة في عصرنا الحاضر ، على نحو اخلاقي معين هو تفكير — بالنتيجة — في تكييف الحضارة على منحى اخلاقي معين كذلك ؛ ويبقى السؤال بعد كل هذا قائما ينتظر الاجابة : هل من الممكن توجيه الحضارة القائمة توجيها اخلاقيا معدلا ، بالنسبة الى الجو الاخلاقي الذي يسيطر عليها الان فعليا ؟ ولكي نستطيع تصور القضية هذه في ابعادها الموضوعية ، يجب ان نضع في اعتبارنا — قبل اي شيء — حقيقة الحضارة المعاصرة ، وهي كما نعلم — حضارة أوربية، في الشكل ، وفي الجوهر الى حد ما ، وان كانت العوامل البعيدة ، التي اسهمت في تكوين بذور هذه الحضارة ، وتنميتها ، هي عوامل متعددة الانتساب، الى اطراف مختلفة من العالم ، وهذا الطابع الغربي الذي تنطبع به الحضارة الحديثة ، له — كما في كل حالة حضارية قديما او حديثا — وجهان ، مادي ومعنوي حسبما ذكرنا من قبل ، ولا يعنينا هنا الوجه المادي لهذه الحضارة ، بقدر ما يعنينا منها وجهها المعنوي ، المتمثل في القيم الادبية والفنية والاجتماعية التي تسودها ، والمتمثل ايضا في جملة القيم والمفاهيم الاخلاقية ، التي تتحدد بها نظرات الناس ، ونقوم مسالكهم في الحياة ضمن هذه البيئة الحضارية القائمة ؛ فماذا نرى من خلال هذه القيم والمفاهيم التي تفرض وجودها اليوم كلازمة حميمة من لوازم المنطق الحضاري المعاصر ؟ ليس لنا ان نذهب بعيدا في انتقاد هذه الظاهرة أو الاخرى من ظواهر الاخلاق المتبلورة في ظل المجتمع الانساني المتحضر في عالم اليوم ؛ فالواقع ان حضارات كثيرة اخرى ، لم يتحقق في محيطها جو « مدينة فاضلة » مثل ما يتصور المفكرون المثاليون حالة « المدن الفاضلة » الا ان القضية التي يصطدم بها ، التفكير في امكانيات حل اخلاقي لمشكلة السياسة وبالتالي مشكلة الحضارة في هذا العصر ، القضية التي يصطدم بها التفكير في هذا المضمار هي كون الحضارة الحديثة متكيفة في كثير من مناحيها بعقلية وروح قارة واحدة من بين قارات العالم كلها ، وبالنتيجة لذلك ، فهي — اي الحضارة — منطبعة بطابع فكري وسيكولوجي أي الطابع الغربي ، وهو بطبيعة الحال ، محدود المدى الانساني جدا ، لان المجتمع الغربي — على الرغم من امكانياته العبقرية — فانه ليس هو المجتمع الانساني بكامله ، ومن هنا ، فان الحضارة الحديثة ، اذا كانت تشوبها نقائص كثيرة — فان من اهم هذه النقائص ، هو طغيان صفة اقليمية عليها ، وهي الصفة الغربية — وعدم وجود توازن في الاصل بين الروافد العالمية التي تمدها ؛ فاذا ذكر عن المدنية الحديثة ، انها مدنية عالمية ، فذلك على اساس النظر الى ما حققته مظاهر هذه المدنية من توسع في العالم ، مس تاثيره مجتمعات انسانية مختلفة ، سواء في ادغال افريقيا او اوعار آسيا ، او العوالم النائية في المحيط الهادىء، على الوجه الآخر من الكرة الارضية ؛ لكن هل يكفي هذا لاعطاء المدنية الحاضرة ، طابعا عالميا عميق الجذور ؛ اننا اذا وضعنا هنا تعبير « عميق الجذور»

فى التناقض الى درجة انها تجعل مجتمعا ما ، يكره ان تمس مصالحه « الذاتية » أو « القومية » بتأثير من نزعة التوسع عند الاخرين ، بينما تجد نفس هذا المجتمع تحدوه اتجاهات الى تحقيق توسعات مصلحية لحسابه هو ، وعلى حساب الاخرين فى ذات الوقت ؛

وتستوعب الحياة السياسية العالمية كثيرا من صور النزوع المتناقض من هذا القبيل ؛ ومن هذا نجد ان السياسة العالمية ، تنوء بحمل من الشوائب، ثقيلة جدا ، اذا نظرنا الى هذه السياسة من جانبها المثالي الاخلاقي ؛ وقد كان العهد الاستعماري الذي بلغ أوجه أوائل القرن الحالي ، كان ذلك العهد مظهرا من مظاهر الازمة الاخلاقية التي تعاني منها العلائق بين الامم ، الا ان الاستعمار الحديث ليس مظهرا جديدا من مظاهر هذه الازمة ، التي تعود فى الواقع الى فجر التاريخ ، فقد كان هناك فى الازمنة القديمة الاستعمار الروماني مثلا ، وهو مجرد حالة من حالات تاريخية كثيرة مثله؛ فليس هناك جديد فى حالة اللا اخلاقية التي يمثلها التسلط الاستعماري لحساب قوم ضد آخرين ؛ لكن الجديد فى حالة الاستعمار الحديث هو ضخامة حجمه، وضخامة القضايا المادية والانسانية ، التي ينطوي عليها ، وهذا الفارق فى ضخامة حجم الاستعمار بين القديم والحديث ، وبالتالي ، ضخامة القضايا السياسية والاخلاقية التي يضعها باستمرار ، هذا الفارق يرجع كما اسلفنا — الى التطور الذي حدث في ظروف ووسائل الاتصال بين الامم ، ومن ثم هذا الترابط بين هذه الزوايا الثلاث : الاخلاق ، والسياسة، وتاثرهما بالتغيرات الحادثة فى مضمار العلاقات الانسانيــة .

3) التوسع الفكري والقانوني ؛ وهذا باب آخر ، أو عامل آخر من عوامل شدة الالحاح الذي تفرضه قضية الارتباط بين الاخلاق والسياسة في هذا العصر ، فعصرنا الذي يتميز بتغيرات علمية وتقنية متلاحقة ، لها تأثيرها فى تكييف معالم السياسة والاخلاق فى المحيط الانساني الحاضر ، هذا العصر ، ينطبع ايضا بطابع فكري طامح ، يقوم على محاولة تقنين كل شيء ، وتقييم اي شيء ، ضمن معايير دقيقة ، وكاملة الاستيعاب للمسائل والتفرعات ، التوسع الفكري هذا ، تبدو آثاره بينة فى مختلف فروع المعرفة الانسانية ؛ وفى ضمنها المعرفة القانونية، سواء فى النطاق القانوني الخاص ، او فى نطاق القانون العام ؛ وفضلا عن القانون ، فان هنالك الكثير من تفرعات العلوم الانسانية ، قد اعابها من التطور فى خلال هذا القرن والذي قبله ، ما جعل كل فرع منها بمثابة علم قائم بذاته ؛ بل ان الفرع الواحد من المعارف الانسانية قد تشابكت مسائله وتشعبت الى حد ان يصبح هو الاخر اصلا تتفرع عنه ، شعب مختلفة آخذة فى التمايز بعضها عن بعض ، وعلى الرغم من ان العصر الحاضر هو عصر « تقنولوجي » بدرجة اولى ، حيث تطغى فيه الروح التقنية ، والمنهجية التقنية على كل ما عداها ، فان الفلسفة ما زالت تسعى لان تحتفظ بمكانة لها فى محيطه ، مكانة ترقى الى درجة محاولة تعديل آثار السيطرةالتقنية على روح الانسان وعقله، وشد الانسان هكذا الى جملة من التحليلات النظرية، المتسمة فى الكثير منها بصبغة مثالية متسامية ؛ وتعرف أشكال الادب والوانه المختلفة ، من قصة ومسرحية ومقالة ودراسة وغيرها ، تعرف توسعا كبيرا فى عصرنا الحاضر ، وفى توسعها هذا تنزع الى البحث عن مختلف قضايا الانسان ، واستطلاع آفاق الحياة الانسانية ، بما تزخر به من تعقيدات تبدو مظاهرها فى أشكال لا حد لها .

وفى نطاق كل هذه الاحوال من التوسع التي يسجلها الفكر المعاصر ، تثار قضايا جديدة أو مجددة ، تتعلق بالانسان والقيم والمثل التي ياخذ بها، والمصير الذي يفضي اليه ، والمواقف الاخلاقية التي يتخذها ، وانعكاسات هذه المواقف ، وماذا تنطوي عليه من دلائل مقبولة عند بعض ، ومرفوضة عند آخرين وهكذا .

وكل هذه الاحوال من الاخذ والرد الفكري من شأنها — كما هو واقع فعلا — ان تتناول موضوع السياسة والاخلاق فى ضمن ما تتناوله من اغراض فلسفية مختلفة ؛ والواقع ان ما تتناوله الحياة الفكرية العالمية على هذا النحو ، وان كان يساهم في اغناء الفكر العالمي بصفحات جديدة ، الا ان ذلك كله لم يغن فى تقويم الاصول الاخلاقية العلمية التي تقوم عليها حياة السياسة فى عالمنا الراهن وان لم يكن فى مقدورنا أن ننكر ان لحركة الفكر على نحو ما ذكر ، انعكاسات ايجابية غير مباشرة فى الكثير من الاحيان، لا يستطاع تبين حقيقتها الا عند تحليل عوامل التيارات السياسية فى العالم ، واستجلاء خيوط الاثر الادبي — الفلسفي ، الكامن وراء هذه العوامل .

ونعود بعد هذا الى موضوع القانون الدولي ، باعتباره مظهرا ايجابيا ، حقيقي الاجابية ، لهذا التوسع الفكري العالمي الذي ذكرنا ؛ ان القانون



هناك اشياء كثيرة نعرف بدقة اين نضعهـا من حياتنا ، بل نعرف احيانا اين نضعها من الزمان والمكان. فأنا اعرف مثلا ـ وكذلك الاخرون ـ ان مكان الساعة اليدوية ، هو معصم يدي اليسرى ، كما اعرف ان موضع الكتاب بعد الفراغ منه ، هو احد رفوف المكتبة، وكما تعرف انت ان وقت ذهابك صباحا الى مركز العمل ، هو الثامنة ، بنفس الدقة التي نعرف بها جميعا المكان المناسب لباقة اشتريناها من الورد ، او تحفة فنية اقتنيناها من متجر ، او حصلنا عليها بالمزاد العلني . والامر كذلك بالنسبة لكثير من الامور المعنوية فقد نعرف المناسبات التي علينا فيها ان نظهر مغتبطين مسرورين ، والمناسبات التي علينا فيها ان نظهر متألمين بادي الكآبة والانقباض . فنحن اذ نجد انفسنا في حفل زفاف ـ مثلا ـ نشعر ان علينا ان نضع ابتسامة على وجوهنا ، كما اننا اذا احتوانا مأتم، نشعر بأن لا موضع للابتسامة فيه ، ولا بد من تقطيبة او تكشيرة اذا لزم الامر .. ! ويلاحظ ذلك ايضا في بعض مواقفنا الاخرى . فالقصص العائلي انسب وقت له الليل لا النهار ، ومعلم الفصل يدرك جيدا ان اليق عقاب بدني للتلميذ ، هو عرك الاذنين ، او الانهيال على اليدين الصغيرتين بالمسطرة ... ولو ابى ذلك القانون المدرسي ...

نعم كثيرة هي الاشياء التي لا نجد ادنى صعوبة في وضعها من حياتنا موضعها الملائم ، ولكن قد نصادف اشياء اخرى تجعلنا في حيرة شديدة ، اذا نحن حاولنا ان نفعل معها نفس الشيء . فنحن نحار ـ مثلا ـ ازاء بعض من نعرفهم من الناس ، هل نضعهم في صف اصدقائنا المخلصين ، او نضعهم في صف اعدائنا الالداء . ونفس الحيرة نقع فيها عندما يعرض علينا احدهم صداقته ، ونحن شاعرون بعدم الرغبة فيها ، هل نضع حدا لذلك ، او نجاريه ولو بكثير من التكلف والنفاق . وقد يقع لك مرة او مرات ، ان تتعرض لأزمة ضمير ، فتعاف القيم المادية ، وتود ان لو كانت الحياة كلها شرفا وفضيلة ونفحات روحية ، اذا بفرصة مادية تسنح لك ، على حين غفلة ، فتحار اين تضع نفسك بين الاتجاهين المتعارضين .

وهذا ما يحدث لنا بالنسبة للشعر بالضبط . والحق ان الناس في مواقفهم من الشعر ينقسمون الى ثلاثة اقسام : هناك قوم لا مشكلة عندهم بالنسبة الى هذه القضية . فالشعر عندهم هو الحياة وهو العيش ، وهو الهدف الاول والاخير . وهناك قوم آخرون عادوه على طول الخط ، ونفضوا ايديهم منه ، وهؤلاء ايضا لا مشكلة عندهم . ولكن هناك طائفة ثالثة ، ولعلها هي التي تكون الاغلبية من المثقفين ، تحار اين تضع الشعر من حياتها ، هل تعده ترفا زائدا ، تشعر بالحاجة اليه وقت فراغها وانسها واستفراقها لذاتها ، او تعده جدا كل الجد ، وشيئا يرتفع الى مقام الضرورات ؟ وسواء اتخذت الموقف الاول او الثاني ، فهي دائما تجد من الحجج ما تبرر به موقفها . فاذا هي اعتبرته ترفا زائدا ، فذلك لانها

كوصف لهذا الطابع العالمي المفترض ، فذلك لاننا نقصد من « عالمية » الحضارة الحديثة ، ان تكون هذه العالمية ناشئة عن مساهمة مختلف المجتمعات الانسانية فيها ، مساهمة ايجابية وفعالة ومستمرة ، وبذلك تتبلور لهذه الحضارة صورة تنعكس منها شتى اذواق الشعوب وامزجتها ومفاهيمها منصهر بعضها فى بعض ، ومتكامل بعضها مع بعض ؛ وفى هذه الحالة ، يمكن « وصف الطابع العالمي للمدنية »بعمق الجذور ، لان هذه الجذور تستمد رفدها الحيوي من موارد متكاملة آتية من هنا وهناك من مختلف الارجاء فى العالم ، ومثل هذه الحالة غير موجودة بالصورة اللازمة ، التي تبيح الانطلاق منها الى تكوين استنتاجات أو اطلاق أحكام بالاعتماد على صفة عالمية محتملة نعزوها لحالة المدنية الحاضرة ؛ فاذا تقرر هذا ، نستطيع ان ننفذ منه الى موضوع السياسة وصلتها بالاخلاق فى عالمنا الراهن ، وهو الموضوع الذي يرتكز عليه اصل النظر فيما نحن بصدده ؛ وقد عرض لنا السؤال فيما سلف عن امكانية وجود حل اخلاقي لقضية السياسة فى نطاق المدنية المعاصرة وهنا نستطيع ان نجيب انطلاقا مما تقدم ، ان الحل الاخلاقي هذا ، يتوقف قبل كل شيء ، على مقدار ما تحققه هذه المدنية ، من تطور جذري ، يؤدي بها فى الاخير الى ما يجب لِها من صفة عالمية حقيقية ، اي الصفة التي تكتسبها اياها قدرة المجتمعات الانسانية كلها على المساهمة فيها مساهمة « ايجابية وفعالة ومستمرة » ؛ فالمواضعات والقيم السياسية السائدة اليوم ، هي نسيج فكر غربي ، سداه ولحمته البيئة والظروف الغربية ، وقد فرضت هذه المواضعات والقيم وجودها على الصعيد العالمي تبعا لسيادة المدنية الحديثة ذات الطابع الاوربي الغالب ، فاذا ما كان من تطور فى الفكر السياسي والقيم السياسية سيحصل فى العالم المتحضر ، فيعني ذلك ان تطورا يعتبر أصلا لذلك ، لابد ان يحصل فى مضمار الاسس التي تقوم عليها الحضارة بحيث تصير اسسا عالمية حقيقية ، نمثل الذكر السياسي والحضاري للانسانية كلها فى نطاق مساهمة مشتركة من جميع المجتمعات ؛ وهذا ما نحاول ان نتبينه فى الفصل القادم بحول الله .

سلا : المهدي البرجالي

اعزنا الله بالاسلام ...

عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سار الى بيت المقدس كان معه عبده وناقته ، فكانا يتناوبان الركوب على الناقة وهو خليفة المسلمين ، ولما وصلا الى بيت المقدس كان غلامه الراكب ، وهو ساع خلفه ، وكان الامير على بيت المقدس ابو عبيدة بن الجراح ، رأى ابو عبيدة ذلك فخشى ان يحقره الناس ، وهو فى بلد من بقايا حكم الرومان ، فقال ابو عبيدة : يا أمير المومنين : اراك تصنع أمرا لا يليق ، فان الانظار متجهة اليك ، فقال عمر : لم يقل احد ذلك قبلك ، وقد كنا اذل الناس، واحقرهم ، فأعزنا الله بالاسلام . ومهما طلبنا العز بغيره أذلنا الله . !

فاذا عرفنا هذا بقي علينا ان نعرف انه ليس من
ن جميع الشؤون المعنوية والحسية ، فهو مقيد
د فردية ، على حين ان منها ما تغلب عليه صفة
وم ، من الافكار والمسافات والارقام والاحجام
ييس الزمان والمكان ، والالوان والروائح والقامات
وانين ، كلها تغلب عليها صفة العموم ، على حين ان
ـعر مقيد بالقيود الفردية ، وهذا لا يسلبه طابعه
ساني العام ، فكل عمل شعري أصيل ، لا يخلو من
اصر الانسانية العامة ، التي تضمن له الرواج بين
س وتجاوبهم معه . فالشعر اذن معنوي ، حسي ،
س ، عام . وهو ايضا خلق وابتكار ، بمعنى ان ما
ن منه من كلمات قد رتب على نحو روعيت فيه
دة والطرافة . ولعل هذا ان يعيننا على معرفة
ضع الملائم للشعر فى حياة الناس .

فاذا كان الشعر امرا معنويا وحسيا ، اتصل
نهى حياة الانسان ، الروحي والمادي ، بحيث
سي مطالب كل منهما . فنحن اذا كنا شعراء ،
س فى الشعر تنفيسا عن شؤوننا التي امتلأنا بها ،
ذنا بروعتها وغرقنا فى جنتها او نارها ، كما اننا
ب كثيرا من الصور الحسية كما نودها ان تكون ،
نعمد الى الصور الواقعية فنخلع عليها من انفسنا
سمو بها الى مستوى الاشياء الخالدة فى هذا العالم .

واذا كان الشعر خاصا وعاما ، فهو بخصوصيته
ن هو الذات نفسها مشعة فى صور فنية ، وهو
وميته يجعل تلك الذات الموضوعة فى قالب الفن ،
ا مشاعا بين جميع الناس ، من حقهم النظر الى
تويانها دون ان يتهمهم احد بالفضول ، وذلك على
ب الجانب الذي كشفه الشاعر من ذاته .

ونخلص الى امر لعله ان يكون نتيجة منطقية لما
ق ، وهو أن موضع الشعر من حياة الانسان ، هو
ضع الانسان نفسه من الكون الذي يعيش فيه .
ا نحن عرفنا موضع الانسان من الكون ، عرفنا
ضع الشعر من حياة الانسان . وسوف لا نتعب في
فة القضية الاولى . فالكون هو مجال نشاط
سان ، لم يترك منه زاوية ولا شبرا واحدا الا وكان
فيه موضع لقدم ، او مكان لآلة ، طافه جوا وبحرا
ا ، وهو الان بسبيل استكشاف الحياة فى الكواكب
خرى ، وكذلك الشعر ، لم يترك عاطفة انسانية الا
بر عنها ، فجميع هموم الانسان وقضاياه وغرائزه
واطره ووساوسه ، قد صاغها اناشيد عذبة ، ترتل
تل الى آخر الدهر . والانسان ياخذ مواد هذا
ون الطبيعية ، فيحولها بانواع من المهارات الخاصة
الى ادوات وآلات ومخترعات ، ثم يردها على الحياة
والكون ، لتكون ناطحات سحاب ، وبواخر تمخر عباب
البحار ، وطائرات تجوب الفضاء ، وصواريخ تعبر
القارات ، وكذلك الشعر بالنسبة لحياة الانسان ،
ياخذ مادته الخام من عواطف الناس وخواطرهم
وافكارهم ، فلا يلبث ان يحولها بمهارة من نوع خاص ،
الى ملاحم تحكي الحروب ، وقصائد تصور صبوات
النفوس ، واناشيد تشف عن صفحات القلوب ، ثم
يردها على الحياة لتكون ثقافة للشعوب ، وعنصرا من
كيان الحضارة ، وقوة دافعة للحياة الانسانية .
والانسان يطور الكون ، او يطور هذا الكوكب الذي
يسكنه على الاصح ، فطرق تفتح ، وقناطر تمد ،
وسدود ترفع ، وموانىء تشاد ، ومدن تعج بالعمران ،
والشعر ايضا يطور حياة الانسان ، أو على الاقل هذه
الناحية التي يملك عليها حق السيطرة ، وهي صلة
الشخصية الانسانية بالعالم المحيط بها ، حيث يهبها
مجموعة من القيم ، ويركز فيها عددا من المبادىء ،
آخذا بيدها فى معارج الرقي الروحي . وقد تدين
حياة الانسان المادية نفسها فى تطورها لعامل الشعر ،
فكثيرا ما كان الشعر خلف الحركات التاريخية الهامة ،
التي غيرت من مصائر الناس ، وبدلت وجهة حياتهم .
والانسان كثيرا ما يتعرض لغضبة الكون ، فتغرقه
الامطار الطوفانية ، وتهز الارض تحت اقدامه الزلازل
العاتية ، وتهلك حرثه وماشيته الفيضانات الطاغية ،
ولكنه لا يستسلم ، وانما يقاوم ، الى أن يخرج من
الكارثة اوفر ما يكون ثقة بالنفس ، واملا فى المستقبل .
والشعر هو الاخر كثيرا ما يتعرض لهزات عنيفة ،
تكاد تطوح به بعيدا ، لولا ان ذلك مخالف لطبيعة
وجوده ، وصلته بحياة الانسان ، فهو قد يعرف ألوانا
من الكيد ، وفنونا من الحرب ، باسم العلم تارة ،
وباسم الفلسفة حينا ، وباسم الاخلاق طورا ، وباسم
الاصلاح الاجتماعي طورا آخر ، ولكن الشعر يخرج من
هذه الازمة أخيرا وكله حياة وتوثب واستعداد للنضال .

وكل ما فى الكون من عناصر الطبيعة ومظاهرها ،
انما هو تعبير عن ارادة عليا ، هي المهيمنة عليه ،
والباسطة ظلها فوقه ، لهذا أمرت الاديان السماوية
باجالة النظر فى ملكوت السماوات والارض ، قصد
الاهتداء الى حقيقة الحقائق وجوهر الاشياء ، وقد
جاء التعبير متنوعا ما بين اجرام سماوية تبهر بجلالها
وعظمتها ، وبحار عظيمة تطوق العالم ، وجبال راسية
تهزأ بمرور الزمان وتعاقب الاحداث ، وأصناف من
الحيوان ، والوان من النبات ، هناك التعبير الذي

تعطي الاسبقية للطعام واللباس والدواء والسكن . واذا هي اعتبرته شيئا ضروريا ، عادت به الى متطلبات الفطرة ، واصل التكوين الانساني ، الذي يحتوي على جانب روحي ، يحتاج الى نوع خاص من الغذاء المتمثل فى الفن والشعر .

وانا لا اريد من وراء هذا الحديث ، ان اتعرض لاختلاف الناس فى الزوايا التي ينظرون منها الى الشعر ، بقدر ما اريد البحث عن المكان الذي يضع فيه الشعر نفسه من حياة الانسان عامة . فانا اعرف ان هناك من يضع القصيدة الشعرية موضع العطور الغالية ، والتحف النادرة ، والزهريات الجميلة ، والمناديل الحريرية المطرزة ، ومن يضعها موضع الهواء للرئتين ، والنور للعينين ، ومن يضعها موضع ادب اللياقة ، وفن المحادثة ، وقواعد السلوك الرفيعة ، فلابد من حفظ أبيات لابن زيدون ، واخرى لابي نواس مثلا ، كما لابد من معرفة شيء عن السياسة ، وشيء عن التعيينات الوزارية الاخيرة ، ولابد من حفظ عبارات منسقة بارعة ، لتلقى فى آذان السيدات في محفل عام ، ومن الالمام بأحدث الازياء ، واطرف اخبار نجوم السينما ... وهناك من يرى فى الشعر رايا آخر ، وينظر اليه نظرة تختلف عن كل ما تقدم ، ولكن هذا لا يهمني اساسا فى هذا الحديث ، لانه ليس من شأنه ان يقدم فى حقيقة الشعر ومكانه الطبيعي من الحياة ولا ان يؤخر . ومن المعلوم ان الشعر لا يتقدم من حيث يقدمه بعض الناس ، ولا يتأخر من حيث يؤخره آخرون ، وانما طبيعته هي التي تحدد لهموضعه الطبيعي من حياة الانسان . فاذا زحزحه انسان بعد ذلك عن موضعه الطبيعي ، لم يكن معنى ذلك انه تخلى عن موضعه الذي وضعته فيه طبيعته ، وانما معناه ان الانسان هو الذي غير موضعه منه ، اما الشعر فلا زال فى موضعه . ولو كان الامر بالعكس ، لكان ذلك مخالفا لطبائع الاشياء ، فنحن نخالف قوانين الحياة ، حين نزعم — مثلا — ان العقيدة الدينية لا تهمنا فى شيء معتقدين اننا بذلك قد غيرنا موضع الدين من حياة الانسان . فللعقيدة الدينية موضعها الذي لا يمكن ان يتغير ابدا ، بدليل ان الناس يكفرون بالدين او يومنون به ، والدين هو هو فى موضعه المناسب ، آمن به من آمن ، وكفر به من كفر ، فلا ايمان المومنين يزيد الدين شيئا على حقيقته فى ذاته ، ولا الكفر ينقص منه شيئا كان فيه ، بل الدين هو الدين ، فى جوهره ، وفى موضعه ، ونفس الشيء يمكن ان نقوله بالنسبة الى الشعر ، مع وجود الفارق بينهما ، اذ الدين من صنع الله ، اما الشعر فمن صنع البشر .

فأين نضع الشعر من حياة الانسان ؟ .

قد أكون فى نظر القارىء متهما ، وقد يكون من حقه ان يسالني هكذا :

اما قلت ان طبيعة الشعر هى التي تحدد له مكانه من حياة الانسان ؟ فكيف تخالف ما قررته لتفرض له موضعا خاصا ؟ وهل من المفروض ان تكون وجهة نظرك نفس ما تقضي به الطبيعة ؟ لو بدا للقارىء ان يعترض على هذا الشكل ، لكان جوابي اني ادعوه الى ان يشاركني التفكير فى هذه القضية ، فانا لم اكون فيها رايا بعد ،تاركا البحث يسير سيره الطبيعي، دون تعسف مني ، أو بعبارة اشد وضوحا ، اترك طبيعة الشعر نفسها تحدثنا عما قررته للشعر من مكانة فى حياة الناس . وعلينا حينئذ ان نلاحظ ونراقب ، ونتتبع خطواتها من غير تسرع لاعطاء فكرة ما ، الا بعد ما يكون البحث قد وصل الى نتائجه الطبيعية .

والان لنعد الى طبيعة الشعر ، وليكن الشعر نفسه دليلنا الى طبيعته حتى نكون واضحين قدر الامكان . خذ هذا المثال كنموذج صالح :

يا خليلي تيمتني وحيد
ففؤادي بها معنى عميد
غادة زانها من الغصن قد
ومن الظبي مقلتان وجيد
وزهاها من فرعها ومن الخد
ين ذاك السواد والتوريد
فهي برد بخدها وسلام
وهي للعاشقين جهد جهيد

فهذا الشيء الذي ندعوه شعرا ليس شيئا مجسما قابلا للرؤية او اللمس ، انه ليس كتلك الزهرية او كتلك الباقة من الورد التي نعرف اين نضعها دون ان نحتاج الى تفكير ، لان العادة اغنتنا عن ذلك ، وانما هو شيء معنوي ، واظنك توافقني على ان (الشعر) فى تلك الابيات ليس هو المسافة التي تشغله فى صحيفة من الورق ، ولا فى الحجم الذي تأخذه بوصفها مجموعة من الخطوط المتجاورة ، وهذا ما نريده بقولنا عن الشعر انه شيء معنوي . ثم هو ليس من قبيل الامور المعنوية المجردة عن اية صفة حسية ، اذا صح ان فى حياتنا معنويات لا علاقة لها بالحس . وحسيته ومعنوبته لا سبيل الى فصل احداهما عن الاخرى ، اذ هما يكونان جوهرا واحدا لا يفهم الا بمجموعه .

بحيث لو تألب كل اهل الارض على الشعر ، باعتباره قالبا من قوالب التعبير ، لما كانوا قادرين ، مجتمعين ومتفرقين على محوه بصفته حقيقة نفسية لها دخل كبير في تكوين الواقع النفسي للانسان . ومن المفروغ منه ان اشد الحقائق تأثيرا في الانسان ، تلك التي يتجاهلها ويفر منها، عوض أن يواجهها ويسلم بوجودها ويعمل على ارضائها بالطرق الطبيعية .

ولكي نزن مكانة الشعر من حياة الانسان ، يكفي ان نعرف انه ـ اي الانسان ـ كلما اقترب من شخصيته الانسانية ، كلما ازدهر الشعر ، متى وجدت العوامل المساعدة على ازدهاره ، وكلما ابتعد عنها ، كلما نضب معين الشعر ، حتى ولو وجدت الاسباب الداعية الى تألقه . يمكنك ملاحظة ذلك بمقارنة عصر الآلة والتقنية، بالعصور التي سبقته ، فهناك كانت الشخصية الانسانية تحتل مكان الصدارة ، وتطبع الحياة العامة بطابعها الخاص ، حيث كان الانسان يحارب بالعضلات ، ويعتمد في جميع الاعمال على يديه ، وينجز الاعمال الحرفية بذوقه ، ويختبر عناصر الطبيعة بحواسه ، فاستتبع ذلك تألق الشعر وتربعه على القمة ، لانه الصق بالشخصية الانسانية ، تابع لها، مشدود اليها ، يرقى برقيها وينحط بانحطاطها ، يقوى بقوتها ويضعف بضعفها . وفي عصر الآلية وجبروت الحديد والصلب، تقهقرت الشخصية الانسانية ، فاستغنى بالآلات عن الايدي ، وصار المصنع ينتج الملايين من الاحذية أو الوان النسيج ، دون أن ترى فرقا بين اي حذاء وآخر من صنفه ، أو قطعة ثوب وأخرى من نوعها ، وفي الحروب أصبحت الكثرة العددية لا تغني فتيلا اذا واجهت اقلية مسلحة بأحدث الاسلحة ، ويمكنك ان تضيف الى ذلك طغيان السينما على المسرح ، واسطوانات الغناء على الحفلات الموسيقية الحية ، فتأخر الشعر ، نظرا لما اصاب الشخصية الانسانية من ضعف ، لا من حيث وضعه الطبيعي من حياة الانسان ، وانما من حيث نظرة الناس اليه . هذا مع العلم بان الحياة الانسانية لم تعرف عصرا كعصرنا ، في تجميل انماط العيش ، وتنميق واجهات الحياة ، وترفيه أذواق الناس .

ولست افهم أن يظل الانسان هكذا عبدا للآلة ، متنازلا لها عن شخصيته كانسان ، لان هذا مخالف لطبائع الاشياء . ذلك ان هذا الكائن الانساني اناني جدا ، وبالغ اقصى حدود الانانية ، وهو الان مخدر ببريق الحضارة الحديثة ، ماخوذ ببهرجتها وانواع زينتها ، مبهور بلألائها واضوائها الزاهية الالوان ، وهو سيمل ، وسيعود اليه وعيه بنفسه وذاتيته ، ويحطم الآلة اذا راى انها ستحطمه ، عائدا الى قواعده . انه كمن تصدت له غانية فانسته نفسه ، وقد يكون نسي ايضا دينه وخلقه وكرامته وسمته ، فجرى وراءها ، ولكن ما أن ظفر بها وخبرها حتى هجرها ، راجعا الى ما كان له من دين وخلق وكرامة وسمت كرد فعل ضد دواعي الفتنة التي اخرجته عن طوره. واذن فالشخصية الانسانية لها غد مشرق حافل ، وبالتالي للشعر مستقبل زاهر وغد موعود .

وقد آن لنا ان نعرف ان كل تفريط منا في حق الشعر ، معناه : زيادة في عدد القصائد التي سيكون على الاجيال المقبلة ان تبدعها ، اي اننا سندفعها بذلك الى ان تكفر نيابة عنا ، كما يكفر كل جيل عن اخطاء الجيل السابق عليه . سيقول الشاعر الذي سيظهر بعد مرور خمسين سنة كلاما كهذا : (لست ادري ماذا صنع آباؤنا بفرص الشعر التي كانت بين ايديهم ، حسنا ، علينا ملء ما تركوه من فراغ ، الا ترون ان شعرنا قد ضاع من عمره عشرات السنين ، وانا ما كنا لنبدأ من هنا لو ان الجيل الماضي ادى رسالته الشعرية ؟)

ونعود الى تلك الفكرة التي انتهينا اليها منذ قليل ، وهي ان موضع الشعر من حياة الانسان ، هو نفس موضع الانسان من هذا الكون ، محاولين ان نعرف وظيفة الشعر الاساسية ، المتلائمة مع المكانة التي يحتلها بحكم طبيعته . وما دمنا قد ربطنا بين موضع الانسان من الكون ، وموضع الشعر من حياة هذا الانسان ، فلا معدى لنا عن تبين طبيعة الصلة الكائنة بين الانسان وهذا الكون . وقد سبق لنا ان ذكرنا جوانب من هذه الصلة ، والان بودنا ان نتحدث عن الوظيفة التي تخولها للانسان طبيعة تلك الصلة . هل الانسان هو صانع هذا الكون ؟ أم هو مجرد كائن من كائناته العديدة يختلف عنها في اشياء ، ويتفق معها في اشياء ؟ اهو مجرد عبد للطبيعة ، تصنع به ما شاءت ولو خيل اليه وهمه انه ناصيتها واخضعها لسلطانه ؟ أم هو سيد لها حقيقة ينفذ فيها ارادته ويتصرف في شؤونها على هواه ؟ اهو صديق لها حتى لتشاركه احلامه واشواقه ، وتتخذ من الاشكال والالوان ما يتلاءم ومزاجه وحالاته النفسية ؟ أم هو عدو لها يراوغها وتراوغه ، ويطاولها وتطاوله ؟ انك اذا قرات ما ابتكره خيال الانسان وعقله من آيات الادب والعلم ، وقفت على جميع هذه الاتجاهات والمفاهيم ، التي فسر بها الافذاذ من نبغاء الانسانية طبيعة الصلة التي بين الانسان وهذا الكون . وعبثا

يروعك ويخيفك ، ويملأ نفسك من فزع واضطـراب ، والتعبير الذي ياخذك بجلاله ، ويحيطك بعظمته ، في غير ما تخويف ولا ترويع ، والتعبير الذي يهمس لك ويناجيك ويملأ عليك دنياك بجميل الاطياف ورائـــع الخواطر ومونقات الاماني . وكذلك الامر بالنسبة الى الشعر فى علاقته بحياة الانسان ، تعبير قوي بليغ عن الشخصية الانسانية فى حياتها المضطربة المتقلبة ، في يأسها وأملها ، فى ضلالها واهتدائها ، فى شكلها ويقينها، فى ارتفاعها الى الآفاق المشرقة ، وفى انحطاطهـا الـى المهاوي السحيقة ، وهو تعبير متنوع ايضا ، منه مـا يروع ، وما يعجب ، وما يدغدغ ويداعب ، لان طبائع النفس الانسانية اكبر واوسع من ان تخضع للـون او الوان محدودة من فنون التعبير .

ثم ان الانسان يشعر بنوع من التحدي لهـــذا الكون ، يغالبه ويصاوله ، ويعرف من جراء ذلك عددا من الانتصارات وعددا من الهزائم ، واثناء ذلك يزداد معرفة بنفسه ، وبامكانياته ، وطاقاته ، وما فيها مـن عناصر القوة ونقط الضعف ، لان الصـراع يكشـف عن معدنه ، ويظهر ما فيه من عنصر اصيـل وعنصـر زائف ، وكلما ازداد صراعه كلما ازداد قربا من هـذا العالم فى اسراره وغوامضه ، وينتج عن هذا ازديـاد محبته له وتفانيه فيه ، لان الانسان صديق ما يعرف ، عدوما يجهل . ونفس الشيء يصدق على الشعـر في علاقته بحياة الانسان . فهي تتحداه وهو يبادلها نفس التحدي ، تتحداه بأسرارها ومخبآتها ، ومجالاتهـــا الواسعة ، وآفاقها الشاسعة ، ومعانيها اللانهائيـة ، وقضاياها اللامحدودة ، ويتحداهـا بفنـه وبراعتـه وذكائه وبيانه . فهو صـراع يزيـد الشعـر ادراكـا لامكانياته وطاقاته ، وطبيعة الدور الذي خلق ليلعبه فى هذه الحياة . وكلما تقدم الزمن على هذا الصراع ، كان ذلك فرصة الشعر ، ليغوص فى اعماق الحياة الانسانية، ويبلور خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، فيزداد كلفـا بها واقبالا عليها ، يصطفي منها الجواب التي تشوقـه وتاخذ باعجابه ، دون أن يغفل النواحي الاخرى ، لان الحياة كلها هي مجاله الواسع ، ومسرحه الرحيب .

وهكذا نجد بين ايدينـا امثلة عديـدة لم نشـأ الاسترسال معها ، وكلها صادقة الدلالة على ان موضع الشعر من حياة الانسان ، هو نفس موضع الانسان من هـذا الكـون .

ولا يمكن ان نجد اي شكل فني آخـر يشـارك الشعر هذه المكانة ، بهذه القوة فجميع الفنون الجميلة الاخرى مقصرة عن الشعر فى هذا المضمار ، لانهـا لا تواجه الحياة الانسانيـة ولا تمتصهـا بنفس فعاليـة الشعر وتمثيله لشتى الملكـات العقليـة ، ووضوحـه النسبي ، وتمثله لحقائق الافكار ، ودقائق الفلسفات ، وتاثيره فى الاحـداث ، وتصوره لانمـاط الحيـاة في المستقبل، وسرعة استجابته للوقائع ، وقابليته للتعبير عن أمور معينة محددة ، قصد نقلهـا الى الاخريـن ، لتؤدي غرضها المقصود .

ولا يمكن للعلم ان يحتل نفس المكانة التي يحتلها الشعر ، لسبب واضح ، وهو ان العلم شيء موضوعي، لا تربطه بالذات هذه الرابطة التي بين العمل الشعري، والذات الصادر عنها . فالانسان لا يندمج فى العلـم بمجموع كيانه ، بنفس القوة التي يندمج بها فى العمل الشعري ، بنفس القوة التي يندمج بها الانسان فى هذا الكون . دلني على اختراع علمي واحد ، بينـه وبيـن صاحبه من الالتحام والاندمـاج ، ما بيـن القصيـدة الشعرية ومبدعها ، فالسيارة ـ مثلا ـ قطع من الفولاذ والصلب ، تدل ولا شك ، على مهارة عقلية خاصـة ، ولكن اين هي من (الشخصية الانسانية) فى معناهـا الضيق أو الواسع ؟ القصيدة بجرسها ونبضها واخيلتها وانطلاقاتها الاخاذة ، تجسيم لآمال ، وتشخيص لنفس، وتعبير عن كيان ، لذلك كان فى وسع صانـع السيارة انتاج عدد كبير من السيارات ذات النوع الواحـد ، دون أن تجد بينها اختلافا يذكر ، ولكن هيهات ان تجد قصيدة تطابق أخرى ، ولو انصبتا على موضوع واحد.

مكانة الشعر من حياة الانسان ، هي نفس مكانة الانسان من هذا الكون ، حقيقة واضحة ولو خاصـم الشعر كل أهل الارض ، وبقي الى جانبه انسان واحد، كحجة على صدق هذه الحقيقة واستحقاقها للبقاء . وهناك عدد كبير من الحقائق التي ما زالت مجهولـة عند الناس ، وحتى العلماء منهم ، ولكن الجهـل بها لا يعني انها غير موجودة على الاطلاق . ودليل وجودها ان عقل الانسان ما زال يهتدي كل يوم بل كل ساعـة الى حقائق جديدة ، ربما كان كافرا بها من قبل . لـو جاءنا عالم وقال لنا ان من الممكن زرع قلب انسان في صدر انسان آخر ، قبل سنوات قلائل لسخرنا منـه واعتبرناه من المجانين ، ولكن ها هو الطب يثبت ان فى الامكان ان يعيش انسان بقلب انسان آخر ، بل هو قد عاش به فعلا . واذن فلا ضير على الشعر ، اذا كـان هناك عدد من الناس ، لا يضعونه ، حيث يضع نفسه من حياة الانسان .

وحقيقة الشعر هذه ، فى علاقته بحياة الانسان، هي حقيقة نفسية اكثر من ان تكون اي شيء آخـر ،

ت اعرف خطأ كهذا بين اخطاء النقاد والادباء ، اذ
بيل الى فصل الروح عن المادة ، وليس هناك
ز بينهما ، ولا يمكن تصور وجود احدهما دون
ر ، بل لا يستقيم للذهن معنى الحياة الا بانسجام
، المنصرين وائتلافهما وتعاونهما . الحياة
سانية بجميع مظاهرها وحدة واحدة ، وكل جامع ،
الوان النشاط الانساني متأثرة بالمادة والروح
، حتى ذلك النشاط العلمي الجاف القاتم ، الذي
ى الينا انه لا يقيم للروح وزنا ، نجده احيانا كثيرة
على درجات الروح ، كما انه في ارقى مستويات
.ة . فذلك العالم التجريبي الذي يقضي جل
ته في مراكز الاختبارات العلمية ، معرضا عن كثير
مباهج الحياة الحديثة الراقية ، فقل ان يحضر
ب كرة القدم ، او يغشى قاعات السينما ، او
هم في الحفلات الساهرة الراقصة ، هو في قمة
ج الروحي ، لانه يضحي في سبيل العلم ، وكل
حية في سبيل العلم او في سبيل اي غرض نبيل ،
، عن روح عالي جدير بالتعظيم والاعجاب . وذلك
ندي الذي يتطوع بوضع نفسه وحياته في خدمة
م ، فيرسل في صاروخ جهنمي الى اجواز الفضاء ،
متأكد من انه سيعود سالما ، هو ايضا في عنفوان
ح العالي الممتاز ، وفي رايي انه لا يقل صوفية عن
صوفي آخر ، بالمعنى الذي نضعه لهذه الكلمة .

واذن ، فالقول بان موضع الشعر من الانسان
الروح فقط ، خطأ فادح ، تجب التوبة منه كما يقول
اؤنا . ولست ادري كيف يكون الشعر مقصورا على
ح ، وهو نفسه مكون من مادة هي الالفاظ . ! وما
(الروح) الذي نكثر من الحديث عنه ؟ ما عساه
يكون ؟ ما خصائصه ككائن حي ؟ ما الفرق بينه وبين
مادة) ؟ اسئلة وقف العلماء وما زالوا امامها حائرين،
ر الذي يجعلنا نتحدث عن شيء غامض جدا ، عندما
حدث عن (الروح) فهل الروح هو النفس او هو
ء آخر ؟ هل هو مجرد الاثر الناشيء عن قيام
عضاء بوظائفها الطبيعية ؟ فكيف نصر على ان
شعر من شأن الروح وحده ، والحال اننا لا نحقق
ى هذه الكلمة ، ولا نستطيع ان نضع لها اطارا
صا ؟ .

تناولت هذه القضية ليفهم اني عندما اتحدث عن
ضع الشعر من حياة الانسان ، لا افرق بين ما هو
ة وما هو روح ، وانما اطلق كلمة (حياة الانسان)
صد بها حياته في وحدتها وتماسكها وتفاعل عناصرها،
ما تفرقة بين جانب وآخر ، لسبب بسيط ، وهو
ان الانسان لا يكون (انسانا) الا بمجموع العناصر
التي تشترك في تكوينه العام .

ولا يفوتني التنبيه الى خطأ آخر ، من الاخطاء
الشائعة التي خضعت لها انا شخصيا زمنا ليس
بالقصير ، وهو الاعتقاد بان الشعر لا يتصل الا بالجانب
المثالي من الانسان . كلا ان ذلك ليس بصحيح ،
فالشعر كما عبر عن الجانب المثالي ، عبر عن الجانب
المنحط كذلك ، ولو انا قلنا ان موضعه من الانسان هو
الجانب المثالي فقط ، لكنا مضطرين الى الغاء جزء كبير
وهام من الشعر الانساني ، وهو الذي يصور الجانب
السافل من الانسان ، او الذي يصطلح على تسميته
(سافلا) بلغة الاخلاق . وذلك كشعر الحقد ممثلا في
فن الهجاء ، في لون من الوانه المتنوعة ، وشعر السخرية
والاستهزاء ، وشعر الغريزة الجنسية غير المتسامية ،
وكلها اشعار لها كل مقومات فن الشعر ، ولا سبيل الى
طرحها جانبا ، لكونها تمثل جانبا من حياة الانسان ،
وتعبر عن شعور حاصل في لحظات نفسية معينة .

مرة اخرى اكرر اني افهم (حياة الانسان)
وحدة ، لا فرق بين مادة وروح ، بين مثالي ووضيع ،
ولا بين ناحية واخرى ، فكل نواحي الحياة الانسانية
يتصل الشعر بها عن طريق مباشرة وغير مباشرة ،
ويتخذ منها مجالا لنشاطه .

وبعد ، فما موضع الشعر من الانسان على وجه
التحديد ؟

قبل التصدي للاجابة عن هذا السؤال ، لابد من
ازالة ما قد يعترض سبيل هذه القضية من التباس ،
مصدره ما يلاحظ من ان هناك كثيرين من الناس ، لا
نرى شكليا للشعر موضعا في حياتهم ، الامر الذي ربما
يبعث على الشك في مضمون هذا الحديث . فالحقيقة
اني لا اقصد الحالات الفردية ، بقدر ما اقصد الحالات
العامة ، فانت اذا وجدت جماعة من الناس لا تهتم
بالعلم ، لا تتردد في اقرار العلم في موضعه من حياة
الانسان ، وكذلك الامر بالنسبة الى الشعر ، فاهمال
بعض الناس له ، وخلو حياتهم منه ، لا يطعن في صحة
النظرية التي نود شرحها بعد قليل . على اننا لو
توسعنا في مدلول الشعر ، لم يكن في استطاعتنا تصور
خلو حياة انسان منه ، حسب ما هو مشار اليه في
موضع آخر من هذا الحديث ، وفي احاديث سابقة
بشيء من التفصيل .

موضع الشعر من الانسان على وجه التحديد ،
هو ميله الفطري لان (يعيش) حياته بكل ابعادها

نحاول الاهتداء الى المفهوم الصحيح ، لتفضيلـه على غيره من المفاهيم نظـرا لكـون تلك المفاهيم خضعـت لعاملين اثنين : احدهما العصر الذي عاش فيه الاديب او المفكر ، والثاني اللون الثقافي الغالـب على فكره ، فعصور الدين والنزعات الروحية والقيـم المثاليـة ، انتشر فيها نوع خاص من فهم صلة الانسان بالطبيعة، فهي قائمة على المودة والصداقة والالفة والاعجـاب ، على حين أنها فى عصور العلم والبخار والكهرباء قائمة على التسلط والسيادة والارادة المطلقة . وهذا امـر طبيعي ، ذلك أن الانسان ما دام يشعر بالضعـف ازاء قوة أقوى منه ، فهو يلتمس صداقتها ويخطب ودها ، فاذا هو تعزز جانبه ، وتعددت أسلحته ، شعر بأنه فى مركز القوة ، وابطرته نعمة السلام ، ونعمـة المـال ، ونعمة العلم ، فصال وجال ، وزعم لنفسه السيـادة والغلبة . والامزجة الفردية لها ايضا دخل فى الامر ، لذلك لا نعدم ان نجد من القدمـاء من ينادي بسيـادة الانسان على الطبيعـة ، ومن المعاصريـن من ينـادي بصداقتها والتجاوب معها ، والاندماج فيها اندمـاج صحبة والفة .

ومهما يكن من أمر ، ومهما تختلف وجهات نظر الفلاسفة والادباء والمفكرين الى طبيعـة صلة الانسان بالكون والطبيعة فلا شك فى انهم جميعا لا يختلف منهم اثنان ، فى كون الانسان يتجـه اليهمـا باحثـا متطلعا مشوقا الى هتك الحجب ، وحل الالغاز ، شاعرا بانه مسؤول ، بل هو المسؤول الوحيد عن هـذه الارض ، وفى كونه معينا بالوصول الى القوانين المتحكمة فيهما ، كلفا بان يضيف اليهما من جماله جمالا ، ويضفي عليهما من نور عقله وخياله حللا قشيبة . واذا كان هذا شأن الانسان بالنسبة الى حياة الكون والطبيعة ، ثبت عندنا ان هذا شأن الشعر بالنسبة لحياة الانسان . فهـو مقبل عليها بلهفة وشوق ، لاستخراج كنوزها الدفينة، وتجلية طبائعها المتنوعة ، والاهتداء الى أصولها البعيدة، وهو متنقل بها فى درجات السمو والكمال ، غيور على سلامتها وجمالهـا وصلاحيتهـا لتبقـى دائما مصدر الانس والحبور والسعـادة ، يتحقـق فيها السـلام والاخوة والمحبة والصداقة . اقول هذا غيـر ناس أن هناك من الشعراء من دعا الى الحروب ومجد القتال ، واعتبره من أسمى الفضائـل والمفاخـر ، ولكن هؤلاء قليل ، اذا قيسوا الى دعاة السلام والوئام والاخـوة الانسانيــة .

ارايت الى هذا التطابق بين موضع الانسان من الكون ، وموضع الشعر من الانسان ؟ تطابق فى طبيعة الصلة ، تطابق فى الوظائـف الناتجـة عنها . وكـل الصدمات والنكسات التي لقيها الشعر فى هذه الحقبة من تاريخه ، ليس من شأنها ان تزحزحه عن موضعـه قيد انملة ، ذلك ان محاربة الحقائق لا يقدم فيهـا ولا يؤخر ، كحقائق يقوم الف دليل ودليل على وجودها . قد تختفي الحقيقة زمنا ، وقد يجهلها الناس ، وقـد تتعرض للاضطهاد ، ولكن ذلك كله لا ينفي انها حقيقة، اذا اختفت فى زمن ، ظهرت فى زمن آخر ، واذا تنكـر لها قوم ، اعترف بها آخرون ، لانها حقيقة ، وحقيقـة فقط . ومن ثم فهي لا يمكـن ان تمـوت ، والشعـر حقيقة ، حقيقة كبرى خالدة ، تعيش معنـا ، وبيـن اضلعنا ، وفى مسارح احلامنا ، وتحت وسائدنا ، وعلى وجنات حبيباتنا ، وفى سماء بلادنا وارضها ، وخمائلها. وهل هناك حقيقة وصلت الى هذا الحد من الامتزاج بكياننا كحقيقة الشعـر ؟ وقـد كان جهل كثيـر من الناس بالحقيقة : ماهيتها وطبيعتها واصولها علة ظلم الناس للشعر ، حيث راوا ان ما يكون حقيقة لا يكون خيالا ، وما يكـون خيالا لا يكـون حقيقـة . طرفـان متناقضان لا سبيل الى التقائهما . وهم ينسون شيئا هاما وبسيطا فى نفس الوقت ، وهو أن الخيال حقيقة ، لانه احدى قوى الانسان العقلية ، ورائده فى حياته ، وعمدته فى تصور مستقبله ، وتمثل قيمه ومثله ، فهل من اللائق ان يعتبر الخيال باطل الاباطيل وهذه قيمته الانسانية الخالدة ؟ .

لا احب ان أذهب بعيـدا وراء الخواطـر التـي يثيرها عندي هذا الامر ، وانما احب العودة الى حقيقة الشعر تلك ، فى علاقتها بخيـال الانسـان ، وعلاقـة الانسان بهذا الكون ، ولحـد الان لم نعرف بالضبط ، الموضع الذي يحتله الشعر بحكم طبيعته ورسالته في حياة الانسان ، وانما عرفنا ذلك دون تحديد ، ولكـي نصل الى هذا التحديد ينبغي أن نميز بين الحقيقـة باعتبارها حقيقة ، والواقع الحالي أو المنتظر ، فلا نحكم على الحقيقة على ضوء ايمان الناس بها ، أو عملهـم بمقتضاها ، وانما ننظر اليها من حيـث هي ، فالحياة مملوءة بالاشياء التافهـة ، والخرافـات والاضاليـل الواهية ، ومع ذلك لم يكن سلطانها على الناس كافيـا لعدها من الحقائق ، كما ان هناك عددا من الامور الهامة التي قل ان يفطن لها احد،دون أن يعني ذلك انها عديمة الاهمية . بعد هذا نستطيع أن نقول كلمة عن تحديـد موضع الشعر من حياة الانسان .

لا ينبغي ان نذهب مع القائلين بان الشعر يمثل من الانسان جانبـه الروحـي ، ولا شـأن له بالمادة ،

بل هي(العيش)لا يزال ـمتي استعـ
ـــرض ـ يملي غرائبا ويفيـــد
منظر ، مسمع ، معان من اللهـــ
ـــو ، عتاد لما يحـب عتيـــد

نعم ، هو العيش الذي لا تنتهي غرائبه ، فكلمـا استعرضته تكشف لـك عن مزيـد من الاعاجيـــب والغرائب ، وما اقوى الشبه بينه وبين تلك الحسناء التي كلما جدد الشاعر النظر اليها ، كلما فاضت عليه بروائع المعاني وبدائع الصفات . بيت القصيد عنـدي ها هنا ، ان الشاعر بعد ان أبدع في وصف (وحيد) المغنية ، ففتننا بوصفه بقـدر ما فتنتـه صاحبتـه ، بشعر وكأنه ما زال لم يقل في وصفها شيئا ذا بـال ، فياتي بهذه الاداة الدالة على الاضراب (بل) ليثبت لها انها (العيش) وكأن هذه الصفة تتفوق على كـل مـا تقدمه من وصف رائع لوحيد ، وتجمل مفاتنها وروائعها وقدرتها دائما على الايحـاء بالجديـد من الخواطـر والمعاني ، كالشأن في (العيش) تماما . ومن اجدر من ابن الرومي فتنة بلذائـذ العيش ، وهـو الانســـان المفتون بحواسه ، الغارق في لذائذ حسه ، العاشـــق للحياة بكل عصب فيه ؟ .

وساكتفي بهذا المثال مستغنيا به عن غيره ، لانه يقوم ـ لصدقه وعمقه ـ مقام عشرات الامثلـة ، في الدلالة على ما نحن بصدده من ايضاح ان موضع الشعر من الانسان بالتحديد ، هو رغبته في العيش بأدق مـا تحمله هذه الكلمة من معنى ، لانه مثال لا يصدق على الحالة الفردية فقط ، وانما يصدق ايضا على احساس كل شاعر ، بل كـل انسان ازاء ما يثيـر عواطفـه من مجالات الحياة ومظاهرها .

هذا الموضع الذي يضع الشعر فيه نفسه بحكم طبيعته ، تشاركه اياه الفنون الجميلة الاخرى ، فكلها وسائل تحقق للانسان أن يعيش عمره على هذه الارض بكل ابعاده ، ويتذوقـه بكل دوافـع الحيـاة فيـه ، ويتشربه الى آخر قطرة ، ويتنفسه الى آخر نسمة . ولكن لا احد بقادر على الزعم بأن هناك فنا يضاهـــي الشعر ، في قدرته على تلبية رغبات الانســـان كلهـا ، عقلية وروحية ، مثالية وعادية ، واضحة وغامضـــة ، خاصة وعامة ، مثلما يفعل الشعر . وما ذلك الا انـه علاوة على طبيعته الخاصة ، يمتص مزايا الفنـــون الاخرى ، مكونا من الجميع مزاجا فريدا يجعله اقـــدر من غيره على تلبيـة حاجـات الانســان الشعوريـة والعقليـــة .

فاس : عبد العلي الوزاني

وطعومها والوان لذائذها ، بحيث يمتصها الى آخر قطرة ، ولا يترك منها معنى ولا مغزى ولا شكلا الا وتشربه ، واستنفذ معطياته . فلا شيء في هذه الحياة الذ ولا امتع ولا احب عند الانسان من ان (يعيش) وجوده على هذه الارض ، بكل ما تحمل كلمة عيش من معاني تعشق الذات ، والرغبة في اعطاء الحياة معنى ما ، والهيام بفتون الحياة المادية والمعنوية، واستغلال العمر في التقلب بين اعطافها ، والكلف بفتنة الحواس ، وما تنقله الى النفس من صور وأصداء عن هذا الكون ، وتوسيع دائرة المجال الذي يشغله الانسان من عالمه ، وذلك قصد اثراء الحياة ، وانتهاز فرص العيش ، للثأر من الموت الذي يقف للانسان بالمرصاد .

وكل انسان مهما كان مستواه الحضاري ، الا ويجب ان (يعيش) على نحو ما يهديه اليه ما تهيأ له من تربية ، وما قدر له من تهذيب ، غير قانع من حياته بلقمة العيش ، ومستراح الجسد ، لذلك نجد الجياع تغنوا عاطفة الحب ، والعراة ارسلوا اناشيد الحماسة ، وحتى اذا لم يجدوا اللغة المعبرة الموحية ، ارسلوها صيحات تثير المشاعر ، وبثوها نفثات تهيج الخواطر ، كيفما اتفق ، وبأية وسيلة من الوسائل .

وعلى قدر ما يحب كل قوم (العيش) بالمعاني المتقدمة ، يكون شغفهم بالشعر وكلفهم به ، فلا غرو اذا كانت للشعر صولة في العصور الماضية ، اذ ان الناس كانوا يتفنون في العيش ، اكثر مما يفعلون في ايامنا هذه . كانت حياتهم تتميز بالبطء ، ومع البطء تكون الدعة ، ومع الدعة تكون الاناة في تناول الاشياء ، ومع الاناة يكون التذوق المتمهل ، والشرب من كاس الحياة شيئا فشيئا وعلى مهل ، وهذا هو العيش في معناه الصادق . واين ذلك مما نشهده في عالم اليوم ، من سرعة جنونية تصيب الراس بالدوار ، حتى لكأن الانسان جن جنونه ، فهو يتغذى في قارة ويتعشى في اخرى ، وتسيطر الآلة على جميع مرافق حياته ، يتخطف عيشه تخطفا وينهبه نهبا ، تقوم صلاته بالناس على اساس المصالح والمعاملات المبنية على حساب صارم لا يرحم ، مقام الثقة والمودة والمصافاة التي كان لها موضع بين الناس قبل اليوم . لهذا ولغيره من الاسباب انحسرت موجة الشعر ، وتخلى عما كان له من سلطان . ويوم يعود الناس الى تذوق العيش ، يعود للشعر سلطانه العتيد ، وعزه القديم .

الرغبة في العيش والانغماس فيه من فرع الراس الى اخمص القدم ، هي موضع الشعر من الانسان على وجه التحديد ، وكل ما نظمه الشعراء ليس الا تعبيرا عن تلك الرغبة ، حتى بالنسبة لاولئك الشعراء الذين اظلمت الدنيا في عيونهم ، وفاتتهم نواحيها المشرقة المضيئة ، فعزفوا عن طيبات الحياة ومباهجها ، وفرضوا على انفسهم التبتل والشظف ، لا نستثنيهم من ذلك ، فهم يتذوقون العيش وياخذون به على شاكلتهم ، واذا فاتتهم الطيبات المتاحة لغيرهم ، استعاضوا عنها بالاستغراق في متاهات الظنون واودية الخيال ، بحيث تحول فن العيش عندهم من واقع حي معاش ، الى مطارحات الفكر ، وتهاويل الاحلام ، ومذاهب العاطفة .

وداب الانسان ان يتذوق عيشه على هذه الارض، بكل ما فيه من سامي وساقط ، من كبير وصغير ، من مادي وروحي ، من خاص وعام ، بكل نفس من انفاسه، وكل اختلاجة جارية من جوارحه ، وكل حركة من انامله ، وكل نظرة من نظراته ، وكل خطوة من خطواته. (يعيش) عند ما ياكل ، وعندما ينام ، وعند ما يلبس ، وعند ما يسافر ، وعند ما يسير ، وعند ما يتحدث ، وعند ما يتعبد ، وعند ما يهوى الجنس الآخر ، وعندما يتامل ، وعند ما يصادق ، وعند ما يخاصم ، وهكذا في كل صور حياته وانماط نشاطه وسلوكه . وما علاقة الشعر بكل هذا ؟ انه هو الذي يعمقه ، ويثريه ، ويوسعه ، حتى لتنقلب اللحظة الى حقبة ، واللمحة الى جولة ، والومضة الى شلال من نور ، والعمر القصير الى سلسلة اعمار ، لا حصر لمآتيها وافاقها الواسعة .

ارايت الى ان الشعر لا يختص بالروح دون المادة ، وانما يشمل الحياة الانسانية بمختلف نواحيها، وينطلق في جميع اتجاهاتها صاعدا معها اذا صعدت ، نازلا معها اذا نزلت ، دائرا معها اذا دارت حول نفسها. وهذا سر هذا التنوع الكبير الذي نجده بين الشعراء، باضافة ذلك الى اختلاف طبائعهم وميولهم . فمن شاعر آخذ من الحياة بمزاج معتدل ، الى شاعر مغرق في الحس كاف بفتنة الحواس ، الى شاعر ياخذ المحسوس ليرقى به الى مستوى الاشياء المجردة ، الى غير هؤلاء ممن لا يحصى عددا .

لقد كان ابن الرومي بارعا جدا عندما شبه صاحبته (وحيد) بالعيش حيث قال :

اهي شيء لا تسأم العين منه
أم لها كل ساعة تجديد ؟

ولم اكد احصل على تلك النعمة الالهية ، واجد بين يدي بطاقة التسجيل بقسم الدكتوراه فى الجامعة المصرية حتى جن حساد نسوا اني من ابناء جلدتهم ومن قومهم ، وكانوا حضروا لمثل ما حضرت ، غير ان اعمالهم في الفكر والادب كانت ادنى ولم يبلغوا شأوي، فلقيت من كيدهم ما يلقى البريء من الدنيء وحكمت منذ ذلك اليوم على النشء العربي بأنه اذا لم يتجرد من الحسد والضغائن فانه لا محالة هالك ولن يكون به نفع للامة العربية .

وكانت قمة الكيد لي ان تجرا واحد من الآثمين فارسل رسالة الى ضابط الجوازات بأنني دخيل على البلد ولست موفدا وقد عبرت الحدود بغير جواز .

وفيما انا بفندقي ومعي اطفالي وقد هاجمهم حر مصر وهو المسمى (حمو النيل) وعليهم حرارة الاجسام ودبيب المرض ، اذ بشرطي يطلبني :

— ماذا تريد ايها السيد ؟ . .

— ان ترافقني الى المخفر . .

فهالني ما كنت اجد وصحبني الى ضابط يرقص الغضب على وجهه فابتدرني ؟ . .

— كيف كان معك الجراة فى دخول بلادنا بغير جواز ؟ . .

— كلا يا سيدي ان معي جوزا .

— واين هو ؟

— انه فى كلية الآداب عند المسجل .

وادركت للحال ان الجامعة قد حل منذ ايام موعد اجازتها النصفية ، ففلى الدم بالراس واسقط بيدي فرجوت الضابط امهالي الى الغد واحضر له وثائقي وجوازي فأمهلني بعسر . وطرت الى منزل المسجل الاستاذ عباس فوجدته متاهبا للسفر الى الريف فرجوته الذهاب الى الكلية لاعطائي اوراقي التي عنده وفيها جواز السفر وكتاب وزارة الخارجية السورية بايفادي ، فأحضرت له سيارة وعدت ببغيتي التي ستجيء فى الغد عند ضابط الشرطة .

وغدوت ظافرا ، فبكرت على الضابط الذي لقيني بتجهم ولم يلبث وجهه ان انفرج حين اطلع على وثائقي وايقن اني موفد الحكومة للدراسة العالية الجامعية ، وان معي زوجي واولادي بجواز سفر رسمي خاص وما راعني الا ان جمع فى فمه ريقه ثم بصق بجانبه ، وهو يقول :

— على الرجل الذي وشى بك الينا بكتاب ارسله بالبريد ، فلا تؤاخذنا يا استاذ .

واقبل علي مبردا لوقد احزاني واعاد الي اوراقي ونهض يمشي معي مودعا حتى الباب !

ويا هول ما رايت عند الباب الخارجي لوزارة الداخلية . . لقد رايت ذلك الرجل الذي شككت به فى الاقدام على هذه الاساءة فابتدرني :

— ما ذا تصنع هنا ؟ . .

فاجبته جوابا جافا وعبرت طريقي منصرفا فرحا وعائدا الى اولادي ومعي الدواء لهم مما كانوا فيه ، فقصصت على زوجتي ما جرى لي واشتركنا معا بصب اللعنات على الحاسدين .

ثم صرت ابصر جمال ضفاف النيل وارتاد بالاصباح حديقة « الاورمان » العجيبة فى تنسيق اشجارها وتهدل ازهارها ، اقتعد غاربا عاليا على شجرة وتحتي ازاهير اللوتوس والنيلوفر وكنت اسمع اصوات العنادلمفردة على الصفصاف والنخيل ، وما كنت من قبل احس بوجودها فى طول ما كنت اجلس سادرا باحزاني فى حديقة الاورمان .

وصار رفاق من بلدي ممن يؤثروني يحضرون لتهنئتي بالقبول فى قسم الدكتوراه للادب العربي بالجامعة المصرية فكنا نجلس فى حديقة « الاورمان » فمرت اوانس وجلسن بقربنا وهن يلبسن القمصان الحمر والصفر فعزم علي استاذ منهم ان اقول فيما اشاهد فقلنا نبدل الابيات التي يقول قائلها :

بالله يا ذات الازار الاسود
ماذا صنعت بعاشق متعبد

قد جاء للمحراب يقضي نسكه
حتى وقفت له بباب المسجد

فقلنا :

بالله يا ذات القميص الاحمر
ماذا صنعت بطالب متحير

قد جاء «للاورمان» يتلو درسه
حتى برزت له بأبهى منظر

واخذنا بضحك وسلوى انسينا الاغتراب ومتاعب التحصيل ، وقد جازت بنا السنون فوق الثائرين .

دمشق : الدكتور زكي المحاسني

ذكريات جامعية

للدكتور زكي المحاسني

ليت الذكريات الحلوة لا تجاورها الذكريات المريرة ، وما كان بطوق الانسان ان يفصل بعض ذكرياته عن بعض ، ولو استطاع ذاك لحبس مكدراته واطلق مسراته مثل طيور بيض ترفرف عليه .

حين جئت مصر عام 1943 لاحصل على الدكتوراه فى الآداب من جامعة فؤاد الاول ، اعترضني باب الماجستير دون الدكتوراه وهو مجاز لابد منه للعابرين مثلي . ولم اكن صنعت من كتبي المطبوعة سوى (النواسي شاعر من عبقر) ومعي مخطوطة عملتها في تاريخ الادب منذ امرىء القيس الى شوقي اسميتها « عباقرة الادب » وطائفة كبيرة من البحوث والمقالات فى المجلات الادبية والصحف العربية .

كنت احس بانقباض النفس اذ تعلق امري على مجلس الجامعة ، وما يكون من عقده ، حين ينعقد ، ومعي أطفالي الثلاثة وزوجي ، ولم يكن مالي مبحبحا ، فلبثت منطويا على احزان لا تزول ، فاذا اخذت نفسي ببعض السلوى فرحت تحت العشيات الى ضفاف النيل، رايت الناس يمرحون ولم اجدني فرحا ، فكنت سادرا فى ظنون الخيبة ، وقد ضربت مستقبلي بوجه القدر ، اما لهذا واما لذا ـ كما يقول ابو الطيب المتنبي ـ فى فورات امله الخائب . وكان لابد من ان احصل على مبررات الاقامة شأن الاجنبي الدامر على البلد العربي العريق ، وتعليق امري بكلية الآداب لارجاء فى انفراجه عما قريب ، فقال لي قائل من بلدي :

— عليك بكلية الحقوق ، فقسم الدكتوراه فيها مباح لمثلك ممن حصلوا على اجازة الحقوق ، وحين وجدت اجازة الآداب التي معي لم تضمن لي ما ابتغي ، وجدتني بعد يومين ممتعا باقامة اشهر ستة فى بلهنية وراحة وامن مقيم . وقد اشتريت الكتب التي للدكتوراه فى الحقوق وعكفت على الحضور ، وليست بغيتي فيه ، وما اوفدتني الحكومة السورية الا لاحصل على الدكتوراه فى الادب ، وقد ثابرت على دراسة القانون وحضرت محاضرات الاستاذ العظيم « بيير جوغيه » فى الحقوق الفرعونية العتيقة بالفرنسية ، ولقيت ذلك المواطن الذي دلني على مبررات الاقامة فقال لي :

— مالك جادا فى الحضور بكلية الحقوق وانا مثلك ، لكني لا أحضر .

— وكيف تصنع ؟ ..

— ادبر نفسي .

فلم آبه لنصحه ، وطفقت مثابرا على الحضور حتى انفرجت ازمتي فى مجلس الجامعة فقرر قبولي للدكتوراه على ان اقدم بحثا ينوب مناب درجة الماجستير ، فوهبت من شدة الفرح كتبي لطالب من بلدي حضر لتلك الدراسة الحقوقية وخرجت منها لا علي ولا لي .

***

وكان للدكتور طه حسين ـ مد الله بعمره المجيد ـ يد كبرى فى مساعدتي وتذليل صعابي .

خلقه للعالم كان من العدم مع تفسير العدم بالنفي المطلق الذي لا تشوبه اية شائبة من انواع الوجود ، وعلى هذا الاتجاه علماء الاسلام متكلمين وفقهاء وصوفية سابقين مع ملاحظة انه يؤخذ من آراء بعض المعتزلة رحمهم الله ، انهم يرون ان العدم الذي توجد منه الاشياء لايعني الفراغ المطلق ، وانما هو ذات يحتوي جواهر الاشياء قبل ان توجد وهو منهم تأثر بالفلسفة اليونانية لايقدح فى سلامة معتمد مذهبهم مذهب المسلمين جميعا .

2) الاتجاه الثاني :

وهو لايرتضي كالاول صلة المعلولية ويرى بدلها ان الارتباط متصل بين الله والعالم ، ويضعون بين الوجودين وسائط عقلية يفترضونها وفق شكل معين كما سنرى ـ وهذا الاتجاه نصادفه عند فلاسفة اليونان الذين لم يقولوا بحدوث العالم بما فيهم افلاطون المعروف بين المتكلمين انه قال بحدوثه وهو أمر ـ كما يقول علي سامي النشار ـ لم يقل به افلاطون ابدا ، ولكنهم هكذا شاءوا فهمه كما شاؤوا فهم ارسطو فى صورة افلاطون »

وقد تبنى هذا الاتجاه مع اختلاف بسيط الفارابي وابن سينا فى نظريتهما التي هوجمت من طرف علماء الاسلام على اختلاف مشاربهم وبينوا تهافتها ومصادمتها للاسلام فى كثير من عناصرها .

نتيجة الاختيار

ان الفارابي وقد اختار الاتجاه الاخير وجد نفسه فى موقف حرج ، وانه مطالب بتبرير اختياره تبريرا مقبولا من طرف الاسلام ، فقام بجراة كبيرة واعلن باديء ذي بدء ان الحكمة اليونانية ـ التي وصلته مشوهة ـ وكذلك درسها ـ لاتصادم الدين الاسلامي ، ومن ذلك فانه يمكن الجمع بينهما اذا ما فسرت الآيات القرآنية تفسيرا فلسفيا وفهمت اشاراته ورموزه ! ذلك ان النظر حق والدين حق ومحال ان يتضاد الحق مع حق آخر ، لان الحق واحد لايتعدد وليس بعد الحق الا الضلال .

وانطلاقا من استنتاجه هذا الغير المسلم ـ لانه نفسه لا يستطيع البرهنة على دلالة الافكار التي اعتمدها على الحق دلالة قطعية حتى يلزم الغير ـ وانطلاقا من استنتاجه المتقدم يقوم بمحاولات كبيرة للتوفيق بين الدين الاسلامي والحكمة اليونانية ، وفي سبيل ذلك سعى اولا للتوفيق بين الفلسفة اليونانية وازالة ما فيها من تناقض ، فجمع بين آراء الحكيم افلاطون وارسطو ...

لقد كان الفارابي شغوفا بعمليات التوفيق بين الآراء ، وما نظريته فى الفيض الالاهي الا من هذا القبيل ، فهي ترمي الى ايجاد تفسير مشترك بين الحكمة اليونانية والاسلام لصلة الله بالعالم ، ونكرر ان محاولته لم تلق اي نجاح يذكر فى حظيرة الفكر الاسلامي الذي اوصد ابوابه دونها فتساقطت من تلقاء نفسها وما عاشت الا كفكرة مجردة عن كل تطبيق وما كانت لتثير ما اثارته لولا ان اصحابها وحفنة من المغرضين ارادوا اقحامها فى دنيا الاسلام وجعلوها منه ، وبسبب ذلك هوجمت وانتقدت حتى من طرف ابن رشد أكبر المدافعين عن الفلسفة ورجالها .

الفيض عند الفارابي

سنحاول عرض النظرية مشيرين اثناء ذلك الى ارتباطها بالفلسفة اليونانية وخاصة الافلاطونية المحدثة مع التنبيه لبعض مآخذ الفكر الاسلامي على النظرية قدر المستطاع ومعتذرين عن عدم الاشارة لمصادر البحث لغيابها عنا اثناء الكتابة وبالله التوفيق .

يومن الفارابي بصدق وكباقي المسلمين بالالاه وبوحدانيته ويشرح مفهومه للوحدانية بأن الله « واحد لافرق بين ذاته وعقله ... فهو العقل والعاقل والمعقول وهو العلم والعالم والمعلوم .. ولا يدخل تحت تحديد من التحديدات التي تنطبق على المكنات » وهو نفس المفهوم الذي نجده عند ابن سينا الذي يرى انه تعالى « هو الوجود المحض والخير المحض والعلم المحض .. من غير أن يدل بكل واحد من هذه الالفاظ على معنى مفرد على حدة لان المعنى والذات شيء واحد ... » وهذا مفهوم يخالف مخالفة محمودة ارسطو الذي قرر وجود واجبي الوجود هما الله والمادة الا انه يخالف ايضا علماء الكلام فى اثباتهم للصفات معتزلة وغيرهم مع فرق فى درجة الخلاف ، ويظهر اصحابه بمظهر من يسلم بقدم العالم لانهم ـ فيما سنرى ـ يقولون بان الموجودات صادرة عن الله بسبب علمه لذاته وحيث ان علمه هو نفس ذاته فعلمه قديم قدم ذاته وبالتالي قدم ما يصدر عن علمه بطريق الفيض وهي الموجودات أو على الاقل الموجود الاول بعد الله !

ويظهر الفارابي بسبب تفسيره السالف للوحدانية ـ ما دام يرفض صلة العلية ـ الى تكلف الاجابة على التناقض الذي يسوقه اليه ايمانه بمسلمات فلسفية مثل ايمانه بان الكثرة لا توجد من الواحد ،

تحليل نقدي لنظرية الفيض عند الفارابي وابن سينا

للأستاذ : عبدالله الحجامي

تمهيـــد :

يحتل الفارابي (259 هـ 339 هـ) وابن سينـــا (370 ــ 428 هـ) مكانة ممتازة فى الفكر الانسانـــي ولا يختلف اثنان فى تقدير عبقريتهما او الاشادة بسعـــة علمهما وعميق نظرهما فالاجماع من الخصوم والاصدقاء على ذلك وانما يقع الاختـــلاف حولهمـــا حين يوزن انتاجهما الفلسفي بمقياس الاسلام عند جماعة وبالابتكار والاستقلال الفكري عند جماعة اخرى ، ولاجل هـــذا اعتبرا فى حساب البعض من الصوفية المخلصين ونشازا فى الفكر الاسلامي بل وكفرة مارقين فى حساب البعـض الآخر او تلامذة مخلصين لليونان على احسن الفروض.

ولكل من هؤلاء واولئك وغيرهم سند من حياتهما وتراثهما ، غير انهما ، ورغما عن كـل شيء ، ستمكث عبقريتهما واصالتهما فى جل ما كتباه فوق الشبهـات، ولعل من ابرز الآراء التي اخذ عليهما بسببها واثيرت حولهما الظنون والشبهات وقيل فيهما اكثر ما قيل ، هي محاولتهما لتفسير نوع الاتصال بين الله والعالـم وهي المحاولة التي عرفت فى الفكر الفلسفي بنظريـــة الفيض الالاهي ، وارتبطت باسمهما ، وكانا يهدفان من ورائها الى التوفيق بين الفلسفة اليونانية والاسلامية فى قضية من اهم واعوص قضايا الفلسفة ، الا انهمـــا رغم ما بذلاه من جهد جهيد فى هذا السبيل لم يوفقـــا لهدفهما وتخلى عنهما النجاح كلية واثارت نظريتهمـــا من الشكوك والتساؤلات اكثر مما بعثته من الاطمئنـــان ان كان هناك من اطمأن بهـــا ورضيها لنفسه شرعـــة ومنهاجـــا . . .

بيـــن يـــدى النظريـــة

يستحسن أن نمهد لعرض النظرية بكلمة توضح الاساس التي انطلقت منه الفكـــرة ، مقتصرين على الاساس المباشر دون استقراء للتفصيلات واسبابهـــا ، لهذا سنترك جانبا قضية الالوهية وما دار حولها مـــن جدل طويل ومتشعب ، لنتعرض لجوهر موضوعنـــا الذي هو محاولة تفسير الصلة التي تربط بيـــن الالاه والعالم ، وهي محاولة اختلفت فيها الآراء وتخاصمت فيما بينها ، وادلت كل فرقة بدلوها فى الموضوع سواء كانت فلسفية أو فرقة صوفية او كلامية ، والنظريـــة التي نحاول عرضها الآن تعتبر رايا فى الموضوع لجماعة من الفلاسفة المسلمين بهرهم الفكر اليوناني ووقعـــوا تحت تأثيره ، فكـــان لذلك ــ كما سنرى ــ رايهـــم تجسيدا لهذا التأثير القوي الخارق .

ويلاحظ ان الحلول التي قدمت فى هذا المضمار تتخذ اتجاهيـــن :

1) الاتجـــاه الاول :

وهو يرتضي صلة السببية أي ان الارتباط بين الله والعالم هو ارتباط المسبب بسببه والمعلول بعلته ، ويقرر ايضا بوضوح ان العالم حـــادث ومخلوق لله تعالى بارادته وعلمه وانه تعالى ما فعل ذلك عبثا وان

تلك باجمال نظرية الفيض الالاهي عند الفارابي الذي اعتقد انه بفضلها يستطيع دون كبير مشقة وضع العمامة على راس افلاطون وارسطو وجعلنا نعتقد انهما من شيوخ الموحدين وفي سبيل ذلك لا نراه يتردد في استخدام كلمات قاسية مثل القبح والاستنكار في حق من فهم عن افلاطون انه يقول بقدم العالم مع انه في واقع الامر ما قال الا بقدمه لو تحقق الفارابي كما فعل بعده ابن رشد .

وهذا التعصب الشديد لفلاسفة اليونان وتنزيههم حتى عن اقوالهم نلحظه لدى كثير من الفلاسفة المسلمين واكرر عبارة الفلاسفة المسلمين ، فهذا مثلا راس المذهب الاشراقي السهراوردي يجعلهم من جملة الاصفياء والانبياء والاولياء كاغاديمون وسقراط وافلاطون وامثالهم ... وذلك .. لتخلقهم باخلاق الباري بتجردهم عن المادة من جميع الوجوه ... » ! ! ولئن استطاع الفارابي ان يحل مشكلة المادة عند ارسطو ويظهر الفكر اليوناني فى شكل اكثر تناسقا عما كان ، فانه فى صميم هدفه لم ينجح مطلقا ولم يستطع التوفيق بين الفكر اليوناني والاسلامي وعاد بعد جهد جهيد الى النقطة التي انطلق منها وحاول نكرانها وهي نقطة تعارض الفكرين .

سبب الفشل :

ان سبب فشل الفارابي فى محاولته التوفيقية يعود الى الاختلاف ــ الذي لا يمكن تفاديه بين طبيعة الفكر الاسلامي واليوناني ــ فطبيعة الميتافيزيقيا الاسلامية مؤمنة وهادفة ، كما رسما القرآن الكريم وسنة النبي الامين ، ولا تسمح بفسح المجال للتلاعب بالافكار او الخوض فى تصورات فوق طاقة العقل الانساني ... اما الميتافيزيقيا اليونانية فملحدة بطبيعتها تعتقد بفناء الفرد وخلود النوع ولا تدري من أمر البعث شيئا أو ما يستتبعه ، ولا تتصور قوة تعلو على الوجود العقلي ، ومن ثم لم تدرك فكرة الالاه الذي يبدع الاشياء من العدم المحض وصرحت بقدم المادة ، وهو تناقض حاول الفارابي تجنبه بالعقول المتخيلة فلم يفلح فى مسعاه وضل الاسلام اسلاما والفلسفة اليونانية يونانية ، ولن يكون الامر على خلاف ذلك .

النظرية عند ابن سينا :

ان النظرية عند الفارابي هي نفسها عند ابن سينا وما بينهما من اختلاف لايمس الجوهر انما يعود لطبيعة دور كل منهما ، الاول استلهمها واعطاها الحياة ، والثاني ابرز هذا الوجود فى شكل اكثر تناسبا . فابن سينا كالفارابي يعتقد باستحالة صدور المتعدد عن الواحد ... لهذا نجده يتقبل منه فكرة الفيض لتفادي التناقض الذي تسوقه اليه مسلماته ، كذلك استغل التفرقة بين الماهية والوجود التي قال بها الفارابي ونسبت اليه خطأ فجعل لكل العقول المارقة للمادة ماهية ووجود ، وبهذه التفرقة امكن تعليل الكثرة المشاهدة فى الكون مع الاعتراف بوحدة المبدأ الاول مبدع الكل ، وذلك لان الكثرة صادرة فعلا عن الواحد لكن بطريق غير مباشر ، فالالاه علم ذاته ففاض عنه بسبب ذلك العقل الاول او العقل المبدع وهو رغم وحدته يشتمل على نوعين من الكثرة هي :

ا ــ العقل الصادر اما ممكن الوجود قبل وجوده «ماهيته »

ب ــ واما واجب الوجود لعلة « وجوده » .

وهذه الثنائية التي توصل اليها بسبب التفرقة بين الماهية والوجود تؤدي الى كثرة أخرى ثلاثية يحتوي عليها العقل الصادر عن طريق ادراكاته فهو :

ا ــ اما ان يدرك الموجود الذي فاض عنه هو

ب ــ واما ان يدرك ذاته وانها واجبة الوجود لعلة

ج ــ واما ان يدرك ذاته على انها ممكنة الوجود .

وكل ادراك يؤدي الى صدور شيء عن طريق الفيض ، فعن الادراك الاول يفيض عقل ثان ، وعن الادراك الثاني تفيض نفس الفلك الاول ، وعن الادراك الثالث يفيض جسم الفلك الاول ، وبنفس الافتراض تفيض عن العقل الثاني الامور الثلاثة (عقل ثالث ــ نفس للفلك الثاني ــ جسم للفلك الثاني) وهكذا تتوالى عملية الفيض فى ترتيب تنازلي الى ان تنتهي عند العقل العاشر والعقل الفعال الذي يشرف على عالم الارض ، وبتآزره مع طبائع الافلاك تفيض عنه المادة .

ويلاحظ ان عملية الفيض التي تتابعت بنفس الافتراض عند العقول التسعة الاولى اتخذ شكلا مغايرا عند العقل العاشر من حيث الادراك ومن حيث ما يفيض عنه ، فالعقل الفعال (العاشر) يدرك العقل الاول فتفيض عنه بسبب ذلك النفوس البشرية وتفيض عنه صور الاشياء بسبب ادراكه للعقول المتوسطة ، وتفيض عنه العناصر الاولية لنشأة الكائنات بسبب ادراكه لذاته وعلى انها ممكنة الوجود ، ولا ندري لماذا حرموه من ادراك ذاته على انها واجبة الوجود لعلة ، وميزوه بادراكه لكل العقول ... الخ

والشيء لايوجد من غير جنسه ، والمتغير (العالم) لا يصدر عن غير المتغير (الله) ... الخ فكيف اذا يفسر الفارابي صدور العالم عن الله وهو واحد والعالم كثرة متغيرة والله واحد لا يتغير والعالم من غير جنسه ؟ ، ان فيلسوفنا الكبير لا ينكر حقائق هذه الاشياء ولكنه لا يسلم بما يبدو بينها من تناقض بل يؤكد ان مصدر الكل هو الله لكن بطريق غير مباشر ، الا ان شرحه لطريقة صدور الاشياء عن الله بواسطة يضطره لرفض الاتجاه الاسلامي القائم على تفسير السببية اي ان صلة الله بالعالم هي صلة الصانع بمصنوعه ، وبدلا من ذلك وانسجاما مع مسلماته يقدم كجواب للتساؤلات أعلاه — وكبديل لنظرية علماء الكلام نظرية « الفيض » المتناسقة ، وهي ترتكز على انه اذا كان الواحد لا تصدر عنه الكثرة فالواحد قد يصدر عن الواحد ، وبعدها يعلن الفارابي ان الذي صدر عن الله مباشرة هو واحد أسماه بالعقل الاول او المبدع الاول ، وعنه صدر العقل الثاني وصدر عن الثاني عقل ثالث وهكذا الى العقل العاشر واهب الصور والذي صدر عنه العالم السفلي عالمنا الارضي

ان الفارابي بهذا التخيل ملأ الفراغ او العدم الذي سبق الكون بهذه العقول العشرة التي جعلها واسطة بين الله والعالم ولم يتصور ان بينهما فراغا مطلقا وعدما محضا قد وجد تمنه الكائنات ، ومنحاه هذا — كما هو واضح — يخالف الفريق الذي يصرح بحدوث العالم من العدم المحض بعلم الله وارادته .

اما كيفية صدور هذه العقول عن الله فانه يذهب الى ان الاشياء تصدر عنه تعالى بمجرد علمه لذاته لا بارادة او قصد او غرض .. الخ وقد اختار هذا لينفي عن الله — فيما يعتقد — ان تكون له مصلحة او غرض من وراء افعاله او يكون علمه متغيرا .. تعالى عن ذلك علوا كبيرا — ويعبر عن ذلك بقوله « ان وجود الاشياء عنه لا من جهة قصد يشبه قصودنا ولا يكون له قصد الاشياء ولا صدرت الاشياء عنه على سبيل الطبع من دون أن يكون له معرفة ورضآ بصدورها وحصولها وانما ظهرت الاشياء عنه لكونه عالما بذاته وانه مبدأ الخير فى الوجود على ما يجب ان يكون عليه فاذا علمه علة لوجود الشيء الذي يعلمه » فبعلمه لذاته فاض عنه العقل الاول الذي يشتمل على نوعين من الكثرة هما :

أ — ثنائية : وهي آتية من تفرقته بين الماهية والوجود .

ب — ثلاثية : وهي آتية من الادراكات الثلاثة المتخيلة للعقل ، فهو :

1) يدرك المبدا الذي فاض عنه وهنا يفيض عنه بدوره عقل ثان خاص به

2) يدرك ذاته وانها واجبة الوجود لعلة وهنا تفيض نفس الفلك الاول

3) يدرك ذاته وانها ممكنة الوجود ، فيفيض عنه جسم الفلك الاول .

وعن العقل الثاني وبنفس التصور يفيض عقل ثالث وفلك ثاني ونفس هذا الفلك وعن العقل الثالث يفيض عقل رابع وفلك ثالث ونفس للفلك الثالث

وهكذا تتسلسل عملية فيض العقول والافلاك والنفوس الى ان تصل الى العقل العاشر او العقل الفعال وهو يدرك العقل الاول فتفيض عنه النفوس البشرية ، ويدرك كل العقول قبله فتفيض صور الاشياء وعند ادراكه لذاته تفيض عنه العناصر التي تنشأ عنها الاشياء .

والعقل العاشر هو الذي يتحكم فى عالم الارض عالم العناصر الاربعة ، وعن طريقه تتصل العقول البشرية بعالم الغيب حيث تنكشف امامها اسرار الكون وتطلع على الغيب وتتم سعادتها ، وهي منزلة لاتصل اليها الا العقول البشرية المستفادة ، ويتم حصول العقل المستفاد اما :

أ — بطريق الحكمة والبحث والنظر وهو طريق الحكماء كما يعتبر أحسن الطرق ، وربما اخذ عليه البعض بسبب هذا انه ينكر النبوة ...

ب — الطريق الثاني للحصول على العقل المستفاد من العقل العاشر هو طريق النبوة بواسطة المخيلة القوية او الالهام ...

والعقول المستفادة التي تستطيع الوصول الى هذه المنزلة التي لا مطمح بعدها.. تأتي فى طليعةالعقول البشرية التي صنفها تصنيفا ، تصاعديا على خلاف ترتيب العقول السماوية مبتدئا بالعقل بالقوة عند الطفل منذ ولادته ثم العقل بالفعل ويحصل بالتعلم والاحساس ثم العقل المستفاد ويحصل بالتعمق في البحث والتفكير والممارسة ، عند الحكماء وبالمخيلة القوية عند الانبياء ، فالعقل الانساني يمر اذا بالمراحل الثلاثة ليتصل بالعقول السماوية ويعلم أسرار الكون ويطلع على صور الاشياء قبل أن توجد



التنويم المغناطيسي بين العلم والشعوذة

للأستاذ ابن طالب زيان

يرتبط تاريخ التنويم المغناطيسي بتاريخ علم الاضطرابات النفسية على يد « مسمر » عام ثمانين وسبعمائة بعد الالف ، وان كان لا يختلف فى كنهه وحالته عما هو عليه فى الوقت الحاضر .

كان التنويم المغناطيسي منذ ذلك التاريخ مورد رزق ككل شيء جديد ناشيء ، الا أن الدجل كان يحوطه ، مما حدا بالدوائر العلمية أن ترفض استعماله ، أو الاشتغال به فى محيط العلم ، أو دنيا التجارب الطبية .

والواقع أن التنويم ، نشأ نتيجة الوهم الذي يسيطر على كثير من الناس ، ولا يمكن التغلب عليه الا بهذا الايحاء . اذ كثيرا ما يشكو البعض مما يقاسونه من آلام وامراض ، فاذا ما نبهوا وتبين لهم ، أن هذا مجرد وهم ، ثم شجعناهم على السمو على هذه الآلام ، وقهر هذا الذي يشكون منه ، بأن نجعلهم يعتقدون فى أعماق نفوسهم ، انهم اصحاء ، وان ليس عندهم ما يسبب وجود هذه الامراض فيهم ، فانهم لا يلبثون أن يشفوا مما يشكون منه ...

وهكذا كانت تعالج هذه الحالات بهذه الطرق الايحائية . فالتأثير فى المريض واستهواؤه بخلوه من الامراض ، وبفساد اعتقاده مما يشكو منه ، كانت الطرق المثلى التي يعمد اليها بعض الاطباء الاخصائيين فى العلاج النفسي مع مرضاهم الذي ليس لمرضهم أي سبب عضوي أو غير عضوي ، مما يكون ظاهر الملمس أو يحتاج الى علاج بالعقاقير أو المبضع ...

وتحت هذا العلاج الايحائي ، يدخل التنويم المغناطيسي ، كحالة متطرفة من حالات الاستهواء ، وان كان يكثر استعماله مع المرضى الذين يصعب التأثير فيهم ، وهم فى حالة اليقظة ، او لا يرتضون ان يكونوا كذلك على أي فرض من الفروض ...

وقد اشترط المنومون المغناطسيون لكي يتم هذا التنويم ، ويأتي بنتائج طيبة ثلاث شروط أو هي ثلاث حالات :

اولا — ان يقتنع الشخص انه سينام ، لان مقاومة المريض للمنوم ، تؤدي عادة الى نتائج سيئة ، او هي وخيمة العواقب ، ونجاحه اذا كان المنوم قوي العزيمة مصمما على النجاح فى تنويم مريضه .

ثانيا — ان يوضع الشخص النائم فى غرفة هادئة قليلة الاثاث ، ويستحسن الا يكون هناك اشخاص آخرون مع الطبيب .

ثالثا — يطلب من المريض ان يستريح على كرسي ، أو يستلقي على ظهره فى استرخاء تام ، ثم يأخذ المنوم فى عمله ، حتى يتم نوم المريض .

وليس عجيبا ان يستمر هذا الحال الى وقت الناس هذا ، وان كانت قد تكونت بعد نحو قرن على مما رسته على هذه الصورة ، مدرستان فى فرنسا ، احداهما فى « باريس » والاخرى فى « نانسي » تنافستا تنافسا شديدا فى استخدام التنويم ، واختلفت وجهتا نظريهما اختلافا كبيرا ، مما كاد يؤدي الى الفشل ، او

ان تسلسل الفيض عند ابن سيناء يخضع للترتيب العقلي المتناسق كما تفطن لذلك الامام الغزالي عند عرضه الامين للنظرية قبل نقدها ، وذلك ان كل عقل تفيض عنه الاشياء الثلاثة باستثناء العقل العاشر (عقل ـ نفس فلك ـ جسم فلك) وهذه الثلاثة متفاوتة فى السمو لان العقل اشرف من النفس والنفس اشرف من الجسم ، وهذا التدرج فى الاعتبار يتناسب مع ادراكات العقل المتفاضلة فيما بينها ايضا فى السمو

فادراك العقل للعقل الذي فاض منه اشرف من ادراكه لذاته وانها واجبة الوجود لعلة ، وهذا الادراك بدوره اشرف من ادراك العقل لذاته على انها ممكنة الوجود ، وبهذا ناسب ان يفيض العقل عن الادراك الاول وتفيض النفس عن الادراك الثاني والجسم عن الادراك الثالث ، وعلى هذا الافتراض يتم التناسق بين مستوى الادراك وما يفيض عنه ويسهل تعليل التفاضل بين العقل والنفس والجسم ، وبين ادراك المبدأ الاول وادراك الوجود وادراك الماهية ، وهذا البناء نجد الشيخ ابن سينا ، ومن قبله الفارابي ، يستلهم بعضه على الاقل من الفكر اليوناني وبشيء من التحديد من « الشيخ اليوناني » افلوطين الذي تصور للعقل دائرة استدارت على مركزها الذي هو الخير المطلق وحركتها حول مركزها هي حركة اشتياق ، وتصور للنفس دائرة لابعد لها ومركزها العقل وحركتها حول مركزها استكمالية خلاف حركة العقل السالفة ، كما تصور للعالم السفلي دائرة مركزها النفس ، وهي دائرة تخضع لترتيب تفاضلي ، حيث نجد حركة العالم حول النفس تطلبها تشبه حركة النفس حول العقل تطلبه وهي بدورها تشبه حركة العقل للخير المحض .

ان حركات العشق هذه فى الافلاطونية المحدثة تتجه صوب المعشوق الاول الذي يفيض على جميع عشاقه بنوره اللامتناهي وان كان يقل أثره كلما ابتعدت عنه الموجودات .. كذلك نجد العقول العشرة التي حلت مشكلة صدور الاشياء عن الله فى الافلاطونية المحدثة التي ترى ان المعشوق الاول ابدع عشاقه بتوسط العقل وتصفه بانه « ليس منه شيئا مما ابدعه ولا يشبه شيئا منه ولو كان كذلك لما كان علة الاشياء كلها ... » ولعل تحديد علم الفلك اليوناني للافلاك بعشرة هو الذي جعل الفارابي ثم ابن سيناء يحدد العقول المفارقة بعشرة لكي يشرف على كل فلك عقل .. الخ

خاتمة ودعاء :

ان الانصاف يجعل النظرية يونانية الاصل ومحاولة نسبتها للفلسفة الاسلامية ـ وهي منها براء ـ انما هو ادعاء تجن على الحقيقة ، واما ارتباطها بالفلسفة اليونانية فهو ارتباط وثيق ، ونحسب ان فى اللمحات المقتضبة التي قدمناها ما يكفي لتلمس بعض من ذلك بيسر .. ورغما عن ذلك فالنظرية فى بنائها النهائي تحمل بين طياتها الكثير من التساؤلات التي بقيت بدون جواب ... ونذكر ان ابن رشد رفض الفيض من اساسه حين خطأ ابن سيناء فى مقابلته تفرقة الفارابي بين الماهية والوجود بتفرقة ارسطو بين الصورة والمادة . وقبل ابن رشد وبعده رفضت النظرية من حظيرة الفكر الاسلامي وبين الزمان تساقطها .

وبالرغم عن هذا التهافت الذي انجرف اليه الفارابي وابن سيناء فى الفيض الالاهي ، فانهما بفضل ما امتازا به من عبقرية واصالة فى كثير من اعمالهما العظيمة التي حفظ لنا التاريخ بعضها ، سيستمران على مر العصور كأكبر معالم الحضارة الانسانية .

فرحمة الله عليهما واجزل لهما الثواب والرحمة فما كانا فى حياتهما يريدان به تعالى بديلا ، وما قصدا بعملهما الا توحيده وتقديسه ، فان زلت بهما الاقدام فى عمل ارادا به الخير فأجرهما ثابت للاثر الوارد ، فيمن اجتهد واخطأ وحسبهما فضلا ان تعد هفواتهما .

لشبونة ـ عبد الله الحجامي

اليهما احدى السيدات المعالجات هـي : انـه عندما يتركونها لتتكلم تحت تأثير التنويم المغناطيسي عـن اضطراباتها النفسية بكلام مطلق صريح ، فانها تشعر بهدوء وتحسن في حالتهـا الطبيعيـة بعد التنويـم ، ويمكنها كذلك ، أن تتذكـر اشياء كانت منسية عـن الاضطرابات النفسية ، فاذا تكلمت عنها مع الطبيب ، شعرت بالارتياح ، وعادت الى حالتها العادية .

وقد اجرى هذان العالمان بضع جلسات على هذه المراة ،حتى شفيت تمامـا من مرضها الـذي لازمهـا زمنا طويلا ، مما كادت معه ان تفقد الامل في الشفاء ...

على أن « بروبـر » و « فرويد » ، قد شجعهمـا هذا النجاح على السير في علاجاتهما للمرضى ، فاتبعا التنويم المغناطيسي أولا ، ثم الكلام المطلـق ، وهـو المسمى « بالتنفيس العقلي » ـ ويظهر أن الحـوادث التي تسبب الاضطرابات ويخزنها صاحبها لا شعوريا في داخل عقلـه ، تنبعث من رقادها مرة ثانية تحت تأثير التنويم المغناطيسي .

لكن لم يلبث « فرويد » و «بروبـر » ، ان أوقفا استعمال هذه التجربة الناجحة وعدلا عنها ، الى طريقة اخرى ، اجريا تجاربها وثبت جدواها ، وهي طريقـة التنويم دون الكـلام المطلـق الذي كـان يأتي عقب استسلام المريض ، وافضائه بما ينطوي عليـه صدره او يختلج داخل نفسه .

ولعل سائلا يسأل عن سر عدول هذين العاليـن عن نظريتهما الناجحة ، اهـو التحـول من نظرية الى اخرى ، أو اثبات علمهما بأكثر من نظرية ، او عـدم التقيد بنظرية سابقـة ، ليس لهما فضل ابتداعهـا او استنباطهـا .. ؟ ؟

يجيب « بروبـر » عن سبب هذا العدول عـن هذه النظرية ، بأن السيدة المريضة بعـد ان شفيت ، اخبرته بانها لا يمكنها ان تفارقه ، ولا يمكنها كذلك أن تبتعد عنه ، لحبها له وتعلقها بـه ! !

ومن العجيب ان هذه الحادثة عاشها « فرويد » ايضا مع احدى السيدات المريضات ، وشعر بحبهـا له ، وسيطرتها عليه ، وان كان « فرويد » لم يمكنهـا من أن تشغله عن ما هو بسبيله مـن البحث والدرس والاجتهـاد والاستنباط ...

وليس يخفى ، أن التنويم المغناطيسي ، قد لعب دورا هاما في تاريخ البشرية على يد علماء متخصصين، وان كان قد دخله كثير من الدجل ، اخل به ، واخرجه عن رسالته ، وباعد بينه وبين نفعه كعلم ، خطا خطوات واسعة ناجحة في علاج كثير من الامراض النفسيـة المستعصية التي حار فيها الطب ، وتعثر فيها كثيـر من الاطبـاء ! !

على انه اتى بعـد « فرويد » علماء واطباء ، حملوا الرسالة ، وساروا بهـا واستحدثوا كثيـرا مـن النظريات ، الا انه اخرجها عن وضعها الذي استحدثت من اجله ، الجهلة المشعـوذون الذين يمشون فـي الاسواق ، ويأتون « بالبهلوانية » امـام السذج مـن الناس ! !

القاهـرة : أبو طالب زيان

الى اغلاق المدرستين بغية الرياسة ، او السبق في الاكتشافات ! !

كان العالم : « شاركوه » على راس مدرسة باريس ، وهو اخصائي في الاضطرابات العصبية ، ينادي بأن « كل شخص يمكن تنويمه مغناطسيا يكون مصابا بنوع من « الهستريا » .

اما مدرسة « نانسي » فكان رايها انه يمكن ان تجري عملية التنويم المغناطيسي ، على كل فرد عادي بدرجة معتدلة .. اذ انهم كانوا في هذه المدرسة ، يعتبرون ان التنويم المغناطيسي ، مجرد حالة استسلام وقبول للافكار الموحى بها ، حتى انهم قد استعملوا هذا الراي في علاج الحالات العصبية ، وان كان « تشاركوه » عميد مدرسة باريس ، قد استعمل كذلك حقيقته ، او ما اهتدى اليه في فهم اصل « الهستريا » وعلاجها ، والبحث عن طبيعة التنويم وماهيته .

ولقد ساعد « شاركوه » على انتشار رايه ، وذيوع تعاليمه ، قدرته الفذة ، وتفوقه العجيب في ابحاثه ، فضلا عن اشتهار تلاميذه بالابحاث والتجارب، وحملهم رسالة استاذهم ، والسير بها قدما في سبيل انجاحها وريادتها وسيادتها .

والواقع ، انه برز من بين هؤلاء التلاميذ : « بيير جانيه » وتفوق على اقرانه بدراسة الاضطرابات العصبية ، كما فعل استاذه ، واضاف اليها عام تسعين وثمانمائة بعد الالف ، انه يمكن تحت تأثير المغناطيس ، أن يتذكر المريض حوادث لم يكن بمقدرته ان يتذكرها في اثناء اليقظة .

واستمر « بيير جانيه » يدرس انواعا متعددة غير « الهستريا » من الامراض العصبية كأنواع الخوف من الاماكن المغلقة ، او الاماكن الخالية ، وحالات الخجل الشديد ، او قصور النفس ، حتى اكتشف ان هذه الاضطرابات تزول باكتشاف سببها الاصلي وملابساتها التي احاطت بها ، او كانت سببا في حدوثها.

وقد ظهر بعد « جانيه » علامة آخر ، هو « فرويد » الذي عاش ودرس في « فيينا » وذاع صيته من هذه العاصمة ، التي اصبحت تعرف به ، او احتضنت هي علمه وتبنت نظرياته التي ضرب بها المثل ، وهي عنوان الاصالة ، ومرتقب الانظار .

كان « فرويد » يشتغل بالطب ، ويهتم بالجزء العلمي منه ، فلما سمع بمدرسة باريس ، سافر اليها ، واعجب ايما اعجاب بأبحاثها في التنويم المغناطيسي كعلاج للهستريب

وفي اثناء استماعه دروس « شاركوه » وانصاته لنظرياته ، علقت بذهنه كلمة قالها هذا العالم، او هي نظرية من النظريات الكثيرة التي تناولها « شاركوه » في بحوثه واستنباطاته وتعريفاته : « ان اساس الاضطرابات العصبية « الهستريا » اضطراب في حياة الشخص الجنسية في الماضي » .

وما من شك ، في ان هذه الفكرة ، او هذه النظرية ، كانت موضع ابحاث « فرويد » المستقبلة التي قلبت علم النفس راسا على عقب ، فحين عاد « فرويد » الى « فيينا » بعد سنة قضاها في باريس، وبدأ علاج الحالات العصبية ، وبخاصة الهستريا ، مستعملا التنويم المغناطيسي كطريقة اساسية ، وجد بعض الصعوبات في تنويم بعض الاشخاص ، ثم وجد كذلك : انه اذا نجح في تنويم بعضهم ، فان البعض الآخر ، لم يشف في كثير من الحالات ، فدفعه هذا الى ان يذهب الى « نانسي » ، ويتحمل المشاق في سبيل انتظامه في مدرستها ، وتلقى كثيرا من دروسها .. وجد « فرويد » مذهب هذه المدرسة : انه لا يمكن تنويم اي شخص عادي ، تنويما مغناطيسيا ، وانه يمكن أن تزول الامراض العصبية الى درجة كبيرة بالايحاء ، تحت تأثير التنويم المغناطيسي .

ولكن « فرويد » علم سر نجاح هذه المدرسة في نظرياتها من الاطباء انفسهم الذين يقومون بهذه العلاجات ـ علم : ان هذا النجاح يرجع الى معالجة الطبقات الفقيرة غير المتعلمة ، وهي القابلة دائما للايحاء بسرعة كبيرة ، على حين كانت عيادة « فرويد » في « فيينا » لا يؤمها غير جماعة الاغنياء من المتعلمين ، ذوي الدرجات العالية من الكفاية العلمية ، والذكاء النادر ، وهم بالضرورة ، غير قابلين لهذا الايحاء النفسي بنفس الدرجة التي عليها اهل الطبقة الاولى ...

وعندما عاد « فرويد » الى « فيينا » ، كان عليه ان يمضي في احد طريقين : اما ان يأخذ بتعاليم مدرسة « باريس » واما ان يسلك نفسه في تعاليم مدرسة « نانسي » ، حتى ينجح او تكتب لنظرياته البقاء ، غير انه اخذ يتأرجح بين النجاح والفشل ، او الوصول الى القمة ، او الهبوط الى القاع ، حتى تعاون معه صديقه الطبيب « بروير » وبعد جهد في دراسة كثير من هذه النظريات ، توصلا الى طريقة اوحت بها

واستنتجنا من دراسة الواقع الزوجي بالمغرب ضرورة اعادة هذه السلطة للحكمين على مذهب مالك ، كما راينا كيف ان القانون المصري — على نقيض القانون المغربي — اخذ براي المالكية فى هذه المسألة بعد ما كان العمل فيها بمحاكم مصر الشرعية على مذهب ابي حنيفة . وهذا كله دليل على ان التحكيم كان ولا يزال موضع مد وجزر بين نظريات فقهاء الاسلام وان هذه التقلبات مردها الى ما تمليه الحاجة وتفرضه الضرورة تمشيا مع التطورات الاجتماعية ومع التعقيدات الطارئة على العلاقات البشرية .

ونفس التقلبات نلاحظها فى تطور التحكيم في القانون الغربي ، فلم يستقر راي المشرع الفرنسي والمحاكم الفرنسية على الاخذ بالتحكيم الارادي وبقاعدة الشرط التحكيمي (1) فى عدة مواد الا بعد فترة طويلة من التردد والتزام الحذر ، وكان الباعث على ذلك هو اهتمام فقهاء القانون بمسألة استفحال امر التحكيم واتجاههم للحد من استعماله خشية طغيانه على سلطة القضاء ، الا انه لم يكن بد من اللجوء اليه لمسايرة التطورات البشرية فى شتى المجالات الخاصة والمبادلات التجارية وفى عدة مواد تتسم بطابع التقنية .

وظل المشرع الفرنسي اثناء هذه التجربة الطويلة ياخذ بالاحوط فى مجال التحكيم فلم يجعل له مكانا ثابتا فى مدونات القانون الخاص الا بعد التصويت على قانون 18 ابريل سنة 1946 حيث افرغت نصوص التحكيم فى قوالب جديدة .

وبعد ، فما هي اصول التحكيم وما هي المراحل التي قطعها ؟ .

أصل التحكيم ومشروعيته فى الفقه الاسلامي

اذا نحن بحثنا عن اصول التحكيم فى الشرع الاسلامي نجد ان الفقهاء استخرجوها من عدة آيات كريمة سنتناول منها على الخصوص ما ورد فى سورة المائدة فى شأن تحكيم الاساقفة اليهود للنبي (ص) في امر زانيين يهوديين ، وقد يصعب على الباحث ان يعثر على حديث فى التحكيم الا ملجأ فى شأن القاضي شريح العراقي وابيه هانيء فيروى ان النبي عليه السلام لما وفد لى هانيء هذا مع قومه سمعهم وهم يكنونه « ابا الحكم » فدعاه رسول الله وقال : ان الله هو الحكم واليه الحكم فلم تكنى — ابا الحكم — ؟ فقال ان قومي كلما اختلفوا فى شيء أتوني فحكمت بينهم فارض كلا الفريقين .... فقال عليه السلام : ما احسن هذا . فمالك من الولد ؟ قال : لي شريح وعبد الله ومسلم ، فقال : فمن اكبرهم ؟ قال : شريح . فقال له عليه السلام : فانت اذن ابو شريح (عوض ابو الحكم) ودعا له ولولده .

فكان اصل التحكيم ومشروعيته فى الفقه الاسلامي قوله تعالى مخاطبا رسوله عليه السلام فى سورة المائدة: « فان جاؤوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين ، وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك؟ وما اولئك بالمومنين الآية .. »

روى مالك ومسلم والترمذي ان هذه الآية نزلت اليهود لما جاؤوا الى رسول الله (صلعم) وحكموه في شأن رجل وامراة منهم زنيا . فقال لهم عليه السلام ما تجدون فى التوراة فى شأن الزانيين ؟ قالوا نفضحهم ويجلدون ، فقال عبد الله بن سلام : كذبتم ، ان فيها آية الرجم فائتوا بالتوراة . فاتوا بها فوضع احدهم يده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده فاذا آية الرجم تلوح .. فقالوا : صدق يا محمد ، ان فيها آية الرجم ، فأمر رسول الله برجم الزانيين .

وفى رواية ابي داود عن جابر بن عبد الله انالنبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : ائتوني بأعلم رجلين فيكم ، فجاءوا بابني صوريا ، فنشدهما الله كيف تجد ان امر هذين فى التوراة ؟ فقالا : نجد فى التوراة اذا شهد اربعة انهم راوا ذكره فى فرجها كالمورد فى المحكمة رجما . فقال : فما يمنعكما ان ترجموهما ؟ قالا : ذهب سلطانا فكرهنا القتل فدعا النبي (صلعم) بالشهود فجاؤوا فشهدوا ...... فامر برجمهما .

وقد تركت الآية الكريمة الخيار للامام ان شاء حكم بين اليهود وان شاء اعرض ، ولذلك انفذ عليه السلام الحكم بينهم ليحقق تحريفهم وتبديلهم وتكذيبهم ما فى التوراة : « يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير . »

---

(1) Clause compromissoire

التحكيم في الفقه والقانون



الأستاذ الحسن الحيوني

- 3 -

اصول التحكيم وتطوراته :

رأينا فى البحثين المتقدمين ان التحكيم كمؤسسة للتقاضي كاد ان يصبح على جانب من الخطورة لولا ان القانون قيده بعدة قيود وان فقهاء التشريع حصروه فى نطاقات معينة خشية ان يطغى اثره على القضاء الذي هو المؤسسة العامة لاقامة العدل . كما اشرنا الى ان التحكيم يتوفر على عدة مزايا متجسمة فى سرعة قراراته وفى قدرته على حل المشاكل ذات الصبغة التقنية .

لقد عرف الانسان التحكيم قبل ان يعرف القضاء، وبالرغم من ان المجتمعات المنظمة نصبت القضاة واحدثت المحاكم لاقامة العدل بين الناس ، فقد ظل التحكيم ملجئا نافعا لفض اصناف النزاعات على طريقة تخفف من مشقة الترافع وتضمن الوصول الى حلول عملية يرضاها الخصوم . ذلك أن التحكيم نابع من الحاجة والضرورة ولم يكن قط وليد فكرة او فلسفة. والمتتبع لتطور التحكيم فى الفقه والقانون يرى ان التحكيم نشأ وتطور مع التطورات الاجتماعية والاقتصادية وساير المتطلبات والتقلبات البشرية ، فكان بذلك محط انظار الفقهاء عبر العصور سواء في الشرق أو فى الغرب ، واستهدف الى حركة مد وجزر غيرت وجهه ونقحت مواده فى سلسلة من المجلدات المذهبية والمدونات القانونية .

والدليل على ذلك مدى الخلاف القائم بين ائمة المذاهب الفقهية حول صفة المحكمين وقوة الاحكام التحكيمية ، فقد راينا ان المالكية ينزلون المحكمين منزلة القضاة ويعطون لاحكامهم قوة الشيء المقضى به بينما المذاهب الاخرى ـ من شافعية وحنفية ـ تعتبر حكم المحكمين على وجه الشهادة او الوكالة ، كما ان هذه المذاهب على اختلافها غير متفقة فى الراي حول لزوم حكم التحكيم ، فأبو حنيفة ومالك متفقان في اللزوم ، والشافعي لا يجيزه ، وبذلك يمكن القول بان فقهاء الاسلام نظروا الى التحكيم نظرة حذر واتجهوا فى تطبيقه اتجاهات لم يكن الفرض منها فحسب هو التخفيف عن القاضي وعن الناس من مشقة الترافع او الرغبة فى ايجاد الحلول الناجعة لشتى النوازل ذات الصبغة الخاصة المتسمة بنوع من التعقيد ، بل اجتهدوا ايضا لحصره فى نطاقات معينة وقيدوه بشتى القيود خشية طغيانه على سلطة القضاء لان الاسترسال على التحكيم فى نظرهم « خرق لقاعدة الولاية ومؤدي الى تهارج الناس » .

وقد شرحنا فى البحث المتقدم كيف ان القانون المغربي تأثر فى مدونة الاحوال الشخصية بمختلف آراء الفقهاء فى مجال التحكيم فاخذ حديثا براي الشافعية حول المهمة المسندة للحكمين فى النزاعات الزوجية بينما كانت هذه المادة خاضعة فيما سلف لمذهب المالكية . وكان الهدف من هذا الاتجاه الجديد هو تجريد الحكمين من سلطة الحكم بالتفريق بين الزوجين .

اصبح العمل باشتراط التحكيم لاغيا بحكم المحاكم على اثر قرار الغرفة المدنية الصادر بتاريخ 10 يوليوز 1843

منذ ذلك لحين عاش التحكيم بفرنسا فترة كاد ن يختفى فيها أثره ، الا ان متطلبات الانقلاب الصناعي والحركة التجارية والبحرية التي عرفتها بعض دول لعالم فى نهاية القرن التاسع عشر الفتت من جديد انظار المشرع الفرنسي الى اهمية التحكيم ، ومع ذلك فلم يستقر راي المحاكم بفرنسا على الاخذ باشتراط التحكيم فى العقود التجارية الا بعد انصرام فترة طويلة من التردد والمد والجزر وكان ذلك باعثا للبرلمان الفرنسي على التصويت بتاريخ 31 دجنبر سنة 1925 على قانون اضيفت بمقتضاه فقرة جديدة للمادة 631 من المجلة التجارية بجواز اشتراط التحكيم فيما قد ينشأ من نزعات بشأن تنفيذ العقود التجارية .

ومنذ ذلك العهد اتخذ المشرع الفرنسي التحكيم الارادي او الجبري وسيلة لفض عدة نزاعات (1) ، الا ان اجتهاد المحاكم الفرنسية لم يقر لشرط التحكيمي فيما عدى العقود الخاصة بالتامين البحري ، وبالالتزامات والمبادلات التجارية والاتفاقيات الجماعية للشغل ، والنزاعات الناشئة بين الشركاء المشاعين فى العقارات (2) ففي كل هذه المواد صدرت نصوص جديدة لتنظيم الشرط التحكيمي وتقنينه مما يجري به العمل فى الحاضر .

وهكذا عرف التحكيم بفرنسا منذ عهد غير بعيد انطلاقته القاية التي لم يكن الداعي اليها أتصار فكرة او تلك ولكن لانها كانت نابعة من الحاجة الماسة والضرورة الملحة . (3)

بعد هذه اللمحة الخاطفة عن اصول التحكيم وتطوراته فى الشرق والغرب وبعد ان اتينا على أهم المبادىء العامة فى ميدان التقاضي بطريقة التحكيم وعن بعض المقارنات سواء فى مجال التشريع او القضاء ، وابرزنا عدة جوانب متشابهة واخرى غير متشابهة ، فهل لنا ان نستخلص شيئا مما قدمناه لنصل الى تخطيط صورة واضحة عن مؤسسة التحكيم فى القانون المغربي ؟

ان ما نستخلصه بكل وضوح هو ان المشرع سواء فى الفقه الاسلامي او فى القانون الغربي ، استقر رأيه على الاخذ بطريقة التحكيم فى ميدان التقاضي على ان ينحصر مجاله فى نطاق معين ، وان يخضع لمسطرة دقيقة للحد من سلطة المحكمين ، وان تخضع الاحكام التحكيمية لمراقبة القضاء مع توفير وسائل الطعن ؛ وسنرى فى ابحاث اخرى كيف عالج المشرع المغربي كل ذلك ، محاولين القاء نظرة فاحصة على اجتهاد المحاكم وسرد بعض الامثلة التطبيقية تعميما للفائدة

مكناس : حسن الحجوي

---

1) انظر على الخصوص قانون 28 يونيه 1948 بشأن العقارات المشاعة وكذا قانون 18 ابريل 1946 حول الملكية التجارية .

2) راجع « هامل » الشرط التحكيمي فى العقود التجارية :
Hamel : La clause compromissoire dans les contrats commerciaux

3) طالع تاليف « جان روبير » فى موضوع الحاجة الى التحكيم ومنفعته فى بعض الميادين ، الطبعة الثانية سنة 1955 .
Jean Robert : Traité de l'arbitrage civil et commercial en droit interne.

وبالرغم من ان انفاذ الحكم بين اليهود كان حق الاساقفة فان الامام اذا حكمه اهل الكتاب جاز انفاذه للحكم ولا يلتفت الى الاساقفة ، فيكون من باب الاحروية انه ان حكم مسلمان بينهما رجلا نفذ حكمه من دون ان يعتبر رضا الحاكم ، اذ الحكم ليس بحق للحاكم على الناس وانما هو حق للناس عليه وهكذا لما حكم الكتابيون النبي (صلعم) نفذ عليهم الحكم ولم يكن لهم الرجوع فيه ، وكل من حكم رجلا فاصله هذه الآيــــة . (1)

ولما كان سند المالكيـة فى حكمـة مشروعيـة التحكيم هو المبدا الذي يقضي بان الحكم بين النــاس انما هو حقهم لا حق الحاكـم وكان الاسترســال على التحكيم خرقا لقاعدة الولاية ومؤديا الى تهارج الناس امر الشرع بنصب فاصل وهو القاضي ليحسم قاعدة الهرج وفى نفس الوقت اذن فى التحكيم تخفيا عن القاضي وعن الناس فى مشقة الترافع لتتم المصلحتان وتعــم الفائدة فكان هذا المبدا اساسا لقول مالك : « اذا حكم رجلا فحكمه ماض ، وان رفع الى قاض (اي فى حالـة الامتناع) امضاه الا ان يكون جورا بينا . ومنه قاعدة سحنون « يمضيـه ان رآه » « اى ان كـان موافقـا للشرع » ، وفسره ابن العربي « وذلـك فى الامـوال والحقوق التي تختص بالطالب فاما الحدود فلا يحكم فيها الا السلطان والضابط » . فيؤخذ من ذلك ان كل حق اختص الخصمان به جاز التحكيم فيه ونفذ تحكيم المحكم به ، وهو نفس المعنى الذي ورد فى الفصل 527 من قانون المسطرة المدنية الذي ينص صراحة على ان لكل الاشخاص ان يتفقوا على التحكيم فى الحقوق التي يملكون التصرف فيها ، ولا يجوز التحكيــم فى .... المسائل التي تتعلق بالنظام العام الخ ... وفى المجلة التونسية : « فى الامور المتعلقة بالنظام العام ... وفي كل النزاعات الاخرى الواجـب عرضهـا على النيابـة العموميــــة » .

ويتفق ابو حنيفة مع مالك فى لزوم حكم التحكيم « بشرط ان يوافق حكم قاضي البلد » . اما الشـافعي وان كان يجيز التحكيم فهـو لا يقول بلـزوم الحكـم التحكيمي ، فهذا فى نظره انما فتوى لانه « لا يقدم آحاد الناس على الولاة والحكـام ولا ياخـذون الولايـة من ايديهم » . فيتضح من مقارنـة المذاهـب الثلاثـة ان المشرع المغربي اتخذ موقفا وسطا بان قنن مادة التحكيم تقنيا ضيقا واخضعها لمراقبة القضاء وقرر بان حكـم التحكيم لا يلزم الخصوم الا بعد اضفاء الصيغة التنفيذية عليه من طرف رئيس المحكمة ، وقد تقدم شرح ذلـك فى الجزء الاول من هذا البحث (2) .

هذه لمحة عن اصل التحكيم ومشروعيته فى الفقه الاسلامي :

اما فى القانون الفرنسي ، فالبرغم من ان التحكيم كان متداولا بين الناس لفض اصناف النزاعـات وان اللجوء اليه كان امرا طبيعيا عايش الضرورة والحاجة، فانه لم يصبح مؤسسـة ذات اهمية ولم يعتبره المشرع الفرنسي وسيلة مشرعة من وسائل التقاضي ولم يعره فقهاء القانون عنايتهم الا بعد ان قضى به مرسوم 16 غشت سنة 1790 فكانت اول بادرة لتقنين التحكيـم الارادي .

وبعد ذلك قضى مرسوم 10 يونيه 1793 بالتحكيم الاجباري فى عدة مواد وبالاخص فى المنازعات المتعلقة بعقارات الدولة والممتلكات الجماعية . وادى ذلك الى ادراج عدة نصوص جديدة بمجلة المرافعات المدنيـــة لتقنين التحكيم الارادي ؛ ولئن كان قانون المسطرة لم يفرض قط اللجوء الى التحكيم ، فان بعض ابواب المجلة التجارية نقحت بكيفية اصبحت معها عدة مواد خاضعة للتحكيم الجبري ، وهكذا قضت الفصول 51 الى 63 باللجوء اجباريا الى طريقة التحكيم فى جميع المنازعات الناشئة بين الشركاء بشأن الشركة، الا ان هذا الاجراء اثار عدة انتقادات ومعارضة شديدة ادت الى الغائـه بمقتضى قانون 17 — 23 يوليوز 1856 ، ومع ذلك فقد اكدت المادة 332 من نفس المجلة مقتضـى اشتـراط التحكيم فيما قد ينشأ من نزاعات حول تطبيق العقود الخاصة بالتامين البحري ، اى التنصيص بتلك العقود على لزوم اتفاق المتعاقدين لعرض ايـة منازعة تثـار بشأن تنفيذها على محكمين ... وبالرغم من ذلك فقد كان منهج اجتهاد المحاكم الفرنسية يميـل الى رفض الشرط التحكيمي فى مي عقد من العقود الى حـد از

---

1) راجـع تفسيـر ابن العربي صفحة 257 .

2) انظره تحت عنوان : « المعنى الشرعي والقانوني للتحكيم » دعوة الحق ، العدد 6 ، السنة 10 ، صفحة 55 — راجع ايضا كيف تذيل صكوك التحكيـم من طرف قضاة الاحوال الشخصية لاعطائها الصيغـة التنفيذية ، « الحمد لله بعد عرض صك التحكيم على سيادة من يجب واطلاعه عليه ظهر له انه جار على السند الشرعي فامر بامضائه والعمل بمقتضاه »

اضعنا بني الاسلام وحدتنا التي ... يقام عليها مجدنا ونشيد
فان رمتم فى الارض عزا توحدوا ... فكم نيل بالتوحيد عز وسؤدد

* * *

ويا قادة العرب الكرام الى متى ... يطيب لنا في الذل مرعى ومورد
وتلك أراضيكم تضج لحالها ... يعيث بها الباغي الحقير ويفسد
وفي المسجد الاقصى بأول قبلة ... تهدم آثار ويحقر مسجد
وتلك فلسطين الشهيدة كلها ... ارامل أيتام شيوخ تشردوا
يلاقون من خسف العدو ومكره ... مآسي لا يقوى على حملها الصلد
وفي قبة الصخراء حيث « محمد » ... الى الافق الاعلى ينادي فيصعد
نرى زمرة الاوغاد شر عصابة ... تهدم منها ما تشا وتبدد
سماحا اذا ما قلت حقا بأننا ... على مسرح الاحداث لغز معقد
فما انا الا مخلص لعروبتي ... ولي في بيان الحق قول ومقصد

* * *

ايا ابن رسول الله يا خير من دعا ... الى الوحدة الكبرى تصان وتعضد
مساعيك يا مولاى يرجى نجاحها ... لانك يا مولاى تسعى وتجهد
وانت لعمر الحق أول من رأى ... بأن اجتماع العرب أمر مؤكد
فدم افقا للدين والعرب جامعا ... تؤمك آمال الشعوب وتقصد
وعيدك يا مولاى عيد مبارك ... سعيد على مر السنين يجدد
رعى الله يا مولاى أسرتك التي ... يعز بها الشعب الوفي ويسعد
سترفل في عز يواقيت عرشنا ... وشبل امير المؤمنين « محمد »

الرباط : عبد الرحمان الدكالي
السبت 11 ـ ربيع الاول 1388

ذكرى وعبرة

للأستاذ الشاعر عبد الرحمن الدكالي

هو الله يا خير الورى لك يشهد ... بانك محمود وانك « احمد »

سما بك في القرءان وصف مرتل ... فأنت عظيم الخلق انت « محمد »

فما النور الا نور هديك في الدنا ... وما الحق الا ما حييت تردد

وما زال شمسا فى الورى دين «أحمد» ... وان كان ضوء الشمس بالكفر يجحد

ويا خير خلق الله منذ تركتنا ... وآثرت لقيا الله والدين يصمد

توالت على الاسلام بعدك اعصر ... يعزبها الاسلام طورا وينكد

ففي عهد « صديق » تعاظم شأنه ... وفي عهد فاروق يسير فيبعد

اتم له النصر المبين على العدا ... وفي كل يوم مجده يتجدد

سلو «قيصرا» عنهو «كسرى» وفارسا ... فما فيهم لله الا الموحد

هل البأس الا بأسه وثباته ... او العزم الا عزمه والتجلد ؟

او الدين الا ما راوا من جهاده ... وما كان من جد يقيم ويقعد ؟

* * *

لئن كانت الذكرى احتفالا بمولد ... تصاغ لها الامداح في الارض تنشد

فان لنا فيها اذكارا وعبرة ... نسدد فيها راينا ونحدد

وننظر للاسلام دين « محمد » ... اما زال هذا الدين فى الارض يحمد ؟

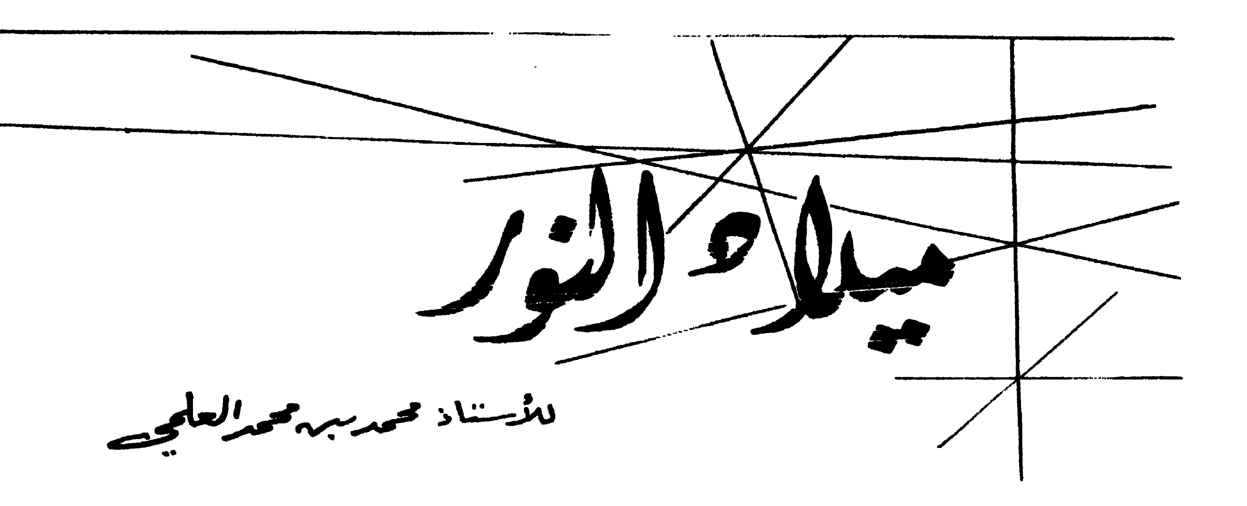
افي امة الاسلام عزم وقوة ؟ ... افي امة الاسلام راي موحد ؟

أمولد هادى الخلق مولد امة ... يصان بها الاسلام دوما ويسعد ؟

فانعم بها ذكرى تطيب لامة ... موحدة ، للحق تهفو وتغضب
لقد كان حب الخير يحفز سيرنا ... وفي قلبنا روح بذلك مشرب
فيا حبذا اوطاننا في كفاحها ... وقد بارك الرحمن ماهي تنجب
ومرحى بميلاد الرسول وعزمه ... وطوبى له ، وهو الهمام المدرب!
الم تك ذكراه الحبيبة بلسما ... تضمد جرح المخلصين وتراب ؟
الم يكفه فخرا ومجدا وصولة ... بأن حفه من هيبة الله موكب ؟
لقد كانت الاشواق تحرق اكبدا ... فما خاب في آماله المترقب
لئن لعب الباغون واشتد كيدهم ... فما كانت الاقدار تلهو وتلعب
تهون حياة المرء ان ضاع مجده ... وتحلو كؤوس للمنون وتعذب
لقد ولد العيد السعيد خلاصنا ... فراح يباهي الشرق بالعز مغرب
وما الفضل الا للمليك وسعيه ... فنحن له الابناء وهو لنا اب
ومرحى بعيد كان للناس عبرة ... فنحن به بين الانام نرحب
ونحن به صرنا من الكون امة ... لها شوكة بين الخلائق ترهب
وان لنا في العيد طيبا نشمه ... فأحبب به عطرا الى العرش ينسب
وروح رسول الله نشوى بعاهل ... تحدر منها ، وهو في النصر يطرب
وفي (الحسن الثاني) من المجد امة ... ارى الدهر من آياتها يتعجب

ذكرى حلوة ، ومعجزة كبرى

لقد كان ميلاد النبي محمد ؛ ... يبشر بالخير العميم ويعرب
يباركه فوج الملائك غدوة ... وجبريل من لالائه يتهيب
ففيه من الذكرى حلاوة وقعها ... وفيه من التاريخ فصل محبب
الم تر مثلي يا اخي الجو دافئا ... وفيه حياة كلها تتكهرب ؟
الم تر مثلي حولك العطر عابقا ... الم تشهد الاجواء والارض ترجب؟
اشاهد في عيد النبي محمد ، ... من الفن الواحا تروق وتخلب
وامعن في التفكير حتى كانني ... اشاهده روحا من الروح يقرب
فلبيك يا تاج الانام وكنزهم ... ويا باعث الآمال حين تخيب
خبت نار كسرى حين اصبحت مشرقا ... فآمن في انجيله المترهب
ويا منقذ الدنيا ، وناشر سلمها ... اذا ما دهاها في الرزية مخلب
ويا قاهر الشرك البغيض وقومه ... ويا كاسر الاصنام ، والكفر عقرب
لقد كنت برا راحما متمسكا ... بملتك السمحاء ، ان راغ ثعلب
ورمت (حراء) في انفراد وخلوة ... فكان عليك الوحي في الغار يسكب



عــواطف شاعــر مسلــم :

أرى الشعر اسمى ما يقال ويكتب ، فكم ينجلي بالشعــر شك وغيهب
أصور نفسي فى القريـض صراحـة كمـا يأمر الوجدان ، والطبع اغلب
وان لسانـي كالحسام صرامـة ، وهل ترجمان القلب يعمى ويكـذب؟
ومن مارس الايـام مثلـي ، فانـه يشا[illegible] نعم المؤدب
تساورنـي فى ثورة النفس هـزة ومـا الحـر الا همـة تتوثـب
وليس دليـل الحـر الا ضميـره اذا اصبحـت ارزاؤه تتـألـب
فنعم الضمير الحر صوت مجلجـل ونعـم الضميـر الطب والمتطبب
ومـا قيمة الدنيـا بغير ضمائـر عن الحـق لا تلـوي ولا تتنكب؟
اذا كان في شـر النفوس وبغيهـا شقـاء لها ، فالحـق لا يتحجـب
رجوعا الى النهـج القويم ، فانـه اعـز مجـال للنفـوس وارحب
اذا شاب قلبـي فى ربيـع شبابـه فان بـلادي فى الحـوادث اشيب،
ولكنهـا فى مفـرق الدهـر درة وفي طفـرة التشييد تسعى وتداب
لكـم رماها كيد الاعـادي سفاهـة ولكنهـا فى نصـرة الله تضـرب
وقـد شرقوا فى كل نـاد بكذبـة فمـا افلحوا لمـا تناجوا وغربـوا
لئن كان الاستعمار لم يقض مأربـا فنحن لنا الايمـان بالنصر مـأرب
سلام على نـور النبـي محمـد فقـد مـلأ الدنيا ، وخاب المكـذب
وفي المغرب الاقصى من العيد نشوة مبـاركـة فـي ظلهـا نتقلـب
هـو العيد يملي في البلاد دروسـه ويضرم روحـا في الشباب ويلهب

وما رمت الا الحق تنشر نوره — فما كان يغويك البنان المخضب
وقابلت اهل الظلم بالحلم والحجى — فاصبح صرح البغي يهوى ويعطب
لقد حفظ التاريخ منك روائعا — وانصتت الدنيا لما انت تخطب
وتربية الرحمن عز منالها — وانت بها فوق الورى تتجلبب
غزوت قلوبا لا جسوما ، فاسرعت — اليك تروم الصلح بكر وتغلب
وشرفت في الانساب نسبة هاشم — فباهت بدين الله في الكون يعرب
و (مازيغ) بالاسلام يزداد نخوة — وذاك لعمري ما يشوق ويعجب
يوحدنا الاسلام قلبا وقالبا ، — وتاريخنا آياته ليس تحجب

* * *

توحدت الاضداد فى حب مرسل — الى الناس طرا ، فى الهداية يدأب
ولولاه لارتد السلام مهددا — بتلك الدماء الحمر اذ تتصبب
فيا ايها المبعوث بالحق شرعة — الا تلهم الدنيا سلاما يحبب؟
لقد اصبح الانسان ينحر نفسه، — فهذي دماه فى البرية تشخب
وقد سخر العلم الرفيع لغاية — تهدد أمن العالمين وتنشب
وقد ختم الصاروخ سيرا موفقا — الى القمر العالي ، وفاز المصوب
نسير الى غزو الفضاء بهمة — تجاوز أجواء الثريا وتعقب
لقد ضاقت الارض الرحيبة بالورى — فراموا من العلياء مثوى يقرب
الى اين نمضي والسلام مهدد ؟ — الى اين نسعى والبناء مخرب ؟
فاما سلام فى الوجود جميعه — واما فناء ناره تتلهب
أمانا رسول الله ، ان قلوبنا — على فرق ، ترجو ولا تتريب
امانا حبيب الله ، ان نفوسنا — لها ثقة في العفو ، لا تتهيب
أرى النور فى الصحراء قد لاح فجره — وقد زعموا الصحراء تقسو وتجدب
الا يا رسول الله ، ها انت واحة — ثراها زكي بالنضارة طيب
اتيت فكان اليمن فيك سجية — واي بلاد من بلادك اخصب ؟
فكل فؤاد انت نبض حياته — وانت على العلياء تاج مذهب
وانت ربيع العالمين جميعهم — وان انكر الاسلام جهل مركب
فشكرا على ما ابديته من رشاقة — وانت الصريح المستفيد المجرب
يباركك الله العظيم بلطفه — وليس لما ابرمته من يعقب
فياحبذا دين النبي محمد — وقد جاء فى خير البرية يرغب

وما انت الا الطيب ينشر عرفه / وذكرك في كل المجالس طيب

تأملت في سر الحياة وفنها / وكنت عن الحق الصراح تنقب

جمعت جمال الكائنات جميعها / وصرت على هام الخلود تنصب

تحملت من شر العداة ومكرهم / صنوفا ، فلم يجذبك في الغي مذهب

اتتك من النصر المبين كتائب / تفل طغاة في الضلال تحزبوا

وحاشاك يا نبع الهداية والتقى / فانت لدين الله والحق تجذب

دعوك امينا في الشباب فلم تخن / وانت الى الامثال في الناس تضرب

وجدت امام العين شعبا مفككا / عقائده في غيها تتشعب

فقمت تنادي القوم لله جهرة / فلامك منهم جاهل متعصب

وانفسهم لم تقبل النور هاديا / فكانت مع الاهواء تطفو وترسب

وكم نصبوا احبولة لم تفدهمو / فان مراس الحر فى الناس يصعب

وكم قتلوا او شردوا من موحد / فما هم تحاشوا مؤمنا او تأدبوا

وليس يفيد العجب قوما تنكروا ، / اذا ما انجلى في الحادثات المسبب

لقد طلبوا امرا تعذر نيله / وقد حقق الرحمن ما انت تطلب

أرى الحق يسمو في سمو جنوده / فيبقى عزيزا ، والاباطيل تذهب

دعوت لدين الله والفطرة التي / تسامت ، فما فيها افاد التعصب

وجئت بقرآن حكيم منزل / بلاغته آياتها تتلهب

فقد اعجز السحر البليغ بيانه / واسراره في الروح لا تتغيب

وهاجرت ارض الذل من بعد محنة / فلاقتك في الافراح والانس يثرب

تمكنت كالطود العظيم ثباته / فما كنت تشرى بالوعود وتجلب

تغربت في الحق الصراح ترومه / وي حبذا من في العلا يتغرب

ولم تفد الكفار ادنى دعاية / ولكنهم صفر الاكف واذؤب

وفي ثورة البحر الغضوب تلاحقت / من الحق اجناد تضج وتصخب

وشيدت للاسلام مجدا وعزة / وقد كنت للشرك اللعين تخرب

واصبح هذا الكون كالروضة التي / تطهر من اغصانها وتشذب

وعلمتنا معنى الاخا ، وبعثتنا / من الخب قوما بأسهم متهيب

ولقنتنا معنى الثبات وسره / فانت الذي في الحق لا تتذبذب

وكنت لنا في الله احسن اسوة / وانت زلال سائغ منه نشرب

لقد عكر الالحاد صفوا لامة / بعثت بها ، فانزاح وحل وطحلب

ودينك دين العالمين سليقة / وروضته ازكى لنفسي وارحب

في ظلال القرآن سيدنا ...

للاستاذ الشاعر أحمد بن أبي شعيب الدكالي

اي نور أنار هذا الوجودا ... عظم اليوم عظم المولودا

اي شعر ابثه في نبي ... كان في الارض والسما محمودا

اي لفظ يبين عن كنه نفسي ... فأصوغ القريض والتمجيدا

ليت شعري باي لفظ احييـ ... ـه وقد نال رفعة وخلودا

مدحته آي الكتاب واني ... لفصيح بأن يكون مجيدا

غير اني أروم مدحا واشدوا ... بقصيدي واستطيب النشيدا

سعد الخلق كله برسول ... اذ غدا الكل بالسعيد سعيدا

فاشد ذا اليوم بالرسول ومجد ... مصلحا قائدا وشهما مجيدا

سيف حق وخاتم الرسل طودا ... مشمخرا وعبقريا فريدا

قدسته الاملاك والرسل طرا ... وحباه الاله عزا تليدا

كان للكل رحمة واصطفاه ... رب كل العباد درا نضيدا

صفوة الخلق سيدا وكريما ... عربيا ارومة وجدودا

قد دعا الخلق كله لرشاد ... حى فيه النهى وحين جودا

واتانا بدين حق وعدل ... هو دين على المبرة شيدا

لم يشأ للعباد شركا وجهلا ... ونزاعا واثرة وجمودا

بل دعا الكل لاتحاد صفوف ... وحبا الكل قوة وصمودا

ونهى الكل عن عبادة قوم ... عبدوا الغير قسوة وجحودا

داعيا مرشدا امام هداة ... ومنيرا لنا الطريق الرشيدا

اعبدوا الله وحده واشكروه ... وانشدوا الهدي واطلبوه المزيدا

دعاء وابتهال :

فيا رب اني بالنبي وآله ... اليك دواما بالحشا اتقرب

بعثت شفيع العالمين محمدا ... ومنه اهتدى عرب وترك وصقلب

وفضلك عم الكائنات باسرها ... فما خاب للقصاد عندك مطلب

الهي ان عز النصير فحالتي ... كما انت تدري حالة ليس تعزب

الهي ان حم القضاء فانت لي ... امان ، وحمدي فى جنابك اوجب

اذا كنت ترضى فالحياة لذيذة ... وليس لنا تقضيه فينا تقلب

بحكمك تبدوالشمس فى الصبح للورى ... وتحجبها عند المساء فتغرب

وتحيي مواتا فى البلاد سحائب ... تجود بها ، والروض يزهو ويعشب

لقد هالني صوت الضمير معاتبا ... واحسن ما فى النفس صوت يؤنب

الهي وحد في الاخاء صفوفنا ... ولا تدع الاحقاد تطغى وتغلب

تسربت الاطماع فى كل شيعة ... ولم ندر ما عن مكرها يترتب

ورحنا مع الاغراض صرعى ، وداؤنا ... عسير ، ولكن انت للحق ترقب

الهي الهمني البيان ، فانه ... قوام لما يشفي الصدور ويكتب

الهي انت المرتجى للمة ... اذا ما غدا وجه الخطوب يقطب

اعني على حمل الحقيقة صرفة ... يصورها مني اليراع المثقب

فرب شعور كانت الروح نبعه ... يلوح كما لاح الحسام المذرب

الهي نور بالصفاء قلوبنا ... فقد كانت الاحقاد داء يجنب

الهي بارك فى النبي وآله ... ومن كان للذات الشريفة يصحب

وسلم عليهم كلما حن طائر ... وسلم عليهم كلما انهل صيب

ودارك كسور المسلمين بجبرها ... فما كنت للآمال فينا تخيب

وخلص (فلسطين) الشهيدة ، انها ... علي مضض في قيدها تتقلب

وعمم سلاما فى الانام جميعهم ... فلطفك اجدى للشعوب واقرب

محمد بن محمد العلمي



للشاعر محمد العربي الشاوش

اقدم هذه القصيدة الى مقام حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله على صفحات مجلة « دعوة الحق » الغراء . وقد جادت بها القريحة بمناسبة زيارة جلالته لمدينة تطوان فى صيف سنة 1962 واحيائه بها ليلة المولد النبوي الشريف .

بدت فى السماء بدور السلام ... بمولد احمد خير الانام

وباتت جميع القلوب نشاوى ... بذكرى رسول الهدى والسلام

فلست ترى غير من يتغنى ... بذكر النبي الشفيع الامام

ولا تسمع الاذن الا صلاة ... عليه بلحن كسجع الحمام

فكم منشد بات يتلو ثناء ... على المصطفى ببديع النظام

وكم مادح بات يهدي اليه ... سلاما زكيا بكل انسجام

وكم عاشق بات من حبه ... عليه السلام بدون منام

يصلي عليه بكل خشوع ... ويرجو الشفاعة يوم الزحام

ويذكر في بهجة فضل من ... اتى بكتاب رفيع المقام

اتى بكتاب كريم مجيد ... فبدد نوره كل ظلام

واحي القلوب بحكمته ... واخلاقه مع بليغ الكلام

وبشر كل الخلائق ما ... ثناه عن السير زيغ اللئام

محا الشرك طورا بدعوته ... وطورا بطعن القنا والحسام

فاصبحت الارض طاهرة ... وامست انوف العدا فى الرغام

بشير نذير رؤوف رحيم ... حريص على الخلق كهف المضام (1)

---

1) كهف : ملجأ ــ المضام : المظلوم المقهور

واعملوا بالكتاب قولا وفعلا ... انه الحق قوة وصعودا
انه النور روعة وبهاء ... هو دستورنا الذي لن يبيدا
قد دعانا لعزنا وكفانا ... اننا فى سوى اتباعه لن نسودا
ودعانا لخير دين ودنيا ... كلنا نصطفيه ذكرا حميدا
حرر العقل والعقيدة نادى ... حرروا الرأي واجعلوه سديدا
اجمعوا أمركم بجد لتحيا ... امة تنشد الحياة الجديدا
امة ترهب العدو وترعى ... كل ما فيه عزها والعهودا
تنشر الامن والسلام وتسعى ... ان ترى الناس في البناء جنودا

* * *

في ظلال القرآن سدنا وكنا ... رغم انف العدو طودا عتيدا
وأباة ائمة وهداة ... عن حمى الحق والهدى لن نحيدا
قد حكمنا الشعوب بالعدل دهرا ... ورفعنا لواءنا والبنودا
وسعدنا بديننا واخاء ... وركبنا الحياة عيشا رغيدا
ما لنا قد اصابنا الذل حتى ... اصبح الاسد في البلاد عبيدا
ورمانا بالشر كل عدو ... واستبيح الحمى فصار وحيدا
طهر اللهم ارضنا من طغاة ... جعلوا الحق قوة وحديدا
طهر اللهم قدسنا من عتاة ... بيتوا الشر والخراب المبيدا
شردونا وامعنوا في اضطهاد ... قتلوا الشيخ والنسا والوليدا
رب رحماك اننا قد أهنا ... باختلاف وفرقة لن تفيدا
فاجمع اللهم شملنا باتحاد ... واخاء ؛ وفك عنا القيودا

الرباط : احمد ابن ابى شعيب الدكالي

فهيــا بنــي قومي وارنوا اليــه — تفوزون مــن وجهــه بابتســام

فمــن وجهــه البشر يشملكــم — ويذهب مــا بالحشا مــن سقــام

امــام البــلاد عليـك اعتمــادي — فــأنت المــلاوذ للمستضــام (10)

فــدم للبــلاد عزيــزا عظيمــا — وللشعــب تخطــو بــه للامــام

وزادك ربــك عــزا ومجــدا — وللمغــرب الحــر أبقــاك حــام

سلامــي عليكــم وحسن ثنائــي — وشكــري لكــم هو مسـك الختـام

تطوان ــ محمد العربي الشاوش

---

(10) الملاوذ : (بفتح الميم وكسر الواو) المـؤازر ـ المستضام : المظلــوم .



بهـي جميـل حليـم كـريـم امـام الشفاعـة فخـر الانـام

****

نبـي الهـدى وعميـد النـدى ويـا سيـد المرسليـن الكـرام
أغثنـي وكـن لي شفيعـا غـدا وحوضك فاسقني انـه طـام (2)
عليك مـن اللـه الـف صـلاة تنـور رمسي بيـن الرجـام (3)
والـف سـلام زكـي نـدي عليك مـن المخلـص المستهـام
هديـت القلوب انـرت العقـول بنـور اليقيـن وروح الوئـام
تركـت لنا الديـن نـورا بهيـا يضيء لنا فـي دياجـي الظـلام
يقـوم عليـه امـام همـام ويحميه صنو الملـوك العظـام (4)
حفيـدك هـذا المليـك المفـدى امـام الائمـة سبط الكـرام (5)
جميـع القلـوب لهيبتـه جثت ثـم حطت بكل احتشـام (6)
وباتـت تغنـي بأمجـاده وتشهـد انـه للديـن حـام
هـو العربـي الكـريـم الابـي هـو العلـوي سليل الامـام (7)
هـو المغربـي الزعيـم الكمـي هـو المرتجـى للامـور الجسـام
هـو العبقـري النبيـه الذكـي هـو المصلـح العدل راعي الذمـام
هـو « الحسن » المحسن المرتجـى لخيـر البـلاد ونيـل المـرام
لـه فى سبيل الحمـى خـدمات كشمـس تبـدت بـدون غمـام
لـه فى سبيـل النهـوض ايـاد تفوق نـدى حاتم ذي الخيـام (8)
تقـي نـقـي عليـه وقـار وطالعـه في سما السعـد سـام
جـواد كريـم وشهـم نبيـل فانعـم بـه مـن امـام همـام
امـولاي فضلـك حقـا عظيـم علينـا وبـرك كالغيث هـام (9)
فـايـن حللـت يحـل الهنـا وتغـزو السعـادة قلب الانـام
اتيـت لتطـوان فـي ليلـة لاحيـاء ذكـرى رسول السـلام
فأذهبت عنهـا الكـروب كمـا طلعـت عليهـا كبـدر التمـام
فطـوبـى لهـا بزيـارتكـم ونيـل رضاكـم وكـل اهتمـام

---

2) طعام : ممتلـيء فائـض
3) الرمس : القبر ـ الرجام : جمع رجمة وهي كتلة من الحجارة كناية عن القبـر
4) الصنو : الابن ، الاخ الشقيق ـ (5) السبـط : ولد الابن والابنـة ، الحفيـد .
6) جثت : جلست على ركبتهـا ـ حطت : نزلت ، وضعت الحمل ـ احتشام : حيـاء .
7) سليل : من السلالة ، الولد ، صفوة الشيء وخلاصته ، يقال هو سليل الكرام ، وهو من سلالة طيبة ، والمراد بالامام : الامام علي كرم الله وجهه . (8) حاتم الطائي العربي الذي يضرب به المثل فى الجـود والكرم . (9) الغيث : المطر ـ هام : هاطل متدفق

واين مسيح الله ينقذ مهده   بأياته العظمى يدك الرواسيا ؟
واين رسول الله يرسل جيشه   يظلله القرآن فى الله غازيا ؟
واين سيوف الله فى كف خالد   وكف علي كي ترد الاعاديا ؟
وحمزة ؟ والمقداد ؟ اين جميعهم ؟   جميعهم باعوا النفوس الغواليا
واين صلاح الدين والجيش حوله   ينظم ابطالا ويجزي جواريا ؟
واين ابن تاشفين ؟ وطارق قبله   لاجل رضى الباري يجاهد راضيا ؟

*

انادي . فلا صوت يجيب ، ولا فتى   يسعرها حربا تكون الدواهيا
الهي . فلن ارجو سواك لمحنتي   تدارك الهي محنتي وشقائيا
سألتك بالاسماء طرا وحقها   سألتك بالاعداد جهرا وخافيا
بأسمائك الحسنى وحق صفاتها   تقبل ايا ربي . جميل دعائيا
فيا مالك الملك العظيم . وخالقي .   تكرم على الاسلام بالنصر آتيا
واصلح امور المؤمنين وجمعهم   وصيرهم قلبا محبا وواعيا
وطهر بلاد القدس من كل معتد   وصير منار الحق فى الافق عاليا
وانقذ مغاني القدس من كل فاجر   وخرب عليهم ملجأ وصياصيا
والق سلاح الرعب فى قلب ظالم   يخرب ابياتا ، ويخضع جاثيا
جنودك يا الله سر مغيب   فأرسل عليهم صيحة وغواشيا
وما « الذر » و « النبال » الا مظاهر   اذا جاء نصر الله صارت اثافيا
فهيمن عليهم يا مهيمن ، واجعلن   ديارهم قاعا يبابا خواليا
دعوتك رحمانا رحيما وبارئا   رجوتك قدوسا ، دعوتك هاديا
واشكر وهابا على كل نعمة   رؤوفا ، حليما للمواهب مبديا
تباركت من بر ، عزيز ، مصور   عظيم ، مجيب لا يرد الدعاويا
تدارك الهي بالهداية امة   وكن عونها عدلا ، قويا ، وباقيا
ويا مالك ، حق ، مجيد ، وواحد   كفى بك جبارا تصد العواديا
وانت بصير ، خالق ، ومهيمن   عليم ، وقهار لمن كان طاغيا
غفور ، ورزاق ، شكور ، وواسع   فأعظم به حيا حفيظا وواليا
سلام ، وفتاح ، معز ، ورافع   جليل ، كريم ، لا يخيب راجيا
فيا مؤمن ، امن مخاوف امة   أتت ترتجي الغفار صفحا الهيا
فانك تواب ، لطيف بخلقه   اذا بلغ الخطب الشديد التراقيا
سميع خبير ، باسط ، ومقدم   له الحمد فى الاولى ، له الحمد ثانيا

اليك الهي

للأستاذ أحمد بنسودة

حج سفير المملكة المغربية بالجمهورية اللبنانية الاستاذ احمد بنسودة هذه السنة ... وبعد أن طاف طواف الوداع بعد صلاة العشاء يوم الاثنين 12 ذي الحجة 1387 تذكر مصيبة المسلمين ، واحتلال الصهاينة للمسجد الاقصى فالهمه الله سبحانه وتعالى نظم هذه المناجاة والتوسل باسماء الله الحسنى لرفع الضيم عن المسلمين ، واعادة المسجد الاقصى الى أهله ...

ولم ينم سيادته تلك الليلة حتى أتم نظم قصيدة سماها « الزمزمية » مؤملا ان يستجيب الله دعاء من دعا بها نظرا للمكان التي نظمت به ، ولاسيما ، وانها تشتمل على جميع اسماء الله الحسنى التي امر الله ان ندعوه بها حيث قال : « ولله الاسماء الحسنى ، فادعوه بها » .

اليك الهي قد اتيت ملبيا — فبارك الهي حجتي ودعائيا
قصدتك مضطرا وجئتك باكيا — وحاشاك ربي أن ترد بكائيا
اذا عطشت روحي فأنت شرابها — وان مرضت نفسي فأنت دوائيا
كفاني فخرا انني لك عابد — فيا فرحتي ان صرت عبدا مواليا
الهي . فأنت الله لاشيء مثله — فأفعم فؤادي حكمة ومعانيا
وهبت ولم تسأل ، وجدت ولم تزل — جوادا كريما منعما ومواسيا
أتيت بلا زاد ، وجودك مطمعي — وما خاب من يهفو لجودك ساعيا
اليك الهي قد حضرت مؤملا — خلاص فؤادي من ذنوبي وما بيا
فقد سئمت روحي بريق حياتها — وملت من الدنيا جديدا وباليا
وكيف يرى الانسان فى الارض متعة — وقد اصبح القدس الشريف ملاهيا
يجوس به الانذال من كل جانب — وقد كان للاطهار قدسا وناديا
معالم اسراء ، ومهبط حكمة — وروضة قرآن تعطر واديا
عتابها ، صهيون فدنس طهرها — وصيرها للمومسات مغانيا
لقد حرفوا التوراة زورا وأولوا — وما كانت التوراة الا تآخيا
فمهلا بني « غريون » ان مصيركم — الى الدرك الادنى قريبا وماتيا
فأن عدتم عدنا ، وعيد منزل — من الحكم القهار يقصم باغيا
فأين خليل الله يحمل فأسه — يحطم أوثانا ويفحم عاتيا ؟
واين كليم الله يظهر سره — يهزىء سحارا ويفضح حاويا ؟

أشواق وأحزان

للشاعر: عبد السلام الهراس

في مصيف « قب الياس » بلبنان تذكرت شفشاون ، وتوارد علي انباء أبطالنا في « اكنول » . وكنت أعيش مأساة فلسطين والشرق واشاهد مؤامرات على منبع عزتنا : الاسلام ، فاثار كل ذلك في نفسي أشواقا واحزانا فأنشدت مخاطبا روحي :

حطمي القيد بعنف ، واذهبي ... واسكب الشوق على قلب ابي

واتركيه جثة هامدة ... تتلاشى في حنايا السبسب

واحملي نحو بلادي عبرتي ... وانثريها فوق خلد المغرب

والثمي الزهر الذي بادلته ... روعة الحب .. بأحلام الصبي

رتلي اغنية الشوق على ... ربوة « الوافي » (1) بلحن اللهب

واسبحي في منبع من كوثر ... واترعي كأس المنى من « مشربي » (2)

واكحلي بالنور عينيك فليـ ... ـست ترى الا ظلام الكرب

* * *

ابلغي « اكنول » مني زفرة ... يرتديها شوق قلب ملهب

أي عرين الاسد يا اغلى المنى ... دمت تسمو فوق دنيا السحب

تتحدى الظلم ، حصنا شامخا ... وتشيع النور في ذا الكوكب

وتلاشي قوة البغي ، ولن ... يدرك البغي خبيث المأرب

سوف تحيا فوق اشلاء العدى ... وائدا كل جيوش الغاصب

ليس للمغرب الا كرة ... تدع الشر صريع العطب

---

1) ربوة سيدي احمد الوافي مشرفة على شفشاون

2) يقصد « رأس الماء » بنفس المدينة .

وانت علي ، يا كبير ، وماجد … ولي ، وقيوم تخفف ما بيا
حكيم ، ودود ، باعث ، ومؤخر … وكيل ، متين لا يمهل نابيا
دعوتك يا محيي لتنعش أمتي … معيد تعيد الدين ابلج زاهيا
مقيت اقت قومي ربيع قلوبهم … ومقتدر هيىء طبيبا مداويا
قصدتك يا الله فارحم شكايتي … وهيىء لدين الله اسدا ضواريا
حسيب ، رقيب ، مقسط فى عطائه … حميد ، شهيد ، ظاهر فى خفائيا
ويا واجد ، محص ، غني ، وقادر … ويا صمد ، مغن يقيت المواشيا
ويا أول يسمو ولا شيء قبله … ويا أخر يبقى ويفنى الفوانيا
ويا جامع ، نور ، بديع ، ونافع … تجل على الاسلام بالنصر باديا
وانت مميت ، يا صبور ، ومانع … أمت كل خوان عدوا مرائيا
ويا متعال ، باطن ، متكبر … مذل جميع الظالمين تجليا
ويا قابض اقبض مدادك عنهم … ويا خافض اخفض عدوا مناويا
ومنتقم ، ضار ، رشيد ، ووارث … اذقهم الهي نقمة ودواهيا
ويا حكم عدل قوي فى حكمه … تقبل الهي حجتي ودعائيا
وانت عفو لا تهمك سيرتي … وتصفح عن ذنبي وكل مساويا
وانك ذو الاجلال ترفع من تشا … وانك ذو الاكرام اجزل عطائيا
وصل على خير الهداة محمد … نبي الهدى من جاء لله داعيا
وسلم على الال الكرام وصحبه … متى حن مشتاق فجاء ملبيا

لبنان : احمد بنسودة



للأستاذ: عبد القادر زمامه

106 ـ صباح ، فى صباح ، فى صباح ... !

فى ترجمة عبد الرحمن القبائلي وهو من قواد ابى سعيد بن عبد الحق المريني هذه الابيات وهي من شعره ...

اتسمع في الهوى قول اللواحي
وقد ابصرت خشف بني رياح
غزال خلف الصب المعنى
من الوجد المبرح غير صاح
وقد قتلت ـ ولا اثم عليها ـ
مواض جفونك كل الصحاح
يقول ولحظه بالقلب يزرى
علام تطيل وصفي وامتداح
فقلت : فنون سحر فيك راقت
قضت للقلب بالعشق الصراح
جبينك . والمقلد . والثنايا
صباح . فى صباح . فى صباح

107 ـ اذا لم يشبه قريشا ... فتيس .. !

في صلة ابن بشكوال نقلا عن الحميدي :
انشدني ابو محمد بن حزم . قال : انشدني ابو عمرو البياني :

اذا القرشي لم يشبه قريشا
بفعلهم الذي بذ الفعالا
فتيس من تيوس بني تميم
بذى العبلات احسن منه حالا

108 ـ بيت حسان فى ديوان سحنون .. !

فى ترجمة ابي الفضل يوسف بن النحوي المتوفى سنة 513 هـ فى جذوة الاقتباس ... قوله :

اصبحت فيمن له دين بلا ادب
ومن له ادب عار عن الدين
وقد غدوت لفقد الشكل منفردا
كبيت حسان فى ديوان سحنون

ويعني بديوان سحنون ـ المدونة ـ وليس فيها من الشعر سوى بيت واحد لحسان بن ثابت .

109 ـ فضة تغربل ...

فى كتاب ـ التشبيهات من اشعار اهل الاندلس ـ لابى عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب ، ص 36
قال يوسف بن هارون :

نور وغيث مسبل !
وقهوة تسلسل
فالغيث من سحابه
طل ضعيف ينزل
كانه برادة
من فضة تغربل ... !

امة تنشد نورا ، جاثما ... دونه ذئب ، عنيد المخلب
سجد الدهر على اقدامها ... لاثما امجاد جند غاضب
وشدا التاريخ فى محرابه ... ثورة اللحن لشعب محرب
فوق هام الشم أرست راية ... نسجتها من ضياء الشهب
ومشت نحو العلى في موكب ... يحمل الراية ثار المغرب
وجلال الله يضفي روعة ... وسناء فوق ذاك الموكب
انهم ابناء ابطال الورى ... انهم شعب عزيز وابي

* * *

خبري الابطال عن لؤم العدى ... خبريهم عن رزايا العرب
امة الامجاد اضحت امما ... مزقتها « لعبة » المغتصب
خيم الشر على دنيا الهدى ... وكساها بظلام النوب
يمرح الغدر بمسرى أحمد ... بينما « القوم » غدوا فى لعب
انهم قد وادوا نهضتهم ... اذ تخلوا عن مبادي يثرب
لبسوا الذل بوشي خلب ... وتهادوا فى غرور عجب
اقسموا ألا يكونوا امة ... حرة تسعى لمحو الغيهب
يقفز الراي اضطرابا قاصدا ... اي شيء ! ! مثل قفز الجندب
تنشر الاهواء في ابراجهم ... راية الخلف بشتى اللقب
وتهب الحرب من مرقدها ... بين اخوان لادنى سبب
و « الخراف » العزل أشلاء ترى ... عصبة تعنو لامر الاجنبي
تترامى في خشوع مخلص ... تحت اقدام لحفظ المنصب
وتسوس « الامر » كالراعي اذا ... كان للذئب شقيق النسب
اي فلسطين سيمحو العار من ... جعلوا الحق وليد القضب
وغدا المدفع في منبرهم ... أشعر القوم وادوى خاطب

عبد السلام الهراس

1955 (قب الياس) لبنان

فجعل الماء الذي يسقيها به ماء قد اكسبه قوة ادوية مسهلة .. ! بنقعها فيه .. ! او بغليانها معه .. !
ولما شربت الكرمة قوة الادوية المسهلة التي اداها وطلع فيها العنب .. وله تلك القوة .. احمى الخليفة .. ثم اتاه بعنقود منها . واشار عليه ان يأكل منه .. وكان حسن الاعتقاد فى ابن زهر ...
فلما اكل منه وهو ينظر اليه .. قال له يكفيك يا أمير المؤمنين .. ! فقد اكلت عشر حبات من العنب .. !!
وهي تخدمك عشرة مجالس ... !!

117 ـ التلاقي .. مع الشعير ... !

فى عيون الانباء ج 2 ص 78 :

« حدثني القاضي ابو مروان الباجي : كنا فى تونس مع الناصر ـ الموحدي ـ وكان فى العسكر غلاء .. ! وقل وجود الشعير .. ! فعمل ابو الحجاج ابن موراطير .. موشحا فى الناصر .. واتى فى ضمنه .. تغيير بيت عمله الحفيد ابو بكر بن زهر في بعض موشحاته ، وذلك أن ابن زهر قال :

ما العيد فى حلة وطاق وشم طيب
وانما العيد فىالتلاقي مع الحبيب

فعمل ابن موراطير :

ما العيد فى حلة وطاق من الحرير ...
وانما العيد فى التلاقي مع الشعير . !!

فأطلق له الناصر عشرة امداد شعير ... »

118 ـ وهل للخوارج الا علي

للاديب العلامة سيدي عبد الله جسوس وقد اصابته دماميل

اذا ما ـ الخوارج ـ قد خرجت
بجسمي وضاقت بها حيلي
أتيت ضريح أبي غالب
وهل ـ للخوارج ـ الا ـ علي ـ

119 ـ بحر موسى .. ! ونار الخليل .. !

فى ترجمة ابي القاسم بن خاتمة اخى ابي العباس ... من (درة الحجال) قوله فى حمام سبتة :

حمام سبتة ما ان
يقر عين الخليل
الماء من بحر موسى
والنار نار الخليل .. !

120 ـ احتراق او غرق ... !

فى ترجمة عبد الرحمن بن ابى القاسم الشفشاوني الشاعر الهجاء من (درة الحجال) يهجو قصر كتامة :

ارحل عن القصر واسمع قول ذي ثقة
ان المقام به ضرب من الحمق
ان لم تمت فى أوان الحر محترقا .. !
لم تنج فيه اوان البرد من غرق .. !

فاس : عبد القادر زمامة

110 ـ تحمل لقمان .. ! واقبل يوسف .. !

وفيه ايضا ص 25 . من شعر يوسف بن هارون

« وكم ليلة قد جمعتنا وادبرت
تنوح على تفريقنا وتلهف
الى ان بدا وجه الصباح كأنما
تحمل لقمان ! واقبل يوسف »

وقد اشتهر سواد لقمان ..! وجمال يوسف ..!

111 ـ اراد راس الطبيب مطبوخا

فى كتاب التشبيهات من اشعار اهل الاندلس ص 655 :

لا كنت مثل الطبيب تبصره
يدق اهليلجا ونانوخا
يلتمس البرد للعليل وقد
شكا دماغا له ويافوخا
حتى اذا ما الشفاء لاح له
اراد راس الطبيب مطبوخا .. !

والابيات نسبها المؤلف للحمار السرقسطي .. !
والاهليلج ، والنانوخ ، من النباتات المستعملة للدواء عند الصيدليين ...

112 ـ ما بين مقتول ومبعوث

وجدت فى (مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان) لسبط بن الجوزي فى القسم الاول من الجزء الثاني ص 28 المطبوع بالهند 1951 م شعرا للامير تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية المتوفى سنة 502 هـ.. من جملته هذه الابيات :

عاهدتني عهد من للعقد ينكثه
فصرت تاخذ من طرق المناكيث
حدثتني بأحاديث ممتعة
فما حصلت على غير الاحاديث
فالوعد ينشرني والخلف يقتلني
فصرت ما بين مقتول ومبعوث

113 ـ ولا تصحب حياتك مغربيا ... !

ترجم ابن القاضي فى (الدرة) ج 1 ص 274 . لمحمد بن علي بن يوسف الشاطبي ... المتوفى بالقاهرة ... اخذ عنه الامام أبو حيان النحوي الشهير ... ورثاه بعد موته ...

واياه عنه بقوله :

اوصاني « الرضي » وصاة نصح
وكان مهذبا شهما ابيا
بأن لا تحسنن ظنا بشخص
ولا تصحب حياتك مغربيا .. !

114 ـ دخل دار ابى نواس ... !

ترجم ابن القاضي فى (الدرة) ج 1 ص 230 لمحمد بن راس العين الاندلسي ... رجل جواب رحالة من أهل الجزائر ... له امداح فى الرسول صلى الله عليه وسلم . وديوان شعر ومقامات ... وامداح في المنصور الذهبي ...

« حكى ان محمد المذكور دخل دار ابى نواس بشاطىء وادي دجلة » .

115 ـ سبب بناء فاس الجديد ...

فى السلوة ج 3 ص 144 فى ترجمة اسحق بن يحيى بن مطر الورياغلي نقلا عن ابى مدين الفاسي ... فى كتابه « المحكم » :

« كان اماما بجامع الشطة ... وكان يامر الامير يعقوب بن عبد الحق المريني بالمعروف .. وينهاه عن المنكر .. فأكثر عليه مرة .. ! فقال له الامير : اخرج من بلدي ... !! فلما خرج اصاب الامير وجع شديد .. ! فأمر برده .. فقال لا ادخل حتى يخرج هو !!! ... ولا اكون انا وهو فى بلد واحد ... !! فخرج فى الحين ... فسكن وجعه ... !! وامر ببناء المدينة البيضاء .. !! اعني فاس الجديد » .

116 ـ تخدمك عشر مجالس ... !

فى عيون الانباء فى طبقات الاطباء ج 2 ص 66 الطبعة الاولى 1299 هـ 1882 م فى ترجمة الحكيم ابن مروان بن أبي العلاء بن زهر .

« ان الخليفة عبد المومن احتاج الى شرب دواء مسهل .. وكان يكره شرب الادوية المسهلة ... فتلطف ابن زهر فى ذلك .. واتى الى كرمة فى بستانه.

نعم كانت دولة المرابطين منبثقة عن حلقة من حلقات العلم بالقيروان نفسها ، كانت تدور على عالم من علماء المغرب الكبير هو ابو عمران الفاسي .

لنعد الى موضوعنا الذي حددنا نطاقه واردنا فيه عناية العلماء بالعربية ذاتا ولم نرد قضية العربية فيه انتشارا بمجرد انتشار الاسلام فى هذه البلاد .

وبذلك نفصل بذكر مراكز علمية كانت مبكرة بعلمائها وادبائها ، ولا شك أن هؤلاء الذين سنضع ايدينا عليهم وهم مبثوثون فى كتب التراجم الاندلسية وغيرها انما هم آحاد من عشرات بل عشرات من المائات قد تاهت ذكراهم فى بيداء الاهمال والنسيان اللذين عرفت بهما جيدا ذاكرة المغرب منذ اقدم العصور الى احدثها .

ولكن هذه القلة على كل حال توحي الينا بالثقة والعزم وتحفزنا على العمل الدائب والبحث المتواصل عن دفائننا وكشف الغطاء عن تراثنا وهو عمل لا يزداد مع الايام الا اتضاحا ولا يزيد مداركنا الا تنورا ، فلا كيان لامة حقا بدون تراث فكري ولا عزة لها ترجى بدون الاعتزاز بأمجادها والمحافظة على مقوماتها ، عاملة جادة مستبشرة متفائلة بتصميمها وصدق عزمها وعلى هذا الضوء نستطيع ان نراجع حسابنا العسير فنصلح ما به من اخطاء ان شاء الله .

نرى أن المغرب الاقصى ، ما استقرت به الاحوال على عهد موسى بن نصير حتى وجدنا عاصمته الخالدة « طنجة » تعمل على نشر الثقافة العربية بفضل ما كان يبذله هذا الوالي الرشيد من جهود جبارة في هذه العاصمة التي اهتم بها اهتماما خاصا وجعل مقاليدها فى يد قائده العظيم طارق بن زياد ، الذي كان يتمتع بشخصية ثقافية عربية ينم عنها بعض ما نسب اليه من آثار ، واهمها خطبة الفتح التي سجلها له الدينوري فى الامامة والسياسة ، فكانت طنجة أولى العواصم العلمية بالمغرب ، وكان لها شأن عظيم في اتصالها بالاندلس الثقافي فيما بعد ، كما نجد ذلك في كتب التراجم التي اشرنا اليها ، وابن خلدون يقول ان موسى بن نصير انزل عربا بطنجة مع طارق وامرهم ان يعلموا البربر القرءان والفقه ، ويقول غيره انهم كانوا سبعة عشر ، ويذكر بعض اسمائهم .

ولم ترد الخلافة الاموية بالمشرق أن تترك الامور تسير فى المغرب تلقائيا ، بل كان من خلفائها عمر بن عبد العزيز يهتم بالمغرب اهتماما زائدا ويبعث اليه ببعض علماء الاسلام وعلمائه ليزيد فى هذه الحركة المباركة ويمدها بنشاط حثيث .

ثم كانت تقوم بالريف امارة عربية ، هي امارة صالح وبنيه بالنكور ، فلقد بنت هذه الامارة الصالحة عاصمتها النكور واتخذت لها جامعا عظيما ، بنته على غرار جامع الاسكندرية ، كما يقول المؤرخون ، فخرج منه علماء لايقل نشاطهم فى الاندلس وغيرها ، عما كانت عليه طنجة آنذاك ، وحسبنا أن نرجع الى كتب تراجم الاندلسيين ، فنراها تسطع بلوامع منهم .

وتمتد عاصفة الخوارج الى المغرب ، وتتوالى هجراتهم اليه ، واذا بالصفرية منهم يؤسسون دولة ويتخذون لها عاصمة فى جنوب المغرب الاقصى « سجلماسة » فتكون هذه العاصمة ثالثة العواصم الثقافية فى المغرب يؤمها اناس من الاندلس ويفد عليها آخرون من العراق ، وتتطور هذه الامارة الى خلافة يدعيها اصحابها ، ويلقبون بامارة المومنين .

وهناك على الشاطيء الغربي من المغرب ، دولة اختلف فى اصلها ، ولكن لم يختلف فى أن منشأها كان من جماعة الخوارج الصفرية ايضا ، الذين كان من قوادهم طريف البرغواطي ، فعمل على تكوين جماعة قوية الشكيمة ، صعبة المراس ظهرت بمظهر دولة واتخذت لها مقرا لملكها ، هو بسيط تامسنا الكائن بين آسفي وسلا ، وكان طريف على دين الاسلام لاول الامر ولكن هذه الجماعة ضلت فيما بعد بعقائدها الزائفة وشريعتها التي سنها لهم ابنه صالح .

ومع هذا فمما لاشك فيه انها كانت عاملا من عوامل بث الثقافة العربية فى تلك الناحية ، فهؤلاء رجالها واولهم صالح العالم بن طريف ، كان منهم من توجه الى المشرق للارتواء من معينه ، وجميعهم كانت اسماؤهم عربية اسلامية ، وهذا له مغزى لامحالة ، كما كانت طقوسهم تسمى فى معظمها بأسماء اسلامية وسور قرءانهم المزعوم لاتختلف فى أسمائها عن تلك السور الموجودة فى القرءان الكريم ويذكر ابن عذارى أن صالح ابن عيسى كان شاعرا فصيحا .

وكانت لهم صلات بالاندلس ، صلات رسمية دولية بمعنى الكلمة ، ويقال ان صالحا اوصى ابنه الياس الذي عهد اليه بربط صلاته مع الاندلس ، وذكر المؤرخون ان الياس هذا اظهر الاسلام والعفاف .

وعلى كل حال فقد كانت لهذه الامارة علاقات دبلوماسية وثقافية مع الاندلس ، استمرت فى رجالها الذين ظلوا يتسمون بالبرغواطية ، وان كان بعضهم قد نبذ ضلالتها كصالح ، وبعضهم لم ينبذها كابنه يونس فاظهر ديانة جده .

فجر العربية بالمغرب الأقصى أو المراكز الأولى للثقافة العربية به

للأستاذ : محمد بن تاويت

كـان علينا ونحن نعالج هذا الموضوع ان نجعل كلمـة المغـرب عامـة شاملـة للاقطار الواقعـة بين صحراء ليبيا الى المحيط حيث انها تعمرها سلالـة بشرية تسيطر عليها مظاهر اجتماعية وتتجاذبها مناح فكرية متشابهة كما كانت فيما مضى خاضعة لعوامـل اقتصادية كذلك .

لقد عرف العرب هذه الجهات كما عرفها من قبلهم من الامم ، ولكن سرعان ما طبع أولئك العرب اقطـارنا هذه بطابع قـوي بـارز بحيث تجانس فيه الجنسان بصفة تلقائية وتعانقا فى السلم كما تواطآ على الحرب .

فاذا اعتبرنا المغرب بهذا الاعتبار الشامل ، فان القيروان كانت تكون المشعل الاول للعروبة فى هـذه البلاد والمنار المشع الذي كان ينير على هذه الآفـاق طيلة أربعة قرون كاملة اذ كانت ثالثة او رابعة العواصم الاسلامية الكبرى اعترف لها بذلك خلفـاء الامويين فعينوا لها ـ الوالـي حسان بن النعمان ـ قاضيا من لدنهم مباشرة ، تقليدا اختصت به العواصم الكبـرى آنذاك ، دون غيرها ...

نعم كان هذا يكون وهو وجيه سليم ، وكـان فى الامكان ايضا ان نعمل بقضية مسلمة كذلك فنقول ان فجر العربية بهذه البـلاد كـان لاول ما أذن بها أذان الصبح بفجرها الصادق كما يقول الفقهاء ، وكـان أول مركز لهذه العربية لامحالة فى أول بيت اقيم بهذه البلاد من بيوت الله يجتمع فيه قـوم يتلون كتـاب الله ويتدارسونه بينهم عملا بالحديث الشريـف ، فكـل مسجد مدرسة عربية ، تلك قضية مسلمة .

ولكننا مع هذا الواقع تؤيده الافتراضات والعكس نريد ان نقصر كلمة المغرب على الاقصى منه ونتـرك الى حين هذا الشمول الذي يتطلب كثيرا من القـول والعمل معترفين فى خضوع واعتزاز معـا بما كـان للقيروان من فضل عم المشارق والمغارب ، القيـروان الشهيدة التي لفظت نفسها وهي فى ريعـان شبابهـا واكتمال قوتها ، فانتشـر عقـدها فى المشارق والمغارب بعلماء اعلام وادباء فطاحل من مثل الحصريين وابـن رشيق وابن شرف الذي نعا القيروان بهذين البيتيـن النابضين باللوعة الممزوجة بالحيرة ولذاعـة النكتـة التونسيـة :

تـرى سيئـات القيـروان تعاظمت فجلت عـن الغفـران والله غافـر
تراهـا اصيبت بالكبائـر وحـدهـا الـم تك قـدما فى البـلاد الكبائـر

ومن فضل الله علينا ان كان المغرب الاقصى وارث افريقيا فى قيروانها فحمل ذلك المشعل فى قوة وايمـان وعزة وهو يتلو قوله تعالى : « يا أيهـا الذين آمنـوا اصبروا وصابروا ورابطوا » فكان المرابطون حقا ورثة رشداء حافظوا على ميراثهم الثمين ونموه فى المغـرب والاندلس على السواء .

مثل سبتة ومليلية والبصرة المغربية واصيلا ، فهذه كلها وجدنا لها اصداء علمية اصيلة ، سواء بالمغرب والاندلس ، وكان منها من تولى رجالها مناصب علمية عالية فى الخلافة الاموية .

اذن فقد وضعنا ايدينا على شبكة محكمة لمراكز الثقافة الاولى بالمغرب ، وهي مراكز متعددة المشارب فبعضها كان اصحابها على مذهب أهل السنة وبعضها على مذهب الاعتزال وبعضها على مذهب الشيعة المعتدلة وبعضها على مذهب الخوارج وبعضها على شعائر ومعتقدات زائفة — كما قيل — ولكنها جميعا على تعدد مشاربها واختلاف اهوائها كانت تحمل ثقافة عربية ، وترتبط جميعها بمراكز الثقافة بالاندلس والقيروان بالرغم من اختلاف السياسة .

وقبل ان ندخل فى التفاصيل ، نرى ان نقف وقفة قصيرة عند قضية اومأنا اليها ، وهي صلة الاعتزال بالتشيع ، فالصلة من حيث التعاليم شديدة وثيقة بين المذهبين ، اذ هما يشتركان ، فى القول بالتوحيد القائم على دعائم كانت بسيطة اولا ثم تعقدت جدا وتفرع منها فيما بعد قول آخر كان مثار الخلاف الشديد بين المعتزلة والاشعرية بالخصوص ، وهو العدل الذي اوجبه المعتزلة فى الجزاء وثالث الاسس هو القول بالوعد والوعيد ، اي الوعد بالاثابة لمن احسن واطاع ، والوعيد بالعقاب لمن كان علي العكس، ورابعها القول بالمنزلة بين المنزلتين ، فالعاصي من المسلمين لا يوصف بالايمان الحق ولا بالكفر ، بل منزلته بينهما ، فهو بذلك ليس بكافر ولا مومن ، وخامسها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهذا كله داخل حقيقة فى التوحيد (انظروا ضحى الاسلام)

هذا ما يتصل بالعقيدة عند الطائفتين ، وهناك ما يتصل بأعلام هاتين الطائفتين ورجالهما الكبار، فواصل الذي انتشر مذهبه بالمغرب كله كان تلميذا لابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وكان واصل نفسه استاذا للامام زيد بن علي بن الحسين ، وكان عبد الله والد المولى ادريس يعد فى الطبقة الثالثة من طبقات المعتزلة ، ويذكر قدامة بن جعفر فى كتابه الخراج وصناعة الكتابة أن مملكة الادارسة كانت وطنا للاعتزال اذ يقول : ان وراء تاهرت مسيرة اربعة وعشرين يوما بلد المعتزلة وعليهم رئيس عادل عدلهم فائض وسيرتهم حميدة ودارهم طنجة ونواحيها والمستولي عليها فى هذا الوقت ولد محمد بن ادريس . كما أن معاصره ابن خرداذبه يقول بوجودهم فى ايزرج ونحوه يقول به ابن الفقيه الهمذاني معاصرهم ايضا ، وفي القرن الرابع يزور المقدسي المغرب ويتحدث عن الشيعة فيقول : نظرت فى كتاب الدعائم فاذا هم يوافقون المعتزلة فى اكثر الاصول ، وهذه الاصول هي مذهب الادريسية وغلبتهم بكورة السوس الاقصى . وينقل ابن عذارى فى الجزء الثاني عن ابن حزم ان الادارسة هم اصحاب الاعتزال والشيعة بالمغرب ، وزاد فنسب اليهم حتى الخارجية .

والنتيجة ان الاعتزال بالمغرب انساح في الخارجية والشيعية وانتهى اجله بالمغرب قبل ان ينتهي بالمشرق .

ولا يفوتنا ان نذكر — على سبيل الاستطراد — ان المولى ادريس كان مهتما بتلمسان اهتماما زائدا فبنى بها مسجدها الجامع ، ثم استقل بها اخوه سليمان او ابناؤه من بعده ، ويظهر ان ابنه المولى ادريس الاصغر اراد ان يجعلها امارة حاجزة بينه وبين الرستميين وهو ما يعرف فى العرف الدولي بـ (Buffer State) وعلى كل فقد انتشر ابناء عمه فى هذه الجهات وكونوا بها اقطاعات عديدة فيما بعد ، حتى قال معاصرهم اليعقوبي فى معجم البلدان عن ولد محمد بن سليمان ، كل رجل منهم مقيم متحصن فى مدينة وناحية وعددهم كثير حتى ان البلد يعرف بهم وينسب اليهم وآخر المدن التي فى ايديهم المدينة التي تقرب من ساحل البحر يقال لها سوق ابراهيم وهي المدينة المشهورة فيها رجل يقال له عيسى بن ابراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله

وعلى الجملة فتلمسان كان لها شأن فى انجاب كثير من العلماء الذين استفادت منهم الاندلس واستفادوا هم منها ، مثل ابي الحسن خطاب بن احمد ابن خطاب بن خليفة الشاعر ويحيى بن عيسى المعروف بابن الصيقل المري سمع بمرسية من أبى علي الصدفي وعمر اكثر من مائة سنة ، ويعقوب بن محمد الاغماتي الفقيه الحافظ الذي سمع من ابي على الصدفي كذلك جامع الترمذي وغيره ، وعلي بن عبد الرحمن المعروف بابن ابي جنون وهو كذلك من اصحاب الصدفي ومن المؤلفين فى أصول الفقه ، كما قصد تلمسان من علماء الاندلس جابر بن محمد الانصاري الحافظ والراوية ابو عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي ، وعبد الملك الوراق من رجال القرن الثالث ، وقد امها من الشعراء مثل بكر بن حماد الذي قال شعرا فى قومها كما نجد ذلك بالبيان المعرب .

والى جانب الخارجة ، وما كان لها من اثر محمود فى الحقل الثقافي ، نجد هناك موجة من الاعتزال طفت فى بلاد المغرب ايضا ، ويذكر ياقوت وغيره ان الواصلية من المعتزلة كانت فى المغرب تربو على ثلاثين الفا ، فكانت هذه تضرب فى بلاد المغرب طولا وعرضا وهي تدعو الى مبدئها بالسنة حداد غير اشحة ببيانها المعروف ، ولقد راينا من شعراء الاعتزال من يشيد بزعيم الواصلية فيقـــول :

لـــه خلف شعب الصين فى كل ثغـــرة
الى سوسهـــا الاقصى وخلف البرابر

رجـــال دعـــاة لا يفـــل عـــزيمهـــم
تهكـــم جبـــار ولا كيـــد مـــاكـــر

وكـــان جمع من الاعتزال اتى بالواصليـــة الى المغرب ، ذكر التاريخ منهم زيد بن سنان الزناتي الذي كان يعيش اوائل القرن الثاني ، وقد تركزت جماعتهم اخيـــرا فى ايزرج قرب تاهرت .

وعلى العموم فان هؤلاء المعتزلة انتشروا فى جهات من المغرب ، فأقاموا لهم مراكز عديدة فى المغرب الاقصى وفي مزاب والزاب ، وكونوا لهم امارة بمكان يذكـــره الجغرافيون القدامى باسم « ايزرج » وهي تلي تاهرت كما يقول ابن خرداذبه ، وذكر انها كانت لعهده بيـــد ابراهيم بن محمد البربـــري المعتزلي ، وغيره يذكـــره بمحمد بن محمد ، كما كان نفوذهم يقوى فى المغـــرب الاقصى ويتركزون فى طنجة ووليلي التي وجد عليهـــا المولى ادريس بن عبد الله اميرها عبد الحميد بن اسحاق الاوربي المعتزلي وكان اعتزاله هذا مما مهد لادريس ان يقيم دولته فى يسر وطاعة لمـــا بين الاعتزال والعلويـــة من صلـــة .

والنتيجة ان هذه العواصم تشابكت فيما بينها ، وعملت على نشر الثقافة العربية بهذه البلاد اواســـط القرن الثاني .

وكما المعنا اليه ، فقد انضمت الى هذه الطوائـــف طائفة الشيعة التي قام بالدعوة اليها رجال منهـــم وعلى راسهم اخوة النفس الزكية ، فاستقر منهم عيسى او علي بالقيروان ، ثم توغل آخرون فى المغرب الاقصى ، مثل ادريس السالف الذكر واخيه سليمان الذي نـــزل بنواحي تلمسان ، فاستقل بها بنوه ، فكانت عاصمـــة ثقافية اخرى ، تكونت بعد عاصمة فاس التي اتخذها ادريس او ابنه ادريس عاصمة لـــه .

ويذكـــر المؤرخون ان بناء فاس كان لما ضاقت وليلي بالعرب النازحين اليها من الاندلس والقيروان وبذلك صارت فاس على عهد ادريس الاصغر عاصمـــة عربية ، بل اهم العواصم العربية بالمغرب الاقصى ، تضم عدوتاها عرب الاندلس من ناحية وعرب القيروان مـــن ناحية اخرى ، وكان فى كل عدوة مسجد جامع عظيم ، فهذا مسجد الاشياخ بالاندلس وهذا مسجد الاشراف بالقرويين ، ويذكر المؤرخون أن الوافدين على ادريس الاصغر من عرب القيروان والاندلس كانوا من مهاجـــرة قرطبة وحدها نحو ثمانية آلاف بيت ومن مهاجـــرة القيروان نحو ثلاث مائة بيت ، وقد ذكرت قبائلهـــم او بطونهم اليمنيـــة من قيس وازد ومذحـــج ويحصب والصدف وغيرهم ، كما ذكـــرت بعض أعيانهم مثـــل عمير بن مصعب الازدي المعروف بالملجوم وزير ادريس الاصغر ، وعامر بن محمد بن سعيد القيسي قاضيه ، وابى الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي كاتبه ، وعلى كل فقد كانوا من الكثرة والمكانة لدرجـــة انهم شطروا العاصمة الجديدة شطرين اختص كل فريق بأحدهمـــا وكان كلا جامعي العدوتين قائمـــا على نشر الديـــن والثقافة العربية ، بين الاندلسيين وجوارهم البربـــر والقرويين وجوارهم كذلك ، ومن محاسن مهاجـــري القيروان ، ان تكون فيهم سيدة فاضلة عربية الاصل ، هي فاطمة بنت محمد الفهري ، ترث مالا فتنفقه فى بناء مسجد ، حمل راية الثقافة بالمغرب ، وهـــو مسجـــد القرويين ، الذي انضم الى تلك المساجد الثلاث ، ولكن الله آثره فيما بعد بالبركة والخلود ، فهـــو من اقـــدم جوامع الاسلام حيث بني عام 245 .

اجل هكذا اصبحت فاس العاصمة الكبـــرى في المغرب ، وكان لها صلات مع الاندلس وثيقة فى بعـــض الاحيان ، كما كانت لها مع القيروان كذلك وان اختلفت السياسة ، وهذا ممـــا يحمد بين دول الاســـلام ، ان اختلاف السياسة بين الاقطار لم يكن بالمرة عائقا عـــن اتصال المسلميـــن بعضهم ببـــعض فى تلك الاقطـــار المتباينة ، ولم تحاول الدولة أن تحد من هذا الاتصـــال بالمـــرة .

وطبعا حينما يكون هناك انسجام او اتحاد تكـــون الفوائد اعم والصلات اقوى ، وهذا ما حدث اواخـــر القرن الثالث واوائل الرابع حيث امتد سلطان الاندلس الى المغرب ، فكان ممن تخـــرج من القروييـــن علمـــاء عرفوا فى أروقة جامع قرطبة

وبعد فلا يفوتنا ان نذكر مدنا اخرى كان لها شـــأن فى نشر الثقافة ، الى جانب المذكورات آنفا ، وذلـــك م

الجراوي المليلي ، وكلاهما رحل الى الاندلس فاخذ عن رجالها واخذوا عنـــه .

ولمـا كان الغزو العبيدي ، كانت مليلية من المدن المغربية التي ضمها الى الاندلس عبد الرحمن الناصـر فازدادت بذلك تعريبا

واما سبتة فقد كانت الحركة الثقافية بها نشيطة بلغت أوجها أوائل القرن الرابع ، وكانت قد ضمت الى الاندلس كذلك ، فوجدنا لاول ما ضمها اليه الناصـر الاموي ، شعرا لامير ادريسي بهذه المناسبة ، وهــو عبيد الله بن يحيى بن عمـر بن ادريس حيث يقــول: ــ مخاطبا للناصر ــ

بسيفـك دانت عنـوة واقــرت
بصائـر كانت برهبـة قـد تولت
وما قربت اهواؤهـا ان تقــربت
ولا حليت بالــزي لمـا تحلـت
ولكــن ازالت راسيـات عقودهــا
عزائم لو ترقى بها العصـم زلـت
ودولــة منصور اللــواء مظفــر
تدال بحمــد اللـه من شر دولــة
فهذا أوان النصــر منهــا وهــذه
تباشرهـا تروي الاقاحي بسبتـــة

والمهم من هذه الاشعار التي وان لم تكن في مرتبة سامية ، فهي على كل حال تثبت اصداء للعربية كانت تتردد فى كثير من المناسبات وكان من الادارسة انفسهم شعراء ، منذ ادريس الثاني فأبنائه ثم احفاده الذيــن كان منهم شاعرنا هذا ، ونعود الى سبتة بالذات فنجد منها مثل خلف بن علي بن ناصر البلوي ومحمد بن علي الاموي وعتيق بن عمران بن محمد الرفعي النفـزاوي قاضي سبتــة ثم ابراهيم بن أبي العبــاس القيسي ويوسف بن حماد بن خلف الصدفي وعبــد الله بن غالب الهمداني ثم محمد بن يعلـى المعافـري ثم ابـا محمد بن ابراهيم السبتي وعيسى بن علاء بن نذير بن حسن ، ونجد آخرين يذكرون بكتب تراجــم المالكية ، على راسها ترتيب المدارك لعياض ، وهذه ترجمــة احد قضاتها من المدارك : ابو بكــر محمد بن عيسى رحمه الله ويعرف بابن زوبع من اهل سبتة ، وقال ابن حيان ابن زوبع من اهل العلم والادب واجل قضـاة سبتة ، وكان تخطط بالشرطة العليا وقضاء سبتــة واصيلا والمغرب ، كذا رايت السجلات تنعقد عليه .

ويقال ان أصله من البصرة ولــه رحلــة الى الاندلس ، ويقال انه دخل العراق وحج ولقي علمـــاء البلاد ، ورجع الى قرطبة فاختص بابن ذكوان وهو كان الحفي به لما وجد عنده من العلم . وكان له مال واسع ، وذلك ان قاضي الجماعة تسلف له مــالا من مــال الاحباس باشبيلية ، واخرجه فى زيت باسمه ، فعــاد عليه منه عائد كان أصل ماله فيما ذكر .

وكان حسن السيرة فى قضائه ، وايامه مشهورة لعلو مكانه وسعة علمه وبعد صيته . قال لي بعــض الشيوخ وكان متفننا فى علمه ، نظارا صاحب حجــة وجدل ، عالما بالحديث .

وقال ابن حيان : وكان له منزلة عاليــة عنــد سلطان الاندلس متمكن الاسباب لديه ، وهــو آخــر قضاة بني امية بسبتة . قال ابو مروان بن حيان : وكان من وجوه أصحاب ابن ذكوان وله فى العلــم والفقــه والصرامة درجة سامية وقدم صدق ادته الى المنية .

وقال : وقلده المظفر قضاء سبتة بلده وعملــه بارشاد ابن ذكوان اليه ، وذلك عند اختياره لخطــة قضاء اهله ، فحمدت ولايتــه واتصلت الى ان قامت الفتنة ، وسما قاسم بن حمود الى الخلافــة على بني مروان بسبتة ، فكان من قاضيها هذا عنه بعض التأخر، فأغرى به العامة وقتله ، ورعب الناس بقتله ، فلــم يختلفوا عليه ، وخبره مشهور .

وما قاله ابن حيان من اغرائه للعامة غير صحيح فقد كان اجل فى قلوبهم من ذلك ، وانما قتله رجال بني حمود ، والصحيح أن الآمر بقتله علي بن حمود واخوه قاسم ، وذلك بعد الاربعمائة ، وقد بسطت اخباره في ذكر قضاة سبتــة من تاريخهــا .

وكانت سبتة فى القرن الخامس اسعد حالا وأثرى ادبا ــ خصوصا الشعر ــ من باقي المدن المغربيــة ، وحسبنا أن نقرا ترتيب المــدارك السالف الذكــر والخريدة للعماد والمطرب لابن دحية وعنوان المرقصات والمطربات لابن سعيد ، فنجد ادباء وشعــراء غير من تقدم بهم الذكر ، من مثل الشاعر ابن يقظان وابن شقرة وابن غالب وغيرهم ، وفي هذا القرن بالذات نجــد المعتمد بن عباد ، وهو من هو ادبا ووفرة قصره بالعلماء والشعراء ، يحسد سبتة على ثلاثة نفر من رجــالها ، قال ، ــ كما فى معجم البلدان لياقوت ــ : اشتهيت ان يكون عندي من اهل سبتة ثلاثة نفــر ، ابن غــازي الخطيب ، وابن عطاء الكاتب ، وابن مرانة الفرضي .

نعـم ، حتى الخطيب من هؤلاء والكاتب كذلك ، كان لهما شعر احتفظت ببعضه كتب التراجم ، فلابن

وبعد تلمسان التي كانت على اتصال بامارة عظيمة لعبت دورا هاما فى الثقافة العربية فى المغرب الاوسط عامة ، وهي امارة تاهرت،التي كانت تسمى بلخ المغرب او عراق المغرب ، تاتي امارة استقلت بنفسها فى الريف ، على اوائل القرن الثاني ، وكان لها شأن عظيم فى الحقل الثقافي ، كما كانت على اتصال وثيق بالإندلس من ناحية ، وتاهرت من ناحية اخرى ، وهي امارة النكور ، التي كانت عاصمتها ، مدينة النكور ، تقع قرب المزمة ، بنحو خمسة عشر ميلا

وكانت هذه الامارة قد تأسست على يد عائلة تنتمي الى حمير العربية ، وكان على راسها صالح بن منصور المعروف بالعبد الصالح ، ويذكر اليعقوبي في معجمه السالف الذكر ، أن اهل البلد يزعمون انه من اهل البلد نفزى وهذا مهم ايضا ثم قال ومن هذه المدينة جاز رجل من ولد هشام ومن معه من آل مروان الى جزيرة الاندلس ، يريد عبد الرحمن الداخل الذي كانت امه من نفزة هؤلاء ، وقد نشر صالح تعاليم الاسلام بهذه المدينة الساحلية ، ولما توفي اوائل القرن الثاني خلفه ابنه المعتصم فصار على منهاج أبيه ثم تولى بعده شقيقه ادريس وهو الذي اختط مدينة النكور واتم بناءها ابنه سعيد وبنى الجامع بها ، ومهما يكن فقد ازدهرت المدينة فى القرن الثاني وقصدها الناس وكان فيها علم وادب يتمثل فى كثير من رجالها مثل ابراهيم بن أيوب الشاعر ، والعالم موسى بن ياسين مولى صالح ، وحسين بن فتح الذي روى عنه الباجي واثنى عليه ، وهؤلاء كانت لهم صلة بالاندلس كما كان من الاندلس من اتى الى النكور واقام بها مثل الاحمس الطليطي شاعر الامارة ، ومن شعر ابراهيم بن ايوب قوله :

ايا املي الذي ابغي وسولي
ودنياي التي أرجو وديني

الحرم من يمينك ري نفسي
ورزق الخلق من تلك اليمين

ويحجب عن جبينك طرف لحظي
ونور الارض من تلك الجبين

وقد جبت المهامه من نكور
اليك بكل ناجية امون

فلعل هذه الابيات كانت مدحا لامير من امراء الادارسة ، كما كان من بيت الامارة ايضا مثقفون منهم مثل الفقيه المالكي عبد الرحمن بن سعيد

ومن الطريف أن نجد أن زامر عبد الرحمن الناصر كان من النكور ، فلقد وصفه ابن عميرة كما وصفه الحميدي وهو فى بعض مجالس الانس ، وعلى اوائل القرن الرابع ، نجد بين شعراء النكور والعبيديين نقائض تسجلها لهم التواريخ كما فى ابن عذارى وغيره فقد كان عبيد الله كتب الى اهل المغرب عامة ، يدعوهم الى الدخول فى طاعته ، وكان من جملة من كتب اليهم سعيد بن صالح الذي وصل اليه الكتاب مذيلا بهذين البيتين :

فان تستقيموا استقم لصلاحكم
وان تعدلوا عني ارى قتلكم عدلا

واعلو بسيفي قاهر لسيوفكم
وادخلها عفوا واملأها عدلا

فلما قراهما امر شاعره بنقضهما فقال :

كذبت ورب البيت لا تعرف العدلا
ولا عرف الرحمن من قولك الفضلا

وما انت الا كافر ومنافق
تميل مع الجهال فى السنة المثلى

وهمتنا العليا لدين محمد
وقد جعل الرحمن همتك السفلى

كما نجد فى سقوط هذه المدينة بيد قائد عبيد الله على تاهرت ، مصالة البربري ، رجزا لشاعرهم كالآتي، يتشفى فيه من سعيد وقد قتل :

لما طفا الارذل وابن الارذل
في عصبة من الطغاة الجهل

قال نكور دون ربي معقلي
اتاه محتوم القضاء الفيصل

من الاله المتعال الاعدل
حطم اهل كفرها بالكلكل

على قنا من الرماح الذبل
ذو لمة شعثاء لم تفتل

ولحية غبراء لم ترجل

وللمكانة التي كانت عليها النكور لدى الامويين الف فيها لهم ابن الوراق

وكذلك مليلية بنيت اوائل القرن 2 او جدد بناؤها ونسبت الى مليل البربري ، وكان اسمها الفنيقي روسدير ، وكان مليل من يفرن الذين كانوا مع ادريس بن صالح المذكور ، وظهر نشاطها العلمي مبكرا حتى كان منها احمد بن فتح يضاهي ببكر بن حماد معاصره فى العلم والادب ، وخلف بن مسعود

واما سجلماسة ، فمن رجالها عيسى بن سعادة الفقيه له رواية بالاندلس ورحلة الى المشرق صحب فيها ابا الحسن الفاسي وابا محمد الاصيلي ولقي بهما حمزة بن محمد الكناني ، وكان القابسي يشهد له بالاتقان ، اخذ عنه أبو محمد بن أبي زيد القيرواني وغيره من العلماء ، ومن رجالها يحيى بن زكرياء المعروف بابن الرباطي روى عنه محمد بن مخارق وحدث عنه يحيى بن هلال بن فطر ، ومن رجالها جساس الزاهد له رحلة الى المشرق ، سمع عنه عبد الرحمن بن خلف التجيبي الثغري بمجريط كتاب الزهد ، وغير هؤلاء نجدهم مبثوثين فى تراجم الاندلسيين وغيرهم . وكذلك كان من امرائها رجال لهم وزنهم فى الثقافة الاسلامية ، مثل سمكو الآخذ عن عكرمة ، ومثل محمد بن الفتح بن ميمون

وتقدم ان مملكة البرغواطيين الزائفة كان لها ولا شك حظها من العروبة ، وليس هذا من باب الافتراض وحده ، لانها كانت على صلة بالاندلس وأن مدنا كانت فى بسيطها تامسنا مثل شالة وآنفى عاصمتها وفضالة مينائها ، بل وجدنا من رجالها علماء كطريف وابنه صالح والياس ابنه وابنه يونس وصالح بن عيسى الذي تقدم انه كان شاعرا بليغا فصيحا ، على أن طريفا كان مسلما اول الامر وكان الياس يظهر الاسلام كذلك. وقد ملك هذا خمسين سنة .

ومن ملوكهم المشهورين ابو عفير محمد بن معاذ بن اليسع ، وقد ملك اواسط القرن الثالث ، وكانت له وقائع مشهورة فى قومه منها وقعة بهت التي قال فيها شاعر مصمودي ، اسمه سعيد بن هشام ، قصيدة عارض بها قصيدة عمر بن كلثوم النونية ، حيث قال :

قفي قبل التفرق فاخبرينا
وقولي واخبري خبرا مبينا
هموم برابر خسروا وضلوا
وخابوا لا سقوا ماء معينا
يقولون النبي ابو عفير
فأخزى الله ام الكاذبينا
الم تسمع ولم تر يوم بهت
على آثار خيلهم رنينا
[illegible]ن الباكيات بهم ثكالى
وعاوية ومسقطة جنينا
هنالك يونس وبنو ابيه
يوالون البوار معظمينا
[illegible]س اليوم ردتكم ولكن
ليالي كنتم مستيسرينا

يريد ان كنتم اصحاب ميسرة المعروف الخارجي المصفري الذي ثار عام 122

وبهذا نرى ان احداث المغرب كانت تسايرها اشعار تقال فيها ، وقد نسب بعضها الى المولى ادريس لاول عهده

وبقيت هناك مدن اخرى اشتهرت ببعض رجالها، مثل مدينة جراوه التي كانت بازاء تلمسان ، وقد تقدم ذكر بعض المنسوبين اليها عند ذكر مليلية ، وممن اجادوا وصفها ابن عذارى فى الجزء الاول من كتابه، وذكر انه كان بها خمسة حمامات ، مما يدل على عظم امرها ، قال اسسها ابو العيش عيسى بن ادريس سنة 257 ، ويظهر ان العبيديين لم يخربوها فى زحفهم، كما فعلوا بالنكور ، ولهذا نجد لها اهمية حتى فى اواسط القرن الرابع ، بل ان موسى بن العافية ، استولى عليها لعبد الرحمن الناصر واخرج عنها الحسن بن ابي العيش

وقد ورد ذكرها فى شعر بكر بن حماد حيث قال:

سائل زواغة عن طعان سيوة
ورماحه في العارض المتهلل
وديار نفزة كيف داس حريمها
والخيل تمرغ في الوشيح الذبل
غشى مغيلة بالسيوف مذلة
وسقى جراوة من نقيع الحنظل

وكذلك كانت طنجة من المدن التي حاول الامويون ان يضموها اليهم ، ووفقوا فعلا فى ذلك ، فكان بها للعلم والادب شأن ، وكانت قد تعرضت فى أواخر القرن الثالث واوائل الرابع ، لفتنة متنبيء قد تنبأ بهـا أو بأحوازها التي هي ما بينها وبين سبتة ، وكان لهذا الرجل ما كان للبرغواطيين ، من ادعية عربية وقرءان مزعوم ، يهمنا لعربيته ، وكان اسم الرجل حم ، فلما قضي عليه أوائل القرن الرابع قيل شعر وهو :

وقالوا افتراء ان حاميم مرسل
اليهم بدين واضح الحق باهر

الى ان يقول :

فان كان حاميم رسولا فانني
بمرسل حاميم لاول كافر
رووا عن عجوز ذات افك بهيمة
تجاوز في اسحارها كل ساحر
احاديث افك حاك ابليس نسجها
يسرونها والله مبدي السرائر

غازي شعر مذكور فى المطرب لابن دحية ، يصف بـــه ناقـــة فيقـــول :

حـــرف كمثـــل الصاد الا انهـــا
بعد السرى جاءت كحرف النـــون
كالبـــدر قـــدره الالـــه منـــازلا
في الافـــق حتى عاد كالعرجـــون

ولابي بكر بن عطاء هذه الابيات :

سامنـــع قلبي ان يكـــون لكم مثـــوى
واستدفع البلوى واستصرف اللهـــوا
وما سرني بعد الرضـــى اذ غدرتكـــم
وغادرتم بين الحشا هضبتي رضـــوى
وصيرتـــم العتبـــى عتابـــا فكلمـــا
ابثكـــم شجوى تزيدونني شجـــوى
قضى الله ان اقصى واصفيكم الهـــوى
وغيري يستدنـــى وان كان لا يهـــوى
وما كان ظنـــي قبل ذا ان حاســـدي
بمنهلكـــم يـــروى وانـــــي لا اروى
وما جلـــت البلـــوى علي وانمـــا
شماتـــة اعدائي اجـــل من البلـــوى

واما اصيلا فقد كانت كذلك ذات حظ لايستهان به من الثقافة المبكرة ، كان رجالها مثل عبـــد الله بن ابراهيم بن محمد الاصيلي الذي قدم قرطبة فأخـــذ عن رجالها ثم اتجه الى المشرق فأخذ عنه علماء جلـــة ثم عاد الى الاندلس فتتلمذ عليه خلق كثير وكان حافظا عالما بالكـــلام والنظر الف كتابا فى اختلاف مالك وابي حنيفة والشافعي ، سماه كتاب الدلائل على امهـــات المسائل ، وكذلك ابنه محمد الذي اشتهر فى الاندلس، وكلاهما من رجال القرن الرابع ، ومثـــل ابراهيم بن محمد الاصيلي الشاعر الذي مدح بني زياد القاطنين كانوا حول اصيلا بقصيدة يقول فيها :

سقـــى غربـــي ارض بني زيـــاد
سحائـــب مـــا يجـــف لها غـــروب
ولا زال النعيـــم يعـــم قـــومـــا
ازاؤهـــم مـــن الشـــرق الكثيـــب

ومثل احمد بن عبد الله بن موسى الكتامي الفقيه الشاعر دخل الاندلس فسمـــع مـــن وهب بن مسرة وغيره ، وكان بيت هذا العالم مشهورا بالعلـــم والادب حتى القرن الرابع ، ومثل عبد الله بن ايمـــن الزويزي قاضيهـــا لذاك العهـــد .

ولم تكن البصرة تقل عن هذه ، فقد نسب اليهـــا علماء جلة مثل يحيى بن خلف الصدفي الذي رحل الى المشرق فسمع بمكة من ابي سعيد ابن الاعرابي ، ومن غيره واخذ عنه كثير من الاندلسيين ورجال سبتـــة التي توفي بها ، ومثل احمد بن حذافة الفقيه المالكي ، وبشار بن بركانة ، وغيرهم من فقهاء المالكية الذيـــن يذكرون بطبقاتها الاندلسية وغيرها . وكـــان امـــراء البصرة يعملون جاهدين على جلب الشعراء اليهـــا ، وخصوصا احمد بن القاسم الذي كان يجـــزل لهـــم الصلات ، كما فعل مع بكر بن حمـــاد الذي مدحـــه بأمداح كثيرة ، بعد ان كان قد بعث اليه بهذه الابيات :

ان السماحـــة والمـــروءة والنـــدى
جمعـــوا لاحمـــد من بنـــي القاســـم
واذا تفاخـــرت القبائـــل وانتمـــت
فافخـــر بفضـــل محمـــد وبفاطـــم
وبجعفـــر الطيـــار في درج العلـــى
وعلي العضـــب الحســـام الصـــارم
انـــي لمشتـــاق اليـــك وانمـــا
يسمو العقـــاب اذا سمـــا بقـــوادم
فابعـــث الي بمـــركـــب اسمـــو بـــه
علـــي اكـــون عليـــك اول قـــادم
واعلـــم بأنـــك لـــن تنـــال محبـــة
الا ببعـــض مـــلابـــس ودراهـــم

كمـــا مـــدح القاضي احمد بن فتح التاهرتي اميرها عيسى بن ابراهيم بن القاســـم بن ادريـــس بقصيدة يقول فيهـــا :

ما حـــاز كـــل الحسن الا قينـــة
بصريـــة فـــي حمـــرة وبيـــاض
الخمـــر فى لحظاتهـــا والـــورد فى
وجناتهـــا هيفـــاء غيـــر مفـــاض

فكان الشعر يتردد فى هذه الجهـــات ، من ذلك ان شاعرا كان آنذاك سكن فى حصن كـــان مقاما على وادي ورغـــة فقـــال :

الا هـــل اتى اهـــل المدينـــة انـــني
بورغـــة بيـــن الاعجميـــن غـــريب
اذا قلت شيئـــا قيـــل ماذا تريـــده
لهـــم بيـــن احرار الوجـــوه قطـــوب

وهذا يذكرنا بما قاله المتنبـــي فى شعب بوان ، والنتيجة ان الشعـــر فى هذه الجهـــات كانت تتردد اصداؤه فى القـــرن الثالث مدحـــا كـــان ام غيـــره ولاهمية المدينة نـــرى محمد الوراق المتوفـــي عـــام 292 ينظمها فى سلك المدن المغربية التي الـــف فيهـــا للامويـــين

المغرب العربي والاندلس وغيرهما ، وفي هذا القرن بالذات صارت فاس ينبغ فيها شعراء موهوبون ، وكانت من قبل موطنا للعلماء والحفاظ

واخيرا ، فلا بد أن نقول ان الحركة الادبية بالمغرب الاقصى خصوصا ، ظهرت متأخرة عن غيره زمنا ، والسبب فى ذلك لا يمكن ان نحصره فى واحد، بل ان اسبابا كثيرة اعتورت المغرب المذكور ، فجعلت العربية فيه تبدو كما قلنا ، وكان عامل الاستقرار، اهم العوامل ، فالمغرب كان آخر الاقطار التي تنعم بالاستقرار ، بل بفترات من هذا الاستقرار ، والزوابع التي تهب عليه من خارجه أو تنبعث فى داخله كانت من الزوابع التي لا تبقي ولا تذر ، فأول استقرار نجده به كان على عهد موسى بن نصير ، ولكن ما حدث ، من فتح الاندلس فى عهده ، كان وبالا على المغرب من هذه الناحية ، ناحية التعريب ، فلقد عرف اولئك العرب وعلى راسهم موساهم وبنوه الاندلس ، فهرعوا اليها ، ولم يعودوا الى المغرب ، بل ظل بالاندلس حتى احفاد لطارق ذكرهم ابن حزم فى جمهرته كما ان اتجاه حبيب بن عبد الرحمن الى صقلية كان فرصة للثورة فلما عاد لم يتعد منطقة القيروان وترك المغرب،وعلى كل حال فقد تعرب الاندلس قبل ان يتعرب المغرب الذي امده بأولئك العرب ، وبذلك سكت صوت العروبة والادب العربي الى حين ، ان كان قد نطق به اصحابه ، وهذا لا نستغربه ، بل هو ما حدث فى الجزيرة العربية نفسها ، وقد نزح عنها شعراؤها والهادرون بلغة الضاد فيها ، فترددت اصداؤهم خارج الجزيرة وخفتت اصواتهم بها ، ولهذا لا نستغرب ايضا اذا قرانا فى التاريخ ان المولى ادريس الاصغر كان فريدا بين البربر ولم يكن معه عرب ، الى أن أتاهم منهم عرب القيروان والاندلس ، كما قلنا ، حقا لقد نعم المغرب باستقرار على عهد هذا الملك ، ولكن سرعان ما قامت الفتن بين أولاده واحفاده ، وقضت على الاخضر واليابس ، وحق كذلك ان الفتن والحروب كانت بالنسبة للعرب من عوامل تنشيط اللغة والشعر والخطب منها بالخصوص ، ولكن هذا ان كان فى العرب وهم اصحاب اللغة الاصيلة فيهم ، لا يكون فى غيرهم واللغة طارئة عليهم غريبة بينهم تنتظر منهم التعرف عليها والاصاخة الى نداءاتها ، ولا بد فى هذا كله من هدوء بال واطمئنان حال ، وما كان هدوء وما كان اطمئنان ، ففتن داخلية بين ابناء الادارسة الى اخرى بينهم وبين غيرهم ومن ورائهم العبيديون النازفون للبقية الباقية ، ان كانت هناك بقية ، والنازحون بها الى المشرق ، حيث لا عودة لهم كانت، الا بالرماح والسيوف تتقصف وتتكسر على رماح وسيوف أخرى امتدت الى المغرب من الاندلس ، فكان المغرب لهؤلاء واولئك الميدان الخارجي الذي عرف في ايامنا ميدانا لاصحاب الحرب العالمية

وقد لاحظنا ان الاندلس صارت تمد المغرب من حيث درت او لم تدر بثقافة عربية ، فكانت المراكز القريبة منها اسعد حظا من غيرها ، وبذلك يكون المغرب آخذا بعد ما كان معطيا ، بل كان بالاندلس نفسها مغاربة نبغوا فيها ، قبل أن ينبغ زملاؤهم بالمغرب ، وهذا غير غريب ، ونحن نعلم ان امارة مغربية خالصة كانت قد تكونت بشمال اسبانيا وان عبد الرحمن الداخل ما استطاع التغلب عليها الا بمكر ودهاء ، وكان الذي اسس تلك الامارة امير برية جنوبي غربي طليطلة Santa-Maria Toledo

اما الذين نبغوا فى الاندلس من المغاربة قبل ان ينبغ مثلهم فى المغرب فيكفي أن نعد على راسهم الشاعر العظيم ابا عمر بن دراج الصنهاجي الاصل .

وهناك شعراء وكتاب وعلماء من المغاربة يذكرون فى كتب التراجم الاندلسية بأنسابهم المغربية ، ولكن المغرب ما احتفظ منهم الا بهذه النسبة التي ليست كلها جديدة على صاحبها بل هي اصيلة فى جلهم كما نفهم ذلك من النص عليه فى كتاب جمهرة الانساب لابن حزم رحمه الله .

تطوان : محمد بن تاويت

وكان من علمائها وادبائها اجلة مثل عبد الله بن سمجون وابي عبد الملك مروان بن سمجون ، الذي رحل الى المشرق وقال لم ادخل الى المشرق حتى حفظت اربعة وثلاثين الف بيت من اشعار الجاهلية ، واقام به سبع عشرة سنة ويذكر ياقوت في معجمه انه كان من فطاحل الخطباء . ومنهم عبد المنعم بن عبد الله بن علوش المخزومي واحمد بن سليمان ابن احمد المكناسي وقاضيها علي بن هارون وسليمان بن يحيى بن سرواس الجمحي الذي روى عن ابن سمجون اللواتي وعنه حدث ابو القاسم بن بشكوال بمسند الموطأ رواية الجواهري ، وهؤلاء زاروا الاندلس التي وفد منها على طنجة كثير منها مثل ابي اسحق ابراهيم بن صواب الشاطبي وكان من اهل المعرفة في الطب والنحو واللغة والادب فتصدى للاقراء بطنجة والمعالجة بها ثم توجه اخيرا الى فاس ، ومنهم محمد بن عبد الله بن الغازي المتوفى عام 296

وتاتي فاس التي عرفت قبل تأسيسها هجرات من عرب افريقيا والاندلس ومن فرس العراق كذلك الى مؤسسها ، ولا شك أن هؤلاء الفرس الآتين من العراق كان لهم شأن في الثقافة وغيرها ، لدرجة ، ان من المؤرخين من يرى أن اسم فاس نفسه محول عن فارس كما في روض القرطاس الذي اثبت أن احد ابواب المدينة كان يدعى باب الفرس وهذا الاشتقاق لا يهمنا الآن بقدر ما يطلعنا على اهمية وجودهم في العاصمة الادريسية ، ولا نستبعد أن تكون لهم يد عربية ان لم يكن لهم لسان كذلك ، وهم آتون من العراق العباسي

ومهما يكن فقد احتفظت كتب التراجم بأولئك الذين كانوا يزاولون اعمالا ثقافية على عهد المولى ادريس الاصغر ، كما تقدم وكان ابوه ومولاه راشد من المثقفين ثقافة عالية ، ادب راشد بها المولى ادريس الاصغر فكان عالما يقرض الشعر ، ويستعمله في الصراع السياسي الذي كان بينه وبين الاغالبة ، ويخاطب بعض رجاله به ، وكان هو وابوه وابناؤه من بعده على حظ من العلم كما تحدثنا به التواريخ ، ولا تبخل علينا بنماذج من خطبهم او اشعارهم كالتي ذكرت في روض القرطاس والجزء الاول من البيان المعرب لابن عذارى ، الا أن هذه المدينة تعرضت لاهوال لم يتعرض لها غيرها فانبهمت معالمها الثقافية في عهودها الاولى ، وان كنا على كل حال نحس لها ركزا في الفينة بعد الاخرى ، لقد ام هذه المدينة شعراء في القرن الثالث ، منهم المادح ومنهم الهاجي ، وكلهم نستفيد منهم باديء ذي بدء ، لانها ما لفتت الانظار حتى كان أصحابها يعلمون انها تنعكس عليهم بالخيرات ممن يفهمون شعرهم ، ولم تكن هذه الاهاجي تنصب على البقعة نفسها ، كما وجدنا في غيرها ، بل كانت تنصب على اصحابها ، وهذا مهم ايضا ، فابن اسحق الجليلي الذي نجده كما في ابن عذاري وياقوت يمدح عدوة القرويين بقوله :

ياعدوة القرويين التي كرمت
لا زال جانبك المحبوب ممطورا
ولا سرى الله عنها ثوب نعمته
ارض تجنبت الآثام والزورا

نستفيد منه بقدر ما نستفيد من هجو ابراهيم ابن محمد الاصيلي لها ، واحمد بن الفتح القاضي التاهرتي كذلك والمبكي المفحش ، فالمدح والذم لا يهمانا لمجردهما ، فكل ممدوح للشعراء مذموم لهم، ولكن المهم أن العاصمة العلمية كانت بحق كذلك ولو خفت صوتها لعوامل ما ، ولهذا لانجد من مذكوريها في التراجم الا من كان يعيش اواخر القرن الثالث فما بعدها ، مثل ابي محمد عبد الله بن علي الفارسي والعالم ابي الحسن بن محمد الصدفي والحافظ دراس بن اسماعيل المكنى بأبي ميمونة ، الذي كان من كتبه ما الفه في فضل فاس علما ودينا ، والذي قصده من القيروان عبد الله ابن ابي زيد النفزاوي السالف الذكر ، والمعروف بمالك الصغير ، وله رحلة الى الشرق لقي فيها بالاسكندرية علي بن عبد الله بن ابي مطر وسمع منه كتاب ابن المواز وحدث به بالقيروان ودخل الاندلس طالبا ومجاهدا وسمع بها منه غير واحد ، وكان من فقهاء فاس وحفاظها كذلك خير الله بن القاسم وابو موسى عيسى بن سعادة ، وعبد الملك الكوري ، وموسى بن يحيى الصديني الحافظ العالم بالراي ، وله رحلة الى الشرق وحدث عنه وعن سابقه عبدوس بن محمد بالاندلس ، ثم كان في القرن الرابع علماء على راسهم فقيه فاس ابوجيدة ابن احمد ، وقد انضوت فاس في هذا القرن تحت لواء الامويين حينا من الزمن والعبيديين حينا آخر الى ان كان محمد بن ابي عامر يعيد كرته عليها فيضمها الى الاندلس كما ضم غيرها اليها ، فقويت الهجرة بينهما ولهذا وجدنا بعض رجالها يذكرون لاول مرة في فهارس الاندلسيين ، كما حصل فيما بعد بالنسبة للقيروان التي كان بها مثل ابي عمران موسى بن عيسى بن ابي حاج الذي اشتهر بالقيروان في القرن الخامس اشتهارا عظيما ، فقصده تلاميذ من اقطا

والف في الوقف كثيرون، من بينهم : ابو حاتم السجستاني، وابو جعفر النحاس، والزجاج، وابو سعيد السيرافي، وابو بكر بن الانباري، وابو محمد النعمان، وابو جعفر السجاوندي، وابو عمرو الداني، والخزاعي، وابو محمد التكزاوي.

وفي الوقف مذاهب، لكل مذهب مغزاه ومبناه، فنافع كان يراعي حسن الوقف والابتداء بحسب المعنى. والمكي يراعي الوقف على رءوس الآي، ولا يعتمد وقفا على اواسط الآي الا في ثلاثة مواضع : – وما يعلم تاويله الا الله (آل عمران) – وما يشعركم (الانعام) – انما يعلمه بشر (النحل). والبصري اختلفت الرواية عنه، فقيل انه كان يعتمد الوقف على رءوس الآي، ويقول هو احب الي، وقيل انه كان يطلب حسن الابتداء، وذكر الرازي عنه انه كان يطلب حسن الوقف. والشامي كنافع يراعي حسن الحالتين وقفا وابتداء.

وعاصم اختلف الرواة عنه، روي انه كان يطلب حسن الوقف، وقيل انه كان يطلب حسن الابتداء. وحمزة اتفق الرواة عنه انه كان يقف عند انقطاع النفس، فالقرءان عنده كسورة واحدة، ولهذا لم يعتمد وقفا معينا، وآثر وصل السورة بالسورة. والكسائي كعاصم اختلفت الرواية عنه. قال السفاقسي : وهذا عند قراءة كل بانفراد، واما مع جمعهم، فالذي عليه شيوخنا مراعاة حسن الوقف والابتداء، كنافع لانه المبدوء به، وهو مذهب جمهور القراء، وهو ظاهر ضيع من الف في الوقف والابتداء، لانهم لم يخصوا قارئا دون قاريء

ويرجع هذا الاختلاف الى مذهبين اثنين : احدهما اعتماد كلمات هي رءوس الآي. والثاني مراعاة كلمات يتم المعنى والاعراب عندها، او الاعراب دون المعنى، او المعنى دون الاعراب. وعلى المذهب الثاني بنى الهبطي وقفه، فهو يراعي الاعراب والمعنى، في الوقف والابتداء.

ويجوز ان نقسم الوقف الى ثلاثة اقسام :
– قسم وافق فيه الهبطي غيره كالدرني وابن الانباري وسواهما، وهو اكثر وقفه.
– وقسم تركه ولم يعتمده – لتجاذب الدليلين فيه – او لترجيح ادلة الوصل عنده، او لانه الاصل، والوقف طاريء.
– وقسم انفرد به ؛ والناس امام هذا القسم فريقان : فريق مؤيد، وفريق منتقد ؛ فمن الذين انتقدوه وخطأوه في مواضع – ابو عبد الله محمد المهدي الفاسي، فقد الف كتابا سماه « الدرة الغراء، في وقف القراء » كما اشرنا الى ذلك صدر هذا البحث. وقد جاء في مقدمة الكتاب قوله : « .. وكان مما قيد في ذلك عن الاستاذ المقريء ابي عبد الله محمد بن ابى جمعة الهبطي الفاسي، تغمده الله برحمته .. على قراءة نافع، الذي جميع بلاد المغرب له فيه تابع ؛ – قد شاع في هذه البلاد، وكان قد احتوى على مواضع ضعيفة، واخرى بعدم الصحة موصوفة ؛ – اردت ان ارسم في ذلك تقييدا، يكون بذكر ما للناس في ذلك مقيدا، ذكر ما في اعرابه او معناه خلاف او احتمال، مما ينبغي وقفه على ذلك، ولا يخرج عنه بحال .. »

ومن المواضع التي انتقدت على الامام الهبطي، واعتبرت من الوقف الممنوع – قوله تعالى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة » (سورة المائدة). فالوقف على « مغلولة » – ربما يوهم القاريء او السامع، ما لا يليق به سبحانه وتعلى ؛ وكان من المتشددين في ذلك، عالم تطوان الشيخ علي بركة، فقد قيل لي انه اوقف حبسا على من ينبه القاريء عند وقفه على مغلولة.

والذي عليه المحققون من ائمة هذا الفن – انه من الوقف الكافي، وعده بعضهم من الوقف الجائز؛ ومثله قوله تعلى : « وقالت اليهود عزيز ابن الله – وقالت النصارى المسيح ابن الله » – (سورة التوبة). فالوقف على عزيز ابن الله، والمسيح ابن الله – عده بعضهم من الوقف الممنوع بل الحرام الذي يكفر صاحبه، وقد تصدى ابو العباس الاشموني في كتابه « منار الهدى في الوقف والابتدا » (*) للرد على صاحب هذا القول، قال وما نسب لابن الجزري من قوله :

مغلولة فلا تكن بواقف
فانه حرام عند الواقف
ولا على المسيح ابن الله
فلا تقف واستعذه بالله
فانه كفر لما قد علما
قد قاله الجزري نصا حسبما

قال هو مخالف لما عليه الايمة، والصواب انه من الوقف الجائز. وذكر ابن عبد السلام الفاسي انه من الوقف الكافي لتناهي مقول القولين. وذكر

(*) انظر مقدمة الكتاب ص 9

أبو عبد الله الهبطي
واضع وقف القرآن بالمغرب

للأستاذ سعيد اعراب

- 2 -

تحدثت فى مقال سابق(*)،عن حياة أبي عبد الله الهبطي ، واضع وقف القرءان بالمغرب ، وعن الظروف والملابسات التي وضع فيها ذلك الوقف ؛ وكيف أن الناس اقبلوا عليه خلفا عن سلف ، لا في المغرب وحسب ، بل وفي سائر اقطار افريقيا ، وقد جاء خطاب عميد جامعة الزيتونة ، وهو يتحدث عن الروابط الفكرية ، والعلاقات العريقة بين تونس والمغرب – قوله : « .. اننا نقرا القرءان بوقف الهبطي ، وندرس العربية بابن اجروم والمكودي .. »

والآن فلنلق نظرات عن هذا الوقف :

هناك ثلاث كلمات ، تدور عند ارباب هذا الفن: **الوقف ، القطع ، السكت** ؛ وهي الفاظ مترادفة عند الاقدمين ، وفرق بينها المتأخرون ، فجعلوا الوقف عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمانا ، يتنفس فيه عادة بنية استئناف القرءاة ، لا بنية الاعراض . والسكت عبارة عن قطع الصوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس ، فان طال صار وقفا يوجب البسملة .

اما القطع فهو عبارة عن قطع القرءاة راسا ، ولا يكون على رؤوس الآي .

والوقف فن جليل القدر ، عظيم الخطر ، به يعرف كيف اداء القراءة ، ولا يتأتى لاحد معرفة معاني القرءان ، ولا استنباط الادلة الشرعية الا بمعرفة الفواصل . ولا يقوم بهذا الفن الا من له باع فى العربية ، عالم بالقراءات والتفسير والفقه ، عالم باللغات التي نزل بها القرءان .

والاصل فيه ما اخرجه ابو جعفر النحاس عن ابن عمر (ض) قال : « لقد عشنا برهة من دهرنا ، وان احدنا ليؤتى الايمان قبل القرءان ، وتنزل السورة على محمد (ص) فنتعلم حلالها وحرامها ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها ، كما تتعلمون أنتم القرءان اليوم ؛ ولقد راينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرءان قبل الايمان ، فيقرا ما بين فاتحته وخاتمته ، ما يدري ما أمره ولا زجره ، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده .. »

ولعل الحكمة من وضعه ، أنه لما لم يمكن القاريء ان يقرا السورة أو القصة فى نفس واحد ، ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل ، بل ذلك كالتنفس اثناء الكلمة – وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة ، وارتضاء ابتداء بعده .

وقد حض الايمة على تعلمه ومعرفته ، وتواتر عن السلف الصالح الاعتناء به والاهتمام بشأنه ؛ حتى لقد اشترط بعضهم على المجيز ان لا يجيز احدا الا بعد معرفته للوقف والابتداء . وممن اشتهر عنهم هذا الفن – ابو جعفر بن القعقاع ، ونافع بن رويم المدني ، وابو عمرو بن العلاء ، ويعقوب الحضرمي، وعاصم بن ابى النجود ، ومحمد بن عيسى ، واحمد بن موسى ، وعلي بن حمزة الكسائي ، والاخفش الاوسط ، ومعمر بن المثنى ، ومحمد بن يزيد ، والقتبي ، والدينوري ، وسواهم .

(*) انظر العدد الرابع – س 11 – ص : 91

استقرار كثير من أصول القومية المغربية في الفترة المرينية والوطاسية

للأستاذ: محمد المنوني

مقدمة :

شهد النصف الاول من القرن الثالث عشر م تقسيما جديدا للغرب الاسلامي ، حيث قام — على انقاض الامبراطورية الموحدية — اربع دول اسلامية جديدة ، تقاسمت النفوذ فى الرقعة الموحدية بشمال افريقية ، والاندلس ، وقد صارت تونس وما اليها من نصيب الحفصيين ، واستولى بنو عبد الواد على الجزائر ، وانتصب المرينيون بالمغرب الاقصى ، بينما استقر الامر فيما تبقى من الاندلس المسلمة لبني الاحمر ، بعدما استولى على معظم هذه الاخيرة القشتاليون والقطلانيون (1) .

وقد استمر هذا التقسيم الجديد للغرب الاسلامي زهاء ثلاثة قرون ، انتهت باستيلاء القشتاليين على مملكة غرناطة ، ثم استيلاء العثمانيين على مملكتي الجزائر وتونس ، وقيام السعديين بالمغرب الاقصى .

وكان اعظم هذه الدول الاسلامية الجديدة هي الدولة المرينية ، التي كانت تطمح الى استعادة الامبراطورية الموحدية بشمال افريقية ، ثم استعادتها — بالفعل فى فترتين قصيرتين — على عهد كل من ابي الحسن المريني وابنه ابي عنان ، غير انه فى معظم هذه الفترة كان المرينيون يقتصرون على حكم المغرب الاقصى .

ويهمنا — بعد هذا المدخل — ان هذه الفترة الطويلة كانت ميدانا لاستقرار كثير من اسس القومية المغربية المعاصرة ، والمعني بالامر هنا هي الوحدات التالية : الوحدة اللغوية — وحدة التشريع — وحدة العقيدة — وحدة دفاعية — ميزات وعوامل اخرى للوحدة القومية .

1 — نحو لغة موحدة :

من ابرز ميزات هذه الفترة التقدم الذي احرز عليه توحيد اللغة القومية فى نطاق تعميم اللغة العربية الى اقصى حد ممكن ، فعلى خلاف الحال فى دولة الموحدين ، يلاحظ انه انعدم تقريبا فى هذه الفترة ، استخدام اللهجة البربرية فى اغراض تأليفية ، على نحو موضوعات المهدي ابن تومرت فى العقائد (2) ، كما الغيت هذه اللهجة من خطبة الجمعة ومن الاذان للصلاة ، بعدما كان يعقب بها بعد كل من الشعيرتين ، وقد استنكر الونشريسي فى المعيار (3) النداء للصلاة بالبربرية عند كمال الاذان بالعربية ، وعد ذلك من البدع ، ومن الواضح أن اللغة العربية هي التي حلت محل اللهجة الاخرى فى هذه الاغراض .

ومن مظاهر التزام اللغة العربية فى التاليف ما يسجله مؤلف « المنهاج الواضح فى مناقب ابي محمد صالح » ، حيث يذكر فى طالعة هذا التأليف (4) انه تلقى جل فضائل جده بلسان الرطانة : « البربرية » ، ثم دونها باللسان العربي .

وهكذا نتبين أن وحدة اللغة العربية تتحرك من هذه الحقبة نحو هدفها ولو فى نطاق محدود .

---

1) مجلة دعوة الحق ، السنة الثالثة ، العدد 2 ، 3 .
2) انظر الحلل الموشية ط تونس — ص 80 .
3) ج 2 ص 361 — 362 .
4) ط المطبعة المصرية عام 1352 هـ — 1933 م — ص 16 .

الاشموني انه لا وجه لمنع الوقف على قوله تعلى « فلما اضاءت ما حوله » فهو وقف جائز ، بل كاف ، على أن جواب لما محذوف تقديره طفئت النار ، والسياق دال عليه ، وذهاب النار لا يعيق انطفاء النار ، المسلـــزم عدم انتفاعهم بشيء من اعمالهم المراد من التشبـــه ، وعلى استئناف جملة « ذهب الله بنورهم » والضمير للمنافقين .

قال الجعبري : وليس فى القرءان وقف واجب ولا ممنــوع . على انــه يطـول بنا الكلام لو تتبعنـا ما نوقش به الهبطي فى هذا المقام .

— ومن الذين ايدوه ودافعوا عنه — ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي ، فقد تتبع فى كتابـــه « الوقف والابتــداء » (1) مواضــع وقف الهبطـي ، وخصوصا الذي انفرد به ، وارجع أكثره الى الوقــف الكافي ؛ والوقف عنده ثمانية مراتب : تام واتم ، وكاف واكفى ، وحسن واحسن ، وصالح واصلح ، ويعبــر عنه بالجائز . وفي هذا الصدد يقول : « .. فأردت بعون الله أن اتتبع كل موضع عينه للوقف بالنص علـى انه تام ، او كاف ، او حسن ، ان ظفرت بذلك فيمـا نص عليه الحافظ الدرني ، مقتصرا على ذلك ، غيـر متعرض لوجه مبناه ، من حيث المعنى والاعــراب ، تقليدا لـــه ، وتيسيرا على نفسي ، وستــرا علي ، لصعوبة المحل ، وضيق المعطن ، فان لم اجده عنده ، فاني ابين بحول الله وقوته ، ما اراه صالحا لان يكون اعتمده الهبطي فى ذلك ، حسب الاستطاعـــة ، على ازجاء البضاعة . لكني اتشبث بذيلهم ، وان لم اطمع فى الحصول على نيلهم ، رغبة فى الدخـــول فى خدمة كتاب الله العزيز ، وطمعا فى العثور على معنى غامض عزيز ، يتبين به وجه ما اعتمده ، وينفى عنه به الوهم فيما قصده ؛ على أن اقتصر فيما كان غير خـــاف ، بقولي كاف ، اذ معنى التمام ، يعز الا على البصيــر الاعلـــم .. »

وابن عبد السلام هذا على كثرة انتقاده للدرني واضرابه ، قلما نجد له فيه مغمزا ، او عليه مطعنا ؛ فتراه اذا اعوزه الدليل ، او خانته الحجة ، يقـــول: وكان معتمد الهبطي كذا ، او لعل ملحظ نظره كذا .

ونحن لا نعفي الهبطي من خطا فى استدلال ، او ضعف فى وجهة نظر ، مما لا يخلو عنه بشر ؛ فالوقف مثلا على قوله تعالى : « ولا تستعجل » — من ســورة الاحقاف ، — قد يدخل فى دائرة الوقف الجائـــز او الكافي — اذا طبقنا قاعدة ابن عبد السلام فى هـــذا الباب ، فهو مبني على اعراب « لهـــم » خبرا عـــن « بـــلاغ » من قوله تعالى « كأنهم يرون ما يوعـدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ » وبه قال ابو مجلى، وربما يعضده طول الوقف فى الاية ؛ لكنه لا يخلــو من ضعف ، ففيه تفكيك الكلام بعضه من بعض ، اذ ظاهر قوله « لهم » انه متعلق بقوله : ولا تستعجـل . اي لا تستعجل للمشركين بالعذاب ، والحيلولة الجملة التشبيهية بين الخبر والمبتدا — كما يقول ابو حيان(2) فى امثلة اخرى من هذا القبيل .

لكن ومع ذلك ، ورغم ما وجه اليه من نقد ، فيه بعض الحق أو الحق كله ، — فقد تواترت روايتـــه ، وتناقله التلاميذ عن شيوخهم كوجه من وجوه الاداء فى التلاوة ، حتى قال بعضهم : انـــه يجب الوقــوف عنده ، ولا تجوز مخالفته ؛ وقد احتدم النزاع بيـــن القراء المتأخرين فى ذلك ، على ما سنذكره فى عـــدد ءاخـــر بحـــول اللـــه .

تطـــوان — سعيد اعراب

---

1) ويوجد مخطوطا بالخزانة الملكيــة تحت رقـــم 1953 .

2) انظـر تفسير البحر — سورة الاحقاف

يرفع نسبهم الى اصـول عربيـة ، ولسنا نحاول هنا تصديق هذه الدعوى او تكذيبها بقدر ما يهمنا أثرهـا فى تعزيـز جانب التعريـب .

والى هنا نتبين من هذا العرض مدى الخطوات التي سار فيها التعريب ، مما عزز الوحـدة فى هـذه الفترة ، ثم مهد لاكتمالها بعد ، حتى قال الفريد بيـل فى الكتاب الذي صنفه حول البربر وديانتهم (13) :

« ان رجال البربر اصبحوا ــ اليوم ــ كلهم يتقنون اللغة العربية فى الجبال الاطلسية ، لاسيما منها الناحية الشرقيـة » .

وحـدة التشريـع :

وهي وحدة واضحة تحققت فى نطـاق المذهب المالكي الذي عاد للظهور مرة اخرى بعد الفترة الموحدية، ليوحد المغرب المسلم فى ميدان التشريع خلال هـذه الفترة وبعـدها .

ومما يدل على قوة هذا العامـل فى الوحـدة القومية ، ان بعض الجهات المغربية التي كانت تخضـع للقانون الجنائي العرفي رجعت ـ بدورها ـ لتطبيق التشريع الاسلامي فى هذا الصدد ، فقد نشرت مجلـة هسبريس ج 18 سنة 1934 ص 46 وثيقتين ذكـرت انهما اقدم ما يوجد فى القانون الجنائي العرفي بالمغرب، ويرجـع تاريخهما لعام 1512 م (917 ــ 918 هـ) ، وقد ورد فى مقدمتهما : انه « بعد التعرف الى الضلال الذي تنطوي عليه الاعراف العتيقة اصبح رئيس القبيلة يطبق ما ورد فى القـرءان الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلـم ، فى خصوص الجرائـم ، تبعا لآيـة القصـاص (14) » .

ولا شك ان هذه الظاهرة فى القانون الجنائـي العرفي جاءت نتيجة لموقف العلماء المغاربة من وحـدة التشريع المغربي ، ومن هؤلاء الامام ابو زيد عبد الرحمن الجزولي ، المتوفى عام 741 هـ ــ 1340 م ، فقد اورد فى تقييده على الرسالة القيروانية قولة لعمر بن عبـد العزيز الخليفة الاموي ، ثم علق عليها وقال : « وبقول عمر هذا يستدل اشياخ السوء من القبائل فيما احدثوا: ان من سل سيفه فضرب به يلزمه كذا ، ومن وضـع يده عليه ولم يسله يلزمه كذا ، ومن لطم يلزمه كـذا ، ومن شتم يلزمه كذا ، ويحلفون فى البرانس والمناجل ، وكل ذلك بدعة اماتوا بهـا السنة (15) » .

وممن حمل على هذه الاعراف المحلية الشيخ عبد الله الهبطي ، المتوفى عـام 963 هـ ، فقـد تناولها فى ارجوزته ــ فى البدع ــ التي تحمل اسم « الالفية السنية فى تنبيـه العامة والخاصة على ما غيـروا فى الملـة الاسلامية » ، وخصص للتنديد بها بابا خاصا يشتمل على ستين بيتا (16) .

وحـدة العقيـدة :

ومما عزز الوحدة القومية فى هذه الفترة اجتماع المغاربة على العقيدة الاشعرية بعد الغاء ما كان يشوبها من افكار اخرى فى المرحلة الموحدية ، وبهذا استطـاع المغاربة ان يبتعدوا عن الفرق والخلافات العقـدية ، وقد كان موقف الدولة قويا فى مقاومة الذين يحاولون الخروج عن هذه الوحدة ، وهناك قصة من هذا القبيل وردت الاشارة لها قبيل فصل البدع من المعيار (17) للونشريسي .

وحـدة دفاعيـة :

ان اروع مثال لهذه الوحدة يوجد فى رد الفعـل المغربي ضد حملة البرتغال على السواحل المغربيـة ، وقد صور هذه الظاهرة الناصري فى الاستقصا (18) . وعقب على ذكر اخبار البرتغال فى هذا الصدد ، وقـال فى اسلوب يغلب عليه الشجع :

« ولـما نزل بأهل المغرب الاقصى ما نزل مـن غلبة عدو الدين ، واستيلائه على ثغور المسلمين ، تباروا فى جهاده وقتاله ، واعملوا الخيل والرجل فى مقارعتـه ونزاله ، وتوفرت دواعي الخاصة منهم والعامـة على

---

13) معطيـات الحضارة المغربية ج 1 ص 61 .
14) المصـدر الاخيـر ج 2 ص 42 .
15) نقله محمد ميارة فى شرح لامية الزقـاق ط ، ف م 44 ، ص 1 .
16) يلاحظ أن الهبطي عاصر وضع وثيقتي القانون الجنائي العرفي بالمغرب ، وقد طبقتا ــ كما رأينا قريبا ــ التشريع الاسلامي فى الميدان الجنائي ، فعلى هذا يكون هذا العالم يحمل على أعراف ناحية معينة .
17) ج 2 ص 358 .
18) ط دار الكتاب ، ج 4 ص 111 ــ 112 .

ومما يسجل لهذه الفترة ان الادب المغربي كان – في لغته العربية الفصحى – لايزال يحتفظ بأصالة لفتت اليه انظار الاندلسيين بالخصوص ، قال ابو اسحاق الشاطبي في الافادات والانشادات (5) :

« افادني صاحبنا الكاتب ابو عبد الله ابن زمرك اثر ايابه الى وطنه من رحلة العدوة في علم البيان فوائد ، وذكر منها ثلاثا : احداها : الفقه في اللغة ، وهو النظر في مواقع الالفاظ واين استعملتها العرب... والثاني : تحرير الالفاظ البعيدة عن طرفي الغرابة والابتذال ، فلا يستعمل الحوشي من اللغات ، ولا المبتذل في السن العامة ، والثالث : اجتناب كل صيغة تخرج الذهن عن اصل المعنى او تشوش عليه ... قال : واخبرني ان **كتاب المغرب يحافظون في شعرهم وكتابتهم على طريقة العرب ويذمون ما عداها من طرق المولدين ، وانها خارجة عن الفصاحة** ، وهذه المعاني الثلاثة لا توجد الا فيها » .

وقد استمرت هذه الظاهرة في ادباء المغرب حتى قال الشيخ محمد بيرم التونسي (6) اواخر القرن التاسع عشر م :

« ولعمري ان صناعة الانشاء في الدول باللغة العربية كادت الآن ان تكون مقصورة على دولة مراكش ، واما غيرها من الدول العربية فقد تدبدبوا ، وكادت كتابتهم ان تخرج عن الاسلوب العربي ، بل صاروا لا يتحاشون عن اللحن والكلمات البربرية ، بخلاف كتاب المغرب ، وهذا ديدنهم من قديم » .

ونحو من هذا يسجله – عن المغرب – ابو العباس الناصري في رسالته : « الفوائد المحققة في ابطال دعوى ان التاء طاء مرققة » ، خ ، ع ، د 1724 ، ص 51 .

ومن جهة اخرى فان ظهور الدولة المرينية احدث عاملا جديدا في انتشار العربية في لغة التخاطب « العامية » ، حيث ان معظم العناصر العربية التفت حول يعقوب بن عبد الحق عاهل هذه الدولة ، وبذلك اصبح للعرب ضلع في تركيز الحياة السياسية والاجتماعية ، والسيطرة على الكتل البربرية ، ثم التسرب الى جهاز الدولة . يضاف لهذا انه في اثناء هذه الفترة كان العرب – على حد تعبير ابن خلدون (7) – قد كثروا البربر وغلبوهم ، وانتزعوا منهم عامة الاوطان ، وشاركوهم فيما بقي من البلدان ، بملكتهم وبأسهم ، وقد تمخض عن هذا وذاك – في غير الاطلس – ان توطدت اللغة العربية في اصقاع متنائية ، وبذلك تعززت الوحدة السياسية في البلاد عن طريق التعريب في لغة المحادثة في هذه البوادي ، كما هو الحال في الحواضر (8) .

ومن مظاهر انتشار التعرب اذاك شيوع قصائد هؤلاء العرب بالمغرب ، قال ابن خلدون في المقدمة (9) :

« ... فأما العرب اهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر ، فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعاريض ، على ما كان عليه سلفهم المستعربون ، وياتون منه بالمطولات ، مشتملة على مذاهب الشعر واغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء ، ويستطردون في الخروج من فن الى فن في الكلام ، وربما هجموا على المقصود لاول كلامهم ، واكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ، ثم بعد ذلك ينسبون ، فأهل امصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات (10) ، نسبة الى الاصمعي راوية العرب في اشعارهم ... »

واذا كان هذا اللون من الشعر قد غلب بالمغرب على البوادي العربية ، فان الامصار شاعت فيها الازجال التي اورد ابن خلدون بعضا منها اواخر المقدمة (11) .

واخيرا : فقد كان من عوامل تعزيز التعرب في هذه الفترة ، ان الحكام المرينيين انفسهم كان البعض (12)

---

5) نقل هذا ابن الازرق في روضة الاعلام ، خ .
6) ج 1 ص 61 .
7) المقدمة ص 27 ، وانظر تاريخ المغرب للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ج 1 ص 136 – 137 .
8) انظر تاريخ المغرب لهنري طيراس ج 2 ص 28 ، مع تاريخ المغرب للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ج 1 ص 136 – 137 .
9) ص 533 .
10) هو العروبي حسب تفسير البعض .
11) ص 553 – 556 .
12) ورد هذا في ارجوزة ابى فارس الملزوزي نشر المطبعة الملكية بالرباط ، وفي شعر لابن المرحل حسب الذخيرة السنية ص 10 .

كانت غير كثيرة ، يدل لهذا قول ابن سعيد (21) لدى حديثه عن بعض اخلاق اهل المغرب الاقصى :

« ولكن الاوقاف عندهم على عظمة سلطنة بني عبد المومن والمرابطين قبلهم قليلة ، لا يقولون بها » .

وفي هذه الفترة وضعت تنظيمات جديدة لعلاقات المغرب بعدد من الدول الشرقية والغربية .

كذلك تدين العصور التالية لهذه الفترة بما حدث في هذه من تنظيم ركب الحجيج المغربي ، وتعميم عيد المولد النبوي في سائر المغرب .

ومما يزيد في اهمية هذه الظاهرات ان عددا منها جاء تجاوبا مع ارادة مغربية ، فقد كان رجوع المغاربة عن الظاهرية الى المذهب المالكي برغبة اتت من جهة الفقهاء (22) ، وكان تنظيم ركب الحجيج المغربي امتدادا لعمل جماعة ابي محمد صالح الماجري ، حيث كان من مبادئها الدعوة الى حج بيت الله الحرام ، وزيارة السيد الرسول عليه وءاله الصلاة والسلام ، وتسهيل الطريق للحاج (23) ، كما ان العزفيين هم الذين ندبوا يوسف المريني الى تعميم الاحتفال بالمولد النبوي ، واتخاذ يوم ثاني عشر ربيع الاول عيدا مغربيا (24) ، بعد ما كان هؤلاء ابتداوا من ذي قبل الاحتفال بهذا المولد في سبتة .

يضاف لهذا ان الانظمة والاوضاع التشريعية والدراسية التي سبقت الاشارة لها ، قد كانت هي الاخرى منبعثة من طرف العلماء المغاربة ، وكان دور الدولة في هذا كله لايعدو التقرير والتنفيذ ، مجاراة للطابع الشعبي الذي كان يطبع السياسة المرينية في هذه المواضيع واشباهها (25) .

وهكذا يتبين من هذا العرض مدى اسهام الفترة المرينية والوطاسية في بناء القومية المغربية المعاصرة

الرباط — محمد المنوني

---

21) قسم الممالك من مسالك الابصار للعمري، مخطوطة خاصة .
22) ذكر مشاهير اعيان فاس في القديم عند بيت بني عشرين رقم 11
23) انظر المنهاج الواضح ص 351 .
24) روض القرطاس على ما في بعض نسخه المخطوطة .
25) انظر مجلة « البحث العلمي » ، العدد الثاني — ص 213 .

هم المؤلفين

ورد في شرح بديعية البيان للحافظ ابن ناصر الدمشقي ان يعقوب بن شيبة السدوسي البصري نزيل بغداد صنف مسندا في خمس مجلدات كبار لزمه على تخريجه عشرة ءالاف دينار ، وكان في بيته اربعون لحافا مرصدة لمبيت الوراقين الذين يبيضون مسنده .

ذلك ، وصرفوا وجوه العزم لتحصيل الثواب فيمـا هنالك ، فكم من رئيس قوم قام لنصرة الدين عبـرة واحتسابا ، وكم من ولي عصر او عالم مصر باع نفسه من الله وراى ذلك صوابا ، حتى لقد استشهد منهم عـدد واسر ءاخرون ، وبلغ الله ـ تعلـى ـ جميعهم من الثواب ما يرجـون .

وبعد ما استعرض الناصري اسماء جماعة ممن استشهد او اسر قـال :

« ولقـد الف الناس فى ذلك العصر التاليف فى الحض على الجهاد والترغيب فيـه ، وقال الخطبـاء والوعاظ فى ذلك فأكثروا ، ونظم الشعراء والادباء فيه ونثروا ، فممن الف فى ذلك الباب فأفاد : الشيخ المتفنن البارع الصوفي ، ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن يجبش التازي ، قال فى الدوحة : وقفت له على تأليف الفه فى الحض على الجهاد فى سبيل الله ، فكان ممـا ينبغي ان يتناول باليدين ، ويكتب دون المداد باللجين ، اودعه نظما ونثرا ، وممن نظم فى ذلك فأجاد : الشيـخ الصالح ، المتصوف ، المجاهد ، ابو عبد الله محمد بـن يحيى البهرلي ، قال فى الدوحة : كان هذا الشيخ ممـن لازم باب الجهاد وفتح له فيه ، وله فى ذلك اشعـارا ، وقصائد زجليات ، وغيرها ... »

وقد اورد فى الاستقصا نتفا يسيـرة من هـذه الاشعار نقلا عن دوحة الناشر ، ولا يزال لم يقع العثور على مجموعها ، اما تأليف ابن يجبش فى الجهاد فالغالب ان المقصود به الرسالة التي تحمل اسم « تنبيه الهمم العالية ، على الصدقة والانتصار للملة الزاكية ، وقمع الشرذمة الطاغية » ، ويعرف منه لحد الآن نسختـان: احداهما تامة ، وهي تقع ضمن مجموع يحمل رقـم ق 336 بالخزانة العامة بالرباط ، والثانيـة نسخـة خاصة يتخللهـا بتـر .

ميزات وعوامل اخرى للوحدة القومية :

وهي مجموعة انظمة وتقاليد تنتسب الى هـذه الفترة ، وقد صارت من ميزات القومية المغربية او من عوامـل وحدتهـا .

واول ما يلاحظ فى هذا الصدد انـه الى هـذه الفترة يرجع تنقيح وتنظيم كثير من قضايا التشريـع المغربي الاسلامي ، بما فى ذلك اساليب التوثيق التـي كانت موضوع بعض مؤلفات وشروح .

وفي هذا العصر وضع او قرر عدد من المؤلفات التي صارت كتبا دراسية بالمغرب فى هذا العهد وبعده ، ومن ذلك المقدمة الاجرومية ، وشرحها لابي عبد الله الشريف ، ومنظومة الجمل للمجراد السلوي ، وشرح عبد الرحمن المكودي على الالفية لابن مالك ، والـدرر اللوامع فى مقـرا الامام نافع لابن بري ، ومورد الظمئان فى رسم القرءان للخراز ، وعمدة البيان ، فى الرسـم لنفس المؤلف ، والقصيدة التلمسانية فى الفرائـض ، والمباحث الاصلية لابن البنا الصوفـي ، وشرح ابن عباد على الحكم العطائيـة ، وشرح الازمـوري على القصيدة الخزرجية ، والتلخيص ورفع الحجاب في الحساب ، ومنهاج الطالب فى تعديل الكواكب : الثلاثـة لابى العباس احمد ابن البنا المراكشي ، وروضة الازهار فى علم وقت الليل والنهار لعبد الرحمن الجادري .

كذلك قرر فى هذا العصـر دراسة المختصـر الخليلي ، ومختصري ابن الحاجب الاصلي والفرعـي ، والفية ابن مالك ، والشفا للقاضي عياض ، وقصيـدة البردة للبوصيري ، وسوى هذا وذاك ، وهو كثير .

ومن الواضح ان دخول هذه الكتب للدراسـة ، كان له اثر فى توحيد او تقريب المناهج الدراسية فـي هذه الفترة وبعـدها .

ومن هذا العصر يبتديء المغاربة بكتابة تاريـخ عام لبلادهم ، وكان ممن دشن هذه الظاهـرة ابن ابى زرع بكتابه : روض القرطاس ، كما اشتغلوا بكتابـة الرحلات ، وظهر ـ على التوالي ـ رحلات العبـدري، فابن رشيد ، فالتجيبي ، فابن بطوطـة .

ومـن هذا العصر تبتديء الجامعية الحقيقيـة للقروييـن ، التـي تعززت بمـا احـاط بهـا مـن مدارس ، وما الحق بها من خزائن ، ثم ما احدث فيهـا ـ تباعـا ـ من كراسي (19) .

والى هذا العصر ايضا يرجع تنظيم الدروس الوعظية فى فاس بالخصوص (20) ثم بغيرهـا .

اما فكرة التحبيس على المشاريع العامة ، فانمـا شاعت اكثر بالمغرب فى هذه الفترة ، اما قبلهـا فقـد

---

19) انظر عن هذه الكراسي بالخصوص مجلة دعـوة الحق ، السنة 9 ، الاعداد : 4 ، 5 ، 6 .
20) انظر زهـرة الآس ، وبالخصوص مخطوطتي المكتبة الملكية بالرباط ودار الكتب المصرية .

والسياسة (4) والوفيات يدل على ان المصدر واحد .

3 — تتفق جميع النصوص السالفة في السطرين الاولين من الخطبة باستثناء الريحانة ، حيث ورد فيها بعض اختلاف ومن الجدير بالملاحظة أن الجزء الوارد من الخطبة في تاريخ ابن حبيب يوجد في جميع تلك النصوص الواردة في المصادر الاخرى بتغيير بسيط في بعضها .

4 — ان الخطبة التي اوردها الاستاذ عنان نقلا عن مخطوطة تحفة الانفس تجمع بين النصين الواردين في كل من الوفيات والنفح من جهة والامامة والسياسة من جهة اخرى فالخطبة ، اذا ، كما هي في النفح كانت موجودة في مصادر قبل عصر ابن خلكان وان للمواعيني مصدرا مختلفا عن مصدر الاثنين ، ونستبعد أن يكون هذا المصدر غير اندلسي وان صح هذا فان نص الخطبة كما هو وارد في هذا المخطوط كان مثبتا في مصادر اندلسية افاد منها ابن هذيل كما افاد منها سابقا كل من ابن خلكان وصاحب الامامة والسياسة ، وان ظل هناك احتمال وهو ان يكون ابن هذيل نقل الخطبة المشهورة من مراجع اندلسية والجزء الثاني من الامامة والسياسة واثبتهما كنص واحد ! !

5 — ان سؤالا ملحا يتبادر الى الذهن عما يتصل بكتاب الامامة والسياسة وهو من مؤلف هذا الكتاب الذي نسب الى ابي قتيبة ؟ وان محاولة الجواب عن هذا السؤال تعرفنا فقط بالمؤلف وانما ستقودنا الى عنصر جديد يدعم نسبة الخطبة لطارق لما بين المؤلف وفتح الاندلس من صلة وثيقة . ان الشك في نسبة هذا الكتاب لابن قتيبة قديم وقد ساهمت الاندلس في اثارة هذا الشك يقول القاضي ابو بكر بن العربي (5) « فأما الجاهل فهو ابن قتيبة فلم يبق ولم يذر للصحابة رسما في كتاب الامامة والسياسة ان صح عنه جميع ما فيه » .

اما الدراسات الحديثة فقد انتهت الى أن هذا الكتاب ليس لابن قتيبة الا المستشرق أماري فانه يقبل ان يكون هو المؤلف ولكن هذه الفكرة هدمها مستشرقون آخرون :

فمرجليوت بعد ان ينفي هذه النسبة لاسباب عدة . يرى ان الكتاب من نتاج القرن الثالث ولعل مؤلفه قصاص اسباني (6) .

فأما كاينكوس فينتهي الى ان الكتاب ينبغي ان يكون مكتوبا في أوائل القرن التاسع للميلاد بعد أعوام قليلة من موت هارون الرشيد .

ويعتقد دوزي بأن الكتاب لا يمكن أن يكون قد الف قبل الحادي عشر للميلاد وقد بنى رأيه هذا على وجود نص في الكتاب يذكر مدينة مراكش ، وهذه المدينة انشئت في عهد المرابطين سنة 454 هـ (1062) وقد فند بريس هذا الدليل وأبان عن ضعفه الشديد بأدلة منها ان هذا التنصيص لا يوجد الا في نسخة الرباط دون النسخ الاخرى .

ويصل « دي خوية » في دراسته لهذه القضية الى ان الكتاب قد يكون الف في اواسط القرن التاسع اي حوالي العقد الرابع من القرن الثالث للهجرة وان مؤلفه كان معاصرا لابن قتيبة وقد نسبه الى هذا المؤلف ذي الشهرة الواسعة ليتاح للكتاب الذيوع والانتشار . وقد يلجأ بعض المؤلفين لهذه الوسيلةلسبب او لآخر .

ثم ينتهي هنري برس من دراسته عن هذا الموضوع الى ان المؤلف ينبغي أن يكون قد عاش اواخر القرن التاسع للميلاد (7) .

وقد حدد الدكتور محمود في دراسته القيمة لهذا الموضوع مكان وزمان تأليف هذا الكتاب فقال بأنه الف في مصر وفي القرن التاسع الميلادي . ويعتقد الدكتور مكي بأن الكتاب قد اشترك في تأليفه اكثر من واحد . وفيما يخص الجزء الخاص بالاندلس يرجح الدكتور مكي بأن يكون مؤلفه مصريا قد عاش أوائل القرن التاسع الميلادي اي قد وجد ان هذه القطعة التي تتعلق بفتح الاندلس وبموسى بن نصير تتفق مع ما ذكره المؤرخون عن كتاب معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير وبأدلة قوية وحجج معقولة ودراسة مثبتة . يصل الدكتور مكي الى أن المؤلف هو

---

4) ورد في الامامة والسياسة نفس المقدمة التيوردت في كل من المصدرين المذكورين اعلاه ، مع اختلاف طفيف جدا .

5) العواصم والقواصم ص 284 وانظر التعليق رقم 2 للاستاذ العظيم محب الدين الخطيب ناشر الكتاب ومحققه .

6) انظر مرغليوث: دراسات المؤرخين العرب ترجمةد. حسين نصار ص 134 — 136

7) انظر مجلة الدراسات الاسلامية التي يصدرها المعهد المصري بمدريد 210/5 وما بعدها حيث عالج المحقق الدكتور محمود مكي هذا الموضوع في بحث قيم باللغة الاسبانية .



خطبة طارق بن زياد من جديد *

للدكتور عبد السلام الهراس

- 2 -

د) نص ريحانة الالباب (1) :

« ولما اجاز طارق البحر ودمرهم (2) (كذا) وقال :

« انكم بين عدوين بين اهل الكفر وبين البحر فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، واحرق سفن الجواز ..

« فلما اشرف طارق على جمعهم قال لاصحابه : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ، واني مصمم بنفسي نحو طاغيتهم حتى يحكم الله بيني وبينه ، وقد فرض الله الواحد منكم للعشرة فاحملوا كما امركم الله ينصركم وان ينصركم فلا غالب لكم » .

وبعد هذا يقول :

قال عبد الملك بن حبيب : « دخل الاندلس من التابعين زهاء عشرين رجلا » .

هـ) نص عبد الملك بن حبيب (3) :

« فلما بلغ تدمير نزول طارق بمن معه من المسلمين كتب الى لذريق — وهو يومئذ ملك الاندلس — « انه وقع بارضنا قوم لا ندري أمن السماء نزلوا أم من الارض خرجوا » .

فلما بلغ ذلك لذريق اقبل راجعا الى طارق فى سبعين الف عنان ، ومعه العجل تحتمل الاموال والمتاع وهو على سريره بين دابتين عليه قبة مجللة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ومعه دواب تحمل الحبال لا يشك فى اسرهم .

فلما بلغ طارقا دنوه منه قام فى اصحابه فحمد الله واثنى عليه ، ثم حض الناس على الجهاد ، ورغبهم فى الشهادة ثم قال :

« ايها الناس ، اين المفر والبحر من ورائكم والعدو امامكم ؟ فليس لكم والله الا الصدق والصبر ، الا واني صادم طاغيتهم بنفسي لا اقصر حتى اخالطه او اقتل دونه » .

ولسنا فى حاجة الى ايراد نص نفح الطيب فهو مشهور متداول ، ثم انه نفس النص الوارد فى الوفيات الا فى الفاظ يسيرة .

وبعد هذا نود أن نعلق ببعض الملاحظات على النصوص السالفة :

1 — اتفق جميع من تناول فتح الاندلس من المؤلفين المذكورين سابقا بأن طارقا خطب جنوده وأورد كل منهم الخطبة جميعها او جزءا منها ولم يقل اي واحد منهم بأنه خطب جيشه بغير العربية ، ولو كان طارق خطب بالبربرية لما غفل عن ذلك اولئك المؤرخون الذين يوجد من بينهم من كان قريبا من عهود الفتح .

2 — ان التشابه فى مقدمة الخطبة بين النصوص الواردة فى كل من تاريخ عبد الملك ابن حبيب ، والامامة

---

*) بقية البحث الذي نشر فى العدد السابق ، ولعل الطابع سها فأسقط كلمة « يتبع » .

1) ريحانة الالباب وريعان الشباب فى مراتب الاداب للمواعيني مخطوطة الخزانة الملكية رقم 2647 .

2) قد تكون العبارة لمحاربة الكفار دمرهم الله ، او دمر السفن ! !

3) صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد المجلد 1/5 — 2 ص 222 ، وقد نشر هذه القطعة من تاريخ ابن حبيب الاستاذ المحقق الدكتور محمود مكي .

وثائق اندلسية حول :

العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)

للوزير لسان الدين ابن الخطيب
تحقيق د. محمد كمال شبانة

- 2 -

تقديـــم :

نبدا فى هذا العدد من المجلة بنشر القسم الثالث من وثائق مخطوطة « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » لمؤلفه المؤرخ ابن الخطيب . وهذا القسم يشكل رسائل سياسية ذات طابع تغلب فيه الاحداث الاندلسية ، وما كانت تتمخض عنه بهذا القطر ، وطبقا للصلات الاندلسية المغربية منذ الفتح العربي لاسبانيا، نرى ملوك الاندلس ينسقون سياسة دولتهم الخارجية تجاه النصارى مع اخوانهم سلاطين المغرب . وظل الحال كذلك حتى انحصرت دولة المسلمين فى رقعة ضيقة صغيرة . وقد احاطتها القوات الاسبانية ، وخاصة فى زمن ملوك بني الاحمر اصحاب غرناطة ، حيث عبر المزيد من الكتائب المغربية ، وتدفقت المعونات الحربية . مما كان له اكبر الفضل فى صمود دولة بني نصر — رغم ظروفها — من أن تعيش قرابة قرنين ونصف . تصابر الاحداث العظام ، وتجالد المحن بأرض الجهاد . وها هو سابع ملوك بني الاحمر يوسف بن اسماعيل بن نصر فى تلك المملكة يجدد العلاقات بينه وبين معاصره السلطان ابي عنان فارس المريني ملك المغرب ، جريا على سنة الاسلاف . وتوطيدا للدعائم الاسلامية التي لا تفصلها حدود ، ولا تحول بينها الحواجز مهما كانت .

وفيما يلي نقدم وثائق ثلاث من انشاء وزير غرناطة ابن الخطيب ، بعث بها سلطانه يوسف الاول الى ابي عنان فارس .

فأما الوثيقة الاولى فقد تضمنت — على الاخص — اعلام ملك المغرب بما وقع مؤخرا من حوادث قشتالية داخلية ، اهمها نشوب الحرب الاهلية بين انصار « بيدور الثاني » الجالس على العرش من جهة ، وبين طبقة الاشراف بزعامة « هنري تراستمارا » الاخ غير الشرعي لهذا الملك من جهة اخرى ، الذي كان يطمع فى اعتلاء عرش المملكة وكان لهذا الصدام القشتالي صداه فى دوائر مملكة غرناطة ، حيث استنجد « بيدرو » بالسلطان يوسف الاول ليمده بفرقة من جند المسلمين تكون عونا له فى محنته ، فأجابه ابن الاحمر الى ما طلب ، وتمكن الملك القشتالي بنفوذه وتأييد غرناطة له من القضاء على تلك الثورة ، على نحو ما سيرى القارىء للوثيقة من تتابع الاحداث فى دولة قشتالة .

واذا كان ملك قشتالة هذا قد استنجد بغرناطة، فقد استنجد اسلافه من قبل بملوك المغرب ايضا . وكان لاستجابة صريخهم فضل سحقهم للثورات وتمكينهم من عروشهم ، فها هو « الفونسو العاشر » المعروف بلقب « الحكيم » يطلب الى ملك المغرب يومئذ السلطان يعقوب المنصور المريني (ت 685 هـ) ان يعينه حربيا فى القضاء على ابنه الثائر ضده « شانجه » ، فحقق له ملك المغرب امنيته . ثم يطلب اليه بعدئذ أن يعينه ماديا لاصلاح احوال دولته . فيبعث اليه المنصور بحوالي مائة الف دينار . وكان « الفونسو » قد بعث الى ملك المغرب بتاجه الذهبي ضمانا .

معارك هذا الذي كان يعيش فى مصر أوائل القرن الثالث او اواسطه ، واعتمادا على ذلك نصل الى أن طارقا قد خطب جنوده بالعربية وانجزءا من تلك الخطبة كان متداولا فى المصادر القريبة من الفتح بل وتتناقله الاسرة الفاتحة ، وهناك ملاحظة قيمة وهي أن هذا المؤلف قد اشاد بدور جده موسى بن نصير . ومن المعلوم ان علاقة هذا لم تكن على ما يرام مع طارق الفاتح الاول الذي تعرض لغضب رئيسه . ولو أن طارقا خطب بالبربرية او لم يخطب بالمرة لما ضيع حفيد ابن نصير الفرصة للتنصيص على ذلك ، فى حين نجد العكس ، اذ ينص على أنه خطب ويورد نص هذه الخطبة وان كان مختلفا عما وجدناه فى القرن السابع.

6 — يقول بروكلمان بأن بعض اقسام كتاب الامامة والسياسة ماخوذ عن كتاب فى التاريخ ينسب لعبد الملك ابن حبيب (8) .

ويرى دوزي أن ما ورد فى كتاب ابن حبيب من اساطير حول افتتاح الاندلس اخذه المؤلف عن شيوخه من المصريين كما يؤكد ابن حبيب نفسه ذلك فى اكثر من موضع فى كتابه (9) ولعل ذلك بدافع اعجاب الاندلسيين الوافدين على المشرق باساتذتهم المشارقة وانه قد يكون من المستبعد ان يأخذ ابن حبيب وهو اندلسي عالم قريب فى زمان ومكان الفتح أن يأخذه فيما اخذه عن اساتذته المصريين ، خطبة طارق ، وقد يكون من المعقول ان يأخذ معارك عن ابن حبيب بعض ما يتصل بالاندلس ومن ضمن ذلك خطبة طارق كما اشار الى ذلك بصفة عامة بروكلمان وان كانت هذه النقطة ستظل مثار جدال ما لم نظهر عناصر جديدة تقوي جانبا على آخر ومهما يكن من شيء فان لدينا مصدرين ، متعاصرين هامين لخطبة طارق وكلاهما قريب من الفتح والفاتحين .

7 — هناك ملاحظة اخيرة وهى انَّنا امام نصوص ثلاثة مختلفة :

أ — نص الامامة والسياسة

ب — نص ابن خلكان ونفح الطيب وهو المعروف المتداول .

ج — اما نص ابن هذيل فيجمع بين النصين السالفين فهو يعتبر نصا ثالثا مختلفا عن كل واحد من (أ — ب) باعتباره تركيبا جديدا ، والسؤال الذي يرد هنا : ما هي خطبة طارق منها ؟ هل هي النص (أ) أو (ب) أو (ج) اما النص (أ) فان نسبته الى طارق من الناحية الفنية لا تثير اي ارتياب فأسلوبه خال من تلك العناصر التي احتج بها أستاذنا الدكتور هيكل لينفي الخطبة عن طارق كالصنعة والتكلف والترغيب فى الغنيمة والسبي وغير ذلك ، وان هذا النص يبدو فيه تأثر طارق بالقرآن الكريم والروح الدينية المشبوبة . واسلوبه يتميز بالبساطة والعفوية .

اما النص (أ) فهو الذي اثار المشاكل من الناحية الفنية لكن ليس من السهولة ان ننفي هذا الجزء بتمامه عن طارق خصوصا وقد راينا انه مثبت فى مصادر القرن السابع التي استقته من مصادر أقدم ثم ان المقري كان يملك اصولا مهمة عن تاريخ الاندلس وآدابها وان كنا نلمس من الناحية الفنية آثارا اجنبية وملامح غريبة فى هذا النص . ولكن وجود هذه الملامح وتلك الآثار لا يجتث هذا النص من اساسه ويلغيه من اصله . وقد يكون النصان قد قيلا فى موقفين مختلفين :

قيل احدهما اثر نزول الجيش الفاتح فى التراب الاندلسي .

وقيل الآخر اثناء المعركة . فكان احدهما مهيئا قبل القائه .

وآخر قيل ارتجالا وعفويا . ويدلنا على هذا . ان بعض المراجع تنص على انه خطب فى جنوده اثر حرقه للسفن . ومرة اخرى عندما اشرف على جمع النصارى (10) وان ابن هذيل يمهد لخطبة طارق بقوله: لما التقى العرب والقوط واقتتلوا ثلاثة ايام اشد قتال فراى طارق ما الناس فيه من الشدة فقام يعظهم ويحضهم على الصبر ويرغبهم فى الشهادة وبسط فى آمالهم ثم يورد نص الخطبة (11) وهذا يدل ان طارقا خطب مرتين على الاقل ولا نستبعد ان يكون قد خطب جنوده عدة مرات لتعدد المعارك والمناسبات ..

وبعد .

فان ثمة تساؤلات اخرى اوردها على نفسي . ولكن البحث العلمي لا يسمح لي بمعالجتها الآن فالى فرصة اخرى ان شاء الله .

فاس — د . عبد السلام الهراس

---

8) تاريخ الادب 229/2 — 230 .

9) تاريخ الفكر الاندلسي195 — 196 وانظر مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد فى العدد المشار اليه سابقا ص 230 (القسم الاسباني) .

10) انظر ريحانة الالباب وريعان الشباب للمواعيني مخطوطة الخزانة الملكية رقم 2647 .

11) انظر دولة الاسلام فى الاندلس عنان 1\47 .

والانصار والصحابة والآل ، سيوف جلاده اذا اشتد النزال ، والسنة جداله اذا اعمل فى الدين الجحاج وتعوطى (29 : أ) الجدال ، والنجوم الزاهرة من بعده فى سماء دينه التي سمت منها الخلال ، فبهم عرف الحرام والحلال ، ووضحت المقاصد وزال الاشكال . والدعاء لمقامكم الاعلى بالصنع الذي رحب منه المجال والنصر الذي راق منه الجمال ، والعز الذي لا يرومه المقال ، والسعد الذي تساعده المطالع والمواضع والاجتماع والاستقبال ، ولا زال ملككم تضىء منه فى أعداء دين الله النصال ، وتخدمه البكر والآصال ، ويتجدد — بينه وبين عناية الله — الاتصال . فانا كتبناه اليكم — كتب الله لكم فتوحا منظومة ، ومنوحا بالمزيد موسومة ، وصنائع فى صحف الايام مرسومة ، وعناية الاهية منطوقة ودلالتها مفهومة — من حمراء غرناطة — حرسها الله — ونعم الله واكفة ، ومواهبه مترادفة، ومذاهب التشيع — على رسوم الاعتقاد بها — عاكفة، وركائب الاستعداد — بركن مقامكم الرفيع العماد — طائفة .

والى هذا ، أيد الله امركم ، واعز نصركم ، كما شرح لشكر انعمه صدركم ، واعلى باضمار ما يرضيه امركم — فاننا ورد علينا كتابكم الكريم الوفادة ، العميم الافادة ، الذي رقمته أطراف اليراع ، وانهاء اصناع ، وجادته سحائب الابداع ، فجاء روضة ذات ايناع ، وما على الصبح غطاء ولا على الشمس قناع . تعرفون اتساق الطاعة وخطبة البلاد الافريقية لامرتكم المطاعة، (29 : ب) وما كان من دخول اشياخ القبائل الذي سميتم فى دينها أفواجا ، وان دواء السياسة الفارسية أوسع أدواءها علاجا ، وملأ القلوب بها بعد الهم ابتهاجا . وانكم اعدتم حاجبكم الى سد مدينة بجاية ، بعد القدوم عليكم بمن خلصت نيته من اعيانها ، وما اعتمدتم به تلك المثابة من احسانها . وما ضمن وليكم الشيخ ابو يعقوب بن مزنى من اصلاح شأنها (وتمهيد اوطانها (3)) واطفاء نار عدوانها ، وصرف العزائم .. »

ومنه : وان تشوقتم الى ما تزيد فى هذه البلاد من الاخبار — بما يقتضيه فضلكم الباهر الانوار — فاعلموا ان صاحب قشتالة (4) توجه فى هذه الايام الى بلاد « جوان منويل » التي هلك صاحبها ، والتبست مذاهبها ، لينظر فى مصرف أمرها ، الذي رجعت اليه ، واحكامها التي توقفت عليه ، بعد ان صالح (القند (5)) اخاه الذي كان حربا ، وعليه البا ، ووجه الينا رسوله يعرفنا بعزمه على الخروج الى منازلة حصن « دلى » المخالف لطاعته ، الخارج عن حكم جماعته ، ويطلب منا مددا كبيرا من الرماة والرجال ، واعانة على القتال. فراجعناه بأننا انما نقف فى المدد عندما وقع به الشرط ، وتضمنه العقد والربط ، من تعيين ثلاثمائة من الفرسان يكونون فى جملة اتباعه ، يستظهر بهم على من يخالف من اشياعه بطول ثلاثة اشهر من العام الذي يتوجه فيه اليهم احتياجه ، ويصح فى تعيينه بسبب الصلح احتجاجه . (30 : أ) ويوم كتبنا هذا كان رسولنا اليه متوجها فى هذه الامور ، والله يطلع على ما يكون فيه للاسلام سبب الظهور . عرفناكم بذلك عملا على بركم المأثور . وما يتزيد فمقامكم يطالع به صلة لسبب البر بسببه . والسلام » (الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته (6)) .

الوثيقة الثانية

ومما خوطب به (7) — قدس الله روحه — فيما يظهر من اغراض المخاطبة :

---

3) زيادة بنسخ الريحانة ساقطة من الكناسة .

4) هو الملك « بيدرو الثاني ابن الفونسو الحادي عشر » الملقب بالقاسي ، حكم قشتالة قرابة خمسة عشر عاما (1350 — 1368 م) .

5) وردت هذه الكلمة فى كتب المؤخين العرب ، مرادا بها « الكونت » اللقب الشرفي المعروف وصاحبه هنا الملك « بيدرو الثاني » الذي تقدمت الاشارة اليه ، ويقصد بأخيه « الكونت هنري دي ستراستمارا » الذي نبذ طاعة العرش ، وانضم الى الاشراف فى المعارضة ، حتى نشبت بالبلاد القشتالية حرب اهلية ضروس ، استعان فيها الملك — على اخيه الثائر — بولي عهد انجلترا حينئذ الامير ادوارد، المعروف بالامير الاسود ، وتمكن بمعونته من ان يسترد عرشه لفترة من الوقت ، ولكنه هزم من بعد وقتل فى موقعة « مونتيل » عام 1368 م ، فتولى سلطة الحكم الاخ الثائر الكونت هنري المذكور .
راجع فى هذا / ابن الخطيب فى الاحاطة ج 2 ص 24 — 26 . ط القاهرة 1349 هـ .

6) زيادة فى نسخ الريحانة .

7) هذا الكتاب ثابت فى الريحانة وان لم يذكر ذلك بهامش الرسالة فى أصل « الكناسة . » .

واما الوثيقة الثانية فهي صادرة ايضا من السلطان يوسف الاول الى معاصره بالمغرب السلطان ابو عنان فارس ، وهي تشير الى استعدادات مملكة غرناطة الحربية بالتعاون مع المغرب ، ولاسيما فيما يتصل بتحصين الشواطىء الاندلسية ، التي كانت همزة الوصل بين المملكتين ، وطالما بذلت دول النصارى فى الشمال جهودا بحرية ضخمة للاستيلاء عليها ، فتنقطع صلة الاندلسيين باخوانهم فى عدوة المغرب .

وقد وردت هاتان الرسالتان غير مؤرختين ، ولكن مجرى الحوادث يجعلنا نميل الى انهما قد ارخا فى عام 1351 م — أوائل عام 1352 م .

واما الوثيقة الثالثة فهي عبارة عن رسالة صادرة ايضا من أبي الحجاج الى أبي عنان ، بغرض اعلام هذا الاخير بالعلاقات الغرناطية القشتالية . فى ضوء العلاقات التي ابرمت بين هاتين المملكتين ، مما استلزم احاطة أبي عنان بمجريات الحوادث الراهنة، وذلك اثر شكايات كانت قد تبودلت حينئذ بين غرناطة وقشتالة .

وقد وردت هذه الرسالة غير مؤرخة . ولكن تاريخها — لمضمونها — يحتمل ان يكون خلال عام 1344 م .

وها هي الوثائق الثلاث :

الوثيقة الاولى

ومنها : مراجعة كتاب فارسي (1) . يعرف بما كان من استقامة أحوال البلاد الشرقية على طاعته . بما نصه :

« المقام الذي جياد سعوده الى الغاية القصوى ذات استباق ، واكواس فتوحه المؤيدة بملائكة الله (28 : أ) وروحه تحثها ايدي اصطباح واغتباق . وعقود حمده ذات انتظام فى لباب الليالي واتساق . وآثار مجده كواكب آفاق ، واحكام وده مذاهب اجماع واصفاق، فله — من عناية الله — واق . ومن عصمته أي رواق ، والقلوب — على طاعته — ذات اتفاق . وجداول سيوفه قد آلت ان لا تبقى على الارض شعلة نفاق . مقام محل اخينا الذي قضايا سعده وجودية منتشرة ، ورياح نصره مبشرة . ووجوه الدين — بما يتيحه الله لملكه المكين من النصر العزيز والفتح المبين — مستبشرة ، وقدرة عزمه وصفات كماله على توحد جماله متكثرة ، ونهار نصره آية مبصرة ، واقلام اللوح المحفوظ عند قسم الحدود والحظوظ مطلية لا مختصرة ، وموارد العيش الهني للملكة السني باردة خضرة، السلطان الكذا (أبو عنان فارس) ابن السلطان الكذا (أبي الحسن علي) . ابن السلطان الكذا (أبي سعيد (2)) أبقاه الله ناصر الكلمة العليا يمهد منها الايالة ، ويؤسس لها الجلالة . ويستدر من صنع الله الزيادة والانالة . معظم مقامه التعظيم الذي لا يبرح ، وناشر كماله الذي طيور حمده فى روضات مجد ، الدهر تسرح . وجياد ثنائه فى ميدان علائه تمرح ، واقلام اطابة ذكره فى صحف فخره تسهب ونشرح .

سلام — كما تأرج غب السماء زهر . وفاض للصبح على دوحة الليل نهر ، يخص مقامكم الاعلى . ومثابتكم الفضلى . ورحمة الله وبركاته .

(28 : ب) اما بعد حمد الله الذي جعل الفتوح لملككم السعيد ديما تطوف وتنثال . والصنائع عجائب تضرب بها الامثال . وروى نصائح فى ولائه النصر العزيز . والصنع الوحي الوجيز . حديث اطعمني وسقاني . بعد أن عظم الاحتفاء والاحتفال . وسماكم فارس هذا الملك لما ادخركم لنظم منتثر السلك . فصدقت السمة ونجح المنال . فمهما رميتم غرضا اصابت شاكلته النبال . ومهما انرتم عزما وجفت الجبال . ومهما ادرتم رأيا نجحت بعده الاعمال . ومهما خطبتم عناية من الله تسنت منها الامال . ومهما رميتم وجهة صحب ركابكم اليمن والاقبال . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ونبيه الذي ختم به النبيون والارسال . الملجأ الذي له الافياء الوارفة الظلال . والمورد الذي هو العذب الزلال . نور الله الذي لا يفارقه التمام — حسب وعده — والكمال . ورايته التي لا يلحقها الدثور ولا الاضمحلال . الهادي الى الحق وقد ارتبك الظلام واشتبك الضلال . صاحب المقام المحمود اذا اشتد الظما وعظمت الاهوال . والشفاعة المدخورة اذا شهدت الجوارح وحقق الحساب ودقق السؤال . والرضا عن آله وصحبه وانصاره واشياعه واتباعه . فنعم الاشياع والاتباع

---

1) نسبة الى لقب أبي عنان (فارس) . وقد وردت الرسالة فى نسخ الريحانة . وان لم ينص الناسخ للكناسة على هذا .

2) راجع الوثيقة السابقة ، حيث افصح ابن الخطيب عن ملوك بني مرين .

من جميل (10) الولاء فى اخوتكم الرفيعة العلاء ، ويتكلم بين يديكم فى هذه الاشياء ، ويجرى من تبيين الخلوص على سبيل السواء ، وهو القائد الكذا ابو فلان ، وصل الله عزته ، ووالى رفعته . ومقامكم يتفضل بالاصغاء اليه ، والقبول من ذلك على ما لديه ، والسلام » .

الوثيقة الثالثة

« ومن المكاتبات فى الاغراض التي تخص العدو ، ومحاولة أمره ، ما نصه :

المقام (11) لكل بصلاح الامور نظره الجميل ، ويعدلها كلما همت بأن تميل ، ويبلغ هذه المستمسكة بأسبابه القصد والتأميل ، ويلاحظ من مصالحها الكثير والقليل ، ويذهب عن مذهب امانها التأويل والتعليل ، ويؤويها من جناب رعيه الظل الظليل .

مقام محل اخينا الذي على وداده الاعتماد ، والى جميل نظره الاستناد ، وبه الانتصار اذا وقع العناد ، ومن جهته التمهيد اذا تلق المهاد ، ومن تلقاء تدبيره العلاج اذا تطرق الى كون (32 : أ) الهدنة الفساد ، فمكارمه قد وضحت منها الاشهاد ، ومفاخره يعرفها الحسام العضب والقنا المياد ، وعزماته يدخرها الجهاد ، وفضائله يعرفها العباد والبلاد . السلطان الكذا (أبو عنان) ، ابن السلطان الكذا (أبي الحسن علي) ، ابن السلطان الكذا (أبي سعيد المريني) . أبقاه الله مؤمل النظر ، كريم المخبر والخبر ، كفيلا عدله يرعى المصلحة ودرء الضرر ، ولا زالت سعوده متألقة الغرر ، ومكارمه هامية الدرر ، مرجوا للنصر المنتظر ، حميد المساعي مرضى السير ، محروسا مقامه من الحوادث والغير . معظم قدره وملتزم بره ، المطنب بملي اللسان فى حمده وشكره ، العارف بكبير محتده واصيل نجده ، فلان (أبو الحجاج يوسف الاول ابن الاحمر) .

اما بعد — حمد الله الواجب حمده ، المتوالي انعامه ورفده ، الذي جعل التواصل فى ذاته سببا لا ينفصم عقده . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الرفيع قدره ، الكريم مجده ، رسول الرحمة ، الذي اشرق بدعوته غور المعمور ونجده ، الداعي الى الدين القويم والصراط المستقيم الذي لا يضل قصده . والرضا عن آله واصحابه الذين أنجز بنصرهم وعده ، ورفعت بهم اركان ملته بعد ما ضم عليه ضريحه الطاهر ولحده . والدعاء لمقام اخوتكم العالية بالسعد الذي لا يبلغ حده ، والتأييد الالهي (32 : ب) الذي لا يتقلص ممتده . فانا كتبناه اليكم — كتب الله لكم سعدا باهر الانوار ، ومجدا عالي المقدار ، وصنعا تجري بمساعدته أحكام الاقدار ، ويتصرف وفق ارادته حركات الفلك الدوار ، واجرى أمور هذه البلاد الغربية والاقطار من تدبيركم الحميد الآثار ، ونظركم الجميل الاعمار والاخبار ، على ما يقع من الاسلام موقع الاختيار ، ويتكفل بتأمين الخلال والديار — من حمراء غرناطة ، والاعتماد عليكم — بعد الله — وثيق السبب واضح المذهب ، والتشيع لكل كفيل للدين بنيل الارب .

والى هذا — وصل الله سعدكم . وحرس مجدكم — فاننا انعقدنا سلما عقدناه بريحكم التي يحذر العدو هبوبها ، وان شئنا (12) حربا استعنا بعزماتكم التي تنال بها الملة مطلوبها ، وان ضمنا عنكم أمرا صدق الضمان ، وان وثقنا بكم انقاد الزمان ؛ وراى سره الامان . فأحوال المسلمين فى هذا القطر على جميل نظركم معتمدة ، وعنايتكم بها فى كل يوم متجددة، فكلما توقع فى اسباب هدنتها مرض عرض منكم على الاسى الطبيب ، او حذر من عدوها مكروه صرفت الوجوه منكم الى الولي الحبيب ، فوجوه لحظكم سافرة على حال المغيب ، وهي وان كانت بعيدة منكم توجبون لها بدينكم حق القريب . وان هذا الصلح — الذي تسنى فى ايامكم ، وانقاد اليه العدو بسبب (33 : أ) اعتزامكم ، واتصل اليد بمقامكم — تكاثرت فيه بين الفريقين شكايات ، وهي اذا تكاثرت فى النفوس نكايات . وان تغوفل فى حسم عللها . واصلاح خللها . والتنزل فيها لانصاف ، ورفع النزاع فى سببها والاختلاف ادت لانطلاق الايدي ، ومجازاة التعدي بالتعدي . حتى يتقلص ظلال الهدنة والمسالمة . وينتقل الحكم من الكلام الى المكالمة ، والحاجة الى الهدنة لاخفاء (ما) (13) بها مقامكم الرفيع العماد ، اذ فى اقتضاء ما عين لها الآن من الآماد جبر الاعداء . وامكان الاستعداد ، بخلاف ما يستوفي — ان شاء الله — على المهل اغراض الجهاد .

---

10) فى الريحانة « دليل » بدل « جميل » .
11) وردت هذه الرسالة فى الريحانة كما نص الناسخ على ذلك هنا .
12) فى نسخ الريحانة « شئنا » وهو مناسب أيضا .
13) ساقطة من الكناسة ، ثابتة فى نسخ الريحانة ، وهو أولى .

« المقام الذي يجب الى مرضاته التسرع ، ويحق البدار الى وصل اليد به والتبرع ، ويدعـو الـى الاستمساك بوده التدين والتشرع ، ويخلص الى الله في حمله ما فيه (من) (8) رضاه التضرع . مقام محل أخينا الذي نعطي أخوته حقها ، ونسلك من مودته طرقها ، ونشيم من عزائمه في الجهاد برقها ، ونشكر غيثها وودقها . السلطان الكذا (أبي عنان فـارس المريني) أبقاه الله موفق المقاصد ، منها الموارد ، معمور النوادي بالصالحات والمعاهد، قائما من حقوق نعم الله عليه مقام الشاكر الحامد ، ولا زالت عزائمه قاطعة بالمعاند ، متلفة منه للطارف والتالد ، ومكارمه شاملة للاقارب والاباعد ، واقواله واعماله خالصة في طاعة الله الملك الواحد . معظم مقداره ، وملتزم اجلاله واكباره ، ومؤاخيه في الله على اعلاء دينه الحـق واظهاره ، العارف بكرم نجاره وفضل آثاره ، فـلان (السلطان أبو الحجاج يوسف الاول ابن الاحمر) .

سلام كريم ، طيب عميم ، يخص مقامكم الاسمى، وأخوتكم العظمى ، ورحمة الله وبركاته .

اما بعد حمد الله (30 : ب) الذي تجبى مـن أفنان التوكل عليه ثمار الاعمال ، وتقتنص من مطالب اللجاء اليه نجاح الاعمال ، جاعل المودة في ذاته وسيلة نافعة يوم العرض والسؤال ، وظلا على عباده يتكفـل بصلاح الاحوال ، مجازي من أخلص في وسيلة قصده بالصنع الباهر الجمال ، والمنح الوافرة التي فـوق الكمال . اقامنا بهذا الصقع الاقصى ندافع عداه بالبيض القصار والسمر الطوال ، وندعو الى ما فيه رضـاه أهل الائتمار لطاعته والامتثال ، ليصبح الامن مديـد الظلال . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسولـه الشفيع عند تعاظم الاهوال ، والملجأ المنيع عند اعواز الاحتيال ، ذي المعجزات التي استقلت عقودها كـل الاستقلال ، خاتم الانبياء وسيد الارسال ، الـذي نلتمس ببركته في الدنيا والآخرة من الله مؤمل الافضال، ونحارب ونسالم عملا بمقتضى سنته في الحال والمآل، ونتمسك بأخوة من نرجو دفاعه عن دينه حتى نبلغ قصيات الآمال . والرضا عن آله وأصحابه أكـرم الصحابة وأسنى الآل ، الذين كانوا في قلادة ملته مثل اللآل ، وفي الاهتداء لامته بمنزلة النجوم في الليال .

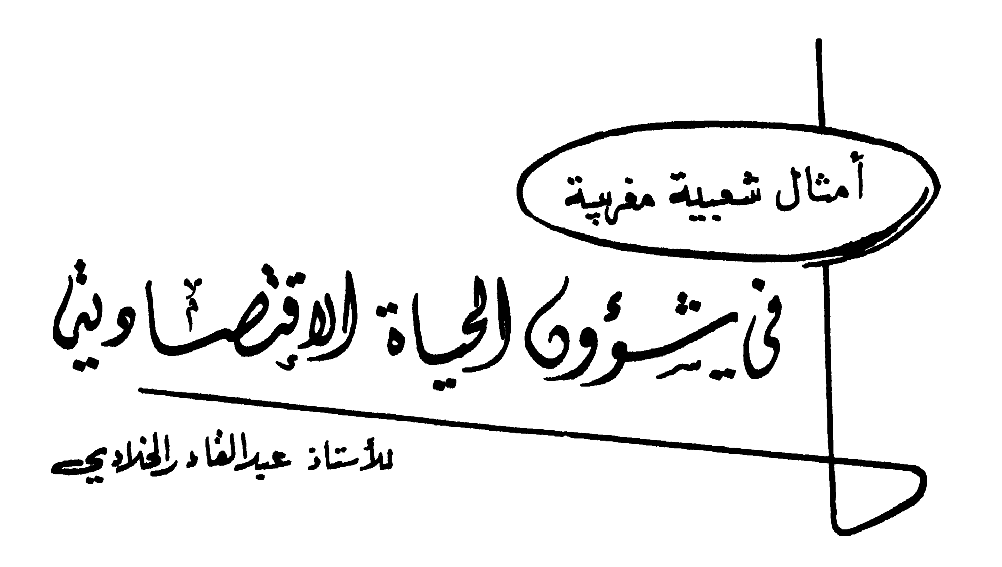
والدعاء لمقامأخوتكم الفارسية بتوالي اليمن والاقبال، ولا زالت مقاصدها خالصة في رضا الله ذي الجلال ، وعزائمها يحفها التوفيق عن اليمين والشمال . فانـا كتبناه اليكم — كتب الله لكم من السعادة أوفرهـا نصيبا ، وسلك بكم السداد (31 : أ) والاسعـاد مأخذا قريبا ، وجلالكم من وجه العناية وجها عجيبا ، وبواكم من منازل القبول جنابا رحيبا — من حمـراء غرناطة ، حرسها الله ، ونحن نمحض لكم الـود في شاهد الامر وغائبه ، ونثني عليكم ثناء يبين قصـد مذاهبه .

والى هذا — وصل الله سعدكم ، وحـرس مجدكم ، ووالى النعم عندكم — فاننا تعرفنا في هذه الايام من خدامكم الوافدين علينا بهديتكم ، ما عندكم من استدعاء الاساطيل المنصورة من محل انشائهـا ، والاستكثار من عدد حركاتها واقتنائها ، وأن فـروض العزائم شرع في ادائها ، وأولياء الملة قد تذامرت على اعدائها ، وحكماؤها (قد) (9) شمرت لازالة دائها ، فسألنا الله اتاحة الخيرة ، وتكييف الصنائع المسرة ، وبادرنا لسبر ما عندكم من التشوف الى مالنا مـن الاساطيل الجهادية ، والمقاصد الودادية . فان توفر لكم في الاستعانة بها أرب ، أو بان في الاحتياج اليها مذهب ، نشرع في اصلاحها وتيسيرها ، وننظر في ابرام أمورها ، لتكون مرهفة الحد ، آخذة اهبتها قبل القصد ، ونعلمكم — مع ذلك — ان رسولنا اليكم في الايام الماضية والاشهر المتقاضية فلانا ، لما وصل من لدنكم أوصل في الطعام المعتاد من سلفكم — تدسهم الله — الى هذه الجزيرة وعدا ، وأنهى اليهـا اجتهادا في أمره وجدا ، وأنكم جددتم من حسنات بيتكم عهدا ، فأورينا في الشكر زندا ، وأوضحنا في الثنـاء قصدا .

(31 : ب) وقد كانت عادة والدكم — أزلفه الله اليه ، وجدد ملابس الرحمة والرضوان عليه — أن يصدر عنه مكتوب بمقدار ذلك الامداد، وتعيين موضعه من سواحل البلاد . ونحن نأمل أن تسلكوا ذلك العمل في سبيل الجهاد ، وتخلدوا من الاعمال الصالحة مـا يجده من يؤمل حسن المعاد . أذكرناكم بذلك على سبيل الوداد وكرم الاعتقاد . ووجهنا من يقرر لديكم ما عندنا

---

8) زيادة في « الريحانة » ، والسياق يستلزمها .
9) زيادة في الريحانة .



ان الامثال والحكم الشعبية تكون ، فى غالب الاحيان ، مسبوكة فى عبارات وجيزة ومسجوعة ؛ وكثيرا ما تكون متداولة فى الاوساط الوديعة لانها وليدة الحياة اليومية والخبرات الذاتية . فهي تنبع وتنشأ فى الاسواق والحانات والفنادق والحمامات والمقاهي الخ . ولا يهتم بها الكتاب والادباء الا لجمعها ولتبويبها او لدراسة ما تشتمل عليه من الفاظ عامية، وفصيحة وغريبة فى آن واحدة .

فاننا لا نسمع اليوم الامثال الا فى « الحلقات السوقية » او « المسرحيات العامية » واكثرها عرف منذ احقاب ، لان زمان « السرعة » و « المطبعة » لا يساعد على انبثاقها ورسوخها فى الاذهان ؛ ورغم اقدميتها ، فانها تعبر عن حقائق ما زلنا نعتبرها واقعية بالنسبة لبيئتنا الاجتماعية ، وذلك لانها تعبر عن عواطف وعادات جماعية متأصلة الجذور ، متمكنة من النفوس ، ولا تتغير بسرعة شأن الافكار والآراء .

واني اسوق هنا امثالا شعبية ذات صلة وثيقة بطرق الكسب والحياة المعاشية ؛ فانها بمثابة حكم ووصايا قد تبدو ساذجة وبسيطة الا انها ما زالت توحي بالتيقظ والحذر فى مواقف شتى من مواقفنا الحياتية ، وهي ، على كل حال ، تصور جوانب كثيرة من الحياة الاقتصادية التي عرفها المغرب قبل عهد التصنيع ، وتشخص عادات وتقاليد واحكام قد يكون بعضها تغير مع تغير النظم والاوضاع ، الا ان اكثرها لم تزده الايام الا قيمة واعتبارا .

1) « اللي ما عنده فلوس كلامه مسوس »

الشعب يعرف قيمة « الدراهم » ويعرف انها اللسان لمن اراد فصاحة ، والسلاح لمن أراد قتالا » وانها هي التي تجعل الحياة طيبة ، اذ

2) « الفقر مشين القعدة ومقبط الرعده »

يجعل الحياة « مسوسة » لايستساغ طعمها .

ومن المعلوم ان هذا « حكم من يعتبر المال وسيلة للحياة لا الحياة وسيلة للمال » . وقد اورد ابن خلدون ما يؤيد « ثقل وزن الغنى » وما يلاقيه المثري من تقدير وتبجيل ، حينما ذكر فى مقدمته نموذجا مما كان يسمى « بالاعاريض المزدوجة » وهي الموشحات المنظومة باللغة الحضرية وتسمى كذلك « عروض البلد » ، والنموذج المذكور منسوب لابن شجاع التازي ، وهو :

المال زينة الدنيا وعز النفوس
يبهي وجوها ليس هي باهيا
فها كل من هو كثير الفلوس
ولوه الكلام والرتبة العاليا

وقديما سمعنا العامة تقول :

3) « الاقرع بفلوسه جيب ذاك الراس نبوسه »

لان الثراء يضفي على صاحبه رداء التقدير والاكبار ، فترى الناس ينظرون اليه بعين الرضى متغاضين عما يكون به من عيوب ونقائص ، يستمعون

وان سلطان قشتالة (14) ردد الينا الرسل يطلب خلاص ناسه مما به اليه استظهروا ، وقد حشدوا كثيرا من الشكايات واستكثروا ، وحضروا بين يدينا ، فالقوا ما يختص بايالتنا ، منسوبا الى مواضع البلاد ، وما يختص بما يرجع لايالتكم الرفيعة العماد ، وطلبوا بالانصاف مما تثبت دعواه ، وخلاص كل شاك من شكواه ، فبلغنا الجهد فيما يرجع الينا من دفع الحجة التي فيها مدفع ، والاتيان بما فيه مقنع ، وغرم ما لزمنا غرمه ، واتجه علينا حكمه ، عملا بحسب التسديد الذي تتمشى به الاحوال ، ويحمد فيه بفضل الله المآل ، وقيدوا بتلك الجهة التي لجميل نظركم قضايا مقررة ، ودعاوي مفسرة ، وذكرنا لكم منها (33 : ب) فى مدرج كتابنا اشهرها عند الاعتبار ، واولاها بالايثار ، وسايرها كثير يقع الكلام فيه بين منتحلي الجوار ، من المسلمين والكفار ، وتبنى الاحكام فيها على ثبوت الآثار ، ولم نجد فيها حيلة الا مخاطبة مقامكم الرفيع المقدار ، اذ وجوه خدامكم بهذه البلاد — اعزهم الله — قد تنزلوا من هذه الدعاوي منزلة الخصوم ، وطال الكلام فى المنطوق منها والمفهوم .

فنحن الآن نرغب من مقامكم الاعلى ومثابتكم الفضلى ، أن يعين من بابكم من يصل الخلاص ممن يجب خلاصه ، واستخلاص ما يحق استخلاصه ، ممن يمضي بأمركم العلي الحق حيث تعين ، ويفصل بالواجب فيما ظهر وتبين . ونعين نحن من يقوم فيما يختص بجهتنا هذا المقام . ويعين سلطان قشتالة من جهته من يروم هذا المرام ، حتى يرتفع النزاع ، ويظهر للحق الشعاع ، وتستأنف الهدنة والامان الاصقاع . فما زال مقامكم يلتمس لها أسباب الرفق ، ويدر لها سحائب الرزق ، ويلتمس من التماس صلاحها أوضح الطرق . وبهذا النظر الذي سألناه من علاكم تتمشى الامور : وتتشرح بالحق الصدور ، ويطلب بجميع المسلمين من الشكايات على ما تضمنه العهد المأثور والعقد المسطور . وملك الروم فى الوقت قريب الدار، داني الجوار ، يغتنم دنوه لخلاص هذه الامور ، التي يعوق عنها المطال اذا بعد مكانه ، (34 : أ) وشطت داره ، ونزحت أوطانه .

عرضنا عليكم هذا الامر المهم قبل ان يخيل ما عقد ، وينهي ما سدد ، وانتم اكفى واكفل ، وجميل نظركم المؤمل ، وعلى مقاصدكم الكريمة المعول . وقد وجهنا الى بابكم فى هذا الغرض من يشرح الامور فيها، ويقرر المقاصد ويستوفيها ، وله بها دربة وخبرة . ومعرفة مستقرة ، ذلك القائد الكذا ، ومقامكم يتفضل بالاصغاء لما يلقيه ، والقبول على ما يؤديه . والله تعالى يبقي مقامكم سامية معاليه ، عائذا جميل نظره بالخير على من يواليه ، والسلام (الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته (15)) .

القاهرة

حققه الدكتور
محمد كمال شبانة

---

14) هو « الفونسو الحادي عشر » الذي حكم قشتالة سنة 1312 — 1350 م .
15) زيادة فى نسخ الريحانة ، دون الكناسة .

فالحج يغذي العواطف الدينية وييسر زيارة البقاع المقدسة ، والاتصال بمؤمنين ياتون من اقطار مختلفة ، الا انه قد يفهم من « الحج » اقامة « المواسم» وزيارة « الاولياء » وما يترتب على ذلك من تنظيم الحفلات والرقصات « الفلكلورية » .

والزواج يضمن استمرار النسل ويوثق أواصر المصاهرة ، الا انه يفتح باب الاسراف ، وكثيرا ما يؤدي الى التنافس فى الولائم والتفاخر فى الملابس والتباهي فى محتويات « الشوار » .

واما البناء فانه يوسع ميدان الشغل ويشجع المحترفين والفنانين من « زلايجية » و « جباسة » و « نقاشة » و « رقائقية » الخ .

فالمغاربة ، ولا سيما أهل المدن منهم ، مولعون بالتعمير، ويقيمون البنايات، اما للترفيه، واما للكسب، واما فى سبيل البر والاحسان ، ويعتنون عادة عناية كبرى بتزيين الابواب ، وتزليج افنية الدور ونقش الابهاء والحنايا الخ .

واما الموسرون منهم وذوو البيوتات والمناصب العالية فانهم يتبارون فى تشييد « القصور » و « المنتزهات » ولا يتأخرون عن استخدام امهر الصناع، واغلى المواد واقتناء أنفس الاواني واجمل الزرابي الخ.

14) « الشنعة ، خير من الشبعة »

نعم ، فان الرغبة فى « الشنعة » اي « السمعة» هي التي تدفع بالانسان ، فى غالب الاحيان ، الى تشييد الدور الفخمة ، واقتناء الملابس الانيقة ، وارتياد المصايف المشهورة ، وركوب السيارات ذات الالوان الزاهية ، وتنظيم الحفلات والسهرات ، والاستقبالات الخ .

كل ذلك طيب ما دامت تلك « الرفاهيات » فى نطاق الامكانيات ، ولكن اذا كان الوصول الى هذه « الشنعة » ، لايتم الا بقبيح الصنعة او بالتقتير في « الضروريات » المعاشية أو بالاقتراض من عمر أو زيد، فان الحكمة الشعبية لا تقرر ذلك .

15) « المزوق من برا ، اش حالك من داخل »

بل تسفه من يعتمد على « الدين » ليظهر في مظهر « زين » فمن الامثال المغربية فى هذا الموضوع :

16) « الدين ، مسود الخدين »

17) « المكسي بديال الناس ، عريان »

18) « ما يغلبك غير اللي يقول لك : اخرج من داري ، والا اعطيني ديالي »

19) « حبة قرض ، تخلي أرض »

نعم كل منا يعرف ما ينتج عن « القرض » من تقييد للحرية وتضييق لمجال التصرف ، فالدائن غالبا ما يكون من المرابين الذين شغفهم حب المال وخلت قلوبهم من الرحمة والاحسان ، يطففون فى الكيل والميزان ، ويبيعون الدونى من البضائع بأفحش الاثمان، وقد يفرضون على صاحب الارض لونا من الوان الفلاحة ، وطريقة من طرائف الاستثمار ، وعلى التاجر اسلوبا من اساليب المعاملات حتى يضطر المدين الى فك رقبته بوسيلة من الوسائل ولو كان ذلك ببيع ارضه او باخلاء داره او مغادرة وطنه .

ولا يخفى على ذوي الاطلاع ان « القرض » كثيرا ما افضى بامم ذات ماض مجيد بالوقوع فى ايدي الاستعمار الخانقة ، وانها لم تفلت منها الا بالرجوع الى حسن استغلال ما لديها من خيرات مادية وطاقات بشرية .

هذا واذا كان « الدين » وخيم العواقب فان الاقتصاد (التوفير) يعتبر لدى الشعب من الصفات المحمودة .

20) « الاقتصاد فى المعيشة ، نصف العيشة »

21) « الاقتصاد فى الكشينة ، (المطبخ) يبني مدينة»

وهناك امثال شعبية تحث على التقتير بل تدعو الى الصبر على الجوع اذا كان ذلك يفيد الاعتزاز بالنفس وادخار ما قد يساعد على تحسين الحالة وتوفر الكرامة .

22) « بات بلا لحم ، تصبح بلا دين »

23) « اللي خلى غداته لعشاته ، ما تشفوا فيه اعداته »

24) « عمر كرشك بالتبن ، وادهن شواربك بالسمن ، ودز على عدوك مصبن »

لاقواله ، ويؤمنون لدعواته ، ويحضرون حفلاته ـ وان كان هو نفسه لا يدعو الا الاثرياء امثاله ـ ويعودونه اذا مرض ويقفون بجانبه فى المحاكم ، ويزوجونه اذا رغب فى الزواج متغافلين ، فى بعض الاحيان ، عن كبر سنه ، وارتخاء عضلاته ، وارتعاش مفاصله .

والغني اذا توقف على قسط من المال يجد بسهولة من يقرضه .

4) « اللي عنده القمح يتسلف الدقيق »

والغني اذا مات تشيع جنازته افواج من ذوي الجلاليب والسلاهم ، وطوائف من الفقراء وحفظة القرءان ، ويترحم عليه الاقارب لاسيما اذا كانوا ممن يستفيدون مما يخلفه من مال او عقار أو عروض .

5) « الله يرحم من مات ، وخلى الميدة (المائدة) عامرة بالفتات »

ولكن لا ننسى ان الشعب يميز بين الاغنياء ذوي النعمة الحديثة ، والاغنياء الذين « ولدوا فى الخير والخمير » وورثوا المال خلفا عن سلف ولم يذوقوا مرارة الجوع ، ولم يسبق لهم ان اهينوا او احتقروا . والحديث النعمة ، مثل أولئك الذين « دعوا بأغنياء الحرب » أو « المارشي نوار » (السوق السوداء) ، يكون عادة جامد الكف ، مغلول اليد ، وكثيرا ما يتعالى عن الفقراء وخصوصا عن أولئك الذين يكونون قد عرفوه ايام البؤس والشقاء ، لانه يعرف قيمة «الفلس» وقد يكون سبق له ان وقف بين يدي أثرياء ذوي نفوس قذرة ونوايا فاسدة أو اغراض خبيثة .

6) «تاكلها من يد الشبعان اذا جاع ، وما تاكلهاشي من يد الجيعان اذا شبع »

والشعب اذا كان يقدر المال ويعتبره اقوى مذلل للمصاعب ، وانجع وسيلة لتحقيق الرغائب واكبر مشجع على خير الدنيا والاخرة ، واذا كان يفرط احيانا فى تبجيل الاثرياء ، حتى ذوي الصناديق الثقيلة والقلوب القاسية ، فهو لا يرى من الحكمة في شيء ان يعيش الانسان فوق مستواه .

7) « على قدر فراشك ، مد رجلك »

ولا يحبذ الاسراف والتبذير او على الاقل التسارع الى اقتناء الكماليات سيما بالنسبة لمن لا تسع امكانياتهم حتى الضروريات .

8) « الشيء من الشيء نزاهة ، والشيء من قلة الشيء سفاهة »

السفيه هو الذي لا يحسن التصرف ، ولا يوثق بمشروعية معاملته اذ السفاهة من موجبات « الحجر » والمنع من « النزاهة » لان « النزاهة » تليق بمن يعرف أين يضع رجله ويحسن اختيار ما يدخل عليه السرور ، ويستطيع على كل حال ، ان يؤدي ما تستوجبه « نزاهاته » من مصروفات ، حتى اذا انحرف عن الذوق السليم ومال عن « العرف » المقبول .

9) « اللي عنده سميده ، كل يوم عيده »

10) « اللي كثر زعفرانه ، يعمله فى أغلال »

«أغلال» يكفيه الصعتر »والكمون و«قشور الليمون» لتطيب رائحته ، و « يطيب » مرقه ، ولا يتوقف على الزعفران وهو « مادة » غالية الثمن تستورد من الخارج ، وتستعمل بمقدار ، وفى الوان خاصة من « الطواجين » فاستعمال الزعفران فى « أغلال » اذن امر نادر ، ولا يقدم عليه الا من لا يهمه ان يراعي ما الفه الناس ، « للناس فيما يعشقون مذاهب » ومن المعلوم ان الحاجيات تتفتق بازدياد الدخل .

11) «منين تشبع الكرش ، تقول للراس غني »

12) « اس خصك العريان : الخاتم امولاي ! »

اذا امتلأ بطن الانسان وبطون من يعولهم فانه يسوغ له ان يفرج عن نفسه بالغناء ، وقد يسرت ذلك الاذاعات . ولكن كيف يسمح للعريان بشراء الخاتم ؟ ! والمالوف ان ،

13) « اللي كثروا فلوسه ، يحج، والا يتزوج والا يهدم داره ويعاود يبنيها »

حقيقة فان المغاربةالاثرياء يرون فى هذه «المنافذ» الثلاثة استجابة لواجبات دينية ويرون فيها كذلك تنشيطا لحركات اقتصادية .

ولكن كثيرا ما ترى ايضا اصحاب الصنائع التقليدية المشهورة يأنفون من تعليمها لمن ليس من اقاربهم .

33) « صاحب صنعتك عدوك ، واخا يكون بوك »

اذ كثيرا ما تؤدي المشاركة فى الحرف الى التحاسد العقيم بدل أن يؤدي الى التنافس المثمر الراجع الى ما ترتكز عليه السمعة الطيبة من اتقان في العمل وتحسين طرق انجازه ، وهذا ما يحمل من جهة اخرى العملة الذين لم يحرصوا آباؤهم على تعليمهم صنعة معينة ، ان يقبلوا تارة على هذه الصنعة وطورا على تلك ، فلا يستطيعوا الوصول الى المهارة التي تضمن لهم الدخل المنظم :

34) « سبع صنائع ، والرزق ضايع »

لقد قيلت عدة امثال فى الحرف ، واصحاب الحرف وفى معاملاتهم ، خصوصا فيما يجب مراعاته ؛ فانه مثلا من اللازم أن تحدد للصانع شروط العمل من حيث الكم والكيف ، ومدة الانجاز والثمن ، وطريقة الاداء الخ ! .

35) « الشرط سيد الاحكام »

36) « اللي أوله شرط ، آخره سلامة »

واذا كانت المماطلة فى تادية اجرة العمل تعد من أكبر العيوب فان تسبيق الاجرة كثيرا ما يفضي الى النزاع ، اذ يقولون :

37) « تسبيق الاجرة ، من تبطيل العمل »

لان العامل الذي يتوصل بالاجرة قبل ان ينجز العمل المطلوب منه يميل عادة الى التهاون ، موهما انه لا يقصد الا الخير ومتعللا بالامثال التالية :

38) « لا زربة على صلاح »

39) « ازرب تنعطل »

فاذا كان القرويون يهجرون الى المدن للبحث عن العمل ، ويتحملون انواع المشاق للحصول على القوت والمأوى فانهم يقدرون ما للاستقرار من فوائد « اللي تبت نبت » ولا يغادرون البادية الا عندما لا يبقى لهم بها عمل مجد او عندما ينزل بهم فيها ظلم او حيف ، وحينئذ يخضعون لما قد تفرضه عليهم الظروف القاسية :

40) « الخدمة مع النصارى ولا لجلاس خسارة »

41) « اللي ترهنه بيعه ، واللي تخدمه طيعه »

واما اذا كان لهم أراض او كان من المتيسر عليهم ان يكروا فدادين يحرثونها أو ان يعملوا كخماسة فانهم يقبلون على الفلاحة لما قد تدره الارض من خيرات ، ولانهم يرون ان الاقتصاد بني على الفلاحة – اذ لم يعرف المغاربة التصنيع الحقيقي الا فى العشر سنوات الاخيرة – بل يرون ان الخير كل الخير فيما تجود به عليهم على الارض واما المكاسب الاخرى فما هي ، فى نظرهم الا روافد .

42) « جرثة ولا ورثة ولا سر حتى »

43) « احرث وطول المرجع ، فلوس التاجر لك ترجع »

وهناك امثال تبين فوائد « اراحة الاراضي بتركها بورا وفوائد التوسيع بين الاشجار :

44) « بور ارضك يكبر حظك »

45) « الشجرة تقول لاختها **بعدي ظلك على ظلي نجيب حملك وحملي »**

فلننتقل الان الى التجارة ، ان لفظة « تاجر » كثيرا من يكون لها فى العامية معنى « الغني »«الموسر» وغالبا ما يطلق فى المدن الكبيرة مثل فاس ومراكش والدار البيضاء على « اليهودي التاجر » وفى البداية على « المعمر الاوربي » صاحب « الفرمات » (الضيعات) .

وجولة قصيرة فى الاحياء التجارية ، وفى الاسواق الاسبوعية ، ومراكز الجماعات القروية وفى المعارض الوطنية والدولية ، كافية لابداء ما للمغاربة من نشاط مثمر فى الميدان التجاري .

ففي « القيساريات » و « الفنادق » والازقة المخصصة لانواع المبيعات نرى الاكوام من البضائع

ولكن اذا كانت الامثال تحض على الاقتصاد وحسن التصرف فان الشعب لا يرى خيرا ولا نفعا ، فى اكتناز الاموال فى الصناديق ، والامتناع عن ترويجها واستثمارها فى ما يحل ويطيب من طرق الاستثمار .

يقول العوام :

25) « اصرف ما فى الجيب ، ورب يجيب، ما في الغيب »

الا ان من الناس من يذكرون هذا المثل للصد عن الشح وللحث على استخدام الاموال طلبا للربح وتنمية رؤوس الاموال ، وعلى المغاربة فى الاخذ والعطاء ، ومنهم من يسوقونه حضا على التبذير والاسراف ،بل على « الاتكال » و « التوكل » الذي لا يسانده عمل ولا سعي كان من شأن السماء « ان تمطر الذهب والفضة»
فان هذا الصنف من الناس يرون انه من العبث ان يضع لموارده ومصاريفه « ميزانية » .

26) « ما كيحسب غير المزلوط »

« المزلوط » هو الذي يعيش فى الفقر والعسر وهو قلما يطبق قول القائل :

27) « اللي جابوا النهار ، يديه الليل »

بل كثيرا ما يضرب الاخماس فى الاسداس عسى ان يحظى بما قد يلقي على أيامه القاتمة بصيصا من النور وذلك لكي :

28) «نجمع قريش على قريش، حتى يعمل كديس »

ومهما يكن من امر فان المغاربة ، بصفة عامة لا يضعون لانفاقاتهم المنزلية « ميزانية » فالعامل مثلا او الموظف يعرف ما يقبض ، ولكنه لا يستطيع ان يتوقع بكيفية دقيقة ما قد يفتح امامه من أبواب الانفاقات الاستثنائية ، فالضيوف كثيرا ما « يفاجئون » فى ايام قد يكون فيها رب البيت فى حيرة من امره بسبب « هزال كيسه » والاقارب و « المعاريف » كثيرا ما « ينزلون » « بدجاجة » ولا يرحلون الا بعد ان يأكلوا « أخرافا » و « ديوكا » واحيانا الا بعد ان تجدد لهم الملابس وتقدم لهم أجرة السفر .

فالمغربي وبالخصوص الفلاح او التاجر الموسر كان ، الى عهد قريب ، لا يشتري ما قد يتوقف عليه من مواد غذائية اساسية بالتقسيط وبالكيلو « والرطل » بل كثيرا كان يشتري ، فى الابان المناسب، ما يكفيه لسنته ، من قمح وشعير ، وزيت وسمن و « خليع » الخ ويدخر فى « خزين المنزل » يدفع « مفاتحه » لزوجته او لامه او لحاضنته « دادة » اي لامراة رصينة تحسن التصرف ، وتضع الاشياء فى مواضعها ، والمغربي الذي تكون هذه حالته : يعيش عادة فى دار كثيرة المرافق ولا يتضيق من « الضيوف » سيما اذا كانوا من اقاربه أو من الذين بينه وبينهم معاملات تجارية او فلاحية تعود عليه وعليهم بالنفع والفائدة .

اما فى ايامنا هذه فان المغربي وبالخصوص الذي بالمدن ، موظفا كان أو عاملا او تاجرا فانه قلما يفكر فى « العولة السنوية » لان « قضاءه الحيوي » من حيث المنزل ، ومن حيث الاثاث ومن حيث الاواني . ومن حيث « العملة » لا يسمح له بذلك :

29) « بنات اليوم ، بنات الرطل والنص رطل ، من القفيفة للصحيفة »

فلننظر الان ما هي طرق الاكتساب والارتزاف التي عرف المغاربة فضائلها وتواصوا باتباعها .

ان الطبقات الشعبية من اهل المدن لا تستنكف من الاحتراف ولا ترى غضاضة فى الاعمال اليدوية .

30) « الحر حر ، والصنعة ما انضر »

والمغاربة ، بصفة عامة ، يقبلون على الصنائع ويرون فيها مكتسبا حلالا يضمن لهم العفاف والكفاف والغنى عن الناس ، الاحياء منهم والاموات :

31) يمشي مال الجدين ، وتبقى صنعة اليدين »

وكثيرا ما نرى أفراد اسر معينة يتوارثون الوانا من الحرف و « الصناعات التقليدية » ويعلمها كبيرهم لصغيرهم حتى نرى أسماء بعض الحرف تصير اعلاما لبعض الاسر « الصباغ » و « النجار » و « عواد » و « الخياط » و « الكباص » و « الحرار » . وما ذلك الا لان أفراد تلك الاسر تسابقوا الى تعلمها حتى عرفوا بها أو عرفت بهم .

32) « صنعة بوك ، لا يغلبوك »

ومراقبة الموازين والمكاييل ، ومحاربة الغش والتدليس ولكـــن :

52) « كل واحد عينه ، هي ميزانه »

ولا يجوز لنا ان ننســى ان المقاييــس تختلــف باختــلاف البيئــات والعقــول والنفــوس والمراكــز الاجتماعية والمستويات الحياتية والاعتبارات السلالية:

53) «لو كان تتقاد العقول، لو كان تبور السلوع»

54) « كل فولة مسوسة ، كيجيب لها الله فروج اعـــور »

واذا كان الكل يعرف ان الصفاء وحسن النية من مستلزمات التعارف والتعايش ، فالمشتري يحـرص على ان يختار احسن البضائع صنفـا واجملها منظـرا واطيبها طعما ، غير مفتر « بتزويق العرض » او رخص الثمن ، او تأخير في الاداء ، مطبقا المثلين التاليين :

55) « اقض وامض ، ورد فلوسك معك »

56) « اللي عجبه رخصه ، في الدار يرمي نصه »

او 57) « عند رخصه ، تخلي نصه »

والبائع كثيرا ما يكون سمحا ولين العريكة مـع المشتري الذي يؤدي الثمن نقدا ، لانه يعرف .

58) « ان البائـع بالطلـق ساعـي ولا داعـــي (ساع) او (داع) »

اي قلمـا يصـل الدائـن الى استيفـاء ما على المدين بدون الوقوف امام المحاكم او على الاقـل بدون « روحات وغدوات » الى منازل المدينين او تردد على الادارات والمصالح التي يعملون بها .

وغالبا ما نرى بالمتاجر والدكاكين اوراقا معلقـة عليها هذه العبارات .

59) « الطلق ممنوع ، والعتب مرفوع ، والرزق على اللــه »

ومهما يكن من امر فان « الدين » من مستتبعات المعاملات التجارية ، لان للدنيا « اقبالا وادبارا » .

60) « الى جات تجرها سبيبـة ، والى مشـات تقطع السلاسل »

61) « والسلطان بالتاج ويحتاج »

وقـد انشئـت الابنـاك وصناديـق القـرض والاستثمار ، لتيسير المعاملات وليمكـن للمعســر ان ينتظر الميسـرة ، ولكن المصارف ومؤسســات القرض لا تهتم بصفار التجار او الزبناء الذين لا يتوفرون على موارد ذات شأن ، ولذا نرى اصحاب المتاجر الوديعة لا يرون بأسا في البيع « بالطلـق » ولا سيما لصغـار الموظفين والمستخدمين الذين يسكنون بجوارهـم لان المدينين الاوفياء يكونون بمثابة الشركاء :

62) « اد ورد ، في المال شريك »

واذا ثبت صدق البائع وصدق المشتري فـلا يلبث الوئام ان يسود بين الاثنيــن ، فيطمئــن البائـع وتزدهر تجارته ، ويستريح بال الزبون فتنتظم حياته :

63) « الدنيا على المليح تولي »

64) « والانسان راس ما الانسان »

واذا ما اكرم الله الازواج بزوجات يحسن التصرف ويقدرن عواقب التهور والاسراف ، فان الاسـر تعيش عيشة منزلية كريمة سعيدة ، « والطيب لا ينبـت الا طيبـــا » .

65) « الخير مراة ، والشر مراة »

اجل فالثروة الحقيقية هي « الثروة البشرية » اي ما يتسم به افراد « الوحـدات الاجتماعيـة » من ضبط وحزم ومن حرص على مراعاة مقاييس التطور المعقولة في الميادين الروحية والاخلاقية وفي المجالات الاقتصادية سواء عند الانشاء او الانتاج او العرض او الاستهــلاك .

يقـــال :

المستوردة من الخارج أو المعدة للتصدير ، ونرى الدكاكين المثقلة رفوفها بالاثواب والملابس ، والاحدية والاواني ، ونرى كذلك اكياسا وصناديق وسلالا من « القطنيات » والخضر ، والفواكه ، الخ ...

وفى الاسواق القروية نرى نماذج عديدة من البضائع والسلع وقطعانا من الغنم والبقر ، والحمير والبغال .

واذا انت دخلت ، فى ايام معينة من الاسبوع او فى أوقات محددة من كل يوم ، بعض الاسواق او الرحاب المعدة للبيع والشراء فانك تشاهد طوائف من الباعة القارين او المتنقلين ، وافواجا من الرائحين والغادين لقضاء مآرب ، وتسمع اصوات الحمالين ، والسقائين والدلالين .

وعلى ذكر الدلالين نسوق هذا للمثل :

46) « اللي صدق دلاله لا ربحه ولا رأس ماله

وهذا مثل قد يصدق على « السماسرة » لانهم يعملون تحت ستار السر والكتمان عندما يتوسطون فى بيع دار او دكان أو ضيعة ، فانهم فى غالب الاحيان يزينون المكان فى نظر الشاري ليدفع الثمن المطلوب و « يظهرون » للبائع العيوب لكي يتنازل عن قدر من الثمن . هذا وقد يقع اتفاق بين السمسار والشاري لغبن البائع بوسيلة من الوسائل .

ان كثيرا من الامثال المتعلقة بالتجارة اي بالبيع والشراء تشير الى ان المشترين ، وخصوصا الذين يؤدون ثمن مشترياتهم نقدا ، قلما يتقنون بضاعة من غير ان يتحققوا من سلامتها وصلاحيتها ، ومن ان يطيلوا المساومة ، لانهم مقتنعون بان التجارة لا يستنكفون من الغش والتدليس وان خصائصهم ترديد الايمان المغلظة لتوكيد « قناعتهم » فيما يخص الارباح ولتزكية ادعاءاتهم فيما يخص قيمة بضائعهم وجودتها من المتعارف ان :

46) « مول الفول ما كيقول غير طياب »

وان شعار التاجر هو :

47) « عل ، تصيب ما تخلي »

ومعنى هذا ان البائع ينظر دائما « بعين الرضى» الى كل ما يحتوي عليه دكانه ، وانه يرى دائما في « الشاري » رجلا يجد لذة فى المساومة ، ويتهاود في الاثمان . ولذا يعتبر ان لا فائدة فى اشهار الاثمان و « التعاريف » .

ومن طبيعة الحال ان تضيق صدور التجار بالزبناء الثقلاء المفرطين فى المساومة و « المهاودة » . ولذا نسمع بعضهم يقولون :

48) « كساد عام ، ولا مشتري حنكور »

الا ان التجار الصغار لا يرون خيرا فى الاحتكار ولا فى « الكساد » لان بضائعهم قليلة او سريعة الفساد ورؤوس اموالهم طفيفة ، وارباحهم ضئيلة ، وحينما ينتشر الكساد تبيت البطون طاوية وتظل الوجوه مكفهرة وتشمئز النفوس من الركود والبوار حتى اذا كان فى ظل الامن والعدل . وهذا ما ادى الى ديوع المثل التالي :

49) « حكم جائر ولا سوق بائر »

هذا ولا يخفى على احد ان كثيرا ما تخصص فى المدن المغربية — بل الشرقية الاسلامية على العموم — اماكن معينة للباعة ولاصحاب الصنائع والحرف . وكثيرا ما تكون دكاكين اصحاب الحرفة الواحدة او البضائع المتشابهة فى ازقة او ساحات تصبح معروفة بها ، ولا ادل على ذلك من اسماء الاسواق والحارات بفاس مثلا او مراكش أو سلا او الرباط الخ ، فهناك « الحرارين » و « العطارين » و « الشرابلية » و « النيارين » و « العوادين » و « القطانين » و « السلالين » و « النخالين » الخ . بحيث يتسنى للزبناء ان يتجولوا بين الدكاكين قصد الشراء او التطلع الى ما قد يليق بهم اقتناؤه .

50) « الحوانيت مصطفة والارزاق مختلفة »

ويتسنى لهم كذلك ان يقارنوا بين البضائع المعروضة والاثمان المطلوبة ، فيمكنهم ان يختاروا ما يناسب ذوقهم او « طاقتهم الشرائية » .

51) « هود سحاري ، واطلع شاري »

ومن المعلوم ان بكل سوق من الاسواق الكبيرة ، محتسبا مهمته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر



حضارات الصحراء

للأستاذ محمد العربي الخطابي

لم تكن الصحراء في تاريخنا ، في تاريخ المغرب الكبير ، مجرد باب أو طريق نتصل منهما بالطرف الاخر من افريقيا ، بل ان الصحراء كانت امتدادا حضاريا لا يكتمل كياننا الجغرافي والتاريخي والبشري بدونه .

ومع ذلك ما اكثر ما نجهله عن هذه الصحراء ، وما اقل ما نعنى بدراسة احوالها وشؤونها ، الماضية منها والحاضرة !

فاذا كان بعض القدامى من مؤرخينا ورحالتنا وجغرافيينا قد اهتموا بالصحراء فدرسوها ودرسوا احوال سكانها ، أو جابوها فعرفوا مسالكها وشعابها ، فان المحدثين منا قد اهملوها اهمالا مزريا كأنها ليست جزءا يرتبط ببلادنا ارتباطا عضويا ، جغرافيا ، وتاريخيا ، وروحيا .

من المؤلفين والرحالين القدامى الذين اهتموا بالصحراء اهتماما يزيد او ينقص وحدثونا عنها وعن احوال سكانها : ابن حوقل ، والبكري ، والادريسي وابن خلدون ، والحسن الوزان ، وابن بطوطة ، وعبد الرحمن السعدي .

وجاء العصر الحديث فأبدى المؤرخون والجغرافيون والرحالون الغربيون اهتماما بالصحراء، فدرسوها من النواحي الجيولوجية والجغرافية والاثرية والانثروبولوجية والاقتصادية ، وحفروا فيها ونقبوا عن الآثار القديمة وعن النفط والمعادن ، واكتشفوا فيها ثروات لا تقدر بثمن .

وان بين أيدينا الان طائفة من المؤلفات والمراجع الهامة ، باللغات الاوربية ، عن الصحراء ، شرقيها وغربيها ، من هذه المؤلفات ما يتناول بالدرس عصور ما قبل التاريخ ويدرس المآثر والمخلفات المكتشفة في عدد من انحاء الصحراء ، ومنها ما يهتم بمسالكها وطرقها التي كانت تمر بها القوافل التجارية التي كانت تتجمع في غدامس وسجلماسة وغيرهما متجهة نحو الجنوب متوغلة في بلاد افريقيا السوداء . ومن هذه المؤلفات ما يبحث في جغرافية الصحراء ويدرس سطح ارضها وباطنها ، ومنها ما يدرس احوال سكانها الاجتماعية والانثروبولوجية ، ومنها ما يهتم باقتصادياتها . ومعظم هذه المؤلفات مكتوب باللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية والايطالية والالمانية، ولست اعرف لاهمها ترجمة الى اللغة العربية .

وآخر هذه المؤلفات التي صدرت في أوربا ، فيما اعلم ، كتاب « حضارات الصحراء » (*) اخرجته دار للنشر في بلجيكا اعتادت ان تصدر نفائس المؤلفات في شتى العلوم والآداب والفنون .

يشتمل هذا الكتاب على قسمين كبيرين : عنوان القسم الاول : « على طريق العربات الفرمية من طرابلس الى النيجر » ، يهتم فيه المؤلف بالصحراء الشرقية فيتعرض لثرواتها الاثرية الهامة التي اكتشفت في تاسيلي ونواحي فزان وغيرها . ويتحدث عن الصحراء في عصور القرطاجنيين والرومان والفتح الاسلامي ، ثم ينتقل الى الكلام عن قبائل ترغة (الطوارق) الملثمين ومواطن اقامتهم وترحالهم . وعن

(*) Attilio Gaudio - Les Civilisations du Sahara - Marabou Université, Vervier (Belgique)

66) « السوق لمن اصبح فيه ماشي لمن سمعيه»
وهذه حكمة ترمز الى ما يترتب عن التقليد الاعمى الذي تبدو خصائصه ، فى « الخضار » مثلا الذي يقصد باحمال من « البصلة » سوقا بيعت فيها البصلة غالية فى الاسبوع المنصرم ، او يستورد من بلاد بعيدة كتبا كثر الطلب عنها الخ . لان السمع « بالطلب » يكثر « العارضين » ويؤدي ذلك بطبيعة الحال ، الى انخفاض الاثمان ، بل الى الخسارة .

« فالمقلد تاجرا » كان او موظفا او محترفا قلما ينبغ ويصل الى ما يثلج الصدر فى « معترك الحياة » بيد ان الفرد المنتج ، صاحب المبادرات المفيدة المثمرة الذي يعرض بضاعة جديدة ، او يتكفل بخدمة طريفة ، لاشباع حاجات جديدة يتمتع بمكافأة « مزدوجة » : هي الربح المادي ، والشعور بالقيام بعمل عظيم .

الرباط : عبد القادر الخلادي

انس نفسك

قال ابليس : انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين .
وقال النمروذ : انا أحيي وأميت .
وقال فرعون : انا ربكم الاعلى .
وقال قارون : انما اوتيته على علم عندي .
وقال صاحب الجنتين : انا اكثر منك مالا واعز نفرا .

والا

فاخرج منها فانك رجيم	عاقبة ابليس
فبهت الذي كفر	عاقبة النمروذ
فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم	عاقبة فرعون
فخسفنا به وبداره الارض	عاقبة قارون
فاصبح يقلب كفيه	عاقبة صاحب الجنة

وتبدأ المرحلة الثالثة حوالي سنة 1200 ق. م. في عصر التاريخ . وهي **مرحلة الحصان** حيث يشاهد على الجدران الصخرية صورة تمثل محاربين يمتطون عربات تجرها الخيول . ويعتقد بان السكان الليبيين الذين ظلوا الى ذلك العهد قاطنين في شمال الصحراء قاموا بحركة توسعية . وقد مكنهم انفرادهم باستخدام العربات من مد سلطانهم الى ضفاف النيجر . وربما ينحدر (الطوارق) الحاليون من هؤلاء الغرميين (Garamantes) الذين وصف لنا هيرودوت عاداتهم .

اما **مرحلة الجمل** فقد بدأت قبل بضعة عقود من ميلاد المسيح ، حينما طرأت على الصحراء تغيرات لم تعد معها صالحة للسكنى بسبب ما أصابها من جدب .

لقد اكتشفت في اماكن متعددة جنوب طرابلس صور محفورة على الصخور تخلد حيوانات الصحراء قبل تحولها الى منطقة قاحلة ، ومن هذه الحيوانات : الفيل ، والنعام ، والبقر ، والغنم ، والتماسيح ، والفزلان ، والاسود ، وعجول الماء . وبفضل هذه الصور وبما عثر عليه من رميم العظام أمكن التعرف على البيئة البشرية والحيوانية والنباتية لذلك العصر.

وما كان لتلك الحيوانات ، النباتية منها والمفترسة ، ان تعيش الا في ارض غزيرة الماء وفيرة العشب . ولقد كانت بالصحراء الوسطى سهول ندية ومخضرة ، ووديان آهلة بالاشجار التي تقتات منها الزرافات والفيلة والنعام فضلا عن اقوام من الرعاة والصيادين .

وقد اضطرت تلك الحيوانات ، بسبب ما طرأ من جفاف وارتفاع درجة الحرارة ، الى مغادرة شمال افريقيا كما غادرت اوربا من قبل ، ونزحت الى غابات افريقيا الوسطى وسهوبها حيث بقيت الى ايامنا هذه. ولم تصبح اسباب العيش شاقة عسيرة في الصحراء الا في العصر الحجري الجديد حيث لم يبق فيها سوى قلة من الناس يقيمون حيث يوجد قليل من ماء . واننا لندين لهؤلاء القوم الصحراويين من العصر الحجري الجديد الذين صاروا رحلا يبحثون عن الماء والمرعى ، اننا لندين لهم بتلك العصور المحفورة على الصخور ، وهي تمثل المرحلة الثانية التي امتدت الى عصر الجمل.

هذا وقد اكتشفت في جبل « عوينات » ، على بعد نحو الف كيلومتر شرقي فزان ، صور صخرية اخرى نقلها بدقة العالم الطبيعي الايطالي (الكونت دي كابورياكو (de Caporiacco) ودرسها ونشرها فيما بعد المؤرخ (باولو كرازيوزي (P. Graziosi وتمثل هذه المحفورات حياة سكان ما قبل التاريخ ، اسلاف البربر، الذين يحتمل انهم كانوا من النوبيين . ويعتقد بعض الباحثين ان هذه الرسوم المنقوشة يرجع عهدها الى نحو 7500 — 5000 ق. م. وتظهر فيها أسلحة ، وحيوانات اليفة ، وادوات مختلفة وملابس .

وقد أعار (كرازيوزي) ، أثناء دراسة لحضارة فزان القديمة ، اهتماما كبيرا لبعض الرسوم التي تصور عربات تجرها خيول راكضة ويركبها محاربون مسلحون بالرماح والاقواس والتروس ، وهي صور لا يوجد لها شبيه في مكان آخر بالصحراء .

2 — الصحراء في عصر التايخ :

اول المؤلفات المكتوبة التي تتعرض لسكان الصحراء عند الانتقال لعصر التاريخ هي ما خلفه لنا هيرودوت (القرن الخامس ق. م.) وديودور الصقلي (القرن الاول الميلادي) ، اللذان حدثانا عن حياة هؤلاء الرحل الليبيين البربر الذين كانوا يجوبون الصحراء من النيل الى الاطلس .

لقد بدأت الصحراء (حوالي سنة 1000 ق. م.) تتحول الى ما آلت اليه من جفاف . واذا كان اليونانيون والقرطاجنيون والرومان قد بذلوا جهودا في سبيل استكشاف هذه الاصقاع ، فان معرفتنا عنها ظلت مع ذلك ضئيلة ، كما علقت بوصفها كثير من الاساطير . لقد خلف لنا هيرودوت معلومات دقيقة عن الاقوام الليبيين ، وحدثنا عن الطرق الذاهبة من (غرمة) الى الاطلس ، كما حدثنا عن بيروت مبنية بآجر من ملح ، وذكر هؤلاء القوم الرحل المجاورين للبحر الابيض المتوسط ، ووصف سكان ليبيا الآهلة بالحيوانات الموحشة . وهنا توقفت معارف هيرودوت حيث قال : « انني اجهل ما وراء ذلك ، الا انه يقال ان تلك الارض يعمرها قوم من العمالقة والاقزام وعجائب المخلوقات . وليس في مقدور أحد ان يذهب الى تلك الارض ما دامت الحرارة سائدة فيها » .

وقد كانت قرطاجة اول دولة من دول البحر الابيض المتوسط عرفت ان الصحراء ليست بلاد الشمس المحرقة فقط ، كما عرفت ان سكانها لم يكونوا من الهمج ، لذلك فانها لم تسع الى اخضاعهم لسلطانها، بل انها عرفت كيف تجعل منهم شركاءها في مكاسب تجارة منظمة عبر الصحراء . وبذلك كانت قوافل

عاداتهم وطبائعهم ومجتمعهم . ويختم هذا القسم بالحديث عن مشاريع استثمار الصحراء وتجهيزها والاستفادة من ثرواتها .

ويأتي القسم الثاني من الكتاب ، وهو بعنوان : « على طريق الذهب والملح ، من تافيلالت الى تمبكتو »، فيعطينا فكرة عن الثروات الاثرية المكتشفة فى الصحراء الغربية ، ثم ينتقل للحديث عن تافيلالت ومدينة سجلماسة وما كان لها من اهمية ثقافية واقتصادية قبل تخريبها ، ثم يتكلم عن الحركة التجارية وطرق القوافل بين تافيلالت وتمبكتو ، وعن وادي درعة وقبيلة أيت عطا وبلدتي تمكروت ونسرات وعن الجالية اليهودية فى هذه الاصقاع ، ثم يتعرض للصحراء الغربية فيتحدث عن الرقيبات وعن بلدة سمارة ومؤسسها الشيخ ماء العينين ومقاومته الباسلة للاحتلال ، ثم ينتقل الى الكلام عن سكان موريطانيا ومجتمعهم وعاداتهم ، ويخصص فصلا للحديث عن تمبكتو واهميتها التجارية والعلمية قديما . ويختم المؤلف هذا القسم بكلام عن مشاريع المواصلات عبر الصحراء وحالتها الراهنة .

والكتاب مزدان بالصور العديدة والخرائط . واسلوبه ممتع سلس يجمع بين طلاوة السرد الادبي ورصانة البحث التاريخي ، ولو ان الخيال يشتط احيانا بالمؤلف فيوقعه فى بعض المآخذ والهفوات ، الا ان شفيعه فى ذلك ، كما يبدو ، ولعه الشديد بالصحراء التي جاب أطرافها وخبر شعابها وتعرف على سكانها فاستقى بذلك معلومات مباشرة فضلا عن المصادر المكتوبة التي رجع اليها واثبت قائمة منها فى نهاية كتابه .

وسوف الخص فيما يلي بعضا من فصول هذا الكتاب للقراء بقدر ما يسمح به المجال :

على طريق العربات ، من طرابلس الى النيجر

1 — الثروة الاثرية :

كانت الوديان تتخلل سهول الصحراء وهضابها ، فى زمن سحيق ، فتبعث فى ارجائها الخضرة والحياة . وقد ابانت التنقيبات والحفريات عن وجود بقايا من ذلك الزمن السحيق نحو اسماك وضفدعيات ؛ كما شوهدت اشجار من فصائل البحر الابيض المتوسط مثل السرو والزيتون والفستق . وعثر العلماء على معالم ومخلفات دالة على ان حياة بشرية كانت قائمة على طول الوديان القديمة ، فوجدوا اسنة رماح من الصوان وشواقير من الحجر وحطام الخزف .

فى سنة 1956 قام هنري لوط (H. Lhote) برحلة شاقة الى (تاسيلي) حيث اكتشفت منذ حوالي نصف قرن مغاور زينت جدرانها بصور محفورة وملونة، فدرس هذه المواقع وجرد الوثائق والادوات . وتبين من فحص الصور الرائعة العديدة المنقوشة على الصخور المحجوبة عن اشعة الشمس والرياح الرملية ، ان الصحراء كانت فى قديم الزمن مغطاة بالاعشاب الاستوائية آهلة بحيوانات استوائية متعددة ومختلفة، كما تبين ان هذا المتحف الصخري الهائل يلخص تاريخ الصحراء قبيل بزوغ العصر الحجري الجديد .

وقد تمكن هنري لوط ، بعد فحص الفي صورة من الرسوم المحفورة فى صخور تاسيلي ، من استخلاص مختلف مراحل هذه الحضارة الصحراوية وتطورها . فالمرحلة الاولى تبدأ مع نهاية العصر الحجري القديم (6 و 7 آلاف سنة قبل ميلاد المسيح) ، وهي **مرحلة الصيادين** ، وتمثل الصور التي تنتمي اليها اشخاصا قصار القامة ذوي راس مستدير ، وحيوانات . ومن فحص هذه الصور استنتج ان السكان فى ذلك الطور كانوا ذوي بشرة سوداء . وهناك صور من حجم كبير تمثل بعض « الالهة » تنتمي الى مرحلة انتقالية ، ويظهر عليها التأثير المصري . وتمتاز هذه الصور بتعدد الوانها ، وهو امر يندر مثيله فى الصور الصخرية التي تنتمي الى عصر ما قبل التاريخ التي لم يستعمل فيها من الالوان غير الاحمر (المفرة) والابيض .

وتقع المرحلة الثانية فى العصر الحجري الجديد (حوالي 4000 سنة) وفيها اغار على الوديان اقوام جدد يختلفون عن السكان الذين استوطنوا الصحراء منذ آلاف السنين . وقد جاء هؤلاء الغزاة الجدد وهم يسوقون قطعانا هائلة من الابقار . وبمجيئهم امتلأت مغاور تاسيلي بصور اشخاص وحيوانات جديدة حفرت على صخورها . وتعرف هذه المرحلة **بمرحلة الرعاة** . وربما جاء هؤلاء المغيرون الجدد من الشرق ، وربما كانت لهم صلة بالحضارة المصرية . اما الصور التي حفروها على الصخور فتتسم بالحركة والواقعية ، وتدل على أن الذين نقشوها كان لهم نصيب من حسن الملاحظة ؛ فالالوان متعددة رائعة الانسجام ، فيها الاخضر والبنفسجي والازرق . وقد لقيت سوائمهم فى هذا الاقليم عشبا وفيرا ، وانهارا تتدفق ماء ، وجوا رطبا .

تأسست سجلماسة قبل فاس فكانت اولى المدن الاسلامية في شمال افريقيا بعد القيروان التي تأسست سنة 670 م . وقد اصبحت سجلماسة حاضرة صحراء المغرب وعرفت نشاطا سياسيا واقتصاديا ودينيا كبيرا ، وظلت طوال ثلاثة قرون مملكة مستقلة شاسعة الاطراف تمتد من الاطلس الى وادي درعة . استقر بها تجار توارددوا عليها من امهات مدن المشرق واقاموا بها متاجرهم ووكلاءهم . ولم يكن ازدهارها الثقافي فيما بين القرنين الثامن والحادي عشر بأقل من ازدهارها التجاري .

وقد اشتهر من قصور سجلماسة (قراها المحصنة) البالغ عددها ثلاثمائة : قصر تانيجنت ، وكان به الف بيت ؛ وقصر تاتو حسنت الذي كان يسكنه التجار الاجانب والصناع واليهود ؛ وقصر مامون . وكان لكل من هذه القصور الثلاثة رئيس واشياع ، وكثيرا ما كانت تنشب بينهم الخلافات فيتقاتلون ويؤدى بينهم الحال الى كسر قنوات الرى وقطع اشجار النخيل . وكان كل رئيس يسك نقوده الذهبية والفضية . وبعد استيلاء المرابطين عليها سنة 447 هـ (1055 م) كانت تعمل بها دار لضرب العملة .

وقد بلغ من رخاء تافيلالت انها كانت تدفع لبيت مال الدولة الفاطمية في القيروان (وكانت سجلماسة مقاطعة لها) مبلغ 400.000 دينار سنويا ، أي نصف ما كان يجبى من افريقيا الشمالية كلها .

وحيث كانت سجلماسة واقعة في سهل خصيب غزير المياه ، فقد كانت تزرع في حقولها الكروم والحبوب كما كان يزرع على طول وادي زيز القطن والكامون والكرويا والحناء . ومنها كانت تصدر هذه المحاصيل الى جميع انحاء افريقيا الشمالية .

لقد كان الملح ، حتى القرن الثاني عشر ، بضاعة التصدير الاساسية في تجارة الصحراء ، يحمل على ظهور الجمال ويباع في غانة بمثل وزنه ذهبا ، وربما بيع بضعف وزنه . وبعد الملح اصبح التمر من الصادرات الاساسية ، يستورد في مقابله من السودان الرقيق والتبر والعاج والابنوس والجلود .

وكان والي سجلماسة يبذل قصارى الجهد لضمان سلامة التجار عبر الصحراء بما يبثه في مسالكها من رجال الشرطة . وتأسست في ذلك العهد شركات تجارية حقيقية اشهرها شركة الاخوان المقري التي احتلت مكانة هامة في عالم التجارة بما كانت تقوم به من اعمال البيع والشراء وتزويد التجار بمعلومات عن مختلف الاسواق والبضائع ، ولما قامت به من حفر الآبار وتامين سلامة القوافل في المسالك الصحراوية .

وفي سنة 1962 اغار الاعراب الرحل على سجلماسة فافسدوا البساتين وحطموا قنوات السقي ودمروا البيوت والاسوار . وجاء مولاي اسماعيل العلوي فحاول ترميم ما تخرب منها واعاد بناء قصبتها ، وبدات الحياة تدب فيها لولا ان اغار عليها من جديد اهالي (ايت عطا) سنة 1818 ، فدمروها ونهبوها فاصبحت منذ ذلك الحين اثرا بعد عين .

3- الصحراء الغربية بين امس واليوم

بزغ عصر التاريخ في الصحراء الغربية مع قدوم الاقوام الرحل الاوائل الذين انحدروا بجمالهم من صحراء ليبيا ومن شمال افريقيا . وذلك في العهد الروماني الذي دفعت فيه اعداد من البربر داخل الصحراء حيث اختاروا حياة الترحال والمغامرة . وفي هذا العصر نفسه ازدهرت تجارة القوافل واتسعت نتيجة استخدام الجمل المستوردة من بلاد ما بين النهرين وفارس .

لقد اغارت قبائل زناتة وصنهاجة على الصحراء الغربية في القرن الثالث الميلادي ، وما زالوا يتوغلون فيها حتى وصلوا ألى السنغال والسودان . وكانوا كلما توغلوا عملوا على حفر الآبار وغرس النخيل ، واقامة المضارب في الواحات .

وحينما فتح العرب هذه البلاد ، وكانوا على جانب من الرقة والثقافة ، بدأ الاحتكاك بينهم وبين البربر الرعاة البدائيين ، فكان ذلك بداية وحدة روحية وسياسية ، وسلالية الى حد ما . وقد نشأ عن هذا الاختلاط ، بمرور الزمن ، هؤلاء القوم الصحراويون الذين حافظوا على البنيان الاجتماعي والعادات والاعراف البربرية ، واخذوا عن العرب اللغة والكتابة والدين والثقافة .

وعند قيام دولة المرابطين اللمتونيين عرفت الصحراء الغربية حركة اصلاح ديني عميق . وتحالفت القبائل العربية البربرية في جنوب المغرب ، وتألف هذا التحالف من لمتونة وجزولة ومعقل وبني هلال وبني سليم وبني حسان . الا ان عقد هذا التحالف قد انفرط في القرن الحادي عشر عند سقوط دولة المرابطين ، فتشتتت هذه القبائل في انحاء الصحراء ،

ليبية تجوب بانتظام ثلاثة آلاف كيلومتر فى الصحراء فتجلب من افريقيا السوداء الى شمال افريقيا بضائع تقوم على العاج والتبر والزمرد والياقوت وريش النعام، كما تتألف من الرقيق الاسود . وكانت واحة غدامس (على بعد 600 كم جنوب طرابلس) اكبر مراكز هذه التجارة الصحراوية . وقد بقيت القوافل التجارية تسلك ، طوال نحو الف عام ، نفس السبل بين سواحل طرابلس واقاليم وسط افريقيا وغربها ؛ وهي السبل التي تتوفر فيها منابع الماء . وما تزال هذه الطرق فى وقتنا الحاضر هي السبل الرئيسية الذاهبة من الساحل الى الداخل . ومن المرجح ان يكون الرومان قد جابوا هذه الفجاج أثناء بعوثهم العسكرية ، مع انهم كانوا يجهلون الجمل . وكانت الغاية من هذه البعوث تأمين المواقع الرومانية فى افريقيا التي كانت تمتد الى نوميديا وموريطانيا .

وفى سنة 665 م توغل العرب فى الصحراء الوسطى بقيادة عقبة بن نافع ؛ وقد اتاح مجيء العرب ازدهار الروابط الصحراوية وامكن للمغرب الكبير ان يكتب أروع الصفحات عن صلاته بافريقيا السوداء .

على طريق الذهب والملح ، من تافيلالت الى تمبكتو

1 الثروة الاثرية

كرس جان مالوم (J. Malhomme) — وكان يشتغل بالتدريس في معهد سيدي محمد بمراكش — عدة سنوات قضاها مستكشفا باحثا فدرس خلالها نحو 3500 صورة وجدت مرسومة ومحفورة على الصخور فى اكيمدن وجبل ياغور وتيزي نترلست . وتمثل هذه الصور أسلحة وخناجر من البرونز ، وأشخاصا وحيوانات ، وعربات ذات عجلتين تشبه العجلات التي اكتشفت فى تاسيلي ، كما تمثل رموزا يبدو انها ذات دلالة تعبدية.

واذا كنا نفتقد اية وثيقة اركيولوجية عن عصر البرونز فى المغرب ، فان اللغز الذي يظل قائما هو من أين كان هؤلاء القوم الذين حفروا هذه الصور يأتون بالبرنز ، وأين كانوا يخدمونه ؟ ان الحفريات الاثرية لم تمدنا لحد الان بأية اداة من ادوات البرونز التي تظهر فى الصور الصخرية ، كما لم يعثر على اثر لمعمل او منجم من ذلك العصر السحيق .

لقد برهنت بحوث (جان مالوم) على ان الاطلس الكبير لم يكن سدا منيعا بين الحضارات الصحراوية وحضارات السهول الشمالية فى عصر ما قبل التاريخ.

هذا وقد اكتشف كل من (اوديت دي بوينكودو وماريون سينوس(O. de Puigaudeau - M. Sinons) اربع محطات صخرية اخرى خلال رحلتين قاما بهما سنة 1937 وسنة 1950 ؛ وهذه المحطات هي : الهويرة ، وسيدي بولنوار ، وعسا ، وفم الحصن . وتضم هذه الاخيرة اهم مجموعات الصور المكتشفة فى هذا الاقليم واكثرها تنوعا . ويبلغ مجموعها 114 صورة . وقد عثر فى هذا المكان على عدد من بقايا عصر ما قبل التاريخ .

ان صور العربات المنقوشة على الصخور تنطوي على اهمية خاصة حيث انها تطلعنا على حدث تاريخي دقيق، وهو قدم العلاقات بين بلاد البربر وبلاد أفريقيا السوداء . ولقد كانت هذه الرسوم بمثابة علامات على الطريق يهتدي بها المسافرون وتسترشد القوافل عند رجوعها .

2 — تافيلالت ، ملتقى قوافل الصحراء المغربية

تافيلالت ارض شاسعة خصبة فى اطراف الصحراء تستهوى النفس بتنوع سكانها وبذكرياتها التاريخية والاسطورية . وهذا الاقليم الذي تتخلله البساتين الفيحاء والقصور ذات الشرفات ، والذي يشق ارضه وادي زيز ، بعد باب الصحراء ؛ وقد بقى طوال قرون محط التقاء القوافل والمبادلات عبر الصحراء ، حيث كانت الاتصالات تجري على نطاق واسع ، منذ فجر العصور الوسطى ، بين المغرب وافريقيا السوداء . وكانت تربط بين المغرب وضفاف السنغال والنيجر طريقان هامتان تمر احداهما في المنطقة الساحلية بين تيزنيت وكوليمين ، بينما تمر الاخرى فى تافيلالت .

ان السوق الاخاذة العامرة التي تعقد فى ساحة (ارفود) الكبرى ليست الا صورة شاحبة لما كانت عليه الفنادق ومرابط البعير قديما .

تأسست مدينة سجلماسة سنة 140 من الهجرة (755 م .) ، وسرعان ما اصبحت ملتقى طرق تجارية كبرى تنطلق من مصر وتمتد على الحافة الشمالية من بلاد البربر حتي تصل الى المغرب ، وهي طريق ارتادها تجار كانوا يأتون من العراق وفارس .

كان الطابع الشرقي غالبا على سجلماسة . وقد ذكر المؤلفون القدامى التشابه الموجود بين عمائرها وعمائر اليمن .

السعدي ، مؤلف كتاب السودان (القرن السابع عشر) وبابا شير فى (الربع الاول من القرن العشرين) .

وقد اسهم التجار واصحاب القوافل من العرب والبربر اسهاما كبيرا وموصولا فى سبيل اثراء الحضارة الزنجية بافريقيا . وبواسطة العرب تلقى غرب افريقيا رفدا خصبا من ثقافة البحر الابيض المتوسط وطرق معاش سكانه . واصبحت تمبكتو ، بفضل المبادلات التجارية عبر الصحراء ، عاصمة الساحل الاقتصادية وحاضرة العرفان منذ القرن الرابع عشر ، كما غدت مركزا دينيا وعلميا وادبيا للاقاليم المحيطة بضفاف النيجر . وقد قيل : « ان الملح ياتي من الشمال والذهب من الجنوب والفضة من ارض البيض ، غير ان كلام الله والعلوم والروايات والحكايات الجميلة لا توجد الا فى تمبكتو » .

لقد كانت هذه المدينة من اكبر المراكز العلمية الاسلامية . وكانت جامعتها اختا صغرى لجامعات القاهرة وقرطبة وفاس ودمشق . ذلك ما تشهد به مخطوطاتها القديمة التي تمكننا فى نفس الوقت من التعرف على ماضيها واستقصاء تفاصيله .

توارد على تمبكتو علماء وادباء من الاندلس الالتجاء بها فحملوا اليها ثقافة غرناطة وقرطبة ، ونقلت اليها القوافل الاتية من الشمال حضارة فاس ومراكش وتونس ، وعرفت عن طريق الحج ما انتهت اليه المعارف فى القاهرة . وبذلك استطاعت تمبكتو ان تستفيد من فتوحات العقل العربي ، وان تحصل على الجديد من المكاسب الثقافية ، وان تؤلف خزانة تعد من اكمل خزانات الكتب . وفضلا عن ذلك كانت تمبكتو مختصة ببيع المخطوطات وشرائها ، حتى لقد قال الحسن الوزان ، المعروف فى المغرب بليون الافريقي : « ان الكتب تباع هناك بكثرة وتدر من الارباح مالا تدره اية تجارة أخرى » .

* * *

الان وقد اتينا على نهاية هذه الخلاصة التي اقتبسناها من كتاب « حضارات الصحراء » الذي يعد من الكتب الجديرة بنقلها الى اللغة العربية ، تطالعنا اسئلة كثيرة من الصنف الذي يدور بخلدنا كلما كان الموضوع متصلا من قريب أو من بعيد بالمغرب العربي الكبير ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا .

هل من سبيل الى الخروج من هذا الغموض المحير الذي يحيط باصل سكان هذه البلاد الذين اطلق عليهم اعتباطا اسم « البربر » ، والذين قسمهم المؤلفون العرب القدامى الى بتر وبرانس ؛ ويشكك المؤلفون المحدثون فى هذا التقسيم وما يتفرغ عنه ، كما يشككون فى حقيقة الجهة التي انطلقوا منها الى هذه البلاد الافريقية ؟ ما مدى هذا الاختلاط الذي حدث بين كل الوافدين على هذه البلاد منذ عصور ما قبل التاريخ الى وقت انتشار الاسلام ، هذا الاختلاط الذي تبدو معالمه واضحة لدى الدارسين المحدثين من علماء الانثروبولوجيا فى السحن والالوان والصفات ؟

ما هي الحلقة الضائعة فى تاريخ المغرب منذ أن تعرض للتوسع الاوربي وللتجزئة التي كانت تتفق مع اهداف هذا التوسع وراحة القائمين عليه ؟ وبمعنى اوضح اين تبدا اطراف هذا المغرب وأين تنتهي ، وهل نحكم فى « تحديد » هذه الاطراف التاريخ الحضاري ام التاريخ السياسي أم العوامل الجغرافية الطبيعية منها والبشرية ؟

وماذا عن هذه الطرق والمسالك الصحراوية التي شهدت احقابا طويلة حركة تجارية مزدهرة شملت البلاد الواقعة جنوب الصحراء وشمالها وفى حوض البحر الابيض المتوسط ، وماذا عن مستقبل هذه الطرق وعن المشاريع الحديثة الرامية الى ربط المواصلات عبر الصحراء . وما هي اهميتها الاقتصادية والتجارية والسياسية ؟

اسئلة كثيرة تتردد وتنتظر الجواب الفاصل الحاسم ، وتاريخ ينتظر تقويمه وانصافه وتحقيق معالمه ودراسته دراسة شاملة ، علمية وموضوعية .

الرباط : محمد العربي الخطابي

ومنها انحدرت عشائر الرحل الذين يجوبون الصحراء الغربية فى عصرنا الحاضر (تكنة ، والرقيبات ، والمور) .

انا ونحن ندرس التاريخ الاستعماري بالصحراء الغربية فى الخمسين سنة الاخيرة لنفاجأ حينما نتبين ان شتى محاولات التوغل والتهدئة التي بذلتها الجيوش الاوربية لم تتمكن ابدا من اخضاع المحاربين من قبائل الرقيبات اخضاعا تاما ، حتى بعد ان القى الطوارق اسلحتهم . ومن اسباب ذلك قيام الشيخ ماء العينين ببعث همم سكان الصحراء الغربية وايقاظ عزائمهم . وكان هذا الشيخ زعيما روحيا وسياسيا كبيرا دعا قومه الى الجهاد ضد المغيرين الاجانب ، واحدث فى نفوس سكان الصحراء اثرا عميقا ، فكانت له بذلك هيمنة روحية وسياسية تامة .

حينما حل الشيخ ماء العينين بزمور سنة 1899 كانت تراوده امنية طالما فكر فى تحقيقها ، ذلك انه كان يحلم ببناء مدينة جديدة فى الصحراء الغربية تكون بمثابة محطة للقوافل وسوق صحراوية كبرى فى ذات الوقت . وقد اطلع سلطان المغرب على مشروعه هذا فتحمس له ووعد الشيخ بامداده بكل ما يحتاج اليه لانجاز هذا العمل . وهكذا انفذ له السلطان سفنا نقلت ادوات البناء من اكادير الى الساقية الحمراء ، واستقدم الشيخ المهندسين والصناع والبنائين من فاس وتطوان وطنجة ، وجنب الزليج من الصويرة . وعمل على شق طريق من تفروت الى المكان الذي اختاره لبناء المدينة . وسرعان ما بدات اعمال البناء وحفر الآبار ومد القنوات وغرس النخيل . واطلق على هذه المدينة التي انبثقت من الرمال اسم « سمارة » ، وكان بقصبتها 18 بناية من طراز عربي مغربي يقوم في وسطها مسكن الشيخ ماء العينين ، ويحيط بها سور ذو خمسة ابواب . وكان بمدينة سمارة اسواق وحي تجاري ومخازن للحبوب وخزان كبير لحفظ الماء . واسس بها الشيخ معهدا علميا كان يشرف عليه بنفسه، وشيد للمريدين والطلبة مساكن أوقفها عليهم. وكان بالمعهد العلمي مخطوطات ثمينة ضاعت مع الاسف. وفى سنة 1913 قام الكولونيل مورى بحملة انتقامية ضد مدينة سمارة بسبب الهزيمة التي الحقها به ثوار الرقيبات فى قلب الصحراء . وفى اثناء الحملة احرق الكولونيل مورى هذه المدينة الوليدة ، فلم يبق منها سوى الانقاض . ولم يشهد الشيخ ماء العينين هذه النهاية الحزينة التي ادركت مدينته حيث كان قد تمكن من الالتجاء بتزنيت . وقد خلفه بعد وفاته ابنه الاغضف الذي بقي نحوا من ثلاثين سنة ممثلا رسميا لخليفة تطوان فى الصحراء المغربية التي كانت تحت الحماية الاسبانية . ولم ينس الاغضف عهد والده وما قدمه له السلطان مولاي الحسن من عون وما اختصه به من حسن وفادة واكرام فى ايام محنته الاخيرة (*)، لذلك وفد الاغضف فى جماعة من اتباعه الى الرباط لمبايعة ملك المغرب محمد الخامس (طيب الله ثراه) على الولاء والطاعة .

4 - تمبكتو

تظهر على مدينة تمبكتو مسحة مغربية اكثر مما تظهر على اية مدينة اخرى من مدن جنوب الصحراء ، وذلك من حيث أهلها وطبيعتها .

اسس الطوارق هذه المدينة سنة 1100 م . ومنذ ذلك الحين وهم يعتبرونها مدينتهم . وقد اشتهرت تمبكتو بجامعتها العلمية وبما عرفته من ازدهار تجاري حتى سموها : « ملكة الصحراء » و « مفتاح الصحراء » و « جوهرة السودان » .

وحيث كان المغرب اقرب الاقطار الى السودان فقد كانت بينه وبين تمبكتو حركة تجارية نشيطة ، تنطلق القوافل اليها من تندوف والصويرة ومراكش وفاس وتافيلالت . اما الجزائر ، التي تأتي فى الدرجة الثانية من حيث المبادلات التجارية مع تمبكتو ، فان اتصالاتها بهذه المدينة لم تكن تقع راسا بل بواسطة توات . كما كانت التجارة بين طرابلس وتونس ، من جهة، وتمبكتو، من جهة اخرى ، تقع بواسطة غدامس.

واذا كانت تمبكتو قد فقدت شهرتها العلمية فقد خرجت من قبل علماء وفقهاء وادباء ذاع صيتهم من امثال احمد بابا (القرن السادس عشر) وعبد الرحمن

*) توفي السلطان مولاي الحسن سنة 1894 . اما الشيخ ماء العينين فقد حل بفاس سنة 1906 ، وكان قد بدأ جهاده حوالي سنة 1895 – اي فى عهد المولى عبد العزيز . وفى سنة 1909 انتقل الشيخ من عين سمارة الى تيزنيت . وتوفي سنة 1910 – على عهد المولى عبد الحفيظ ، وخلفه ابنه الشيخ محمد الهبة الذي تابع النضال ضد الاحتلال الاجنبي فى جنوب المغرب . ويظهر ان المؤلف قد اختلط عليه الامر كما وقع له فى بعض فصول الكتاب الاخرى.

والتي لا يقودها اي مثال تقارن بواسطته وتختار حسب مقاييسه . هذه الطائفة تعامل الآثار الادبية والثقافية كما تعامل اية بضاعة مادية ، والرؤية التي تقرها هي رؤية التاجر الى الاسواق . فالتاجر لايمكنه ان يستورد او يدفع ماله الا فيما يعلم سابقا انه قابل للرواج . وهنا يكمن الخطر لان الناشر من هذا النوع ، لاينظر الى دوره كمرب بامكانه ان يوجه الجمهور ، الى ما ينفع والى ما يرقي ذوقه . اذ من الواضح ان الاسواق الثقافية والادبية كاية اسواق اخرى ، يمكن للزبائن فيها ان يقعوا ضحية الرديء المبتذل اذا لم تكن هناك منافسة ، واذا لم يوجد الراقي الجيد بجانب الهزيل الغث . ويكفي أن يمر المرء بنظرة على قوائم المبيعات والمعروضات من الكتب ليدرك المستوى الذي تتدهور اليه المطالعات الثقافية والادبية عندما يغمر الغث سوقها .

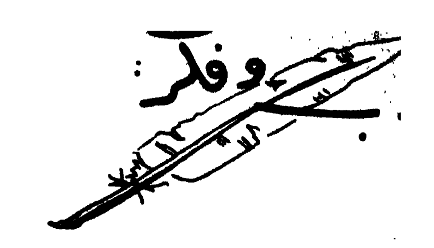
على ان المشكلة لاتنحصر فى هذا الجانب فحسب ، اي ان نتائج النظرة التجارية المحضة الى عملية النشر لاتقف عند حد يجعل المستهلك ضحية تقدير عقلي ، ويجعل الناشر يحقق الارباح الطائلة فحسب ، بل ان لهذه النظرة ، جانبا اخطر هو نتيجة حتمية لكل ما تقدم ، وذلك من جانب المؤلفين . فالمؤلف امام واقعة مرة كهذه ، مضطر اما الى أن ينزل بمستواه وينحرف عن اسلوبه وطريقته فى العرض ، واما ان يعاني الاعراض والتجاهل والتغافل ، وما يترتب عن ذلك من فل العزيمة وتثبيطها .

ولعلنا نتساءل هنا هل يعتقد « الناشر ــ التاجر » انه ذكي وانه محافظ على تجارته ، عندما يصرف النظر الا عن الغث والسهل ، الميسر للاستهلاك ؟ انه مخطيء بدون شك ان ظن ذلك . لان الاولى بالمهارة التجارية ان تتبنى بعد النظر ، ان يعلم صاحبها أن السوق ان كانت اليوم لبضاعة معينة ، فسينقلب الامر غدا ، مع ارتفاع المستوى الثقافي وتحسنه ، او على الاقل مع انتشار التعليم ، وتوافر القراء . فالاولى اذن للناشر أن يكتسب السوق قبل قيامها ، بل ان يعد زبائن المستقبل سواء من القراء او من المؤلفين . على كل ، ومهما تكن الجوانب التي يمكن ان ينظر منها الى هذا المشكل ، فان هذه الطائفة من الناشرين مدانة من الوجهة الثقافية والوطنية وهذا ما اثبته بيير دكارج فى هذه العبارة التي اردف بها تصنيفه للناشرين فى فرنسا « ... نحن اذ نهنيء الطائفة الاولى ، ندين الطائفة الثانية ، ونصافح الطائفة الاخيرة من حيث المبدأ »

والطائفة الاولى التي يهنؤها الكاتب ، هي التي تختص باصدار المجموعات المسلسلة سواء كان ذلك فى مجال الدراسات العلمية او الادبية ، او فى مجال التراجم او التعريف الجغرافي او مجال الروايات والقصص ... الخ . والذي بالطبع يدعو الى تهنئة هذه الطائفة هو انها بدون شك لكي تختص بنشر مجموعة معينة لابد أن تكون قد وضعت مخططا ذاتيا، وفهمت دورها ، وحددت اهدافها . وبالطبع هذا لايمنع من ان تكون هذه المباديء نفسها مبنية على اختيارات رديئة فى بعض الاحيان ، ولكن هذا ان حدث ــ وقلما يحدث ــ فهو خير من التذبذب والاضطراب دون هدف ، والجري وراء اسعار السوق . ان الدور التي تنشر المجموعات ، انما هي فى الحقيقة تخلق اسواقا خاصة بها ، وهذا ما يدفعها فى غالب الاحيان الى التوفق فى الاختيار والى الاحتفاظ بالزبائن ، وكسب المزيد منهم . وهنا نلاقي بالطبع تلك النقطة التي صادفناها سابقا ، والتي راينا فيها ان المهارة التجارية ، تتطلب من الناشر ، أن يكسب السوق قبل قيامها ، اي ان يخلق سوقه الخاصة به ، وهنا يأمن المزاحمة واخطارها .

ولندرك جيدا اهمية هذه الطائفة التي تختص بنشر المجموعات المسلسلة ، يكفي أن نستعرض بعض ما ظهر منها فى العالم العربي ، على قلة ما عنده في هذا الباب ، اذا قيس بالدول الراقية كفرنسا التي يكتب عن حركة النشر فيها كاتب هذا المقال . لنذكر مثلا سلسلة « الالف كتاب » و « علم النفس التكاملي » و « الدراسات الفلسفية » و « نوابغ الفكر الفربي » . الخ ان اسم السلسلة فى مثل هذه الاحوال ، يصبح شعارا له قيمته ، ويصبح ضمانا للسير المرضي للسوق التجارية .

اما الطائفة الثالثة وهي التي قال عنها صاحب المقال اننا نصافحها ، فهي بحق المثل الاعلى لما يجب ان يكون عليه الناشر ، فهي طائفة من الناس ينشؤون دورا للنشر ، ولكن عملهم لايقف عند حد تصريف المال والامور التجارية للكتاب ، بل انهم ليؤلفون ايضا ، او يشاركون فى التاليف ، وغالبا ما يكون المبدأ الذي ينطلق منه هؤلاء ، هو غيرتهم على ان يقع رجال الفكر ضحية رجال المال ، فيجتمعون ويكونون لجنة من الادباء والمفكرين ، تضع اعتمادات مادية لعملية النشر ، كما تزودها بالاعتمادات المعنوية التي هي ما ينشر طبعا . وكما تكون هذه الطائفة موفقة فى اختياراتها نظرا ، لثقافتها ومعرفتها بشؤون



الكتاب بين النشر والاستيراد

للأستاذ : مبارك ربيع

لا يمكن ان يتناول احد مشكلة الادب او الثقافة دون أن يعرج على مشكلة النشر والطبع . وقد تتداخل مشكلتا النشر والطبع فيتحدث عن مشكلة النشر وحدها باعتبار أن الطبع متضمن فيما ينشر. وادبنا فى المغرب بالخصوص يعاني من أزمة النشر عناء كبيرا ، اذ ما من شك فى ان وسائل النشر لو توفرت ، لامكن ان تظهر نماذج عدة الى الاسواق بامكانها ان تعطي نظرة على حياتنا الادبية وطريقتنا فى التفكير ؛ وذلك من دون شك ، من شأنه أن يقرب بين الاطراف التي تتناول ادبنا وثقافتنا بالدرس حتى لايذهب البعض الى حد الادعاء بأن هذا الادب غير موجود ، أو ليس له كيان . ان مشكلة النشر تكاد تعم البلاد التي هي فى طريق النمو . نعم ، ولكن هناك استثناءات عدة ، ففي بلاد الشرق العربي ، هناك اكثر من قطر انحلت عنده مشكلة النشر ، بل ان هناك من الاقطار العربية ، ما يشكو او يمكن ان يشكو من مشكلة تضخم النشر ؛ وقد رأينا فى كثير من الحالات ان لبنان الشقيق ينشر الترجمة العربية لبعض الكتب قبل ان تظهر مطبوعة فى نصها الاصلي ، وبلغتها القومية ، وهذا اقصى ما يمكن ان يبلغه نشاط دور النشر . وبالطبع لكل من تضخم النشر او وفرته، كما لقلته وندرته خطورة . فكما ان الاولى قد تذهب بالمستوى الرفيع للادب ، وقد تكون على حساب الثقافة العالية ، فان الثانية ايضا تؤدي الى قبر العبقريات الادبية ، واعاقة بوادر الابداع من الظهور. ومع ذلك فلربما كان المرء اميل الى ان يختار الحالة الاولى ، حالة وفرة الانتاج والنشر بالرغم مما فيها من مخاطر ، ذلك اننا لن نعدم فى خضم الوفرة والكثرة ، ان نجد بعض المبدعين المتفردين . ولعل من المفيد ان تطلع على الطريقة التي يعالج بها رجال الفكر فى الامم المتقدمة مشكلة النشر ، وهذا ما اوضحه « بيير دكارج » فى مقال اخير له (1) .

لقد تناول الكاتب مشكلة النشر والانتاج في فرنسا من جميع جوانبها والقى نظرة على قيمة كثير من الانتاج الادبي والثقافي فى هذا البلد ، بل لقد صنف كثيرا من انواع هذا الانتاج ، انطلاقا من تصنيف الناشرين له . ولعل من الغريب أن يكشف تصنيف الناشرين فى فرنسا على كثير من المشابهات بينه وبين انواع الناشرين فى البلاد المتخلفة وخاصة ما اتصل من ذلك بالروح التجارية التي تسود الكثير من رجال النشر وتوجه اعمالهم . وقد ميز كاتب المقال بين انواع ثلاثة من الناشرين . فهناك « الذين يصدرون المجموعات المتسلسلة » وهناك طائفة ثانية لاتوجهها الثقافة ، ولا التذوق الادبي وهؤلاء « عملهم تجاري محض » وطائفة ثالثة هي التي تمثلها بعض « دور للنشر التي تشارك فى الانتاج ، كما تشارك وتشترك فى النشر » . وما من شك فى أن لكل من هذه الطوائف الثلاث ، بعض المحاسن وبعض المساويء ، ولكن ذلك على درجات . فمن هذه الطوائف مثلا الطائفة الثانية ، التي تمارس عملية النشر ، دون وعي لدورها فى خدمة الثقافة والادب ،

(1 Pierre Descargues : « Le Dynamisme de l'Edition » - Les Lettres Françaises, n° 1211, du 6-12 décembre 1967

ودرجة التذوق الادبي والفني ، او ان يسمو بهمـــا ؛ فان هذا ليس أمرا مطلقا ؛ وان وعي المستهلك كفيــل ان يحد من قوتـــه ، ويكف من فعاليته ، ان وعـــي المستهلك هو الملاذ الاخير والحصن المنيـــع الـــذي بامكانه ان يصمد أمام تيارات الابتـذال والسخف . وبامكان التعاون والتآزر بين همة الناشر والمستورد من جهة ، مع همة المستهلك والمؤلف من جهة اخرى ان يحققا التوازن الثقافي ، والازدهار الفكري للامة . وهذا مجمل ما يمكن ان نخرج به ، من بسط مشكلة الكتاب . فالعلاقة بين هذه الاطـراف المشاركـــة فى عملية تصدير الكتاب الى السوق واستهلاكه ، يجب الا تكون علاقة عمادها « الشطارة » ، علاقة تغفيــل البعض للاخر ، لان هذه العلاقة من شانها ، ان تزيـد فى اقبار الجهود الادبيـــة ، فى ادراج النسيان عنـــد المؤلفين ، كما تؤدي الى امتلاء سوق الكتاب بما هـــو رديء ورخيص فى مضمونه . واذا كان الغيورون من رجال الفكر فى فرنسا ، ينددون بوضع كهذا ، ويدينون علاقة « الشطار بالمغفلين » فى دنيا الكتاب ، ويدعون الى تخطيط محكم ، فى النشر والتاليف والاستيراد ؛ اذا كان ذلك فى فرنسا وفي غير فرنسا مـــن الـــدول المزدهرة ثقافيا ، فما اجدرنا نحن بالانتباه الى هـــذا ، والاهتمام بـــه ، والعمل على تغييره وتبديلـــه .

الرباط — م . ربيـــع

صبـــر المومـــن

قـــال الشعبـــي :

لقد صبر خبـــاب بن الارت ، ولـــم تلن له بين الكفار قناة ، فجعلوا يلصقون ظهره العاري بالرضف (حجارة محماة) حتـــى ذهـــب لحمـــه .

وقال عمرو بن الحكم :

كان عمار بن ياسر يعذب حتى لا يـــدري مـــا يقـــول .

الفكر ، مما يفتقر اليه كثير من الناشرين ، فانها ايضا تكون موفقة فيما تؤلف ، لنفس العوامل والاسباب ، وبذلك يمكنها أن تؤدي دورها على اكمل وجه .

* * *

واذا كنا فى المغرب ، البلد الذي لازال مجرد متطلع الى حياة الانتاج الادبي ، والى غزو الاسواق الداخلية والخارجية بالكتاب المغربي ؛ اذا كنا فى هذا البلد لانطمع حاليا فى ان تظهر دور النشر او رجاله بالتخصص فى نشر السلسلات المعينة فى ميدان من الميادين ، واذا كنا كذلك نلاحظ بكامل الاسف ان من يقومون بالنشر لا ينظرون الى الكتاب الا كبضاعة لا تختلف عن غيرها من البضائع المادية ، التي تزخر بها الاسواق كالمأكولات والملبوسات ، واذا استرضى عن هذا ولا نرتضيه ، فان لنا ان نطمع ، فى ان تجتمع كلمة رجال الفكر ورجال المال جميعا ، فى تكوين لجنة للنشر ، تتوفر على الخبرة المالية ، والثقافة والدراية بشؤون الفكر ، قد يبدو هذا مجرد حلم ، ولكنه ليس مستحيل التحقيق ، ثم انه الكفيل بانقاذ حياتنا الادبية ، وتراثنا الثقافي من الاهمال والغبن والضياع.

* * *

تلك بعض مشاكل النشر ، بعض المشاكل فحسب . اما مشكلة الكتاب عامة ، فلا تتمثل في نشره فحسب ، بل ايضا فى استيراده ، فكما تستورد الدول ما تحتاجه لبناء اقتصادها وحياتها التجارية ، كذلك يستورد الكتاب . بيد أن عملية الاستيراد قد تكون لاسباب مختلفة ، فبينما هي عند بعض الدول ، قد تكون وليدة حب الاطلاع ، او التلاقح الثقافي ، والتعرف على آداب الغير وثقافته ، وطريقته فى التفكير ؛ اذا هي بالعكس من كل ذلك وليدة اسباب تتلخص فى الاملاق الثقافي والادبي ، فى البلد المستورد منه عند كثير من الدول ، وخاصة منها تلك التي لم تستكمل بعد أسباب النمو الثقافي والازدهار الادبي . وبالطبع لن نقول ان مشكلة الاستيراد الثقافي بالنسبة للبلاد التي تسعى الى التلاقح الحضاري والتعرف ، هي مشكلة ثانوية ، بينما هي مشكلة اساسية واولية عند البلاد التي تعاني املاقا او فقرا فى باب الانتاج الادبي والثقافي ، لمجرد ان هاته البلاد تستورد في الحقيقة غذاءها الفكري الاساسي ، عندما تستورد الكتاب من الخارج؛ كلا فليس المجال هنا مما يسمح بوضع الدرجات ، او تصنيف هذه المشاكل الى اولية وثانوية ، لان عملية التغذية الفكرية مهما تبد اساسية ، فان عملية التلاقح الثقافي لا تقل عنها اهمية . ولئن امكن فى كثير من الاحيان والظروف ، ان يتحدث الناس عن الاكتفاء الذاتي ، ولئن أمكن أن يستحسن هنا الحديث في غالب الاحيان ، ويؤخذ معيارا للوطنية الصادقة والغيرة القومية ، لئن امكن ذلك فان الحديث عن الاكتفاء الذاتي فى مجال الثقافة والادب يكون مدعاة الى اثارة الشبهات حول صاحبه ، وعاملا يدعو الى التشكك فى حسن نيته ، او على الاقل فى نظرته الجدية والسديدة للموضوع .

ان مجال الثقافة والادب ، ومجال الكتاب بصفة عامة ، هو المجال الذي لا يعرف الاكتفاء الذاتي ، وهو الذي يتطلب باستمرار عملية التلاقح الفكري بين الشعوب . اما الانغلاق على الذات وعلى التراث القومي والانتاج الوطني وحده ، فهو تغافل وغفلة عن رسالة الكتاب عامة . ومن هنا تكون اهمية الاستيراد والمستوردين لاتقل عن اهمية النشر والناشرين « فاذا كنا بدون شك ، مضطرين الى اعطاء الاهمية الى الناشرين الذين ينتجون كتبا جديدة فيجب الا تغيب عنا اهمية الذين يستوردون الكتب من الخارج ، ولو كان ذلك بدافع المنافسة التجارية اكثر مما هو بدافع وطني .. » ولكن بالطبع ، يجب الا تطغى المنافسة التجارية ، والا عدنا الى مشكلة النظرة التجارية المحضة الى سوق الكتاب . فالاستيراد يجب ان يخضع لتخطيط عميق حتى يمكن ان يؤدي دوره فى التلاقح الفكري . أما اذا خضع الاستيراد الى العوامل التجارية وحدها فسنجد السوق قد امتلأ بالغث والسخيف ، وسنجد كذلك مستوى التذوق العام ينحط ، وبالتالي ستتسع الهوة بين رجال الفكر ، وعموم القراء . فدور المستورد بالضبط هو دور الناشر ، ولا يمكن لاحد منهما أن يتخلى عن جزء من مهمته الاساسية دون أن يختل المستوى الثقافي فى البلد . أما اذا أمكن للمستورد أن يخطط ويختار ، فبالامكان حينئذ ان نطلع على الفنون والآداب وسائر مرافق الثقافة ، عند الغير ، فنستأثر ونؤثر ، ونظل فى تفتح دائم واستقبال مستمر .

ولعله يجمل بنا اخيرا ان نتساءل عن دور المستهلك ، فى سوق الكتاب ايضا . لا شك فى ان هذا الدور اذا احسن المرء اداءه واتقنه باستطاعته ان يوجه اختيارات الناشر والمستورد ، ويجبره على مراجعة عملياته ، واذا كنا قد أثبتنا سابقا ان دور الناشر ، كفيل بأن ينحدر بالمستوى الثقافي العام ،

للمغرب ، لالقاء سلسلة من المحاضرات فى موضوع « القرءان » ، وذلك فى نطاق الاحتفال بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزوله .

* يوجد فى المغرب الكاتب السوري المعروف الاستاذ نزار المؤيد المظم ، وقد قام بكتابة عدة تحقيقات صحفية فى مختلف المجالات ، في مجلات وجرائد شرقيـــة .

* صدر عن المركز الجامعي للبحث العلمي العدد الحادي والثاني عشر من مجلة « البحث العلمي»

* احتفل بالمغرب بالاسبوع الثقافي البلغاري .

* زار تونس وفد عن المنظمة العلوية للمكفوفين بالمغرب ، لتمتين اواصر الاخوة بين البلدين ، واطلاع هذا الوفد المغربي على التجربة التونسية ، وما وصلت اليه تونس فى هذا الميدان .

* اقيم فى طنطان موسم ثقافي ، القيت خلاله عدة محاضرات ، ونظمت فيه ندوات ثقافية .

* عقدت بمدينة طنجة المناظرة الخامسة التي نظمها المركز الافريقي للتكوين والبحث الاداري . وافتتح هذه المناظرة وزير التربية الوطنية ، والفنون الجميلـــة .

* زار المغرب اخيرا وفد عن لجنة انقاذ القدس الذي تنحصر مهمته فى لفت الانظار الى الاخطار المحدقة ببيت المقدس ، وبفلسطين المغتصبة ، مع تقديم وثائق ومستندات وكتب عن فلسطين العربية .

* نظمت « جمعية الشباب والمجتمع » ندوة حول مكافحة الامية واثرها الاقتصادي والاجتماعي ، وذلك بوزارة الشبيبة والرياضة بالرباط .

* صدر للاستاذ ابراهيم حركات ، كتاب مدرسي بعنوان : « طريقة التربية الاسلامية » .

* تستعد جمعية اصدقاء « المعتمد » بشفشاون لتنظيم مهرجان الشعر الرابع الذي سيكون موعد الاحتفال به فى منتصف شهر سبتمبر القادم فى موضوع « الشعر العربي ومعركة الحرية » .

* عقد بمدينة مراكش المؤتمر السابع لمنظمة المحامين المغاربة .

* قدم وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة الى مجلس الحكومة مشروع تأسيس مجلس وطني للتربية . وسيصدر به قرار بعد موافقة صاحب الجلالة عليه .

* اقيم فى معرض « باب الرواح » بالرباط معرض للفنان المغربي اليعقوبي . وقد سجل هذا المعرض نجاحا كبيرا .

* « متنوعات الاستاذ الفاسي » اسم كتاب سيصدر لجماعة من الكتاب المغاربة ، تنويها بمجهودات الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس، بمناسبة الذكرى العاشرة لتأسيس هذه الجامعة .

* اقيم بمدينة الدار البيضاء ، المناظرة العلمية الرابعة لاطباء وجراحي المغرب .

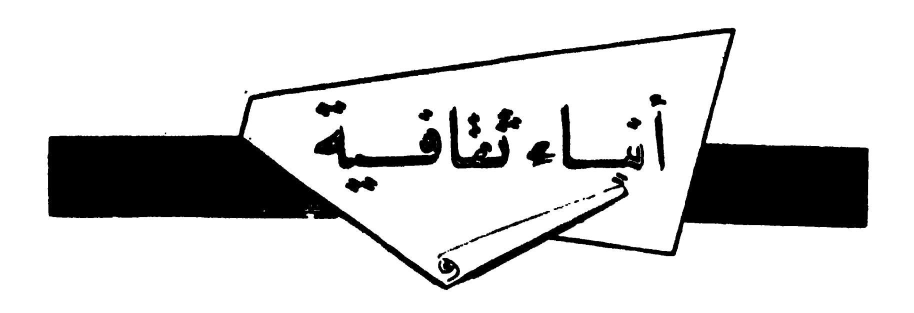
* توفي بمدينة طنجة العلامة الجليل سيدي محمد افيلال ، احد علماء المغرب الافذاذ . وقد كان المرحوم وزيرا للعدل فى الحكومة الخليفية بتطوان . وقد خلف الفقيد عدة مخطوطات مهمة فى الشريعة والاجتماع . وتتلمذ على يديه المع العلماء فى الشمال. رحمه الله رحمة واسعة ، واسكنه فسيح جناته .

* عين سفيرا للمملكة الليبية بالمغرب الاستاذ خليفة محمد التلسبي ، احد الادباء والمؤلفين اللامعين فـي ليبيـــا .

* القى الاستاذ جيلبو محاضرة قيمة بالدار البيضاء فى موضوع « المغرب فى الادب الفرنسي » .

* احتفل المغرب فى مهرجان ثقافي كبير بمدينة فاس بمهرجان « سلطان الطلبة » تحت الرئاسة الفعلية لصاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني ، وبحضور السلك الديبلوماسي ، وعدة شخصيات تنتمي الى عالم الفكر والادب ، وجمهرة الطلبة .

* يوجد تحت الطبع الديوان الاول الذي سيصدر للشاعر المغربي ، الخمار .



* بأمر من جلالة الملك ، قام وفد من العلماء المغاربة برئاسة معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ السيد الحاج احمد بركاش بزيارة الى الاتحاد السوفياتي . ويتألف الوفد من الاساتذة :

عبد الرحمن الدكالي ، عبد الله كنون ، عبد الكبير الفاسي ، محمد بنعبد الله ، وذلك تلبية لدعوة رسمية تلقاها وزير الاوقاف من طرف الحكومة السوفياتية ، في نطاق تمتين الروابط بين القطرين .

* وقع فى وزارة الشؤون الخارجية ، اتفاق ثقافي بين المغرب وبلغاريا .

* زار المغرب بدعوة رسمية الاستاذ الفاضل بن عاشور مفتي الديار التونسية . وقام بالقاء عدة محاضرات فى مختلف المدن المغربية ، كان لها صدى بعيد ، وتدخل هذه الزيارة فى نطاق الاحتفالات بذكرى مرور 14 قرنا على نزول القرءان الكريم .

* توجه الى باريس فى الشهر الماضي السيد محمد ازنيبر الاستاذ بكلية الادب بجامعة محمد الخامس ، واحد مساعدي اسرة مجلة دعوة الحق وعمدائها لاجتياز امتحان فى السربون لنيل شهادة التبريز . وقد نجح الاستاذ محمد ازنيبر بتفوق كبير، فكان على راس قائمة الناجحين .

واسرة مجلة « دعوة الحق » تهنى صديقها الاستاذ السيد ازنيبر ، وتتمنى له مزيدا من النجاح في غابر الازمان .

* نظمت وزارة الانباء خلال شهر يونيو بالعاصمة التونسية (اسبوع المغرب فى تونس) . وسيقوم بتدشينه وزير الانباء المغربي .

* قرر المعهد السويدي للعلاقات الثقافية منح جامعة محمد الخامس سلسلة من الكتب باللغة الفرنسية . وتعالج هذه الكتب مختلف اوجه المجتمع الحديث في السويد .

* جرت فى رئاسة جامعة محمد الخامس حفلة سلم خلالها سفير بريطانيا الى رئيس الجامعة الاستاذ محمد الفاسي ، آلة ميكرونيش كهدية من الحكومة البريطانية الى المركز الجامعي للبحث العلمي . وهذا الجهاز سيمكن الجامعة من الاطلاع على جميع سجلات العالم .

* اقيمت بمدينة مكناس مناظرة ، شارك فيها جميع المهندسين التابعين لوزارة الاشغال العمومية والمواصلات .

* تعقد اجتماعات لمشروع تأسيس جمعية من صحفي المغرب .

* زار المغرب السيد كونراد كادلو بوسكي مدير مكتب بون لدار « الجمعية الاوربية للصحافة » . وذلك لتمتين الروابط مع الصحفيين المغاربة .

* « هجرة الايام » ديوان شعر صدر اخيرا بالفرنسية للشاعرة المغربية السعدية القمري . وقد طبع بالديوان بباريس .

* قامت الفرقة الفنية الشعبية التابعة للاذاعة الجهوية لمدينة مكناس ، بجولة فنية فى القطر الجزائري توثيقا للعلاقات الفنية بين البلدين .

* بدعوة من وزارة التربية الوطنية ، قامت الدكتورة عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطيء) بزيارة

* صدرت للشاعر اللبناني فؤاد الخشن مجموعة شعرية بعنوان : « الهوى ، وحديث العينين » .

* صدرت عن منشورات المطبعة الكاثوليكية ببيروت كتاب : « العربية الفصحى : نحو بناء لغوي جديد » للاب هنري فليش اليسوعي ، قام بتعريبه وتحقيقه الدكتور عبد الصبور شاهين .

* « ارا الجميل » اسم ملحمة شعرية تاريخية صدرت ببيروت للويس رزق ، وتقديم سعيد عقل .

* صدر عن منشورات عويدات ببيروت كتاب : « القرن الثامن عشر » وهو المجلد الخامس من موسوعة « تاريخ الحضارة العام » ويقع فى نحو 700 صفحة ، قام بترجمته يوسف اسعد داغر ، وفريد داغر . ومن المنتظر ان يصدر الجزء السادس والسابع من هذا الكتاب .

* صدر فى منشورات وزارة الثقافة بدمشق كتاب : « تاريخ معرة النعمان » للاستاذ محمد سليم الجندي فى ثلاثة اجزاء ، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه الاستاذ عمر رضا كحالة ، كما صدر فى نفس المنشورات كتاب « اغنية المهد » وهي مسرحية لغريغوريو مارتينس سييرا ، قام بترجمتها الاستاذ محمد جلال الخطيب .

* عقد للمرة الاولى بمدينة براونشفايج بألمانيا الاتحادية مؤتمر المؤرخين الالمان لاجل تصحيح كتب التاريخ المدرسية ، ورفع جميع التعابير التي تتنافى مع الحقائق .

* سيقام فى دلهي الجديدة احتفال كبير للشاعر الاردي الكبير غالب ، بمناسبة مرور مائة عام على وفاته .

* توفي فى الشهر الماضي البروفسور لانداو الذي كان يعتبر من كبار العلماء النوويين فى العالم الى ما قبل ست سنوات .

* ستقوم امانة سر اتحاد الادباء العرب بنشر وقائع المؤتمر السادس للادباء العرب من بحوث ، ومناقشات ، وقرارات ، وتوصيات فى كتاب خاص يصدر قريبا .

* صدرت بباريس موسوعة باللغة الفرنسية « الشعر العربي المعاصر » بقلم الشاعر المهجري جورج صيدح .

* صدر فى العراق كتاب « بريطانيا والعراق حتى سنة 1914 » ويتضمن دراسة فى التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري وهو من تأليف الدكتور زكي صالح .

* « مجامر فى الكهوف» مجموعة شعرية جديدة، صدرت للشاعرة ثريا ملحس فى بيروت .

* قام الاستاذ يوسف يعقوب بترجمة كتاب « فتح العرب للصين ومعركة طلس ، او الطلخ لغزو بلاد الصين » وهو من تأليف المستشرق الانجليزي الدكتور دى . ايم دنلوب .

* صدر حديثا عن مجلة « العرفان » اللبنانية كتاب جديد للدكتور محمد يحيى الهاشمي بعنوان : « لغز ابي العلاء » .

* « الاسلام والقضية الفلسطينية » عنوان كتاب صدر فى هذه الايام للاستاذ عبد الكاظم البديري .

* الشاعر السوري عدنان مردم بك . صدرت له فى لبنان مسرحية بعنوان : « العباسية » عن منشورات عويدات ببيروت .

* قام الاستاذ خليل ابراهيم العطية بتحقيق : « ديوان توبة بن الحمير الخفاجي » صاحب ليلى الاخيلية ، وصدر فى هذا الاسبوع .

* « جغرافية الاندلس واوربا » من كتاب « المسالك والممالك » تأليف ابي عبيد البكري المتوفى فى قرطبة عام 1094 م . صدر بتحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجي .

* حلت ببلادنا بعثة ثقافية سوفياتية تتألف من العلماء ورجال الفكر ، وذلك للتعرف على مختلف النشاطات الفكرية فى المغرب .

* احتفل بمدينة مراكش فى قصر « البديع » بالمهرجان الوطني التاسع للفلكلور ، بحضور عدة شخصيات وسياح . وقد ساهمت فى هذا المهرجان مجموعة ضخمة من الفرق الفلكلورية التي تمثل مختلف نواحي المغرب .

* يصدر عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الجزء الثالث من كتاب « المدارك » للقاضي عياض ، الذي قام بتحقيقه الاستاذ السيد عبد القادر الصحراوي

* صُدر عن الدار التونسية للنشر « ديوان المدني » للشاعر التونسي الهادي المدني .

* كما صدر عن نفس الدار ، كتاب « آفاق التربية الحديثة فى البلاد النامية » للدكتور محمد فاضل الجمالي ، الاستاذ بكلية الاداب ، بالجامعة التونسية .

* اعارت جامعة القاهرة 12 استاذا جامعيا للتدريس فى جامعة ليبيا ابتداء من السنة الدراسية المقبلة .

* يصدر قريبا فى تونس كتاب « المتنبي » للشيخ الطاهر ابن عاشور ، كما يصدر فيها كتاب « القزاز : حياته وتراثه » للاستاذ المنجي الكعبي .

* « ابن فرحان » هو اسم لناد ادبي سؤسس بمدينة « قابس » .

* قام الاستاذ هلال ناجي بتحقيق كتاب « العمدة » لعبد الله بن علي الهيتي ، وقدمه للطبع بتونس .

* نعت القاهرة الشيخ الدسوقي الملاح ، المراقب العام لتفتيش العلوم الدينية والعربية بالازهر .

* ستصدر جمعية الادباء بالقاهرة مجلة بعنوان: « الكلمة الجديدة » .

* قرر معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ، اصدار مجلة للدراسات والابحاث العربية .

* فى القاهرة ، صدر العدد الاول من مجلة « الادب الافريقي الاسيوي » .

* صدرت فى بغداد مجلة فنية ادبية باسم : « الفنون المعاصرة » .

* قدم للطبع الباحث العراقي عبد الله الحيدري كتاب « ديوان ابن النبيه » ، بعد ما قام بتحقيقه على نسختين مخطوطتين .

* صدر بالقاهرة ديوان الشاعر العراقي ابراهيم ادهم الزهاوي ، وقد قام بتحقيقه الاستاذ عبد الله الحيدري .

* « ديوان النعمان بن بشير الانصاري » قدمه للطبع الدكتور يحيى الحيدري ، بعد ما قام بتحقيقه على مخطوطة ايا صوفيا .

* انتهى الاستاذ ساطع الحصري من تحرير الجزء الثاني من مذكراته التي تتناول الفترة المنتهية بنزع الجنسية العراقية عنه ، وابعادة سنة 1941 .

* اعد الشاعر العوضي الوكيل اربعة كتب عن المرحوم عباس محمود العقاد .

* « شهداء العروبة والاسلام » اسم كتاب صدر للاستاذ علي الجمبلاطي .

* الدكتور محمد خلف الله ، صدر له كتاب : « القرءان — ومشكلات حياتنا المعاصرة » .

* تقدم السيد عبد المنعم شحاتة بأطروحة لنيل الدكتوراه فى موضوع : « الروائي نجيب محفوظ » .

* « دراسات فى المذاهب الابية والاجتماعية » عنوان كتاب للاستاذ عباس محمود العقاد .

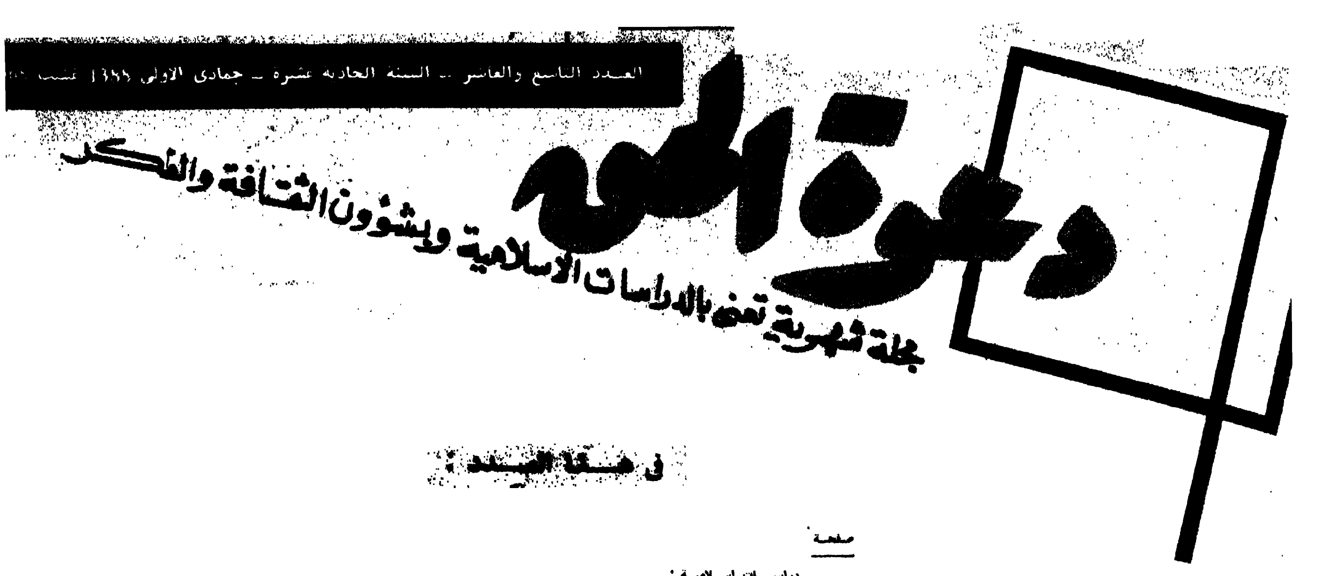
* قامت الادارة الثقافية بالجامعة العربية ، بترجمة « تاريخ الادب العربي» للمستشرق بروكلمان.

* « اصالة الحضارة العربية » ، كتاب صدر في بغداد ، للاستاذ ناجي معروف .

* صدرت فى لبنان مجلة بعنوان : « صدى الارز » .

* اقيمت فى لبنان عدة احتفالات تأبينية للفقيد اللبناني الدكتور نبيه أمين فارس .

* صدر عن دار المشرق بلبنان كتاب : « من مقدمة ابن خلدون » للدكتور البير نصري نادر الذي يقوم بالتدريس فى الجامعة اللبنانية .



في هذا العدد :

صفحة

تصدرها
وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهمان

الذي حقق هو كذلك الجزء الثاني الذي صدر منذ سنة . اما الجزء الاول فقد قام بتحقيقه الاستاذ السيد محمد بن تاويت الطنجي .

* يصدر للاستاذ اشتوان بوكا ، المستشرق المجري الذي يعمل استاذا بثانوية عمر الخيام بالرباط، معجم مجري عربي ، في 1200 صفحة . ويقوم بطبعه المجمع العلمي المجري .

* تنظم وزارة الشبيبة والرياضة خلال عطلة الصيف ثلاثة ملتقيات دولية للشباب ، يحضرها شبان من المانيا ، وفرنسا ، وليبيا ، وتونس ، والجزائر الى جانب الشبان المغاربة ، الغاية منها الاطلاع على مختلف اوجه النشاطات الثقافية بالمغرب، وتمتين الروابط بين شباب المغرب ، وشباب هذه البلاد .

* اقيمت بمدرج كلية الاداب بالرباط ندوة تحت اشراف وزارة التربية الوطنية في موضوع « الانسان في القرءان الكريم » ، وتدخل هذه المناظرة في اطار تخليد ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم .

* توجد تحت الطبع مجموعة قصصية للكاتبة المغربية خناثة بنونة .

* قام وفد اتحاد النساء العربي الفلسطيني بزيارة للمغرب بقصد جمع التبرعات لفائدة المنكوبين الفلسطينيين .

* صدر عن المكتب الوطني للسياحة عدد ممتاز من مجلتها : « المغرب السياحي » وذلك بمناسبة المهرجان الوطني التاسع للفلكلور الذي اقيم مؤخرا في مدينة مراكش .

* باغتت المنية الشاعر الدكتور سيف الدين الكيلاني ، سفير المملكة الاردنية بالمغرب سابقا . وقد احدثت وفاته موجة من الاسى في الاوساط الثقافية والديبلوماسية بالمغرب . تعزيتنا الحارة لذويه ، ولمقدري ادبه .

* حصل الاستاذ المكي السنتيسي على دكتوراه الدولة في الحقوق عن رسالته « تدابير الوقاية في التشريع الجنائي المغربي » وذلك يوم 14 يونيه .

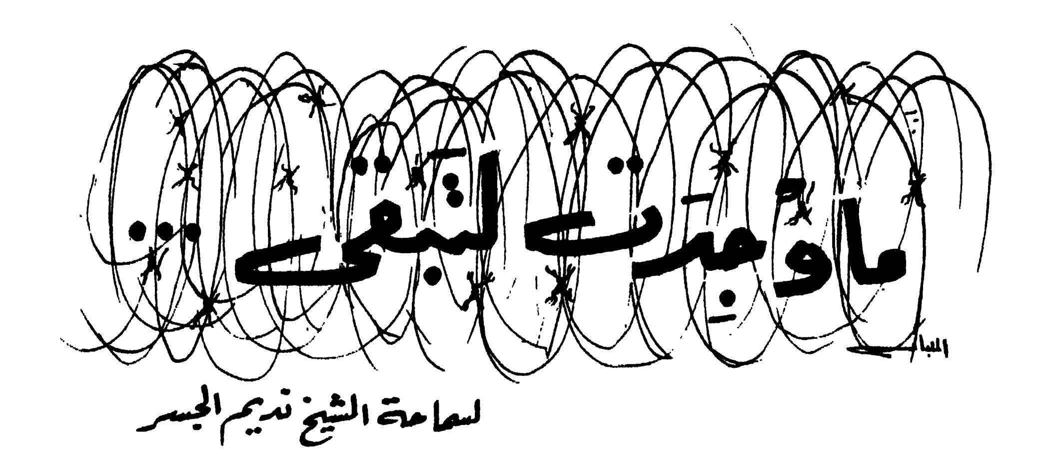
* العهد المخضرم في سوريا ولبنان — 1918 — 1922 ، للاستاذ الكبير محمد جميل بيهم ، وهو كتاب للحلقة الاولى من مذكراته خلال جيل تحدث فيه عن العهد المخضرم في سوريا ولبنان ، وقدم لحديثه عن هذا العهد مقتطفات قيمة تناولت الاحداث التي سبقته ، وعلى راسها الثورة العربية التي اعلنها الشريف حسين بمكة ، وقد اسند المؤلف في ذلك الى مذكرات الامير سعيد الجزائري الذي اعلن الحكم العربي بسوريا ولبنان ، تلك المذكرات التي خص المؤلف بها .

* اصدر المجلس البلدي لمدينة القصر الكبير النشرة الثانية التي تتضمن تاريخ هذه المدينة العريقة المجاهدة وعن رجالات وامجادها العتيقة في القرن العاشر الهجري .

وقد سبق لهذا المجلس ان نشر في نشرة اولى لمحة تاريخية عن مدينة القصر الكبير سنة 1964 مع تقرير شامل اتخذه برنامجا له .

وهذا التقرير بقلم رئيس المجلس البلدي السيد محمد بوخلفة .





لسماحة الشيخ نديم الجسر

نص المحاضرة العلمية الفلسفيـة التي القاها فى حفلة افتتاح الموسم الثقافي للمعاهد الثانوية العليا فى طرابلس العلامة الجليل والاديب الكبير صاحب السماحة مفتي طرابلس ولبنان الشمالي الاستاذ الشيخ نديم الجسر عضو مجمع البحوث الاسلامية في الازهر .

ان الكلام مع النخبة من العلماء والفهماء هو من اصعب الصعاب ، واهون الهينات .

اما السهولة فهي من جهة ان المتحدث الى النخبة يجد نفسه غير محتاج الى مزيد من الاسهاب ، والتبسط ، والتهبط عن مستواه ، ثم يجد نفسه ، في الموضوعات الدقيقة الشائكة ، التي تفتقر الى كثير من التلطف والحذر فى التعبير ، مستغنيا عن التصريح بالتلميح ، وعن العبارة بالاشارة ...

اما الصعوبة ، فهي من جهة ان العلماء والفهماء لا يؤخذون بسحر الخطابة ، والسفسطات ، والاغاليط ، والمبالغات ، ولا يمشي الحال معهم بالبهلوانية ، والنطيط ، والقفز من المعقول الى اللامعقول على قنطرة هوائية من المستحيل ، بل لابد للكلام ، معهم ، ان يعتمد على المنطق الصارم .

وبهذا المنطق الصارم سأحدثكم عن بعض جوانب النكبة ، وعن اسرائيل ، بلا غرور ، ولا غلو ، ولا خرط ، ولا اوهام ، ولا احلام .

من جوامع الكلم المروية ، عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :

(ما هلك امرء عرف قدره) .

ومما اشتهر على السنة الناس من كلام الحكماء ، من عهد الاغريق ، قولهم (اعرف نفسك) .

ولكن اكثر الناس يحملون ، هاتين الكلمتين الذهبيتين الجامعتين ، على وجه واحد من النصيحة ، وهو ان يعرف الانسان جوانب ضعفه ونواحي عجزه . وقل ان يتبادر منهما الى الذهن ذلك المعنى الاعم الاوسع ، الذي نحن احوج اليه اليوم .

ان غفلة الانسان عن معرفة نفسه ، فى حقيقة ضعفها وعجزها ، ليست اكثر ضررا من غفلته عن عرفان نفسه فى حقيقة قوتها ، وقدرتها .

ويزداد هذا الضرر ضراوة واستشراء اذا كانت هذه الغفلة فى حادث يتعلق بالجماعة او الامة :

لان للخور والتهلك واليأس ، عند صعقة البلية ، وبغتة النازلة ، عدوى سارية طاغية ، تنتقل من الضعفاء الى الاقوياء ، بل من السخفاء الى الحكماء ... ولولا ذلك لما تهلكنا ، كلنا ، امام المعركة المفاجئة حيارى مولولين ، يائسين ، قانطين ...

العدد التاسع والعاشر
السنة الحادية عشرة
جمادى الأولى 1388
غشت 1968
ثمن العدد
درهمان

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات ادارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما
فـأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حسـاب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ
الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفـون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

يقول بعض الذين خلقوها انها وجدت لتبقى ...
وانا اقول : انها وجدت لتزول ...

لا اقولها مغرورا ولا موتورا ، ولا مدجلا ولا مهولا ، ولكني اقولها عالما بنواميس الاجتماع ، التي بنى عليها وجود الامم ، وبقاؤها ، وزوالها ، بأمر الله، وحتمية التاريخ ...

دولة اسرائيل هذه لن تبقى فى فلسطين ، ولو اجتمع يهود العالم ، بملايينهم العشرة ، المتفرقين في اطراف الارض ، وجاؤوا كلهم الى فلسطين ، وحمل، كل واحد منهم ، مدفعا فى سيارة ، وصاروخا فى طيارة ...

وقبل ان اقول لكم لماذا لن تبقى دولة اسرائيل فى فلسطين ، امهد لكم بكلمة عن دولة اسرائيل فى التاريخ ، ودورها ، ونصيبها من البقاء، فى صراع ناموس تنازع البقاء .

ما هي دولة شاوول وداود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ، اللذين نقرا عن امجادهما ، فى تاريخ الدين وتاريخ الدنيا ، صفحات ذهبية مشرقة ، تكاد قرائتهما الخاطفة ، توهمنا انها دولة عظيمة ؟

انها دويلة ، بل اصغر من دويلة ، لا تتعدى حدود رقعة صغيرة ، من قطر فلسطين الصغير ، القاحل ، الضيق ، محصورة بين الامبراطوريات الفرعونية ، والكلدانية ، والاشورية ، والفارسية ، واخيرا الرومانية ، المتطاحنات فى حروب ، لا نهاية لها ، للسيطرة على العالم القديم ، الذي تقع دولة يهوذا في وسطه وقلبه وسرته ... فهي ، كدولة ذات كيان سياسي (وبقطع النظر عن الرسالة السماوية التي كانت ملقاة على عاتقها) لا تكفي ، بأرضها ، وسكانها ، وهيكلها الذهبي ، ان تكون لقمة ، فى اشداق تلك الامبراطوريات ، التي تقوم على جوانبها من الشروق والغروب .

هذا من بديهيات الناموس الالهي الاجتماعي الذي يسمى ناموس (تنازع البقاء وبقاء الانسب) وهو الاقوى .

ولكن دولة شاوول وداود وسليمان قد وجدت، بتدبير الله ، كما يقول المؤمنون ، او بتفاعل النواميس الاجتماعية ، كما يقول الملحدون ، لغاية عظيمة استنفذت اغراضها ...

انها وجدت لحمل رسالة ، فى سبيل غاية سامية، يريدها الله ، ويريدها الناموس الاخلاقي ، الذي سيبقى مسيطرا على البشر ، مهما فسدت الاخلاق . وهذه الغاية هي : حماية الشعب الوحيد الباقي ، (بعد ابراهيم ونسله) ، على عبادة الله الحق ، من مظالم الوثنية الفرعونية ، والكلدانية ، والاشورية ، والفنيقية . وقامت هذه الدولة الصغيرة ، وازدهرت، فى عهد داود وسليمان ، على اساس مبادىء الحق والخير .

ثم فسد الشعب ، فخرج عن مبادىء الحق والخير ، بظلمه ، وترفه ، وقتلة الانبياء ، فخسرت الدولة سبب بقاءها الوحيد ، وخسرت الديانة مقومات صلاحها ، فأرسل الله السيد المسيح ، صلوات الله عليه ، بالانجيل ، والدين الحق ، ليحل محل الديانة التي افسدها اهلها .

وسلط الله ، على الدولة الفاسدة ، من زلزلها ، وعلى الشعب الظالم الفاسق ، من مزقه ، وفرقه ، وشرده تشريدا لم يعرف التاريخ نظيره ، فى اي شعب من شعوب العالم : فكان الاجلاء الاول ، الى بابل ، على يد بختنصر ، وكان بعد ذلك هدم الهيكل والتشتيت الابدي ، على يد تيطوس الروماني ، الذي لا نزال نقرا اسمه ، وذكرى نصره على اليهود ، منقوشين على قوس النصر المنصوب له فى روما .

وهكذا انتهت الديانة اليهودية ، المنسوخة بالمسيحية ، التي تبنت خيارها ، وابطلت شرارها ، لانه لم يبق مبرر لوجودها الهيا .. وانتهت الدولة الاسرائيلية ، لانه لم يبق لوجودها مبرر وهو : حماية الدين الحق ، والاخلاقية الكريمة .

وانتهى الشعب اليهودي ، كوحدة اجتماعية ، لانه لم يبق لوجوده اى مبرر الهي ، ولم يبق لبقائه ، كوحدة ، اى مبرر اجتماعي ، بحكم قلته وضعفه ، وبحكم (ناموس تنازع البقاء وبقاء الانسب) ، فتمزق الشعب فى الارض ، ابابيد ، وضربت عليه الذلة والمسكنة ، وعانى ، من ضروب الاضطهاد ، والقتل ، والحرق ، والتعذيب، على ايدي الكلدانيين ، والرومان، والاوروبيين ، ما لا يمكن ، عقلا ان يكون بلا مبرر رباني، او اجتماعي ...

بعد هذا التمهيد ، التاريخي والفلسفي ، عن دولة اسرائيل القديمة ، ارجع لاكرر لكم القول : ان اسرائيل الدولة الحالية فى فلسطين ، ما خلقت لتبقى.

نكبة (احد) ، التي جرح بها النبي القائد الاعلى، فى قلب معقله ، هي معركة خاسرة ، ولم تكن نكبة الابد

وهزيمة (حنين) التي بقي ، فيها ، القائد الاعلى، وحده ، على سرجه ، لم تكن نكبة الابد .

وفتح الافرنج لبلاد الشام ، واستيلاؤهم عليها مدة قرنين ، لم يكونا نكبة الابد .

وفتح بغداد ، وتخريبها ، بعد قتل الخليفة المستسلم الذليل ، ووزيره الخائن ، لم يكونا نكبة الابد على شعب استطاع ان يصنع معركة (حطين) ، ثم استطاع ان يبيد ، ابادة ، جيوش المغول المتحالفة مع الافرنج فى (عين جالوت) .

وهزيمة (دمياط) و (المنصورة) ، التي كانت تحمل كل عناصر النكبة : بخيانة القائد ، وموت (الملك الصالح) ووضع الخلافة الاسلامية ، لاول مرة فى التاريخ ، فى حضن الجارية (الصالحية) ، وتقهقر الجيش ، وتضعضع الشعب ، لم تكن نكبة الابد ... وانحلت الازمة بأسر (الملك العظيم) ، ووضعه فى دار القاضي لقمان ، غير (الحكيم) ...

واسر (الملك القديس) هذا ، فى المنصورة لم يكن ، نكبة الابد ، كما ان أسر فرانسوا الاول فى معركة (باقيه) ، التي خسر فيها ، على قوله ، (كل شيء الا الشرف) ، لم تكن نكبة الابد على شعب استطاع ، بعد ذلك ، بامد غير طويل ، ان يخلق (الملك الشمس) ، الذي تحكم بمقدرات اوربا والعالم .

واحتلال الالمان لبارس وفرنسا ، فى الحرب على شعب استطاع ، بعد ذلك بأمد قصير ، ان يخلق بسمارك ، ويصنع معركة (سدان) ، ويأسر نابوليون الثالث ...

واحتلال الالمان لباريس وفرنسا ، في الحرب العظمى الثانية ، لم يكن نكبة الابد ، على شعب استطاع ان يخلق (ديغول) ، الذي بدا طريدا شريدا ، وانتهى، اليوم ، لان يتحكم بمقدرات اوربا ، بل بمقدرات العالم .

واحتلال الاستعمار الاوربي ، فى القرن الماضي ، للهند ، واندونيسيا ، ومصر ، وسوريا ولبنان ، وفلسطين ، والعراق ، والسودان ، والجزائر ، وتونس، والمغرب الاقصى ، وليبيا ، اي للعالم العربي والاسلامي كله ، تقريبا ، لم يكن نكبة الابد ، بدليل ان هذه الاقطار كلها ، تتمتع اليوم بالاستقلال ، وتقعد مع تلك الدول المستعمرة ، على مائدة واحدة ، فى الامم المتحدة .

واحتلال الحلفاء فى سنة 1918 لاستنبول عاصمة الخلافة العثمانية ، ثم اذلال الشعب التركي ، الى الحد الذي سمح به الحلفاء ، المنتصرون على الرجل المريض، لليونان ، باحتلال أزمير واختراق الاناضول ، لم يكن نكبة الابد على شعب استطاع ان يخلق (مصطفى كمال) ، وينتهي ، بعد 27 سنة فقط ، الى ان يرى نفس الحلفاء ، الذين اذلوه ، يركعون امامه ، مستجدين منه ان يدخل معهم فى (حلف الاطلسي) .

فى معركة (المصير الابدي) للامم عناصر ثلاثة ، اساسية ، ضرورية ، يقوم عليها بقاء الامة :

الارض الكافية الوافية للبقاء .

العدد الكافي للبقاء .

الوحدة الفكرية الكافية لجمع القلوب .

وكل نقص ، في غير هذه الثلاثة ، من علم ، وتصنيع ، وتسلح ، يمكن تلافيه مع الزمن .

فان قيل لكم ان امة على وجه الارض ، بل في تاريخ الارض ، قد اجتمعت لها هذه العناصر الاساسية الثلاثة ، اكثر مما اجتمع للامة العربية والاسلامية فلا تصدقوا ...

ومهما قيل لكم عن ضعف العرب والمسلمين ، وعجزهم ، وخورهم ، وتنازعهم ، وفشلهم ، وذهاب ريحهم الى الابد ، فلا تصدقوا ...

ان امة تبلغ ثلث سكان الارض ، وتملك ، فى سرة الدنيا ، اكبر واوسع واغنى واشرف رقعة ، متواصلة، غير متفاصلة ، تمتد من اقصى المغرب الى اقصى المشرق ، وتمتلك ثلاثة من اعظم انهار العالم الستة ، وتمتلك اطول سواحل البحر المتوسط ، وتتسلط على معابره الثلاثة ، وتمتلك البحر الاحمر بكامله ، وتنام على بحر من البترول ، لا تنتهي اغواره ، ولا تنضب آباره ، ويشد قلوب ابنائها كتاب واحد ، نحو ايمان واحد ، باله واحد ، واخوة واحدة ... (انما المؤمنون اخوة) — (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار) — (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالحمى والسهر) ليست هي بالامة التي تغلب وتقهر الى الابد ...

اما اسرائيل فلن يكتب لها البقاء ... لانه لم يكتب لها البقاء ...

لتكون شوكة فى صدر الامة العربية،انما خلقتها لمصلحة سياستها الاستعمارية والبترولية ، ولم تخلقها للعاطفة . وستظل تحميها ما دامت لها مصلحة فى حمايتها ... فاذا قيل لكم انها سوف تحميها الى الابد فلا تصدقوا ، مما فى سياسة المصلحة شيء ثابت الى الابد ...

هذه حقيقة يؤيدها المنطق ، ويؤيدها التاريخ .

فمن بعد الحروب الصليبية الى اليوم ، لم تحصل ابدا ، من دول اوربا حروب على المسلمين لمجرد فكرة نشر الدين المسيحي ، بل كانت الحروب كلها ، للاستعمار والمصلحة . واذا كانت هذه الدول المستعمرة تسمح للتبشير ان يلعب دوره ، فانما تسمح له ليساهم فى معركة الاستعمار ، سماحا سياسيا ، يقصد به ارضاء الجهات المسيحية التي يهمها امر التبشير ، ويقصد به من جهة ثانية اضعاف الحبل ، الذي يشد وحدة المسلمين ، ويقوي فيهم روح المقاومة للاستعمار .

فالمصلحة السياسية والاقتصادية تكاد تكون ، وحدها ، المنطق الاساسي الرئيسي لاستعمار البلاد العربية والاسلامية ... والمصلحة السياسية والاقتصادية ، هي ، وحدها ، المنطلق للتخلي عن البلاد العربية والاسلامية ، واعطائها استقلالها .

واذا كان هذا واضحا ، فاوضح منه ان مساعدة الغرب لاسرائيل تنطلق من المصلحة السياسية ، وليس من حب اليهود ، او لتأييد الديانة اليهودية ...

واذا كان هذا مقررا ، وظاهر البداهة ، فانني اطرح الاسئلة الاتية :

هل التخلي ، عن تونس والمغرب والجزائر ، اعظم واوجع ، فى ميزان المصلحة الاستعمارية الافرنسية من التخلي عن مساعدة اسرائيل ؟

وهل التخلي عن الهند الدرة فى التاج البريطاني اعظم واوجع ، فى ميزان المصلحة الاستعمارية الانكليزية من التخلي عن مساعدة اسرائيل ؟

الجواب واضح وبديهي .

ومع ذلك فانه بحكم سياسة المصلحة لفرنسا وانكلترا ، وبقوة تيار السياسة الدولية العامة ، اجبرت فرنسا وانكلترا على ترك هذه المستعمرات العزيزة الغالية .

هذه السياسة الدولية العليا ، التي تتفاعل على الارض ، فترغم الجبابرة على ان يتخلوا عن جبروتهم وطغيانهم ، بحكم تدافعهم ، هي الناموس الاجتماعي ، الذي عبر عنه القرءان بقوله (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) .

وبقوة هذا الناموس يقوم التوازن الدولي بين الغرب والشرق اليوم ...

وبقوة هذا الناموس ارغمت ، فرنسا وانكلترا وهولاندة وايطاليا ، على ترك اعز واعظم مستعمراتها .

وبقوة هذا الناموس دفن الانكليز والفرنسيون اربعين الف عسكري ، من شبابهم ، امام حصون سيفا ستابول ، ليردوا روسيا المسيحية عن تركيا المسلمة ...

وها هو الناموس الالهي نفسه يعود ، ليتجلى من جديد فى سياسة الدولتين الاوربيتين ، اللتين هاجمتا بورسعيد ، بالاشتراك مع اسرائيل ، من عهد قريب .

فمن الذي كان يصدق ان ميزان السياسة في فرنسا سيتحول عن اسرائيل ، ويميل نحو العرب ؟

ومن يصدق ان ميزان السياسة العميقة في انكلترا التي خلفت اسرائيل ، يتحول ويميل نحو العرب ، ميلا بدات خيوطه الخفية تلوح للعيون القوية، فى ظلمة الاسبوع الاول من النكبة ؟ .

قد اكون متوهما ، وقد تكون هذه الرقصات في بارومتر السياسة من نوع الخداع ، الذي تعودناه ... ولكني احب التفاؤل من غير اتكال ولا تواكل ... وافضل ان ارد على التبسم بالتبسم فان كان خصمي صادقا زدته صدقا . وان كان كاذبا قطعت عليه طريق العذر فى مخاصمتي ، امام الراي العام فى بلاده نفسها ، بل عند الراي العام العالمي ، الذي لا يخلو ، مهما تالبت الدعاية الصهيونية ضدنا ، من بعض قلوب طاهرة ، ونفوس كريمة ، وعقول نيرة ، رايناها تساعدنا وتساندنا فى محنتنا مع الاستعمار ومع اسرائيل ، وتستطيع ، على قلتها ، ان تؤثر ، بعض التاثير ، في تحويل بعض جوانب التفكير للراي العام الغربي المسيحي .

والا فمن منا كان يتوقع ان نسمع ، فى عيد الميلاد المجيد ، من سيد احبار النصرانية هذه النغمة الكريمة الحلوة فى الحث على التعاون بين المسيحية والاسلام ؟

اولا ــ لان كيان الدولة الاسرائيلية قد فقد مبررات وجوده ، الدينية ، والاجتماعية ، فاعطاها لغيره .

ثانيا ــ لان دولة اسرائيل ، الجديدة الاصطناعية غير الطبيعية ، التي فقدت مبررات وجودها التاريخية والاساسية ، هي بذاتها ، وبقطع النظر عن النظرة الدينية ، غير صالحة للبقاء ، بحكم ناموس القوة في تنازع البقاء ، لانها تفتقر الى العنصرين الاساسين من عناصر البقاء : وهما (الارض الكافية) ، (والعدد العديد الكافي) كما سبق البيان فى صدر الكلام .

ثالثا ــ لان هذهالدولة الاصطناعية غير الطبيعية، قد وقع الفلاسفة ، الذين وضعوا نواتها ، فى سوء اختيار البقعة الصالحة لتكوين دولة يمكن ان يكتب لها البقاء ، بل وقعوا فى الفخ الذي نصبه لهم الاستعمار حين وافقهم على اختيار بقعة فلسطين ، بالذات ، لتأسيس الدولة الاسرائيلية الجديدة : فالاستعمار اراد ان يجعل اسرائيل شوكة فى حلق الامة العربية ، من غير ان يبالي بالمصيبة على من تقع من الطرفين (فبأيهما جاءت فبالعدو ...)

ولو قدر ، للفلاسفة اليهود ، الذين وضعوا نواة الفكر لاعادة دولة اسرائيل ، ان يختاروا بقعة اخرى ، فى احدى بلاد الوثنية الافريقية ، مثلا لكان من الممكن ان تتكون لهم دولة اسرائيلية قابلة للحياة والبقاء ، حتى ولو كانت البقعة المختارة صغيرة وقاحلة مثل فلسطين ، لانهم ، فى جوار الوثنية ، سيوفقون ، من غير ريب ، الى نشر ديانتهم ، التي تظل ، مهما افسدها اهلها ، ديانة ذات اصل سماوي ، صالح للتغلب على شرك الوثنية . وبهذا يتمكنون من توسيع رقعة الدولة الى المدى الكافي ، ومن تكثير عدد اليهود الى المقدار الكافي ، فيكتمل لهم ، بذلك ، الشرطان الاساسيان ، اللذان بينا انه يقوم عليهما بقاء الامم الى الابد .

ولكن فلاسفة اليهود خدعوا انفسهم، حين ركزوا انظارهم على جاذبية الدعاية الدينية ، التي يتأثر بها كل يهودي ساذج يقال له : انك سوف تحيي دولة داوود وسليمان فى نفس هيكل داوود وسليمان . فما لغباء الفلاسفة ما اغربه ...

هنالك قول مشهور لا أدري اهو من كلام الانبياء ، ام من كلام الحكماء يقول :

(اذا اراد الله انفاذ امر سلب من ذوي العقول عقولهم) .

وهذا ما يصدق على فلاسفة اليهود. انهم فكروا فى جاذبية الدعاية الدينية ، وغفلوا عن رد الفعل العنيف للدعاية الدينية ، نفسها ، عند المسلمين ، الذين يدخل فى صميم عقيدتهم ، تقديس المسجد الاقصى وما حوله ، والذين بذلوا فى الحروب الصليبية، دماء غزيرة ، حتى استردوها ، والذين مضى على وجودهم التاريخي فيها اربعة عشر قرنا ، حتى رات الدول المسيحية العظمى ، التي هي اقدر على انتزاعها من ايدي المسلمين ، ان تحترم ذلك الاستقرار التاريخي المزمن ، فتركتها لهم ، بل تركت سدانة معابدها فى ايديهم ، حتى فى عهد الانتداب الانكليزي .

من كل هذا يظهر بوضوح ، ليس بعده وضوح ، ان خلق دولة اسرائيل ، فى ارض فلسطين الضيقة القاحلة ، التي لا تكفي ، بمساحتها وثروتها الطبيعية ، لتكوين دولة ، ومن شعب لا يكفي ، بعدده ، ولو اجتمع كله ، للصمود ، وفى وسط بحر من الامتداد العربي الاسلامي الهائل ، الذي وصفناه ، وفى اتون من نار الغيرة الدينية الاسلامية والمسيحية ، ومع التجاهل لاثر الحق الناتج من الاستقرار التاريخي ، كان خلقا اصطناعيا ، يحمل ، فى صدره عناصر زواله ، لانه لا يعتمد للوجود والبقاء على اي مبرر ، من المبررات الدينية ، والاجتماعية ، والتاريخية والارضية ، او العددية او الاقتصادية .

وان قيل لكم ان هذا الكيان الاصطناعي تحميه الدول الغربية الى الابد ، فلا تصدقوا لانه لا مبرر طبيعي واساسي لحماية هذا الكيان الى الابد .

فالحماية اما ان تكون للعاطفة ، واما ان تكون للمصلحة .

اما العاطفة فلا عاطفة ... وتاريخ الاوروبيين مع اليهود هو سلسلةمن القتل، والذبح،والخنق، والحرق، ومن هذه المآسي ، التي وقعت فى اوربا على اليهود ، ابتلي الشمال الافريقي المسلم بهذا العدد الكبير من اليهود ، الذين فروا اليه ، ليأمنوا على ارواحهم وأموالهم ، وما زالوا آمنين ، حتى بعد المذابح التي وقعت على المسلمين فى (دير ياسين) ... وبعد العدوان الاسرائيلي الاخير ... وهذا من مفاخر دين الاسلام ، الذي يمنع الاعتداء على اي انسان ما دام غير محارب .

وتبقى المساعدة للمصلحة . وهذا هو الواقع . فالدول الاستعمارية ، التي خلقت دولة اسرائيل ،

الاسلام والمراة :
عقد اسطورية وموروثة حررنا منها
كتاب الاسلام

للدكتورة : بنت الشاطىء

بسم الله الرحمن الرحيم

« ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة »

صدق الله العظيم

ما يزال فهمنا لكتاب ديننا ، تشوبه شوائب دخيلة عليه من اسرائيليات مدسوسة واسطوريات موروثة ، وما يزال علينا ان نجاهد طويلا لكي نحرر هذا الفهم مما داخله من عناصر مقحمة على القرءان الكريم ، بعيدة عن روح تعاليمه وهداه ، ونصوص آياته المحكمات .

* * *

واعرض فى هذا المقال ، بعض تلك الاسطوريات والموروثات التي حررنا منها كتاب الاسلام ، مع لفتة الى ما اضفى على المراة من حماية وحرمة تفتقدهما فى هذا العصر الذي يزعمون انه عصر تحرير المراة .

* * *

كتاب الاسلام هو الذي حررنا من عقدة الذنب التي ظلت تلاحق جنسنا من بدء الخليفة ، وتتهم اول انثى على الارض بأنها بدات حياتها بالغواية وكانت ذريعة الشيطان لاغواء آدام واخراجه من الجنة . وقد ظلت هذه اللعنة تطاردنا جيلا بعد جيل ، حتى قرات كتاب الاسلام فتحررت من هذه العقدة ، لانه ابرأني من لعنة اغواء آدم ، ولم يقل قط ان زوجه كانت ذريعة الشيطان اليه ، واتلو من سورة طه :

« ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ، واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى ، فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ، فوسوس اليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ، فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى » .

* * *

وحررني الاسلام كذلك من الفكرة الممسوخة التي صورت لاجيال من امهاتنا ، ان المراة مخلوقة هامشية من ضلع الرجل ، وشتان بين المخلوق الكامل الاصيل ، وبين مخلوقة منتزعة من جانبه او ضلع . لا ادري .. !

وليس فى كتاب الاسلام ان المراة مخلوقة من ضلع آدم ، وانما الذي فيه انه تعالى خلقنا من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، واتلو من كتاب ديني :

« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا

وتبقى امريكا . وسوف ياتي دورها وتنقشع الغشاوة الصهيونية عن عيون الشعب الامريكي ، الذي لا يخلو من قلوب كريمة ، وعقول نيرة ترتفع احيانا فوق الدعايات وفوق الرواسب .

في العالم ثلاثة مدارات تصلح للبقاء الابدي ، لان لها كل مقومات البقاء التي ذكرناها .

المدار المسيحي ، والمدار الاسلامي ، والمدار الصيني الوثني . وليس ببعيد ذلك اليوم الذي سيقول به الشعب الامريكي :

يا ويلنا من الخطر الاصفر ...

وليس ببعيد ذلك اليوم الذي ستقف به امريكا المسيحية تستجدي مساندة المدار الاسلامي ، المؤمن، في حربها مع الوثنية الصفراء .

هذه المعاني كلها بحذافيرها قد ارتضت لها نفسي ، منذ اسبوع النكبة ، ونفثت بعضها في اسماع الناس الذين كاد ايمانهم ان يتزعزع ، في خطبة اول جمعة بعد الاثنين المشؤوم .

وذهبت الى المغرب الاقصى ، وتلاقيت مع وفود من علماء العرب والاسلام، وكانت احاديث، ومحاورات، ومجادلات فعدت اكرر هذه المعاني لاحيي بها امل اليائسين .

ونضجت هذه المعاني في ضميري من كثرة ما تخضخضت في راسي وعلى لساني .

وكانت سفرة الى طنجة ... وقفنا على مشارف الاندلس ، وعاد الى القلب الكسير حنينه ...

وتهافتت على العقل العبر ، كما تهافتت على العيون الدموع والعبرات ، فكانت تلك القصيدة(1)، التي تحمل اكثر تلك المعاني ...

ان الشعر ابقى على الدهر ، واهون على الذكر . واني ، على ان تذكروني ، وتترحموا علي لحرص ، جد حريص ...

لبنان : نديم الجسر

1) نشرت القصيدة في العدد الماضي .

فاطمة بنت محمد لقطع محمد ، عليه الصلاة والسلام، يدها . واتلو من كتاب الاسلام :

« ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين . وضرب الله مثلا للذين آمنوا امراة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا فى الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين . ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكانت من القانتين » .

والاسلام لم يحرر المراة من تلك العقدة الموروثة فحسب ، بل صان سمعتها وشرفها بسياج منيع من الحصانة والحرمة ، فحين يبتذل ناس سمعة الحرائر المحصنات الغافلات ، ويخوضون فى اعراضهن بمثل البساطة التي يتحدثون «بها عن سعر الخضر وفكاهات الموسم ، نتلو آيات النور :

« والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون » .

الى قوله تعالى :

« ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم ، يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون » .

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
(بنت الشاطىء)
استاذة بجامعة عين شمس



ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » .

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

فمن أين جاءت حكاية الضلع هذه وليس فى القرآن كله اشارة اليها من قريب او بعيد ؟

ارجح انها من الاسرائيليات التي روجها من اسلموا من اليهود فى عصر المبعث . وقد دخلت كتب التفسير وظن كثير ان لها ما يؤيدها من حديث رووه، أوصى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بالترفق فى معاملة النساء وشبههن بضلع ان انت حاولت تقويمه بالشدة كسرته . وقد تأولوا الحديث على معناه الحرفي ، وما أراه الا من البيان المجازي ، ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام : « رفقا بالقوارير » فهل يتأولونه بأننا ، معشر النساء ، خلقنا من زجاج القوارير ؟

* * *

المراة فى الاسلام مخلوق كامل ، خلقت والرجل من نفس واحدة،وحقها فى الحياة يتقرر بحكم انسانيتها وليس منحة من غير خالقها ، ولا هو متوقف على كونها تلد او لا تلد ، تنجب ذكورا او لا تنجب .

وقد غبرت عصور والمجتمع يهدد حق المراة فى الحياة اذا لم تلد ، وينبذها اذا لم تنجب الذكور ، وما تزال الامهات منا يعانين من مثل هذه العقدة الموروثة ، وما يزال فى مسمعي صدى من اغنية شعبية روعت مهدنا وارقت صبانا . تقول الاغنية على لسان أم :

لما قالوا دا غلام
انشد عظمى وقام
وجابوا لي البيض مقشر
وعليه الدهن عام

* * *

ولما قالوا دي بنيه
انهر ركن البيت عليه
وجابوا لي البيض بقشره
وعليه الدهن ميه !

والتقط سمع الزمان من تاريخنا الادبي ، ما سجله « الجاحظ » فى « البيان والتبيين » من شكوى ام هجرها زوجها الى بيت جارتها ، غضبا عليها ان لم تلد ذكرا :

ما لابي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان الا نلد البنينا
تالله ما ذلك في أيدينا

عقدة موروثة ، لم تنج منها مريم المصطفاة :

« اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم ، فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى ، والله اعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » .

وكتاب الاسلام قد حررنا من تلك العقدة الموروثة ، وحمى الانثى ساعة مولدها من ذلك الاستقبال البغيض ، واتلو من كتاب ديني :

« واذا بشر احدكم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب ، الا ساء ما يحكمون » .

* * *

وكانت العصور الخالية تتصور ان المراة لا تملك عفتها ، ومن ثم راحت تحكم عليها الابواب والاقفال ، وتقيم الحراس الذين يحمون فضيلتها وشرفها . وقد غاب عنهم ان فضيلة المراة بيدها ، وقد كانت دائما ، حتى فى احلك العصور ، تملك عفتها رغم الاقفال الموصدة والحراس الاشداء والابواب المحكمة .

وكتاب الاسلام قد حررنا من تلك العقدة الموروثة ، وقرر مسئولية المراة عن سلوكها وفضيلتها، وشرفها بتبعة التكليف شرعا . فهي مكلفة كالرجل سواء بسواء ، تحتمل تبعة عملها خيرا او شرا ، وتلقى جزاءه ثوابا او عقابا ، والقرءان الكريم فينا نتلو آياته المحكمات :

« من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

« الا تزر وازرة وزر اخرى ، وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى » .

فليس اب او زوج او اخ بالذي يحمل عن احدانا تبعة عملها ، وانما تحتملها كاملة بالاصالة ، ولو سرقت

اثلاثا ، واكل منها ثمانية وبقي سبعة ، واكل لك واحد من تسعة ذلك واحد وله سبعة ، فقال الرجل رضيت الان .

وجوابه فى المسأله المنبرية كذلك مشهور فى كتب الفرائض واخرجه البيهقي فى سننه كذا تلقيه فى بعض الاثبات ، وعنده جواب فى الدينارية الكبرى وهي معلومة فى كتب الفرائض ايضا ونظمها هو :

وصالحة جاءت عليها لتشتكي
شريحا تنادي الظلم شرا واجهارا

فقالت اخ في نصف الف وخمسها
توفي فاعطاني فى الكل دينارا

فقال علي مات عنك وزوجة
وبنتين مع ام اتى الخير مدرارا

ومثل شهور العام خلف اخوة
لحظك ما اعطى شريح وما جارا

ونسب القصيدة فى طبقات الشافعية للامام الشافعي ، ولا يبعد التعدد

الشركة	600
البنات	400
الام	100
الزوجة	075
اثنا عشر اخا واختا	25
	600

روى الترميدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة ، وهو بلا ريب خاص بأهل المدينة ، ومن كان على سمتهم فمن كانت قبلته جنوبية ، وكذا من كانت قبلته شمالية ، وقد أخذ بعمومه جمع من اهل العلم وهو منشأ ما وقع من الانحراف فى كثير من المحاريب القديمة بعلم هذا من كتاب التاجوري وغيره ، وينبيء بهذا الخصوص حديث ابي ايوب : اذا اتى احدهم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولي ظهره ولكن شرقوا او غربوا .

علم الجغرافيا .

من اصول هذا الفن كتاب عمر بن الخطاب يصف له فيه جغرافية مصر الاقتصادية ، وهو قيم .

علم الفقه

القضاء الشرعي . (انظر اقضية الرسول) . (وزاد المعاد لابن القيم) .

علم الاصول

الجمع المعرف باللام او الاضافة للعموم . فانكم اذا قلتم ذلك اصاب كل عبد الله صالح فى السماء والارض (الجمع بين الدليلين) كلاكما قتله (القياس) ارايت ان كان على ابيك دين اكنت قاضيه .

(انظر اعلام الموقعين) هل فيهما من اوراق ، لعله عرق نزعه .

وقد نهى عمر رضى الله عنه عن فتح منازل السويس لئلا يتخذ الروم منه طريقا الى الحجاز (1) وهذا النهي يدل على تمكنه من معرفة جغرافية بلاد العرب والروم برا وبحرا . وقد اذن فى فتح الخليج المسمى بخليج امير المؤمنين نسبة اليه لتيسر نقل الميرة منه الى المدينة . والحديث عنه شهير فانظروا فى (حسن المحاضرة للسيوطي) .

علم التاريخ

فى الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن اول بيت وضع للناس . فقال : مكة . قيل ثم اي ، قال : بيت المقدس . قيل : فكم بينهما . قال : اربعون سنة ، وقد استشكل هذا بان الكعبة من بناء ابراهيم ، وبيت المقدس من بناء سليمان . وما بينهما ينيف على الالف . واجاب ابن خلدون بان المراد بالموضع التعيين للعبادة لا البناء ، ولا يبعد ان يكون بيت المقدس . (ص 297 فى المقدمة) .

الاجتهاد

اجتهاده صلى الله عليه وسلم امور على ظاهرها قياس ، او استنباط من القرآن الكريم ، هل تحمل على الاجتهاد او هي بوحي خاص . (انظر الموافقات الشاطبي) .

الشعر

جاء مدح الشعر فى غير ما حديث ، وقد تمثل به النبي (ص) وكان اصحابه ينشدونه بينهم فيبتسم ،

العلوم في الحديث النبوي

للمرحوم الأستاذ محمد السائح

كتب كثيرون عن العلوم فى القرءان الكريم ، وليست هذه الناحية غفلا في كتب السنة ، وقد كتب المرحوم محمد السائح بداية لبحث فى الموضوع لم تمهله الايام لتفصيله وتركيزه . وننشره في مجلة (دعوة الحق) كوثيقة لهذا العمل .

(الهندسة)

روى الشيخان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فى الحوض (زواياه سواء) والزوايا جمع زاوية وهي ما يحصل من تلاقي خطين من داخله وهو يقتضي انه مربع متساوي الاضلاع مستقيمهما ، وقال ، نعم موضع الحمام هذا ، (انظر ابن سلطان ، ص 265 ج3)

الحساب)

قال صلى الله عليه وسلم فى المعقبات ان الحسنة بعشر امثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة فى الميزان . رواه ابو داود وابن ماجة . قال ابن سلطان ، وهذا استدلال من المصنف يعني القاضي عياض على معرفته صلى الله عليه وسلم بالحساب وهو بالنسبة لمقامه وحدة ذهنه امر سهل، ومن هذا الباب قال علي فى مسألة الارغفة ، روى الحافظ جمال الدين المزني فى تهذيبه عن زر بن حبيش (ص 204 ج 2 هامش المسند) ، قال جلس رجلان يتغذيان ، احدهما معه خمسة ارغفة ومع الاخر ثلاثة ارغفة ، فلما وضع الغذاء بين يديهما مر بهما رجل فسلم فقالا اجلس للغذاء فجلس واكل معهما واستووا في اكلهم الارغفة الثمانية ، فقام الرجل فطرح اليهما ثمانية دراهيم وقال خذوها عوضا مما اكلت لكما ونلته من طعامكما فتنازعا ، فقال صاحب الخمسة الارغفة لي خمسة دراهم ولك ثلاثة ، وقال صاحب الارغفة الثلاثة لا أرضى الا ان تكون الدراهيم بيننا نصفين فارتفعا الى امير المؤمنين فقصا عليه قصتهما ، فقال لصاحب الثلاثة قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه اكثر من خبزك فارض بالثلاثة ، فقال والله لارضيت الا بمر الحق ، فقال علي ليس لك فى الحق الا درهم واحد وله سبعة دراهيم ، فقال الرجل سبحان الله ، قال هو ذاك ، قال فعرفني الوجه في مر الحق حتى اقبله ، فقال علي اليس الثمانية الارغفة اربعة وعشرين ثلثا ، اكلتموها وانتم ثلاثة انفس ولا يعلم الاكثر منكم ولا الاقل فتحملون فى اكلكم على السواء . فاكلت انت الثمانية أثلاث وانما لك تسعة اثلاث ، واكل صاحبك ثمانية اثلاث وله خمسة عشر

الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون » .

قانـــون المنـــاعـــة

انظر كتاب العلم الحديث وكلام ابن طرخان .

علم الفسيولوجي والبيولوجي

وردت احاديث كثيرة فى أطوار الجنس وامـــر ملك الرحمة بأربع كلمات ، فكتب رزقه واجله وعمله ، وشقي أو سعيد .
(انظر سبك الذهب اللجين) .

علـــم البيداجوجـي

نشر العلم والادب والاخلاق

حديث : ما بخل والد ولدا من نحل افضـــل من ادب حسن ، (انظر التاج) ، معاشرة الناس ، (انظـــر كتاب البر والصلة فى الجامع (كتاب نشر العلم) .

اصل الحياة من الذكـــر

انظر كتاب سبك الذهب واللجين

ممن يكـون الشبـــه

ظهور الشبـــه ولـــو فى نســـل غيـــر مباشـــر ، (انظـــر البخـــاري) .

ظهور اثر الوراثة ولو فى نسل غير مباشر

ضعف عقل المراة ونقصانه عن عقل الرجل

مـــن علـــم النبـــات

فيه قوله صلى الله عليه وسلم فى تلقيح النبات ان كان ينفعهم ذلك فليصنفوه :

تكثير الغراسة وتحسين المناظر وانشاء مشاريع الري وتكثير المياه .

دخل رجل على عثمان بن عفان وهو يغرس غراسا فقال له : يا أمير المؤمنين ، الغرس وهذه الساعة قد جاءت ، فقال : تاتي وانا من المصلحين ، خير واجـب الي من تاتيني وانا من المفسـدين . (ابن جرير . منتخب ج 2 ، ص 128) .

كان صلى الله عليه وسلـم يعجبـه النظـر الى الخضرة والى الماء الجاري .

كان صلى الله عليـه وسلـم يعجبه النظـر الى الاترج (انظر الجامع الصغير) .

تعلـــم اللغات الاجنبية للحاجة

حديـــث يزيـــد بن ثابـــت .

اول المخلوقـــــات

فى حديث عمر ابن حصب ، وسؤال عمران عن اول المخلوقات (فى الصحيح) .

وفى ابي ماجه اول المخلوقات الغمام .

وفى حديث اصل المخلوقات الماء (الجامع الصغير) وانظر قصة الفلسفة الحديثة .

حديـــث السيـــارات

ومن الارض مثلهن (فى كل ارض خلق من خلقه وامر من امره (انظر الالوســـي) ، خلـــق الله سبـــع أراضي (الحديث) ، انظر الالوســـي فى قوله تعالـــى : « وما بث فيهما من دابة » .

ارتباط العالم السفلي بالعلوي

انظر سفية الراغب

فى جامع الترمذي عن ابي هريرة مرفوعا : من احتجم لسبع عشرة من الشهر وتسع عشرة واحدى وعشرين كان له شفاء من كل داء ، (وفى كنز العمال) الحجامة تكره فى اول الهلال ولا يرجى نفعها حتـــى ينقص الهلال ، عن ابي حبيب عن عبد الكرم معضلا ح 4، وانظر شـــرح الشفـــا .

من علـــم الانـــواء والجـــو

اذا نشات بحرية ثم تشأمت فتلك عين غرنـــة .

واجاز كعب بن زهير على مدحته ورق لسماع شعر قتيلة ، وبكى حتى اخضلت الدموع لحيته ، وقال تعلموا الشعر فان فيه محاسن شتى ، وقبل الشعر ديوان العرب .

الرياضة الشرعية

المسابقة على الخيل والابل :

فى البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم بين الخيل المضمورة وبين التي لم تضمر ، وبين الابل واخرج احمد فى المسند عن ابن عمر ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل وراهن ، وفي الحديث الاسبق الا فى نصل او خف او حافر . قال القرطبي لا خلاف فى جواز المسابقة على الخيل وغيرهما من الدواب ، وعلى الاقدام وكذا الترامي بالسهام ، واستعمال الاسلحة لما فى ذلك من التدريب على الحرب .

المسابقة على الاقدام

حديث مسلمة بن الاكوع فى المسند ص 53 ج 4.

المصارعة

انظر الخصائص الكبرى ص 129 .

التدريب على الرماية والانتضال

وردت فيه احاديث .

لباس الجبة الرومية والخف الاسود للاستعانة على الحربات المعسكرية

فيه حديث المغيرة فى الصحيحين .

السباحة

وردت فيه احاديث .

علم الطب

الاحاديث فى الطب كثيرة ، وقد خصصها ابن طرخان الحميري بتأليف سماه الاحكام النبوية في الصناعة الطبية . (انظر ابن حجر) ــ دعوى ابن خلدون ان طب العرب بني على التجربة ، ويرد عليه بأن منهم من تلقاه فى الجامعات .

مراعاة الطب فى الطعام

كان الرسول يجمع بين القثاء والرطب ، وحديث من هذا فأصب (الترمذي) .

سبب انتشار الاوبئة ، وفيه البحث عن اسباب المرض

فى الصحيح عن عائشة ، قالت : فقدمنا المدينة وعلي أوبأ ارض الله فكان بطحان يجري نجلا (تعني ماء آجنا) .

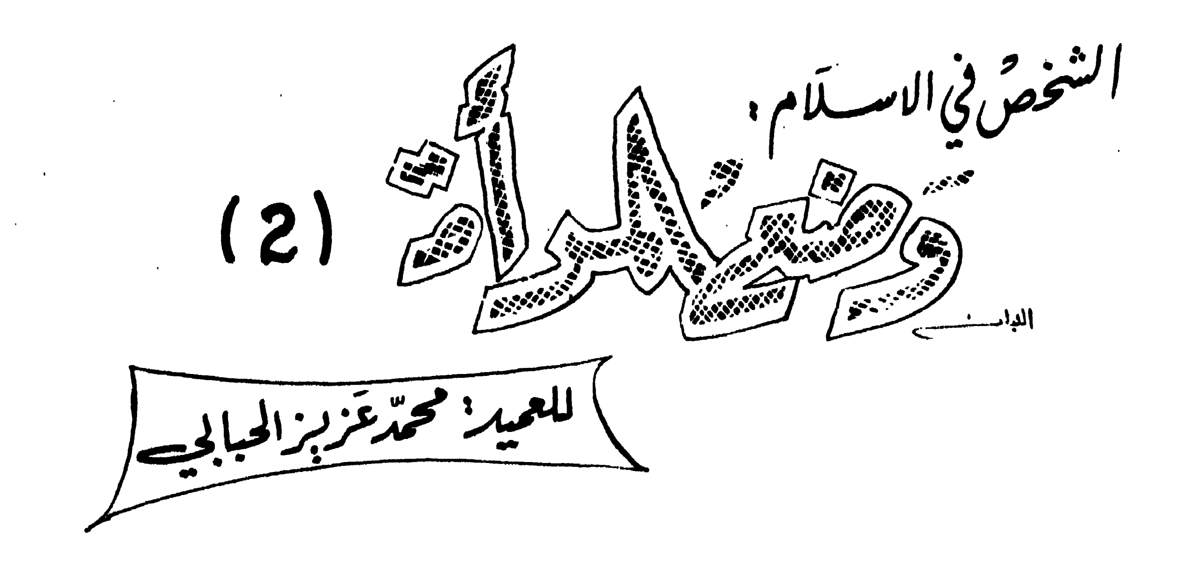
استصلاح التربية والهواء

سأل صلى الله عليه وسلم فروة بن مسيك رضى الله عنه ، فقال يا رسول الله انا بأرض يقال لها ابين ، وهي ريفنا ومربعنا ، وهي وبيئة ، او قال وباءها شديد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها عنك فان من القرب التلف ، قال ابن القيم فيه دليل على نوع شديد من انواع الطب ، وهو استصلاح التربة والهواء كما ينبغي استصلاح الماء والغذاء ، فان بصلاح هذه الاربعة يكون صلاح البدن واعتداله . (ص 558 ج 3 اعلام الموقعين) .

ذكر الاحياء الدقيقة المسماة عرفا بالميكروب

فى حديث ابن ابي الدنيا ، خلق الله الجن ثلاثة اصناف ، صنف حيات وعقاريب وخشاش الارض ، وصنف كالريح فى الهواء ، وصنف عليهم الحساب والعقاب . (انظر منتخب كنز العمال ص 455 ج 2 بهامش المسند) ، (انظر كتاب علم الصحة ص 5) .

وقد اطلق الشيخ رشيد رضى على هذه الاحياء الدقيقة اسم الجن ، والحديث يشهد له فيما نرى ، اذ من المعلوم ان من هذه الاحياء ما ينتشر فى الهواء من المستنقعات ويصعد مع بخار الماء ، (الطنطاوي ج 2 ص 17) ، وقد ذكروا ان من الميكروب ما يملأ مدينة فى اسبوع ، كمكروب الحصبة والجدري ، ومن المعلوم ان هذه الاحياء كثيرة الوجود لحد مدهش ، ولها اثر عظيم فى الابدان والنباتات وغيرها ، ويبعد ان لا تقع اليها اشارة فى السنة ولو بطرق خفى ، كما يظهر في انه وقعت الاشارة اليها فى قوله جل علاه : « سبحان



ان المرأة تقرن بالرجل ، كلما خاطب الله الناس، وها مثالان من بين عشرات اخرى .

« ان المسلمين والمسلمات ، والمومنين والمومنات، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما ». (33 : 35) .

والسنة ، كذلك ، تضم كثيرا من امارات العناية بالمراة ؛ نذكر منها خطبة الوداع حيث نجد عدة مقاطع هامة تتصل بموضوعنا :

« أما بعد ، ايها الناس !

فان لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا . لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه (1) ، وعليهن الا يأتين بفاحشة مبينة (2) . فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح . فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

واستوصوا بالنساء خيرا ! فانهن عندكم عوان، لا يملكن لانفسهن شيئا . وانكم انما اخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله (...)

اتقوا الله فى النساء ، وعاملوهن بالمعروف (...)

ايها الناس !

اسمعوا قولي واعقلوه . تعلمن ان كل مسلم اخ للمسلم » (3) .

* * *

كذا تعلي « خطبة الوداع » من شأن المراة ، بيد ان الرجال ، ويالاسف ! كثيرا ما كانوا ، فى معاملتهم لها ، انانيين يستأثرون بالامتيازات . حقا ، يلاحظ ان ذلك التعسف ظاهرة عرفتها الانسانية على ممر تاريخها واختلاف اديانها ، فليست من خاصيات العالم الاسلامي . فبما أن كل الفقهاء الا من ندر ، هم من الرجال ، فقد اولوا معطيات المشاكل حسب منظار الرجل اكثر من اللازم .

---

1) يدل **الفراش** ، كذلك ، على الشرف والشهرة . يعضد هذا الحديث الذي يطلب فيه من المومن ان لا يقف موقف الشبهات .

2) **الفاحشة** ، هي الكلمة الخاصة بالفقه . فاستعمالها هنا يعضد مفهوم كلمة « فراش » فى التعليق السابق.

3) عن **سيرة ابن هشام** ، ج 3 ، ص 1023 ، تحقيق م. محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، 1963 .

البحث عن الاثار القديمة واستخراج الدفائن

جاء رجل الى النبي (ص) فذكر له انه راى السد فقال له (ص) هل تستطيع ان تصفه ، فقال كأنه بمجرد محبر . فقال رايته ، والرحلة الى المدينة ، فقد كان يرحل فيما دونها .

الاحتفاظ بالاثار القديمة

فيه استخراج العمود او الفصن من الذهب من قبر ابي رغال (المنتخب ج 5 ص 298) ، وحفر المامون للاهرام ووقوف العرب على فلم الطير الهريفليفي .

البعثات العلمية

بعثته (ص) لتعلم الدبابات .

العناية بالاثار

فيه الاحتفاظ بالجرس (انظر سنن المهتدين) .

في التجارة

عليكم بالبز فان صاحب البز يعجبه أن يكون الناس بخير ، وفي خصب وهو عن ابي هريرة سأل رجل النبي (ص) بما تأمرني ان اتجر ، قال وذكر الحديث (انظر المنتخب ج 2 ص 16)

الحث على العمل والاحتراف

تقبيل صلى الله عليه وسلم يد سعد بن سعاد الانصاري المحترف (انظر الاصابة)

قال عمر اني لارى الرجل فيعجبني فأقول : اله حرفة ، فان قال لا ، سقط من عيني (الدنيوري) .

ولقى عمر ناسا من أهل اليمن ، فقال : ما انتم ؟ قالوا متوكلون ، فقال : كذبتم ، فما انتم متوكلون ، انما المتوكل رجل القى حبة في بطن الارض وتوكل على الله، (الحكيم وابن ابي الدنيا في التوكل) ، (والعسكري في الامثال) ، (والدنيوري في المجالسة ص 216) ، ان الله يحب العبد الكاسب ويبغض البطال ، (الجامع الصغير) .

الاكتساب بالفلاحة والزرع والنتاج

خير مال المرء مهرة مامورة ، او سكة مأبورة ، (رواه احمد) .

دخل رجل على عثمان بن عفان وهو يفرس غراسا فقال له يا امير المؤمنين ، الفرس وهذه الساعه قد جاءت ، فقال : تاني وانا من المصلحين ، خير واجب الي من تأتيني وانا من المفسدين . (ابن جربر ، منتخب ج 2 ، ص 128) .

العمارة والبناء

ارفع بنيانك وسل الله السعة ، مع النهي عن الغلو في البناء ما لم تدع اليه الحاجة .

الحمى .

فيه حديث حمى النقيع ، وموت عمر في آخر الموطأ .

احسن التجارة وفضل الصدق فيها

سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم بما تأمرني ان اتجر ، فقال : عليك بالبز ، فان صاحب البز يعجبه ان يكون الناس بخير وفي خصب .

الرباط : المرحوم محمد السائح

النبي : « شقائق الرجال » فالمراة والرجل متماثلان فى الحقوق ، متماثلان فى الواجبات .

* * *

د ـ الرجال قوامون على النساء

لا مناص لنا ، ونحن نقر بالنظرة الاصلية الاصيلة فى الاسلام ، من أن نلاحظ ، ويا للاسف ! ان كثيرا من المسلمين كانوا ، فى اغلبيــة الازمنــة ، يعملــون على الحيلولة دون التساوي بينهم وبين المسلمات . فحتى فى الاتجاه السلفي المعاصر (جماعــة المنــار) ، نجد مسحة محافظة تعطي احكاما عامة اعتباطية ، بغيــة الدفاع عن الاسلام ، اكثر مما ترمي الى دراسة احواله بتدقيق مجتمعي وتاريخي للواقع المعاش . ان التزام الاستاذ الامام محمد عبده كان مناداة باصلاح اخلاقي لا باصلاح مذهبي . حقا ، ان الحركة السلفية التــي تزعمتها جماعة المنار نيرة ، و « تقدمية » فى دفاعها عن المراة ، لذا قد يستغرب من كون محمد عبده ، بعــد ان قرر مبدأ تساوي المراة بالرجل ، يتراجع ليؤكــد ان الاسرة والمجتمع فى حاجة الى رئاسة ، وان الرجل هو الاحق بها : « لان الرجل اعلم بالمصلحة ، واقدر على التنفيذ بقوته وماله » (1) .

ربما قيل عن هذه الاحكام ، انها غير مدعمة ، لا منطقيا ولا اجتماعيا ولا بيولوجيا . فالرجــل ليــس (بكيفية **مطلقة**) « اعلم » من المراة ، والتاريــخ على ذلك شهيد ؛ وليس الرجل (**دائما**) اقوى من المراة ، ولا اغنى . ولنقتنع بذلك، ما علينا الا ان ننظر حولنا !.

فخديجة كانت اثرى (ماديا) من زوجها محمد ! والنبي الرسول نفسه يصرح بان « ليس الغنــى عــن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس » (البخاري ومسلم) . والقوة ، هي أيضا ، ليست ميزة كافيــة للرآسة والافضلية ، فبسالة الجنود فى الحرب ليست بالحجة الكافية على التفوق الفكري والاخلاقي ، او على الدهاء فى التدبير المنزلي والسياسة العامة . وهــذا واضح بين فى الحديث النبوي : « رجعنا من الجهــاد الاصغر ، الى الجهاد الاكبر ، جهاد النفــس » (2) . فأمهات المومنين ، بشهادة ما ورد فى «**السيرة** » ؛ كن اقدر من كثير من الرجال ، على « الجهاد الاكبــر » : « يا نساء النبيء ! لستن كأحد من النساء ان اتقيتن» (33 : 32) . فأمهات المومنين مفضلات **ان اتقيــن** . وفعلا ، قد امتزن بالتقوى ، فكن خيــرا من كثيــر من المومنين الصادقين ، وبالاحرى من مطلق الرجال ! .

ان ما دفع بــ (المناريين) الى ان يعطــوا حــق الرئاسة (اي الاقرار بعدم المساواة ، من بعض الوجوه) هو ، على ما يظهر ، حرصهم على تأويل الآية (34 من السورة 4) ، فجاء تأويلا متأثرا بالنظام الابيسي (3) ، وان لم يقصدوا ذلك . نعم ، الآية تؤكد ان « الرجال قوامون على النساء » ، لكن ، ما معنى « قوامون » ؟

ان الجذر : **ق. و. م.** (= قام ، قياما ، فهــو قائم) الذي اشتق منه لفظ « قوامــون » يــدل على العناية والاعتناء ، والحماية ، و « القيام » بشــؤون الغير ، كما قاله كثير من اللغويين . ف : « قيام للشيء» هو المراعاة للشيء والحفظ له (...) . ومن القيام الذي هو بالاختيار ، قوله تعالى : « الرجال قوامــون على النساء » وقوله : « والذين يبيتون لربهم سجــدا وقياما » . والقيام فى الآيتين جمع « قائــم » (4) . فالرجــال « قوامــون على النســاء » ، اي يتكفلــون **بمصالحهن المادية** ، ما دامت النفقة فرضا على الرجل. نقرا فى **مقاييس اللغــة** : « قام قياما ، اذا انتصــب ، ويكون قام بمعنى العزيمة ، كما يقال : قام بهذا الامر ، اذا اعتنقه » (5) . تستعمل الديبلوماسيــة المعاصرة تعابير ، منها : « قائم بأعمال » ، و « مكلف بمهمة » ، وتعني موظفا ليست له اية سلطة مطلقة ، وانما هو فى « خدمة » السفارة . ومن هذا الباب : قومت الشيء ، تقويما ؛ واصله « انك تقيم هذا مكان ذاك (...) .

---

1) **تفسيــر المنــار** ، ج 2 (ط 3) ص 380 ، دار المنار ، القاهرة 1367 .

2) وفى حديث آخر : « الجهاد اربع : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصدق فى مواطــن الصبــر ، وشنآن الفاسق » ابن نعيم ، الحلية . انظر : السيوطي ،**الجامع الصغير** ، عبد الحميد حنفي ، ج 1 ص 146 .

3) انظر الابيسية (Patriarcat) فى المصطلحات الفلسفية ، نشر دار الكتاب بالدار البيضاء .

4) الراغب الاصفهاني ، **المفردات فى غريب القرءان** ، ص 416 ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، 1961 .

5) احمد بن فارس ، ج 5 ، ص 43 .

رغم ذلك ، ان وضع المسلمة وضع تحرري ممتاز ، اذا قورن بما كانت عليه المراة العربية فى الجاهلية ، أو المراة عند الشعوب القديمة « العريقة في المدنية » .

مرت قرون على (اثينا) والمراة لا تعتبر الا بضاعة من البضائع تستعمل فى المقايضات المختلفة . وكان للروماني الحق فى ان يقتل زوجته ، وعبيده ، واماءه ، وسمح القانون بتعدد الزوجات ، مع اسناد سلطة تسيير القطيع النسوي الى الزوجة الاولى . ونجد فى تاريخ الفرس نظاما اكثر تعقيدا من نظام الرومانيين . فاذا رغب الفارسي فى نكاح امه ، او اخته ، او عمته ، او خالته ، لم يكن يجد اية معارضة من القانون أو من اي احد . وقد ساد الاعتقاد بأن الدم نجاسة ، لذا ، كلما حاضت المراة اضطرت الى الانعزال كي لا يقترب منها احد ، لانها دنس يحرم عليها مس اي كائن ممن يحيط بها .

* * *

نواجه الان مشكلا آخر . بما ان المراة مساوية للرجل ، من الجانب الانطولوجي ، ايمكنها ان تكون نبية ؟

انها مشكلة وضعت ، اكثر من مرة فيما مضى ، فأكد كثير من علماء الاسلام المرموقين انه قد اوحى الى نساء . ولم لا يجوز ذلك ؟ فبعضهن لم يكن ملهمات فحسب ، اذ هذا شيء طبيعي ، ولكنهن ارتفعن الى درجة عليا من النبوة . وتدعيما لهاته القولة ، يورد ابن حزم آيات من القرءان ، ويعطي اسماء نساء اوحي اليهن ، مثل (ام اسحاق ، وأم موسى ، ومريم أم عيسى) (1) .

فليس من تبرير يجعل النبوة امتيازا خاصا بالرجال . اليست النساء ، عند الله ، شقيقات للرجال؟ فلن تكون ابدا قابلية الاكتمال خاصة بالرجال : ان للمراة ، مثل ما للرجل ، من الامكانيات فى العمل على التجاوز الذاتي (2) .

* * *

قضية مساواة المراة بالرجل نقطة ارتكاز فى كل اتجاه شخصاني ، لذا نرانا ملزمين بأن نتفحصها من جوانب مختلفة .

تتساوى المراة مع الرجل ، كامل التساوي ، **من حيث التركيب البيولوجي** ، كما وضحناه سابقا(3) . ونضيف ، الى ذلك ، آية قرءانية نظنها بينة لا تبقي مجالا للريب :

« والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ، ثم جعلكم ازواجا » (35 : 11) .

كذلك التساوي **من حيث التكوين السيكولوجي:**

« ومن آياته أن خلق لكم ، من انفسكم ، ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة . ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . (30 : 31) . فالخلق قد حصل ، من **نفس واحدة** ، ليتكامل الزوجان ، فبنى الله علاقاتهما على الحب ، اي على « المودة والرحمة » ، وهي امتن واعمق عروة بين شخصين .

وتتميما لهذه المعاني ، ناتي بالآية الاولى من السورة 4 :

« يا ايها الناس !

اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ،

وخلق منها زوجها ،

وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .

واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام .

ان الله كان عليكم رقيبا » .

يطلق « زوج » على الذكر والانثى (الرجل والمراة) ، كما تنص عليه الآية ، فى خطاب موجه لآدم: « وقلنا يا آدم : اسكن انت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغدا ! » (1 : 34) .

وتتساوى النساء ، فى الاحكام ، مع الرجال من الجانب الديني . فهن ، كما كانت تقول عائشة زوج

---

1) ابن حزم ، **الفصال** ، ج 5 ، ص 17 .

2) امكانية نبوة المراة مثال يظهر الى اي حد يعتبر من الاجحاف ان نسم الاسرة الاسلامية بأنها ابيسية. توجد ، الى يومنا هذا ، مجتمعات اسلامية قريبة من المجتمعات الاموسية ، نذكر منها الطوارق فى الجنوب الجزائري .

3) انظر : القسم الاول ، الفصلين 1 و 2 .

صفحة مشرقة من تاريخ الاسلام

في مواجهة الغزو الخارجي فتح الاسلام أرضا جديدة

للأستاذ أنور الجندي

تكشف حركة التاريخ الاسلامي عن ظاهرة بعيدة المدى على طول مراحله هي مدرة الاسلام على كسب النصر فى مجال النكسة وتوسيع نطاقه حين تحاول القوى الاجنبية الانتقاص منه ، وامتداد ظلاله الى شعوب جديدة حين تنكسر قواه وتلحقه الهزيمة او الضعف فى احد مراكزه المقدسة .

وفى مرحلة الغزو الخارجي واجه عالم الاسلام هجوم ثلاثي قوي :

1) هجوم الصليبيين فى حملاتهم المتوالية التي لم تتوقف .

2) هجوم الفرنجة والاسبانيين على الاندلس وشواطيء المغرب .

3) هجوم التتار والمغول فى زحوفهم الضخمة.

ولقد كان وقع سقوط بغداد فى قبضة الغزو المغولي بالغ الاثر فى المجتمع الاسلامي كله ، فقد زلزل النفوس واصابها بالاضطراب والتشاؤم واضفى على المسلمين روحا من اليأس القاتل ، فقد خيل للناس من ضخامة وقع الحدث وعمق الضربة ، ان الاسلام قد انتهى حتى ان مؤرخا كبيرا هو « ابن الاثير » ظل معرضا عن ذكر الحادثة بضع عشرة سنة ، بل لقد كان وقع سقوط بغداد اكثر دويا واخطر اثرا فى النفوس من الحملات الصليبية ، ذلك انها كانت تمثل ضربة رئيسية موجهة الى مركز القيادة السياسية لعالم الاسلام وقاعدته بالرغم مما منيت به هذه القاعدة من الضعف وما بلغته من الانكماش والتضاؤل فى نفوذها الحقيقي .

غير ان النظرة الاوسع تكشف عن حقيقة عجيبة، هي انه فى نفس العام (656 هـ) الذي سقطت فيه بغداد : مركز القيادة السياسية الاسلامية فى يد المغول فى نفس هذا العام غزا الاسلام واحدة من اضخم قبائل التتار هي قبيلة بركه خان وفتح طريقه بالسيطرة على عقول الكوب هذه القوة العاتية التي كانت قد هزت العالم كله وزلزلت قواعده منذ اربعين عاما قبل فتح بغداد ، وكانت موضع تطلعات الغرب الطامع فى ان يضمها الى دينه وثقافته ليجعل منها احدى فكي الكماشة فى الاطباق على عالم الاسلام ، غير ان ذلك لم يتحقق ،فقد كان « دعاة الاسلام » البسطاء اقدر على كسب ايلخانات المغول من حملات التبشير الغربية، ويرى توماس ارنولد فى كتابه (الدعوة الى الاسلام) انه ليس فى تاريخ العالم نظير لهذه المعركة الحامية التي قامت بين البوذية والمسيحية والاسلام حيث كل ديانة تنافس الاخرى لتكسب قلوب اولئك الفاتحين القساة .. غير ان ظهور الخلافات بين المسيحية من اللاتين والاغريق والنسطوريين والارمن وامتدادها الى وسط معسكر المغول ذاته قد جعل الامل ضئيلا فى احراز نجاح اكبر .. وقد تحطمت كل الخطط عندما دخل بركه خان وقبيلته فى الاسلام ثم تحالف مع الظاهر بيبرس سلطان المماليك وكان بركه خان (1256 ــ 1267) اول من اسلم من امراء المغول ،

وهذا قوام الدين والحق ، اي به يقوم » . (1) فعندما « ينتصب » الرجل خادما لاهله ، يكون للبيت «القوام»، لا « الرئاسة » ، لانه اذا جعل القوام في القمة لا في القاعدة ، تصدع الكيان .

* * *

لقد انزلق المفسرون من المعنى السابق الى ما يصدر عنه من انحرافات ، في وسط غير سوي مجتمعيا وسياسيا . حقا ، قد اصبح الرجال ، كما يصرح المناريون « اعلم » و « اقدر » و « اغنى » من النساء ، عندما سيطروا بأنانية على زمام السياسة والاقتصاد . فتفوق الرجال مغتصب ، وليس أصيلا في الطبيعة البشرية ، كما تبنيه السيكولوجيا الحديثة. **انه تفوق كسبي ، في مجتمع سادته الابيسية المطلقة ،** الى حد ان النساء صرن ، كما يصفهن المناريون انفسهم : « كالأتن الحاملة ، والبقر العاملة (...)فسق الرجال عن امر ربهم (في العالم الاسلامي) فوضعوا النساء في هذا الموضع بحكم قوتهم ، فصغرت نفوسهن ، وهزلت آدابهن ، وضعفت ديانتهن ، ونحفت انسانيتهن، وصرن كالدواجن في البيوت (...) فساءت تربية البنين والبنات ، وسرى الفساد الاجتماعي من الافراد الى الجماعات (...) لبث المسلمون على هذا الجهل الفاضح احقابا ، حتى قام فيهم اليوم من يعيرهم باحتقار النساء واستعبادهن ، ويطالبونهم بتحريرهن ومشاركتهن في العلم والادب وشؤون الحياة ... » (2) .

نعتقد ان الوضع سيبقى على هذا الشكل اذا لم تتحرر المراة ، **عمليا** ، تباعا لهدي الاسلام وما جاء به من الاصلاح ، نعني اذا بقيت للرجل وحده اليد العليا في الاقتصاد والسياسة ، اي السلطة المطلقة في الاسرة والمجتمع ، وله وحده .

* * *

لقد حرر الاسلام المراة من الواد : « من كانت له انثى فلم يئدها ، ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده عليها ، ادخله الله تعالى الجنة » . (3) وحرم الاسلام السبي ، والطيرة ، اذ كان عرب الجاهلية يقولون : « الطيرة في ثلاث : في المراة ، والدابة ، والدار ، » . فالاسلام بمواقفه تلك ، اعاد للمراة كرامتها الانسانية ، اذ سوى بينها وبين الرجل في حد القذف ، وهو تساو في العرض، كما أقر الحكم بالقتل على قاتلها ، لان دمها مساو لدم الرجل (4) . ومنح الاسلام المراة حقوقا كثيرة ، على راسها ، حق الحكم ، وحق الفتوى ، اعترافا بأنها لا تقل عقلا ودراية من الرجال (5) . ان عثمان ابن عفان، في ايام خلافته ، تردد على بيوت امهات المومنين مستشيرا في شؤون الدولة . فلقد نصحته مرة ام سلمة ، نصيحة فيها من النقد السياسي بقدر ما فيها من الوعظ ، فرد عليها الخليفة معترفا ، مقدرا ، شاكرا : « اما بعد ، فقد قلت فوعيت ، ووصيت فاستوصيت ، ولي عليك حق النصتة ... » (6) فبينما كانت المراة في الجاهلية تورث وتباع اصبحت المسلمة ترث وتتمتع بحق الملكية الشخصية والتصرف التام فيها ، وتستشار في تسيير امور الدولة .

تلك هي المرحلة الاولى في تحرير المراة ، وان لم تكن المرحلة الحاسمة والاخيرة .

(يتبع)

الرباط : محمد عزيز الحبابي

---

1) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

2) **تفسير المنار** ، ج 3 ، ص ، 323 – 324 ، ط 4 القاهرة 1960 . هاته التصريحات التي تعض على واقعنا المتخلف عن مبادىء الاسلام الحق ، وعن تقدم الحضارة المعاصرة ، مظهر من « تقدمية » محمد عبده ، وليست آراء مجموع المناريين . فالسيد محمد رشيد رضا يقف من قضية المراة دون موقف استاذه بكثير ، فنجده يبرر تعدد الزوجات ويؤيده ، كما يدافع عن « مزايا الحجاب »، (انظر كتابه : **نداء الى الجنس اللطيف** . انظر كذلك : المنجي الشملي : « **قضية المراة في تفسير المنار**» في حولية الجامعة التونسية ، العدد 3 ، سنة 1966 ، ص 5 الى 27) .

3) حديث نبوي نقله عن (**تيسير الوصول**) الاستاذ سعيد الافغاني في كتابه **الاسلام والمراة** ، ط 2 ، ص 59 ، دار الفكر ، دمشق ، 1964 .

4) بينما كان الرومان وغيرهم من الدول المتحضرة يبيحون للرجل قتل أزواجه .

5) انظر مثلا ابن الجوزي **سيرة عمر ابن الخطاب** حيث يروي مناقشة تشريعية بين امراة وابن الخطاب، اضطر الخليفة في آخرها الى ان يعترف بخطئه ، فتراجع عن حكمه : « امراة اصابت ورجل اخطأ ... كل الناس افقه من عمر ! » .

6) امالي الزجاجي ، ص 125 ، المطبعة المحمدية التجارية ، 1935 .

المسيحيين لما وقع بيت المقدس فى ايدي المسلمين نهائيا 1244 م رحبوا بالقادة الجدد واطمأنوا اليهم ورضوا بحكمهم ، وقد دفع هذا الشعور كثيرا من مسيحيي آسيا الصغرى الى الترحيب بمقدام السلاجقة باعتبارهم مخلصين لهم من الحكومة البزنطية البغيضة ، لا لسبب نظام الضرائب المجحف وحده ، ولكن لسبب روح الاضطهاد التي ظهرت بها الكنيسة الاغريقية (وذلك على حد رواية توماس ارنولد) .

* * *

وقد انتشر الاسلام ذاتيا فى افاق اخرى ، هي المغرب وشمال افريقيا ، وكان لتقبل البربر له ابعد الاثر فى انتشاره فى آفاق افريقيا ، ويرى المؤرخون ان ظهور المرابطين كان بعيد الاثر فى انتشار الاسلام بوصفه حركة قومية عظيمة جذبت عددا كبيرا من قبائل البربر نحو الاندماج فى الامة الاسلامية على حد عبارة الدكتور حسن محمود ، وقد ظهر فى مستهل القرن الخامس « عبد الله بن ياسين » ذلك المعلم التقي الذي اكتشفه يحيى بن ابراهيم شيخ قبيلة صنهاجة ، وكان مقدمه للنهضة الضخمة التي قادها من بعد يوسف بن تاشفين ، فقد عمل عبد الله بن ياسين على نشر الاسلام فى مختلف انحاء قطاعات افريقيا التي تعرف بالسودان ، وقد بنى (رباطا) في جزيرة السنغال حيث كون مجموعة ضخمة من التلاميذ المدربين على الدعوة بلغ عددهم الف شخص، ثم دفعهم الى قبائلهم وعشائرهم ، ثم زاول الدعوة في القبائل المجاورة ، واستطاعت حركة (عبد الله بن ياسين) ان تحقق توسعا فى قلب افريقيا حيث اسلمت قبائل كبيرة من البربر الوثنية ، ثم كانت حركة الموحدين امتدادا لحركة المرابطين من حيث جذبت الى الاسلام قبائل اخرى كانت بعيدة عن الاسلام ، فقد استطاع ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين ان يكسب الكثير للاسلام عندما كتب رسائل التوحيد باللغة البربرية وشرح قواعد الاسلام وأمر بالاذان بها .

القاهرة : انور الجندي



وكان رئيسا للقبيلة الذهبية فى الروسيا ، غير ان تحالف هولاكو مع القوات المسيحية فى الشرق كملك ارمنية والصليبيين ، ربما قد حجب الامل فى انتشار الاسلام بين المغول قليلا ، وكان ابن هولاكو (اباقا خان) قد تزوج من ابنة امبراطور القسطنطينية، وكان يرسل السفراء الى القديس لويس ملك فرنسا وشارل ملك صقلية ، وجيمس ملك ارغونة يطلب اليهم التحالف معه على المسلمين ، غير ان ذلك لم يحقق نتيجة ما على النحو الذي كان يرجوه ملوك اوربا ، فان اخوه تكودار 681 هـ - 1282 م الذي اعتلى العرش من بعده ، كان قد اعتنق الاسلام منذ صباه عن طريق اتصاله بالمسلمين ، فلما تولى السلطة رغب في تحويل كافة التتار الى الاسلام ، وارسل نبأ اسلامه الى سلطان المماليك فى مصر « قلاوون » قال في رسالته:

« لقد ابتدانا بتوفيق الله باعلاء اعلام الدين واظهاره ، وفى ايراد كل امر واصداره تعدي لناموسي الشرع المحمدي على مقتضى قانون العدل الاحمدي اجلالا وتعظيما ، ان الاسلام يجب ما قبله ، وانه تعالى القى فى قلوبنا ان نتبع الحق واهله ، عفا الله عما سلف وتقدمنا باصلاح امور المساجد والمشاهد والمدارس ، وعمارة بقاع الدين والربط الدوارس، وامر بتعظيم امر الحجاج وتجهيز وفدها وتأمين سبلها وتيسير قوافلها، وانا اطلقنا سبل التجار المترددين على تلك البلاد ليسافروا بحسب اختيارهم : توقيع «تكودار احمد»

* * *

وتوالى الايلخانات المسلمين حتى كان اعظمهم شأنا « غازان » 695 هـ 1295 م سابع الايلخانات الذي جعل الاسلام دين الدولة الرسمي فى فارس ، وتوالى الاسلام امراء التتار وملوكهم ، اسلم طرما شيرين ملك جغطاي 727 هـ 1326 م وتغلق ثيمور خان ملك كاشغر 848 هـ 1347 م على يد الشيخ جمال الدين ، وعندما تولى تغلق تيمور السلطة استقبل امراء دولته وكان اولهم الامير تولك : وقال له الخان : الا تدخل الاسلام ، عند ذلك سالت عبرات الامير وقال : قد دخلت فى الاسلام منذ ثلاث سنين على يد احد رجال الدين فى كاشغر واصبحت مسلما منذ ذلك الحين ، ولكني لم اصرح بذلك خوفا منك ، وعرض الاسلام على سائر الامراء فقبلوه جميعا ، الا واحدا ، وفى هذا اليوم قص 160 الف رجل شعورهم ودخلوا فى الاسلام .

ولما تولى اوزبك خان زعيم القبيلة الذهبية السلطة عمل على تحويل كثير من الاهليين الى الاسلام، وقد وضع خطة لنشره فى كافة ارجاء بلاد الروسيا وبالرغم من تحمسه لنشر الاسلام وتفانيه ، كان كثير التسامح نحو رعاياه المسيحيين وقد منحهم الحرية التامة فى اقامة شعائرهم من غير ان يتعرض لهم احد بسوء . وفى هذا يقول توماس ارنولد :

« انه بالرغم من كل المصاعب اذهن هؤلاء المغول والقبائل المتبربرة آخر الامر لدين هذه الشعوب التي ساموها الخسف وجعلوها فى مواطيء اقدامهم ، ولابد ان يكون هناك كثير من انصار النبي قد انتشروا في طول امبراطورية المغول وعرضها مجاهدين فى طي الخفاء لجذب غير المسلمين الى حضارة الاسلام » .

* * *

كذلك حقق الاسلام توسعا ذاتيا فى هذه المرحلة فى قلوب الصليبيين انفسهم ، فان روح الاسلام وعدالته التي لمسها الغربيون عن قرب ، وما ادهشهم من شمائل نور الدين وصلاح الدين قد شدهم الى الاسلام .

وقد ادى اختلاط علماء اللاهوت المسيحيين بالاسلام الى تغير مفهومه عن المسلمين ودينهم . وبدا رأيهم اقرب الى الانصاف .

بل لقد انجذب كثير منهم الى حظيرة الاسلام .

يقول توماس ارنولد : « يظهر ان اخلاق صلاح الدين وحياته التي انطوت على البطولة قد احدثت فى اذهان المسيحيين فى عصره تأثيرا سحريا خاصا حتى ان نفرا من الفرسان المسلمين قد بلغ من قوة انجذابهم اليه انهم هجروا ديانتهم المسيحية وهجروا قومهم وانضموا للمسلمين. حتى ان صيغة القسم التي عرضها على القديس لويس اولئك المسلمون الذين اسروه حين طولب بان يتعهد باداء ما فرض عليه من الفدية 1250 م كانت من املاء بعض المسلمين الذين كانوا قسيسين من قبل ، ثم اعتنقوا الاسلام حسب رواية جونفيل فى تاريخه .

ويتصل بهذا ان المسلمين حين استعادوا سلطانهم على بيت المقدس بسطوا على المسلمين روح التسامح التي كانت من قبل . ومن المؤكد ان المسيحيين من اهالي هذه البلاد قد اثروا حكم المسلمين على حكم الصليبيين ، ويظهر ان اهالي فلسطين من

وبعبارة اقرب واوجز ، يمكن أن نقول : ان واحدا من كل ستة أشخاص يدين بالاسلام ومناطق العالم الاسلامي تعد — عند الباحثين والدارسين — من أقاليم النمو السكاني السريع .

فالعالم الاسلامي يشمل منطقة جغرافية تمتد من المحيط الباسيفيكي شرقا ، الى المحيط الاطلسي غربا ، مجتازة جاليات ودولا اسلامية ذوات طاقات بشرية واقتصادية وعقلية وحضارية لا حدود لها ، ومنطقة العالم الاسلامي تتميز بأنها :

* تقع من العالم موقع الحزام من جسم الانسان، بعيدة عن القطبين ، وسالمة من الاعاصير والطوفانات والثلوج والبراكين ، ولها دفء معين يساعد على تنوع الحاصلات الزراعية وتناسل الحيوانات البرية .

* وانها تمتلك من شواطىء البحار الكبيرة والصغيرة ما يمكنها من الاشراف على عدد كبير من اعظم موانىء العالم ، كما بها من الانهار والمنابع ما يجعلها من اخصب المناطق واكثرها ازدهارا ونماء .

* وأن فيها من موارد الحضارة كالماء والنفط والمعادن والحاصلات الحيوانية والزراعية ما يمكنها من اغناء الحضارة الانسانية وزيادة الامن والرخاء .

* وبها من مواطن السياحة ما يرقى بها الى اسمى ما قدر من التقدم والسمو والمجد والسؤدد .

* وأن التجانس المذهبي بين سكان العالم الاسلامي يجعل المنطقة فى منأى عن الانشقاق الملحوظ فى المذاهب الاخرى ، ويقرب بينها ويحفظ وحدتها ويزيدها تفاعلا وتفتحا وتقدما .

وتلك أمور تجعل العالم المسلم قوة ايجابية مرهوبة الجانب ، مخطوبة الود ، يتهيب العدو بأسها، ويخشى سلطانها ، وتجعله ايضا مهيأ للاسهام فى بناء الحضارة الانسانية ، واعادة صنع الحياة ، وانقاذ البشرية من الهوة السحيقة المتردية فيها ووهدة الفوضوية والاباحية والاستعمار والالحاد .

واذا انتقلنا من الحديث عن الناحية الجغرافية والموقع ، وما لهما من خصائص ومميزات ، وما بهما من كنوز وخيرات ، ومن الحديث عن خصائص العالم الاسلامي التي برز بها غيره ، الى الحديث عن الاسلام نفسه : فاننا نجد انه دين العقيدة الحية الصحيحة التي جاءت وقت بلوغ العقل البشري طور رشده وكماله وتفتقه .

العقيدة التي تقر التوحيد الخالص والتنزيه البالغ ارقى صوره واشكاله . عقيدة ترفع من قيمة الانسان لانها تصله بالله الواحد الذي لاشريك له فى ذاته ، ولا فى صفاته ولا فى أفعاله **«قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا احد»** .

ولا تبيح تلك العقيدة الاسلامية للانسان انيتعلق بالمخلوقات او يدعو ويعبد غير الخالق الذي أبدع وفق حكمته جميع ما يشاهد ويحس او يعترف بوجوده فى هذا الكون الفسيح «اذا سألت فاسأل الله . واذا استعنت فاستعن بالله» . والاسلام من جهة اخرى دين اجتماعي يراعي حاجة الانسانية ومصالحها الحيوية فى حدود الحق والفضيلة والشرف وباعتبار هاتين الحقيقتين — التوحيد الخالص ، والاجتماعية — امكن للاسلام ان يقيم المجتمع على اسس القيم الاخلاقية العليا ، وان يرضي مطالب الروح والجسد ، حتى ترافقا فى اعتدال ، وكونا حقيقة الانسان المهذب والمؤمن الكامل .

وبالجمع بين السمو الروحي والتهذيب الاجتماعي امكن للاسلام ان ينتشر فى أركان الدنيا بالعدل والحق والاخلاق وسمو المبادىء .

والاسلام وليد العقيدة الرائقة الرائعة التي تطهر النفس وتذكي القلب وتربي الخلق وتغذي العقل وتوقف الغريزة عند حدها ، وتعطي كل مطمح من مطامح الانسان معناه الذاتي وسيره الطبيعي .

والعقيدة الاسلامية : عقيدة استعلاء من اخص خصائصها : أنها تبعث فى روح المؤمن بها الاحساس بالعزة من غير كبر ، وروح الثقة فى غير اغترار . وشعور الاطمئنان فى غير تواكل .

والعقيدة الاسلامية قوة لاتدانيها قوة فى شد الاعصاب وشحن الدماء بالتضحية والفداء ونكران الذات . واثر الايمان بالعقيدة السليمة يبرز بوضوح فى الدعوات [illegible] غيرت وجه التاريخ . لذا يعمد [illegible] الى اختيار العناصر المشبعة بروح [illegible] نظرهم عن الكثرة فهم لايريدون [illegible] .

ذلك ان العقيدة هى الروح [illegible] الجسد وتبعث فيه الحياة والرعيل الاول [illegible] كانوا اساتذة الدنيا بقوة عقيدتهم وايم[illegible] وقد لاقوا آلاما شديدة لو صبت على غيرهم [illegible] ولكن الايمان بالعقيدة حين يخالط قلب [illegible] الى انسان فوق المادة .

الاسلام والمسلمون

للأستاذ: أحمد عبد الرحيم السائح

ان العالم الاسلامي يربض على الثروات المعدنية الهائلة ويتربع على الكنوز الثمينة ، ويملك من الحقول البترولية ، أجداها نفعا ، واكثرها ثراء وسخاء ، واقواها تدفقا ودفعا . ويتبوأ استراتيجية هامة ، ويشغل من خريطة الدنيا حيزا جغرافيا عظيما .

فالاطار الخارجي الاقصى للعالم الاسلامي يصل شمالا حتى أعالي الفولجا ، غير بعيد عن دائرة العرض 60 درجة شمالا ، ويترامى جنوبا حتى نهاية افريقيا عند الرأس على خط عرض 35 درجة جنوبا .

أما شرقا بغرب فنحن مع الاسلام من خط طول 120 درجة شرقا حيث الفلبين الى حوالى 20 درجة غربا ، عند الرأس الاخضر، فهذه شقة تبلغ 95 درجة بالطول، ونحو 140 درجة بالعرض أى حوالى ربع وثلث محيط الارض على الترتيب ، أو ما يعادل نصف دورة من دورة الليل والنهار ، ونصف دورة من دورة فصول السنة على التوالي .

ومحيط العالم المسلم يتحدد أساسا بنصف الكرة الشمالي أولا ، وبنصف الكرة القديم ثانيا ، فالاسلام جنوب خط الاستواء أطراف أو أصابع ثانوية وهو فى العالم الجديد شظايا سديمية متطايرة .

ويمكن ان نعبر عن هذا الامتداد النادر بأكثر من طريقة فنقول : ان الاسلام يمتد فى قوس محدد من بكين الى كازان الى بنغراد فى الشمال ، أو فى قاطع من فرغانة الى غانة — كما كان يقول مؤرخو الاسلام — أو فى قاطع آخر من جبل طارق الاطلس الى سنغافورة جبل طارق الهادي ، أو من مالاجا بالاندلس الى ملقا بالملايو الى قبائل المورو بالفلبين ، كذلك يمكن أن تحدد قاعدة العالم الاسلامي فى الجنوب بمحور «يمتد من قبائل السنغال ، حتى قبائل التاجال بالفلبين ، أو من غينيا الى غينيا الجديدة ، أما بالطول فدونك من الفولجا والدانوب حتى الزمبيزي والليمبوبو .

وتلك أبعاد لاتقل بحال عن نصف مساحة العالم القديم .

فالاسلام دين عالمي أو كوكبي — بلا مراء — رغم ما يدعيه البعض من أنه دين جزئي ، أو اقليمي أحيانا ، أو من انه دين «افريقاسى» أحيانا أخرى . اذ يوشك الا تكون هناك دولة فى عالم اليوم ، لايتمثل الاسلام فيها ولو ببضعة عشرات من الالاف كما فى استراليا وغرب أوربا مثلا .

وبالعالم الاسلامي قابليات بشرية فائقة ، والمسلمون يمثلون تقريبا 15٪ من مجموع سكان هذا الكوكب الذى يبلغ اليوم قرابة 3300 مليون نسمة .

آراء كوكبة من الباحثين وكبار المستشرقين فيها انصاف واعتراف بقيم الاسلام وذلك حينما يكتبون لمرضاة العلم فى ذاته . وحين لاتقتادهم السطحية .

وحضارة : لانه متصل بشئون الحياة والحكم والفكر ، والاسلام قادر بطبيعته الذاتية على مواجهة تطور الازمان واختلاف البيئات والمجتمعات وله من القدرة والقوة ما يمكنه من التبلور والتناسق بحيث لايتوقف ولا يجمد ، ولا يتعارض مع طبائع الامم فى حركتها الداخلية الممتدة عبر العصور .

والاسلام ينظر الى الحياة نظرة كاملة وشاملة ، ويتدخل فى جميع شؤونها السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالاضافة الى انه دين يهتم بالجانب الروحي من الانسان ويريد منه أن يتحمل الخلافة فى الارض بأمانة وقوة وحزم وعزم . نادى الاسلام بالحرية والاخاء والمساواة ورسم وسائل تحقيقها ، واقام موازين الحق والانصاف والعدالة ودعا الى التعاون والتبادل والمودة والالفة .

ويمكن أن نقول بعبارة أوجز : انه ما من شيء يهم الانسانية ويشغل بالها ، ويأخذ قسطا من عنايتها الا وله فى الاسلام هدى وبيان واهتمام .

وما من شيء يلامس حياة الناس او يتعمقها الا وله فى الاسلام عرق ينبض وأصل عريق .

ولقد أكتملت قوة الاسلام بوحدة العقيدة ، وجامعة اللغة العربية ، واشتراك المجتمع فى مظاهر العبادات والعادات والتقاليد زيادة على توحيد الاهداف والغايات من الحياة .

ونخلص من كل ماسبق : الى ان الاسلام دين عالمي . ولهذه العالمية كان الاسلام وما زال ملائما لجميع الاجناس البشرية ، وقد اثبت منذ ظهوره حتى اليوم أنه الدين الذي يتلاءم مع كل عقل وتفكير ، ويتجاوب مع تطور الزمن .

وان آداب وتعاليم الاسلام كفيلة بأن تجعل العالم الاسلامي فى وضع يسمح له أن ينمي فلسفته الخاصة به ، المتميزة عما عداها ، والتي تنبع من الفكر الاسلامي النير ، تستمد عناصر وجودها من كتاب الله القرآن الكريم وسنة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام .

وذلك دون ان يتبع المجتمع الاسلامي اي شكل من الاشكال التي يعافها الاسلام وتمجها الفطرة الانسانية الصافية .

واذا كان المجتمع الاسلامي ، له من المميزات ما لايتوفر لغيره ، وله من التعاليم والقيم والآداب ما يسمح له ان تكون فلسفته الخاصة بوجوده . فهل ممكن لحضارته ان تعود الى اشراقها من جديد فتنقذ الانسانية من هوة الفوضوية وتقشع عنها السحب الداكنة والاعاصير المقلقة وتزيل الاصفاد والقيود المحيطة بكل تقدم ، والمعرقلة للنهوض ، وتعيد للعالم الانساني السلام الحقيقي والحق والعدل والنور والامن والاطمئنان ؟

ان تعاليم الاسلام الغراء صالحة لكل زمان ومكان ، وفى الاصلاح الاسلامي من كليات وجزئيات ، كفيل بقيام مجتمع انساني تسوده روح الصدق والمحبة والتعاون والبر والوفاء والاخلاص ولكن ذلك رهين برجوع المسلمين الى منابع عزهم ومجدهم والتمسك بأسمى القيم والاخلاق الاسلامية . والعمل بتلك القيم والاسترشاد بالتعاليم الحية النابضة بالسمو ، المليئة بالجذوات المتقدة التي لايخبو ضوؤها . قال الدكتور جورج سارطون : «ان المسلمين يمكن أن يعودوا الى عظمتهم الماضية والى زعامة العالم السياسية والعلمية — كما كانوا من قبل — اذا عادوا الى فهم حقيقة الحياة فى الاسلام والعلوم التي حث الاسلام على الاخذ بها (1) » .

وقال العلامة وامبرى : «ان روح نظام المسلمين هو الدين ، والذي أحياهم هوالدين ، والذي يكفل سلامتهم فى المستقبل هو الدين ليس الا (2) ».

ويرى الدكتور فيليب حتى : «ان الشرق الاسلامي هو اليوم فى مطلع دور جديد فى حياته العلمية كما أنه فى فجر طور جديد فى حياته السياسية ، وهو دور يمكن ان نسميه : دور الابداع والابتكار ضمن اطار الميرات الخالد من القيم الدينية والادبية . ولنا أن نتكهن ان ابناء الثقافة الاسلامية على اختلاف بيئاتهم سيقومون بقسطهم فى خدمة المدنية والانسانية ، وبما يجعلهم خلفاء جديرين بالميراث الذي تركه لهم أجدادهم (3) » .

---

(1) كتاب **«الشرق الاوسط فى مؤلفات الامريكيين»** ترجمة عمر فروخ ، بيروت .
(2) راجع كتاب **«الاسلام فى غزوة جديدة»** للاستاذ انور الجندي ، القاهرة .
(3) انظر كتاب **«الثقافة الاسلامية»** طبع مؤسسة فرانكلين .

فبلال الحبشي ، وعمار بن ياسر ، ومصعب بن عمير ، وصهيب الرومي . ضربوا الرقم القياسي في صلابة العقيدة وصدق النية وقوة الايمان . وهم الذين لم يدرسوا كتب الفلسفة ولم يقراوا علوم اليونان والرومان . ولكنهم درسوا القرآن الكريم وتتلمذوا في مدرسة محمد بن عبد الله رسول الله الى الناس كافة.

وعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد والمقداد بن الاسود وطارق بن زياد وموسى بن نصير قادوا الدنيا وفتحوا البلاد وهم الذين لم يدرسوا في الكليات الحربية ولم يقراوا علوم اليونان والرومان الحربية . ولكنهم درسوا القرآن العظيم وتتلمذوا في مدرسة محمد رسول الله .

فالايمان بالعقيدة هو الجذوة المتقدة ، والقوة الخلاقة ، التي تكون النفوس وتشحنها بأنبل القيم واسماها ، وتبنيها على الحق والاباء والعزة والكرامة.

والاسلام : **دين ومجتمع وحضارة :**

دين : لانه عقيدة توحيد وتنزيه لله — سبحانه وتعالى — تعتقدها القلوب وتدين بها ، ونطق بها الالسنة في كل صلاة وذكر ، وتتزكى بها النفوس ، فتنجلى عنها كل شدة وبؤس .

ومجتمع : لانه ليس طائفيا ولا عنصريا ، ولا جاهلا ، ولا جامدا ولا خامدا ولا يتوخى استعباد جنس لجنس ولا قوما لقوم ، ولا طائفة لطائفة **((انما المؤمنون اخوة))** . **((يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن))** .

والفرد في المجتمع الاسلامي جزء من كل يكمله ويكتمل به ، ويعطيه ويأخذ منه ، ويحميه ويحتمي به ، وليس في الاسلام انفصال بين مسؤولية الفرد نحو المجتمع ومسؤولية المجتمع نحو الفرد لان هاتين المسؤوليتين هما اولى وسائل الاسلام في الاصلاح العام ، والاسلام من ناحية أخرى اعترف بالقيمة الذاتية للافراد باعتبارهم مدينين بوجودهم لله ومسؤولين أمامه عن اعمالهم **((كل نفس بما كسبت رهينة))** . **((لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت))** **((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم))** **((ولا تزر وازرة وزر اخرى))** . والاسلام الحنيف حينما جعل الفرد مسؤولا أمام الله عن اعماله والمسؤولية تقع عليه وحده . الاسلام جعل ذلك ليرفع من قيمة الفرد الذاتية ويصل به الى اعمال الخير والدفع البناء وفي الوقت نفسه لبنة من لبنات المجتمع المسلم وعضو من اعضائه يعمل لصالح الجماعة والجماعة تسعى لخير الفرد .

والاسلام لايعترف بالقهرية التي يدمج بها الفرد في المجتمع قسرا ورغما عنه كما في الشيوعية لان الشيوعية من الوجهتين العملية والنظرية تستغني عن الفرد ان لم يخدم غرض الدولة او ان لم يتبع طريقة الحزب دون نقاش .

فالاسلام دين اجتماعي يرقى بالمجتمع الى اسمى ما قدر من سلام ورخاء وتعاون وتكافل وتساند وتوادد **((والمؤمنون بعضهم أولياء بعض))** .

قال المستشرق الفرنسي (ماسينيون) : « ان لدى الاسلام من الكفاية ما يجعله يتشدد في فكرة المساواة وذلك بفرض الزكاة التي يدفعها كل فرد لبيت المال . وهو يناهض الديون الربوية والضرائب غير المباشرة التي تفرض على الحاجات الاولية الضرورية، ويقف في نفس الوقت الى جانب الملكية الفردية وراس المال التجاري (1) .

وللاسلام ماض بديع من تعاون الشعوب وتفاهمها وليس من مجتمع آخر له مثل ما للاسلام من ماض حافل بالنجاح في جمع كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة في الحقوق والواجبات» .

وقال المؤرخ الانجليزي (توماس كارليل« : «وفي الاسلام صفة اراها أشرف الصفات واعظمها وهي المساواة بين الناس ، وهذا يدل على صدق النظر وصواب الراي ، والاسلام لم يقنع بجعل الصدقة سنة محبوبة بل جعلها فرضا على كل مسلم وجعلها قاعدة من قواعد الاسلام (2) .

وقال العلامة (البودوروس) : «ولقد وجدت في الاسلام حل المشكلتين اللتين تشغلان العالم طرا ، الاولى في القرآن **((انما المؤمنون اخوة))** والثانية فرض الزكاة على كل ذي مال» (3) .

---

(1) راجع كتاب **((الاسلام والنظام العالمي))** تاليف محمد علي الهندي ترجمة احمد جودة السحار
(2) انظر كتاب **((نبي الاسلام))** الاستاذ عز الدين فرج
(3) كتاب **((اشتراكية الاسلام))** مصطفى السباعي

وفى التـــوحيــد للهمـــم
ولن تبنوا العــلا متفرقينــا

تساندت الكواكب فاستقرت
ولولا الجاذبيـــة ما بقينـا

ولتكن حياتنا كلها حركة وبناء

جهاد المؤمنيـــن لهم حيـــاة
الا أن الحيـــاة هي الجهـــاد

عقائدهم سواعد ناطقـــــات
وبالاعمـــال يثبت الاعتقـــاد

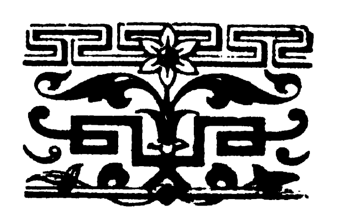
وليفتح المسلمون فى مشارق الارض ومغاربهـا اعينهم وليبينوا خططهم على ان لا أمل فى أنفسهـم ولا حياة الا ببذل الجهد فى سبيـــل تدعيم البناء الروحـي والمادي . وبهذا :

سنمضي فى طريق النور قدما
وان طفقت تعارضنا الشعوب

سنمضي حاملين لواء عــز
به يتفتح الامـــل الرحيـــب

أحمد عبد الرحيم السايح

من علماء الازهر



والدكتور سميث أستاذ ورئيس قسم الديانات بكلية ووستر بولاية أوهايو يرى : «أنه لو أمكن اثارة التماسك الاسلامي فى سبيل أغراض ايجابية وتكتيل الامم الاسلامية الكثيرة المتخلفة فى وحدة حية لامكن ان تصير هذه الوحدة قوة ايجابية فى العالم (1) » .

وكلام أولئك الافذاذ من ائمة البحث وكوكبة الاستشراق قد يكون انصافا ولمرضاة العلم فى ذاته بعيدا عن السطحية والاغراض التعصبية .

وقد يكون بمثابة التحذير لاقوام اوربا الحاقدين على الاسلام والمسلمين . ليعرف الاوربيون ان المسلمين اذا اجتمعت كلمتهم فى ظل العمل بالاسلام ، كان ذلك خطرا على الاستعمار والاستعباد والظلم .

وعلى اي حال وسواء كان هذا او ذاك فان العالم العربي والاسلامي لاينهض الا برسالته التي وكلها اليه رسول الانسانية محمد عليه الصلاة والسلام والايمان بها والاستماتة فى سبيلها ، وهي رسالة مشرقة قوية واضحة لم يعرف العالم رسالة أعدل منها ، ولا افضل ، ولا ايمن للبشرية منها .

وهى نفس الرسالة التي حملها المسلمون فى فتوحاتهم الاولى ، والتي بلغوا بها ذروة ما قدر لهم من سؤدد ومجد وسلطان .

كانوا اقوياء فى عقيدتهم بالله واقوياء فى نفوسهم، لايرهبون الردى ولا يخافون من الموت سواء وقعوا عليه أم وقع عليهم ، غير هيابين ولا وجلين :

اذا صنعوا فصنعهم المعالي
وان قالوا فقولهم الصواب

مرادهم الاله فلا رياء
ونهجهم اليقين فلا ارتياب

لأمتهم وللاوطان عاشوا
فليس لهم الى الدنيا طلاب

كمثل الكأس تبصرها دهاقا
وليس لاجلها صنع الشراب

ويعرب عن كل ذلك الفيلسوف الاسلامي محمد اقبال الشاعر الباكستاني فيقول :

كم زلزل الصخر الاشم فما وهى
من بأسنا عزم ولا ايمان

لو ان آساد العرين تفزعت
لم يلق غير ثباتنا الميدان

وكأن نيران المدافع فى صدو
ر المؤمنين الروح والريحان

توحيدك الاعلى جعلنا نقشه
نورا تضيء بصبحه الازمان

فغدت صدور المؤمنين مصاحفا
فى الكون مسطورا بها القرآن

* * *

لم نخش طاغوتا يحاربنا ولو
نصب المنايا حولنا اسوارا

ندعو جهارا لااله سوى الذي
صنع الوجود وقدر الاقدار

ورؤسنا يا رب فوق اكفنا
نرجو ثوابك مغنما وجوارا

كنا جبالا فى الجبال وربما
سرنا على موج البحار بحارا

كنا نقدم للسيوف صدورنا
لم نخش يوما غاشما جبارا

ولقد مرت على المسلمين والاسلام زهاء اربعة عشر قرنا من الزمان ، حورب فيها الاسلام وحارب وانتصر . وشاهد فرقا وأحزابا تألفت ضده واندحرت وجمعيات سرية هدامة ، عملت جهدها لتشويه الحقائق ، وقد باءت بالفشل ، ودولا عديدة انقضت على بلاده تريد نهب الخيرات والقضاء على القيم العليا ولكنها منيت بالهزيمة .

ولا زال الغرب مدفوعا بدوافع نفسية حاقدة متعصبة حينا ، وأخرى استغلالية انانية ، ولقد حاول الغرب تحقيق اغراضه الخبيثة بالتوجيه الثقافى والغزو الفكري مرة ، وبالضغط السياسي والاقتصادي مرة أخرى ، وبالقوة أحيانا ، وما حدث بالبلاد العربية لدليل واضح على الحقد الذي يسيطر على الغرب تجاه الاسلام والمسلمين « **قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر** » .

فليستيقظ العرب ، ويعيدوا صنع حياتهم على ضوء المفاهيم الصحيحة ، وليجمعوا الصفوف ويوحدوا الاهداف :

---

(1) نفس المصدر .

واذاعتها ، وتآزر القصيدة والمقالة ، والبحث والمسرحية والقصة ، والفنون التشكيلية في معركة البنـاء ... وستناقشون قضايا الانتاج الفكري والوجداني وكل ما يمس التعبير عن حركة الجماهير وتوجيه حماسها ، وانقاذ ذلك التعبير من العبث والاسفاف ، والبعد به عن الانزلاق والانحراف .

وهذا موضوع من الصعوبة بمكان فمن واجبكم ان تكونوا مؤمنين برسالتكم . واذا كان من السهل ان تخططوا فان من الواجب أن تلائمـوا بين رسالتكم وهدفكم ، وما يتطلبه ذلك من جد وأناة ومثابرة . وما تنتظره الامة منكم من توجيـه صـادق ، لتقاومـوا الانحرافات الخلقية والفكرية فقد اصبح من اعظم ما نلاقي من نكبات ان نبتديء ولا نستمر ، وان نقول ولا نفعل ، ونعد ولا نفي ، وان نكتفي من الحقيقة بمداعبة الحلم بها . فالتخطيط ليس بعملية انطلاق فحسـب ولكنه عملية استمرار .

ان امتنا تنتظر منكم حماة لتراثهـا الخلقـي والروحي ، والادبي . وواجب انقاذ المجتمع من التخلف والحيرة ملقى على كاهل الكتاب . فهذا هو ميدانهـم ومجالهم الحيوي . واذا كان مجتمعنـا يعانـي مـن الانحلال وامراض التخلف وقسوة المادية وانهيار القيم. فالكتاب هم دعاة الاخلاق لا بأساليب الوعظ ، ولكـن بأسلوب التحليل ، واستخدام الكلمة الهادفة في شحن العقل والوجدان بمبادىء الاخلاق الانسانية .

ان الكتابة ليست فنا للتلاعب بالزخرف البلاغي، وليست مجرد هواية والهية مهما تكن متعتها ، وانما هي دعوة ملتزمة لخدمة المبادىء الكريمـة والقضايـا الانسانية النبيلة ، وكل ما يعين المواطن على تحقيـق سعادته كفرد في مجتمع شريف .

ان رسالتكم أيها الكتاب لعظيمة ، وصعبة ايضا. ان سلاحكم هو الكلمة ولكن كيف تبلغون الكلمـة الى القلب وكيف تجعلون منها كلمة نبيلة ؟ ان الايمان بها والصدق في التعبير عنها شرطان اساسيان لذلك ومن اجل ذلك يجب خلق الحوار بأسلوب الحوار الصادق الهادف ولغته الرصينة .

ومسألة اخرى ستعترضكم ... فنحن امـة تجتهد لتساير العصر ، فكما نستخدم لاول مرة ادوات الفلاحة العصرية ونسخر لنا المواصلات المعاصـرة ، ونعمل للاستفادة من التقنية الحديثة بمزاولة طرقهـا وأساليبها نزاول نوعا جديدا من العمـل الادبـي في الشعر والقصة والمسرحية والفنون التشكيلية . فهي فنون من التعبير جديدة في لغتنا تتطلب المزيـد مـن الابداع الشخصي وتسمو عن مجرد المحاكاة والتقليد. واذا كان ميدان التزامكم وعقيدتكم سهلا واضحا لانكم مسلمون وعرب تحمون الوطن بما يحملـه من معانـي الحق والعدل والعقيدة والجمال ، وتدافعون عن قضايا شريفة وعادلة ، فان اساليب التعبير مع ذلك يجب ان تجدد في ادائها وقوالبهـا . واذا كنتـم لا تحتاجـون لفلسفة ولا لشروح فيما تتوخونه من مقاصد واهداف فانتم مع ذلك في حاجة الى ان تصقلوا لغتكم واسلوبكم حتى يكون اكثر نفوذا واوضح في الدلالة وذلك لفائدة القضايا التي تشرحونها .

ان كتاب بلادنا يحملون القلم في معركة البناء . ومن واجبهم ان يعوا مسؤولية الكلمة قبل خوضها . وعليهم ان يتقنوا مهنتهم قبل معالجة الموضوع . فاذا كانت معالجة المريض لا تجوز الا للطبيب ، فليس لكل من ينسق بين الاوزان والقوافي أن يطمح في ان يكون شاعرا يأخذ بمجامع الاحاسيس ، وقديما فرقوا بين الشاعر والناظم وقارنوا ان تأتت المقارنة بينهما مقارنة رفعت مكانة الاول ونزلت بمكانة الثاني ، ولهذا فليس شاعرا كل من يفرض الشعر موزونا مقفى، وليس المهم ان يفرض الشاعر شعره ملتزما بمقتضيات العروض او ان يثور عليها ليخط كلمات مهلهلة متناثرة بدعوى حرية الشعر والبعد به عن القيود . وانمـا يجب ان يكـون الشاعر ملما بثقافة الشاعر ، لان منبع الشعر هـو الشاعر نفسـه . والتجربـة الشعريـة لها مواهبهـا وشروطها الثقافية ومعطياتها ومنطلقاتها وابعادها .

كما ان القصة ليست مجرد سرد للاحداث ولكنها عبقرية في التحليل والاستنتاج والتأثير .

وليس الفن تعبيرا بالالوان والانتماء الى المذاهب او الثورة عليها ولكنه القدرة على ربـط الجزئيـات بالحقيقة الكبرى وتكوين الصور الذهنية وتفاعلها في انسجام هادف . ان الفنان هو الذي يسيطر ، والكاتب فنان طبعا ، على الكلمة الباطنية ويدرك الصور الادبية ادراكا جليا متكاملا قبل التعبير عنها بالكلمة او الريشة او النغـــم .

ومهما تختلف اساليب التعبير بالنسبة الينـا نحن ، فثقافتنا اصيلة خالـدة ، عربيـة في لغتهـا ، اسلامية في فلسفتها ، انسانية في اهدافها ، ولن يعسر بعد ذلك على كاتبنا ان يعبر فيحسن التعبير ، ويبلغ

كلمة السيد وزير الدولة الأستاذ عبد الهادي بوطالب في جلسة افتتاح مؤتمر كتاب المغرب

في الشهر الماضي عقد اتحاد كتاب المغرب مؤتمره الثاني تحت الرئاسة الشرفية لصاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده .

وقد ناب عن جلالته في حفلة الافتتاح وزير الدولة الاستاذ السيد عبد الهادي بوطالب حيث القى كلمة باسم صاحب الجلالة حي فيها المؤتمرين .

وهذه نص الكلمة :

انه لشرف عظيم ان افتتح باسم صاحب الجلالة الملك المعظم مؤتمر اتحاد كتاب المغرب العربي .

وانه ليسعدني ان اجدد لكم عناية صاحب الجلالة بكتاب المغرب العربي الذين سخروا السنتهم واقلامهم لخدمة قضية بلادهم فحطموا اغلال الاستعمار ، وما يزالون يجاهدون بنفس السلاح لتحرير مغربنا الكبير من التخلف وللدفع به نحو النماء والتقدم .

ومن الطبيعي والمغرب العربي يخوض معركة البناء والتنمية أن يجتمع حملة الاقلام ورجال الفكر ، ليتحملوا اماناتهم كرواد وبناة ، يشيدون بالحرف والكلمة ، سلاحهم الايمان المتدفق على أقلامهم والنابع من عقول واعية وقلوب حية .

ولقد اصبح من الطبيعي بعد ان حقق مغربنا خطوات في ميدان التنمية الاقتصادية والفلاحية ان يجتمع الكتاب في هذا المؤتمر تحت شعار (الفكر في خدمة المجتمع) ليحددوا دورهم في المعركة ، ويخططوا للمستقبل في ثقة وعزم .

فلم يعد الكاتب يعيش لنفسه في انانية او يأس او تعال ، ولم يعد الادباء شعراء اطلال يقفون ويستوقفون ، ويبكون ويستبكون ، ويتذكرون الاحباب والمنازل ، وانما اصبح الكاتب رائدا يسير في الطليعة يحمل قلمه كما يحمل الجندي سلاحه ، والعامل مسحاته وفاسه .

واصبح الادباء بناة عاملين وعمالا مشيدين للاخلاق ، وجنودا يدافعون عن الحق ، واطباء يعالجون الارواح : سلاحهم الكلمة المشحونة عزما ويقينا وثقة ، وهدفهم خدمة الانسان والسمو بوجدانه واسعاده في قومه ومجتمعه وعالمه . .

ان الكاتب اذن رجل رسالة ، يسخر مشاعره الفكرية والوجدانية لخدمة قضايا امته التي تكدح من اجله ، وتوفر له انتاجها ليهبها بالمقابل انتاجه ايضا .

انكم ايها الكتاب تجتمعون في مؤتمركم الثاني تحت شعار (الفكر في خدمة المجتمع) لمدارسة قضايا الحرف ووسائل التعبير ، واساليب نشر الكلمة

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ: عبد الله كنون

(23)

حرف الواو

632) فى ص 562 . ع ل كلمة عن بلد الوليد باسبانيا جعلها وادي الوليد او وليدا مع انه كتب اسمها بالاسبانية هكذا (Valladolid) وهو واضح في لفظ بلد ، وعليه فحقها ان تذكر فى حرف الباء .

633) فى نفس العمود بعنوان الواردات لمؤلفه محمود بن اسرائيل المعروف بابن قاضي سماونة جعله ابن اسرائيل بياء وهو بدونها ولعله خطأ مطبعي .

634) فى العمود الثاني من هذه الصفحة بعنوان واشنطون عاصمة الولايات المتحدة قال : فيها الدار البيضاء مقر رئيس الجمهورية وعرف المقر بترجمته للعربية بالبيت الابيض ، وهو احسن ، دفعا للالتباس بالدار البيضاء المدينة المغربية المعروفة .

635) فى ص 564 ، ع نى كلمة عن مدينة وجدة المغربية ضبط فيها اسمها بضم الواو وهو بفتحها ، وقال مدينة فى شمالى المغرب الاقصى ولو قال شمالى شرق المغرب لكان اصح .

636 فى ص 565 ، ع نى ترجمة لورش الامام المغرتي الشهير عثمان بن سعيد ، ضبط لقبه بفتحتين وهو بفتح الواو وسكون الراء لا غير .

637) فى ص 566 ، ع ل كلمة عن مدينة وزان قال فيها زاوية مولاي عبد الله الشريف الوزان ، والصواب الوزاني لو اراد النسبة ، على ان الشريف المذكور معروف بدونها . وزاد قائلا وهي محجة ومركز الطريقة الطيبية وهو يعني انها محجوجة اي مزارة لكن تعبيره يوهم معنى الجادة والطريق . وما ذكره من كونها مركز الطريقة الطيبية لو قال الوزانية لكان اعم واشمل ومطابقا لما نعرف به على لسان العموم .

638) فى هذا العمود ايضا بعنوان الوزاني الزياتي . ذكر اسم حسن . مقتصرا عليه مع الاحالة على اسم لاون الافريقي ومراده الحسن الوزاني المعروف . انما الامر الذي يستوقف النظر هو نسبته الزياتي هذه . ولا ندري سنده فيها . والذي عند الاستاذ محمد المهدي الحجوي فى كتابه عن الحسن الوزاني : الزياوي بالزاى فهل تصحفت على المنجد بالزياتي ؟

639) وفيه كذلك ترجمة للعلامةالمهدي الوزاني ضبط فيها اسم والده الخضر بضم فسكون وهو بفتح الخاء وكسر الضاد كما فى نظائره .

640) فى ع نى من الصفحة نفسها ترجمة لابي الطيب الوشا ، قال فيها : له الموشى فيه المواعظ وفصول فى الازياء وآنية الشراب والعيدان ، مخطوط فى ليون . وكتاب الموشى كما سبق لنا ذكره يعرف بكتاب الظرف والظرفاء ، وهذا كاف لتحديد موضوعه فهو ليس كتاب وعظ وليس فيه شيء من المواعظ ، ثم هو مطبوع من زمن بعيد : فالقول بأنه مخطوط فى ليون قصور .

فيحسن التبليغ ، ليكون كاتبا قائدا رائدا كما قال الشاعر القديم .

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بناة المعالي كيف تبنى المكارم

ايها الكتاب والكاتبات

لعلكم كنتم تنتظرون مني ان افتتح مؤتمركم بكلمة رسمية كما تفتح المؤتمرات عادة ، غير ان انتمائي الى اتحاد المغرب العربي ، وعضويتي فى اسرته ، فرضا علي ان ادلي برايي ككاتب حمل الكلمة فى معركة التحرير ، وما يزال يحملها فى معركة البناء ... وقد اكون عرضت عليكم اراء متداولة غير انها نابعة من قلب صادق مؤمن بالكلمة ، لم يستطع اي شيء ان يشغله عن عالم الحرف والكلمة كما قال الشاعر ابو العلاء :

ولو طار جبريل بقية عمره
من الدهر ما اسطاع الفرار من الدهر

ايها السادة المؤتمرين

احرص مرة اخرى على ان اجدد لكم فى هذا المحفل الكريم مشاعر العناية والرعاية التي امرني جلالة الملك المعظم نصره الله ان اعرب لكم عنها باسمه، وعن أمله فى أن ينبثق عن مؤتمركم هذا من التوصيات ما يزيد رسالة الكتاب تبلورا ووضوحا واهدافهم اصالة ونبلا . فجلالته كملك مكافح عاش مع والده وشعبه نكبة الحرية هو حامي الحرية فى هذه البلاد ، وهو يحرص على ان يوفرها كاملة لدوي الاقلام ، وجلالته كمسؤول عن مصير هذه البلاد اكبر من يقدر رواد الفكر فيها ، وكمثقف اصيل يتجاوب وجدانه مع مشاعركم واحاسيسكم لذلك فهو يبارك جهودكم ويرعى نشاطكم لتؤدوا رسالتكم فى خدمة بلادكم ولتساهموا عن طريق التوعية فى المعركة التي يشنها جلالته بعنف وفى غير هوادة ضد التخلف فى جميع مظاهره واشكاله .

واحرص قبل ان اختم كلمتي على ان ارحب بالوفود الشقيقة الحاضرة معنا باسم حكومة صاحب الجلالة مشيدا بظاهرة التآزر والتجاوب التي اخذت تعم جميع مرافق نشاط المغرب العربي وتقرب الخطوات نحو بنائه وتحقيقه متمنيا لكم كامل التوفيق والنجاح .

والسلام عليكم ورحمة الله .

تقويم اللسانين

للدكتور تقي الدين الهلالي

(7)

37 ــ قال عنه :

من البدع المحدثات فى الكلام العربي التي شاعت وذاعت فى زمان الاستعمار ، وكثرة ما يترجم من اللغات الاعجمية حين ضعفت الشعوب العربية ، ولم يبق لها قول الا ما تنقله من كلام المستعمرين المتغلبين قولهم (قال عنه) انه كذا وكذا مدحا او ذما ، وهذا خطأ ، والصواب ان يقال (قال فيه) . والادلة على هذا اكثر من ان تحصى اقتصر على قليل منها .

قال ابن منظور فى مادة (ق و ل) وفى حديث سعيد بن المسيب حين قيل له : ما تقول فى عثمان وعلي ؟ فقال : اقول فيهما ما قولني الله تعالى (59 : 10 والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) .

وفى حديث علي عليه السلام : سمع امراة تندب عمر فقال : اما والله ما قالته ، ولكن قولته ، اي لقنته وعلمته والقي على لسانها ، يعني من جانب الالهام ، اي انه حقيق بما قالت فيه . ا هـ

الشاهد هنا فى ثلاثة مواضع ، فى قول سعيد بن المسيب : اولهما قوله : (اقول فيهما ما قولني الله تعالى) ، والثاني فى سؤال من سأله (ما تقول فى عثمان وعلي) ، والثالث فى خبر علي مع المراة ، وقد فسره صاحب اللسان بقوله : (انه حقيق بما قالت فيه) . ومعنى حقيق هنا : جدير بما قالت فيه تلك المراة من المدح والثناء . ومراد سعيد بن المسيب بتلاوة الاية انه يقول فيهما خيرا .

وبيان ذلك ان الله تعالى اثنى على المهاجرين في سورة الحشر بقوله (8 للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون) ، واثنى على الانصار بقوله : (9 والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ، واثنى على التابعين لهم باحسان بقوله : (10 والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) .

« ذكر تفسير الحافظ ابن كثير لهذه الايات باختصار »

قال ابن كثير : يقول تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين لمال الفيء انهم الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، اي خرجوا من ديارهم ، وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه (وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون) اي هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم ، وهم سادات المهاجرين . الفيء كل مال اخذه المسلمون من اعدائهم بدون قتال كأموال بني النضير ، وهي المعنية بهذه الاية .

641) فى ص 567 ، ع ل تعريف بحزب الوفد المصري المشهور قال فيه : زعيمهم سعد باشا زغلول فسمى الحزب ايضا « الحزب السعدي » وهذا خطأ ، فان الحزب السعدي او الهيئة السعدية حزب انشق على حزب الوفد بعد وفاة سعد وتولى مططفى النحاس رياسة الوفد .

642) فى العمود نفسه تعريف بكتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ضبط اسمه هذا بكسر الفاء وتشديد الياء ، وهو خطأ ، صوابه فتح الفاء والياء مع التخفيف .

643) وفيه ايضا بعنوان الوقف والابتداء ما يلي : كتب فى النحو الفها السيداني والنحاس الخ . وليست هذه الكتب فى النحو بل فى فن من فنون القراءات التي هي من علوم القرءان ، وان كان لها مسيس بالنحو من بعيد . ثم السيداني الذي ذكره اولا من المؤلفين فى هذا الفن لعله الداني ابو عمرو احد ائمة القراء والمؤلفين فى القراءات ، تصحف عليه بالسيداني .

644) فى ع نى من هذه الصفحة كلمة عن ولبة ، مدينة اندلسية معروفة ضبطها بضم الواو وهي بالفتح .

645) وفيه تعريف بولادة بنت المستكفى ، الاديبة الاندلسية الشهيرة ، جعلها الولادة بالالف واللام على عادته فى الحاق ال بالمجرد منها وتجريد المحلى بها .

646) فى ص 568 ، ع ل ترجمة للوليد بن عبد الملك الخليفة الاموي المعروف ، تعرض فيها للبلاد التي فتحت على عهده فذكر منها صقلية ولكنه كتبها بالالف بدل التاء ، وطشقند وقد كتبها تشكنت بالتاء اولا بدل الطاء وءاخرا بدل الدال ، ثم ان جعله صقلية مما فتح فى ايام الوليد بن عبد الملك ليس بصحيح فان فتحها تأخر كثيرا عن ايام الدولة الاموية الى عهد العباسيين فى خلافة المامون ، وذلك سنة 212 ، وكان فاتحها هو القاضي اسد بن الفرات كما هو معلوم .

647) فى هذا العمود ايضا كلمة تعريف بالوليد ابن عقبة ، ضبط فيها عقبة بفتح العين والقاف ، ظنه مفرد عقبات وهو بضم العين وسكون القاف اسم من اعقبه اي راكبه عقبة اى ركبة ، تسمي به العرب ، وذكر المنجد انه اخو عثمان بن عفان بموجب وسكت ولم يقل انه اخوه لامه اختلاف اسم من العربي .

648) وفيه كذلك تعريف بالوليد بن المغيرة ، ضبط فيه المغيرة بفتح الغين وهو بكسرها مفعلة من الاغارة قال تعالى : (فالمغيرات صبحا) .

649) فى ع نى من الصفحة ذاتها كلمة عن مدينة وهران قال فيها : انها قاعدة مقاطعة ادارية في القطر الجزائري ،، من مدنها مسكرة بالميم اولها ولا نعرف مدينة بهذا الاسم فى الجزائر ، فان كان يريد بسكرة بالباء اولها فانها من مقاطعةقسنطينة لا وهران. نعم يمكن ان يكون اراد مدينة معسكر وهي حقا مقاطعة وهران ، ولكن التحريف الذي ادخله عليها بسبب الترجمة كثير . ثم قال : يتاجرون فيها بالخمر (والالفا) وهو نوع من القنب ولا شك انه يريد الحلفاء ففيرها الى ما راينا وفسرها بما ذكر . وصاحب المنجد يفعل فى منجده ما يشاء .

650) فى ص 569 ، ع نى ترجمة لونيداوس ، كيمائي الماني ، قال فيها نال جائزة نوبل على (دروساته) الفيتامينات المعنوية للعظام ، وجمع درس على دروسات فى معجم يوضع بين ايدي الطلبة العرب مما لا يصح السكوت عنه .

طنجة : عبد الله كنون

والذي نفهمه من ادلة الكتاب والسنة أن الكذب في مثل هذا لا يجوز ، فهي هفوة ارتكبها هذا الصحابي الناشيء حرصا منه على الخير ، واكتشاف الاسرار ليعرف ما يقوم به ذلك الانصاري من العبادة بالليل حتى شهد له النبي (ص) انه من أهل الجنة ثلاث مرات في ثلاثة ايام متوالية .

ثم قال ابن كثير : وقوله تعالى : (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) يعني حاجة ، اي يقدمون المحاويج على حاجة انفسهم ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم الى ذلك. وقد ثبت في الصحيح عن النبي (ص) انه قال : افضل الصدقة جهد المقل ، وهذا المقال اعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى (76 : 8 ويطعمون الطعام على حبه) ، وقوله (2 : 177 وآتى المال على حبه) فان هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به ، وقد لا يكون لهم حاجة اليه ولا ضرورة به ، وهؤلاء آثروا على انفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم الى ما انفقوه .

ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله ، فقال له رسول الله (ص) : ما ابقيت لاهلك ؟ فقال ابقيت لهم الله ورسوله . وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة واصحابه يوم اليرموك ، فكل منهم امر بدفعه الى صاحبه ، وهو جريح مثقل احوج ما يكون الى الماء ، فرده الاخر الى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ، ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وارضاهم .

وقال البخاري بسنده الى ابي هريرة قال : اتى رجل رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله ، اصابني الجهد ، فأرسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيئا ، فقال النبي (ص) : الا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله ، فقام رجل من الانصار فقال : انا يا رسول الله ، فذهب الى اهله فقال لامرأته : هذا ضيف رسول الله (ص) لا تدخريه شيئا ، فقالت : والله ما عندي الا قوت الصبية ، قال : فاذا اراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فاطفئي السراج ، ونطوي بطوننا الليلة ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله (ص) فقال : لقد عجب الله عز وجل ، اوضحك من فلان وفلانة ، وانزل الله تعالى (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) وفي رواية لمسلم تسمية هذا الانصاري بأبي طلحة .

وقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) اي من سلم من الشح فقد افلح وانجح . روى احمد ومسلم بالسند الى جابر بن عبد الله أن النبي (ص) قال : اياكم والظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح ، فان الشح اهلك من كان قبلكم ، حملهم على ان سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم .

وقوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء ، وهم المهاجرون ثم الانصار ، ثم التابعون لهم باحسان، كما قال في آية براءة (100 والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) فالتابعون لهم باحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة واوصافهم الجميلة ، الداعون لهم في السر والعلانية ، ولهذا قال تعالى في هذه الاية الكريمة : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون) اي قائلين : (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا) اي بغضا وحسدا (للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) .

وما احسن ما استنبط الامام مالك رحمه الله من هذه الاية الكريمة ان الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصاله بما مدح الله به هؤلاء في قلوبهم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) .

وقال ابن ابي حاتم بسنده الى عائشة انها قالت: امروا ان يستغفروا لهم فسبوهم ، ثم قرات هذه الآية : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولا خواننا الذين سبقونا بالايمان) الاية .

وروى البغوي بسنده الى عائشة ايضا قالت : امرتم بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم ، سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها . اهـ

قال محمد تقي الدين : وهذا ما قصده الامامان سعيد بن المسيب ومالك ، اذ فهما من الايات الثلاث ان الله قسم المسلمين ثلاثة اقسام : المهاجرين والانصار ، والذين جاءوا من بعدهم اذا كانوا يحبونهم ، ويستغفرون لهم ولا يسبونهم ، فمن سبهم فلا حق له في الفيء ، لانه خارج عن الاصناف الثلاثة التي استوعبت المسلمين . فالمتبعون لهم باحسان كما في سورة التوبة لا يقولون فيهم الا خيرا ، ولا يتشيعون لبعضهم ويسبون غيرهم ويبغضونهم .

ثم قال تعالى مادحا للانصار ، ومبينا لهم فضلهم وشرفهم وكرمهم ، وعدم حسدهم ، وايثارهم مع الحاجة فقال تعالى (والذين تبوؤوا الدار والايمان من قبلهم) اي سكنوا دار الهجرة من المهاجرين ، وآمنوا قبل كثير منهم .

قال عمر (يعني فى وصيته عند موته) : واوصى الخليفة بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم ، ويحفظ لهم كرامتهم ، واوصيه بالانصار خيرا الذين تبؤوا الدار والايمان من قبل ان يقبل من محسنهم ، وان يعفو عن مسيئهم . رواه البخاري .

ثم روى عن احمد بسنده الى انس قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ، ما راينا مثل قوم قد منا عليهم احسن مواساة فى قليل ، ولا احسن بذلا فى كثير، لقد كفونا المؤونة ، واشركونا فى الهنا (الهنأ ما أتاك من الرزق بلا مشقة) حتى لقد خشينا ان يذهبوا بالاجر كله ، قال : لا ما اثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم . . ا هـ

ومعناه ان النبي (ص) لما آخى بين المهاجرين والانصار صار الاخ الانصاري يقوم بالعمل كله فى أرضه ويقاسم اخاه المهاجري الغلة والثمر . فخاف المهاجرون ان كل ما عملوه من عمل مقبول عند الله يكون اجره لاخوانهم الانصار الذين كفوهم مؤونة العمل ، واشركوهم فى الغلة والثمرة ، فأخبرهم النبي (ص) ان اجرهم ثابت لهم ، ان كافأوا اخوانهم الانصار بالثناء والشكر ودعوا الله لهم . روى احمد والترمذي من حديث ابي سعيد ان النبي (ص) قال : من لم يشكر الناس لم يشكر الله .

وروى عن البخاري بسنده الى يحى بن سعيد سمع انس بن مالك حين خرج معه الى الوليد قال : دعا النبي (ص) الانصار ان يقطع لهم البحرين ، قالوا : لا الا ان تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها ، قال اما لا فاصبروا حتى تلقوني فانه سيصيبكم اثره . ا هـ

قال فى مجمع البحار : وفى الحديث ستلقون بعدي أثره ــ بفتحتين ــ اسم من آثر يوثر ايثارا ، اي أعطى ، اراد انه يستأثر عليكم ، فيفضل غيركم فى نصيبه من الفيء . والاستئثار : الانفراد بالشيء . ا هـ

ثم قال ابن كثير : (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا) اي ولا يجدون فى انفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف ، والتقديم فى الذكر والرتبة . قال الحسن البصري (ولا يجدون فى صدورهم حاجة) يعني الحسد (مما أوتوا) قال قتادة : يعني فيما اعطى اخوانهم ، وكذا قال ابن زيد .

ومما يستدل به على هذا المعنى ما ورواه احمد بسنده الى انس قال : كنا جلوسا مع رسول الله (ص) فقال : يطلع عليكم الان رجل من اهل الجنة ، فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته (اي تقطر) من وضوئه، قد علق نعليه بيده الشمال ، فلما كان الغد قال رسول الله (ص) مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الاولى ، فلما كان فى اليوم الثالث قال رسول الله (ص) مثل مقالته ايضا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الاولى .

فلما قام رسول الله (ص) تبعه عبد الله بن عمرو ابن العاص فقال : اني لاحيت ابي (اي خاصمته) فاقسمت اني لا ادخل عليه ثلاثا ، فان رايت ان تؤويني اليك حتى تمضي فعلت ، قال : نعم ، قال انس : فسكان عبد الله يحدث انه باب معه تلك الثلاث الليالي، فلم يره يقوم من الليل شيئا ، غير انه اذا تعار (اي استيقظ) تقلب على فراشه ، ذكر الله وكبر ، حتى يقوم لصلاة الفجر . قال عبد الله : غير اني لم اسمعه يقول الا خيرا ، فلما مضت الثلاث الليالي ، وكدت ان احتقر عمله قلت : يا عبد الله ، لم يكن بيني وبين ابي غضب ولا هجرة ، ولكن سمعت رسول الله (ص) يقول لك ثلاث مرات : يطلع عليكم الان رجل من اهل الجنة ، فطلعت انت الثلاث المرات ، فأردت ان آوي اليك لانظر ما عملك فأقتدي به ، فلم ارك تعمل كبير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله (ص) ؟ قال : ما هو الا ما رايت ، فلما وليت دعاني فقال : ما هو الا ما رايت ، غير اني لم اجد فى نفسي لاحد من المسلمين غشا ، ولا احسد احدا على خير اعطاه الله اياه ، قال عبد الله : فهذه التي بلغت بك ، وهي التي لا تطاق . اهـ

استفدنا من الاية والحديث الذي رواه عبد الله ابن عمرو عن الرجل الانصاري ان العمل القليل مع سلامة الصدر من الحسد والغل والغش خير من العمل الكثير الذي ليس معه تلك السلامة ، ولكن عندنا هنا اشكال فى ادعاء عبد الله بن عمرو انه خاصم اباه فغضب عليه ، واتخذ ذلك وسيلة الى ان يكون ضيفا عند الانصاري ليراقب عمله بالليل من صلاة ، وقراءة قرءان ودعاء ، فهل كان ذلك جائزا ان يتذرع المرء بالكذب البحت ليتوصل الى خير ، وهو ما يسمونه فى لغة اهل هذا الزمان المأخوذة من اللغات الاجنبية : الغاية تسوغ الواسطة .

وفيما سوى هذين الطعامين لا يتقيد الاكل بوقت معتاد متى جاع الانسان اكل . ومن امثال العرب : خير النهار بواكره ، وخير العشاء سوافره ، والبواكر هي ساعات الابكار ، الساعات الاولى من الصبح . والسوافر ساعات العشي التي لا يزال فيها ضوء النهار موجودا قبل ان يجيء الظلام ، ومرادهم بذلك التبكير للاشغال والاعمال ، وتعجيل العشاء قبل أن يأتي الظلام .

ولا يزال كثير من العرب عاملين بذلك الى يومنا هذا ، فاني كنت اسكن بقرية الزبير بقرب البصرة ، وسكانها من أهل نجد ، وهم محافظون على العادات العربية ، فكنت اذا خرجت الى المسجد لصلاة المغرب، ووقفت فى الصف أشم رائحة الدسم تنبعث عن يميني وشمالي ، وذلك دليل على انهم تعشوا قبل غروب الشمس ، ولكنهم لم يحافظوا على الغداء فى وقته الذي كانت عليه العرب ، فانهم يفطرون فى الصبح بما تيسر، ويؤخرون الغداء الى ان يصلوا الظهر .

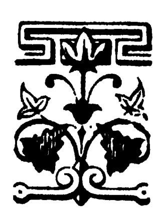
ولما كنت ساكنا بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة الف وثلاثمائة وست وأربعين وسبع وأربعين رايت سكان المدينة كلهم يتغدون فى الضحى، ويتعشون بين العصر والمغرب كما كان العرب الاولون يفعلون . أما فى هذه السنة فقد اقمت فى المدينة ستة عشر يوما ودعاني كثير من الاخوان الى الطعام ، فرايت تلك العادة قد تبدلت ، وصار سكان المدينة يأخذون بعادة اهل المدن وهي ثلاث أكلات فى النهار حين يصبحون ، وحين يظهرون ، وحين يمسون .

وقد تجنبت ذكر الوجبة التي اعتاد الكتاب التعبير بها عن كل واحدة من الاكلات الثلاث المعتادة ، لانهم يستعملونها خطأ .

قال صاحب اللسان : الوجبة : الاكلة فى اليوم والليلة . قال ثعلب : الوجبة اكلة فى اليوم الى مثلها من الغدا . ا ه

والاوربيون ايضا يعملون بشطر المثل العربي ، وهو خير العشاء سوافره ، فانهم يأكلون عادة أعشيتهم بين الساعة السادسة والسابعة ، وتكون الشمس في الصيف لا تزال مرتفعة . ويقول علماء الصحة : ان ذلك خير من تأخير الطعام الى أن يكون قبيل النوم ، فان النوم على امتلاء المعدة تنشأ عنه أمراض ، ولا يكون النوم معه هنيئا . اما اذا تعشى الانسان مبكرا ، فانه يتحرك بعد العشاء ، فلا يأتي وقت النوم حتى يتم الهضم الاول للطعام .

مكناس : تقي الدين الهلالي



قال الحافظ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي فى كتابه (ميزان الاعتدال فى نقد الرجال) ابان بن جبلة الكوفي ابو عبد الرحمن ، ضعفه الدارقطني وغيره . قال البخاري : منكر الحديث ونقل ابن القطان ان البخاري قال : كل من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه .

ثم قال : اعلم ان كل من اقول فيه : مجهول ، ولا اسنده الى قائل ، فان ذلك قول ابي حاتم فيه . ا هـ فقوله (اقول فيه مجهول) وقوله (فان ذلك قول ابي حاتم فيه) مطابقان للاستعمال العربي السليم . والشواهد فى هذا الكتاب وفى غيره من كتب الجرح والتعديل كتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ، ولسان الميزان له اكثر من ان تحصى ، ولم يرد فى شيء منها قال عنه او قالوا عنه .

واذا سأل سائل ماذا يقول النصارى فى عيسى ابن مريم ، يكون الجواب : يقولون فيه : انه ابن الله ، وانه ثالث ثلاثة ، وانه الا قنوم الثاني ، تعالى الله عن ذلك . وقال البوصيري فى الهمزية فى وصف امراة ابي لهب وعداوتها للنبي (ص) :

يوم جاءت غضبي تقول افي مثـ
ـلي من احمد يقال الهجاء

تعني افي يقال الهجاء الصادر من احمد صلى الله عليه وسلم ، تعني بالهجاء سورة (تبت يدا ابي لهب) فقال (فى مثلي ، ولم يقل : عن مثلي) والقول يعدى بـ (في) فى المسائل كذلك يقال : ما تقول في مسألة كذا وكذا . وقال عبد الله بن مسعود فى مسألة سئل عنها : اقول فيها برايي ، فان كان صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فمني ومن الشيطان .

وقد أكثر من ذلك ابن بري فى منظومته كقوله :

القول فى التعوذ المختار
وحكمه في الجهر والاسرار

كيف تستعمل قال عنه

فان قلت : قد فهمنا من كلامك ان تعبير عامة الكتاب يقال عنه في موضوع قال فيه خطأ ، فاين تستعمل قال عنه ؟ فالجواب : يستعملها المحدثون في الرواية ، وقد اكثر من ذلك البخاري رحمه الله . فمن ذلك قوله فى كتاب العلم من صحيحه . وقال شقيق عن عبد الله سمعت النبي (ص) . وقال ابو العالية عن ابن عباس عن النبي (ص) . وقال انس عن النبي (ص) . وقال ابو هريرة عن النبي (ص) . ا هـ

فمعنى قال هنا : روى وحدث . فهذا هو الفرق بين قال فيه وقال عنه . يجب علينا ان نميز بينهما وان نستعمل كلا منهما فيما يناسبه . والله الموفق .

38 – الخلط والخبط فى استعمال الغداء بالمهملة واستعمال الغذاء بالمعجمة . اذا استمعت الى الاذاعات ، او قرات الصحف تجد اكثر المتكلمين والكتاب لا يميزون بين الغداء والغذاء . ودونك معناهما وضبطهما . فالغداء – بفتح الغين المعجمة ودال مهملة – ممدودا ، هو طعام الغدوة . وهي اول النهار . قال الله تعالى فى سورة الكهف فى قصة موسى مع الخضر : (62 فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) .

قال البيضاوي : (فلما جاوزا) مجمع البحرين (قال لفتاه آتنا غداءنا) ما نتغدى به . (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) قيل لم ينصب حتى جاز الموعد ، فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القى عليه الجوع والنصب . ا هـ

وقال الراغب فى غريب القرءان : (غدا) الغدوة والغداة من اول النهار . والغداء طعام يتناول فى ذلك الوقت . ا هـ

وقال صاحب اللسان : والغذاء : الطعام بعينه . وهو خلاف العشاء . ابن سيده : الغداء طعام الغدوة . والجمع اغدية ، عن ابن الاعرابي . ابو حنيفة : الغداء رعي الابل فى اول النهار ، وقد تغدت وتغدى الرجل وغديته . ورجل غديان وامراة غديا ، على فعلى . واصلها الواو ، ولكنها قلبت استحسانا ، لا عن قوة علة ، وغديته فتغدى . ا هـ

اذا فهمت هذا علمت ان تسمية الناس اليوم للطعام الذي يؤكل بعد الظهر غداء مخالف لاستعمال العرب ، لان العرب لم يكونوا يأكلون فى وقت الظهر ، وليس فى لغتهم اسم لطعام يؤكل وقت الظهر ، ولم يكونوا يأكلون بالليل ، ولذلك لا يوجد فى لغتهم اسم لطعام يؤكل بالليل ، وانما كان عندهم غداء وعشاء . فالغداء تقدم بيانه ، والعشاء طعام العشي .

قال صاحب القاموس : والعشي بالكسر ، والعشاء كسماء طعام العشي ، الجمع اعشية ، وعشى وتعشى اكله ، وهو عشيان ومتعش ، وعشاه عشوا ، اطعمه اياه كعشاه واعشاه . ا هـ

الثروة الحيوانية واذا تركناهم على ما هم عليه فانهم يظلون على حالهم من التخلف الصحي والثقافي ولا يقومون بأدوارهم كاملة كمواطنين .

هذه نظرة عاجلة مبتسرة نضيف اليها خاصية تميز العالم العربي عن غيره من أجزاء العالم وهذه الخاصية تثير تساؤلات كثيرة فى بقية انحاء العالم فالكثيرون يسألون **ما هو هذا الذي يجعل من العالم العربي تلك الوحدة أو ذلك التماسك** . ولا ضرورة لمحاولة اجابة كاملة عن هذا السؤال الهام ، ولكن الذي لامراء فيه ان حضارات كثيرة كانت على جانب كبير من القوة والسلطان وقد ظهرت هذه الحضارات وبقيت لها بعض آثارها ، غير انها لم تبق بكيانها ووحدتها . فرغم ما كانت عليه الحضارة الاغريقية من قوة فلا يوجد عالم اسمه العالم الاغريقي ، ورغم ما كانت عليه الحضارة الرومانية من سلطان فلايوجد مايسمى العالم الروماني ، **ولكن يوجد ما يسمى العالم العربي**، ولاشك أن لهذا دلالته فعلى الرغم مما يتصف به العالم العربي من تنوع وسعة وعلى الرغم مما مر به من احداث وازمات فان هناك نوعا من التكامل والترابط والوحدة والتماسك يجعلنا نتكلم عن العالم العربي أو الوطن العربي .

وهناك مجموعة من العوامل تدخل فى تكوين هذه الوحدة منها الدين ومنها اللغة ومنها التصاهر ومنها الكفاح المشترك والتاريخ المشترك ، ومنها الشعور المشترك بالخطر المشترك . هذا الشعور الذي لاتتوقف درجات حدته وشدته الا على ما يوجد من مسافات زمانية ومكانية تتلاشى مع اليقظة وحدة البصر ووضوح الرؤيا ، وتتلاشى كذلك مع وجود الاستعداد بالاساليب العلمية والتكنولوجية الحديثة .

والذي لاشك فيه كذلك ان الحضارة العربية وما تتضمنه من ثقافة لها ابعادها فى العمق والاتساع والتنوع ولها ابعادها الزمنية السحيقة المستمرة مما أكسبها من الخصوبة والقوة والتماسك ما لانجده فى الوان الحضارات الاخرى . وهذا هام نريد أن نحسن استخدامه .

فهذه الظاهرة المميزة لكل ما هو عربي من فكر وثقافة وحضارة تجعل من غير الممكن للعالم العربي ان ينطلق فى نهضته الا اذا كان انطلاقه الى مستقبله من حاضره مستندا على ماضيه ، وتلقى هذه الظاهرة على المسئولين عن التعليم عددا من الاسئلة الملحة الهامة .

يريد العالم العربي أن يتقدم وأن يواكب الحضارة ، وأن يرفع من مستوى حياة أفراده وأن يوفر لهم القوة والكرامة واحترام الذات والحرية والعدالة والطمأنينة ، يريد أن يزيد من انتاجه وأن يزيد من دخله وثرواته ، يريد ان ينمو وأن يكون نموه متتابعا مستمرا . لابد أن يهدف الى هذا كله ، فكيف السبيل ؟ يلقى فى روعه احيانا ان الفساد كامن فى جذوره فليحرقها ويقتلع نفسه منها فهي قديمة بالية .

ويلقى فى روعه احيانا ان لجذوره ماضيا مجيدا فليحافظ عليها وليتمسك بها. ويمثل الاتجاهان صراعا هائلا بين ما هو شرقي وما هو غربي ، بين ما هو استقلالي وما هو استعماري ، بين ما هو قديم وما هو حديث ، بين ما هو مادي وما هو روحي ، بين ما هو اصيل وما هو مستورد ، بين ما هو تقليدي وما هو تجديدي . فليكن سؤالنا كيف يمكن العالم العربي أن ينطلق بشخصيته العربية وبكيانه العربي مع بقية أجزاء العالم حتى يقوم بدوره فى رعاية أمر نفسه وفى الاسهام فى تقدم البشرية وسعادتها وسلامها مع احترامه لنفسه وصيانته لحقوقه وخلق الظروف التي ترغم غيره على احترامه واحترام حقوقه ؟

هنا تظهر أسئلة كثيرة فى ميدان التعليم فى ماضيه وحاضره ومستقبله ، فى مناهجه وكتبه ، فى وسائله ولغته ، فى اهدافه وفلسفته ، وفى الصورة التي يرى التعليم أن يكون عليها المواطن حتى يتسق مع ما تتجه اليه الدولة أو ما يجب أن تتجه اليه .

وينطلق من هذا سؤال آخر عن شكل المعلم المطلوب لتعليم هذا المواطن .

ولكي نوضح الموقف بعض الشيء نقدم بمقدمة تاريخية سريعة . **فقد ظهر الاسلام** فى القرن السابع الميلادي وكان له أثره الشامل الواسع العميق فى كل نواحي الحياة من عقيدة وسياسة وتنظيم واجتماع وحياة يومية فردية وجماعية وعالمية . وفى مدى قرن من الزمان انتشرت موجة عربية عارمة من أواسط آسيا الى المحيط الاطلسي واستمرت هذه النهضة **قرابة الخمسة قرون ثم بدا نوع من الحكم الاجنبي** اصاب البلاد بالركود والتجمد واستمر هكذا حتى أوائل القرن الحالي .

كذلك كان العالم العربي **قد انعزل عن اوروبا** بسبب كشف راس الرجاء الصالح خلال القرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي . فبعد ان كانت تمر فى الارض العربية قوافل التجارة من أوروبا اصبحت هذه تمر حول افريقيا فى طريقها الى آسيا

أوضاع التعليم في العالم العربي

للدكتور عبد العزيز القوصي

اذا أردنا أن ندرس أوضاع التعليم وتطوره في الوطن العربي فلابد أن نتفق أولا ولو بصورة اجمالية على حدود هذا الوطن من جوانبه المختلفة ، جوانب أرضه وسكانه وخيراته وماضيه وحاضره ومستقبله .

والوطن العربي هو مجموعة الدول والبلدان الواقعة من الخليج شرقا الى الاطلسي غربا ويحده في الشمال البحر الابيض ، ويمتد في الجنوب الى الجنوب العربي والسودان والحدود الجنوبية لليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، وهناك دول أخرى تشتاق لان تكون ضمن المجال العربي ومن هذه موريتانيا والصومال وغيرها .

مجموع السكان في العالم العربي وصل الى 105 مليون في العام الماضي ، وقد كان 80 مليون من عشرة أعوام ، 98 مليون من خمسة اعوام ، اي انه يزيد بما يقرب من 3 ملايين في كل عام .

ونلاحظ ان الاسرة في العالم العربي كبيرة الحجم بها اب وام وعدد كبير من الاطفال والناشئين ، هذا بخلاف الاسرة الاوروبية ، معنى ذلك ان نسبة الصغار في الاسرة العربية اكبر منها في غيرها ، ونجد بالدراسة الاحصائية الدقيقة ان نسبة الصغار الى مجموع السكان في العالم العربي نسبة كبيرة ، فالذين تقل سنهم عن عشرين عاما تبلغ نسبتهم في العالم العربي 50٪ تقريبا ، ولكن نسبتهم تبلغ في بعض دول اوربا وامريكا 30 ٪ اي ان نسبة الصغار للكبار في العالم كنسبة 1:1 ، واما في اوروبا فهي كنسبة 4:3 . ومعنى ذلك أن مسؤولية الكبار نحو الصغار في العالم العربي مسؤولية مضاعفة اذا هي قورنت بنظيرتها في أوروبا وامريكا . واذا تذكرنا أن وسائل التعليم والصحة والرعاية في العالم العربي اقل منها في أوروبا وامريكا فمعنى ذلك أن على الكبار في العالم العربي أن يضاعفوا الجهد ليضاعفوا الانتاج ويضاعفوا الدخل حتى يحسنوا رعاية الاعداد الهائلة من الصغار والناشئين في الظروف الحالية . فعلى الكبار في العالم العربي مسئوليات مضاعفة اذا قيست بمسئوليات الكبار في العالم الاوروبي .

فالظاهرة السكانية الاولى هي سرعة زيادة السكان وثانية هذه الظواهر هي كثرة الصغار بالنسبة للكبار ، ولهاتين الظاهرتين مشكلاتهما في ميدان التعليم .

واغلب هؤلاء السكان موزعون في الاودية وعلى شواطىء البحار والعمل الاساسي لهم هو الزراعة . ومعروف أن المشتغلين بالزراعة يميلون عادة الى المحافظة وعدم التجديد ويتقدمون بحذر شديد اكثر من غيرهم مما يخلق مشكلة اخرى امام المسؤولين عن التعليم . ومن بين هؤلاء السكان اعداد كبيرة من المشتغلين بالرعي والمتنقلين وراء الثروة الحيوانية بوجه عام ، ويقدر هؤلاء ببضعة ملايين ، ويشكل هؤلاء مسألة أخرى تواجه المسؤولين فاذا عملنا على سرعة توطينهم قضينا على مصدر هائل من مصادر

وعدد تلاميذ الابتدائي فى سوريا كان 148 الف فى عام 45/44 واصبح 647 الف فى عام 65/64 .

وعدد تلاميذ الابتدائي فى العراق كان 37500 فى عام 1932 واصبح 957 الف فى عام 65/64 .

وعدد تلاميذ الابتدائي فى مصر كان 380 الف فى عام 1922 واصبح 1٫400 الف فى عام 1952 ، و 3٫5 مليون فى عام 1966 . كذلك تفز تلاميذ الثانوي فى 30 عاما من 10 آلاف الى 160 الف طالب وطلاب العالي من 4 آلاف الى 40 الف فى نفس المدة .

وقد تناول الاصلاح نواح كثيرة من التعليم غير انفتاح أبواب التعليم وزيادة الميزانية اذكر منها ما يأتي :

أولا) — توحيد التعليم الابتدائي والاصرار على المدرسة الواحدة تحقيقا للعدالة والديمقراطية وتكافؤ الفرص وتحقيقا للتجانس العقلي المؤدى الى وحدة الامة .

ثانيا) — التوسع فى التعليم العالي والتعليم المهني والعلمي والعملي مما يؤدي الى تكوين القيادات والقوى العاملة المنتجة الحديثة .

ثالثا) — تقارب نظم التعليم فى البلاد العربية ، فهناك توحيد السلم التعليمي والقدر المشترك والاتفاق على توحيد الاسس مع مراعاة الاختلافات فى الظروف والبيئات .

رابعا) — العناية بتعليم الكبار وتعليم المعوقين واعداد المعلمين وتحسين الوسائل التعليمية .

خامسا) — العناية بدراسات البيئة وانماء الناحية القومية المحلية والعربية ودراسة مصادر الثروة فى البلاد ودراسة أحسن الطرق لاستغلالها .

سادسا) — الاصلاح الاداري وزيادة من اللامركزية مما ينمي روح التعاون وروح الاستقلال فى وقت واحد .

سابعا) — وضع المدارس الاهلية والاجنبية فى وضعها المقرر طبقا لاتجاهات الدولة .

وليس معنى هذا كما قلت ان التحرر السياسي (أو العسكري) صحبه تخطيط كاف للتحرر الثقافي والاقتصادي ، فكثير من الدول التي تحررت حديثا يبهرها التحرر العسكري والسياسي ثم تظل تتعثر فى الوان من الاحتلال الثقافي والاقتصادي مما يجعل الوان التحرر السياسي والعسكري شكلية سطحية ، ولذلك وجب أن يخطط للتعليم تخطيطا دقيقا يطهر الارض العربية من الالغام الثقافية ويطهر العقول العربية من السموم الفكرية ويعطيها المناعة والقوة حتى تنشىء المواطنين الاقوياء الذين يتحكمون بأيديهم فى حقوقهم ومصائرهم وهنا يمكن أن نوجه عددا من الاسئلة :

1) هل نحن نربي ابناءنا على الطاعة والامتثال والخضوع لاوامر **خارجية** أم نربيهم على التفكير والمناقشة والانطلاق والتحرر واصالة الراي . وهل يمكن الجمع ؟

2) هل نحن نربي ابناءنا على عادات ثابتة منظمة أم نربيهم على حسن التصرف وسعة الحيلة وتوقع الاحتمالات وخصوبة الافكار . وهل يمكن الجمع ؟

3) هل نحن نربي ابناءنا على الواقعية وعلى المواجهة العملية للامور أم نربيهم على مثالية خيالية لا مجال لتحققها الا فى العبارات الجميلة والنصائح الثمينة وقصائد الشعر وقلائد النثر ؟

4) هل نحن نربي ابناءنا على تحمل مسئولياتهم أم نرعاهم ونعطف عليهم ونحمل مسئولياتهم عنهم ، ونربيهم على الرخاوة والنعومة ونفقدهم الخشونة والصلابة والقوة والقدرة على تحمل التبعات . وهل يمكن الجمع ؟

5) هل نحن نربي ابناءنا على الانفرادية أم على العمل المتعاون فى جماعات تقف كالبنيان يشد بعضه بعضا . وهل يمكن الجمع ؟

هذه أسئلة عامة تؤدي بنا فى طريق واضح الى اسئلة خاصة تتناول المناهج والكتب والطرق واعداد المعلمين . فنحن نريد ان نربي أجيالا متحركة أكثر منها ساكنة مستمتعة مطيعة ، أجيالا مفكرة أكثر منها حافظة .

لم تفكر الدول العربية حتى الان تفكيرا جديا فى هذا الاتجاه ، لم تفكر فى التربية المؤدية الى بناء الشخصية وانما فكرت فى أناس يحفظون العلم ويؤدونه فى الامتحانات ويأخذون الشهادات وهذه الشهادات هي لهم مفتاح الحياة سواء بنيت الشخصية أم لم تبن يرضعون بها من الدولة ما يشبه ما كانوا يرضعونه من أمهاتهم عندما كانوا أطفالا صغار السن .

ولننظر الان الى الارقام بصورة أعمق فنجد أن عدد التلاميذ والطلاب فى كافة المراحل فى العالم العربي

متجنبة البلاد العربية ، كل هذا زاد فى عزل البلاد وفى تأخرها السياسي والاقتصادي .

وقد صحب هذا التخلف والتجمد تخلف وتجمد فى التعليم .

فحتى القرن الماضي كان التعليم المنتشر هو تعليم الكتاتيب وكان الغرض من التعليم قاصرا على الغرض الديني بمفهومه المحدود ، اما تعلم العلم للتعامل السليم والحياة الطيبة فلم يكن هو الاساس . ونظر المجتمع العربي للعلم نظرة ضيقة محدودة فاعتبروا الفلاسفة زنادقة واعتبروا علماء الطبيعة والرياضيات كفارا ، حتى ان الحسن ابن الهيثم (ونظرياته فى البصريات تعتبر أساسا حتى اليوم) قد اعتبر فى تلك الايام مارقا واتهم صراحة بالزندقة والكفر .

معنى هذا ان التعليم فى العالم العربي كان خلال القرن الحادي عشر الهجري والثاني عشر الهجري او السابع عشر والثامن عشر الميلادي ، فى حالة متجمدة راكدة متخلفة ثم بدأ الغرب يجرد حملاته على العالم العربي، خصوصا بعد أن بدأ يتقلص الحكم التركي ، واستعمل الغرب فى ذلك نتائج العلم الحديث مما كان قد كسبه من علوم العرب . وبدأ العالم العربي يصحو على ضربات الغرب ولكن هذه الضربات استمرت حتى تحولت الى غزو واحتلال بعضه من جانب انجلترا وبعضه من جانب فرنسا وبعضه من جانب ايطاليا وبعضه من جانب اسبانيا .

واتجه الفرنسيون فى ذلك الوقت الى فرنسة البلاد التى دخلوها فقصدوا الى محو الشخصية العربية وازالتها واحلال شخصية مفرنسة تابعة لهم. كذلك الانجليز اتجهوا فى ذلك الوقت الى طبع البلاد بطابع يسهل لهم استمرار الحكم . ولا نريد ان ندخل فى تفاصيل النظم والمناهج والطرق ولغة التعليم ، فهذه كلها أمور معروفة وما زالت بقاياها وآثارها موجودة حتى الان . ولكن عهود الاحتلال تميزت بتضييق أبواب التعليم والتقتير عليه وجعله وسيلة لاعداد الموظف الطيع الذي يستخدمه لصالحه . وتميزت بالحد من التعليم العلمي والعملي والمهني واستخدام التعليم لايجاد طبقات ثقافية منفصلة بعضها عن بعضها الآخر .

ولنأخذ ناحية التقتير كمثال ، كان عدد المدارس الابتدائية الحديثة أول الاحتلال الانجليزي فى مصر 34 مدرسة أصبحت هذه عددها 39مدرسة بعد أربعين عاما، وكانت نسبة موازنة التعليم الى موازنة الدولة 0ر8٪ وقد تقدمت ببطء حتى اصبحت 4 ٪ بعد اربعين عاما وقد أصبح الان ما يصرف على التعليم 17٪ من جملة ما يصرف من مجموع اعمال الدولة .

وخلال القرن الحالي بدأت الدول العربية تتحرر الواحدة بعد الاخرى .

ففي عام 1922 استقلت مصر بتحفظات مشهورة اربع ، والعراق فى عام 1932 . ولبنان فى عام 1943. وسوريا فى عام 1944 . وجمهورية جنوب اليمن الشعبية فى عام 1967 . وليبيا فى عام 1952 . وتونس فى عام 1956 ، والمغرب فى عام 1956 . والجزائر فى عام 1962 . وهكذا تحرر العالم العربي من أوله الى آخره تقريبا والجزء الباقي فى منطقة الخليج فى سبيله الى التحرر النهائي .

وكل حركة تحررية تصاحبها ثورة تعليمية . هذه الثورة جزء من ثورة اصلاحية عامة تكون قوية قبيل الاستقلال وبعيده ، ثم تضعف حدتها ثم تعود قوتها مرة اخرى ، هذه ملاحظة تاريخية عامة . وتتناول هذه الثورة عداد من يتعلمون وتتناول كذلك انماء الروح القومية وانماء الصفات التي تساعد على المحافظة على الاستقلال وعلى تدعيمه وفرق بين نظام تعليمي يسبق التحرر ويعمل على خلق الاتباع ونظام تعليمي يرافق التحرر ويحافظ على مكاسبه . فرق بين اعداد الشخصية التابعة واعداد الشخصية المستقلة . فرق اعداد الشخصية المتقوقعة واعداد الشخصية المنطلقة البناءة .

وهنا نجد ان الدول العربية تقفزت فى ناحية الكم ولكنها من ناحية الكيف ومن ناحية محتوى التعليم حافظت أحيانا على ما درجت عليه مع الدول الحاكمة وأحيانا تدافع عنه حتى بعد ان تخلت عنه الدولة الحاكمة نفسها . اي انها تدخر بعض رواسب الماضي المتخلفة من المستعمرين ولهذا اسباب سيكولوجية يسهل تحليلها وفهمها فى ضوء ما يسميه علماء النفس بالتناقض العاطفي Ambivalency حيث يجمع الانسان فى نفسه بين الكراهية والاعجاب للموضوع الواحد .

ومن امثلة القفزات التعليمية ان عدد تلاميذ الابتدائي فى ليبيا كانوا 000 40 فى عام 1952 واصبحوا 000 159 فى عام 64/63 ، واصبحوا 000 219 فى عام 67/66 فكانت القفزة الاولى بمعدل 30٪ ، ولكن عندما اقترب التعليم من درجة التشبع وصلت 15٪

كان سلم التعليم مضطربا قبل التحرر وكان للمرحلة الواحدة انماط مختلفة منها نمط يحتوي الكتاتيب التقليدية والمدارس الاولية والمدارس الابتدائية والمدارس الاجنبية بأنواعها المختلفة أي انه كان هناك اربعة انواع من التعليم على الاقل فى المرحلة الاولى مما يمزق وحدة الفكر فى منبعه وبذلك يمزق الوحدة الوطنية .

فكان الوضع فى تونس مثلا على النمط الآتي :

كانت هناك المدارس الفرنسية للذكور او للبنات او المختلطة .

والمدارس الفرنسية العربية للذكور .

والمدارس الفرنسية العربية للبنات .

والمدارس القرآنية العصرية .

والكتاتيب والمعاهد ذات الصبغة الفرنسية البحتة

والمعاهد التي سمي تعليمها صادقيا او تونسيا وفيها جمع بين الفرنسية والعربية .

والمعاهد الزيتونية الجارية فى مناهجها وطرقها على المذاهب التقليدية الموروثة .

هذه الحال أو ما يشبهها كانت موجودة فى كل بلد عربي تقريبا ما عدا المملكة العربية السعودية وكان الاحتلال يشجع هذه الفروق بل ويؤكدها بأساليب مختلفة كالمصروفات المدرسية والامتحانات ومواد المنهج وتفاصيله وفرص العمل بعد التخرج ... وغير ذلك .

ويلاحظ ان هذه الانواع يمكن تقسيمها الى تعليم ديني تقليدي ، وتعليم أجنبي ، وتعليم وسط يأخذ بجانب من النواحي التقليدية وبجانب من النواحي الاجنبية .

ولذلك كان أول ما اتجهت اليه البلاد العربية هو أن يكون فى الدولة تعليم **ابتدائي واحد لجميع ابناء الشعب مدته فى العادة ست سنوات** . وهذا حجر الاساس فى تطبيق مبادىء العدالة والديمقراطية وتكافؤ الفرص وتكوين عقلية متجانسة متفاهمة داخل كيان الامة .

وقد قامت الدول العربية اما منفردة او خلال الجامعة بمحاولة **توحيد سلم التعليم جملة وتفصيلا فى البلاد العربية** ، وقد اتفقوا على هذا فى مناسبات مختلفة نذكر منها اتفاق الوحدة الثقافية وميثاق الوحدة الثقافية بين مصر وسوريا والاردن فى سنوات 1957 و 1958 ، واجتماعات وزراء التربية فى بيروت وبغداد وطرابلس ليبيا، فقد اتفقوا على أن يكون سلم التعليم 6 للابتدائي 3 للاوسط و 3 للثانوي . وتسير أغلب الدول العربية على هذا النظام فيما عدا الكويت ، فهي تسير على نظام 4 — 4 — 4 والمغرب 5 — 4 — 3 ولبنان 5 — 4 — 3 وبعض بلدان الخليج .

يسير السودان كذلك على نظام 4 — 4 — 4 وهو يبحث ويدرس فى الوقت الحاضر ليسير على نظام قريب من 6 — 3 — 3 . وتسير المملكة العربية السعودية على النظام 6 — 3 — 3 وهو النظام الذي اوصى به مؤتمر بغداد عام 64 واوصت به الاتفاقيات والمواثيق وهو النظام الشائع فى العالم فى الوقت الحاضر . ويجدر بي ان اذكر أن ليبيا كانت رائدة فى هذا المضمار فقد وضعت هذا النظام وطبقته ابتداء من عام 1955 .

فيوجد الآن فى كل بلد عربي قاعدة للتعليم الابتدائي مدتها فى اغلبها 6 سنوات ثم تتدرج الى الثانوي من جزئين كل منهما طوله فى اغلبها 3 سنوات ثم تتدرج الى التعليم العالي .

ويزداد التنوع فى التعليم كلما ارتفع فى سلمه . فبينما التعليم الابتدائي موحد للجميع يتنوع بعض الشيء فى المتوسط ثم يتنوع أكثر فى الثانوي ثم يتنوع فى العالي اكثر واكثر . هذه كلها امور طبيعية منطقية .

والسؤال الذي يشغل المسئولين فى التعليم **هل تكون هناك مدرسة واحدة** منوعة للمتوسط يتنقل التلميذ داخلها فى خبرات مختلفة ويكشف فيها اتجاهاته ثم يختار طريقه **أم تكون هناك مدارس متنوعة** . وهل تطبق للتوجيه اختبارات أم خبرات وموضوع التوجيه فى المرحلة الوسطى موضوع صعب يحتاج الى درس وتدقيق . ولا يكفي فيه الاقتداء بما يجري فى الغرب .

وقد جربت على اية حال فكرة المدارس المتوسطة المنوعة التجارية والصناعية والزراعية والنسوية فلم تنجح ثم عدل عنها اخيرا فى كثير من الدول .. وهذا موضوع طويل لا داعي للتوغل فيه الآن .

خلاصة الموقف أن جميع الدول العربية فيها تعليم ابتدائي للبنين والبنات أو مختلط ، ثم تعليم ثانوي مكون من جزئين ثم تعليم عال وبالدول العربية 26 جامعة منها جامعة الكويت والجامعة الليبية والجامعات الاسلامية والجامعات الامريكية والفرنسية وغيرها ، يضاف الى هذا كثير من المعاهد العالية والكليات

كله زاد من 8 مليون عام 1960 الى 12 مليون عام 1965 وازداد عدد تلاميذ الابتدائي من 3ر6 مليون الى 9ر7 مليون اي بمعدل سنوي قدره 11٪ منها 10٪ للبنين و 12٪ ونصف للبنات فى نفس الفترة نجد أن عدد تلاميذ الثانوي (بمافيهم اعداد معلمي المرحلة الاولى والمدارس الفنية) قد ازدادوا من 1 مليون ونصف الى 2 مليون وذلك بمعدل 15٪ ، 63٪ للبنين ، 19٪ للبنات ونجد فى التعليم العالي أن العدد ارتفع من 157 الف عام 1964 الى ربع مليون عام 1966 أى بزيادة معدلها 29٪ .

وعند التدقيق نجد أن معدل الزيادة لدى البنات فى اي مرحلة من مراحل التعليم أعلى منها لدى البنين. وان معدل الزيادة فى أي مرحلة أعلى منها فى المرحلة السابقة فمعدل نمو العالي أعلى من معدل نمو الثانوي ومعدل نمو الثانوي أعلى من معدل نمو الابتدائي . هذا مع العلم أن نسبة البنات الى المجموع لم تتغير كثيرا فى أي مرحلة ففي عام 1960 كانت 33٪ للابتدائي وفى عام 1965 اصبحت 35٪ وفى عام 1960 كانت 25٪ للثانوي وفى عام 1965 اصبحت 26٪ للثانوي ، وفى الجامعة ارتفعت من 17 الى 19٪ .

ونجد بالنسبة لليبيا أن اعداد التلاميذ والتلميذات قد نمت بنسب كبيرة ونجد أن هناك نوعين من النسب بعضها يرجع الى ما بعد الاستقلال وقبل ظهورالبترول وبعضها يرجع الى ما بعد ذلك ، ففي الفترة الاولى نجد أن معدل نمو الابتدائي 2ر10٪ وفى الاخيرة نجده 8ر14٪ وبالنسبة للفني نجده فى الاولى 1ر5٪ وفي الثانية 4ر12٪ ، ولاعداد المعلمين نجد فى الاولى 4ر5٪ وللثانية 9ر47٪ .

كذلك نسبة البنات الى المجموع نجد بها بعض الظواهر التي تستحق الدرس فقد تغيرت هذه النسبة للابتدائي من 18٪ فى عام 60/59 الى 9ر28٪ فى عام 67/66 وتغيرت بالنسبة للثانوي من 2ر4٪ فى عام 60/59 الى 8٪ فى عام 67/66 وتغيرت بالنسبة لاعداد المعلمين من 8ر15٪ فى عام 60/59 الى 7ر35٪ فى عام 67/66 .

وتوجد فى هذه الارقام وفى غيرها ظواهر كثيرة يمكن تفسيرها . من هذه الظواهر ما ذكرناه من فروق فى معدل النمو فى مختلف المراحل الابتدائي والثانوي والعالي وللبنين والبنات ومن تقدم ظاهر فى تعليم البنات مع قلة فى التغير النسبي ويمكن ارجاع هذا كله الى البعد والقرب من درجة التشبع بالتعليم فى البنية السكانية فتعليم البنين اقرب الى درجة التشبع من تعليم البنات ولذلك نجد معدل النمو فى الاول أبطء من الاخير . والتغير النسبي فى تعليم البنات مازال ضئيلا مما يدل على ان القوى المحافظة فى المجتمع العربي ما زالت تعمل بشدة فى هذه الناحية .

* * *

ويمكن ان نسأل هنا عن المسافة الواقعة بيننا **وبين تحقيق تعميم التعليم الابتدائي لجميع من هم فى سن التعليم الابتدائي** فى المجتمع العربي .

لكل الف من السكان العرب يوجد 170 طفلا من سن 6 الى سن 12 منهم 85 ذكر ، 85 انثى . من هؤلاء فى عام 65/64 يوجد 60 ولدا ، 32 بنتا فى المدارس الابتدائية . يوجد خارج المدارس لكل 1000 من السكان 25 ولدا ، 53 بنتا اي 8 مليون ونصف طفل فى سن الدراسة الابتدائية لايتعلمون . يلاحظ أن بين المسجلين بالمدارس تلاميذ كبار وصغار وهذا يدخل فى الاحصاء بعض التصحيحات التي تجعل ارقام 65/64 تقفز الى 9 ملايين .

اضف الى هذا ان السكان العرب ينمو عددهم بمعدل 8ر2٪ تقريبا اي انه يتضاعف كل 25 سنة . معنى هذا أن عدد السكان فى سن الدراسة الابتدائية سيكون 36 مليون فى عام 1990 أي 3 مرات ونصف قدر المسجلين حاليا فى المدارس . يصبح على العالم العربي أن ينفق 3 مرات ونصف قدر الميزانية الحالية على التعليم الابتدائي . هذا اذا افترضنا ثبوت الاسعار وثبوت التكلفة وعدم ادخال اي تحسين على نوعية التعليم . ولكن الابحاث التي اجريت قد دلت بأنه يمكن **ضبط الزيادة فى حجم الاسرة** بتعليم الفتاة فكلما ازداد تعليم الفتاة نقص الانجاب وهذا أمر يسهل تفسيره وبذلك يكون الانطلاق فى تعليم الفتاة عاملا مهما فى نشر التعليم اذ تصبح الاسرة عاملا فى هذا وعاملا مهما فى تخطيط الاسرة وتنظيم الانجاب وبالتالي عاملا اقتصاديا هاما فى تحديد نفقات التعليم ورفع المستوى السكاني كيفا لا كما .

* * *

وهنا أنتقل الى نقطة اخرى تتعلق **بسلم التعليم** وتتابع مراحله .

الافريقي التابع لمنظمة اليونسكو الموجود بالخرطوم والمختص بالمباني المدرسية وذلك لتخفيض النفقات ليمكن التوسع فى المباني .

اما موضوع المعلمين فقد دلت الدراسة على أن بالعالم العربي ما يقرب من 66 الف مدرس بالابتدائي غير مؤهلين وهؤلاء يعلمون ما يزيد على 2 مليون تلميذ فاذا عرفنا أن المعلميى المؤهلين بينهم نسبة قليلة الكفاءة ارتفع العدد فوق 2 مليون واذا عرفنا أن الاقبال على مهنة التعليم قليل وان العناصر الطيبة تميل الى الابتعاد وجدنا أن الامر فى حاجة الى علاج حاسم . ويقل الاقبال على مهنة التعليم اكثر واكثر فى البلدان المنتجة للبترول ففي المملكة العربية السعودية نجد 49٪ من الذكور و 90٪ من الاناث فى مهنة التعليم الابتدائي هم من غير السعوديين ونجد فى الثانوي 73٪ من الذكور و 100٪ من الاناث من غير السعوديين .

وقد احست ليبيا بهذه المشكلات وانشأت عددا من معاهد المعلمين والمعلمات العامة تطورت بعضها الى ما يسمى بالمعاهد الخاصة ، هذا لاعداد المعلمين والمعلمات للمدارس الابتدائية ، وسواء فى اعداد المعلمين والمعلمات للمرحلة الاولى أو المرحلة الثانية ، فان هناك معونات ومكافآت لاجتذاب خير العناصر الى مهنة التعليم ، واشير بهذه المناسبة الى أن منظمة العمل الدولية بالاتفاق مع منظمة اليونسكو قد وضعت مجموعة قيمة من التوصيات بالنسبة للمعلمين وهي تتناول رواتب المدرسين وتدريبهم واعدادهم وظروفهم وهي دليل طيب لكل وزارة تعنى بشئون المدرسين وتطوير احوالهم وتصلح دستورا للعمل الطويل المدى .

ومشكلة المشاكل فى اعداد المدرسين هي اننا لانريد مدرسا فحسب وانما نريد أن نعد مدرسا يعد مواطنين لمجتمعات متطورة ومتغيرة وان سرعة هذا التغير متزايدة ولابد أن يكون هناك فرق بين المدرسين المألوفين الذين يساعدون التلميذ على حفظ مادة أو فهمها للنجاح بها فى امتحان تقليدي لم يتغير تغيرا يذكر (ولا فى أمريكا بلد التجريب) منذ أن ابتدعه الصينيون منذ آلاف السنين وبين المدرسين الذين يراد منهم اعداد مواطن واقعي عملي مسئول واضح الرؤية سريع التصرف واسع الحيلة سهل التكيف فيما يواجهه من عالم سريع التغير ابعاده دائمة الانكماش .

* * *

وبمناسبة الامتحان توجد مسألة اخرى وهي رسوب التلاميذ وتسربهم وقد لوحظ أن التسرب فى مدارس الريف أكثر منه فى مدارس المدن وان التسرب فى مدارس البنات أكثر منه فى مدارس البنين وان تسرب البنات فى المدارس المختلطة أكثر من تسرب البنات فى المدارس غير المختلطة ونسبة التسرب فى مجموعها عالية جدا مما يزيد الاهدار ويزيد التكلفة وتصل نسبة الاهدار احيانا الى اكثر من 10٪ مما يخفض تلاميذ السنة السادسة الى اقل من نصف تلاميذ السنة الاولى .

ويظن البعض أن الريف لم ينل حظه من المدارس وان البنات لم ينلن حظهن من المدارس ، ولكن يلاحظ ان مدارس الريف الحالية أكثر تخلخلا من مدارس المدينة وان مدارس البنات اكثر تخلخلا من مدارس البنين ومعنى هذا ان وجود المباني المدرسية شيء واقبال الناس عليها شيء آخر ، فليس المهم اذن أن نكثر من المباني وانما المهم أن نعالج أفكار الآباء واتجاهاتهم نحو التعليم وربما كان التعليم نفسه فى حاجة الى اصلاح لبعض المواءمة .

* * *

وهناك موضوع هام بالنسبة للتنمية الاقتصادية وهذا المضوع يتعلق بالتعليم **الفني والمهني** . اذا درسنا نسبة التعليم المهني الى مجموع التعليم الثانوي ودرسنا تطور هذه النسبة على سنوات فاننا نجد انها ارتفعت فى الاردن فى سبع سنوات من 2٪ الى 4٪ وفى السودان من 5ر3٪ الى 7٪ وفى الج. ع. م من 13٪ الى 19٪ . ليس معنى هذا انه ليس هناك تقدم فى اعداد من ينتسبون للتعليم الفني فالتقدم كبير ولكن التقدم النسبي للتعليم الفني اذا قيس بالتعليم العام صغير جدا .

وواضح ان البلاد فى حاجة ماسة الى المهارة الفنية واليدوية فى كل الميادين ففي السودان نجد أن 86٪ يعملون فى الزراعة و 8٪ فى التجارة والخدمات، 6٪ فقط يعملون فى الصناعة وفى الجزائر نجد 42٪ يعملون فى الزراعة ، 55٪ فى التجارة والخدمات ، 3٪ فقط فى الصناعة والذين يعملون فى الصناعة نجدهم 11٪ فى المغرب ، 10٪ فى تونس ، 14٪ فى العراق ، 20٪ فى سوريا ، 6٪ فى ليبيا .

ولعل للمشكلة أساسا نفسيا قديما يشاهد منذ زمن بعيد فالناس فى العالم العربي لايحبون العمل اليدوي أو الفني خصوصا اذا قارناهم بأهل العالم المتقدم لان العمل الغير اليدوي (أو الذهني) ارتبط فى اذهان الناس بالسلطان ووظائف الحكومة والجاه

المستقلة يزيد عددها عن الخمسين وتركز على تخريج فنيين متخصصين من مستوى عال .

وهنا نجد أن كل مسؤول عن التعليم يسأل نفسه **عن شكل الهرم التعليمي والنسب بين أجزائه** فالقاعدة هي الابتدائي يليها الثانوي بأجزائه وأنواعه ثم العالي بأجزائه وأنواعه . ويمكن أن يدرس الهرم وذلك بتحليل اجزائه من حيث الشكل والمحتوى أو من حيث ما ينفق على كل جزء او من حيث اعداد التلاميذ فى كل مرحلة . فاذا اخذنا الهرم منحيث اعداد التلاميذ نجد ان الشكل العام للهرم يختلف باختلاف درجة تقدم الدولة .

ففي فرنسا مثلا كل 100 تلميذ فى الابتدائي يقابلهم 56 فى الثانوي و 7ونصف فى العالي . وفي أمريكا الشمالية كل 100 تلميذ فى الابتدائي يقابلهم 40 فى الثانوي و 10 ونصف فى العالي .

ومتوسط العالم كله به 100 للابتدائي و 26 للثانوي و 6ر3 للعالي . بينما العالم العربي فى المتوسط به 100 للابتدائي و 7ر20 للثانوي و 3 للعالي . وفي المغرب 100 للابتدائي يقابلهم 16 فى الثانوي و 8ر0 فى العالي. وفى السودان 100للابتدائي يقابلهم 2ر12للثانوي و 7ر0 فى العالي . وفى المملكة العربية السعودية 100 للابتدائي 9 للثانوي ثم 2 للعالي .

ونجد الموقف فى ليبيا فى عام 60/59 اذا كان للابتدائي 100 يكون الثانوي 7ر10 وللعالي 5ر0 وفي عام 67/66 اذا كان للابتدائي 100 يكون للثانوي 7ر15 والعالي 8ر0 . وقد حسبنا فى هذا التعليم الزراعي ولكن لم نحسب من يتعلمون فى الخارج وهم جد كثيرون .

والذي يهمنا الان انه اذا كان عدد التلاميذ في المرحلة الابتدائية يمثلون فعلا 60٪ ممن هم فى سن التعليم الابتدائي فان 20٪ من هؤلاء فقط يذهبون للثانوي و 3٪ منهم يذهبون للعالي .

هذا من جهة ومن جهة أخرى اذا قارنا فرنسا مثلا بالعالم العربي نجد بحسب الدراسات لعام 1966/1965 ان فى فرنسا لكل 1000 من السكان يوجد 118 فى الابتدائي و 66 فى الثانوي و 5ر8 فى العالي .

بينما فى العالم العربي كله لكل 1000 من السكان يوجد الان (أي فى عام 1966) 100 طفل بالابتدائي و 20 فى الثانوي و 3 فى العالي .

وليست المشكلة قاصرة على قلة تشبع المجموعة السكانية بالاعداد التي تتعلم من كل نوع وانما تتعداها الى تفريع التعليم وتنويعه والى ربط المراحل والافرع بالحاجات الاقتصادية وما تتطلبه من قوى عاملة والى تكوين المواطن الذي يمكنه ان يضطلع بمسئوليته ويحافظ على مكاسبه وينميها .

* * *

وواضح أن وجود الجامعات له تأثير طيب على التعليم الثانوي ووجود التعليم الثانوي له اثر طيب فى رفع مستوى الابتدائي. ولكن هناك خطر يجب الالتفات اليه فهناك نزعة لجعل برامج الثانوي كبرامج مصغرة للجامعة وبرامج الابتدائي كبرامج مصغرة للثانوي ، فاذا درسنا المدارس الزراعية الوسطى مثلا فى بعض البلدان نجد انها برامج مضغوطة لما يعطى فى كليات الزراعة ، وهذا يؤدي الى التكديس ويفقد كل مرحلة من مراحل التعليم اهدافها وخصائصها . وللجامعة خطر آخر وهي انها تجتذب انظار التلاميذ فتصرفهم عن الالتحاق بالدراسات المهنية والفنية . وقد لوحظ فى بعض البلدان العربية أن تيسير دخول الجامعات يتبعه خفض فى اعداد الملتحقين بالمدارس الفنية والمهنية ولذلك وجب أن تكون لهم فرص مناسبة لدخول الجامعات . لست بهذا أنادي بعدم تشجيع الجامعات بل على العكس وقد كنت ممن أشادوا بفتح الجامعة الليبية فى عام 1955 واعتبرني البعض فى ذلك الوقت رجلا خياليا نظريا . ومع ذلك فقد صدر المرسوم في اواخر عام 1955 والذي أنادي به هو كما كررت وجوب مراعاة التوازن بين المراحل المختلفة بعضها وبعضها الاخر ووجوب التوازن بين ما يقدمه التعليم وما يحتاج المجتمع لكي ينمو وينمي نفسه باطراد مستمر .

* * *

ويمكنني الان أن أنتقل من الكلام عن المراحل الى **مسالة اخرى . معدل النمو** فى تلاميذ الابتدائي 11٪ ، ولكن معدل نمو المعلمين 5 ٪ ، ومعدل نمو المباني 3 ٪

اما سرعة نمو التلاميذ فمعناها التعطش الشديد للتعليم والبطء فى نمو اعداد المعلمين له عوامله الكامنة فى المهنة ورواتبها ومسئوليتها وجاذبيتها . اما البطء الشديد فى نمو المباني فسببه كثرة التكاليف والافتقار الى العقلية التخطيطية . ويمكن الاستفادة من المركز

جـ — ان تكون فحوى المنهاج عربيــة فيدرس الطالب ديانته وتاريخ بلاده وجغرافيتهـا وتكوينهـا الاجتماعي وعاداتها وتقاليدها وآدابهـا ونظمها كمـا يدرس موارد الثروة الطبيعية فيها ويعرف مواطنهـا ولا يجوز أن يستغرب النص على هذا فلم يكن هذا هو الواقع فى كثير من البلاد العربية حتى عهد قريب فكان هم المستعمر ان يجعل عقل المواطن غريبا عن وطنـه وان يضعف ثقته فى نفسه وفى بلده وكان يتم له كل ذلك بواسطة التعليم .

وهذا كله يقتضي علاجا للكتب والمناهج واعداد المعلمين وتجهيزات المدارس واستعداداتهـا وطـرق التدريس والتوجيه والامتحانات ويقتضي دراسة جيدة للغة الاجنبية ، هل تكون لغة أو لغتان ، ومتى يبـدأ تعليم اللغات الاجنبية وفى اي سن وكيف يكون السير فيهـا .

ويجب بمناسبة اللغة ان نثير موضوع التربيـة اللغوية وان نبحث ما اذا كانت اللغة مجرد وسيلة لنقل الافكار أم هي أمر اعمق وادق من ذلك بكثير أم هـي جزء لايتجزأ من حضارة الامة وثقافتها وكيانها .

وهناك **بعض ملاحظات خاصة بالتعليم الجامعي والعالي** ، فهو يتقدم الان سنويا بمعدل 29٪ غير اني أود ان أوضح بعض الخصائص ، ولنأخذ مثـالا بارزا جدا من العراق . فقد نمت اعداد الطلاب فى الجامعات فى ست سنوات بمقدار 250٪ بينما زاد عدد المدرسين بمقدار 76٪ فقط . وهذه الظاهرة ليست قاصرة على العراق وحده .

يلاحظ كذلك أن التعليم الجامعـي ينمو متأثـرا بالضغط الاجتماعي اكثر مما ينمـو متأثرا بمطابقتـه لحاجات البلاد . وقد اصبحت لدى الناس فكرة ان كل من ينهي تعليمه الابتدائي صالح لمتابعة الثانوي وكـل من ينهي تعليمه الثانوي صالح لمتابعة الجامعي وكـل من ينهي الجامعة صالح لنيل الماجستير والدكتـوراه . واهتمام الناس بالتعليم الجامعي وتيسير الدخول له هو كما قلت احد العوامل التي تضعـف التعليم الفنـي المتوسط والثانوي وتخفض كذلك من مستوى التعليم الجامعي نفسه . فيجب أن يبنى دخول الجامعة علـى أساس القدرة على متابعة الدراسة لا على اســاس مجرد النجاح فى الثانوي .

والظاهرة الاخرى هي ان الجامعات العربية كما ذكرنا تضم طلابا يقومون بدراسات نظرية اكثر ممـا تضم طلابا يقومون بدراسات عملية وقد سهل هـذه الظاهرة فتح باب الانتساب . وقد أصبح من يدرسون دراسات نظرية الى مجموع الطلاب يتراوح بين 55٪ فى أحسن أحواله و 85٪ . ولكن وجـد ان المبعوثيـن للدراسة فى الخارج على نفقة الحكومات تتغير نسبهم بسرعة واضحة نحو الدراسات العلمية والعملية ممـا يبين عن اتجاه صحي سليم .

وقد دلت الدراسات التي أجريت باسهام مكتب العمل الدولي ان نقص الايدي العاملـة ليس فيمـن يدرسون المـواد الادبيـة والاجتماعية وانما هـو فى المهندسيـن بكافة أنواعهـم وفى العلمـاء العلمييـن والتطبيقيين وفى الطبقة العاملة الماهرة الوسطى .

ومما تلناه عن التعليم والمتوسط والعالي يمكننا ان نرى بوضوح فقدان التوازن بين اتجاهات التعليـم من جانب وبين ما تتطلبه النهضة الاقتصادية فى العالم العربي من جانب آخر . وهذا الذي نشاهده فى العالم العربي جملة نشاهده فى كل دولة عربية تقريبا .

الآن وقد تكلمت عن التعليم العالي فمن الطبيعي ان اتكلم عن أسس تطويره وأن اتكلم عن ما يتبع التعليم العالي وما يصاحبه من بحوث ودراسات علمية . وقـد بدأ العالم العربي يهتم بالبحوث وقد ظهر فيه باحثـون متميزون ، ولكني أحب ان انوه هنا بأن الدراسات قد اثبتت أن ما ينفـق على البحوث العلميـة له مـردود اقتصادي عظيـم وقد اثبت الاقتصاديـون فى بعـض الحالات ان مردود البحث العلمي يعادل 600٪ ممـا ينفق عليه ، ولذا وجب على العالم العربي ان يعطـي عناية اكبر للبحث العلمي فيما يتعلق بموارده وواقعه ، والا يقصر العمل فى الجامعات على التدريس الروتيني الذي لابد أن يتدنى بغياب البحوث .

* * *

بقي أن اتكلم عن **الادارة التعليمية** وتطورها في السنوات الاخيرة وبدء التمييز بين **المركزية واللامركزية** وليست المشكلة مشكلة مركزية أم لامركزية وانما هي ان تتفرغ الوزارات للبحـوث والدراسات والتخطيـط والتوجيه العام وان تتفرغ الادارات المحلية للتنفيذ على ان الادارات المحلية لها دور تلعبه فى التخطيط لا يمكن التفصيل فيه هنا . وعلى الوزارات دور تنفيذي كذلك يتناول المتابعة والتقويم .

والانتساب للعائلات الكبيرة الكريمة وغير ذلك . واما العمل اليدوي فقد ارتبط بالكد والعبودية والاجانب ولذلك نظر الناس للتعليم على انه وسيلة لتجنيب **ابنائهم مزاولة العمل اليدوي** . وكنا نأمل ان يعالج المدرس هذه الناحية ولكننا نجد عادة أن مدرس القرية نفسه هو الشخص الذي تجنب العمل اليدوي بمتابعة قسط من التعليم جعل منه مدرسا واعطاه زعامة في القرية فهو يكره العمل اليدوي كراهية لاشعورية ، ولذلك فلا يمكن ان يغرس فى تلاميذه ما تخلص هو منه .

ولهذا يتضافر الوالد والمدرس وتتضافر النظرة الاجتماعية ، كل هذا بطريقة لاشعورية غالبا لتعطيل تقدم التعليم الفني ، ومعروف أن الناس لايقبلون على المدارس الفنية الا اذا اقفلت فى وجوههم ابواب المدارس النظرية الاخرى . فالمدارس النظرية هي الطريق للجامعة وبعبارة اخرى هي السلم الذي يرتقي عليه المتعلم فينتقل من طبقة الى طبقة أعلى .

كذلك نعلم أن تقدم الصناعة يقوم على اليد العاملة الوسطى وهذه تختفي دائما ذلك لان من يتم التعليم الابتدائي يدفع بنفسه حتى آخر الشوط ومن لايتمه يبقى فى طبقته .

ولذلك تتصف القوة العاملة فى بلادنا العربية بتوفر نسبي فى القوة العاملة العليا الاطباء والمهندسين والمحامين والقوى العاملة الصغرى وهي العمال مع فراغ كامل أو يكاد يكون كاملا فى القوة الفنية العاملة الوسطى كمهندسي العمليات ومساعدي المختبرات والمعامل . ولذلك نجد ظاهرة اهدار فى العمل . فالعامل البسيط يقوم بعمل أعلى من مستواه فيفسده ، ويقوم الطبيب مثلا بعمل يمكن ان يقوم به المرض أو مساعد المعمل أو المختبر .

* * *

بعد هذا نلاحظ فى التعليم الثانوي ظاهرة اخرى وهي تحول فى التخصص من المواد الفلسفية والاجتماعية والادبية **الى العلوم العلمية والعملية** لان هذه الاخيرة تؤدي الى كليات الهندسة والطب وخريجو هذه اكثر رواجا من خريجي الكليات الادبية .

غير أن الكليات النظرية مع قلة رواج خريجيها أكثر انتشارا من غيرها وذلك لسهولة انشائها (فلا ورش ولا مختبرات) ولقلة تكاليفها . هذا اذا قيست بالكليات العلمية والعملية .

وليس معنى ذلك انه ليست هناك محاولات من المصلحين فقد شهدت الدول العربية اهتماما بالتعليم الفني منذ أكثر من عشرة اعوام وذلك بايجاد تعليم فني متوسط وتعليم هندسي وعلمي عالي . ولذلك اكتملت مراحل التعليم المهني والفني فأصبح فيها المتوسط والثانوي والعالي وأصبح هناك مجال لاعداد المعلم للمدرسة الصناعية داخل المعاهد التربوية الصناعية الموجودة حاليا فى مصر والمملكة العربية السعودية .

ومعنى هذا أن هناك جهدا مشكورا ومعناه كذلك أن الطريق ما زال طويلا وانه لابد من مضاعفة الجهود. ومشكلة التعليم الفني ليست مشكلة وزارة التربية وانما هي مشكلة الدولة كلها وهي فى حاجة الى جهود جريئة خلاقة .

* * *

وبالنسبة للتعليم الثانوي كذلك طرأت فى البلاد العربية **تعديلات فى المناهج** لعل اهمها ما انجهت اليه بعض البلاد اخيرا من العناية بدراسة الجيولوجيا والعلوم البترولية والمجتمع العربي من حيث موارده واقتصاده وبنيته . وحيث أن البلاد العربية قد تختلف فى تفاصيل برامجها وان اتفقت فى الاهداف فانه يمكن تلخيص التحول فى برامج التعليم الثانوي فى العالم العربي على انه يتناول النواحي الآتية :

1 — العناية بالعلوم العلمية التطبيقية والتجريبية .

2 — العناية بالعلوم ذات الصلة بالموارد الطبيعية .

3 — العناية بالعلوم الاجتماعية المتصلة بالمجتمع العربي .

4 — التعريب ومشكلاته كثيرة ويتناول التعريب ثلاث نواح :

أ — أن يكون المدرس عربيا وأن لايكون اجنبيا الا اذا افتقد العربي الكفء تماما . ويفضل دائما المدرس الليبي لليبيا والعراقي للعراق .

ب — أن تكون لغة التدريس هي اللغة العربية فبها تدرس جميع المواد ما عدا اللغة الاجنبية ذاتها .

من الرّواية إلى التّدوين (1)

للدكتور طاهر أحمد مكي
أستاذ الأدب الأندلسي بكلية العلوم
جامعة القاهرة

لم تعد معرفة عرب الجاهلية للكتابة موطن شك، ان كثرة منهم فى الحواضر ، وقلة فى البادية ، كانت تقرا وتكتب . ولم يعد مناط اختلاف أن بعضا من آثارهم الادبية قد دون ، لكنها آحاد لا تبرر التعميم ؛ لان الشعر اكثر ما يكون فى البادية ، والبادية أكثر ما تكون راحلة ، وما يكتب عليه فى تلك الحقبة من التاريخ ـ حجارة او عظما او خشبا او اديما او عسيبا او قماشا ، وكان اندرها واغلاها ثمنا ـ لا يتهيأ نقله في سهولة ، فقصروا تدوينهم على ما اقتضته الضرورات الاجتماعية والاقتصادية،من الصكوك والعهود والاحلاف والمواثيق ، والرسائل المقتضبة ، والكتب الدينية ، والقليل من الشعر ، اما كثرته الغالبة فكان مجال حفظها الذاكرة والرواية .

وقد اضطلع الشعراء انفسهم بدور هام فى الرواية ، فكانت لهم المدرسة التي يتعلمون فيها صوغ الشعر ونظمه، والتمرس بأساليب الكلام وفنون القول، ومن اراد ان يصبح شاعرا لزم واحدا من فحولهم ، يحفظ عنه ، ويروي له ، ويترسم خطاه ، ولدينا معلومات لا بأس بها عن اتصال هذه الروايات . كان زهير بن أبي سلمى راوية أوس بن حجر ، وكان كعب ابن زهير والحطيئة راويتي زهير ، وكان هدبة بن خشرم العذري راوية الحطيئة ، وجميل بثينة راوية هدبة ، وكثير عزة راوية جميل ، وتكاد الخصائص الفنية لشعر كل منهم تتقارب مع خصائص سابقه ولاحقه . ومن تأمل هذا الاسناد ندرك ان الراوية قد يكون ابن الشاعر ، او أحد اقربائه ، وقد يكون غريبا عن القبيلة كلها ، فالحطيئة عبسى من مضر ، وهدبة عذرى من حمير . ويصبح دور الراوي أكثر اهمية بعد وفاة الشاعر ، لانه يتعدى مهمة نشر قصائده الى جمعها ، واظهار الظروف والمناسبات التي أوحت بها، وتفسير الاشارات التاريخية التي تتضمنها ، ويصبح بحكم الواقع أمينا على تراث هو ثمرة حياة صانعه ، ومناط اهتمام القبيلة التي ينسب فيها .

وكان شعراء كل قبيلة وافرادها يروون شعر أسلافهم ، وظهور شاعر كبير فى القبيلة مدعاة للفخر ، والاحتفاظ بآثاره شيء تفرضه العصبية ، وضياعها أمر يمس شرف القبيلة ، وأصدقاء الشاعر يستظهرون بعضا من قصائده . وثمة فارق بين حفظ القبيلة وحفظ الراوية ، القبيلة تحفظ من قصيد شاعرها ما يعلي شأنها ، ويسجل امجادها ، فاذا تعرض لحرب هزمت فيها تناست ذلك الشعر ، أو ما يمسها منه على الاقل ، وروايتها له لا تجري على نسق واحد ، وانما ترتبط بأعمار افراد القبيلة وامزجتهم . يحفظ منه الشباب ما كان غزلا يمس العواطف ، ويردد الرجال ما كان حماسة تلهب المشاعر ، ويتمثل الشيوخ بما كان حكمة ترضي العقل ، اما الراوية المحترف فيحفظ ذلك كله ، الغزل،والحماسة والحكمة ، الرثاء والهجاء والفخر ، ما بلغ فيه الشاعر القمة أو قصر عن الاجادة.

---

1) فصل من مقدمة كتاب « دراسة فى مصادر الادب » الذي ستنشره دار المعارف بالقاهرة قريبا .

والمهم فى الادارة الناجحة ان تكون اداة لانجاز الاعمال فى سهولة وسرعة وكفاية وهذا يتطلب تحديد المسئوليات وان يكون لدى المسؤول من القوة والمقدرة والسلطة ما يمكنه من حمل مسئوليته وان يكون لديه من حرية التصرف ما يمكنه من سرعة البث على ان يكون هناك كذلك نوع من الرقابة التي لاتضعف حتى يصاب العمل بالاهمال والتراخي ولا تشتد حتى يصاب العمل بالتوقف والتعقد .

ومعروف أن هناك نوعا من الشدة بين القوى المحلية والقوى المركزية ، فالمركزية تتهم المحلية بعدم الكفاءة . والمحلية تتهم المركزية بعدم لمسها للمشكلات وبتعطيل العمل عن طريق التركيز . وهكذا مما هو معروف من أنواع الاتهام .

وقد أحرزت الدول العربية تقدما عظيما فىالادارة التربوية كما شوهد ذلك فى قانون رقم 16 لعام 1964 فى الاردن وكما شوهد حديثا فى الجزائر وما يشاهد فى كل بلد عربي تقريبا .

* * *

وهناك موضوعات كثيرة يمكن معالجتها ، فهناك تكلفة التعليم وتمويله وموازناته وعلاقة هذه بالموازنة العامة للدولة وعلاقتها كذلك بالدخل القومي العام وتدل دراسة الموازنات على نمو مستمر فى ميزانية التعليم فى البلاد العربية وفى المملكة الليبية بنوع خاص فقد وصلت النسبة الى 4٪ من الدخل القومي العام ، وهذه هي النسبة التي وصلت اليها اكثر البلاد انفاقا على التعليم . وتتراوح نسبة ميزانية التعليم الى ميزانية الدولة فى العالم العربي بين 9٪ — 23٪ .

وهناك امور كثيرة اخرى ، هناك الامية معالجتها والوقاية منها . هناك تعليم الكبار فى مجتمع متغير يغير الانسان فيه بيئته وعمله وطبقته . هناك تعليم المعوقين من صم وبكم ومكفوفين وعجزة من مختلف الصنوف والالوان . هناك استخدام الوسائل الجماعية التي ظهرت والتي ستظهر من تليفزيون وراديو وصحافة وسينما وتلستار استخداما فى اطار المدرسة وفى الاطارات اليومية العادية . هناك تطوير المدرسة فى ضوء المتفجرات السكانية وتفجر الوعي وتفجر المخترعات والمكتشفات ، وفى ضوء الافتقار للمعلم والمبنى والتجهيزات والاموال مما سنواجهه بعد اقل من عشر سنوات من الان ، هناك مسائل اخرى بسيطة كالمناهج والكتب والامتحانات والتفتيش وهي بسيطة اذا قيست بما هو اكبر منها وما يشملها وهو التربية العلمية والعملية الواقعية التكنولوجية التخططية اللازمة لاكساب جسم الامة المناعة والقوة لاسترداد حقها وحمايته والقدرة على تطوير نفسها وتنميتها .

وواضح انه ليس من الممكن أن نستعرض أوضاع التعليم بصورة شاملة . ولكن اهم ما فيه انه يتقدم بسرعة كبيرة ، ومع ذلك فاذا نظرنا للمستقبل نجد انها غير كافية . واضح ان التعليم يرتفع كما وينحدر كيفا ، واضح كذلك أن التعليم يتقدم بصورة منعدمة التوازن ، فليس هناك توازن بين نمو التلاميذ ونمو المباني ونمو المعلمين . ليس هناك توازن بين تعليم البنين وتعليم البنات . ليس هناك توازن بين التعليم الفني والتعليم العام ، بين التعليم فى الريف والتعليم فى المدينة ، وبين اجزاء السلم التعليمي المختلفة الابتدائي والثانوي والعالي بين التعليم جملة وما تتطلبه التنمية الاجتماعية والاقتصادية وفى الفرد نفسه . عنينا بالعقل اكثر مما عنينا بالقلب واليد . عنينا بالعقل اكثر مما عنينا بالوجدان والحس والخلق والشخصية . وحتى هذا العقل عنينا فيه بالحفظ والاستذكار اكثر مما عنينا بالتفكير والمبادرة والابتكار . ولهذا نكون مواطنا ضامر القلب والبدن واليدين كبير الراس وحتى هذه الراس محشوة حفظا وتسجيلا فارغة ابتكارا وتفكيرا. اتجهنا الى تكوين الانسان المطيع السلبي القليل التصرف المسلوب الهمة اكثر مما اتجهنا الى بناء الشخصية القوية المنطلقة الحرة المتصرفة .

هذه بعض مظاهر التعليم ولهذا فان التعليم يحتاج الى تنسيق وتخطيط حتى ينمو نموا متوازنا ويحتاج الى اصلاح قائم على البحث العلمي السليم ، ويحتاج ونحن فى ازمتنا الراهنة أن نشخص ازمته من ورائها .

وهذا ينقلني الى أهمية التخطيط واهمية البحث العلمي فى التربية ، واهمية اخذ نوعية التعليم وكيفيته ومستواه وادارته ومعالجته مأخذ الدرس الجاد ومأخذ الجراة .

لبنان : عبد العزيز القوصي

« مصور جغرافي » في العربية يعود الى هذا الجيش ، فعند ما استبطأ الحجاج حصار قائده لبخارى ، ارسل اليه يطلب منه « مصورا جغرافيا » للمنطقة ، وعندما تلقى هذا « المصور » درس الوضع الحربي في ضوئه ، وارسل الى القائد بتعليماته . وفيما بين عامي 80 و 84 هـ وجد في كرمان (1) ديوان شعر لابي جلدة اليشكري . وفي نفس هذه الفترة اتخذ عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله الجمحي بيتا جعل فيه شطر نجات ونردات وقرقات (2) ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل في الجدار اوتادا فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ، ثم جر دفترا فقراه ، او بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم . وكان في « كتاب » معاصره الضحاك ابن مزاحم ثلاثة آلاف صبي يتعلمون القراءة والكتابه ، وكان يطوف بهم على حماره .

فاذا وصلنا الى نهاية القرن الاول الهجري ، بداية الثامن الميلادي ، اصبح بين ايدينا من الدلائل ما يجعل تدوين الشعر امرا مقررا . فالخطاط خالد بن ابي الهياج كان يكتب للخليفة الوليد بن عبد الملك (ت 96 هـ — 715 م) « المصاحف والشعر والاخبار » . وسلامة القس كانت تملك بعد وفاة عمر بن ابي ربيعة (ت 101 هـ — 719 م) مجموعة من اشعاره التي يغنى بها . والخليفة الوليد بن يزيد (ت 127 هـ — 744 م) امر بجمع « ديوان العرب وأشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها » . لكن هذا التدوين كان ، فيما يبدو ، عملا عفويا وفرديا ، يخضع لاذواق الاشخاص ومتطلبات السياسة . ويخيل الي ان طريقة الكتابة في البدء كانت وراء قلة التدوين ، وانتشار الرواية ، لانها — رغم الاصلاحات التي ادخلت على النقط والاعجام زمن الوليد بن عبد الملك — لم تكن كافية لرسم النصوص الصعبة المحشوة بالكلمات النادرة ، واسماء الامكنة الغريبة ، فبقي الاعتماد على الذاكرة امرا ضروريا لقراءة القصيدة المكتوبة قراءة دقيقة وصحيحة ، الى ان ثبتت فيما بعد قواعد الرسم والاعجام ، على نحو ما سندرسه بعد قليل .

ولا نكاد نتجاوز القرن الاول الهجري ، ونمضي في الثاني شيئا ، حتى نلتقي بطبقة جديدة من الرواة العلماء ، من العرب او الموالي ، يعيشون في الحضر ، وعلى دراية واسعة بحياة البدو ، يحذقون لغة الاعراب ، ويعرفون اساطيرهم واخبارهم وأنسابهم ، ويتمتعون بذواكر قوية ، وعلى اتصال دائم بسكان البادية ؛ يرحلون اليهم في منازلهم ، او يلقونهم في الحواضر ، يمتهنون جمع الشعر وحفظه وروايته ، ودرسه وتفسيره واذاعته ، ويجمعون الى مشافهة الاعراب ما قراوه مدونا ، او تلقوه عن شيوخهم علما . والجيل الاول منهم ، كابن السائب الكلبي (3) وعوانة بن الحكم (4) ، وحماد الراوية ، لم يدون من روايته شيئا ، فقد تكفل هشام بن السائب برواية مأثور ابيه ، وكان عوانة كفيفا يملي ولا يكتب ، ويقول ابن النديم في كتابه « الفهرست » : « لم يرد لحماد كتاب ، وانما روى عنه الناس وصنفت الكتب بعده » . اما الجيل الذي تلقى عنهم الرواية ، او عاصرهم في تلقيها وكان احدث منهم عهدا ، أن يدون ما سمع ، او يترك لتلاميذه مهمة التدوين . ولم يكن علماء الطبقة الاولى يسندون رواياتهم ، وكان من بعدهم يرفع بها اليهم ، وينتهي عندهم .

كان هؤلاء الرواة يتفاوتون فيما بينهم صدقا وأمانة ودقة ، تبعا لتكوينهم الطبقي والعنصري والثقافي ، وصمودهم امام ضواغط البيئة حولهم ؛ سياسية واجتماعية وعلمية ، او استجابتهم لها . حتى اذا استكملت الحياة الثقافية مقوماتها في البصرة والكوفة ، تميزت كل منها بطابع أثر عنها وعرفت به ، وربما كان اهم الفروق الاساسية بين المدرستين ان مدرسة البصرة استهدفت وضع قواعد عامة للغة تلتزمها وتسير عليها في دقة وحزم ، فأهدرت الشواذ وخطات بعض العرب ، واذا اصدمت قواعدهم بما هو ثابت من صحيح الرواية قالوا : « يحفظ ولا يقاس عليه » . بينما احترمت مدرسة الكوفة كل ما جاء عن العرب ، تجيز للناس استعماله ، ولو كان لا يلتزم

1) كرمان : مقاطعة في ايران .
2) النرد : ما يعرف اليوم بالطاولة . قرقات : جمع قرقة ؛ وهي لعبة للصبيان .
3) محمد بن السائب بن بشر الكلبي ، ابو النضر ، من اصل عربي ، قضى حياته بين البصرة والكوفة في دراسة التفسير والانساب والتاريخ ، توفي سنة 146 هـ — 763 م .
4) ابو الحكم ، من بني كلب ، كان عالما بالشعر والانساب والاخبار ، توفي عام 147 هـ — 764 م . ذكر ابن النديم في الفهرست انه الف « سيرة معاوية وبني امية » ، وقد ضاعا ، واغلب العلماء على انهما كتابان منفصلان ، واراهما كتابا واحدا .

ويصمت الحديث عن تدوين الشعر وتخف حدة روايته بعد البعثة المحمدية ، فقد كان من العسير ، والاسلام فى نشأته يقيم نظاما ، ويؤسس دولة ، ويضع نماذج جديدة للسلوك العربي ، ان تجد فكرة تدوين ، أو حتى رواية ، شعر مليء بالمفاخر القبلية ، وبما كان الاسلام ضده ، ترحيبا او قبولا من احد ، الى جانب ما شغل به الناس من غزو وتشريع ، وما ملأ وجدانهم من افكار ومثل. اورد ابن سلام فى طبقاته قول عمر بن الخطاب : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه (1) » ثم عقب عليه بقوله « فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو الفرس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته، فلما كثر الاسلام ، وجاءت الفنوح ، واطمأنت العرب بالامصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، والفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ؛ فحفظوا اقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير (2) . وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه اشعار الفحول ، وما مدح هو واهل بيته به ، فصار ذلك الى بني مروان ، او صار منه » .

ويأتي ابن خلدون فيعطي الامر مزيدا من الايضاح والتفصيل والتحديد : « انصرف العرب عن الشعر اول الاسلام بما شغلهم من امور الدين والنبوة والوحي، وما ادهشهم من أسلوب القرءان ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك ، وسكتوا عن الخوض فى النظم والنثر زمانا ، ثم استقر ذلك ، وانس الرشد من الملة ، ولم ينزل الوحي فى تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ الى ديدنهم منه ».

الا انه لم يكد النظام الاسلامي يستقر وتتوطد دعائمه ، بقدر لا يخشى معه رواية قصيدة او تبجح قبيلة ، حتى عاد الناس يروون الشعر ويكثرون من روايته ، ويتحدثون عن تدوينه كخاطر يرد فى الاذهان ويمكن ان يتحقق ، ولدينا اشارة عن تدوين ثم تعود الى النصف الثاني من القرن الاول للهجرة ، فقد كتب أعشى همدان ، عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ، قصيدة عام 65 هـ — 671 م عن احداث تلك السنة ، وكان الاعشى جنديا فى الجيش الذي وجهه الحجاج بن يوسف الثقفي لفتح بلاد ما وراء النهر ، بقيادة قتيبة ابن مسلم الباهلي ، ومن توافق الصدف ان اقدم

1) خلط الدكتور محمد مندور فى كتابه « النقد المنهجي عند العرب » (ص 9 ، القاهرة 1948) ، بين هذه الفقرة وتعقيب ابن سلام عليها ، وجعلهما قولا واحدا لواحد ، ونسبها خطأ الى أبي عمرو بن العلاء .

2) اقتصر الدكتور ناصر الدين الاسد فى كتابه القيم « مصادر الشعر الجاهلي » على هذا القدر من رواية ابن سلام ، لسبب لا أعرفه ، ومضى يعقب عليه فى قسوة : « كلام ابن سلام هذا ثلاثة اشطر : آخرها حق ، وموسطها باطل ، واولها يحتاج الى فضل بيان يوضحه ، أما الحق الذي لا مرية فيه فقوله : « فحفظوا اقل ذلك وذهب عليهم منه كثير » .

واما الباطل الذي لم نعد نشك فى بطلانه وفساده فهو هذا التعميم الواسع فى قوله « فلم يؤولوا الى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب » . وفي حماسة اخذ يورد امثلة من كتاب ابن سلام تنقض قوله هذا .

ولو مضى الاستاذ الدكتور بالرواية الى نهايتها كما انتهينا بها ، لما كان فى حاجة الى اتهام او دفاع لان الرجل كما نرى ، فى بقية الرواية ، يعرف من الشعر العربي ما كان مدونا ، ومنذ العصر الجاهلي ، لكنه يتحدث عما هو غالب وشائع وعادة .

وفى بادىء الامر تصورت ان الدكتور ناصر الدين رجع الى نسخة من طبعات ابن سلام غير التي ارجع اليها ، وان الفقرة الاخيرة ساقطة منها ، ثم تبينت انه يستخدم نفس النسخة ، وهي بشرح العالم الجليل الاستاذ محمود شاكر ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ، والنص فيها كامل ، فلم يبق الا انه اجتزأ النص لسبب غير واضح ، أو سها عن بقيته ، وهو ما اميل اليه .

الدكتور ناصر الدين الاسد ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ص 194 و 195 ، دار المعارف ، القاهرة 1956 .

ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ص 22 و 23 ، شرح الاستاذ محمود محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة 1952 .

ابي موسى الاشعري ، فامتقه واعتق ابويه . وامضى طفولته ، وكانت شقية ، فى اوساط البصرة العلمية ، اخذ اللغة عن ابي عمرو بن العلاء ، واخذ النحو عن عيسى بن عمر النحوي (ت 149 هـ ــ 766 م) ، وجمع علما كثيرا ، فكان عالما بالغريب والنحو والانساب والاخبار ، شاعرا كثير الشعر جيده ، ولم يكن بين نظرائه من هم اكثر شعرا منه ، وله خطرات نقدية صائبة . « سئل : من اشعر الناس ؟ فقال : ما ينتهي هذا الى واحد يجتمع عليه ، كما لا يجتمع على اشجع الناس واخطب الناس واجمل الناس . فقيل له : ايهم اعجب اليك يا ابا محرز ؟ قال : الاعشى » . فهو لا يرتضي ما كان شائعا فى عصره من نقد يقوم على الخاطرة والذوق والهوى ، دون احتياط او استقراء او تفصيل فى التعليل ، وعنه تصدر احكام التفصيل المطلق للبيت او القصيدة او الشعر ، ولكنه لا يتردد فى ان يصرح بمن يلتقي مع هواه من الشعراء . حق يراه لغيره ، كما ارتضاه لنفسه ، وبتقريره يستحيل ان يلتقى الناس على راي اذا ما سئلوا : من هو اعظم الشعراء ؟ .

كان خلف أول من احدث السماع فى البصرة ، وقرا عليه اهل الكوفة اشعارهم ، وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية ، لانه اكثر الاخذ عنه ، وبلغ مبلغا لم يقاربه حماد . واجمع الناس فى الكوفة والبصرة على الاقرار بمعرفته الدقيقة والواسعة بالشعر الجاهلي ، وقدرته المصيبة على تمييز الصحيح من المنحول ، يقول ابن سلام : « اجتمع اصحابنا انه كان افرس الناس ببيت شعر ، واصدقهم لسانا ، كنا لا نبالي اذا اخذنا عنه خبرا ، او انشدنا شعرا ، الا نسمعه من صاحبه » . ويذكر ابن النديم فى « الفهرست » ان له « كتاب العرب وما قيل فيها من الشعر » ، وقد ضاع الكتاب نفسه ، ولكن الجاحظ احتفظ بفقرات منه فى كتابه « الحيوان » . وكان خلف شاعرا ويروي ياقوت فى كتابه « ارشاد الاريب الى معرفة الاديب » : « ان له ديوان شعر حمله عنه ابو نواس » ، ويكثر قول الشعر فى وصف الحيات ، واراجيزه فى ذلك كثيرة ، وما وصلنا من شعره يعكس مقدرة فائقة على النظم ، ولا يدل على موهبة شعرية حقيقية ، والابيات التي رواها

له ابن قتيبة فى « الشعر والشعراء » ، لون من الفكاهة المستملحة فى ذم جماعة من الحجاج البخلاء :

سقى حجاجنا نوء الثريا
على ما كان من بخل ومطل

هم جمعوا النعال واحرزوها
وشدوا دونها بابا بقفل

فان اهديت فاكهة وجديا
وعشر دجائج بعثوا بنعل

ومسواكين قدرهما ذراع
وعشر من ردي المقل خشل (1)

اناس تائهون لهم رواء
تغيم سماؤهم من غير وبل (2)

اذا انتسبوا ففرع من قريش
ولكن الفعال فعال عكل (3)

وقد مر خلف بالازمة النفسية التي مر بها استاذه ابو عمرو بن العلاء ، من قبل ، فنسك وتقرا فى اواخر حياته ، وكان يختم القرءان فى كل يوم وليلة ، « وبذل له بعض الملوك مالا عظيما خطيرا على ان يتكلم فى بيت شعر شكوا فيه فأبى ذلك ، وقال : قد مضى لي فى هذا مالا احتاج الى ان ازيد فيه » .

اتهم خـ ، كما اتهم غيره ، بالوضع والنحل ، فقيل انه كان يعمل على السنة الناس فيشبه كل شعر يقوله بشعر الذي يضعه عليه ، وانه وضع على شعراء عبد القيس شعرا موضوعا كثيرا ، وعلى غيرهم ، عبثا بهم ، وانه نحل ابا دواد الايادي أربعين قصيدة ، وكان يأخذ من حماد الراوية الصحيح من اشعار العرب ويعطيه المنحول، « فيقبل ذلك مني ويدخله فى اشعارها وكان فيه حمق » ، وانه نظم لامية العرب المشهورة ، التي اولها :

اقيموا بنى امي صدور مطيكم
فاني الى قوم سواكم لاميل

ثم نسبها الى الشنفري كما صنع القصيدة التي مطلعها :

---

1) المقل : حمل الدوم ، والدوم : شجرة معروفة النخيل .
الخشل : الردىء من كل شيء ، وقيل ، هو رطب المقل وصغاره الذي لا يؤكل .

2) الرواء : المنظر الحسن . الوبل : المطر الشديد .

3) عكل : « قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحق عكلي » .

القواعد العامة وهم بهذا اقرب الى فهم طبيعة اللغة ومنطقها — ان كان للغات منطق ! — وكانت الخصائص العامة لكل مدرسة لا تظهر فى اللغة وحدها ، وانما تتجاوزها الى ما وراء ذلك من الاثار والاخبار . وادى التنافس بين المدرستين الى تعصب كل فريق لمدرسته، واتهام وتضعيف المدرسة الاخرى ، وتبادل العلماء تهم الجهل والوضع والتحريف ، امر يجعل مهمة الباحث اكثر مشقة وهو يوازن بين الاراء والروايات ، ينخلها ويصفيها من الدوافع الشخصية والحزازات .

كان رأس هذه الطبقة ابو عمرو بن العلاء ، عربي من تميم ، مؤسس مدرسة البصرة فى النحو وشيخها، واحد القراء السبعة ، ومن اعلم الناس بالقرءان ولغاته وتفسيره وغريبه ، وكان اماما فى الشعر والنحو واللغة وايام العرب ، ثقة مأمونا حتى عند الكوفيين ، ولد بمكة سنة 69 هـ — 689 م ، ونشأ فى البصرة ، وتوفى فى الكوفة قافلا من رحلة الى دمشق عام 155 هـ — 770م، وكان ابوه مشهورا معروفا وقائما على « طراز » الحجاج (1)، وجده عمار من اصحاب علي بن ابي طالب، رضي الله عنه . وقد مدح الفرزدق الشاعر ابا عمرو ابن العلاء واثنى عليه فى ابياته :

ما زلت أفتح ابوابا وأغلقها
حتى اتيت ابا عمرو بن عمار

حتى اتيت فتى محضا ضريبته
مر المريرة حرا وابن احرار

ينميه من مازن فى فرع نبعتها
اصل كريم وفرع غير خوار (2)

دون ابو عمرو قدرا كبيرا من الشعر العربي ، وبخاصة الجاهلي منه ، الى جانب الاخبار المتعلقة به ، وطبقا لرواية ابي عبيدة ، فان ما كتبه ملأ بيتا له الى قريب من السقف ، ثم تقرأ — اي تنسك — فأحرقها » ولم يعد يهتم احراقها الا بالقرءان ودراساته . ولا يعني ذلك ، فيما ارى ، انه اعرض عن الشعر تماما ، فدراسة القرءان ، فى تلك الفترة من الزمن ، كانت تقوم فى جانب منها على تفسير غريب القرءان ومجازه بالشعر ، لكن القصة تدل ، دون شك ، على ان بعض المتنسكين كان يستشعر الحرج فى دراسة وتدوين آثار ادبية ، تمجد من الاخلاق ، او تبيح من المحظورات، ما لا يرضى عنه الاسلام . الا ان ضياع كتبه لم يحرمنا كلية من علمه الواسع ، فقد كان له طلاب كثيرون تثقفوا من علمه ، ونهلوا من فيضه ، وحفظوا كثيرا مما روى وما جمع ، ونقلوه الينا شفاها ، او مدونا بيد طلابهم فيما بعد .

ثم خلفه فى مدرسة البصرة انجب تلاميذه ، خلف بن حيان ، ويكنى ابا محرز البصري ، ويعرف بخلف الاحمر ، (ولد 115 هـ — 733 م وتوفى 180 هـ — 796 م) ، من ابناء الصغد من فرغانة ، سباهم قتيبة ابن مسلم الباهلي اثناء افتتاح بلاد ما وراء النهر ، وجيء بهم الى البصرة ، وكان خلف مولي ابو بردة ابن

---

1) قيما على نسيج ثياب الحجاج .

2) اختلف القدامى فى معنى « أفتح ابوابا واغلقها » بعض شراح شواهد سيبويه ، والبيت الاول منها ، قالوا : اراد « اني كشفت عن احوال الناس وفتشتهم فلم ار فيهم مثل ابى عمرو » .
وقال ابن السيد البطليوسي ، فى شرح ادب الكاتب : « الفتح والاغلاق هنا مثلان لما استغلق عليه — على الفرزدق — من الامور وما انفتح » .
وروى ابو بكر محمد التاريخي فى كتابه « طبقات النحاة » بسند الى الاصمعي انه قال : حدثني ابو عمرو بن العلاء قال : دخلت على الفرزدق فغلقت ابوابا ثم ابوابا ، ثم فتحت ابوابا ثم ابوابا ، فانشد الفرزدق : « ما زلت أفتح ... البيت » . واورد رواية اخرى ، بسند آخر ، الى الاصمعي نفسه : دخل الفرزدق على ابى عمرو بن العلاء ، وصعد الى غرف فقال « ما زلت ... » .
وقال ابو عبيدة البكري فى شرح امالي القالي: « ان ابا عمرو بن العلاء كان هاربا من الحجاج مستترا، فجاء الفرزدق يزوره فى تلك الحالة ، فكان كلما يفتح له باب يغلق بعد دخوله ، الى ان وصل اليه فانشد الابيات » .
والحق مع شراح الشواهد وابن السيد ، فما اظن الفرزدق ذهب ليعد ابواب بيت ابي عمرو وغرفه ، وهي على التاكيد لم تبلغ حدا من الكثرة يثير عجب الفرزدق وخياله. ورواية ابي عبيدة البكري ينقضها معنى البيتين الثاني والثالث ، وان الحجاج حين كان فى قمة تجبره كان ابو عمرو طفلا صغيرا ، او صبيا ناشئا على اكثر تقدير .

وكانوا مع يحيى بن زياد الحارثي ، ومطيع بن ايـاس يتهاجون ويتغزلون ، ويقولـون شعـرا لا يخلـو من رقـة وبساطـة .

كان حماد يتمتع بذاكرة قوية حافظة ، تعجبه الاسطورة ، ويهوى النادرة ، يستطيع ان يسترجـع مئات القصائد المطولة من الشعر الجاهلي ، وأن يميز بينها وينسبها الى قائلها ، و « المعلقات » التـي بيـن ايدينا من روايته ، وكان الى جانب ذلك شاعرا ممارا، وروى له الاصمعي شيئا من شعره ، واحيانا عامدا أو ناسيا يخلط شعره بشعر غيره ، ومن المؤكد ان طبيعة العبث فيه كانت تتجاوز حياته الخاصة الى نشاطـه العلمي . فأصبحت نزاهته موضع شك كبير وجدال عنيـف .

كان المفضل الضبي (ت 170 هـ — 786 م) ، وهو كوفي مثله ، يقول عنه في مرارة : لقد سلط على الشعر من حماد الراوية ما افسده فلا يصلح أبـدا ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطىء في روايته ام يلحن ؟

قال : ليته كان كذلك ، فان أهل العلـم يردون من أخطأ الى الصواب ، لا . . . ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأسعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فـلا يزال يقول الشعر يشبه مذهب رجل ويدخله في شعره، ويحمل عنه ذلك في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها الا عنـد عالم ناقـد ، وايـن ذلـك ؟ » .

ويقول ابن سلام « فيطبقات فحول الشعراء » : « كان اول من جمع اشعار العرب وساق احاديثهـا : حماد الراوية ، وكان غير موثوق به ، كان ينحل شعر الرجل غيره ، وينحله غير شعره ، ويزيد في الاشعار ». ويضيف ابن سلام . « وسمعت يونس (ابن حبيب) يقول : العجب لمن يأخذ عن حماد ، كان يكذب ويلحن ويكسـر » .

ولكن الحملة على حماد ، رغم كل شيء ، يجب ان تأخذ في حذر شديد ، ونحن « نميل الى ان نعد أكثر ما اتهم به حماد موضوعا ، دعت الى وضعه عوامل عـدة منها : هذه العصبية التي كانت متاججة بين البصـرة والكوفة ؛ ومنها تلك المنافسات والخصومات الشخصية كالتي كانت بين المفضل وحمـاد ؛ ومنهـا العصبيـة السياسية ، فقد كان حماد اموي الهـوى والنزعـة ، وكانت دولة بني امية قد ولت واقبلت دولة جديـدة تناصبها العداء ، وتريد أن تمحو محاسنها وآثارها ، وتحط من قيمة من اشتهر فيها أو نال لديها حظوة ؛ ومنها : ان حمادا كان — باعتـراف الـرواة — كثيـر الرواية واسع الحفظ ، فكان يروي مالا يعرفه غيره ، ويحفظ ما لا يحفظون، فاتهموه بالتزيد والوضـع . وقد ساعد على كل هذا الاتهام له وتضعيفه وتجريحه انه كان ماجنا مستهترا بالشراب مفضوح الحال » (1) .

الرجل الثاني في مدرسة الكوفة ، ويلـي حمادا الراوية في العلم ، ويسبقه في الثقة ، هو المفضل الضبي ابو عبد الرحمن المفضل بن محمد بن يعلى ، من اصل عربي ، ولد في فارس حيث كان ابوه من موظفي الديوان، وشارك في ثورة العلوي ابراهيم بن عبد الله الملقـب بالنفس الزكية ضد الخليفة المنصور ، واجاره في بيته زمنا ، وقد سجن ثم أخلي سبيله فيما بعد ، واصبح استاذا للمهدي ابن الخليفة . كان عالمـا بأخبـار الجاهلية وانسابها ، رواية للشعر وايام العرب ، قال عنه ابن سلام : « اعلم من ورد علينـا من غير اهـل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي » ، وتتلمذ عليه جلة من كبار رواة عصره وعلمائـه ، فكـان من تلاميذه : ابو عمر اسحاق بن مرار الشيبانـي ، وابن العربي ، والفراء ، وخلف الاحمر ، وابو زيد الانصاري البصري وغيرهم . وترك لنا كتابين : الاول «المفضليات» مجموعة رائعة من الشعر الجاهلي ، والثاني « كتاب الامثال » ، والراجح انهما من روايته ، وان الذي تولى عملية الجمع والتدوين هم تلاميذه من بعده . وقـد توفي المفضل في الكوفة في بدء خلافة هارون الرشيد ، حوالي عام 170 هـ — 786 م .

كان هؤلاء هم الطبقة الاولى من العلماء الرواة ، وقفوا جهدهم على رواية التراث العربي ، حين لم تكن الكتابة اداة حفظه الاولى ، يجمعون ما تبعثر من خبره، وينخلون ما اختلط من امره ، واليهم تسند روايته ، وهم يذيعونه بين تلاميذهم في حلق الدرس ، ويجادلون حوله في مجالس السمر ، فصنعوا الطبقة الثانيـة ، تسمع منهم ، وتعي عنهم ، وتحفظ مأثورهم وتقيـده احيانا ، فاذا اقتربنا من نهاية القرن الثاني الهجري ، وتجاوزناه الى الثالث ، القرن التاسع الميلادي ، ظهرت لدينا طبقة ثالثة ، على راسها ابن الكلبي (أبو المنـذر هشام ابن محمد ت 206 هـ — 821 م) ، والهيثم بن عدى (ابو عبد الرحمن ت 207 هـ — 822 م) ، وابـو عمر الشيباني (اسحاق بن مرار ت 213 هـ — 828 م)،

1) الدكتور ناصر الدين الاسد ، مصادر الشعـر الجاهلي ، ص 450 .

ان بالشعب الى جنب سلــع
لقتيـلا دمـه مـا يطــل

ونحلها ابن اخت تابط شرا . « فلما تقرا ونسك خرج الى اهل الكوفة ، فعرفهم الاشعار التي قد ادخلها فى اشعار الناس ، فقالوا له : انت كنت عندنا فى ذلك الوقت اوثق منك الساعة . فبقى ذلك فى دواوينهم الى اليوم » .

هذه الفقرة الاخيرة تكشف فى جلاء قيمة الروايات التي ترمي خلفا بالوضع ، وتنزع القناع عن الاسباب التي وراءها ، فليس خلف هدفا فى ذاته انما الهدف المدرسة الكوفية وعلماؤها ، فما داموا قد تلقوا عنه ، وسمعوا منه ، فلا بد أن يكون وضاعا ، ويصبح ما بين يدى الكوفيين من روايات موضع شك ومطعونا فى صحته . والرواية تفضح نفسها بنفسها ، فمن العجيب أن يمضي عالم الى قوم اخذوا عنه ، فيدلهم ، حقا او افتراضا ، على ما زل منه عفوا او قصدا ، فيرفضوا تصحيحه ، ويعرضوا عن اعترافه ، ويبقوا على زيفهم ، « ويصير ذلك فى دواوينهم الى اليوم » ! (1) .

اكثر تلاميذ ابي عمرو بن العلاء ثقة وشهرة هو الاصمعي ، عبد الملك بن قريب ، من اصل عربي ينتسب فى باهلة ، الضاربة فى الجنوب الشرقي من البصرة ، ولد عام 122 هـ ـــ 739 م ، وتوفى عن تسعين عاما فى 215 هـ ـــ 831 م ، نقل عن فصحاء الاعراب الذين كانوا يفدون الى البصرة ، واكثر الخروج الى البادية ، وشافه الاعراب ونقل عنهم ، وربما استغرقت رحلته اليها سنوات ، وامضى جانبا من حياته فى الحجاز وبغداد ، فأكسبه ذلك علما واسعا بالجاهلية ، لغاتها واخبارها واشعارها ، فاكتسب مكانة ممتازة فى الاوساط الادبية كأستاذ وعالم ، وكان موضع اجلال الخليفة هارون الرشيد . وكافاه مرة بعشرة آلاف درهم لانه اجاد فى وصف فرس له ، مستدلا على كل صفة ببيت من شعر جرير بن عطية الخطفي الشاعر المشهور (2) . وتميز عن سابقيه بتقواه العظيمة ، شديد الاحتراز فى تفسير القرءان والحديث، فاذا سئل عن شيء منهما يقول : العرب تقول معنى هذا كذا ، ولا اعلم المراد منه فى الكتاب والسنة ، وخلال فتنة خلق القرءان ، اعتزل الناس وقبع فى بيته، وحرص المامون على ان يصير اليه ، فاحتج بضعفه وكبر سنه ، فكان المامون يجمع المشكل من المسائل ويسيرها اليه ليجيب عنها . ورئى بعد ذلك راكبا حمارا دميما ، فقيل له : « ابعد براذين الحلفاء تركب هذا ؟ فقال : هذا واملك ديني احب الي من ذاك مع فقده » .

كتب الاصمعي كثيرا ، فى مجالات مختلفة ، وتبلغ مؤلفاته اثنين واربعين مصنفا ، بينها كتاب خلق الانسان ، وكتاب الاجناس ، وكتاب الخيل ، وكتاب النوادر ، وكتاب معاني الشعر ، وكتاب الاراجيز ، واغلبها غير مطبوع ، ورويت عنه دواوين كثيرة . منها ديوان امرىء القيس والنابغة وزهير وطرفه وعنترة ، وعلقمه الفحل ، وله مجموعة مختارة من الشعر القديم تحمل اسمه « الاصمعيات » ، وقد طبعت اخيرا ، وصدرت عن دار المعارف بالقاهرة .

فى الجانب الاخر كان حماد راس مدرسة الكوفة. واسمه حماد بن سابور ، وشهرته حماد الراية ، واليه وحده تتجه كلمة « الراوية » اذا ارسلت . من اصل فارسي ، وقع ابوه سابور اسيرا فى الحرب ، وينتمي الى اسرة محاربة من الديلم . وقد ولد حماد فى الكوفة فى عام 95 هـ ـــ 713 م ، وتوفى فيها مغمورا عام 156 هـ 774 م ، وعبر التاريخين امضى حياة عاصفة مضطربة ، فكان فى بدء حياته لصا يتشطر ، فنقب بيتا على رجل فأخذ ماله ، وكان فيه جزء من شعر الانصار، فلما قراه استحلاه وحفظه ، ثم ترك التشطر ، واقبل على الادب والشعر والاخبار ولغات العرب . وكان مع حماد عجرد الشاعر ، وحماد بن الزبرقان النحوي يكونون فى الكوفة ثالوثا مزعجا ، يعيش حياة لاهية ، منطلقة غير مسئولة ، يتنادمون ويتعاشرون وكأنهم نفس واحدة ، ويرمون جميعا بالزندقة ، وتثير حياتهم نقمة الطبقة المحافظة ، وكثيرا ما كان يلقى بهم في السجن فلا يبرحونه الا بعد شفاعة من كبير يمدحونه ،

---

1) ناقش الدكتور ناصر الدين الاسد الروايات التي تتهم خلفا بالوضع مناقشة علمية مفصلة فى كتابه « مصادر الشعر الجاهلي وحقيقتها التاريخية » ص 451 وما بعدها ، وانتهى الى شجب هذه الاخبار رغم أن رواتها بصريون ، ليسوا مظنة تعصب ، ولكنهم ـــ فيما يرى ـــ اتخذوا خلفا « معبرا يجتازونه ليصلوا منه الى اتهام علماء الكوفة ورواتها » .

2) تفصيلات الوصف فى : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، الجزء الاول ، ص 166 وما بعدها ، الطبعة الثانية ، بتحقيق احمد امين وآخرين ، القاهرة 1367 هـ 1948 م .

زيارة الوفد المغربي للاتحاد السوفياتي

للأستاذ محمد بنعبد الله

(1)

حينما استدعت حكومة الاتحاد السوفياتي الوفد الاسلامي المغربي منذ شهور بعيدة لزيارة اقطار الاتحاد السوفياتي وجمهورياته الاسلامية ، راى سماحة الشيخ السيد ضياء الدين بباخانوف ان تقع هذه الزيارة فى اعقاب فصل الشتاء ، واوائل الايام الجميلة لفصل الربيع حيث تكون الطبيعة الانيقة الغناء تنعم بالصفاء والبهاء والدفء ، والنسيم الفاتر العاطر ينفح الجسوم ، والجو المنعش الرائق يملأ الصدور .

وقد تم ذلك بعد الرغبة الكريمة والاذن المولوي السامي ...

وهكذا غادر الوفد الاسلامي المغرب متوجها الى موسكو فى اليوم العشرين من شهر ماي الماضي حيث وصلها فى اليوم التالي فى الساعة السادسة مساء بعد ان قضى ليلة بمدينة بروكسيل العاصمة البلجيكية .

وتراس الوفد معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد احمد بركاش وعضوية السادة الاساتذة : عبد الرحمن الدكالي ، وعبد الله كنون ، وعبد الكبير الفاسي ، ومحمد بنعبد الله .

ولدى وصوله وجد فى استقباله بالمطار سعادة سفيرنا بموسكو الاستاذ السيد عبد الهادي الصبيحي، وسماحة الشيخ السيد ضياء الدين باباخانوف رئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاغستان ، وممثلي الحكومة ، وفى مقدمتهم السيد بارمينكوف الكس القائم بأعمال الرئيس لمجلس الشؤون الدينية لدى رئاسة الحكومة ، والسيد ماكارتسف بوطر نائب رئيس المجلس فى الشؤون الدينة للاتحاد السوفياتي والسيد شويدوف رئيس قسم افريقيا بوزارة الخارجية الذي كان سفيرا لبلاده فى المملكة المغربية ، والسيد ميراغطموف مير صالح عضو المجلس الديني ووكيله فى جمهورية اوزبكستان ، والسيد كادوكوف ميخائيل من موظفي المجلس ، والسيد تشيمودين مراسل وكالة نوفوستي وامام مسجد موسكو وعضو لهيئة الادارة الدينية لمسلمي اوربا وسبيريا السيد أحمد جان مصطفى ...

وبعد تبادل التحايا بين اعضاء الوفد ومستقبليه غادر مطار موسكو العظيم ممتطيا سيارات خاصة ، متوجها الى النزل الذي اعد لاقامة اعضائه .

كان الجو صحوا ، وشمس الاصيل تنفض تبرها على سطوح المنازل ، وحواشي الافق ، والطبيعة الغناء ترقص فرحة ضاحكة بعد ما اجهدها فصل قارس البرد شديد الزمهرير ، يخترق الثياب الى اللحم فالعظم .

وموسكو المتفتحة ، تستقبلك ببشاشة وبشر وحبور وانشراح ، وقد تبدت فى حلة رائعة اضفاها عليها فصل الربيع الجميل الضاحك الذي يملأ الجو عطرا ، والعيون سحرا ، والقلوب فتنة وبهاء .

وابن الاعربي (ابو عبد الله محمد بن زياد ت 225 هـ ـ 839 م) ، وابن حبيب (ابو جعفر محمد ت 245 هـ ـ 859 م) ، وابن السكيت (ابو يوسف يعقوب ت 245هـ ـ 859 م) ، والطوسى (ابو الحسن علي ابن عبد الله ت 250 هـ ـ 864 م) ، والسكري (ابو سعيد الحسن ابن الحسين ت 275 هـ ـ 888 م) ، وابن الانباري (ابو بكر محمد بن القاسم ت 271 هـ ـ 885 م) ، وثعلب (ابو العباس أحمد بن يحيى ت 291 هـ ـ 904 م) وهي طبقة جعلت همها الاول ترتيب واكمال وتدوين ما انتهى اليهم من علماء الطبقتين الاولى والثانية ، ومعهم بدأ التخصص فى الدرس يعرف طريقه ، وبهم بدا التدوين يصبح محور الثقافة واداتها .

الدكتور طاهر أحمد مكي



السيد ضياء الدين بباخانوف وهيئة الاستقبال بمطار موسكـو في انتظار الوفد المغربـي

اعضـاء الوفد المغربـي لدى نزولهم الطائرة ومغـادرتهـم مطـار مـوسكـو

لقد دبت الحياة فى هذا الفصل فى كل شيء ، فانتعشت الغصون الذابلة التي كان يجللها الثلج ، وتفتحت الافنان السليبة وقد اخذت تتضوع بعبير الخمائل ، وتنتشي بمرح الطيور ، وتسكر برياحين الرياض والغياض .

هكذا استقبلتنا موسكو الضاحكة ، التي طاب نسيمها ، ورق هواؤها فى فصل الزهور والرياحين ..

وهكذا وجدنا مستقبلينا الذين اظهروا من الحفاوة والاكرام ، والبشاشة والترحيب ما سيبقى عالقا بنفوسنا وهو يحمل اجمل الذكريات ...

وقد رافق الوفد فى جميع تنقلاته داخل الاتحاد السوفياتي شخصيات مرموقة ، لها مقام معلوم ، ومكانة فى بلادها ، كالمفتي السيد ضياء الدين والسيد ميراكزاموف « صالح » ممثل مجلس الشؤون الدينية لدى المجلس الوزاري للاتحاد السوفياتي ، والسيد شاكروف « يوسف » مترجم ، والسيد تشيمودين مراسل وكالة الاخبار بنفوستى ، والسيد اكاميتشين ممثل الادارة الدينية الاسلامية بموسكو ، وثلاث صحفيين لاخذ المعلومات والافلام عن حركات الوفد المغربي وتنقلاته فى رحلته عبر اقطار الاتحاد السوفياتي .

وكان أول عمل قام به اعضاء الوفد فى اليوم التالي هو زيارتهم للمجلس الاعلى للشؤون الدينية بمدينة موسكو ، حيث كان فى استقباله السيد بارمينكوف اليكس الذي رحب بهم ، وتمنى لهم اقامة طيبة فى الاتحاد السوفياتي وجمهورياته الاسلامية راجيا من اعضائه ان يطلعوا على الحرية التي يمارس المسلمون بها شعائرهم الدينية فى الاتحاد السوفياتي فى امن وسلام ، ويقفوا فى عين المكان على الجهود التي تبذلها الحكومة الاتحادية لاسعاد المواطنين المسلمين .

وبعدها تناول رئيس الوفد المغربي الكلمة فشكر حكومة الاتحاد السوفياتي والادارة المركزية للشؤون الدينية على دعوتها الكريمة ، وحفاوتها البالغة بالوفد المغربي الذي عينه صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله بمجرد بلوغ الدعوة الى الحكومة المغربية ، وذكر لهم الروابط القديمة والحديثة التي تربط المغرب بالاتحاد السوفياتي ، والتي توجت بالرحلة الملكية الميمونة التي قام بها صاحب الجلالة نصره الله فى عام 1966 ، كما تمتنت بالاتفاقيات الاقتصادية والثقافية المبرمة بين البلدين ...

وبعد هذه الزيارة التي قام بها الوفد المغربي للمجلس الاعلى للشؤون الدينية بمدينة موسكو اقام هذا المجلس حفلة غذاء تكريما للوفد المغربي ، وقد تبودلت أثناء هذا الغذاء كلمات بين السيد باباخانوف ورئيس الوفد المغربي ، حيث اشاد السيد باباخانوف بالروابط الاسلامية التي تربط المسلمين المغاربة وبين اخوانهم مسلمي آسيا الوسطى ، كما نوه بعناية صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده بالوفد الاسلامي للاتحاد السوفياتي لدى زيارته فى شهر رمضان المعظم بمناسبة ذكرى نزول القرءان الكريم ، وتمنى للوفد المغربي اقامة طيبة حتى يحملوا معهم الى بلادهم ارتسامات لطافا وصورا حية عن اخوانهم المسلمين بالاتحاد السوفياتي ...

وقد اجابه السيد رئيس الوفد المغربي الذي تحدث عن مبادىء الاسلام السمحة ، ومبادئه السامية، واصوله العامة مشيدا بالمواقف البطولية الفذة التي نهض بها الاسلام عبر القرون ، فى حدود لا اكراه في الدين ، لان الاسلام دين عام خالد، وقد بلغهم عناية صاحب الجلالة بالمسلمين وتحياته السامية ، واثنى على جهود سماحة المفتي الشيخ ضياء الدين بباخانوف لخير الاسلام والمسلمين الذي يعتبرونه نقطة اتصال بين مسلمي آسيا الوسطى والجمهوريات الاسلامية ، وبين العالم الاسلامي .

* * *

ومعلوم ان الاتحاد السوفياتي يضم ست جمهوريات اسلامية ، فيها أغلبية كثيرة من المسلمين، وهذه الجمهوريات هي : عزبكستان ، وتاجيكستان ، وتركمانستان واذربيجان ، وقازاكستان وفرغستان . وهذه المناطق تعد من الاقطار التي للمسلمين فيها الغلبة العددية . غير انها فى الواقع لا تعدو ان تكون مجرد مقاطعات خاضعة لموسكو ...

ومعلوم – ايضا – ان الدستور السوفياتي افرد بابا خاصا لتنظيم الشؤون الدينية ، وبيان موقف الدولة منها . اذ ليس للاتحاد السوفياتي دين رسمي ، اذ كل بيوت العبادة فيه تتمتع بحقوق متساوية .

فالمادة 124 من الدستور تقضي بانفصال الكنيسة عن الدولة ، وانفصال المدرسة عن الكنيسة ، بمعنى انه لا يسوغ للكنيسة ان تتدخل فى النشاط السياسي للدولة ، وليس للدولة ان تتدخل في شؤون الكنيسة او المسجد ، ولا تمولهما بنقود ، بل ان المسلمين هم الذين يتبرعون باخراج الصدقات ، وما افاء الله عليهم من مال لمساعدة العلماء والائمة

السيد الوزير مع رئيس قسم افريقيا بوزارة الخارجية للاتحاد السوفياتي



السيد الوزير بين السيد ضياء الدين ، والوزير للشؤون الدينية بالاتحاد السوفياتي في قاعة الانتظار بمطار موسكو

لاحياء الدين الاسلامي ، واقامة شعائره فى ارجاء الاتحاد السوفياتي ، ولا سيما بعد تأميم الاوقاف من قبل الحكومة السوفياتية .

وقد اشار الدستور السوفياتي ـ ايضا ـ الى ان الدولة لا تفرق بين المواطنين بسبب دينهم ، ولا يسوغ ان يثبت دين المواطنين فى الوثائق الرسمية ..

فالديانة مسألة شخصية تخص المواطن وحده وترجع اولا واخيرا الى ضميره وعقيدته . ويتجلى ذلك بصفة خاصة فى حياتهم العملية ، فقد ادلى الرئيس السابق السيد خروتشوف بتصريح اثناء زيارته للهند فى احتفال اقامه السيد غلام محمد رئيس وزراء كشمير يقول فيه :

« ان مسألة العقيدة هي مسألة تتعلق بضمير هذا الشخص او ذاك ، وهذه او تلك ، ووفدنا هذا يضم بين اعضائه ، جابر رسولوف ، وزهرة رحيمبا بابيفا ، وشرف رشيدوف ، وهم يمثلون ازبكستان ، وتاجيكستان ، وشعوب هذه البلاد تعتنق الاسلام .. »

غير اننا نجد مادة فى نص دستورهم تقول :

« لكي يتمتع المواطنون بحرية الضمير تفصل الكنيسة فى الاتحاد السوفياتي عن الدولة ، والمدرسة عن الكنيسة ، وتكفل لجميع المواطنين حرية العبادة الدينية ، كما تكفل لهم حرية الدعوة ضد الدين » .

ويتضح من هذا النص الصريح ان الملحدين قد وجدوا ضالتهم المنشودة ، لحمل سلاح مشروع لشن حملاتهم المتوالية ضد الاديان فى ظل القانون ورعايته !!

* * *

والاغلبية الساحقة من المسلمين فى الاتحاد السوفياتي من اهل السنة ، ويوجد عدد كبير من الشيعة في جمهورية اذربيجان ، وفى الجمهوريات الاسيوية الوسطى ، وفى انحاء متعددة من الاتحاد السوفياتي .

وقد انشأت الحكومة الاتحادية مجلسا لمسائل الطقوس الدينية ، وهذه المجالس تساعد الهيئات الدينية على حل المسائل التي يحتاج حلها الى تدخل السلطات او المنشئات الحكومية، وتراعي هذه المجالس التطبيق الصحيح لحرية العقيدة ، وحرية العبادة كما نص عليها الدستور .

والادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاغستان تعتبر اليوم مركزا روحيا للمسلمين ، يقوم بتوجيه وتسيير الامور الدينية . وتنتخب هيئة رياستها العليا من قبل ممثلي جميع مناطق آسيا الوسطى وقازاغستان فى المؤتمر الذي ينعقد فى كل خمسة اعوام ، وهي عبارة عن احد عشر عضوا يلقب الرئيس بالمفتي ، وهو اليوم الشيخ ضياء الدين باخانوف ونائبه بمعاون الرئيس ، وهو الشيخ اسماعيل المحذوم الذي حج هذه السنة على راس وفد كبير من المسلمين ، والباقون بالاعضاء ، وهم يعملون فى مناطقهم بالوكالة عن رئاسة الادارة الدينية .

ففي كل جمهورية عضو ممثل دائم يشرف على شؤون الاسلام فى نطاق الجمهورية ، ويبلغ المسلمين الارشادات والفتاوي الدينية التي يتلقاها من المركز . كما يقوم بالقاء الخطب الدينية فى المساجد تختلف مواضعها حسب توجيهات الآيات القرءانية، والاحاديث النبوية ، ويرسل التعليمات الى خطباء الجوامع والمساجد فى تلكم الجمهوريات . ففي جمهورية قازاغستان يشغل وظيفة ممثل الادارة فضيلة الشيخ مقصود حاجي ابن نظربيك . وفى تركمانستان الشيخ آتاجان بن عبد الله ...

كما ان للادارة الدينية دستور عمل خاص يسمى « بميثاق الادارة » ، وتتخذ جميع تدابيرها المتعلقة بشؤون الدين وغيرها حسب مواد هذا الميثاق .

والهيئة العليا للادارة الدينية مكونة من ثلاثة اشخاص . رئيس . وعضوين . هذه الهيئة تجتمع كل ثلاثة أشهر لبحث القضايا المتعلقة بشؤون الدين . وكثيرا ما يشترك فى جلسات الهيئة جميع ممثلي الادارة فى الجمهوريات الستة ، وأعضاء لجنة التفتيش الذين يستمعون الى تقريرات رئيس الادارة عن اعمالها ومشاريعها ، وهم من جهتهم ايضا يقدمون التقريرات عن اعمالهم وأحوال المساجد والجوامع وطلبات المسلمين عامة ..

وفى مستهل كل سنة تجتمع الهيئة لجلستها الرئيسية التي تصادق عادة على الميزانية السنوية ويحضرها الاعضاء ، وفى كل سنتين على الاقل يعقد اجتماع عام لاعضاء الهيئة العليا والممثلين ومندوبي المسلمين من الجوامع ، ويتناولون البحث فى تحسين شؤون وامور المساجد وعمرانها ، وشؤون التعليم والتدريس فى المعهد الديني والوعظ والارشاد وغير ذلك ...

وحسب ميثاق الادارة الدينية ، فان جميع خطباء الجوامع وائمتها يختارون من قبل الادارة الدينية ، وهي التي تقرر صلاحية اولئك الرجال لاداء المهام الدينية ، وتعزلهم عن وظيفتهم اذا تبين عدم صلاحيتهم لتلك الوظائف ..

ولما اجتاح المغول بلدانهم كان اكثر هؤلاء صاروا مسلمين من اشد أنصار الاسلام ، واحمسهم فى بث دعوته ، ونشر عقيدته ، وان اكثر اشراف الطاغستان يدعون انهم من اصل عربي ، وان آباءهم قدموا مع مسلمة بن عبد الملك .

وان صفحة الامة التركستانية فى ميدان الحضارة والمجد ، والبطولة والعز لهي صفحة مشرقة القسمات تنبض بالحيوية والحماس ، وتتحدث اليك سطورها عن جنودها الابطال ، وابنائها الغر الميامين من حكماء وعلماء الذين نبغوا فى شتى العلوم والمجالات ، والذين ما برحت اسماؤهم اغرودة حلوة عذبة لكل من يتغنى ويشدو بمفاخر الاسلام ، وعظمته الاولى ...

والتركستان تعتبر اليوم من أغنى بلاد العالم ، بثروتها المعدنية ، بخصوبة ارضها ، بوفرة مياهها ، بجمال طبيعتها ، بعبقرية رجالها ، بما فيها من البترول والاورانيوم ، والحديد ، والبلاتين ، والفحم والذهب وغيرها من المعادن ، كما يزرع فى ربوعها القطن والقمح، لذلك كانت عرضة لهجومات متوالية ...

هذه الامة التركستانية ذات التاريخ الامجد والعز الاقعس ، والسناء الاسنع ظل مسلموها يقاومون الظلم ، ويناضلون الطغيان الى آخر رمق ، والى آخر نقطة ، والى آخر لحظة فى سبيل المحافظة على عقيدتهم وديانتهم ورسالة السماء .

عدد المسلمين بالاتحاد السوفياتي :

من الصعب جدا ان يظفر السائل بعدد المسلمين بالاتحاد السوفياتي . فالاحصائيات الرسمية بالاتحاد لا تعطي العدد المضبوط للمسلمين لانها لا تقوم على اساس الدين ، لانه غير معترف به كوسيلة لتكوين قطاع اجتماعي ، ولان الاديان لم تعد عناصر مميزة بين السكان ، ولهذا فمن العسير ان يحدد ضبط تعداد المسلمين داخل الحدود السوفياتية ، اذ ان الاحصائيات الوحيدة التي يمكن الاستناد اليها ترجع الى عهد القياصرة فى عام 1897 ، فقد دلت وقتئذ على وجود نحو خمسة عشر مليونا من المسلمين .

والعجيب انه طبع اخيرا كتاب عن حياة المسلمين فى الاتحاد السوفياتي صدر عن الادارة الدينية لمسلمي قسم الاتحاد السوفياتي الاوربي وسيبريا ، ذكر بان عدد القاطنين من المسلمين فى الاتحاد فى الوقت الحاضر يبلغ اكثر من 15 مليون مسلم .

مع انه قد اجريت احصائيات خلال عامي 1926 ـ 1939 لم يراع الدين فيها ، وانما روعيت التبعية العنصرية ، وقد اتضح من هاتين الاحصائيتين ان عدد المسلمين قد صار من 18 الى 21 مليونا فى مختلف انحاء الامبراطورية السوفياتية .

ويسود الاعتقاد عند آخرين بان عدد المسلمين فى العقد الاخير يبلغ نحو 25 مليون نسمة ، اي ان نسبتهم تبلغ 12 ٪ من مجموع عدد الرعايا السوفياتيين

ونحن نعتقد بان عدد المسلمين يربو على اربعين مليون نسمة .

فمنذ سنة 1921 سال امير البيان شكيب ارسلان الذي ذهب الى موسكو لتفحص الاحوال عن قرب الشيخ عبد الودود فتاح الدين قاضي المسلمين في موسكو وبتروغراد عما يقال عن عدد المسلمين بالاتحاد السوفياتي كله : فقال له : « فى ولايات قازان ، واورنبورغ ، واوفا ، وتوابعها مع الباشقرد 5 ملايين. والقرغيز 5 ملايين ، وتتر سبيريا نصف مليون ، وولايات تركستان ، طشقند ، سمرقند ، وخوقند 12 مليون ، وبخارى مليونان ، وخيوة مليون واحد ، فهذه 25 مليونا ونصف مليون ...

قال امير البيان لمحدثه : « وفى القوقاز ثلاثة ملايين الى اربعة طاغستانيون وجركس ، وثلاثة ملايين فى اذبيجان وكرجستان ، ونصف مليون او اكثر في القريم ، فهذه نحو 33 مليونا .

فوافق السيد عبد الودود الامير شكيب على هذا القول .

ثم سأل امير البيان المجاهد غير الشيخ عبد الودود حتى ممن كانوا اذذاك من اعضاء مجلس الدوما الروسي ، فقال ان عدد المسلمين نحو 35 مليون نسمة

هذه لمحة سريعة عن حياة المسلمين بالاتحاد السوفياتي وعددهم ، وقد اتينا بها قبل زيارة الاماكن والبلدان التي سنتحدث عنها فى اعدادنا المقبلة حتى يكون القارىء الكريم على بصيرة من حياة المسلمين فى هذه الاقطار الشاسعة الاطراف المترامية الاجزاء .

زيارة سريعة لمعالم مدينة موسكو

قام الوفد المغربي بزيارة سريعة فى يومه الاول لمعالم المدينة الباسمة التي كانت سماؤها فى ذلك اليوم صافية الاديم ونسيمها فاتر عاطر ، وقد بدت على

ولدى الادارة الدينية معهد لتدريس العلــوم الدينية ، واعداد رجال العلم لتغطية حاجات الوعـظ والارشاد ، ونشر علوم الدين بين عامة المسلمين في أرجاء بلاد آسيا الوسطـى وقازاغستــان المتراميـة الاطـــراف .

وسماحة المفتي ونائبه وسائر مسؤولي الادارة الدينية يقومون ، بانتظام ، برحلات الى المدن والقرى للتفتيش فى اعمال المساجد والجوامع ودراسة حاجاتها وامكانيات اصلاحها وغيرهـا ، ويجرون المقابـلات ، ويقيمون الحفلات الدينية فى تلك المناطق .

والنظارة الدينية الاسلامية التي يشرف عليها السيد المفتي ضياء الدين توجد بطشقند عاصمـة الجمهورية الازبكية ، وهي تخدم مصالح المسلمين ، وما ذكر من المراسم الدينية والاحوال الشخصيـة ، ولديها من الموظفين ما يبلغ عدده اكثر من ستمائـة موظف ديني من النواب والقضاة والمفتشين والائمـة الكبــــار .

ويمكن تقسيم المراكز الدينية الاسلامية كما ياتي:

1) المركز الديني الاسلامي فى الاول والقديم ، وهو مركز النظارة الدينية للمسلمين فى بلاد سيبريا والقسم الاوربي ، ورئاسته للسيد احمد جان مصطفى خطيب المسجد الجامع بموسكو .

2) المركز الثاني بآسيا الوسطى ، وبها خمس جمهوريات : عزبكستان . تاجيكستان . وقازاغستان وفرغستان وتوركمانستان . والمركز الديني الاسلامي فى طشقند عاصمة اوزبكستان ، وهذه الجمهورية تضم كثيرا من البلدان الاسلامية والمؤسسات العليا للعلـم والعرفان فى مختلف العصور كسمرقند . وبخـارى وفرغانة ، وترمذ ، ونسـف ، وخوارزم ..

3) المركز الثالث للادارة الروحية للمسلمين فيما وراء القوقاز باذربيجان ، والمذهب الشائع في هذه المناطق شيعي جعفري ، وفى البلاد التابعة لهذا المركز الثالث كثير من السنيين . وللشيعة شيـخ الاسلام ، وهو اليوم السيد علي آغا سليمـان زاده .

ولاهل السنة مفتي اسلام وهو السيد احمد افندي.

ومقر ادارة هذا المركز مدينة باكو العظيمة التي تشرف على بحر الخزر او قزوين بالجمهورية الاذربية .

4) المركز الرابع للادارة الدينية الاسلاميــة للمسلمين فى مقاطعات داغستان والقرم ...

* * *

هذه المراكز تقع كلهافي آسيا الوسطى .. وآسيا الوسطى عبارة عن اربع جمهوريات داخلة ضمن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية التي تبلغ خمسة عشر جمهورية وثلاث مقاطعات ...

وقد كانت آسيا الوسطـى تعـرف فيما قبـل بالتركستان ، وهي بلدة اسلامية صميمـة خالصـة ، ومساحتها تقدر بنحو 5.988.000 كلم2 وهي شرقية وغربية ، اما الشرقية فهي تئن تحت نير الاستعمـار الصيني ، واما الغربية فهي ضمن الاتحاد السوفياتي.

كانت التركستان مهدا لرجال الدين والعلـم ، ومركزا للفن والادب ، وموطنا للدول المستقلة الحرة والامبراطوريات الذائعة الصيت فى العصور المتعاقبة قبل الاسلام وبعده .

وقد دفع العرب المسلمين الذين فتحوا تلـك البلاد الشاسعة الاطراف ايمانهم الصادق وعقيدتهم الراسخة الى ان يتجشموا تلك المخاطر، ويركبوا المخاوف غير مبالين فى سبيل نشر العقيدة الاسلامية ، بتلـك الصحاري المجدبة ، والاجزاء الماحلة ، والقفار الواسعة، يحفزهم الى ذلك شرف المقصد ، وبعد الهمة ، ونبل الغاية ، واعلاء كلمة الله ، ونشر العقيـدة ، واخـراج الناس من الظلمات الى النور .

فقد فتحوا بلاد ما وراء النهر بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي الذي وجهه الحجاج بن يوسف الثقفي فى عام 65 — 671 م فقد خاض حربـا عوانا لنشـر عقيدة الاسلام ، وبث الدعوة المحمدية بين السكان .

وفى هذه الحملة الاسلامية ، كتب الشاعر عبـد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ، اعشى همدان قصيدة عن أحداث هذه السنة ، لانه كان جنديا فى الجيـش الذي وجهه الحجاج لفتح بلاد ما وراء النهر .

ومن توافق الصدف أن أقدم (مصور جغرافي) فى العربية يعود الى هذا الجيش ، فعندما استبطـأ الحجاج حصار قائده لبخارى ، ارسل اليه يطلب منه (مصورا جغرافيا) للمنطقـة ، وعندمـا تلقى هـذا (المصور) درس الوضع الحربي فى ضوئه ، وارسل الى القائد بتعليماته .

وفى خلافة هشام بن عبد الملك فتحوا الطاغستان عام 105 ، ووطد اخوه مسلمة الحكم العربي فى تلك الديار ، وكانت ثغرا من ثغور العرب ، ومنها انتشـر الاسلام فى تلك الاقطار بعدما كان الاهالي من قبـل وثنيين ويهودا ونصارى .



اعضاء الوفد المغربي ينزلون من الطائرة وهم السادة الاساتذة : عبد الكبير الفاسي ، عبد الرحمن الدكالي ، عبد الله كنون ، محمد بن عبد الله

فى هذه اللحظة جمع كوتوزوف جموعا جديدة لحماية الوحدة وقرية سيمينوفسكايا .

حوالي الثانية زوالا استانفت الحرب بشدة ودامت حتى الليل : وكان عدد القتلى والجرحى 5800 رجل فى مدة خمسة عشر ساعة . ووجد نابليون نفسه مكرها على الرجوع بعساكره الى نقطة الانطلاق والجيش قد وقع فى غماء ، فلا يعرف له قائد ، ولا علم . وقد جمدهم الصقيع ، وغشاهم البرد .

وربحت المعركة من طرف الجيوش الروسية .

هذه اللحظات العصيبة من المعركة هي التي صورها الرسام روبو فى لوحته ...

وان المرء ليقف مشدوها واجما امام هذا المنظر الرائع ، الذي يخيل اليك وانت تراه ، انك تحضر المعارك الحية ، وتفشى صفوف المقاتلين ، وتتخطى الاشلاء والاعضاء فى صمت واعتبار .

والحق انه قد يكون ترك الوصف ابلغ من الوصف لهذه اللوحة الرائعة فى معرض بنوراما .

الى لينينغراد :

(يتبع)

الرباط : محمد بنعبد الله

سكانها امارات البهجة والانشراح ، وتالقت وجوههم ببسمات الغبطة والانبساط ، لانهم استقبلوا شمسا جميلة منعشة ، وسماء حافلة بالسحر والجمال ، وجوا ضاحكا تنتشر فيه سكينة الدفء فهم يذرعون فى نشوة وزينة شوارعها الفسيحة ، واحياءها العصرية الرائعة التي تمتاز بعمارات جديدة لا تغلو فى الارتفاع ، وانما الى الحد الضروري الذي يقدر بقدره ، ويبقي للمدينة بهاءها ورواءها ، وتفتحها واشراقها ، وقد فرشت ارضها او كادت ، بالكلأ الاخضر الناضر الذي ينم عن انه ارتوى حتى طفح .. تتخلله اشجار ذات اوراق يانعة ، ورياحين يتضوع اريجها عطرا وشذى مما يترك الانسان يهيم فى الجمال والفتون ...

والحق ان هذه المدينة لا توحي بالجهامة والقتامة كغيرها من العواصم الاوربية ، وانما تحتضنك وانت داخلها فى وداعة واحتفاء ، وشوق وبشاشة ...

عرجنا على جامعة موسكو ، ولم تتيسر لنا — لضيق الوقت — زيارتها ، وانما علمنا بان بناءها ابتدأ فى عام 1948 ، وانتهى عام 1953 ، وهي تضم 288.000 غرفة على الطراز العصري الحديث ، وبها مغاربة يتلقون دراساتهم العليا ...

ثم توجهنا الى بنوراما ، وهي عبارة عن معرض ذي منظر عجيب عملاق ، وفن ينم عن العبقرية الانسانية، ومدى ما وصلت اليه رهافة الذوق وفرط الاحساس مما ينتزع الدهش والاعجاب من الانسان .

وقد افتتح هذا المعرض العظيم الرائع فى سنة 1962 بمناسبة ذكرى مرور 100 سنة على الحرب الوطنية لسنة 1862 التي تشخص معركة بورودينو المشهورة التي وقعت عن بعد 120 كلم من موسكو بين الشعب الروسي وجيوش الامبراطور الفرنسي نابليون الذي غزا تقريبا كل اقطار اوربا الغربية .

وقد كانت هذه المعركة اهم حدث تاريخي فى هذه الحرب حيث لقبها نابليون ب « صراع العمالقة » ، وكتب عنها فى مذكراته : « ان معركة موسكو كانت اصعب المعارك التي خضناها رغم المجهود الجبار الذي بذلناه فيها » .

فلا غرو اذا اصبحت حقول قرية بورودينو فخر حرب روسيا .

بنى معرض « بنوراما » من قبل مشروع المهندسين اللامعين ، واهم شيء فيه يثير الاعجاب والدهش هو المنظر العملاق لمعركة بورودينو الذي انجزه الرسام الشهير الذائع الصيت « فرانتز الكشفش روبو » .

هذا المنظر الرائع الذي رسم فى قماش ، محيطه 15 مترا ، طوله 115 مترا) تتحد فيه كل الاشياء التي وقعت فى المعركة ، وكانك — اطال الله حياتك — فى صميمها ، فكل الصور فيه تنبض بالحياة تحكي ساعاتها الخالدة ، فيبدو لك وكانك نعيش تلك اللحظات المروعة ، والساعات الحرجة التي اصبغ عليها الرسام « روبو » لونا من عبقريته وعظمته . انه ينقل اليك، بأمانة وصدق ، تلك اللحظات الحرجة من معركة بورودينو التي ابتدات فى ساعة مبكرة .

انك حقا تشاهد الجناح الايسر من الجيوش الروسية ، التي تحمي قرية سمينوفسكايا المسرح الاساسي لهجومات الفرنسيين . والتي كانت تحت قيادة الجنرال بكراسيون .

ما هي احداث هذه اللوحة التي تسجل هذه الحقبة التاريخية من حياة الشعب الروسي اذذاك ..؟

حوالي الساعة الثانية عشرة زوالا قاوم الروس سبع هجومات من هجومات العدو ، غير ان الهجوم الثامن اضعف الجيوش الروسية ، فتراجعوا الى الوراء ، بعد خسائر فادحة فى الارواح والعتاد ، وجروح خطيرة لحقت بالجنرال باكراسيون ..

لقد كان التراجع فى انتظام الى ما وراء حافة سيمينوفسكي .

وفى الصباح هاجم الفرنسيون قلب الجيوش الروسية ، فتكسرت هجماتهم ، وقضي على اول هجوم فى الساعة العاشرة صباحا ...

ثم هاجم الفرنسيون هذه الوحدة مرة ثانية ، واستطاعوا ان يصلوا اليها ، لكن الروس ولوهم الادبار بعد عراك عنيف ...

هاجم المشاة الاشداء ، بالمدافع الثقيلة قرية سيمينوفسكايا ، لكن المدفعية الروسية التي بعثت من طرف الكومندار الروسي الكبير كوتوزوف باغتت الجيوش الفرنسية من الوراء .

وجم نابليون من شدة هذه الضربة المفاجئة واحتار فى امره حتى انه اوقف لمدة ساعتين فصول هذه المعركة الدامية .

القلوب ، تعودوا على تصور ان يعيش هذا الطبيب، بقلبه المستعار ، وان يواصل حياة عادية كما يؤكده المحيطون به ، ومن الجائز ان يفضي علم زرع القلوب الذي لا يزال فى بدايته الان ــ من الجائز ان يفضي الى تطور متسلسل ، يكون من نتائجه انشاء ابناك للقلوب، مثل ما هنالكمن ابناك لبعض الاجهزة والمواد الجسمية الاخرى التي امكن ان تنشأ لها ابناك ، على انه اذا كان من السهل ، ان يتلقى المرء نجاح هذه المآثر او تلك ، ثم يتعود ذلك فلا يعود يلقى اليه بالا فيما بعد ، فليس من السهلبنفسه المقدار- حل جميع المشاكل الانسانية التي يحدثها التقدم العلمي من هذا القبيل ، وهي مشاكل عديدة ومتنوعة ، ولها من الاوجه ما يذهب فى مجال التشعب الى حد كبير ، ومن الجائز القول ــ بهذا الصدد ــ ان علم زرع القلوب ــ اذا كانت له جوانبه العلمية الطبية ، فان له أيضا جوانب أخرى ، لا تقل اهمية عن غيرها ، والمراد بذلك ، الجوانب الفكرية والسيكولوجية والاجتماعية التي تتصل بهذا الموضوع على نحو او آخر ، وتتبلور من خلالها مشاكل كثيرة تتعلق بها صورة او غيرها ، فهناك اذن ــ على هذه الحال ــ تقنيتان ، تدخلان فى موضوع القلوب هذا . احداهما لها صبغة تأسيسية ، وهي التقنية الطبية المتعلقة بعملية الافسال نفسها ، والثانية من هاتين التقنيتين لها صبغة فرعية ، وهي التقنية القانونية فى الموضوع اي مجموع السبل والوسائل الفكرية التي تتخذ بشكل او بآخر للتغلب على المشاكل الاخلاقية ، التي يحدثها طب الافسال هذا . سواء اكانت هذه المشاكل متعلقة بالافراد ، كل على حدة ، او بالجماعة فى عمومها ! وهذا الجانب من الموضوع ، الجانب القانونيهو الذييعني بطبيعة الحال الحقوقيين والمشرعين ورجال الفكر بصورة أعم ، اولئك الذين يدخل فى حسبانهم ــ على الخصوص قضية الحق والكرامة والمشروعية فى حياة الناس ، وعلاقة بعضهم ببعض . ويلح عليهم اكثر ما يلح ، ان تسير الاشياء باتجاه منطقي متوازن . او ما يبدو انه كذلك .

على ان هنالك مداخلة اخرى تتصل بالموضوع ، موضوع زرع القلوب وقد لا يكون للحقوقيين والانسانيين فيها تدخل مباشر ، لان لها اتصالا بعالم الطب والعلاج اكثر مما لها من ارتباط بأمر الحقوق ، وما يدخل فى ضمن ذلك من قضية العلائق بين الناس وتنسيق المصالح القائمة فيما بينهم ، هذه المداخلة التي نشير اليها ، تتعلق بأمر العواقب النفسية التي قد تنشأ عن عمليات زرع القلوب فى الامد البعيد ، اي ما يمكن ان ينتج عن حالة تداخل الاجسام الغريبة بعضها مع بعض من آثار محتملة على نفسية الفرد الذي يتحمل جسمه هذا التداخل ، ويتحمل بالتالي النتائج القريبة والبعيدة ، المترتبة على ذلك .

وعلى الرغم من اهمية الجانب النفسي فى موضوع من هذا القبيل ، فان هذا الجانب لا يشغل من الاهتمامات ، مقدار ما تشغله الجوانب الاخرى من امر زرع القلوب ، ولعل مرجع ذلك ، هو ان الملابسات النفسية فى قضية زرع الاعضاء ، لا تبدو ذات اهمية ملحة فى الوقت الحاضر ، بل ولا يظهر لهذه الملابسات الان وجود موضوعي يبرز العناية بها مثل ما تنصرف العناية الى الجوانب الجراحية والقانونية فى هذا المجال والعملية الجراحية هذه ــ كما أسلفنا- اساسجوهري فى الامر ، ومن عوامل الاهتمام بها ، ان الجراحة على هذا النحو ، هي من احدث ما عرفه الطب من انواع الجراحة ، ومن ثم ، فمن الضروري ان تتركز الانظار العلمية حول طبيعة هذه الجراحة بالذات ، واي الطرق انجع واشد فاعلية فى هذا المضمار ، ومن الضروري ايضا ان تتركز الانظار ــ ربما بقدر اقل ــ ولكنها تتركز على اي حال فى موضوع الحق الانساني الذي تمسه القضية من جانب او آخر ، حق الفرد الذي ينتزع منه العضو ، وايضا حق الفرد الذي ينقل اليه ، فالانسان محور العملية من اساسها ومن ثم ، فان القيم والمثل التي تتحقق منها انسانيته ، توجد هي من جهتها ــ محورا رئيسيا فى الامر ، اضف الى ذلك ، ان الموضوع بهذا الشأن ــ غير منحصر فى النطاق المثالي ، وما يندرج فيه من مبادىء ومثل ، بل انه يمس كذلك ــ وبصورة اكثر ــ جانب الحياة العملية ، حياة الناس اليومية ، اذ ان عمليات زرع القلوب ــ اذا ما ترسخت فى تقاليد الطب وصارت عملية مألوفة من عملياته ، فانها ستدخل بذلك طابعا شديد الالحاح على واقع الحياة اليومية ، وبالنتيجة لذلك ، فان المجال الذي تفتحه ــ مجال الاحتكاك بين مصالح الناس ، لا بد ان يتسع ــ بسبب هذا ــ اكثر فاكثر ، وتتسع معه جملة المسائل القضائية وغيرها مما قد يثيره ذلك على صورة او غيرها ، وكل هذه الاعتبارات وكثير غيرها ، قد ألبست موضوع زرع الاعضاء اهميته القانونية المتزايدة ، وجعلت الموضوع، فى اوربا مثلا مجالا لكثير من الاخذ والرد الفلسفي والقانوني بل ونقلت القضية فى اطارها الحقوقي هذا الى المحافل السياسية والقانونية العليا فى عدد من اقطار الغرب ، كبريطانيا وفرنسا وايطاليا وغير هذه

وجه آخر من وجوه التداخل بين العلم والقانون :

عمليات زرع الأعضاء من زاوية أخلاقية وحقوقية

للأستاذ : المهدي البرجالي

التوسع فى البحث القانوني ظاهرة من ظواهر العصر ، مثل ما هو الحال ايضا بالنسبة الى التوسع الهائل ، الذي يعرفه العلم المادي ، والتفنولوجيا الناشئة عنه .

وقد تعرضنا فى فصول سابقة ـ ضمن « دعوة الحق » ـ الى اوجه مختلفة من ظاهرة التوسع القانوني هذا ، وبالاخص ما يتعلق من ذلك بموضوع الارتياد الفضائي ، وتطورات وسائل الاعلام الحديثة ، وفي هذين الموضوعين ، لايزال البحث بكرا الى حد ما ، وما فتئت المسائل من هذا القبيل ، موضوع توسع فى البحث والنظر قبل ان تنال درجة كافية من الرسوخ والاصالة

ونتعرض فى الفصل الحاضر الى قضية اخرى من قضايا التوسع القانوني الحديث هي من احدث القضايا من هذا القبيل ، ومن اكثرها اخذا بالاهتمامات العامة فى الوقت الراهن ، ونريد بذلك ، حالة زرع القلوب ، او افسال القلوب ، وهذه الحالة قد فرضت نفسها على مدار الاهتمام القانوني ، بعد ان تكررت بقدر غير يسير ، وتعددت الاحوال والصور التي ظهرت بها ، واختلفت النتائج التي استقرت عنها . وما تزال مع ذلك فى البداية ، وحقيقة التطور تدفع بها ـ ولا شك ـ الى توسع متزايد .

فما هي الاوجه القانونية التي تبدو بها قضية « زرع القلوب » ؟ وعلى ماذا تقوم هذه الاوجه القانونية ، والى اي مدى تذهب اليه ؟

فى الثالث من شهر دجنبر من السنة المنصرمة ، صل الدكتور « برنارد » الى تحقيق المأثرة الطبية ، ني اصبحت شهيرة الان فى تاريخ الطب ، والتي رف عند البعض باسم « عملية مدينة الراس » .

لقد بدت القضية فى اول امرها مدهشة الى حد يقارن الا بشعور العجب والمباغتة الذي احدثه في عالم ، اطلاق اول كوكب فضائي فى اكتوبر من سنة 195 ! وبطبيعة الحال ، فان الاثارة التي احدثتها عملية مدينة الراس » قد فقدت حدتها فيما بعد مرور بضعة اسابيع فقط ، والان فان انباء زرع نلوب او افسالها قد غدت من بين الانباء المألوفة لدا ، لدى عموم الناس ، فلم يعد من شأنها ان تثير جبا ! والامر كذلك طبعا بالنسبة الى موضوع الفضاء واطلاق الاقمار الاصطناعية ! فقد فقد كل ذلك ـ او كاد ـ اثارته الاولى ، واضحى من المألوفات التي يغدو الناس عليها ويروحون ، وربما يصير الامر من الابتذال عند الناس ، الا يثير دهشتهم نزول انساني محتمل على ظهر القمر ، يوم يتحقق هذا النزول ، اذ ان الاقمار الاصطناعية المرسلة اليه لحد الان ، قد حققت فيه من الاتصالات مع الارض ، ما غدا معه امر القمر الطبيعي ، مألوفا عند الناس بقدر كبير .

وفى موضوع القلوب ، حدثت اخفاقات عديدة اكثر مما تحقق من نجاح ، الا ان الموضوع من اساسه موضوع زرع القلوب ، قد اصبح من جملة القضايا الجارية ، وتعود الناس على تصور ان يعيش الطبيب الذي كان موضوع العملية الثانية فى تاريخ طب زرع

عن اعطاء الدم ، بالحالة الاخرى الناتجة عن اعطاء عضو ، لا يعوض كالكلية مثلا ، وهنا مدخل للناظر في الموضوع من الناحية القانونية ، وثمت مدخل آخر تعرض لنا فيه ايضا حالتان من حالات نقل الاعضاء بين الاجسام (الحالة الاولى) موافقة المعطي او المنقول منه على مجموع العملية التي سيكون طرفا فيها ، (الحالة الثانية) موافقة المنقول اليه العضو ، وهو السبب الاصلي او السبب المؤسس لمبدأ العملية ومداخلها وما قد ينتج عنها من عواقب ؛ اما موافقة المعطي فهي حجر زاوية في القضية من اساسها ، فالحالة التي يتعرض لها المعطي ـ فضلا عن كون جسمه لا يفيد منها شيئا في الغالب ، فان هذا الجسم قد يتعرض ـ اكثر من ذلك ـ الى عواقب محتملة في الحال او المآل ، ان المعطي هو في كثير من الاحوال ، شخص انساني النزعة ، او المفروض فيه كذلك اذ ان القضية التي يجعل من نفسه طرفا فيها ، وتسبب له حرمانا عضويا لا يعوض ـ علاوة على الالام المحتملة التي قد يتحملها ـ هذه القضية ، يقحم نفسه فيها ، بينما هو غير ملزم بهذا الاقتحام من الناحية الفسيولوجية او البيولوجية ، اي انه ليس هناك دواع جسمية تتعلق بذاته ، تجعل منه هذا الطرف المقحم في قضية طبية عويصة ، كقضية عطب كلية شخص آخر ، وافتقارها بسبب ذلك للتعويض ، وقد يتصور احدنا ان يكون هناك مصلحة للمعطي احد اعضائه الى آخر ، مصلحة مادية مثلا ، كأن تكتسي القضية صبغة صفقة تجارية ، فيكون اعطاء العضو اذن مقابل مقدار مالي او ما في حكمه متفق عليه بين طرفين ، والواقع ان مثل هذا الاحتمال ، مما قد يترجح في ذهن البعض من الناس ! لكن النظرة القانونية الى الموضوع تختلف عن هذا في التطبيق، اختلافها عنه في المبدأ ! فالروح القانونية ليس المفروض فيها ان تسمح دائما بتبادل الاعضاء عن طريق البيع والشراء ! وبعض التقنيات الحديثة ـ في أوربا ـ تعبر عن معارضة صارمة لمثل هذا السلوك ، بل وتنص على عقوبات بدنية ومالية في نطاق ردعه ، والمغزى الذي يرمي اليه القانون بهذا الصدد من الوضوح بدرجة كبيرة ، وهو مغزى اخلاقي بالدرجة الاولى ، ومغزى اجتماعي كذلك ، ومن ثم فانه لا يبقى دافع في هذه الحالة للمعطي ، يحثه على منح احد اعضائه لشخص آخر ، الا الدافع الاخلاقي او العاطفي او ما هو من نوع ذلك ، وقد تتدخل الدوافع المصلحية في الامر ، ولكنها في كثير من الاحيان ، تكون ممزوجة بنسب من العاطفة تقل او تكثر ، كالزوج الذي يعير عضوا له الى زوجه بغية انقاذها من الموت او من عطب دائم ! وهي سنده في الحياة والقائمة على شؤون اولاده ، وهكذا مثل هذه الصور ، التي تتمازج فيها العاطفة بالمصلحة ! الا ان المصلحة هنا مصلحة نبيلة في الغالب ، وذات ملابسات اخلاقية ايجابية في المحط الاول .

ومن مجمل كل هذا تبدو عملية منح الاعضاء كقضية تضحية وايثار من جانب المعطي ، اكثر مما هي اي شيء آخر ! وتتأكد جلية العوامل الاخلاقية والعاطفية التي تتدخل في مثل هذا الامر وتقوم فيه بدور الحافز الاساسي ، لكن الاخلاقية هنا اذا كانت محورا تدور به او حوله الاعتبارات القائمة في هذا الموضوع ، فان هذه الاخلاقية ، لا بد ان يكون لها نطاق شامل في مجموع العملية بمختلف الاطراف المشاركة فيها ، اي ان هذه الاخلاقية اذا كانت دافعة للجانب المعطي على ان يعطي لصالح الجانب المستفيد ، فلا ينبغي اخلاقيا كذلك ان يكون هذا الجانب المعطي مجرد ضحية تغرير به لصالح الجانب المستفيد ، وذلك بان يستدرج المعطي الى التنازل عن عضو من اعضائه ، لا لانه يتقبل ذلك عن طواعية ، وتحمس ، مع علمه بتفاصيل كل ذلك وتبعاته ، بل لانه فقط لا يدري اهمية ما يقدم عليه ، وما قد ينشأ عن ذلك من عواقب واحتمالات بالنسبة اليه شخصيا ، اما في المستقبل القريب او البعيد ! مثل هذه الحالة ، حالة غير معقولة ومرفوضة مقدما من الناحية الاخلاقية ؛ اذ ان الاخلاقية التي تتمثل في ضرورة الانقاذ ، انقاذ الجانب المستفيد، تنتفي ـ من ناحية اخرى ـ بالنسبة الى الجانب المعطي نظرا الى ما يحصل لهذا الجانب الاخير من غبن كنتيجة لعدم علمه العلم الكافي بمدى ما يقدم عليه، والابعاد التي تمتد عليها مبادرته ؛ والاخلاقية ـ كما نسلم به جميعا ـ هي كل لا يتجزأ ! فلا يمكن ان تتحقق اخلاقية حالة من الحالات على اساس اعتماد الاخلاقية في نفس الحالة ، وانطلاقا من هذه الاعتبارات وما في حكمها ، يذهب القانون الى التشدد في موضوع مصادقة الطرف المعطي للعضو ، ويقتضي وجود هذه المصادقة في اكثر صورها تدقيقا وتثبتا ، محترزا في ذلك احترازا يتناسب مع اهمية الحياة في نظر القانون ، وحرصه على الحفاظ عليها ، اكثر ما تمكن المحافظة ، وهذه الناحية من موضوع تدخل القانون في الطب ، اي الناحية المتعلقة بمصادقة الجانب المعطي ، مصادقة واعية ، متثبتة ، اختيارية حرة ، هذه الناحية تنشأ عنها قضايا وملابسات مهمة يتدخل فيها القانون كذلك

الاقطار ، ففي انجلترا ، عرضت قوانين بشأن افسال الاعضاء وخاصة القانون المتعلق بنقل الكلى من اجسام المرضى الذين تدركهم الوفاة فى المستشفيات ، وفي الولايات المتحدة ، يتوالى نشاط قانوني من اجل تقعيد الاحوال التي يتم فيها نقل القلوب بين الاجسام، واعطائها اطارا قانونيا قارا تتحدد به الحقوق والواجبات بهذا الصدد .

وفى ايطاليا ، وفى الدانيمارك ، وفى غير هذه الاقطار ، يشتد الاهتمام بمثل هذه القضايا ، وليس من شك فى ان هذا الاهتمام ، لا يعود الى مجرد الرغبة فى تقعيد حالة قانونية ناشئة ، بل يؤول ـ اكثر من ذلك ـ الى حرص مشروع على تلافي مشاكل ، يجب تلافيها قبل ان تصير اكثر تعقيدا .

* * *

الافكار القانونية التي تدور حول موضوع زرع الاعضاء ، ليس مرجعها هذه الشهور الاخيرة ، اي حينما نشطت حركة افسال القلوب، كما يتصور، فالامر سواء من ناحيتيه الطبية والحقوقية ، يعود ـ بطبيعة الحال ـ الى عهد اقدم ، فالعملية التي اجريت في « مدينة الراس » اواخر السنة الماضية ، لم يكن لها لتحدث ، لو لم يقع التمهيد لها بأبحاث طويلة فى هذا المجال ، ولو لم تحدث فى مضمار ذلك تطورات متلاحقة، بلغت قمتها بعملية دجنبر الشهيرة ! وكذلك الامر بالنسبة لموضوع الصلة بين عمليات زرع القلوب من جهة ، والملابسات القانونية المتعلقة بذلك من جهة اخرى ، فالتفكير فى هذا الامر ، وبروز النظريات في موضوعه ـ وان كان قد اتخذ صبغته الواسعة فى اثناء الشهور الاخيرة، ـ غداة اجراء عملية«مدينه الرأس»ـ الا ان هذا التفكير كان مع ذلك موجودا منذ عهد غير قصير ، وقد برزت فى السنوات الاخيرة عدة اشهادات بهذا الشأن ، يعتبر بعضها ذا صبغة وثائقية ، ويعود الامر فى ذلك الى ان الموضوع ، كما فكر فيه اربابه من قبل ـ لم يكن منحصرا بالضرورة فى قضية زرع القلوب التي كانت لم تدخل بعد فى حيز التطبيق ، بل ان الموضوع كان دائما موضوعا عاما يتعلق بنقل الاعضاء عموما من اجسام الى اخرى .

ومن المعلوم ان الاعضاء التي يجري عليها مثل هذا ، هي عديدة ، ومنها الكلى ، وغير ذلك ! ويحاول الان زرع الكبد والبنكرياس وسواهما ! فالموضوع كما نراه هو أوسع بكثير من موضوع القلب الذي تركزت حوله الانظار غداة عملية يوم 3 دجنبر 1967 ، ومن ثم فان المسالة القانونية القائمة اليوم ، هي مسالة زرع الاعضاء ، لا زرع القلب فقط ، والاطار الذي يدخل فيه مفهوم زرع الاعضاء ، اطار واسع جدا ، ومن المنتظر ان يزداد توسعا كنتيجة مباشرة ، للمزيد من التطورات التي يمكن ان تحققها الجراحة الحديثة بهذا الشأن !

* * *

هنالك حالتان تعرضان فى موضوع الاستعارة من الاجسام ، (الحالة الاولى) وهي التي تتمثل في استعارة مادة جسمية يمكن للمعطي ان يعوضها فى فترة تقل او تكثر ، وبهذا ، فان الامر لا يؤدي به الى حد حرمان نهائي من العضو او المادة التي منحها من جسمه الى جسم آخر ، والمثال البارز هنا ، هو مثال تحاقن الدم ، حيث يتنازل شخص من الاشخاص عن جزء من دمه ، فيقبل ان يعتصر منه ، لينقل الى جسم شخص آخر ، اما شخص معين فى حاجة الى دم لم يجده ، واما الى اي شخص ، وفى هذه الحالة يكون الدم المعطى هبة للعموم ، ولا يسال المعطي عادة عمن سينقل اليه ذلك الدم، وسواء كان الدم معطى لشخص معين ، او هبة الى العموم ، فان هذه الحالة ، حالة تحاقن الدم ، هي من اشيع حالات التعاطي بين الاجسام ، ولا تثير اليوم اعتراضات حقوقية مبدئية ، الا اذا كانت هنا احوال خاصة ، يمكن ان تقوم فى مضمونها ملابسات قانونية خاصة ايضا ، وهذه الحالات الخاصة لا يعتد بها ، لان الاساس القانوني والطبي الذي يقوم عليه تحاقن الدم اساس راسخ بالقدر الكافي ، وله الان تقاليده التي لا يجادل فيها احد .

(الحالة الثانية) ، هي الحالة التي لا يستطيع المعطي فيها ان يعوض لنفسه العضو او المادة التي منحها لغيره ، وهذه الحالة كما نرى ، تختلف فى عواقبها بالنسبة للمعطي عن العواقب الناشئة عن اعطاء الدم ، ان المعطي فى هذه الحالة ، يتعرض لحرمان حقيقي ودائم ، حرمان من العضو او المادة التي فقدها بتنازله عنها لغيره ، ومثال اعطاء الكلية واضح فى هذا السياق ، فالكلية اذ تنتزع من جسم لتنقل الى جسم آخر ، فان الجسم المعطي اياها ، لا يمكن ان يسترد بديلا لها عن طريق التفاعلات الحيوية داخل الاجسام كما هو الشأن بالنسبة للدم مثلا ، فالفرق هنا هو اذن فرق شاسع ، ولا يمكن بهذا مقارنة الحالة التي تنجم

نهائيا احتمالات الخطورة التي هي لازمة من لوازم مثل هذه العمليات الدقيقة .

ويتساءل من جهة اخرى عن حتمية عملية الاستبدالات اذا كان يقدم عليها احيانا دون ان يكون ذلك ضروري ، ضرورة مطلقة لا خيار فيها ، ولا بديل عنها على اية صورة اخرى يكون البديل ! فالمريض الذي ينقل اليه العضو البديل ، ليس من شأن جسمه ان يتلاءم مع ذلك العضو المستعار ويتكيف بكيفه ، الا بعد ان يجتاز المريض من اجل ذلك فترة امتحان عسيرة، قد لا يكون اعسر منها في حالة علاجية مشابهة، وكل هذا يفرض على الضمير القانوني اعتبارات احتياطية مهمة بالنسبة للمستفيد ، بقدر ما هنالك من اعتبارات احتياطية تتعلق بالمعطي ، ومن ذلك استحمال المصادقة ، مصادقة المستفيد ، مثل ما هو ضروري ايضا الحصول على مصادقة الشخص المتطوع باعطاء العضو المنقول ، وبطبيعة الحال، فاننا نتصور المصادقة في اطار التسليم بان المعطي للعضو يكون في حالة قدرة على ادراك ما يقدم عليه ، ليمكنه المصادقة على ذلك او رفضه ، ويعني ذلك انه حيا في حالة اعرابه عن الموافقة ، وينتج عن ذلك في كثير من الاحيان، انه سيبقى حيا – كما هو المفروض – بعد استئصال العضو المنقول من مثل ما هو الامر بالنسبة الى نزع الكلية ! لكن ما الامر اذا كان « المعطي » فاقدا الادراك في حالة اقدام الطب على انتزاع العضو المنشود منه ، وما الامر ايضا اذا كان المفروض في المعطي ان يفارق الحياة اثناء او على اثر انتزاع عضوه منه ؟ .

ذلك افق آخر من البحث في هذا الموضوع سنحاول النظر فيه – بحول الله – في الفصل القادم .

سلا : المهدي البرجالي



وعلى نحو تتزايد تشعباته بمقدار ازدياد التقدم التقني الذي تحققه جراحة نقل الاعضاء بين الاجسام ، وسنفحص بعضا من ذلك فى الفصل القادم بحول الله .

ولننظر الان ــ كتتمة ــ لموضوع المصادقة من الناحية المبدئية ، ننظر فى مصادقة الطرف الثاني الذي يعنيه الامر ايضا ، ونريد الطرف المنقول اليه العضو ، او الطرف المستفيد من عملية نقل العضو! فهذا الطرف له ايضا اعتباره ــ الذي يمكن ان نصفه بـ « المهم » ــ اعتباره فى موضوع المصادقة التي تقتضيها الاخلاق ، وتلح عليها ، كشرط اجرائي اساسي ، قبل محاولة اية عملية لنقل الاعضاء بين الاشخاص ! وقد يرى البعض فى اشتراط موافقة المستفيد انه من قبيل الترتيبات الشكلية التي لا تسندها اعتبارات اخلاقية ملحة كالاعتبارات الاخلاقية التي توجب موافقة الشخص المعطي للعضو ، وتوجب ذلك بأشد ما يكون من الالحاح ، وينبني نظر من يذهب الى قول كهذا ــ ينبني على اساس الاعتقاد بان العملية فى مجموعها هي عبارة عن تضحية يتضرر منها الطرف المعطي ، بينما الطرف المستفيد هو مستفيد فقط ، لا يتحمل تضحية فى الامر ، ولا يمسه منه سوء محتمل ، بل ان مصلحته فى هذا الامر هي كل شيء ، وهي مبدأ الامر ومآله ! فليس هناك ــ بهذا الاعتبار ــ تعادل فى الحالة بين الطرفين ! فهل يجب لذلك ــ العناية باتخاذ نفس الاجراءات الاحتياطية بالنسبة الى كلا الطرفين ، والحال انهما لا يعترضان الى نفس المحذور ، وبالتالي، فان « الضغط الاخلاقي » الذي يخلقه كل منهما ، مؤثرا به على ضمائرنا ــ لا يجب ان يكون فى نفس المستوى وداعيا الى اتخاذ نفس الاحتياطات ؟ وابادر ــ اولا ــ الى القول ، ان هذه النقطة الاخيرة ، المتعلقة بامر المستفيد ، ووضعيته داخل مشتبك العملية الجراحية المتعلقة بنقل الاعضاء بين شخصين ، هذه النقطة ، توجد موضوع نظر وتأمل ، واحيانا موضوع نقاش وجدل ، ويتركز الاهتمام فى ذلك حول الاعتبارات النظرية ربما اكثر مما يتركز فى النطاق التقني الذي تتشكل به المسالك الاجرائية بعدد نقل الاعضاء ولكن اهمية النظريات التي تروج فى الموضوع ليست فى مجرد صبغتها النظرية الاكاديمية ، بل بما لها من تعلق بالاعتبارات القانونية الاكثر اتصالا بالحياة وما يمكن ان تؤدي اليه من تقنيات تتعلق باحقاق الحقوق ، وتحديدها فى موضوع نقل الاعضاء بين الاجسام ، اما القول ، بان المستفيد فى اية عملية للنقل العضوي هو مستفيد على اي حاله ، ولا يتحمل من التضحيات ما يتحمله المعطي للعضو ، ومن ثم وجب ان تكون الاحتياطات الاجرائية المتخذة فى حق المعطي اشد صرامة ، واوفى نطاقا من اية احتياطات اخرى، تتخذ فى نطاق اجراء عملية نقل العضو ــ القول بهذا ، لا شك انه منبني على جهل او تجاهل المشاكل الواسعة التي تحدث لـ « المستفيد » نفسه بسبب نقل عضو من جسم آخر الى جسمه هو ، اي جسم المستفيد ، ان الجسم المنقول اليه العضو ، هو مستفيد من ناحية مبدئية كما هو ظاهر بالبداهة ، لكن هذه الاستفادة ، ليست دائما مأمونة العواقب ، كما يلحظه حتى المراقب من بعيد لانباء عمليات نقل الاعضاء بين الاجسام ! فهناك لحد الان نجاحات عملية بسيطة ، تحققت ، فى هذا المدار ، بالنسبة الى الانفاقات الكثيرة التي أودت بحياة الكثيرين او بالاصح ، انتهت بهم الى نفس النهاية التي كانت متوقعة لهم ، قبل اجراء عمليات نقل الاعضاء المعارة لهم ! وقد يقال ، ان هذه مرحلة موقتة من مراحل تطور التقنية الطبية بصدد موضوع نقل الاعضاء ! ولابد ان يؤدي التقدم المستمر فى هذا المجال ، الى تقليل نسبة الخطورة التي يتعرض لها المستفيد ، وتوفير اكبر حظوظ النجاح للعمليات الاستبدالية التي تجري فى المستقبل ! وقد يقال ايضا انه حتى فى هذه الظروف الاولية ، التي تقع فيها عمليات نقل الاعضاء فى الوقت الحاضر فان حظ المريض الذي ينقل اليه العضو هو على اي حال ــ احسن من حظه ــ فيما لو ترك على حالة مرضه المزمنة ، وبعضوه الاصلي المعطوب ، وهو عضو يعتبر عمله الفسيولوجي او البيولوجي فى حكم المنتهى او يكاد يكون كذلك ! كل هذا وغيره وارد ، بصدد النظر فى موضوع حالة المستفيد من نقل الاعضاء ! الا ان ما برد منه متل هذه الاقوال ، لا يغير من المشاكل القائمة فى هذا الموضوع ، وان كان يدخل على النظريات المدلى بها فى هذا المجال بعض التنويع الهامشي ! ذلك ان مشكلة الاحتمالات فى مصير المريض ، المستفيد من نقل العضو ستبقى قائمة ، بكل ما تنطوي عليه من خطورة ، الى ان يتم هذا التقدم العلمي الذي يزيل غالب الاحتمالات السلبية فى عمليات الافسال ويوفر بهذا للمستفيد حظوظا افضل ، وفى انتظار ذلك ، فان « الضمير » القانوني لا يستطيع ان يتغاضى عن الاحتمالات التي يتعرض لها هذا الجيل من المرضى الذين يعيشون فترة التجربة العلمية التي تجتازها تقنيات نقل الاعضاء اليوم ، وهي احتمالات مأساوية فى كثير من الحالات ، كما نلحظه اليوم ، وحتى عندما تتقدم التقنية الطبية فى هذا المضمار ، وتصبح العمليات الاستبدالية مأمونة بقدر كبير ، فان ذلك لا يرفع

تبني العمارات الادارية الشاهقة والفنادق العظيمة والمعاهد والكليات الضخمة ، كانت تبعث بالمدرسين والعلمين وتوزع المنح الدراسية بسخاء على ابناء افريقيا حتى يقبلوا على مدارسها للدراسة والتحصيل والتخصص . وكانت تقوم بدعوة رؤساء الدول الافريقية ووزرائها ومختلف اطاراتها واعضاء مجالس النواب فيها وأرباب المهن الحرة لزيارة اسرائيل وقضاء اسبوع على الاقل فى ربوعها حيث يلقى الجميع الاستقبال الحار والحفاوة الفائقة والاكرام المتناهي ، وليت الامر انحصر عند هذه الاشياء ولكنه كان يتجاوزها الى حد بعيد حيث تلبى جميع الرغبات والشهوات مهما كان نوعها فتعرض المشروبات الشهية وتنظم السهرات الممتعة التي يجد فيها الزائر جميع ما لذ وطاب . واي دولة غير اسرائيل يمكنها ان تقدم لزوارها وضيوفها ما يرغبون وما لا يرغبون فيه من ملذات وان كان ذلك على حساب الاعراض والاخلاق ؟ واذكر ان غالبية رؤساء الدول الافريقية آنذاك كانوا زاروا اسرائيل بدعوة من حكومتها ، كما كان رئيس دويلة الصهاينة وبعض مساعديه يستعدون للقيام بجولة عبر كثير من الاقطار الافريقية لرد الزيارة واحترام قواعد الضيافة والمجاملة . واذكر ان رئيسا افريقيا واحدا لم يكن زار دولة عربية ما فى ذلك الوقت او كان حدد موعدا لزيارتها ، اللهم ما كان من الدول الاعضاء فى منظمة دول افريقيا الثورية التي كان رؤساؤها زاروا بلادنا للحضور فى مؤتمري الدار البيضاء الاول والثاني ومؤتمر القاهرة .

الم يكن من المعقول مع هذا ان تكون ميول الدول الافريقية تسير فى اتجاه السياسة الاسرائيلية وان يكون المسؤولون الافارقة يحبذون موقف اسرائيل التي كانت السباقة الى شرح وجهة نظرها والمسرعة للحصول على رضاهم وموافقتهم نظرا للجهود التي بذلتها والمساعدات التي قدمتها ؟ الم يكن من المعقول ان يتخذ رؤساء الدول الافريقية وشعوبهم مثل هذا الموقف بعدما تقاعس العرب ولم يتفضل احد منهم للتعريف بقضيتهم وعرضها على انظار الافارقة حتى يدركوا الحقيقة ويستطيعوا اتخاذ موقف مناسب بعد دراسة مقارنة لنظريتين متعارضتين وموقفين متباينين؟ الم يكن من المعقول ان تسير الدول الافريقية ورؤساؤها فى ركاب اسرائيل بعد ما سمع معظم هؤلاء القادة الافريقيين بعض الاذاعات العربية تسبهم وتنعتهم بعملاء الاستعمار الجديد فى افريقيا وتخص بالذكر منهم هو فويت بوانيي وسنغور وحماني ديوري ؟ .

ان آفة الامة العربية فى الماضي وطامتها العظمى فى الحاضر ونرجو ان لا تظل آفاتها فى المستقبل هي ضعف اجهزة الاعلام والدعاية العربية التي لا تعتمد على الطرق العلمية والواقعية لكسب المؤيدين والمناصرين وربح الموافقين والمعضدين والتي تبني برامجها الضحلة الفئة على أسس من العواطف الهوج والمشاعر الكاذبة والافتراءات الفارغة فى هذه الظروف القاسية التي لا تتلاءم مع موقف الاقطار العربية قام وفد مؤتمر العالم الاسلامي بمهمته فى سنة 1962 . وقد اقتصرت هذه المهمة على اتصال برؤساء الدول الافريقية التي تمكن اعضاء الوفد من زيارتها وبعض القادة الشعبيين وشيوخ الطرق والزوايا والجاليات العربية التي تعيش فى الاقطار الافريقية والتي كانت تقضي حياتها فى عراك مرير ونزاع اليم وخلافات قوية بسبب التيارات السياسية التي كانت تهز العالم العربي والمذاهب المتنازعة فى سبيل البقاء والانتصار فى الشرق الادنى . فقد كان من بين اعضاء هذه الجالية من يناصر القومية العربية التي كانت قوية الشوكة آنذاك ، كما كان من بينهم من يناصر الاتجاه العربي المتحرر .

اما فيما يتعلق بفلسطين فقد كان من بين افراد هذه الجالية من يجاهر بعدائه لمفتي فلسطين الشيخ الحاج امين الحسيني ويؤيد الفئات التي قامت ضده كما كان فيهم من يرى ان مفتي فلسطين قد ابلى البلاء الحسن فى الدفاع عن الحق العربي فى فلسطين وان اخفاق مساعيه يرجع لتكالب قوي الشر والعدوان ضده وضد العرب . وقد وجدنا آنذاك من افراد الجالية العربية من كان يتعاون مع اسرائيل داخل الشركات التجارية والمؤسسات الصناعية التي كانت تشرف عليها اسرائيل بصفة مباشرة او غير مباشرة .

واذا كان من المعقول ان لا يصل وفد مؤتمر العالم الاسلامي الى نتائج ايجابية نظرا لهذه الظروف الصعبة والعوامل المعاكسة فأن من باب الصدع بالحق ان نؤكد ان الوفد لم يكن مستعدا للقيام بمأموريته السامية على الوجه الاكمل رغم نوايا اعضائه الحسنة واستعداداتهم الطيبة . ويرجع هذا الى العقلية العربية السائدة فى الشرق والتي ما زلت بعيدة عن التنظيم العملي والحياة الواقعية وتقدير المسؤوليات. كان اول خطا ارتكبه الوفد هو عدم الاضطلاع بالمهمة الى نهايتها ؛ فقد اكتفى بزيارة ببعض الاقطار وفضل العودة دون ان يزور بلدانا اخرى كان من المقرر الوصول اليها والاتصال بالمسؤولين فيها . فقد بلغ الجهد

بين مهمتين في إفريقيا

للأستاذ عبد اللطيف خالص

منذ ست سنوات قمت بجولة عبر افريقيا زرت فيها السنغال وليبيريا وغانا وساحل العاج ونجيريا وسيراليون التي منعنا من دخولها رفقة اعضاء وفد مؤتمر العالم الاسلامي قصد الدعاية للقضية الفلسطينية والحصول على تأييد الشعوب الافريقية وحكوماتها لجانب الحق والعدل . وكان الوفد يتركب من السادة: موسى ابي السعود وهو فلسطيني الاصل وعضو في الهيئة العربية العليا لفلسطين ، ورياض العابد وهو سوري الاصل وكان يعمل محاميا فى دمشق وكاتب هذه السطور وقد كنت فى ذلك الوقت رئيسا لمصلحة الاذاعة والتلفزة التربوية بوزارة التربية الوطنية . وقد قمنا بهذه الجولة آنذاك والشعوب الافريقية التي زرناها لم يكن مر بعد على حصولها على الاستقلال الا سنة او سنتان باستثناء غانا التي كانت استقلت منذ اربع سنوات . ومعنى هذا ان الشعوب الافريقية في ذلك الحين لم تكن استكملت بعد استقلالها ولكنها كانت ما تزال تخضع فى الميادين الاقتصادية والادارية والعسكرية للنفوذ الاجنبي الذي كان يفرض عليها سيادته بواسطة المساعدات المادية والتقنية . وكان معظم حكام هذه الاقطار التي حظيت بالاستقلال دون بذل الارواح وتقديم الضحايا فى مقاومة الاحتلال الاجنبي يعملون تحت تأثير السلطات الاستعمارية التي تكرمت على بلدانهم باستقلال صوري بعدما احتفظت لنفسها بالسيطرة الفعلية على اهم اجهزة هذه الدول حتى توجهها حسب مشيئتها ووفق ادارتها . ولم يكن غالبية الافارقة آنذاك يتمتعون بوعي سياسي يجعلهم يدركون قيمة وزنهم فى الميدان الدولي ويفرضون رأيهم فى المنظمات العالمية بل كانوا كما قال الشاعر :

« خليفة » في قفص
بين وصيف وبغا
يقول ما قيل له
كما تقول الببغا

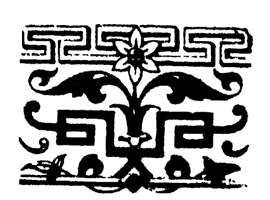
كانت فكرة الوحدة الافريقية ما زالت غريبة عن اسماع رؤسائهم ومرؤوسيهم وكان اهتمامهم بالقضايا الدولية بسيطا جدا ، فلم يكونوا يعرفون عن مشكلة فلسطين اي شيء ولم تكن حرب الفيتنام لتشغلهم ولا حصار كوبا يهمهم ولا السباق نحو التسلح يزعجهم . ولعل من القضايا التي كانت تثير بعض الاهتمام عندهم قضية الميز العنصري الذي كان آخذا فى الاستفحال فى افريقيا وامريكا ، ومشكل الكونغو الذي تأزم واحتد بعد فشل الامم المتحدة .

اما عن قضية فلسطين المقدسة فلم يكن الافارقة يلمون بها البتة لانهم كانوا يعيشون تحت ضغط الاستعمار المتستر وراء المساعدات والمستشارين التقنيين كما كانوا متأثرين بالدعايات الاسرائيلية التي كانت متعددة الوجوه ومتنوعة الاشكال . فقد جعلت اسرائيل رهن الشعوب الافريقية كامل امكانياتها البشرية والمادية فكانت تمدها بالمساعدات المالية والفنية والتجهيزات الاساسية . كانت اسرائيل آنذاك تدرب جيش ساحل العاج وتجهزه كما كانت

كما قام بزيارة كامبيا وسيراليون وغينيا وساحل العاج وفولتا العليا والنيجير ومالي ، حيث ربط اتصالات مهمة مع رجالاتها وقادتها وعقد اجتماعات مفيدة مع منظماتها السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية . وقد عرض الوفد قضية فلسطين في اطارها الاسلامي والسياسي وبسط العواقب الوخيمة التي نتجت عن الاعتداء الصهيوني على بيت المقدس والاقطار العربية المجاورة لاسرائيل ، كما بيّن الواجب الذي فرضه الدين والحق على المسلمين لانتشال هذه البقاع الطاهرة من ايدي المعتدين . فكيف كان رد الفعل لدى هذه الاقطار الافريقية ؟ وما هي الاصداء والآثار التي خلفتها زيارة وفد مؤتمر العالم الاسلامي عند قادتها وشعوبها ؟ وكيف تلقى اخواننا المسلمون فى افريقيا هذه البعثة ؟ وهل عرفت قضية فلسطين تطورا ما بعد هذه الجولة ؟ وما هي النتائج الايجابية التي توصل اليها الوفد بعد اداء مهمته ؟ ذلك ما سنحاول ان نقف عليه فى الحلقة المقبلة بحول الله .

(يتبع)

الرباط : عبد اللطيف احمد خالص



والعياء من اعضاء الوفد مبلغا كبيرا حتى فضلوا الرجوع الى ديارهم راضين من الغنية بالاياب كما يقول امرؤ القيس . والواقع ان المقام فى افريقيا صعب فقد كانت معظم الاقطار لا تتوفر على فنادق صالحة للاقامة كما كانت وسائل المواصلات وما زالت عسيرة وقليلة الشيء الذي جعل المقام يطول دون الوصول الى اية فائدة . ومن الاخطاء التي ارتكبها الوفد آنذاك توجيهه الخطاب للافارقة بلغة حماسية لا تعتمد على الواقع والمعقول وعدم عرض القضية فى اطار سياسي واسلامي يجعلها مقبولة فى الاسماع ، وانما كانت ترتكز على اذكاء الحماس وانتزاع التأييد انتزاعا من الاخوان الافريقيين وبلهجة قوية لا تخلو من السب والشتم والتحطيم . ومع ذلك فقد وجد الوفد نوعا من التأييد بلغ درجة الحماس فى بعض الاحيان ، كما نجح الوفد في تبليغ الاخوة العربية وطرح قضية فلسطين في ربوع الاقطار الافريقية لاول مرة رغم التغلغل الاسرائيلي الذي كان قوى الشوكة ثابت الدعائم ، والعملية فى حد ذاتها خطوة ايجابية كان من اللازم ان تتلوها خطوات اخرى لتركيز الفكرة وشغل الافكار بها وتركها تختمر في نفوس ابناء افريقيا مدة من الزمن قبل الاقدام على المطالبة بالتأييد المطلق والمناصرة التامة .

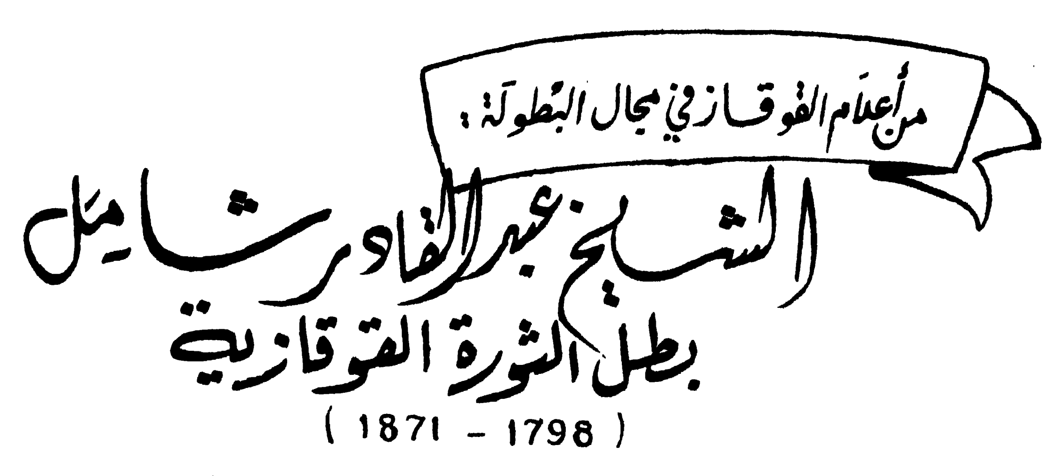
وقد جاءت مهمة الوفد المغربي لمؤتمر العالم الاسلامي هذه السنة لتربط الحلقة بالمهمة السابقة وتحقق نفس الرسالة . واذا كان مؤتمر العالم الاسلامي قد قرر فى دورة عادية عقدها فى العراق سنة 1962 ارسال بعثات لمختلف الاقطار للدعاية للقضية الفلسطينية فان المؤتمر عقد هذه المرة دورة استثنائية فى عمان على اثر العدوان الصهيوني الغاشم على الاراضي العربية والبقاع المقدسة واتخذ ، بعد دراسة الاوضاع التي نتجت عن هذا العدوان الاثيم فى العالم الاسلامي وما تركه احتلال المسجد الاقصى فى نفوس المسلمين من عواطف الالم والحراسة ، قرارا بتوجيه وفود عنه الى مختلف البلدان الاسلامية للاتصال برؤسائها وشعوبها وقادة الراي والدين فيها وعرض قضية البقاع المقدسة عليهم ومطالبة جميع المسلمين بالعمل المتواصل والسعي المستمر لتحرير المسجد الاقصى والاماكن الاسلامية الطاهرة من دنس اليهود وعبث الصهاينة الآثمين .

وقد انتدب ممثل المملكة المغربية فى مؤتمر العالم الاسلامي اخونا الاستاذ ابو بكر القادري للاضطلاع بهذه المهمة النبيلة فى القارة الافريقية كما تقبلت الحكومة المغربية وعلى راسها صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني هذا التكليف بفرح عظيم وحماس كبير . فما ان اشعر اخونا الاستاذ ابو بكر القادري بالمأمورية الملقاة على عاتقه حتى رفع الامر الى صاحب الجلالة الذي شجعه على القيام بهذه المهمة السامية وبذل له المساعدات اللازمة لاتمامها على الوجه الاكمل. وكان من جملة هذه المساعدات تعيين عضوين آخرين فى الوفد لمؤازرة الاستاذ القادري فى رحلته وتكليف سفارات المملكة المغربية فى الاقطار الافريقية بتيسير مهمة وفد مؤتمر العالم الاسلامي وتزويد اعضاء البعثة بنسخ عديدة من القرءان الكريم قامت بطبعها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بأمر من صاحب الجلالة بمناسبة احتفال المغرب بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القراءان . وسوف لا اعدو الواقع اذا قلت بان هذا المصحف الجليل لعب دورا كبيرا فى نجاح مساعي البعثة ، وقد كان اخونا ابوبكر القادري ملهما عندما فكر فى اخذ هذه النسخ وحملها معه الى القارة الافريقية . فقد اثر هذا المصحف تأثيرا عظيما في نفوس اخواننا الافريقيين الذين كانوا يتلهفون شوقا للحصول عليه ويتسابقون للتبرك به ويتهللون بشرا وانشراحا كلما تمكنوا من حيازته ، كما كان لهذا المصحف مفعول عجيب فى تعزيز اواصر الاخوة الاسلامية وتقوية معنوية المسلمين الافارقة الذين اعتبروه اجل هدية يمكن ان يقدمها وفد اسلامي بين يديه . ورغم ان الوفد لم يكن يحمل صبغة رسمية فان جنسية اعضائه كان لها اكبر الاثر نظرا للروابط العديدة التي تجمع بين المملكة المغربية وغالبية الاقطار الافريقية والتقدير الكبير الذي يحظى به صاحب الجلالة والمهابة الملك المعظم الحسن الثاني ايده الله ونصره لدى قادة هذه الاقطار وشعوبها بسبب العطف المكين الذي يكنه جلالته لهذه البلدان والرعاية الفائقة التي يوليها لابنائها .

وهكذا فقد تمكن وفد مؤتمر العالم الاسلامي الذي كان يترأسه هذه السنة اخونا الاستاذ ابو بكر القادري عضو المؤتمر والذي كان يتركب من السيد عبد الكريم حجي رئيس مصلحة اللاجئين بوزارة الشؤون الخارجية وكاتب هذه السطور من الاضطلاع بالمأمورية النبيلة الملقاة على عاتق اعضائه واداء الامانة الجليلة التي نيطت بافراده . وقد قام الوفد بزيارة الجمهورية السنغالية وطاف بين مختلف ربوعها وارجائها خصوصا تواون وطوبى وكولخ وسان لوي ،



الزعيم القوقازي الشيخ شامل زعيم القوقاز المسلمين وقد توفى بالمدينة عـام 1871 .
وتراه فى الصـورة يتوسـط نجليـه غازي محمـد وشـافـع



للأستاذ عبد القادر القادري

ولادتــه ونشـــاتـــه :

ولد عام 1798 م ببلدة نبحورخان شورا من بلاد داغشتان التي تعد اليوم احدى الجمهوريات الاسلامية الداخلة فى الاتحاد السوفياتي والتي فتحها العرب في خلافة هشام بن عبد المالك .

نشأ فى بيت علم وصلاح وتقوى وزهد فخرج من مشيخة الطريقة النقشبندية التي اسسها محمد البخاري نقشبند فى القرن الرابع عشر الميلادي (1317 م – 1383 م) – الى الامارة وتناول السيف من طريق القلم .

عصـــره :

ما كاد ينهي دراسته حتى وجد ابناء جلدته يقاومون جيوش قيصر روسيا ايما مقاومة بقيادة زعيمهم العظيم غازي محمد فترك القلم وانضم الى صفوف المجاهدين .

جهـــاده :

لما احيط فى 29 شتنبر 1832 م بعد جهاد طويل بغازي محمد فى قرية جيموى واستشهد فى معمعة القتال رحمه الله خلفه حمزة بك الذي استشهد ايضا رحمه الله بالقرب من غنزاق بعد ذلك بسنتين تولى زعامة الثورة الشيخ عبد القادر شامل المقصود بهذه الترجمة .

وهو يقول – الامير شكيب ارسلان – فى تعليقاته على حاضر العالم الاسلامي : « على نمط الامير عبد القادر الجزائري خرج من المشيخة الى الامارة وتناول السيف من طريق القلم ، ولم يكن الشيخ شامل اعلم سلفيه ولكنه كان احسن منهم ادرة للامور وبصيرة بالحروب فشمر عن ساق الجهاد والتف ذلك الشعب الابى من حوله فذب عن حوض ملته نحو 35 سنة ظفر فيها بالروس فى وقائع عديدة والقى الرعب فى قلوبهم وجلاهم عن جميع البلاد الا بعض مواقع تبتوا فيها من الناحية الجنوبية ، وكانت اعظم ولاية التي ولاها عليهم هي فى سنتي 1843 و 1844 حيث افتتح جميع الحصون التي كانت لهم فى الجبال ، وغنم منهم 35 مدفعا واعتادا حربية ومؤنا وافرة واخذ عددا كبيرا من الاسرى فجردت الروسية بعظمة ملكها وسلطانها جيوشا جرارة ونادت هي بالجهاد فى الطاغستان ، ونظم شعراء الروس القصائد فى وصف تلك المعارك ، وما زالت توالي الزحوف حتى تمكنت من البلاد ، ولكن بقى الشيخ شامل عشر سنوات يناوشها القتال فى الجهات الغربية من الجبال . ولم يسلم هذا المجاهد العظيم للروس الا فى شتنبر 1859 م » فاعتقل اولا فى سان بطر سبورغ التي اصبحت اليوم تدعى لينفراد ثم في كالوجا فمكث فيهما زهاء خمس سنين سمح له بعدها قيصر الروسيا اسكندر الثاني عام 1863 م بالذهاب الى مكة المكرمة . فلقى هذا البطل القوقازي فى عبوره قنال السويس الامير عبد القادر الجزائري .

وفى مجلة الرسالة المصرية عدد 758 من بحث عن رسائل شامل مكتوبة بالعربية التي كان يحسنها مع

تأملات في استعمال

اللغة العربية ونحوها

للأستاذ الراجي التهامي الهاشمي

1 - فاعــل ومفعــول

كلما تدبرت هذه اللغة التي يشرفني انني من الناطقين بها ازددت يقينا على انها لغة صالحة لكل عصر ، ولكل مكان ومقال ، وبقدر ما هي مضبوطة، واضحة ، بقدر ما هم (واعني المنتسبين اليها) غامضون فى حديثهم مضطربون فى استعمالهم لها .

هؤلاء قوم من الله عليهم بلغة عجيبة ، مدروسة، مقننة ، فأهملوا هذه النعمة وجعلوها وراء ظهورهم ، فانقلبت نقمة عليهم وصارت عارا فى جبينهم ، عوض أن تكون مفخرة يباهون بها غيرهم .

قل لي بربك انت الذي اتقنت اللغة الفرنسية كيف تسمون من يبالغ فى فعل ما ، عفوا ، نسيت ان اللغة الفرنسية لا يمكنها ان تضع الصيغة للشيء قبل ذكره بمادته الحقيقية لانها لا تعرف هذه الطريقة الموجزة بل لابد لها ان تذكر الشيء بصيغة خاصة به ، ولا تنسج على منواله أبدا ، قل لي اذن كيف تسمون من يضحك كثيرا ، وقل لي كيف تسمون من يضحك عليه كثيرا .

لا شك انك ستأتي بكلمة او بجمل تعتقد انها صحيحة لكنك عندما تتدبر ما سأقوله لك وتحاول تطبيقه ، ستلاحظ او انك مضطر ان تلاحظ ان بين ما قلت لي فى اللغة الفرنسية وبين ما ذكرت لك في اللغة العربية بون شاسع ، الاولى مضطربة غير واضحة، لا تعتمد على قانون ثابت ، والثانية مضبوطة ، واضحة، مقننة الى درجة انها تثير الاستغراب .

الذي يبالغ فى الضحك نسميه ضحكه ، على وزن فعلة ، بضم الضاد وفتح العين والذي يضحك عليه كثيرا نسميه ضكة بضم الضاد وسكون الحاء ، وليس هذا خاصا بالضحك بل هو قياس مطرد ، فكلما اردت ان تعبر عن من يفعل الشيء ويبالغ فيه قلت فعله ، وكلما اردت ان تعبر عن من يقع عليه الفعل بكثرة قلت فيه فعلة ، وهكذا تقول فى الذي يتعاطى كثيرا اللعب لعبة وتقول فى الشيء الذي يلعب به الطفل ، طيلة يومه وجزءا من ليله ، لعبة ، كما تقول همزة وهمزة ولمزة ، ولمزة وسخرة وسخرة .

حاول الان ان تترجم هذه الاشياء الى اللغة الفرنسية ، تر انك فى حاجة الى جملة طويلة لتترجم مفردة واحدة جمعت فأوعت ، ولم تجمع المعنى فقط ، وانما حوت ايضا معنى الفاعل حين فتح العين ومعنى المفعولية حين سكونها . تأمل رحمك الله ، هذا الضبط وع ذلــك .

وبعد هذا يوجد منا او من غيرنا من يدفعه جهله او تعصبه او سذاجته ، فيذكر لغته بسوء ويثني الثناء الحسن على لغات أجنبية هي منه براء لانها في غنى عن ثنائه .

هي منه براء لانها ليست منه وهي زيادة على ذلك غنية عن ثنائه ، والولد العاق لا ينفع نفسه كما لا ينفع غيره ، والولد البار مفيد لنفسه نافع لغيره ، فكن بارا بلغتك ، تجلب لنفسك ولغيرك من بني بجدتك العزة والفخر .

لغته وفيها « ان سليم دانوفل مدرس العربية فى جامعة بطرسبورغ كان الترجمان بينه وبين القيصر اسكندر الثاني » .

تنويه الصحافة الاوربية وعظيم انجليزي وشاعر مغربي فيه :

قد نوهت به الصحافة الاوربية ايما تنويه حتى اطلقت عليه اسم « عبد القادر القوقاز » .

وقال عنه المرشال سولت الانجليزي عام 1243: هناك ثلاثة رجال على قيد الحياة اليوم يمكن ان يطلق عليهم عظماء : عبد القادر الجزائري ومحمد علي وشامل .

وقال فيه الشاعر المغربي المدني الحمراوي هذه القصيدة :

اذكروا « شاملا » فقد كان يردى
دولة «الروس» فى حروب الجبال

بطل «القوقز» الذي قاتل القيـ
ـصر كي تستقل ارض «الهلال»

فقضى خمسة وعشرين عاما
حاملا فى الوغى لواء النضال

انه الشهم قد سعى لعظيم
يتخطى مراقى الامال

قام في دولة الصليب جهازا
يتحدى بالحق كل ضلال

قام يحيى للمسلمين بعزم
دولة ذات صولة ومعال

ترك الشيخ شامل حلقة الذكـ
ـر الى حومة الوغى والنزال

ترك الدرس والمحابر دهرا
وارتمى في معامع الاهوال

انها همة الرجال اذا ما
صمموا لايرادهم اي حال

وفاته :

توفى بالمدينة المنورة عام 1871 م ودفن فيها رحمه الله .

بطولات أهل القوقاز :

لقد اشاد كارل ماركس نفسه ببطولة المسلمين فىالقوقاز واستبسالهم الدفاع عن اوطانهم . ومن عباراته المأثورة فى ذلك نداؤه للشعوب المستضعف بقوله :

« يا شعوب العالم : ليكن قتال القوقازيين من اجل حرياتهم درسا لكم تعلموا منهم الدفاع عن الحريا القومية » .

والمؤرخ الروسي فاديف Fadiev نفسه لم يتردد فى القول بان الحرب فى القوقاز (1832 ـ 1859) شلت حركات الجزء الاكبر من الجيوش الروسية بعض الوقت كما اضطر الى الاعتراف بانه لولا الحرب القوقازية التي عاقت تقدمنا لاستطاعت الجيوش الروسية ان تحتل الشرق بأجمعه ، من مصر الى اليابان ، وهي تسير على نغمات فرقها الموسيقية ولم يكد يستتب الامر لروسيا القيصرية فى القوقاز حتى اخذت تسير جيوشها نحو التركستان وغيرها من البلاد الاسلامية فى آسيا الوسطى وما وراء القوقاز ».

وقد شارك القصاص الروسي الشهير ليوتولستوى فى حرب القوقاز برتبة ضابط فى فرقة الكوساك Les Cosaques ودون الانطباعات التي تكونت لديه فى تلك الفترة فى روايته « الكوساك » وفى قضتيه حاجي مراد Hadji Mourad والفارة . وتجدر الاشارة الى ان احدى الشركات السينمائية الامريكية اخرجت قصة حاجي مراد فى شريط عرض فى الرباط منذ سبع سنوات باحدى قاعات العرض .

ومن العجب ان جميع قصص ليونولستوى ترجمت الى اللغة العربية ما عدا قصة حاجي مراد ولعل أيد اجنبية خفية تعمل على عدم ترجمتها الى اللغة العربية ، لانها تصور كفاح اهل القوقاز فى الدفاع عن حورة وطنهم .

هذا الشيخ عبد القادر شامل احد اعلام آسيا الوسطى الاسلامية الذي غفل عن ذكره العرب والمسلمون حتى ان الاستاذ فريد وجدي لم يذكره فى دائرة معارفه ولا الاستاذ جورجي زيدان فى كتابه مشاهير الشرق ، ولا امير الشعراء احمد شوقي فى دواوينه ، ولا شاعر النيل حافظ ابراهيم فى ديوانه ، ولا شاعر القطرين خليل مطران فى ديوانه . اللهم الا الشاعر المغربي المدني الحمراوي فى مجلة دعوة الحق فى العدد التاسع والعاشر لشهر يوليوز وغشت 1965.

فلعل وعسى يهتم الكتاب والشعراء العرب والمسلمون بهذا البطل القوقازي ، فيعملون على التعريف به نثرا وشعرا ، والله ولي التوفيق .

الرباط : عبد القادر القادري

وبلاد اللغة الفرنسية سهول وجبال ووديان وخضر، ينعشها ماء جار كثير، وتفرد فيها طيور مختلفة الاشكال والالوان.

واثر كل ما تقدم باد لكل ذي عقل فى اللغتين.

انت اذا اردت خيرا للعربي قلت له (أثلج الله صدرك) وهو يحب ذلك طبعا، لان الجو عليه شديد الحرارة، كما شرحت لك، ودعاؤك يبرده عليه، فهو دعاء عزيز عليه، مناسب لبيئته، عبرت عنه لغته بما يهوى.

اما اذا اردت نفس الدعاء تقدمه للفرنسي باللغة الفرنسية، فحذار أن تترجم ذلك حرفيا، حذار ان تقول له فى لغته، أثلج الله صدرك. فما ذا تريد — بالله عليك — ان يفعل بالبرودة فى صدره، وهو يرتعد من شدة البرد القارص طيلة السنة تقريبا، قل له، ويحك، ادفأ الله صدرك، ربما هو كلام لا تقبله اللغة العربية ولكن ترجمه الى اللغات الاوربية وقله للاوروبي، ترى، بحول الله ومعونته ما يسرك، ولله فى خلقه شؤون.

— 4 —

4 — وجها لوجه، يدا بيد

كم من مرة راينا الناس يتلذذون بالعبارة يسمعونها او يقراونها، ثم يحلو لهم بعد ذلك ان يطنبوا فى التشهير بجمالها ورونقها. وقد يحملهم هذا الزهو الى محاولة مقارنة هذه العبارات الجميلة بما يخيل اليهم انهم يعرفونه فى اللغات الاخرى. ويتفق أن هؤلاء الذين يستحلون هذه العبارات، يستحلونها فى اللغات الاجنبية على العموم والفرنسية على الخصوص وانهم يقارنونها بما فى اللغة العربيةالتي يجهلون عنها الكثير ولم يقدر لهم ان يتعبوا أنفسهم فى معرفتها، فضلا عن الغوص الى اعماقها. ولهذا يصلون حتما الى تفضيل اللغة الفرنسية على لغة الام. انا اعرف كما تعرف ويعرف الناس معنا ان من حقهم ان يقوموا اللغات، ويفاضلوا بينها، ثم يصدرون احكاما ينشرونها أو يكتمونها. ولكنني مع ذلك لا اجهل كما لا تجهل وكما لا يجهل الناس معنا أن التحيز للغة ما، عمل ممقوت رديء يحسن الترفع عنه. وانا ارى كما لا شك ترى معي ويرى الناس جميعهم معنا ان الحكم النزيه هو الذي يعتمد على المعرفة الصحيحة الشاملة الكاملة لجميع عناصر المسألة.

فالذي يعرف العبارة الفرنسية ولا يعرف غيرها، لم يتمكن من جميع العناصر؛ ولهذا ستراه. طبعا، يميل الى اللغة الفرنسية، تدفعه نحوها دوافع لا يستطيع ان يصفها، ويفر من اللغة العربية يحمله على الفرار منها محامل يصعب تحديدها، فهو اذن يحب الاولى ويكره الثانية، وهذه سنة الكون والذي يعرف العبارة العربية ويجهل مثيلاتها فى اللغة الفرنسية يحترم الاولى ويقدرها، ويبغض الثانية ويحتقرها، وهو امر طبيعي يساير القانون البشري ولا يخالفه.

والعبارة التي احب أن احدثك عنها اليوم. والتي كانت سبب هذا البيان اعلاه، هي قول الفرنسية (En tête à tête) ولقد وجد بعض اصدقائي في هذه العبارة جمالا لا يوصف، كما يقول. ولا اكتمكم ان قلت لكم، انني — رغم محاولات مخلصة نزيهة — لم اجد فيها جمالا، لا الذي يوصف ولا الذي لا يوصف — رغم ان ثقافتي فرنسية لا عربية. ولا يمكن ان يكون فيها جمال، وهي عبارة محرفة عن اصلها مستحدثة فى اللغة الفرنسية لا لجمالها؛ وانما اوحاها هذا التيار الجارف العاتي الذي بدأ يهب على الفرنسية ايضا، دون شفقة ولا رحمة؛ يغلب الاستعمال على النحو لا يعبأ بجمال ولا يحترم فنا.

ولا ادري هل صديقي الكريم المنوه بهذه العبارة يعرف انها كانت محاربة من طرف علماء اللغة الفرنسية وان العبارة الصحيحة المقبولة هي (Tête à tête) ام لا ؟.

فليعلم — امتع الله به — ان هذه العبارة الفاسدة التي يحلو له ترديدها لم تظهر الا منذ حوالي قرنين من الزمن.

ان موليير لم يقل فى روايته « المنافق الا » (Tête à tête) التي اترجمها بـ « وجها لوجه »

الان جاز لنا ان نقارن بين العبارتين، نفاضل بينهما، نعارض هذه بتلك، نبحث عن سهولة النطق وصعوبته؛ وعذوبة الجرس، وسلاسة الصوت في كلتيهما.

انا لا احب ان اؤثر فى نتيجتك، بل اتمنى ان تكون حرا فى اختيارك، واختيارك، ولا شك سيكون مطابقا للذوق السليم. والذوق السليم هنا واضح بين.

ومثل هذه العبارة قولهم (En main propre) التي يقول فيها العرب: « يدا بيد » والتي يستنكف

— 2 —

سألني احد طلبتي فى المدرسة الوطنية الفلاحية: لماذا لا نستطيع أن نترجم تلك العبارات التي يكثر استعمالها فى اللغة العربية مثل الحضرة والمقام والرفيع القدر وصاحب العزة وما الى ذلك من العبارات التي يأتي بها الكتاب عن قصد أو عن غير قصد ، فى مناسبة أو في غير مناسبة . ولماذا لا يوجد مقابل هذه العبارات المتحجرة ، عبارات فرنجية ؟

كنت اجبت هذا السائل ان هذه العبارات ليست متحجرة كما يظن، او بالاحرى لم تكن متحجرة ولا ميتة يوم دخلت الاستعمال ، وتناقلتها الالسن خلفا عن سلف . ولم تتحجر الا بعد ان تغيرت الظروف التي ولدتها ، وانمحت الاسباب التي انتجتها .

اما لماذا لا نستطيع ترجمتها الان الى اللغة الفرنسية أو الاسبانية أو الانجليزية فهذا عائد كما شرحت فى احاديث سابقة الى ظروف الناطقين بهذه اللغة وبيئتهم وحضارتهم .

فاذا أردنا ان نعرف سر وجود هذه العبارات رجعنا الى وقت ظهورها ودرسناه من جميع جوانبه . آنذاك سيتضح لنا سبب استعمال هذه العبارات،وسر صعوبة نقلها الى لغة اخرى .

كان العرب قبل البعثة النبوية الشريفة يعيشون فى الصحراء ، بدو ، رعاة ابل ، يسيرون فى كثير من الاحيان وراء الكلأ حيث كان ينزلون ؛ واين ظهر ونما يستقرون ، ثم يرتحلون عنه كلما جف وندر . او بدو مقيمون حول مياه قليلة ، لا تتعدى حضارتهم جماعات، ولا ينتشر صيتها ، ويذاع امرها ، الا فى احايين نادرة جدا .

فلما ظهر الاسلام ، غزوا وشرفوا ، فرفع من قدرهم ، ونزحوا من صحرائهم الى بلاد الله الواسعة الخصبة معتزين بعروبتهم ، مفتخرين بأنفسهم ، فاخضعوا لامورهم شعوبا وقبائل اذلوها ولم يرفعوها الى منزلتهم ؛ فبقيت ، والحالة تلك ، خاضعة ، ذليلة حقيرة أمام الاباة الاعزاء ، حاملي دين الحق ، وناطقين لسانا عربيا مبينا .

فكان لزاما — والحالة ما بينت — ان يجد هؤلاء الاذلاء المغلوبون على امرهم ، الشاعرون بحقارة نسبهم، وضعة محتدهم ، الفاظا يخاطبون بها هؤلاء السادة النبلاء النجداء الاعزاء . فبحثوا ووجدوا ، فكانت الحضرة ، والمقام الرفيع ، وصاحب العزة ، وصاحب المعالي ، والكريم المحتد ، الى آخر هذه العبارات التي كان يخاطب بها المولى سيده فى كل صغيرة وكبيرة . والتي لا نستطيع نقلها الى اللغة الفرنسية لان هؤلاء لم يسموا بالشكل الذي سما اليه العرب ولم يخضعوا طيلة تاريخهم الطويل شعوبا مثل ما اخضع العرب .

رحم الله ذلك الزمان ، يوم كان العربي يفتخر بعروبته ودينه ، ويرفع راسه عاليا من اجلهما ، واعادنا الله من هذا الزمان الذي صار العربي يخجل من انتسابه الى العروبة والاسلام .

واللهم ارحم اعزاء كرماء نبلاء ذلوا واهينوا ، فانحطت لغتهم الدالة عليهم والمشيرة اليهم .

— 3 —

لم تفهم هذه الجماعة منا — غفر الله لها — التي تتعصب للغة الفرنسية او الانجليزية وتفضلهما على لغة امها فى كل وقت وحين ، ان اللغة العربية ، التي يطيب لهم الطعن فيها والنيل من امرها ، ليست من جنس الفرنسية ولا من جنس اللغة الانجليزية ولا من احدى مثيلاتهما فى شيء ، وكان على هذه الجماعة ، التي تتبجح علينا بأنها نالت فى المدارس والمعاهد والكليات العصرية التي مرت منها ثقافة عميقة صحيحة، أن تعرف ان اللغة العربية ، كسائر اللغات متأثرة بالبيئة التي ولدت ونمت ، وترعرعت فيها .

ومن الجهل بالامور ان يطالب المرء اللغة العربية بما يطالب به الفرنسية او الفرنسية بما يطالب به اللغة العربية ، والعاقل اللبيب هو الذي يقدر لكل أمر قدره ، وكل ، — حتى فى ميدان اللغات — ميسر لما خلق له .

واللغة العربية منشأها الصحراء واهلها الناطقون بها صحراويون بدو ، رعاة ابل ، وسكان وبر ، وهم معتزون بهذه الحياة مقبلون عليها بفرح وسرور .

واللغة الفرنسية منشأها بلاد باردة شديدة البرودة ، واهلها الناطقون بها سكان مدن وارياف ، تغمرها المياه من كل جانب فى جميع فصول السنة وتغطيها الثلوج فى جزء مهم من فصل الشتاء ، وبلاد اللغة العربية سهول واودية يغطيها فى كثير من الاحيان رمال مختلف الالوان ، لا يستقر على قرار ؛ تتحكم في مصيره رياح حارة ، عاصفة تذروه فى كل اتجاه .

بالحديث اسماء عادية يستطيع ان يذكرها الكل للجميع ، دون حياء ؛ بل فيها كلمات يطلب الادب من الناس ان يترفعوا عن ذكرها مع الاخرين او اذا جاز الحديث بها مع الاجنبي ، كره الحديث بها مع فرد من افراد العائلة قريب أو بعيد .

ومن بين هذه الكلمات المفردة التي وردت في بيت الشاعرة حاجة بنت الحفص الركونية للشاعر ابي جعفر ، والتي نطلق عليها حياء الخلاء .

ومن بين هذه الالفاظ التي نستحيي من ذكرها امام من نحترمه ، ما جاء في البيتين الشهيرين الذين وصف بهما ولادة بنت المستكفي الشاعر الاندلسي ، ابن زيدون حين قالت له :

ولقبت المسدس وهو نعت
تفارقك الحياة ولا يفارق

. . . .

وديوث وقرنان وسارق

اعوذ بالله من هذه الالفاظ ، تصدر من امراة عالمة نشأت في بيت الخلافة .

– 8 –

هذه الالفاظ ومثيلاتها التي مرت بنا آنفا ، لا لا نقولها بذاتها ، وانما نعبر عنها ، اما بما يشعر بها ، واما بوصف يقارب معناها . كل حسب مداركه .

فهذه الالفاظ وامثالها كثيرة مقتولة غير مستعملة بذاتها ، وان كان القاموس العربي يشملها هي وشرحها .

وكثيرا ما نغير اللفظة التي توحي بفجور أو مجون بلفظة « طاهرة » تدل على معناها ولكن هذه اللفظة « الطاهرة » تنزل مع الاستعمال ومع طول المدة الى الدرك الوسخ ، فتبدأ توحي بما كانت توحي به اللفظة القديمة التي سبقتها .

والامثلة على ذلك في اللغة العربية كثيرة جدا ، واخاف ان اقتصرت على اللغة العربية لم تعم الفائدة لاننا نقولها متأسفين – لا نهتم بعد بتطور لغتنا ، حتى نستطيع ان نأخذ العبرة من امثلتها . ولذا اراني مضطرا ان امثل باللغة الفرنسية وما يقال في لغة يقال في سائر اللغات . (1) كانوا يطلقون في اللغة الفرنسية على مكان الخلاء Cabinet ثم رأوا انها كلمة ساقطة يجب الترفع عنها فقالوا w.c وهما الحرفان الاولان من كلمتين ساكسونيتين . لكن بعد استعمال طويل اتضح انهما صارتا بدورهما توحيان بما لا نحب ان نسمعه ، ولهذا نرى الان في عصرنا هذا الميل الى تغيير w.c

ب Toilette وهي مفردة لا زالت طاهرة ، واعتقد انها ستبقى طاهرة لمدة طويلة وبعد ذلك تقتل كما قتلت مثيلاتها . هذه هي نهاية كل كائن حي ؛ ولله الامر من قبل ومن بعد .

أكادير : الراجي التهامي الهاسمي

---

(1) انظر شرح ذلك في مقالي جولة عبر الالفاظ (مجلة الايمان السنة الاولى العدد 6) .

شبابنا – عفا الله عنه – عن استعمالها . وحجته في هذا الصدد ان العبارة محملة دينا ، وان رائحة الفقه تعبق منها من بعيد ، عفا الله عن شبابنا وهداه السبيل .

— 5 —

اللغة كما قال أكثر من مفكر « كائن حي » وهو كالكائن الحي ، تولد وتنمو وتشب وتهرم ثم تموت . تمر فى حياتها بما يمر منه كل كائن حي . ولابد لكل كائن حي من مسببات ليولد، والولادة قد تكون عسيرة، وقد تكون صعبة ، والولد قد يكون معروف الوالدين، وقد يكون مجهولهما . وليس ثمة اي فرق بين الولد يولد من بطن الام ، بعد مخاض قد يطول وقد يقصر ، وبين الكلمة تولد فى فم الناس .

ولابد لكل كان حي من مسببات ليموت ، والموت اصعب مما نظن ، يعرف علاماتها الاطباء ويشاركهم في بعضها عامة الناس . والالفاظ – لانها كائنات حية ايضا – تموت ؛ وعلامات قرب فنائها معروفة عند المهتمين بهذا الامر . ولا بأس بذكر بعضها هنا ؛ فقد يفيدنا ذلك فى معرفة لغتنا ، وهي الغاية التي نريد الوصول اليها . واكرم بها من غاية ! يصيب اللفظة بعد الاستعمال الطويل عياء لا قبل لها به ؛ فتبدأ اجزاؤها تتقلص وتسقط الواحدة تلو الاخرى ، وتشرف على خطر داهم يقودها الى نهايتها .

لكن لكل داء دواء ، فداء السل كان يميت الناس دون شفقة ولا رحمة ، فوجد الاطباء له علاجا بعد بحث مضن ، متواصل ، وهم الان يبحثون عن دواء لداء السرطان ، ولن تخيب جهودهم ابدا .

فحقن B.C.G. تقتل مكروب Koch الفتاك ، فتطيل عمر المصاب بداء السل الى ان يشاء الله ، ولكنها لا تمنحه الابدية .

وعلماء اللغة توصلوا الى نفس النتيجة التي توصل اليها اخوانهم الاطباء . استطاعوا أن يجدوا دواء للفظة التي اصيبت بداء فتاك كداء السل واطالوا بذلك عمرها الى ان يشاء الله ، ولكنهم لم يمنحوها ولن يمنحوها الازلية على كل حال ، وما هم بقادرين .

قلنا اعلاه ان اللفظة تولد وتموت كما يولد كل حي ويموت ، وقلنا ان للولادة اسبابا ، وللموت اسبابا ، ولكننا لم نمثل لذلك بعد .

اما ولادة اللفظة فأمر معروف لا يحتاج الى بيان، فكلما دعت الضرورة لتمتين شيء اوجدوا له ، فى احوال كثيرة ، لفظة تدل عليه ، اما كيفية ايجاد هذه اللفظة ، وتوليدها فامر يطول شرحه ولا تسمح بنشره الظروف الحالية .

اما فناء اللفظة فهو الذي سنبسط الكلام فيه ، لاسباب اهمها أن الناس لا يعرفون بعد ، ان اللفظة تموت ، ولا يعرفون تبعا لذلك علامات فنائها ، ويشرفني أن أكون فى اللغة العربية من السابقين لهذه الفكرة وليست هي على كل حال فكرة نهائية لا تقبل النقاش ، بل هو راي اعتقدت انه صوابا ؛ فاذا عن لغيري عكس ما رايت ، فليتفضل مشكورا لإرشادنا .

اشرت الى علامات قرب فناء اللفظة حين قلت « تبدأ أجزاء اللفظة تتقلص الواحدة تلو الاخرى ، وتشرف على خطر داهم يقودها الى نهايتها ، واحسن مثال لذلك كلمة ، او على الاحرى عبارة « ايمن الله » فقد اصابها مرض عضال ، بدأ ينقص من اطرافها ، فسقط أولا النون من » « ايمن » فصارت « ايم الله » ثم سقط الالف فصارت « يم الله » ثم سقطت الياء فصارت « م الله » آنذاك تدخل اطباء اللغة محاولين تمديد عمر هذه الكلمة فمنحوها دواء ناجعا ، أطال عمرها الى أمد غير مسمى ، فقالوا انها صارت حرفا ، والحرف مبني أبدا . والبناء دواء فعال فى مثل هذه الظروف ، لا يشك احد فى فائدته ، نرجو لهذه المفردة المريضة ولمثيلتها طول العمر .

— 7 —

تموت الافراد لسبب من الاسباب ، ولكنها تقتل ايضا لجريمة ارتكبتها .

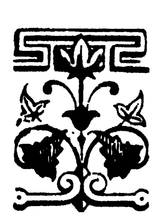
تحدثنا فيما سبق عن الموت الطبيعي يصيب الافراد كما يصيب الالفاظ ، والان نتحدث عن القتل الذي تستحقه ألفاظ اللغة لجريمة اقترفتها كما تستوجبه جميع الكائنات الحية ، حين الاجرام الكبير .

وسبب قتل الكلمات نوعان : نوع مدني ، ان صح هذا التعبير ، تفرضه الحياة التي نعيشها وعوائد الناس من ادب وحشمة ووقار وعفة ، ونوع ديني يحتمه الدين الحنيف ، وتفرضه مبادىء الشريعة السمحاء .

نضطر فى الحياة اليومية التي نعيشها ان نسمي الاشياء بأسمائها ، وليست كل الاسماء التي نتناولها

المذكورين الذي جملته تسعون رباعيا فقبضا ذلك منه وصار اليهما وتوزعاه بينهما شطرين بحسب اشتراكهما فى المبيع المذكور وابرأ فى ذلك زكري والقائد غفور المشترين ابراة تامة براة قبض واستيفاء واذنا له فى قبض النصف من الفوار المذكور فقبض ذلك منهما بأمرهما قبض مثله وحازه باذنهما حوز شكله من الاجزاء المشاعة وصار ذلك اليه وفى يديه تامة للقايد المشترى به وابراهما بتسليمه اليه البراة التامة وتبايعوا جميعا جميع ما ذكر تبايعهم اليه فى هذا الكتاب بعد اقرار ارغيسة وزكري المتبايعين المذكورين بالنظر الى جميع الفوار المذكور والوقوف عليه والتقليب فيه والاحاطة بجميع حقوقه كلها وقصبه الفارسي الذي به وبعد ان وصفه لعايكة البايعة المذكورة واوهى ثقة عارف صفة قام لها مقام العيان والمشاهدة فبعد الاحاطة منهم بذلك كله كما يحاط بمثله عقدوا بينهم التبايع من النصف المذكور فيه بما سمي ونسب عليهم وذلك بينهم بالابدان المتباينة وهي المعرفة التي لا خلاف بين العلماء فى تمامها وما كان فى هذا المبيع من درك يدرك القايد غفور المذكور المشترى له واجبا لجنبه بقدر ذلك وعهد به على ارغيسة ووالدته .عايكة البايعين المذكورين ضمانا صحيحا واجبا عليهما لازما لاموالهما وذمتهما على ما يجب بيع الاسلام وعهدته وتقضي به احكامه وسنته واقر زكري المشتري المذكور اقرارا فرديا بجميع ما ولي اشتراه فى هذا الكتاب للقايد غفور المذكور ومن ماله دفع الثمن المذكور وان اشهد معه عارفه فى هذا الكتاب فيما يجب الاستشهاد عنه وانه ابراه من الثمن المذكور براة تامة وقبل لذلك منه فى يده قبولا والذين شهدوا على عايكة بنت الكاتب أحمد البايعة المذكورة بما سمي ونسب اليها فى هذا الكتابمن البيعاو القبض والتسليممن عرفها بحال الصحة وجواز الامر هما من اثبت ... فى الفصل منهما، وشهد على شهادتهم بذلك كله ثم شهدوا اجمعون على معرفة ارغيسة عبد الرحمن الكاتب المعلم البايع المذكور وعلى معرفة زكري بن سليمان العطار النصراني المشتري المذكور وعلى اقرارهما واشهادهما على انفسهما بجميع ما سمي ونسب اليهما فى هذا الكتاب من عرفها بحال الصحة وجواز الامر وذلك بتاريخ العشر الاول من رجب من سنة ست وخمسمائة شهد بذلك كله : مجاهد بن حسين الكندي محمد .. ابن محمد القيسي ، علي بن ابي الفتح بن ... محمد ابن ابي الفتح بن ...

تطوان : محمد بن تاويت



الحمد لله وحده

من المعلوم جدا ان الحمدلة هذه كانت مما اختصت به الكتابة الموحدية ، فقد اتخذوها علامة لهم ، ووجدنا الشاعرة حفصة الركونية تخاطب عبد المومن بهذه الابيات :

يا سيد الناس يا من
يؤمل الناس رفده
امنن علي بصك
يكون للدهر عده
تخط يمناك فيه
الحمد لله وحده

ويذكر بعض المؤرخين المعاصرين ان يوسف ابن عبد المومن هو الذي اتخذ علامته هذه .

والواقع ان هذه الحمدلة ، كانت معروفة فيما قبل بما يزيد على خمسين سنة ، على الاقل ، فقد عثرنا على وثيقة كتبت بصقلية عام 506 ، مفتتحة بهذه الحمدلة ، فيظهر انها كانت معروفة هكذا ، وان الموحدين اتخذوها ـ متبنين لها ـ علامة لهم ، او ان ذلك كان من محض الصدف ، والوثيقة هي هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده

هذا ما اشترى زكري النصراني بن الشيخ سليمان العطار شرى وكالة للقايد غفور بن الشيخ الاروطو حرسه الله بامره وما له من الكاتب ارغيسة المعلم عبد الرحمن القرشي ومن والدته عايكة بنت الكاتب احمد بن .... التميمي اشترى منهما له باذن كل واحد منهما لصاحبه فى البيع والقبض والتسليم والابرا جميع حظهما ومبلغ ملكهما الذي بينهما نصفان بالسوا وذلك النصف يتبايعاه من جميع الفوار ذي القصب الفارسي الذي من رباع مدينة بلرم بقرب الدجاجين هو الذي نصفه الباقي من املاك القائد غفور المشتري له جميع هذا الفوار المبيع نصفه فى هذا الكتاب وتحيط به حدود اربع هي نهاياته وآخر غاياته فالحد القبلي منه ينتهي الى ...لعبد الحميد العلالي والحد الشرقيمنه ينتهي الى الطريقالحاملة اليباب سور...ومنه مدخله ومخرجه والحد الفربي منه والدبور منه ينتهيان جميعا الى ربع سدوس فاشترى زكري بن سليمان المشترى المذكور من ارغيسة ووالدته عايكة البايعين المذكورين جميع حظهما ومبلغ ملكهما فى الفوار المذكور وهو النصف على المشاعة من جميعه بجميع ما لذلك من حق فى جميع حقوقه كلها أرضه وقصبه الفارسي الذي به وفى حدوده كلها وما يعد له وينسب اليه من جميع جهاته وساير امكانه وجنباته اشترا صحيحا جايزا لا شرط فى عقده يفسده ولا عدة تنقضه ولا خيار يبطله ولا على جهة رهن ولا تليجة سوى شروطه المذكورة فى هذا الكتاب بثمن جملته تسعون رباعيا دوقية جيازا حول بصقلية دفع زكري المشترى المذكور الى ارغيسة ووالدته عايكة البايعين

139 – في مدتكم المباركة ... !

فى كتاب « الذخيرة السنية » ص 28

« يحكى ان السيد ابا ابراهيم (ابن وانديـن الموحدي) لما وصل الى مدينة فاس مهزوما .. وقف بباب الفتوح ... ليتدارك به الناس ... فيدخل بهم البلد ... فبينما هو واقف هناك اذ اقبل عليه من اهل عسكره حفاة مستترين بالمشعلة (*) فقال لهم : ما هـذا ... ؟

فقالوا له : فى مدتكم المباركة ... ! وتحت لوائكم المنصور ... !! »

140 – ويختار الـودع ... !

وجدت فى ديوان الشاعر الفحل الفقيه سيدي محمد غريط :

بئس هذا الدهـر من دهـر بـه
كل من شب على الخفض ارتفـع

فكـأن الدهـر زنجـي غـدا
يترك الدر .. ويختار الودع .. !

141 – الشاذلي « بضم الذال »

فى الرحلة الناصرية المطبوعة على الحجر بفاس ص 17 .

« **لطيفة** : وجدنا بسجلماسة فى حجة سنة ستة وتسعين فى كتاب « الاذكار » للمديوني . وهو كتاب جليل كبير ضبط سيدنا ابا الحسن الشاذلي بضـم الذال المعجمة ... !! وعبارته الشاذلي بضـم الـذال ... !! »

والمعروف الجاري على الالسنة كسرها ...

142 – قد نزل العسـل من السمـاء ... !!

فى كتاب (ضياء النبراس فى حل مفردات الانطاكي بلغة فاس) تأليف سيدي عبد السلام العلمي ... المطبوع على الحجر بفاس ...

(*) نبـات معـروف .

« **خشكنجبين** » : طل كالمن . وقد نزل يوما عندنا على الصوابر التي هي خارج باب الفتح احد ابواب فاس كالعسل فكانت الصبيان تاتي بعيدان الصابرة للمدينة وعليها ذلك العسل غير انه كالعسل المر ... اعني فيه طعم الصابرة ... وعامة الناس تقـول :

قد نزل العسل من السماء .... !!! »

143 – العياشي .. وبردلة .. وابن الحاج ..

اجتمع هؤلاء الاعلام : ابو سالم العياشي المتوفى سنة 1090 هـ وابو حامد العربي بردلة المتوفى سنة 1133 هـ وابو العباس ابن الحاج المتوفى سنة 1109 هـ فى جنان الشيخ حمدون المزوار المتوفى 1088 هـ وهذا الجنان كان يسمى قصيبة ...

فأنشد ابو سالم العياشي :

يا صاحبي . فما العمر باجمعـه
وان تطاول من يوم السرور بـدل

فاغتنما اليوم ببستان قصيبـة
عشية هي للمشتاق اقصى أمـل

ما بيـن دوح وازهـار منمقـة
وجدول مثل دمع فى الخدود همـل

فأجابه ابو حامد بردلة :

في فتية كبدور التم قـد طلعـت
اذا ارى حسنهم بدر السماء افـل

فقال ابو سالـم :

وغنت الطير والاغصـان مطرقـة
وقد كساها اصيل اليوم ثوب خجل

فقال بردلة :

فياله زمنا نلنـا السـرور بـه
وغاب عنا الاسى لو كان فيه مهـل

ثم تتابعت المداعبات بينهم الى ان توجه ابو حامد بردلة الى ابن سالم العياشي قائلا :

لنـا خليـل لا يفـي
بـوعـده اذا وعـد



للأستاذ: عبد القادر زمامه

134 – لولا مصائب الدنيا ... !

تحدث الحافظ ابو نعيم الاصبهاني فى «الحلية» ج 10 ص 164 قال :

«حدثنا محمد بن الحسين ، قال سمعت محمد ابن عبد الله يقول : دخلت على ابراهيم المغربي ... ؟ وقد رفسته بغلة فكسرت رجله .. ! فقال :

لولا مصائب الدنيا لقدمنا على الله مفاليس .. !

135 – صلاح الدين .. وأبو زكرياء المغربي ... ! ؟

تحدث العماد الكاتب الاصفهاني فى كتابه «الفتح القسي» ص 263 ... قائلا عن صلاح الدين الايوبي .. :

« وتيمن السلطان بزيارة الشيخ الفقيه الزاهد التقي ابى زكرياء المغربي ... وهو مقيم فى مسجده . عند قبر عمر بن عبد العزيز ومشهده ... وقصده السلطان على فراسخ ... ولقي منه فى الحلم والوقار الطود الراسخ ... واهتدى بسجاياه ... ! واقتدى بوصاياه ... ! ! »

36 – مسك .. ! وكافور ... !

وجدت من شعر العلامة ابن عبد الله المسناوي الدلائي المتوفى سنة 1136 هـ ...

قالت :

اری مسكة الليل البهيم غدت
كافورة اخلقتها راحة الزمن

فقلت : طيب بطيب ! . والتبدل في
روائح الطيب غير ممتهن

قالت : صدقت ولكن ليس ذاك كذا
المسك للعرس..!والكافور للكفن.

137 – الجميلات ... قبل القبيحات

فى (الذخيرة السنية) ص 42 أثناء الحديث عن ابي العباس السبتي .

« وكان مذهبه رحمه الله ... ان اهل الجمال من النساء الفقيرات .. تجب الصدقة عليهن مخافة فسادهن ، وان القبيحات .. لايتصدق عليهن بشيء حتى يستغني الملاح ... ! ! »

138 – فكانت مباركة ... !!

في (الذخيرة السنية) ص 66

« وفيها (سنة 641 هـ) نقض امير المومنين السعيد (الموحد) جامع حسان الذي برباط الفتح وصنع بخشبه الاجفان الفزوانية .. ! فكانت مباركة ... ! فأحرقت بوادي ازمور ... ! ! !



للشاعر اللبناني الأستاذ حسن الأمين

حييت طالعة الربيع وانما ... ازكى ربيعنا ربيع جهاد

شارت به يافا وهبت غزة ... وتصايح الاجناد بالاجناد

قومي ربيعهم السيوف وعيدهم ... في كل واد صرخة استشهاد

زانت دماؤهم الجبال ونضرت ... اشلاؤهم وجه التراب الصادي

سل عنهم ريا السهول وطيبها ... وغضارة الاغوار والانجاد

هل غير محمر الدماء زهورهم ... وغناؤهم غير الرصاص الشادي

اربيع طبت ففي نسيمك عبقة ... من صوت كل مناضل نواد

وعلى رياضك من جراحة يعرب ... في القدس طاقات من الاوراد

اربيع لن تهتاج غير حماستي ... بجمالك الزاهي وغير زيادي

يا منشدا غر القصائد هاتها ... من فيك شعرا ملهب الانشاد

حدث عن الابطال عن غزواتهم ... عن كل مقدام وكل جواد

حدث عن الوطن الذبيح واهله ... كم يستغيث ويرتجي وينادي

الناعمات الغيد بعد وجومها ... متضاحكات للنضال شوادي

يهتفن للحرب العوان ثوائرا ... ويهجن بأس الفتية الانجاد

فيجيبهن رصاص ابطال الحمى ... متتابع الابراق والارعاد

فتميد في البر المديد جباله ... ويسيل بالنيران قلب الوادي

* * *

صمتا فقد نطق الرصاص وحسبنا ... ان الرصاص الى القتال ينادي

يرتـــاح للجـــدوى اذا
كـان لوقتهـا أمـــد

ثـم اذا استنجـزتـــه
عنـد حلولهـا جحـــد

فاجابه أبو العباس ابن الحاج :

استغفر الله ولا تقل مقالا ينتقـــد
فمن وصفت لا يفي مثل وفائه أحد

فقال أبو حامد بردلة :

بـــل اتـــق اللـــه ولا
تشهـد شهـادة تـــرد

وقـــل بمـــا تعلمـــه
فقولـك الحـق اســـد

144 ـ « صلوات » الانفـــاس ... !!

من اغرب واطرف ما وجدت فى تحريف اسمـاء الكتب والمؤلفين ما ذكره الفيلسوف الوجودي الدكتور عبد الرحمن بدوي فى كتابه « التـراث اليونانـي فى الحضارة الاسلامية » الطبعـة الثانيـة ص 233 ... التعليق رقم ـ 1 ـ

« يروي الكناني (كذا) فى صلوات الانفاس (كذا) طبعة فاس سنة 1314 هـ ج 2 ص 190 ... عن سيدي محمد بن الهاشمي المتوفى سنة 823 هـ ... انه لقب بصاحب النور المحمدي لانه كان اذا راى احدا يقول : أهلا بالنور المحمدي »

ولا شك انه يقصد : « الكتاني » كما يقصد كتابه الشهير « سلوة الانفاس »

145 ـ ودع العيـــــش ... !

وجدت من شعر المؤرخ الشاعر الفحل مـولاي احمد النميشي رحمه الله .. :

جس الطبيب يدي كي يدرك الالمـا
وصاخ بالسمع نحو القلب فابتسما

وقال ماذا الذي تشكو ، فقلت لـه :
انت الطبيب الذي يشخص السقما

فقال لي:قد فحصت الجسم منك فما
الفيت ضرا به . ولم اجـد المـــا

فقلت : دائي عياء لسـت تعرفـــه
قد حار قبلك فى تشخيصه الحكمـا

دائي صدود الذي اهوى وجفوتـــه
ووصله يذهب الاسقام والالمـــا

فقال : داء عضال قد اصبـت بـــه
فودع العيش وارقب بعده العدما.!

فاس : عبد القادر زمامة

المحنة المنبهة

للشاعر المدني الحمراوي

روعت قلبا ساليا   واسلت دمعا غاليا
واثرت شجوا فى الحشا   يا مخبرا بل ناعيا
اودت فلسطين التي   شغفت مدى آماليا
عاث اللصوص بقدسها   وجنوا هناك مخازيا
كم قتلوا من نسوة   فعلوا بهن مساويا
وامامهن ـ بطفلة ـ   ذبحوا لهن ذراريا
بقروا بطون حوامل   ورموا بهن عواريا
وعلى الشيوخ تجمعوا   ضربا وقتلا ضاريا
وعلى ضعاف عالة   صبوا جحيما حاميا
حسبوا التوحش مكسبا   به يبلغون معاليا
لكنهم لو حققوا   لراوه خزيا باقيا
وغدا يعود عليهمو   بوباله متراميا
ما جار ـ قط ـ مسلط   الا تدحرج هاويا
فليذكروا اجرامهم   وليرقبوا به جازيا
والمسجد الاقصى الذي   صبوا عليه دواهيا
وجنوا على حرماته   واتو شنارا باغيا
سيحاسبون بقسوة   ويرون يوما عاتيا

في سفح نابلـــس لهيـــب معـــارك   وعلى جبال القدس صوت جهـــاد
كـــل يلـــوذ بنخـــوة عربيـــة   كـــل يردد صرخـــة استنجـــاد

* * *

يا ثائـــرا بالنـــار يحمي أرضـــه   ويذب عنهـــا جاهـــدا ويفـــادى
لم يستكن للغاصبين ولم يـــدع   علجا يدوس مراقـــد الاجـــداد
انشدتني لحن الرصاص وربمـــا   اشجاك في ليل الوغى انشـــادي
قد صغت فيك الشعر حرا ثائـــرا   يذكي الجبان ويستهيج الهـــادي
ارنو اليك فمن لظاك قصائـــدي   نظمت ومن قاني دماك مـــدادي
ردد على الاسماع انغام الظبـــى   ناريـــة الترجيـــع والتـــرداد
قل للغفاة عن القتـــال الـــم تـــروا   ماذا يراوح « قدسكم » ويغـــادي
يا نائمين على الحريـــر ومـــا دروا   انا نتـــام علـــى فـــراش قتـــاد
متلفعيـــن دم المعـــارك ما لنـــا   الا الحصا في القفر ظهر وســـاد
نغدو على النيران يذكيهـــا لنـــا   غدر اللئـــام وخســـة الاوغـــاد
ونبيت لا ندري انصبح بعدهـــا   أم ان عيـــن المـــوت بالمرصـــاد
يا نائميـــن ومـــا دروا انا هنـــا   لسنا نـــذوق اليـــوم طعم رقـــاد

لبنان : حسن الامين

أصداء في الأدب الموحدي

للأستاذ محمد بن تاويت

نريد بالادب الموحدي الشعر منه أكثر مما نريد النثر . ونريده متصلا بهذه الدولة بالذات ، وهو بذلك شعر الامداح وما اليها من تهنيات ووصف انتصارات فيها أو في بعضها

وليس بيدنا بعد ذلك شيء لو اردناه الا بعض القصائد لابن حبوس .فابي حفص الاغماتي ثم ابي الربيع سليمان الموحدي .

كما أنه ليس بيدنا أيضا من هذا الشعر قصائد في الرثاء والرثاء كما كانت الجمهرة تتصوره اخو المدح الا ما كان من ابى الربيع فى بعض اخوته

أما رثاء الملوك والامراء من حيث انهم كذلك فهو باب فى الادب العربي عامة باب ضيق جدا بقدر ما باب الامداح واسع جدا

فمن الاول الراثين فى الشرق البحتري فى رائيته التي تحولت الى رثاء الايوان ، ولا نعلم على عهده وحتى فى العهد الموحدي من رثى الملوك ممن مدحهم او غيرهم

ويبدو أن الرثاء لم يكن من طبيعة شعرائنا فاننا لا نجده فى ذلك الوقت وحتى بعده بنحو قرنين من الزمان الا فى اولئك الشعراء الذين اتصلوا بالاندلس فقلدوها كمثل ابى الربيع المذكور فى القرن السادس وابن شهيد فى القرن السابع

الى ان كان القرن العاشر فوجدنا بعض الرثاء لامراء سعديين مثل محمد الحراف

ولا يمكن أن يعلل هذا بعدم الوفاء بل بالطبيعة اولا وبالحرج الذي كان يحس به الشعراء ثانيا فاظهار اللوعة كان لابد ان يقترن بالفرحة وغالبا ما يكون هذا المطلوب مدعاة للكلفة التي تجعل صاحبها يضعف فى شعره ازاء تصوير هذين الانفعالين كما سنجد قريبا فى بعض مراثي ابن دراج

ثم ان هذه الاصداء التي نعنيها فى الادب الموحدي لا يسمح لنا الوقت باستيعابها ودراستها كما يجب بل اننا نكتفي فيها الآن بنماذج قليلة تاركين القول الاخير فيها لمناسبة اطول من هذه هنا فى بلدنا هذا او فى بلدكم المغرب ان شاء الله

وبهذا فمضوعنا نماذج من أصداء فى أمداح الموحدين ثم فى النهاية نوميء الى مصدر او مصدرين من هذه الاصداء فى نثرهم ونكتفي بذلك

نهضت الدولة الموحدية على حلم عظيم ارادت ان تحققه بكل عزم وفي كل ميدان ، ذلكم الحلم هو الثورة على كل شيء ، الثورة على الاوضاع السياسية والاجتماعية ، الثورة على مناحي التفكير فى العقائد والاحكام والعلوم عامة ، الثورة بالتجديد فى كل شيء ، وباعادة صرح الدولة الاسلامية الكبرى قويا شامخا عظيما مهيبا .

فكانت الاطاحة بدولة الفاطميين ، بعد انتقاد المجتمع الذي كانوا يعيشون فيه ، كما نعلم من مناظرة ابن تومرت وتصرفاته الاولى ، وكان نظام تفكير في العقيدة يختلف تمام الاختلاف عما كان عليه فى المغرب

حتى تقول ذئابهم ... جاء القصاص مساويا
فلنمحقن غرورهم ... بالنار محقا قاسيا
ولنكتبن صحيفة ... ما ان ترى لها طاويا
من بعد نصر ناله ... سلف سندرك ثانيا
لن نسلم الاقصى ولن ... نرضي عليه تغاضيا
سنذود عنه عصابة ... قد دنسته تعاميا
حتى يعود مطهرا ... منهم ويبقى ساميا
مسرى الرسول محمد ... ما ان ترى له ناسيا
كيف السكوت وأحمد ... صلى هناك مناجيا ؟
ربط البراق ببابه ... حتى تعبد داعيا
ثم استقله صاعدا ... في الجو يعرج ماضيا
هل بعد هذا رخصة ... تدع الموحد لاهيا ؟
كلا فان القدس لـ ... ـلاسلام كان مآويا
عمر أتاه مصليا ... وصلاح فكه تاليا
وغدا نعيد حرامه ... يوما قريبا آتيا
حتى يكون الحق يو ... م الفتح عنا راضيا

الرباط — المدني الحمراوي



لا شك ان الشعراء المحترفين يجدون انفسهم مضطرين الى من يرفدهم في حرفتهم التي يتنفسون بأنفاسها حتى الرمق الاخير ، ولهذا فاننا نجد صورهم تتكرر ، تكرر انفاس اطماعهم ، وقد يختنقون فيتنفسون تنفسا صناعيا يسعفهم غيرهم ، وما اشد ما يكون هؤلاء من رجال الاسعاف ، اذا ما شهروا بالقدرة والمهارة في عملهم ، بل كثيرا ما يكون اولئك الضعاف من الشعراء متنفسا لهؤلاء الاقوياء منهم ، كما نجد ذلك في اخبار ذي الرمة مع غيره من المستضعفين واخباره هو ـ مستضعفا ـ مع اولئك الفحول من نحو جرير وغيره .

وعلى كل حال ، كان شعراؤنا بالبلاط الموحدي يبحثون عن الاقوياء لينجدوهم ، وكانت ابصارهم تشخص غالبا الى الشرق والاندلس .

اما الذين آووا الى الشرق فالتمسوا بغيتهم في المتنبي ، وأولهم محمد بن حبوس الفاسي ، الذي كان اول من انشد عبد المومن من الشعراء الذين اجتمعوا على بابه بالمناسبة الآنفة الذكر ، فقد انشده قصيدة، اولها كما في المعجب :

بلغ الزمان بهديكم ما أملا
وتعلمت ايامه أن تعدلا

وبحسبه ان كان شيئا قابلا
وجد الهداية صورة فتشكلا

ومنها ابيات نجدها في نظم الجمان ، وهي :

بخليفة المهدي سيدنا اغتدى
نهج العلوم معبدا ومذللا

وتفجرت عين النباهة بعد ما
قد كان خاطرها اكل واجبلا

قد صير المعقول قلبا مائلا
فمتى رميناه اصبنا المقتلا

ورعى جميم العلم في أوطانه
من كان يبدي الضعف ان يتنقلا

وافيت حضرته المقدس تربها
فاذا الذي ابصرت لن يتخيلا

ووقفت وسط سماطه فوجدته
سوقا تقام على المعارف والعلا

لم الق الا عالما وازاءه
متعلما متكثرا متقللا

ومدارسا تسع الرياضة لو راى
سقراط سيرتها لذم الهيكلا

وبصرت بالطوسي يفهق حوله
وابي المعالي مجملا ومفصلا

لم الف الا مصقعا أو مفلقا
ومجادلا عن دينه ومرسلا

والكل في علم الامام مقصر
حسب المبرز منهم ان ليلا

فاترك عكاظا والوفود بسوقها
حذقا وسحبان الخطيب ودغفلا

يعشو لها الاعشى بنار محلق
ويضم علقمة اليها جرولا

والحق بحضرته السنية واستمع
للقول واحذر ـ ويك ـ ان تتقولا

فيها كمال الدين والدنيا معا
وسعادة الارواح في أن تكملا

فهذه القصيدة قدت على قصيدة معروفة مدح بها المتنبي ابن العميد على أول وفوده عليه ، ومطلعها:

باد هواك صبرت ام لم تصبرا
وبكاك ان لم يجر دمعك او جرى

ومن اغرب ما نجد في هذا الباب ، أن الشاعر ابن حبوس هذا ، اغار على بيتين في مطلع قصيدة للمتنبي ، يمدح بها سيف الدولة ، فجعلهما في مطلع قصيدة يمدح بها احد الامراء فقال :

سر حل حيث تحله النوار
واراد فيك مرادك الاقدار

واذا ارتحلت فشيعتك غمامة
انى حللت وديمة مدرار

تنفي الهجير بظلها وتنيم بالر
رش القتام وكيف شئت تدار

وقضى الاله بأن تعود مظفرا
وقضت بسيفك نحبها الكفار

وكان المتنبي قد قال :

سر حل حيث تحله النوار
واراد فيك مرادك المقدار

واذا ارتحلت فشيعتك سلامة
حيث اتجهت وديمة مدرار

بل في العالم الاسلامي عامة ، تفكير قالوا انه اشعري ولكنه في الواقع لم تكن فيه بيزنطية الاشعري كما عهدنا في الشرق ، اذ كانت فيه عناصر عملية تنفجر بالاعتزال وآونة بالخارجية ان وجدت في هذا وذاك متنفسا لها ، وتنظر في مناهج العلوم ، فتجد المنهج الاولي منها يحتاج الى ثورة عارمة ، فيعهدون الى ابن مضاء ، واذا به يحمل راية الثورة على منهج النحاة ويؤلف كتابه المعروف ، وهذا الفقه كان قد وصل الى مرحلته الراكدة واغلق ابوابه على الفكر الاسلامي ثم اغلق نوافذه فاختنق به من كان على رمق من الحياة ، فجاء الموحدون ، وحطموا أو حاولوا أن يحطموا هذا السجن،وقالوا بالانطلاق،اجل،الانطلاق والعتق والتحرر من كل قول وكل مذهب ، والاعتصام بالمنبع الاول الكتاب والسنة ، فالفت التآليف العديدة ، ولم يكونوا كذلك في ظاهرية او حزمية بالحرف ، بل كانوا الى جانب الفكرة عمليين يربون النشء على هذا التحرر ، كما يربونه على الفتوة والجهاد في سبيل العقيدة والدين .

هذه مباديء اجملها الناس فيما وسموا به ثورة ابن تومرت ، ولكن ابن تومرت وثورته بعد هذا في حاجات الى دراسات ودراسات لم ينتبه اليها الدارسون حتى الآن ، وكل ما يمكن ان يقال أن الرجل بدأ بالعمل تلاه الظهور بالفكرة على عكس ما عهد في غيره

وعلى كل حال فالثورة الجذرية حاصلة ، وتدعيم الثورة لابد له من ايمان قوي وثقة عميقة وطاعة متفانية لهذا القائم بالثورة وبهذا الزعيم في الفداء ، وفي هذا الداعي الى خلق المعجزات ، فناخذ اذن بمذهب الشيعة ، القائم على الايمان بالحق الالهي والطاعة لمن تحقق بذلك ، والثقة بالمصير فهو خالد خلود الدهر وهو وارث الارض وهو الجبل الذي لا تنفصم عراه ، الا ان هؤلاء لم يركنوا الى التشيع ركونا نظريا يرجع الى الماضي فيحاسب عليه ويطمح الى المستقبل فيغرق في حلمه ، ويبقى بين الماضي وبين المستقبل يدفعه هذا ويجذبه ذاك ، وانما اراد ابن تومرت أن يرى للاصحاب هذه الحقيقة عيانا ، ففعل فيها ما فعل ووفق في فعلته القاسية ، فكان النصر حليفا وكانت دولة الموحدين ، تهدر بالعظمة وتجيش بالقوة ، فلا يحدها البحار الهائجة ولا الجبال الماردة ولا الصحارى الشاسعة

من المعلوم ان الدولة الموحدية كانت اول دولة مغربية ، حرصت على الشعر يقال فيها ، والمدح يسجل مفاخرها ، ولهذا وجدنا اول خلفائها ، عبد المومن ، يستدعي اليه الشعراء ، وقد حل بجبل الفتح ، فيقول فيه هؤلاء ما قالوا ، ويتولاه بالتعليق عليه استحسانا او استهجانا أو استيثارا ، فيقول مثلا بهذا تمدح الخلفاء تعليقا على مدح الشريف الطليق ، وحينما يقول هذا : ما للعدا جنة اوقى من الهرب يرفع صوته بقوله:الى اين؟ الى اين؟ فيتم الشاعر بيتهبقوله: اين المفر وخيل الله في الطلب ، ويقول معلقا على بيتي ابن سيد، غمض عن الشمس واستقصر مدى زحل

وانظر الى الجبل الراسي على جبل
انى استقر به انى استقل بـم
أنى راى شخصه العالي فلم يزل
لقد تقلتنا يا رجل

نعم ، هذا ما كان من عبد المومن وهو ما كان من الخلفاء بعده ، حرصا متناهيا ، ونقدا بارعا ، تحلوا به منذ عبد المومن الى المامون على الخصوص

فما اللون الذي كان هؤلاء الخلفاء يحسونه في هذه الامداح ؟

لقد كان الموحدون مفتونين بالعظمة ماخوذين بها في كل شيء ، ومن تلك تسميتهم لانفسهم بالخلفاء ، كما رأينا من عبد المومن ومن الملك العضمة المتمثلة لنا حتى الآن في مبانيهم بالمغرب وغيره ، وكذلك وجدناهم مسحورين بهذه العظمة في تلك الامداح التي تصلصل باجراسها ، وتطغى بمعانيها ، طغيانا لا حد له ، ولكنه في ذوق يستسيغه وسياج من الحكمة يحيطه ، ولهذا رفض عبد المومن من الشاعر هذا الجبل الذي تعجب ان يستقر على جبل طارق وان يستقل به جبل طارق الذي راى شخص عبد المومن فلم يزل ... بينما نراه تقبل هذا الجبل من الشريف الطليق حينما قال :

وطود طارق قد حل الامام به
كالطور كان لموسى ايمن الرتب
لو يعرف الطود ما غشاه من كرم
لم يبسط النور فيه الكف للسحب
ولو تيقن بأسا حل ذروته
لفار كالعين من خوف ومن رهب

فانظروا الى الفرق بين تناول الشاعرين ، ولهذا كان التعليق عليهما مختلفا ، كما راينا

من ناحية المعاني اغراق في المبالغة ، ولكن التناول تناول الفنان البليد ، هو ابن سيد اللص ، وتناول الفنان اللبق هو الطليق

ومطلع الاخرى فيه :

المجـد عوفي اذ عوفيت والكـرم
وزال عنـك الى اعدائـك الالـم

ولم يحاول ابو الربيع ان يخفي اخذه بل عمد فضمن من القصيدة شعره وقـال :

قلنـا نترجم عن اخلاص حبكـم
اذا سلمت فكل الناس قد سلمـوا
فليهنا وجميع الخلق راحة مـن
وجدان كـل حياة بعدكـم عـدم

واراني في غنى ان اذكر حضراتكم هنا ببيتي المتنبـي :

وما اخصـك في بـرء بتهنئـة
اذا سلمت فكل الناس قد سلمـوا
يا مـن يعـز علينـا أن نفارقهـم
وجداننـا كل شيء بعدكم عـدم

ويقول ابو بكر بن المنخل مادحا لعبد المومن بهذه المناسبة ، بقصيدة مطلعهـا :

فتحتم بلاد الشرق فاعتمدوا الغربا
فان نسيم النصر بالفتح قد هبـا

بانيا قصيدته على قصيدة للمتنبـي فيمـدح سيف الدولـة :

فديناك من ربـع وان زدتنا كربـا
فانك كنت الشرق للشمس والغربـا

ففيها نجد ابياتا كثيرة شديدة الاتصال بالتـي للمتنبي ، وخصوصا في هذه :

وكيف التذاذي بالاصائل والضحـى
اذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبـا

ويقول شاعرنا :

رميتم بها مثل السهـام فاصبحت
كماتهم صرعـى واموالهـم نهبـا

وقـول المتنبـي :

سراياك تترى والدمستق هـارب
واصحابـه قتلـى وامواله نهبـا

ويقـول :

فلو لم تجزها السفن نحو عدوهـا
لجازت اليه البحر تقطعـه وثبـا

وقـال المتنبـي :

ذكرت به وصلا كان لم افـز بـه
وعيشا كانـي كنت اقطعه وثبـا

ويقـول :

اتوكـم يجرون الحديد سوابغـا
كانهـم البحر الغمالط قـد عبـا

ويقـول المتنبي :

ويخشى عباب البحر والبحر ساكن
فكيف بمن يغشى البـلاد اذا عبـا

ويقـول :

اذا اجـدبت ارض نحاهـا بجـوده
فما اغزر السقيا وما اكثر الخصبا

ولو علـم الناس الخفيات امـره
لمـا درسوا صحفا ولا صنفوا كتبـا

ويقـول المتنبـي :

فيا شوق ما ابقى ويالي من النـوى
ويا دمع ما اجرى ويا قلب ما اصبا

عليـم باسرار الديانات واللغـى
له خطرات تفضح الناس والكتبـا

ويقـول :

فلمـا تـلاقيـم وبينت الوغـى
تولوا وقد طـارت قلوبهم رعبـا

ويقـول المتنبـي :

كذا يترك الاعداء من يكـره القنـا
ويقفـل مـن كانت غنيمته رعبـا

ويقـول :

فما اعطت العرب القيـاد طواعـة
ولا اسمحت ودا ولا اذعنت حبـا

ويقـول المتنبـي :

ولم تفترق عنـه الاسنـة رحمـة
ولم تترك الشام الاعادي له حبـا

ويقـول :

ضمان عليكم ان تبيحـوا حريمـه
وان تكسروا فيها التماثيل والصلبا

وبهذا نرى شاعرنا ابن حبوس لم يغير الا تغييرا طفيفا لا يذكر ، ثم موه على ذلك كله بما نجده فى ادراك العوام ، وهو ما فى البيت الثالث

قال عبد الواحد المراكشي فى هذا الشاعر : كانت طريقته فى الشعر على نحو طريقة ابن هانيء الاندلسي، فى قصد الالفاظ الرائعة والقعاقع المهولة وايثار التقعير ، وهذا قد يكون صحيحا فى بعض قصائده المتصلة بهذه الدولة ، ولكننا وجدناه متصلا بالمتنبي فيما بأيدنا من اشعار تتصل بالدولة .

وللشاعر اشعار وقصائد اخرى فى اغراض خاصة لا تبدو عليها مسحة لا للمتنبي ولا لابن هانيء ، وكذلك القول فى غيره من مثل الاغماتي وابى الربيع الموحدي ممن سيذكرون فيما بعد . ولهذا فهذا اللون كان مطلوبا من الدولة فى عهود عظمتها الاولى قبل ان يكون صادرا عن سلائق الشعراء انفسهم .

ومن الشعراء الذين يعتبرون شعراء البلاط الموحدي ، شاعر كانت له مواقف مع ابى العباس الجراوي ، شاعر الخلافة كما قيل ، هذا الشاعر هو ابو حفص عمر الاغماتي ، الذي نجد من قصائده في الدولة قصيدة يفتتحها بقوله :

الا هكذا تبنى العلا والمآثر
وتسمو الى الامر الكبير الاكابر

ولا شك ان هذا المطلع نظر الى مطلع القصيدة التي شهرت جدا عن المتنبي فى سيف الدولة :

على قدر اهل العزم تاتي العزائم
وتاتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم فى عين الصغير صغارها
وتصغر فى عين العظيم العظائم

ومن الاسف ان ليس بيدنا من قصيدة الاغماتي الا مطلعها،والا لكنا لا محالة نستشف منها الوانا وصورا من فن المتنبي عموما او قصيدته تلك خصوصا .

وهذا الجراوي نفسه نجده فى مدحه لابي يعقوب يوسف بن عبد المومن يقول :

ستملك ارض مصر والعراقا
وتجري نحوك الامم استباقا

اذا لم يتفق راي وراي
افادا في محبتك اتفاقا

صفا لك كل قلب غير صاف
وزحزح عن ضمائره النفاقا

وحقكم وحقكم عظيم
لقد حسن الزمان بكم وراقا

وقد بلغ الوجود بكم مناه
وقد امنت عصا الدين انشقاقا

تبادرت الفتوح اليك تجري
غرائبها وتستبق استباقا

امير المومنين ومن عليه
سنا الاسلام يأتلق ائتلاقا

ويا ملكا احنت كل ارض
الى ارض اقام بها اشتياقا

يحن اليك يوم غير ءات
ويشكو الذاهب الماضي الفراقا

شكوت فأي قلب غير شاك
واي العيش لم يمرر مذاقا

ولولا عطفة الابلال كنا
بنار الوجد نحترق احتراقا

فهذه القصيدة تنظر الى قصيدة المتنبي فى سيف الدولة ومطلعها :

ايدري الربع اي دم اراقا
واي قلوب هذا الركب شاقا

فهو ايضا من هؤلاء الشعراء الذين رددوا اصداء المتنبي فى امداحهم لهذه الدولة ، الا ان ما بيدنا من اشعاره ، يجعلنا نعتقد على عكس ابن حبوس انه كان يعتمد على ابن هانيء الاندلسي اكثر من اعتماده على المتنبي ، كما سنرى .

وهناك شاعر آخر اخذ بنصيبه من الشرق والاندلس وهو الامير ابو الربيع الموحدي حيث نجده فى قصيدة قالها فى المنصور بمناسبة شكوى الم به ومطلعها :

الم بالملك من آلامك الالم
ومال بالملوك الساق والقدم

يعتمد على قصيدتين للمتنبي فى سيف الدولة مطلع احداهما :

واحر قلباه ممن قلبه شبم
ومن بجسمي وحالي عنده سقم

تنومهم بيض الخدود نواعم
وتوقظهم سمر القنا والسوابق

وفي بعض الاحيان قد تكون المعاني غير واضحة القرابة الا ان اتساق القافية على وتر واحد يجعلنا نطمئن الى ان الشاعر كان ينظر اليها ، ويقال ان القرشي الطليق ، لما مدح عبد المومن ببائيته التي استحسنها ، فقال بهذا تمدح الخلفاء ، كان يعارض بها ، كما يقول المقري ، بائية ابي تمام في المعتصم ، والواقع انه كان ينظر الى بائية للمتنبي في رثاء اخت سيف الدولة ، ومطلعها :

يا اخت خير اخ يا بنت خير اب
كناية بهما عن اشرف النسب

اما قصيدة الطليق فمطلعها :

ما للعدا جنة اوقى من الهرب
اين المفر وخيل الله في الطلب

فهذا المطلع مأخوذ من :

وعاد في طلب المتروك تاركه
انا لنغفل والايام في الطلب

ويقول شاعرنا :

ان آب من غزوة افنت اعاديه
كان الاياب لاخرى اعظم النسب

ناظرا فيه الى مطلع المتنبي
ويقول :

جرت معارفكم في الناس كلهم
جري الصقال على الهندية القضب

ويقول المتنبي :

فما تقلد بالياقوت مشبهها
ولا تقلد بالهندية القضب

ويقول :

وطود طارق قد حل الامام به
كالطور كان لموسى ايمن الرتب

وقال المتنبي :

اذا رآى ورآها راس لابسه
رآى المقانع اعلى منه في الرتب

وغير هذه ابيات ينظر فيها من بعيد الى المتنبي ، ولا علاقة للقصيدة مع بائية ابي تمام :

السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

ولا شك ان التناول غير واضح تماما ولكنه على كل حال محسوس ، كما انه محسوس في ابيات اخرى للمتنبي اخذه فيها من بائية ابي تمام وان لم يتنبه لهذا احد على ما في علمي .

ويقول اسماعيل بن عمر الشواش قصيدة في تهنئة عبد المومن بعيد الفطر يستهلها بقوله :

بأمرك اسمع الداعي المهيب
وسعدك يسر الفتح القريب

ناظرا الى قصيدة للمتنبي في مدح سيف الدولة :

ايدري من ارابك من يريب
وهل ترقى الى الفلك الخطوب

وهذه قصيدة اخرى قالها صاحبها ـ وهو ابو عمر بن حربون ـ مهنئا يوسف بن عبد المومن بالبيعة يقول في مطلعها :

لكم بعد حمد الله تهدى المحامد
وفي وصف علياكم تصاغ القلائد

فقد نظر فيها من بعيد الى قصيدة للمتنبي في مدح سيف الدولة ومطلعها :

عواذل ذات الخال في حواسد
وان ضجيع الخود مني لماجد

وهذه قصيدة اخرى لعمر بن حربون ايضا يهنئه فيها بالاياب من جبل الفتح ويقول في مطلعها :

بأيمن طائر كان الاياب
وانجح مطلب بلغ الطلاب

فقد نظر فيها الى قصيدة للمتنبي في مدح سيف الدولة يقول في مطلعها :

بغيرك راعيا عبث الذئاب
وغيرك صارما ثلب الضراب

وهذه اخرى له في مدح الامير ابي حفص الموحدي ، اخي الخليفة يوسف ، يقول في مطلعها :

وجد النسيم ثناءكم فتعطرا
ورأى الوشيح مضاءكم فتأطرا

نظر فيها الى لامية المتنبي في ابن العميد التي تقدم ذكرها

ويقـــول المتنبي :

وخلى العذارى والبطاريق والقـرى
وشعث النصارى والقرابين والصلبا

الى غير هذه الابيات التي شعر ابن المنخل فيها بالحرج ، فأراد ان يتخلص منه بلباقة في قوله :

ويستنشد البطريق في عرصاتكـم
« فديناك من ربع وان زدتنا كربـا »

فهو ياتي بهذا الابداع ليفهمنا انه قصد ما يشبه المعارضـــة .

ويخاطب ابن سيد المالقي عبد المومـــن بقصيدة ذيل بها كتابا كان جوابا عن آخر ذيل بشعـــر كذلك، فيقـــول في مطلعهـــا :

هو الامـــر امر الله ليس لـــه رد
يؤيـــده أيـــد ويسمو بـــه جـــد

ناظرا فيها من بعيد الى قصيدة للمتنبي يمـدح بها علي بن سيار ومطلعها :

اقـــل فعالي بلـــه اكثـــره جـــد
وذا الجد فيه نلت أو لم أنل جـــد

وكذلك نجد اللامية التي مـدح بها اللص عبـد المومن بجبل الفتح ، تنظر الى قصيدتين للمتنبي فـي سيف الدولة ، مطلع احداهما :

اجاب دمعي وما الداعي سوى طلـــل
دعـــا فلبـــاه قبل الركب والابـــل

و مطلـــع الاخـــرى :

اعلى الممالك ما يبنـــى على الاســـل
والطعـــن عند محبيهـــن كالقبـــل

ويمدحه عبيد الله بن صاحب الصلاة بقصيدة طويلـــة مطلعها :

تـــلألأ من نـــور الخلافة بـــارق
اضاءت به الآفـــاق والليل غاســـق

ناظرا الى قصيدة للمتنبي في مدح الحسين بن اسحق التنوخـــي ومطلعهـــا :

هو البين حتى ما تأنـــى الحزائـــق
ويا قلب حتى انت ممـــن افـــارق

فنجد في هذه ابياتا تنظر الى اخـــرى قصيدة المتنبي ، منها هذه

يقـــول شاعرنا :

تكـــاد الربـــى تنحط عند لقائـــه
وتسرع نهضـــا للقـــاء السمالـــق

فلو شاء لم يركب جوادا بجحفـــل
ولا حملته في السفـــار الايانـــق

ويقـــول المتنبـــي :

وليـــل دجوجـــي كأنا جلت لنـــا
محيـــاك فيه فاهتدينا السمالـــق

فما زال لولا نـــور وجهك جنحـــه
ولا جابـــه الركبـــان لولا الايانـــق

ويقـــول :

ففي ظلـــه امن من الخـــوف مانـــع
وفي كفـــه بحـــر من الجـــود رازق

ويقـــول المتنبي :

فما ترزق الاقدار من انت حـــارم
ولا تحرم الاقـــدار من أنت رازق

ويقـــول :

فلـــولاك لم يقطـــع حسام لضارب
ولا فتـــق الخطـــي ما هو فاتـــق

ويقـــول المتنبي :

ولا تفتـــق الايام ما انـــت راتـــق
ولا ترتـــق الايام ما انـــت فاتـــق

ويقـــول :

اذا هـــم امرا لم يلـــح بحقيقـــة
وغـــاب دليل للتفهـــم صـــادق

بدا من ضياء العقـــل هدي يدلـــه
عليه ومن نـــور البصيرة سابـــق

ويقـــول :

فـــلا ذو يـــد الا لأمـــرك ناصـــر
ولا ذو فـــم الا لشكـــرك ناطـــق

ويقـــول المتنبي :

يحاجي به ما ناطـــق وهـــو ساكت
يرى ساكتـــا والسيف فيه ناطـــق

ويقـــول :

الحـب حيث المعشـر الاعـداء
والصبـر حيث الكلة السيـراء

قولـه :

جهـل البطارق انه الملك الـذي
اوصـى البنين بسلمـه الآبـاء
فتصرف في هذا الاخذ تصرفا بينا

والى جانب الادماج فى قصيدتـه ، نـرى على العكس تفريقا ، كما في قوله السابق في المطلع :

لمـن الخيـول كانهـن سيول
غصـت بهـن سبائـب وهجـول

طويت لها الدنيـا فأبعد ما انتحت
دان وابطـأ سيرهـا تعجيـل

اذ فرق فيهما البيت :

ووراءهم حيث انتحوا وامامهـم
تطـوى بهـن تنائـف وهجـول

كذلك نجد للجراوي قصيدة اخرى يقول فيها :

كانت محـل اناس قبلنا فخلـوا
عنهـا وآثارهم فيهـا مقيمـات

تالله لـو علمت مقـدار وارثهـا
هبت اليـك رباهـا والقـرارات

الى ان يقـول :

ومن نكـن من أمير المومنيـن فقد
قامت على فضلـه منه الشهادات

اهنـا امام الهـدى فالعدل منبسط
والدين منتظم والكفـر اشتـات

أعيت مآثركم من ان تنـال وكـم
شنت عليهـا من الاقوال غـارات

وكم ارادت ولاة الشعـر تحصرها
فاخفقـت دونهـا منهـم ارادات

هـذي ابيات عبـد مخلص لكـم
محض اعتقـاد وما تغني الابيـات

الامر اعظم مقدارا وارفـع مـن
ان قد تحيط بـه منـا مقامـات

ففي هذه نجد معاني من القصيدة التي استهلها ابن هانيء فى المعـز بقولـه :

مـا شئت لا ما شـاءت الاقـدار
فاحكـم فأنت الواحـد القهـار

الى ان يقول في انتصاراته على الروم :

كانـت جنانـا أرضهم معروشـة
فأصابهـا مـن جيشـه اعصـار

امسوا عشاء عروبـة في غبطـة
فأنـاخ بالمـوت الزؤام شيـار

واستقطع الخفقـان حب قلوبهـم
وجـلا الشرور وحلت الاذعـار

ويختم القصيدة بقولـه :

والبحر والنينـان شاهـدة بكـم
والشامخـات الشـم والاحجـار

والدو والظلمان والذئبـان والغـ
ـزلان حتـى خرنـق وفـرار

شرفت بك الآفاق وانقسمت بك الـ
ـارزاق والآجـال والاعمـار

عطرت بك الافواه اذ عذبت لك الـ
ـأمـواه حين صفت لك الاكـدار

جلـت صفاتك ان تحـد بمقـول
ما يصنـع المصـداق والمكثـار

واللـه خصك بالقـرآن وفضلـه
واخجلتـي ما تبلـغ الاشعـار

وهذه قصيدة قالها الجراوي في عبد المومـن بمناسبة انتصاره على طاغية الروم بالاندلس ، ومطلعها:

اعليـت ديـن الواحـد القهـار
بالمشـرفيـة والقنـا الخطـار

فيأخذ فيها من قصيدة لابن هانـيء فى المعـز بمناسبة انتصاره على الروم البزنطيين ومطلعها :

اقول دمى وهـي الحسان الرعابيب
ومن دون استار القبـاب محـارب

قباب واحباب وجلهمـة العـدى
وخيـل عراب فوقهـن اعـارب

فأخذ البيت وصيره في قولـه :

بعراب خيـل فوقهـن اعـارب
مـن كـل مقتحم علىّ الاخطـار

وبأمر من هذا الامير نظم قصيدة على لسانه يتشوق فيها الى اخيه الخليفة يقول فى مطلعها :

سـلام ايهـا الملـك الهمـام
على نـاديـك دام له السـلام

فنظر فيها الى قصيدة للمتنبي فى مدح المغيث بن علي العجلي ، ومطلعهـا :

فـؤاد مـا تسليـه المـدام
وعمـر مثـل مـا تهب اللئـام

ولابن حربون قصائد اخرى في الموحدين كـان ينظر الى المتنبي فى اغلبهـا

واما الذين اتجهوا الى الاندلس حيث ابن هانيء فأبو العباس الجراوي السالف الذكر

لقد اشتهر الجراوي بالمـدح كما اشتهـر ابن هانيء به ، وكان مدحا قاصرا على الدولـة الموحدية ، او ما حفظ لنا منه قاصر عليها ، كذلك ما حفظ لنا من مدح ابن هانيء يكاد يكون قاصرا على الدولة الفاطمية، الا أن هذا فيه قواد ورجال دولة الى جانب الخليفـة المعز لدين الله ، بينما الـذي حفظ لنا مـن مـدح الجراوي قاصر على الخلفاء الاربعـة ، الاول : عبـد المومن فابنه يوسف فابن هذا يعقوب فابنـه محمـد الناصر ، ولهذا كان على حق من سمى هذا الشاعـر بشاعر الخلافة الموحدية ، وكان ابن هانيء أثير لـدى المعز لدين الله ، حتى انه قال عنه ، وقد بلغه نعيه : انا كنا نريد ان نباهي به المشرق . وكذلك كان الجراوي لدى عبد المومن ، فقال له : يا ابا العباس انا نباهي بك الاندلس . وكـان الجـراوي يعتمد فى قصائده على قصيدة لابن هانيء قالها فى انتصارات المعز على الروم بتخوم الشام مطلعها :

يـوم عريض في الفخـار طويـل
ما تنقضي غـرر لـه وحجـول

وكان ذلك اواسط القرن الرابع

وفي منتصف القرن السادس كان الخليفة الاول عبد المومن الموحدي يسترجع المهدية من يد النصارى، واذا بالشاعر الجراوي ينظم قصيدته فى هذا الحادث الجلل ، على وتيرة قصيدة ابن هانـيء المذكـورة واستهلهـا بقولـه :

لمـن الخيـول كأنهـن سيـول
غصت بهـن سبائـب وحجـول

طويت لها الدنيـا فابعد ما انتحت
دان وابطـأ سيـرهـا تعجيـل

يفـزو اديم الارض من صهلانهـا
مثل اسمهـا حتى تكـاد تـزول

فصهيلها محض الثنـاء وان يكـن
لا يفهـم الاسماع منهـا صهيـل

تثنـي على الملـك الذي ايامـه
ستر على هـذا الورى مسـدول

عـم البسيطـة ملكـه فكأنـه
سيـل على كـل البلاد يسيـل

جهـل النصارى انه الملك الـذي
يـرث البـلاد وعـذرهم مقبـول

اهل الجهالـة هم فكيف الوهـم
وعلمت ان الطبـع ليس يحـول

وكان ابن هانيء قد قال فى قصيدته تلك :

انت الـذي ترث البـلاد لديهـم
فالارض فـال والسجـود دليـل

اهل الفرار فليت شعري عنـدهم
هل حدثـوا ان الطبـاع تحـول

وليسمعـن صليلهـا في هامهـم
ان كان يسمـع للسيوف صليـل

ووراءهم حيث انتحـوا وامامهـم
تطـوى بهـن تنائـف وهجـول

واستشعرت اجبـالها لك هيبـة
حتى حسبنـا انهـا ستـزول

ورعيـة هداب عـدلك فوقهـا
ستـر على مهجاتهـا مسـدول

ومن اخفى فعله اخذه هذا البيت :

شهـد البريـة كلهم لك بالعلـى
ان البـريـة شاهـد مقبـول

وقلبـه في قولـه :

جهل النصارى انه الملـك الـذي
يـرث البـلاد وعذرهـم مقبـول

على انه اخذ مما سبقه الوصف بـ « الذي يرث البلاد » كما انه اخذ من قصيدة اخرى فى الموضـوع ومطلعهـا :

وهـل يرد الغيران مـاء وردتـه
اذا ورد الضرغـام لم يلغ الذئـب

وللجراوي قصيدة كان قد قالها في ابي يعقوب يوسف بن عبد المومن ، بمناسبة انتصاره على نصارى الاندلس استهلها بقولـه :

نظـر بكـل سعـادة مقـرون
نالت بـه الدنيـا المنى والديـن

تقديـم من شهد الوجـود بانـه
ما زال بالتقديـم فيـه قميـن

ثـم يقـول :

تغـزو المهابـة عنه كل معانـد
ولو انـه اشتملت عليـه الصيـن

وتشب حيث توجهت عـزماتـه
حـرب كمـا وصفت لنا صفيـن

الى ان يقـول :

وكفاهـم ان كـان منهم مفخـرا
معنى الوجـود وسـره المكنـون

ملك اذا اضطرب الزمـان مخافـة
لم يعيـه التسكيـن والتاميـن

ثـم يقـول :

وجرى الى الامـد الذي لم يجـره
ملك ولم تصعـد اليـه ظنـون

عـذرا ابا يعقـوب ان عـلاكـم
قـد افنت الامداح وهي فنـون

لا يبلـغ المنثـور الا بعـض ما
ترضـى لك العليـا ولا المـوزون

وكم مدحـة لك بعدهـا مذخورة
تـزن المدائـح كلهـا وتـزيـن

لو لم يسد الا نظيـرك لم يجـز
فيـه الامين مـدى ولا المامـون

قـد كـان ما نلت يرقب حينـه
حتى أتـى ولكـل شيء حيـن

ما زال امركم الذي هـو عصمـة
والعـز لا يـعـدوه والتمكيـن

فهو في هذه القصيدة ينظر الى اخـرى لابن هانيء قالها في المعـز ، ويقال انها اول قصيدة لـه فيـه ، ومطلعهـا :

هـل من اعقـة عالـج يبريـن
ام منهما ما بقر الحـدوج العيـن

وفيهـا يقـول :

هـذا معـد والخلائـق كلهـا
هـذا المعـز متوجـا والديـن

هـذا ضمير النشأة الاولى التـي
بـدأ الالـه وغيبهـا المكنـون

الى ان يقـول :

القت بأيـدي الذل ملقى عمـرها
بالثـوب اذ فغـرت لها صفيـن

ثم يقـول :

اولم تشـن بهـا وقائعـك التـي
جالت وراء الهنـد منهـا العيـن

بل لو سريت الى الخليـج بعزمـة
سرت الكواكب فيه وهي سفيـن

ثـم يقـول :

قد جاء امـر الله واقترب المـدى
من كـل مطلع وحـان الحيـن

ورنا الى البلـد الاميـن بطرفـه
ملـك على سـر الالـه اميـن

وهـذه قصيدة له في المنصور يهنئه بسلامـة ايابـه مـن سفـر :

ايـاب الامـام حيـاة الامـم
توالـى السـرور بـه وانتظـم

فهـو في هذه القصيدة ينظر الى قصيدة لابن هانيء في مدح القائـد جعفـر بن علي الاندلسي ، ومطلعهـا :

امـا والمذاكـي يلكـن الشكـم
وضرب القـوانس فـوق البهـم

يقـول الجـراوي :

وجـاد بـه الارض صوب الحيـا
وجلـى الظلام بـه بـدر تـم

بعد ما اخذ مطلع القصيدة من اخرى ، وهي الهمزية التي سبقت الاشارة اليها ، قوله :

اعليت دين الله يا ابن نبيه
فاليوم فيه تخمط وإباء

وهذه قصيدة اخرى له قالها في المنصور بمناسبة استرداد قفصة من ابن غانية استهلها بقوله:

عدوكم بخطوب البين مقصود
وامركم باتصال النصر موعود

وملككم مستمر ما له امد
موقت دون يوم الحشر محدود

القى على كل جبار كلاكله
كانه وهو فى الاحياء مفقود

الى ان يقول :

القى السلاح وولى يبتغي امدا
ينجيه وهو مروع القلب مفؤود

ما مر يوما بباب ظنه سببا
الى التخلص الا وهو مسدود

وهبه عاش اليس الموت اروح من
عيش يخالطه هم وتنكيد

ويختمها بقوله :

قد ابهج الدين والدنيا مقامكم
وكيف لا وهو عند الله محمود

جارى مناقبكم شعري فقصر عن
بلوغ ادنى مداها وهو مجهود

من ليس معتقدا ايجاب طاعتكم
فليس يغنيه ايمان وتوحيد

وضاكم الدين والدنيا وعدلكم
ظل ظليل على الايام ممدود

دمتم حياة بني الدنيا ودام لكم
نصر وفتح وتمكين وتأييد

ففي هذه القصيدة نجد ريحا لقصيدة لابن هانيء قالها فى المعز بمناسبة ورود رسل الروم طالبين للصلح ومطلعها :

الا طرقتنا والنجوم ركود
وفي الحي ايقاظ ونحن هجود

الى ان يقول فى ملك الروم :

وما حلفت الا الهجوم وراءه
وان قال قوم انهن حشود

ولكن راى ذلا فهانت منيته
وجرب خطبانا فلذهيد

وعرض يستجدي الحمام لنفسه
وبعض حمام المستريح خلود

الى ان يقول في ممدوحه :

من الخطل المعدود ان قيل ماجد
ومادحه المثني عليه مجيد

وهل يستوي وحي من الله منزل
وقافية في الغابرين شرود

ولكن رايت الشعر سنة من خلا
له رجز ما ينقضي وقصيد

شكرت ودادا ان منك سجية
تقبل شكر العبد وهو ودود

فان يك تقصير فمني وان أقل
سداد فمرمى القائلين سديد

وان الذي سماك خير خليفة
لمجري القضاء الحتمي حيث تريد

اذا هجروا الاوطان ردهم الى
مصارعهم ان ليس عنك محيد

الى ان يقول :

وملكك ما ضمت عليه تهائم
وملكك ما ضمت عليه نجود

ويختم القصيدة بقوله :

اليك يفر المسلمون بأسرهم
وقد وتروا وترا وانت مقيد

وان امير المومنين كعهدهم
وعند امير المومنين مزيد

على ان الجراوي اخذ فى قصيدته تلك بعض معان من غير ما ذكرنا كهذا البيت :

اذا حمى الاسد الغضبان ناحية
لم يفترس ثعلب فيها ولا سيد

من قول ابن هانيء فى قصيدة سنذكرها بعد :

هو الدوحة الشماء فى الارض اصلها
وقد زاحمت منها السماء الذوائب

لـه نسبة قيسية قرشية
تقر لها بالمعلومات المناسب

حقيق بميراث النبوة والهدى
ولا عجب ان المزايا مواهب

بقيتم امير المومنين وسعدكم
تهز قنا منه وتنضى قواضب

وبالجملة فان شاعر الخلافة ابا العباس الجراوي لو انصف لقال قولة البحتري في أبي تمام « ما اكلت الخبز الا به »

ومن الذين اخذوا بنصيبهم من الاندلس كما قلنا الامير سليمان الموحدي كما نجده فى قصيدة يمدح بها المنصور بمناسبة استرداده لقفصة كما سلف يستهلها بقوله :

ضاءت بنور ايابك الظلماء
وتباشرت بقدومك الارجاء

وهل البلاد وانت الا روضة
عطشانة وسحابة هطلاء

الى ان يقول :

ومواكب اردفتها بمواكب
ضاء الفضاء بها وغص الماء

ثم يقول :

وارتج بغدان وماج بغزه
ارض الشام ومصر والبلقاء

ففي هذه استعان بقصيدة لعبد الحق ابن عطية كان قد مدح بها الامير المرابطي عبد الله بن مزدلي فقال :

ضاءت بنور ايابك الايام
واعتز تحت لوائك الاسلام

الى ان قال :

كم صدمة لك فيهم مشهورة
غص العراق بذكرها والشام

واخيرا نجد الى جانب هؤلاء من توجه الى افريقية فى هذه الامداح كما حصل من الشاعر الاندلسي ابى بكر بن مجبر فى قصيدة مدح بها المنصور وهي فى نفس المناسبة التي وجدنا فيها الجراوي يستعين بابن هانيء وابى الربيع الموحدي بابن عطية وكان هذا يستعين بشاعر افريقي لم نعثر على اسمه بالعين وانما عثرنا على شعر قاله بمناسبة انتقال عبيد الله الفاطمي الى المهدية يستهله بقوله :

ليهنك ايها الملك الهمام
قدوم فيه للدهر ابتسام

حططت الرحل في بلد كريم
رعته لك الملائكة الكرام

لئن عظم الحرام وما يليه
كما عظمت مشاهده العظام

لقد عظمت بأرض الغرب دار
بها الصلوات تقبل والصيام

هي المهدية الحرم الموقى
كما بتهامة البلد الحرام

كأن مقام ابراهيم فيه
ثرى قدميك ان عدم المقام

وان لثم الحجيج الركن اضحى
لنا بعراص قصركم التثام

لئن شاب الزمان وشاب ملك
دعائمه اذا عجمت حطام

اما ابن مجبر فقال :

اسائلكم لمن جيش لهام
طلائعه الملائكة الكرام

اتت كتب البشائر عنه تترى
كما يتحمل الزهر الكمام

تنم ولم تفض ولا عجيب
ايحجب نفحة البدر الختام

كأن النصر اضحكها ثغورا
فللأيام عنهن ابتسام

وبالناس يرغب عن اناس
لهم بالدين والدنيا قوام

امامهم اذا سلكوا سبيلا
كتاب الله يتبعه الامام

يصاحبه فيصحبه اماني
ويتبعه فيتبعه الانام

فشكـــرا لخيـــل وفلـك دنـــت
بمستأصل الظلـــم ماحـــي الظلـــم

اذا حـــل في بلـــدة امرعـــت
فطاب جناهـــا وفـــاح المشـــم

وقـــال ابن هانـــيء :

خلقت شهابـا يضـــيء الخطـــوب
ولست شهـــابا يضـــيء الظلـــم

فلـــو كنت حيث نجـــوم السمـــاء
لما كـــان في الارض رزق قســـم

كـــرمت فكنت شجـــى للكـــرام
فلـــم تتـــرك القـــر حتى لـــؤم

واخرى قالها في ابي يوسف يعقوب المنصـــور بمناسبة انتصاره على الفنصو التاسع في وقعة العقاب عـــام 591 ، يقـــول في اولها :

هو الفتح اعيا وصفه النظم والنثرا
وعمت جميع المسلمين بـه البشرى

الى ان يقول في المنصور :

معـــز الهـــدى معليه حامي ذمـــاره
يجيـــر على اعدائه البر والبحـــر

ويقـــول في اواخرهـــا :

معـــان بأمـــداد الملائـــك منـــزل
من المعقل الاسمـــى مناوئه قسرا

يقصر فيه كـــل مثـــن وان عـــلا
واجرى الى اقصى نهايته الفكـــرا

ففي هذه كان على ذكر من قصيدة لابن هانـــيء في المعز ، قالها عام 348 بمناسبة انتصار جوهر ببـــلاد المغرب الاقصى ، ومطلعهـــا :

الا هكذا فليهد من قـــاد عسكـــرا
واورد عـــن راي الامـــام واصدرا

الى ان يقـــول :

اذا حـــاربت عنه الملائكـــة العـــدى
مـــلأن سماء الله باسمك مشعـــرا

ويقـــول في اواخرهـــا :

بلغت بك العليـــا فلم ادن مادحـــا
لاسأل لكنـــي دنـــوت لاشكـــرا

ودون هذا في الاخـــذ من ابن هانيء قصيـــدة لشاعرنـــا قالها في الخليفـــة الرابـــع محمد الناصر بمناسبة بيعته ومطلعها ، صنع جميل جل عن ان يوصفا

وفيهـــا يقـــول :

هي بيعـــة احيى الاله بهـــا الورى
وحمى بها ديـــن النبي المصطفـــى

فأبيات هذه القصيدة تذكرنا بقصيـــدة لابـــن هانيء في مدح المعز يستهلها بقوله :

هذا المعـــز ابن النبي المصطفـــى
سيذب عـــن حرم النبي المصطفـــى

وهناك قصائد اخرى للجراوي نحس فيها بنفس ابن هانيء ولا نستطيـــع رجوعهـــا الى قصيـــدة او قصيدتين ومن تلك القصائد هذه التي قالها في مـــدح المنصـــور وافتتحها بقولـــه :

لـــواؤك منصور وسمرك غـــالـــب
وعزمك للاعـــداء عنـــك محـــارب

لقـــد ثكلت ام المناويء وغـــررت
مبـــاديء من احوالـــه وعواقـــب

سما لاستراق السمع من وهداتـــه
ودون سمـــاء الملك شهب ثواقـــب

تـــلاق عليه البر والبحر ترتمـــي
سفيـــن الى استيصالـــه وكتائب

وفي الغيب من انجاد طائفة الهدى
ونصر اميـــر المومنيـــن غرائـــب

وختمهـــا بقولـــه :

هو الامر امـــر الله ليس يفوتـــه
منـــاو ولا يثنى عليـــه مناصـــب

وما هارب منه ولـــو بلـــغ السهـــا
بنـــاج وهل ينجو من الله هـــارب

بناصرها المنصـــور تاهت خلافـــة
تناسبـــه في حسنـــه ويناسـب

امـــام له فضل على الخلق باهـــر
ومرتبـــة تنحط عنهـــا المراتـــب

مناقبـــه مثل الكواكـــب كثـــرة
ونـــورا الا لله تلـــك المناقـــب

وانت بالسور السبع الطوال
على كل الورى حاكم بالله محكوم

وسبعة الشهب لم تحفل بها ثقة
بوعد ربك هيهات التناجيم

تسمو بنفس على السبع الشداد
فينا وثم لها زلفى وتحكيم

ويختتم القصيدة بقوله :

صل بالصلاة عليه صدق مدحته
ذاك رحيق بهذا المسك مختوم

فالعدد سبعة سر من أسرار الاسماعيلية ولهذا يقول عليك من سرها معنى وتقويم . فهناك آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد واخيرا محمد بن اسماعيل المنسوب اليه المذهب الاسماعيلي وبه – كما يقولون – بلغت الفترة السادسة نهايتها وابتدات السابعة بابنه محمد الذي يعقبه كذلك سبعة من الائمة أولهم ابنه جعفر الصادق وثانيهم ابنه محمد الحبيب (ولد عبيد الله المهدي كما قيل)

ولهذه الدعائم في التاويل الباطني امثال ، فالولاية مثلها آدم والطهارة مثلها نوح والصلاة مثلها ابراهيم والزكاة مثلها موسى والصوم مثله عيسى والحج مثله محمد والجهاد مثله سابع الايمة الذي هو صاحب القيامة .

ولا شك ان اعتقاد السبعة هذا خروج عن جادة الاسلام وان الاغماتي كغيره من رجال الدولة في منأى عن هذا الاعتقاد الفاسد ، بل اننا نلحظ في سبعته تلك روحا اسلاميا صرفا يحتمي بالقرءان « ولقد آتيناك سبعا من المثاني » ويتبرأ من تاثير النجوم ضمنا في قوله :

وسبعة الشهب لم تحفل بها ثقة
بوعد ربك هيهات التناجيم

لكننا مع هذا ما زلنا عند القول بأن الاغماتي استغل السبعة الامامية وحولها ما امكن الى صراطها المستقيم ثم ختم قصيدته بالصلاة على الخليفة الامام كما يفعل الشيعة فقال :

صلى بالصلاة عليه صدق مدحته
ذاك الرحيق بهذا المسك مختوم

والواقع أن رسائل الموحدين تبدو عليها فكرة المهدية صارخة اكثر مما تبدو على الاشعار المتصلة بهذه الدولة وحسبنا أن نرجع الى مجموعة الرسائل الموحدية على عهد عبد المومن لنجد فيها ما قلنا كما نجد ذلك ايضا في خطبة الجمعة التي كانت فيها ادعية تقليدية لاتتغير وهي مثبتة بكتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي .

واخيرا فمهارة كانت من أولئك الناس ان مازجوا بين انماط من الفكر ولاءموا بين أمشاج من النزعات فما وهنوا فيما صنعوا ولا ضاقوا بما سنوا الا فترة ثار فيها المامون وحده وسرعان ما عادوا الى ما كانوا عليه وسجلوا للتاريخ موقفهم في المن بالامامة ولكن النشاط الفكري تحول الى تونس مرة اخرى وتجددت الدولة بالحفصيين منها ولا نستبعد ان يكون ابن الابار كتب لهم درر السمط وهي آخر ومضة للتشيع في هذه الدولة الى أن كانت دولة السعديين فعاد المنصور الى هذه النغمة في اشعار بلاطه التي ترددت في مولديات الفشتالي وعبد الواحد بن احمد الشريف وابى الحسن الشياظمي . وقد جازى المنصور سعيد الماغوس بالآلاف على شرحه لدرر السمط وكان للسياسة عملها .

تطوان : محمد بن تاويت

هو الملك الكريم وما اصبنا
اذا قلنا هو الملك الهمام

فسل ما حل بالاعداء منه
وكيف استوصل الداء العقام

لقد برزت الى هون المنايا
وجوه كان يحجبها اللثام

وما اغنت قسي العز عنها
فليست تدفع القدر السهام

عدوا فوق الجياد وهم شخوص
وامسوا بالصعيد وهم رمام

هو الامر الرضى طوبى لنفس
يكون لها بعصمته اعتصام

حياة الدين دولته فدامت
لامر قد اتيح له الدوام

سلام الله من قرب وبعد
عليه وحسبما نزل السلام

هذا ما يتصل بالناحية الفنية ، وهناك ناحية مذهبية اعني بها المذهب الشيعي ، ولا شك ان الشعراء فى ذلك اعتمدوا كليا على ابن هانيء ولكن اعتمادهم لم يكن متطرفا ، كما اعتمدوا كذلك على مباديءشيعية متطرفة الا انهم لم يفهموا خطر تطرفها او فهموه واخذوا بجانب منه دون الرجوع به الى اصل المذهب فيه ، فالشاعر الجراوي له قصائد تبدو فيها معالم التشيع كقوله فيها مادحا عبد المومن:

لو انها نصرت عليا لن ترد
خيل ابن حرب ساحة الانبار

هم اظهروه مع النبي وواجب
ان يتبعوا الاظهار بالاظهار

الى ان يقول :

اخليفة المهدي دمت مؤيدا
بالله منتقما من الكفار

ومن قصائده محمه فى رثاء الحسن وهي لا تختلف عن تلك المراثي التي نعرفها للشيعة تقرا صبيحة يوم عاشوراء الا بهذا العبث حيث بنى اعجازها على اعجاز معلقة امريء القيس ونظمها للمنصور الموحدي فقال فيها :

الا يا رسول الله صدري توهجا
لمصرع سبط في الدماء تضرجا

فعطلت جيد الياس من حلية الرجا
فتعسا لاقوام يريدون لي نجا
يقولون لا تهلك اسى وتجمل

ويقول :

اقول لحزن في الحسين تاكدا
تملك فؤادي متهما فيه منجدا
ولو غير هذا الرزء راح او اغتدى
لناديته قبل الوصول مرددا

عقرت بعيري يا امرا القيس فانزل

ويقول :

وركب اذا جاراهم البرق يعثر
تذكرت فيهم كربلا فتحيروا

وغيداء لا تدري الاسى كيف يخطر
بثثت لها ما كنت بالطف اضمر

فالهيتها عن ذي تمائم محول

ويقول :

اما لعهود الهاشميين حافظ
السبط يوم للرسالة غائظ

على ثكله قلب الكريم محافظ
فيا مهجتي اني على السبط فائظ

فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي

ويقول :

ايا فاسقا قاد الفرور شكائمه
فأورد في صدر الحسين صوارمه

تهيأ ليوم الحشر تجرع علاقمه
فما لك منجى من خصومة فاطمة

وما ان ارى عنك العماية تنجلي

ولابي حفص الاغماتي قصائد كذلك ، حشر في بعضها مبدا خطيرا للتشيع فهو يقول فى قصيدة :

الله حسبك والسبع الحواميم
تغزو بها سبعة وهي الاقاليم

سبع المثاني التي لله قمت بها
عليك من سرها معنى وتقويم

قاضيا بها ، كما كان القائد ابو العباس احمد بن الفقيه ابي يعزى العرائشي عاملا للسلطان ابي الفداء بهذه المدينة (7) ، ثم فى اثناء القرن الثاني عشر ه يتصل عالم من فاس (8) بالجد الثالث للمترجم السيد اليمني كأحد طلبة مكناس ، التي لمع بها – اخيرا – اسم عمر المترجم : ابي العباس احمد بن الحاج عبد القادر العرائشي (9) آتي الذكر قريبا فى عداد اشياخه ، وهكذا يتبين أن نسبة قبيل المترجم ليست للعرائش المدينة المعروفة شمال المغرب ، وانما هي للموضع المشار له بمقربة من مدينة مكناس .

مولده ومتعلمه الاولي

ولد فى حدود عام 1280 ه \ 1863 – 1864 م ثم حفظ القرءان وتعلم بعض المبادىء الدينية على معلمه الاول :

1 ابي العلاء ادريس بن محمد بن عبد الهادي الوالي الادريسي السجلماسي ثم المكناسي ، المتوفى عام 1335 ه \ 1916 – 1917 م . وقد كان كتابه يقع فى حي « تيبربارين » ، فى نفس مسجد هذا الحي الذي وقع تجديده اثناء العهد اليوسفي .

أساتذته في العلوم

وضع المترجم فهرسة سيرد ذكرها ضمن لائحة مؤلفاته ، وقد أورد فيها اسماء شيوخه فى القرءان والعلوم ، والم بتراجمهم مع مقروءاته عليهم ، وسنقتبس منها فى موضوع اساتذة المترجم ، الذي تبتدىء دراسته للعلوم من عام 1295 ه او قبيلها ، وقد كان عمدته فى هذه المرحلة هم الاعلام الذين سيرد ذكرهم حسب ترتيب وفياتهم :

2 – الطاهر بن الحاج الهادي بن العناية المشهور ببوحدو المكناسي المتوفى عام 1305ه\1888م، قرا عليه لامية الافعال لابن مالك مرتين ، والسلم للاخضري ، وبعض الخلاصة لابن مالك ، والعروض والقوافي ، وطرفا من أول جمع الجوامع للسبكي الى الكناية .

3 – عم المترجم صنو والده للاب : ابو العباس احمد بن الحاج عبد القادر العرائشي المكناسي ، المتوفى عام 1318 ه \ 1901 م ، قرا عليه الربع الاول من الخلاصة ، وكشف الاسرار عن علم حروف الغبار، للقلصادي : من اوله الى فصل حل الاعداد الى ايمتها.

4 – محمد المفضل بن الهادي بن احمد بن المجذوب ابن عزوز المكناسي ، المتوفى عام 1319 ه \ 1901 م ، اخذ عنه المرشد المعين لابن عاشر من اوله الى آخره ، ومرة اخرى الى النصف ، والشمائل المحمدية للترمذي ، والنصف الاول من الخلاصة ، وطرفا كبيرا من الجامع الصحيح للبخاري ، وتدرب عليه في الفتوى .

5 – المفضل بن الحاج المكي بن احمد السوسي الاصل ، المكناسي الدار ، الفاسي الوفاة والاقبار ، عام 1320 ه \ 1902 م ، قرأ عليه الرسالة القيروانية، والموطأ ، والشفا ، وطرفا وافرا من الجامع الصحيح للبخاري ، وبعض المختصر الخليلي ، وشيئا من علم العروض ، والقصيدة الهمزية للبوصيري .

6 – ابو العباس احمد بن الطالب ابن سودة المري الفاسي ، قاضي مكناس ، المتوفى بفاس عام 1321 ه \ 1903 م ، سمع عليه صحيح البخاري بقراءة غيره ضمن جماعة ، سوى مجلسين لم يحضرهما لعذر وقرئا دون حضوره ، واخذ عنه شيئا من المختصر الخليلي من باب الشركة ، وقصيدتي البردة والهمزية.

7 – محمد السعدي بن الحاج محمد المنوني الحسني المكناسي ، المتوفى عام 1334 ه \ 1916 م ، اخذ عنه مطالب الربع المجيب ، وشرح له الرقوم المرسومة على رخامة الوقت بسطح مستودع المسجد الاعظم ، وغير ذلك ، وصار يستنيبه فى توقيت هذا المسجد الى ان استقل به بعد .

8 – محمد بن عبد السلام بن الطيب بن الراضي بن حم الطاهري الحسني المكناسي قاضيها ، المتوفى عام 1339 ه \ 1921 م ، قرا عليه المقدمة الاجرومية مرتين ، والخلاصة ، والمرشد المعين ، ثم المختصر الخليلي وتحفة ابن عاصم الا قليلا فى الاخيرين،

---

7) مقدمة الديوان الاسماعيلي الانف الذكر .

8) هو محمد التاودي ابن سودة المري ، الذي ذكر هذا اواخر فهرسته اثناء ترجمة الصالح السيد لحسن بن مبارك السوسي دفين حي حمام الحرة من مكناس ، « مخطوطة خاصة » .

9) ترجمته فى فهرسة المترجم ، مع « اتحاف أعلام الناس » ج 1 ، ص 455 – 456 .

محمد بن الحسين العرائشي
شيخ الجماعة بمكناس

للأستاذ محمد المنوني

اسمه ونسبه ـ مولده ومتعلمه الاولي ـ اساتذته في العلوم ـ مسموعات واجازات ـ مكانته العلمية ـ اشتغاله بالتدريس ـ الاخذون عنه ـ اشتغالات اخرى للمترجم ـ اخلاقه وغيرته ـ مؤلفاته ـ وفاته ومدفنه وتابينه .

اسمه ونسبه

هو ابو عبد الله محمد بن الحسين العرائشي ، يرقى نسبه الى قاضي مكناس اثناء العهد الاسماعيلي: أبي محمد عبد الوهاب بن الحاج محمد المدعو حم العرائشي (1) ويتسلسل نسب المترجم اليه ـ حسب ابن زيدان (2) ـ هكذا : محمد بن الحسين بن الحاج عبد القادر بن علال بن اليمني بن علي بن القاضي عبد الوهاب المذكور ، وقد جاء ذكر فريق المترجم فى طالعة « الديوان الاسماعيلي » الموضوع فى بعض بيوتات مكناس (3) حسب الفقرة التالية :

العرائشيون من الذين وفدوا مع الولي الصالح سيدي عبد الله بن حمد ، واستوطنوا بالعرائش من ارض « تلاجدوت » بأمر الولي المذكور ، حسبما برسوم ذلك ـ التي بأيديهم ـ القديمة » .

وقد كان المولى عبد الله بن حمد (4) انتقل الى سكنى مدينة مكناس حوالي أوائل القرن التاسع للهجرة ، وبهذا يكون قبيل المترجم وفد على مكناس في التاريخ المذكور ، وحسب الفقرة الانفة الذكر فقد استوطنوا ـ اولا ـ بالعرائش من ارض تلاجدوت ، وهذه ـ حسب الحوالة الاحمدية (5) ـ تقع بحارة « ورزيغة » اسفل المشهد المنسوب سيدي عبد العزيز (6) شمال المدينة على نحو 3 ك. م. ثم انتقلوا للسكنى بداخل مكناس فى تاريخ غير مضبوط، غير انه من المؤكد انهم فى العصر الاسماعيلي ـ كانوا قد استوطنوها ، حيث كان جد المترجم عبد الوهاب

---

1) ترجمة فى « اتحاف اعلام الناس » لابن زيدان ج 5 ص 398 ـ 399 ، مع اضافة معلومات اخرى عنه فى افتتاحية الحوالة الاحمدية بمكناس ، خ. ع. « فيلم » رقم 3 ـ لوحة 2 ، وترجمة والده هي الواردة فى نفس المصدر الاول ج 4 ص 43 ـ 44 .

2) في « اعلام الحاضر والباد . بقطع اوداج من زعم ان الادب في ترك مديح صفوة العباد » ، السفر الاول ، مخطوطة المؤلف بالمكتبة الزيدانية تحت رقم 3174 ، بمناسبة تقديم قصيدة للمترجم ، مع اضافة يسيرة من فهرسة المترجم التي سيرد ذكرها بعد .

3) حسب النص الوارد فى « المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولاي اسماعيل بن الشريف » لابن زيدان ، خ. ع. ج 595 ، ص 237 ـ 243 ، ومع الرجوع الى مخطوطة اخرى من نفس المصدر .

4) ترجمته ومراجعها في « اتحاف اعلام الناس » ج 4 ، ص 498 ـ 501 .

5) « الفيلم »السابق ـ الذكر ـ لوحة 246 .

6) لم اقف على ترجمته .

1925 م ، كتب له بالاجازة العامة ، وبعث لـه بها من فاس في فهرسته الصغرى ، ثم زاره – بعـد هـذا – بداره قرب مدرسة الشراطين من نفس المدينة ، حيث سمع منه الاجازة مشافهة .

23 – محمد بن جعفر الكتانـي الحسـنـي ، المتوفى عام 1345 هـ \ 1927 م ، سمع منه – عـام 1323 هـ – حديث الرحمة المسلسل بالاوليـة ، مـن طريق شيخه الحاج محمد بن علي الحبشي ثم المصري، عن محمد بن محمد – مرتين – بن ابراهيم التاملـي العثماني ثم السلـوي ، عن محمد صالـح الرضـوي البخاري بأسانيده ، وروى عن ابن جعفر – ايضـا بالاجازة – صحيح البخاري ، عن شيخه ابي العباس احمد بن احمد بناني المدعو كلا ، عن محمد بن احمـد السنوسي ، عن محمد التاودي ابن سودة بأسانيده .

24 – محمد بن احمد بن ادريس بن الشريف العلوي الاسماعيلي الحسـني ، الزرهوني ثم المكناسي قاضيها ، المتوفى بها عام 1367 هـ \ 1947 م ، سمع منه الاوائل العجلونية بمنزله من الزاوية الادريسية ، في عشية الجمعة رابع جمادى الاخرة عام 1342 هـ ، واسندها له من طريق الشيخين : عبد الكبير بن محمد، ومحمد جعفر : الكتانيين الحسنيين بسنديهما ، كمـا اجازه بالموجود من فهرسته ، وبفهرسـة الفلانـي ، وبغيرهما ، اجازة عامة بتاريخ ليلـة السبت خامـس جمادى الثانية عام 1342 هـ (10) ، ثم قرأ عليه سورة البقرة بتفسير الجلالين وحاشية الصاوي ، في ليالي رمضان بالروض الزيداني من مكناس ، واستفاد منه فوائد نفيسة جليلة .

وسيكون هذا الشيخ آخر شيوخ المترجم الذين اخذ عنهم دراية او رواية ، مع الاشارة الى ان فهرسته لا تزال تحتفظ بأسانيد اخـرى حديثة وصوفيـة ، تطول الترجمة بايرادها .

مكانتـه العلميـة

كان معدودا من كبار علماء مكناس ، ماهرا في النحو والتصرف ، عارفا بالفقه المالكي على العموم ، متضلعا في فقه العبادات ، مشاركا في علوم الحديـث والتجويد والاصلين والبيـان والمنطـق والعـروض والقوافي ، ملما بالحساب والتوقيت ، ملجأ للطـلاب في تدريس مختلف العلوم ، مرجعـا للعامـة في امـور دينهم ، وكان في أول أمره يعانـي قرض الشعـر على قلة (11) ، كما كان يتعاطى الافتاء في بعض الاحيان ، واشتغل اخريات عمره – أكثر – بوضع مؤلفـات في مواضيع متنوعة .

حلاه شيخ الجماعة الامام ابو العباس احمد ابن الخياط في اجازته له بـ « الفقيه العلامـة ، المحقـق الدراكة الفهامة ، المشـارك المدرس النفاعـة ... ذي التـآليف العديدة ، والتحريرات المفيدة (12) ... » ، وعقد له العلامة الاديب الشهير ، ابو العباس احمـد سكيرج : ترجمة مقتضبة في بعض رحلاته (13) عـام 1329 هـ ، وقد جاء فيها :

« ولصاحب هذه الترجمة ذهن وقاد ، وقريحة تامة ، وله الباع الطويل في علم النحـو . والبيـان . والفقه ، والعروض ، الا انه قليل النظم » .

---

10) ورد نص هذه الاجازة في فهرسة المترجـم ، وتحتفظ المكتبة الملكية بالرباط بأصل الاجازة المكتوب بخط المجيز على ظهر الاوائل العجلونية رقم 1196 ، ويوجد بنفس المكتبة اجازة أخرى صادرة للمترجم وبخط المجيز على ظهر فهرسة ابن غازي رقم 1203 ، مع اجازة ابي العبـاس ابن الخيـاط لـه في فهرسته الصغرى رقم 1205 .

11) ورد شعر المترجم في المديح النبوي عنـد ابن زيدان في اعلام الحاضر والباد : السفر والمخطوطـة السالفي الذكر عند التعليق رقم 2 ، مـع ذيـل خاتمة « الشمائل الترميذيـة » لاستاذه الشيـخ المفضل ابن عزوز ، في قصيدة بمناسبة ختـم هذا الكتاب ، حسب مخطوطة خ. ع. د. 515 ، وعند ابي العباس احمد سكيرج في رحلتيه : « الرحلة الزيدانية » خ. ع. « فيلم » رقم 1030 ، ثم الرحلة الثانية : « غاية المقصود بالرحلـة مع سيـدي محمود » خ. ع. « فيلم » رقم 1029 – لوحة 107 ، وشعره – على العموم – نازل .

12) فهرسـة المترجـم .

13) « غاية المقصـود ... » المصورة الانفـة الذكـر – لوحـة 107 .

مع السلم للاخضري ، وشيء من مقدمات جمع الجوامع للسبكي .

9 — قاسم بن عبد القادر الحسناوي النشواتي ثم المكناسي ، المتوفى عام 1342 هـ \ 1924 م ، اخذ عنه بعض مطالب الربع المجيب ، وعرفه ببعض النجوم التي تتوقف عليها هذه المطالب .

* * *

اما بقية اساتذة المترجم فهم حسب وفياتهم ايضا:

10 — ادريس بن شيخ جماعة القراء بمكناس السيد اليزيد اللنجري ثم المكناسي المتوفى عام 1295 هـ \ 1878 م ، قرا عليه المقدمة الاجرومية مرتين .

11 — محمد بن المجذوب ابن عزوز المكناسي، عم الشيخ المفضل ابن عزوز سابق الذكر ، والمتوفى عام 1297 هـ \ 1880 م ، قرا عليه اول المقدمة الاجرومية .

12 — ابو الصفاء المختار بن الحبيب الاجراوي المكناسي ، المتوفى عام 1300 هـ \ 1883 م ، اخذ عنه المرشد المعين من اوله الى ءاخره .

13 — محمد بن محمد بن الجيلاني بن المعطي السقاط المكناسي ، المتوفى عام 1301 هـ \ 1884 م ، قرا عليه ابعاضا من الخلاصة من آخرها ، ومن جمع الجوامع للسبكي ، ومن الشمائل الترمذية .

14 — عبد السلام بن الحاج محمد ابن عمر الصنهاجي المكناسي الدار ، المتوفى عام 1320 هـ \ 1903 م ، اخذ عنه شيئا يسيرا من الخلاصة والمختصر الخليلي .

15 — محمد بن عبد السلام كنون دعي كنيون — بالتصغير — الفاسي ، المتوفى عام 1326 هـ \1908م، سمع عليه الشمائل الترميذية بالزاوية التجانية ، حين زار مكناس لحضور المجالس السلطانية فى صحيح البخاري فى رجب وتاليه ، وقد ختمها قبل رمضان .

16 — الحاج المعطي بن محمد بن الهادي ابن عبود المكناسي ، المتوفى عام 1330 هـ \ 1912 م ، قرا عليه بعض الخلاصة .

17 — الحاج المختار بن باشا فاس السيد عبد الله بن احماد السوسي ثم البخاري ، المكناسي الدار، المتوفى عام 1335 هـ \ 1917 م ، حضر عنده اياما عديدة فى المختصر الخليلي .

* * *

هؤلاء سبعة عشر استاذا من شيوخ المترجم بمكناس ، ولم يدرس بفاس ، وانما قام برحلات قصيرة لهذه المدينة حضر خلالها دروس بعض كبار علماء القرويين ، وهم :

18 — ابو عبد الله محمد بن المدني كنون الفاسي ، المتوفى عام 1302 هـ \ 1885 م ، حضر بعض مجالسه فى التفسير بضريح سيدي قاسم ابن رحمون ، حيث وجده يقرؤ فى سورة المجادلة الى أن ختمها ، ثم صادفه فى رحلة اخرى يقرؤ بالقرويين جامع الشيخ خليل .

19 — محمد بن التهامي الوزاني ثم الفاسي ، المتوفى عام 1311 هـ \ 1894 م ، حضر بعض مجالسه فى المختصر الخليلي عند باب الحوالة .

20 — محمد التهامي كنون اخ المذكور ءانفا ، والمتوفى عام 1331 هـ \ 1913 م ، حضر بعض مجالسه فى جامع الصحيح لمسلم .

21 — محمد بن قاسم القادري الحسني الفاسي ، المتوفى عام 1331 هـ \ 1913 م ، حضر مجلسه فى جمع الجوامع لابن السبكي عند قول المتن: تأخير البيان عن وقت الفعل غير واقع وان جاز الى آخر المسألة .

مسموعات واجازات

للمترجم سماع واجازات من بعض الاشياخ المغاربة وهم :

— ابو العباس ابن سودة المري سابق الذكر، سمع عليه الجامع الصحيح للبخاري على ما تقدم ، وهذا يرويه من طريق المغاربة : عن شيخه بدر الدين الحمومي ، عن محمد التاودي ابن سودة بأسانيده ، كما يرويه عن مصطفى الكبابطي الجزائري ، عن علي ابن عبد القادر المعروف بابن الامين ، عن علي الصعيدي المصري بأسانيده .

22 — ابو العباس احمد بن محمد ابن الخياط، الحسني الزكاري الفاسي ، المتوفى عام 1343 هـ \

7 — الحسن بن محمد بن الحسين المنوني العدل الحيسوبي الفلكي ، المتوفى عام 1375 هـ \ 1955 م ، وهو من اوائل الاخذين عنه .

8 — ابو الصفاء المختار بن شيخ الجماعة المفضل بن الحاج المكي السوسي ، العدل المدرس المفتي ، المتوفى عام 1378 هـ \ 1958 م .

9 — ابو فارس عبد العزيز بن محمد الامغاري الحيسوبي الفلكي ، المتوفى عام 1380 هـ \ 1960 م .

اشتغالات اخرى للمترجم

رغب المترجم عن التوظيف ، ولهذا ابتعد — الا قليلا — عن مباشرة خطة العدالة وهو يتولاها منذ عام 1314 هـ ، وعمل نائبا عن قاضي احواز مكناس ، ثم انزوى عن ذلك ، وكانت الوظائف التي اختارها لنفسه — على ضئالة مرتباتها — هي التدريس ضمن علماء الطبقة الاولى ، وتوقيت الجامع الاعظم ، مع خطابة جامع قصبة هدراش ، وامامة مسجد الورزيغي ، وفى احد الاعوام كان احد نائبي مكناس فى المجلس الحبسي الاعلى ، المنعقد عام 1335 هـ \ 1917 م (15) .

وكان له ولوع خاص بالنساخة ، يخصص لها وقتا بين اشغاله ، وقد كتب منتسخات عديدة لشيخه قاضي مكناس ابي العباس ابن سودة مار الذكر ، كما نسخ برسم المكتبة الزيدانية بمكناس مؤلفات لا تزال تزخر بها هذه الخزانة فى مجلدات قائمة بنفسها ، او ضمن المجاميع ، وكتب لنفسه الشيء الكثير ، وقليلا كان يكتب لبعض الافراد والمكتبات الاخرى ، وياتي في طليعة منتسخاته : « الفجر الساطع ، على الصحيح الجامع » لمحمد الفضيل الشبيهي سالف الذكر ، في ستة اسفار ، حيث كتب منه نسختين من خط مؤلفه: احداهما للمكتبة الزيدانية ، والثانية لنفسه ، فأحيا بعمله هذا اثرا من اهم واندر ما كتبه المغاربة على صحيح البخاري ، وقد ساهم مساهمة فعالة فى جمع عدد من مواد تاريخ مكناس ، وشارك فى وضع فهارس المكتبة الزيدانيـــة .

اخلاقـــه وغيرتـــه

كان المترجم داعيا الى اتباع السنة بقوله وفعله، محافظا على العبادات ، قواما بالليل ، لا يغتاب احدا ، مثلا بارزا في التواضع ، ميالا الى القناعة والزهد .

هذا الى اهتمام بتعليم الناشئين ، وقد وضع لهذه الغاية فى قواعد الاسلام الخمس ، كتيبا صغيرا سماه « درة الولدان ... » ، ثم طبعه واخذ يوزعه بنفسه — مجانا — على معلمي الكتاتيب القرءانية ، وعلى النشء الصغير ، الذين اعتكف — اخريات عمره — على اقرائه لهم ظهر يومي الاربعاء والخميس ، ثم صنف —لنفسه الغاية— شرحا مبسطا على المقدمة الاجرومية، ،وضحه بالجداول ، واقراه بنفسه حتى ختمه .

وكان عدو التفرنج والتشبه المذموم بالاجنبي ، والف — فى هذا الصدد — رسالة « التحذير والتنفير من الافعال التي تؤدي الى التكفير » .

يحض — كثيرا — على الاهتمام بعلم التجويد ومعرفة احكامه ، وله فى هذا الموضوع شرح على الدرر اللوامع ، وسيرد ذكر هذا — مع المؤلفات الثلاث الانفة الذكر — ضمن لائحة مؤلفات المترجم .

وله مواقف معروفة ضد بعض المبتدعة ، يندد بهم فى مجالسه ، ويذهب الى موطن بدعتهم ليغير عليهم بلسانه ، صارخا فيهم بأن ما هم عليه منكر ، رائده فى هذا : النصيحة للاسلام والمسلمين .

مؤلفـــاتـــه

لم يضع المترجم اكثر مؤلفاته الا في اخريات عمره ، وسأذكر ما عرفت منها على ترتيب حروف المعجم ، مع وصف وجيز لما قراته من آثاره :

1 — « اتحاف الطالب القانع ، بفهم معنى النظم المسمى بالدرر اللوامع » ، شرح فيه ارجوزة « الدرر اللوامع ، فى مقرا الامام نافع » ، لابي الحسن علي بن محمد بن علي بن بري .

2 — « التحذير والتنفير ، من الافعال التي تؤدي الى التكفير » ، فرغ من تاليفه فى 11 محرم ، عام 1351 هـ ، ويقع فى 21 ص من الحجم المتوسط ، حسب مخطوط المكتبة الزيدانية ، الواقع ضمن مجموع يحمل رقم 3818 ، بخط المؤلف نفسه .

3 — « تعليق على ارجوزة الوزير محمد بن ادريس العمروي فى صلحاء مكناس » ، منه نسخة

15) نشرة هذا المجلس .

ووصفه المؤرخ ابن زيدان (14) عند تقديم قصيدة له بـ « العلامة ، الملازم للتدريس والافادة ، الفقيه ، المفتي ، الخطيب البليغ » .

اشتغالـــه بالتدريـــس

تبتديء هذه المرحلة من حياة المترجم خلال العشرة الثانية بعد ثلاثمائة والف ، في حياة اكثر اشياخه ، وباذن من بعضهم : مثل المفضلين ابن عزوز والسوسي ، وبهذا استمر في التدريس مدة تناهز اربعين عاما ، عكف فيها على الاقراء والافادة دون فتور، وقد اقرا في هذه الفترة معظم الكتب الدراسية في الفنون التي كانت متداولة آنذاك ، وكان منها مما حضرته عليه او ادركته يقرئه دون حضور :

« الموطأ » بالجامع العلمي : بين العشاءين ، وصحيح البخاري في ليالي رمضان بغريفة الموقت من الجامع الاعظم ، ادركت منه من كتاب الدعوات الى اول كتاب الفتن ، ثم توفي – رحمه الله – قريبا من ذلك ، والمختصر الخليلي ، وتحفة ابن عاصم ، وجمع الجوامع للسبكي ، والخلاصة لابن مالك ، زيادة على المتون الصغيرة : امثال المقدمة الاجرومية ، والمرشد المعين ، والجمل للمجرادي ، ولامية الافعال ، والكافي في علمي العروض والقوافي ، ونظم الاستعارات للشيخ الطيب ابن كيران : وكشف الاسرار للقلصادي ، وكتيب المترجم درة الولدان آتية الذكر ، هذا مع العلم باني ما ادركت من حياته الدراسية سوى مدة لا تبلغ الثلاثة اعـــوام .

وكانت طريقته في تدريس الكتب ذات الحواشي ان يتتبع المتن المقرؤ بشرحه وحاشيته ، يملي ذلك من الكتاب ، ويوضحه توضيحا شافيا ومفيدا ، مطرزا ذلك بافادات متنوعة ، وملاحظات في بعض الاحيان ، وكان يقرىء الخلاصة بشرح المكودي ، ويتتبع تعاليق كتبها على هامش نسخته المطبوعة بمصر ، وطوقها بها تطويقا يكاد يعم اكثر الصفحات . كما كان يقرا بعض المتون الصغيرة باملائه ودن احتياج الى مطالعة سابقة ، وقد اقرا – مرة – المقدمة الاجرومية بشرحه – عليها – آتي الذكر ، ولما بلغ في قراءة فرائض المختصر الخليلي الى قسم العمل ، صار يوضح ذلك بتقييده عليه آتي الذكر ، وكان في تدريسه لصحيح البخاري يتتبع تعليق « الفجر الساطع على الصحيح الجامع » للامام ابى عبد الله محمد الفضيل بن الفاطمي الشبيهي الحسني ، وهو تعليق بديع ونادر .

وحسبما ادركته فقد كان اكثر تدريسه بالجامع الاعظم ، وموضع جلوسه في الغالب كان بين بابي العدول قبالة الصحن ، وكان يقرىء – قليلا – بغريفة الموقت من نفس الجامع ، وبالمسجد العلمي ، والزاوية الكتانية ، واقرا قديما بجامع الزرقاء ، وجامع الورزيغـــي .

الاخـــذون عنـــه

كان من اثر عكوف المترجم على نشر العلم وملازمته الاقامة بمكناس ، أن تخرج عليه اجيال من العلماء والطلاب طبقة بعد طبقة ، وفوجا بعد فوج ، وباستثناء اقرانه من العلماء ، فقد صار في آخر عمره لا يوجد من ينتمي للعلم بمكناس الا وله عليه مشيخة ، ونحاول هنا ان نثبت تسعة اسماء تمثل طبقات من الاخذين عنه من اعلام مكناس الراحلين ، وسيرد ذكرهم على ترتيب وفياتهم :

1 – ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن الفضيل العلوي الاسماعيلي ، العدل المدرس المفتي ، المتوفى عام 1352 هـ \ 1934 م .

2 – عبد الله بن الجيلاني العلمي دعي جمعان. العدل الموثق المدرس ، المتوفى عام 1361 هـ \ 1942 م

3 – ابو زيد عبد الرحمن دعي الكبير بن محمد ابن عبد الرحمن ابن زيدان العلوي الاسماعيلي ، مؤرخ مكناس الشهير ، المتوفى عام 1365 هـ \ 1946 م .

4 – محمد بن سعيد بن عبد السلام بن احمد الدكالي الاصل ، المكناسي الدار ، الفاسي القرار ، الرباطي الوفاة والمدفن ، المفتي المدرس الشهير بالقرويين وغيرها ، المتوفى عام 1368 هـ \ 1949 م .

5 – محمد بن ادريس بن محمد بن الحسين ابن السلطان محمد بن عبد الله ، العلوي الاسماعيلي ، قاضي الدار البيضاء وغيرها ، المتوفى عام 1370 هـ \ 1951 م .

6 – محمد – فتحا – بن المبارك بن علي الهلالي ، المدرس المفتي الطائر الصيت ، المتوفى عام 1372 هـ \ 1953 م .

---

14) « اعلام الحاضر والباد » المتكرر الذكر .

جبالا وسماء وارضا ، فنعمت الجارحة التي تحبس الدموع فى محاجرها حقبة من الزمان ، ولا تريقها الا فى هذا المصاب العظيم ، والخطب المؤلم الجسيم ، مصاب قسم على الاكباد فازعجها من مراكزها ومواطنها ، وصار يعبث بها عبث الريح بالورقة الملقاة على ظهر البسيطة، مصاب احدث فى الطبيعة فتورا ، وفى الجو ظلاما ، وفى الفكر المكناسي اضطرابا وقلقا ، فصاب ذلك الرجل الذي كانت تفترف من بحره الصبيان والشبان والكهول والشيوخ .



شيخ الجماعة بمكناس الفقيه العلامة المنعم السيد محمد الحسين العرائشي غفر الله له

ذلكم الجهبذ الذي كان المثل الاعلى علما وعملا ، ذلك الركن المتين الذي ترك المنابر تبكي وتنتحب ، اسفا وحزنا على زواجر وعظه التي كان لها الموقع العظيم فى القلوب ، ذلك الفقيه العرائشي الذي كانت تمثل الاخلاق المحمدية فى شخصه المفقود ، والذي كانت ذاته الطاهرة مرءاة ترتسم فيها الصور المعنوية، ارتساما ابلغ من الصور المحسوسة ضياء وبريقا ولمعانا .

فيأيها الفقيد : قد غادرتنا فظن الناس انهم فقدوا شخصك فحسب ، كلا ورب الكعبة ، انهم فقدوا حياتهم الحقيقية ، لانك كنت حاملا على كاهلك ما يكفل لهم سعادة الدارين ، فها هي الروح التي كنت تغذيها بعلومك ومعارفك ، اصبحت معذبة تعسة ، تختار الفناء على البقاء ، وها هو النشء الصغير ـ الذي كنت ترصع فكرته الصافية بدرر الفضائل والفواضل ليتربى عليها ، ويصبح من الرجال الذين فهموا معنى الحياة ـ ينوح ويبكي بكاء تخر له الجبال الرواسخ ، وها هو المسجد الاعظم الذي كان يبتهج بنورك الساطع، لا يرى فيه اليوم الا الظلام الحالك ، وها هي الارجاء المكناسية ينادي فيها غراب الجهل بالمصائب والكوارث.

اللهم انك تعلم ان المغفور له كان نعمة من نعمك، كنا نقتبس منها ما نهتدي به فى ظلماتنا ، فادركنا بعنايتك ، التي تجعلنا فى مدارجه من السالكين ، وامنن عليه بما كان يظنه فى جنابك الكريم ، انك سميع مجيب » .

وهذه قصيدة الاستاذ العرائشي :

« سهام المنايا صوبت نحو معشر ... وهدت جسوما من رجال اعزة

ففي كل يوم يفجع الدهر اهله ... بنعي بذور واخترام اجلة

خطوبه قد عمت وعم مصابها ... ورن لها الاسلام فى كل وجهة

فجعتنا فى شيخ البلاد وركنها ... واوقدت فى الاحشاء نار كئابة

فرزء ، قد عم البسيطة واغتدى ... يفتت اكبادا ويفري بشدة

الا يا بني الشعب العزيز دفنتم ... ابا كان مرماه الرقي لعلية

دفنتم آدابا وعلما وسوددا ... وحزما واخلاقا ولين عريكة

دفنتم من كانت زواجر وعظه ... تلين قلوبا اقسى من صم صخرة

دفنتم شهما كان يصدع كلما ... راى منكرا يوتى بصدق نصيحة

فكم رقى افكارا وادب فتية ... وبدد شمل الجهل من كل فكرة

الرباط : محمد المنوني

ــ مبتورة بنحو الربع الاخير ــ بالمكتبة الزيدانية تحت رقم 2806 ، وبنفس الخط ، فى 19 ص من الحجم الصغير ، ويلاحظ انه خال من اسم المترجم الذي تترجح نسبته من اسلوب الكتابة ونفسها ، والموجود من هذا التعليق مفيد ــ جدا ــ فى تعيين مدافن عدد من اعلام مكناس وصلحائها .

4 ــ تقييد على ثلاثيات صحيح البخاري ؟

5 ــ « تقييد فى مسالتين : الاولى : بطلان صلاة الجمعة فى غريفة الموقت ، الثانية : سقوط وجوب الجمعة على المسافر دون مسافة القصر »، يقع فى 11 ص من حجم صغير ، حسب النسخة التي كتبتها من اصل المترجم فى حياته ، وهي مذيلة بتقريظ نثري بقلم المؤرخ الشهير إبي زيد ابن زيدان .

6 ــ « درة الولدان (16) فى معرفة ما يجب على الاعيان » ، كتيب وجيز فى شرح قواعد الاسلام الخمس ، طبع بالمطبعة الجديدة بطالعة فاس ، عام 1347 هـ ، فى 14 ص من الحجم الصغير .

7 ــ « مجموعة فتاوي » ، جمع فيها الى فتاويه : ما عثر عليه من فتاوي شيخه : المفضل ابن عزوز ومحمد بن احمد العلوي ، حسب ذكره لي مشافهة دون ان اقف عليها .

8 ــ « عنوان السعادة والاسعاد ، لطالب الرواية بالاسناد » : اسم فهرسة اشياخ واسانيد المترجم ، التي فرغ من تقييدها عشية الاحد 14 شعبان ، عام 1350 هـ ، تقع فى 83 ص ، من الحجم المتوسط ، حسب مخطوطة خاصة .

9 ــ « فتح الحي القيوم على مقدمة ابن آجروم » ، شرح فيه هذه المقدمة بأسلوب سهل ، ووضحه بالجداول تقريبا للمبتدي ، منه نسخة بخط مؤلفه بالمكتبة الزيدانية تحت رقم 3128 ، وهي مبتورة الطرفين ، مع تلاشي والتصاق لبعض اوراقها.

10 ــ « شرح قسم العمل من فرائض المختصر الخليلي » ، شرح فيه من قول المتن : « وقابل بين اتنين فاخذ المثلين ... » . ووضح ذلك بجداول النقط الواردة فى هذا الموضوع ، طبع بالمطبعة السلكية بمكناس ، دون ذكر تاريخ الطبع ، فى 59 ص ، من الحجم الصغير .

وفاته ومدفنه وتابينه

توفي ــ طيب الله ثراه ــ بدار سكناه من مكناس، الواقعة بحي « التوتة » رقم 7 ، وكانت وفاته عند الساعة التاسعة وثلاثين دقيقة بالتوقيت المحلي ، بعد عشاء ليلة الاحد 10 شوال ، عام 1351 هـ \ 5 فبراير سنة 1933 م ، وشيعت جنازته زوال يوم الاحد المذكور ، فى موكب طويل وخاشع ، سار فيه السكان على اختلاف طبقاتهم وحيثياتهم ، مما قل نظيره فى مثل هذه المناسبة ، وعند المشهد العلمي تقدم للصلاة عليه امام المسجد ، نقيب الاشراف الادارسة ، الفقيه المرحوم محمد بن المختار الادريسي الشبيهي ، ثم اقبر بالزاوية الكنتية بحي سدراتة ، ملاصقا للمحراب عن يمين المستقبل .

وقد ترك موته اسفا عميقا عند مختلف الاوساط، واتبعه الناس ذكرا حسنا ، وتسابق عدد من طلابه الى تأبينه بالنثر والشعر ، وكان فى طليعتهم نقيب الاشراف العلويين المؤرخ ابن زيدان ، الذي رثاه بقصيدة دالية نشرت بكاملها فى جريدة « السعادة (17) » ، فى 37 بيتا من بحر الكامل ، ومطلعها :

رزء عظيم فتت الاكبادا
ولطود صبر العالمين ابادا

كما رثاه العالم المدرس محمد بن عبد القادر العرائشي العلمي بقصيدة تائية من بحر الطويل فى 18 بيتا ، وابنه الاستاذ الجليل رشيد بن عبد الله المنوني بكلمة نثرية يقول فيها :

« ايتها العين الجارية ، ما هذه الدموع التي تسكبينها ؟ وما هذه العبرات التي تتساقط امامي سقوط وبل الزرقاء على الخضراء ؟ فهل كنت تبخلين علي حينما كنت ادعوك لدمعة واحدة تخفف عني وطأة الحزن والكمد ؟ أم كنت من الفقراء المعوزين الذين لا يجدون شيئا يشد خلتهم ؟ لا لا ، لم يكن هذا ولا ذاك.

عفوا عفوا ايتها العين الحزينة ، البئيسة الشفوقة الحنونة ، لقد اخذت زمام قلمي وترويت قليلا ، واستحضرت نوائب الماضي ومصائبه ، فالقيتها فى احدى كفتي ميزان الفكر ، والقيت بالمصاب الحاضر فى الاخرى ، فكانت النسبة بينهما كنسبة من جعل فى الاولى مثقال حبة من خردل ، وفى الثانية

(16) جمع ولد ، وهو من لم يبلغ حد التكليف .
(17) السنة 29 ، عدد 3949 ، بتاريخ الخميس 12 قعدة عام 1351 هـ \ 9 مارس سنة 1933 م .

المجذوب ، وقد جعل منه « حلائقيا » (حسب التعبير العامي المغربي) فى ساحة جامع الفناء بمراكش .

كانت رواية عبد الرحمن المجذوب هذه عبارة عن مشاهد متتابعة ، تسود فيها الحركات البهلوانية ، « والنقر على البندير » وشخصت فيها بعض اطوار حياة الشيخ كما تخيلها المؤلف او استنتجها من مطالعاته ، ولم تكن ، فى حقيقة الامر ، سوى جملة من الوقائع والاحداث نسجت نسجا لتكون فرصا مواتية لتجلية ما اشتهر به البطل وهو — عبد الرحمن المجذوب — من سعة خبرة بالطبائع البشرية ، وكذا ما عرف به من صبر وتجلد امام المحن والنوائب ، وكل ذلك بواسطة ما يؤثر عنه من « رباعيات » .

من الحق ان اقول ان مشاهد تلك الرواية كانت جد مؤثرة ، وانها حظيت ، على وجه العموم ، بالاستحسان والرضى من لدن الاوساط الشعبية ، اذ اضفى عليها السيد الطيب الصديقي ، بصفته مؤلفا ومخرجا وممثلا ، الكثير من « الحلل الاصطناعية » التيمن شأنها انتثير المخيلةوتيسر استجابة النفوس.

ولكن لابد من القول كذلك بان السيد الطيب الصديقي ، القى الاضواء على جوانب فلكلورية واسطورية من حياة سيدي عبد الرحمن المجذوب ، وابرز الوانا مما كان يعتريه من « غمرات الحال » في اجواء من « الشطحات المنغمة » و « النقرات الموقعة » بيد انه اخفى ، وراء ظلال كثيفة ، الكثير من جوانب حياته العلمية ، اي تلك الفترات الطويلة من عمره التي كان يرجع فيها الى « وجوده وحسه » ويوفي كل ذي قسط قسطه وينبسط الى العمل والجد فى ميادين الرزق الحلال .

ان رباعيات سيد عبد الرحمن المجذوب كانت ، كما قلت ، متداولة فى الاوساط الشعبية ، بالحواضر والبوادي ، واكثر كانت لان « الادبيات » المذاعة على امواج الاثير غيرت الاتجاهات الذوقية ، وان اساليب الحياة الحديثة غيرت فنونا من الآداب السلوكية ، والانماط المعاشية ، والمقاييس التقديرية ، بحيث اصبحت الرباعيات لا تسمع الا فى النادر القليل ، واصبح من اللازم على من يريد ان يكون لنفسه فكرة عنها وعن الظروف والملابسات التي أوحت بها ان يرجع الى ما دون فى هذا الموضوع .

فلنبدا بتوضيح الاجواء الزمنية والمكانية التي عاش فيها المجذوب .

هو ابو زيد عبد الرحمن ابن ابي السرور عياد ابن يعقوب بن سلامة بن حسان الصنهاجي (صنهاجة آزمور) الفرجي الدكالي .

ولد بتيط ، ساحل بلدة ازمور ، فى رمضان سنة 909 هـ — 1503 م ، وعاش حقبة بمكناس مع والده (دفين الربوة فوق القنطرة المعروفة بالهدومة بين فاس ومكناسة الزيتون) وقضى مدة بفاس ثم قصد بلاد الهبط واستقر بالقصر الكبير ، « ولبى داعي ربه بمرشاقه من بلاد الهبط ، ليلة الجمعة ، وليلة عيد الاضحى سنة 976 هـ (1569 م) . . . حملت جنازته، باذنه على فرسه الذي كان يركبه ، ودفن خارج باب عيسى (فى 18 ذي الحجة) وقد صار ضريحه اليوم خارج المشهد الاسماعلي » (عن الاتحاف) .

فهو اذن عاش فى القرن العاشر الهجري (القرن السادس عشر الميلادي) .

تمت خلال ذلك القرن ، أو قبله بقليل ، اكتشافات غيرت وجهة التاريخ السياسي والاقتصادي ، منها اكتشاف البرتغال لطريق الهند ونزولهم بكوا في فبراير 1488 م . (لم يستردها الهند الا سنة 1961) ومنها اكتشاف الاسبان لامريكا سنة 1492 م . وفي اثناء ذلك القرن او قبله بقليل كذلك ، وقعت حوادث كان لها بالغ الاثر فى الشرق والغرب ، بالنسبة للحياة الاجتماعية والروحية ، واعني بها استيلاء الاتراك العثمانيين على القسطنطينية قاعدة الامبراطورية البيزنطية سنة 1453 ، واستيلاء الاسبان على غرناطة، آخر مملكة اسلامية بالاندلس، سنة 1492 ، واجبارهم سنة 1501 للمسلمين على الانقياد للتعميد والتمسيح او النزوح عن البلاد ، وآخر الامر اقصاء المسلمين عن بلنسية 1526 ، ثم طرد البقية من المسلمين عن الاندلس سنة 1609 .

قال المؤرخ الفرنسي (أندري جوليان) : « ان البرتغاليين قد قاموا باكتشافاتهم (بعد الحروب الطليبية) بدافع انتقامي من النفوذ الاسلامي ، وبدافع استعماري اقتصادي لايجاد المستعمرات وجعلها مراكز للمواصلات ، لضرب التجارة العربية » .

وفيما يخص المغرب ، فان صاحب الاستقصاء تكلم عما وقع فى القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) فقال : « واعلم انه كان فى صدر هذه المائة العاشرة أمور عظام :

« منها ظهور الفرنج بالديار المغربية » .

الشيخ عبد الرحمن المجذوب

عصره وآثاره 909/976هـ 1503/1569م

للأستاذ عبد القادر الخلادي

سمعت اسم عبد الرحمن المجذوب ، لاول مرة ، بقرية جرسيف ، منذ حوالي الخمس والاربعين سنة ، ايام كنت تلميذا بقسم تكوين المعلمين ، الذي احدث عام 1921 ، بثانوية مولاي يوسف الرباطية؛ كنت اذذاك اقطع ، وجماعة من الاتراب الوجديين ، على الاقل مرتين فى السنة ، المسافة التي بين الرباط ووجدة في القطار ذي « السكة الضيقة » ؛ وبما ان ذلك القطار كان لا يسافر الا نهارا ويسير ببطء مزعج ، وانه كان يقطع المسافة التي بين العاصمة الادارية وعاصمة شرق المغرب ، فى ظرف خمسة ايام ، فكنا لا نصل الى وجدة الا بعد ان نبيت بدار بلعمري ، ثم بفاس ، ثم بسيدي عبد الله ، ثم بجرسيف .

كانت جرسيف اذذاك قرية صغيرة ، ذات منازل وديعة ، تحيط بها ثكنات عسكرية ، مسقفة بالقصدير ، وقابعة عند ملتقى نهر ملوية برديفه امللو ، وسط سهول عارية ، صهرت الشمس اراضيها وجردت الرياح احجارها .

هناك سمعت من ينسب ما كانت عليه القرية وما حولها من جفاف وقحط ، لسيدي عبد الرحمن المجذوب ، وذلك لانه دعا عليها ، اذ الزمه اهلها يوم مر بها ان يرقص لهم ؛ فرقص على نقر بندير ، ولم يلبثان بدا يقول :

انا لاه بيا الاهي　　　وهما لاهيين بالتلاهي

تخلى جرسيف يا الاهي

هذا وسمعت فيما بعد كثيرا من الكهول والعجائز ، سواء فى البوادي او فى الحواضر ، يضربون الامثال ، فى مواقف الارشاد والتحذير ، باقوال ينسبونها لسيدي عبد الرحمن المجذوب ، فثبت فى ذهني ان « المجذوب » كان «درويشا » من رجال الله واهل السياحة فى الارض وانه كان يضطر فى بعض الاحيان الى مداراة الجهال ، فيسير سيرة بطل المقامات الهمذانية ، ابي الفتح الاسكندري ، القائل :

هذا الزمان مشوم	كما تراه ملوم
الحمق فيه مليح	والعقل عيب ولوم
والمال طيف ولكن	حول اللئام يحوم

ثم لما زرت قبر « المجذوب » ، داخل المشهد الاسماعيلي بمكناس ، ورأيت عدد المتبركين بضريحه فهمت انه كان للرجل شأن عظيم ، وان كان يقال : « كم من قبة تزار وصاحبها فى النار ! » كما فهمت ان ابناء الشعب ما زالوا ينظرون بعين الاحترام ، ويترحمون على صاحب « الرباعيات » الحكيمة التي ما فتيء يتردد صداها فى مختلف نواحي المغرب ، بل بأقطار الشمال الافريقي اجمعها ، يرويها الخلف عن السلف ، مع ما يلحق ، طبعا ، « المرويات » من انتحال وتغيير .

توالت الاعوام على هذه الانطباعات الى ان شاهدت فى الشهور الاخيرة ، على شاشة التلفزة ، رواية الفها السيد الطيب الصديقي حول حياة الشيخ عبد الرحمن

الفاسي الآخذ عن الشيخ عبد الرحمن المجذوب ، والزاوية الدلائية المتصل سندها بالشيخ الجزولي عن طريق محمد بن عبد الله امغار الذي كان يعيش بتيط تفطر (عين الفطر) حيث ولد بها المجذوب .

فالزوايا كانت كثيرة اذذاك وآهلة بالشيوخ والمريدين ، المنقطعين لعبادة الله وذكره ، وللتفقه في الديـن .

واما الربط فانها كانت عديدة بسواحل البحر المحيط ، ولا سيما الجنوبية منها ، وآهلة بالمرابطين المستعدين لمحاربة القراصنة ولحماية الثغور ؛ وقد كثرت بوجه خاص فى القرن العاشر ، اي لما بدات همم الامراء الوطاسيين تضعف وتخمد نتيجة تطاحن الاخوان وأبناء الاعمام حول كراسي الامارة ، مع ما كان لهم من قتال العدو بثغور بلاد الهبط .

ومن جهة اخرى فان المرابطين من اهل درعة هم الذين استقدموا الاشراف السعديين من الحجاز الى المغرب ، وآزروهم لما قاموا لمحاربة الاعداء الكفار المستولين على ضواحي سوس وحاحة وعبدة ودكالة، ولتطهير تلك البقاع من رجسهم ؛ وهم الذين ساندوهم ضد بني وطاس ، وكانوا من حملة الويتهم عندما استولوا على فاس ، وعندما أخذوا يعملون على مقاومة النفوذ التركي بالاراضي المغربية .

ومهما يكن من امر فانه لا ينبغي ان ننظر الى رجال الصوفية ، والى رجال الزوايا والربط الذين عاصروا السعديين ، نظرة استنكار ، فانهم كانوا يقومون بدورهم ، الذي هو الحض على الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وكان للكثير منهم فى الجهاد والغزو مواقف مشهورة ومشاهد مشكورة ، وكان السلاطين والامراء يقدرون البارزين منهم حق قدرهم ، وان كانوا فى بعض الاحيان يقلبون لهم ظهر المجن ، خوفا منهم على ملكهـم .

فابو عبد الله القائم ، المؤسس الحقيقي للدولة السعدية ، لما توفى بأفغال من بلاد حاحة سنة 925 هجرية ، دفن هناك بازاء ضريح الشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه .

وابنه ابو العباس الاعرج لما استولى على مدينة مراكش نقل اليها جثة الشيخ الجزولي (فى حدود سنة 930 هجرية) وجثة ابيه القائم ، ودفنهما فى قبة واحدة برياض العروس .

ولما حاصر ابو العباس الوطاسي ابا العباس الاعرج بمراكش ، وضيق به ، ذهب أهل مراكش الى الشيخ الغزواني ليستغيثوا به ؛ ويقال ان هذا الشيخ هو الذي قال ، عندما غادر فاسا فارا من محمد الشيخ الوطاسي :

« يا سلطنة فاس الى مراكش ! » .

هذا وان الكثير من المترجمين لرجال التصوف يرون ان بركة هذا الوالي هي التي اعانت الاشراف السعديين على تشتيت الجيوش الوطاسيين فى واقعة ابي عقبة بتادلة ، ويسرت لهم الظهور عليهم ؛ وقد حضر تلك الواقعة ، بجانب الوطاسيين ، ابو عبد الله الاحمر سلطان الاندلس المخلوع ، وابلى بلاء حسنا حتى قتـل .

وكان ابو عبد الله الشيخ اخو ابي العباس الاعرج ممن الحقوا بعض الاضرار برجال الزوايا وبالعلماء ، فقتل منهم الفقيه الجليل ابا محمد عبد الواحد بن احمد الونشرشي ، والفقيه الصالح قاضي الجماعة ابا محمد عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق ، وخطيب مكناسة الزيتون ابا علي حرزوز ؛ فقتل هو شر قتلة جزاء وفاقا لما احدثه من جرائم وجرائر .

هذا وقد عرف ، فى القرن العاشر ، عدد من الفقهاء والعلماء كانوا ينظرون الى الاصفياء من رجال الصوفية نظر اكبار واحترام ، ولا يتأخرون عن التشديد بالزائغين عن طريق الرشاد ، وبالمشعوذين المفسدين فى الارض ، معاول الهدم والتخريب ؛ فانه لا يخلو زمان من دجالين دابهم استغلال سذاجة العامة واستثمار مروءة الخاصة ، وديدنهم ابرام حبائل الغش والغدر ونصب شبائك البغي والفساد ، غير مبالين بوازع الدين ولا مراعين الا ولا ذمة .

هذه هي بعض مظاهر العصر الذي عاش فيه الشيخ عبد الرحمن المجذوب ، وبعض خصائص أهله فلننتقل الان الى الكلام عن حياة الشيخ نفسه ، وعن مآثره .

* * *

ان قرية تيط الفطر (عين الفطر) التي ولد فيها ابو زيد عبد الرحمن المجذوب ، كانت عبارة عن رباط لشرفاء صنهاجيين يكنون ببني امغار ، وهم شرفاء من سلالة المولى ادريس ، اسسوا رباط تيط وشاركوا فى محاربة البرتغاليين وكان ذلك على واجهتين ، آسفي ــ وازمور .

« ومنها ظهور دولة الاتراك ، آل عثمان ملوك التركمان ، بالديار المشرقية » .

« ومنها ظهور الاولياء واهل الصلاح من الملامتية، وارباب الاحوال والجذب ، فى بلاد الشرق والغرب ؛ لكنه انفتح به للمتسورين على النسبة واهل الدعوى ، باب متسع الخرق متعسر الرتق ، فاختلط المرعي بالهمل ، وادعى الخصوصية من لا ناقة له فيها ولا جمل ، وصعب على جل الناس التمييز ، حتى بين البهرج والابريز » .

فى ذلك العصر اشتد اذن النزاع بين الهلال والصليب ، وأصبح المغرب ، نظرا لموقعه الجغرافي ، موزعا بين مطامع الاتراك فى حدوده الشرقية ، ومطامع الاسبان والبرتغاليين فى حدوده الشمالية والغربية .

ففيما بين سنة 1415 م (تاريخ احتلال سبتة) وبين سنة 1576 م (تاريخ واقعة وادي المخازن) كانت ثغور المغرب وسواحله مسرحا لمعارك عنيفة حيث اذذاك اشتد تكالب البرتغاليين والاسبان على احتلال المراسي المغربية انتقاما للمسيحية من المسلمين ولكي يجعلوا منها ملاجيء لاساطلهم من الزوابع البحرية والغارات التركية ومراكز لتموينها ، او منافذ اقتصادية لاستغلال خيرات البلاد ، من قموح واصواف واكسية وحنابل وخيول وجلود وريش النعام الخ ... ولترويج بضائعهم ، كالتوابل التي كانوا يستردونها من الهند ، والخمور الخ ...

وتجدر الاشارة هنا الى ما كان يتسم به البرتغاليون من حرص على اقتناء الخيول ليحملوها الى غينيا وافريقيا الاستوائية ، حيث كانوا يستبدلون بها الرقيق من السود ، فيبيعونهم بأمريكا ؛ وهكذا كانوا هم رواد هذه التجارة النكراء ، المفضية الى ضرب من الافناء الجماعي .

وجه الاسبان هجوماتهم على المراسي التي على ساحل البحر المتوسط وذلك لمقاومة الاتراك ومضايقتهم فى القطرين التونسي والجزائري ، واتجهت الاساطيل البرتغالية نحو المراسي التي على البغاز وعلى المحيط الاطلسي ، فاحتل الاولون مليلية وسبتة وحجر باديس والقصر الصغير (لا القصر الكبير كما ورد فى بعض المقالات) ؛ واستولى الاخرون على طنجة ، واصيلا ، والمهدية ، وآنفا ، وازمور ، والجديدة « البريجة » ، وآسفي ، وفنتي (اكادير) الخ ... ولابد من ان نذكر هنا ان البرتغال **لم ينزلوا بالعرائش** ، كما ورد فى كتاب الاستقصاء ، بل الاسبان هم الذين استولوا على العرائش من سنة 1610 الى سنة 1689 ميلادية ، ومحمد الشيخ الثاني ابن احمد المنصور الذهبي هو الذي سلمها لهم بعد ان امر بافراغها من المسلمين ، فمكثوا فيها الى ان حررها المولى اسماعيل بن الشريف . وكان محمد الشيخ استفتى علماء فاس فى ذلك الموضوع ، فاستنكفت جماعة منهم من مساعدته ، واضطر بعضهم الى مغادرة فاس استبراء لدينهم ومحافظة على نقاء ذمتهم، ومنهم الامام ابو عبد الله محمد الجنان ، والامام ابو العباس احمد المقري ، والشيخ ابو الحسن الزياتي ، والشيخ الحافظ ابو العباس احمد بن ابي الحسن علي الفاسي الذي التجأ الى القصر الكبير حيث لبى داعي ربه .

فالعصر الذي عاش فيه الشيخ ابو زيد عبد الرحمن المجذوب كان ، اذن عصر فتن واضطرابات ، عصر اراجيف ومخاويف ؛ تنوعت فيه المكايد والدسائس ، للحصول على الجاه والمال ، او للتشبث بالامارة والنفوذ؛ وتجلت فيه الوان من الغدر والخذلان، وسقطت حرمة من يتسنمون العرش، وطاسيين كانوا أو سعديين سيما وان منهم من اراقوا دماء علماء ابرياء، ومنهم من زجوا باخوانهم فى غياهب السجون ، ومنهم من حالفوا الشياطين من البرتغاليين او الاسبان ، لصد غارات الاتراك . الا انه من الواجب ان نقول ان المغاربة، بصفة عامة ، وان أهل الثغور ، بصفة خاصة ، ولاسيما اولئك الذين مارسوا الحروب بالاندلس ، ابلوا بلاء حسنا فى صد العدو ، وظهر منهم افذاذ تحلوا بالشهامة والفروسية والفتوة فى ساحات الوغى ، امثال مولاي ابراهيم بن مولاي علي بن راشد مؤسس مدينة شفشاون ، واخته عائشة الست الحرة ، التي زوجت بالبطل الاندلسي المنظري مجدد بناء تطوان ، ثم تزوجها السلطان مولاي احمد الوطاسي (948 هـ ـ 1541 م) فتولت الحكم بتطوان . لقد كان لها مراكب بحرية تغير على مراكب الاسبان ، وكانت تتجر فى الاسرى الاسبان ، الشيء الذي كان يدفع بها الى مساندة البحارة الاتراك والتشدد مع حاكم سبتة الاسباني .

هذا واما فيما يخص ظهور الاولياء واهل الصلاح، فاننا نرى من الحق ان نقول ان اغلبية الطرق الصوفية ظهرت او ترعرعت فى المائة العاشرة ، وبالخصوص الطريقة الجزولية المنبثقة عن الطريقة الشاذلية ، والتي تعتبر بمثابة الام للكثير من الطرق التي تفرعت عنها ؛ فى ذلك القرن اسست زوايا ورباطات كثيرة في المغرب العربي ، وحتى فى الشرق الاوسط ؛ منها الزاوية التي اسسها بفاس الشيخ ابو المحاسن يوسف

« اظهارا لحقيقته الباطنية ، واكراما من الله واعلاما بقـوتـه فيـه » .

والجذب ، عند الصوفية ، « تفضل من الله على عبده بالولاية بدون ان يتحمل الولي مجاهدة السلوك »

هذا وتجدر الاشارة هنا الى ان حالة الجذب لم تكن تعتري الشيخ عبد الرحمن باستمرار ، بل كانت هناك فترات طويلة يتماسك فيها ، ويرجع الى وجوده، ويتصل بالناس عن طريق المعاش .

لما تمت تربية المجذوب وصلح لانتفاع الخلق به « اشار عليه الشيخ عمر بن عبد العزيز الخطاب بالانتقال الى بلاد الهبط ، فنزل بقبيلة مصمودة ، قرب القصر الكبير او قصر كتامة ، الذي كان اذذاك ثغر من اهم الثغور ترابط فيه طوائف من المجاهدين ، ويلتقي برحابه جماعات من العرب والبربر والعلوج الواردين من مختلف انحاء المغرب ، ومنهم الصامدون لمقاومة الكفار وتطهير المراسي من حملة الصلبان ، معدين لذلك ما يستطيعون من قوة ومن رباط الخيل ؛ ومنهم المتطوعون لايواء من تزعجهم الاعداء عن اراضيهم ، والعاملون على تخفيف ما يصيبهم من نوائب ونكبات ، ومنهم المتصدون للاستحواذ على الغنائم بأبخس الاثمان ، والضاربون فى الارض لترويج البضائع والفلل او لبث الاراجيف ونشر الاكاذيب .

فالقصر الكبير ، او قصر كتامة ، كان منذ اوائل العصور الاسلامية « مهبط » المجاهدين المنحدرين من الجبال نحو البحر ، ليعبروا من مرسى القصر الصغير، قصر مصمودة ، الرابض على البحر المتوسط بأسفل جبال انجرة قبالة مرسى الجزيرة الخضراء بالعدوة الاندلسية ؛ وهذا الذي كان سببا ، فيما يبدو ، في اطلاق اسم بلاد « الهبط » على السهول التي تمتد بين القصر الكبير وطنجة .

ان الاقامة فى مدينة القصر الكبير لم تكن ، من دون شك ، تدعو الى الاطمئنان وراحة البال نظرا لقربها من منازل الاعداء ولتعرضها لهجماتهم ، ونظرا لاختلاف مشارب ومذاهب من يقصدونها ، ونظرا آخر الامر ، لاشتداد الحرارة بها صيفا ولتهاطل الامطار عليها شتاء ، حتى قال فيها الشاعر الهجاء عبد الرحمن بن القاسم الشفشاوني المعروف بالخطيب والمتوفى سنة 990 هجرية :

ارحل عن القصر واسمع قول ذي ثقة
ان المقام به ضرب من الحمق

ان لم تمت فيه اوان الحر محترقا
لم تنج فيه اوان البرد من غرق!

فالشيخ عبد الرحمن المجذوب لم يذهب اذن الى بلاد الهبط طلبا للعزلة والانقطاع الى اللهف خلوة ، قصدها ليأمر بالمعروف ولينهي عن المنكر غير متخوف من تكاليف الحياة ولا من تبعات مخالطة الناس والسعي فى تقويم اودهم . وكل منا يعرف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس بالامر الهين اليسير !

ورد فى كتاب « مرآة المحاسن من اخبار الشيخ ابي المحاسن » لابي حامد الشيخ العربي بن الشيخ ابي المحاسن يوسف الفاسي الفهري ، وفى كتاب « ممتع الاسماع فى ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الاتباع » لابي عيسى محمد المهدي بن احمد الفاسي الفهري ، ان الشيخ عبد الرحمن المجذوب اهتم في مدينة القصر الكبير بالشيخ ابي المحاسن ، وهو في اوان البلوغ ما زال فى المكتب ، « فكان يربيه بالحال ويرقيه فى مدارج الكمال وكان يمتحنه كثيرا ، ويلقي عليه مشاق لا يقف لها الا من ايده الله تعالى ... فعلا شأنه واشرقت عليه انوار المعارف فتحقق بمقامات الواصلين ومنازل المقربين »

وكانت مدة صحبة ابى المحاسن له تزيد على عشرين سنة . وقد ولد فى القصر الكبير سنة 938 هـ (1530 ميلادية) وتوفى سنة 1013 هـ (1604 م) بالحضرة الادريسية بعد ان شارك فى واقعة وادي المخازن فى (986 هجرية ، 1578 ميلادية) وكان لسان حاله يقول :

خلق الله للحروب رجالا
ورجالا لقصعة من ثريد

ويستخلص من هذا كله أن الشيخ عبد الرحمن المجذوب عاش بالقصر الكبير ونواحيه اكثر من عشرين سنة وانه نزله حوالي سنة 1545 ميلادية بعد ان كان قد بلغ اشده بمكناس . ويستخلص كذلك انه كان يعد المريدين اعدادا روحيا ، مستنيرا بنور التوحيد ، مترسما للشريعة ، ومتتبعا للسنة . والواقع انه لا زال بالقصر الكبير ، ساحة المرس ، زاوية تنسب لعبد الرحمن المجذوب ، وتسمى ايضا بزاوية القناطرة نسبا لسيد علي بن قاسم القنطري ، احد اتباع عبد الرحمن المجذوب .

دخلت تيط فى حكم البرتغاليين بعد ان هـدم السلطان الوطاسي اسوارها خوفا من ان تصبح قاعدة لهجومهم على اراضي البلاد الداخلية ، وبعد ان نقل سكانها الى ناحية فاس (1514 م) .

عادر المجذوب مسقط راسه مع والده وسنه اذذاك حوالي العشرة اعوام وانه لمن الثابت ان اباه مات فى ناحية مكناسة الزيتون . سكن واهله مدينة مكناس حيثاتخذ منزلا يأوي اليه ويستقبل به زواره. وهناك عرف شيوخا لا يحصون كثرة ، منهم ابو الحسن علي بن احمد الصنهاجي الفاسي المدعو بالدوار ، المتوفى سنة 941 هجرية (1540 م) والشيخ ابو الروائن . والشيخ سعيد بن ابي بكر المشترائي المتوفى سنة 964 هـ - (1556 م) والشريف احمد الشبيه جد شرفاء مكناسة ، المتوفى سنة 943 هـ (1536 م)، والشيخ القطب عمر بن عبد العزيز الخطاب ، صاحب جبل زرهون المتوفى سنة 937 هـ - (1530 م) .

فاذا ما قارنا تاريخ وفاة هؤلاء الشيوخ بتاريخ ولادة عبد الرحمن المجذوب امكننا ان نقدر ان هذا الاخير كان ناهز العشرين من عمره عندما تاقت نفسه لمصاحبة الصالحين من علماء مكناس وفقهائها للاستفادة من شمائلهم الكريمة ، والاقتباس مما تشرق به نفوسهم من انوار ربانية .

طلب عبد الرحمن المجذوب ، اول الامر ، العلم بفاس حيث عاش بين الطلاب ، ثم اتصل بالصالحين فى مكناس وفى فاس ، وكانت هاتان المدينتان ، فى ذلك العصر ، مركزين من اهم المراكز السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بالمغرب الاقصى .

كان اهل مكناس « ايام بني مرين فى خير وثروة» وقد قال فى شانها الوزير لسان الدين بن الخطيب : « مكناسة مدينة اصيلة ... فضلها الله تعالى ورعاها، واخرج منها ماءها ومرعاها ... اعتدل فيها الزمان ، وانسدل الامان ... ودنا من الحضرة جوارها ، فكثر قصادها من الوزراء وزوارها ؛ وبها المدارس والفقهاء، ولقصبتها الابهة والمفاصير والابهاء » .

« حييت من بلد خصيب ارضه
مثوى امان أو مناخ اصون

وضعت اليك من الله عناية
تكسوك ثوبى امنة وسكون »

واما فاس ، فقد قال عنها المجذوب نفسه :

الطبخ والرمخ فى فاس — والعلم والدين فيها
لا عيب يقال فى فاس — مكمولة من كل جهه

واليكم بعض ما وصفها به ابن الوزان الفاسي الذي نشأ فى آخر عهد الدولة الوطاسية ، قال :

« فاس من اكبر المدن ، تحيط بها اسوار عالية جميلة ... ودور هذه المدينة مبنية بالآجر والحجر المتقن ، واكثر مرافقها منسقة مفروشة بالزليج ... وتوجد عدة دور لها صهاريج ... ومن عادة الاهالي ان يشيدوا فى اعلى دورهم بروجا مرتفعة فيها غرف منسقة ، يصعد اليها النساء لترويح النفس اذا اعيتهن اعمال المنزل ...

« ومن اعلى هذه البروج يمكنك ان تشرف على منظر المدينة كله ، هذا المنظر الذي يشتمل على سبعمائة مسجد وجامع ... ومن بين هذه المساجد يوجد نحو الخمسين جامعا ضخمة البناء عظيمة الزخرفة ، تحمل سقوفها اعمدة الرخام ... وكل جامع له صهريج من رخام او خصة لم ار مثلها بايطاليا ... ومن هذه المعابد مسجد جامع اعظم يسمى بالقرويين ، ودائرته نحو الميل ونصف ، له ثلاثة عشر بابا ... وتوقد فى هذا الجامع فى كل ليلة تسعمائة مصباح ... وحول حيطان المسجد كراسي منصوبة ... يجلس عليها العلماء والمدرسون ليعلموا العامة امر دينهم ودنياهم ... وفى المدينة مدرستان عظيمتان بلغتا النهاية فى رونق البناء وزخرفة الزليج ورقة النقوش ... وقبل هذا كان الطلبة يقيمون فى هذه المدارس سبعة اعوام سكنى ، واكلا وكسوة ؛ ولكن ليس لهم الان الا السكنى ، حيث ان الحروب اتت على مداخل المدارس ، ولم يبق منها الا شيء قليل ، يصرف على الطلبة ... »

قضى الشيخ المجذوب مدة بمكناس مواظبا على مجالسة الصالحين ومرافقتهم حتى اشرق باطنه بنور التوحيد ، وصفا من شوائب الكدر . « وكان عمدته فى التربية وسلوك الطريق الشيخ القطب سيدي عمر ابن عبد العزيز الخطاب ، ووقعت له معه حكاية ظهر فيها على سائر اصحابه ممن كان ينسب الى الجذب فقال لهم سيدي عمر : « لا يبقى مجذوب الا المجذوب» وامرهم بتغطية رؤوسهم ، وغلبت عليه التسمية بالمجذوب وجرى ذلك على السنة الخلف ، واختص به دون غيره من المجذوبين .

السلام الاسمر (881 ــ 985 هجرية) 1475 ــ 1573 ميلاديــــة .

ان هذا الشيخ كان من مواليد مدينــة فــاس ، وكانت امه (سليمة) تنتسب الى الشيخ عبد السلام ابن مشيش . فانه انتقل من بلاد المغرب الى طرابلس، وكان يعتريه الجذب ، فيحمل الدف ، وينشد عليــه الاناشيد الصوفية باللغة الدارجة ، وطريقتــه بيــن الشاذلية وطريقة الشيخ احمد بن عــروس . ومــن شعــــره الملحــــون .

انا الغوث القطب السلطــان	ولي مشهور ظاهــر
اولاني الاله الفرد الرحمــن	على كل باد وحاضر
شمسي تبدت وضوت الاركان	والرب عاطي وقادر

والشيخ احمد بن عبد الله بن عروس الهواري (توفي سنة 868 هجرية 1463 ميلادية) المشار اليه اعلاه . ولــد بالقطــر التونســي ، وتجول بالجزائــر وبالمغرب ، فوصل الى فاس ومراكش ، ودخل مدينة سبتة وهي فى يد النصارى ، ثم رجع الى تونس فمات بهــــــا .

كان بتونس ملازما للصلاة فى جامع الزيتونــة ، ويسكن الفندق ، ويؤثر عنه انه كان يتكلــم ، حيــن يعتريه الجذب ، بكلام موزون ، ولكن بلغــة العــوام ، ومن اقوالـــه :

يا عين قــم اسهر الليـــل	سهر الليالي تجــارا
منلا يحرث ييأس الكيـــل	ولا تمثلالو غـــرارا
ينظــر الى عرمــة الغيــر	ولالو عليها جســارا

وينسب اليه « الرباعي » التالي :

الدنيــــا شبهتهــــا دلاعــــا
تــدردب مــا بيــن الــــدلاع
مــاذا غــرت مـــن طماعـــا
حتى رمتهم في بير ماله قـــاع

ذكرنا هذا « الرباعي » لاننا وجدنــاه منسوبــا للشيخ عبد الرحمن المجذوب ، وبالتالي لنتخلص الى الكلام عن ديوان « الرباعيات » المنسوبة للمجذوب .

فالكونت دوكاستري كان ، على ما يظهر ، اول من اعتنى بدراسة رباعيات المجذوب وترجمهــا الــى الفرنسية ، وقد ذكر نحو 150 رباعي ، واشفع الكثير منها بامثال فى نفس المواضيع ، مستقــاة من التــراث الادبي اليوناني او العبري او من الانجيل ، فالف من ذلك كتابا طبع بالجزائر سنة 1896 ميلادية ، تحــت عنوان : « Les Gnômes de Sidi Mejdoub »

واهتم ايضا ، برباعيات المجذوب ، السيد نــور الدين عبد القادر ، الذي كان استاذا بمدرسة الجزائر الثانوية ومعيدا بكلية الاداب ، فجمع 127 رباعيــا ، شرحها بالعربية ونشرها فى كتاب عنوانه : « القــول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجذوب » طبــع بالجزائر ، منذ ما يزيد على ثلاثين سنة .

واكثر الرباعيات الواردة فى هذا الكتاب ماخوذة من كتاب دوكاستري ، ومن كتاب الاستاذ الجامعــي الشيخ محمد بن ابي شنب (توفي بالجزائر سنة1929) الذي يحتوي على مجموعــة من الامثــال الجزائريــة والمغربية (طبع فى ثلاثــة اجــزاء بباريــس فيما بيــن 1905 و 1907) .

وظهر ، سنة 1966 بدار لاروز الباريسية باللغة الفرنسية Les quatrins du Majdoub le sarcastique اي « رباعيات المجذوب الساخر » يشتمل على عــدد وافر من الحكم والامثال المنسوبة للشيخ عبد الرحمن جمعها السيد بخاري خليفة ، وشرحها السيــد ج . سيلسرميلي (J. Scelles-Millie) بعد ان رتبها ترتيبا يتيح له القاء بعض الاضواء ، على اطوار حياة المجذوب، ودراسة الظروف والاحداث التي لابستها . ولمؤلفي هذا الكتاب فضل لا يستهان به ، لانهما كانا يستوفيان جميع الرباعيات المتداولة فى المغرب والجزائر وتونس، سواء منها المطبوع او المسموع ؛ ولكن يؤخذ عليهمــا عدم التدقيق فى الترجمة ، وعدم التحري فى انتقــاء الرباعيات ، والتمييز بين الاصيل والمنحول ، وكــذا بعض التجاوز فى استنباط معانيهــا ، واستخــلاص مغازيهــــا .

ان الاقوال المنسوبــة للشيــخ عبــد الرحمــن المجذوب كثيرة ومتنوعة ، ولكن لا يلبــث المتمعن في مفاهيمها ان يدرك ان المنحول منها غير قليل . وليس من المستغرب ان يكون الامر كذلك ، لانه كلما اشتهر شخص فى ميدان من ميادين المحاســن او المساويء ، الا وترى الناس يضحمون ذلك الرصيــد الــذي كان سبب شهرته ، فينسبون اليه ، عن حسن نية او عن سوء مقصد ، اعمالا واقوالا ومقامــات وحــالات ذات صلة بالميدان الذي ظهر فيه وكان من المبرزين وهكذا تنسج حول بعض الشخصيات الفذة حلل من الاساطير قد تكون ممتعة ، ولكن من العسير ان تكون مقنعة .

فانه كان يوصي اصحابه بعدم الاقتداء به فيما يخرج فيه عما يعرفونه من ظاهر الشريعة ... وكان من شأنه ، اذا كان فى غمرات الحال وقبضة الوارد ، فسمع آذان المؤذن للصلاة قال : « هذا بريد السلطان قد اتى ! » وقام الى الصلاة ، وكأنما كان عليه ثوب فنزعه ؛ واذا حضر الوقت ولم يكن من مؤذن اذن هو. وكان يتسبب ، ويحرث ويتزوج — وولد — وكان يعطي كل ذي حق حقه ، ويوفي كل ذي قسط قسطه؛ وكان متواضعا متأدبا خصوصا مع اهل الله واهل جانب الله ، مراعيا لحقوق اهل البيت النبوي واهل الله ، ساعيا فى مصالح عباد الله ، مواظبا على خدمتهم باطعام جائعهم ، واغاثة ملهوفهم ، وكفالة ضعيفهم ، مواسيا لهم بما له فى الشدة والرخاء ، راغبا فى ادخال السرور عليهم ، بالغا فى ذلك كله المجهود » (عن كتاب ممتع الاسماع) .

وقد ورد فى كتاب الاتحاف ، انه « كان جامعا بين الجذب والسلوك ، سمح الاخلاق ، كريم الشمائل، كثير الايثار والبذل فى حالتي الشدة والرخاء ، حتى انه ربما لقيه المحتاج فلا يجد ما يواسيه به فيقسم كساءه الذي عليه نصفين ويعطيه النصف ، وربما تزوج امراة فقيرة غير مرموقة ولا منظور اليها ، لا يحمله على التزوج بها غير كفالتها وضمها الى عياله لشدة الوقت ... فهو شيخ امام عارف كامل ، شأنه القيام على الوظائف الدينية والرسوم الشرعية .

« وكان له زوجات واولاد وزاوية يطعم فيها الطعام للواردين عليها من الغرباء وابناء السبيل وغيرهم ، تقام فيها الصلوات الخمس ... واذا اجتمع اصحابه للذكر على عادة الفقراء ذكروا جلوسا ؛ فاذا انزعج احدهم اسكتهم وفرق ذلك الجمع » .

لقد اصبح من المتأكد لدينا الان ان الشيخ عبد الرحمن المجذوب لم يتخذ الزاوية لينعزل فيها عن الناس ، بل ليجعل منها مسجدا للصلاة والذكر ، ومقاما للوعظ والارشاد، ومأوى للغرباء وابناء السبيل؛ كما اصبح عندنا من المتأكد ايضا انه كان ملازما لحدود السنة ، يعبد الله عبادة شرعية ، لا يستهويه «رقص ولا نغم » ، وانه كان يسعى فى الحصول على قوته وقوت عياله ، ويطرق ابواب الكسب الحلال .

ولكن ، عندما كان يعتريه الجذب ، كانت تصدر منه امور توحش الخلق فيتنافرون عنه ، وينكرون عليه بسببها . « وكان بالقصر الكبير قوم نقموا على الشيخ ابي المحاسن صحبته ، ورجوعه فى الطريق اليه ، مع ما هو عليه من العلم ونباهة الذكر ، واقتداء الناس به ... وشوشوا بذلك الى ان آل الامر الى الترافع الى حضرة (فاس) حيث العلماء والسلطان ... فوقع اجتماع الفريقين بمقصورة خطيب القرويين الشيخ ابي عبد الله بن جلال ، مفتي فاس وعميد علمائها وشيخ الجماعة بها ... فقال للمنكرين: « لو الهمتهم رشدكم ما تعرضتم لذلك ؛ وحسبكم الاقتداء بمن علمتم علمه وعدالته ؛ وانما اوتيتهم من الجهل المركب ، وقد كان سيدي الحلوي بتلمسان تصدر منه امور اشد من الامور التي انكرتم ، والناس يعترفون بولايته ، ولم يفعلوا كما فعلتم . انصرفوا واغتنموا السلامة ولا تعودوا لمثله فتعترضوا لوعيد من آذى وليا ، ووافقه على ما قال كل الحاضرين » .

يبدو هنا ان السيد عبد الرحمن كان من الملامتية او الملامية ، وهم « قوم يظهرون للناس قبائح ما هم فيه ، ويكتمون عنهم محاسنهم ، فالخلق (يلومونهم) على ظواهرهم ، وهم (يلومون) انفسهم على ما يعرفون من بواطن انفسهم اكرمهم الله بكشف الاسرار والاطلاع على انواع المغيبات » .

« هذا ومن المأثور عنه انه كان يتكلم ، فى حال غيبته ، بكلام موزون ملحون ... يشتمل على ذكر الله والثناء عليه ، وتمجيد رسوله صلى الله عليه وسلم ، والاشارات العرفانية ، والحقائق الذوقية ، والدلالة على الله ، وعلى امر الله ، والنية والصدق والمحبة ، والكلام على النفس وعيوبها، والروح وحالها ، وشروط الشيخ والصحبة وآدابها الخ ... الا ان الناس كل ما راوه من الكلام على وزن كلامه نسبوه اليه فخلطوا فيه كثيرا » . (عن الممتع)

اتضح لنا هنا ان عبد الرحمن كان يتكلم بهذا النوع من الكلام الملحون فى حال غيبته ، وقد سميت اقواله « بالرباعيات » لان كل « رباعي » يشتمل ، في غالب الاحيان ، على اربعة اشطر ، اي على بيتين من قافية واحدة ، ويعبر عن حكمة ذات صلة باحد المواضيع المشار اليها اعلاه ، ولقد قال :

كسبت في الدهر معزة — وجبت كلام رباعي
ماذا من اعطاه ربي — ويقول اعطاني دراعي

ولم يكن عبد الرحمن المجذوب اول من عبر عن خوالج نفسه بهذه الطريقة ، غير انه ليس لدينا ما يثبت انه كان يصحبها بالايقاع على دف او بندير او بنغمات الناي ، مثل ما يروى مثلا ، عن الشيخ عبد

وهذا خلاف المعتاد من اهل مصر ، وانما يتكارمون بينهم بشراب البن الذي يسمونه القهوة ، **ونحن لا نعرفها وليست عندنا بطعام ولا دواء ولا شهوة ...**
« فاذا لم تكن القهوة معروفة بالمغرب ، عهد العياشي (1037 ـ 1090 هـ) فهي ، بطبيعة الحال ، لم تكن معروفة به ، او على الاقل ، لم تكن شائعة ومتداولة فى عهد المجذوب (909 ـ 976 هجرية) وقد يؤيد هذا ما نبه اليه الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله فى معجمه التاريخي ، ان « طوماس لوجندر » ذكر فى رحلته المنشورة فى مستندات « دوكاستر (السلسلة الاولى السعديون الجزء الثالث صفحة 691 ـ 739) وجود الشاي فى المغرب زيادة على القهوة عام 1665 ميلادية (1076 هجرية) وكانا حديثي عهد بالدخول الى اوربا » .

نعم لا شك ان اكثر الرباعيات المعبرة عن الامتعاض والتدمر ، مما كان يسود المغرب ، فى ذلك العهد ، من فتن ومحن ، خليقة بأن تكون من اقوال المجذوب ، لانه كان ذا قلب حي لا يستطيع ان يتغاضى عن ذلك .
ولا شك انه هو صاحب الاقوال التالية :

غوث يا ذيب سايس
وجاوبه يا ذيب وراما
الشريف يجري على الشريف
حتى يجي الي يحسن لكم بلا ما

* * *

رقبت على جبل صارصار
ورميت عين يمين ويسارة
شفت الغرب خالي يصفر
مكناس هي حد العمارة

والظاهر ان الشيخ عبد الرحمن ، كان يساند بني وطاس ، حيث ان الكثير من الرباعيات المنسوبة اليه ، فى هذا الموضوع ، تدل على انه لم يكن راضيا على السعديين ولا على اهل سوس . ومما يعزى اليه هذه الاقوال :

مراكش مبدى الهم
سلا والرباط هما فراشه
مكناس يجري بالدم
فاس يا من بغى معاشه

* * *

الخيل الدوك من القبلة
والحيح يقوم من سوس
الشبكة منصوبة فى ازبلة
ما يفلتشي منها حتى الناموس

من عند النبي جيت رقاص
مولاي ادريس يعطي البشارة
مضمون فاس من كل باس
ولو يدوروا به جناس النصارة

وخلاصة القول : ان الشيخ عبد الرحمن المجذوب كان ذا بصيرة نافذة مميزة ، يهدف الى اصلاح المجتمع الذي كان يعيش فيه ، ولذا نرى ان الكثير من اقواله وارشاداته السلوكية ، خاصة بالشؤون الدنياوية من صدق وكتمان وصبر الخ .. او تعبر عن اشارات عرفانية يمجد فيها الله ورسوله الكريم .

وبما انه لم يذكر ، حسب ما يبدو ، هذا النوع الاخير من الرباعيات الا فى كتاب « ممتع الاسماع » وهو قليل التداول ، فلا بأس ان نختم هذا البحث بايراد بعضها .

طلع النهار على قلبي
حتى نظرت بعينيا
انت دليلي يا ربي
وانت رسولي مني فيا

* * *

طلع النهار على الاقمار
ولا باقي الا ربي
الناس زارت محمد
وانا ساكن في قلبي

* * *

اذا ذكرتك يا الامجد
نصيب راحة في نفسي
لولا حبيبي محمد
ما كان عرش ولا كرسي

* * *

الحب منك ما هو لي
وانت الحبيب الى نهوى
ايا حبيبي محمد
رايت حبك فيه دوى

* * *

مجذوب محبوب مرغوب
ساكن في ارض العلالي
الى اقضى ربنا كان
في الراس ما يمتحى لي

الرباط : عبد القادر الخلادي

اننا نجد فى الرباعيات المنسوبة للشيخ عبد الرحمن المجذوب اشارات الى اقامته بمدن أو اقطار لم يثبت انه زارها ، ونجد ذكر اشياء لم تكن معروفة بالمغرب فى عصره ، كما نجد الفاظا وتعابير عامية جزائرية او تونسية من الصعب ان نقتنع بانها كانت مفهومة فى النواحي التي عاش فيها .

اننا نعرف مثلا ان الشيخ ابا الحسن علي بن عبد الله التشتري اللوشي (معاصر الامام الشاذلي 610 هجرية) شاعر الصوفية الكبير ، فى الاندلس والمغرب ، وهو اول من استخدم الزجل فى التصوف ، كان يتجول فى شمال افريقيا ، وفى جميع اقطار الشرق الاوسط ، وكان قد دفعته عبقريته ان يتكلم لهجة اقرب الى الفصحى ، سواء فى المغرب او فى الشرق ، مع تضمينها خصائص عن لهجة القوم الذين كان يعيش بينهم ، فغلبت نزعة اندلسية على اشعاره فى المغرب ، وبدوية ابان مقامه فى طرابلس ، وشرقية ومصرية احيانا اخرى ، خلال اقامته وجولاته بمصر والشام « وذلك ليؤثر فى نفوس السامعين » . وهذا ما يجعلنا لا نشك فى صحة الاشعار المشرقية المنسوبة له .

واما الشيخ عبد الرحمن المجذوب فلم يذكر احد من المترجمين له ما يؤكد انه غادر المغرب ، وان كان ورد فى كتاب « ممتع الاسماع » انه كان يقف كل عام بعرفات ، وان وقوفه ذلك كان من باب الكرامات التي تفضل الله سبحانه وتعالى عليه بها ، اذ يحكى انه استشار شيخه سيدي سعيد بن ابي بكر المشترائي فى المشي الى الحج فقال له : « يا سيدي عبد الرحمن مكة عشاقة ، الذي تبغيه هي تزوره فى داره » ، قال ذلك مقالا ومكنه منه حالا .

فالمعروف عنه بصفة ثابتة انه عاش بمكناس وبفاس وببلاد الهبط ، وانه لم يمتحن بالعمى ، ولم يزر جنوب المغرب ولا شرقيه ولا مناطقه الشمالية المتاخمة للبحر الابيض . نعم انه من المحتمل ، كثير الاحتمال ، ان يكون سمع اخبارا شتى عن الاحداث السياسية التي تقع بمراكش ، وبتازة ، وبتلمسان ، ووهران ، وتونس الخ . وذلك ، من جهة لانه كان يتصل بالصالحين المتجولين الذين لهم المام ببعض تفاصيل تلك الاحداث ، ومن جهة اخرى ، لانه كان يرى بالقصر الكبير او بنواحيه طوائف من اهل الريف واهل سوس ، واهل المناطق الصحراوية ، وجاليات اندلسية ، وجماعات من العلوج ، ومن الاسرى البرتغاليين والاسبان ، ولكن هل هذا الاحتمال يكفي لتعليل ما نسب له من رباعيات دعا فيها مثلا على هذه البلدة او تلك ، او هجا فيها هذه الطائفة من سكان المغرب او تلك ، اننا نربأ بشيخ افعمت نفسه بحب الله، ان يسف ذلك الاسفاف .

لا شك ان الحزازات الناجمة عن التسابق على مناصب السلطة ومراتب الامارة وان التحزب لطائفة من الطوائف ، والتحيز لحاضرة من الحواضر ، هي التي كانت تدفع بالمتنافسين الى التراشق بالاهاجي، والى تبادل الشتائم والمثالب ، بعد ان يصوغوا منها « رباعيات » ويشيعونها بين الناس ، منسوبة للمجذوب لاكسابها قوة التأثير وشدة الفاعلية .

ولا يستبعد ان يكون المجذوب اشار الى الاضطراب الذي كان ينتج عن ذلك التهريج حيث قال:

تخلطت ولا بات تصفى
ولعب خزها فوق ماها
رياس على غير مرتبة
هما سبب خلاها

وعليه فانه يجب ان نتذرع بالحيطة واليقظة في قول كل ما نسب للجذوب من رباعيات تشتمل على ذم ، أو تشتمل على الفاظ غير متداولة بالمغرب مثل « حوست » (تجولت) وقليل (محتقر) الخ . أو ذكر فيها اشياء لم تكن معروفة بالمغرب مثل « القهوة » كمشروب او كمكان لشربها . نسب مثلا الى المجذوب انه قال :

طاقوا على الدين تركوه
وتعاونوا على شرب القهاوي
الثوب من فوق نقوه
والجبح من تحت خاوي

وقال :

حبيبي ان غضب ماله طب
بعد المحبة جفاني
نجيب القهوة ونصب
ونحدثه بالمعاني

وقد ذكر الشيخ ابو سالم عبد الله بن محمد بن ابى بكر العياشي (1037 — 1090 هـ) فى رحلته المسماة « ماء الموائد » (الجزء الاول صفحة 132 طبعة فاس) بعض ما شاهده بمصر ، وما فعله بالقاهرة سنة 1072 هجرية فقال : « لما دخلنا لزيارة شيخنا الشيخ ابراهيم الميموني ، رضي الله عنه ، ومنزله قرب الجامع الازهر ، قدم لنا طعاما حسنا ، وكنا جماعة .

آخر السورة فيما يوقف عليه ، الا مع بيان ان ذلك باعتبار رواية من يبسمل بين السورتين ، ثم بيان أن ذلك ايضا باعتبار اخذ من يقف على آخر السورة ممن يبسمل ؛ أما ذكره على الاطلاق لنافع ، فيوقع عوام الآخذين في جهل وخطا عظيمين؛ذلك انهم يأخذون في أول التعليم والتلقي بضبط الواحهم على حسب العادة ، ومن جملة الضبط وضع علامة الوقف التي هي (صه) على الكلمة الموقوف عليها ، ـ بمعنى اسكت ـ فيضعونها على اواخر السور ، كما في كلماتها الموقوفة؛ ثم لا يقع تنبيه من اشياخهم على ان ورشا لا يقف على آخر السورة ، وانما حكمه عنده السكوت عليه ، أو وصله بأول السورة بعده ؛ ويكتفون بالتلفظ لهم ، فيرى المبتدئون ان اشياخهم واقفون ، ويستمرون ـ اعتقادا ـ ان ورشا يقف على آخر السورة ، ولم يفهموا أن الوقف عليه يوجب البسملة ، لابتداء السورة ، فيقرءون له ولا يبسملون ، ويعتقدون انه واقف غير مبسمل ؛ وذلك خطأ من جهتين : من جهة الرواية ، ومن جهة الاداء ؛ لانهم يتركون البسملة التي تترتب على الوقف ، وربما يعتلون بذكر الهبطي اواخر السور في عداد الكلمات التي يوقف عليها ، جهلا منهم بمراده . نبه على هذا العالم المقريء ابن عبد السلام الفاسي ، وزاد يقول : « وكنت اسأل حفاظ السبعة منهم ، فأجدهم على هذا الاعتقاد الفاسد ، واذا نبهوا اقاموا على جهلهم ، تقليدا لاشياخهم ؛ قال وكنت آمر الآخذين عني بأن لا يضعوا علامة الوقف على أواخر السور ، لان الوهم انما أتاهم من قبل وضعها .. »

قلت وعمل القراء ـ الى اليوم ـ لا يزال على وضع علامة الوقف أواخر السور ؛ عملا بالقول المأثور، خطأ مشهور ، افضل من صواب مهجور . على ان وضع علامة (صه) على الكلمات الموقوفة ، ليس من وضع الهبطي ، فالنسخ القديمة ـ التي بين ايدينا ـ مجردة من هذه العلامة ؛ وربما كانت من وضع بعض تلاميذه

ثم هناك اختلاف بين النسخ في بعض الوقوف ، فمثلا قوله تعالى : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » ، ـ سورة البقرة ، آية 88 ـ اغلب النسخ يقف على الذين كفروا ، بناء على ان « كفروا به» جواب لما الثانية ، وحذف جواب الاولى للاستغناء عنه ، وهو رأي الزجاجي والاخفش ، واختاره الزمخشري . وذهب المبرد الى ان جواب لما الاولى هو « كفروا » ، وكرر لما لطول الكلام ، وقيل ان جواب لما الاولى محذوف ، دل عليه جواب لما الثانية . وعلى هذا فلا يحسن الوقف على الذين كفروا ، ولذا لم يوقف عليه في بعض النسخ .

وهذا الاختلاف قد يرجع الى تغيير وجهة نظر الهبطي في بعض الوقوف ، فأثبتت في رواية بعض التلاميذ ، ولم تثبت عند الاخرين ، وهذا ليس ببدع ، فكثير من العلماء وقع لهم مثل هذا ، فاختلفت نسخ مؤلفاتهم ما بين زيادة ونقص ؛ فالشافعي مثلا روايته في القديم ، غيرها في الجديد ؛ وكذلك في فقه مالك ، نجد الفقهاء يقولون ان هذا القول مرجوع عنه ، لا تجوز الفتوى به .

هذا وقد احصى القراء المتأخرون وقف الهبطي، وعدوا كلماته ، ورتبوها على حروف المعجم ، وسموا هذه الوقفيات ، بـ « الحطيات »

وقد طغت موضة « العدد » عند القراء في العصور المتأخرة ، فنجده في كل شيء ، في القراءات ، وفي الوقف والوصل ، والثبت والحذف ، والهمز والوصل ، وهلم جرا .

وبعد فهذه نظرة عجلى عن وقف ابي عبد الله الهبطي ، الذي يدين له المغاربة بالفضل ، مدى اربعة قرون أو تزيد ؛ وكم نود ان لو طبع هذا الوقف مع بعض شروحه ، التي تبين مغزاه ومراميه ؛ احياء لتراثنا القومي ، وخدمة لكتاب الله العزيز . وفقنا الله جميعا الى ما فيه خير البلاد والعباد .

تطوان : سعيد اعراب

أبو عبد الله الهبطي واضع وقف القرآن بالمغرب

للأستاذ سعيد اعراب

(3)

من القراء من يرى ان وقف الهبطي ، قد تواترت روايته ، واستفاضت شهرته ، وتلقاه الناس بالقبول، جيلا بعد جيل ؛ فيجب الوقوف عنده ، ولا تجوز مخالفته ؛ ومنهم من يرى ان الوقف من اصله جائز ، واكثر وقف الهبطي لم تثبت روايته ، فيجوز الخروج عنه ؛ وقد خالفه عدد من العلماء ؛ فمنهم من زاد عليه، ومنهم من نقص منه . على ان الهبطي نفسه ، ترك كثيرا مما وسمه الداني بالوقف التام او الكافي .

وابن عبد السلام الفاسي ممن شايع هذا الراي، قال : « .. فما يعتقده كثير من قراء زماننا ، من ان كل كلمة قيدت عن الهبطي ، وردت بها الرواية ، جهل منهم بمعنى الرواية ؛ لانهم حيث قراوا على شيوخهم، وادوا على ذلك ، اعتقدوا ان تلك الحال التي ادوا عليها، هي الرواية فى كل ما ادوا عليه ؛ ومن جملة ذلك ، الوقف على الكلمات التي قيدت عن الهبطي ؛ ثم تمادى بهم الحال ، حتى خطاوا من ترك الوقف على كل كلمة مما قيد عنه ، او زاد على ذلك ، وجهلوا انه لا تتعين متابعة الهبطي فى شيء ، من ذلك .

وهذا الخلاف مبني على خلاف آخر ، وهو هل الوقف مروي بالنوع او بالشخص ، والمختار انه مروي بالنوع والصلاحية ، لا بالشخص والتعيين .

ومامر من انه لا تتعين متابعة الهبطي فيما قيد عنه من وقف ، انما يمكن حمله على القارىء المتفقه ، والعالم المتبصر ؛ اما جهلة القراء ، وعامة الناس ؛ فينبغي لهم الوقوف عندما قيد عن الهبطي ، كما يلمح الى ذلك صاحب القول الوجيز ، فى قمع الرازي على كتاب الله العزيز ، اذ يقول : واذا كان الامر فى الوقف والسكت هكذا ، فالواجب بالوجوب الادائي على التالي ، ان يقف على اماكن الوقف الذي يتلو عليه ، كالوقف المنسوب للهبطي فى زماننا ، — وقفا يتنفس فيه ويستريح ؛ قال : فاما قراء زماننا ، — سامحهم الله — فلا يعبأون بشيء من هذا ؛ ولكنهم اذا مروا بمواضع الوقف عند الهبطي ، اسكنوها ، واستمروا الى ان برهقهم النفس ويضطرهم ، فيقفوا فى مواضع الاضطرار .. واقبحهم فى ذلك أهل صناعة الارداف ؛ لانهم يعتقدون ان الحافظ هو الذي يفعل ذلك ؛ وزاد يقول : فالوقوف التي يوقف عليها كلها تراعى فيها معان ، لابتنائها على الاعراب الكفيل بالمعاني ، ومفادات الكلام ؛ لان فاعلها لم يضعها بالتشهي ، بل وضعها باعتبار اعرابات واشادات الى معان ونكت فى التفسير ؛ وان نوقش فى بعضها ، لانه بشر ليس معصوما .. »

ومما نوقش فيه الهبطي ، وقفه على اواخر السورة مع ان الذي ذكره العلماء فى كتب الخلاف كالشاطبية والتيسير ، ان ورشا يسكت ، او يصله بأول السورة بعده ؛ فذكر الهبطي الوقف عليه ، اما باعتبار انه محل وقف وتمام ، ولا اتم من آخر السورة، وعليه فتتعين البسملة حسبما هو منصوص ، واما باعتبار رواية قالون ، او انه كان يقرا لنافع بروايتيه معا بالبسملة ، فعلى ما به الاخذ عن ورش من السكت والوصل ، على التخيير بينهما — يجب أن لا يذكر

الآثار التاريخية الاولى التي سطرها المؤرخون المسلمون فى الهند غموضا كبيرا فى معلوماتهم التاريخية عن الاندلس ، على ما تتسم به هذه الكتابات من طابع الاحاطة والشمول . لقد كانوا يطلقون على الاندلس والمغرب والجزائر لفظ « المغرب » الشهير . فهناك شخصيات « مغربية » ظهرت على فترات متقطعة ببلاد الهند الاسلامية : بعضها كان يرتادها سائحا وبعضها كان يفد عليها للمغامرة . هذا الى جانب البعثات الدبلوماسية التي نختص منها بالذكر مهمة الامام شمس الدين المغربي الذي اوفده احد امراء اوربا الوسطى سفيرا له ببلاط السلطان ناصر الدين محمود (1246 — 1266) فى دهلي . اما ابرز الرحالة المغاربة على الاطلاق فهو ابن بطوطة . لقد خلف الرحالة الشهير وصفا ضافيا عن الحياة وعن الاوضاع فى الهند كما هو الشأن بالنسبة لغيرها من الاقطار التي زارها حيث تولى مناصب هامة — فى خدمة محمد ابن تفلق (1325 — 1351) — بما فى ذلك منصب سفير فى البلاط الصيني . واشار فى رحلته ايضا الى ان ملوك الهند اكرموا وفادة عدد آخر من « المغاربة » . بيد ان الامر لا يعدو أن يكون اتصالا شخصيا . واذا كان محمد بن تفلق أول الملوك المسلمين بالهند الذين ابانوا عن ميل أصيل الى تحقيق الوحدة الاسلامية ، فأقر السلطة الروحية للخليفة العباسي المنفي بالقاهرة ، وتبادل البعثات الدبلوماسية مع مصر وفارس فانه لم يفكر فى ان يوجه سفيرا له الى البلاط العربي بالاندلس .

والملاحظ ان الهند الاسلامية فى العصر الوسيط قد تأثرت كثيرا للتحدي الصارخ الذي كان يجسمه وجود المغول الوثنيين وناصرت حركات المقاومة او الاسترجاع التي كان يقودها الاهالي آنذاك ، فيما جهلت او تجاهلت مأساة الاسلام باسبانيا وتحدي النصرانية فى أوربا تمهيدا لاعلان الحروب الصليبية .

بيد أن الغرب الاسلامي اثر بصورة حاسمة في الفكر الهندي والحياة الدينية والصوفية بالهند الاسلامية فى العصر الوسيط . ولعل من الاصوب ان نقول انه تأثير للفكر الصوفي الذي تكشفت عنه كتابات المتصوف محيي الدين بن العربي (المرسي) فقد دخلت مؤلفاته الهند فى أواسط القرن الثالث عشر على يد الشاعر المتصوف فخر الدين العراقي الذي اقام طويلا فى دار الضيافة السهروردية بملطان والتقى بعد ذلك فى كونيا بصدر الدين ، تلميذ ابن العربي وشارح مؤلفاته . وقد أصدر العراقي «نصوص الحكم » الى ملطان ، مشفوعا برسالة فى التصوف كتبها بنفسه على نسق كتاب ابن العربي المذكور . وقد كان لابن العربي اثر بعيد فى الفكر الهندي ، ممثلا في نظام الصوفية السهروردية ، ثم فى نظام الصوفية الصشتية ، خصوصا فيما يرجع لنقطتين أساسيتين من نظريته الصوفية . وتتلخص الاولى فى عرضه حول بنية الطبقات الصوفية التي تتضمن فى وسطها قطبا يماثل المحور المقدس الذي تقوم حوله ثورة الكون ، وهذه نظرية قد دعمت فى الهند موقف نظام الصوفية الصشتية ، بتعضيد حق السلطة الروحية التي يجب ان تمنح لرئيس النظام . وهي الى ذلك تعكس في المجتمع الهندي الاسلامي اثر الصراع الذي احتدم فى العصر الوسيط ببلاد النصرانية بين البابا والامبراطور. اما الثانية ، فلها جذور فى أعماق الفكر الهندي ، وتتجلى فى التفسير الدياليكتيكي الذي اعطاه ابن العربي للوحدة الانطولوجية مع ماينطوي عليه هذا الراي الصوفي من عناصر دخيلة على الاسلام . وقد خصها المتصوفة المسلمون فى الهند بتعاليق ضافية في محاولتهم للتوفيق بينها وبين المبادىء الجوهرية في الوثوقية الاسلامية (Dogme musulman) فيما ندد بها كبير المفكرين الصوفيين الهنود الشيخ احمد السرهندي ، والذي لا مراء فيه أن الوحدة الانطولوجية عند ابي العربي تشبه فى كثير من معطياتها الوحدة المطلقة التي نادى المتصوف الهندي الشانكراشاريا . ومن المحتمل أن تكون نظريات « ابن العربي فى التصوف قد تأثرت ، بصورة غير مباشرة ، عبر آسيا الوسطى بتعاليم الهندية الاولى حتى ان الروح الهندية اعجبت بها ايما اعجاب ، بيد ان صلة الفكر الهندي بنظريات ابن العربي كانت تعرض المعطيات الدينية والسياسية بالهند ، فى نظر رجال السنة الاسلامية ، لمخاطر الابتداع والتلفيق . وقد عمل الشيخ احمد السرهندي على وضع حد لشيوع هذه الظاهرة فى بداية القرن السابع عشر ، فوضع نظرية الوحدة الظواهرية ، فى حدود النظام الصوفي النقشبندي الذي ينتمي اليه . وقد اعتمدها سواد الناس فى الهند الاسلامية آنذاك . والجدير بالذكر ان هذه النظرية قد كان لها من الصدى ما جعل الشاعر الفيلسوف اقبال يصف فى القرن العشرين «الفتوحات المكية » لابن العربي بانها لا تعدو أن تكون بدعة واقوالا غامضة .

روابط متينة بين دولة الإسلام في الأندلس والهند الإسلامية الحديثة

دراسة مهداة لروح المستشرق الكبير ليفي بروفنصال
للأستاذ عزيز أحمد - لندن
تعريب : عبد الرحمن بنعبد الله

ان من مظاهر ضعف الثقافة عندنا - كما يرى بعض رجال الفكر في بلادنا - اهمال عنصر اساسي هو الترجمة . فالعصر الحاضر يدعو الى الاخذ بهذه الصناعة كما تاخذ بها كل الامم الحية اذ انها تغني اللغة وتنقل مستجدات العصر وتربط القارئ المغربي بآفاق العالم المتحضر . والترجمة تلعب دورا هاما في اطلاع المثقفين على ما كتب باللغات الاجنبية لا عن المغرب فحسب ولكن بالنسبة للعرب والمسلمين عموما .

والدراسة التي تولينا تعريبها اسفله تسلط بعض الاضواء على جوانب غامضة من تاريخ الاسلام وتعرض للوشائج الروحية والفكرية التي جمعت بين المسلمين في العصر الوسيط مهما نأت الديار وشط المزار . ولقد كان لهذه الصلات من الاثر البعيد في نفوسهم ما جعلهم يعملون على دعم كيانهم الروحي والديني في القرن العشرين صونا للمكاسب التي حققتها دولة الاسلام في عهود الامجاد الغابرة . - المعرب -

- 1 -

تشير كتب التاريخ الى ان غزو السند قد واكب في تاريخ الفتوحات الاسلامية ، تأسيس دولة عربية في اسبانيا . كانت الامبراطورية العربية على عهد المتاخرين من خلفاء بني أمية تمتد الى السند ، وتحدها في الشمال بلاد الاندلس . وقد انتقلت علوم الهند وكتاباتها فيما بعد ، عن طريق بغداد ، الى بلاد الاندلس حيث عكف بعض العلماء من اضراب احمد المجريطي (المتوفى سنة 1007 م) وابن السمح (المتوفى سنة 1035 م) على كتابة شروح ضافية لكتاب السدهانتا الذي غدا بعد ذلك موضع جدل ونقاش بين كثير من علماء الاندلس كعبد الله بن احمد السرقسطي وابن سعد الاندلسي ، بيد ان الصلات بين الاندلس ودولة الاسلام بالهند في العصر الوسيط كانت ضئيلة ، ولعل الفضل راجع في التاريخ لها ، رغم ذلك، الى آثار الرحالة العرب من امثال ابن حوقل الذي زار العالم الاسلامي (او دار السلام) من اقاصيه الى اقاصيه . لقد كان من العسير على الاقليمين المسلمين المتباعدين ان يوثقا علاقاتهما الفكرية والسياسية لبعد المسافة بينهما وكثرة المخاطر التي كانت تتهدد الرحالة في ذلك الحين . وأهم من ذلك أن الاندلس قد انفصلت عن العالم الاسلامي على عهد العباسيين ، فيما بقيت دولة السند موالية ، الى حين ، للسلطة المركزية في بغداد حتى انها غدت جزءا من الامارات التي تشعبت عنها بعد ضعف الخلافة وتفكك الوحدة الاسلامية .

وجدير بالاشارة ان فتح شمال الهند قد تم على يد الاتراك سنة 1000 م ممن أثرت فيهم الثقافة الفارسية الى حد بعيد ، هذا الى ان الصلة القائمة بين الهند من جهة وافريقيا الشمالية والاندلس من جهة اخرى كادت ان تصبح مستحيلة بعد ان تعرض العالم الاسلامي في عقر داره لغزو المغول الوثنيين في القرنين الثالث عشر والرابع عشر . فليس غريبا أن نلحظ في

ما بين 1891 — 1984 . اما فى سنة 1901 فقد تمت ترجمة كتاب ميكان Meakin المسمى «الامبراطورية المغربية» . وظهرت فى سنة 1904 ترجمات ذاتية لابن باجة وابي حيان الغرناطي . وقد صدرت فى نفس الوقت ، على شكل مذكرات سفر ، زحمة من الآثار الشعبية فى المجلات حول تاريخ الاندلس وثقافتها . واعتبارا للقيمة الانسانية والدور الطلائعي الذي لعبه الاسلام بالاندلس بالنسبة للحضارة الاوربية فقد اضحت موضوعا حماسيا للذود عن الكيان الاسلامي ، خاصة فى كتابات عامر علي وسيراج علي . اما علماء الدين الذين ينتمون الى مدرسة ديوباند ، فقد عالجوا الموضوع من زاوية مختلفة . ويظهر من مؤلفاتهم ان اسهام الاسلام بالاندلس يحتل مكانه فى التوزيع الذي نخضع له الفكر العربي والثقافة العربية عموما . وعلى هذا النهج سار المؤرخ الاردي الكبير شبلي نعماني في كتابة مؤلفاته التي تعالج الدين والادب والثقافة ، واليه يرجع الفضل فى التعريف بالجهود التي اسهم بها الكتاب المغاربة ، ممن تناولوا المواضيع الدينية ، فيما خلفه من مؤلفات لا تقع تحت حصر ، وقد قام المثقفون ايضا بنشر عدد هائل من الدراسات الاصيلة فى كثير من المجلات كالمعارف ، وفى بعض الكتب كالجغرافيا التاريخية للاندلس ، لعناية الله . ولم تهن عزائم المثقفين فى دراسة الاسلام بالاندلس الى ان استقلت الهند والباكستان سنة 1947 . وتدل الوثائق التي كتبت سنة 1941 على أن اهتمام المسلمين فى الهند بميراثهم المفقود فى شبه الجزيرة الايبرية كان يتزايد باستمرار . وقد شهدت السنوات الاخيرة ظهور كثير من الكتب فى الموضوع سواء ما كان منها موضوعا او منقولا .

— 4 —

فى اعتقاد العامة من مسلمي الهند ان المؤلفات الادبية الاردية تشكل صلة وصل بينهم وبين الاندلس . فلقد كتب الشاعر المجدد الطاف حسين حالي سنة 1879 قصيدته الشهيرة « مسدس » حيث يرثي مأساة الاسلام ويعبر عن امله فى نهضة له يسترجع فيها ما فات من امجاده . والقصيدة تتضمن ثلاثة مقاطع مؤثرة يعرض فيها الشاعر لمآثر الاسلام باسبانيا مؤكدا عروبتها الاصيلة سواء من حيث الشكل او المضمون ، وكذا سمو معالمها التي لا تبلى جدتها على مر الايام . وقد شاعت هذه القصيدة فى الاوساط الشعبية بصورة اصبح معها السكان فى الهند يطلقون على منازلهم اسماء المدن الاسبانية محتفظين بشكلها العربي كما وردت فى ابيات القصيدة الانفه الذكر .

وسارت القصة التاريخية الاردية على نهج القصيدة الاردية ونسجت على منوالها فى قالب اندلسي فقد كتب عبد الحليم شرار ، من المعاصرين للشاعر حالي — ولكنه اصغر منه سنا — عدة قصص تاريخية اقتفى فيها أثر الكاتب والترسكوت Walter Scott من حيث الفن والمنهج ، وتناول فيها مختلف المراحل فى التاريخ الاسلامي ، كما الف فى سنة 1890 مسرحية تاريخية سماها « شهيد الوفاء » وتعالج هذه المسرحية انهيار المجتمع الاسلامي فى غرناطة مما ادى الى سقوطها فى قبضة فرديناند وايرابيلا ، وقد اتبعا شرار سنة 1896 بقصة فى الحوار التاريخي سماها « فلورا فلوريندا » وتناول القصة موضوع التوتر الذي كان يسود بين المسلمين والمسيحيين فى اسبانيا . والقصة من حيث هي تقتصر الى كثير من الحياة والاضواء ، ولعل المسوغ الوحيد لقراءتها فى الهند الاسلامية كامن فى لونها الرومانطيقي والحوار التاريخي الذي تحتذيه. وهناك قصة تاريخية اخرى « لشرار » كتبها عن اسبانيا ايضا وسماها « الفاتح المفتوح » وتدور احداثها حول الصراع الذي دارت رحاه بين عبد الرحمن الغافقي وشارل مرتيل . وما استتبعه ذلك من انهزام العرب بأرض الغال مما اوقف الزحف الاسلامي فى اوربا . والقصة زاخرة بصور البطولات . ولها من التماسك وعمق النظرة ما يعوز غيرها من الكتابات السابقة التي أصدرها شرار عن اسبانيا . وقد نشر شرار ، علاوة على القصص ، حكايات شعبية فى الدوريات التي كان يصدرها للتعريف بالاحداث والشخوص التي تملأ تاريخ الاسلام بما فيه تاريخ الاندلس . والى جانب القصص الهندية التي تجري احداثها على مسرح التاريخ الاندلسي ، فقد تقبل الشعب عن طيب خاطر ، ترجمات الكتب التي الفت بلغات اجنبية فى نفس الموضوع . وهكذا نقل الى الاردية سنة 1906 كتاب المؤرخ اللبناني جرجي زيدان الذي يقص تاريخ الفتح العربي للاندلس دراسة الاسلام بعد اكتشافه فى الاندلس كانت قوة خلاقة خلقت اثرا بارزا فى عبقرية الشاعر الكبير والمفكر الهندي المسلم محمد اقبال (الذي وافته المنية سنة 1938) . وقد تبدت هذه القوة رموزا تشع فى نتاج الشاعر الموهوب . فطارق اول ضابط عربي وطئت قدماه ارض اسبانيا ، عندما يامر باحراق اسطوله فى جبل طارق ، يعد رمزا للعزيمة الصادقة التي لا تنال

— 2 —

هناك مظهر آخر لفكر « ابن العربي » لا صلة له بمنهجه الصوفي ، ونقصد به التعريف الذي اصطنعه لنظريته الجوهرية فى الرابطة الاسلامية التي لم يكن لها اي تأثير على الهند الاسلامية فى العصور الوسطى . على اننا لا نستبعد ان تكون هذه النظرية نواة للنظرية الحديثة فى الرابطة الاسلامية كما وصفها رائد هذه الحركة فى القرن التاسع عشر السيد جمال الدين الافغاني .

فقد نظم ابن العربي فى القرن الثالث عشر السياسة المناهضة للحروب الصليبية فى البلاط الاسلامي بالاناضول وسوريا ، واشار على المسلمين بأن يبتعدوا عن المناطق التي اغار عليها المسيحيون ، وقد كان بدون شك ، برسم الاتجاه الذي اختطه جمال الدين الافغاني فيما بعد عندما نظم فى القرن التاسع عشر قواعد الرابطة الاسلامية .

انها ، على وجه التحديد ، النظرية السياسية للرابطة الاسلامية فى الهند الاسلامية المعاصرة كما نلاقيها فى كتابات المفكر الديني المسلم الشيخ ولي الله الذي عاش فى القرن الثامن عشر حيث وصف المجتمع الاسلامي الوحدوي « الجماعة » ، وكما تطالعنا فى آثار المفكرين السياسيين فى القرن العشرين من امثال اقبال وابي الكلام آراد . واذا كانت نظرية ابن العربي لم ترد فى كتابات المتأخرين ، بوصفها مرجعا مباشرا للرابطة الاسلامية ، فانه لا يخامرنا شك فى ان ولي الله قد تأثر بها كثيرا حتى انه حاول التوفيق بين نظرية ابن العربي ونظرية الشيخ احمد السرهندي بخصوص الوحدة الانطولوجية .

— 3 —

كان لقاء المفكرين المسلمين بالهند مع تراث الاسلام باسبانيا لقاء فى بالغ الاهمية شهده القرن التاسع عشر ، يوم اكتب النخبة المثقفة الحديدة التي تلقت تعليما غربيا على قراءة المؤلفات التي كتبها المستشرقون الاوربيون ، فى اعقاب الثورة الهندية ، سنة 1857 . واذا كانت هذه النخبة قد تفتحت على المراجع العربية الاولى فى الفلسفة والتاريخ والادب مما وصل اليها عن طريق الغرب ، فان العلماء المسلمين الذين تلقوا تعليما كلاسيكيا تقليديا كانوا اوفر حظا واشد اهتماما بهذه الاصول . ومن نافلة القول أن هذا التطور اعطى ثماره فى اقل من عشر سنوات . لقد كانت نظرة المسلم فى الهند الى تاريخ الرابطة الاسلامية تصور له تاريخ الاسلام ذاته عملية فريدة انتظمت العالم الاسلامي قاطبة فى آن واحد ، ونتيجة لذلك ، فانه كان يطالب فى كثير من الاعتزاز بالمكاسب التي حققها المسلمون فى الاندلس بوصفها جزءا لا يتبعض من ميراثه الثقافي . وبالرغم من احتكاك علماء الهند بالمستشرقين الغربيين الذين كانوا ينظرون الى التاريخ على ضوء التقسيم الجغرافي ، فان هؤلاء يقرون بأن « النزوع الى الملكية » عند المسلم الهندي لم يمس بشيء . بيد أن بعض الضباط الانجليز بالهند فى القرن التاسع عشر تفهموا هذا الاتجاه التاريخي فى الفكر الاسلامي وعملوا على تعضيده . ونضرب لذلك مثل السير شاراز تريفليان الذي اهدى بعد سنة 1860 بقليل جائزة لاحسن دراسة مقارنة حول اثر الادب الاغريقي على العرب على عهد العباسيين والامويين الاندلسيين وما استتبعه من تأثير للادب العربي على الاوربيين ، كما اشار النائب الملكي البريطاني اللورد ليتون ، عند تدشينه للمعهد الاسلامي الانجليزي الشرقي الى ان ابرز المكاسب وابقاها أثرا عند الاجناس العربية ما حققته فى ميادين العلم والادب والفن ... لقد امدوا جزءا هاما من هذه القارة بهندسة معمارية كانت موضع الاعجاب والاندهاش فى هذا القرن ، في حين كانت المجتمعات المسيحية فى اوربا لا زالت تتعثر فى دياجير الجهالة والبربرية الرعناء ... لقد انشأوا فى كل ربوع شبه الجزيرة الايبرية كثيرا من مدارس الطب والرياضيات والفلسفة . وكان تعليمها يفوق مستواه واقع العلوم المعاصرة اذذاك فى اوربا . وانه لمن المؤكد ان سكان اسبانيا والبرتغال مدينون بالشيء الكثير من امكانيات التغذية ذاتها لاعمال المهندسين الزراعيين العرب فى العصر الوسيط .

لقد كان ذلك بمثابة اعتراف رسمي يصدر عن الاوساط الرسمية آنذاك بخصوص الموقف والاتجاه الذين اتخذهما العلماء المسلمون بالهند فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر . فليس من الغريب أن ينقطع المثقفون فى الهند الاسلامي ، فى بادىء الامر ، الى دراسة آثار ابن رشد فى نهاية القرن التاسع عشر، مع ما كان لها من بعيد الاثر على تقدم الفكر الاوربي، فأصدر عماد الملك بلفرامي حوالي سنة 1870 دراسة عن ابن رشد ، اعقبتها دراسة علمية للفيلسوف المغربي محمد يونس من « الفيرانجي ماهال » وظهرت كذلك أول ترجمة اردية لفصوص الحكم لابن العربي

المعركة التي خاضها المسلمون فى الهند لاثبات الذات ، صرفوا عناية بالغة للتأكيد على النزعة الانسانية التي كانت السمة الغالبة على الثقافة الاسبانية العربية مشيرين الى الاشواط التي قطعتها الاندلس فى التقدم الاجتماعي حتى انها اشركت النساء العربيات في المهن الجليلة كالطب مثلا .

هناك ايضا اتجاه سياسي نفسي آخر دفع بالمسلمين فى الهند الى اعتماد المثل الذي خلفته بالاندلس ، ومرد ذلك يعزى الى ان المسلمين فى الهند قد انتابهم ، وهم على ابواب تأسيس نظام ديمقراطي فى البلاد ، شعور عارم بالخوف على مستقبلهم الاقتصادي والسياسي لانهم يشكلون أقلية ضئيلة وسط الاغلبية الساحقة من الهنود الذين لا يدينون بدينهم . واذا كانوا قد حكموا شبه الجزيرة الهندية مدة سبعة قرون أو يزيد ، كما فعل الاندلسيون من قبل ، فهل ينتظرهم نفس المصير ؟ بيد انهم لم يفطنوا لاوجه الشبه القائمة بينهم وبين المسلمين فى اسبانيا الا بعد ذلك بكثير ... ونما هذا الشعور لدى المسلمين بطيئا ولكنه مد جذوره الى الاعماق . والواقع ان الخوف الذي كانوا يستشعرونه من الانصهار فى بوتقة الاغلبية الهندية مع ما يستتبعه من انسحاب من المسرح الثقافي قد هيمن على الفكر السياسي والديني فى الهند الاسلامية منذ ارساء قواعد الحكم الاسلامي بدهلي فى بداية القرن الثاني عشر . بيد أن استيلاء الهنود ، وعددهم كثير ، على دواليب الحكم فى القرن العشرين قد عمق وعي المسلمين بالشبه الموجود بينهم وبين اخوانهم الاندلسيين واسهم فى تعزيز حركة الانفصال الاسلامية فى الهند الحديثة لتأسيس دولة باكستانية مستقلة .

عزيز احمد : لندن

تعريب : عبد الرحمن بنعبد الله : الرباط



منها وفرة جيوش العدو ، وعبد الرحمن الداخل ، حين يغرس اول شجرة من اشجار النخيل في ارض الاندلس ، يمثل حياة العرب الفاتحين وهي تمد جذورها فى تراب الاسبان . ولعل أبرز هذه الرموز واجملها مسجد قرطبة الذي زاره اقبال مستلهما في سنة 1932 ، فألهمه قصيدة جياشة من احسن ما خطته يده . واذا كان « حالي » اول من ابتدع عبادة الاندلس قبل اقبال بنصف قرن ، فلقد بلغت الذروة فى قصيدة هذا الاخير التي عنونها بمسجد قرطبة . ويستهل اقبال قصيدته بسلسلة من الصور المجردة حيث يمنح الزمان صفات الخلق والاختبار والاقصاء والتحطيم . وفى رايه أن حظوظ البقاء من نصيب النشاط الخلاق الذي يمارسه « رجل الايمان » لان هذا الاخير يستلهم نشاطه من الحب الخلاق ، والحب الخلاق يتجلى فى ابداع الفن كما نرى ذلك جليا فى مسجد قرطبة . لقد أشار اقبال الى الخصائص الفنية التي تطبع بناء المسجد واكد على عروبتها الاصيلة وانتمائها الى الاسلام . وهو ينحني فى اجلال وخشوع امام الآثار الباقية مما ابدعته العبقرية الخلاقة بالاندلس فى ميادين الثقافة ، ويحيي مظاهر الحياة وطريقتها عند الاسبان فى العصر الحديث . وقد تم نقل هذه القصيدة وكثير غيرها مؤخرا الى اللغة الاسبانية .

كل القصائد الاردية التي تناولت الاندلس تفيض بهذه الانفعالات الجياشة حتى ليصح القول بأن زيارة الاندلس بالنسبة للمسلم الهندي أو الباكستاني تعتبر حجا ثقافيا . واذا كانت القصيدة الاردية قد اضحت تخدم اغراضا اخرى ، تحت تأثير التيارات الاوربية الحديثة ، فان القصة الاردية التاريخية لم تحد قط عن المناخ المغربي الاندلسي . ومن الامثلة على ذلك قصة « يوسف بن تاشفين » التي كتبها نسيم حجازي سنة 1952 بالباكستان .

— 5 —

وراء الاعجاب الذي يكنه المسلمون فى الهند لعظمة المسلمين الاندلسيين فى ميدان الثقافة والتاريخ تكمن مجموعة من الاتجاهات السياسية والنفسية . وهذه الاتجاهات فى الواقع ليست الا رد فعل المسلمين يوم انحسر نفوذ الاسلام بسرعة فى القرن التاسع عشر تجاه التقدم الموصول الذي أبانت عنه الامبراطوريات الغربية وحضارتها . لقد استجابت النخبة المسلمة المثقفة فى الهند بالتعبير عن كبريائها ممثلا فى نقطتين اساسيتين ، حيث تمخضت الصلات بين الاسلام والغرب عن تفوق عسكري وتأثير ثقافي : اسبانيا فى العصر الوسيط والامبراطورية العثمانية .

هذا الفخر بالميراث المشترك الذي يتقاسمه المسلمون الذين يدينون بالولاء للسدة العثمانية كان يحفزهم لاعتماد الاتجاه التركي ، خاصة حين بلغ الذروة مع ظهور حركة الخلافة حوالي سنة 1920 بيد أن الحضارة الغربية كانت تتحداهم بما تبنته من نزعات تحريرية متسامحة . فاصبح من العسير على المثال الذي كانت تضربه تركيا فى القرن التاسع عشر أن يكون جوابا نفسيا شافيا . وبديهي أن النزعة الانسانية التي تتسم بها الحضارة الاندلسية والتي اقر النزهاء من المستشرقين الغربيين بسموها وتفوقها على المجتمعات الغربية آنذاك بما لها من ايادي بيضاء فى خلق القيم الفكرية والانسانية كانت تخفف بلا مراء من وطأة الحرمان الذي يستشعره المسلمون الهنود فى القرن التاسع عشر . والمسلمون فى هذه البقاع يذكرون بمزيد الفخر الصلات التي كانت تشد بين الاندلس وأوربا المسيحية ، على خلاف المعاملات التي كانت قائمة بين اوربا والعالم الاسلامي فى القرن التاسع عشر . لقد حمل المجتمع الاسلامي مشعل المعرفة وقدمه للمجتمع المسيحي الذي كان يتخبط فى دياجير الجهالة والامية . والمسلمون فى الهند لا يفوتهم، وهم يكتبون عن الفردوس المفقود ، أن يبرزوا هذا هذا الوضع المثالي وان يشيروا الى ما عهد فى العرب من نبل وتسامح وما امكنهم أن يحققوه بفضل ذلك من منجزات فنية فى غاية الابداع وما لعبوه من دور طلائعي فى صيانة الفكر الاغريقي وتنميته وتقديمه الى الغرب سائغا مكينا ، وما تركوه من منشآت بلغت قمة الاتقان والجمال ، كما يعقدون مقارنات بين الاخلاق والمكاسب العربية وما دونه التاريخ عن حركة الاسترجاع التي حشد لها المسيحيون كل امكانياتهم من تعصب وتزمت ومغالاة فى العنف مما أدى الى الاجهاز على مظاهر الحضارة الاسلامية فى اسبانيا . ولم تسلم النخبة المسلمة فى الهند وهي تتلقى على يد الانجليز قيم الحضارة الغربية ، من انتقادات المستشرقين ومجادلات المبشرين . هذا الى وقوف الغربيين موقف المتفوق على صعيد الجنس والثقافة . فكانوا يتعزون بالذكريات الجميلة التي يحتفظون بها عن دولة الاسلام بالاندلس فلقد كانت مركز اشعاع فى أوربا طوال القرون الحالكة التي مرت بها .. وفى

ومبراته فروض مودات ، وحقوقه مقدمة حبرات ، وسيوفه هندية وعطاياه هنديات ، ولا زال تفخر منه فى النصر على اعداء الله عدات ، وتصرخ دينه منه جنود منجدات . معظم قدره ، وملتزم بره ، المطنب فى حمده وشكره ، فلان (السلطان يوسف الاول ابن الاحمر) .

سلام كريم ، بر عميم ، (45 : 1) يخص مقامكم الاعلى ، ومثابكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

اما بعد حمد الله مطرز صحائف الاعمال بالوسائل البرة ، ومروض رياض الامال بسحائب النعم الثرة ، الذي وضع عدله فى الدنيا والاخرة قسطاس الجزاء فلا يضيق مثقال الذرة ، معود هذه الجزيرة ، من اوليائه الكرام السيرة، لمن يتعاهدها بالامداد والارفاد، فى القديم والحديث من الامال المرة بعد المرة ، ويعامله فيها برعى المصلحة ودرء المضرة ، فثغورها تبتسم عن الثغور المفترة ، وتجيل عليها راح الانباء السارة راح المسرة . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله مؤمل الانفس العائذة وملجأ الاكف المضطرة ، الذي بالتواصل فى ذاته نستجلى سعادة الحال والمآل رائقة الغرة ، ونتقبل وجوه العناية الالهية متالقة الاسرة . والرضا عن آله واصحابه واولي السجايا الكريمة والفضائل العميمة والنفوس الحرة . والدعاء لمقامكم الاسمى بالسعادة الدائمة المستمرة ، والنصر الذي تمضي نصله فى عدو الله ايدي القدرة ، ولا زال عز ملككم يمهد سبل الجهاد والرباط والحج والعمرة ، ويوضح خطبه فى خط الدفاع عن الدين اشكال النصرة، ويقتضي لغريم الاسلام دين ما وعد الله من الكرة — فانا كتبناه اليكم — كتب الله لكم من حظوظ السعد اوفرها ، واقطعكم من جوانب الصنع اينعها وانضرها ، وتولى (45 : ب) صنائعكم الجميلة فشكرها — من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، والثناء عليكم يستغرق اوقات الزمان آصالها وبكرها ، وفضائلكم هي الشمس ضل من انكرها .

والى هذا — وصل الله علاكم ، ونشر بالنصر على اعداء الله لواءكم — فاننا نعرف جناب اخوتكم السلطانية — بعد تقرير الشكر وتمهيد البر — بورود الهدية الغريبة السافرة عن يمين النقيبة ، وفضل الضريبة ، هدية الجمال — اللابسة اثواب الجمال والقلاص ، التي اصبحت — بحمل ازواد اهل الجهاد — ذات اختصاص ؛ فلقد طلع منها على هذه البلاد المباركة ركب ، له فى العتاقة والاصالة مجال رحب ، من كل نجيب نجيب ، ماثل فى المراى العجيب . وكوما — الى الانساب العربية — ذات انتماء ، كانها اهلة حلك ، او قسى من دائرة فلك. سفائن بر ، وخزائن قانع ومعتر. وكيف لا يسنح لها باليمن طير ، ويكون لها فى مجال السعادة سير ، والله عز وجل يقول : « لكم فيها خير » (1) .

اذكرت اهل هذه البلاد ايام العج والثج (2) وصيرت طريق الجهاد كطريق الحج . ترغو فتجيبها الصواهل (3) وتعرض عن الماء فتشتاق اليها المناهل. ووصل مؤديها فلان ، وهو الخبير بجزئياتها ، والحافظ لمعاني آياتها ، ومن انس بجوارها ، وطرب بجراتها سمعه ، واتسع لمعرفة احوالها ذرعه ، وكان امله ان يقدم بها على حضرتنا ابلاغا فى المبر (... (4)) . (46 : 1) الا اننا راينا ان نعفيها من السفر ترفيها ، ونرفع عنها من توعر الطريق ما نتوقع ان يؤثر فيها ، ونتركها بفحص ملقا — حرسها الله — فى مسرح بخصبها عشبه ، ويرويها شربه ، الى ان نشاهدها بالعيان ، ونعطي حروفها من الخطابة عليها ما يقتضيه علم البيان .

ونحن نقابل مقاصدكم الفاضلة بالثناء والاستحسان ، ونشكر ما لاخوتكم الفاضلة من المزايا البرة والسجايا الحسان . والله تعالى يصل لكم سعدا وثيق البنيان ، ويعلي بمظاهرتكم ايانا شعار الايمان . وهو سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم والسلام.

---

1) اقتباسا من قوله تعالى : « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ، لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر ، كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون» سورة الحج ، آية 157 .

2) العج والعجيج ، وكلاهما بمعنى ، وهو رفع الصوت بالصياح ، والثج : القطع . ويقصد : ايام الفتح الاول وما كان فيه من شق الطرق بمثل هذه الابل ، وربما اراد اي غزو سبق للمسلمين فى هذه البقعة ضد جيرانهم النصارى .

3) الخيل .

4) محو .

وثائق اندلسية حول :

العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)

للوزير لسان الدين ابن الخطيب
تحقيق د. محمد كمال شبانة

(3)

تقديم

في هذا العدد نقدم الى الباحثين والمهتمين بتاريخ المغرب والاندلس مجموعة من الوثائق الاندلسية التي توالي نشرها على صفحات « دعو الحق » الغراء، من كتاب « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » لمؤلفه المؤرخ الوزير لسان الدين ابن الخطيب ، مخطوط الاسكوريال (الغزيري 1672) .

وهذه الوثائق الاربع تشكل في مجموعها كنه العلاقات التي كانت تربط يومئذ بين مملكتي بني الاحمر وبني مرين في هذه الفترة ، والتي تميزت بالمودة والصفاء ، ولا ادل على ذلك من ان الشأن بينهما لم يكن قاصرا على المعونات العسكرية والمادية ، وخاصة تلك التي كانت تتوالى من بني مرين على مسلمي الاندلس ، وانما كانت هناك سفارات بين المملكتين تبودلت فيها الهدايا ، فتوثقت العلاقات ، وزادت الاواصر ارتباطا ، وهذا ما يلمسه الباحث من خلال هذه الرسائل التي نقدمها اليوم ، والتي اشتملت في نفس الوقت — عموما — على الالمام بأخبار الاندلسيين، ومدى موقف نصارى الشمال منهم في كافة الشؤون .

هذا وقد اجتهدنا — جهد الطاقة — في تاريخ ما لم يرد من هذه الرسائل غير مؤرخ ، استنادا الى بعض المواقف التي تشير الى حادث معين او واقعة خاصة ، غير ان بعضها تعذر تاريخه لكون الرسالة قد استغرقت التنويه بالعلاقات بين الدولتين والاشارة بالهدية التي صحبها السفراء ، وعلى اي حال فالمقطوع به ان المكاتبات هذه كانت بين السلطان يوسف الاول ابن اسماعيل بن نصر ابن الاحمر ، وبين معاصره بالمغرب السلطان ابي فارس بن ابي الحسن المريني .

وفيما يلي نقدم هذه الوثائق ، التي هي ختام ما ورد منها في كتاب ابن الخطيب « كناسة الدكان » وبهذا ينتهي تحقيقه ، ويسدي — بهذه المناسبة عميق الشكر والتقدير الى مجلتنا (دعوة الحق) التي افسحت صدرها لهذا التراث العزيز من تاريخ امجادنا العرب ، خدمة للثقافة ، وتشجيعا للباحثين . وفق الله القائمين بالامر في المجلة الى السداد ، وجزاهم خيرا .

الوثيقة الاولى

وكتب اليه جوابا (1) عن جمال مختارة كثيرة العدد ، بعث بها اليه هدية ، رحمهما الله :

« المقام من مواهبه الابل الهادرة ، والبدن المسارعة الى داعى الله المبادرة . فمناقبه المناقب الفاخرة ، ومكارمه في ضمنها الدنيا والاخرة . مقام محل اخينا الذي ان وهب احتفل ، وان اعتمد في الله كفي وكفل ، فجلاله في حلل المكارم قد رفل ، وشهاب سعده من بعد الشروق ما افل ، السلطان الكذ (ابى عنان فارس) ، ابن السلطان الكذ (ابى الحسن علي)، ابن السلطان الكذ (ابى سعيد المريني) . ابقاه الله

(1) ذكرت بالريحانة في 1 . ولم ترد مؤرخة ، ويحتمل تاريخها خلال عام 1352 م

«المقام الذي يهب الجياد عرابا ، ويرسلها اسرابا، ويصل للامداد اسبابا ، ويكدح للعزم شهابا . مقــام محل اخينا الذي نؤمل منه ظهيرا مدافعا ، ونصيـرا لاعلام الملة رافعا ، ونستوكف من غمام عزماته السامية القتام ريا نافعا ، السلطان الكذا (ابي عنان) (40 : ب) ابن السلطان الكذا (ابي الحسن) ، بن السلطان الكذا (ابي سعيد) ، بن السلطان الكذا (ابي يوسف) ، بن عبد الحق . ابقاه الله وهباته جزيلة ، ومقاصده في الاسلام جميلة ، ومظاهرته لا تخيل فيه للدين مخيلة. معظم مقداره الكبيـر ، المثنـى على فضله الشهيـر ومجده الاثير ، الاميـر عبد الله يوســف ، بن اميـر المسلمين ابي الوليد اسماعيل ، بن فرج ، بن نصـر . سلام كريم ، طيب برعميم ، يجعله البدر تاجـا فوق جبينه ، ويحمل منه الفجر الصادق لـواء بيمينـه ، يخص المقام الاعلى ، ورحمة الله وبركاته .

اما بعد حمد الله فاتح ابواب السعـادة لمـن تمسك بطاعته ، وموضح اسباب نجـح الارادة لمـن افرده بمقام رغبته وضراعته ، جاعل التواصل فى ذاته علاجا يتكفل بصلاح الاحـوال فى حينـه وساعتـه . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ضامن حسن المآل ، وعقبى الظفر بالآمال لمن تعلق بسنته وجماعته، وعقد بجاهه المكين اكف طاعته . صاحـب الحـوض المورود ، واللـواء المعقـود . المجير بوسيلته المنقـذ بشفاعته . والرضا عن آله واصحابه وأحبابه واحزابه، الذين انفوا لدينه الحق من اهماله أو اضاعته ، وكلفوا باظهاره واعلانـه واشهاره واذاعته . والدعـاء لمقـام اخوتكم السلطانية بالسعد الذي يخدمه خطى الكتائب بسنانه وخط الكتب ببراعته ، والصنع (41 : أ) الذي يقوم الوجود لابنائه المبشرة بحق اشاعته ، ويعمل فيه البيان جهد استطاعته . فانا كتبناه اليكم ــ كتب الله لكم سعدا تسطر فى نصر الاسلام جمله ، ونصرا يدنو به للدين الحنيف امله ، وعزا تبدو به سروره وجذلـه ــ من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وودكم ــ فى ذات الله ــ لاحبة سبله ، واخوتكم ــ لمحض هذا التشيع ــ ضافية حللـه .

والى هذا ــ وصل الله قبلـك سوابـغ الآلاء ، وحرس ما لاخوتكم الفارسية من العلاء ــ فمن المعلوم عادة وشرعا ، والذائع الذي ليس نكرا ولا بدعـا ، ان الهدية وان كانت سماؤها رذاذا ، وحسناتها افذاذا ، تستخلص ضمائر المـودات ، وتزكي نقـود الاذمـة المعتقدات . فكيف اذا كانت جيادها عتاقا ، وجـردا تستبق الصريخ استباقا ، ومذاكي ملأ الشموس منها احداقا ، واتلع (1) العجب لها اعناقا . واننـا وردت علينا هديتكم التي عنيت بدالـة الحسن عن خطـاب يلتمس لها اذنا ، وكتاب يزيدها حسنـا . من كل جواد يرد ماء الشبيبة رى جواد ، ويقضم حب كل فؤاد . تود الاهلة ان تكون لها سروجا ، وخضـراء السماء ان تصير لمرحها مروجا . وترتاح الى الجهاد فى سبيل الله اعطافها ، وتكلف بسورة الانفعال اعرافها . فيالها من كتيبة اغنت عن الكتاب ، وطليعة انس من الاعتاب بعد العتاب ، (41 : ب) كأن خضرها غمس فى ماء الشباب، وحمرها استرفد صبغ الانامل المطرفة بالعناب . فبرز الى مشاهدتها النظار ، وسارت بوفادتهـا الاخبـار ، وسر المسلمون له وسيء به الكفار . وكيف لا تنتظـم بها للبشرى عقود ، وتحسب اكف الامل بيسر منقود، وقد اخبر الصادق ــ عليه السـلام ــ ان الخيـر في نواصيها معقود (2) . ولما مثلت لدينا تلك الجيـاد ، والروض الذي صدق فيه الارتياد ، وآن ان يهتز فوق ادواحه الاسل المياد ، وعينا لها فى الحين المواقع التي رجحتها الاجتهاد ، واقتضاها الارتباط فى سبيل الله والاستعداد . قابلنا الهدية بالثنـاء والاستحسـان ، وقلنا لا ينكر الوابل على الغمام الهتان ، والفضل على مثابة من مثابات العدل والاحسان . الذي تروق فوق اعطاف الاسلام منه الخبر ، بما صرف الله اليه عزمكم من تحديد ما درس ، واحيا ما انفح سلفـا واغترس ، من الاساطيل السابحة ، والتجارة الرابحة ، والاعمال الباقية الصالحة . وان الانشاء قـد استدعى اليـه الخلق ، والعزم تبلج منه إلصباح الطلق ، وشيم منـه البرق وذهب الفرق . فلا تسألوا عن موقع هذه الانباء من صديق بعدها فضلا من الله ومنا ، وعدو يسيء بها ظنا . فلكل منها شرب معلوم (3) ، وحظ مقسـوم ، جعله الله قصدا نجحه محتوم ، وعوضـه (42 : أ) بمناصحة الله والمسلمين مختوم . وحضر بين يدينا مؤدي الهدية السنية خديمكم فلان ، والقى ــ من مقاصدكم

1) اتلع : مد عنقه تيها وفخرا وتطاولا ، واسم الفاعل منه بوزن محسن ، وهو الرافع راسـه للنهوض . كـذا في اللســـان .

2) الحديث : « الخيل معقود فى نواصيها الخير ».

3) اقتباسا من قوله تعالى : « قال هذه ناقة لها شرب، ولكم شرب يوم معلوم»، سورة الشعراء، آية 154.

الوثيقة الثانية

ومما كتب به عن المذكور (اي الحجاج) الى المذكور (ابي عنان) — قدس الله ارواحهما — صحبة بزاة على سبيل المهاداة ، ما نصه (1) :

المقام الذي لا يغفل عن بره واجب مفترض ، ولا يقدم على الشيع فيه غرض ، مقام محل اخينا الذي له القدر السامي والرفد الهامي ، والعزم السعيد المرام البعيد المرامي ، السلطان الكذا (ابى عنان فارس) ، ابن السلطان الكذا (ابى الحسن علي المريني) . ابقاه الله كريم الخلال رفيع الجلال ، مبلغا من فضله اقصى الامال . معظم قدره ، وملتزم بره ، القائم بواجب حمده وشكره ، العارف بأصالة حسبه وكريم نجده ، فلان (السلطان يوسف الاول ابن الاحمر) .

اما بعد حمد الله على آلائه الوافية ومننه الكافية، والطافه الظاهرة والخافية . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ذى المعجزات البادية ، والايات الهادية. والرضا عن آله واصحابه اولى المكارم الباقية ، والاعمال الصاعدة الراقية . والدعاء لمقامكم الاسمى بالعناية الضافية ، واتصال النعم الصافية ، ودوام اليسر والعافية ، فانا كسبناه (39 : ب) اليكم — كتب الله لكم من الخيرات اوفرها نصيبا ، واثبت لكم (فى عزه) (2) السداد سهما مصيبا ، وخول ملككم الاسمى فى اعداء الله صنعا عجيبا ، وهيأ له من لدنه نصرا عزيزا وفتحا قريبا — من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وعندنا من التعظيم لجلالكم ما لا يزال متصل الدوام على توالي الايام ، ومن التشيع لمقامكم آيات ثابتات الاحكام ، والامال واضحات الاعلام .

والى هذا — ايد الله امركم واعز بتأييده نصركم — فاننا بمقتضى الود الذي رسخت قواعده ، ووضحت شواهده ، وتساوى غائبه وشاهده — لا نزال نسأل عن احوال مقامكم الرفيعة مصاعده ، ونلتمس ما نستفتح به ودكم الذي اتضحت فى الفضل مقاصده ، وكنا تعرفنا فيما سلف من الايام ان لملككم اهتماما بجوارح الصيد من الطير ، عملا على شاكلة الملوك الكبار ، في تنويه الملك الرفيع المقدار ، والاستزادة من آلائه والاستكثار ، وجعل المباح موضوعا للاذه حسبما يحققه الاعتبار ، فصرفنا وجه النظر الى ما يوفد من ذلك على بابكم ، ويتحف به على جنابكم ، ووجهنا الى ما نأى من البلاد الرومية فى هذا الفرض المروم ، وكلفنا ذلك من يقوم من خدمتنا فيه بالمحدود المرسوم، واختيرت لنا منها جملة كافية ، وعدة بهذا القصد وافية ، من الجرافين (40 : أ) والبزاة وغير ذلك . ولما اقتحمه جالبها من هول البحار ، وما عارضها من اختلاف الطعام — وغوائل الاسعار ، هلك معظمها قبل وصوله وبعده ، ولم يخلص منها ، الا من استشعر منها قوة زائدة وشدة ، وتأخرت منه لكي يخطو بخدمتكم المدة ، وهي ما يصلكم على يدي بازيارنا (3) الخديم فلان . ومجدكم يلقى ذلك بالقبول الذي يليق بفضله ، والاعضاء الذي لا ينكر على محله . فيعلم الله ما عندنا من البر الموصول لذلك الجلال ، والثناء على ما له من كريم الخلال ، والعمل على ما يوافق اغراضه فى كل الاحوال . ولنا تشوف الى احوال مقامكم الذي فى تسني عافيته منتهى الامال ، فان بفضل اطلاعنا على ما يسر من ذلك بمقتضى الافضال ، فذلك مما نعده من غرر الاعمال ، ونحسبه من عيون ما له من الاجمال. والله تعالى يصل له اسباب السعادة الضافية الاذيال، والعافية الكفيلة بتمهيد الحال (4) . والسلام .

الوثيقة الثالثة

رسالة صادرة من ابي الحجاج يوسف الاول ، الى ابي عنان فارس المريني . جوابا على رسالة من هذا الاخير ، كان قد بعث بها الى بلاط غرناطة صحبة خيول عديدة مجهزة ، على سبيل الهدية ، وينتهز ابو الحجاج هذه الفرصة فيطلع صديقه ابا عنان على الشؤون والعلاقات السياسية مع قشتالة . وقد وردت الرسالة غير مؤرخة ، بيد ان تاريخها يحتمل ان يكون عام 1352 م .

ومن ذلك مراجعة عن هدية جليلة ، تشتمل على خيل عديدة مجهزة ، ولم يوصل من اداها مخاطبة بما نصه (5) :

---

1) هذه الرسالة ذكرت فى الريحانة . ويحتمل تاريخها خلال عام 1352 م .
2) في الاصل « في نقرة » فلعلها كما اثبتناها .
3) البازيار : مربي البزاة .
4) فى نسخ الريحانة الثلاث « المال » بدل « الحال» وكلاهما مناسب .
5) ثبتت الرسالة ايضا فى نسخ الريحانة الثلاث ، كما وردت — فى كل ذلك — غير مؤرخة .

والعز الذي يغض من الشرك ناظرا ويرغم منه أنفا ، والمجد الذي لا يغادر كتابه من المفاخر التي ترد الاول للاخر حرفا ، والعزم الذي يفيد جوارح الاسلام قوة لا تعرف بعضها ضعفا — فانا كتبناه اليكم — كتب الله لكم نصرا خافقا علمه ، وسعدا يتبارى فى ميدان الاستقلال — بحسب وظائف الاعمال — سيفه وقلمه ، وصنعا تجلى به عن أفق الدين الحنيف ظلمة ، ويشفي بعلاجه الناجع المه ، وشكر — عن هذه البلاد — جودكم الذي وكفت ديمه ، وابقى عليها وجودكم الذي زلفت شيمه — من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، والتشيع فيكم لا يعرف النسخ محكمه ، ولا يقبل الالتباس معلمه .

والى هذا — شكر الله عن الاسلام صنائع مقامكم، وعرفه عوارف العز فى غرر أيامكم — فاننا وصلنا كتابكم الكريم الوفادة ، العظيم الافادة ، مصحبا بالهدية التي صحبها الكمال ، وصدقت فى احتفائها واحتفالها الآمال ، واشتملت على نكايتي العدو وهما الخيل والمال . فكأنه كان لواء نصر خفق أمام كتيبة ، ونسيم زهر عبق (59 : أ) عن روضة عجيبة . ويا لها من هدية اتخذ الناس يومها عيدا ، وموسما سعيدا ، وعزم رآه العدو قريبا وكان يحسبه بعيدا (1) . نتيجة الهمة التي تقف الهمم دون مداها ، وتستقري الفيوث مساقط نداها ، والشيم التي ترى العواذل فى الجود من عداها ، فلو خير المجد لما تعداها . وقفنا من مضمنه على لجة جود للسان فيها سبح طويل ، ومحجة فضل للاقلام فيها نص وذميل ، من كل طرف وسم بالصباح منه جبين ، ناش فى الحلية وهو في خصام الحرب مبين (2) ، من اشب للشهب فارع ، ولا حراز الغايات مسارع ، حاسر فى شكل دارع ، كانما خلعت عليه البزاة البيض صدورها ، وقلدته الكواكب شذورها . واشقر عسجدي اللباس شعلة من شعلة الباس ، كأن اذنه ورد فى الآس ، وغرته الجباية الطافية فى الكأس ، واحمر وردى لأديم حائز فى حلبة الحسن مزية التقديم ، كأنما صيغ من العندم (3) ، او صيغ بالرحيق المقدم . يحسده الاسد الورد فى لونه ، وتدعى الريح انها مادة كونه ، وكمت(4) ما فى خلفه من امت ، كأنه قطعة من الفسق ، خالطت دهمتها حمرة الشفق ، وقرطاس كانه درة ، سمح استحسان الغرر فجاء وكله غرة ، افق الفجر وسرجة هلاله ، وخالص الدر وسدفة جلاله (59: ب) وادهم زنجي البزة ، مرتد الباس والعزة . كأن العيون النجل نفضت عليه سوادها ، والفصون الملد علمته انشاءها وانقيادها . وكل صامت ناطق متصف بزينة معشوق، ولون غاسق مريني المنتمى والضرب ، عدة فى السلم والحرب، قامت قيامة العدو لطلوع شمسه من الغرب. اشبه شمس العالم فى استدارة قرصه وانتقال شخصه، واعتدال طبعه وعموم نفعه . تعشو عيون الاماني الى ضوء ناره ، وتدور فراش المطامع حول انواره ، وتحوم محل الآمال على نواره . وكمل صقيل الفرند، منسوب الى الهند ، يخطب من الكلام بمقتضى به ، ويضحك فى الروع عند غضبه . ومن الآلات كل مائلة فى المراى الجميل ، مفض همزها للتسهيل . فمن للسان الشكر ان يوفي حقا ، او يهتدي فى هذه البيداء طرقا . انما نكل الشكر لمن سمحتم بذلك المدد في سبيله ، واملتم فيه موهبة قبوله . فما هي — فى — التحقيق — الا كتائب للعدو جهزتموها ، ومواعيد نصر انجزتموها ، ومناقب اسلاف جددتموها واحرزتموها .

وحضر لدينا رسولكم فلان ، فالقى من القول الذي صدقه ، واللفظ الذي شرحه المجد والفضل ، ما أوثق اسباب الآمال ووصلها ، واحرزها وحصلها ، وقرر قواعد الاعتقاد واصلها . (60 : أ) وقد رايتم بالاستقرار الصريح والنظر الصحيح ، ما أثمر اعتناؤكم بهذا القطر المتمسك بأسبابكم ، المعتمد على جنابكم ، من صلة نصركم ، واعزاز امركم ، واتساق سعدكم ، واسعاف مقصودكم . فاشكروا الله الذي اجرى الخير على يديكم ، والهمكم لما يحفظ نعمه الجزيلة لديكم ، ويضفي ستر عصمته عليكم . وكتبنا اليكم هذا الكتاب ، فلولا ان حمرة مثله معتادة — حسبما اقتضاه

---

1) اقتباسا من قوله تعالى : « انهم يرونه بعيدا ، ونراه قريبا » ، سورة المعارج ، آية 6 ، 7 .

2) اقتباسا من قوله تعالى : « او من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين » . سورة الزخرف آية18

3) العندم : دم الاخوين ، كذا فى اللسان .

4) ج الكميت وهو الخيل بين الاسود والاحمر ، قال ابو عبيد : ويفرق بين الكميت والاشقر بالعرف والذنب ، فان كانا أحمرين فهو اشقر ، وان كانا اسودين فهو الكميت ، وهو تصغير اكمت على غير قيس ، والاسم : الكمتة .

الجميلة ، واغراضكم الاصيلة ، ومواعيدكم الكفيلة ــ ما اغرينا لسان الشكر باقسامه ، واقبلنا مرآة البر مشرق قسامه ، وحملناه من تبريز مثله ما يفي ــ ان شاء الله ــ باتمامه .

وان تشوقتم الى اخبار النصارى فلم يزد ــ بعد ما تقدم به اعلامكم ــ الا أن طاغيتهم راى أن يعاجل من اخوته من له ببلاد المسلمين اتصال ، وفى الاستبصار بهم مصال ، وليكون منه لما سوى ذلك ممن يستدرك امره بعد الوقت اغفال ، فطوى المراحل ونازل اخاه « المبشر » ، صاحب قنطرة السيف بمدينة شقورة(1)، واقام عليها ثمانية ايام ، بين قتال لم يجد مع منعة المدينة معنى ، ومرام صلح ابي الله ان يتسنى . واتصل به عياث من خلف وراء ظهره فى ارضه ، وهلاك بعضه ، والحمد لله ببعضه . فارتحل عن منزله الذي نزله ، وكر ادراجه ولم يبلغ امله .

هذا ما عندنا فى شأنه ، وما يتزيد نعرفكم بـــه لمكانه . ونحن على ما يجـب لاخوتكـم من التعظيـم والاجلال ، والثناء بما لكم من الشيم الكريمة والخلال، وهو سبحانه يبلغ الجميع من مرضاته غاية الآمــال ، فهو ولى الاجابة وملجأ السؤال ، والسلام الكريـــم يخصكم ورحمة الله .

الوثيقة الرابعة

رسالة من السلطان يوسف الاول ، الى ابي عنان فارس . يشكره فيها على هديته التي كان قد بعث بها من المغرب ، صحبة سفارة خاصة فى هــذا الشأن ، ذات رسالة حول هذا الموضوع . وقد وردت الرسالة غير مؤرخة ، ولكن يحتمل تاريخها فى اواخر عهد ابي الحجاج سلطان غرناطة .

وكتب فى مراجعة هدية حافلــة ، تشتمــل على خيل وعدة من مهندات ومهاميــز ومال عيــن ، بمــا نصــــــــه (2) .

« المقام الذي من سجاياه الشيم العلــى ، ومن عطاياه الجرد العتاق تختال فى الحلى ، وتحاسين عقبان الحق وغزلان الفلا ، والاموال التي جلى روض الجود من ازهار صفرائها للوجود ابهى مجتلى . مقام محـل اخينا الذي قسم زمانه بين رفد مقسوم، ووعد بالصدق موسوم ، وفضل فى صحف المجد مرسوم ، السلطـان الكذا (ابو عنان) ، بن السلطان الكذا (ابي الحسن) ، ابن السلطان الكذا (ابى سعيد)، بن السلطان الكـذا (ابي يوسف يعقوب) ، بن عبد الحق . ابقاه الله عالي الهمم ، متوالي الجود والكرم ، تجمع يمينها من سيفها المرهوب،وسيلها الموهوب بين الري والصرم، وتأمن النفوس ــ فى ظل عدله الممدود، وفضله المقصود ـ امن حمام الحرم. ولا زال ثناؤه فى الخافقين كنصرة خافق العلم ، واخبار (58 : 1) عزه المأثور ، ومجده المشهــور ، متجـرى اللسان والقلم ، وانوار سعده ماحية للظلم ، وعزمـا سيوفه ترتقب فى (... (3)) السلم . معظم اخوتــه الرفيعة ، المثنى على ماله من كرم الصنيعة ، المستند ــ من التشيع اليه والاعتداد به ــ الى المعاقل المنيعة ، فلان (السلطان ابو الحجاج يوسف الاول ابن الاحمر).

سلام كريم ، طيب بر عميم ، يخص مقامكـــم الاسمى ، ورحمة الله وبركاته . اما بعد حمد الله الذي جعل الشكر على المكارم وقفا ، ونهج منه بآرائها سبيلا لا تلتبس ولا تخفى ، وعقد بينه وبين المزيد سببـــا وحلفا ، وجعل المودة فى ذاته مما يقرب اليه زلفــى . مربح تجارة من قصد وجهه بعمله ، ومبلغه من القبول اقصى أمله ، حتى ترى الشيء ضعفا والواحد الفا ، وناصر هذه الجزيرة من اوليائه الكرام السيرة بمـن يوسعها فضلا (و ... (4)) ، ويدني ثمار الآمال تتمتع بها اجتناء وقطفا . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد النبي العربي الكريم ، الرؤوف الرحيم ، الذي مد من الرحمة على الامة سجفا ، وملأ قلوبها تعاطفا وتعارفـا ولطفا ، القائل : من ايقن بالخلف جاد بالعطية ، ووعد من عامل الله بربح المقاصد السنية ، وعدا لا يجد فيه خلفا . والرضا عن آله واصحابه الذين كانوا من بعده للاسلام كهفا ، وعلى اهلــه فى الهواجـر ظلا ملتفـا ، (58 : ب) غيوث الندى كلما شاموا سماحا ، وليوث العدا كلما شهدوا زحفا . والدعــاء لمقــام أخوتكـم الاسمى بالنصر الذي يكف من عدوان الكفـر كفـا ،

---

1) بلدة موقعها شمال شرق ابده ، وشمال غــرب جبال شقورة ، وقد كانت زمن العرب من أعمال ولاية جيان ، وتسمى اليوم بالاسبانية (Segura de Sierra) مراجع : الاحاطة ج 1 ص 179 « عنــان » .

2) ثبتت الرسالة فى نسختي الريحانة ا ، ج .

3) طمس فى الكناسة ، وفى الريحانتين « وعزما سيو فه ترتقب فى القضا اثر السلم » .

4) طمس ، وفى الريحانتين « وعطفا » .

أزمة المدفوعات

بين المغرب والبلدان الاسكندنافية

في القرن الثامن عشر

للأستاذ عبد المجيد حموشي

ترتبط هـذه الازمـة بالوضعيـة ، القانونيـة والسياسية ، التي كانت عليها البحار يومذاك . فالى زمن جد متأخر ، بقي التنظيم القانوني للبحار ضيقا ، محدود المدى بين البلدان المتجاورة . غير ان اتساع النشاط البحري ـ فى الحرب والتجارة ـ عمـل على ظهور فكرة قانون موحد يتعدى نطاق الاقاليم المتجاورة وذلك اما عن طريق اتفاقية دولية عامة ، أو بتعديـل الانظمة الاقليمية ، حتى تتسع لمصالح جميع الدول . لقد نشأ عن هذا التبدل أكثر من نزاع . وتدخل ازمة المدفوعات الاسكندنافية للمغرب فى هذا الاطار .

لم يكن بد من أن يتأثر المغرب بوضعيةالبحار دوليا، وذلك باعتباره بلدا يطل على المتوسط والاطلنطي . واذا كانت البحرية المغربية قد عرفت عصورا زاهرة خلال القرن الثاني والثالث عشر ، فان الفتور الذي اعتراها بعد لم يبلغ بها درجة الانقطاع . هكذا بقيـت تمارس نشاطا محدودا حسبما يتوفر لاهلهـا من نـزوع الى المغامرة ومحبة فى الكسب ، خصوصا بعد ما اتضح من اهمية مجالها فى ربط الاطلنطي بالبحر المتوسط .

انه ليبدو غريبا ـ والحالة كمـا وصفنـا ـ أن ينطبع المغرب فى اذهان الاوربيين بخطـورة بحريـة يضطرون معها الى اداء « اتاوة » ضمانا لسلامة مرور سفنهم . ولعل هذا الامر يتضح قليلا اذا لاحظنـا ان البحرية التركية ، فى باقي شواطيء الشمال الافريقي القت على البحرية المغربية كثيـرا من الظـلال . . . وجعلت الاوربيين ينظرون اليها بشيء من المبالغـة .

فى سنة 1763 م ، ابرم المغرب ـ باسم السلطان المولى محمد بن عبد الله ـ معاهدة سلم وصداقة مع مملكة السويد (ادولف فريديك) . وقد صيغت هذه المعاهدة فى ثلاثة وعشرين بندا تناول معظمها حريـة التجارة بين البلدين . ثم الحق بها اتفاق آخر التزمت السويد بموجبه أن تقدم للمغرب ، كل سنة ، مقادير معلومة من غيار السفن والذخيرة والسلاح . وهناك معاهدة اخرى أبرمت فى فاس عام 1803 م وقعها باسم البلدين : القائد الحاج عبد الرحمن العشاش . وقنصل السويد (ويجيك) . وقد عدلت فى أيام المولى سليمان بأن يؤدي السويد مقدار 20 000 بياستر كل سنـة عوضا عن المعدات التي اتفق عليها فى المعاهدة الاصلية.

وفى سنة 1767 م ؛ اقام السلطان المولـى محمد ابن عبد الله معاهدة سلم وتجارة مع ملـك الدانمارك (كريستيان السابع) . وقـد ورد فيهـا ان مملكـة الدانمارك تلتزم بأن تدفع الى السلطان كل سنة جملة من المدافع والذخائر الحربيـة وبعـض المواد الاوليـة لصناعة الذخيرة . . وغيار السفن . وقد جعل الخيار لحكومة الدانمارك بين ان يكون الدفع فى شكل سلـع ونقود ، أو فى شكل نقود فحسب ، وقدرها 25 000 بياستر . وتضمن الاتفاق انه فيما لو حدث ظروف طارئة حالت دون الاداء خلال سنة ما ، فان سلطـان المغرب يحتفظ بحقه فى اقتضاء تلك الواجبات خـلال السنة التالية ، كنوع من الاداء المؤجل . ولابد ان نشير الى ان السويد والدانمارك لم تكونا وحدهما ملتزمتين

عرف وعادة (1) ـ لقلنا خجل من تقصيره فعلته حمرة الخجل ، لما ضاق عن مراده ذرع المروى والمرتجل ، لكن على اغضاء ذلك المقام المعتمد ؛ فهو الذي بعد منهـ ـ فى الفضل ـ الامد . والله تعالى يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام » .

* * *

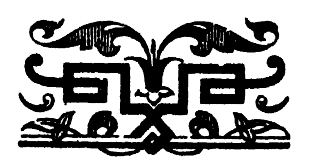
« الى هنا انتهى ما الفى من المبيضات التي كتب (ت) بها عن السلطان ابي الحجاج رحمه الله ، ما عدا الثابت فى السفر المسمى بالسلطانيات » (2) .

حققه : الدكتور محمد كمال شبانه

جامعة القاهرة فى 15 مايو 1968 م

1) يستفاد من هذه الاشارة ان الرسائل السلطانية كانت تكتب باللون الاحمر ، وغالبا ما كان المداد لذلك من الزعفران والورس .

2) يغلب على الظن أنها عبارة الناسخ .



الثامن يلتمس من عدالة السلطان وحكمته ان يستجيب الى هذه الرغبة . وانه اذ يفعل ذلك سيمكن شعب الدانمارك من الوقوف على قدم المساواة مع بقية الشعوب في هذه المسألة .

لم تصرح الرسالة بأن الامر يتعلق بظلم تحملته الدانمارك عند توقيع معاهدة 1767 ، انما ورد فيها ان المعاهدة كانت مفيدة فيما مضى . وذلك هو الواقع فان القرصنة كانت شيئا معمولا به يومذاك . وذات الوضعية التي كانت لها في المتوسط مثلا كانت لها في البحار الشمالية الاسكندنافية . وبالنظر الى منطق ما قبل تشبع البلدان بالاعراف البحرية يعتبر دفع الاموال الى سلطان المغرب — مقابل الحماية — حلا لا بأس به . كذلك يبدو ، من اعتذار القنصل بضعف الدانمارك اثر انفصال النرويج عنه ، انه لم يطلب رفع الاتاوة كحل وحيد .. وهو لذلك ترك الباب مفتوحا لما قد يظهر من حلول اخرى .

اما ملتمس القنصل الفرنسي (نيون) فكان أميل الى اللهجة الشديدة : « ان عصرنا مشرق بحكمة السلم . وجميع الدول تجاهد لتوطيد علاقاتها الودية على اساس القانون والعدالة الدوليين . وبالنظر الى هذه الروح يبدو من الصعب على الامة الدانماركية اداء النقود الى المغرب ... » وهي لهجة تفهم سرها على ضوء احتلال الفرنسيين للجزائر وما تلاه من حوادث على الحدود ... هذا مع العلم بأن الحكومة الفرنسية أوصت قنصلها « بألا يعمل على ان تكون فرنسا طرفا في النزاع » . اما ملتمس القنصل البريطاني فأكثر اعتدالا ..

في 21 ابريل تلقى كريستنسن — بواسطة محمد ابن ادريس — جواب المولى عبد الرحمن . وهو جواب سلبي كان مثار دهشة . وقد علق عليه محمد بن ادريس بأن السلطان ، اذا كان لا يريد الغاء اتفاقية 1767 ، فان السبب هو انها اساس العلاقة السلمية التقليدية بين البلدين : ان الغاء المدفوعات لا يعني سوى الغاء تلك العلاقة ... ! وليس من المعقول ان نلتمس علاقة اخرى غير الود .

اضحى جواب السلطان مثار نشاط المثلث الدبلوماسي . وكالعادة قال القنصل الفرنسي للسيد ابن ادريس ، ان بلاده « لن تتهاون في مبادىء العدالة وقواعد القانون الدولي . واسمحوا لي — يقول للوزير — أن آمل بأن يكون نفس الشيء بالنسبة الى المغرب » وعقب القنصل البريطاني بأنه تلقى تمنيات حكومته بقيام تفاهم بين الطرفين . أما الدانمارك فلم يؤسه جواب السلطان ،بل عاد يشرح القضية ويبرز مختلف جوانبها ذاكرا انه في الوقت الذي ابرمت فيه المعاهدة كان الاسطول الدانماركي يشمل 600 قطعة ، بينما الان لا يعدو الستين .

مهما كانت الديبلوماسية التي اختطها السلطان في هذه المسألة ، فلا شك انه لم يكن يرحب اطلاقا بوجود الفرنسيين ضمن القائمين بالمساعي . لهذا نجد السيد ابن ادريس يكتب الى القنصل الفرنسي بالا يعمل « على خرق معاهدة تهم طرفين .. وتؤسس العلاقة الموجودة بينهما » . والجدير بالذكر ان الدبلوماسية السويدية باسم الملك (اوسكار الاول) تأخرت عن تقديم طلبها المباشر طيلة اربعة اشهر . ولم يختلف جواب المغرب عن ذي قبل .

جبل طارق : اما بريطانيا التي قبلت مبدا رسو هذه السفينة في المنطقة ، فقد أوصت ، حاكم الجبل وقنصلها في طنجة بالتزام الحياد . وبعد ذلك بقليل جاءت ثلاث سفن حربية سويدية . وبدا ان القضية تاخذ اتجاها حرجا .

لم يلبث ممثلا البلدان الاسكندنافية ان ابلغا السيد ابن ادريس بأن حكومتيهما لم تعودا على استعداد لاداء المقادير المتفق عليها في المستقبل . ولكنهما تودان من جلالة السلطان ابرام اتفاق جديد او تجديد الاتفاق السابق (1767) مع الغاء ما تضمنه من اداءات مالية. وزاد أن الحكومتين غير مستعدتين لاداء ما بقي عليهما من السنوات الماضية . وعلى عكس ذلك هما على استعداد لاداء المقادير التي تؤديها الدول الاخرى ... التي لها مع المغرب اتفاقات في الموضوع (العبور البحري)

جانب التصلب في هذا الموقف هو ان القنصلين أثارا ، ولاول مرة ، مسألة الديون التي ترتبت في ذمة السويد والدانمارك عن ثلاث سنوات مضت . ويظهر ان المولى عبد الرحمن كان يتمسك بعدم التساهل في مضمون اتفاقية 1767 ضمانا لبقاء « بعض » فوائدها او على الاقل ضمانا للديون التي ترتبت عنها . خصوصا وهو يرى الموقف يتحرج من أكثر من جانب ، وخاصة من ناحية فرنسا . وقد عبر كريستنسن عن ذلك فيما كتبه الي ارنهوف من انه « اذا لم تنجح مساعينا واضطررنا الى الاختيار بين الاداء وبين الحرب فاننا سنجد في وضعية الحرب تجاه بعض الدول خير ما يساعدنا على النجاح ! » ، ان قنصل الدانمارك لا يشير بذلك الى فرنسا فحسب — وقد كانت بواخرها تقبل

باداء مقادير مالية او سلعيــة الى المغــرب ، ذلــك ان البندقية كانت بدورها تؤدي مقدار 800 1 بياستر ، وهامبورج 000 5 بياستر ، وبريم 000 2 بياستر .

لقد قيل ان هذه المقادير كانت تتوجب من غير مقابل . والحق ان هذا مجال نظر ، ذلك ان سبــب ادائها ــ وهو وضعية البحار ــ ظلت حتى ذلك الوقت مسألة سياسية اكثر منها قانونية . اجل ، ظلت مسألة ترتبط بالمصالح الخاصة لكل دولــة ، وتحــل على اساس المؤتمرات . وقد ظل المغرب في غيبة عنهــا لا بحكم التحرج الذي عرفته بعض ادواره الدبلوماسية فحسب ، بل ايضا لان الدبلوماسية الاوربية لم تكن قد تخلصت من طابعها المسيحي . فلا غرابة ان ياخذ سلاطين المغرب في معالجة هذه القضية بالطريقــة التقليدية وبالمتشبث بالاتفاقيات والاوضاع القديمة . مهما تعارضت مع النظريات التي استجدها اصحاب المصلحة فيها . ومن جهة اخرى فان هذا الواقــع كانت له مزاياه وفوائده بالنسبة الى من اتفقوا عليه مع سلاطين المغرب ، اذ عمل على تسهيل الملاحــة وتامينها ، لا في شواطيء المغرب فحسب ، بل كذلك عبر الشواطيء التي كان لاصحابها علاقة حسنــة بالمغرب ، ونعني الاتراك في باقي الشمال الافريقي .

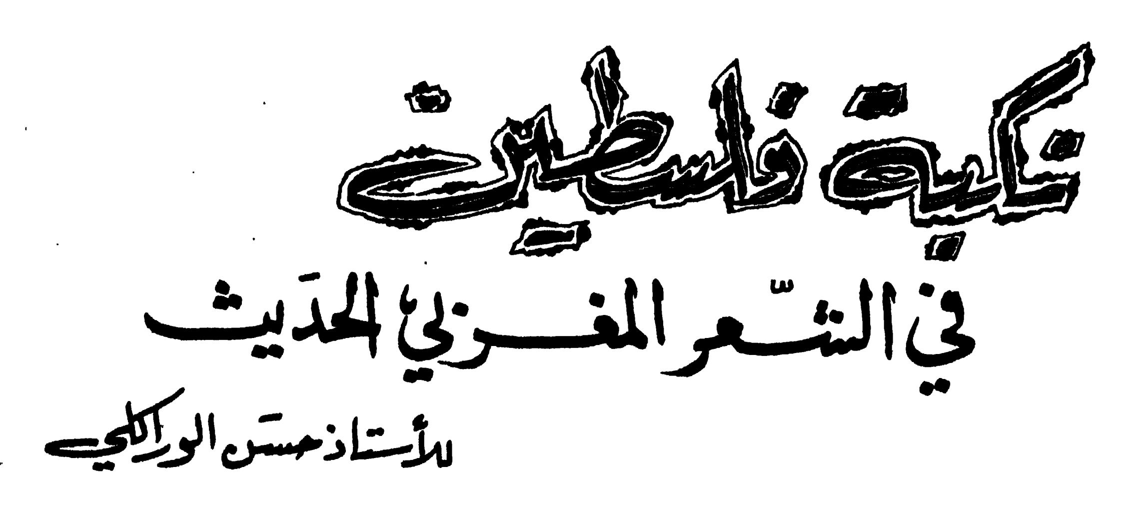
حوالي منتصف القرن التاسع عشر اخذ بعض هاتيك الــدول في الاعتراض ضــد اداء المدفوعــات المذكورة ، وذلك بتأثير النظريات القانونية في حرية البحار واحتجاج التجار وشركات الملاحة ؛ لقد قيل ان الامر يتعلق بتكليف لا مبرر له على التجارة . وقيل ان الامر يتعلق بخرق قواعد القانون الدولي ، كمــا تدرعت تلك الدول بمبدأ المساواة في وجوب معاملتها نفس معاملة الدول التي لا تدفع شيئا .

والواقع ان حلول فرنسا في الجزائر (1830 م) كان ذا اثر حاسم بالنسبة الى مسألة المدفوعات هذه. لقد بدل هذا الحدث من افكار الاوربيين عن احوال المغرب . ووجدوا انهم يبالغون في تقدير قوته . واذن فليصروا على انهم لن يدفعوا شيئا بعد اليوم !

خلال عام 1843 قرر ملك الدانمارك (كريستيان الثامن) دعوة المخــزن الى التفاوض حــول مسألــة المدفوعات الواردة في اتفاقية 1776 . وحتى يتســع نطاق هذا المشروع اوصاه مستشاروه ان ينجــز مساعيه باشتراك مع ملك السويد والنرويج . بــل ذهب كريستيان ابعد من ذلك حين اراد ان يستعين بالنفوذ الفرنسي والبريطاني باعتبار وجودهما في كل من الجزائر وجبل طارق .

اما شارل الرابع عشر ، ملك السويد والنرويج ، فراى ان المشروع يكون اكثر توفيقا اذا تبنته مجموع الدول الخمس الكبرى يومذاك (فرنسا ، انجلتــرا ، بروسيا ، النمسا ، روسيا) . وقد تبين من المساعي والاتصالات ان الدول الاخيــرة الثــلاث تعطــف على القضية ، غير انه يكون عمليا ان توضع القضيــة في طوق الفرنسيين والانجليز . وكان من راي (ميترنيخ) ان تتبنى انجلترا المسألة بنصيب أوفر ، نظرا للحالة التي توجد عليها العلاقات الفرنسية المغربية الناجمة عن احتلال الجزائر وما تلاه من حوادث في المنطقــة الشرقية ... هكذا قام قنصل الدانمارك في طنجــة (كارستنسن) وقنصل السويــد (ارنهوف) بالمبادرة الاولــى ، يعززهمــا تدخــل القنصــل الانجليــزي (درامونداي ــ وبعده ابنــه جون هــاي) وسفيــر بريطانيا في مدريد (بولوير) وحاكم جبــل طــارق . بينما كانــت مساعــي الفرنسييــن على يد القنصــل (فرنسوا دونيون) . وكان وسيط المخــزن في هــذا الحوار هو الباشا (بوسلهام بن علي) نائب السلطان في طنجة ، والسيد محمد بن ادريس الذي كان يقــوم بما يسمى اليــوم وزارة خارجيــة ، كمــا شــارك في المحادثات ، على نحو اقل اتساعا ، تاجر مغربــي هــو مصطفى الدكالي ، الذي كان ــ بحكم اسفاره ــ مطلعا على احوال فرنسا وبريطانيا .

غداة وصول كريستنسن الى طنجة ، التحــق بالسيد بوسلهام في العرائش . وقدم له ثلاث رسائل باسم البلدان الاسكندنافية وفرنسا وبريطانيا . وقد جاء في الرسالة الاولى : ان القنصل يلتمس ــ وقــد اعتمده ملك الدانمارك ــ من سلطان المغرب الغــاء المدفوعات التي تضمنتها معاهدة 1767 ، لان التعهد الذي وقع بشأنها لم يعد مطابقا لمنافع جميع الاطراف فاذا كان قد اتى وقت رضي فيه الدانمارك بالتحمل بتلك المدفوعات فان ظروفه آنذاك لم توجب تعارضا في المصالح او اضرارا بأحد الطرفين . اما الان (سنة 1844) فان الامور تغيرت ولم يعد يستفيد من تلك المعاهدة الا المغرب . ان ظروف الملاحة قد تغيرت . والفوائد التي كان ينتظر الدانمارك اجتناءها ــ سواء من حيث الابحار او التجارة ــ لم تعــد متوفــرة . وزادت الرسالة في تعليلاتها ان مملكة الدانمارك فقدت نصف اراضيها باستقلال النرويج ، وهذا مما يزيــد في عجزها عن اداء تلك المقاديــر . وان كريستيــان



(3)

لقد تمكنت الصهيونية الغاصبة ، الحاقدة من تحقيق حلمها ؛ غير أن اطماعها لم تقف عند حد ، فهي ما فتئت « تتغنى » بحلمها الكبير ولا « تذخر » من خستها ودناءتها ما يسهم فى تحقيقه ؛ وليس هذا الحلم الكبير للصهيونية غير اقامة وطن اليهود القومي على رقعة الارض التي تمتد من ضفاف النيل وتنتهي عند مياه الفرات ، ولا يستحيي متزعمو الصهيونية من التصريح بأن « حدود اسرائيل ليست طبيعية ويجب تعديلها (1) » . . .

انتهت مأساة فلسطين سنة 1948 بعقد هدنة بين حكومات البلاد العربية التي تجاور ارض الوطن السليب وبين اليهود فى غضون سنة 1949 .. ومع ذلك لم تنقطع على توالي السنوات اعمالهم الغادرة ، العدوانية ضد الاراضي والسكان العرب المجاورين.. وكان آخر اعمالها الاجرامية ، الهمجية ضد الوطن العربي من أجل توسيع حدود اسرائيل او استعادة ارض « اسرائيل التي يحتلها العرب » كما يزعمون ، ذلك العدوان الغادر الذي شنته عصابة الشر والاثم بالتعاون مع الامبريالية الغربية على الدول العربية صبيحة يوم 5 يونيه الماضي ،، ولست استهدف ، اللحظة ، الافاضة فى الحديث عن هذا العدوان وعما خلف من آثار ، فكلنا عشنا المأساة بكل دفقة من دمنا ، بكل رعشة من وجداننا ، بكل نبضة من وجيب قلوبنا ، وانما أريد أن أقول : أثارت هذه المأساة مشاعر شعرائنا وايقظت وجداناتهم ، فوقفوا يندبون ويبكون ، ويستنهضون النفوس والهمم ويدعون الى لم الشعث ، وجمع الكلمة للاجهاز على العدو المغتصب؛ وهكذا امتلأت صحفنا ومجلاتنا بزاد ضخم و « دسم » من الانتاج الشعري ، اذا لاحظ الناقد المتذوق على بعض عدم توفره على النضج الفني والوشاح الجذاب فانه لن يجد سبيلا الى أن ينفي عنه صدق العاطفة ونبل الشعور .

هذا شاعر الوطنية الرائد علال الفاسي يهتف بأن الهزيمة يجب الا تفت فى عضدنا طالما ان ايماننا بحقنا قوي ، وعميق :

لا النكبة العظمى ولا ماجرت
بمبيدة أمل الحياة الحرة

عهد علينا أن نصون كياننا
ونرد عنا عار تلك النكبة

ولئن بدا الغادون في حلفائهم
اقوى فاقوى من عراهم همتي

لا ضير ان سلبوا بلادي حقبة
ما دام ايماني بها وبأمتي

وهو فى بيت من قصيدته يعجب من وعد بلفور :

ما وعد بلفور بمعط عصبة
مجلوبة حقا لها لم يثبت

---

1) انظر ، محمد فيصل عبد المنعم « فلسطين قلب العروبة » سلسلة .. « اقرأ » رقم 295 ـ دار المعارف بمصر .

بعض شواطيء المغرب ـ بل كذلك الى توتر العلاقات مع اسبانيا اثر مقتل قنصلها فى الجزيرة .

ثم تحركت الدبلوماسية الانجليزية ، بأن تدخل (بولوير) سفير بريطانيا فى مدريد . فقد انتقل الى جبل طارق فطنجة حيث اقام اتصالا مباشرا مع السيد بوسلهام ومصطفى الدكالي ذاكرا ان الحل الذي عرضه القنصلان عملي .. ملوحا الى ان السويد والدانمارك صاحبا قوة بحرية لا يسهل الاحتكاك بها . ولا شك ان السيد بوسلهام قد ادرك ان الانجليز ليسوا اقل تورطا فى التلويح بالعنف ، خصوصا وانهم « استضافوا » البواخر الاسكندنافية فى قاعدتهم بجبل طارق. ثم ازداد نشاط الاسكندنافيين والانجليز عندما رأوا الازمة المغربية الفرنسية فى طريقها إلى الحل دون ان يستفيدوا منها شيئا ذا بال ، فاتصل القنصل الدانمركي والسويدي بقنصل فرنسا فى طنجة ولفتا نظره الى ان ياخذ قضيتهما بعين الاعتبار . كما ان وزير خارجية السويد تحدث الى السفير الفرنسي فى ستوكهولم فى موضوع « الحكومة الفرنسية التي بحكم مركزها تستطيع ان تتحدث لفائدة المسيحية » . وهو يقصد بذلك مفاوضاتها مع المغرب فيما كان له فرنسا من مشاكل .

والواقع ان فرنسا حاولت ان تجعل هذه القضية ضمن ما ستتفاوض فيه مع المغرب . لكن دراموندهاي ـ قنصل بريطانيا فى طنجة ـ طلع بمشروع الاتفاق الذي ستحل المشكلة على اساسه . ومضمنه ان يؤدي الاسكندنافيون ما ترتب بذمتهم عن السنوات الفارطة مع اموال اخرى فى شكل هدايا . ونقل السيد ابن ادريس ذلك الى السلطان ، فوافق عليه . ووقع اتفاق بذلك فى خامس ابريل عام 1845 .

فاس : عبد الحق حموش



او سالت الغدر عن منبعـــه
قال : اصداري عنهـم وورودي !

ويختم قصيدته مهيبا بالعرب الى وحدة الصف، فوحدتهم قوة جبارة تسحق كل قوة :

وحدوا الصـف ففـي وحدتكـم
قـوة تصهـر دنيـا من حديـد

ان يكـن يومـا علينـا فلنـا
غدنا الحافل بالنصر المجيـد (1)

وهذا الشاعر عبد القادر السحيمي يحدثنا في قصيدة له عن « اورفيوس » الحزين الذي لم يعد يغني اناشيد الحب والتحنان بافتنان ؛ لان الاطفال الايتام في فلسطين يحرقون بقنابل النابلم :

ما عاد أورفيوس يغني باقتنان
ما عاد احبائي ، كما كان
في سالـف الازمـان :
أناشيد الحب والتحنان
كانت اجمل من ان تنسى كالاحلام
كانت تجتذب الولدان
والطيور المغردة في الوديان
لكنه ما عاد احبائي ، كما كان
اورفيوس يغني بافتنان
لان الاطفال الايتام
يحرقون اليوم بالنابالم
في فلسطين ، يا للاثام !

ثم ينهي السميحي قصيدته :
فيوما والى الآباد
سنمحي احلام ارض الميعاد
ولو طالت ليالي شهرازد
ويتيه يهودا في الفيافي والانجاد
عمل المذلة ، وثوب الحداد
سنضرمها حرب جهاد
لا تبقي ولا تذر غير الرماد
بالنيران والاحقاد
وزمجرة الآسـاد
ويومـا غريـب الآجال
سيعلم الغدره
سيعلم الانذال

والاعور « ديان »
اي مصير ، واية احزان
واي الرجال الشجعان
يثأرون للشرف المهان (2)

وهذا الشاعر عبد الرحمن الدكالي يتحدث عن الخلاف بين الحكومات العربيـة والاسلاميـة وبيـن نتائجه الخطيرة :

داء الخلـف واي داء مثلـه
قـد هدنـا بقطيعـة وبعـاد

هاذي النتائج ما نرى فى مصر ، في
أرض الشـام واردن الامجـاد

القـدس بيـت الله ، اول قبلـة
قد دنسـت بعصابـة الاوغـاد

تلك المحارب والمنابـر ضمخـت
بدماء من رغبوا في الاستشهـاد

ثم يبين للمسلمين فى شرق وغرب ان دين محمد ابن عبد الله صلوات الله عليه يدعوهم للجهاد فى سبيل نصرتـه :

يا امة الاسـلام في شـرق البـ
ـلاد وغربهـا يا امـة الآسـاد

دين الرسول « محمد » يدعوكـم
لتسارعـوا للبـذل ، للانجـاد

هبوا لنصـرة دينكـم فعدوكـم
اضحـى لهذا الديـن بالمرصـاد

ثـم يقـول :

قولـوا لصهيـون اللعينـة اننـا
سنكون بعـد غـد على ميعـاد

ان تتركوا صهيون فوق ترابكـم
فلتلبسـن الـذل ثـوب حـداد

الروضة الفيحاء حيث « محمـد »
والبيت في البلد الحرام ينـادي

من لم يقل : لبيك انـي مسلـم
للروض ، للبيت العتيق جهـادي

1) جريدة « العلم » ع 6268 — 21 يوليو 1967 .
2) جريدة « العلم » ع 6268 — 21 يوليو 1967 .

ثم يتساءل في سخرية :

هل كان يملك ارضنا بلفور حتـــى
يستبيح مقايضـات الصفقـة ! ؟

ويبين ، بعد هذا ، انه لا يؤمن بهذا الوعد ولكنه يؤمن بوعد الله – جل شأنه – لبني اسرائيل باللعنة ، والله لا يخلف وعده :

آمنـت بالوعـد الالهـي انـه
اعطت لاسرائيل وعد اللعنـة

وفى ختام قصيدته يوجه الخطاب لابناء الاسلام والعروبة ، يبصرهم بأن لا حياة تلذ لهم وتطيب مـا دامت مقدساتهم ترسف فى قيود المذلة ، ثم يدعوهم الى الجهاد ذيادا عن المسجد الاقصى ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم والقبلة الاولى :

ايـه بنـي الاسلام فى ارجائـه
وبني العروبة والنفوس البـرة

هاذي فلسطين تنادي نصركـم
والقدس تنشدكم عهود الملـة

والمسجد الاقصى ومسرى احمـد
والقبلة الاولى وصنو الكعبـة

بيد الصهاينة الذين تحالفـوا
ان يرجعوه لهيكل الوثنيـة

ومساجد الجبهات من ابطالنـا
اضحت مواطىء نعلهم – يا حسرتي!

انى تطيب حياتكم في قومكـم
والقدس ترسف في قيود الذلـة

لا تذهلنكـم الوقيعـة انهـا
مثل الخيال او السراب بقيعـة

قوموا انسفوا ديـان في آمالـه
ولتنصروا الديان رب العـزة (1)

وهذا الشاعر محمد المهدي العلوي يدعو المسلمين والعرب الى الجهاد ويستحثهم على التضحية :

االخي انتفض للثار واحم المجـدا
واملء حمى الوادي زئيرا مرعـدا

االخي انتفض ليثا فعـار ان يـدا
س المسجد الاقصى باقدام العـدا

ثـم يقـول :

او ما فلسطين كثغرة نحرنـا
تبت يدا من راشها تبت يـدا

فرض علينا مسلمين ويعربـا
ان ترتوي بدمائنا او تفتـدى

هل من سبيل للشهادة مثخنـا
في ظلهـا ولاثلهـا متوسـدا

تحلو المنية في ثراهـا كوثـرا
للمومنين كما اطمانـوا سجـدا

طوبى لهم تلك المضاجع ازلفـت
في عليين مجاورين محمـدا (2)

اما شاعرنا محمد الحلوي فقد وقف يدعو الى المقاومة وخوض الحرب بثبات وصمود وعدم الاستسلام للدمع والجزع :

كفكف الدمع ولا تجزع لما حـل
وخضهـا بثبـات وصمـود

جولة كانت ومـا اكثر جولاتـك
يا ثائـر فـي هـذا الوجـود

ثم يمضي موضحا أن الامة العربية لا تستسلم ولا تذعن للخنوع ، ولا تخشى اليهود الجبناء ، وكيف يعقل ان تخشى الاسود اذؤبا وقرودا ! ؟ !

هل درت صهيـون انـا عـرب
لا يخافـون نفايـات اليهـود ؟

كيف تخشى الاسد في آجامهـا
صولة الأذؤب او زحف القـرود ؟

هل نسوا ماضينا فاستأسـدوا
ام نسوا ماضيهم تحت القيـود ؟

ثم يكشف عن لؤم اليهود وغدرهم ، فيقول :

لو تجلـى اللـؤم في صورتـه
لتروه لـم يكن غيـر يهـودي ؟

---

1) جريدة « العلم » ع 6303 – 25 غشت 1967 .
2) جريدة « العلم » ع 6289 – 11 غشت 1967 .

دولة الاشرار ، ولعل في طليعة تلك الاسباب الاستعمار الذي كان يكتم انفاسنا ويحاول ، مجدا أن يقطع اواصر الاخوة والدم التي تربطنا باخواننا في الشرق ، ومن ثم كان الزاد الشعري الذي أوحت به الفحول الاولى من مأساة فلسطين ضئيلا لا تعثر عليه الا بشدة الانفس ، مدفونا في طيات صحف ومجلات كانت تصدر عهدئذ.

ب ـ اما الزاد الشعري الذي قدمه شعراؤنا بعد نكسة 5 يونيه الماضي فقد بلغ من التضخم درجة عظيمة ، يدلك عليها ان الشعر استعمل حتى في الدعاوة لمقاطعة اليهود .

ج ـ وتضخم الكم يجرنا الى البحث عن قيمة الكيف ، وفي رايي أننا لا نكون مغالين اذا قلنا : ان جل ما اذاعه شعراؤنا عن المأساة كانت تطغى عليه السمة المنبرية ويذهب بشفوف اللمس الذاتي او عمق الصخب النفسي من ثناياه شيء غير قليل من «الفن» العنتري وتقريرية الموروث الحماسي و « الهتافية » الخطابية ، ولم ينج من الوقوع في ذلك الا نماذج قليلة جدا ، جدا ، لا يخطئها العد ، تعمقت المأساة ، وعكستها بصور حية ترفدها فحولة شعرية ، تحملنا على الاعجاب بها ؛ غير أن هذا الرأي ليس من شأنه ان يذهب بنا بعيدا فننكر على الشعر الذي قاله شعراؤنا في النكبة صدق العاطفة التي املته ونبل الشعور الذي صاغه .

د ـ وانصافا للحق يجب ان نقول بأن موقف الشعر المغربي من نكبة فلسطين لم يكن موقفا سلبيا ، بمعنى أن ما قيل من شعر لم يكن دمعة وحرقة وآهة تؤلف فيما بينها رثاء حزينا لهذا الوطن المنكوب ؛ بل كان موقفا ايجابيا ، بمعنى أن ما قيل من شعر كان ثورة على الاستعمار الذي مكن لخليط من سقاطة الشعوب في ارض فلسطين ، وكان دعوة الى المقاومة ونداء بالوقوف في وجه السرطان الصهيوني وتذكيرا للشعب الفلسطيني خاصة والعربي عامة بأمجاده في ماض غابر ، وبطولاته في عهد سالف .

— 10 —

وانا نبارك هذه الروح في شعرائنا . ونكبر فيهم هذا التعاطف الاخوي مع أشقائنا عرب فلسطين ، وندعوهم الى مواصلة الحديث عن النكبة وتصوير ابعادها وآفاقها بفن رفيع ، ليس يثير في النفس العربية خورا وضعفا واستكانة بل يفجر فيها شلالات جارفة من قوة وعزم واصرار على استرجاع الوطن السليب ،، وليس ببعيد ـ بحول الله ـ ذلك اليوم الذي يتحد فيه الصف وتخلص النية فننقض على الاشرار البغاة ، ونطهر ارضنا من دناءتهم وخستهم .

تطوان : حسن الوراكلي



فبراءة الاسلام منه بـــراءة
تبقى على الاحقـاب والآبـــاد (1)

وننهي هذا العرض بالانصات الى شاعرنا الطبال وهو يغني لنا « يافا » غناء مؤثرا ، يبلغ من نفوسنـــا اعــز مبلـــغ :

« يافا » جزيرة كل احلامي ، شراع الشوق يبحر في عيوني ، في دمي شلال انغامي ، وصورة كل اطيافي، وصوت الحب يدوي في فمي .

ويمضي الشاعر معترفا بانه ان هجر ربيع العمر، فلأنه حزين ، ولقد فاض هذا الحزن في عينيه دمعا ، وغار في صوته جرحا ، وهو حزين ، فلا يفتر ثغره عن ضحك ، ولا تسيل حنجرته بشدو ؛ وانما هو كذلك لان شذاذ الطريق تاسدوا وهم البغـات ، واكتسحوا ارضـــــه :

من كل فج كالجراد المسخ،جاءوا كالظلام الى بلاد الانجم
فغزوه ، قرصان السلام ، زعانف التاريخ،سود المعصم

ثم يرسم الشاعر لوحة لوحشية قرصان السلام، وهمجيتهم يوم دخلوا « يافا » ف :

مسخوا الدروب المؤمنات فجلجلت فيها حوافر كل مخ اقزم

رفعوا المشانق في الطريق لكل من رفعوا البنود وصاولوا كل اجذم

نسفوا بيوت الله ، يا ويح الذين تدينوا ابـــدا بدين الدرهم

لا نفحة الانساب ، لا خلق النبوة في سوائمهم ولا في الاهيـــم

حرقوا المزارع والكروم وما ارتووا فالحقـد لا يروى بغير المأتم

فاستنسروا في كل دار يذبحون ويعبثون بكل قدس المحرم .

... وهكذا باتت « يافا » الهادئة ، الجميلة ، مأتما ومناحة ، واذا بأهلها يتشردون ،، يهيمـون على وجوههم مرغمين ، تغرق اقدامهم المتبعة في الرمال ، وتتعلق انظارهم ، بلهاء ، بالآفاق البعيدة ، فلا ديارهم ترقب الليل ليعودوا اليهـا ، ولا الشـط الجميـــل يدعوهم الى بساطه الاخضر ، و :

لا الفجر ينتظر المآذن أن تهلل فالمآذن دراسات المعالـــم

لا الدرب في يافا يحن الى الصباح فأين اطفال الصباح الابكم ؟

اين الصباح الحلو ، اين قيائر الاشواق تحكي خاطرات البرعم ؟

داستهم الاقدام ، تاهوا في القفار يرددون : الى متى في الميتم ؟ .

ثم يصور الشاعر عزم المشردين على العـودة ، واصرارهم على الاوبة ولو تطايرت اشلاؤهم وانثرت شظـايـــا :

يافا الحزينة اننا في النار نمشي لن نعـود الـى خيام النـــوم

نمشي اليك ، الى الديار ولو شظايا . ان صوتك فوق صوت المرجم

فلتنتشر اشلاؤنا ولتلتهب آفاقنا نارا كنار جهنم
لكننا نوقف الزحف الكبير فاننا قبر التتـــار الظالــــــم (2) .

— 9 —

لعلنا استطعنا ان نلمس من خلال هذا العرض الشعري اثر نكبة فلسطين في شعرنا المغربي الحديث، وكيف انه واكب مراحل هذه النكبة القائمة منذ بدايتها، راصدا تطوراتها ، وعاكسا آثارها ، ومبينا خطورتها ، ومحذرا من عواقبها ، وموقظا للنفـوس الهاجعـة ، وداعيا الى توحيد الصف ، وجمع الشمل لطرد اليهود السفلة من الارض الحبيبة .

على اننا نود قبل ان نختم هذا الحديث ان نشير الى ملاحظات :

ا ـ لاسباب عدة لم يكن اثر النكبة انفلسطينية قويا وواضحا في شعرنا انطلاقا من وعد بلفور الى قيام

1) دعوة الحق ، ع 8 ـ السنة العاشرة ـ ربيـع الاول 1387 هـ ـ 1967 م .
2) دعوة الحق ، ع 8 ـ السنة العاشرة ـ ربيـع الاول 1387 هـ ـ 1967 م .

صب اطال هواه
على الحبيب غرامه

لمن يتيه عليه
ولا يرد سلامه

ان لم تنيلي اريحي
فاليأس يثني زمامه

فأجابته حفصة منتقدة اياه :

يا مديحي في الهوى الحسـ
ـن والغرام الامامة

أتى قريضك لكن
لم ارض منه نظامه

ضللت كل ظلال
ولم تفدك الزعامة

ما زلت تصحب قد كنـ
ـت في السباق السلامة

حتى عثرت واخجلـ
ـت بافتضاح السآمه

بالله في كل وقت
يبدي السحاب انسجامه

والزهر في كل حين
يشق عنه كمامه

لو كنت تعرف عذري
كففت تحرب اللامة

ثم ارسلت هذه الابيات مع رسول ابي جعفر بن سعيد بعد ان سبته هو وصاحبه ، ولما وصل الى ابي جعفر سأله ما وراءك يا عصام ، فقال له ما يدل على عدم موافقة الشاعرة على الاجتماع معه ، وبعد ذلك سلم له الابيات ، وعرف من خلالهما انها ستأتي اليه عكس ما قاله رسوله ، وان الموعد سيكون بجنته المسماة « بالكمامة » .

وما ان مرت فترة ليست بالقصيرة حتى وصلت حفصة الى « الكمامة » فهم بتوبيخها ولكنها انشدته بصوت رخيم حلو :

دعى عد الذنوب اذا التقينا
تعالي لا نعد ولا تعدي

وفيما هما فيه من حديث يجري في رفق تتخلله كلمات الحب ، وعبارات الهيام اذ برقعة يرسلها لابي جعفر الشاعر الكتندي مكتوب فيها :

ابا جعفر يا ابن الكرام الاماجد
خلوت بمن تهوى رغما لحاسد

فهل لك في خل قنوع مهذب
كتوم عليم باختفاء المراصد

يبيت اذا يخلو المحب بحبه
ممتع لذات بخمس ولائد

وقرا ابو جعفر الابيات على حبيبته حفصة فلم تملك إلا ان قالت :

ــ لعنه الله قد سمعنا بالوارش (1) على الطعام والواغل (2) على الشراب ولم نسمع اسما لمن يعلم باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما .

ثم قال لها ابو جعفر والابتسامة تتلألأ على محياه: بالله عليك سميه لنكتب له بذلك .

فقالت :

ــ انني اسميه الحائل لانه يريد ان يحول بيني وبينك .

وبعد برهة كتب على ظهر الرقعة ابياتا اولها :

يا من اذا ما اتاني
جعلته نصب عيني

تراك ترض جلوسا
بين الحبيب وبيني

وكتب ايضا :

سماك من اهواه حائل
ان كنت بعد العتب واصل

مع ان لونك مزعج
لو كنت تحبس بالسلاسل

واسرع الرسول قاصدا الكتندي ليبلغه الابيات، ولكنه وجده قد وقع في حفرة نجسة ، وعندما قراها طلب من الرسول ان يخبرهما خبره ؛ ولما علم الحبيبان ما حدث استولت عليهما نوبة من الضحك فكتب كل واحد منهما بيتا على سبيل التناوب يسخران منه اشد السخرية .

1) الوارش من مادة ورش على القوم دخل عليهم وهم يأكلون من غير ان يستدعي .
2) الواغل من مادة وغل على القوم ، دخل عليهم . فشرب معهم من غير ان يستدعى .



للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

(14)

وكما كان لولادة فى عصرها شاعر اكتوى بنار حبها ، كان لحفصة شاعر تعلق بها، وساجلها وساجلته، وان اختلفت ظروف الشاعرتين ، واتفقت فى بعض منها

اما صاحبها فهو الشاعر ابو جعفر احمد الذي كان وزيرا لعثمان بن عبد المؤمن امير غرناطة ، احب شاعرتنا حفصة ، وبادلته هي بعض هذا الحب ، ولكن هذه المرة لم يكن المنافس للحب وزيرا كالوزير ابن عبدوس ، وانما كان امير غرناطة وسيدها عثمان السالف الذكر .

ولقد ادت هذه المنافسة على الرغم من انها لم تكن ظاهرة واضحة ولا قوية شديدة الى ان امر الامير بضرب عنقه ، وذلك انه بلغه قول ابي جعفر لعشيقته حفصة : « ما تحبين فى ذلك الاسود ، وانا اقدر أن اشتري لك من سوق العبيد عشرة خيرا منه » .

فأسر الامير عثمان هذه القولة الجارحة فى نفسه الى ان حانت الفرصة عندما لحق اخو ابى جعفر عبد الرحمن بالثائر مردنيش فى شرق الاندلس .

وفى معجم الادباء (1) يزعم ياقوت ان الذي تولع بحفصة ليس هو الامير عثمان وانما هو ابوه عبد المؤمن امير المؤمنين ؛ بيد ان هذا ليس من الواقع في شيء ؛ وآية ذلك ان المصادر الاندلسية كالنفح (2) والمغرب (3) تنسب هذا التعلق لابنه عثمان ؛ الامر الذي دفع ابا جعفر وهو فى حالة نفسية من الغيرة القاتلة الى ان يطعن فيه ويحتقره بلونه الاسود ، في حين ان عبد المومن كان ابيض ذا جسم عمم تعلوه حمرة شديد سواد الشعر وضيء الوجه ، كما يقول المراكشي (4) .

ولا جرم وحفصة دوما فى اتصال مباشر او غير مباشر مع صاحبها ابى جعفر أن تتمخض اعمالها الشعرية عن لقاءاتهما العذبة ، وظروف الحياة التي كانت تجمع بينهما احيانا .

فها هو ابو جعفر يطلب منها ان تجود عليه باجتماع معها فسوفته شهرين ، وعند ذلك ارسل اليها ابياتا يبثها فيها لواعجه وحرقاته يقول :

يا من اجانب ذكر اسـ
ـمه وحبي علامه

ما ان ارى الوعد يقضي
والعمر اخشى انصرامه

اليوم ارجوك لا ان
يكون لي في القيامه

لو قد بصرت بحالي
والليل ارخى ظلامه

انوح شوقا ووجدا
اذ تستريح الحمامه

1) ج 10 ص 220   2) ج 2 ص – 430 المطبعة الازهرية   3) ج 2 ص 138 و ص 164 بتحقيق الدكتور شوقي طيف   4) ص 197 بتحقيق الاستاذين : سعيد العريان ومحمد العربي العلمي .

واستجابة لنداء قلبه فانها لم تكن لتهمل امير غرناطة عثمان بن عبد المؤمن ، ولسنا ندري بالضبط نوع علاقتهما بهذا الامير الا انه كان يهواها ، واستمع اليها اذ تكتب الى عثمان تستأذن عليه فى يوم عيد :

يا ذا العلا وابن الخليـ
ـفة والامام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى
منه بما تهوى القضا
وافاك من تهواه في
طوع الاجابة والرضا

هذه هي حفصة بنت الحاج الركونية شاعرة القرن السادس الهجري فى الاندلس ، امتازت برقة اللفظ ، وجودة التعبير تعلن به عن واقع حب عميق الفور ، ولهاث ساخن يعكس ظلال المشاعر المعبرة عن البوح الانساني .

وتفيض نفس الشاعرة ، وتختفي من الحياة فتختفي معها الكلمة الموحية الملهمة ، وذلك سنة 586هـ بمدينة مراكش .

خاتمة المطاف :

من هذا التطواف تسنى لنا ان نتبين دور المراة العربية الاندلسية التي قفزت الى ميدان الحياة بروح يحدوها الجد ، ويأخذ بزمامها الاقدام ، فشاركت مشاركة في النشاط الادبي ، مدركة خطورة الوظيفة التي حملت اعباءها على عاتقها ؛ لذلك راحت تعبر عن شعورها الدافيء أصدق تعبير ، وتصور ما فى نفسها من الاحاسيس الطيبة والخبيثة معا : الطيبة تنداح فيما ابدعته من لوحات حافلة بهتافات القلوب المحرورة ، والخبيثة فى حديثها عن الذات فى ظهور انحطاطها عن القيم العليا الوضيئة .

فبانطلاقة الادب النسوي فى الاندلس تأكد ان المراة الاندلسية تمكنت من فرض شخصيتها ككائن له ما بعده يسهم بنهضة فى معترك الحياة ، لا توقفه حواجز ما دامت الغاية ايجاد عمليات الخلق الفني المتضوعة بنكهة الانوثة العطرة .

ونجم عن ذلك تفتح اكمام تزف الى الشعر روعته ، وتنقل الانسان الى آفاق رحبة تلتقي في عرصاتها معانة التجربة ، مما جعلنا نتيقن ان المراة الاندلسية الشاعرة كادت تشارف ــ او شارفت ــ ربوة وادي عبقر حيث عرائس الشعر تروح وتغدو لتحرك دافن النبوغ ، ولتطلع شهي الثمر .

ومن يرجع الى تلك الضمانات المفوفة التي قدمناها بين يدي القاريء يجد هذا القول حقا لا مبالغة فيه ، وكم كنت اتحرق شوقا الى العثور على اكبر عدد ممكن من النصوص الشعرية كيما تكون لنا شمعة هادية تنير لنا السبيل واداة ربضة ذلولا تكشف لنا عن حقائق لا تزال غامضة علينا ، ولكن بدون جدوى .

ولا مشاحة ان القاريء الكريم قد تتبع حلقات البحث التي استهلتها بمقدمة ابرزت فيها الاسهام النسوي فى شتى الاغراض الشعرية ، وانه وان طالت المقدمة بعض الشيء ــ كما لاحظ الاخوان ــ فانما يرجع ذلك الى اظهار تفوق المراة العربية عموما في التماسك الحضاري ، وانها خليقة بأن تخوض المعترك الادبي على نقيض ما تزعمه جماعة من الناس .

وبعد هذا حاولنا تقسيم البحث الى العصور السياسية التي شهدتها شبه الجزيرة الايبيرية من عصر الامارة الى عصر الموحدين بله عصر المرابطين ، كما المعنا الى ذلك قبلا . كما حاولنا ادارة الحديث عن كل عصر ومعطياته الثقافية والعلمية لعرض شاعراته الممثلات له .

ولعل القاريء الكريم بعد اطلاعه على هذا البحث ــ الذي لا ابرئه مما يكون قد اعتوره من قصور ــ قد وضحت فى ذهنه صورة عن الادب النسوي فى الاندلس ومعالمه فى عصور مختلفة .

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

ولم يكن هذا هو اللقاء الاول والاخير لحفصة بحبيبها ابي جعفر ، لا ، فقد تعددت اللقاءات فى أماكن مختلفة ، وكثرت المواعد فى بساتين متنوعة ، فها هي حفصة تقضي معه سويعات قرنفليات فى بستان « جوزمؤمل » وفى ذلك يقول ابو جعفر فى مستهل أبيات له بعثها اليها بعد الافتراق :

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم
عشية وارانا بجوزمؤمل

فكتبت هي اليه تقول :

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا
ولكنه أبدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا
ولا غرد القمرى الا لما وجد
فلا تحسن الظن الذي انت أهله
فما هو فى كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق أبدى نجومه
لامر سوى كيما تكون لنا رصد

وليلة كان ابو جعفر فى مجلس مع ثلة من الاصدقاء يتحدثون احاديث مختلفة اذا بطرقات على الباب فخفت جاريته لتنظر من بالباب فوجدت امراة فقالت لها :

ــ ما تريدين ؟

فأجابتها :

ــ سلم لسيدك هذه الرقعة

ثم سلمت لسيدها الرقعة ، واذا به يجد مكتوبا عليها أبياتا علم من ثناياها أنها لحفصة ، وكيف يخفى عليه شعرها وقد احتك به احتكاكا . وعرف نكهته ، وصياغة اسلوبه ، وطريقة تكوينه التعبيري ، وأعاد قراءة الابيات بصوت هامس خافت :

زائر قد اتى بجيد الغزال
مطلع تحت جنحه للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت
ورضاب يفوق بنت الدوالي
يفضح الورد ما حوى منه خد
وكذا الثغر فاضح للالي
ما ترى في دخوله بعد أذن
او تراه لعارض في انفصال

ولها فى حبيبها الذي نزح عنها وهو طي الحشا رغم البعاد :

سلام يفتح عن زهره الـ
ـكمام وينطق ورق الغصون
على نازح قد ثوى في الحشا
وان كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبو البعد ينسيكم
فذلك والله ما لا يكون

وتقول وقد ذكرها البارق الخفاق بمن تهوى :

سلوا البارق الخفاق والليل ساكن
اظل بأحبابي يذكر وهنا
لعمري لقد اهدى لقلبي خفقة
وامطرني منهل عارضه الجفنا

ودوام الحال ــ كما يقولون ــ من المحال ؛ لذلك تعكر جو الحب بين الحبيبين عندما تناهى الخبر الى حفصة بأن عشيقها ابا جعفر يحب فتاة سوداء ، وانه قضى معها اياما بظاهر غرناطة ، فقالت ساخرة به وبمعشوقته الجديدة :

يا اطرف الناس قبل حال
اوقعه نحوه القدر
عشقت حسناء مثل ليل
بدائع الحسن قد ستر
لا يظهر البشر في دجاها
كلا ولا يبصر الخفر
بالله قل لي وانت ادرى
بكل من هام في الصور
من الذي هام في جنان
لا نور فيها ولا زهر

وتمر ايام النحس وساعات النكد لتحمل مكانها اوقات الانبساط والانشراح ، فها هي تبعث اليه قولها:

سار شعري لك عني زائدا
فأعر سمع المعالي شنفه
وكذا الروض اذ لم يستطع
زورة ارسل عنه عرفه

فيجيبها ابو جعفر :

قد أتانا منك شعر مثلما
اطلع الافق لنا انجمه
وفم فاه به قد اقسمت
شفتي بالله أن تلثمه

وشاعرتنا حفصة رغم ما كانت تخص صاحبها ابا جعفر بالعناية ، ويلقى هو بين أحضانها دفء الحب،

الفلاحية والحيوانية ، وذكروا من بين غلاتها التفاح والخوخ ، كما انهم ذكروا انها كانت من اكثر المناطق ازدحاما بالسكان .

فلقد اشار البكري الى ان « اجلـي » عاصمـة سوس توجد بجوار نهر عظيم ، والى ان بهذا الاقليم غلات من جملتها قصب السكر الذي يصدر الى جميع انحاء المغرب ، ويقول ان نهر سوس يخترق شريطا متتابعا من الجنان ، وان السكان لم يريـدوا اقامـة طواحينهم على جوانب النهر ، وحجتهـم فى ذلـك ان كيف يرغبون ماء حلوا كماء نهـر سـوس على ادارة الطواحين . وعن كثرة الغلات الموجودة بهذه الناحية يقول بان الانسان يمكنه ان يشتري حملا من التمـر بثمن اقل من الثمن الذي يكلف نقله من الحقـل الى السوق ، وقصب السكـر فى هـذه الناحية يشكـل الانتاج الاكثر وفرة ، اذ بربع درهم يستطيع الانسان الحصول على كمية يعجز الرجل القوي عن زحزحتها من الارض ، كما يشير الى وجود صناعة السكر بهذه الناحية ، والى ان القنطار كان يباع بمثقالين او اقـل من ذلـك .

واشار الادريسي بدوره الى ان قصب السكـر يوجد بسوس ، وخاصة بناحية تارودانت وفى سبتة وتبنملل ، فقال عن بلاد سوس : « وبلاد سوس قرى كثيرة ، وعمارتها متصلة بعضها ببعض ، وبهـا مـن الفواكه الجليلـة اجناس مختلفـة ، وانواع كثيـرة كالجوز والتين والعنب والمشمش والرمان والخـوخ والتفاح وقصب السكر الذي ليس على قرار الارض مثله طولا وعرضا وحلاوة وكثرة ماء ، يعمـل ببـلاد السوس من السكر المنسوب اليها ما يعم اكثر الارض، وهو يساوي السكر السليماني والطبرزد ، بل يشـف على جميع انواع السكر فى الطيب والصفاء » . وعن جبل درن يقول الادريسي : « . . . ان اهل هذا الجبل لا يبيعونه بينهم (أي قصب السكر) ولا يشترونـه لكثرتـه » .

كما يشير صاحب الاستبصار الى ان تارودانت وهي قرية كبيرة ، هي اغنى بلاد الله بقصب السكـر وان معاصرها اكثر عددا، ويحمل السكر منها الى باقي بلاد المغرب .

بعد هذه الوقفة على اقليم سوس، وبعد التعريف به ، يمكننا ان نعين المناطق التي عرفت زراعة قصب السكر فنقسمها الى ثلاث مجموعات :

1) مجموعة الشمال بما فيها طنجة وسبتـة وسـلا .

2) مجموعة الحوز بما فيها شيشاوة والصويرة وحوض نهر القصب ووادي نفيس وزاويـة سيـدي شيكـر .

3) مجموعة سوس حسب المعنى الذي سبقت الاشارة اليه .

ومن المعلوم ان زراعة قصب السكر هذه لـن تكون لها اية فائدة ما دام لم يتم تصنيعها والصناعـة تحتاج الى قوة محركة ، فمن اين حصل الفنيون في هذا العصر على القوة المحركة لانجاز هذا العمل الهام؟

لقد اعتمدوا فى ذلك على القوة المائية ، فالمعامل التي اكتشفت آثارها تحتوي كلها على سواقي تجلب فيها المياه من مناطق بعيدة او قريبة . ويهمنا هنا ان نلاحظ ان المغرب قد تخطى مرحلة استخدام القـوة البشرية او الحيوانية لادارة هذه المعامل فاعتمد على قوى الطبيعة ، وانجز الصناع من اجل ذلك مشاريع هائلة . ولا يخفى ان بعض معامل السكر كانت فى ملك بعض الاشخاص وخاصة اليهود ، وقـد كان بناؤهـا يكلف اموالا طائلة . فقد ورد فى احـدى الوثائـق ان محمد الشيخ بعد ان تم له فتح فاس ، امر بانشـاء سبعة معامل للسكر فى تارودانت كانت تكلفه كل عام 7 500 مثقال ، وكان يكلفه انتاج السكر الـذي كان يصنع فى كل منها 15 000 مثقـال . اذا اخذنـا بعين الاعتبار الاموال الطائلة التي كان يتطلبها بناء معامـل السكر ، وكثرة اليد العاملة ، وما ينتج عن ذلك مـن ازدهار فى الصناعة وفى الحركة التجارية ، امكننا ان نقول بان المغرب كان على ابواب تغيير جوهري وجذري فى ميدانه الاقتصادي لولا ما وقع فى داخل هذه البلاد العزيزة ، وفى خارجها من احداث خطيـرة جعلـت التاريخ يكون فى غير صالحها .

ان المياه التي تحرك عجلات هذه المصانـع في حاجة الى ان تجلب من مصادرها ، والى ان ينظـم استغلالها حتى تاتي بالنتائج المرجوة سواء فى ميدان الري او فى ميدان الصناعة . فقصب السكر يحتاج الى ما يقرب من 1 500 مم من الماء ، ونحـن نعـرف ان ناحية الجنوب لا تتوفر على تساقطات تعادل هـذه الكمية فتضمن الانتاج ، ولا نستطيع ان نزعم ان المناخ قد تغير هذا المغير الكبير ، وان الامطار كانت تضمن الانتـاج .

السكر في المغرب القديم

للأستاذ محمد أحمد الرغاي

يعرف مغرب اليوم حملة واسعة فى ميدان التصنيع خاصة فى ميدان الصناعات المعتمدة على المواد الفلاحية ، وفى طليعتها السكر .

وصناعة السكر ليست بدعا فى حياة المغرب ، وانما كان لها فى الماضي، مثلما قد يكون لها فى المستقبل، أثر واضح فى اقتصاد بلادنا ، بل وفى سياستها الداخلية وكذلك فى علاقاتها مع بعض الدول .

الا ان السكر فى المغرب القديم لم يحظ مع كامل الاسف بالدراسات التي يستحقها ، ولم تحفظ لنا كتب التاريخ المغربية الا اشارات مقتضبة عن هذه المادة الحيوية . (1)

ولعل من المفيد ان نستعرض فى هذه العجالة بعض جوانب الموضوع فنعرف اين كان يزرع قصب السكر ، واين كان يتم صنعه ، ثم علاقة السكر بسياسة الدولة آنذاك .

لقد عرف المغرب زراعة قصب السكر منذ القديم ، ورافق ذكر هذه الزراعة مختلف اطواره التاريخية منذ الفتح الاسلامي الى انحطاط الدولة السعدية .

فالمؤرخون الاولون الذين تحدثوا عن المغرب من شكل ابي حنيفة الدينوري ، وابن حوقل ، والبكري ، وابن خلدون وغيرهم ، كلهم اشاروا الى ان هذه الزراعة كانت مزدهرة فى المغرب ازدهارا كبيرا ، وتكاد تنعدم هذه الاشارات فيما كتب عن المغرب قبل مجيىء الاسلام وكذلك بعد سنة 1615 مما جعلنا نعتقد ان عمر هذا الازدهار ابتدا بالمغرب مع الفتح الاسلامي ، وان قصب السكر جاء به العرب مثلما جاءوا بغيره من الزراعات مثل شجر البرتقال . وهكذا يكون قصب السكر قد عاش فى المغرب مدة تعادل ثمانية قرون اي فى سنة 895 م الى سنة 1615 م.

اما الاماكن التي عرفت هذه الزراعة بالمغرب فهي جنوب المغرب خاصة . وقد نستغرب اذا اطلعنا على ان هذه الزراعة كانت ايضا بجبل تنمل مهد الموحدين ، وبجوار مدينة سلا وكذلك حول مدينة سبتة .

والقدماء يطلقون على الجنوب المغربي اقليم سوس ، وهم يقصدون بهذه التسمية المنطقة الواقعة بين نهري شيشاوة ووادي درعة ، فهو يضم المنطقة الجبلية الاطلسية المجاورة للبحر ، ووداي سوس ، والاطلس الصغير الى وادي درعة .

وقد كانت هذه المنطقة من اخصب مناطق المغرب ان لم نقل اخصبها على الاطلاق ، فلم يطنب الرحالة المغاربة ، ولا المؤرخون فى وصف منطقة ما من المغرب اطنابهم فى وصف هذه المنطقة ، فقد عددوا خيراتها

1) نشر الاستاذ (بول بيرتبي) بحثا فى كتاب سماه معامل السكر المغربية القديمة وشبكتها المائية)

عبد الملك مرسوما بتاريخ 6ـ7ـ1577 يقضي بأن ثمن السكر هذا لن يكون اغلى من السنة الفارطة ، وانه يلزم استعمال موازين معترف بها من طرف الدولة لوزن هذه المادة .

5) المواد التي كان المغرب يستبدل بها مادة السكر هي مواد لم تكن تمتلكها الا الدولة . فالمغرب كان يتجر مع كل من بريطانيا وايطاليا وفرنسا ، فكان الانجليز يزودونه بدلا من السكر بانواع الثوب الرفيع ، وكان يستخدم منه كساء للقواد والحراس .

فقد جاءت سفن (تؤماس ويندهام) محملة بالثياب فى سنة 1552 م ، وكان الثوب المحبب من قبل الشرفاء هو المسمى (برناطة) اما فى ايطاليا فقد كانت تجلب مواد الرفاهية وعلى راسها الرخام الذي كان يستبدل وزنا بوزن ، واما الفرنسيون فقد كانوا يجلبون انواعا اخرى من الثياب يستغلها الجيش في صنع الخيام .

غير ان الفائدة العظمى التي كان السعديون يجنونها فى تجارة السكر هي حصولهم على الاسلحة من الانجليز والفرنسيين الذين كانوا يبيعونها الى المغاربة ضاربين عرض الحائط بالحصار المسيحي المضروب على الدول الاسلامية . فقد كتب احد سفراء البرتغال فى انجلترا فى سنة 1522 يقول ان الامة الانجليزية والفرنسية حققتا منذ عشرين سنة فوائد هامة من تسليمها للشريف ـ مخالفين القوانين الالهية والانسانية ـ كمية هائلة من الاسلحة .

وفى مذكرة لفرانسيسكوجيرالدي سفير البرتغال فى لندن بتاريخ 5ـ3ـ1577 ، اشار الى ان شحنة من العدد الحربية قد ارسلت الى الشريف من طرف عملاء انجلترا . وانها ستعرض لهم بالسكر وملح البارود .

6) جاء فى احدى الوثائق ان اليهود المشرفين على سبر مصانع السكر زودوا الملك بمقادير هامة من الاموال فى حربه ضد البرتغال .

كل هذا يدل دلالة واضحة على ان الدولة كانت تمسك بيدها زمام الامر فيما يتعلق بزراعة هذه المادة وصناعتها وتجارتها . وان السبب فى ذلك راجع بالدرجة الاولى الى القيمة الاقتصادية التي كانت لهذه المادة . فلقد كان ثمن السكر غاليا جدا ، وكان استهلاكه مقصورا على الطبقات الغنية . كما كان يستعمل كوسيلة فى وسائل علاج امراض الصدر .

فقد كانت تجارة جد مربحة ، وكان من اهم موارد الثروة والغنى ، ولم تكن تنافسه كبضاعة تصدر الى الخارج اية مادة اخرى . نعم لقد كان للاجراء الذي اتخذه السعديون بتحريم تصدير الذهب وملح البارود الى الخارج سببا مباشرا فى افساح المجال للسكر بان يحتل المرتبة الاولى بين المواد المصدرة .

ولكن هل كانت الدولة تعين موظفين عنها للاشراف على هذه المرافق ، ام انها كانت تتبع فى ذلك نظاما آخر ؟ .

الغالب على الظن انها كانت تتبع نظام الامتيازات فقد كانت تمنح حق استغلال هذه المنشآت لمن يستطيع ضمان دفع مبالغ هامة من الاموال . فقد كانت الاراضي والمصانع والمياه كلها ملكا للدولة وكانت بازاء ذلك تحصي تجارة السكر وصناعته بقوانينها ، وتوفر الامن والاستقرار للمستغلين ، ثم انها تراقب الاثمان وتعقد الصفقات بكيفية مباشرة مع الزبناء . وكان اليهود يحتلون المرتبة الاولى من بين هؤلاء المستفيدين من هذه المشاريع ياتي بعدهم الاوربيون من انجليز وفرنسيين . ولا يرد ذكر للمغاربة المسلمين فى هذا الميدان .

اما النقل فبالرغم من ان المغرب كان يتوفر على اسطول قوي يجوب عرض البحار فلم يرد ذكر لسفن مغربية تكفلت بنقل السكر المغربي الى الخارج ، وانما كان يتولى ذلك البحارة الانجليز والفرنسيون ثم الهنديون بعد ذلك .

لقد اهتم السعديون بالسكر لانهم جنوا منه ارباحا طائلة واستعملوه مادة للمساومة ، ولكن هذا الازدهار خبا نوره فجأة .

نعم لقد كانت هنالك فى سماء هذا الازدهار نذر تهدد بانفجار منذ وقت بعيد ، فقد خرب محمد المتوكل بعض معامل الجنوب اثناء عيثه فى السوس ، ولكن المغرب لحسن حظه نهض من هذه الكبوة ، واستطاع التغلب على هذه الازمة بفضل همة عبد الملك واخيه المنصور . ولكن تولى الازمات فيما بعد اجهز على هذا النشاط وقضى عليه القضاء النهائي . فقد جاء الطاعون الى هذه المعامل فهجرها أصحابها ، ومات المنصور فانتشرت الفتنة ، واصيبت معامل السكر وحقوله من جراء ذلك بضرر بالغ . ولكن دهشتنا من انقراض هذه المادة من الارض المغربية على هذه الصورة تبعثنا على التساؤل عن الاسباب الخفية والخطيرة

ولقد اظهرت البحوث ان الماء كان يجلب من الانهر ، فاذا كانت هذه الانهار غزيرة المياه كنهر سوس وتانسيفت اقتصر على جلب الماء منها وحدها، وان كانت معرضة للجفاف او تقل بها المياه ، اضيفت اليها مياه العيون القريبة .

وسأذكر بعض الانهار التي كانت تستغل مياهها في هذا الميدان :

1) مياه نهر القصبة قرب الصويرة وكانت تضاف اليه مياه العيون .

2) مياه نهر تنسيفت التي تغذي الساقية الهروشية التي تحرك معامل سيدي شيكر .

3) مياه نهر شيشاوة ، وكانت تضاف اليه مياه العيون .

4) مياه نهر سوس .

والسواقي تقطع مسافات قد تطول أحيانا وتصل الى بضعة كيلومترات ، وهي في طريقها تحتاج الى ان تحتفظ ببعض الانحدار حتى يتم جريان الماء فيها فاذا ما اعترضها منحدر حملت على اقواس متينة حتى يستطيع الماء اجتياز المنخفض .

وكيفما كان الامر ، يجب ان تصل المياه الى المعمل وهي تتوفر على علو مناسب حتى يتم الحصول على مسقط ملائم لتحريك عجلة المعصرة .

وقد وجد ان المياه تنزل من علو سبعة امتار بتصريف يتراوح بين 100 و 250 لترا في الثانية ، ويكون اتصال الماء الساقط بالعجلة بعد انحدار قدره 5 ، 4 م او 5 م . ويتم ايصال الماء الى العجلة عن طريق انبوب متين ، والعجلة يصل قطرها الى خمسة امتار ، وتتصل بمعصرة رئيسية ثم بمعصرتين ثانويتين. ولعل هذه المعاصر مصنوعة من الحجر الصلد كما جرت العادة قبل ذلك في عصر الزيتون . فالرومان كانوا يستعملون معاصر من الحجر لعصر الزيتون . وبعد ان يؤدي الماء مهمة تحريك العجلة يتجه عن طريق ساقية غالبا ما تكون مسقوفة الى المعمل حيث يستغل في الزراعة . وهكذا تنتهي كل ساقية الى المعمل اولا ثم تتوجه بعد ذلك الى حقول القصب ، وبهذه الطريقة يؤدي الماء وظيفتين ، ويستغل أتم استغلال .

وقد وجد في بعض المعامل ان قاعة العصر تتكون من ثلاث معاصر تتصل بها قنوات توصل السائل الى حيث يعالج . وتتراوح مساحة هذه القاعات بين 300 2 م و 400 2 م وهي قاعات كبيرة كما تدل عليه هذه المساحة . ويحفظ عصير القصب موقتا في مخازن ريثما يتهيأ المكان له في قاعة الافران .

وقاعة الافران هذه تحتوي على عدة افران يبلغ عددها ستة في بعض المعامل المكتشفة . يقوم كل واحد منها بوظيفة خاصة يمكن ان نلخصها في انها تهدف الى تخليص السكر من الشوائب العالقة به ، وجعله صالحا للاستعمال . وآخر عملية يشهدها السكر بعد ذلك هي وضع الخلاصة في قوالب ذات احجام كبيرة نسبيا .

ويمكننا ان نتساءل . هل كان هذا النوع من النشاط الاقتصادي حرا أم انه كان محتكرا من طرف الدولة ، ام انها كانت تقتصر على التدخل والتوجيه من بعيد ؟

الواقع ان كل القرائن تدل على ان السعديين ما كانوا يولون هذه المادة هذا الاهتمام الكبير لولا ما كانوا يجنونه في فوائد جمة بكيفية مباشرة ، كما ان هذه المشاريع الضخمة لا يستطيع القراء القيام بها نظرا لما تكلفه من مصاريف ونفقات .

1) فاول دليل يقابلنا لتأييد هذا الراي هو تسمية السواقي باسماء مخزنية ، من جملة ذلك الساقية المخزنية ، والساقيه المهدية . .

2) ما سبق ان ذكرناه من اعطاء محمد الشيخ امره ببناء سبعة معامل للسكر في تارودانت كلف كل واحد منها الدولة ما قدره 7500 مثقال ، وقد بحث « بيرتيي » عن مقابل لهذه القيمة بالفرنك فوجدها تساوي : 000 000 60 فرنك .

3) حرص محمد الشيخ في حربه للبرتغال على الحصول على ميناء اكادير وآسفي واحتفاؤه بهذا الفتح العظيم ، وبناؤه لحصن اكادير لضمان سلامة المصالح الاقتصادية . نعم لا ينكر احد انه كان هنالك حافز ديني يحدو السعديين في هذا الفتح ، ولكن ينبغي الا ننكر ايضا وجود المصالح الاقتصادية التي رافقته .

4) لقد كانت تجارة السكر خاضعة لمراقبة صارمة من طرف السعديين ، فقد كان هنالك ثلاثة انواع خاصة بالتصدير ، وكان السكر يصدر الى ملكة انجلترا في صناديق يسع كل منها 300 رطل ، كما كانت الدولة تحدد ثمنا للسكر . فقد اصدر السلطان

عمنا العباس...

للأستاذ محمد أحمد اشماعو

كان سكان دربنا من طبقات مختلفة ، ولكنها متقاربة في مستوى معيشتها . فارباب الاسر اغلبهم يحترفون حرفا يدوية متنوعة ، تستر ولا تغني ، مما جعل دربنا على العموم ينطبع بطابع الرضى والقناعة، مع تدبير امور المستقبل بشيء من الحزم الممزوج بالتخوف . وكان بعض الآباء والامهات يشعرون بعراقة اصولهم الحضرية فيحرصون حرصا شديدا على ان يكونوا حضريين عن جدارة . في البستهم واطعمتهم واشربتهم . وفي اسلوب حديثهم لما يتكلمون ويضربون الامثال . ولما يعلقون على مجريات الكلام سخرية وتنكيتا .. اما حفلات العقيقة والختان وعقد القران والاعراس . ومناسبات اعياد الفطر والاضحى وعاشوراء والمولد فتلك كلها فرص كانوا يستغلونها لاظهار شيء من البذخ والترفيه . ولو تطلب منهم ذلك ديونا وتقتيرا على النفوس فيما بعد .

مسألة الاصل الحضري أو الاصل البدوي لم تكن تهمنا نحن الصغار . فهؤلاء اصدقائي : عبد الوهاب الدادسي . والطاهر الغرباوي ، وميلود بن بوزكري ، ومولاي المكي الادريسي وانا .. كلنا نعيش في وئام ومودة في دربنا السعيد ، وتعتبر ام كل واحد منا بمثابة أم للآخرين ، وكذلك اخوانه واخواته ، أما الآباء فهم وحدهم الذين كانوا يتحفظون في هذا المجال ، ولولا هم لصار سكان الدرب أسرة واحدة .

صرامة الآباء وجهامتهم كان يمثلها على الخصوص (السيد الحاج عبد الرحيم) لكم كان ينتهرنا ، ويزمجر في وجوهنا ، ويبالغ فيمنع اختلاط ولده الوحيد بنا . لكن مما كان يشفي صدورنا ويبعث على ابتهاجنا أن اللصوص كانوا يترددون بين الحين والحين على منزله فيضحى واقفا بين ممثلي السلطة ، اثناء بحثهم ، وهو يرتجف من الخوف ، تعلوه صفرة ، ويهزه تأثر بالغ . لقد اكتشف ان البلاء يأتيه من (الخربة) المجاورة للمنزل والتي كانت مخصصة لتربية الدواجن ، وربط اكباش العيد ، وحفظ الاشياء الزائدة على احتياجات المنزل ... من هذه الخربة كانوا يتسورون عليه المنزل ويعيثون فيه سرقة ونهبا ، وبذلك يقلقون راحة هذا المتجبر علينا . وارتأى الوجيه بعد مشاورات ان يكتري الخربة لعمنا عباس ، فانضاف الى حينا عنصر جديد ، ترى كيف يكون ؟

ان حينا في الواقع حافل بالحركة ، تبتدىء فيه منذ الصباح الباكر ، فيتردد اولا (القرابون) يحملون قربهم العامرة بالماء على ظهورهم ، منبهين سكان البيوت الى بضاعتهم بدق اجراس نحاسية رنانة ، ويمر في نفس الوقت (حامل الازبال) ناقرا بعصاه على الابواب . وقلما تبقى بعد دقات الاجراس ونقرات العصي اية امراة نائمة في فراشها ، ولا يبقى سوى الغلمان من امثالنا الذين يودون البقاء في الفرش متدفئين متلذذين بمداعبات النوم ومستسلمين لاغراآت الشيطان عليه لعنة الله بالعناد . وعند الضحى يمر (الطراح) — رمز الولد الفاشل في الحياة عند امهاتنا وجداتنا — مروره الاول مناديا بنغمته يجتهد في أن تكون جميلة ،

لهذا التحول . وساورد فيما يلي اهم هذه الاسباب واجلاها وهي :

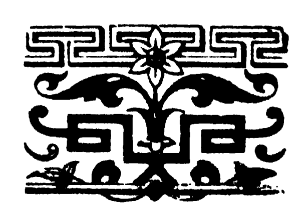
1) اسباب سياسية ، وتتمثل في فقدان المغرب لشخص احمد المنصور الذهبي ، الشخصية القوية الذي فرض هيبته وسلطانه على الجميع . وتنازع الاخوة فيما بينهم على السلطة بعد موته فانعدم الامن والاستقرار ، وهما الدعامتان الاساسيتان لكل نشاط اقتصادي وازدهار تجاري .

واخل الصناع والتجار بالقوانين التي كانت تحمي هذه الصناعة في الخارج ، فاختلط الجيد بالرديء ، وانعدمت الثقة في البضاعة المغربية .

2) اسباب اقتصادية ، وتتجلى في اكتشاف العالم الجديد ، واقبال الاوربيين على موارده الفلاحية المعدنية ، واعتمادهم على نظام الرق ، وقيام تجارة مزدهرة في هذا الميدان ، فتحول الزبناء عن بلادنا الى بلاد اخرى تتعدد فيها الامكانيات ويتصرفون فيها بكل حرية .

3) قد يضاف الى هذين السببين سبب ثالث يرجع الى ان قصب السكر كان يحتل احسن الاراضي واوفرها ماء ، ويتمتع بامكانيات السقي الوفيرة ، وبذلك يحرم السكان من غرس المزروعات التي يعتمدون عليها في عيشهم وعيش دوابهم ، مع العلم ان الفوائد التي تجنى من هذه الزراعة كانت تذهب الى اليهود والاجانب والى الدولة مباشرة دون ان يستفيد منها افراد الشعب . كما ان زراعة القصب تستنزف الارض وتذهب بخصوبتها ، وتتطلب عملا بشريا جبارا . وكان اعتماد السعديين في ازدهار هذا النشاط الاقتصادي على الاجانب والعبيد مما جعل الاهالي ينظرون الى هذه النبته نظرة كراهية واشمئزاز . ولذلك فان ازدهار هذه الصناعة كان مرهونا بقوة السلطة المركزية وبمقدار حمايتها .

الرباط : محمد احمد الرغاي



شيئا من رياحينه ووروده ، واذا ما أبطأ (الطراح عن حمل خبز الى الفرن فان عمنا يقوم بذلك عن طيب خاطر وبرقة متناهية متجاوزا عن تهربنا وكسلنا ...

لكم تمر الايام سريعة مع هؤلاء الناس الطيبين ، فالسنة معهم بحسبان شهر ، والشهر كالاسبوع ، والاسبوع كاليوم ، واليوم ما هو الا عبارة عن لحظات ... واسفاه !

لقد حزم العم عباس بعض أمتعته ، وخرج مسافرا الى حيث لا ندري ، كل ما قال لنا هو ان نعتني بقطته (ياسمينة) وأن نرمي لها قطعا من الخبز واللحم ان تيسر ، وأن نصب شيئا من الماء في حفرة حفرها !

حقا لقد اصبحنا في غربة في دربنا ، رغم ان القراب والزبال والطراح واليهودي ما زالوا يؤدون دورهم اليومي ، الاول بجرسه والثاني بعصاه والآخران بندائهما الملح .. خشيتنا كانت أن يعود غلمان (الطالعة) ولكنهم لم يفعلوا ، ومن اين لهم ان يعرفوا ان حامينا العزيز غائب عن الحي ..؟ أطال الله غفلتهم !

كنا نلعب ونمرح ، ثم نعود فنتذكر عمنا عباسا وشخصيته المهيبة ، الطيبة — في نفس الوقت — بيننا ، كنا ننتظر طلعة قامته النحيفة المديدة التي تملأنا بالاعجاب ، ووجهه الشاحب الصارم الخفيف اللحية ، وأيضا تلك الكف العريضة القوية التي لا تفتر عن حفر الارض ، وعن استنباتها ؟ وعن سقيها بمآت الدلاء دون كلل أو تهاون .

وبأحاسيس مؤلمة لاحظنا واحدا بعد آخر ان نباتات (عمنا عباس) أخذت في الذبول ، وأن الزهور والرياحين غدت باهتة الالوان مشوهة الاشكال ، حتى أمطار الخريف لم تبكر بالنزول لتنقذ هذا الروض المحتضر.. وماذا في استطاعتنا أن نعمل ؟

(عمنا عباس) كان قد رجع من سفره .. وبقي منعزلا عنا ؟ ذاعت هذه الاشاعة بيننا فكان من الضروري ان نتأكد منها .. وفعلا وجدنا أن العم عباسا قد عاد من سفره ؛ وانه أصبح لا يخرج الا بالليل بينما يقضي النهار بطوله داخل مسكنه ؟ ما السبب ؟ ما السبب يا ترى ؟ هل هو غاضب علينا ؟ أم هو مريض ؟ أم تراه جاء بحزمة من الجرائد والمجلات من بلاده البعيدة فهو ما زال منكبا على تصفحها ومطالعتها؟

يظهر أن هذا الاحتجاب الطويل لم يفد عمنا عباسا بشيء فاضطر الى الخروج من أجل كسب قوته بمعمل النسج ، وهناك سنحت لنا الفرصة نحن الغلمان الذين لم يبق معنا عمنا عباس على علاقته الودية لنبحث بوسائلنا الشيطانية عسى أن نكتشف السر .. وفعلا اكتشفناه . لقد تزوج عمنا عباس !

استمررنا في التطلع الى الداخل ، من خلال الشقوق ، بفضول شديد ، فاذا بزوجة عمنا عباس تطل من باب الحجرة متهيبة متوحشة ، ثم تنفر وتعود الى الاختفاء بالبيت . لكن القطة التي كانت سلوتها ومؤنستها كانت تفر منها الى الخارج فتوقعها في الحيرة : هل تلازم البيت أم تتبعها ؟ وأخيرا وبعد تردد طويل قررت ان تتبعها ، وهكذا رأينا زوجة (عمنا عباس) الصغيرة !

لقد كانت هذه الزوجة في مثل قامتي أنا ابن العشر سنين ، ولكنها نحيفة جدا بدرجة أن عمنا عباسا يمكن أن يشد على محزمها بسبابتيه وابهاميه بسهولة ، وهي بيضاء ناصعة البياض ، شقراء الشعر ، مستديرة الوجه ، واسعة الفم ، حمراء الانف ، موردة الخدين ، دقيقة العنق بارزة الحنجرة ، ضيقة الاكتاف طويلة الذراعين ، يشف جلدها عن عظام اصابعها وكفها ، أما الساعدان والذراعان فيسترهما اللباس الفضفاض الذي ارتدته من يوم عرسها على ما يظهر .. وتسمرت عيوننا على عينيها العجيبتين ، تينك العينين الزرقاوين المستديرين المشحونتين باليقظة والذكاء كعيني قردة ، نعم كعيني قردة تماما !

وسمعت المرأة الصغيرة بهمسنا من وراء شقوق الباب وبضحكاتنا المكتومة فاجفلت اجفالا كبيرا ثم توارت عن أعيننا لمدة أيام ... ولكن يظهر انها ملت من البقاء داخل البيت، ولذلك فضلت الخروج لتتجول في الحديقة المهجورة دائسة على الاعشاب الجافة والاغصان الميتة بـ (شيربيليها الجديدين باحثة عن زهرة أو ريحانة من الرياحين في انحاء هذه الحديقة المهملة ، التي لم تمسها يدا العم عباس منذ رجع من سفرته متزوجا !

ووصل بالعروس طوافها حول المكان الى الاقتراب من الباب ، وهنا كنا نتشاغل عنها بالحديث متجاهلين ، وتضع هي اذنها على الباب وتروح تتصنت الى كلامنا — الذي نجتهد في ان يكون لطيفا — والى حكاياتنا التي نسرد بكيفية تبعث على الضحك العميق، ثم نخنق الضحكات في أفواهنا خنقا شديدا لنستمع الى ضحكتها الرقيقة الجميلة . ثم نمعن في ابقائها بقربنا بتصوير ما يوجد في الحي من نساء ورجال وبذكر

مطالبا باخراج (وصلات) الخبز ليحملها الى الفرن . كما يمر اليهودي مناديا على حذاء بال ، أو تنينات فارغة ليشتريها من النساء بأثمان بخسة للغاية !

يا للحظ السعيد ، لقد وجدنا (عمنا عـــــلال) شخصية لطيفة ، بما حبانا به من البشاشة والمودة ، وبما ارانا من جوانب الحياة الجميلة ، وبما شملنا به من الحماية والرعاية !

اية حماية واية رعاية ؟

الم اذكر لكم ؟ .. لقد كان غلمان الحي المجـــاور وهو حي (الطالعة) يهاجموننا ، يصيحون فى وجوهنا بالصفير والزعيق ، ثم يشرعون فى رمي الاحجـــار ، احجار مدمية من مختلف الاحجام ، كنا ندافع ونراوغ لكن بعد أن تشج منا الرؤوس وتدمى الجباه فننقلـــب الى اهلينا جرحى متألمين ، فيضطرون الى تكميـــد جروحنا بالنار ، وبرماد الخرق المحروقة ، وبالزيـــت الحاميـــة .. كان هذا قبل ان يحل بنا عمنـــا عبـــاس ، فلما حل وقف فى وجوههم ذات مساء منذرا متوعدا ، وتحايل على متزعمهم فقبض عليه بشدة وعنف حتـــى ابكاه ، وكان كل ذلك كافيا لتوبتهم وكف اذايتهم عنا . قبلة حارة على كفك يا عم عباس !

عرفنا أن ساكن حينا الجديد يشتغل بالحياكة ، ولكنه يشتغل حسب مزاجه ، فهو يستيقظ باكرا ويذهب الى معمله الموجود بحومة (باب سبتة) ثم يعود عند الزوال ، ولا يرجع بعد ذلك الى المعمل ، لانه يخصص نصف النهار الاخير للاشتغال فى مسكنه ..

كنا نتتبع اعمال عمنا عباس من خلال شقوق الباب كان اول عمل قام به أن نظف الحجرة الوحيدة وجيرها ، فغدت كحمامة بيضاء وسط تلك الارض القاحلـــــة ، والارض القاحلة نفسها عمد اليها فنقاها من الحشائش والاعشاب الجافة ، حتى اذا تكونت لديه كومة عظيمة اوقد فيها النار ، وما تخلف من الرماد ذراه فى انحـــاء الحديقة ، وراح يقلب الارض يوما بعد يوم ، وقسمها احواضا متناسقة ، وبكامل الذوق والعناية والدقـــة شرع يبذر ويغرس ويسقي دون كلل ولا ملل .. وحول البيت الابيض صنع سورا من القصب المتعامد (المأموني).

وبقينا نتابع اعمال عمنا عباس من خلال شقوق الباب !

يا للروعة ، انه ما مضت اسابيع معدودة حتى نبتت فى انحاء المسكن نباتات متعددة ، واطلت من بينها ازهار لطيفة الاشكال ساحرة الالوان ، وامست تفوح كل عشية هبات من عبير تلك الازهار .

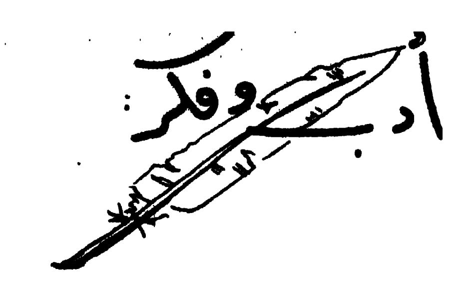
ومن شدة حرص عمنا عباس على جنينته كنت لا تلاحظ اي أثر للازبال أو الحصى أو الفضلات ، ذلك لانه يتتبعها تتبعا لا تهاون فيه ، ومتى تجمع له شيء رماه فى حفرة عميقة يغطيها بعد الاستعمال ، انه بذلك يهيأ السماد الجيد لما يستقبل من الايام .. ولم تقهـــره مشكلة السقي رغم انه يتحمل من أجلها مجهودا منهكا، ما أشد تحمله وصبره ! ان حمل الماء من (السقاية) البعيدة عن المسكن بنحو أربعمائة خطوة من خطواته الواسعة لشيء منهك حقا ، خصوصا وان اليد اليمنى تكون مثقلة بسطل ضخم واليد اليسرى محملة بمـــا يشبه الابريق الكبير من معدن الزنك ..

سامحنا الله !

لقد كان عمنا عباس يأتمننا على مسكنـــه خـــلال تردده على السقاية ، فلربما كان المفتاح الحديـــدي الثقيل الذي لا يدور فى القفل الصدىء الا بصعوبـــــة يتطلب منه مجهودا آخر ولذلك استعان بنا لنحرس له المسكن فترة تغيبه ، ولكن الفضول دفعنا الى معرفة ما فى الداخل فكنا نتسلل واحدا واحدا الى المسكـــن لنرى الحديقة اللطيفة عن قـــرب ، ولنمتـــع البصـــر بأزهارها الخلابة ...

دخلت بدوري ، وسرت متفسحا بين الاحواض المزدهرة ، واستظللت لحظات تحت السقيفة الوارفـــة الظل ، ثم انسللت بعد ذلك الى الحجرة التي يقطنها عمي عباس، وهي حقا حجرة لطيفة نظيفة نظافة تامة، على اليمين منها لحاف بسيط فوقه مخدة وغطاء صوفي متين ، اللحاف والغطاء لا يكفي الا لشخص واحـــد ، واحد فقط . وعلى مقربة من الفراش كانت اعـــــداد مبعثرة من مجلة (اللطائف المصورة) واعداد مـــــن جريدة (المغرب) . ان عمي عباسا قارىء فهو لا يعيش وحده وانما مع الاخبار والصور .. مددت يدي لاتمعن بعض الصور أما عناوين الجرائد فكانت عندي طلاسم يصعب حلها . وعجلت الخروج وانا القي نظرة علـــى الصينية والغلاي النحاسيين اللامعين ، وعلى المجمر الطيني الذي يستعمله الرجل بعناية فلكأنه لم يمـــس مطلقا . خرجت وقطة العم عباس متمددة فى الشمس لا يعنيها من الامر شيء ...

صار وجود عمنا عباس بيننا أمرا عاديا ، فنحـــن نحييه بأدب ، وهو من جهته يبش فى وجوهنا ، وينهانا اذا ما لاحظ منا مخالفة ، ويمنحنا بين الحين والحـــين



تأملات فلسفية على نتائج العلم :

المشكلة الأخلاقية لعمليات ابدال القلب واعادة الحياة

للأستاذ : مبارك ربيع

بدأنا نعتاد الحديث عن عمليات القلب ، بعد ان زالت الدهشة الاولى والاستغراب . واذا كانت هذه العمليات ، من الوجهة العلمية الخالصة يجب الا تتميز عن غيرها من عمليات ابدال الاعضاء الاخر ، فانها من الناحية الانسانية تستدعي وقفات ، وتثير تأملات . حقا ان عملية ابدال القلب لم تصبح حقيقة علميـــة متداولة ، لان نسبة النجاح فيها ضئيلة جدا ، وبعض الجراحين يردون ذلك النجاح الى مجرد الصدفة ، وذلك لانهم يرون ان البشرية ممثلــة فى علمائهـا ، لا تزال بعيدة عن ان تحيط بأسرار الجسم الحي ، ومن هنا تنجم بعض الصعوبات فى ميدان جراحــة القلـب اهمها على الاطلاق ، وحسب ما اعلنه العلماء : تلـك الخاصية التي يتميز بها الجسم الحي وهي رخصة لكل ما هو غريب عنه ، ولو تم التغلب على هذه الصعوبـة لتيسرت عملية ابدال القلب ، لان جراحة القلب ضاربة فى التقدم بالنسبة الى غيرها من العمليات الجراحية المعقـــدة .

ولكننا قد نتجاهل هذه الصعوبات البيولوجية التي من شأن الاطباء والعلماء وحدهم ان يتحدثـــوا عنها . وننتقل الى مجال التأمل النظري . وهنا نلمس مشاكل سيكولوجية واجتماعية واخلاقية تنجم عــن عمليات ابدال القلب وعمليات ابدال الاعضاء عموما . ومن هذه المشاكل : التعريف الطبي والقانوني للموت الاكلينيكي . وعلاقة الروح بالجسد . ومركز الحياة الانفعالية والعقلية فى الانسان . وتحديد الشخصية وابعاد الشخص الحقيقية .. الخ . هذه بعض المشاكل التي يثيرها اتجاه العلم نحو ابدال الاعضاء البشرية ، وكل واحدة منها تجر وراءها نتائج غاية فى الخطـورة والاهمية. وقد كتب كثير من المفكرين فى هذا الموضوع.

بيد ان كتابة Jean Rostand لها اهميتها خاصة وانه حاول ان يتتبع النتائج الاخلاقية لهذه العمليات فى بداية انتشارها بالاضافة الى مكانته العلمية كعضو فى الاكاديمية الفرنسية ، وقد نشر مقاله هذا فى نهاية سنة 1967 (1) . ونبه فى اول مقاله الى « ان عـــدة مئات من الخلائق توجد فى العالم ، وهي لا تستطيع ان تحيا ، تحمل فى هياكلها كليات من كائن غريب عنها . » والواقع ان عمليات ابدال الكلية كثرت ، واصبحـت بفضل تقدم البيولوجيا عمليات عادية . وقد اهتـم العلماء بهذه الاعداد من الناس التي تحمل أعضاء غير اصيلة ، وبداوا فى وضع اسماء خاصة بها ، تميزها عن سائر الناس العاديين ، اسماء مركبة تركيبا علميـــا كتلك التي توضع للعقاقير الجديدة ، او الكائنـــات الغريبة . لكن العملية التي هـزت العالم هي عمليــة ابدال القلب . ويعلق جان روستان على العملية التي قام الدكتور « برنار » بقوله : « بالتأكيد ، فان المرحلة لا تزال بعيدة عن ان تتم ، اذ لا نستطيع ان نؤكد بأن

1) «Les Nouvelles Littéraires», du 21 décembre 1967.

اخبارهم واسرارهم ، وايضا بتقديم عرض عن اسواق المدينة وحوانيتها ومتاجرها الكبرى التي يباع فيها كل ما تشتهيه الانفس وتلتذ به الاعين .. لقد كانت احاديثنا الوصفية تلهب خيالها وتولد فيه ثورة .. وبهذا الفت الاخت عشرتنا ومتابعة احاديثنا ، حتى انها بمجرد خروج عمنا عباس في الصباح كانت تبادر وتأخذ جلد الخروف الصوفي ، وتحتل مكانها خلف الباب ، منتظرة متشوقة في صمت ، صمت غريب من صبية مثلها ، مع اننا نحن قرناءها لا نكاد نكف عن الكلام !

واصطنعنا حيلة لنشركها في الحديث ذلك اننا كنا نطرح احاجي معروفة ومتداولة ثم نظهر وكاننا نجهل الحل ونروح في صمت عميق مصطنع الى ان ياتينا الجواب من وراء الباب ممتعا ، من الذ ما يكون الامتاع، وهناك نهتز من الفرح مصفقين مشيدين بذكاء ابنة (الجبل) اختنا زوجة عمنا عباس ، ويظهر ان التنويه عمل عمله في نفس الفتاة ، فراحت تحكي لنا بصوتها الهامس حكايات الجبل ، وكان يعجبنا في هذه الحكايات غموضها ، وغرابة لهجة حكايتها ، والصراحة الخطيرة في بعض مواقفها .. الا ما اجرأ الجبليات !

وذات ضحى ونحن منسجمون مع حكاية رفيقتنا، لا يهمنا من يمر بنا من زبالين او طراحين او يهود اذا بنا نفاجأ بعمنا عباس واقفا عند رؤوسنا، يخرج كل واحد من حلمه اللذيذ بركلة قاسية موجعة، وما كفاه ذلك بل اتبعنا بعبارات من السب المقذع ، وهددنا فوق ذلك انه سيسلط علينا صناديد (حي الطالعة المعتدين . وما مرت فترة حتى سمعنا — ويا للهول — العروس الصغيرة تصيح وتستغيث من ضربات زوجها العتي . لقد ظل الحي وامسى في حالة من الكآبة المريرة . وبات كل واحد منا يفكر في العلاقة التي سنصير عليها مع العم علال ! اننا في الواقع كنا نرتعب — قلوبا واجسادا — من تصور عمنا علال وقد صار عدوا لدودا لنا !

واصبح الصباح في اليوم التالي واذا الخبر المفاجىء يشيع بيننا . ان العم عباس قد ارتحل ، ارتحل الى جهة مجهولة ، وترك باب الخربة مفتوحا على مصراعيه . وقبل أن يستيقظ جارنا الوجيه الكسلان تسللنا الى الخربة رحنا نتجول في المسكن المهجور آسفين تكاد الحسرات تذيب قلوبنا الصغيرة، ربما على عمنا عباس حامي الحي ، وربما على زوجته الصغيرة الطيبة التي اسرت قلوبنا الفتية بأنسها ولطفها . ربنا كن في عونها واسعدها من بعدنا ، والهمنا يا ربنا نحن صبرك الجميل وسلوانك ..

شيء من السلوان وجدناه في حزم الجرائد والمجلات التي تركها عمنا عباس من ورائه . تركنا الجرائد واخذنا المجلات نتصفح الصور بامعان شديد ، مغالبين في نفس الوقت زفراتنا العميقة المتصاعدة .

الرباط — محمد احمد اشماعو

العلاقة بين الروح والبدن بمناسبة عمليات ابـدال القلب او مشكلة التنفس والجسم. لقد ذهب الفلاسفة مذاهب شتى بهذا الصدد ، بل نقطة تفرقهم هي هذه بالـذات .

فما علاقة الجسم بالنفس ؟ وهل هما قابلان للاتصال أم غير منفصلين ؟ الواقع ان نجاح عمليات ابدال الاعضاء عامة تجعلنا نميل الى الاعتقاد بأن الكائن البشري كائن روحي وان « الاعضاء انما تكون بدنيا جزءا منا ولكنها ليست نحن انفسنا » . ان هذا الراي يميل الكثير من الناس الى اعتناقه ، ومنهم كبار رجال القانون ، الذين تمسهم المشكلة مباشرة عند تطبيق النصوص التشريعية ، وعند صياغتها ، فلا مندوحة لهم عن اعتبار الاعضاء البدنية مجرد « أشياء » ، تنضاف الى الشخصية من خارج ، تماما بالمشكل الذي تنضاف به الينا الاشياء التي نستعملها فى لبسنا من حذاء ونظارة او معطف ... والواقع ان هذه الروحانية الحديثة وحتى فى صدورها رجال القانون ، تتشكل بنفس الثوب التقليدي للنزعات الروحانية الفلسفية الاصيلة . والتعريفات التي تحاول تقديمها للشخص باعتبارها كائنا روحيا لا تخلو من الغموض المألوف فى النزعات المتافزيقية . وقد اورد جان روسطان تعريف « الشخص » كما يراه انصار هذا الاتجاه فاذا هو : « ليس روحا ، او نفسا ، او كيانا متافزيقيا ؛ بل هو حقيقة مادية ، جعلت من مادة نقصر عن معرفتها » .

ان كل المشكلة التي تضعها الروحانية هي في تصور مادة من هذا النوع الذي لا ندركه . فكيف نحكم بأن ما لا نعرفه هو مادة . وما مفهوم المادة اذن ؟ .

هكذا نجد اننا قطعنا شوطا يصل بنا الى القرن الاخر ، حيث نواجه النظرية المعارضة للروحانيين والتي يلخصها جان روسطان بموقفه هو بالذات بقوله:

« اتراني بحاجة الى أن أقول بأن الامر بالنسبة لي ، انا الذي لست رجل قانون ولا فيلسوفا ثنائيا ، بكل بساطة هو ان بدننا ــ بكليتيه وقلبه ودماغه الخ ــ هو الذي يكون شخصنا الحقيقي ؟ » وحسب هذه الوجهة من النظر فان الشخص يصبح قابلا للتجزئة . وللقانون بعد ذلك ان يسوي المشاكل بالنظر الى الحقيقة البيولوجية . ويؤكد جان روسطان موقفه فى نهاية مقاله وكأنه يجهز على آخر محاولة روحانية بقوله : « ان البيولوجيا وهي تتعمق فى الواقع المجسد الشخص من جديد وبدون توقف ، ما تنفك تعيق اولئك الذين يريدون ان ينقذوا التجريدات المتولدة عن عقلنا » .

بالطبع ليس هناك ما يلزم الزاما نهائيا احد الطرفين بموقف الاخر . فالمسألة مسألة اقتناع بل مسألة اطمئنان شخصي قد يعجز العلم عن حلها الى الابد ، ما دام منهج الروح ليس هو منهج المادة . لكنها تستمر مشاكل مباشرة فى حياة الانسان المعاصر الذي هو موضوع عمليات ابدال القلب او الدماغ ، وعليه ان يتخذوا موقفا منها . لانه مهدد بالاقبال عليها والمشاركة فيها كل يوم .

على ان عمليات ابدال القلب ليست وحدها التي تثير هذه المشاكل ، بل هناك فى الميدان البيولوجي والفزيولوجي دائما ما يثيرها . واعني بذلك جهود العلماء فى علم جديد يهتم ببعث الاجساد والانتصار على الموت . افليست عمليات ابدال الاعضاء تهدف الى الاحتفاظ بالحياة أطول مدة ممكنة ؟

اذن فلنتأمل بعض ما كتب حول هذه المجهودات، ولنأخذ المثال فى هذه المرة من عالم آخر ، من الاتحاد السوفييتي .

* * *

« علم اعادة الحياة » وما يترتب عليه من مشاكل:

لا جدال فى ان العلم فى خدمة الانسان ، وانه الطريق الوحيد لتحقيق سيادة الانسان على الطبيعة ، كما اراد ديكارت ، ولا جدال ايضا فى ان العلم ، يواجه مشاكل مستعصية ، فى ميادين الفلك والطب والاختراع ... الا ان التطور والتقدم المتلازمين ، في الوسائل التي يستخدمها العلم ، تبعث على الاعتقاد بأن كثيرا من تلك المشاكل ستجد حلها الاخير عن طريق العلم . ولكن هل ثمة مجالات يمكن ان تبقى خارج سلطة العلم ؟ اي انها « بطبيعتها » غير قابلة للسيطرة العلمية ؟ ولنأخذ مشكلة الموت كمثال . فما زالت هذه الظاهرة ، بغض النظر عن الرؤية الوجدانية لدى الافراد ، مبعث تساؤل حق . وهنا نود أن نلقي نظرة على احدث ما يقوله العلم بهذا الصدد . ونشير الى ان فرعا من الدراسات الفزيولوجية ، اصبح قائما بذاته ، تحت اسم « La réanimatologie » يهتم بالحالات التي يموت عليها الانسان ، والطرق التي يمكن بها انقاذه من الموت . ونشاهد ذلك حولنا ، على

الشخص الذي يحمل القلب البديل ، سيقبل العضو الجديد بصفة نهائية . » وهذه احدى المشكلات الاساسية التي تتردد فى الاوساط العلمية . وهي لا تزال بعيدة عن ان تؤدي بنا الى المشاكل الاخلاقية ، فهي علمية صرفة . ونلاحظ بصددها . ان المدة اللازمة لتعطي صورة نهائية عن قبول العضو الجديد لم تقدر بعد . وهل تقدر بالشهور ام بالسنوات ام بالعقود من السنين ؟ .

ان القلب فى الكائن البشري عضو مقدس وقد اسهم الادب فى اضفاء هذه الصفة على القلب بنصيب كبير . فالشعراء تفننوا بالقلوب ، وجعلوا الناس يتخيلون انهم ــ كشعراء ــ يصدرون فى هذه القلوب . بل ان الدراسات السيكولوجية الكلاسيكية اعتمدت بدورها على دور القلب كمجمع للحياة الوجدانية « او ليس القلب مستودع الحساسية ، والانفعالية ؟ ! » .

من هذا الدور الذي نسب الى القلب تنهض احدى المشكلات الاساسية من مشاكل الشخصية البشرية ، « اليس لنا ان نفترض باننا عندما نبدل قلب شخص ، بقلب شخص آخر فان نفسانية الشخص تتغير او ان مزاجه يتغير على الاقل ، وطبعه ، ودرجة حركته ؟ » ان لهذا التساؤل ما يبرره . ذلك ان بعض الاعضاء فى البدن ، تأكد ان ازالتها تؤثر تأثيرا مباشرا فى الشخصية البشرية فى كل مقوماتها ، مثال ذلك الدماغ ، فهذا العضو لا يمكن الاستغناء عنه او ابداله دون المس بالشخص ككل . وهنا يورد جان روستان كلمة لبول شوشار Paul Chauchard يقول فيها : « اذا استطعنا ان نفصل الدماغ عن البدن ، فمن المؤكد ان الشخصية تتبع الدماغ ولا تتبع البدن . ذلك ان الدماغ وهو العضو الذي يحصل به الاكتمال والتشخص ، يحفظ فى بنياته الذكريات التي هي أساس الانا » .

بالطبع ان هذا الراي الذي يورده جان روستان على لسان شوشار يعتمد على نظرية مادية تربط الحياة النفسية بالحياة الفزيولوجية . وقد ازهرت هذه النظريات على يد تشريحات « بروكا » وتحليلات « ريبو » وذلك ، فيما يتعلق باتصال الذكريات وعملية التذكر كلها بالدماغ خاصة . وبالرغم من النقد العنيف الذي وجه الى هذه النظريات الفزيولوجية ، فان التقدم المادي الذي يخطو بالانسان خطوات متتابعة متلاحقة ، وتقدم التقنية ، لا يجعل للانسان منصرفا عن هذا الراي . ومهما يكن فان الصعوبات التي تقف فى وجه عملية ابدال القلب ليست تقنية على الاطلاق . لان هذه المشكلات يمكن دائما التغلب عليها ، بل المشكلة الاساسية من الناحية العلمية هي مشكلة بيولوجية . اي مشكلة طبيعية ، ناجمة عن خصائص نسيج الكائن البشري ، ولكن اذا امكن فى يوم من الايام ان يتغلب العلماء حتى على الصعوبات البيولوجية ، فان الصعوبات الاخلاقية تستمر موضوعة للبحث وتثير الكثير من الاسئلة .

ان الصعوبات الاخلاقية تبدأ من كون عملية ابدال القلب تمس طرفين : الشخص الذي ينزع قلبه. وهذا يجب ان يكون مات موتا اكلينكيا ، أي لم يبق له اي حظ فى استرجاع حياته . والطرف الثاني هو الشخص الذي يركب له القلب الجديد . وهذا الموقف يتطلب كما يثبت ذلك جان روسطان اتخاذ قرارين فى مستوى واحد من اليقين الذي لا يخامره اي شك « ونعلم الى اي حد يصعب اتخاذ مثل ذلك اليقين . فى الميدان الطبي . فالموت الاكلينكي « Mort clinique » يعتمد مفهومه طبيا على « الخمود الكهربي » « Silence électrique » للدماغ . ولكن هل يستطيع العلماء ان يحددوا هذا الموت بدقة . دون خالجة من وسواس ؟ ! هذا السؤال بالضبط هو الذي يوجهه جان روسطان الى الجراح الدكتور برنار . « او لا يحتمل فى كثير من الظروف ، ان وصف الموت الاكلينكي يؤخذ بكثير من التسرع ؟ » هذا جوهر المشكلة الاخلاقية ، فالجراح سيتسرع غالبا لانجاز عمليته ، لان ظروف المريض المنتظر للقلب الجديد تدفعه ، كما يدفعه طموح العالم ودوافع أخرى ... فيقرر ان حالة الموت الاكلينكي قد تم وتحقق . كيما يتم له نزع القلب وهو فى حالة النبض ! .

ان الاخلاقي لا بد أن يتخوف وأن يتردد .. » هذا الاحتمال الذي قد يجعل انقاذ حياة فرد يقع على حساب آخر امام الاغراء المادي والمعنوي . والاخلاقي لا يزعم دائما أن العالم مدفوع باغراء فحسب ، بل انه ليأخذ بعين الاعتبار ان العالم قد يقاوم كل اغراء . لكن الصعوبات الاخلاقية لا تمحى . انها كامنة فى هذه السلطة المطلقة التي تجعل العالم فى برهة معينة يحكم بأن هذا المريض يعد فى حكم الميت بينما لا تزال بقية من حياة فى القلب . اليس فى هذه السلطة ما يرعب الضمير ؟ .

وتظهر المشكلة الفلسفية الكبرى التي هي أهم مشاكل المتافزيقا قديما وحديثا ، عندما تثار قضية

« يعسل » الدم : فتفرغ البلازما من جسم الانسان ، بينما تطلق مادة دموية (erythrocytes) مغسولة بمحلول فزيولوجي ، في الدورة الدموية » .

وينتهي البرفسور نيكوفسكي ، الى ان الهدف صعب ، وهو يدعو الى تضافر الجهود ، واقتسام المسؤوليات بين الاطباء والجراحين والفزيولوجيين.. لتحقيق ذلك الهدف .

وبالرغم من ان الكلمة الاخيرة هي للمختصين وحدهم ، وان كل استباق لاستخلاص النتائج النهائية، في موضوع كهذا ، ينطوي على كثير من الغفلة ؛ لكن بما اننا اموات بطبيعتنا ، فان الموضوع يدعونا الى ان نحلل معطيات العلم ، في ضوء امكانياتنا الراهنة . وهنا نلاحظ ان عملية استفراغ الكائن من البلازما ، لاستخلاص العناصر السامة ، يجب أن تتم في الفترة الزمنية ، التي تفصل بين الموت الاكلينكي والموت الفزيولوجي ، اي دقائق معدودات ، وهذا لا يقدر صعوبته الا المختصون . فلنفرض ان العملية نجحت وامكن انقاذ الشخص ، فهل يكتسب المناعة التامة ضد تعرضه لمثل تلك الحالة من جديد ؟ ليس هناك ما يثير بالايجاب . ومعنى ذلك ان جهود العلم في هذا الصدد تنحصر في الانتصار على الموت الاكلينكي ، اذا تحقق هذا الانتصار ؛ وهذا يقارن بانتصاره في حالات الاصابات البالغة الخطورة ، والتي ينجو منها المصاب بأعاجيب العلم . وهنا نشير ، الى ما جاء في جواب لاحد الخبراء ، (في التجمع السنوي ، لجامعات دول البحر الابيض المتوسط يوليوز 1966 والمنعقد بجامعة اكس — ان — بروفانس بفرنسا) عن سؤال يتعلق بنفس الموضوع : اي هل ثمة امل في انتصار العلم على الموت ؟ فكان الجواب :

ان انتصارات العلم ، في هذا المجال ، وحتى ما يمكن ان ينتظر من انتصارات مقبلة ، في ضوء المعطيات الحالية للعلم ، انما يتم في حالات الموت المفاجيء ، الناتج عن اصابات او صدمات تؤدي بالمرء في الحال . فتدخل العلم هنا ، اذا تم على احسن وجه ، قد يؤدي، الى الخروج من حالة الموت الى حالة الحياة . أما الموت فمعناه العميق ، كتلاش تدريجي للوظائف الحيوية ، فليس ما يدعو الى التفكير في الانتصار عليه، وهو يبدو كنهاية اصيلة للجسم الحي .

ما نظن صاحب هذا الراي متشائما ولكن في ضوء المعطيات الراهنة ربما كان الانسان اميل الى اعتبار عملية الموت الفزيولوجي اي الموت النهائي ، لآخر وظيفة يؤديها الكائن الحي ، كما يؤدي اية وظيفة حيوية اخرى .

الرباط : م. ربيع



مستوى مبسط ، في الطرق التي يقوم ، رجال الانقاذ ، في حالات الغرق او صعقة التيار الكهربائي . وقد طلعت « اخبار موسكو » بتاريخ 28 يناير 1967 بمقال كتبه البرفسور فلاديمير نكوفسكي V. Negovski مدير المخبر الفزيولوجي المختص بهذا الموضوع ، والذي يدير هذا المخبر ، منذ تأسيسه منذ اكثر من عشرين سنة .

جاء في تقديم المقال « منذ خمسة وعشرين عاما، نجح ثلة من العلماء الروس ينتسبون الى هذا المخبر ، في اعادة الحياة ، الى جندي جريح ، هو ف. تشيرباتوف ، الذي لا يزال على قيد الحياة . وتلا ذلك انقاذ العديد ، بفضل الطرق التي توصل اليها المخبر الذي يديره البرفسور نكوفسكي منذ تأسيسه » ويلاحظ هذا العالم ، ان كثيرا من المفاهيم التي كانت تتعلق بالموت ، قد طرا عليها تغير اساسي. فلم يعد توقف القلب ، ولا لفظ آخر نفس ، يعني الموت النهائي بالضرورة . وقد اصبحت كثير من المؤسسات اليوم ، تهتم بطرق اعادة الحياة (La réanimation) وتقول الاحصائيات ، ان المصالح المختصة بذلك قد تلقت في السنوات الاربع الاخيرة ، حوالي ثلاثة آلاف مصاب ، امكن انقاذ اكثر من 40 ٪ منهم . والواقع ان النظر في طرق استرجاع الحياة ، هو اقدم مما ذكر في بداية هذا الحديث ، وربما يرجع بالضبط الى سنة 1901 عندما نشر عالم فزيولوجي ، هو بخميتيف P. Bakhmetiev كتابا بعنوان : « ما يجب عمله للحياة الى القرن الحادي والعشرين » وقد اهتم هذا العالم بدراسة حالات عجيبة ، تثير الدهشة ، وهي حالات l'anabiose التي تستعاد فيها الحياة ، بالرغم من تحقق بعض الظواهر ، التي توقف الوظائف الحيوية كانخفاض الحرارة مثلا ، على نحو يبدو وكان الموت قد تحقق بالفعل . وقد اجرى العالم المذكور بعض التجارب على الخفافيش ، تتخلص في تخفيض درجات الحرارة ، الى مستويات ، لا تتحملها تلك الكائنات في المادة وحيث يفرض ان العمليات الحيوية ، قد توقفت نتيجة انخفاض الحرارة ؛ ثم بعد ذلك ، عاد العالم الى تسخينها تدريجيا الى المستوى العادي ، لاستعادة حياتها . فهل يمكن في ضوء المعطيات الحالية للعلم ، ان يعمم ذلك ، ويطبق على الانسان خاصة ؟ ، ان النجاح الذي احرزته تجارب من هذا النوع ، في مستوى الحيوان ، لا تزال ابعد ما تكون عن النجاح في مستوى الانسان ، ففي تجارب كتخفيض الحرارة ، الى الحد الذي تتوقف معه الوظائف الحيوية ، لا يزال من المتعذر اخراج الكائن البشري من حالة التجمد الكلي الى حالة الكائن الحي . فعجز الطب المعاصر هو في اعادة تشكيل الوظائف الحيوية بعد توقفها النهائي . الا ان هذا ليس بكاف مطلقا لاغلاق باب الامل ، وما زال باستطاعة الطب الحالي ، بناء على التجارب ، ان يقول : « ... القلب قد توقف ، وانقطع التنفس ، ولم يعد المرء حيا ؛ الا انه لم يمت بعد » .

الامل اذن ، قائم في هذا الفارق ، بين توقف العمليات الحيوية الكبرى كنبض القلب ، والتنفس ، وهو ما يعبر عنه بالموت الاكلينكي ، وبين الموت الفزيولوجي ، الذي يعني توقف جميع الوظائف الحيوية ؛ وهو الموت النهائي ، الذي يعقب الموت الاكلينكي بدقائق خمس او ست . فمن مصلحة الطب اذن ان يطول الفارق الزمني بين الموتين ، حتى تتاح له فرصة التدخل ، قصد تمديدها ، وربما توصل الى انقاذ الانسان . ويقول البرفسور نكوفسكي بأن هذا الفارق الزمني ، بين الموت الاكلينكي ، والموت الفزيولوجي ، قد امكن تمديده الى ثلاثين دقيقة بالنسبة للقرود ، والى ساعة او ساعتين احيانا بالنسبة للكلاب. لكن اهم مشكل يواجه القائمين بهذه التجارب، هو الاحتفاظ بحيوية الكائن المتعضي ، بعد انتشاله من براثن الموت : « وقد اظهرت التجارب ان احياء المتعضي ، اسهل بكثير من الاحتفاظ له ، بجميع وظائفه الحيوية » . فاستعادة الحياة في مثل هذه الاحوال ، انما هو بارقة امل ، تشرق فيها الحياة ، بفضل الطرق الخاصة المتبعة ، لمدة دقائق ، ثم تخبو لصعوبة الاحتفاظ بها ، نظرا الى ان الحياة ، ولو تعدت هذه الدقائق ، انما تستمر في اغلب الاحيان ، تحت تلك الطرق ذاتها ، وليست تلك بالحياة التي يسعى وراءها العلم . أما حالات معروفة ، كتلك التي تنجم عن صعق التيار الكهربائي لشخص او بعض ارتجاجات في العروق الدموية بالقلب ، فان آلة خاصة، تتدخل لاعادة تنظيم العمليات الحيوية .

يبقى سؤال هام : ما الذي يحدث في حالة الموت الاكلينيكي ، وكيف يتم الانتقال منه الى الموت الفزيولوجي ؟ او لنقل في اي شيء تتركز جهود العلم ، للخروج بالمرء من حالة الموت الاكلينكي ، الى استعادة الحياة ؟ ، يقول البرفسور نكوفسكي : « ان العلماء توصلوا الى ان عناصر سامة تتجمع في البلازما الدموية وتمنع اعادة الحياة ، ولاستخلاص هذه العناصر

رائعة من الرقص الكلاسيكي ، كما عزف جوق المعهد مقطوعات نالت الاعجاب .

* اقام سفير المغرب فى تونس حفلة سلم خلالها السيد السفير لوفد عن مدينة القيروان ثلاثة أعمدة من حجر المرمر التي اهداها جلالة الملك لمسجد عقبة ابن نافع أثناء زيارة جلالته لهذه المدينة .

* نظمت فى جميع الاقاليم المغربية حفلات تخلد ذكرى عيد ميلاد صاحب الجلالة الملك المعظم .

* وفد على المغرب مجموعة من الشباب الكندي فى زيارة دراسية وسياحية نظمتها وزارة الشبيبة والرياضة ، وتدخل هذه الزيارة فى نطاق تبادل وفود الشباب بين المغرب والاقطار الصديقة .

* منحت جامعة مدريد الدكتور طه حسين درجة الدكتوراه الفخرية تقديرا للدور الكبير الذي لعبه فى النهضة الادبية العربية الحديثة .

* اقام نادي القصة ورابطة القلم الجديد بتونس حفلة تكريم على شرف الاديب الليبي القاص عبد الله القويري بمناسبة صدور مجموعته القصصية «الزيت والتمر » ، كما اقيمت حفلة تكريم للاستاذ محمد العروسي المطوي بمناسبة صدور قصته الجديدة « التوت المر » .

* صدرت لحسن نصر من تونس مجموعة قصصية باسم « ليالي المطر» ، وهي الحلقة الاولى من السلسلة القصصية التي شرعت فى اصدارها الدار التونسية للنشر باشراف « نادي القصة » .

* صدر عن الدار التونسية للنشر العدد السابع من مجلة « قصص » التي تصدر عن كل ثلاثة اشهر .

* صدر فى تونس عن مطبعة « المنار » كتاب « جيش التوشيح » للسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 776 هـ . وهو اوسع مجموعة من الموشحات الاندلسية عرفت حتى اليوم تضم 165 موشحا جلها غير معروف سابقا . وقد حققه وقدم له وترجم لوشاحيه البحاثة العراقي هلال ناجي . واعد أصلا من اصليه الشيخ محمد ماضور الاندلسي .

* سيبدأ العمل فى انشاء المدينة الجامعية الليبية فى اوائل هذا الشهر .

* يجري الدكتور سهيل ادريس ، رئيس تحرير مجلة « الآداب » اللبنانية اتصالا مع الكتاب اللبنانيين لانشاء « اتحاد الكتاب اللبنانيين » .

* يصدر فى هذه الايام عن دار « الآداب » ببيروت كتاب « تشريح جثة الاستعمار » للكاتب الفرنسي دوبشير ، الذي قام بترجمته ادوار خراط .

* وسيصدر كذلك عن نفس الدار كتاب «ريجس دوبري » بعنوان : « دفاعا عن الثورة » ، قام بترجمته الى العربية الاستاذ نزيه الحكيم .

* نعت لبنان الشاعر المعروف الاستاذ بولس غانم عن 85 سنة .

* اصدرت الباحثة مهى المقدم كتابا عن المشكلات الاجتماعية وتفكك الاسرة وانحراف الاحداث . والكتاب صدر عن مركز تدريب العاملين مع الاطفال في بيروت .

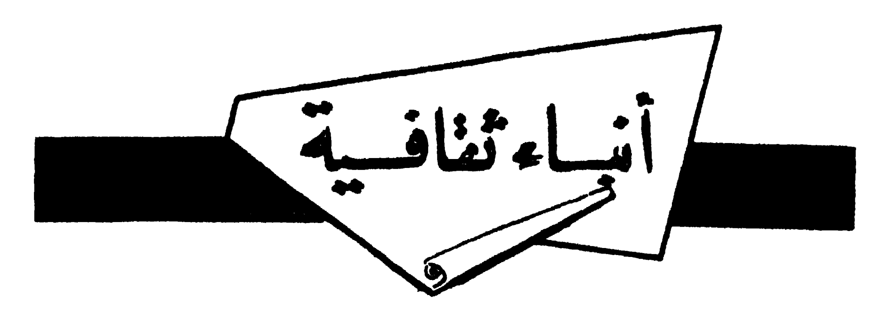
* اصدر الاستاذ باسيل دقاق من لبنان كتابا بعنوان : « الباب الذهبي » يشتمل على انطباعاته عن الرحلات التي قام بها الى عدد من بلدان آسيا .

* « الحية فى حياتنا وتراثنا » عنوان الكتاب الذي صدر للاستاذ عبد القادر عياش ، عضو لجنة الفنون الشعبية بسوريا .

* دعت ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي فى سوريا الى مسابقة بين الكتاب المسرحيين في جميع الاقطار العربية لانتقاء مسرحيات جديدة لصالح المسرح العسكري .

* اصدر الشاعر السوري الياس طعمة مجموعة شعرية بعنوان : « رؤيا فى الطريق » .

* صدر فى بغداد كتاب « تاريخ واسط » وهو من تأليف اسلم بن سهل الرزاز الواسطي المعروف ببحشل المتوفى سنة 292 هـ . وقد قام بتحقيقه الاستاذ كوركيس عواد ، كما اصدر نفس المحقق كتاب



* تصدر قريبا عن مطبعة الرسالة بالرباط ، مجموعة قصصية للاستاذ الحاج احمد بناني .

* زار المغرب فى الايام الاخيرة وفد يتكون من ثلاثين طالبا من المدرسة الوطنية للفلاحة بتولوز . وتدخل هذه الزيارة فى نطاق التبادل الدولي بين الشباب . وقد اعرب الوفد عن اعجابه بعمارة المدن ، وبالاخص مدينة فاس .

* دشن الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس معرض مدارس محمد الخامس بالرباط . وقد حضر حفلة الافتتاح عدد كبير من رجال الفكر والادب الى جانب طلاب المدرسة واساتذتها .

* يعكف السيد هاشم المهدي الشريف من ليبيا على تحرير رسالة جامعة من مجلة « البحث العلمي » الذي يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط.

* اقامت جمعية الشباب الفلاحي بالمغرب مهرجانا كبيرا بفندق هيتلون برعاية سمو الامير مولاي عبد الله .

* زار المغرب مؤخرا الصحفي المصري الاستاذ رضا ممدوح مدير ورئيس تحرير جريدة «الجمهورية» القاهرية . وقد قام خلال زيارته للمغرب بجولات في كبريات المدن المغربية .

* كما زار المغرب وفد من الصحفيات الليبيات يضم السيدة خديجة الجاهمي ، والسيدة فاطمة اكرازة ، والانسة سعاد فتح الله .

* صدر العدد الخامس عشر من مجلة «الوحدة» التي تصدرها وزارة شؤون موريطانيا والصحراء المغربية . وقد جاء هذا العدد حافلا بالموضوعات والابحاث حول صحرائنا وتاريخها .

* اصدرت وزارة الشبيبة والرياضة كتابا بعنوان : « من تراث المغرب » يتضمن مجموعة من المحاضرات التي القيت خلال الموسم الثقافي فى جميع انحاء المغرب .

* بمناسبة مرور 35 سنة على تأسيس ثانوية « النهضة » بسلا ، اقامت الثانوية مهرجانا حافلا تخليدا لهذه الذكرى .

* اقام الشاعر الفنان كمال الزبدي معرضا للوحاته بقاعة فندق « افقريت » بشاطيء الصخيرات. كان له صدى طيب فى نفوس الزائرين .

* عين صاحب الجلالة الملك المعظم ، ثلاثة وزراء للتعليم: الاستاذ حددو الشيكر للتعليم الابتدائي، والاستاذ قاسم الزهيري للتعليم الثانوي ، والاستاذ عبد اللطيف الفيلالي للتعليم العالي .

* نظمت وزارة الشبيبة والرياضة رحلة الى فرنسا ابتداء من 4 يوليو الى فاتح غشت من هذه السنة للراغبين من الشباب فى القيام بهذه الرحلة .

* تراست صاحبة السمو الاميرة للا امينة حفلة توزيع الجوائز على تلامذة مؤسسة الاميرة للا امينة بالدار البيضاء .

* اقامت مديرية المعهد الوطني للموسيقى ، والرقص ، والفنون الجميلة ، مهرجانا فنيا بمسرح محمد الخامس بالرباط ، بمناسبة انتهاء السنة الدراسية . وفى هذا الحفل قدم تلاميذ المعهد نماذج

* اصدرت السيدة شرقية الراوي كتاب « الاوديسة العربية » يشتمل على منتخبات شعرية للشاعر المرحوم عدنان الراوي .

* الاستاذ عبد الرحمن علي عضو رابطة الادب الحديث فى القاهرة ، صدر له كتاب عن « شوقي وامارة الشعر » .

وقد سبق للمؤلف ان اصدر اربعة كتب عن الشاعر المرحوم « الكاظمي » .

* « نداء القمم » أول ديوان شعر يصدره د. يوسف خليف استاذ الادب العربي فى آداب جامعة القاهرة . الديوان فى 300 صفحة تتضمن مقدمة عن اتجاهات شعرنا المعاصر مع موقف الديوان من هذه الاتجاهات .

* كتاب جديد للفريق عبد الرحمن أمين عن سيد الشهداء الامام الحسين رضى الله عنه باللغات العربية والانجليزية والفرنسية ، سيقدم للسياح والزائرين لمسجد الامام الحسن .

* ابحر عميد الادب العربي د. طه حسين الى ايطاليا فى رحلته السنوية (4 اشهر) تصحبه قرينته .

* صدرت الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة ومعدلة من كتاب (الغفران) لابي العلاء المعري للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) .

* سيصدر قريبا من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق المطبوعات التالية :

1 ـ تراجم الاعيان من ابناء الزمان للبوريني (المجلد الثاني) تحقيق الدكتور صلاح المنجد .

2 ـ ترويح القلوب فى ذكر ملوك بني ايوب الزبيدي تحقيق الدكتور صلاح المنجد .

3 ـ غريب الحديث لابن قتيبة (الجزء الاول) تحقيق الانسة ملك هنانو .

4 ـ التلخيص فى معرفة اسماء الاشياء لابي هلال العسكري تحقيق الدكتور عزة حسن .

5 ـ التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الاصفهاني تحقيق الدكتور اسعد طلس (صدر) .

6 ـ الدلائل فى غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي تحقيق المرحوم عز الدين التنوخي .

7 ـ خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني (قسم بلاد العجم) و (ملحق شعراء الشام) تحقيق الدكتور شكري فيصل .

* ترجم فؤاد كامل رواية « الامل » للكاتب الفرنسي اندريه مالرو . وهي عن الحرب الاهلية في اسبانيا . وقد ترجم فؤاد كامل قبل ذلك لنفس المؤلف رواية « قدر الانسان » . والترجمة دقيقة امينة .

* حافظ ابراهيم ، شاعر النيل تقرر اعادة طبع ديوانه فى مشروع المكتبة العربية الذي يشرف عليه ، المجلس الاعلى للفنون والاداب .

* المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب قرر ان يصدر كتابا دوريا كل شهرين عن الشعر والقصة ، سيخصص جزء كبير من الكتاب لانتاج الناشئين .

* معهد البحوث والدراسات العربية ، قرر اصدار مجلة وسوف يكون من الموضوعات الهامة في عددها الاول ، البحث الذي القاه محمد خلف الله احمد مدير المعهد فى المؤتمر الدولي السابع والثلاثين للمستشرقين فى امريكا فى اغسطس الماضي ، والبحث عن دور الفصحى ومستقبلها فى حياة العالم العربي .

* يصدر قريبا للاستاذ خالد محمد خالد كتاب بعنوان : (الحسين ومعركة كربلا) .

* تصدر قريبا للاستاذ محمد عبد الله عنان دراسة وافية عن الوزير لسان الدين ابن الخطيب . وقد ناقش فيها جميع آثاره المخطوطة والمطبوعة .

* جاء من تونس انه سيقام فى كل مركز ولاية (لواء) مهرجان لعلم من اعلام الفكر التونسي . وخصصت دار الثقافة فى العاصمة تونس الاسبوع الاخير من الشهر الماضي للاديب والناقد ابى الحسن ابن رشيق ، فعرضت مؤلفاته مع المؤلفات التي تحدثت عنه . وختم الاسبوع الاستاذ عثمان الكعاك مدير دار الكتب الوطنية بمحاضرة عن ابن رشيق فتحدث عن مولده ثم عن ادبه ثم عن نقدهواخيرا تحدث عن مؤلفاته الذي لم يكن كتاب (العمدة) هو مؤلفه الوحيد بل له تآليف عدة هي (1) قراضة الذهب ، (2) نموذج الزمان فى شعر القيروان ، (3) الروضة الموشية فى شعراء المهدية ، (4) قراضة الذهب فى نقد اشعار العرب ،

« رسالة فى الاحجار الكريمة » وهو من تأليف ابا فنيوس المتوفى سنة 402 ميلادية .

* أقيم فى طنطا احتفال كبير ، تخليدا لذكرى مرور ثلاثين سنة ، على وفاة الكاتب الكبير مصطفى صادق الرافعي . بعثت لجنة الاحتفال الى مجلس الفنون والآداب بالقاهرة تطالب باعادة طبع ونشر كتب الرافعي . وقد اقامت اللجنة المذكورة تمثالا نصفيا للرافعي فى مدخل دار الكتب بالمدينة ، واطلق اسمه على احد شوارعها الكبرى واحدى مدارسها الثانوية.

* احدثت وفاة الاديب المصري الكبير احمد حسن الزيات حزنا عميقا فى جميع الاوساط الثقافية فى البلدان العربية ، وغير العربية . رحم الله الفقيد الكبير ، فقد كان رائدا من رواد الادب الذي قامت على يدها النهضة الفكرية العربية الحديثة . والاستاذ المرحوم احمد حسن الزيات توفى عن 83 عاما ، قضى الجزء الاكبر منها فى خدمة الادب العربي بمؤلفاته الى 15 فى النقد والادب وعن طريق مجلة « الرسالة » التي ظلت تصدر 20 عاما . وقد كرمته الدولة فأهدته عام 1962 جائزتها التقديرية فى الادب مع ميدالية ذهبية . وكان عضوا فى المجلس الاعلى للفنون وفى المجمع اللغوي.

* مؤلفات الاديب الكبير احمد حسن الزيات يعاد طبعها الان . فقد نشر « عالم الكتب » طبعة جديدة من هذه الكتب منها . دفاع عن البلاغة ، مع مقدمة للدكتورة نعمات فؤاد .. و « آلام فرتر » للشاعر الالماني جيته مترجمة عن الفرنسية . وكان الزيات قد ترجمها منذ 48 سنة .. و « رفائيل » للشاعر الفرنسي لامرتين ، وهي مترجمة من 32 سنة !

* أصدرت دار « عالم الكتب » بالقاهرة ، طبعة جديدة لبعض كتب المرحوم احمد حسن الزيات .

* ازيح الستار فى مدخل الجامعة الامريكية بالقاهرة عن لوحة تذكارية تحمل اسم الدكتور امير بقطر عميد جماعة التربية المصرية الذي توفي منذ عامين . وقد عمل الفقيد اربعين سنة فى الجامعة المذكورة ، وانشأ مجلة « التربية » ، وهو العربي الوحيد الذي منحته جامعة كولومبيا وسامها الذهبي الممنوح الى عشرة اشخاص فقطفى العالم منذ افتتاحها من 150 سنة .

* «المملكة العربية السعودية وتطورها الاقتصادي» عنوان الكتاب الذي صدر للاستاذ الفيصل عبد الرحمن السويري فى المملكة العربية السعودية .

* اكتشفت دائرة الآثار الاردنية عن مقبرة نبطية بالقرب من ذات الراس جنوبي الكرك ، وهي تضم 7 قبور منحوتة فى الصخر على عمق 5 امتار من سطح الاردن ، وظهرت بداخلها كتابة نبطية نقشت على حجر وقطعة نقد ذهبية باسم الامبراطور طيباريوس وقوارير فخارية واسرجة .

وتعود هذه المقبرة الى القرن الاول للميلاد .

* « صور من البطولة »عنوان الكتاب الذي صدر للاديب الاردني سليمان موسى ، استعرض فيه بعض الابطال المسلمين .

* فازت الشاعرة نازك الملائكة فى المباراة التي نظمتها وزارة الثقافة والاعلام بالعراق لاختيار نشيد وطني فى موضوع كفاح الامة العربية .

* منع مجلس الطباعة والنشر فى جنوب افريقيا كتاب « القوة السوداء » الذي الفه الزنجي الامريكي ستوكلي كارمايكل ، ودعا فيه الى نضال السود ضد البيض فى جميع انحاء العالم .

* اكتشف علماء الآثار كنزا من الذهب والحجارة الكريمة بمدينة بايتزا بالمكسيك ، يعود الى الف سنة مضت وتقدر قيمة هذا الكنز بملايين من الجنيهات الاسترلينية .

* اصدر الشاعر اللبناني الكبير بولس سلامة كتابا بعنوان « من شرفتي » يعد رائعة من روائع الادب العربي الحديث .

* اصدرت وزارة الثقافة والارشاد فى العراق ضمن سلسلة الكتب الحديثة كتابها الثاني والعشرين بعنوان « مع الكتب وعليها » وهو من تأليف الاستاذ عبد الوهاب الامين .

* « مسجد جامع البصرة الكبير » عنوان لكتاب صدر للشيخ عبد القادر باش اعيان العباسي .

* « بيت الذكريات » رواية جديدة صدرت حديثا للاستاذ حازم مراد .

* صدر للدكتور محمد فاضل الجمالي كتاب بعنوان : (آفاق التربية الحديثة فى البلاد النامية) طبع الدار التونسية فى 210 ص ، وبه ملحقان احدهما عن مستقبل التربية والتعليم فى العراق ، والاخر عن صلاح اللغة العربية للتدريس الجامعي .

* صدر عن مكتبة الانجلو فى القاهرة كتاب جديد بعنوان : (صفحات من حياتهم) تأليف الاستاذ محمد نصر ، يتناول فيه بالدراسة احمد شوقي ، احمد كمال زكي ، امين يوسف غراب ، انيس منصور، توفيق الحكيم ، ثروت اباظة ، حاذبية صدقي ، الشيخ حسن مأمون ، حسين مؤنس ، طه حسين ، عاتكة الخزرجي ، عباس العقاد ، غادة السمان ، محمود تيمور ، مراد كامل ، نازك الملائكة ، نجيب محفوظ ، وغيرهم من الاديبات والادباء ، والكاتب يكشف الستار لاول مرة عن حقيقة علاقة العقاد بالفتاة التي انتحرت يوم وفاته .

* « الطبيعة فى الشعر العربي الحديث » عنوان الرسالة التي سيناقشها بكلية دار العلوم الدكاترة عبد القادر القط وعمر الدستوقي واحمد هيكل .. وقد أعد الرسالة الاستاذ محمد صادق الكاشف خريج الكلية .

* صدرت الطبعة الثانية من الجزء الاول من « تاريخ الطبري » ومن تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم .

* كتاب جديد للدكتور مصطفى الشكعة في دراسة الادب العربي شعرا ونثرا وخطابة بعنوان « الادب ـ موكب الحضارة الاسلامية » فى 870 صفحة .. وقد حرص الدكتور الشكعة على ان يلتقط خيطا حضاريا بارزا فى الحضارة الاسلامية ، وسار به وراءه فى كل مجالات الادب العربي ، واستطاع ان يمس الكثير من جوانبه بوضوح وبساطة .

* « القيم الاسلامية للفكر الاسلامي والثقافة العربية » هو اسم الكتاب الجديد الذي يقوم انور الجندي فى القاهرة باعداده فى موسوعته الجديدة « معالم الفكر المعاصر » باعتبارها استكمالا لموسوعة « معالم الادب العربي المعاصر » . ويصدر فى موسوعة الفكر خلال الشهر الجاري « الاسلام وحركة التاريخ».

* حصل الدكتور محمد محمود حجازي على الدكتوراه مع مرتبه الشرف الاولى من كلية اصول الدين بجامعة الازهر ، وكان موضوع الرسالة عن « الوحدة الموضوعية فى القرءان الكريم » وللدكتور حجازي مؤلف من ثلاثين جزءا عن التفسير الواضح القرءان بطريقة سهلة تفيد الشباب المثقف ثقافة مدنية .

* محاولة فى تفسير العداوة .. اسم الكتاب الذي ظهر فى السوق من تاليف الدكتور سيد عويس ، وهو يتضمن دراسة عامة للسلوك الانساني وتفسير بالعداوة تفسيرا علميا يهدف الى العلاج وتنمية الشعور بالمحبة .

* صدر المجلد الثاني من كتاب (الحجة على اهل المدينة) للامام محمد بن الحسن الشيباني تحقيق مهدي حسن الكيلاني بأشراف ابو الوفاء الافغاني (حيدر آباد ـ الدكن سنة 968) وثمنه ثلاثة دنانير .

* ذكر الاستاذ صالح جودت المحرر بمجلة (المصور) ان دار الشاعر الكبير احمد شوقي المعروفة بـ (كرمة ابن هاني) القائمة على شاطىء النيل بالجيزة ستؤجر او تباع قريبا ، وهو يستصرخ ضمائر المسؤولين بعدم الاقدام على التفريط فى هذه الدار التي آوت اعظم شاعر فى تاريخ الادب العربي الحديث بل تحويلها الى متحف .

* كما ذكر الاستاذ صالح جودت ان دار الشاعر اللبناني الكبير بشارة الخوري قد هدمتها الحكومة اللبنانية فاضطر للسكنى فى شقة متواضعة فى الطابق الرابع فى حي (الدورة) ...

* افتتح فى اكرا مؤخرا مؤتمر حول تنمية الكتاب فى افريقيا ، وشارك فى هذا المؤتمر الذي عقد تحت اشراف منظمة اليونسكو اربعون خبيرا افريقيا وملاحظون عن عدد كبير من الدول من بينها المغرب والعراق والولايات المتحدة ودول اوربية اخرى .

وعقبت وكالة الانباء الغانية على اشغال هذا المؤتمر فلاحظت ان هذه أول مرة يعقد فيها مؤتمر من هذا النوع لدراسة مسائل مختلفة تتعلق بميدان الكتاب ودوره فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتأليف الكتب عن افريقيا .

(5) المساوىء فى السرقات الشعرية ، (6) ميزان العمل فى التاريخ ، (7) رفع الاشكال ودفع المحال .

* طلب اتحاد الجاليات الاسرائيلية فى سويسرا من محكمة لوزان أن تقضي بمصادرة كتاب فى 700 صفحة صدر فى سويسرا بعنوان : « الماضي والحاضر والمسألة اليهودية » من تأليف الدكتور جيمس البرت ماتيز الذي اثبت ببراهين دامغة ان الاسرائيليين عنصريون شأنهم فى ذلك شأن النازيين .

* الممثل عبد الوارث عسر ، يكتب الان مذكراته الفنية خلال 50 عاما قضاها مشتغلا بالفن .

* استعاد الممثل الكبير حسن فايق صحته بعد ان عاش 3 سنوات بعيدا عن الاضواء على اثر اصابته بشلل نصفي .. سيشترك لاول مرة فى مسرحية « 30 يوما فى السجن » التي يقدمها مسرح الريحاني خلال موسم الصيف .

* انتخب المجمع العلمي المصري الدكتور حسين فوزي رئيسا بعد استقالة الدكتور كامل حسين . كما انتخب الدكاترة : محمد رضا مدور نائبا للرئيس ومحمود حافظ امينا عاما ومحمد مصطفى امينا للصندوق والاب جورج قنواتي امينا عاما مساعدا والاب هنري عيروط عضوا منتسبا وميشيل فرح عضوا مراسلا .

* يوم 10 مايو صادف مرور 31 عاما على وفاة الاديب مصطفى صادق الرافعي .. وقد احتفلت مدينة طنطا بأديبها الكبير فى هذا اليوم . اما « اذاعة الشعب » فستمضي فى تقليدها الجديد فى الاحتفال بذكرى الادباء الكبار ، كما فعلت فى ذكرى العقاد .

* جمعية الادباء بالقاهرة ستصدر مجلة باسم (الكلمة الجديدة) .

* رات فرنسا ان تعيد عرض 80 فيلما من اشهر افلامها الطويلة على الجماهير العربية بعد ان تطبع عليها الترجمة العربية .

من بين الافلام التي ستعرضها فرنسا البؤساء « فيكتور هوجو » ، زواج فيجارو « بومارشيه » ، اللاعب والابلة « ديستويفسكي » . كذلك الافلام التي انتجتها فرنسا عن الاحتلال الالماني : الافلام الاستعراضية الفنائية التي فازت بجوائز فى مهرجانات عالميــة .

* صدر فى الاتحاد السوفييتي كتاب جديد عن المفكر المصري رفاعة الطهطاوي بقلم الكاتبة السوفياتية نريما كخاروفا المتخصصة فى الدراسات الشرقية . قالت الكاتبة فى تقديمها لشخصية رفاعة الطهطاوي : « ان الرجل الذي كرس جانبا كبيرا من حياته للدعوة التقارب بين الشرق والغرب فى جو يسوده الفهم المتبادل .. يستحق ان نخلد ذكراه فى اذهان مختلف الشعوب » .. والجدير بالذكر ان الكاتبة السوفياتية من جمهورية آسيا الوسطى السوفياتية ، وقد زارت الجمهورية العربية المتحدة فى الفترة الاخيرة ، زارت ايضا قرية طهطا التي ولد فيها رفاعة الطهطاوي ، واجتمعت بأهله وبعدد كبير من الادباء والكتاب .

* جرى فى قاعة الاجتماعات بجامعة بغداد احتفال بمنح شهادة الدكتوراه الفخرية فى الفلسفة من جامعة ماتين اوثر فى ــ هالابتنبرك ــ بالمانيا الديمقراطية للدكتور عبد العزيز الدوري رئيس جامعة بغداد ، حضره أعضاء مجلس جامعة بغداد وكبار موظفي الجامعة وعمداء الكتاب .

* قدم الدكتور شوقي ضيف بدعوة من جامعة بغداد ، والقى محاضرة فى كلية الشريعة عن تطور الشعر العربي الحديث . وكان حضرته موضع احتفاء وتقدير جميع الاوساط الثقافية .

* سيتم قريبا تأسيس مؤسسة عامة للترجمة تخلف مؤسسة فرانكلين تتولى ترجمة مختلف جوانب التراث العالمي فى مجالات الثقافة والفن والعلوم للقراء العراقيين .

* قررت وزارة الثقافة بالقاهرة شراء مكتبة عباس محمود العقاد وضمها الى دار الكتب بحيث تكون وحدة مستقلة كفرع من فروع الدار . وتضم المكتبة اكثر من 8 الاف كتاب فى مختلف العلوم والفنون باللغتين العربية والانجليزية بالاضافة الى مجموعة نادرة من المراجع العلمية الهامة .

وهو كتاب المعاملات والحياة اليومية لليهود منذ انهدم عليهم الهيكل سنة 70 ميلادية حتى اليوم . وكتاب « التلمود » مليء بالتفاصيل والعبارات النابية والقصص الشاذة . ولذلك سوف تختار لجنة متخصصة أهم ما جاء في التلمود واكثرها دلالة على الروح الشريرة المتعصبة المجرمة التي يتسم بها اليهود في العصور .

واكثر مشروعات « المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية » طموحا هو اصدر « موسوعة جمال عبد الناصر في الفقه الاسلامي » . وسوف تصدر هذه الموسوعة في 55 مجلدا. وقد صدر منها ثلاثة اجراء هذه الموسوعة مثل كل دوائر المعارف المتخصصة تضم كل ما يحتاج اليه الباحثون .. والموسوعة بهذا المضمون وبهذا الشكل قد جاءت على نسق دوائر المعارف العالمية ذات الموضوع الواحد .. وربما اختلفت عنها في شيء هام وهي انه في نهاية كل مجلد قد اضافت معجما بأسماء الاعلام مع الشرح والتعليق ..

ولا شك ان هذا العمل العظيم الذي يقوم به صفوة من العلماء العرب يستحق التقدير ..

* « من عيون الشعر » كتاب صدر في العراق لمؤلفه الاستاذ محمد ناجي القسطني

* اصدرت وزارة الاوقاف العراقية مجلة بعنوان « الرسالة الاسلامية » .

* « شعر المقاومة في فلسطين المحتلة » كتاب بالانجليزية صدر عن وزارة الثقافة والارشاد العراقية يتضمن ترجمة لقصائد عدد من الشعراء الفلسيطنيين.

* انتهى الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني ، والدكتور مصطفى جواد من العراق ، من تحقيق كتاب « رسائل في اللغة » ويشتمل على ثلاث رسائل في اللغة ، الاولى « في تمام فصيح الكلام » لاحمد بن زكريا ابن فارس من علماء القرن الرابع . والثانية « الحدود في النحو » . والثالثة « منازل الحروف » وهما من تأليف علي بن عيسى الرماني من علماء القرن الرابع الهجري المتوفى سنة 376 .

* اصدر الاستاذ عبد الجبار داود البصري كتابه الرابع تحت عنوان « شيء من التراث »

* « مهاجر بريسبان » اسم مسرحية للشاعر اللبناني جورج شحادة ، ستعرض في القاهرة .

* سيصدر للشاعر السوداني أحمد سيد الحردلو ديوانا عن دار الكتاب العربي في القاهرة .

* تشكلت لجنة ادبية مؤلفةمن الادباء السودانيين وهم : الدكتور عبد الله الطيب ، والاستاذ محمد الامين حامد ، والاستاذ جبلي عبد الرحمان ، مهمتها اختيار الكتب الجديدة ونشرها باسم وزارة الثقافة والارشاد السوداني . وقد اختارت اللجنة من الان مجموعة قصص وخمسة دواوين تنشرها على التوالي بحيث يصدر كتاب : كل شهر .

* الشاعر السوداني مهدى المجذوب يصدر له في هذه الايام ديوان جديد هو باكورة انتاجه ، رغم انه شاعر ذائع الصيت .

* المؤلف اللغوي جورجي سليم ابى اسبر ، اصدر كتابا عنوانه « مجموعة الحروف العربية وظروفها » ، وهو دراسة هامة جدا ، لكل من يهتم باللغة وفقهها .

* ستصدر في لندن في هذه الايام ترجمة انجليزية لرسالة حول « الرماية بالسهام » كتبت بالعربية قبل 500 سنة .

* « المراة العراقية المعاصرة » اسم لكتاب صدر للاستاذ عبد الرحمان سليمان الدرنبدي .

* صدرت الطبعة الجديدة المزيدة من الجزء السابع من كتاب « تاريخ الوزارات العراقية » وهو من تأليف الاستاذ عبد الرزاق الحسني .

* اصدر مكتب الشرق كتابا تحت عنوان : « ما هو البحث وكيف تكتبه » من تأليف الاستاذ ميخائيل مروكي .

* « تحفة اولي الالباب في صناعة الخط والكتاب» و « شرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب » هذان الكتابان صدرا مؤخرا بتونس .

* « شعر خفاف بن ندمة السلمي » ـ الشاعر المخضرم ، جمع شعره وحققه الدكتور نوري حمودى القيسي . وصدر هذا الكتاب في العراق .

وقد صرح المدير العام المساعد لمنظمة اليونسكو الذي يشارك فى هذا المؤتمر ان افريقيا تعاني أزمة في ميدان انتاج الكتب ، واوضح ان انتاج الكتب فى القارة الافريقية لا يتعدى حاليا 6 كتب فى السنة لكل مليون شخص ، فى حين تنتج أوربا 2918 كتابا لكل مليون شخص .

* نشرت جمهورية المانيا الديمقراطية اول ترجمة المانية للقرءان الكريم ، وتقوم بنشره « يونيفرسال بيبليوتيك » اقدم دار نشر صحيفة فى العالم يعود تاريخها لمائة عام خلت . اما الطبعة الواسعة نسبيا والبالغة 20 الف نسخة فستؤمن توزيعا واسعا بسعر منخفض قدره حوالي 3 ماركات .

* « امرؤ القيس .. امير شعراء الجاهلية » احدث دراسة عن اقدم شاعر صدرت عن دار المعارف للدكتور الطاهر مكي مدرس الادب العربي بكلية دار العلوم . الكتاب يناقش أهم القضايا اللغوية والادبية فى العصر الجاهلي .

* قررت نقابة المهندسين اعادة طبع خريطة الادريسي المشهورة التي كان المجمع العلمي العراقي قد قام بطبعها قبل اكثر من عشر سنوات بتحقيق محمد بهجت الاثري والدكتور سوسة . والطبعة الجديدة ستكون بتحقيق الدكتور صالح احمد العلي والدكتور ابراهيم شوكت .

* سيصدر المجلد الثاني من كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) للعماد الاصفهاني الكاتب (قسم شعراء المغرب) تحقيق محمد المزروقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى .

* ستصدر قريبا عن الدار التونسية للنشر المطبوعات التالية :

— الواضح فى مشكل المتنبي للصاجي ، تحقيق محمد الطاهر ابن عاشور .

— طبقات علماء افريقية وتونس ، لابي العرب ، تحقيق الدكتور علي الشابي والدكتور نعيم حسن اليافي .

— الفارسية فى اخبار الدولة الحفصية لابن قنبقد تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي .

— « معجز احمد » لابي الطيب المتنبي تحقيق محمد الفاضل ابن عاشور ومحمد الحبيب ابن الخوجة

— الحلل السندسية للوزير السراج ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة .

— الادب الفارسي فى العصر الغزنوي للدكتور علي الشابي .

— اضواء على الاثار الاسلامية لمحمد الشابي .

— دور القيروان فى المغرب الاسلامي لمحمد العروسي المطوي .

— دراسة عن الادب التونسي لمحمد الحليوي .

— وثائق تونسية (النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

* استطاع المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في القاهرةان ينشر فى فترة وجيزة مئات الكتب الاسلامية القيمة وجعلها فى متناول جميع الباحثين .

والكتب الكثيرة التي اصدرها المجلس كلها عن التاريخ الاسلامي والعلوم القرءانية والحديث وتحقيق الاحاديث واختيارها وشرحها والمذاهب الدينية والفرق الدينية ايضا ، بل ان المجلس قد نشر كتابا قيما هو كتاب الخطابة للفيلسوف اليوناني ارسطو .

ومما يدل على تنوع الكتب والمجلات التي يرتادها المجلس انه نشر كتبا مثل : «محمد .. وبنو اسرائيل» للدكتور مصطفى كمال وصفي .. وكتابا عن « اليهود والجريمة » للواء عبد المنصف محمود .. غير هذين الكتابين ايضا عن العلاقة بين اليهود والتآمر على الاسلام والمسلمين ..

ومن الكتب الجليلة التي اصدرها المجلس اخيرا كتاب (المنتخب فى تفسير القرءان الكريم) فى أكثر من 930 صفحة من الورق الكبير . وفى هذا الكتاب نجد اسهل التفسيرات لكلام الله ، وبذلك يصبح فهم القرءان الكريم فى متناول المتخصص وغير المتخصص.

كما ان المجلس عكف على القيام بعمل ضخم شاق هو انتخاب 600 صفحة من كتاب « التلمود »

* « المرأة العربية والروح النضالية » كراسة من 32 صفحة صدر في بيروت لثريا ملحس . طبع منه 1500 نسخة ، وقدم ريعه الى الفدائيين واصدقاء القدس .

* اقامت الرابطة الادبية الشمالية في طرابلس حفلة تذكارية كبرى لفقيد الادب رئيف خوري برعاية محافظ الشمال الشيخ قاسم العماد ، وقد تكلم فيها : الشيخ قاسم العماد ، رياض طه ، الدكتور شكري فيصل ، بلند الحيدري ، يوسف يونس ، «ابو سلمى» عبد الكريم الكرمي ، يوسف السباعي ، المهندس حسيب غالب . وقد كان عريف الحفلة عبد الهادي شلق .

* صدرت في بيروت مجلة شهرية موسوعية باسم « بروق ورعود » صاحبها ايليا حجار ، ومديرها المسؤول محيي الدين الميداني .

* يصدر خلال هذا الشهر عن منشورات عويدات ببيروت « معجم الادب المعاصر » تأليف بيار دي بواديفر ترجمة بهيج شعبان . ويقع الكتاب في نحو 700 صفحة حجم كبير . ويجدر التنويه الى ان المؤلف قد كتب مقدمة للطبعة العربية . بموجب الاتفاق الذي عقد بين الناشر العربي والناشر الفرنسي .

* « خبانا الصواريخ في الهياكل » ديوان جديد لثريا ملحس صدر في بيروت . ويقع في 548 صفحة حجم كبير وهو يمثل عند الشاعرة المرحلة الثانية . وقد قدمت اربعمائة نسخة من الكتاب الى الفدائيين وثمن النسخة عشر ليرات لبنانية .

* صدر في منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت : « ديوان الجواهري » الجزآن الاول والثاني في مجلد واحد يقع في 645 صفحة مع تجليد فني أنيق . و « المصطلح في الادب الغربي » تاليف الدكتور ناصر الحاني . و « دراسات في الشعر العربي الحديث » تاليف امطانيوس ميخائيل . ويقع في 300 صفحة . و « وجهان عاريان » قصة طويلة تأليف باسم سرحان ، ونقع في 270 صفحة .

* توفي الدكتور سيف الدين الكيلاني الاستاذ في جامعة الرباط . وكان قبل ذلك سفيرا للاردن في المغرب ، كما سبق وتولى المناصب الوزارية . وكان مربيا فاضلا واديبا وشاعرا مجيدا . وقد نقل جثمانه الى عمان حيث وري التراب .

* وافقت الحكومة الاردنية على استضافة الاديبة المصرية جاذبية صدقي لدى زيارتها القريبة للاردن للاطلاع على اوضاع النازحين .

* القاضي والاديب الاردني اللامع مصطفى درويش الدباغ توفي في القاهرة على اثر جراحة اجريت لـه .

* صرحت دائرة الاثار الاردنية انه تم اكتشاف قبر اثري في جبل التاج بعمان يرجع الى العصر البرونزي القديم 2500 – 1600 ق. م. كما عثر على قبر اثري آخر في بلدة سحاب على بعد 12 كم في الجنوب الشرقي من عمان ، وظهر فيه آثار لها اهميتها في تاريخ الحضارة في الاردن خلال المدة 1400 – 600 ق. م.

* افتتحت الاميرة منى الحسين معرضا للرسم الكلاسيكي في المعهد الفرنسي بعمان . ضم المعرض 46 لوحة زيتية تصور البيئة الاردنية من رسم الاخوين جان وجورج كابلنيان .

* يزور الولايات المتحدة الدكتور محمود السمرة وكيل كلية الاداب في الجامعة الاردنية لحضور مؤتمر « الدراسات الانسانية » الذي تقيمه جامعة هارفرد ، وسيلقي بحثا عنوانه « الحياة الفكرية المعاصرة في الشرق العربي » ولقد دعى 20 استاذا من اشهر جامعات العالم لحضور هذا المؤتمر .

* اصدر وزير المعارف السعودي الشيخ حسين آل الشيخ قرارا بافتتاح اربع مدارس متوسطة حديثة في كل من الرياض والمدينة المنورة والهفوف .

* صرح وزير العمل والشؤون الاجتماعية السعودي الشيخ عبد الرحمن ابا الخيل ان مجلس الوزراء وافق على ارسال 25 شخصا ممن يعملون بمركز التدريب المهني الى المانيا الغربية للتدريب على مهنة الطباعة بموجب منحة من حكومة المانيا الغربية.

* صدر حديثا الجزء الاول من كتاب « مسألة العروج فى الكتابات الصوفية » . الف هذا الكتاب باللغة الانجليزية الدكتور قاسم السمرائي ، وصدر فى العراق .

* انتهى المستشرق السوفييتي بينر غرياز نيفتيس من تصوير نصوص كتب تاريخية قديمة ذات محتوى ديني تعود الى السبايين والحمريين كتبت فيما بين القرن الخامس الميلادي ، والقرن السادس ، تمهيدا لنشرها فى الاتحاد السوفياتي .

* صدر بالعراق حديثا ديوان « الشاب الظريف » لشمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان التلمساني الملقب بالشاب الظريف ، وقد قام بتحقيقه ، وتفسير الفاظه الاستاذ شاكر هادي شكر .

* اصدر الدكتور حسام محي الدين الالوسي كتابا مهما بعنوان « حوار بين الفلاسفة والمتكلمين ».

* احتفلت الصحافة اللبنانية بالذكرى السابعة لمبايعة الاخطل الصغير بشارة الخوري بامارة الشعر . والاخطل من مؤسسي الصحافة اللبنانية يوم كان صاحب جريدة « البرق » وهو ما يزال حتى اليوم عميد نقباء الصحافة اذ انه اكبر النقباء الاحياء سنا . وهو القائل :

انا في شمال الحب قلب خافق
وعلى يمين الحق طير شاد
غنيت للشرق الجريح وفي يدي
ما في سماء الشرق من امجاد

وقد توفي فى الايام الاخيرة فرحمة الله عليه .

* الدكتور فخر الدين قباوة فى حلب ، يحقق كتاب « شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي » نقلا عن نسخة عليها سماع لابن السمين قراءته الكتاب على استاذه المؤلف . ويعارض الدكتور قباوة الكتاب بشرح ابن الانباري المطبوع وشرح ابن النحاس الذي لم ينشر بعد .

* احدثت محاضرة محمد سيرجية رئيس محكمة الاستئناف بحلب التي القاها فى المركز الثقافي بحلب بعنوان « مقارنة بين القصد الاحتمالي والخطأ والفصل بينهما » ضجة بين رجال الادب والقانون . فهي اول عمل فكري شهدته الشهباء يشتمل على التفسير القانوني فى اسلوب ادبي رائع .

* الباحث والشاعر السوري الدكتور زكي المحاسني صدر له فى القاهرة كتاب جديد عنوانه «عبد الوهاب عزام فى حياته واثاره الادبية » .

* الدكتور محمود محمد الحبيب مساعد رئيس جامعة البصرة فى العلاقات الثقافية ومدرس العلوم الاقتصادية فى جامعة البصرة اصدر بحثا عنوانه « نظريات الاجور فى الفكر الاقتصادي » ويقع فى 52 صفحة .

* « الحياة السياسية فى العراق فى عهد السيطرة المغولية » عنوان رسالة الدكتوراه التي اعدها الباحث العراقي صالح داود القزاز وجرت مناقشتها بكلية اداب جامعة عين شمس .

* صدرت فى بغداد الكتب التالية : « الشاب الظريف » لشمس الدين محمد بن عفيف سليمان التلمساني الملقب بالشاب الظريف تحقيق وتفسير شاكر هادي شكر ويقع فى 304 صفحات . « حوار بين الفلاسفة والمتكلمين » للدكتور حسام محيي الدين الالوسي فى 296 صفحة . « الامراض النفسية الشائعة» للدكتور معمر خالد الشابندر فى 172 صفحة. « الحضر » دراسة لمدينة الحضر التاريخية لماجد عبد الله الشمس فى 110 صفحات . « شعر خفاف بن ندبه السلمي » جمع وتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي فى 204 صفحات . « صالح بن قدوس البصري » جمع وتحقيق عبد الله الخطيب فى 210 صفحات . « تاريخ الوزارات العراقية » طبعة جديدة مزيدة من الجزء السابع لعبد الرازق الحسني في 328 صفحة . « المراة العراقية المعاصرة » لعبد الرحمن سليمان الدربندي الجز الاول فى 340 صفحة.

* يصدر قريبا ديوان الشاعر الكويتي المعروف عبد الله عبد العزيز الدرويش وعنوانه «طلائع الفجر».

* « العهد المخضرم فى سوريا ولبنان 1918 — 1922 » كتاب جديد للعلامة محمد جميل بيهم صدر عن دار الطليعة فى بيروت ، ويقع فى 224 صفحة .

* القى الدكتور وليد الخالدي محاضرة موضوعها « فلسطين 1968 » فى نادي متخرجي المقاصد الاسلامية ببيروت .

* صدر بالقاهرة عن دار الفكر العربي « ديوان الماحي » لمحمد مصطفى الماحي وهو كتابان فى مجلد واحد ضخم يقع فى 764 صفحة حجم كبير . ويتضمن الكتاب الاول شعر الديوان وصداه فى ميدان الادب ، ويتضمن الثاني صفحات من قصص الحياة فى ضوء شعر الديوان .

* « الاسلام وحركة التاريخ » كتاب جديد لانور الجندي صدر بالقاهرة وتناول بالعرض تاريخ الاسلام منذ فجره الى اليوم وفق منهج جديد يختلف عن المنهج المدرسي التقليدي ويرسم تطور التاريخ الاسلامي من خلال الخمس مراحل : توسع ، انصار وبلورة ، غزو ومقاومة ، وحدة اسلامية عثمانية ، يقظة عربية .

* توفى بمصر فجأة محمد خليل قاسم اول كاتب روائي نوبي،مؤلف القصة المعروفة «الشمندورة».

* المجمع اللغوي فى القاهرة يقيم مسابقة موضوعها « الاسرة فى الادب العربي » آخر موعد للاشتراك بها 31 مارس من العام المقبل . المسابقة مفتوحة امام جميع الدول العربية .

* توفى الدكتور حسنين عبد القادر استاذ الصحافة بكلية الاداب بجامعة القاهرة .

* « اثر التلفزيون فى الاطفال وتلامذة مدارسنا الابتدائية » عنوان رسالة الماجستير التي قدمتها نادية شكري المدرسة بكلية رمسيس ، وجرى مناقشتها في كلية بنات جامعة عين شمس .

* احيت جمعية الادباء فى القاهرة الذكرى الثانية لوفاة الاديب محمد فريد ابو حديد ، وتحدث عنه في الحفل محمد عبد الحليم عبد الله وشكري عياد وفاروق خورشيد وصافيناز كاظم .

* توفي فى القاهرة عبد العزيز وصفي وكيل وزارة الثقافة .

* نوقشت بكلية اداب جامعة عين شمس رسالة الماجستير المقدمة من الانسة عربية توفيق لازم وموضوعها « التطور والتجديد فى الشعر العراقي الحديث ».

* توفي بالقاهرة الدكتور حسن ابراهيم حسن مدير جامعة اسيوط السابق .

* حصلت السيدة آمنة اللوه اخيرا على شهادة دكتوراة الدولة من جامعة مدريد المركزية من كلية الفلسفة والآداب ـ قسم التربية ـ بدرجة امتياز وذلك بعد مناقشة رسالتها حول المدرسة المغربية الاولى بشمال المغرب من خلال التاريخ والعصر الحاضر .

* قال عبد الله بغدادي عميد كلية الشريعة بمكة المكرمة انه تقرر احداث قسم للدراسات العليا بكلية الشريعة لتحضير الماجستير والدكتوراه اعتبارا من اول العام الدراسي المقبل . وقد انتهت اللجنة التي شكلت لهذا الغرض من وضع اللوائح والخطط والمناهج المتعلقة بهذا القسم .

* وصل الى الرياض خبير فى الاحصاءات التعليمية اوفدته منظمة اليونسكو لتقديم المشورة الفنية للقيام بجمع وتنظيم الاحصاءات التعليمية والعمل بالادارة المختصة فى وزارة المعارف . كما وصل خبير الامم المتحدة الاقليمي لشؤون التنمية الصناعية للقيام بمتابعة ودراسة مشروعات التنمية الصناعية . ووصل ايضا خبير منظمة اليونسكو فى حقل تعليم الصم والبكم لتقديم المشورة لتطوير الدراسة فى هذا الحقل .

* قررت اللجنة الوطنية لليونسكو فى السعودية وضع كتاب ثقافي عن المملكة يتيح للعالم الوقوف على امكانيات الدولة والتعريف بما يجري داخل البلاد من اداب وفنون وحضارات تليدة تمتد جذورها الى القديم .

* اتخذت وزارة المعارف السعودية الخطوات اللازمة لافتتاح المعهد المهني الملكي وذلك بعد ان هيأت المباني والاجهزة بشكل علمي وتربوي هو الاول من نوعه فى منطقة الشرق الاوسط .

* صدر حديثا فى منشورات دار اليمامة بالرياض « بلاد العرب » تأليف الحسن بن عبد الله الاصفهاني تحقيق الشيخ حمد الجاسر والدكتور صالح العلي وقد ساعد المجمع العلمي العراقي على نشر هذا الكتاب. كما صدر عن الدار « غزوات الجراكسة والاتراك فى جنوب الجزيرة » تأليف قطب الدين محمد بن احمد النهروالي المكي (917 ــ 998 هـ) تحقيق الشيخ حمد الجاسر . ويصدر قريبا عن دار اليمامة كتاب «المغانم المطابة من معالم طابة » لمجد الدين الفيروز ابادي (729 ــ 817 هـ) تحقيق الشيخ حمد الجاسر .

* صرح احمد الصالحين وزير الاعلام والثقافة فى ليبيا بأن التلفزيون الليبي سيبدأ بارسال برامجه من محطتي طرابلس وبنغازي فى عيد الاستقلال فى 24 ديسمبر المقبل .

* صدر عن الدار التونسية للنشر فى تونس « التوت المر » وهي قصة طويلة لمحمد العروسي المطوي ، فازت بجائزة بلدية العاصمة عام 1963 وتقع القصة فى 216 صفحة .

* صدرت فى تونس الطبعة الثالثة من كتاب « مجمل تاريخ الادب التونسي من فجر الفتح العربي لافريقية الى العصر الحاضر » للعلامة التونسي حسن حسني عبد الوهاب .

* حضر الى الجزائر الدكتور علي شامي النشار استاذ الفلسفة بجامعة الاسكندرية لالقاء محاضرات فى تاريخ الفلسفة الاسلامية بكلية الاداب بالجامعة الجزائرية .

* كلفت جامعة الجزائر الدكتور جمال مرسي بدر مستشار وزارة العدل الجزائرية بتدريس مادة الشريعة الاسلامية لطلبة كلية الحقوق .

* قررت الجامعة الجزائرية انشاء قسم بكلية الحقوق يجري التدريس فيه باللغة العربية ابتداء من العام الجامعي المقبل .

* اصدرت « جمعية الفلسفة بالمغرب » مجلة جديدة بعنوان « دراسات فلسفية وادبية » .

* تصدر قريبا عن دار النهضة العربية بالقاهرة الطبعة الثانية من كتاب « النيابة فى التصرفات القانونية » للدكتور جمال مرسي بدر وهو دراسة مقارنة بين القوانين ذات الاصل الفرنسي والالماني والانجليزي وبين الفقه الاسلامي فى موضوع عقد الوكالة وما يشابهه من نظم النيابة عن الغير فى التصرفات والعقود .

* صدر بالقاهرة لمصطفى عبد الواحد كتابان قام بتحقيقهما هما « الاكتفاء فى مغازي رسول الله والثلاثة خلفاء » للكلاعي الاندلسي فى منشورات الخانجي و « قصص الانبياء » لابن كثير فى منشورات دار الكتب الحديثة . كما قررت لجنة النشر بالمجلس الاعلى للفنون نشر رسالته التي نال بها الماجستير وعنوانها « الدراسات الادبية للعاطفة فى تراثنا العربي»